

التَّعَالِيَةُ الْمُخْتَصَرَةُ

عَلَى الْقَصِيدَةِ النُّونِيَّةِ

لِسَيِّمَةَ بِالْكَافِ وَالشَّافِيَةَ
فِي الْإِنْصَارِ وَالْفِرْقَةِ النَّاجِيَةَ

لِلْعَلَامِ بْنِ قَتَيْبِ الْجَوْزِيِّ
رَحِمَهُ اللَّهُ

تَسْلِيْق

فَضِيْلَةَ الشَّيْخِ الذَّكْوَرِ صَالِحِ بْنِ فَوْزَانَ الْعَبْدِ لِلَّهِ الْفَوْزَانَ

عُضُوهُ هَيْئَةُ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ

أَشْرَفَ عَلَى طَبْعِهِ وَاجْتَرَأَ بِهِ

عَبْدُ السَّلَامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السُّلَيْمَانِ

تسميه (١) منه المعلوم أن الإمام ابن القيم رحمه الله وإمام جياقظ صحبة في الحديث
وهو يورد في مصنفه هذه القصيدة (النونية) مدقولات أهدايت كثيرة
مستجابا قد يكون لغته وجهرية نظر في بعض أخطائها ثم تأتي بعض النامشية
بعض قطعها عليها - بشأن مع الكتب الأخرى التي تعقبوا مؤلفها فتوهها
وأسقطوا اهتماما مع أنه مؤلفها أئمة في الحديث وأولها صاحب الاستدلال بها
وإن كان للأخرى رأي آخر فربما ولم يتدخل أحد في تلك الكتب ونصبت لأهميتها
ومكانتها ولؤلؤها رأيهم - بينما ترى بعض النامشية المعاصرة خالفوا هذا المنهج
فطروا على كتب الأئمة وخرموا أدلتها وأسقطوا مكانتها وأسماء والأدب مع
مؤلفها وهما و آباء غيرهم ليل يوهوا بحجوا على كتب العلم ولا حول ولا قوة إلا بالله
فالتواصي الكف عن هذا العمل والاعتزام كتب الأئمة - لا سيما كتب العقيدة وبالذات التوفيقية
تسميه (٢)

أصل لغتنا التعلوية أني كتبت القدر ورسا في النونية في السد
ثم تسجل هذه الدروس بأشرطه وما كان في نيتي أن يخرج
هذه الدروس على صورة شرح لهذه المنظومة العظيمة
لنقا صير معلوما في غيره ذلك - ولكن فضيلة الشيخ
عبد السلام العلماء جزاه الله خيرا قام بتفريع تلك
الأشرطه وتعليقها على شكل تعليقه مختصر فقدمه
عزيمتي وحميت بما حضرتها حتى صارت على هذا الشكل
الذي بين يدي القارئ - وحسب أنه يكون فيها فائدة ولو
قليلة فمنه عهد المقل كما قال الشاعر:

ليس العطاء منه الفضول سماحة

حتى تحود دو ما لديك قليل

وغير ذلك المجمع للعلم النافع والعمل الصالح - وصلى الله وسلم على نبينا

محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

كتبه

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

١٤٤٤ / ٨ / ١٩ هـ

تنبیه (١)

من المعلوم أن الإمام ابن القيم رحمه الله إمام حافظ حجة في الحديث وهو يورد في مضامين هذه القصيدة (النونية) مدلولات أحاديث كثيرة محتجاً بها قد يكون لغيره وجهة نظر في بعض أسانيدها. ثم يأتي بعض الباحثين فيعلق عليها - شأنهم مع الكتب الأخرى التي تعقبوا مؤلفيها فشوهوها وأسقطوا قيمتها مع أن مؤلفيها أئمة في الحديث رأوها صالحة للاستدلال بها وإن كان للآخرين رأي آخر فيها. ولم يتدخل أحد في تلك الكتب وبقيت لها حرمتها ومكانتها ولمؤلفيها رأيهم - بينما نرى بعض الباحثين المعاصرين خالفوا هذا المنهج فسطوا على كتب الأئمة وجرحوا أدلتها وأسقطوا مكانتها وأساءوا الأدب مع مؤلفيها وجاءوا بآراء غيرهم ليلزموهم بها فجنوا على كتب العلم. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالواجب الكف عن هذا العمل واحترام كتب الأئمة لا سيما كتب العقيدة. وبالله التوفيق.

تنبیه (٢)

أصل هذا التعليق أنني كنت ألقى دروساً في النونية في المسجد ثم تسجل هذه الدروس بأشرطة وما كان في نيتي أن تخرج هذه الدروس على صورة شرح لهذه المنظومة العظيمة لتناصر معلوماتي عن ذلك. ولكن فضيلة الشيخ :

عبد السلام السلیمان جزاه الله خيراً قام بتفريغ تلك الأشرطة وتنظيمها على شكل تعليق مختصر فشد من عزيمتي وقمت بمراجعتها حتى صارت على هذا الشكل الذي بين يدي القارئ. وعسى أن يكون فيها فائدة ولو قليلة فهي من جهد المقل كما قال الشاعر:

ليس العطاء من الفضول سماحة

حتى تجود وما لديك قليل

وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كتبه

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

في ١٩/٠٨/١٤٢٤هـ.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد

فهذا الكتاب المبارك لشيخنا العلامة صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن
فوزان الفوزان من أنفس الكتب وهو تعليقات على القصيدة النونية للإمام ابن
القيم رحمه الله وكان هذا الشرح عبارة عن أشرطة شرحها فضيلته في مسجده في
مدينة الرياض فعرضت على فضيلة الشيخ تفريغ هذه الأشرطة فوافق على ذلك
وراجعه وأصلحه بما يناسب أن يخرج كتاباً. مع إضافة الأسئلة المهمة التي تتعلق
بشرح الكتاب.

أسأل الله أن يجزي شيخنا الشيخ صالح خير الجزاء وأن ينفع بعلمه الإسلام
والمسلمين.

عبد السلام بن عبد الله السليمان

الجمعة ٢٥ شوال ١٤٢٤هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناظم

قال المؤلف رحمه الله: «بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الذي شهدت له ربوبيته جميع مخلوقاته، وأقرت له بالعبودية جميع مصنوعاته، وأدت له الشهادة جميع الكائنات، أنه الله الذي لا إله إلا هو بما أودعها من لطيف صنعه وبديع آياته، وسبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته، ولا إله إلا الله الأحد الصمد الذي لا شريك له في ربوبيته ولا شبيه له في أفعاله ولا في صفاته ولا في ذاته، والله أكبر عدد ما أحاط به علمه وجرى به قلمه ونفذ فيه حكمه من جميع برياته، ولا حول ولا قوة إلا بالله تفويض عبد لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، بل هو بالله وإلى الله في مبادئ أمره ونهاياته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا صاحبة له ولا ولد له ولا والد له ولا كفؤ له، الذي هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه أحد من جميع برياته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأمينه على وحيه وخيرته من بريته وسفيره بينه وبين عباده وحقته على خلقه أرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أرسله على حين فترة من

الرسول، وطموس من السبل، ودروس من الكتب، والكفر قد اضطرت ناره، وتطيرت في الآفاق شراره، وقد استوجب أهل الأرض أن يحل بهم العقاب، وقد نظر الجبار تبارك وتعالى إليهم فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب.

وقد استند كل قوم إلى ظلم آرائهم وحكموا على الله سبحانه وتعالى بمقالاتهم الباطلة وأهوائهم، وليل الكفر مدلهم ظلامه، شديد قتامة، وسبل الحق عافية آثارها مظموسة أعلامها، ففلق الله سبحانه وتعالى بمحمد ﷺ صبح الإيمان، فأضاء حتى ملأ الآفاق نوراً، وأطلع به شمس الرسالة في حنادس الظلم سراجاً منيراً، فهدى الله به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، وكثر به بعد القلة، وأعز به بعد الذلة، وأغنى به بعد العيلة، واستنقذ به من الهلكة، وفتح به أعيناً عمياً وأذناً صماً وقلوباً غلفاً، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه، وشرح الله له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، وأقسم بحياته في كتابه المبين، وقرن اسمه باسمه فإذا ذكر ذكر معه كما في الخطب والتشهد والتأذين، فلا يصح لأحد خطبة ولا تشهد ولا أذان ولا صلاة حتى يشهد أنه عبده ورسوله شهادة اليقين، وصلّى الله وملائكته وأنبيأؤه ورسله وجميع خلقه عليه، كما عرفنا بالله وهدانا إليه، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإنَّ الله جل ثناؤه وتقدّمت أسماؤه إذا أراد أن يكرم عبده بمعرفته، ويجمع قلبه على محبته، شرح صدره لقبول صفاته العلى وتلقيها من مشكاة الوحي، فإذا ورد عليه شيء منها قابله بالقبول وتلقاه بالرضا والتسليم، وأذعن له بالانقياد فاستنار به قلبه، واتسع له صدره، وامتلاً به سروراً ومحبة، فعلم أنه تعريف من تعريفات الله تعالى تعرّف به إليه على لسان رسوله، فأنزل تلك الصفة من قلبه منزلة الغذاء، أعظم ما كان إليه فاقة، ومنزلة الشفاء أشد ما كان إليه حاجة، فاشتد بها فرحه، وعظم بها غناؤه^(١).

وقويت بها معرفته، واطمأنت إليها نفسه، وسكن إليها قلبه، فجال من المعرفة في ميادينها، وأسام عين بصيرته في رياضها وبساتينها؛ لتيقنه بأن شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا معلوم أعظم وأجل ممن هذه صفته، وهو ذو الأسماء الحسنی والصفات العلى، وأن شرفه أيضاً بحسب الحاجة إليه، وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة باريها وفاطرها ومحبته وذكره والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه والتزلفى عنده، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلم كان بالله أعرف، وله أطلب وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر كان بالله أجهل وإليه أكره ومنه أبعد.

(١) الغناء بالفتح معناه: العطاء، وأما الغناء بالكسر فمعناه الصوت المطرب، وأما الغنى بدون همزة فمعناه الثروة.

والله تعالى ينزل العبد من نفسه حيث ينزله العبد من نفسه،
فمن كان لذكر أسمائه وصفاته مبغضاً، وعنهما نافراً ومنفراً، فالله له
أشد بغضاً، وعنه أعظم إعراضاً، وله أكبر مقتاً، حتى تعود القلوب
إلى قلوبين:

قلب ذكّر الأسماء والصفات قُوّته وحياته ونعيمه وقُرّة عينه،
لو فارقه ذكّرها ومحبتها لحظة لاستغاث، يا مقلب القلوب ثبت
قلبي على دينك، فلسان حاله يقول:

يُرَاد مِنَ الْقَلْبِ نَسْيَانَكُمْ وَتَأْبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقلِ
ويقول:

وَإِذَا تَقَاضَيْتِ الْفُؤَادُ تَنَاسِيَا أَلْفَيْتِ أَحْشَائِي بِذَآكِ شَحَاحَا
ويقول:

إِذَا مَرَضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكْرِكُمْ فَتَرَكِ الذِّكْرَ أَحْيَانَا فَتَنْتَكِسْ
ومن المحال أن يذكر القلب من هو محارب لصفاته، نافر من
سماعها، معرض بكلية عنها، زاعم أن السلامة في ذلك، كلا والله
إن هو إلا الجهالة والخذلان، والإعراض عن العزيز الرحيم، فليس
القلبُ الصحيحُ قط إلى شيءٍ أشوق منه إلى معرفة ربه تعالى
وصفاته وأفعاله وأسمائه، ولا أفرح بشيءٍ قط كفرحه بذلك، وكفى
بالعبد عمى وخذلاناً أن يضرب على قلبه سرادق الإعراض عنها،
والنفرة والتنفير والاشتغال بما لو كان حقاً لم ينفع إلا بعد معرفة
الله والإيمان به وبصفاته وأسمائه.

والقلب الثاني: قلب مضروب بسياط الجهالة، فهو عن معرفة ربه وصحبته مسدود، وطريق معرفة أسمائه وصفاته كما أنزلت عليه مسدود، قد قمش شبهاً من الكلام الباطل، وارتوى من ماء آجن غير طائل، تعج منه آيات الصفات وأحاديثها إلى الله عجيجاً، وتضج منه إلى منزلها ضجيجاً، مما يسومها تحريفاً وتعطيلاً، ويؤول معانيها تغييراً وتبديلاً، قد أعد لدفعها أنواعاً من العدد، وهياً لردّها ضرورياً من القوانين، وإذا دعى إلى تحكيمها أبى واستكبر وقال: تلك أدلة لفظية لا تفيد شيئاً من اليقين. قد أعد التأويل جنة يتترس بها من مواقع سهام السنة والقرآن، وجعل إثبات صفات ذي الجلال تجسيمياً وتشبيهاً يصد به القلوب عن طريق العلم والإيمان. مزجيّ البضاعة من العلم النافع الموروث عن خاتم الرسل والأنبياء لكنه مليء بالشكوك والشبه والجدال والمراء، خلع عليه الكلام الباطل خلعة الجهل والتجهيل، فهو يتعثر بأذيال التكفير لأهل الحديث، والتبديع لهم والتضليل. قد طاف على أبواب الآراء والمذاهب بتكفف أربابها، فانشئ بأخسر المواهب والمطالب، عدل عن الأبواب العالية الكفيلة بنهاية المراد، وغاية الإحسان، فابتلي بالوقوف على الأبواب السافلة الملائة بالخيبة والحرمان، وقد لبس حلة منسوجة من الجهل والتقليد والشبهة والعناد، فإذا بذلت له النصيحة، ودُعي إلى الحق أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبس المهاد.

فما أعظم المصيبة بهذا وأمثاله على الإيمان، وما أشد الجنابة به على السنة والقرآن، وما أحب جهاده بالقلب واليد واللسان إلى الرحمن، وما أثقل أجر ذلك الجهاد في الميزان، والجهاد بالحجة واللسان، مقدم على الجهاد بالسيف والسنان، ولهذا أمر به تعالى في السور المكية، حيث لا جهاد باليد إنذاراً وتعديراً فقال تعالى:

﴿فَلَا تَطْعَمُ الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

وأمر تعالى بجهاد المنافقين والغلظة عليهم مع كونهم بين أظهر المسلمين في المقام والمسير، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣] فالجهاد بالعلم والحجة جهاد أنبيائه ورسله وخاصته من عباده المخصوصين بالهداية والتوفيق والاتفاق، ومن مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق، وكفى بالعبد عمى وخذلاناً أن يرى عساكر الإيمان وجنود السنة والقرآن وقد لبسوا للحرب لأمته، وأعدوا له عُدته، وأخذوا مصافهم ووقفوا، وقد حمى الوطيس ودارت رحى الحرب واشتد القتال وتنادت الأقران النزال النزال، وهو في الملجأ والمغارات، والمدخل مع الخوالب كمين. وإذا ساعد القدر وعزم على الخروج قعد فوق التل مع الناظرين، ينظر لمن الدائرة ليكون إليهم من المتحيزين، ثم يأتيهم وهو يقسم بالله جهد أيمانه أني كنت معكم وكنت أتمنى أن تكونوا أنتم الغالبين، فحقيق بمن لنفسه عنده قدر وقيمة أن لا يبيعها بأبخس الأثمان، وأن لا يعرضها غدا بين يدي

الله ورسوله لمواقف الخزي والهوان، وأن يثبت قدميه في صفوف أهل العلم والإيمان، وأن لا يتحيز إلى مقالة سوى ما جاء في السنة والقرآن، فكان قد كشف الغطاء وانجلى الغبار وأبان عن وجوه أهل السنة مسفرة ضاحكة مستبشرة، وعن وجوه أهل البدعة عليها غبرة ترهقها قفرة، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة والضلالة، فوالله لمفارقة أهل الأهواء والبدع في هذه الدار أسهل من موافقتهم إذا قيل ﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ [الصفات: ٢٢].

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وبعده الإمام أحمد: أزواجهم: أشباههم ونظراؤهم، وقد قال تعالى: ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكوير: ٧] قالوا فيجعل صاحب الحق مع نظيره في درجته، وصاحب الباطل مع نظيره في درجته، هنالك والله يعرض الظالم على يديه إذا حصلت له حقيقة ما كان في هذه الدار عليه، يقول ﴿ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ ﴿٢٧﴾ يَوَلِّتَنِي لَيْتَنِي لِمَ اتَّخَذْتُ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وكان من قدر الله وقضائه أن جمع مجلس المذاكرة بين مثبت للصفات والعلو وبين معطل لذلك، فاستطعم المعطل المثبت الحديث استطعام غير جائع إليه ولكن غرضه عرض بضاعته عليه، فقال له: ما تقول في القرآن ومسألة الاستواء؟ فقال المثبت: نقول

فيها ما قاله ربنا تبارك وتعالى وما قاله نبينا ﷺ، نصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، بل ثبت له سبحانه ما أثبت له لنفسه من الأسماء والصفات، ونفني عنه النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل. فمن شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه، أو ما وصفه به رسوله تشبيهاً، فالمشبهه يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً، والموحد يعبد إلهاً واحداً صمداً ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

والكلام في الصفات كالكلام في الذات، فكما أنا ثبت ذاتاً لا تشبه الذوات، فكذلك نقول في صفاته أنها لا تشبه الصفات، فليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فلا تشبه صفات الله بصفات المخلوقين، ولا نزيل عنه سبحانه صفة من صفاته لأجل تشنيع المشنعين، وتلقيب المفترين، كما أنا لا نبغض أصحاب رسول الله ﷺ لتسمية الروافض لنا نواصب، ولا نكذب بقدر الله ولا نجحد كمال مشيئته وقدرته لتسمية القدرية لنا مجبرة.

ولا نجحد صفات ربنا تبارك وتعالى لتسمية الجهمية والمعتزلة لنا مجسمة مشبهة حشوية، ورحمة الله على القائل:

فإن كان تجسيمياً ثبوت صفاته فإنني بحمد الله لها مثبت
إلى:

فإن كان تجسيمياً ثبوت صفاته لديكم فإنني اليوم عبد مجسم

ورضي الله عن الشافعي حيث يقول:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أنني رافضى

وقدس الله روح القائل وهو شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول:

إن كان نصباً حب صحب محمد فليشهد الثقلان أنني ناصبي

وأما القرآن فإني أقول: إنه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، تكلم الله به صدقا، وسمعه منه جبرائيل حقاً، وبلغه محمداً ﷺ وحيأ، وأن (كهيعص) و(حم عسق) و(الر) و(ق) و(ن) عين كلام الله حقيقة، وأن الله تكلم بالقرآن العربي الذي سمعه الصحابة من النبي ﷺ وأن جميعه كلام الله، وليس قول البشر، ومن قال: إنه قول البشر فقد كفر. والله يصلية سقر، ومن قال ليس لله بيننا في الأرض كلام فقد جحد رسالة محمد ﷺ فإن الله بعثه يبلغ عنه كلامه، والرسول إنما يبلغ كلام مرسله، فإذا انتفى كلام المرسل انتفت رسالة الرسول، ونقول: إن الله فوق سمواته مستو على عرشه بائن من خلقه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، وإنه تعالى إليه يصعد الكلم الطيب وتعرج الملائكة والروح إليه. وإنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه، وإن المسيح رفع بذاته إلى الله وإن رسول الله ﷺ عرج به إلى الله حقيقة، وإن أرواح المؤمنين تصعد إلى الله عند الوفاة فتعرض عليه وتقف بين يديه، وإنه تعالى هو القاهر فوق عباده وهو العلي الأعلى. وإن المؤمنين والملائكة المقربين يخافون ربهم

من فوقهم، وإن أيدي السائلين ترفع إليه وحوادثهم تعرض عليه فإنه سبحانه هو العلي الأعلى بكل اعتبار، فلما سمع المعطل منه ذلك أمسك، ثم أسرها في نفسه وخلق بشياطينه وبني جنسه وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً وأصناف المكر والاحتيال.

وراموا أمراً يستحمدون به إلى نظرائهم من أهل البدع والضلال وعقدوا مجلساً يبيتون في مساء يومه ما لا يرضاه الله من القول والله بما يعملون محيط. وأتوا في مجلسهم ذلك بما قدروا عليه من الهديان واللغظ والتخليط، وراموا استدعاء المثبت إلى مجلسهم الذي عقدوه ليجعلوا نزله عند قدومه عليهم ما لفقوه من المكر وتمموه فحبس الله عنه أيديهم وألسنتهم فلم يتجاسروا عليه، ورد الله كيدهم في نحورهم فلم يصلوا بالسوء إليه، وخذلهم المطاع فمزقوا ما كتبه من المحاضر، وقلب الله قلوب أوليائه وجنده عليهم من كل باد وحاضر، وأخرج الناس لهم من المخبات كمائنها، ومن الجوائف والمنقلات دفائنها، وقوى الله جأش عقد المثبت وثبت قلبه ولسانه، وشيد بالسنة المحمدية بنيانه، فسعى في عقد مجلس بينه وبين خصومه عند السلطان، وحكم على نفسه كتب شيوخ القوم السالفين وأئمتهم المتقدمين، وأنه لا يستصر من أهل مذهبه بكتاب ولا إنسان وأنه جعل بينه وبينكم أقوال من قلدموه، ونصوص من على غيره من الأئمة قدمتموه، وصرخ المثبت بذلك بين ظهرائهم حتى بلغه دانيهم لقاصيهم، فلم يدعنوا لذلك واستعفوا من عقده فطالبهم المثبت بواحدة من خلال ثلاث:

مناظرة في مجلس عالم على شريطة العلم والإنصاف تحضر فيه النصوص النبوية والآثار السلفية وكتب أئمتكم المتقدمين من أهل العلم والدين، فقليل لهم: لا مراكب لكم تسابقون بها في هذا الميدان وما لكم بمقاومة فرسانه يدان. فدعاهم إلى مكاتبة بما يدعون إليه، فإن كان حقاً قبله وشكركم عليه وإن كان غير ذلك سمعتم جواب المثبت، وتبين لكم حقيقة ما لديه، فأبوا ذلك أشد الإياء، واستعفوا غاية الاستعفاء، فدعاهم إلى القيام بين الركن والمقام قياماً في مواقف الابتهاال حاسري الرؤوس، نسأل الله أن ينزل بأسه بأهل البدع والضلال.

وظن المثبت والله أن القوم يجيئون إلى هذا، فوطن نفسه عليه غاية التوطن، وبات يحاسب نفسه، ويعرض ما يثبته وينفيه على كلام رب العالمين، وعلى سنة خاتم الأنبياء والمرسلين، ويتجرد من كل هوى يخالف الوحي المبين، ويهوي بصاحبه إلى أسفل السافلين. فلم يجيئوا إلى ذلك أيضاً، وأتوا من الاعتذار بما دله على أن القوم ليسوا من أولي الأيدي والأبصار، فحينئذ شمر المثبت عن ساق عزمه وعقد لله مجلساً بينه وبين خصمه يشهده القريب والبعيد، ويقف على مضمونه الذكي والبليد. وجعله عقد مجلس التحكيم بين المعطل الجاحد والمثبت المرّمي بالتجسيم.

وقد خاصم في هذا المجلس بالله وحاكم إليه وبرىء إلى الله من كل هوى وبدعة وضلالة. وتحيز إلى فئة رسول الله ﷺ، وما كان أصحابه عليه والله سبحانه هو المسؤول أن لا يكله إلى نفسه

ولا إلى شيء مما لديه، وأن يوفقه في جميع حالاته لما يحبه ويرضاه. فإن أزمة الأمور بيديه وهو يرغب إلى من يقف على هذه الحكومة أن يقوم لله قيام متجرد عن هواه قاصد لرضاء مولاه. ثم يقرؤها متفكراً ويعيدها ويديها متدبراً. ثم يحكم فيها بما يرضي الله ورسوله وعباده المؤمنين. ولا يقابلها بالسب والشتم كفعل الجاهلين والمعاندين. فإن رأى حقاً تبعه وشكر عليه. وإن رأى باطلاً رده على قائله وأهدى الصواب إليه. فإن الحق لله ورسوله. والقصد أن تكون كلمة السنة هي العليا جهاداً في الله وفي سبيله. والله عند لسان كل قائل وقلبه. وهو المطلع على نيته وكسبه. وما كان أهل التعطيل أولياءه. إن أولياؤه إلا المتقون المؤمنون المصدقون ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وهذه أمثال حسان مضروبة للمعطل والمشبه والموحد، ذكرناها قبل الشروع في المقصود، فإن ضرب الأمثال مما يأنس به العقل لتقريبها المعقول من المشهود، وقد قال تعالى، وكلامه المشتمل على أعظم الحجج وقواطع البراهين: ﴿ وَذَلِكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَاكِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقد اشتمل منها على بضعة وأربعين مثلاً، وكان بعض السلف إذا قرأ مثلاً لم يفهمه يشتد بكاؤه ويقول: لست من العالمين، وسنفرد لها إن شاء الله كتاباً مستقلاً متضمناً لأسرارها ومعانيها وما تضمنته من كنوز العلم وحقائق الإيمان، والله المستعان وعليه التكلان.

المثال الأول: ثياب المعطل ملطخة بعذرة التحريف، وشرابه متغير بنجاسة التعطيل. وثياب المشبه مُتضمِّخة بدم التشبيه وشرابه متغير بدم التمثيل، والموحد طاهر الثوب والقلب والبدن، يخرج شرابه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين.

المثل الثاني: شجرة المعطل مغروسة على شفا جرف هار. وشجرة المشبه قد اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار. وشجرة الموحد أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون.

المثال الثالث: شجرة المعطل شجرة الزقوم، فالحلوق السليمة لا تبلعها. وشجرة المشبه الحنظل، فالنفوس المستقيمة لا تتبعها. وشجرة الموحد طوبى يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها.

المثل الرابع: المعطل قد أعد قلبه لوقاية الحر والبرد كبيت العنكبوت، والمشبه قد خسف بعقله، فهو يتجلجل في أرض التشبيه إلى البهيموت، وقلب الموحد يطوف حول العرش ناظراً إلى الحي الذي لا يموت.

المثل الخامس: مصباح المعطل قد عصفت عليه أهوية التعطيل فطفئ وما أنار، ومصباح المشبه قد غرقت فتيلته في عسكر التشبيه فلا تقبس منه الأنوار، ومصباح الموحد يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار.

المثال السادس: قلب المعطل متعلق بالعدم فهو أحقر الحقير،
وقلب المشبه عابد للصنم الذي قد نحت بالتصوير والتقدير،
والموحد قلبه متعبد لمن ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير.

المثل السابع: نقود المعطل كلها زيوف فلا تروج علينا،
وبضاعة المشبه كاسدة فلا تنفق لدينا، وتجارة الموحد ينادى عليها
يوم العرض على رؤوس الأشهاد هذه بضاعتنا ردت إلينا.

المثل الثامن: المعطل كنافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن
تجد منه ريحاً خبيثة، والمشبه كبائع الخمر، إما أن يسكرك وإما أن
ينجسك، والموحد كبائع المسك إما أن يحذيك وإما يبيئك وإما
أن تجد منه رائحة طيبة.

المثل التاسع: المعطل قد تخلف عن سفينة النجاة ولم يركبها
فأدركه الطوفان، والمشبه قد انكسرت به اللجة، فهو يشاهد الغرق
بالعيان، والموحد قد ركب سفينة نوح، وقد صاح به الربان:
اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها، إن ربي لغفور رحيم.

المثل العاشر: منهل المعطل كسراب بقية يحسبه الظمآن ماء
حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً فرجع خاسئاً حسيراً. ومشرب المشبه
من ماء قد تغير طعمه ولونه وريحه بالنجاسة تغييراً، ومشرب الموحد
من كأس كان مزاجها كافوراً، عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها
تفجيراً (وقد سميتها بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية).

وهذا حين الشروع في المحاكمة، والله المستعان، وعليه
التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مقدمة المعلق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد: فهذه المقدمة من الشيخ الإمام ابن القيم رحمه الله مقدمة جميلة يُبيّن فيها غرضه من هذه المنظومة الطويلة «النونية».

وابن القيم رحمه الله أعطاه الله علماً غزيراً وإلى جانب ذلك أعطاه حُسن التعبير، وحُسن سياق الكلام وترصيفه، فهو جمع بين بضاعة العلم والفقه في الدين، وبضاعة الأدب في الخطاب، فهو أديب بارع إذا تكلم أو كتب، أخذ القلوب بحُسن تعبيره وبُحسن سياقه، وحُسن اختياره للألفاظ، كما تقرؤون في هذه المقدمة من السلاسة والأدب الرفيع الذي يُباري فيه كبار الأدباء.

فهو رحمه الله أديبٌ فقيهٌ محدثٌ مُفسّرٌ متفننٌ في كثيرٍ من العلوم، وهو بحرٌ غزيرٌ وقد حصل على هذا العلم الغزير من شيخه: «شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله» فإنه لازمه ملازمة تامّة، وتأثر به وتروّى من علمه، فظهر ذلك على مؤلفاته، فهو يعرض علم شيخه وحُججه عرضاً فنياً في مؤلفاته.

وسياتيكم كلامه في أنه كان في الأول قبل أن يلتقي بالشيخ أنه كان ضائعاً، وأنه كان واقعاً في شرك المنطق والتصوف حتى أتاه الله له هذا الإمام الجليل شيخ الإسلام ابن تيمية، فتروّى من علمه،

وتنوّر بفقّهه، وتحرّر من التقليد الأعمى، وعرف مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم؛ بل وقبل ذلك كلّه أورده على فقّه القرآن العظيم والسنة النبوية ومعانيهما، فتخرّج على يد هذا الإمام، وهو يعتبر أبرز تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، ورئيس تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، وكلهم أئمة ولكن الإمام ابن القيم حصل على ثروة عظيمة من علم شيخه، وأعطاه الله حسن العبارة والصيغة، وسياق الكلام بمساق مشوّق، وكل من قرأ كتبه فإنّه يستفيد علماً غزيراً، وأسلوباً وأدباً وحُسن محاجة ومخاصمة، ويستفيد لغةً وأدباً جمّاً.

وهو يذكر في هذا الكلام الذي مر أن الناس انقسموا إلى قسمين نحو الأسماء والصفات لله عزّ وجلّ، قسمٌ قبلوها، قبلوا الأسماء والصفات كما جاءت، واستنارت قلوبهم بها، وعرفوا ربهم بها، وذكروا الله عزّ وجلّ بأسمائه وصفاته، يلهجون بذلك في أذكارهم ودعواتهم، ويتوسلون إلى الله جلّ وعلا بها كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] فرحوا بها وتفهموا معانيها. والقسم الثاني: تلقوها بالنكران والجحود والكفر بها وقابلوها بالتأويل، والتحريف، وفي مقدمة هؤلاء: الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وسائر الطوائف التي تنكرت للأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة أو لبعضها، وقالوا: إنّها إذا اعتقدها الإنسان يكون مشبهاً ومجسماً؛ لأن هذه الأسماء والصفات لا تكون إلا للأجسام بزعمهم، ولأن هذه الأسماء والصفات توجد

في المخلوقين، فإذا سُمي الله بها أو وصف بها صار مشابهاً للمخلوقين بزعمهم.

والسبب في هذا: أنهم أعرضوا عن الكتاب والسنة، وبنوا مذهبهم على علم المنطق وعلم الكلام، وسمّوا علم المنطق وعلم الكلام علماً يقينياً، وسمّوا أدلة الكتاب والسنة أدلة سمعية ظنية لا تفيد اليقين ولا تفيد العلم، هذا هو السبب في ضلالهم، فقدّموا العلوم العقلية والقواعد المنطقية على أدلة الكتاب والسنة، وصاروا يُخضعون الكتاب والسنة إلى قواعدهم فما وافقها قبلوه، وما خالفها ردّوه، واعتبروا الأصل الذي يُلجأ إليه هو علم المنطق وعلم الكلام.

فنشأ من ذلك - والعياذ بالله - الضلال المبين، والتحريف لكتاب الله وسنة رسوله، ونشأ من ذلك العداوة لأهل الإيمان وأهل العلم، وجَهَلُوا العلماء، وجَهَلُوا السلف الصالح حتى قالوا: إن طريقة السلف هي طريقة تفويضية يقرؤون النصوص لكن لا يفهمون معناها، ويفوضون معناها إلى الله، ويقرؤونها مجرد قراءة ولا يعرفون معناها. فهم بهذا جهَلُوا السلف، وجعلوا السلف بمثابة الأميين الذين يقرؤون القرآن ولا يفهمون معناه، كما قال تعالى في أهل الكتاب: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨] فجعلوا السلف بما فيهم صحابة رسول الله والتابعون وأتباعهم والقرون المفضلة بهذه الصفة أنهم يقرؤون ولا يفهمون قراءة مجردة للألفاظ فقط.

قالوا: وأمّا الخلف فإنهم فهموا هذه النصوص، وعرفوا أنها ليست على ظاهرها، وأن ظاهرها غير مراد فأولوها عن ظاهرها، وحرّفوها عن مدلولها إلى عقلياتهم وعلومهم المنطقية، وقالوا: إن هذا هو العلم، ونشأ عن هذا أنهم قالوا: إن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

فطريقة السلف أسلم؛ لأنهم يقرؤونها ولا يبحثون فيها ولا يعرفون معناها، أما طريقة الخلف فهي أعلم وأحكم؛ لأنهم علموا أن هذه النصوص ليست على ظاهرها، وأن الله منزّه عمّا تدلّ عليه، فكأن القرآن وكأن السنة على هذا الكلام، كأنها أنزلت لتضليل الناس؛ لأنهما إذا كانا على غير ظاهرهما، وأن الحق بخلاف ما يدلّ عليه فمعناه: أنهما جاءا للتضليل والأحاجي، ما جاءا للهداية والبيان، هذا مُحصّل مذهبهم وهو مذهب باطل، ثمّ إذا جحدوا الأسماء والصفات فكيف يعرفون الله عزّ وجل، محالّ أن يعرفوا الله إلا بأسمائه وصفاته، فالذي يجحد الأسماء والصفات معناه: أنه لا يعرف الله سبحانه وتعالى، هذه ناحية وهي مهمة جداً.

الناحية الثانية: إذا جحدوا الأسماء والصفات فيماذا يذكرون الله؟ ألم يأمر الله بذلك فقال: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال: ٤٥] ﴿وَالذِّكْرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذِّكْرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] فما دامت هذه الأسماء والصفات لا حقيقة لها ولا مدلول لها، وإنما هي على غير ظاهرها، ومن اعتقد ظاهرها فهو ضال عندهم مشبه ومجسم فيماذا يذكرون الله عزّ وجل؟

الذاكر لله يقول: يا الله يا رحمان يا رحيم يا غفور يا سميع يا بصير، يذكر الله بأسمائه وصفاته، فإذا صارت هذه الأسماء والصفات تجسيماً وتشبيهاً وتضليلاً كما يقولون، فكيف نذكر الله عزَّ وجلَّ، بماذا نذكر الله؟ هل نقول: يا من ليس له أسماء وليس له صفات تعالى الله عن ذلك.

يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۚ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وهذا هو الإلحاد في أسماء الله وصفاته: «أن يُعتقد أنها على غير ظاهرها، وأن ظاهرها باطل، وأن ظاهرها تضليل، وأن ظاهرها تشبيه وتجسيم» هذا هو الإلحاد والعياذ بالله . .

أما الذي يُؤمن بها ظاهراً وباطناً، ويذكر الله تعالى بها، ويدعوه بها، ويتعرَّف إلى الله بها، فهذا هو المؤمن بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ثم مرَّت في كلام الإمام ابن القيم رحمه الله كلمة ربما تُشكل على بعض الإخوان وهي قوله: «إن الله أقسم بحياته» يعني بحياة الرسول ﷺ، نعم أقسم الله بحياة الرسول وذلك في قوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] فالعمر معناه: «الحياة» واللام لام القسم، والله جلَّ وعلا يُقسم بما شاء من خلقه، أمَّا المخلوق فإنه لا يُقسم ولا يحلف إلا بالله عزَّ وجلَّ.

هذه قاعدة يجب معرفتها: «أن الله يُقسم بما شاء من خلقه، ومن ذلك أنه أقسم بحياة رسوله ﷺ، وهو جلّ وعلا لا يُقسم إلا بشيء له أهمية وفيه حكمة».

ولمّا بيّن رحمه الله موقف الناس من الأسماء والصفات، وأنهم على قسمين: قسم آمن بها، وتعبد لله بمدلولها، وأحبها، وتلذذ بها، وذكر الله بها، وهم أهل السنة والجماعة، القسم الثاني: الذين نفوها وجحدوها وأولوها وظنوا أنها لا تليق بالله عزّ وجلّ، فهؤلاء هم أهل التعطيل من الجهمية والمعتزلة ومن سار في ركبهم من سائر الفرق الذين ينفون الأسماء والصفات، أو ينفون الصفات ويثبتون الأسماء، أو يثبتون بعض الصفات وينفون بعضها، على تفاوت بينهم لكن كلهم يجمعهم اسم التعطيل والمعطلة فمقلّد ومستكثر منهم.

بعد ذلك بيّن ما يجب نحو هؤلاء: هل نسكت ونترك هؤلاء كما يُطالب بذلك اليوم بعض الجهّال يقولون: اتركوا الناس، ولا تدرسوا مذاهبهم ولا شبههم، ولا تردوا عليهم ما لكم ولهم، اتركوهم.

الإمام ابن القيم يقول: «لا» لا نتركهم، هؤلاء يجب جهادهم قبل جهاد الكفار بماذا نجاهدهم؟ بالأسلحة «لا» نجاهدهم برد باطلهم ودحض زيفهم ومناقشة شبههم هذا هو جهادهم.

أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين، فالكفار يُجاهدون بالسيف والسنان، والمنافقون يُجاهدون بالحجة واللسان، وهؤلاء أشد

المنافقين، وهم أخطر على الإسلام من غيرهم، فيجب مجابتهم، والوقوف ضدهم، وبيان باطلهم، وتجلية حقائقهم، وبيان ما يؤول إليه مذهبهم، حتى يكون الناس على بصيرة، ولثلاث تنطلي شبهاتهم؛ لأن كتبهم الآن كثيرة ومنتشرة، فالمطابع تقذف إلينا من كل جانب، وورثة هؤلاء ينشرونها ويحققونها ويقدمون لها ويروجونها، فلا بد في المقابل أن نخرج كتب السلف والأئمة التي ترد على هؤلاء، وأن ندرّسها والمفقود منها، نبحث عنه ونُخرجه للناس، هذا أمر واجب وهو من الجهاد في سبيل الله.

فإن النبي ﷺ أمر به قبل الجهاد بالسيف، أمر به يوم أن كان بمكة؛ لأن الله أمر به يوم أن كان الرسول بمكة ليس هناك جهاد بالسيف ومع ذلك أمره الله: ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْكُفْرِينَ﴾ الآية [الفرقان: ٥٢] هذه مكة ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ [الفرقان: ٢٥] الضمير يرجع إلى القرآن يعني: جاهدكم بالقرآن العظيم والحجج القرآنية، فيجب جهاد هؤلاء بحجج الكتاب والسنة، وبيان باطلهم وتجلية مذهبهم وألا نغفل عن ذلك ونسكت عنه ونتجاهله.

يجب علينا مقاومة أهل هذا المذهب قبل مقاومة غيرهم من أهل الباطل؛ لأن هذا مذهب يتسم بأنه مذهب إسلامي، أمّا مذهب الكفر والإلحاد فهذا مفضوح ومعروف أنه كفر وإلحاد لكن المشكل الذي يأتيك متلبساً بالإسلام، وهو يأخذ نصوص القرآن ونصوص السنة المتعلقة بالله ويجحدها ويؤولها ويجهل الناس بها هذا أشد خطراً.

والسكوت عنه والإعراض عنه أخطر من السكوت عن جهاد الكفار والمنافقين الخارجين، هذا هو مقصود الإمام رحمه الله، أن هؤلاء لا يجوز السكوت عنهم، ولا ترك مذاهبهم تنتشر بين الناس، ولا إعطاء الفرصة لكتبهم أن تنتشر بين الناس وتكون بأيدي الجهال وبأيدي شباب المسلمين، بل يجب أن يُصَّروا بها ويُحذَّروا منها، وأن يُبيِّن لهم باطلها حتى نأمن على عقائدنا وشبابنا وعلى بلادنا من دخول هذه المذاهب الفاسدة.

ولذلك الكفار لا يُجاهدون ولا يُقاتلون إلا بعد الدعوة وبيان الحق لهم، فبيِّن لهم الحق وُيَدْعون إلى قبوله والدخول في الإسلام، فإن أبوا فإنَّهم يُقاتلون بالسيف، لكن لا يُقاتلون بالسيف حتى تُقام عليهم الحجة بالقرآن والسنة، وبيان أن ما هم عليه هو الكفر، فالجهاد بالحجة مقدَّم على الجهاد بالسيف.

فأهل الحق يُقاومون أهل الباطل، والمنافق يعيش في راحة ورغد ولا كأن الأمر يُهمه، كما قال تعالى في أهل النفاق: ﴿لَوْ يَحِدُّونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: ٥٧] هذه صفة أهل النفاق: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ [التوبة: ٨١] ويخذلون عن الجهاد، دائماً يدعون إلى الراحة وإلى التلذذ بالدنيا، وينهون عن ارتكاب المشاق وعن الجهاد في سبيل الله، فالجلاد مع الأعداء: «يدعون إلى المسالمة حتى يتمكن الباطل ويدخل إلى قعر بلاد المسلمين وهم يقولون: تلذذوا بدنياكم واجلسوا في الظل والبراد إلى آخره...».

ومنهم الذين يقولون: لا تردّوا على أهل الباطل، يقولون: فالآن هذا عجل وطائش ومتسرع وعقليته ليست مضبوطة إلى غير ذلك من الأوصاف القبيحة وأنهم لا يعرفون فقه الواقع.

بعض أدلة علو الله على خلقه في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، من صعود الكلم الطيب إليه، ومن عروج الملائكة إليه، وعروج الأنبياء كعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، والعروج معناه: الصعود، وأرواح المؤمنين إذا قبضت يصعد بها إلى السماء، كل هذه تدلُّ على علو الله على عرشه؛ لأن الصعود إنما يكون من الأسفل إلى الأعلى.

لما سمع المعطل الذي ينفي العلو هذه الأدلة ممن أوردها عليه في المجلس المذكور لم يستطع الإجابة عليها فسكت، وفي نفسه التعطيل ولكنه لم يستطع رد الأدلة لأنها أدلة مُفحِّمة، ولما لم يستطع المعطل ردَّ الأدلة التي أوردتها عليه المُثبت، ذهب إلى قومه وإلى أمثاله من المعطلين وتشاوروا فيما بينهم ولفَّقوا شَبهاً أوحى بها بعضهم إلى بعض ثم دعوا المُثبت إلى مجلسهم.

لما أبوا عقد المحاكمة طلب منهم أن يكتبوا ما عندهم كتابة وأن يُقدِّموها إليه ليقرأها وينظر، فإن كان فيها حق قبله، وإن كان فيها باطلٌ ردّه وبينه لهم، لأن الكتابة أستر لهم من حضورهم في مجلس الحاكم وانهمامهم أمام الحاكم وأمام الحاضرين، فهو انتقل بهم إلى درجة أخرى وهي الكتابة بأن يكتبوا ما عندهم من الحجج

والدلائل ويعرضوها عليه ليقرأها هو بنفسه، وهذا إنصاف لهم ولا أحد يدري عن الكتابة «كتابة سرية».

فلما أبوا أن يكتبوا ما عندهم دعاهم إلى المباهلة بينه وبينهم بأن يقفوا عند الكعبة، وأن يدعو باليأس واللعنة على الكاذب كما قال الله تعالى لنبيه ﷺ لما جاءه نصارى نجران وحصل بينهم وبين رسول الله ﷺ محاورة فقال: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

فأبى النصارى أن يباهلوا لأنهم يعلمون أنه على الحق وأنهم على الباطل، وأنهم لو دعوا على أنفسهم بهذه الدعوة لنزلت بهم فصالحوا النبي ﷺ مُصَالِحَةً عَلَى أَنْ يَدْفَعُوا لَهُمُ الْجِزْيَةَ.

ثم ضرب الإمام ابن القيم الأمثال لأهل الحق وخصومهم.

والأمثال: جمع مثل: وهو أن يُصور الغائب بشيء حاضر، بأن يُقَرَّبَ الشيء الغائب بشيء حاضر يراه الناس. هذا هو المثل والقرآن فيه أمثال كثيرة، والله جلّ وعلا يسوقها لتمييز الحق من الباطل: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا...﴾ [البقرة: ٢٦] فالله يذكر الأمثال ويصور الأشياء الغائبة بأشياء مشاهدة حتى يتضح الحق. من هذه الأمثال: قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ

هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [الزمر: ٢٩] هذا مثلُ ضربهُ الله للموحد والمشرِك فالموحد له سيدٌ واحدٌ فقط يقوم بطاعته، ويعرف ما يُرضيه فهو في راحةٍ معه، أمَّا المشرِك فهو مثل العبد الذي يملكه عدةُ أسياد لا يدري من يرضي منهم، كل واحد له رغبة، هذا يريد خلاف ما يريده الآخر، وإذا أرضى هذا سخط الآخر فهو في قلقٍ منهم، هذا مثلٌ للمشرِك الذي يعبد عدةَ آلهة، ويتقرب إلى عدةِ آلهة، فإنه لا يمكن أن يُرضيهم وأن يُحقق رغباتهم، ﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ ﴾ هذا الموحد ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ [الروم: ٢٩].

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ ﴾ [الروم: ٢٨] لما كانوا يقولون في التلبية: «ليبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك، يقولون: هذه الأصنام وهذه الأوثان مملوكة لله وإنما اتخذناها لتقربنا إلى الله زلفى» وسائط، فالله جلّ وعلا يقول: أنتم هل يرضى أحدٌ منكم أن يكون عبدهُ شريكاً له في ماله، لا يرضى واحدٌ من الناس أن يكون عبدهُ شريكاً له في ماله، فكيف تجعلون لله شركاء من عبده. «هذا مثل ضربه الله يردُّ به على الذين يدعون مع الله آلهة أخرى».

ويقولون: إن هذه الآلهة عبيدٌ لله وملكٌ لله لكننا اتخذناها وسائط بيننا وبين الله، فإذا كانوا لا يرضون لأنفسهم أن يُشاركهم عبيدُهم ومماليكُهم فكيف ينسبون هذا لله سبحانه وتعالى.

والمصنف رحمه الله ذكر في أول إعلام الموقعين جملةً من هذه الأمثلة القرآنية وفسرها، وبعض الناس أفردوها من الكتاب وطبعها رسالة مستقلة.

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٢٤] «كلمة طيبة»: هذه كلمة التوحيد «لا إله إلا الله». كشجرة طيبة: وهي النخلة، أصلها ثابت وفرعها في السماء: يعني في العلو، ﴿ تُوَفِّي أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٥] هذا مثل كلمة التوحيد، شبهها الله بالنخلة.

ومثل كلمة خبيثة: هي كلمة الشرك كشجرة خبيثة اجثت من فوق الأرض ما لها من قرار؛ لأن الشرك ليس له أصل، وليس له دليل وليس له ثمرة إلا العذاب، مثل الحنظلة ليس لها ثمر إلا شيء مُرّ علقم.



فصل

حُكْمُ الْمَجْبَةِ ثَابِتُ الْأَرْكَانِ
 مَا لِلصَّدُودِ بفسخِ ذَاكَ يَدَانِ
 أَنِّي وَقَاضِي الْحُسْنِ نَقَّدَ حُكْمَهَا
 فَلِذَا أَقْرَبَ بِذَلِكَ الْخَصْمَانِ
 وَأَتَتْ شُهُودُ الْوَصْلِ تَشْهَدُ أَنَّهُ
 حَقٌّ جَرِيٌّ فِي مَجْلِسِ الْإِحْسَانِ
 فَتَأَكَّدُ الْحُكْمُ الْعَزِيزُ فَلَمْ يَجِدْ
 فسخَ الْوَشَاةِ إِلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
 وَلِأَجْلِ ذَا حُكْمِ الْعَدُولِ تَدَاعَتْ أَلْ
 أَرْكَانُ مِنْهُ فَخَرَّ لِلأَذْقَانِ
 وَأَتَى الْوَشَاةُ فَصَادَفُوا الْحُكْمَ الَّذِي
 حَكَمُوا بِهِ مُتَيَقَّنِينَ الْبَطْلَانَ
 مَا صَادَفَ الْحُكْمُ الْمَحَلَّ وَلَا هَوَاسَ
 تَوَفَّى الشَّرْوَطَ فَصَارَ ذَا بَطْلَانِ
 فَلِذَاكَ قَاضِي الْحُسْنِ أَثْبَتَ مُحَضَّرًا
 بفسادِ حُكْمِ الْهَجْرِ وَالسُّلْوَانِ

وحكى لك الحكم المحال ونقضه

فاسمع إذا يا من له أذنان

حكّم الوشاة بغير ما برهان

إنّ المحبة والصدود لئدان

والله ما هذا بحكمٍ مقسطٍ

أين الغرامُ وصدُّ ذي هجران

شأن بين الحالتين فإن تُرد

جمعاً فما الضدان يجتمعان

يا والهأ هانت عليه نفسه

إذ باعها غبناً بكل هوان

أتبيع من تهواه نفسك طائعاً

بالصدّ والتعذيب والهجران

أجهلت أوصاف المبيع وقدره

أم كنت ذا جهلٍ بذى الأثمان

واهأ لقلب لا يفارق طيره الـ

أغصان قائمة على الكُثبان

ويظلّ يسجّع فوقها ولغيره

منها الثمارُ وكلُّ قطفٍ ادان

ويبيتُ يبكي والمواصلُ ضاحكٌ

ويظل يشكو وهو ذو سُكران

هذا ولو أن الجمالَ مُعَلَّقٌ

بالنجم هَمَّ إليه بالطيران^(١)

لله زائرةٌ بليلى لم تَخَفْ

عَسَسَ الأميرَ ومَرَّصَدَ السجان^(٢)

(١) هذا استهلال من الناظم رحمه الله، يريد به الدخول إلى الموضوع الذي يريد بيانه في هذه القصيدة العظيمة التي تضمنت بيان العقيدة الصحيحة التي هي عقيدة أهل السنة والجماعة. وبيان ما يخالفها من عقائد أهل الضلال، مع الرد عليهم ونقض شبههم، وبيان فساد أصولهم التي بنوا عليها مقالاتهم. وقد صور عقيدة أهل الحق بفتاة حسناء جميلة تحبها القلوب، وتهواها الأنفس الطيبة - وأنها هي التي حكم القاضي العدل بحسنها وجمالها ومحبة الفطر السليمة والعقول المستقيمة لها، وهذا يسمونه: «الغزل البريء» الذي ليس فيه إثم وهو وصف المحبوبة، ووصف جمالها، وأنه حصل بينه وبينها شيء من الوعود باللقاء والوصول، كلُّ هذا تخيُّل وهو يريد بهذا الدخول إلى المقصود الذي هو مسألة «العقيدة السلفية واتباع الكتاب والسنة» هذا هو مقصوده لكنه قدّم له بهذه المقدمة، فالعقيدة الصحيحة صورها في صورة امرأة حسناء جميلة، ويرغب فيها العُشَّاق، ولكن هذه الحسناء الجميلة ليست سهلة المَنالِ، لا بد من تعب في تحصيلها والوصول إليها، لا بد من التعب في طلبها؛ لأن العقيدة لا بد من تعلمها، ولا بد من معرفة أدلتها ومعرفة أصولها، مثل العاشق الذي يريد الوصول إلى معشوقته فلا يصل إليها إلا بتعبٍ وجهدٍ، وربما يتعب ولا يصل إليها.

(٢) هذه في نظري هي العقيدة التي صورها بصورة امرأة حسناء أتت إلى مدينة الرسول ﷺ ومكة زائرة المكان الذي صدرت منه حينما علمها الرسول =

قَطَعَتْ بِلَادَ الشَّامِ ثُمَّ تَيَمَّمَتْ
 مِنْ أَرْضِ طَيْبَةَ مَطْلَعِ الْإِيمَانِ
 وَأَتَتْ عَلَى وَادِ الْعَقِيقِ فَجَاوَزَتْ
 مِيقَاتَهُ جِلًّا بِلَا نُكْرَانٍ (١)
 وَأَتَتْ عَلَى وَادِي الْأَرَاكِ وَلَمْ يَكُنْ
 قَصْدًا لَهَا فَأَلَّا بِأَنْ سَتْرَانِي (٢)
 وَأَتَتْ عَلَى عُرْفَاتٍ ثُمَّ مُحَسَّرٍ
 وَمِنْئِى فِكْمِ نَحْرَتِهِ مِنْ قُرْبَانٍ
 وَأَتَتْ عَلَى الْجَمْرَاتِ ثُمَّ تَيَمَّمَتْ
 ذَاتَ السُّتُورِ وَرَبَّةَ الْأَرْكَانِ
 هَذَا وَمَا طَافَتْ وَلَا اسْتَلَمَتْ وَلَا
 رَمَتْ الْجِمَارَ وَلَا سَعَتْ لِقْرَانٍ (٣)

-
- = ﷺ لأصحابه في مكة والمدينة بخلاف عقيدة أهل الضلال المبنية على قواعد المنطق وأفكار المتكلمين فإن مصدرها من اليونان وبلاد الكفرة.
- (١) وادي العقيق: المراد به ذو الحليفة، وهو ميقات أهل المدينة لأنها جاءت من الشام وميرت بالمدينة ثم راحت إلى مكة، هذه حبيته التي يتغزل بها وهي العقيدة الصحيحة لأن منشأها من مكة، من مبعث الرسول ﷺ ومن المدينة مهاجر الرسول ﷺ.
- (٢) وادي الأراك: «مكة» لأن الأراك من نبات الحجاز، والأراك: شجر يؤخذ منه السواك وهو ينبت بأرض الحجاز.
- (٣) لأنها ليست آدمية حتى تعمل هذه الأشياء. وإنما هي أمر معنوي.

وَرَقَّتْ إِلَى أَعْلَى الصِّفَا فْتِيَمَّتْ
 دَاراً هُنَالِكَ لِلْمَحَبِّ الْعَانِي
 أَتَرَى الدَّلِيلَ أَعَارَهَا أَثْوَابَهُ
 وَالرَّيْحَ أَعْطَتْهَا مِنَ الْخَفَقَانِ
 وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الدَّلِيلَ مَكَانَهَا
 مَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ فِي إِمْكَانِ
 هَذَا وَلَوْ سَارَتْ مَسِيرَ الرِّيحِ مَا
 وَصَلَتْ بِهِ لَيْلاً إِلَى نُعْمَانَ^(١)
 سَارَتْ وَكَانَ دَلِيلُهَا فِي سِيرِهَا
 سَعْدُ السَّعُودِ وَليْسَ بِالدَّبْرَانِ^(٢)
 وَرَدَّتْ جِفَارَ الدَّمْعِ وَهِيَ غَزِيرَةٌ
 فَلِذَلِكَ مَا احْتَاَجَتْ وُرُودَ الضَّانِ
 وَعَلَّتْ عَلَى مَيِّنِ الْهَوَى وَتَزَوَّدَتْ
 ذِكْرَ الْحَبِيبِ وَوَصَلَهُ الْمُتَدَانِي
 وَعَدَّتْ بِزُرُوتِهَا فَأَوْفَتْ بِالذِّي
 وَعَدَّتْ وَكَانَ بِمُلْتَقَى الْأَجْفَانِ

(١) نُعْمَانُ: جَبَلُ عَرَفَاتِ.

(٢) سَعْدُ السَّعُودِ وَالدَّبْرَانُ مِنْ مَنَازِلِ الْقَمَرِ، وَسَعْدُ السَّعُودِ: أَوَّلُ فِصْلِ الرَّبِيعِ. وَالدَّبْرَانُ النِّجْمُ الَّذِي خَلْفَ الثَّرِيَاءِ.

لَمْ يَفْجَأَ الْمُشْتَقَ وَهِيَ دَا

خِلَّةَ السُّتُورِ بغيرِ مَا اسْتِئْذَانَ

قَالَتْ وَقَدْ كَشَفَتْ نِقَابَ الْحُسْنِ مَا

بِالصَّبْرِ لِي عَنْ أَنْ أَرَكَ يَدَانِ

وَتَحَدَّثْتُ عِنْدِي حَدِيثاً خِلَّتُهُ

صِدْقاً وَقَدْ كَذَبْتَ بِهِ الْعَيْنَانِ

فَعَجِبْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ مِنْ فَرَحِي بِهِ

طَمَعاً وَلَكِنَّ الْمَنَامَ دَهَانِي

إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةَ الَّذِي حَدَّثْتَنِي

فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْكَاذِبِ الْفَتَّانِ^(١)

جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ وَشِيعَتُهُ الْأَوْلَى

جحدوا صفات الخالق الديان^(٢)

(١) الآن دخل في المقصود وبدأ بالخصوم.

(٢) جهم بن صفوان السمرقندي أخذ التعطيل من الجعد بن درهم، والجعد بن درهم أخذه عن اليهود. الجعد بن درهم رأس المذهب وقد قتله خالد بن عبد الله القسري أمير العراق من قبل بني أمية، أحضره يوم العيد في المصلّى، ثم خطب الناس خطبة العيد بعد الصلاة ثم قال: «أيها الناس ضحوا تقبل ضحاياكم فإنني مضعّ بالجعد بن درهم فإنه يزعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً ولم يتخذ إبراهيم خليلاً» ثم نزل فذبحه. والجهم بن صفوان أيضاً قتله سلم بن أحوز أمير خراسان بفتوى من العلماء لمذهبه الباطل، ثم سرت هذه المقالة للجهمية وامتدت إلى المعتزلة وإلى فرق كثيرة.

بل عَطَّلُوا مِنْهُ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى
 وَالْعَرْشَ أَخْلَوهُ مِنَ الرَّحْمَنِ^(١)
 وَنَفَوْا كَلَامَ الرَّبِّ جَلًّا جَلَّالُهُ
 وَقَضَوْا لَهُ بِالْخَلْقِ وَالْحِدْثَانِ^(٢)
 قَالُوا وَلَيْسَ لِرَبِّنَا سَمْعٌ وَلَا
 بَصَرٌ وَلَا وَجْهٌ فَكَيْفَ يَدَانِ^(٣)
 وَكَذَلِكَ لَيْسَ لِرَبِّنَا مِنْ قُدْرَةٍ
 وَإِرَادَةٍ أَوْ رَحْمَةٍ وَحَنَانِ
 كَلًّا وَلَا وَصْفٍ يَقُومُ بِهِ سِوَى
 ذَاتٍ مَجْرَدَةٍ بَغَيْرِ مَعَانٍ^(٤)

(١) لأنهم لما نفوا العلو فمعناه: أنهم عطَّلوا السماء من علو الرب جلَّ وعلا عليها.

(٢) قالوا: كلام الله مخلوق، والله لا يتكلَّم، فعطَّلوا هذه الصفة، ووصفوا الله بأنه لا يتكلَّم، وإنما هذا الكلام مخلوقٌ من مخلوقاته، خلقه في غيره ونُسب إليه، وأضيف إليه من إضافة المخلوق لخالقه، هكذا يقولون.

(٣) نفوا الصفات الذاتية، السمع والبصر والوجه واليدين، نفوا ذلك عن الله عزَّ وجلَّ ومعنى ذلك: أنه ليس هناك ربٌّ، لأن الذي ليس له صفات ليس بموجود، لأن كل موجود لا بُدَّ له من صفات، وإنما الذي ليس له صفات هو المعدوم.

(٤) يقولون: إنَّ الله ذات مجردة ليست لها صفات، وهذا مستحيل، ليس هناك ذات في الوجود ليس لها صفات، أبداً.

وَحَيَاتُهُ هِيَ نَفْسُهُ وَكَلَامُهُ
هُوَ غَيْرُهُ فَاعْجَبْ لَذَا الْبُهْتَانِ
وَكَذَاكَ قَالُوا مَا لَهُ مِنْ خَلْقِهِ
أَحَدٌ يَكُونُ خَلِيلَهُ النَّفْسَانِ^(١)
وَخَلِيلَهُ الْمُحْتَاجُ عِنْدَهُمْ وَفِي
ذَا الْوَصْفِ يَدْخُلُ عَابِدُ الْأَوْثَانِ
فَالْكُلُّ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ لِدَاتِهِ
فِي أَسْرِ قَبْضَتِهِ ذَلِيلٌ عَانِ
وَلَأَجَلَ ذَا ضَحَىٰ بِجَعْدِ خَالِدُ الْ
قَسْرِيِّ يَوْمَ ذَبَائِحِ الْقَرَبَانِ^(٢)

(١) لأنهم جحدوا إثبات المحبة لله عز وجل، ويقولون: إن الله لا يحب أحداً من خلقه لا محبة خلّة، ولا دون ذلك، والخلّة: هي أعلى درجات المحبة ولم ينلها من الخلق إلا اثنان، محمد ﷺ وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، هم نفوا هذا وقالوا: إن الله لا يحب، ومن باب أولى نفوا الخلّة وهي أعلى درجات المحبة، وأولوا قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] بأن إبراهيم محتاج إلى الله من الخلّة وهي الحاجة، وهل هذا خاصٌّ بإبراهيم؟ كلّ الخلق بحاجة إلى الله.

﴿يَتَأَيَّمُوا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]

فعلى هذا يكون كل الخلق أخلاء لله عز وجل، والله لم يثبت الخلّة إلا لإبراهيم في القرآن، وفي السنة لنبينا محمد ﷺ.

(٢) يعني لأجل نفيه أن الله اتّخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، ويوم ذبائح القربان: يوم عيد الأضحى.

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ خَلِيلَهُ
كَأَلَّا وَلَا مُوسَى الْكَلِيمَ الدَّانِ
شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلُّ صَاحِبِ سُنَّةٍ
لِلَّهِ دَرُكٌ مِّنْ أَحِي قُرْبَانِ

* * *

وهذا مدح لخالد القسري لأنه انتصر للحق ودحض الباطل فقتله
للجعد كان بفتوى من أهل العلم.

فصل

والعبدُ عندهم فليس بفاعلٍ

بل فعلُهُ كتحركِ الرَّجْفَانِ (١)

وَهُبُوبُ رِيحٍ أَوْ تَحَرُّكُ نَائِمٍ

وَتَحَرُّكُ الْأَشْجَارِ لِلْمَيْلَانِ

والله يُصليهِ على ما ليس مِنْ

أفعاله حَرَّ الْحَمِيمِ الْآنِي (٢)

(١) هذا مذهب الجبر، يقولون: إن العبد مجبور على أفعاله ليس له فيها اختيار، وإنما هو كتتحرك المرتعش، وتحرك الريشة في الهواء، أو الشجر يُحركها الهواء، فالإنسان يتحرك لا باختياره بل هو مجبور، يصلي ويحج ويعتمر ليس باختياره وإنما هو يُحرِّك، هذا قول الجبرية الذين يغفلون في إثبات القدر حتى سلبوا فعل العبد، وجعلوا الفعل كله لله عز وجل وليس للعباد فعل، ولا اختيار تعالى الله عما يقولون. وهو من أقوال الجهمية، فالجهمية جمعوا بين الجبر والإرجاء والتجهم وهو نفي الأسماء والصفات.

(٢) يكون الله جلَّ وعلا على هذا القول ظالماً له؛ كيف يُعذِّبه على شيء ليس له فيه اختيار، إذا كفر بالله وإذا زنى وإذا سرق ليس هذا فعله عندهم بل هو مجبرٌ عليه، فكيف يُعذِّبه الله عليه، هذا ظلم، تعالى الله عن ذلك، فيكون الله ظالماً له؛ لأنه عذِّبه على شيء ليس له فيه اختيار ولا مشيئة.

لكن يُعاقبه على أفعاله

فيه تعالى اللهُ ذو الإحسان^(١)

والظُّلمُ عندهمُ المُحالُ لِذاتِهِ

أَنِّي يُنَزَّهُ عَنْهُ ذُو السُّلْطَانِ

وَيَكُونُ مَدْحاً ذَلِكَ التَّنْزِيهِ مَا

هَذَا بِمَعْقُولٍ لِيذِي الْأَذْهَانِ

* * *

(١) لكن الله يُعاقب هذا الإنسان على أفعال الله فيه، لا على أفعال العبد، تعالى اللهُ عن ذلك.

فصل

وكذلك قالوا ماله من حكمة

هي غاية للأمر والإتقان^(١)

ما ثمَّ غيرُ مشيئةٍ قد رجَّحتُ

مثلاً على مثلٍ بلا رجحانٍ^(٢)

هذا وما تلك المشيئةُ وصفهُ

بل ذاته أو فعله قولانٍ^(٣)

(١) نفوا عن الله أنه خلق الخلق لحكمة؛ لأنهم يقولون: إذا كان الله خلق الخلق لحكمة فتكون الحكمة مؤثرة في الله عزَّ وجل، هي التي أثرت فيه حتى خلق الخلق، تعالى الله عما يقولون، وهذا باطل؛ لأن الله جلَّ وعلا لو لم يخلق الخلق لحكمة لكان ذلك عبثاً والله منزَّه عن العبث، فلو لم يكن له حكمة في خلقه لكان فعله سبحانه وتعالى عبثاً، والله منزَّه عن العبث، والله وصف نفسه بالحكمة في آيات كثيرة.

(٢) يقولون: خَلَقَهُ للأشياء ليس من أجل الحكمة، وإنما هو من أجل المشيئة المجردة فقط، والإرادة المجردة فقط، يخلق ويفعل ما يشاء لمجرد المشيئة والإرادة لا لحكمة تعالى الله عن ذلك، ونحن نقول: نعم هو خلق الأشياء بالإرادة والمشيئة والحكمة لكل هذه الأشياء.

(٣) أي: وينفون عنه المشيئة والإرادة، وإنما يُفسرون المشيئة بذات الرب تعالى فمعنى خلقه بمشيئته يعني: بذاته؛ لأنهم لا يثبتون لله صفة، لا مشيئة ولا إرادة، لا يثبتون لله اسماً ولا صفة، بل يقولون: الله ذاتٌ مجردة ليس لها أسماء ولا صفات.

وكلامه مُذْكَانٌ غيراً كان مَخُ
لوقاً له من جملة الأكوانِ
قالوا وإقرارُ العبادِ بأنَّه
خَلَّاقُهُمْ هو منتهى الإيمانِ^(١)
والناسُ في الإيمانِ شيءٌ واحدٌ
كالمشط عند تماثلِ الأسنانِ^(٢)

(١) يعني من أقرَّ واعترف عندهم بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت فهو الموحَّد، ولو لم يعبده، ولو أشرك ولو فعل ما فعل، ما دام أنه يُقرَّ بأن الله هو الخالق الرازق، فهذا هو التوحيد عندهم، فليس عندهم توحيد ألوهية، ولا توحيد أسماء وصفات، فيجحدون هذين النوعين ولا يُقرون إلا بتوحيد الربوبية.

ولذلك فإن بعض العناصر من الجهمية الموجودين الآن يُحيون هذا المذهب ويقولون: تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام تقسيمٌ باطل؛ لأن توحيد الربوبية هو التوحيد الكافي، فأبولهب وأبو جهل على هذا يدخلون الجنة؛ لأنهم مقرون بتوحيد الربوبية؛ بل إن إبليس يقر بالربوبية: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ [الحجر: ٣٩] أقر الله بالربوبية وبأنه أغواه سبحانه وتعالى.

(٢) من مقالات الجهمية الشنيعة قولهم في حقيقة الإيمان: إنه مجرد المعرفة في القلب بالله عز وجل، وهو أن يعرف أن الله ربّه وخالقه، فهذا هو الإيمان عندهم ولو لم يعتقد بالقلب، ولو لم ينطق بلسانه، ولو لم يعمل بجوارحه، هذا قول الجهمية في الإيمان، وهو أقبح أقوال المرجئة، =

فاسأل أبا جهلٍ وشيعته ومن

والأهم من عابدي الأوثان^(١)

وسلّ اليهود وكلّ أqlفٍ مشركٍ

عبد المسيح مُقبّل الصلبان^(٢)

واسأل ثمودَ وعادَ بلّ سلّ قبلهم

أعداء نوح أمّة الطوفان

= لأنّ الجهمية هم أشدّ فرق المرجئة ضلالاً. والإرجاء معناه: تأخير

الأعمال عن حقيقة الإيمان، وأقبح الإرجاء هو إرجاء الجهمية.

الثاني: والأشاعرة تليهم؛ لأنهم قالوا: الإيمان هو التصديق بالقلب

ومجرد المعرفة لا يكفي، لا بد من الاعتقاد والتصديق بالقلب. هذا قول

الأشاعرة، وهو نوع من الإرجاء القبيح يأتي بعد قول الجهمية.

الثالث: قول الكرامية: أن الإيمان هو النطق باللسان، ولو لم يعتقد

بالقلب، وإن كان لا يُنجي من العذاب، لكن إذا شهد أن لا إله إلا الله

وأنّ محمداً رسول الله صار مؤمناً، وهذا أيضاً قولٌ قبيح.

النوع الرابع من الإرجاء: إرجاء الفقهاء «الحنفية» يقولون: إن

الإيمان قولٌ باللسان واعتقادٌ بالقلب أمّا العمل فلا يدخل عندهم في

حقيقة الإيمان، وهذا أخف أنواع الإرجاء لكنه قول غير صحيح.

(١) هذا ردّ عليهم.

(٢) وقوله: «وكلّ أqlفٍ»: يعني النصراني، سمّاه أqlفٍ؛ لأنهم لا يختنون

يقول: اسألهم هل ينكرون الرب.

واسألُ أبا الجنِّ اللعينِ أتعرف الـ

خَلَّاقَ أمْ أَصْبَحْتَ ذَا نُكْرَانٍ^(١)

واسألُ شرارَ الخلقِ أغلى أمةٍ

لوطيةٍ هم ناكِحوا الذُّكرانِ^(٢)

واسألُ كذاك إمامَ كلِّ مُعْطَلٍ

فرعونَ مع قارونَ مع هامانِ^(٣)

هل كان فيهمُ منكرٌ للخالقِ الرُّ

رَبِّ العَظِيمِ مُكُونِ الأَكْوَانِ

فليُشِرُوا ما فيهِمُ من كافرٍ

همْ عندَ جهنمِ كَامِلِو الإِيمَانِ^(٤)

(١) يعني: اسأل إبليس هل كان يُنكر الرب في قلبه أم كان يعرفه، وعلى هذا يلزم أن هؤلاء مؤمنون عند الجهنم بن صفوان وشيعته.

(٢) قوم لوط يعني: أقبح الخلق جريمة، وهي إتيان الذكران من العالمين، لا ينكرون الرب في قلوبهم بل يعرفونه، فعلى هذا لا يكفر أحد من الناس عند الجهمية.

(٣) قال فرعون: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨]، وقال: ﴿ فَاطَّلِعْ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كُذِبًا ﴾ [غافر: ٣٧] نفى وجود الرب سبحانه وتعالى في الظاهر وإلا في الباطن فهو يعرف: أن الله هو الرب، ولهذا قال له موسى عليه السلام: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الإسراء: ١٠٢] علمت: يعني في قلبك.

(٤) كفى بهذا بطلاناً لهذا المذهب الخبيث مذهب الجهمية ومن قال بقولهم من المرجئة.

فصل

وقضى بأن الله كان مُعطلاً

والفعل ممتنعٌ بلا إمكان^(١)

(١) وهذا أيضاً من أقوال الجهم الباطلة وهو: «أن أفعال الله سبحانه وتعالى لها بداية محدودة كان قبل ذلك معطلاً عن الفعل، ثم صار يفعل ويخلق، وقصدتهم من ذلك أن يقولوا: إنَّ أفعال الله ليست قديمة، وإنما هي حادثة لمنع التسلسل في الماضي، تنزيهاً لله بزعمهم من تسلسل الحوادث في الماضي، لئلا تكون شريكةً له في القدم وهذا ما يُعبر عنه: «بمنع تسلسل الحوادث في الماضي».

فهو عطَّل الله في وقت من الأوقات بزعمه عن الفعل، وزعم أن أفعاله لها بداية، والحقُّ: أن أفعال الله لا بداية لها، كما أن الله لا بداية له سبحانه وتعالى، فهو لم يزل يخلق ويفعل ما يشاء بدون تحديد لوقت، فلا يُقال: إنَّه مضى عليه وقت لا يفعل ثم صار يفعل.

وهذا يلزم منه تعطيل كمال الله في وقتٍ من الأوقات، ثم أيضاً إذا كان ممتنعاً عليه أن يفعل في ذلك الوقت الذي زعمه، فما الذي جعله يفعل بعد ذلك؟ ما الذي أزال هذا الامتناع؟ فهذا من أبطل الباطل، وأفعال الله من ناحية جنسها قديمةٌ بقدمه، وأما من ناحية نوعها وأعيانها فهي مُحدثة، فهي حادثة الأحاد قديمة النوع، لا يزال الخلق يوجد شيئاً فشيئاً من ناحية الأحاد، وأما من ناحية النوع فالمشيئة وسائر صفات الله قديمة بقدمه سبحانه وتعالى لا حدَّ لها، فهو بعد صفاته قديم أزلي.

ثُمَّ اسْتَحَالَ وَصَارَ مَقْدُورًا لَهُ
 مِنْ غَيْرِ أَمْرٍ قَامَ بِالذَّيَّانِ^(١)
 بَلْ حَالُهُ سَبْحَانَهُ فِي ذَاتِهِ
 قَبْلَ الْحُدُوثِ وَبَعْدَهَا سَيَانِ^(٢)
 وَقَضَىٰ بِأَنَّ النَّارَ لَمْ تُخْلَقْ وَلَا
 جَنَاتُ عَدْنٍ بَلْ هُمَا عَدَمَانِ^(٣)
 فَإِذَا هُمَا خُلِقَا لِيَوْمٍ مَعَادِنَا
 فَهَمَا عَلَيِ الْأَوْقَاتِ فَايْتَانِ^(٤)

(١) إذا كان ممتنعاً عليه فكيف صار ممكناً، فيلزم عليه أن يستمر الامتناع.

(٢) إذا كان ممتنعاً عليه في الماضي فإنه يمتنع عليه في المستقبل أيضاً، ما الذي يجعله ممكناً بعد أن كان ممتنعاً؟

(٣) هذا من مقالات الجهم الباطلة، يقول: إن النار والجنة غير موجودتين الآن، وإنما توجدان فيما بعد، وهذا قولٌ باطل، فالجنة موجودة، والنار موجودة، وفيهما ما خلق الله من النعيم والعذاب، والله تعالى يقول في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، ويقول في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ومعنى: «أُعِدَّتْ» أنها موجودة؛ لأن «أُعِدَّتْ» عبارة عن فعلٍ ماضٍ، والأدلة على وجود النار والجنة وأنها مخلوقتان الآن أدلة كثيرة من الكتاب والسنة.

(٤) كذلك يقول: إنَّ الجنة والنار تفنيان في المستقبل، وهذا عنده منعٌ للتسلسل في المستقبل فهما ممنوعتا الوجود في الماضي ولا يستمر وجودهما في المستقبل، بل تفنيان، وهذا قولٌ باطلٌ، فالجنة والنار موجودتان، ولا تفنيان ولا تبيدان، أبد الآباد.

وتلطف العلاف من أتباعه

فأتى بضحكة جاهلٍ مجاني^(١)

قال الفناء يكون في الحركات لا

في الذات واعجباً لذا الهذيان^(٢)

أيصيرُ أهلُ الخلدِ في جنّاتهم

وجحيمهم كحجارة البنيان

ما حال من قد كان يغشى أهله

عند انقضاء تحرك الحيوان^(٣)

(١) أبو الهذيل العلاف من قادة المعتزلة، فالمعتزلة أخذوا مذهب الجهمية عن طريق شيخهم «عمرو بن عبيد» المعتزلي، وهو أخذ عن الجهمية هذه الأباطيل، وأبو الهذيل تطف في هذه المسألة وهي فناء الجنة والنار قال: لا تفنيان حقيقتهما وإنما تفنيان حركات أهل الجنة وأهل النار يصيرون جماداً، وكلا القولين باطل، قول الجهم وقول تلميذه ومقلده أبي الهذيل العلاف.

فالجنة والنار باقيتان وأهلها باقون فيهما، أهل النار يُعذبون فيها أبد الآباد، وأهل الجنة يُنعمون فيها أبد الآباد.

(٢) يعني تنقطع حركات سكان الجنة وسكان النار يصيرون جماداً لا يتحركون.

(٣) يقول الشيخ رداً عليهم: فإذا فرضنا أنه جاء انقطاع الحركة وهم على شغلهم مثلاً أهل الجنة، منهم الذي يجمع أهله والذي يأكل ويشرب والذي يتناول شيئاً هل يبقى على هذا الفعل لا يتغير عنه لأنه تنقطع حركته عندهم.

وكذاك ما حال الذي رَفَعَتْ يدا

هُ أَكَلَةً مِنْ صَحْفَةٍ وَخِوَانٍ^(١)

فتناهت الحركات قبل وصولها

للفمِّ عندَ تَفْتُوحِ الأَسنانِ^(٢)

وكذاك ما حَالُ الذي امْتَدَّتْ يَدٌ

مِنْهُ إِلَى قِنُوبٍ مِنَ القِنُوانِ

فَتَنَاهَتِ الحَرَكَاتُ قَبْلَ الأَخْذِ هَلْ

يَبْقَى كَذَلِكَ سَائِرَ الأزْمَانِ

تَباً لَهَا تيك العُقُولِ فَإِنِهَا

وَاللهُ قَدْ مُسَخَتْ عَلَى الأَبْدَانِ^(٣)

تَباً لِمَنْ أَضْحَى يُقَدِّمُهَا عَلَى الـ

أَثَارِ والأَخْبَارِ والقِرْآنِ^(٤)

(١) الصفحة: هي إناء الأكل، والخوان: هو الذي يمد وتوضع عليه أواني الطعام.

(٢) يعني هل يبقى على هذا الشكل «رافعاً يده» واللقمة بيده مفتوح الفم، لأنها قد انقطعت الحركة وهو على هذه الحالة.

(٣) هذه نتيجة القول على الله بغير علم، إنه التخرص والتخبط، وترك الاستدلال بالكتاب والسنة، يؤدّي إلى هذه المضحكات من الأقوال.

(٤) هذه نتيجة تركهم للأثار والقرآن والسنة، واعتمادهم على آرائهم وعقولهم ومقالات أشياخهم، حيث أدت بهم إلى هذا الهديان.

فصل

وقضى بأن الله يجعل خلقه

عَدَمًا وَيَقْلِبُهُ وَجُودًا ثَانٍ (١)

(١) وهذه مقالة الجهم في البعث، يقول: إِنَّ اللَّهَ يُفْنِي هَذَا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُ خَلْقَهُ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى شَكْلِهِ وَصُورَتِهِ الْأُولَى لَكِنْ مِنْ عَدَمٍ لَا أَنَّهُ يَعِيدُ نَفْسَ الْخَلْقِ، بَلْ يُفْنِيهِ ثُمَّ يُوجِدُهُ مِنْ عَدَمٍ كَمَا كَانَ فِي الْوُجُودِ الْأَوَّلِ، وَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ فَإِنَّ هَذَا الْخَلْقَ لَا يُفْنَى نَهَائِيًّا، لَكِنْ تَتَّغِيرُ أَوْضَاعُهُ وَأَوْصَافُهُ وَيَتَحَلَّلُ وَتَتَفَرَّقُ أَجْزَاؤُهُ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ هَذِهِ الْأَجْزَاءَ وَهَذِهِ الذَّرَاتِ وَهَذِهِ الْمُتَفَرِّقَاتِ، يَجْمَعُهَا مِنْ أَمَاكِنِهَا وَيُعِيدُهَا خَلْقًا جَدِيدًا، فَالَّذِي يَتَّغِيرُ هُوَ الصِّفَةُ فَقَطْ، لَيْسَ الَّذِي يُفْنَى هُوَ الْحَقِيقَةُ، وَإِنَّمَا هِيَ صِفَةٌ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، السَّمَوَاتِ أَيْضًا تَتَّغِيرُ وَلَيْسَ مَعْنَاهُ: أَنَّهَا تُعْدَمُ، وَالْأَرْضُ تَتَّغِيرُ لَكِنْ لَيْسَ مَعْنَاهُ: أَنَّهَا تُعْدَمُ بَلْ تَتَّغِيرُ أَوْضَاعُهَا وَصِفَتُهَا، هَذِهِ هِيَ الْإِعَادَةُ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَمَّا أَنْ يَعِيدَهَا مِنْ عَدَمٍ فَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ، وَأَيْضًا: يَلْزَمُ عَلَى هَذَا أَنَّهُ إِذَا فَنَى الْكُفَّارَ وَفَنَى الْعَصَاةَ وَأَعِيدُوا إِعَادَةً جَدِيدَةً، أَنْ اللَّهَ يُعَذِّبُ عَالَمًا لَمْ يَحْصُلْ مِنْهُمْ كُفْرٌ وَلَا مَعَاصٍ، مَا دَامَ أَنَّهُمْ فَنُوا وَاضْمَحَلُّوا وَذَهَبُوا ثُمَّ أُعِيدُوا مِنْ عَدَمٍ كَمَا يَقُولُ، فَإِنَّهُ يُعَذِّبُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُعِيدُوا عَلَى غَيْرِ ذُنُوبٍ حَصَلَتْ مِنْهُمْ، لِأَنَّ الَّذِينَ حَصَلَتْ مِنْهُمْ الذُّنُوبُ فَنُوا وَذَهَبُوا وَانْقَطَعُوا، يَلْزَمُ عَلَى مَذْهَبِ الْبَاطِلِ هَذَا الْحَكْمَ الْجَائِرَ فِي حَقِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لَا يُفْنَى هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ إِفْنَاءَ عَدَمٍ وَاضْمَحَلَالٍ، وَإِنَّمَا يُفْنِيهَا إِفْنَاءَ تَفَرُّقٍ وَتَفْتَتٍ وَتَمَرُّقٍ، حَتَّى إِنَّهَا تَكُونُ =

العَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ وَالْأَزْوَاحُ وَالْأَمْلاكُ وَالْقَمَرَانِ
 وَالْأَرْضُ وَالْبَحْرُ الْمُحِيطُ وَسَائِرُ الْأَكْوَانِ مِنْ عَرْضٍ وَمِنْ جُمْهُانٍ
 كُلُّ سَيْفِينِهِ الْفَنَاءَ الْمَحْضُ لَا
 يَبْقَى لَهُ أَثَرٌ كَظِلٍّ فَإِنْ
 وَيُعِيدُ ذَا الْمَعْدُومِ أَيْضاً ثَانِياً
 مَحْضُ الْوُجُودِ إِعَادَةً بِزَمَانٍ (١)
 هَذَا الْمَعَادُ وَذَلِكَ الْمَبْدَأُ لَدَى
 جَهَنَّمَ وَقَدْ نَسَبُوهُ لِلْقُرْآنِ (٢)

= أشياء صغيرة متفرقة، ثم يُعيدها الله جلَّ وعلا وهو يعلم أماكنها ﴿ قَدَعَلِمْنَا مَا نَنْقُصُ الْأَرْضَ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ [ق: ٤] وكل شيء من بني آدم يفنى إلا عَجَبَ الذنْبِ، وهو حبة صغيرة في العصعص يُركب منها الخلق يوم القيامة، كذلك ورد أنَّ الْجَنَّةَ لَا تَفْنَى، وورد أن الحور العين لا تفنى، وأن الملائكة لا تفنى.

(١) يقول الجهم: حتى الزمان يُعاد مرة ثانية، وهذا قولٌ باطل، لأن الزمان إذا مضى لا يعود، إذا فني زمان وذهب يعوض عنه بزمانٍ جديد، أمّا أنه يعود أمس أو العام الماضي أو عهد نوح، يعود مرةً ثانيةً هذا ليس بصحيح، فالزمان لا يعود.

(٢) لو أنهم نسبوا هذا لأنفسهم وقالوا: هذا رأينا، هان الأمر، لكن يقولون: هذا هو المعاد المذكور في القرآن، وهذا هو البعث المذكور في القرآن، لقد كذبوا، لا يوجد هذا في القرآن.

هذا الذي قاد ابن سينا والأولي

قالوا مقاتله إلى الكفران^(١)

لم تقبل الأذهانُ ذا وتوهموا

أن الرسولَ عناه بالإيمان^(٢)

هذا كتابُ الله أني قال ذا

أو عبده المبعوثُ بالبرهان^(٣)

(١) ابن سينا هو الفيلسوف الباطني، من القرامطة، وأبوه يهودي، يدين بالإسلام

على مذهب الباطنية، فهو باطني حمله قول جهم على هذا أنه كفر بالبعث.

(٢) لم تقبل عقولهم قول الجهم هذا فحملهم هذا على إنكار البعث، وظنوا

أن هذا قول الرسول ﷺ، وأن هذا هو الذي دلَّ عليه القرآن فأنكروه لأنه

محال.

(٣) أين ما يدل على قول الجهم في القرآن: إنَّ الله يُفني هذه الأشياء إفاءً

عاماً لا يُبقي منها شيئاً، ثم يُعيدها من عدم كما يقول، ليس في القرآن

شيءٌ من هذا، بل يدل القرآن على أن هذه الأشياء لا تفتنى وإنما تبقى

جزئياتها وتبقى عناصرها، وتبقى موادها، وهناك أشياء تبقى مثل ما صحَّ

في الحديث: «كلُّ ابنِ آدمٍ يفنى إلاَّ عَجَبُ الذنْبِ»^(*). إنه يستحيل إلى

تراب ثم يُعاد التراب كما كان، المادة موجودة وإن استحالت إلى تراب

فهي موجودة، بل هناك أجسام لا تفتنى، وهي أجسام الأنبياء والشهداء

تبقى طرية وتُعاد يوم القيامة.

ما قال هذا أحدٌ من أهل الإسلام أبداً، ولا يوجد هذا في الكتاب

ولا في السنة ولا في أقوال أهل الإسلام قاطبة، لم يقل أحدٌ هذا.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٨ / ١٤ (٨٢٨٣)، ومسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة.

أَوْ صَحْبُهُ مِنْ بَعْدِهِ أَوْ تَابِعٌ
 لَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ
 بَلْ صَرَّحَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِأَنَّهُ
 حَقًّا مُغَيَّرُ هَذِهِ الْأَكْوَانِ^(١)
 فَيَبْدُلُ اللَّهُ السَّمَوَاتِ الْعُلَى
 وَالْأَرْضُ أَيْضاً ذَاتَ تَبْدِيلَانِ^(٢)
 وَهُمَا كَتَبْدِيلِ الْجُلُودِ لِسَاكِنِي النَّارِ
 نِيرَانٍ عِنْدَ النَّضِجِ مِنْ نِيرَانِ^(٣)
 وَكَذَلِكَ يَقْبِضُ أَرْضَهُ وَسَمَاءَهُ
 بِيَدَيْهِ مَا الْعَدْمَانِ مَقْبُوضَانِ^(٤)

(١) أَي يُغَيِّرُهَا تَغْيِيرًا وَلَيْسَ يُفْنِيهَا إِفْنَاءً .

(٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَبْدِلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾
 [إبراهيم: ٤٨] معناه: أَنَّهُ تَبَدَّلَ صَوْرَتُهَا، أَمَّا إِنَّهَا تُعَدُّ نَهَائِيًّا ثُمَّ تُعَادُ مِنْ
 عَدَمٍ فَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ، لَكِنْ تُغَيَّرُ صَوْرَتُهَا وَحَالَتُهَا بِأَنَّ تَبْدِيلَ الْأَرْضِ وَتَزْوِيلَ
 الْجِبَالِ وَتَصْيِيرَ كَالْعَهْنِ، لَكِنْ الْمَادَّةُ مَوْجُودَةٌ .

(٣) وَلَيْسَ مَعْنَاهُ: أَنَّ الْجُلُودَ تَفْنَى وَلَكِنْ تَبَدَّلُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ
 جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] .

(٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ
 بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] لَوْ كَانَتْ السَّمَوَاتُ مَعْدُومَةً وَالْأَرْضُ مَعْدُومَةً، مَا
 الَّذِي يَقْبِضُ وَمَا الَّذِي يُطْوِي؟ دَلَّ عَلَى أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ وَلَكِنْ تَغْيِيرُ صَوْرَتِهَا،
 فَكَوْنُهُ يَقْبِضُهَا دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ فَنَائِهَا وَلَوْ كَانَا يُعْدَمَانِ مَا بَقِيَ شَيْءٌ يَقْبِضُ .

وَتُحَدِّثُ الْأَرْضُ الَّتِي كُنَّا بِهَا

أَخْبَارَهَا فِي الْحَشْرِ لِلرَّحْمَنِ^(١)

وَتَظَلُّ تَشْهَدُ وَهِيَ عَدْلٌ بِالذِّي

مِنْ فَوْقِهَا قَدْ أَحْدَثَ الثَّقَلَانِ^(٢)

أَفِي شْهَدُ الْعَدْمِ الَّذِي هُوَ كَأْسِمِهِ

لَا شَيْءَ هَذَا لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ^(٣)

لَكِنْ تُسَوِّئُ ثُمَّ تُبْسِطُ ثُمَّ تُشُدُّ

هَهُدُ ثُمَّ تُبَدِّلُ وَهِيَ ذَاتُ كَيْانٍ^(٤)

وَتُمَدُّ أَيْضاً مِثْلَ مَدِّ أَدِيمِنَا

مِنْ غَيْرِ أَوْدِيَةٍ وَلَا كُتْبَانِ

وَتَقِيءُ يَوْمَ الْعَرْضِ مِنْ أَكْبَادِهَا

كَالْأَسْطُوانِ نَفَائِسَ الْأَثْمَانِ^(٥)

(١) قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] فلو كانت الأرض تُعَدَمُ

فما الذي يُحَدِّثُ بِالْأَخْبَارِ؟ دل على أنها تبقى لكن تتغير هيئتها وصورتها، لكن أصلها ومادتها موجودة لا تفتنى.

(٢) لو كانت تُعَدَمُ ما بقي شيء يشهد.

(٣) لو كانت الأرض تُعَدَمُ كما يقولون ما شهدت فإن المعدوم لا يشهد.

(٤) هذا هو الذي يحصل للأرض، تقبض، ثم تُسَوِّئُ ثُمَّ تُبْسِطُ ثُمَّ تُمَدُّ وأصلها موجود.

(٥) قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْفَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢] تُخْرِجُ مَا فِي بطنها من كنوز ومن أموات، كل ما كان في داخل بطنها.

كُلُّ يَرَاهُ بَعِينَهُ وَعِيَانَهُ

مَا لِأَمْرِيءٍ بِالْأَخْذِ مِنْهُ يَدَانِ^(١)

وَكَذَا الْجِبَالُ تَفَّتْ فَتًّا مُحْكَمًا

فَتَعُودُ مِثْلَ الرَّمْلِ ذِي الْكُثْبَانِ^(٢)

وَتَكُونُ كَالْعَهْنِ الَّذِي أَلْوَانُهُ

وَصِبَاغُهُ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ^(٣)

وَتُبْسُّ بَسًّا مِثْلَ ذَلِكَ فَتَنْشِي

مِثْلَ الْهَبَاءِ لِنَاطِرِ الْإِنْسَانِ^(٤)

وَكَذَا الْبَحَارُ فَإِنَّهَا مَسْجُورَةٌ

قَدْ فُجِّرَتْ تَفْجِيرَ ذِي سُلْطَانِ^(٥)

(١) لأنهم مشغولون عن هذه الأشياء التي تقذفها الأرض، المعادن النفيسة والذهب والفضة، مشغولون بالهول فلا أحد تمتد يده لأخذ شيء منه.

(٢) قال تعالى: ﴿وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤].

(٣) العهن: هو الصوف المنفوش.

(٤) تصير هباء يعني دخاناً، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ [الواقعة: ٦] وهذا تغيير في الخلق وليس هو إعداماً وإفناء، إنما هو تغيير من حالة إلى حالة.

(٥) قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] أي: أوقدت ناراً. وقال

تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣] أي: زال ما بينها من الحواجز،

واختلط بعضها ببعض.

وكذلك القمران يأذن ربنا

لهما فيجتمعان يلتقيان^(١)

هذي مكورة وهذا خاسف

وكلاهما في النار مطروحان^(٢)

وكواكب الأفلاك تُنثر كلها

كلاليء نُثرت على ميدان^(٣)

وكذا السماء تُشق شقاً ظاهراً

وتمور أيضاً أيما مسوران^(٤)

وتصير بعد الانشقاق كمثل هـ

ذا المهل أو تك وردة كدهان^(٥)

(١) القمران: الشمس والقمر سُميا بالقمرين، من باب التغليب، هما لا يجتمعان في حال الدنيا ولا يلتقيان، وإنما كلُّ منهما يسير في فلكه، لكن في يوم القيامة يجتمعان ويلتقيان لأنه انتهى عملهما في الدنيا.

(٢) تكور الشمس: يُلف بعضها إلى بعض، والقمر أيضاً يذهب نوره ﴿وَإِذَا بَرِقَ الْبَصُرُ﴾ ^(٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ ^(٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿ [القيامة: ٧-٩] ثم يُجمعان مع من عبدهما في نار جهنم.

(٣) قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢].

(٤) وهذا تغيير في الخلق من حالة إلى حالة، ليس معناه الإعدام.

(٥) المهل: هو الفضة المُذابة، وتحمر حتى تصير كالوردة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا انشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] يعني مُحَمَّرَةً.

والعرشُ والكرسيُّ لا يُفنيهما
 أيضاً وإنهما لمخلوقان^(١)
 والحوورُ لا تفنى كذلك جنةُ الـ
 مأوى وما فيها من الولدان^(٢)
 ولأجلِ هذا قالَ جهنمُ إنها
 عَدَمٌ وَلَمْ تُخْلَقْ إِلَى ذَا الْآنِ
 والأنبياءُ فإنهم تحت الثرى
 أجسامُهُم حُفِظَتْ مِنَ الْيَدَانِ
 مَا لِلْبَلَى بِلِحُومِهِمْ وَجَسُومِهِمْ
 أبداً وهم تحت الترابِ يدان^(٣)
 وكذلك عَجَبُ الظَّهِيرِ لَا يَبْلَى بَلَى
 منه تُرَكِّبُ خِلْقَةَ الْإِنْسَانِ^(٤)
 وكذلك الأرواحُ لا تبلى كما
 تَبْلَى الْجُسُومُ وَلَا بَلَى اللَّحْمَانِ^(٥)

(١) العرش والكرسي، لا يفنيان.

(٢) كلُّ هذا ردُّ على الجهم الذي يقول: إن هذه المخلوقات تُعدم.

(٣) ما يقدر البلى والفناء على أجسام الأنبياء.

(٤) كل هذه أشياء باقية لا تفنى، لا كما يقول الجهم: إن الخلق يوم القيامة يُعاد من عدم.

(٥) الأرواح إذا خرجت من أجسادها بالوفاة تبقى، وتُعذب أو تُنعم مع الأجساد، فالأجساد ينالها العذاب ولو كانت تراباً، ينالها العذاب مع الأرواح أو النعيم إن كانت أرواح مؤمنين.

ولأجل ذلك لم يُقَرَّ الجَهْمُ ما الـ
 أرواحُ خارجةٌ عن الأبدانِ (١)
 لكنها من بعضِ أعراضِ بها
 قامَتِ وذا في غايةِ البُطلانِ (٢)
 فالشأنُ للأرواحِ بعدَ فراقِها
 أبدانِها واللهِ أعظمُ شأنِ (٣)
 إما عذابٌ أو نعيمٌ دائمٌ
 قد نُعمتْ بالزَّوْحِ والرَّيحانِ (٤)

= الروح خلق لا يعلمه إلا الله، ولا يعلم كنه الروح وحقيقة الروح إلا الله سبحانه وتعالى، ما دامت في هذا الجسد فإنه حي، وإذا خرجت منه مات، وهي تبقى ولا تفتنى، فهذا رد على جهم الذي يقول: يفتنى كل شيء ويُعاد من جديد.

(١) لما أورد على الجهم أن الروح لا تفتنى نفى أن الروح شيء غير الجسد، فالروح هي الجسد عنده، فإذا مات الجسد ماتت الروح، أمّا الرسل وأتباعهم فيرون أن الروح غير الجسد.

(٢) يقول: إنَّها يعني الروح عَرَضٌ من أعراض الجسدِ مثل: اللون السواد أو البياض أو الحرارة أو البرودة، فتزول مع الجسد وهذا كلام باطل، لأن الروح غير الجسد.

(٣) لها أسرارٌ عجيبة لا يعلمها إلا الله.

(٤) هذه حالتها في البرزخ أنها تسرح وتنعم إن كانت أرواح مؤمنين، وأنها تكون في أجواف طير تُنعم إن كانت أرواح شهداء، أو تُعذب إن كانت أرواح كفار، فإذا جاء البعث عادت إلى أجسادها.

وَتَصِيرُ طَيْرًا سَارِحًا مَعَ شَكْلِهَا
 تَجْنِي الثَّمَارَ بَجَنَّةِ الْحَيَوَانِ
 وَتَظَلُّ وَارِدَةً لِأَنْهَارٍ بِهَا
 حَتَّى تَعُودَ لِذَلِكَ الْجُثْمَانِ
 لَكِنِ أَرْوَاحَ الَّذِينَ اسْتَشْهَدُوا
 فِي جَوْفِ طَيْرٍ أَخْضَرَ رِيَّانٍ
 فَلَهُمْ بِذَلِكَ مَزِيَّةٌ فِي عَيْشِهِمْ
 وَنَعِيمُهُمْ لِلرُّوحِ وَالْأَبْدَانِ
 بَدَلُوا الْجُسُومَ لِرَبِّهِمْ فَأَعَاضَهُمْ
 أَجْسَامَ تِلْكَ الطَّيْرِ بِالْإِحْسَانِ
 وَلَهَا قَنَادِيلٌ إِلَيْهَا تَنْتَهِي
 مَاوِيٌّ لَهَا كَمَا كَانِ الْإِنْسَانِ
 فَالرُّوحُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَكْمَلُ حَالَةً
 مِنْهَا بِهِدْيِ الدَّارِ فِي جُثْمَانِ
 وَعَذَابُ أَشْقَاهَا أَشَدُّ مِنَ الَّذِي
 قَدْ عَايَنَتْ أَبْصَارُنَا بَعِيَانِ
 وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهَا عَرَضٌ أَبَوْا
 ذَا كُلِّهِ تَبَا لَّذِي نُكْرَانِ^(١)

(١) يقول الجهمية: إنها عَرَضٌ من أعراض الأجساد وليست مخلوقة مستقلة. ونفوا عنها هذه التحركات.

وإذا أراد الله إخراج الـوَرَى

بعد المماتِ إلى المعادِ الثاني

ألقى على الأرض الذي هُم تحتها

والله مُقْتَدِرٌ وذو سلطَانٍ

مطراً غليظاً أبيضاً متتابعاً

عَشْرًا وَعَشْرًا بعدها عَشْرَانِ

فَتَظَلُّ تَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَامُ الـوَرَى

ولحومُهُمْ كمنابتِ الرِّيحَانِ (١)

حتى إذا ما الأمُّ حانَ ولادُها

وَتَمَحَّضَتْ فِنَاسُهَا مُتَدَانِ (٢)

أوحى لها ربُّ السما فتشَقَّقَتْ

فبدا الجنينُ كأكْمَلِ الشُّبَّانِ (٣)

(١) تُمطر الأرض أربعين يوماً ماء لا يمنع منه سقف ولا شيء، ينزل على وجه

الأرض، ثم تنبت الأجسام التي في الأرض، ويتكامل خلقها حتى لو مر

شخص على أحد يعرفه قال: هذا فلان، ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ في

الصور فتطير الأرواح من الصور وترجع كلُّ روح إلى جسمها، ﴿ثُمَّ نُفِخَ

فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] ثم يؤمرون بالسير إلى المحشر.

(٢) شبه الأرض بالأم التي تحمل الجنين فكأن الناس جنين في بطن الأرض.

(٣) تشق الأرض عن هذه الأجسام التي تنبت في داخلها مثل ما تشق عن

النبات تماماً، ولهذا ذكر الله من أدلة البعث إحياء الأرض بعد موتها ﴿إِنَّ

الَّذِي أَحْيَاهَا لِلْحَيِّ الْمَوْتَى﴾ [فصلت: ٣٩].

وَتَخَلَّتِ الْأُمُّ الْوَلُودُ وَأُخْرِجَتْ
 أَثْقَالَهَا أَثْقَى وَمِنْ ذُكْرَانِ
 وَاللَّهُ يُنْشِئُ خَلْقَهُ فِي نَشْأَةٍ
 أُخْرَى كَمَا قَدْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ^(١)
 هَذَا الَّذِي جَاءَ الْكِتَابُ وَسُنَّةُ الـ
 هَادِي بِهِ فَاحْرِصْ عَلَى الْإِيمَانِ
 مَا قَالَ إِنَّ اللَّهَ يُعِيدُ خَلْقَهُ
 طُرّاً كَقَوْلِ الْجَاهِلِ الْحِيرَانِ^(٢)

* * *

(١) النشأة الأولى في الدنيا والنشأة الأخرى يوم القيامة لكن لا من عدم كما يقول الجهم.

(٢) هذا ردُّ على الجهم لأنه قال: ﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١].

فصل

وقضى بأن الله ليس بفاعلٍ

فعلاً يقومُ بلا برهانٍ^(١)

بل فعله المفعولُ خارجٌ ذاته

كالوصفِ غيرِ الذاتِ في الحُبانِ^(٢)

(١) ما زال الشيخ رحمه الله يذكر أقوال الجهم بن صفوان، وقد ذكر قوله في البعث وأبطله، وانتقل إلى قوله في أفعال الله، فإن الجهم بن صفوان ينفي أفعال الله سبحانه وتعالى، ولا يرى أن الله أفعالاً تصدر عنه سبحانه وتعالى، وإنما أفعاله مخلوقة خلقها في غيره، وقصده من هذا التضميل التمويه على الناس بأنه يُنزه الله؛ لأنه يقول: إن الأفعال حوادث، والله جلٌّ وعلا منزّهٌ عن قيام الحوادث به، لأن ما تقوم به الحوادث فهو حادث كما يقول، وهذا كلامٌ باطل فالله جلٌّ وعلا متصفٌ بأنه يفعل ما يشاء، وأنه يخلق، ويرزق، ويحيي، ويميت، ويُدبر الأمر، وأفعاله تليق به سبحانه وتعالى، ليست مثل أفعال المخلوقين، فالله له أفعال خاصة به، والمخلوق له أفعال خاصةً به، كسائر صفاته، وقوله: «بلا برهان» يعني أنه ينفي الأفعال عن الله نفياً بلا برهان، هذا ردٌّ عليه بل البرهان يدلُّ على العكس، أي على ثبوت أفعال الله جلٌّ وعلا، وأنها تصدر عنه سبحانه وتعالى حقيقة، فهو يفعل ما يشاء.

(٢) يرى أن فعل الله خارجٌ عن ذاته، وأنه خلق من خلقه كسائر مخلوقاته.

وَالْجَبْرُ مَذْهَبُهُ الَّذِي قَرَّتْ بِهِ

عَيْنُ الْعَصَاةِ وَشِيعَةُ الشَّيْطَانِ^(١)

كَانُوا عَلَى وَجَلٍ مِنَ الْعَصِيانِ ذَا

هُوَ فَعْلُهُمْ وَالذَّنْبُ لِلْإِنْسَانِ^(٢)

وَاللُّؤْمَ لَا يَعْدُوهُ إِذْ هُوَ فَاعِلٌ

بِإِرَادَةٍ وَبِقُدْرَةِ الْحَيَوَانَ

(١) وكذلك من أقوال الجهم الشنيعة أنه يرى أن العباد مجبورون على أفعالهم، وأن هذه الأفعال التي تصدر عنهم أفعالٌ خلقها الله فيهم، وهم مجبورون عليها، ليس لهم فيها اختيار، فهم كالألة التي تُحرَّك بيد الإنسان، هذا مذهبه وهو: أنه يرى أن العباد ليس لهم اختيار ولا إرادة، وأن أفعالهم التي تصدر عنهم أفعالٌ اضطرارية، والله هو الذي خلقها فيهم، فهم محلٌّ لخلق هذه الأفعال، وليس لهم إرادة فيها ولا قصد ولا اختيار، فانظر كيف نفى الأفعال عن الله ونفى الأفعال عن الخلق.

(٢) العصاة فرحوا بهذا القول فقالوا: إننا لم نفعل هذه الأفعال من الكفر والمعاصي ومن الزنا والسرقة، ما فعلناها بل هي مفعولة بنا فنحن مُحَرَّكون، وفرحوا بهذه المقالة، يظنونها عذراً لهم وهي في الحقيقة قول باطل.

كانوا قبل أن يسمعوا هذه المقالة خائفين من ذنوبهم ومعاصيهم معترفين بفطرتهم أنها صدرت منهم، ولكن لما سمعوا هذه المقالة فرحوا بها واتخذوها عذراً لهم، وقالوا: نحن ما فعلناها، وإنما هي أفعال الله فينا.

فَأْرَاحَهُمْ جَهَنَّمَ وَشِيعَتُهُ مِنْ آلِ

لَيَوْمِ الْعَنيفِ وَمَا قَضَوْا بِأَمَانٍ^(١)

لَكِنَّهُمْ حَمَلُوا ذُنُوبَهُمْ عَلَى

رَبِّ الْعِبَادِ بَعْرَةً وَأَمَانٍ^(٢)

وَتَبَرَّؤُوا مِنْهَا وَقَالُوا إِنَّهَا

أَفْعَالُهُ مَا حِيلَتْهُ الْإِنْسَانُ^(٣)

مَا كَلَّفَ الْجَبَّارُ نَفْسًا وَسُعَهَا

أَنْتَى وَقَدْ جُبِرَتْ عَلَى الْعِصْيَانِ

وَكَذَا عَلَى الطَّاعَاتِ أَيْضًا قَدْ غَدَتْ

مَجْبُورَةً فَلَهَا إِذَا جَبْرَانُ^(٤)

(١) أراحهم الجهم من هذا الخوف، وقال لهم: اطمئنوا، هذا ليس من

فعلكم، هذا فعل الله خلقه فيكم، ما لكم فيه اختيار، ولا لوم عليكم.

(٢) حملوا هذه الأفعال على الله تعالى، وقالوا: هو الذي فعلها وخلقها،

وأما نحن، فمجرد آلة.

(٣) قالوا: ليس لنا فيها حيلة، نحن مجبورون عليها.

(٤) يعني ما للمطيعين ميزة على العصاة والكفار والمذنبين؛ لأن الكل

يفعلون هذا بغير اختيارهم، هذا معنى قول الجهم بن صفوان - قبحه الله -

وهو ثمرة القول بالجبر، أنه لا فرق بين العاصي والمطيع، ولا فرق بين

الصلاة والزنا، ولا فرق بين فعل الطاعة والمعصية، كله بغير اختيار

العباد.

والعبدُ في التحقيقِ شبهُ نعامِ

قد كُفِّت بِالْحَمْلِ وَالطَّيْرَانِ^(١)

إذا كان صورتها تدلُّ عليهما

هذا وليس لها بذاك يدان^(٢)

فلذاك قال بأنَّ طاعاتِ الورى

وكذاك ما فعلوه من عصيانِ

هي عينُ فعلِ الربِّ لا أفعالهم

فَيَصِحُّ عَنْهُمْ عِنْدَ ذَا نَفْيَانِ

نَفِيٌّ لِقُدْرَتِهِمْ عَلَيْهَا أَوْلَى

وصدورها منهم بنفي ثانٍ^(٣)

(١) النعام إذا رأيت لها جناحين حسبت أنها تتمكن من الطيران، وإذا رأيت صورتها شبهتها بالجمل، فكأنها يمكنها أن تحمل الأثقال، وهي لا تستطيع الأمرين: لا الطيران ولا الحمل، كذلك الإنسان على قول الجهم لا يستطيع شيئاً وإن كانت صورته صورة الذي يستطيع، لكن الحقيقة أنه لا يستطيع، فهو مثل النعام، صورتها صورة الطير والجمل، وهي في الحقيقة لا تعمل عمل الطير ولا عمل البعير، كذلك الإنسان عند الجهم.

(٢) ليس لها قوة على الحمل ولا قوة على الطيران.

(٣) لا هم يقدرون عليها - أي أفعالهم - ولا هي صدرت عنهم، وإنما هي فعل الله عند الجهم ولا فرق بين الطاعة والمعصية والكفر والإيمان.

فَيُقَالُ مَا صَامُوا وَلَا صَلَّوْا وَلَا

زَكَّوْا وَلَا ذَبَحُوا مِنَ الْقَرِبَانِ (١)

وَكَذَلِكَ مَا شَرَبُوا وَمَا قَتَلُوا وَمَا

سَرَقُوا وَلَا فِيهِمْ غَوِيٌّ زَانٍ (٢)

وَكَذَلِكَ لَمْ يَأْتُوا اخْتِيَاراً مِنْهُمْ

بِالْكَفْرِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ

إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْمَجَازِ لِأَنَّهَا

قَامَتْ بِهِمْ كَالطَّعْمِ وَالْأَلْوَانِ (٣)

(١) وإنما الله عند الجهم هو الذي صلّى، وهو الذي صام، وهو الذي ذبح، وهو الذي فعل الطاعة، وأما العبد فلم يفعل، شيئاً من هذه الأمور.

(٢) وكذلك المعاصي كلها فلا يُقال: شربوا الخمر، ولا يُقال: زنوا ولا يُقال: قتلوا النفوس ظلماً وعدواناً، وإنما هي أفعال الله لا فرق بين العاصي والمطيع ولا بين المعصية والطاعة ولا بين الكفر والإيمان، لا لوم على العباد، ولا مدح لهم في الطاعات. لا يُمدحون على الطاعات ولا يُذمّون على المعاصي لأنها ليست أفعالهم.

(٣) لكنها أُضيفت إليهم من باب المجاز؛ لأنهم محلُّ لها فصُنعت فيهم، فإضافتها إليهم من باب المجاز، والمجاز اتخذوه طاغوتاً يحملون عليه كفرهم وضلالهم، كل شيء يقولون عنه: إنه مجاز وليس هو بحقيقة، فأفعال العباد مثل الطعم في الحلو والمر، ومثل الألوان: الحمرة والسواد والبياض في الأجسام تقوم بها اضطراراً لا اختياراً منها، فكذلك الطاعات والمعاصي مثل الألوان والطعوم اضطرارية وليست اختيارية.

جَبَرُوا عَلَىٰ مَا شَاءَهُ خَلَأَقُهُمْ
 مَا ثَمَّ ذُو عَوْنٍ وَغَيْرِ مُعَانٍ^(١)
 الْكُلُّ مَجْبُورٌ وَغَيْرُ مُيَسَّرٍ
 كَالْمَيْتِ أُدْرَجَ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ^(٢)
 وَكَذَاكَ أَفْعَالُ الْمَهِيمِنِ لَمْ تَقُمْ
 أَيضاً بِهِ خَوْفاً مِنَ الْحَدَثَانِ^(٣)
 فَإِذَا جَمَعْتَ مَقَالَتِيهِ أَنْتَجَا
 كِذْباً وَزُوراً وَاضِحَ الْبُهْتَانِ^(٤)
 إِذْ لَيْسَتْ الْأَفْعَالُ فِعْلَ الْهِنَا
 وَالرَّبُّ لَيْسَ بِفَاعِلِ الْعِضْيَانِ

(١) ما فعلوا الطاعة باختيارهم وإعانة الله لهم، ولا تركوا الطاعة إلا لأن الله لم يُعَنِّمَ عليها، فالكل سواء لا ميزة لهذا على هذا، وإنما هم مجرد أجسام تُحَرِّكُ.

(٢) الكل من المطيع والعاصي مجبور وغير مُيَسَّرٍ لما خُلِقَ له فهو كالميت في داخل الأكفان يُحَرِّكُ وَيُحْمَلُ وَيُدْفَنُ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَخَلَّصَ، فالعبد أمام أفعال الله تعالى مثل الميت في الكفن. هكذا يقول الجهم بن صفوان وشيعته، تعالى الله عما يقولون.

(٣) وكذلك ينفي أفعال الله عنه بشبهة أن لا يكون محلاً للحوادث؛ لأن ما كان محلاً للحوادث عنده فهو حادث، والله جلّ وعلا ليس بحادث، هذه قاعدته الشيطانية.

(٤) إذا جمعت مقالتيه في نفي الأفعال عن الله، وفي نفي الأفعال عن العباد، إذاً لمن تكون هذه الأفعال، إذا لم تكن من الله ولا من العباد.

فإذا انتفت صفةُ الإلهِ وفعله

وكلامه وفعائلُ الإنسانِ

فهناك لا خَلْقٌ ولا أمرٌ ولا

وَحْيٌ ولا تكليفٌ عبدٍ فان^(١)

وقضى على أسمائه بحدوثها

وبخَلَقِها من جملةِ الأكوانِ^(٢)

(١) إذا تبطل الشرائع، ويبطل الكون كله فليس له مدبرٌ ولا خالق ولا فعالٌ لما يريد، ولا العباد يفعلون شيئاً، وإنما هم كالآلات، فإذا تبطل الشرائع، وتبطل الأوامر، ويفسد الكون كله، يصير لا مدبر له ولا فعال لما يريد.

(٢) من جملة أقوال الجهم بن صفوان: نفى الأسماء والصفات عن الله، ويرى أن الله ذات مُجَرَّدَةٌ لا تُسَمَّى باسم ولا توصف بصفة؛ لأن هذه الأسماء وهذه الصفات في المخلوقين، فإذا أثبتت لله صار فيها مشابهة بينه وبين المخلوقين، فلذلك نفى الأسماء والصفات خوفاً من التشبيه بزعمه، ولم يعلم بأن أسماء الله وصفات الله خاصة به، وأن أسماء المخلوقين وصفات المخلوقين خاصة بهم، ولا تشابه بين الصنفين. هذه صفات الخالق، وهذه صفات المخلوق، فكما أن بين ذات الخالق سبحانه وذات المخلوق فرقاً، فكذلك هناك فرق بين صفاته وأسمائه وصفات المخلوقين وأسمائهم لأن الأسماء والصفات تتبع الذات، فكما أن ذات الخالق لا تُشبه ذوات المخلوقين، فكذلك أسماءه وصفاته لا تُشبه أسماء المخلوقين وصفاتهم، وإن تشاركت معها في اللفظ والمعنى في ذلك، فالمشاركة في الاسم في الذهن لا تدل على المشاركة في الحقيقة والكيفية في الخارج.

فانظرْ إلى تعطيله الأوصافَ وألـ

أفعالَ والأسماءَ للرحمٰنِ (١)

ماذا الذي في ضمّنِ ذا التّعطيلِ مِنْ

نَفِيٍّ وَمَنْ جَحَدٍ وَمِنْ كُفْرَانٍ

لكنهُ أبدئِ المقالةَ هكذا

في قالبِ التنزيهِ للرحمٰنِ (٢)

(١) هذا هو التّعطيل للخالق من أسمائه وصفاته، إذاً يكون عدماً، لأن الموجود لا بد له من أسماء وصفات، وإنما المعدوم هو الذي ليس له أسماء وصفات، فيلزم من قوله نفي وجود الرب جلّ وعلا.

(٢) حجته: أنه يريد التنزيه للرحمٰن عن مشابهة المخلوقين، وهذا غلو في التنزيه، نعم الخالق منزّه لكن ليس معنى هذا: أن تُنفى عنه أسماءُه وصفاتُه، بل تنزّه أسماءُه وصفاتُه كما تنزّه ذاته عن مشابهة المخلوقين، فكما أن الله موجودٌ والمخلوق موجود، ولا مشابهة بين وجود الخالق ووجود المخلوق، كذلك لا مشابهة بين أسماء الخالق وصفاته وأسماء المخلوقين وصفاتهم، بل المخلوقات لا تتشابهه، فمثلاً: البعوضة لا تُشبه الفيل، الفيل مخلوق والبعوضة مخلوقة وكلاهما موجود وله صفات، له سمعٌ وله بصر وله صفات ذاتية، ولا يلزم من هذا أن الفيل يُشبه البعوضة، وإن كان كلٌّ منهما موجوداً وكلٌّ منهما له صفات، فإذا كان هذا التفاوت في المخلوقات فكيف التفاوت بين الخالق والمخلوقين؟

والجهم قال هذا من أجل أن يغرّ الناس، قال: أنا ما قصدي من هذا إلا تنزيه الرب، فالأغرار من الناس فرحوا بهذا التنزيه ووافقوه عليه، مع أنه يريد التّعطيل قبّحه الله، لكن اتخذ هذه الحجّة من أجل أن يُغرّر بالناس الذين لم يعرفوا مقصوده.

وَأَتَى إِلَى الْكُفْرِ الْعَظِيمِ فَصَاغَهُ

عَجَلًا لِيَفْتِنَ أُمَّةَ الثِّيرَانِ (١)

وَكَسَاهُ أَنْوَاعَ الْجَوَاهِرِ وَالْحِلْيِ

مِنْ لَوْلِيٍّ صَافٍ وَمِنْ عَقِيَانِ (٢)

(١) يعني فعل مثل فعل السامري في بني إسرائيل حين جمع المصاغات التي كانت مع بني إسرائيل، والتي استعاروها من آل فرعون، فلما غرق آل فرعون في البحر، تضايق بنو إسرائيل من هذه المصاغات ماذا يفعلون بها، فجاءهم السامري فجمعها وصوّرها على صورة عجل، وجعله مجوفاً، فجعل الهواء يدخل من جانب ويخرج من جانب فيصير له صوت، فقال لهم: ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾ [طه: ٨٨] أي: نسي موسى ربه فذهب بظن ربه غير هذا ففتنوا به وعبدوه - والعباد بالله - على أنه ربهم قال: «هذا إلهكم وإله موسى فَنَسِيَ» قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه: ٨٩] فالذي لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر لا يكون إلهاً لكن فتنتهم هذا الخبيث، كذلك الجهم صاغ هذه المقالات الكفرية في قالب التنزيه لله عزّ وجل فصدقه أتباعه فنفوا عن الله الأسماء والصفات كما صدق بنو إسرائيل السامري فعبدوا العجل، فهذا يُشبه هذا، وقوله: «ليفتن أمة الثيران» كما فتن السامري بني إسرائيل فتن الجهم هؤلاء يشبهون الثيران، فأخذوا مقالته وفرحوا بها كما فرح أولئك بعجل السامري، فدعاة الضلال في كل وقت هذه طريقتهم، يُغرّرون بالناس ويقودونهم إلى الكفر بحجة الدين والنصيحة.

(٢) يعني أن الجهم كسا هذا الكفر بزخارف من الحُجج والتمويهات كما أن السامري كسا العجل بزخارف من الذهب.

فَرَأَهُ ثِيرَانُ الْوَرَى فَأَصَابَهُمْ
 كَمُصَابِ إِخْوَتِهِمْ قَدِيمَ زَمَانٍ
 عَجَلَانٍ قَدْ فَتَنَّا الْعِبَادَ بِصَوْتِهِ
 إِحْدَاهُمَا وَبَحَرَفِهِ ذَا الثَّانِي^(١)
 وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ فَأَهْلُ ظَوَاهِرٍ
 تَبْدُو لَهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ مَعَانٍ^(٢)
 فَهُمْ الْقُشُورُ وَالْقُشُورِ قَوَامُهُمْ
 وَاللُّبُّ حِطٌّ خَلَاصَةَ الْإِنْسَانِ

(١) فتن السامري الناس بصوت العجل الذي له حُوار، وفتن الجهم الناس بتحريفه، ذاك فتنهم بصوت الخوار، وهذا فتنهم بتحريف الكلم عن مواضعه وتأويل كلام الله، وصرفه عن حقيقته، حتى فتن الناس وظنوه حقاً وهو باطل، فهذا مما يدل على شدة الحذر من دعاة الضلال وأنهم لا يُغتر بهم.

(٢) هذه هي المصيبة، أن أكثر الناس ينظرون إلى المظاهر ولا ينظرون إلى الحقائق، ينظرون إلى المظاهر والتزييق والحجج الواهية، ولا ينظرون إلى الحقائق والمآل، إنما ينظر إلى هذا أهل العقول الذين ينظرون إلى العواقب والمقاصد، وينظرون إلى الثمرات التي تترتب على هذا الشيء، وإلى المفسدات التي تترتب عليه، ولا ينخدعون بالمظاهر، فبنوا إسرائيل: أهل ظواهر غرهم العجل وظنوه أنه الله، وأصحاب جهنم غرتهم مقالته وتليساته فظنوها حقاً فصدقوها وقبلوها منه وهي الكفر الصريح.

ولذا تَقَسَّمتِ الطوائفُ قوله

وتوارثوه إرثَ ذي الشُّهُمانِ^(١)

لم يَنْجُ من أقواله طُراً سوى

أهلِ الحديثِ وشيعةِ القرآنِ^(٢)

فتبرؤوا منها براءةَ حيدرٍ

وبراءةِ المولودِ من عمران^(٣)

(١) ولما كان الناس أكثرهم أصحاب مظاهر، أخذوا مقالة الجهم وتقاسموها كتقاسم الورثة إرث الميت، فأخذتها المعتزلة، وأخذتها الأشاعرة، وأخذتها الماتريدية، وأخذتها سائر الطوائف التي تنفي صفات الرب سبحانه وتعالى أو بعضها. أخذوا مقالة الجهم هذه، وهي أصل الضلالة وتشعبت في الناس، وأخذتها الطوائف كلُّ على قدر ما أخذ منها، فكل أصحاب الفرق الضالة عندهم نصيبٌ من مقالة الجهم، وأوفر الناس حظاً منها، المعتزلة قبجهم الله.

(٢) ما نجا من أقوال الجهم هذه إلا أهل السنة والجماعة «أصحاب الحديث» الذين تمسكوا بالحديث والقرآن ولم يقبلوا التأويل والتحريف ولم يقبلوا الشبه والتزييفات وإنما تمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

(٣) تبرؤوا من مقالة الجهم براءة حيدرٍ من الشيعة، وحيدر: هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو لقب من ألقابه، وأصل الحيدر: الأسد، سُمي بذلك لشجاعته رضي الله عنه، فعلي تبرأ من الشيعة لما ادَّعوا الألوهية له، وخذَّ الأخاديد، وأوقد النار وحرَّقهم بها لما قالوا: إنه الله وهؤلاء هم، غُلاة الشيعة وهو بريء من كل طوائف الشيعة من الرافضة، =

مِن كُلِّ شِيعِيٍّ خَيْبٍ وَصَفُهُ

وَصَفُ الْيَهُودِ مُحَلَّلِي الْحَيْتَانِ^(١)

= والزيدية وغيرهم وإن كانوا ينتسبون ويتشيعون له، ويزعمون أنهم ينتسبون لأهل البيت، فهو بريء منهم، لأنه من أئمة أهل السنة والجماعة، ومن السابقين الأولين إلى الإسلام وسادات المهاجرين، وابن عم رسول الله ﷺ، وزوج ابنته فاطمة، وأبو الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، فهو بريء منهم ولا علاقة لهم به، وكذلك المولود من عمران والمقصود به موسى عليه السلام فإنه بريء من كفار بني إسرائيل الذين عبدوا العجل، ولما جاء عليه السلام أنكر عليهم ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف: ١٥٠-١٥١] وفي سورة طه: ﴿قَالَ يَبْنَومَ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤-٩٨] . . . «هذه براءة موسى بن عمران عليه السلام من العجل وأصحابه، وهذا موقفه من العجل حيث حرّقه ونسفه وبين لبني إسرائيل أنه ليس رباً، لأنه لو كان رباً ما سلط عليه موسى وحرّقه ونسفه في اليم. هذا جزاء المفترين على الله عز وجل في الدنيا والآخرة، وهذا مصيرهم، وهذا موقف أنبياء الله وأولياء الله منهم.

(١) يعني أنّ مذهب الشيعة مُنبثق من مذهب اليهود، وهم أشبه الناس باليهود، وهم من صنائع اليهود، لأن أصل التشيع نشأ من البذرة الأولى وهو: ابن سبأ اليهودي، جاء من اليمن في خلافة عثمان رضي الله عنه، =

وشغب على عثمان وألب عليه، واجتمع بعض الناس ضده حتى قتلوا عثمان رضي الله عنه، ثم إنه بزعمه انحاز إلى علي ابن أبي طالب، وطلبه علي ليقتله فهرب، وصار يحرض الناس ويُلقنهم المبادئ الخبيثة مبدأ التشيع. فالحاصل أنّ هذا التشيع من مذهب اليهود، ولا يزال بين اليهود والشيعية صلة وثيقة دائماً وأبداً، وهم يتشابهون في الكذب والافتراء ومعاداة أولياء الله.

وقوله: «محللي الحيتان»: يشير إلى قصة أصحاب السبت من اليهود، لما حرم الله عليهم صيد الحيتان يوم السبت احتالوا عليها وأمسكوها بالشباك ثم أخذوها يوم الأحد، فلما رأى الله ذلك منهم أوقع بهم أشد العقوبة قال تعالى: ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٦٣] هذه سنة الله في اليهود أنه يبعث عليهم من يدمرهم ومن يسومهم سوء العذاب، كلما تجمعوا وكلما قويت شوكتهم يسر الله لهم من الجبابرة من يتسلط عليهم ويدمرهم، كما تكرر هذا في التاريخ مع اليهود دائماً وأبداً ﴿ كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

* * *

فصل

في مقدمة نافعة قبل التحكيم^(١)

يَأْيُهَا الرَّجُلُ الْمُرِيدُ نَجَاتَهُ
 اسْمَعُ مَقَالَةً نَاصِحٍ مِعْوَانِ
 كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَمَسِّكاً
 بِالْوَحْيِ لَا بِزَخَارِفِ الْهَذْيَانِ
 وَأَنْصُرْ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي
 جَاءَتْ عَنْ الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ
 وَأَضْرِبْ بِسَيْفِ الْوَحْيِ كُلَّ مُعْطَلٍ
 ضَرْبَ الْمُجَاهِدِ فَوْقَ كُلِّ بَنَانِ
 وَأَحْمِلْ بَعْزِمَ الصِّدْقِ حَمَلَةَ مُخْلِصٍ
 مُتَجَرِّدٍ لِللَّهِ غَيْرَ جَبَّانِ
 وَاثْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَّةِ الْهُدَى
 فَإِذَا أُصِيبْتَ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ
 وَاجْعَلْ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي
 ثَبَّتَتْ سِلَاحَكَ ثُمَّ صِخِّ بِجِنَانِ

(١) هذا الفصل واضح المعاني وكلُّه وصايا، وقال: قبل التحكيم لأنه سيعقد فصلاً للتحكيم بين الطوائف، فقبل هذا الفصل قدّم النصيحة.

من ذا يُبَارِزُ فليَقْدَمْ نَفْسَهُ
 أو مَنْ يُسَابِقُ يَبْدُ فِي الْمِيدَانِ (١)
 وَاصْدَعُ بِمَا قَالَ الرَّسُولُ وَلَا تَخَفْ
 مِنْ قَلَّةِ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ
 فَاللَّهُ نَاصِرٌ دِينِهِ وَكِتَابِهِ
 وَاللَّهُ كَافٍ عَبْدَهُ بِأَمَانِ
 لَا تَخْشَ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ وَمَكْرِهِمْ
 فِقْتَالَهُمْ بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ (٢)
 فَجَنُودُ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ مَلَائِكُ
 وَجَنُودُهُمْ فِعْسَاكِرُ الشَّيْطَانِ (٣)

(١) يعني إذا تسلّحت بالكتاب والسنة والعلم النافع، فاطلب المبارزة من المخالفين، أمّا قبل أن تتسلح فلا تدخل في المناظرة، فالإنسان يتعلّم قبل أن يدخل في ميدان النقاش والردّ والمجادلة، فإذا تسلّحت بالكتاب والسنة فإنك لا تُغلب أبداً، لكن إذا لم يكن عندك علم فأنت تذهب مع أول شبهة.

(٢) إذا كان معك سلاح من الكتاب والسنة، فهم ليس معهم إلا الكذب والبهتان، والكذب والبهتان لا يُقابلان الكتاب والسنة.

(٣) أنت أعوانك - ملائكة الرحمن - جبريل وميكائيل والملائكة وأمّا أعوانهم فجنود الشيطان، والشياطين لا تقابل الملائكة بلا شك، فإنه في بدر لما رأى الشيطان الملائكة هرب. قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ =

شَتَانَ بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ فَمَنْ يَكُنْ
مُتَّحِيْرًا فَلْيَنْظُرِ الْفِتْنَانَ
وَأَثْبُتْ وَقَاتِلْ تَحْتَ رِيَاةِ الْهُدَى
وَاصْبِرْ فَنَصُرُ اللَّهَ رَبَّكَ دَانَ
وَإِذْكَرْ مَقَاتِلَهُمْ لِفِرْسَانِ الْهُدَى
لِلَّهِ دَرٌّ مُقَاتِلِ الْفِرْسَانِ (١)
وَإِذْرَأْ بِلَفْظِ النَّصْرِ فِي نَحْرِ الْعِدَا
وَإِرْجُمُهُمْ بِثَوَاقِبِ الشُّهْبَانَ
لَا تَخْشَ كَثْرَتَهُمْ فَهَمْ هَمَجُ الْوَرَى
وَذُبَابُهُ أَتَخَافُ مِنْ ذُبَانَ (٢)

= نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ [الأنفال: ٤٨] أتباع الحق معهم ملائكة، وأتباع الباطل معهم شياطين في كل زمان، ولا تتقابل الشياطين مع الملائكة أبداً.
(١) اذكر ما حصل لهم في بدر وفي حنين وفي غيرها من الوقائع التي نصر الله بها المسلمين، واذكر ما حصل عند غزو التتار فقاتلهم المسلمون قتال الصليبيين على يد صلاح الدين.

(٢) يعني أنت تقابل ذباناً، والذبان لا تخيف أحداً، والمراد بالقتال هنا: ما يشمل القتال بالسيف والقتال بالحُجَّة والبيان؛ لأن مدافعة أهل الباطل بالحُجَّة مثل مدافعتهم بالسلاح قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّوْتُ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣] جاهد الكفار بالسلاح والمنافقين بالحُجَّة.

وَأَشْغَلُهُمْ عِنْدَ الْجِدَالِ بَعْضُهُمْ

بَعْضاً فَذَاكَ الْحِزْمُ لِلْفِرْسَانِ^(١)

وَإِذَا هُمْ حَمَلُوا عَلَيْكَ فَلَا تَكُنْ

فَزِعاً لِحَمَلَتِهِمْ وَلَا بِجَبَانِ^(٢)

وَاثْبُتْ وَلَا تَحْمِلْ بِلَا جُنْدٍ مِمَّا

هَذَا بِمَحْمُودٍ لَدَى الشَّجْعَانِ^(٣)

فَإِذَا رَأَيْتَ عَصَابَةَ الْإِسْلَامِ قَدْ

وَأْفَتْ عَسَاكِرُهَا مَعَ السُّلْطَانِ

فَهَنَّاكَ فَاخْتَرِقِ الصَّفُوفَ وَلَا تَكُنْ

بِالْعَاجِزِ الْوَانِي وَلَا الْفَزْعَانَ^(٤)

(١) وستجدهم متفرقين فاشغل بعضهم ببعض حتى ينشغلوا عنك بأنفسهم ويضعفون، لأنهم والله الحمد متفرقون ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤] بخلاف أهل الحق فإنهم مجتمعون بقلوبهم وأبدانهم.

(٢) لأن حملتهم تضحل، وإن ظهرت أنها قوية لأنها مبنية على باطل والباطل يتلاشى.

(٣) لا تدخل في الميدان إلا ومعك سلاح تقا تل به، وهو الكتاب والسنة، ومعك أعوان من أهل الحق وجند الله، ولا تدخل في الميدان وحدك.

(٤) يقول: انضم مع أهل الحق ولا تنفرد وتستقل برأيك، فما دام هناك جماعة من أهل الحق فانضم إليهم، وهذه حكمة عظيمة، لأن الاجتماع على الحق قوة، وهذا حث على الجماعة وعدم الانفراد حتى ولو كان الإنسان على الحق، لا ينفرد بل يكون مع الجماعة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا =

وَتَعَرَّ مِنْ ثَوْبَيْنِ مَنْ يَلْبَسُهُمَا
 يَلْقَى الرَّدَى بِمَذْمَةٍ وَهَوَانٍ
 ثَوْبٌ مِنَ الْجَهْلِ الْمَرْكَبِ فَوْقَهُ
 ثَوْبُ التَّعَصُّبِ بِثَسْتِ الثَّوْبَانِ^(١)
 وَتَحَلَّ بِالْإِنصَافِ أَفْخَرِ حُلَّةٍ
 زِينَتْ بِهَا الْأَعْطَافُ وَالْكَتْفَانِ^(٢)
 وَاجْعَلْ شِعَارَكَ خَشِيَةَ الرَّحْمَنِ مَعَ
 نُصْحِ الرَّسُولِ فَجَبَذَا الْأَمْرَانِ^(٣)

= فَتَفَشَّلُوا ﴿ [الأنفال: ٤٦] ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا . . . ﴾ [آل عمران:

١٠٥]: ويستفاد من هذا أن الجهاد لا بد أن يكون مع إمام المسلمين.

(١) هذه نصيحة أخرى، يقول تعرَّ من ثوب الجهل و ثوب العصبية، بأن يكون مقصودك الحق، لا يكن مقصودك الانتصار لرأيك، وكذلك تعرَّ من الجهل بتعلم العلم، لأن الجهل داء قاتل، والجاهل لا يصلح لمجادلة أهل الباطل لأنه يفسد أكثر مما يصلح.

والجهل هو عدم معرفة الحق وهو ينقسم إلى قسمين:

الأول: جهل مركب. والجاهل المركب: هو الذي يجهل، ويجهل أنه يجهل، بل يظن أنه عالم. وهذا أشد الجهل وهو مصيبة، وهذا ما يُسمَّى في وقتنا بالتعالم. وهو أن الإنسان يدَّعي العلم وليس عنده علم. الثاني: جهلٌ بسيط، وهو أن يجهل ويعلم أنه جاهل، فإذا كان يعلم أنه جاهل فإنه سيسعى للتعلم.

(٢) لا تظلم الناس، بل أنصف وأعط كل ذي حقَّ حَقَّهُ، وهذه وصية ثالثة.

(٣) إذا صار شعارك خشية الرحمن ونصح الرسول، فإنك لن تغلب بإذن الله.

وَتَمَسَّكَنَ بِحَبْلِهِ وَبِوَحْيِهِ
 وَتَوَكَّلَنَّ حَقِيقَةَ التَّكْلَانِ
 فَالْحَقُّ وَصْفُ الرَّبِّ وَهُوَ صِرَاطُهُ الـ
 هَادِي إِلَيْهِ لِصَاحِبِ الْإِيمَانِ
 وَهُوَ الصِّرَاطُ عَلَيْهِ رَبُّ الْعَرْشِ أَيْ
 ضَاً وَذَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
 وَالْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُمْتَحَنٌ فَلَا
 تَعْجَبْ فَهَلْذِي سَنَةِ الرَّحْمَنِ (١)

(١) يعني إذا حصل على أهل الحق نكبة ومصيبة فلا يكن هذا ناقضاً لعزمك أو مضيقاً، فالحق منصور وممتحن، فلو أن الحق دائماً ينتصر ما صار لأحدٍ فضل، لكن من سنة الله جلّ وعلا أنه يُداول بين العباد، فالرسول عليه السلام في حربه مع الكفار تارة ينتصر، وتارة يحصل عليه ما يحصل من الامتحان كما في غزوة أحد وحنين وفي غير هاتين الواقعتين، فالحق قد يُصاب بسبب خلل في أهله لا بخلل في الحق، وإنما الخلل في أهل الحق فيصابون من عدوهم، فإذا حصل هذا فلا يكن ناقضاً لعزمك أو مُزهداً لك في الحق، بل اثبت، واصبر وأصلح ما فيك من خلل، لأنه ما أصابك هذا الشيء أو أصاب أصحابك إلا بخلل فيكم ﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي قُلْنَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وهذه قاعدة، أنه ليس دائماً الحق منتصراً، ولا تكون دائماً الغلبة لأهل الحق، وهذا من باب الابتلاء والامتحان، فعليك بالصبر وانتظار الفرج ولا تيأس ﴿وَلِيَمِحَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحَقَ الْكٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١].

وَبِذَاكَ يَظْهَرُ حِزْبُهُ مِنْ حَرْبِهِ

وَلَأَجَلِ ذَاكَ النَّاسُ طَائِفَتَانِ^(١)

وَلَأَجَلِ ذَاكَ الْحَرْبُ بَيْنَ الرُّسُلِ وَالْ

كُفَّارِ مُذْ قَامَ الْوَرَى سِجْلَانِ^(٢)

لَكِنَّمَا الْعُقْبَى لِأَهْلِ الْحَقِّ إِنَّ

فَاتَتْ هُنَا كَانَتْ لَدَى الدِّيَانِ

وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ هِجْرَتَيْنِ وَلَا تَنْمُ

فَهَمَا عَلَى كُلِّ امْرِيءٍ فَرَضَانِ^(٣)

(١) هذه هي الحكمة ليظهر حزب الرحمن من حزب الشيطان وهم حرب الله بالراء المهملة، يتميز هذا من هذا، وإلا لو صار الانتصار للمسلمين دائماً لم يكن هناك ميزة، ولكان كل الناس يدخلون في الدين، يريدون هذا النصر وهذا العز.

(٢) سجلان يعني يكون يومٌ لهم ويومٌ عليهم، لكن العاقبة للمتقين، فظهور الكفار لا يستمر بل يضمحل، وتكون العاقبة للمتقين دائماً وأبداً.

(٣) الهجرة: ترك الشيء، والمراد هنا بالهجرة: ترك الباطل والانتقال إلى الحق وهي نوعان:

- هجرة إلى الله.

- وهجرة إلى رسول الله ﷺ.

هجرة إلى الله بالإخلاص والتوحيد، وهجرة إلى الرسول بالاتباع والافتداء، وهذه هجرة القلوب.

وهناك هجرة الأبدان: وهي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام،

فالهجرة هجرتان:

فالهجرةُ الأولى إلى الرَّحْمَنِ بِالِ

إِخْلَاصٍ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانِ

فَالْقَصْدُ وَجْهُ اللَّهِ بِالْأَقْوَالِ وَالِ

أَعْمَالِ وَالطَّاعَاتِ وَالشُّكْرَانِ

فِيذَلِكَ يَنْجُو الْعَبْدُ مِنْ إِشْرَاكِهِ

وَيَصِيرُ حَقًّا عَابِدَ الرَّحْمَنِ

وَالهجرةُ الأخرى إلى المبعوثِ بِالِ

حَقِّ الْمُبِينِ وَوَضِيحِ الْبُرْهَانِ

فَيَدُورُ مَعَ قَوْلِ الرَّسُولِ وَفِعْلِهِ

نَفِيًّا وَإِثْبَاتًا بِلَا رَوَغَانِ

وَيُحَكِّمُ الْوَحْيَ الْمُبِينَ عَلَى الَّذِي

قَالَ الشُّيُوخُ فَعِنْدَهُ حُكْمَانِ (١)

هجرة بالقلب وهجرة بالبدن، فهجرة القلب هي من الكفر إلى الإيمان بالإخلاص لله وإلى رسوله بالاتباع، وهجرة بالبدن من بلاد الكفر إلى بلاد المسلمين فراراً بالدين، ولا يسلم أحد إلا بهاتين الهجرةتين، هجرة إلى الله وهجرة إلى الرسول ﷺ كما أنه لا يسلم إلا بالهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام.

(١) يُحَكِّمُ الْكِتَابَ وَالسَّنَةَ عَلَى أَقْوَالِ الشُّيُوخِ بِأَنْ يَعْضَرَ أَقْوَالَ الشُّيُوخِ مَهْمَا كَبُرَ شَأْنُهُمْ عَلَى الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، فَمَا وَافَقَ الْكِتَابَ وَالسَّنَةَ يُقْبَلُ، وَمَا خَالَفَهُمَا يُرَدُّ، حَتَّىٰ وَلَوْ كَانُوا مِنْ أَكْبَرِ الشُّيُوخِ، فَالْقُرْآنُ وَالسَّنَةُ فَوْقَ الْجَمِيعِ.

لَا يَحْكُمَانِ بِبَاطِلٍ أَبَدًا وَكُلُّ
لِ الْعَدْلِ قَدْ جَاءَتْ بِهِ الْحُكْمَانِ

وَهُمَا كِتَابُ اللَّهِ أَعَدَلُ حَاكِمٍ
فِيهِ الشِّفَا وَهَدَايَةُ الْحَيْرَانِ

وَالْحَاكِمُ الثَّانِي كَلَامُ رَسُولِهِ
مَائِمٌ غَيْرُهُمَا لِذِي إِيْمَانِ

فَإِذَا دَعَوْكَ لِغَيْرِ حُكْمِهِمَا فَلَا
سَمْعًا لِدَاعِي الْكُفْرِ وَالْعَصِيَانِ^(١)

قُلْ لَا كَرَامَةَ لَا وَلَا نُعْمَى وَلَا
طَوْعًا لِمَنْ يَدْعُو إِلَى طُغْيَانِ

وَإِذَا دُعِيتَ إِلَى الرَّسُولِ فَقُلْ لَهُمْ
سَمْعًا وَطَوْعًا لَسْتُ ذَا عَصِيَانِ^(٢)

وَإِذَا تَكَاثَرَتِ الْخُصُومُ وَصَيَّحُوا
فَأَثْبِتْ فَصَيَّحْتَهُمْ كَمَثَلِ دُخَانِ^(٣)

(١) إذ قالوا: تعال إلى القواعد المنطقية وعلم الكلام وإلى القوانين، فقل:

لا سمع ولا طاعة، بل تعالوا إلى الكتاب والسنة، لا إلى قاعدة فلان

وفلان وعلم المنطق وعلم الكلام وما تسمونه بالبراهين العقلية. هذه

كلها أباطيل، ونحن نرجع إلى الكتاب والسنة، ﴿فَأَمَّا يَا لَيْتَكُمْ مَتَى

هُدَى فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣] هذا هو سبيل النجاة.

(٢) كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ

يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١].

(٣) صيحة أهل الباطل مثل الدخان يضمحل.

يَرْقَى إِلَى الْأَوْجِ الرَّفِيعِ وَبَعْدَهُ

يَهْوِي إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الدَّانِي (١)

هَذَا وَإِنَّ قِتَالَ حِزْبِ اللَّهِ بَأْسٌ

أَعْمَالٍ لَا بَكْتَائِبِ الشُّجْعَانِ (٢)

وَاللَّهُ مَا فَتَحُوا الْبِلَادَ بِكَثْرَةِ

أَنْفِي وَأَعْدَاهُمْ بِلَا حُسْبَانِ (٣)

وَكَذَلِكَ مَا فَتَحُوا الْقُلُوبَ بِهَذِهِ الـ

آرَاءِ بَلْ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

(١) يتكاثف الدخان ويغطي السماء ويرتفع ثم سرعان ما ينخفض ويضمحل وكذلك أمر الباطل.

(٢) قتال حزب الله إنما هو بالإيمان وبالأعمال الصالحة لا بكثرة الجنود. وإنما الأعمال الصالحة هي سلاحهم.

(٣) يُحَرِّضُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ عَلَى جِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ بِالسِّيفِ فِي الْمَعْرَكَةِ وَبِاللِّسَانِ فِي الْمُنَازَرَةِ، فَالْمُسْلِمُونَ مَا فَتَحُوا الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ بِكَثْرَةِ الْجُنُودِ، لِأَنَّ خِصْمَهُمْ مِنَ الْفَرَسِ وَالرُّومِ أَكْثَرُ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا فَتَحُوهَا بِالْإِيمَانِ وَالْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَلَمْ يَفْتَحُوا الْقُلُوبَ بِالْكَلامِ وَالْأَقْوَالِ وَالْآرَاءِ الْكَثِيرَةِ، وَإِنَّمَا فَتَحُوهَا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَثَرُوا فِي الْقُلُوبِ فَاثْمَلَاتٌ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا بِقَوْلِ فُلَانٍ وَلَا بِقَوْلِ عُلَانٍ. إِنَّمَا انْتَصَرُوا بِالْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَبِالْعِلْمِ النَّافِعِ، فَنَشَرُوا الْعِلْمَ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وَانْتَشَرَتْ مَمْلَكَةُ الْمُسْلِمِينَ بِهَذِينَ السَّبِيلِينَ: الْجِهَادِ الصَّادِقِ بِالْعُدَّةِ وَبِالْعِلْمِ النَّافِعِ.

وشجاعةُ الفرسانِ نفسُ الزُّهْدِ في
 نَفْسٍ وذا محذورٌ كلُّ جَبَانٍ^(١)
 وشجاعةُ الحُكَّامِ والعلماءِ زُهْدٌ
 سُدُّ في الشَّامِ مِنْ كُلِّ ذِي بَطْلَانٍ
 فإذا هُما اجْتَمَعَا لِقَلْبٍ صَادِقٍ
 شُدَّتْ رَكَائِبُهُ إِلَى الرَّحْمَنِ
 واقصِدْ إِلَى الْأَقْرَانِ لَا أَطْرَافِهَا
 فالعِرُّ تحتَ مَقَاتِلِ الْأَقْرَانِ
 واسْمَعْ نصيحةَ مَنْ لَهُ خَبْرٌ بما
 عندَ الوريِّ من كثرةِ الجَوْلَانِ

(١) بيِّن أن زُهْدَ الشجعانِ، هو الزهد في الحياة، وهذا عزيزٌ على الجبانِ، يخاف الجبان من الموت، لكن الشجاع يُقدم ولا يخاف من الموت. إن قُتِلَ فهو شهيد، وإن انتصر فهو مجاهد في سبيل الله.

وزهد العلماء والحكَّام الذين يحكمون بين الناس هو زهدهم في الثناء والمدح، فهم لا يريدون المدح والثناء من الناس، وإنما يريدون كلمة الحق سواءً مُدِّحوا أو ذُمُّوا، فهم يقصدون وجه الله تعالى لا يقصدون رياءً ولا سمعة، فإذا اجتمعت هذه الصفات: قوة العقيدة، وقوة السلاح، والعلم النافع، والشجاعة وعدم الجبن، والزهد في الثناء، وعدم النظر إلى كلام الناس، إذا اجتمعت هذه الأمور فإن الإنسان يُقدم على الجهاد وخوض المعركة؛ لأنه مسلَّح بالإيمان والعقيدة والعلم والزهد في الحياة وفي الثناء وبهذا تكون الغلبة لأهل الحق دائماً وأبداً، إذا اجتمعت هذه الأمور.

ما عندهم والله خيرٌ غيرَ ما

أخذوه عَمَّنْ جاء بالقرآن^(١)

والكلُّ بعدُ بدعةٌ أو فِرْيَةٌ

أو بحثٌ تشكيكٍ ورأى فلان^(٢)

فاصدعُ بأمرِ الله لا تخشَ الورى

في اللهِ واخشاهُ تُقزُّ بأمانٍ

واهجُرْ ولو كلَّ الورى في ذاته

لا في هَواكِ ونخوةِ الشيطانِ

واصبرْ بغيرِ تسخُّطٍ وشكَايةٍ

واصفحْ بغيرِ عتابٍ مَنْ هوَ جانٍ

واهجُرْهُمُ الهجرَ الجميلَ بلا أذى

إنْ لم يكنْ بدٌّ مِنَ الهجرانِ^(٣)

(١) يقول: اسمع مقالة من عنده خبرة بما عند الناس. ما عند الناس خير إلا ما كان من القرآن والسنة وما عداهما فإنه ضلال واضمحلال، لا طائل تحته.

(٢) هذا الذي عند أكثر الناس إما بدعة وهي التقرب إلى الله بما لم يشرعه، أو فرية: وهي الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ كما عند الطوائف الضالة، وإما كلام لا فائدة من ورائه، هذا الذي عند أكثر الناس.

(٣) عندنا ثلاثة أشياء ذكرها الله في كتابه: الصبر الجميل، والصفح الجميل والهجر الجميل، يلزم طالب العلم والداعية إلى الله أن يتحلَّى بها.

وانظُرْ إِلَى الْأَقْدَارِ جَارِيَةً بِمَا
 قَدْ شَاءَ مِنْ غَيٍِّ وَمِنْ إِيْمَانٍ
 وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ مُقَلَّتَيْنِ كِلَاهُمَا
 بِالْحَقِّ فِي ذَا الْخَلْقِ نَاطِرَتَانِ
 فَانظُرْ بَعَيْنِ الْحُكْمِ وَارْحَمُهُمْ بِهَا
 إِذْ لَا تُرَدُّ مَشِيئَةُ الدَّيَّانِ
 وَانظُرْ بَعَيْنِ الْأَمْرِ وَاحْمِلْهُمْ عَلَى
 أَحْكَامِهِ فَهَمَا إِذَا نَظَرَانِ (١)

= والصبر الجميل: هو الذي ليس معه شكاية إلى الناس، وإنما يشكو إلى الله سبحانه وتعالى، ولهذا يقول يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِيَّ وَحُزْنَ إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] مع أنه قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣] فالشكاية إلى الله لا تنافي الصبر، إنما الذي يُنافي الصبر الشكاية إلى الناس.

والصفح الجميل: هو الذي ليس معه عتاب، فإذا كان معه عتاب لم يكن صفحاً جميلاً.

والهجر الجميل: هو الذي ليس معه أذى، ولا انتقام لنفسك. هذه ثلاثة الأمور كلها مذكورة في القرآن، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة في هذه الأمور الثلاثة، «الصبر الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل» رسالة مستقلة.

(١) يقول: انظر إلى ما يجري من الناس بنظرين:

نظر من ناحية القضاء والقدر، فبذلك تعلم أنه لا بد من وقوع ما

قدّر الله تبارك وتعالى من أفعالهم فلا تلمهم على القضاء والقدر. =

واجعلْ لوجهك مُقْلَتَيْنِ كلاهما

من خشيةِ الرحمنِ باكيَتانِ

لو شاءَ ربُّكَ كنتَ أيضاً مثلَهُم

فالقلبُ بينَ أصابعِ الرحمنِ (١)

واحذرْ كمائنَ نفسِكَ اللاتي متى

خرجتْ عليك كُسرَت كُسرَ مُهانٍ (٢)

ونظر إلى الشرع، وأن الله أمرهم بالخير ونهاهم عن الشر، فبذلك تلوّمهم على المعاصي والمخالفات، وتأمّرهم بالطاعات، أمّا من نظر النظر الأول إلى القضاء والقدر فقط فهذا نظر الجبرية، ومن نظر النظر الثاني إلى أفعال العباد ولم ينظر إلى القضاء والقدر فهذا نظر القدرية، أمّا أهل السنة فينظرون النظرين، نظر إلى القضاء والقدر، ونظر إلى أن الله أمر ونهى وشرع وأعطى الناس قدرة واختياراً يفعلون بهما ما يشاءون، إمّا الخير وإمّا الشر باختيارهم وإرادتهم، فلا تنظر نظراً واحداً إلى القضاء فقط أو إلى الأمر فقط ولكن انظر إلى الأمرين جميعاً.

(١) قوله: لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم، أي: مثل هؤلاء الكفرة والعصاة، فلا تُزكّ نفسك ولكن احمد الله أن عافاك ممّا أصابهم، واخش أن تنحرف مثلهم، لأن القلوب بين أصابع الرحمن، فالإنسان لا يأمن على نفسه من الضلال مهما بلغ من العلم والتقوى، فلا يأمن على نفسه من الانحراف؛ لأنه إن أمن على نفسه فهو حريّ أن يُصاب، فينظر إلى المبتلين فيحمد الله على العافية، ويخشى أن يصيبه مثل ما أصابهم، لأن ما أصابهم إنما هو بقضاء الله وقدره ولو شاء الله لجعلك مثلهم.

(٢) احذر شرور نفسك، فالإنسان أخطر ما عليه شرور نفسه، فإذا وقاه الله شرور نفسه وقاه غيرها من باب أولى، ولهذا كان النبي ﷺ يقول: =

وإذا انتصرتَ لها فأنت كمن بغى

طَفِي الدُّخَانِ بِمَوْقِدِ النِّيرَانِ^(١)

واللهُ أَخْبَرَ وهو أَصْدَقُ قَائِلٍ

أَنْ سَوْفَ يَنْصُرُ عَبْدَهُ بِأَمَانٍ^(٢)

= «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا»^(*) فالإنسان إذا وُقِيَ شرَّ نفسه فإنه يُوقَى شرور غيرها من باب أولى، فالنفس خطرهما عظيم، ولهذا يقول جلَّ وعلا: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

(١) يقول: لا تنتصر لنفسك أبداً، وإنما أنت انتصر للحقِّ، أما نفسك مهما ابتليت من الناس فاصبر على أذاهم، ولهذا كان النبي ﷺ يُؤذَى ولا ينتصر لنفسه أبداً، وإنما ينتصر لله عزَّ وجلَّ، وكان لا يغضب لنفسه عليه السلام، يُقال فيه ويواجه بالكلام والأذى ولا ينتصر لنفسه، ولو شاء لانتصر؛ لأن الله أعطاه القوة والسُّلطة، ولكنه لا ينتصر لنفسه أبداً، وإنما يعفو ويتجاوز ويحسن إلى من أساء إليه، هذه أخلاقه ﷺ، لكن إذا انتهت حرمات الله فإنه يغضب ويتنقم لمحارم الله، فأنت أيها المؤمن يجب أن تكون كذلك، لا تنتصر لنفسك وإنما انتصر لله عزَّ وجلَّ.

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١] وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] فإذا لم تنتصر لنفسك فإن الله ينصرك، أما إذا انتصرت لنفسك فإن الله يُخَلِّي بينك وبين عدوك.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤/٤٧٧ (٢٧٤٩)، ومسلم (٢٦٨) (٤٦) من حديث ابن عباس.

مَنْ يَعْمَلِ الشُّوْءَ سَيُجْزَىٰ مِثْلَهَا

أَوْ يَعْمَلِ الْحُسْنَى يُقْزَ بِجَنَانٍ^(١)

هٰذِي وَصِيَّةٌ نَاصِحٍ وَلِنَفْسِهِ

وَصَّىٰ وَبَعْدَ سَائِرِ الْإِخْوَانِ^(٢)

* * *

(١) قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦].

(٢) هذا الذي ذكر في هذا الفصل وصية ناصح لنفسه، وهكذا ينبغي للمؤمن أن يبدأ بنفسه أولاً، ثم ينصح إخوانه، فهو موجّه هذه النصائح إلى نفسه أولاً، ثم ينصح بها كلّ مؤمن.

فصل

وهذا أول عقد مجلس التحكيم^(١)

فاجلسْ إِذَا فِي مَجْلِسِ الْحَكَمَيْنِ لِلرَّ

رَحْمَنِ لَا لِلنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ^(٢)

(١) لأن هذه القصيدة المقصود منها الحكم بين الطوائف، وبيان من هو على الحق منها ومن هو على الباطل، والتحكيم إنما يكون إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله، وهو يريد أن يعرض أقوال الطوائف على الكتاب والسنة ليتبين المحق من المبطل.

(٢) المراد بالحكمين: الكتاب والسنة، لأن الله جعل الكتاب والسنة حكمين في المنازعات، قال تعالى: ﴿فَإِنْ نَنزَعْنَهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] إلى الله: إلى كتاب الله، والرسول: إليه في حياته وإلى سنته بعد وفاته، وقال ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي»^(*)، فكأنه موجود بيننا ﷺ بما تركه لنا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكتاب الله لا يُغَيَّرُ ولا يُبَدَّلُ لأنه محفوظ، كذلك سنة الرسول ﷺ محفوظة لا تُبَدَّلُ ولا تُغَيَّرُ، فمن أراد معرفة الحق من الباطل فليرجع إليهما بصدق وإخلاص، وتجرد من الهوى وطلب الحق، وبذلك يعرف الحق من الباطل. ويكون القصد الرحمن لا الانتصار للنفس =

(*) أخرجه الحاكم في «المستدرک» ١٧٢/١ (٣١٩)، وابن عبد البر في «الاستذکار»

٥٥٦/٩ بعد الحديث (٢٥٥٧)، من حديث أبي هريرة، وأخرجه الحاكم ١٧١/١

(٣١٨) من حديث ابن عباس.

الأول النقلُ الصحيحُ وبعدهُ الـ

عقلُ الصريحُ وفِطْرَةُ الرَّحْمَنِ (١)

واحْكُمْ إِذَا فِي رُفْقَةٍ قَدْ سَافَرُوا

يَبْغُونَ فَاطَرَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ (٢)

= والتعصُّبُ للرأيِ أو للمذهبِ أو لقولِ فلانٍ وعلانٍ، بل يكونُ القصدُ طلبَ الحقِّ، فإذا تبيَّنَ الحقُّ فإنك تأخذُ به ولو كانَ خلافَ ما تقوله أنت، أو خلافَ ما تهواه نفسُك ورغبتُك، فالحقُّ ضالةُ المؤمنِ، فمن كانَ هذا هدفه فإنه يُهدى إلى الصراطِ المستقيمِ، أمَّا من يرجعُ للكتابِ والسنةِ من أجل أن ينتصرَ لهواه أو لمذهبه أو لمذهبِ إمامه، فإن هذا لا يوفِّقُ للحقِّ لأنه متعصبٌ، ولهذا تجدُ هذا النوعَ إن وافقَ الكتابِ والسنةَ هواه فرحَ بذلك، وإن خالفَ الكتابِ والسنةَ هواه فإنه لا يقبلُ بل يُحرِّفُ ويؤوِّلُ النصوصَ، ولا يقبلُ ما جاءت به النصوصُ، بل يُحرِّفها ويؤوِّلها حتى توافقَ هواه، وهذه طريقةُ أهلِ الضلالِ.

(١) النقلُ الصحيحُ من الكتابِ والسنةِ ويُسمَّى «السمعُ والنقلُ والأثرُ» فالكتابُ والسنةُ هما المأثورُ وهما المنقولُ وهما المسموعُ. هذه كُلُّها أسماءٌ للكتابِ والسنةِ، والثاني: العقلُ الصريحُ السالمُ من الهوى والأغراضِ السيئةِ، فإذا اتفقَ الاثنانُ: العقلُ الصريحُ والنقلُ الصحيحُ حصلَ الحقُّ، لأن النقلَ الصحيحَ لا يُخالفُ العقلَ الصريحَ أبداً وإن اختلفا، فإمَّا أن النقلَ غيرَ صحيحٍ وإمَّا أن العقلَ غيرَ صريحٍ، هذه هي القاعدةُ، فالنقلُ الصحيحُ لا يخالفُ العقلَ الصريحَ.

(٢) هذه الطوائفُ التي قالت في الله المقالاتِ، كلُّ قال في ربه ما قال، وزعم أنه هو على الحقِّ وأن غيره على الباطلِ.

فترافقوا في سيرهم وتفارقوا
 عند افتراق الطُّرُقِ بالحيران^(١)
 فأتى فريقٌ ثم قال وجدتهُ
 هذا الوجودُ بعينه وعيان^(٢)
 ما ثمَّ موجودٌ سواه وإنما
 غلطَ اللسانُ فقال موجودان^(٣)
 فهو السماءُ بعينها ونجومها
 وكذلك الأفلاكُ والقمرانِ
 وهو الغمامُ بعينه والثلجُ والـ
 أمطارُ مع بَرْدٍ ومع سُحبانِ
 وهو الهواءُ بعينه والماءُ والتُّ
 تُرْبُ الثَقِيلُ ونَفْسُ ذِي النِّيرانِ^(٤)

(١) في البداية هم متفقون يوم كانوا على الفطرة السليمة، ولكن لما زاغت الفطر، وفسدت الفطر تفرقوا كلٌّ ذهب إلى جهته.

(٢) جاء الفريق الأول وهم أهل وحدة الوجود، ابن عربي الطائي وأتباعه، فقالوا: الرب هو كل هذا الكون، ليس فيه انقسام ولا تعدد، وهؤلاء هم أهل وحدة الوجود، يعنون أن الكون كله، بما فيه الخالق والمخلوق، لا فيه رب وعبد، بل هذا الوجود كلُّه هو الرب، تعالى الله عما يقولون.

(٣) ما فيه موجودان، إنما هو موجودٌ واحد هو الرب فالقول بالتعدد غلط يقال باللسان.

(٤) عناصر الطبيعة الهواء والتراب والنار والماء فهي عناصر الكائنات، والله عندهم مجموع هذه الأشياء.

هذي بسائطه ومنه تركبت

هذي المظاهر ما هنا شيان

وهو الفقير لها لأجل ظهوره

فيها كفقير الروح للأبدان

وهي التي افتقرت إليه لأنه

هو ذاتها ووجودها الحقاني

وتظلّ تلبسه وتخلعه وذا الـ

إيجاد والإعدام كلّ أوان^(١)

ويظلّ يلبسها ويخلعها وذا

حكم المظاهر كي يرى بعينان

وتكثر الموجود كالأعضاء في الـ

مَحسوس من بشرٍ ومن حيوان^(٢)

(١) هذا قول ابن عربي: أن الكون كله هو الله، ليس فيه انقسام. وهو قول

ابن سبعين والتلمساني وابن الفارض، هؤلاء هم أبطال هذا المذهب -

قبحهم الله - وابن الفارض هو صاحب القصيدة التائية في وحدة الوجود

وابن عربي صاحب كتاب «فصوص الحكيم» في هذا الموضوع.

(٢) هذا قول ابن عربي، وهو زعيم القائلين بوحدة الوجود، وهو أكفر أهل

الأرض والعياذ بالله، لأن هذا القول ما قاله المجوس، ولا أحد من

الكفرة، فالكفرة مقرون بأن هناك رب وهناك خلق، وإبليس مقر بأن

هناك خالق ومخلوق.

أو كَالْقَوَى فِي النَفْسِ ذَلِكَ وَاحِدٌ
 مُتَكَثِّرٌ قَامَتْ بِهِ الْأَمْرَانِ
 فَيَكُونُ كَلًّا هَذِهِ أَجْزَاؤُهُ

هذي مقالة مُدَّعي العِرفانِ^(١)

أو أَنهَآ لِتَكْثِيرِ الْأَنْوَاعِ فِي

جَنَسٍ كَمَا قَالَ الْفَرِيقُ الثَّانِي^(٢)

= وهذا جوابهم عن تعدد الأشياء، لما قيل لهم: نحن نشاهد الكون متعدد فيه حيوان وفيه إنسان وفيه جبال وفيه بحار وفيه أشجار، ليس شيئاً واحداً، كيف تقولون: إنه شيءٌ واحد؟ انقسموا في الجواب عنه إلى أقسام:

ابن عربي يقول: هذا مثل تعدد أعضاء من الجسم، فالجسم واحد وله أعضاء يَدَانِ وَرِجْلَانِ، وسمع وبصر وشعر وجلد وعظم وعصب وعروق، فتعدد هذه الأشياء إنما هو تعدد أجزاء فقط لشيء واحد.

وابن سبعين: يقول: هذا من تعدد الأنواع تحت الجنس فمثلاً: الحيوان جنس تحته أنواع: إبل، وغنم، وبقر وظباء وأرانب.

والتلمساني يقول: هذا توهم، ما ثم إلا شيءٌ واحد وهذه التعددات وَهْمٌ لَيْسَ حَقِيقَةً، وبعضهم يقول: هذا التعدد مثل خواطر النفس وهو اجنس النفس، النفس شيء واحد لها خواطر ولها هواجس ولها قوى نفسانية، فهم اضطربوا في تفسير هذا التعدد وإلا فهم مُجمعون على أنه شيءٌ واحد، إنما اختلفوا في تفسير هذا التعدد وهذا التنوع.

(١) الذي هو ابن عربي، يُسمونه «العارف بالله» سيد العارفين.

(٢) هذا هو القول الثاني، وهو قول ابن سبعين.

فَيَكُونُ كُلِّيًّا وَجُزِّيًّا تَهُ

هذا الوجودُ فهذه قولان

إحداهما نصُّ الفصوصِ وبعدهُ

قولُ ابنِ سَبْعِينِ وما القولانِ (١)

عندَ العفيفِ التُّلمَسَانِي الَّذِي

هو غايةٌ في الكفرِ والطغيانِ (٢)

إِلَّا مِنْ الْأَغْلَاطِ فِي حِسِّ وَفِي

وَهُمْ وَتِلْكَ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ

وَالْكُلُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ فِي نَفْسِهِ

مَا لِلتَّعَدُّدِ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِ

فَالضَّيْفُ وَالْمَأْكُولُ شَيْءٌ وَاحِدٌ

وَالْوَهْمُ يُحَسَّبُ هَا هُنَا شَيْئَانِ (٣)

وَكَذَلِكَ الْمَوْطُوءُ عَيْنُ الْوَطْءِ وَالْ

وَهُمُ الْبَعِيدُ يَقُولُ ذَا إِثْنَانِ

وَلَرَبِّمَا قَالَا مَقَالَتَهُ كَمَا

قَدْ قَالَ قَوْلَهُمَا بِلَا فُرْقَانِ (٤)

(١) كتاب «الفصوص» لابن عربي.

(٢) يقول: هذا التعدد وهم، ليس فيه تعدد في الحقيقة وإنما هو شيء واحد.

(٣) الضيف والطعام الذي يأكله شيء واحد.

(٤) يعني الزوج والزوجة حين الوطاء شيء واحد، ما فيه موطوء ولا واطيء

مثل: المأكول والآكل شيء واحد، وربما يوافق ابن عربي التلمساني في =

وأبى سِوَاهُمْ ذَا وَقَالَ مَظَاهِرُ
 تَجَلُّوهُ ذَاتُ تَوْحِيدٍ وَمَثَانٍ^(١)
 فَالظَاهِرُ الْمَجْلُوسُ شَيْءٌ وَاحِدٌ
 لَكِنْ مَظَاهِرُهُ بِلَا حُسْبَانٍ^(٢)
 هَذِي عِبَارَاتٌ لَهُمْ مَضْمُونُهَا
 مَا تَمَّ غَيْرُ قَطُّ فِي الْأَعْيَانِ^(٣)
 فَالْقَوْمُ مَا صَانُوهُ عَنِ الْإِنْسِ وَلَا
 جِنٌّ وَلَا شَجَرٍ وَلَا حَيَوَانٍ^(٤)
 كَلًّا وَلَا عُلُوًّا وَلَا سُفْلًا وَلَا
 وَادٍ وَلَا جَبَلٍ وَلَا كُتُبَانٍ

= بعض الأحيان، بأن هناك تعدداً ولكن مذهبه المعروف ليس فيه تعدد وإنما هو توهم.

(١) هذا قولٌ رابع: يقول كل أقوالكم هذه خطأ، هذا التعدد مظاهر للرب يظهر بها وإلا ليس فيه تعدد، وإنما هي مظاهر فقط.

(٢) المظاهر كثيرة، لكن الظاهر شيءٌ واحد.

(٣) يقول: هذا حاصل مقالاتهم ومعناه أنها كُلُّها شيءٌ واحد، ما هناك غيرٌ وإنما هو شيءٌ واحد، ما هناك خالق ومخلوق ولا رب وعبد وإنما هو شيءٌ واحد كُلُّه رب.

(٤) بل جعلوا كل هذا الوجود هو الله، الشجر والحجر والجبل والبحر والخنزير والكلب والجمل والإنسان والثعلب والقط، كلُّ هذه هي الرب.

كَلًّا وَلَا طَعْمٍ وَلَا رِيحٍ وَلَا
صَوْتٍ وَلَا لَوْنٍ مِنَ الْأَلْوَانِ
لَكِنَّهُ الْمَطْعُومُ وَالْمَلْبُوسُ وَالْ
مَشْمُومُ وَالْمَسْمُوعُ بِالْآذَانِ (١)
وَكَذَاكَ قَالُوا إِنَّهُ الْمَنْكُوحُ وَالْ
مَذْبُوحُ بِلِ عَيْنِ الْغَوِيِّ الزَّانِي (٢)
وَالْكَفْرُ عِنْدَهُمْ هَدْيٌ وَلَوْ أَنَّهُ
دِينُ الْمَجُوسِ وَعَابِدِي الْأَوْثَانِ (٣)

(١) أي هذه الأشياء هي الله - تعالى الله عما يقولون .

(٢) ما نزهوه حتى عن الفواحش والزنا والقاذورات، قالوا: هذه كلها أفعال الرب سبحانه وتعالى، تعالى الله عما يقولون . وهذا يدل على أن الإنسان إذا لم يعصمه الله فإنه يسقط إلى ما لا نهاية .

(٣) هذه ثمرة هذا المذهب الخبيث أنه ليس فيه كفرٌ على وجه الأرض، لأن كل الملل والعبادات متجهة إلى الله، من عبد الشجر والحجر ومن عبد الصنم والنار ومن عبد الكواكب، ما عبد إلا الله لأن هذه هي الله عندهم، وإنما الخلل في التخصيص، وأن تُخصَّص شيئاً واحداً وتقول: إنه هو الله، أما إذا عممت وقلت: إن الكون كله هو الله فهذا هو التوحيد عندهم، فالشرك عندهم أن تقول: هناك خالق ومخلوق، لكن إذا قلت: الكون كله هو الله هذا هو التوحيد عندهم فليس هناك خالق ومخلوق، ولذلك هم لا يُكفِّرون أحداً، لا يكفرون فرعون ولا يكفرون إبليس ولا يكفرون كل مشرك لأنهم كلهم يعبدون الله بزعمهم، ولهذا يقول أحدهم: عَقَدَ الْخَلَائِقُ فِي الْإِلَهِ عَقِيدَةً وَأَنَا اعْتَقَدْتُ جَمِيعَ مَا اعْتَقَدُوهُ

قالوا وما عبدوا سواه وإنما
ضلُّوا بما خَصُّوا من الأعيان^(١)
ولو أنَّهم عمُّوا وقالوا كُلُّها
معبودةٌ ما كان من كُفران^(٢)
فالكفرُ سترٌ حقيقةً المعبودِ بالث
تَخْصِيصِ عندَ مُحَقِّقِ ربَّاني^(٣)
قالوا ولم يكُ كافراً في قوله
أنا ربُّكُمْ فرعونُ ذو الطغيانِ
بل كان حقاً قوله إذ كان عَيْدَ
نَ الحَقِّ مضطلعاً بهذا الشانِ
ولذا غدا تَغْرِيقُهُ في البحرِ تط
هِيراً من الأوهام والحُسبانِ^(٤)

-
- (١) يعني كونهم خصصوا شيئاً معيناً يعبدونه دون غيره، هذا هو الضلال ولو
أنهم عبدوا كل الموجودات صاروا موحدين .
- (٢) لو قالوا: كل من عبد شيئاً فإنما عبد الله صار هذا عندهم هو التوحيد .
- (٣) المُحَقِّقِ الرباني عندهم هو الذي يقول: كل المعبودات هي الله،
والمنحرف عندهم هو الذي يقول: لا إله إلا الله .
- (٤) قال أصحاب وحدة الوجود: إن فرعون مصيب في ادِّعائه الربوبية لأنه هو
جزء من هذا الكون فهو غير غالط حين قال: «أنا ربكم» ولذلك طَهَّرَهُ اللهُ
بالماء تطهيراً؛ لأنه خصص العبادة بشخصه فقط، فالله طَهَّرَهُ بالماء من =

قالوا ولم يك منكراً موسى لِمَا

عبدوهُ من عجلٍ لذي الخَورانِ^(١)

إلاّ عليّ من كان ليس بعبادٍ

معهم وأصبح ضيقَ الأعطانِ^(٢)

ولذاك جرّاً بلحيةِ الأخِ حيثُ لم

يَكُ واسعاً في قومه لبطانِ

بل فرّق الإنكارَ منه بينهم

لَمَّا سرّى في وهمِهِ غيرانِ

= هذا القول حيث ظن أنه وحده هو الرب وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] ولو قال: كل شيء هو ربكم صار موحداً، لذلك لما غلط طهره الله وغسله فتغريقه ليس تعذيباً له بل تطهير له لأنه خصّ الربوبية بشخصه فقط.

(١) يقولون: إنما أنكر موسى على هارون، ولم ينكر على بني إسرائيل حين عبدوا العجل، بل أنكر على هارون وأخذ برأسه يجره إليه، لأن هارون أنكر عليهم الحق، وكان الواجب أن يسكت ولا ينكر عليهم؛ لأن عبادتهم العجل هي التوحيد، فهم قلبوا الحقيقة وجعلوا هارون هو المخطيء وجعلوا عبدة العجل مُصيبين، ولما قال السامري: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسَى﴾ [طه: ٨٨] كان على صواب في هذا، وإنما الذي غلط هو هارون حيث أنكر عليهم، ولذلك عاقبه موسى وأخذ يجره إليه.

(٢) يقولون: هارون ضيق عطن لا يفهم، ولو أنه اتسع فكره ورأيه لقال: هؤلاء مصيبون لأنهم ما عبدوا إلا الله، لأن العجل هو الله.

ولقد رأى إبليسَ عارِفُهُمْ فَأَه

سوى بالسجود هَوِيَّ ذِي خُضْعَانٍ^(١)

قالوا له ماذا صنعت؟ فقال: هل

غَيْرُ الإِلهِ وَأَنْتُمْ أَعْمِيَانِ؟^(٢)

ما تَمَّ غَيْرٌ فَاسْجُدُوا إِنْ شِئْتُمْ

لِلشَّمْسِ وَالْأَصْنَامِ وَالشَّيْطَانِ^(٣)

فَالْكَلُّ عَيْنُ اللَّهِ عِنْدَ مُحَقِّقِي

وَالْكَلُّ مَعْبُودٌ لَذِي عِرْفَانٍ^(٤)

هذا هو المعبودُ عندهم فقل

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ^(٥)

(١) يقول: إنَّ واحداً من طائفة ابن عربي لما رأى إبليس سجد له، فأنكر

عليه إبليس فقال: لماذا سجدت؟ قال: «لأنك أنت الرب» عملاً بمذهب

الموحدة لأن إبليس من هذا الوجود فهو الرب.

(٢) سأله: لماذا سجدت لإبليس؟ قال: هل سجدت لغير الإله، لأن إبليس

عنده هو الإله، لأنه من هذا الكون.

(٣) لأن هذه الأشياء من الوجود الذي هو الله عندهم.

(٤) ما يكون محقق عندهم إلا إذا رأى أن هذا الكون كله هو الله، وأنه ليس

فيه انقسام، فالذي يرى أنَّ فيه انقساماً ليس بمُحَقِّق.

(٥) يعني إذا عرفت هذا المذهب وإغراقه في الكفر والضلال فإنه يجب

عليك أن تُنزه الله عن هذا القول، وأن تخاف أيضاً أن تضل مثل ما

ضلُّوا، وتُصاب بفساد الفطرة والعقيدة والقلب، لأن هؤلاء آدميون ولهم =

يا أمةً معبودها موطوؤها

أينَ الإلهُ وثغرةُ الطَّعَانِ (١)

يا أمةً قد صارَ مِن كُفْرانها

جزءٌ يسيرٌ جملةَ الكُفْرانِ (٢)

* * *

= عقول ومعارف ولهم علوم ولهم ذكاء ولكنهم - والعياذ بالله - انسلخوا

من فطرتهم وعقولهم ووصلوا إلى هذا الحضيض مع أنهم من بني آدم.

(١) يرد رحمه الله على أهل وحدة الوجود يقول: معبودكم الذي تطؤونه

بالجماع، الزوج والزوجة كلهم رب، فالزوجة رب ومع ذلك يطؤها

وهي ربه، ويأكل الطعام وهو رب.

(٢) يقول: كفر أهل الأرض يسير عند كفر أهل وحدة الوجود.

فصل

في قُدومِ رَكْبِ آخَرَ

وَأَتَى فَرِيْقٌ ثَمَّ قَالَ وَجَدْتُهُ

بِالذَاتِ مَوْجُوداً بِكُلِّ مَكَانٍ

هُوَ كَالهَوَاءِ بَعِيْنِهِ لَا عَيْنُهُ

مَلَأَ الْخَلَاءَ وَلَا يُرَى بَعِيَانٍ

وَالْقَوْمُ مَا صَانُوهُ عَنِ بئْرِ وَلَا

قَبْرِ وَلَا حُشٍّ وَلَا أُعْطَانٍ^(١)

(١) لما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله مذهب الاتحادية «جماعة ابن عربي» الذين يقولون: إنَّ الله هو هذا الكون كلُّه ذكر مذهب الحلولية الذين يقولون: إن الله ليس هو الكون ولكنه حالٌّ في مخلوقاته لذلك سمَّوا بالحلولية، ولما سُئلوا: كيف يكون حالاً في مخلوقاته، وهل يُتصوَّر هذا؟ قالوا: إنه يكون كالهواء لا يُرى، وهو موجود، أو كالروح في البدن، يتحرك ويحيا بها وهي لا تُرى فيمكن هذا، كما تحل الروح في البدن وهي لا تُرى ويحل الهواء في هذا الكون وهو لا يُرى كذلك الله في زعمهم - تعالى الله عمَّا يقولون - إنَّ الله في هذا الكون حالٌّ فيه - وهم على قسمين:

القسم الأول: حلولية جزئية يقولون: إن الله ليس حالاً في كل الأشياء ولكنه يحل في بعض الأشياء مثل حلوله في المسيح عند النصراني، ومثل الحلّاج الذي يزعم أنَّ الله حالٌّ فيه، ويزعمون أن كل من وصل إلى مرتبة في التصوف (عينوها ووضعوا لها شروطاً)، من وصل إلى هذه المرتبة فإنه يكون محلاً للربِّ «يحلُّ فيه» حلولية جزئية. =

بَلْ مِنْهُمْ مَنْ قَدْ رَأَى تَشْبِيهَهُ

بِالرُّوحِ دَاخِلَ هَذِهِ الْأَبْدَانِ

مَا فِيهِمْ مَنْ قَالَ: لَيْسَ بِدَاخِلٍ

أَوْ خَارِجٍ عَنِ جَمَلَةِ الْأَكْوَانِ

لَكِنَّهُمْ حَامُوا عَلَى هَذَا وَلَمْ

يَتَجَسَّرُوا مِنْ عَسْكَرِ الْإِيمَانِ

وَعَلَيْهِمْ رَدُّ الْأُمَّةِ أَحْمَدٌ

وَصِحَابُهُ مِنْ كُلِّ ذِي عِرْفَانٍ^(١)

القسم الثاني: أما الحلولية العمومية فيقولون: إن الله حالٌّ في كلِّ مكانٍ من هذا الكون، فردَّ عليهم ابن القيم رحمه الله: إنكم ما نزهتموه عن الحلول في الحشوش وعن المحللات النجسة والقاذورات - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - فإذا كان حالاً في كل مكان فمعناه: أنه يحل حتى في الأشياء النجسة والقدرة ولا يُنزهون الله تعالى فهل بعد هذا الكفر كفر؟

(١) يقول: إن قول الحلولية هذا مع شناعته أخف من قول الجهمية الذين يقولون: إن الله ليس بداخل الأكوان ولا خارجها، هذا أشد في الكفر لأن معناه: أنه معدوم، وهؤلاء يقولون: إنه موجود ولكنه حالٌّ في المخلوقات، لكن الجهمية - وسيأتي ذكر مذهبهم - يقولون: لا داخل العالم ولا خارج العالم، إذن أين هو إنه «معدوم» وقصد الشيخ: إن الحلولية أخف كفرة من الجهمية.

فَهُمُ الْخُصُومُ لِكُلِّ صَاحِبِ سُنَّةٍ
 وَهُمْ الْخُصُومُ لِمُنْزِلِ الْقُرْآنِ
 وَلَهُمْ مَقَالَاتٌ ذَكَرْتُ أُصُولَهَا
 لَمَّا ذَكَرْتُ الْجَهْمَ فِي الْأَوْزَانِ^(١)

* * *

(١) وقد رد الأئمة على الجهمية وبينوا بطلان مذهبهم مثل رد الإمام أحمد عليهم في كتابه الرد على الجهمية وهو مطبوع.

فصل

في قدوم ركب آخر

وأتى فريقٌ ثم قاربَ وصفهُ

هَذَا وَلَكِنْ جَدًّا فِي الْكُفْرَانِ

فَأَسَرَّ قَوْلَ مُعْطَلٍ وَمُكَذِّبٍ

فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ

إِذْ قَالَ لَيْسَ بِدَاخِلٍ فِينَا وَلَا

هُوَ خَارِجٌ عَنِ جَمَلَةِ الْأَكْوَانِ

بَلْ قَالَ لَيْسَ بِبَائِنٍ عَنْهَا وَلَا

فِيهَا وَلَا هُوَ عَيْنُهَا بَيِّنَانِ

كَلَّا وَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى

وَالْعَرْشُ مِنْ رَبِّ وَلَا رَحْمَنٌ (١)

(١) هذا هو مذهب الجهمية قالوا: إنه لا داخل الأكوان ولا خارج الأكوان فهم أشد كفراً من الحلولية، لأن الحلولية أثبتوا وجود الرب إلا أنهم قالوا: إنه حالٌّ في مخلوقاته، وهؤلاء قالوا: إنه ليس في مخلوقاته ولا في خارجها، فمعنى هذا أنهم أشد كفراً لأن هذا معناه، أن الذي لا هو داخل العالم ولا خارجه يكون معدوماً.

والعرشُ ليس عليه معبودٌ سوى الـ
 عَدَمِ الذي لا شيءَ في الأعيانِ
 بل حَظُّهُ مِنْ رَبِّهِ حَظُّ الثَّرِيِّ
 مِنْهُ وَحَظُّ قَوَاعِدِ البُنْيَانِ
 لو كان فوقَ العرشِ كان كهذه الـ
 أجسامِ سُبْحَانَ العَظِيمِ الشَّانِ (١)
 ولقد وجدتُ لفاضلٍ مِنْهُمْ مَقَاماً
 مَا قَامَهُ فِي النَّاسِ مِنْذُ زَمَانِ
 قال: اسمعوا يا قومُ إن نبيَّكُمْ
 قد قال قولاً واضحَ البرهانِ
 لا تحكُموا بالفضلِ لي أصلاً على
 ذي النونِ يُونسَ ذلك الغضبانِ

(١) هذه شبهتهم: قالوا: لو أثبتنا أنه فوق العرش لكان جسماً وهو مُنَزَّهٌ عن الجسم، فنقول لهم: هو فوق العرش سبحانه وتعالى ولا يلزم من هذا أن يكون جسماً، فالجسم لم يُثبته الله ولم ينفه، فنحن لا نُثبته ولا ننفيه، لأننا ندور مع الكتاب والسنة وليس فيهما لا نفي للجسم ولا إثبات للجسم، فنحن لا نُثبته ولا ننفيه وإنما نقول: إن الله فوق العرش كما أخبر بذلك عن نفسه، ومذهب الجهمية اعتنقهُ الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة، كلُّ نَحْوِ مَنْحَى الجهمية فأخذ من هذا المذهب بنصيب فمقلِّدٌ ومستكثر، وشيوخهم هم الجهمية، لكن أتباعهم تَقَسَّمُوا هذا المذهب وكلُّ أخذ منه ناحية.

هذا يردُّ على المُجَسِّمِ قوله

اللهُ فوقَ العرشِ والأكوانِ

ويدلُّ أنَّ إلهنا سبحانه

وبحمده يُلفى بكلِّ مكانٍ^(١)

(١) هذا واحد من زعمائهم، يُقال: إنه أبو المعالي الجويني، استدل لمذهبه الذي يسير على مذهب الجهمية بدليل مُضحك وهو أن الرسول ﷺ قال: «لا تفضلوني على يونس بن متى»^(*) وهذا يدل على نفي الاستواء وعلى نفي العلو قالوا له: كيف ذلك؟

قال: لأن يونس بن متى كان في عمق بطن الحوت في البحار، والنبي ﷺ عُرِجَ به إلى السماء، وصار فوق السماء السابعة ومع ذلك لا تفاضل بين محمد الذي فوق السماء السابعة ليلة المعراج ولا بين يونس الذي كان في عمق البحار، كلهم بالقرب إلى الله سواء، فدلَّ على أن الله في كلِّ مكان ما دام أن يونس «الغضبان» الذي ذهب مغاضباً كما ذكر الله عنه، فالتقمه الحوت، وأصبح في قعر البحر، قريب من الله مثل محمد ﷺ وهو فوق السبع الطباق.

وهو استدلالٌ مُضحك في الحقيقة، فإن قصد النبي ﷺ في قوله: «لا تفضلوني على يونس» أن النبي ﷺ لا يريد التفضيل بين الأنبياء من =

(*) أخرجه البخاري (٣٤١٦) بنحوه عن أبي هريرة ولفظه: «لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»، ومسلم (٢٣٧٦)، وهو في «مسند أحمد» ١٥/١٤٥ (٩٢٥٥)، وانظر «جامع الأصول» ٨/٥١٧-٥١٩ (٦٣١١-٦٣١٤).

وأخرجه البخاري (٢٤١٥) من حديث أبي هريرة بلفظ: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»، وهو عند مسلم (٢٣٧٣).

= باب العصبية؛ لأن هذا يؤدّي إلى النزاع والتفاخر، فلا يجوز التفضيل الذي يؤدّي إلى النزاع والتفاخر، وإلا فلا شك أن محمداً ﷺ أفضل النبيين، وأنه أفضل من يونس عليه السلام وأفضل من غيره، لكن الرسول لا يريد العصبية ولا يريد الفخر؛ لأن الناس يختصمون، كلُّ يقول: نبينا أفضل من نبيكم، وهذا لا يجوز، ولما فيه من تنقص المفضول، ولما كان أحد الصحابة تخاصم مع أحد اليهود في محمد وموسى كليم الله أيُّهم أفضل؟ غضب النبي ﷺ وقال: «لا تُفاضلوا بين الأنبياء»(*) فالتمييز الذي مصدره الفخر والعصبية لا يجوز، أمّا أن الأنبياء بعضهم أفضل من بعض فهذا ممّا لا شك فيه، قال تعالى: ﴿تِلْكَ أَلْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ الآيّة [البقرة: ٢٥٣] فلا شك أن الأنبياء بعضهم أفضل من بعض عليهم السلام، ولكن هذا لا يقتضي نقيصة المفضول منهم عليهم الصلاة والسلام، فإذا كان تفضيله من باب الافتخار وتنقص المفضول فهذا حرام وقد يكون كفراً، أمّا إذا كان التفضيل من باب التحدّث بنعمة الله وبيان مراتب الأنبياء من غير تعصب ومن غير تفاخر ومن غير تنقص للمفضول، فهذا لا بأس به، لأن الله أخبر بذلك فقال: ﴿تِلْكَ أَلْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] والنبي ﷺ يقول: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»(**) هذا من باب التحدّث بنعمة الله عز وجل. والله جلّ وعلا =

(*) أخرجه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣) (١٥٩) من حديث أبي هريرة.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٣٠/٤ (٢٥٤٦) من حديث ابن عباس و١٧/١٠

(١٠٩٨٧) من حديث أبي سعيد الخدري وهو حديث صحيح لغيره. انظر تمام

تخريجه وتنقيده في «المسند».

قالوا له يَبِّنْ لنا هذا فلمْ

يفعل فأعطوه من الأثمانِ

يقول لمحمد ﷺ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] يحمدُهُ الأولون والآخرون، فالترفضيل الذي هو من باب التحدث بنعمة الله وبيان مراتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من غير افتخار ومن غير تنقص للمفضول لا بأس به، أمّا ما كان عكس ذلك فإنه لا يجوز، فمراد النبي ﷺ بقوله: «لا تفضلوني على يونس بن متى» هو نفي التفاخر ونفي تنقص المفضول، فإن يونس عليه السلام جرى عليه امتحان ﴿قَالَتْقَمَةُ أَلْحُوتُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الصافات: ١٤٢] يعني آت بما يُلام عليه، قال: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فامتنح عليه الصلاة والسلام، ولكنه تاب إلى الله عز وجل ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّا أَنْتَ سُبْحَانُكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] والتائب إذا تاب من الذنب فهو كمن لا ذنب له، وتكون حاله بعد التوبة أحسن من حاله قبل الوقوع في الذنب، فالعبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية، فلا يقع في خاطر مؤمن تنقص ليونس عليه السلام، فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أكمل الخلق ولا يجوز تنقصهم وإن حصل لبعضهم بعض الامتحان، فإن هذا لا يقتضي تنقصه ولا ذمه أو الكلام فيه، لأن هذا كفر. من تنقص أحداً من الأنبياء كفر.

هذا هو مراد النبي ﷺ، فليس مراده ما يقوله هذا الضال من نفي العلو، وأن الله في كل مكان. هذا زعم باطل.

وقوله: «يونس ذلك الغضبان» أخذاً من قوله تعالى: ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧] غضب على قومه ولم يصبر.

ألفاً من الذهب العتيق فقال في
تبيانه فاسمع لئذا التبيان
قد كان يونس في قرار البحر تح
ت الماء في قبر من الحيتان
ومحمد صعد السماء وجاوز السد
سبع الطباق وجاز كل عنان
وكلاهما في قريب من ربه
سبحانه إذ ذاك مستويان
فالعلو والسفل اللذان كلاهما
في بعده من ضده طرفان
إن ينسب الله نزهة عنهما
بالإختصاص بلى هما سيان
في قرب من أضحى مقيماً فيهما
من ربه فكلاهما مثلان
فلأجل هذا خص يونس دونهم
بالذكر تحقيقاً لهذا الشأن^(١)

(١) يقول هذا الرجل: إن قصد الرسول ﷺ في هذا الحديث نفي العلو وأن الله في كل مكان وأنه قريب من يونس وهو في قعر البحر وقريب من محمد وهو في السبع الطباق، فدل على أنه في كل مكان، هذا نظره، وكذب على الرسول ﷺ حيث زعم أن هذا هو قصد الرسول من هذا الحديث فانظر كيف يفعل الضلال بأصحابه.

فَأَتَى النَّارَ عَلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ

مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِلا حُسْبَانٍ (١)

فَاحْمَدُ إِلَهَكَ أَيُّهَا السَّنِيُّ إِذْ

عَافَاكَ مِنْ تَحْرِيفِ ذِي بَهْتَانٍ (٢)

وَاللَّهُ مَا يَرْضَى بِهَذَا خَائِفٌ

مِنْ رَبِّهِ أَمْسَى عَلَى الْإِيمَانِ

هَذَا هُوَ الْإِلْحَادُ حَقًّا بَلْ هُوَ الْ

تَّحْرِيفُ مَحْضًا أَبْرَدَ الْهَذْيَانِ

وَاللَّهُ مَا بُلِيَ الْمُجَسِّمُ قَطُّ ذِي الْ

بَلَوَى وَلَا أَمْسَى بِذِي الْخِذْلَانِ (٣)

أَمْثَالُ ذَا التَّأْوِيلِ أَفْسَدَ هَذِهِ الْ

أَذْيَانَ حِينَ سَرَى إِلَى الْأَذْيَانِ

(١) لَمَّا فَسَّرَ لَهُمْ هَذَا التَّفْسِيرَ، أَعْطَوْهُ زِيَادَةً عَلَى الْأَلْفِ الَّذِي طَلَبَ وَنَثَرُوا عَلَيْهِ النِّقُودَ نَثْرًا، لِأَنَّهُمْ فَرَحُوا بِهَذَا الضَّلَالِ.

(٢) فَأَتَى أَيُّهَا السَّنِيُّ أَحْمَدُ إِلَهَكَ الَّذِي عَافَاكَ مِنْ هَذَا الْإِبْتِلَاءِ:

١ - هَذَا الْإِعْتِقَادُ الْكَافِرُ: وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

٢ - تَحْرِيفُهُ لِلنُّصُوصِ وَكَذِبُهُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ.

(٣) هُمْ يَسْمُونَ السَّنِيَّ «مُجَسِّمًا» لِأَنَّهُ يَعْتَقِدُ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ لِأَنَّ عِنْدَهُمْ، أَنَّ

الصِّفَاتِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلْجِسْمِ وَاللَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ، فَمِنْ أَثْبَتَ الصِّفَاتِ فَهُوَ

مُجَسِّمٌ.

والله لولا الله حافظُ دينه

لتهدمت منه قوى الأركان^(١)

* * *

(١) يعني مع هذه الضلالات وهذه التحريفات وهذه التهويلات، الله تعالى حافظ دينه الذي يتمثل باتباع الكتاب والسنة ومذهب السلف الصالح؛ لأن هذه الأصول محفوظة من دخول التحريف إليها، وإنما هذه التحريفات باقية عند أهلها، كاسدة في أيديهم، لم تُقبل - والحمد لله - إلا من أمثالهم، أما أهل الحق فإنهم ثابتون، على ما جاء به الرسول ﷺ والله قد حفظ كتابه وسنة نبيه ﷺ، وحفظ منهج السلف الصالح من دخول هذه التحريفات؛ لأنها لو دخلتها هذه التأويلات تهدمت، ولكن والحمد لله لم تدخلها لأن عليها حُرَّاساً وحفظة من جند الله عز وجل.

فصل

في قدوم ركبٍ آخر

وَأَتَى فَرِيقٌ ثَمَّ قَارِبٌ وَصَفَهُ

هَذَا وَزَادَ عَلَيْهِ فِي الْمِيزَانِ

قَالَ اسْمَعُوا يَا قَوْمُ لَا تُتْلِيكُمْ

هَذَا الْأَمَانِي هُنَّ شَرٌّ أَمَانِي (١)

أَتَعَبْتُ رَاحِلَتِي وَكَلَّتُ مُهْجَتِي

وَبَذَلْتُ مَجْهُودِي وَقَدْ أَعْيَانِي (٢)

فَتَشَّتُ فَوْقَ وَتَحْتَ ثَمَّ أَمَامَنَا

وَوَرَاءَ ثَمَّ يَسَارَ مَعَ أَيَّمَانِ

(١) هذا الركب جاء وقال: أنا طوّفت في الآفاق أبحث عن الرب سبحانه

وتعالى ولم أجد أقوالكم هذه صحيحة لا قول الجهمية ولا قول

الحلولية، كلها ليس لها أصل، بل هي باطلة، ما وجدت أقرب إلى الحق

إلا قول أهل السنة، فلما قال هذه المقالة أنكروا عليه وصاحوا به وقالوا

له: لا تعتقد هذا، هذا كفر وضلال، فعند ذلك قال: أنا على دين الفلاسفة

وأتحلل من الأديان، إذا أنتم لم تقبلوا مذهب أهل السنة والجماعة.

وأقوالكم كلها باطلة، فأنا أتحلل من الأديان كلها وأصير بلا دين،

أحسن لي من أني أعتقد اعتقادكم، الذي ليس فيه إلا التناقض والهديان.

(٢) يقصد بذلك: أنه تصوّر المقالات كلها والمذاهب كلها ولم يجد فيها

حقاً إلا قول أهل السنة والجماعة الذي يعتمد على الكتاب والسنة.

ما دلّني أحدٌ عليه هُنَاكُمْ
 كَلَّا وَلَا بَشْرٌ إِلَيْهِ هَدَانِي
 إِلَّا طَوَائِفُ بِالْحَدِيثِ تَمَسَّكْتُ
 تُعْزِي مَذَاهِبُهَا إِلَى الْقُرْآنِ
 قَالُوا الَّذِي تَبْغِيهِ فَوْقَ عِبَادِهِ
 فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ^(١)
 وَهُوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
 لَكِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْأَكْوَانِ^(٢)
 وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ كُلُّ قَوْلٍ طَيِّبٍ
 وَإِلَيْهِ يُرْفَعُ سَعْيُ ذِي الشُّكْرَانِ
 وَالرُّوحُ وَالْأَمْلاكُ مِنْهُ تَنْزَلَتْ
 وَإِلَيْهِ تَعْرُجُ عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ
 وَإِلَيْهِ أَيْدِي السَّائِلِينَ تَوَجَّهَتْ
 نَحْوَ الْعُلُوِّ بِفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ

(١) يعني: أن أهل السنة والجماعة قالوا: الذي تبحث عنه هو الذي فوق السماء.

(٢) استوى على العرش، بمعنى ارتفع وعلا عليه، واستولى على الأكوان بمعنى أن كل الأكوان في قبضته وملكه، أما العرش فلا يقال استولى عليه، وإنما يقال استوى عليه، أي: علا وارتفع عليه، أما الأكوان فيقال: استولى عليها فهناك فرق بين الاستواء على العرش والاستيلاء على الأكوان.

وإليه قد عرج الرسول فقدّرت

من قريبه من ربه قوسان

وإليه قد رُفع المسيح حقيقةً

ولسوف ينزل كي يرى بعيان^(١)

وإليه تصعد رُوح كل مُصدّق

عند المماتِ فتثني بأمان^(٢)

(١) قال الله تعالى للمسيح: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] ﴿بَلْ

رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وقول الشيخ: «حقيقة» ردُّ على الذين

يقولون: رُفع روحه وأما جسمه فُدْفِن في الأرض، وهذا كذب وباطل

لأن قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ يقتضي رفع روحه وجسمه عليه

الصلاة والسلام، وأنه رُفع حياً، وأنه سينزل في آخر الزمان ونزوله من

علامات الساعة ثم يموت بعد ذلك ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ

مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] يعني في آخر الزمان، فدلَّ على أنه يموت في آخر

الزمان، أما التوفي الذي ذكره الله فليس هو الموت، وإنما هو القبض أو

النوم. والناظم رحمه الله لما ذكر العلو ذكر أدلته.

(٢) أرواح المتوفين إن كانت أرواح مؤمنين فإنها تُرفع إلى السماء، ثم إن الله

جلَّ وعلا يقول: «أعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم،

ومنها أخرجهم»^(*) فينزل إلى الأرض مكرماً، ويكون في نعيم في القبر

مُعززاً مكرماً إلى البعث، لكن روحه تصعد إلى ربها عز وجل، ثم يأمر الله =

(*) قطعة من حديث البراء بن عازب، أخرجه أحمد في «المسند» ٤٩٩/٣٠ (١٨٥٣٤).

وإليه آمالُ العبادِ توجَّهَتْ

نحو العلوِّ بلا تواصلٍ ثانٍ^(١)

بلْ فِطْرَةَ اللَّهِ التي لم يُفْطَرُوا

إلاَّ عليها الخَلْقُ والثَّقَالانِ

ونظيرُ هذا أنهم فُطِرُوا على

إقرارِهِم لا شكَّ بالدَيانِ^(٢)

لكن أولُو التعطيلِ منهم أصبحُوا

مرضىً بداءِ الجهلِ والخِذلانِ^(٣)

فسألت عنهم رُفقتي وأحبتي

أصحابَ جَهْمِ حِزْبِ جِنكيزخانِ^(٤)

= بنزولها إلى الأرض فتكون في الأرض في القبر مع صاحبها، أما أرواح الكفار - والعياذ بالله - فإنها لا تفتح لها أبواب السماء كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ٤٠] وإنما تطرح ويذهب بها إلى سجين ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧].

(١) هذا دليل الفطرة على علو الله؛ لأن كل الناس إذا دعوا يتوجهون إلى جهة العلو بدون تواصل، أي: بأن يكون أحد علمهم، فالعوام والبادية وكل الجهال والعلماء كلهم يتوجهون إلى السماء.

(٢) كما أنهم فُطِرُوا على الإقرار بالخالق فإنهم فُطِرُوا على أنه في السماء.

(٣) أهل التعطيل أصل فطرتهم سليمة، لكن غيَّرت وحُرِّفت بسبب التعطيل والعقائد الباطلة التي هي مرض عرض لها واستمر معها حتى غيرها.

(٤) هذا الراكب يقول: سألت عن هذه الطائفة التي تعتقد هذا الاعتقاد أن الله فوق العرش، وأنه في السماء، وأن الأدلة على علوه هي ما ذكر، سأل =

مَنْ هَؤُلَاءِ، وَمَنْ يُقَالُ لَهُمْ فَقَدْ

جَاؤُوا بِأَمْرِ مَالِيءِ الْأَذَانِ^(١)

وَلَهُمْ عَلَيْنَا صَوْلَةٌ مَا صَالَهَا

ذُو بَاطِلٍ بَلْ صَاحِبُ الْبِرْهَانِ^(٢)

أَوْ مَا سَمِعْتُمْ قَوْلَهُمْ وَكَلَامَهُمْ

مِثْلَ الصَّوَاعِقِ لَيْسَ ذَا لِحْيَانِ^(٣)

جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَأْتَيْتُمْ

مِنْ تَحْتِهِمْ مَا أَنْتُمْ سِيَّانِ^(٤)

= الجهمية عن هذه الطائفة، والجهمية هم الذين على مذهب جهم، فالجهمية على اعتقاد التتار.

(١) يقول السائل: أعجبنى هؤلاء يعني أهل السنة وأخذوا بقلبي باستدلالتهم لأنها استدالات تقبل بها العقول السليمة، أما أنتم فكلامكم لا يدخل العقل فمن هؤلاء؟

(٢) يقول السائل: إن استدلال أهل السنة وحججهم مبنية على أصول صحيحة وإذا صالوا علينا لا نستطيع دفعهم، ولو أنهم أهل باطل ما صاروا بهذه القوة فهم أهل حق.

(٣) كلامهم قوي، وما يكون هذا الكلام لحيان أبداً هذا ما يكون إلا لشجاع صاحب حق.

(٤) يقول السائل للجهمية هم فوقكم بأدلتهم، وأنتم أسفل منهم بحججكم الباطلة، فلستم متكافئين أنتم وإياهم، فهم جاؤوا بالوحي وأنتم جئتم بأفكار بشر.

جاؤوكم بالوحي لکن جئتُم
 بِنُحَاتَةِ الْأَفْكَارِ وَالْأَذْهَانِ
 قَالُوا مَشَبَّهُةٌ مَجْسَمَةٌ فَلَا
 تَسْمَعُ مَقَالَ مُجَسِّمِ حَيَوَانٍ^(١)
 وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا وَاغْرُزُهُمْ
 بِعَسَاكِرِ التَّعْطِيلِ غَيْرَ جَبَانَ
 وَاحْكُمْ بِسَفْكِ دِمَائِهِمْ وَبِحَبْسِهِمْ
 أَوْ لَا فَشَرِّدْهُمْ عَنِ الْأَوْطَانِ^(٢)
 حَذَّرُ صِحَابِكَ مِنْهُمْ فَهَمْ أَضَلُّ
 لُ مِنْ الْيَهُودِ وَعَابِدِي الصُّلْبَانِ^(٣)

(١) هذا جواب الجهمية للسائل أجابوا بالأقبل من هؤلاء، هؤلاء مجسمة مشبهة لأنهم يثبتون الصفات لله عز وجل، وإثبات الصفات تشبيهه وتجسيمه.

(٢) هذه عادة المفلس من الحجة يلجأ إلى القوة، فالمفلس إذا لم يكن عنده حجج وبراهين، فإنه يلجأ إلى التهديد فقط، مثل ما قال فرعون: ﴿قَالَ لَيْنِ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩] فالجهمية لما لم يملكو دليلاً يردون به على هذا الذي يسألهم لجؤوا إلى هذا التهديد فقط.

(٣) أي: حذر أهل بلدك من أهل السنة، لأن الجهمية ما عندهم غير السب والشتم، وهذه عادة المفلس من الأدلة، إن كان يقدر على البطش بطش، وإن كان لا يقدر فليس عنده إلا السب والشتم والكلام البديء.

وَاحْذَرُ تُجَادِلُهُمْ بِقَالَ اللهُ أَوْ

قَالَ الرَّسُولُ فَتَنْثِي بِهِوَانِ^(١)

أَتَى وَهَمٌ أَوْلَى بِهِ قَدْ أَنْفَذُوا

فِيهِ قُوَى الْأَذْهَانَ وَالْأَبْدَانَ^(٢)

فَإِذَا ابْتَلَيْتَ بِهِمْ فَغَالَطُهُمْ عَلَى التَّ

تَأْوِيلِ لِلْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

وَكَذَاكَ غَالَطُهُمْ عَلَى التَّكْذِيبِ لَدَّ

أَحَادِ ذَانِ لِصَحْبِنَا أَصْلَانِ

أَوْصَى بِهَا أَشْيَاخُنَا أَشْيَاخُهُمْ

فَاحْفَظْهُمَا بِيَدَيْكَ وَالْأَسْنَانَ^(٣)

وَإِذَا اجْتَمَعْتَ وَهَمٌ بِمَشْهَدِ مَجْلِسِ

فَابْذَرِ بِإِيرَادِ وَشُغْلِ زَمَانِ^(٤)

(١) يقولون: لا تجادل أهل السنة بأدلة الشرع لأنهم أعلم منك بها، إن جادلتهم بالقرآن والسنة خصموك، لأنهم أعلم منك بالكتاب والسنة، لكن خصمهم باللجاج ولا تجعل لهم مجالاً، فإذا جلست معهم فإدر أنت وتكلم، لأنك لو سكت بدؤواهم وسدوا عليك الطريق، لكن ابدأ أنت أولاً حتى تسد عليهم الطريق واشغل المجلس حتى لا يكون لهم مجال، هذه طريقة المبطلين لا يريدون سماع الحق.

(٢) يقول الجهمي عن أهل السنة: إنهم متخصصون بالكتاب والسنة، فلا تجادلهم فيما هو من اختصاصهم لكن جادلهم بالعقليات والجدليات.

(٣) هذه وصية أشياخهم لهم في التعامل مع أدلة الشرع وبثت الوصية.

(٤) يقول: لا تترك لأهل السنة مجالاً للكلام، لأنهم إذا تكلموا خصموك.

لا يملكوه عليك بالآثارِ وألُّ
 أَخْبَارِ وَالتَّفْسِيرِ لِلْفُرْقَانِ
 فَتصِيرَ إِنْ وافقتَ مثلَهُمْ وَإِنْ
 عارضتَ زنديقاً أخوا كُفرانِ^(١)
 وإذا سكتَ يُقالَ هذا جاهلٌ
 فابْدُرْ ولو بالفِشْرِ والهديانِ^(٢)
 هذا الذي واللهِ أوصانا به
 أشياخنا في سالفِ الأزمانِ^(٣)
 فرجعتُ من سفري وقلت لصاحبي
 ومطيبي قد آذنتُ بحِيرانِ^(٤)

(١) يقولون: إن وافقت أهل السنة صرتَ مثلهم، وإن خالفتهم صرتَ زنديقاً، فأنت من أجل أن تسلم من هذا لا تجعل لهم مجالاً للكلام، فاشغل المجلس كما قال الكفار من قبل: ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالنَّوْأ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] لأن القرآن يغلب من سمعه.

(٢) الفشر: الكذب، والهديان: الكلام الذي ليس له حقيقة، مثل كلام المجنون.

(٣) هذه حُجة المشركين: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢] وهذا الذي أوصى به أشياخ الجهمية تلاميذهم تشابهت أهواؤهم فتشابهت أقوالهم.

(٤) الجهمية وغيرهم من الفرق لما أن قالوا لهذا الراكب هذا الكلام قال لهم الراكب: كلكم بعيد عن الحق وما دام هؤلاء ما هم على حق، فأنتم أولى ألا تكونوا على حق، إذن ليس هناك دين صحيح، فنرجع للإلحاد =

عَطَّلَ رِكَابَكَ وَاسْتَرَحَّ مِنْ سِيرِهَا
 مَا تَمَّ شَيْءٌ غَيْرُ ذِي الْأَكْوَانِ (١)
 لَوْ كَانَ لِلْأَكْوَانِ رَبٌّ خَالِقٌ
 كَانَ الْمُجَسَّمُ صَاحِبَ الْبِرْهَانِ (٢)
 أَوْ كَانَ رَبٌّ بَائِسٌ عَنْ ذِي الْوَرَى
 كَانَ الْمُجَسَّمُ صَاحِبَ الْإِيمَانِ
 وَلَكَانَ عِنْدَ النَّاسِ أَوْلَى الْخَلْقِ بَالُ
 إِسْلَامٍ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ
 وَلَكَانَ هَذَا الْحِزْبُ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ
 لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ اثْنَانِ
 فَدَعِ التَّكَالِيفَ الَّتِي حُمِّلْتَهَا
 وَاخْلَعْ عِذَارَكَ وَارْمِ بِالْأَرْسَانِ (٣)

= والفلسفة ونعيش بلا شريعة وبلا حلال وبلا حرام؛ لأن كلامكم ما هو بمقبول أبداً، وتقولون: إن كلام أهل السنة، غير صحيح فهذا معناه: أنه لا يصلح شيء في الوجود.

(١) يقول: إنه يلزم على قول الجهمية أنه ليس هناك أديان، ولا رب وإنما هذه الأكوان كائنة من الطبيعة دون خالق.

(٢) يقول: إن كان للأكوان خالق فالذي يسمونه مجسم هو صاحب البرهان ومذهبه هو الصحيح.

(٣) يقول هذا المجادل للجهمي: اترك الشريعة، وتحلل من الأديان إذا لم تقبلوا مذهب الذين تسمونهم مجسمة لأنه هو الصواب.

ما ثمَّ فوقَ العرشِ من ربِّ ولم
 يتكلَّمِ الرحمنُ بالقرآنِ^(١)
 لو كان فوقَ العرشِ ربُّ ناظرٌ
 لزمَ التحيُّزُ وافتقارُ مكانِ^(٢)
 لو كانَ ذا القرآنَ عينَ كلامِهِ
 حرفاً وصوتاً كانَ ذا جُثمانِ
 فإذا انتفى هذا وهذا ما الذي
 يبقى على ذا النفي من إيمانِ
 فدع الحلالَ مع الحرامِ لأهلِهِ
 فهما السياجُ لهم على البستانِ^(٣)
 فاخرقه ثمَّ ادخلْ ترى في ضمِّهِ
 قد هيئتُ لك سائرُ الألوانِ
 وترى بها ما لا يراهُ مُحجَّبٌ
 من كلِّ ما تهوى به زوجانِ

(١) هذا على مذهب الجهمية الذين ينفون الكلام عن الله .

(٢) هذا عند الجهمية، الذين ينفون الكلام عن الله، لأن الكلام عندهم لا يُنسب إلا للجسم، فالله لا يُنسب له الكلام فهو يحكي مذهب الجهمية الذين ينفون كلام الله وعلو الله على عرشه .

(٣) يقول: إنه يلزم على مذهب الجهمية أنه ليس هناك حلال ولا حرام ولا تشريع .

واقطعُ علائقك التي قد قيّدتُ

هذا الوري من سالفِ الأزمانِ

لتصيرَ حرّاً لستَ تحتَ أوامري

كلّاً ولا نهى ولا فرقان^(١)

لكن جعلتَ حجابَ نفسك إذ ترى

فوق السّما للنّاسِ من ديانِ

لو قلتَ ما فوق السّماءِ مُدبّرُ

والعرشِ نُخليه من الرحمنِ

واللهُ ليسَ مُكلّماً لعبادهِ

كلّاً ولا مُتكلّماً بقُـرّانِ

ما قالَ قطُّ ولا يقولُ ولا لهُ

قولٌ بدا منه إلى إنسانِ

لحلّلتَ طلّسمه وفزتَ بكنزهِ

وعلمتَ أن النّاسَ في هديانِ^(٢)

(١) يقول: دع الشريعة لأهل الإيمان الذين يؤمنون برب يتكلم ويأمر وينهى ويثب ويعذب.

(٢) يقول: لو أخذت بمذهب الإلحاد المترتب على مذهب الجهمية لزم عليه أن الشرائع السماوية هديان لا حقيقة لها.

لكن زعمت بأن ربك بائنٌ

من خلقه إذ قلت موجودان^(١)

وزعمت أن الله فوق العرش وال

كُرسِيُّ حَقًّا فَوْقَهُ الْقَدَمَانِ

وزعمت أن الله يسمعُ خلقه

ويراهمُ من فوق سبعِ ثَمَانِ

وزعمت أن كلامه منه بدأ

وإليه يرجعُ آخرَ الأزمانِ

ووصفتهُ بالسَّمْعِ والبَصْرِ الَّذِي

لا ينبغي إلا لذي الجُثمانِ

ووصفتهُ بإرادةٍ وبِقُدْرَةٍ

وكرَاهَةٍ ومحبَّةٍ وحنانِ

وزعمت أن الله يعلمُ كُلَّ ما

في الكونِ من سرٍّ ومن إعلانِ

والعلمِ وصفٌ زائدٌ عن ذاتهِ

عرَضٌ يَقُومُ بِغَيْرِ ذِي جُثْمَانِ

وزعمت أن الله كلَّم عبدهُ

مُوسَى فأسَمَعَهُ نِدا الرَّحْمَنِ

(١) إذا قلت هناك موجودان خالفت مذهب أهل وحدة الوجود مذهب الاتحادية.

أَفْتَسْمَعُ الْآذَانَ غَيْرَ الْحَرْفِ وَالضُّ
 صَوْتِ الَّذِي خُصَّتْ بِهِ الْأُذُنَانِ
 وَكَذَا النِّدَاءُ فَإِنَّهُ صَوْتُ بَإِجْ
 مَاعِ النَّحَاةِ وَأَهْلِ كُلِّ لِسَانٍ
 لَكِنَّهُ صَوْتُ رَفِيعٌ وَهُوَ ضَدُّ
 ذُ لِلنَّجَاءِ كِلَاهِمَا صَوْتَانِ (١)
 فَزَعَمْتُ أَنَّ اللَّهَ نَادَاهُ وَنَا
 جَاهُ وَفِي ذَا الزَّعْمِ مَحْدُورَانِ
 قُرْبُ الْمَكَانِ وَبُعْدُهُ وَالصَّوْتُ بَلْ
 نَوْعَاهُ مَحْدُورَانِ مُمْتَنِعَانِ
 وَزَعَمْتُ أَنَّ مُحَمَّدًا أُسْرِيَ بِهِ
 لَيْلًا إِلَيْهِ فَهُوَ مِنْهُ دَانٍ
 وَزَعَمْتُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَوْمَ اللَّقَا
 يُدْنِيهِ رَبُّ الْعَرْشِ بِالرِّضْوَانِ
 حَتَّى يُرَى الْمُخْتَارُ حَقًّا قَاعِدًا
 مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ الرَّفِيعِ الشَّانِ (٢)

(١) المناجاة: الصوت الخفي، والمناداة: الصوت المرتفع ﴿وَلَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ
 الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَيْنَهُ نَحْيًا﴾ [مريم: ٥٢] اجتمع لموسى عليه السلام مع ربه
 المناجاة والمناداة. وهذا يقوله الجهمي للسني المتمسك بالأدلة.
 (٢) كما ورد ذلك بالحديث أن الله يجلس محمداً على العرش وهو المقام
 المحمود.

وزعمت أن لعرشه أطأ به
 كالرَّحْلِ أَطْ بِرَاكِبِ عَجَلَانٍ^(١)
 وزعمت أن الله أبدى بعضه
 للطَّورِ حَتَّىٰ عَادَ كَالْكُتْبَانِ^(٢)
 لما تجلَّى يومَ تكليمِ الرُّضَا
 مُوسَى الْكَلِيمِ مُكَلِّمِ الرَّحْمَنِ
 وزعمت للمعبودِ وجهاً باقياً
 وَلَهُ يَمِينٌ بَلْ زَعَمْتَ يَدَانِ
 وزعمت أن يديه للسبع العلى
 وَالْأَرْضِ يَوْمَ الْحَشْرِ قَابُضَتَانِ^(٣)
 وزعمت أن يمينه ملأى من الـ
 خَيْرَاتِ مَا غَاضَتْ عَلَى الْأَزْمَانِ^(٤)
 وزعمت أن العدلَ في الأخرى بها
 رَفَعٌ وَخَفْضٌ وَهُوَ بِالْمِيزَانِ

-
- (١) العرش على كبره وعظمه يئط بالرحمن كما يئط الرحل بالراكب، ممّا يدلُّ على عظمة الرب سبحانه وتعالى هذا ورد في الحديث^(*).
- (٢) هذا في قصة موسى وتجلَّى ربُّه للجبل كما في سورة الأعراف.
- (٣) قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] كما في القرآن.
- (٤) قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

(*) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦) من حديث جبير بن مطعم.

وزعمت أن الخلق طُراً عنده

يهترُّ فوق أصابع الرحمن^(١)

وزعمت أيضاً أن قلب العبد ما

بين اثنتين من أصابع عان^(٢)

وزعمت أن الله يضحك عندما

يتقابل الصفان يقتتلان

من عبده يأتي فيدي نحره

لعدوه طلباً لنيل جنان

وكذاك يضحك عندما يثب الفتى

من فرشه لتلاوة القرآن^(٣)

وكذاك يضحك من قنوط عباده

إذ أجذبوا والغيث منهم دان

(١) كما يدل عليه حديث: «إن الله يضع الأرضين على أصبع والجبال على

أصبع ويضع الشجر على أصبع..»^(*) كما أخبر النبي ﷺ.

(٢) كما في حديث: «إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن»^(**).

(٣) كما جاء في الحديث الذي فيه أن الله يضحك إلى عبده عندما يترك

فرائسه ويقوم للصلاة^(***).

(*) أخرجه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦) من حديث عبد الله بن مسعود.

(**) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو في «مسند

أحمد» ١٣٠/١١ (٦٥٦٩).

(***) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٤٧٢ من حديث أبي سعيد الخدري.

وزعمت أن الله يرضى عن أولي الأ
حُسْنَى وَيَغْضِبُ عَنْ أُولِي الْعَصِيَانِ^(١)
وزعمت أن الله يسمع صوته
يَوْمَ الْمَعَادِ بَعِيدُهُمْ وَالِدَانِي
لَمَّا يُنَادِيهِمْ أَنَا الدَّيَّانِ لَا
ظُلْمٌ لَدَيَّ فَيَسْمَعُ الثَّقَلَانِ
وزعمت أن الله يُشْرِقُ نوره
فِي الْأَرْضِ يَوْمَ الْفَصْلِ وَالْمِيزَانِ^(٢)
وزعمت أن الله يكشف ساقه
فِيخْرِزُ ذَاكَ الْجَمْعُ لِلْأَذْقَانِ^(٣)
وزعمت أن يمينه تطوي السما
طَيِّ السَّجِلِ عَلَى كِتَابِ بِيَانِ^(٤)

-
- (١) يعني إثبات صفة الغضب والرضا لله عز وجل كما جاء في الأدلة .
(٢) كما قال تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر: ٦٩].
(٣) يعني إذا كشف الرب ساقه خزا المؤمنون ساجدين لله عز وجل، ويريد
المنافقون أن يسجدوا فلا يستطيعون لأنها تتصلب ظهورهم كما قال
تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [القلم: ٤٢] كما
صح بذلك الحديث^(*) مع الآية المذكورة .
(٤) كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ ﴾ [الأنبياء:
. [١٠٤]

(*) أخرجه البخاري (٤٩١٩) من حديث أبي سعيد الخدري .

وزعمت أن الله ينزل في الدجى

في ثلث ليلٍ آخرٍ أو ثانٍ^(١)

فيقول هل من سائلٍ فأجيبه

فأنا القريبُ أجيبُ من ناداني

وزعمت أن له نزولاً ثانياً

يومَ القيامةِ للقضاءِ الثاني^(٢)

وزعمت أن الله يبدو جَهْرَةً

لعبادِهِ حتى يُرى بعيانٍ^(٣)

بل يسمعونَ كلامَهُ ويرؤنَهُ

فالمُقلتانِ إليه ناظرتانِ

(١) يعني ما جاء في الروایتين من نزوله سبحانه في الثلث الأول والثلث

الأوسط والثلث الأخير، وأكثر الروايات وردت أنه ينزل في الثلث

الأخير، أي: حين يبقى ثلث الليل الآخر^(*)، وفي بعضها «الأوسط».

(٢) كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

(٣) كما صح في الحديث «إنكم سترون ربكم»^(**).

(*) ورد في «صحيح البخاري» (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، و«مسند أحمد» ٢١١/١٦.

(١٠٣١٣) في حديث أبي هريرة ولفظه: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى

السماء الدنيا... الحديث.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٥٢٦/٣١ (١٩١٩٠)، والبخاري (٥٥٤)، ومسلم

(٦٣٣) (٢١١) و(٢١٢).

وزعمت أنّ لربّنا قدماً وأنّ

نَ اللهُ واضعُها على النيرانِ (١)

فهناك يدنو بعضها من بعضها

وتقولُ قطُّ قطُّ حاجتي وكفاني

وزعمت أن الناسَ يومَ مزيدهم

كلُّ يحاضرُ ربّه ويُداني (٢)

بالحاء مع ضادٍ وجامعٍ صادِها

وجهانٍ في ذا اللفظِ محفوظان

في الترمذي ومسندي وسواهما

من كُتِبَ تجسيمٍ بلا كتمانٍ

ووصفته بصفاتٍ حيٍّ فاعلي

بالاختيارِ وذانك الأصلان

(١) كما جاء في حديث: «لا تزال جهنم يُلقى فيها وهي تقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها رجله - وفي رواية «قدمه» - فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قطُّ قطُّ» (*).

(٢) كما في حديث: «ما منكم إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان» (**).

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٢٤/٢١ (١٣٤٥٧)، والبخاري (٧٣٨٤) معلقاً،
ومسلم (٢٨٤٨) (٣٨).

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ١٨٠/٣٠ (١٨٢٤٦)، والبخاري (٦٥٣٩)، ومسلم
(١٠١٦) (٦٧).

أصل التفرُّق بين هذا الخلق في الـ

باري فُكُنْ في النفي غيرَ جبانٍ^(١)

أو لا فلا تلعبُ بدينك ناقضاً

نفيّاً بإثباتٍ بلا فُرقانٍ

فالناس بين مُعطلٍ أو مُثبِتٍ

أو ثالثٍ متناقضٍ صِنفانٍ^(٢)

والله لست برابعٍ لهم بلى

إمّا حماراً أو من الثيرانِ^(٣)

(١) هذا المعطل يخاطب السني ويقول له: إثبات هذه الأسماء والأوصاف فرَّق الناس إلى فريقين: مثبت لها ومعطل لها فكن مع المعطلة واعتمد على النفي والسلب

(٢) يقول: إن الناس انقسموا في مسألة إثبات الأسماء والصفات إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: معطل، وهو الذي ينفي الأسماء والصفات، وهم الجهمية ومن سار في ركبهم.

القسم الثاني: مثبت للأسماء والصفات، وهم أهل السنة.

القسم الثالث: متذبذب، لا هو مع المعطلة ولا مع المثبتة، ينفي بعضاً ويثبت بعضاً ويتناقض، فإمّا أن يكون مع المعطلة فينفي الكل، أو يكون مع المثبتة ويثبت الكل، أمّا أن يكون مذبذباً فهذا لا يليق به. ويقصد بذلك الأشاعرة الذين يثبتون بعض الصفات وينفون بعضها.

(٣) إمّا أن تكون من الحمير المعطلة، أو من الثيران الذين ليس عندهم تمييز ويتذبذبون بين هذا وهذا.

فاسمعُ بإنكارِ الجميعِ ولا تُكنْ
 مُتناقِضاً رُجلاً لهُ وجهانِ
 أو لا ففرِّقْ بينَ ما أثبتَّه
 ونفيتهُ بالنَّصِّ والبُرهانِ
 فالبابُ بابٌ واحدٌ في النفيِ والـ
 إثباتِ في عَقْلِ وفي ميزانِ^(١)
 فمتى أقر ببعضِ ذلكِ مُثبتٌ
 لزمَ الجميعَ أو اثتِ بالفرقانِ
 ومتى نفى شيئاً وأثبتَ مثله
 فمُجسِّمٌ متناقضٌ دَيِّصانِ^(٢)
 فذروا المِرَاءَ وصرِّحوا بمذاهبِ الـ
 قُدماءِ وانسَلِخُوا من الإيمانِ^(٣)
 أو قاتلوا مع أئمةِ التجسيمِ والتـ
 تشبيهِ تحتَ لواءِ ذي القرآنِ^(٤)

(١) الباب واحد، إمّا أن يُثبتَ كلُّه وإمّا أن يُنفي كلُّه، أمّا أن يُثبتَ بعضُه ويُنفى بعضُه من غير دليلٍ على الفرق، فهذا لا يقول به عاقل.

(٢) ديصان: من الديصانية فرقة من الفرس.

(٣) يدعو الجهمية إلى مذاهب القدماء: يعني قدماء الفلاسفة.

(٤) يقول للأشاعرة كونوا مع أهل السنة والجماعة، وقاتلوا الفرق المخالفة تحت راية القرآن، أو انحازوا إلى المعطلة، أمّا أنكم تبقون مذنبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، لكم وجهان فهذا أمرٌ لا يليق بكم.

أو لا فلا تتلاعبوا بعقولكم

وكتابتكم وبسائر الأديان^(١)

فجميعها قد صرّحت بصفاته

وكلامه وعلوه بيان^(٢)

والناس بين مصدق أو جاحد

أو بين ذلك أو شبيهه أتان^(٣)

فاصنع من التنزيه ترساً مُحكماً

وانف الجميع بصنعة وبيان^(٤)

(١) لا تتلاعبوا بعقولكم ولا بكتابتكم: يعني «القرآن» لأنهم يتسبون للإسلام،

وأنهم من أمة القرآن فيقول: لا تتلاعبوا بالكتاب الذي تنتسبون إليه،

فالكتاب ما فرّق بين الصفات، بل أثبتتها جميعاً لله عزّ وجل.

(٢) القرآن والعقول والأديان كلّها قد صرّحت بأسماء الله وصفاته.

(٣) الناس بين مثبت، وهم المسلمون المؤمنون، وبين ناف، وهم المعطلة،

وبين مُذبذب، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، يتظاهرون بالإسلام وهم على

مذهب التعطيل في الباطن، أو من هو شبه الأتان، وهي الأنثى من الحمير،

لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء يشبه الحمار في البلادة، وهذا وصف ذم.

(٤) يقول: إن أردت أن تنحاز إلى المعطلة: فخل حجتك: التنزيه وقل إن

الأسماء والصفات لا تليق بالله، لأن فيها تشبيهاً بالمخلوقين، وأنا أنزهه

عن مشابهة المخلوقين، فاتخذ هذا الترس وقايةً لك ترس به، وهو التنزيه،

دون سهام أهل الحق، هذه حجّتهم أن إثبات الأسماء والصفات يقتضي

التشبيه فنحن ننزه الله عن مشابهة المخلوقين فننفي الأسماء والصفات، =

وكذاك لَقَّبَ مذهبَ الإثباتِ بالتُّ

تَجْسِيمِ ثُمَّ أَحْمَلُ عَلَى الْأَقْرَانِ^(١)

فمَتَى سَمَحْتَ لَهُمْ بِوَصْفِ وَاحِدٍ

حَمَلُوا عَلَيْكَ بِحَمَلَةِ الْفِرْسَانِ^(٢)

فصُرِعْتَ صَرَعَةً مِنْ غَدَا مُتَلَبِّطاً

وَسَطَ الْعَرِينِ مُمَزَّقَ اللَّحْمَانِ

فلِذَاكَ أَنْكَرْنَا الْجَمِيعَ الثُّ

تَجْسِيمِ أَنْ صِرْنَا إِلَى الْقِرَانِ^(٣)

= هذا مذهب المعطلة وهو الغلو في التنزيه، ولا شك أن الله يجب تنزيهه عما لا يليق به، ولكن الأسماء والصفات التي أثبتتها لنفسه لا تقتضي التشبيه بل تليق به ولا تشابه صفات وأسماء المخلوقين؛ لأنها خاصة به سبحانه وتعالى، لكن المعطل اتخذ هذه الحجة «حجة التنزيه» ستره له يستر بها إلحاده وكفره.

فبقول: ما نزه الله نفسه عنه فهو التنزيه الحق، أما التنزيه الذي ينفي

عن الله ما أثبتته لنفسه فهذا تعطيل ولا يُسمى تنزيهاً.

(١) يقول الجهمي: نفّر عن مذهب أهل الإثبات وقل: إنه تشبيه وإنه تجسيم وإنه حشو.

(٢) إن سمحت لهم بإثبات صفة واحدة أو اسم واحد حملوا عليك وقالوا: هذا تناقض، كيف ثبتت بعضاً وتنفي بعضاً والباب واحد، فيصرعونك بهذه الحجة.

(٣) يقول الجهمية أنكرنا جميع الأسماء والصفات ولم نثبت بعضها ونفي بعضها كما تقول المعتزلة الذين يُثبتون الأسماء وينفون الصفات، أو الأشاعرة الذين يُثبتون بعض الصفات، وينفون بعضها لأن هذا تناقض.

ولذا خلعنا رِبْقَةَ الأديانِ مِنْ

أعناقنا في سالفِ الأزمانِ (١)

ولنا ملوكٌ قاوموا الرُّسُلَ الأُولَى

جاؤوا بإثباتِ الصفاتِ كمانِي (٢)

في آلِ فرعونَ وقارونَ وها

مانٍ ونُمرودٍ وجَنكِيزخانِ (٣)

(١) أي: في زمن سلفنا من الفلاسفة القدامى الذين لا يثبتون رباً ولا خالقاً وإنما يدينون للطبيعة.

(٢) يقول الجهمي: لنا أسلاف وملوك وقفوا في وجه الرسل، وعاندوا مثل «مانِي» وهو من أئمة المانوية المجوس ومثل فرعون ومثل هامان، حين قاموا في وجه موسى وقال فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] وقال: ﴿مَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٢٨] ومثل: النمرود الذي وقف في وجه إبراهيم عليه السلام وقال: إنه هو الرب وغيرهم من رؤساء الكفر. يفتخر بهؤلاء الذين جحدوا وجود الرب وأنكروا الربوبية، ويدعو الجهمية والمعتزلة ومن تابعهم أن يلحقوا بهم وينضموا إليهم في هذا المذهب، ويدخلوا مع هؤلاء ويصيروا مثلهم، أما هذا التناقض والتسمي بالدين والتلبس بالدين وهم يحرفون كلام الله وكلام رسوله عن مواضعهما فهذا لا يقوله عاقل.

(٣) أئمة الجهمية هم فرعون فقد ادَّعى الربوبية، وقارون الرجل الذي كان من قوم موسى فبغى عليهم لما أعطاه الله المال والكنوز. حمله ذلك على الكبر، وجحد نعمة الله وقال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨] =

ولنا الأئمة كالفلاسفة الأولي

لَمْ يَعْبُؤُوا أَصْلًا بِذِي الْأَدْيَانِ^(١)

منهم أرسطو ثم شيعته إلى

هذا الأوانٍ وعند كل أوانٍ^(٢)

ما فيهم من قال: إن الله فو

ق العرش خارج هذه الأكوان^(٣)

= أنا الذي حصلت على هذا المال بخبرتي وقوتي ومعرفتي، وليس هو من الله عز وجل، وهامان: وزير فرعون ومساعدته على الكفر، وجنكيزخان: هو ملك التتار الذين غزوا بلاد المسلمين، في آخر عهد الدولة العباسية، وقتلوا خليفة المسلمين من بني العباس، وقتلوا من المسلمين مئات الألوف، واستباحوا بلاد الإسلام، وأتلفوا كتب المسلمين وألقوها في دجلة حتى تغير ماء النهر، ولكن - الحمد لله - الإسلام لم يتأثر مما صنعوا، وبقي الإسلام، وإن كان قد أصيب المسلمون إصابة عظيمة ولكن الإسلام لم يتأثر بل بقي كما أنزله الله.

(١) الفلاسفة جميع فيلسوف، وهو الحكيم، والجهمية اتخذوا الفلاسفة عوضاً عن الرسل، يقولون: إن الفلاسفة أعلم وأدرى فاتبعوا الفلاسفة في أقوالهم وخالفوا الرسل.

(٢) أرسطو من فلاسفة اليونان وهو من تلاميذ أفلاطون اليوناني وهم ملاحدة الفلاسفة.

(٣) ما في الفلاسفة من يُقرُّ بوجود الرب تبارك وتعالى وإنما يقولون: هذا الكون ناشئ عن الطبيعة، وهو قديم ليس بمحدث ولا مخلوق، فهو قديم ويتفاعل مع الطبيعة وليس له رب يدبره.

كَلًّا وَلَا قَالُوا بَأْسَ إلهِنَا

متكلمم بالوحي والقرآن^(١)

ولأجل هذا ردّ فرعون على

موسى ولم يقدر على الإيمان^(٢)

إذ قال موسى ربنا متكلمم

فوق السماء وإنه ناداني^(٣)

وكذا ابن سينا لم يكن منكم ولا

أتباعه بل صانعوا بدهان^(٤)

(١) وجحدوا الوحي، قالوا: لم ينزل وحي على بشر، الرسل إنما هم كذبة، لم ينزل عليهم وحي، وإنما هذا شيء اخترعوه وافتروه.

(٢) واستمراراً في هذا المذهب، ردّ فرعون على موسى وأبى أن يقبل دعوته فهم يعتبرونه من أئمتهم.

(٣) جحد رسالة موسى وهارون وقال: ﴿ مَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِنَ إلهِ غَيْرِي ﴾ . الآية [القصص: ٣٨] فليس هناك رب ولا وحي، وموسى كذاب لم يناده أحد ولم يكلمه أحد.

(٤) ابن سينا: هو الذي يُسمونه: «الرئيس» وهو من كبار الفلاسفة الذين ادعوا الإسلام، كان من باطنية الشيعة، وادعى الإسلام، وحفظ القرآن، ودرس شيئاً من الشريعة ولكنه انصبغ بالفلسفة، وقرأ كتب الفلاسفة فاعتقد بما فيها واقتنع بما فيها، وتظاهر بالإسلام، وإلا فهو ملحد، وأراد أن يجمع بين الفلسفة والإسلام، وهذا لا يمكن؛ لأن الفلسفة إلحاد والإسلام دين إلهي، فابن سينا ملحد ومع هذا يسمونه الرئيس، ويقولون: إنه من مفكري الإسلام.

وكذلك الطوسي لما أن غدا
 ذا قُدرةٍ ولم يخشَ من سُلطانٍ^(١)
 قتلَ الخليفةَ والقُضاةَ وحاملي الـ
 قُرآنٍ والفقهاءَ في البلدانِ^(٢)
 إذ هُم مُشَبَّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ وما
 دانوا بدينِ أكابرِ اليونانِ
 ولنا الملاحدةُ الفُحولُ أئمةُ الثُّ
 تعطيلِ والتسكينِ آلِ سِنانٍ^(٣)

(١) الطوسي هو الذي يُسمّى نصير الدين والخواجة شيعي باطني وهو الذي قاد التتار إلى بغداد، وهو الذي كاد للمسلمين، وهو الذي أشار بقتل المسلمين وإتلاف كتبهم، وفعل الأفاعيل؛ لأنه شيعي عدو للمسلمين، ولما جاء جنكيزخان بجيوشه الجرارة فرح بذلك، وصار يدهُ على عورات المسلمين، والشيعه كلهم كذلك لكن يتظاهرون بالإسلام، وإذا سنحت لهم الفرصة فتكوا بالمسلمين. هذا تاريخهم الأسود دائماً وأبداً، وهذا مذهبهم دائماً وأبداً كلما سنحت لهم الفرصة فتكوا بالمسلمين.

(٢) قتل الطوسي المسلمين، وألغى الحكمَ بالقرآن، وجاء بكتاب اسمه: «الإشارات» لابن سينا وجعله محلّ القرآن، وفرض على الناس العمل بكتاب «الإشارات» بدلاً من القرآن.

(٣) آل سنان، المقصود بهم آل سنان بن سلمان، البصري، مقدم الإسماعيلية وصاحب دعوتهم في قلاع الشام، اشتهر باغتيال من يعاديه.

ولنا تصانيفُ بها غالبُهم

مثلَ الشِّفا ورسائلِ الإخوانِ^(١)

وكذا الإشاراتُ التي هي عندكم

قد ضُمَّنتَ لقواطعِ البرهانِ^(٢)

قد صرَّحتَ بالضدِّ مما جاء في الثَّ

تِوراةِ والإنجيلِ والفُرْقانِ

هي عندكم مثلُ النصوصِ وفوقها

في حُجَّةِ قطعيةٍ وبيانِ^(٣)

وإذا تحاكَمْنَا فإنَّ إليهم

يقعُ التحاكمُ لا إلى القرآنِ^(٤)

(١) الشِّفا: كتاب لابن سينا في الفلسفة، يتمدَّح به هذا الملحد، ورسائل الإخوان: المراد بهم إخوان الصفا وخلان الوفا، وهم الجماعة الذين اجتمعوا في عهد الدولة الشيعية من بني بويه، وكتبوا رسائل مضمونها: الخلط بين الأديان والفلسفة.

(٢) وهناك كتاب ثانٍ لابن سينا اسمه: «الإشارات» وهو كتاب فلسفة، وهو الذي جاء به الطوسي وجعله بدل القرآن لما تغلَّب على بغداد هو والتر.

(٣) يقول: إنها عندكم مثل القرآن عندنا، إنكم تحتجون بها كما أنا نحتج بالقرآن، لأنها عندكم قطعية فوق القرآن.

(٤) نتحاكم إلى هؤلاء الملاحدة وإلى هذه الكتب الإلحادية لا إلى القرآن.

إذ قد تساعدنا بأن نصوصه

لفظية عَزَلْتُ عن الإيقان^(١)

فلذاك حَكَّمْنَا عليه وأنْتُمْ

قولَ المعلمِ أولاً والثاني^(٢)

يا ويح جَهْمٍ وابنِ دِرْهَمَ والأوَّلَى

قالوا بقولهما من الخُورانِ^(٣)

بَقِيَتْ مِنَ التَّشْبِيهِ فِيهِ بَقِيَّةٌ

نَقَضَتْ قَوَاعِدَهُ مِنَ الأركانِ

(١) يقولون: إن دلالة القرآن ظنية، أما هذه الكتب التي هي «الإشارات، والشفاء، ورسائل إخوان الصفا» فهي قطعية؛ لأنها مبنية على العقل والحجج العقلية، فهي قطعية الدلالة، أما القرآن فإنه دليل سمعي دلالاته ظنية، هذا اعتقادهم في الكتب السماوية، أنها ظنية الدلالة، وهذا موجود عند الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم، يقولون: إن أدلة السمع ظنية بخلاف أدلة العقل فهي قطعية، لذلك: إذا تعارض نصٌّ من القرآن أو من السنة مع قواعدهم المنطقية أولوا القرآن لقواعدهم وصرّفوه عن مدلوله وظاهره من أجل أن يتوافق مع قواعدهم.

(٢) المعلم الأول: أرسطو معلم الفلسفة، والمعلم الثاني: أبو نصر الفارابي الملحد الخبيث.

(٣) عاد إلى الجهمية يقول لهم: إنكم تتناقضون، مرة تكونون مع المعطلة ومرة تكونون مع المثبتة، يا ويحكم: يتأسف هذا الملحد عليهم من هذا التناقض، ويقول لهم: فإما أن تأتوا معنا معشر الملاحدة وإما أن تذهبوا مع أهل الإثبات الذين تسمونهم المجسمة. أما أنكم تبقون مذبذبين، تثبتون شيئاً وتنفون شيئاً والباب واحد فهذا تناقض.

ينفي الصفاتِ مخافةَ التجسيمِ لا

يَلُوي على خبيرٍ ولا قرآنٍ^(١)

ويقول: إن الله يسمعُ أو يرى

وكذلك يعلمُ سرَّ كلِّ جنانٍ^(٢)

ويقول: إنَّ الله قد شاءَ الذي

هو كائنٌ من هذه الأكوانِ^(٣)

ويقول: إن الفعلَ مقدورٌ له

والكونَ ينسبُه إلى الحدَّانِ^(٤)

وينفيه التجسيمَ يصرُخُ في الورى

والله ما هذان مُتَقانِ^(٥)

لكننا قلنا محالٌ كلُّ ذا

حذراً من التجسيمِ والإمكانِ^(٦)

(١) وهذا من الإلحاد، لأن القرآن والحديث قد أثبتا ما نفوه.

(٢) يثبت بعض الأشياء: أن الله يسمع ويرى ويعلم، هذه أثبتها بعض الجهمية، يثبت بعض الصفات: السمع والبصر والرؤية وينفي البقية.

(٣) لأن الجهمية جبرية أيضاً، يقولون: إن الله خلق فعل العبد، والعبد مجبور، وحركته حركة اضطرار لا اختيار، فالجهمية جبرية، يثبتون أفعال الله ويغفلون فيها، ويقولون: إنَّ العبد ليس له فعل مع الله تعالى.

(٤) يقول: إن الفعل مقدور لله والكون مُحدث، والفلاسفة يقولون: إن الكون قديم.

(٥) الجهمي ينفي التجسيم، وهو يثبت التجسيم في بعض أقواله، وهذا تناقض.

(٦) إننا معشر الملاحدة والفلاسفة قلنا: هذا محال وليس لله صفات مطلقاً خوفاً من التجسيم، يعني طردنا الباب كلّه في النفي خوفاً من ذلك.

فصل

في قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن^(١)

وَأَتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَالَ أَلَا اسْمَعُوا
 قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ مَطْلَعِ الْإِيمَانِ
 مِنْ أَرْضِ طَيْبَةٍ مِنْ مَهَاجِرِ أَحْمَدِ
 بِالْحَقِّ وَالْبَرَهَانِ وَالتَّبَيَّانِ
 سَافَرْتُ فِي طَلَبِ الْإِلَهِ فَدَلَّنِي أَلْ
 هَادِي عَلَيْهِ وَمَحْكُمُ الْقُرْآنِ
 مَعَ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَصَرِيحِ عَقْلِي فَاعْقِلِي بَيَانَ
 فَتَوَافَقَ الْوَحْيُ الصَّرِيحُ وَفِطْرَةُ أَلْ
 رَحْمَنِ وَالْمَعْقُولُ فِي إِيْمَانِي^(٢)
 شَهِدُوا بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ
 مُتَفَرِّدٌ بِالْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ

(١) هذا الركب الأخير من الذين ذهبوا يبحثون عن الله، وهذا الركب ركب أهل السنة والجماعة، جاؤوا وقالوا عن الرب سبحانه وتعالى ما قاله الله وقاله رسوله ﷺ.

(٢) لأن النقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح، فالقرآن لا يخالف العقول الصحيحة أبداً، وكذلك السنة، بل إن القرآن حثَّ على العقل والتعقل والتدبر واستعمال العقل، فالقرآن لا يُلغِي العقل وإنما يُرشد العقل ويُعينه.

وهو الإله الحقُّ لا معبودَ إلَّا
 لا وجهُهُ الأعلى العظيمُ الشانِ
 بل كلُّ معبودٍ سواه فباطلٌ
 من عرشِهِ حتى الحضيضِ الداني
 وعبادةُ الرحمن غايةُ حُبِّه
 مع ذلِّ عابديه هُما قطبانِ
 وعليهما فلكُ العبادةِ دائرٌ
 ما دار حتى قامتِ القطبانِ (١)
 ومدارُهُ بالأمرِ أمرِ رسوله
 لا بالهوى والنفسِ والشيطانِ (٢)

(١) هذا تعريف العبادة: أنها غاية الذل مع غاية الحب، فالعبادة تدور على هذين القطبين.

(٢) مدار فلك العبادة على الأمر والنهي، لا على الهوى والنفس والشيطان، فالعبادة لا بد أن تكون موافقة للقرآن والسنة، فما خالف القرآن والسنة فهو بدعة، قال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» (*). فالعبادة لا بد أن تكون مبنية على الكتاب والسنة، لا تؤخذ من الهوى أو النفس أو الشيطان إنما تؤخذ من الكتاب والسنة، فما خالف السنة والقرآن فهو مردود على صاحبه وباطل، ولو تقرب به الإنسان إلى الله وحسنت نيته، فلا يكفي هذا بل لا بد من الاتباع.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٢/٦١ (٢٥١٢٨)، والبخاري قبل الحديث (٧٣٥٠) معلقاً، ومسلم (١٧١٨) (١٨) من حديث عائشة.

فقيامُ دينِ الله بالإخلاصِ والـ

إِحْسَانٍ أَنَّهُمَا لَهُ أَصْلَانِ^(١)

لَمْ يَنْجُ مِنْ غَضَبِ الْإِلَهِ وَنَارِهِ

إِلَّا الَّذِي قَامَتْ بِهِ الْأَصْلَانِ^(٢)

وَالنَّاسُ بَعْدُ فَمَشْرُكٌ بِإِلَهِهِ

أَوْ ذُو ابْتِدَاعٍ أَوْ لَهُ الْوَصْفَانِ^(٣)

(١) الدين مبني على أصلين: الإخلاص لله عزّ وجلّ، والمتابعة للرسول ﷺ، هذا هو الدين الصحيح، الإخلاصُ لله ينفي الشرك، والمتابعةُ للرسول ﷺ تنفي البدعة، فالدين هو ما قام على الإخلاص والمتابعة، هذا هو الدين الصحيح.

(٢) من لم يقم دينه على الإخلاص والمتابعة، فهو من أهل النار لأنه إما أن يكون مشركاً، وإما أن يكون مبتدعاً.

(٣) من اختلف به أصل الإخلاص فهو مشركٌ بإلهه، ومن اختلف فيه أصل المتابعة فهو مبتدع، فالمنتسبون إلى الإسلام على أربعة أقسام:

القسم الأول: مخلصٌ لله، متبع للرسول ﷺ، هذا الذي نجا من النار ومن غضب الإله.

الثاني: من اختلف فيه الإخلاص فصار عنده شرك، هذا لا ينجو من النار.

الثالث: من اختلف فيه أصل المتابعة فكان مبتدعاً، يعبد الله بالبدع والمحدثات وهو من أهل النار.

الرابع: من جمع بين الأمرين: عدم الإخلاص وعدم المتابعة، اجتمع فيه الشرك، والبدعة وهذا أشد من سابقه.

والله لا يرضى بكثرة فعلنا

لكن بأحسِنه مع الإيمان^(١)

فالعارفون مُرادُهُمُ إحسانُهُ

والجاهلون عمُوا عن الإحسانِ

وكذاك قد شهدُوا بأنَّ الله ذُو

سَمْعٍ وَذُو بَصَرٍ هُمَا صِفَتَانِ

وهو العليُّ يرى ويسمعُ خلقَهُ

من فوقِ عرشِ فوقِ سِتِّ ثمانِ^(٢)

فيرى دَبيبَ النَّمْلِ في غَسَقِ الدُّجَى

ويرى كذاك تَقَلُّبَ الأَجْفَانِ

(١) لا يرضى الله بكثرة الفعل، لكن يرضى بالعمل الذي توفر فيه الإخلاص

والمتابعة، ولهذا قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢٢]، ولم يقل:

«أكثركم عملاً» وإنما قال: «أحسن» لأن العبرة بالأحسن ولا يكون

الأحسن إلا بالإخلاص والمتابعة، وكما في الآية الأخرى: ﴿لِيَبْلُوَهُمْ

أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧] ولم يقل: «أيهم أكثر عملاً» فالعبرة

بالأحسن لا بالأكثر، فالكثرة بدون الإحسان لا قيمة لها، والعمل القليل

مع الإحسان يُضاعفه الله أضعافاً كثيرة ويصير كثيراً.

(٢) يعني له العلو وله القرب والدنو سبحانه وتعالى، فهو عليٌّ في دنوه،

قريبٌ في علوه، كما قال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]

وهو فوق عرشه وعرشه فوق المخلوقات كلها.

وضجيجُ أصواتِ العبادِ بِسْمِعِهِ

ولديه لا يَتَشَابَهُ الصَّوتَانِ^(١)

وهو العليمُ بما يوسوسُ عبدهُ

في نفسه من غيرِ نُطقِ لسانِ^(٢)

بل يستوي في علمه الداني مع الـ

قاصي وذو الإسرارِ والإعلانِ^(٣)

(١) كلُّ الناس يدعونه في وقتٍ واحدٍ، يضحجون بالدعاء، وأصواتهم مختلفة، ولغاتهم مختلفة، وحاجاتهم مختلفة، ومع هذا يقضي حوائجهم، ويسمع أصواتهم سبحانه وتعالى، ويعلم ما يُريدون، ولا يلتبس عليه هذا بهذا ولا هذا بهذا، فالله تعالى لا يُعجزه شيء، ولا تختلط عليه الأصوات. يرزق العباد كلهم في لحظةٍ واحدةٍ، ويسمع دعواتهم كلهم في أقطار الأرض في لحظةٍ واحدةٍ، سواء كانوا في أمكنة متفرقة أو في مكان واحد، كما في عرفات التي يجتمع فيها مئات الألوف من الحجاج كلهم يدعون الله تعالى وبلغات مختلفة، وحوائج مختلفة، وكلهم يقضي حاجاتهم سبحانه إذا توفرت شروط الإجابة.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ فَكَسَّرُ وَمَنْ أَدْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلٍ أَلْوَبِيدٍ﴾ [ق: ١٦] الوسوسة التخيلات التي في النفس ولا ينطق بها اللسان يعلمها سبحانه وتعالى.

(٣) لا يختلف في علمه وسمعه سبحانه وتعالى القاصي والداني، ولا الإعلان ولا الإسرار كله سواء، ﴿يَعْلَمُ الْبُتْرَ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

وهو العليم بما يكون غداً وما

قد كان والمعلوم في ذا الآن^(١)

وبكل شيء لم يكن لو كان كيد

ف يكون موجوداً لذى الأعيان

وهو القدير فكل شيء فهو مقدر

دور له طوعاً بلا عصيان^(٢)

وعموم قدرته تدلُّ بأنه

هو خالق الأفعال للحيوان^(٣)

(١) يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون في الماضي وفي المستقبل وفي الحاضر، لا يخفى عليه شيء، يعلم ما كان في الماضي ويعلم ما يكون في المستقبل، ويعلم الحاضر. الأزمان الثلاثة بالنسبة إليه سواء، أمّا نحن فالماضي ننساه أو لا نعلمه، والمستقبل لا ندري ماذا سيكون فيه، وإنما نعلم الحاضر فقط يقول زهير بن أبي سلمى في معلقته:

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله
ولكنني عن علم ما في غدٍ عم
﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ حَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] فهو سبحانه يعلم الماضي والحاضر والمستقبل كل الأوقات سواء عنده سبحانه وتعالى.

(٢) هو القادر على كل شيء سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨] على كل شيء، لا يُخصَّص بالمشيئة فيقال: «على ما يشاء قدير» كما يقوله بعضهم.

(٣) عموم قدرته تدلُّ على أن أفعال العباد مخلوقة له سبحانه وتعالى، هي أفعال العباد وهي خلقه سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ

هي خَلْقُهُ حَقًّا وَأَفْعَالٌ لَهُمْ

حَقًّا وَلَا يَتَنَاقَضُ الْأَمْرَانِ (١)

لَكِنَّ أَهْلَ الْجَبْرِ وَالتَّكْذِيبِ بِالْ

أَقْدَارِ مَا انْفَتَحَتْ لَهُمْ عَيْنَانِ (٢)

= كَلِّ شَيْءٍ وَكَيْلٌ ﴿ [الزمر: ٦٢] ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصفات: ٩٦].

ومرادُه بالحيوان: يعني الحي، سواء كان من بني آدم أو من الجن أو من الحيوانات والدواب، كل ما فيه حياة يُسَمَّى حيواناً ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] يعني الحياة الكاملة.

(١) هي خلقه حقاً، وأفعالهم حقاً ولا يتناقض الأمران، أما الذين يقولون:

هي خلقه فقط وليست بأفعال العباد فهم الجبرية، والذين يقولون: هي

أفعالهم فقط وليست خلق الله فهم القدرية المعتزلة، أما أهل السنة

والجماعة فيجمعون بين الأمرين، يقولون: هي خلقه وهي فعلهم،

ولذلك يُثابون عليها أو يُعاقبون عليها، فالثواب والعقاب يدل على أنها

أفعالهم باختيارهم وإرادتهم، وأنهم يقدرون على فعلها أو تركها.

فالإنسان يطيع الله باختياره أو يعصي الله باختياره، أو يترك الصلاة

باختياره، هو الذي يختار هذا، ولا يمنع هذا أن الله خالق كل شيء،

فالله خالق كل شيء ومن خلقه فعل العبد.

(٢) بل أعماهم الله عن هذا وقالوا: هي أفعال الله فقط وليس للعباد فيها أيُّ

اختيار، هذا قول الجبرية، أو قالوا: هي أفعالهم استقلالاً وليس لله فيها

خَلْقٌ ولا تقدير، هذا قول القدرية المعتزلة - والعياذ بالله -، فالطائفة

الأولى، يُقال لهم: القدرية الغلاة الذين غلوا في إثبات القدر، والطائفة

الثانية، يُقال لهم: القدرية النفاة الذين نفوا القدر وجعلوا العبد يخلق =

نظروا بعيني أعورٍ إذ فاتهم
نظرُ البصيرِ و غارتِ العينانِ
فحقيقةُ القدرِ الذي حارَ الوري
في شأنه هُوَ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ
واستحسنَ ابنُ عقيلٍ ذا من أحمدٍ
لَمَّا حكاَهُ عن الرِّضا الرِّباني
قالَ الإمامُ شفا القلوبَ بلفظةٍ
ذاتِ اختصارٍ وهي ذاتُ بيانِ

* * *

= فعل نفسه، وهو الذي يوجد فعل نفسه بدون تقديرٍ من الله، فأعمالهم الله عن الجمع بين النصوص، حيث أخذوا بطرف من النصوص وتركوا الطرف الثاني، لأن النصوص ذكرت هذا وذكرت هذا، ذكرت أن الأشياء بتقدير الله وخلقه، وذكرت أن أفعال العباد بإرادتهم واختيارهم وكسبهم وبإستطاعتهم فعلها وتركها، فأهل السنة جمعوا بين النوعين من النصوص، وهؤلاء أخذوا بطرف وغمضوا أعينهم عن الطرف الثاني، فهم ينظرون بعين أعور، وأهل السنة ينظرون بعينين، ينظرون إلى أقدار الله وإلى أفعال العباد فيجمعون بين هذا وهذا، أما أولئك فينظرون بعين واحدة عوراء، إما أن ينظروا إلى أقدار الله فقط، وإما أن ينظروا إلى أفعال العباد فقط، هذا نظر الأعور، وهذا يشمل كل من يأخذ ببعض النصوص ويترك بعضاً منها.

فصل

وله الحياةُ كمالها فلاجلُ ذا

ما للمماتِ عليه من سلطانِ

وكذلك القيومُ من أوصافه

ما للمنامِ لديه من غشيانِ^(١)

(١) من أسماء الله وصفاته: الحي القيوم كما في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ في آية الكرسي [٢٥٥] من سورة البقرة، وفي الآية [٢] أول سورة آل عمران، ولهذا ورد أن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين - الاسم الذي إذا دعي به أجاب.

الحي: هو المتصف بالحياة الكاملة التي لا يعترها نقص، ولهذا قال: ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ السنة: النوم الخفيف، والنوم: هو النوم الكثير المستغرق، وفي الآية الأخرى ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨] فنفي عن نفسه الموت، لأن هذه الأمور تتنافى مع الحياة الكاملة فمن عرضت له هذه العوارض فإن حياته ناقصة، أما حياة الله تعالى فإنها كاملة لا يعترها نقص بحالٍ من الأحوال فهو حيٌّ لا يموت، قيوم لا ينام.

القيوم صفة مبالغة، من القيام، ومعناه: القائم بنفسه والمقيم لغيره فهو سبحانه قائمٌ بنفسه لا يحتاج إلى شيء، وهو مقيمٌ لغيره، فكلُّ شيءٍ فإنَّ الله هو الذي يُقيمه فهو محتاج، فلولا الله جلَّ وعلا لم يقم هذا الشيء ولم يتحرك، فهذا معنى القيوم: القائم في نفسه الذي لا يحتاج إلى شيء المقيم لغيره الذي كلُّ شيءٍ محتاجٌ إليه سبحانه وتعالى، =

وكذاك أوصافُ الكمالِ جميعُها

ثَبَّتْ لَهُ وَمَدَارُهَا الْوَصْفَانِ (١)

فَمُصَحِّحُ الْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ وَالْ

أَسْمَاءِ حَقًّا ذَانِكَ الْوَصْفَانِ (٢)

وَلَأَجَلٍ ذَا جَاءَ الْحَدِيثُ بِأَنَّهُ

فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَذِي عِمْرَانَ

اسْمُ الْإِلَهِ الْأَعْظَمُ اشْتِمَلًا عَلَى اسْمِ

سَمِ الْحَيِّ وَالْقَيُّومِ مُقْتَرِنَانِ (٣)

= وهذان الاسمان تدور عليهما الأسماء والصفات، فالحي صفة ذات، والقيوم صفة فعل فجميع صفات الذات ترجع إلى الحي، وجميع صفات الأفعال ترجع للقيوم، ولهذا صار هذان الاسمان أعظم أسماء الله تعالى؛ لأنهما يدورُ عليهما جميع الأسماء والصفات الربانية.

(١) الوصفان: يعني الحي القيوم، الحي تدور عليه صفات الذات، والقيوم تدور عليه صفات الأفعال.

(٢) كلها ترجع إلى هذين الاسمين: الحي القيوم.

(٣) جاء في الحديث: «أَنَّ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا

سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، هُوَ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾

[البقرة: ٢٥٥]، و﴿الْقَدِيرُ﴾ [آل عمران: ١-٢]» (*).

(* أخرجه أحمد في «المستند» ٥٨٤/٤٥ (٢٧٦١١)، وأبو داود (١٤٩٦)، والترمذي

(٣٤٧٨)، وابن ماجه (٣٨٥٥)، من حديث أسماء بنت يزيد.

فالكلُّ مرجعُها إلى الإسمين يَدُ
 ري ذاك ذو بَصَرٍ بهذا الشانِ^(١)
 وله الإرادةُ والكراهةُ والرضا
 وله المحبَّةُ وهو ذو الإحسانِ^(٢)
 وله الكمالُ المطلقُ العاري عن الثُّ
 تشبيهِ والتمثيلِ بالإنسانِ^(٣)
 وكمالٌ من أعطى الكمالَ لنفسه
 أوَّلَى وأقدمُ وهو أعظمُ شانِ
 أيكون قد أعطى الكمالَ وما لهُ
 ذاك الكمالُ أذاك ذو إمكانِ^(٤)

(١) أهل العلم المحققون يعرفون أن جميع الأسماء والصفات ترجع إلى هذين الاسمين .

(٢) وهو سبحانه يحب ويكره، ويرضى ويغضب، هذا ثابت من صفاته الفعلية سبحانه وتعالى .

(٣) له الكمال المطلق، والعاري، أي: المنزه عن التشبيه بالإنسان، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فله أسماء وصفات وللمخلوقين أسماء وصفات تشابهاً في المعنى واللفظ، لكنها تختلف عنها في الحقيقة والكيفية .

(٤) هذا دليلٌ عقلي على كماله سبحانه وتعالى، لأنه إذا كان يعطي الكمال لغيره، فإنه أوَّلَى به سبحانه وتعالى، فلا يُعطي الكمال إلا من هو كامل؛ لأن فاقد الشيء لا يُعطيه كما يقولون، فهذا محال أن يُعطي الكمال لغيره ويكون هو سبحانه وتعالى معطلاً عن هذا الكمال وناقصاً، تعالى عن ذلك .

أَيكونُ إنساناً سَمِيعاً مُبْصِراً
 مُتَكَلِّماً بِمَشِيئَةٍ وَيِيانِ
 وَلَهُ الحِياةُ وَقُدْرَةُ وإِرادَةٌ
 وَالعِلْمُ بِالْكَلِّيِّ وَالأَعْيانِ
 وَاللهُ قَدْ أعطاهُ ذاكَ وَليسَ هـ
 إِذا وَضَعَهُ فَأَعْجَبَ مِنَ البَهْتانِ (١)
 بِخِلافِ نَوْمِ العَبْدِ ثُمَّ جِماعِهِ
 وَالأَكْلِ مِنْهُ وَحاجَّةِ الأَبْدانِ (٢)

(١) إِذا كانَ اللهُ تَعالَى أعطى صِفاتَ الكِمالِ لِلْمَخْلُوقينَ وَهِيَ: السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
 وَالإِرادَةُ وَالْمَشِئَةُ فَإِنَّهُ أَوْلَى سَبْحانَهُ بِذَلِكَ، فَإِنَّ المَخْلُوقَ الَّذِي لا يَسْمَعُ
 ناقِصاً، وَالأَعْمى الَّذِي لا يُبْصِرُ ناقِصاً، وَالَّذِي لَيْسَ لَهُ إِرادَةُ وَلا قُدْرَةُ
 مِنَ الخَلْقِ ناقِصاً، أَمّا مِنْ لِهَ هَذِهِ الصِّفاتِ فَإِنَّهُ يُعَدُّ كامِلاً، وَاللهُ جَلَّ وَعِلا
 أَوْلَى بِذَلِكَ، فَكُلُّ كِمالٍ ثَبَتَ لِلْمَخْلُوقِ لا يَسْتَلْزِمُ نَقْصاً فَاللهُ أَوْلَى بِهِ،
 هَذِهِ قاعِدَةٌ. وَالْمَعطَلَّةُ يَعدونَ هَذِهِ الأُمورَ كِمالاً فِي المَخْلُوقِ وَيَسْلُبونَها
 عَنِ الخالِقِ، وَيَعتَبِرونَ سَلْبَها عَنِ المَخْلُوقِ نَقْصاً، وَلا يَعتَبِرونَ سَلْبَها
 عَنِ الخالِقِ نَقْصاً، تَعالَى اللهُ عَمَّا يَقولونَ.

(٢) قَدْ تَكونَ هَناكَ أَشِياءُ هِيَ كِمالٌ فِي المَخْلُوقِ لَكنْها نَقْصٌ فِي حَقِّ الخالِقِ
 وَلِهَذَا قُلنا: كُلُّ كِمالٍ لِلْمَخْلُوقِ لا يَسْتَلْزِمُ نَقْصاً، خَروِجاً مِنَ الكِمالِ
 الَّذِي يَسْتَلْزِمُ النَقْصَ، كَالنَّوْمِ مِثْلاً فَإِنَّهُ فِي المَخْلُوقِ كِمالٌ وَعَدَمُ النَّوْمِ
 نَقْصٌ، لَكنَ اللهُ بِالعَكْسي: عَدَمُ النَّوْمِ فِي حَقِّهِ كِمالٌ، وَالنَّوْمُ فِي حَقِّهِ
 سَبْحانَهُ نَقْصٌ. فَهَذَا لا يوصِفُ اللهُ بِهِ وَإِنْ كانَ كِمالاً لِلْمَخْلُوقِ، وَكَذَلِكَ
 الأَكْلُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخْلُوقِ كِمالٌ، لِأَنَّ الَّذِي لا يَأْكُلُ يَعتَبَرُ مَرِضاً، لَكنَ اللهُ =

إذ تلك ملزومات كون العبد مُح

تاجاً وتلك لوازمُ النقصان^(١)

وكذا لوازمُ كونه جسداً نَعَم

ولوازمُ الأحداثِ والإمكانِ

يتقدَّسُ الرحمنُ جلَّ جلاله

عنها وعن أعضاءِ ذي جُثمان^(٢)

= منزّهٌ عن الأكل فلا يُقال: هذا كمال للمخلوق ويكون كمالاً للخالق بل نقول: هذا يستلزم نقصاً فيُنزّه الله عنه، والجماع: حاجة للمخلوق لكنه يستلزم النقص؛ لأن المخلوق محتاجٌ إليه، والله منزّه عن ذلك، ليس بحاجة إلى شيء، فهذا معنى، قولهم: «كل كمال ثبت للمخلوق لا يستلزم نقصاً فالخالق أولى به، أمّا الكمال الذي ثبت للمخلوق ويستلزم نقصاً فالخالق منزّه عنه».

(١) هذه كمالٌ في المخلوق لكنها تستلزم نقصاً، لأنه بحاجة إليها والله منزّه عن ذلك.

(٢) الجسم والجسد هذان لا يثبتان لله ولا ينفيان؛ لأنه لم يرد نفيها ولا إثباتهما لله عزّ وجل، وأسماء الله وصفاته توقيفية، وما سكت الله عنه ورسوله نحن نسكت عنه، ونحن نثبت لله صفات ذات وأفعال ولا يلزم من هذا لوازم الجثمانية والجسمية التي للإنسان، ولهذا فإن أهل الباطل يُسمون مثبتي الصفات وأهل الحديث: مجسمة؛ لأنهم أي أهل الباطل يقولون: يلزم من إثبات هذه الصفات: أنه جسم، فنقول: هذا في حق المخلوق، أمّا في حق الخالق فنحن لا نتدخل في هذا، ما جاءنا خبر عن الله ولا عن رسوله بنفي هذا أو إثباته ونحن لا ننفي ولا نثبت هذا الشيء.

والله رَبِّي لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا

وكلامه الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ (١)

(١) الله جَلَّ وَعَلَا يوصف بأنه مُتَكَلِّمٌ كلاماً حقيقياً يُسمع منه سبحانه وتعالى ويوحيه إلى ملائكته ورسله وَيُكَلِّمُ من شاء مباشرة كما كَلَّمَ موسى عليه السلام، وكما كَلَّمَ محمداً ﷺ مباشرة ليلة المعراج من غير واسطة، وفرض عليه الصلوات الخمس، ولهذا يُسمى موسى كليم الله؛ لأن الله كَلَّمَهُ مباشرة بدون واسطة جبريل، وسمع موسى كلامه وكَلَّمَ موسى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وسمع الله كلامه وأجابه. وكلام الله تعالى كسائر أفعاله، يفعله متى شاء، إذا شاء سبحانه تَكَلَّمَ في الأزل ويتكلم في المستقبل، وليس لكلامه نفاذ ولا حد ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِذَابًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] فلا يُحصي كلامه إلا هو سبحانه وتعالى وكلامه يسمعه جبريل، وسمعه موسى، وسمعه آدم، فأدم نبيُّ مكَلَّم، ويكَلِّمُه الله يوم القيامة، فالله سبحانه يتكلم إذا شاء كلاماً حقيقياً لا كلاماً مخلوقاً كما تقوله الجهمية، أو كلاماً نفسانياً لا يُسمع كما تقوله الأشاعرة، بل هو كلام حقيقي يُسمع، والله يتكلم متى شاء إذا شاء في الماضي وفي المستقبل وفي جميع الأوقات إذا شاء يأمر وينهى ويدبر الخلائق ويقول للشيء: «كن فيكون». وكلام الله على نوعين:

الأول: كلامٌ كوني قدري.

الثاني: كلامٌ ديني شرعي: وهو الوحي المُنزَّل على الرسل عليهم

الصلوة والسلام.

والكلام القدري: هو الذي يتكلم الله به حين يُدبر الله سبحانه ويأمر

وينهى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، =

صِدْقًا وَعَدْلًا أُحْكِمَتْ كَلِمَاتُهُ

طَلِبًا وَإِخْبَارًا بِلَا نُقْصَانٍ^(١)

وَرَسُولُهُ قَدْ عَاذَ بِالْكَلِمَاتِ مِنْ

لَدُغٍ وَمِنْ عَيْنٍ وَمِنْ شَيْطَانٍ^(٢)

= ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] قال للنار: كوني برداً وسلاماً علىٰ إبراهيم، فاستجابت.

(١) الشرع الذي أنزله الله، صدقاً في أخباره، عدلاً في أحكامه، لا يتطرق إليه كذب، ولا يتطرق إليه جورٌ في أحكامه سبحانه وتعالى.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَزَلَ مِنْزَلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرِحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»^(*) والاستعاذة بالمخلوق لا تجوز، فدلَّ علىٰ أنَّ كلام الله غير مخلوق، وأنه صفة من صفاته، والاستعاذة بصفةٍ من صفات الله أو باسم من أسمائه مشروعة، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] فالاستعاذة بأسماء الله وصفاته والتوسل بها إلىٰ الله كل ذلك مشروع، أمَّا المخلوق فلا تجوز الاستعاذة به، فهذا فيه ردٌّ علىٰ الجهمية الذين يقولون: إنَّ كلام الله مخلوق، إذ لو كان كلام الله مخلوقاً لما جازت الاستعاذة به، لأن الاستعاذة بالمخلوق شركٌ أكبر كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٨٨/٤٥ (٢٧١٢٢)، ومسلم (٢٧٠٨) (٥٤) من حديث

خولة بنت حكيم.

أَيُعَاذُ بِالمَخْلُوقِ حَاشَاؤُا اَلْ

إِشْرَاكٍ وَهُوَ مُعَلِّمُ الْإِيْمَانِ (١)

بَلْ عَاذَ بِالكَلِمَاتِ وَهِيَ صِفَاتُهُ

سَبْحَانَهُ لَيْسَتْ مِنَ الْأَكْوَانِ (٢)

وَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ عَيْنُ كَلَامِهِ اَلْ

مَسْمُوعٍ مِنْهُ حَقِيقَةٌ بَيِّنَةٌ (٣)

هُوَ قَوْلُ رَبِّي كُلُّهُ لَا بَعْضُهُ

لِفِظًا وَمَعْنَى مَا هُمَا خَلْقَانِ (٤)

(١) هذا ردٌّ على الذين يقولون: إنَّ كلامَ الله مخلوقٌ كالجهمية، لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك، لأنها نوعٌ من أنواع العبادة، فإذا صُرِّفت للمخلوق صارت شركاً أكبر يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ.

(٢) يعني أن الكلمات ليست من المخلوقات كما تقول الجهمية بل هي صفة من صفاته.

(٣) من كلام الله القرآن العظيم تكلم الله به وحيًا، وبلغه جبريلُ إلى الرسول وبلغه الرسولُ إلى الأمة، وهو كلام الله، فقد ذكر الله في آياتٍ من كتابه أنه كلامه، وإضافته إلى جبريل ومحمد في قوله: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة: ٤٠] والتكوير من إضافة التبليغ، لأن الرسول بلغه، وكون الرسول بلغه لا يمنع في الأصل أن يكون كلامَ الله تعالى لأن الكلام يُصاف إلى من قاله مبتدأ لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً.

(٤) هذا ردٌّ على الذين يقولون: إن كلام الله النفساني غير مخلوق، والكلام الذي بلغه الرسول مخلوق؛ لأنه حكاية أو عبارة عن كلام الله كما تقوله =

تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقَوْلُهُ

اللفظُ والمعنى بلا رَوَغانٍ^(١)

لكنَّ أصواتَ العبادِ وفعلُهُمْ

كَمِدادِهِمْ والرَّقُّ مخلوقانِ

فالصوتُ للقاري ولكنَّ الكلا

مَ كلامُ رَبِّ العرشِ ذي الإحسانِ^(٢)

= الأشاعرة وغيرهم، فيكون القرآن مركباً من شيء مخلوق وشيء غير مخلوق، فالحروف والأصوات مخلوقة، وأما المعنى فهو قائم بالله تعالى عبر عنه جبريل أو عبر عنه محمد ﷺ وحكاه، وهذا قول باطل، وهذا يشبه قول النصارى في المسيح: أن بعضه رباني وبعضه بشري فهو مركب من اتحاد اللاهوت بالناسوت، فالقرآن إذن مركب من شيء رباني ومن شيء إنساني وهذا باطل.

(١) ليس كلام الله المعنى فقط، دون الحروف، ولا الحروف دون المعنى، بل اللفظ والمعنى كلُّه كلام الله جلَّ وعلا، مهما كُتِبَ ومهما قُرئ فهو كلام الله تعالى ومهما حُفِظَ فهو كلام الله، والقاريء إنما يقرأ كلام الله سبحانه وتعالى، فالصوت صوت القاريء ولكن الكلام كلام الباريء.

(٢) صوت القاريء بقراءة القرآن مخلوق، وأما المقروء نفسه فهو غير مخلوق، والورق والحبر مخلوقان، وكذلك فعل العبد وكتابتها للحروف مخلوقة، أما نفس المكتوب فهو كلام الله تعالى، فالكتابة فعل العبد والمكتوب هو كلام الله تعالى، وصوت القاريء مخلوق، والمصوَّت به والمقروء هو كلام الله سبحانه وتعالى.

هَذَا إِذَا مَا كَانَ ثُمَّ وَسَاطَةٌ

كقراءة المخلوق للقرآن^(١)

فَإِذَا انْتَفَتَ تِلْكَ الْوَسَاطَةُ مِثْلَ مَا

قَدْ كَلَّمَ الْمُؤَلُّودَ مِنْ عِمْرَانَ

فَهُنَالِكَ الْمَخْلُوقُ نَفْسُ السَّمْعِ لَا

شَيْءٌ مِنَ الْمَسْمُوعِ فَافْهَمَ ذَانِ

هَذَا مَقَالَةٌ أَحْمَدٍ وَمُحَمَّدٍ

وَخُصُومُهُمْ مِنْ بَعْدِ طَائِفَتَانِ^(٢)

إِحْدَاهُمَا زَعَمَتْ بِأَنَّ كَلَامَهُ

خَلَقَ لَهُ الْفَاطَةَ وَمَعَانِي^(٣)

(١) إِذَا كَانَ هُنَاكَ وَسَاطَةٌ فِي تَبْلِغِ الْقُرْآنِ فَالْوَسَاطَةُ مَخْلُوقَةٌ، وَهِيَ قِرَاءَةُ

الْقَارِئِ، وَكِتَابَةُ الْكَاتِبِ، وَتَعْلِيمُ الْمَعْلَمِ، هَذِهِ كُلُّهَا مَخْلُوقَةٌ، لَكِنْ نَفْسُ

الْمَبْلَغِ وَنَفْسَ الْمَقْرُوءِ وَالْمَكْتُوبِ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَتُفَرِّقُ بَيْنَ

الْوَسَاطَةِ وَبَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ ثُمَّ وَسَاطَةٌ بَيْنَ الْمَخَاطَبِ

وَبَيْنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، مِثْلَ مَا حَصَلَ لِمُوسَى، فَإِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَى، وَمُوسَى سَمِعَهُ، فَالسَّمْعُ مَخْلُوقٌ وَالْمَسْمُوعُ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى.

(٢) هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ هُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَمُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ.

وَخُصُومُهُمْ، يَعْنِي الْمَخَالَفِينَ لَهُمْ وَأَهْلَ السَّنَةِ قِسْمَانِ يَذْكُرُهُمَا.

(٣) هَذَا الْقَوْلُ الْأَوَّلُ مِنْ قَوْلِي الطَّائِفَتَيْنِ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ

مَخْلُوقُ الْفَاطَةِ وَمَعَانِيهِ خَلَقَهُ اللَّهُ فِي غَيْرِهِ.

والآخرون أبوا وقالوا شطره

خَلَقَ وَشَطْرٌ قَامَ بِالرَّحْمَنِ^(١)

زعموا القرآن عبارة وحكاية

قلنا كما زعموه قرآنان^(٢)

هذا الذي نتلوه مخلوق كما

قال الوليدُ وبعدهُ الفُتْنانِ

والآخرُ المعنى القديمُ فقائمٌ

بالنفسِ لم يُسْمَعْ من الدِّيَانِ^(٣)

والأمرُ عينُ النهيِ واستفهامُهُ

هو عينُ إخبارٍ وذو وِحدانٍ^(٤)

(١) هذا كلام الطائفة الثانية وهم الأشاعرة الذين يقولون: المعنى كلام الله ولكن الحروف والألفاظ من صنع البشر مخلوقة، فهو حكاية عن كلام الله أو عبارة عن كلام الله.

(٢) على قولهم يكون القرآن قرآنين، قرآن هو كلام الله، وقرآن هو كلام المخلوق، تعالى الله عما يقولون.

(٣) يعني الوليد بن المغيرة لما قال: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] ومثل قول الوليد قول الفئتين الجهمية والأشاعرة. اتفق قول الفئتين مع قول الوليد.

(٤) يقولون: المعنى النفساني لا يتنوع، فليس فيه أمر أو نهى أو استفهام لأنه شيء واحد، وإنما الأوامر والنواهي والإخبارات حكاية عن كلام الله.

وهو الزبورُ وعينُ توراةٍ وإن

جيلٍ وعينُ الذِّكْرِ والفرقان^(١)

الْكُلُّ شيءٌ واحدٌ في نفسه

لا يَقْبَلُ التَّبَعِيضَ في الأذهانِ

ما إن له كُلٌّ ولا بعضٌ ولا

حَرْفٌ ولا عربي ولا عبراني

ودليلُهُم في ذاك بيتٌ قاله

فيما يُقالُ الأخطلُ النصراني^(٢)

(١) يقولون: هذا المعنى النفساني، إن عُبرَ عنه بالعربية صار قرآناً، وإن عُبرَ عنه بالسريانية صار إنجيلاً، وإن عُبرَ عنه بالعبرانية كان توراةً.

(٢) الأخطل شاعر من شعراء العرب في وقت بني أمية، كان شاعراً مشهوراً وله ديوان وهو من نصارى بني تغلب يروون عنه أنه قال:

إن الكلامَ لفي الفؤادِ وإنما جُعلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلاً

قالوا: هذا دليل من اللغة العربية على ثبوت الكلام النفساني، لأن

الكلام في الفؤاد فقط، وأمّا اللسان فإنه يُعبرُ عمّا في الفؤاد، قالوا: فدلّ

على أن ما في النفس يسمى كلاماً، فالمعنى القائم بذات الرب ولم

يتكلم به يسمى كلاماً بموجب اللغة العربية؛ لأن هذا الشاعر عربي فصيح

وهو الذي قال هذا البيت. والجواب عن هذا من وجهين:

الوجه الأول: أن هذا البيت ما ثبت عن الأخطل، ولا هو في ديوانه

ولهذا قال: «فيما يقال».

الوجه الثاني: أنه لو ثبت عن الأخطل، فالأخطل نصراني والنصارى

قالوا في حق الله أعظم من هذا، فالنصارى قالوا: إن المسيح ابن الله وأنه =

يا قومُ قد غلطَ النصارى قَبْلُ في

معنى الكلام وما اهتمدوا لبيان

ولأجلِ ذَا جعلوا المسيحَ إلهَهُم

إذ قيلَ كلمةُ خالقِ رَحْمَانِ^(١)

ولأجلِ ذَا جعلوه ناسوتاً ولا

هوتاً قديماً بعدُ مُتَّحِدَانِ^(٢)

ونظيرُ هذا من يقولُ كلامه

معنى قديمٌ غيرُ ذي حَدَثَانِ^(٣)

= مركب من شيئين: اتحاد اللاهوت بالناسوت، فالمسيح بعضه إله وبعضه بشر، كذلك الأخطل لو ثبت عنه هذا البيت فهو من هذه الطائفة التي تقول هذا القول في حق المسيح فلا يؤخذ بكلامه.

(١) قالوا لما قال الله في المسيح: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ فَدُوحٌ﴾ [النساء:

١٧١] فسمى المخلوق كلمةً، فدلَّ على أنَّ الكلام مخلوق، فنقول: هذا

باطل ومعنى أن المسيح كلمةُ الله: أنه خُلِقَ بالكلمة، وليس هو الكلمة

وإنما خُلِقَ بالكلمة وهي قوله تعالى: ﴿كُنْ﴾ قالوا: كل الأشياء تُخلَقُ

بالكلمة فنقول لهم: العادة أن الإنسان يكون من أب وأم ولكن المسيح

لم يكن من أب، وإنما هو من أمٍّ فقط، فخلق بالكلمة من غير أب وهي

الأمر الذي أمر الله به، لا أن الكلمة هي عيسى نفسه.

(٢) اللاهوت: هو المعنى الرباني، والناسوت: هو المعنى الإنساني، فالمسيح

مركب من هذين العنصرين عندهم.

(٣) نظير قول النصارى في المسيح قول الأشاعرة أن القرآن مركَّب من المعنى

القديم الذي هو المعنى القائم بالرب، والكلام والحروف التي هي من =

والشطرُ مخلوقٌ وتلك حُرُوفُهُ
 ناسُوتُهُ لكن هُما غيرانِ
 فانظر إلى ذا الاتفاقِ فَإِنَّهُ
 عَجَبٌ وَطَالِعْ سُنَّةَ الرَّحْمَنِ (١)
 وتكايستُ أُخْرَى وَقَالَتْ إِنَّ ذَا
 قَوْلٌ مُحَالٌ وَهُوَ خَمْسُ مَعَانٍ
 تِلْكَ الَّتِي ذُكِرَتْ وَمَعْنَى جَامِعٌ
 لِجَمِيعِهَا كَالْأَسِّ لِلْبَنِيَانِ
 فَيَكُونُ أَنْوَاعاً وَعِنْدَ نَظِيرِهِمْ
 أَوْصَافُهُ وَهُمَا فَمْتَفَقَانِ
 إِنْ الَّذِي جَاءَ الرَّسُولُ بِهِ لِمَخْ
 لُوقٍ وَلَمْ يُسْمَعْ مِنَ الدِّيَانِ (٢)

= صنع البشر، فهو مركب من شيء رباني وشيء بشري، هذا هو القرآن عندهم مخلوق وغير مخلوق.

وقال الجهمية: كلُّه مخلوق، وهؤلاء قالوا: بعضه مخلوق وبعضه غير مخلوق، فهم وافقوا الجهمية من وجه، وخالفوه من وجه.

(١) انظر إلى هذا الاتفاق بين الأشاعرة وبين النصارى في هذا الخلط الباطل، وهو جعل الشيء الواحد مخلوقاً وغير مخلوق.

(٢) أي هم وإن اختلفت أقوالهم فهم متفقون على أن القرآن الذي جاء به الرسول مخلوق، ليس مسموعاً من الله جلّ وعلا، وإنما هو مخلوق أو حكاية عن كلام الله.

وَالْخُلْفُ بَيْنَهُمْ فَقِيلَ مُحَمَّدٌ
 أَنْشَأَهُ تَعْبِيرًا عَنِ الْقُرْآنِ
 وَالْآخَرُونَ أَبُوًا وَقَالُوا إِنَّمَا
 جَبْرِيلُ أَنْشَأَهُ عَنِ الْمَنَانِ^(١)
 وَتَكَاسَيْتُ أُخْرَى وَقَالَتْ إِنَّهُ
 نَقَلَ مِنَ اللُّوحِ الرَّفِيعِ الشَّانِ^(٢)
 فَاللُّوحُ مَبْدُؤُهُ وَرَبُّ اللُّوحِ قَدْ
 أَنْشَأَهُ خَلْقًا فِيهِ ذَا حَدَثَانِ
 هَذِي مَقَالَاتٌ لَهُمْ فَانظُرْ تَرَى
 فِي كُتُبِهِمْ يَا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ^(٣)

(١) الذي حكاه عن الله عندهم اختلفوا فيه فقيل: هو جبريل، وقيل: هو محمد ﷺ.

(٢) هؤلاء قالوا: إن الله خلقه في اللوح المحفوظ، وإن جبريل نقله من اللوح المحفوظ ولم يسمعه من الرب سبحانه وتعالى، يعني صار الذي يأمر وينهى جبريل أو اللوح المحفوظ، تعالى الله عما يقولون؛ كتبه الله في اللوح المحفوظ بلا شك، لكن لم يخلقه خلقاً في اللوح وإنما كتبه، فهو تكلم به سبحانه وكتبه في اللوح المحفوظ وأوحاه إلى رسوله ﷺ بواسطة جبريل، وجبريل لم يأخذه من اللوح المحفوظ وإنما أخذه عن الله، كلمه الله به، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِإِنْسَانٍ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥١].

(٣) كتب الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية ومشتقاتهم كثيرة وفيها =

لكنَّ أهلَ الحقِّ قالوا إنما

جبريلُ بَلَّغَهُ عن الرَّحْمَنِ

ألقاه مسموعاً له مِنْ رَبِّهِ

للصَّادِقِ المَّصْدُوقِ بِالبرهَانِ^(١)

* * *

= ما نقله الشيخ عنهم فالاطلاع عليها من أجل معرفة ما هم عليه من الضلال لمن عنده علم وبصيرة أمر طيب .

(١) قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [التكوير: ١١-١٢]

١٩-٢٠] هذا جبريل عليه السلام، ﴿ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ ﴾ [التكوير: ٢١] مُطَاعٌ فِي

المَلَأَ الأَعْلَى تَطِيعُهُ المَلَأَتْكَ وَأَمِينٌ عَلَى الوَحْيِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ ﴾

يعني محمداً ﷺ ﴿ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأَفُقِ المُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الغَيْبِ

يُضِنِّينِ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيزٍ ﴿٢٥﴾ فَأَتَيْنَ تَذَهُبُونَ ﴾ [التكوير: ٢٢-٢٦] فهذا هو

سندُ القرآن، تلقته الأمة عن محمد، عن جبريل، عن الله سبحانه وتعالى .

وإضافته إلى الرسول الملكي أو البشري، لأنه مُبَلَّغٌ عن الله، وإلا فهو

كلام الله، والكلام إنما يُضَافُ إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلِّغاً

مؤدياً، ولا يمكن أن يكون القرآن كلامَ ثلاثة: كلام الله وكلام جبريل

وكلام محمد، هذا لا يمكن إلا أنه كلامٌ واحد، فدلَّ على أن الأصل أنه

كلام الله، وأما جبريل ومحمد فهما مُبَلِّغان عن الله .

فصل

في مجامع طُرُق أهل الأرض واختلافهم في القرآن^(١)

(١) لما ذكر الشيخ الإمام ابن القيم رحمه الله مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله عزّ وجلّ، وذكر مذاهب مخالفيهم من الفرق، أراد أن يُجمل ما سبق، ولا تستغربوا من اهتمام ابن القيم رحمه الله بهذه المسألة وإطالته فيها، فإنها مسألة عظيمة يترتب عليها أمرٌ عظيم؛ لأن هؤلاء المخالفين في كلام الله يريدون أن ينفوا أن يكون لله كلامٌ أنزله إلى رسوله، وبذلك تبطل الأوامر والنواهي سواء أرادوا ذلك - وقد أرادها ملاحدتهم وقدماءهم - أو أخذوه عن تقليد وجهل وتعصّب، فإن مُرادهم ومُراد الشيطان الذي قادهم إلى ذلك فيما يلي:

١ - أن يُعطّلوا الله تعالى من أعظم صفة من صفاته، وهي الكلام، ويجعلوه بمثابة الجمادات التي لا تنطق، فالله تعالى عاب على بني إسرائيل لما عبدوا العجل فقال: ﴿الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ لَا يَتَكَلَّمُونَ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨] يعني: لا يتكلم وهذا عيب في الآلهة أنها لا تتكلم، وليس لها أوامر ولا نواهٍ ولا تدبير ولا إرادة ولا خلق، تعالى الله عما يقولون. فهم أرادوا تعطيل الله عن هذه الصفة العظيمة.

٢ - أرادوا أن يقولوا: إن هذا الذي بين أيديكم ليس هو كلام الله وإنما هو قول البشر كما قال الوليد بن المغيرة، فلا يكون لله بيننا كلام، لا توراة ولا إنجيل ولا قرآن ولا زبور، وأن الذي يقول: هذا كلام الله يكون مُخطئاً، هذا ليس كلام الله؛ لأن الله لا يتكلم - تعالى الله عما يقولون - فالأمر عظيم جداً والخطر شديد.

ولهذا وقف الأئمة من هذه المسألة موقف الحزم ولم يتساهلوا فيها، كالإمام أحمد - رحمه الله - وهو قائد أهل السنة - الذين وقفوا بحزم أمام هذه المسألة حتى سُجِنَ وَعُدِّبَ، وطال سجنه رحمه الله في خلافة المأمون والمعتصم والواثق، ثلاثة خلفاء تعاقبوا على تعذيب الإمام أحمد وسجنه، ولم يُطلقه إلا المتوكل رحمه الله الذي أظهر مذهب أهل السنة، وقُتِلَ في هذه المحنة من قُتِلَ.

فالمسألة واجهها الأئمة بحزم ولم يلينوا أمامها؛ لأنهم يعلمون ما يترتب عليها من خطر على الأمة الإسلامية، فكان لموقفهم بقيادة الإمام أحمد إمام أهل السنة الفوائد العظيمة للأمة الإسلامية، وأخزى الله خصومهم، ونصر الحق وأهله، واندحر أهل الباطل والله الحمد، وبقي الاعتقاد السليم في كلام الله، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وقبض الله هؤلاء الأئمة لإظهار الحق ودحض الباطل، ومنهم هذا الإمام العظيم ابن القيم رحمه الله، وشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ومن سار على نهجهم من الأئمة، وفي عصرنا الآن من المتحذلقين الذين يدعون العلم من يقول: المسألة لا تحتاج إلى هذا، أعطيت أكبر من حجمها، وحصل فيها فرقة بين المسلمين، وهي لا تستحق كل هذا، إنما هي مسألة عادية، وكأن جهاد الإمام أحمد ومن معه من باب العبث، أو يكادون يقولون: إنهم مخطئون، ولا تستحق هذه العناية، وهناك من يقول: إن الإمام أحمد لم يُسجن من أجل مسألة خلق القرآن، وإنما لأنه =

وإذا أردتَ مجامعَ الطُّرُقِ التي

فيها افتراقُ الناسِ في القرآنِ

فمدارُها أصلانِ قامَ عليهما

هذا الخلافُ هما له رُكنانِ

هل قولُه بمشيئةٍ أم لا وهل

في ذاتِه أم خارجٌ هذانِ

= عارض السياسة، هكذا يقول هؤلاء الحُثالات مع أن المسألة خطيرة جداً، إذا تصوّرتها وتأملتَها عرفتَ فقه الإمام أحمد رحمه الله وإدراكه وفقه الأئمة الذين وقفوا مع الإمام أحمد، ورأيت خطأ الذين تساهلوا وتخاذلوا في هذه المسألة.

إن المسألة تستحق العناية البالغة ليندحر هذا الباطل، لأن خُلاصتها: أنه لا كلام لله بيننا، وأن هذا القرآن ليس كلام الله فدوسوا عليه بالأقدام وأهينوه، لأنه ليس بكلام الله، واعتبروه مثل سائر الكلام - تعالى الله عن ذلك -، هذه نتائجهم وآثارهم وباطلهم - تعالى الله عما يقولون - كلها أقوال تصبُّ في شيء واحد: وهو أنه ليس لله كلامٌ نزل على الرسل لا على إبراهيم ولا على موسى ولا على عيسى ولا على محمد ﷺ ولا على داود، كل هذه إنما هي مخلوقة لفظاً ومعنى، أو مخلوقة لفظاً دون المعنى، فالمسألة خطيرة جداً، فلا تتأثروا بأقوال المعاصرين، فهم إما جهال لا يعلمون بطلان هذا القول، وإما كتاب حدثيون يريدون أن يفسروا الوقائع بغير تفسيرها ويُجهلوا الأئمة أو ينسبواهم للتعصُّب لآرائهم أو لأمورٍ سياسية.

أصل اختلاف جميع أهل الأرض في الـ

قرآن فاطلب مُقتضى البرهان^(١)

(١) هذان الأصلان هما أصل الاختلاف في القرآن وهما:

١ - هل صدر القرآن عن مشيئة من الله وإرادة، أو صدر من غير مشيئة ولا إرادة؟

٢ - وإذا صدر عن مشيئة وإرادة، فهل هو خَلَقَ خلقه الله أو هو كلام تكلم به، ذكر الناظم في هذا سبعة مذاهب أهمها ما يأتي:

١ - مذهب الأشاعرة الذين يقولون: إن القرآن حكاية عن كلام الله.

٢ - مذهب الكلائية الذين يقولون: إنه عبارة عن المعنى القديم القائم بنفس الرب سبحانه وتعالى، وفي الحقيقة لا فرق بين قولهم حكاية أو عبارة.

٣ - وتكايست طائفة منهم وقالت: ليس هو عبارة ولا حكاية وإنما أنشأه الله في اللوح المحفوظ، وأخذه جبريل من اللوح المحفوظ، ونزل به على محمد ﷺ؛ وتجدون رسالة للسيوطي في هذا المعنى ردَّ عليها الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي البلاد السعودية اسمها «الجواب الواضح المستقيم في كيفية نزول القرآن العظيم» ردَّ على هذا القول الذي يقول: إن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ، يعني لم يأخذه عن الله، هذا حاصل مذهب الذين يقولون: إنه عبارة عن المعنى النفسي وليس هو عن مشيئة وإرادة، وأما القائلون بأنه عن مشيئة وإرادة فهم أيضاً ثلاث طوائف.

٤ - الجهمية والمعتزلة الذين يقولون: إن القرآن مخلوق خلقه الله خارج ذاته، إمّا في جبريل وإمّا في محمد وإمّا في اللوح المحفوظ، المهم =

أنه مخلوق وإضافته إلى الله إضافة مخلوق إلى خالقه، كناية الله،
وبيت الله، وتسميته كلام الله من باب المجاز.

٥ - قول الكَرَامِيَةِ الذين يقولون: إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةٌ، وَلَكِنْ جِنْسُ الْكَلَامِ مُحَدَّثٌ كَسَائِرِ الصِّفَاتِ عِنْدَهُمْ مَتَعًا لِلتَّلَسُّلِ فِي الْمَاضِي، فَيَقُولُونَ: جَمِيعُ أَفْعَالِ اللَّهِ إِنَّمَا هِيَ مُحَدَّثَةٌ وَليست قَدِيمَةٌ، بِمَعْنَى أَنَّهُ مَضَى عَلَى اللَّهِ وَقْتٌ وَهُوَ غَيْرُ مُتَصِفٍ بِهَا، ثُمَّ اتَّصَفَ بِهَا، وَمِنْهَا: الْكَلَامُ حَذْرًا مِنْ تَعَدُّدِ الْقَدَمَاءِ، وَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْجَهْلِ، لِأَنَّ الْكَلَامَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ، وَاللَّهُ جَلٌّ وَعَلَا بِصِفَاتِهِ قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا التَّعَدُّدُ فِي الرَّبُوبِيَّةِ، لِأَنَّ الصِّفَاتَ لَيْسَتْ ذَوَاتًا أُخْرَى تُشَارِكُ اللَّهَ فِي الْقَدَمِ وَالرَّبُوبِيَّةِ، وَإِنَّمَا هِيَ صِفَاتٌ لِلْمَوْصُوفِ، فَإِذَا قُلْتُ مَثَلًا: هَذَا الْإِنْسَانُ كَاتِبٌ وَخَطِيبٌ وَنَحْوِي وَفَقِيهِ، هَلْ يَلْزَمُ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ تَعَدُّدُ الْأَشْخَاصِ؟ لَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ، هُوَ شَخْصٌ وَاحِدٌ وَهَذِهِ صِفَاتُهُ، كَذَلِكَ - الرَّبُّ جَلٌّ وَعَلَا - وَاللَّهُ الْمِثْلُ الْأَعْلَى فَهُوَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ لَا بَدَايَةَ لَهُ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ قَدَمِ صِفَاتِهِ - تَبَعًا لِدَايَتِهِ تَعَدُّدُ الْأَلْهَةِ وَالْقَدَمَاءِ، فَهَؤُلَاءِ الْكَرَامِيَةُ يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةٌ لَفْظًا وَمَعْنَى، فَهَمَّ يُوَافِقُونَ أَهْلَ السَّنَةِ فِي ذَلِكَ تَمَامًا، إِلَّا أَنَّهُمْ خَالَفُوا أَهْلَ السَّنَةِ بِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَهُ بَدَايَةٌ كَسَائِرِ أَفْعَالِهِ عِنْدَهُمْ، وَنَحْنُ نَقُولُ: جِنْسُ أَفْعَالِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ بَدَايَةٌ، وَمَنْ الَّذِي يُحَدِّدُ بَدَايَةَ أَفْعَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هَذَا تَقَوْلٌ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؟

٦ - قول أهل السنة والجماعة أن الله يتكلم بكلام حقيقي لفظاً ومعنى، وأن جنس الكلام قديمٌ أزلي لا بداية له كما أن ذاته ليس لها بداية، وكذلك سائر أفعاله، ولكن أنواع الكلام تكون مُحدثة متى شاء الله =

ثُمَّ الْأُولَىٰ قَالُوا بغيرِ مَشِيئَةٍ

وإِرَادَةٍ مِنْهُ فَطَائِفَتَانِ

إِحْدَاهُمَا جَعَلْتَهُ مَعْنَىٰ قَائِمًا

بِالنَّفْسِ أَوْ قَالُوا بِخَمْسِ مَعَانٍ (١)

وَاللَّهُ أَحَدَثَ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ كَيْ

تُبْدِيَهُ مَعْقُولًا إِلَى الْأَذْهَانِ (٢)

وَكَذَاكَ قَالُوا إِنَّهَا لَيْسَتْ هِيَ الـ

قُرْآنَ بَلْ مَخْلُوقَةٌ دَلَّتْ، عَلَى الْقُرْآنِ (٣)

أن يتكلم تكلم، فهو تكلم في الماضي، ويتكلم في المستقبل، ويتكلم إذا شاء، فجنس الكلام قديم، أما آحاد الكلام وأجزاء الكلام فإنها تحدث شيئاً فشيئاً حسب مشيئة الله وإرادة الله عز وجل، لهذا يقولون كلام الله قديم النوع حادث الآحاد، وكذلك أفعاله كلها: قديمة النوع حادثة الآحاد، أي: أن الله يفعل ما شاء إذا شاء كيف يشاء في الماضي وفي المستقبل وفي الدنيا والآخرة.

(١) الذين قالوا: إن كلام الله معنى قائم بنفسه انقسموا إلى قسمين: قسم يقول: هو شيء واحد لا يتجزأ. وقسم يقول: يتجزأ إلى خمسة أقسام: أمر ونهي وخبر واستخبار ونداء.

(٢) هذا قول الأشاعرة والماتريدية القائلين بالكلام النفسي قالوا: ألفاظ القرآن محدثة ومخلوقة؛ لأن القرآن هو عبارة عن المعنى القائم بالنفس الربانية، وليس هو هذا الذي في المصحف، وإنما الذي في المصحف قول جبريل، أو قول محمد، وهو حكاية عن كلام الله أو تعبير عن كلام الله.

(٣) يعني أن الألفاظ التي في المصحف ليست هي القرآن وإنما هي دالة على القرآن.

ولربّما سُمِّي بها القرآنُ تَسْ

مِيَةَ المجازِ وذاك وضعُ ثانٍ^(١)

وكذلك اختلفوا ف قيل حكايةٌ

عنه وقيلَ عبارةٌ لبيانٍ^(٢)

إذ كان ما يُحكى كـمـحكيٍّ وهـ

ذا اللفظُ والمعنى فمختلفانٍ^(٣)

(١) يقولون: إن هذه الألفاظ سُميت قرآناً من باب المجاز وإلا فهي ليست كلام الله، وإنما هي حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه.

(٢) الذين قالوا: حكاية، هم الأشاعرة، والذين قالوا: عبارة، هم الكلائية، واختلف هل بينهما فرق أي الحكاية والعبارة، قالوا: بينهما فرق؛ لأن الحكاية لا بد أن تُطابق المحكي ولا تخالفه، والعبارة أخف؛ لأن العبارة تقريب المعنى فقط، وقد توافق المُحكي أو تُخالفه شيئاً ما.

وبعض العلماء يقول: لا فرق في المعنى بين الحكاية والعبارة، كلاهما بمعنى واحد، وكلاهما باطل.

وطائفة ثالثة منهم قالت: ليس هو بحكاية ولا عبارة وإنما خلقه الله وكتبه في اللوح المحفوظ، ثم نقله جبريل من اللوح المحفوظ ولم يسمعه من الله جلّ وعلا.

(٣) هذا المحذور عندهم قالوا: لو قلنا: إنه حكاية، صار لا بد أن يتطابق المحكي مع الحكاية، وليس كذلك، ليس بين الكلام الذي هو معنى قائم بذات الله واللفظ الموجود في المصحف، تطابق تام، فلذلك الأسهل أن نقول: عبارة عن كلام الله وليس حكاية.

ولذا يُقالُ حكى الحديثَ بعينه

إذ كان أوَّلُه نظيرَ الثاني^(١)

فلذا قالوا لا نقولُ حكايةً

ونقولُ ذاكَ عبارةَ الفرقانِ

والآخرونَ يروُنَ هذا البحثَ لفظاً

ظيماً وما فيه كبيرُ معانٍ^(٢)

* * *

(١) يُقالُ: حكى الحديثَ: إذا جاء به بلفظه ومعناه، ويُقالُ: عبَّرَ عن

الحديثَ: إذا جاء بمعناه فقط.

(٢) طائفةٌ ثالثةٌ يقولونَ: الحكايةُ والعبارةُ بمعنى واحدٍ فيجوزُ أن يُقالَ: إن

هذا حكايةٌ وهذا عبارةٌ.

فصل

في مذهب الاقترانية^(١)

والفرقةُ الأخرى فقالت إنه
لفظاً ومعنى ليس يتفصلان
واللفظُ كالمعنى قديمٌ قائمٌ
بالتنفسِ ليسَ بِقابلِ الحِداثِ
فالسَّينُ عندَ الباءِ لا مسبوقَةٌ
لكنْ هُما حرفانِ مُقتَرنانِ
والقائلونَ بذَا يقولوا إنما
ترتيبُهما بالسمعِ بالأذانِ^(٢)
ولها اقترانٌ ثابتٌ لذواتِها
فاعجَبْ لذا التخليطِ والهُديانِ
لكنَّ زاغونيَّهم قد قال إن
ذواتِها ووجودُها غيرانِ

(١) الاقترانية يقولون: المعنى واللفظ كلاهما قديم، ليس منهما شيءٌ حادث،
وَحروفُ كلامِ الله مقترنة لا يسبق بعضها بعضاً، فالباء لا تسبق السين في
«بسم الله» مثلاً.

(٢) يعني أن كون بعضها يسبق بعضاً إنما هو في أسماع الناس، وإلا فهي بالنسبة
لله مقترنة ليس بينها سبق، وحذَفَ النون من «يقولوا» لضرورة الشعر.

فترتبت بوجودها لا ذاتها

يا للعقولِ وزَيغَةِ الأذهانِ^(١)

ليسَ الوجودُ سِوَى حَقِيقَتِهَا لذي الـ

أذهانِ بلْ في هذهِ الأعيانِ

لكنْ إذا أخذَ الحَقِيقَةُ خارجاً

ووجُودَهَا ذهنًا فمُخْتَلِفَانِ

والعكسُ أيضاً مِثْلُ ذَا فإذا هُما اتـ

تَحَدَا اعتِباراً لَمْ يَكُنْ شَيْئَانِ

وبِذَا يزولُ جَمِيعُ إِشْكَالَاتِهِمْ

في ذَاتِهِ ووجُودِهِ الرَّحْمَنِ

* * *

(١) هذا قول ابن الزاغوني الحنبلي وهو قول لا معنى له، وابن القيم يستغيث للعقول، التي ابتليت بهذا الشيء، بأنها عقول مريضة.

فصل

في مذاهب القائلين بأنه متعلق بالمشيئة والإرادة

والقائلون بأنه بمشيئة
 وإرادة أيضاً فهم صنفان
 إحداهما جعلته خارج ذاته
 كمشيئة للخلق والأكوان^(١)
 قالوا وصار كلامه بإضافة الث
 تشریف مثل البيت ذي الأركان^(٢)

(١) هذا قول الجهمية والمعتزلة القائلين بأن القرآن مخلوق خارج ذات الله تعالى.

(٢) يقول الجهمية والمعتزلة: كلام الله مخلوق لفظاً ومعنى خارج ذات الرب سبحانه وتعالى، خلقه في جبريل أو في محمد أو الهواء، كما أن كلام الله لموسى خلقه الله في الشجرة فالذي كلم موسى هي الشجرة، وهل الشجرة تقول لموسى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢] تعالى الله عما يقولون.

والرد عليهم أن تقول المضاف إلى الله قسمان:

١ - إضافة مخلوق إلى خالقه كبيت الله وناقة الله وعبد الله.

٢ - إضافة صفة لموصوفها مثل: كلام الله، سمع الله، حياة الله، هذه

إضافة صفة إلى موصوف، أمّا الخلط بأن يُقال: المضاف إلى الله كهُ إضافة مخلوق إلى خالقه فهذا باطل.

ما قال عندهم ولا هو قائلٌ
 والقول لم يُسمع من الدَّيَّانِ (١)
 فالقولُ مفعولٌ لَدَيْهِمْ قائمٌ
 بِالْغَيْرِ كالأَعْرَاضِ والأَكْوَانِ
 هذِي مَقَالَةٌ كُلٌّ جَهْمِيٌّ وَهُمْ
 فِيهَا الشُّيُوخُ مُعَلِّمُو الصَّبِيَّانِ (٢)
 لَكِن أَهْلَ الأَعْتَزَالِ قَدِيمُهُمْ
 لَمْ يَذْهَبُوا ذَا المَذْهَبِ الشَّيْطَانِي (٣)
 وَهُمْ الأَوَّلِيُّ اعْتَزَلُوا عَنِ الحَسَنِ الرَّ
 ضَا البَصْرِيِّ ذَاكَ العَالَمِ الرَّبَّانِي (٤)

- (١) فعندهم ما قال الله في الماضي ولا يقول في المستقبل، وإنما كلام الله خَلَقَ خلقه الله.
- (٢) الذين تبناوا هذا المذهب هم الجهمية، ومن قلدهم، كتقليد الصبيان الذين يُقلِّدون المعلم، فمن قلد الجهمية فهو صبيٌّ في عقله وتلميذٌ لهم.
- (٣) هذا قول الجهمية قديمهم وحديثهم، أما المعتزلة فإنَّ قداماءهم لا يقولون بهذه المقالة وإنما قال بها متأخروهم.
- (٤) سبب تسميتهم بالمعتزلة: أن إمامهم واصل بن عطاء كان تلميذاً للحسن البصري رحمه الله، فجاء سائل ووقف على حلقة الحسن البصري لما كثر الاختلاف في حكم مرتكب الكبيرة، فالخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة، والمرجئة يقولون: هو مؤمن كامل الإيمان، وحصل ارتباك عند الناس في ذلك، فجاء هذا السائل يسأل الحسن عن مرتكب الكبيرة؟ فأجاب الحسن البصري رحمه الله بأنه مؤمن ناقص الإيمان. فقال واصل بن عطاء: =

وكذلك أتباع على منهاجهم
 من قبل جهنم صاحب الحديثان
 لكنما متأخروهم بعد ذلك
 لك وافقوا جهماً على الكفران^(١)
 فهم بهذا جهميّة أهل اعتزا
 لي ثوبهم أضحى له علّمان^(٢)
 ولقد تقلّد كفرهم خمسون في
 عشر من العلماء في البلدان^(٣)
 واللالكائي الإمام حكاة عن
 هم بل قد حكاه قبله الطبراني^(٤)

= أنا لا أقول: ليس بمؤمن كامل الإيمان كما تقوله المرجئة، وهو ليس
 بكافر كما تقوله الخوارج، ولكنه في المنزلة بين المنزلتين: ليس بمؤمن
 ولا كافر. وعند ذلك اعتزل واصل بن عطاء حلقة الحسن واجتمع عليه
 أصحابه، وصار يُقرّر مذهب المعتزلة، فمن ذلك الوقت سُئوا
 بالمعتزلة، لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصري رحمه الله.
 (١) متأخرو المعتزلة اعتنقوا مذهب الجهمية في أن القرآن مخلوق.
 (٢) العلم في الثوب هو الطراز، فالمعتزلة لهم علّمان: علّم اعتزال، وعلّم
 تجهم حيث جمعوا بين المذهبيين.
 (٣) كَفَر الجهمية ومن ذهب مذهبهم في أنّ القرآن مخلوق خمسمائة عالم من
 علماء أهل السنة، فالذي يقول بخلق القرآن كافر بالله عز وجل.
 (٤) حكى هذا عن هؤلاء الأئمة الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل
 السنة، وحكاه عنهم قبله الإمام الطبراني.

فصل

في مذهب الكَرَامِيَّةِ

والقائلون بأنَّه بمشيئةِ

في ذاته أيضاً فهُمُ نوعانِ

إحداهُما جعلته مَبْدِوءاً به

نوعاً حَذارِ تَسْلُسُلِ الأعيانِ (١)

فَيَسُدُّ ذاكَ عَلَيْهِمُ في زعمِهِمُ

إثباتُ خالقِ هذه الأكوانِ (٢)

فلذاك قالوا إنَّه ذو أوَّلِ

ما لِلِفناءِ عليه من سُلطانِ (٣)

(١) هذا مذهب الكَرَامِيَّةِ في كلام الله كسائر أفعاله لها بداية عندهم، وليست أزلية، والكَرَامِيَّةِ هم أتباع ابن كرام، وهذا قولٌ على الله بلا علم، وتعطيلُ الله من صفاته في الأزل، تعالى اللهُ عَمَّا يقولون.

وأهل السنة يقولون: كلام الله كسائر أفعاله، قديمُ النوعِ حادثُ الأحاد، قال تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢].

(٢) يعني هذا هو السبب في أنهم يقولون: كلام الله كلُّه جنسُه ونوعُه محدثٌ لأجل أن يسدوا القولَ بتسلسلِ الحوادثِ في الماضي.

(٣) أي وبعد حدوث الكلام لا ينقطع أبداً، فهو له بداية لكن ليس له نهاية.

وكلامه كفعاله وكلاهما
 ذو مَبْدَأٍ بَل لَيْسَ يَنْتَهِيَانِ^(١)
 قالوا وَلَمْ يُنْصِفْ خُصُومٌ جَعَجَعُوا
 وَأَتَوْا بِتَشْنِيعٍ بَلَا بُرْهَانِ
 قُلْنَا كَمَا قَالُوهُ فِي أَعْمَالِهِ
 بَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْفُرْقَانِ
 بَل نَحْنُ أَسْعَدُ مِنْهُمْ بِالْحَقِّ إِذْ
 قُلْنَا هُمَا بِاللَّهِ قَائِمَتَانِ^(٢)
 وَهُمُ فَقَالُوا لِمَ يَقُمُ بِاللَّهِ لَآ
 فِعْلٌ وَلَا قَوْلٌ فَتَعْطِلَانِ^(٣)
 لِفِعَالِهِ وَمَقَالِهِ شَرًّا وَأَبْ
 طَلٌ مِنْ حُلُولِ حَوَادِثٍ بَيَّانِ

(١) يقولون: كلام الله كأفعال الله لها بداية لكن ليس لها نهاية.
 (٢) يقول الكرامية للجهمية والطوائف المخالفة لهم: نحن أحسن منكم،
 وقولنا مطابق للكتاب والسنة، فنحن أقرب إلى الحق منكم في أوصاف
 الله بالأفعال، وأنه يفعل ما يشاء، ومن ذلك: الكلام فإن كلامه من جملة
 أفعاله سبحانه وتعالى، فنحن أحسن منكم، أما أنتم فتعطلون الله من
 أفعاله ومن الكلام، فأئنا أقرب للحق، من عطّل الله أو من وصف الله بما
 وصف به نفسه.

(٣) يعني أن الجهمية ومن أخذ بقولهم عطّلوا الله من أفعاله ومن كلامه
 فجمعوا بين تعطيلين.

تَعْطِيْلُهُ عَنْ فِعْلِهِ وَكَلَامِهِ

شَرٌّ مِنَ التَّشْنِيْعِ بِالْهَذْيَانِ

هذي مقالاتُ ابنِ كَرَّامٍ وما

رَدُّوا عليه قَطُّ بِالْبَرْهَانِ (١)

أَنْى وَمَا قَدْ قَالَ أَقْرَبُ مِنْهُمْ

لِلْعَقْلِ وَالْأَثَارِ وَالْقِرَّانِ (٢)

لَكِنَّهُمْ جَاؤُوا لَهُ بِجَعَجَاعِ

وَفِرَاقِ وَقَعَّاقِ بِشِنَانِ (٣)

* * *

(١) يقول: إنَّ ابنَ كَرَّامٍ رَدَّ عَلَيْهِمْ وَهُمْ عَجَزُوا أَنْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ.

(٢) قول ابنِ كَرَّامٍ أَقْرَبُ إِلَى الْعَقْلِ وَإِلَى الْأَثَارِ مِنْ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ خَطَأٌ مِنْ نَاحِيَةِ مَنَعَ أَفْعَالِ اللَّهِ فِي الْمَاضِي.

(٣) يعني أنَّ الْجَهْمِيَّةَ وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُمْ مَا جَاؤُوا فِي رَدِّهِمْ عَلَى خُصُومِهِمْ بِحُجَجٍ صَحِيحَةٍ.

فصل

في ذكر مذهب أهل الحديث^(١)

والآخرون أولوا الحديث كأحمدٍ

ومحمّدٍ وأئمةِ الإيمانِ

قالوا بأنَّ اللهَ حقّاً لم يزلْ

متكلِّماً بمشيئةٍ وبيانِ

إنَّ الكلامَ هو الكمالُ فكيف يَخُ

لُو عنهُ في أزلٍ بلا إمكانِ^(٢)

(١) هذا هو القول السادس من الأقوال التي ذكرها أو السابع إذا اعتبرنا أن القول بأنه أنشأه في اللوح المحفوظ قولاً مستقلاً، فتصير الأقوال التي ذكرها سبعة.

(٢) لما ذكر الناظم رحمه الله مذاهب الفرق الضالة في كلام الله من جهمية وأشاعرة وغيرهم، شرع يبيّن مذهب أهل السنة والجماعة، وهم أهل الحديث، سُمّوا بأهل الحديث؛ لأنهم يتمسكون بالحديث، وسُمّوا بأهل السنة؛ لأنهم يعملون ويتمسكون بسنة النبي ﷺ، والسنة والحديث بمعنى واحد، إلا أن السنة قد تكون أعمّ لأنها تعني الطريقة المحمدية، وسُمّوا بالجماعة؛ لأنهم لم يفترقوا كما افترقت الفرق الأخرى وإنما هم جماعةً واحدةً، منهجهم واحدٌ، ومذهبهم واحد، لم يختلفوا والله الحمد، فلذلك سُمّوا أهل السنة والجماعة، وسُمّوا أهل الحديث، =

ويصيرُ فيما لم يزلْ متكلماً

ماذا اقتضاهُ له من الإمكان^(١)

وتعاقبُ الكلماتِ أمرٌ ثابتٌ

للذاتِ مثلَ تعاقبِ الأزمانِ^(٢)

واللهُ ربُّ العرشِ قال حقيقةً

حَم مع طهَ بغيرِ قرانِ^(٣)

= ومنهم الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن إسماعيل البخاري وأئمة الإيمان ممن سار على منهجهم واقتفى أثرهم.

فقالوا: إن الله يتكلم بمشيئة وليس لكلامه بداية ولا نهاية، بل هو يتكلم متى شاء إذا شاء سبحانه وتعالى فالكلام من الكمال والله تعالى موصوف بالكمال.

وهذا البيت ردٌّ على الكرامية الذين وافقوا أهل الحديث في أن الله يتكلم بمشيئة، ولكنهم خالفوهم في القول بالبداية حيث جعلوا كلام الله له بداية.

(١) يقول: إذا كان الكلام ممتنعاً عن الله في وقتٍ كما تزعمون فما الذي جعله ممكناً بعد أن كان ممتنعاً ومستحيلاً. فالمستحيل يستمر مستحيلاً وغير ممكن، وإذا كان ممكناً وغير مستحيل فما الذي يُحدِّده في زمان دون زمان، هذا تحكُّم منكم.

(٢) هذا ردٌّ على الاقترانية الذين يقولون: إن الحروف مقترنة لم يسبق بعضها بعضاً، فيقال: إذا كان الزمان يتعاقب فله ماضٍ وحاضر ومستقبل، فكذلك الكلام يكون حاضراً وماضياً ومستقبلاً.

(٣) الحاء في «حم» سابقة للميم، والطاء سابقة للهاء في طه من غير اقتران.

بل أحرفٌ مُترَبَّاتٌ مثلَ ما
 قد رُتِّبَتْ في مَسْمَعِ الْإِنْسَانِ^(١)
 وقتانٍ في وقتٍ محالٍّ هكذا
 حرفانٍ أيضاً يوجدان في آنٍ^(٢)
 من واحدٍ متكلِّمٍ بل يوجدان
 بالرسمِ أو يتكلَّمُ الرجلانِ^(٣)
 هذا هُوَ المعقولُ أما الاقترا
 نُ فليس معقولاً لذي الأذهانِ
 وكذا كلامٌ من سِوَى متكلِّمٍ
 أيضاً محالٌّ ليس في إمكانٍ^(٤)

(١) فنحن نسمُّها مرتبةً، نسمع الحاء قبل الميم في «حم» فهي مرتبة في الكلام كما هي مرتبة في الاستماع.

(٢) لا يجتمع وقتان: ماضٍ ومستقبل، وكذلك الكلام لا يوجد كلامان في آن واحد، ولا حرفان في آن واحد، هذا لا يمكن، وهذا أيضاً رد على الاقترانة.

(٣) يوجد الحرفان المقترنان في الكتابة، فأنت تنظر إليهما مقترنين في الكتابة، ويوجدان أيضاً مقترنين من شخصين، لأنهما من متكلمين، أمَّا من المتكلِّم الواحد فلا يمكن.

(٤) هذا ردُّ على الجهمية والأشاعرة، فالجهمية يقولون: إنَّ الكلام مخلوق لفظه ومعناه خارج ذاتِ الله عزَّ وجل، والأشاعرة يقولون: معناه غير مخلوق، وأمَّا حروفه وألفاظه فهي مخلوقة كما سبق، فيقال للفرقتين: الكلام لا يُسند إلا إلى المتكلِّم، وكلام غيره لا يُسند إليه، ولو كان =

إلا لمن قامَ الكلامُ به فذا

كَلَامُهُ المَعْقُولُ فِي الأَذْهَانِ (١)

أَيَكُونُ حَيًّا سَامِعًا أَوْ مُبْصِرًا

مِنَ غَيْرِ مَا سَمِعَ وَغَيْرِ عَيْنِ (٢)

وَالسَّمْعُ وَالإِبْصَارُ قَامَ بِغَيْرِهِ

هَذَا المَحَالُّ وَوَاضِحُ البُهْتَانِ (٣)

وَكَذَا مَرِيدٌ وَالإِرَادَةُ لَمْ تُكُنْ

وَصِفًا لَهُ هَذَا مِنَ الهَيْدِيَانِ (٤)

= القرآن مخلوقاً كما تقولون للزم أن يُسند الكلام إلى غير المتكلم، فإذا كان كما تقولون: كلام محمد أو كلام جبريل فكيف يُضاف إلى الله عز وجل ويُقال: كلام الله؟ هذا غير صحيح.

(١) هو كلامُ الله بدايةً، وكلام جبريل ومحمد إبلاغاً، أما أن يُقال كلام محمد أو جبريل حقيقة ويُسند إلى الله مجازاً فهذا مخالف للعقول.

(٢) كذلك بقية الصفات. هل يُقال: الله سميع أو بصير وهو غير ذي سمع وغير ذي بصر كما تقولون، وإنما خلق السمع والبصر فيُضاف السمع والبصر إليه على أنه خالقه، هذا كلامٌ باطل.

(٣) فهم يقولون: سميع بصير، معناه أنه خالق السمع والبصر في غيره، هذا محال فلا يُقال: سميع بصير إلا لمن قامت به الصفة واتصف بها، حتى في الخلق، لا تقول: فلان بصير بمعنى أن ولده بصير، فإذا استحال هذا في الخلق ففي الخالق من باب أولى.

(٤) كذلك لا يقال: مزيد لأنه خلق الإرادة في غيره.

وكذا قديرٌ ما له من قدرةٍ

قامتْ به من أوضح البُطلانِ^(١)

واللهُ جَلَّ جلاله متكلِّمٌ

بالنقلِ والمعقولِ والبرهانِ^(٢)

قد أجمعتْ رُسُلُ الإله عليه لَمْ

ينكرهُ من أتباعِهِم رجُلانِ^(٣)

فكلامُه حقاً يقوم به وإلـ

لا لَمْ يكن متكلِّماً بقُرانِ^(٤)

(١) الصفات لا تقوم إلا بالموصوف، لا تقوم بغير الموصوف، ومنها الكلام لا يقوم إلا بالمتكلم.

(٢) دل العقل والنقل على أنه متكلم، ودلالة العقل من حيث إن الذي لا يتكلم ناقص، والذي يتكلم هذا كمال فيه والله مُنَزَّه عن النقص، والله تعالى عاب على اليهود لما عبدوا العجل لأنه لا يتكلم فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨] فلو كان الله غير متكلم، لقال اليهود لموسى: ربك غير متكلم. فالله عابهم لأنهم يعبدون من لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً، فدلَّ على أن الرب سبحانه وتعالى متكلم.

(٣) أجمعت رسل الإله على أن الله متكلم، وأن الذي نزل عليهم هو كلام الله عزَّ وجل، وبلغوه لأممهم لم يختلف في هذا واحد منهم.

(٤) كلامه يقوم به خلافاً لما يقوله الجهمية: إنه يقوم بغيره؛ لأن الله خلق الكلام فيه.

والله قال وقائلٌ وكذا يقو

لُ الحقُّ ليس كلامه بالفاني^(١)

ويكلّمُ الثقلينِ يومَ معادِهِم

حقّاً فيسمعُ قولَه الثقلانِ^(٢)

وكذا يكلّمُ حزبه في جنةِ الـ

حيوانِ بالتسليمِ والرضوانِ^(٣)

وكذا يكلّمُ رُسُلَهُ يومَ اللّقا

حقّاً فيسألُهُم عن التّيّانِ^(٤)

(١) الله جلّ وعلا لم يزل قائلاً في الماضي وفي المستقبل والكلام منه سبحانه وتعالى يكون فيما شاء وأرادهُ منه في أيّ وقت، فهو قال في الماضي ويقول في المستقبل ولا يزال قائلاً إذا شاء.

(٢) يكلمهم وهم في عرصات القيامة، ويكلم أهل الجنة، ويكلّم أهل النار فيقول لهم: ﴿أَخْشَوْا فِيهَا وَلَا تَكْلِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

(٣) الحيوان: الحياة الكاملة، قال تعالى: ﴿وَرَبِّ الدَّارِ الْآخِرَةِ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] يعني الحياة الكاملة، سُمّيت الآخرة حيواناً، لأنها لا موت فيها.

(٤) كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ...﴾ [المائدة: ١٠٩] وفي الآية الأخرى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ أَلَمْرُسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥] يكلّم الأمم؛ ويقول جلّ وعلا: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦] يسأل الله الرسل ويسأل المرسل إليه يكلّم هؤلاء وهؤلاء.

وَيُرَاجِعُ التَّكْلِيمَ جَلَّ جَلَالُهُ

وقتَ الجدالِ له من الإنسانِ^(١)

ويكلمُ الكفارَ في العَرَصاتِ تَوًّا

بيخاً وتقريراً بلا غُفرانِ^(٢)

ويكلمُ الكفارَ أيضاً في الجحيمِ

م أنِ اخسؤوا فيها بكلِّ هوانِ^(٣)

والله قد نادى الكليمَ وقبله

سَمِعَ النداءَ في الجنةِ الأبوانِ^(٤)

(١) أي: يكون فيه محاوررة ومحاضرة بين العبد وربّه يوم القيامة.

(٢) وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٤] فمعناه أن الله لا يكلمهم كلام إكرام.

(٣) كما قال تعالى: ﴿قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

(٤) كلم الله موسى فقال له: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه: ١٢] فالله تعالى خاطب موسى وسمع موسى كلامه بدون واسطة، وقال له: ﴿فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤] إلى آخر الآيات، ولذا يُسمّى موسى كليم الله لما اختصّه الله به من هذه الميزة العظيمة حيث قال: ﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمَتِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال سبحانه: ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] ناداه وناجاه، والمناداة: الصوت المرتفع، والمناجاة هي: الصوت الخفي، فلهذا جمع لموسى بين هذا وهذا، المناداة والمناجاة كما كلم الأبوين: آدم وحواء فقال لهما: ﴿الْوَأْنَهُمَا عَنِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وَأَتَى التُّدَا فِي تِسْعِ آيَاتٍ لَهُ

وَصَفَا فَرَاغَهَا مِنَ الْقُرْآنِ^(١)

وَكَذَا يُكَلِّمُ جَبْرِيلَ بِأَمْرِهِ

حَتَّى يُنْفِذَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ^(٢)

وَإِذْكَرُ حَدِيثاً فِي صَحِيحِ مُحَمَّدٍ

ذَاكَ الْبُخَارِيُّ الْعَظِيمِ الشَّانِ

فِيهِ نِدَاءُ اللَّهِ يَوْمَ مَعَادِنَا

بِالصَّوْتِ يَبْلُغُ قَاصِياً وَالِدَانِي

هَبْ أَنْ هَذَا اللَّفْظَ لَيْسَ بِشَابِتٍ

بَلْ ذِكْرُهُ مَعَ حَذْفِهِ سَيَّانٍ

(١) كما ذكر الله ذلك في تسع آيات فيها أن الله نادى ويُنَادِي راجعها من القرآن تجدها.

(٢) كما في حديث التَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاوَاتُ رَجْفَةً شَدِيدَةً، فَإِذَا سَمِعَ الْمَلَائِكَةُ ذَلِكَ صَبَعُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ سَجْدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جَبْرِيلُ فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا شَاءَ، وَيَسْمَعُ جَبْرِيلُ كَلَامَهُ وَيُنْفِذُ بِهِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ وَيُبَلِّغُهُ»^(*).

(*) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي «التفسير» ٣٧٣/١٠ (٢٨٨٤٩)، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي «التفسير» ٥١٦/٦ فِي تَفْسِيرِهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

ورواه عندكم البخاريُّ المُجَسِّمُ

سِمٌ بِلْ رَوَاهُ مُجَسِّمٌ فَوْقَانِي (١)

أَيْصَحُّ فِي عَقْلِ وَفِي نَقْلِ نَدَا

ءٌ لَيْسَ مَسْمُوعاً لَنَا بِأَذَانٍ (٢)

أَمْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ وَالْعُقَلَاءُ مِنْ

أَهْلِ اللِّسَانِ وَأَهْلِ كُلِّ لِسَانٍ (٣)

أَنَّ النَّدَا الصَّوْتُ الرَّفِيعُ وَضُدُّهُ

فَهُوَ النَّجَاءُ كِلَاهُمَا صَوْتَانِ (٤)

وَاللَّهُ مُوصُوفٌ بِذَلِكَ حَقِيقَةً

هَذَا الْحَدِيثُ وَمُحَكَّمُ الْقُرْآنِ

وَأَذْكَرُ حَدِيثاً لِابْنِ مَسْعُودٍ صَرِيحاً

حَافِئاً أَنَّهُ ذُو أَحْرَفٍ بَيِّنٍ

(١) أي: روى حديث التكلّم الإمام البخاريُّ (*) الذي تقولون: إنه مُجَسِّمٌ؛

لأنه يصف الله بالصفات، والذي يصف الله بالصفات عندهم مُجَسِّمٌ،

ورواه من قبله، وهناك أدلةٌ أخرى ماذا تصنعون بها؟

(٢) أي: لا يُسَمَّى نداءً إلا إذا كان مسموعاً، فالذي لا يُسمع لا يُسَمَّى نداءً

وإذا سُمع فإنه كلام.

(٣) النداء لا يكون إلا كلاماً مسموعاً، هذا في وضع اللغة العربية.

(٤) كلاهما وردا، ﴿وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] هذا

فيه إثباتُ المناداة والمناجاة لله عز وجل، وهما صوتان مسموعان.

(*) في «صحيحه» تعليقا قبل الحديث (٧٤٨١)، وفي «الأدب المفرد» (٩٧٠).

الحرف منه في الجزاء عَشْرٌ مِنَ الـ

حَسَنَاتٍ مَا فِيهِنَّ مِنْ نُقْضَانٍ (١)

وانظر إلى السور التي افْتُتِحَتْ بِأَحـ

رُفْهَا تَرَى سِرّاً عَظِيماً الشَّانِ (٢)

(١) هذا حديث صحيح «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، فالحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الَمْ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» (*) فأثبت أن القرآن حروف، كلُّ حرفٍ بحسنة، وكلُّ حسنة بعشر أمثالها والحروف لا تكون إلا للكلام.

(٢) أي: الحروف المقطعة في أوائل السور مثل «الَمْ - حَمْ - صَ - قَ - نَ»، وقد اختلف العلماء فيها: هل تُفَسَّرُ أو لا تُفَسَّرُ؟ وشيخ الإسلام ابن تيمية له فيها كلامٌ جيد يقول: «إن السر في افتتاح هذه السور بهذه الحروف هو إظهار إعجاز القرآن» أي: أن هذا القرآن مركَّبٌ من مثل هذه الحروف التي تتكلمون بها، ومع هذا عجزتم عن الإتيان بشيءٍ من مثله، ولذلك يأتي بعد هذه الحروف ذكر القرآن ﴿الَمْ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿البقرة: ١-٢﴾ ﴿الرَّكَّاتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] ﴿حَمْ﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿الزخرف: ١-٢﴾ دَلَّ عَلَى أَنَّ السَّرَّ فِيهَا التَّنْبِيهَ عَلَى إعجاز القرآن وأنه مركَّبٌ من مثل هذه الحروف التي تنطقون بها.

(*) أخرجه الترمذي (٢٩١٠) من حديث عبد الله بن مسعود، وقال: هذا حديث حسن

لم يأت قط بسورةٍ إلا أتى
 في إثرها خبرٌ عن القرآن^(١)
 إذ كان إخباراً به عنها وفي
 هذا الشفاء لطالب الإيمان
 ويدلُّ أن كلامه هو نفسها
 لا غيرها والحق ذو تبيان^(٢)
 فانظر إلى مبدا الكتاب وبعدها أَلْ
 أعرافٌ ثم كذا إلى لقمان
 مع تلوها أيضاً ومع حم مع
 يس وافهم مقتضى الفرقان^(٣)

(١) كل الحروف المقطعة يأتي بعدها ذكرٌ للقرآن مما يشير إلى الإعجاز في القرآن وبعض العلماء يقول: هذه الحروف المقطعة الله أعلم بمراده منها ويتوقفون عن تفسيرها.

(٢) يدل ذلك على أن كلام الله مركّب من مثل هذه الحروف التي ينطقون بها.
 (٣) انظر إلى مبدا الكتاب وهو: سورة البقرة: ﴿الْم ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿ [٢-١] والأعراف: ﴿ الْمَص ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿ [٢-١] ولقمان: ﴿ الْم ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْعَزِيمِ ﴿ [٢-١] والسجدة تلوها ﴿ الْم ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [٢-١] و ﴿ يَس ﴿ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿ [يس: ١-٢] و ﴿ حَم ﴿ عَسَق ﴿ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ [الشورى: ١-٣] فكل الحروف المقطعة سواء كانت حرفاً واحداً مثل ﴿ ن ﴿ أو ﴿ ص ﴿ أو كانت حرفين أو أكثر يأتي بعدها حديث عن القرآن وعظمته وإنزاله من الله عز وجل، ففيها إشارة إلى الإعجاز في القرآن.

فصل

في إلزامهم القول بنفي الرسالة

إذا انتفت صفة الكلام^(١)

واللهُ عزَّ وجلَّ مُوصِيٌّ أَمْرٌ

ناهٍ مُنَبِّئٌ مُرْسِلٌ لِيَانِ^(٢)

ومخاطبٌ ومحاسبٌ ومُنَبِّئٌ

ومحدِّثٌ ومخبرٌ بالشَّانِ^(٣)

(١) إذا انتفت صفة الكلام عن الله تعالى لزم تشبيه الله تعالى بالجمادات الناقصة التي لا تتكلم، وإذا انتفت صفة الكلام عن الله انتفت الرسالات، لأنه بماذا يُرْسَلُ الرسل، إذا لم يكن لله كلامٌ يأتون به ويُبلغونه للناس، فبماذا يُرْسَلُ الرسل إذا؟! فالرسول إنما مهمته تبليغ كلام المُرْسِلِ، فإذا لم يكن للمُرْسِلِ كلامٌ فماذا يُبَلِّغُ الرسول؟!

(٢) يرسل الرسل بهذه الأشياء، يأمر وينهى، ويحلل ويحرم، ويوصي بالطاعة، وينهى عن المعصية، ويرسل الأنبياء والرسل لبيان شرائعهم، هذا موضوع كلام الله عزَّ وجلَّ، فإذا لم يكن له كلامٌ فكيف يأمر، وكيف ينهى، وكيف يحلل، وكيف يحرم، وكيف يُرْسَلُ الرسول؟!

(٣) أي: إذا انتفت صفة الكلام عن الله كيف يحاسب الخلق، وكيف يُكَلِّمُ عباده؟ إذا لم يكن متكلماً تعدَّرت هذه الأشياء.

وَمُكَلِّمٌ مُّتَكَلِّمٌ بَلْ قَائِلٌ
 وَمُحَدِّثٌ وَمُنَبِّئٌ بِأَمَانٍ
 هَادٍ يَقُولُ الْحَقَّ يُرْشِدُ خَلْقَهُ
 بِكَلَامِهِ لِلْحَقِّ وَالْإِيمَانِ^(١)
 فَإِذَا انْتَفَتِ صِفَةُ الْكَلَامِ فَكُلُّ هَذَا
 إِذَا مُتَّفِقٌ مُتَّحِقُّ الْبُطْلَانِ^(٢)
 وَإِذَا انْتَفَتِ صِفَةُ الْكَلَامِ كَذَلِكَ أَلْ
 إِرسَالٌ مَنَفِيٌّ بِلَا فَرَقَانِ^(٣)
 فَرِسَالَةُ الْمَبْعُوثِ تَبْلِيغٌ كَلَامِ
 مَ الْمُرْسِلِ الدَّاعِي بِلَا نُقْصَانِ^(٤)

-
- (١) قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤] أخبر أنه يقول سبحانه وتعالى، وأن قوله هو الحق، وأنه يهدي السبيل، كيف يهدي إذا لم يكن يتكلم؟!
- (٢) كل هذه المعاني تنتفي إذا انتفى كلام الله عز وجل، فلا أمر ولا نهى ولا تحليل ولا تحريم ولا إرسال ولا تبشير ولا إنذار، فإذا انتفت صفة الكلام انتفت الرسائل، وإذا انتفت الرسائل بطلت الشرائع.
- (٣) فلا يُقال رسول إلا إذا كان مُرْسَلًا، والإرسال لا يكون إلا بكلام من المُرسِل، يرسله به لِيُبلِّغه إلى المُرسَل إليهم، فعندنا مُرسِل ورسول ومرسَل إليهم فلا بُدَّ لِتُحَقِّقَ هذه المعاني من كلام المُرسِل.
- (٤) لأن الرسول من يحمل رسالة، والرسالة هي كلام المُرسِل.

وحقيقة الإرسالِ نفسُ خطابهِ

للمرسلينِ وأنهُ نوعانِ

نوعٌ بغيرِ وساطةٍ كلامه

موسىٰ وجبريلُ القريبُ الداني^(١)

(١) الله جلَّ وعلا يتكلمُ بالكلام الذي يسمعه من يرسله به، إما من وراء حجاب بدون واسطة، كما حصل لموسىٰ ويحصل لجبريل ولنبينا محمد ﷺ ليلة المعراج، كلهم كلمهم من غير واسطة وهو من وراء حجاب، أو يكلمهم بواسطة الرسول المَلَكِي إلى الرسول البشري، فالله تعالى يكلمُ الرسولَ البشري بواسطة الرسول المَلَكِي بكلامه سبحانه وتعالى بأنه ينزل به جبريل على محمد ﷺ ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْمَلَائِكِ ۖ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٦٦﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٦٧﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٦٨﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] وقد يكون كلام الله وحياً بدون واسطة وهو ما يُسمَّى بالإلقاء في الرُوع، أي: في رُوع النبي ﷺ بدون واسطة جبريل عليه السلام، ويجمع هذه المعاني قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ اللَّهُ إِلَٰهًا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ [الشورى: ٥١] فهذه ثلاثة أنواع.

النوع الأول: الوحي: وهو الإلهام والإلقاء في الرُوع بدون واسطة،

أو الكلام بدون واسطة.

النوع الثاني: الكلام مباشرة من وراء حجاب.

النوع الثالث: الكلام بواسطة بين الرب وبين المرسل إليه.

وكل الأنواع الثلاثة فيها كلام الله سبحانه وتعالى.

منه إليه من وراء حجابِه
 إذ لا تراه ها هنا العينان^(١)
 والآخرُ التَّكْلِيمُ منه بالوَسَا
 طة وهو أيضاً عنده ضَرْبانِ
 وحي وإرسالٌ إليه وذاك في الشِّدَّةِ
 سُورَى أتى في أحسنِ التَّيَّانِ^(٢)

* * *

(١) لا ترى العينان الربَّ ها هنا: يعني في الدنيا، وإنَّما يُرى في الآخرة، أمَّا في القلب فيرى سبحانه وتعالى ويُقال لها: الرؤية القلبية.

(٢) يشير إلى ما جاء في آخر سورة الشورى من قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٌ ﴾ [الشورى: ٥١].

فصل

في إلزامهم التشبيه للرب بالجماد الناقص

إذا انتفت صفة الكلام

وإذا انتفت صفة الكلام فضدّها

حَرَسٌ وَذَلِكَ غَايَةُ النُّقْصَانِ (١)

فلئن زعمتم أنّ ذلك في الذي

هو قابلٌ من أمة الحيوان

والربُّ ليس بقابلٍ صفة الكلا

م فنفيها ما فيه من نقصانٍ (٢)

فيقال سلبُ كلامه وقبُوله

صفة الكلام أتمُّ للنقصانِ (٣)

(١) الذي لا يتكلم أحرص، والحرصُ صفة نقص، والربُّ جلٌّ وعلا منزّه عن صفات النقص.

(٢) يمكن أن يجيئوا فيقولوا: إن عدم الكلام إنّما يكون نقصاً في الذي يقبل الكلام، فالذي يقبل الكلام إذا لم يقدر على الكلام فهذه صفة نقص فيه؛ لأنه قابل للكلام وسلبه منه صفة نقص، أمّا الربُّ جلٌّ وعلا فغير قابل للكلام، فلا يلزم من نفيه عنه النقص، فنقول لهم: أنتم وقعتم في خطأ أعظم من الأول، حيث شبهتموه بالجمادات، ولا شك أن التشبيه بالجمادات أقبح من التشبيه بالحيوان.

(٣) يعني إذا كان لا يقبل الكلام فهذا أشدّ نقصاً من التشبيه بالذي يقبل الكلام.

إِذْ أَخْرَسَ الْإِنْسَانَ أَكْمَلَ حَالَةً

من ذا الجمادِ بأوضحِ البرهانِ^(١)

فجحدتَ أوصافَ الكمالِ مخافةَ الثُّ

تَجْسِيمِ والتشبيهِ بالإنسانِ

ووقعتَ في تشبيهه بالجامدا

تِ الناقصاتِ وذا من الخِذلانِ^(٢)

اللهُ أكبرُ هتكتَ أستاركُم

حتى غدوتُم ضحكةَ الصبيانِ^(٣)

(١) الإنسان الأخرس الذي يقبل الكلام أكمل من الحجر أو الجدار الذي لا يقبل الكلام.

(٢) الذي يقبل الكلام أكمل من الذي لا يقبل الكلام وأنتم شبهتم الله بالأنقص .

(٣) لأنهم قالوا في حق الله ما لا يليق به، وما حملهم على هذا إلا تضليل الناس وإفساد العقائد، وإلا لو أرادوا الحق لالتزموا بالكتاب والسنة، لأنهما كلام الله ووحيه، والله أعلم بنفسه سبحانه وتعالى، ورسوله هو أعلم الخلق بربه عز وجل، فالواجب التزام الكتاب والسنة، وعدم اتباع التخرصات والأهواء والافتراضات التي ما أنزل الله بها من سلطان، فإنها متاهات ومهالك لا تنتهي إلى غاية، ولذلك لا يزال المتخبطون يتخبطون إلى يوم القيامة من ضلال إلى ضلال، يكفّر بعضهم بعضاً، ويرد بعضهم على بعض، ويبدع بعضهم بعضاً؛ لأنهم في ضلال وعمه، انعزلوا عن الكتاب والسنة، وصار كلٌّ يذهب إلى طريق ويقول: الحقُّ معي وليس معكم وهكذا، أمّا أهل الحق وأهل العلم الذين ثبتوا على الكتاب والسنة فلا تزال كلمتهم واحدة، وطريقهم واحد، واستراحوا من هذا العناء ومن هذا التخبُّط ومن هذا التناقض .

فصل

في إلزامهم بالقول بأنَّ كلام الخلق
حقُّه وباطله عينُ كلام الله سبحانه^(١)

أو ليسَ قد قامَ الدليلُ بأنَّ أف
عَالَ العبادِ خَلِيقَةَ الرَّحْمَنِ^(٢)
مِنْ أَلْفِ وَجْهِ أَوْ قَرِيبِ الأَلْفِ يُحَدِّثُ
صِيهَا الَّذِي يُعْنَى بِهَذَا الشَّانِ

(١) هذا إلزامٌ آخر بأن يُقال: إذا قلتم إنَّ كلامه هو ما خلَّقه في المخلوقات
فُنسب الكلام إليه لأَنَّهُ خَلَّقه فيها، فيقال: إذا يلزم شرُّ أشد وهو أن يكون
كل كلام المخلوقات هو كلام الله، حتى نباح الكلاب وكلام المجانين
والفُسَّاق كُلُّهُ كلامُ الله تعالى الله عن ذلك، وقد التزموا بهذا، ولهذا يقول
شاعرهم:

وكلُّ كلام في الوجود كلامه سواءً علينا نثره ونظامه
أي: كل كلام المخلوقات عين كلام الله لماذا؟ قال: لأن الله
خالقه، فما دام هو الذي خلق هذا الكلام فيها فكلامها هو كلام الله، هل
أبعد من هذا الضلال شيء والعياذ بالله، حتى السب والشتم والغيبة
والنميمة والكلام المُحرَّم كله عندهم كلام الله، انظر كيف ينتهي الإلحاد
بالإنسان إذا أفلت من الكتاب والسنة.

(٢) يعني أن الله خلق أفعال العباد كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾

فيكون كُلُّ كَلَامٍ هَذَا الْخَلْقِ عِي

نَ كَلَامِهِ سُبْحَانَ ذِي السُّلْطَانِ (١)

إِذْ كَانَ مَنْسُوباً إِلَيْهِ كَلَامُهُ

خَلَقاً كَبَيْتِ اللَّهِ ذِي الْأَرْكَانِ

هَذَا وَلَا زُمْ قَوْلِكُمْ قَدْ قَالَه

ذُو الْإِتْحَادِ مُصَرِّحاً بَيَانِ (٢)

حَذَرَ التَّنَاقُضِ إِذْ تَنَاقَضْتُمْ وَلَـ

كُنْ طَرْدُهُ فِي غَايَةِ الْكُفْرَانِ

(١) يقول: يلزم على قولكم إن كلام الخلق ينسب إلى الله، يُنسب إليه لأنه خالقه، كما يُنسب بيت الله والكعبة إلى الله لأنه ربُّها، نسبة تشریف، فنسبة الكلام إليه على قولكم نسبة تشریف لأنه خالقه، فيلزم أن كل ما في المخلوقات من كلام أنه كلام الله حقّه وباطله.

(٢) الاتحادية هم الذين يقولون: إن وجود الخلق هو عين وجود الخالق ليس هناك انقسام، ولذا يسمون أهل وحدة الوجود، فالجهمية اجتمعوا مع أهل وحدة الوجود في أن كلام الموجودات هو كلام الله؛ لأن الموجودات هي الله لا فرق بينها وبين الله، حتى إن بعضهم يقول للكلب: هذا ربي، ويقولون: ما ضلّ فرعون إلا لأنه حصر الربوبية فيه وإلا لو عمّمها في الخلق ما صار ضالاً، لكنه قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَخْلَقُ﴾ [النازعات: ٢٤] مع أنه ليس هو كلّ الخلق، فهو ضلّ لأنه حصر الربوبية فيه، وأنكر موسى عليه هذا التخصيص.

فَلَيْنُ زَعَمْتُمْ أَنَّ تَخْصِيصَ الْقُرْآنِ

نِ كَيْبِيهِ وَكِلَاهُمَا خَلْقَانِ

فَيُقَالُ ذَا التَّخْصِيصِ لَا يَنْفِي الْعُمُومَ

مَ كَرَبِّ ذِي الْأَكْوَانِ

وَيُقَالُ رَبُّ الْعَرْشِ أَيْضاً هَكَذَا

تَخْصِيصُهُ لِإِضَافَةِ الْقُرْآنِ

لَا يَمْنَعُ التَّعْمِيمَ فِي الْبَاقِي وَذَا

فِي غَايَةِ الْإِضَاحِ وَالتَّبَيُّانِ^(١)

* * *

(١) فكون الله رب العرش العظيم لا يمنع أنه رب كل شيء، ولكنه خصص العرش لعظمة العرش، وإلا فهو رب كل شيء، فقلوه: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] لا يعني أن ربوبيته خاصة بالعرش، وإنما ذكر العرش لعظمته، وفي هذا مدح للعرش وثناء عليه وتمجيد لخلقته، واختصاصه من بين سائر المخلوقات تشریف، وإلا فالرب سبحانه عامّة ربوبيته لكل شيء، وعند الجهمية أن تخصيص القرآن بأنه كلام الله وإضافته إليه مثل تخصيص العرش بالربوبية ﴿رَبُّ الْعَرْشِ﴾ من باب التشریف.

فصل

في التفريق بين الخلق والأمر^(١)

ولقد أتى الفرقانُ بين الخلقِ والـ
 أمرِ الصريحِ وذاك في الفرقانِ
 وكلاهما عندَ المنازعِ واحدٌ
 والكلُّ خلقٌ ما هنا شيئانِ^(٢)
 والعطفُ عندهمُ كعطفِ الفردِ من
 نوعٍ عليه وذاك في القرآنِ^(٣)

(١) هذا مما يُردُّ به على القائلين بأن القرآن مخلوق: بأن الله فرَّق بين الخلق والأمر في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فعطف الأمر على الخلق، والعطف يقتضي المغايرة، فدلَّ على أن الأمر غير الخلق وأنتم تقولون: هما سواء، كلاهما مخلوق، فكون الله عطف الأمر على الخلق وغاير بينهما، دليلٌ على أن الأمر الذي هو كلام الله غير الخلق؛ لأن الأمر من كلام الله، ولأن كلام الله يشتمل على أمر ونهي، وخبر وقصص.

(٢) هم يقولون: كلاهما شيء واحد، ومعنى هذا: أنه لا فائدة من العطف.

(٣) يقولون: إنَّه قد يُعطف الشيء على نفسه مثل: ﴿ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥] فالأعمال داخلة، في حقيقة الإيمان وإنما عطفها لأهمية الأعمال، فعطف الأمر على الخلق هو من باب عطف الخاص على العام، ونقول لهم: الأصل المغايرة، وأن المعطوف غير المعطوف عليه، هذا هو الأصل إلا أن تأتوا بدليل يدل على الخصوص والعموم وليس معكم دليل.

فَيُقَالُ هَذَا ذُو امْتِنَاعٍ ظَاهِرٍ
 فِي آيَةِ التَّفْرِيقِ ذُو تَبْيَانٍ
 فَاللَّهُ بَعْدَ الْخَلْقِ أَخْبَرَ أَنَّهَا
 قَدْ سُحِّرَتْ بِالْأَمْرِ لِلْجِرْيَانِ (١)
 وَأَبَانَ عَنِ تَسْخِيرِهَا سُبْحَانَهُ
 بِالْأَمْرِ بَعْدَ الْخَلْقِ بِالتَّبْيَانِ (٢)
 وَالْأَمْرُ إِمَّا مَصْدَرٌ أَوْ كَانَ مَفْعُ
 عُولاً هُمَا فِي ذَاكَ مُسْتَوِيَانِ

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] ففارق بين الخلق وبين التسخير بالأمر، فلم يقل: «مسخرات بخلقه» بل قال: «بأمره» فدلَّ على أنَّ الأمر غير الخلق فيكون العطف هنا للمغايرة، فأول الآية يبطل قولكم إن العطف فيها للخصوص والعموم، بل هو للمغايرة لأن الله غاير بينهما في أول الآية، فكذلك في آخرها.

(٢) حَيْثُ قَالَ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤] ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ [الأعراف: ٥٤] وَهَذَا وَاضِحٌ فِي أَنَّ الْأَمْرَ غَيْرَ الْخَلْقِ، فَيَحْمَلُ آخِرَ الْآيَةِ عَلَى أَوْلَاهَا، وَيَكُونُ الْعَطْفُ لِلْمُغَايِرَةِ، وَلَيْسَ هُوَ لِلْعُمُومِ وَالْخُصُوصِ كَمَا تَقُولُ الْجَهْمِيَّةُ، فَالْعَطْفُ لِلْمُغَايِرَةِ وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ.

مَأْمُورُهُ هُوَ قَابِلٌ لِلأَمْرِ كَأ
 مَصْنُوعٍ قَابِلٌ صَنَعَةَ الرَّحْمَنِ
 فَإِذَا انْتَفَى الأَمْرُ انْتَفَى المَأْمُورُ كَأ
 مَخْلُوقٍ يُنْفَى لَانْتِفَا الحِذْثَانِ
 وَانْظُرْ إِلَى نَظْمِ السِّيَاقِ تَجِدْ بِهِ
 سِرّاً عَجِيباً وَاضِحَ البُرْهَانِ
 ذَكَرَ الخِصُوصَ وَبعْدَهُ مُتَقَدِّماً
 وَالوصفَ وَالتعميمَ فِي ذَا الثَّانِي
 فَاتَى بنوعِي خَلْقِهِ وَبِأَمْرِهِ
 فعلاً وَوصفاً مُوجِزاً بَيَانِ
 فَتَدَبَّرِ القُرْآنَ إِنْ رُمْتَ الهُدَى
 فَالعِلْمُ تَحْتَ تَدَبُّرِ القُرْآنِ^(١)

* * *

(١) يقول: إنه يجب على الإنسان أن يتدبر السياق، وإذا تدبر السياق عرف المقصود، والسياقات تختلف، كلُّ سياقٍ له مقصد وله معنى، ولا يُحمل بعضُهُ على بعضٍ إلا إذا كان لذلك سبب، وإلا فالأضلُّ أن كل معنى مستقلٌّ عن الآخر. وتدبر القرآن هو سبيل الهداية والعلم النافع.

فصل

في التفريق بين ما يُضاف إلى الرب سبحانه وتعالى
من الأوصاف والأعيان^(١)

واللهُ أَخْبَرَ فِي الْكِتَابِ بِأَنَّهُ
مِنْهُ وَمَجْرورٌ بِمِنْ نَوْعَانِ
عَيْنٌ وَوَصْفٌ قَائِمٌ بِالْعَيْنِ فَالْ
أَعْيَانُ خَلَقَ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ
وَالْوَصْفُ بِالْمَجْرورِ قَامَ لِأَنَّهُ
أَوْلَى بِهِ فِي عُرْفِ كُلِّ لِسَانٍ
وَنظِيرٌ ذَا أَيْضاً سِوَاءٍ مَا يُضَا
فُ إِلَيْهِ مِنْ صِفَةٍ وَمِنْ أَعْيَانِ

(١) ما يُضاف إلى الله قسماً:

١ - إضافة أوصاف.

٢ - إضافة أعيان، فالأوصاف لا تقوم بنفسها، وإنما تقوم بالوصوف كالسمع والبصر والعلم والإرادة والكلام، هذه أشياء لا تقوم إلا بالوصوف لأنها معانٍ، والمعاني لا تقوم بنفسها فإضافتها إلى الله إضافة صفة إلى الموصوف، والأعيان قائمة بنفسها مثل: ناقة الله، بيت الله، عبد الله فإضافتها إلى الله إضافة المخلوق إلى خالقه.

فإضافة الأوصاف ثابتة لمن
 قامت به كإرادة الرحمن^(١)
 وإضافة الأعيان ثابتة له
 ملكاً وخلقاً ما هما سيان
 فانظر إلى بيت الإله وعلمه
 لَمَّا أُضِيفَ كَيْفَ يَفْتَرِقَانِ^(٢)
 وكلامه كحياته وكعلمه
 في ذي الإضافة إذ هما وصفان
 لكن ناقته وبيت إلها
 فكعبده أيضاً هما ذاتان
 فانظر إلى الجهمي لَمَّا فَاتَهُ الـ
 حَقُّ المبين وواضح البرهان
 كان الجميع لديه باباً واحداً
 والصبح لاح لمن له عينان^(٣)

(١) الإرادة والعلم والقُدرة والسمع والبصر، هذه كلها معانٍ وأوصافٌ لا تقوم بنفسها، إنما تقوم بالموصوف كالألوان: الحمرة والصفرة والبياض والسواد هذه لا تقوم بنفسها وإنما تقوم بالموصوف.

(٢) العلم معنًى، فإضافته إليه إضافة صفة إلى موصوف والبيت عين فإضافته إليه إضافة مخلوق إلى خالقه.

(٣) لا يُفَرِّقُ الجهمي بين الوصف والعين، يقول: كلُّه من إضافة المخلوق إلى خالقه وهذا من أعظم الجهل، ولكن الصبح واضح والله الحمد وإن كان بعض الناس لا يرونه.

فصل

وأتى ابنُ حزمٍ بعدَ ذلكَ فقالَ ما
للناسِ قرآنٌ ولا إثنانِ
بل أربعٌ كلُّ يُسمَى بالقرا
نِ وذلكَ قولٌ بيِّنُ البطلانِ
هذا الذي يُتلى وأخرُ ثابتٌ
في الرسمِ يُدعى المصحفَ العثماني
والثالثُ المحفوظُ بينَ صدورنا
هذي الثلاثُ خليفةُ الرحمنِ
والرابعُ المعنى القديمُ كعلمِهِ
كلُّ يُعبَّرُ عنه بالقرآنِ^(١)

(١) لما ذكر الشيخ رحمه الله أقوال الناس في القرآن خصوصاً، وفي كلام الله عموماً أراد أن يستوفي كلَّ ما قيل في هذه المسألة من حقِّ وباطلٍ وخطأٍ وصوابٍ؛ ليكون طالب العلم على معرفة بهذه الأمور؛ لأنَّ من لا يعرف الشرَّ يوشك أن يقع فيه، فكما أنَّ الإنسان يجب عليه أن يعرف الحقَّ بتفاصيله وأدلته، فكذلك يجب عليه أن يعرف ما يناقضه من باطلٍ من أجل أن يحذره ويحذره منه، لا سيَّما إذا كان هذا الخطأ منسوباً إلى من هو من أئمة العلم، وقال قولاً مخالفاً للصواب، فإن خطر هذا أشدَّ، =

ولذلك ذكر قول ابن حزم وخطأه مع أن ابن حزم رحمه الله إمامٌ جليل =
لكنه أخطأ في مسائل ومنها هذه المسألة، وابن حزم هو: الإمام أبو محمد
علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي من أكابر علماء الأندلس
وحُفَظَ الحديث، وله مشاركة في علوم كثيرة كالفقه والحديث والتاريخ
والأصول وغير ذلك، فمقامه في العلم لا يُنكر ولكن يؤخذ عليه أشياء،
وكان شافعيًا، ثمَّ إنَّه اعتنق المذهب الظاهري فصار ظاهريًا، والمذهب
الظاهري هو الأخذ بظاهر النصوص دون نظر إلى العلل والقياس
والمقاصد، وهو مذهب داود بن علي الظاهري الإمام المعروف، وتبعه
عليُّ هذا المذهب طوائف يُسمُّون بالظاهرية، لأنهم يأخذون بظواهر
النصوص فقط، ولهم شطحات وقعوا فيها بسبب هذا المذهب، فاعتنقه
هذا الإمام ودافع عنه بما أوتي من قوة البيان والحجة والفصاحة، وله
كتابٌ مشهور في الفقه والحديث اسمه «المُحَلَّى شرح المُجَلَّى»، وهو
كتابٌ مشهور وفيه علمٌ غزير، ولكن فيه حدةٌ في نقد خصومه، وتهجُّمٌ
على أصحاب المذاهب الأربعة شوَّهت كتابه هذا، وإلا ففيه علمٌ غزير لو
خلا من حدة اللهجة وشدة الطعن في خصومه، لو خلا من ذلك لكان
كتابه مفيداً جداً، هذا الإمام غلط في مسألة القرآن، وجمع بين مذهب
الأشاعرة ومذاهب أخرى خلط فيها، فيقول: القرآن ليس قرآناً واحداً،
هناك أربعة قرآانات: بعضها مخلوق وبعضها غير مخلوق، فالقرآن يطلق
على أشياء:

يطلق على ما في المصاحف من المكتوب، ويطلق على ما يُتلى

بالألسن.

وأظنه قد رامَ شيئاً لم يجدْ

عنه عبارة ناطقٍ بيان

إنَّ المُعَيَّنَ ذو مراتبٍ أربع

عُقِلَتْ فلا تخفى على إنسان

في العينِ ثمَّ الذَّهْنِ ثمَّ اللفظِ

ثمَّ الرسمِ حينَ تحُطُّه بيان

ويُطلق على ما يحفظ في الصدور، والمخلوق منها هو المحفوظ في الصدور، والمكتوب في المصاحف والمتلو باللسنة، كلُّ هذه مخلوقة.

والمعنى الرابع: وهو المعنى القائم بالنفس الإلهية، الذي قالت به الأشاعرة والكلائية، المعنى القائم بنفس الرب سبحانه وتعالى، يقول: هذا غير مخلوق، وهذا كلام باطل؛ لأن كل هذه الأشياء التي ذكرها كلها غير مخلوقة، لا القرآن المكتوب في المصاحف، ولا القرآن المتلو باللسن، ولا القرآن المحفوظ في الصدور، كل هذه غير مخلوقة، كيما عبّر عنها تسمى كلام الله سبحانه وتعالى، فكلام الله مكتوب في المصاحف، وكلام الله محفوظ في الصدور، وكلام الله متلو باللسنة، فهو غير مخلوق بأي اعتبار، إنما المخلوق أدوات الخلق، كأصواتهم في التلاوة، فالأصوات مخلوقة لكن المتلو غير مخلوق، والكتابة التي هي عبارة عن رسم الحروف هي عمل البشر، فالبشر هو الذي يخط ويكتب ولكن المخطوط والمكتوب غير مخلوق؛ لأنه كلام الله سبحانه وتعالى.

وعلى الجميع الاسم يُطلق لكن الـ

أولى به الموجود في الأعيان^(١)

بخلاف قول ابن الخطيب فإنه

قد قال إنَّ الوضع للأذهان^(٢)

فالشياء شيء واحد لا أربع

فدهى ابن حزم قلة الفرقان^(٣)

(١) هذا المعنى الذي ذكره ابن حزم من القرآنيات الأربعة بزعمه لا يختص بالقرآن وإنما يعم كل الموجود، فكل موجود له اعتبارات أربعة، مثلاً زيد من الناس يكون له وجود في الخارج وهو ذاته وجسمه القائم المشاهد، وله وجود في الذهن، تتصوره أنه شخص، وأنه كذا وكذا في ذهنك.

وله وجود في اللفظ، تتلفظ به وتقول: زيد، وله وجود في الكتابة، حين تكتب اسم زيد.

هذه وجودات أربعة، إنما يُطلق منها حقيقة على الموجود في الأعيان، أما ما كان موجوداً في الذهن أو في الكتابة أو في اللفظ فهذا ليس وجوداً حقيقياً وإنما هي أشياء يعبر عنها الشخص، فابن حزم نقل هذا الذي على الأعيان وجعله على القرآن وهذا غير صحيح.

(٢) ابن الخطيب هو فخر الدين الرازي محمد بن عمر يقول الموجود: هو ما كان في الأذهان، وهذا غلط ظاهر.

(٣) الذي سبب لابن حزم هذا الغلط أنه ما فهم هذه المسألة، ولذلك غلط فيها، ولذلك يجب على الإنسان ألا يتسرع في شيء لا يعرفه حتى يتقنه =

والله أخبر أنه سبحانه

متكلم بالوحي والفرقان^(١)

وكذاك أخبرنا بأن كتابه

بصُورِ أهلِ العلمِ والإيمان^(٢)

وكذاك أخبر أنه المكتوب في

صُحُفٍ مطهَّرةٍ من الرِّجْسِ^(٣)

= وإلا فإنه يقع في الغلط، فهذا إمامٌ جليل ومع ذلك وقع في هذا الخطأ؛ لأنه لم يتصوّر هذه المسألة، وتكلّم فيها بدون تصوّر لها فكيف بغيره. فقولُه: «دهى ابن حزم قلة العرفان» أي: قلة العرفان في هذه المسألة.

(١) هذا ردُّ على ابن حزم في مقاله التي سبق ذكرها.

(٢) أخبر الله أنه تكلم بالقرآن فقال: «كلام الله» ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة:

٦]، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥] فسماه كلامه، وأخبرنا

أن كلامه محفوظ في الصدور ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا

الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] يعني القرآن، فدلّ على أن المحفوظ في الصدور

كلام الله عز وجلّ، وليس كما يقول ابن حزم: إنه مخلوق.

(٣) وكذلك أخبر الربُّ أن كلامه هو المكتوب في المصاحف، قال تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّهَا لَنَذْكُرُهُ﴾ ١١ ﴿مَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ ١٢ ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾ ١٣ ﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ ١٤ ﴿بِأَيْدِي

سَفَرَةٍ﴾ ١٥ ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١١-١٦] فأخبر أن كلامه مكتوب في هذه

الصُّحُفِ التي مع الكرام البررة من خلقه، وأن هذا الكلام هو كلامه.

وكذلك أخبر أنه المتلوُّ وأل

مَقْرُوءٌ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْإِنْسَانِ (١)

وَالكُلُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا أَنَّهُ

هُوَ أَرْبَعٌ وَثَلَاثَةٌ وَاثْنَانِ (٢)

وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ أَفْعَالٌ لَنَا

وَكَذَا الْكِتَابَةُ فَهِيَ خَطٌّ بِنَانِ (٣)

(١) قال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ [البينة: ٢-٣]

يتلو ما في هذه الصحف، فدلّ على أن المكتوب في هذه الصحف الذي يتلوه الرسول هو كلامُ الله سبحانه وتعالى.

(٢) الكلُّ شيءٌ واحد هو القرآن سواءً كُتِبَ أو حُفِظَ أو قرئ هو كلامُ الله جلّ وعلا.

(٣) انتهى من الرد على ابن حزم وانتقل إلى مسألة ثانية جرى فيها النزاع بين أهل السنة، كالإمام البخاري ومحمد بن يحيى الذهلي والإمام أحمد وغيرهم، وهي هل يجوز أن يُقال: لفظي بالقرآن مخلوق أو لا يجوز؟ هذه مسألة حصل فيها نزاع، وحصل بسببها هجر بين الإمام البخاري وشيخه محمد بن يحيى الذهلي رحمهما الله، فالإمام الذهلي يرى أنه لا يُقال: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، بل يتوقف في هذا الأمر، والإمام البخاري وابن القيم يرون التفصيل.

فاللفظ يُراد به المصدر، أي: التلفظ، وهذا مخلوق؛ لأنه عبارة عن أداء وصوت، والصوت مخلوق، ولذلك يختلف القراء بعضهم صوته حسن، وبعضهم صوته غير حسن، بعضهم يلحن في القرآن وبعضهم =

لَكُنَّمَا الْمَتْلُوءُ وَالْمَكْتُوبُ وَالْ

مَحْفُوظٌ قَوْلُ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ

وَالْعَبْدُ يَقْرُوهُ بِصَوْتٍ طَيِّبٍ

وَبِضْدِهِ فَهَمَّا لَهُ صَوْتَانِ

وَكَذَاكَ يَكْتُبُهُ بِخَطٍّ جَيِّدٍ

وَبِضْدِهِ فَهَمَّا لَهُ خَطَّانِ

= يقرأ القرآن جيداً، لو كان اللفظ الذي هو التلفظ هو القرآن لم يختلف هذا الاختلاف من حسن إلى ما دونه، وإلى خطأ وصواب في اللفظ، لأن كلام الله شيء واحد، فالتفاوت هذا يدل على أن الصوت مخلوق، وعلى أن التلفظ فعل الإنسان، وأنه مخلوق، أما الملفوظ به - اسم المفعول - وهو القرآن فهو غير مخلوق.

فلا بد أن نفرّق بين اللفظ والملفوظ، اللفظ الذي هو المصدر بمعنى التلفظ هذا مخلوق، وأما الملفوظ به فهذا غير مخلوق، فلا يجوز أن تقول: لفظي بالقرآن مخلوق مطلقاً، ولا يجوز أن تقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق مطلقاً، بل لا بدّ من التفصيل. تقول: إن أريد باللفظ الملفوظ فهو غير مخلوق، وإن أريد باللفظ التلفظ فهذا مخلوق.

كذلك الكتابة هل كتابة القرآن مخلوقة أو غير مخلوقة؟ تقول: نفس الكلام الذي في اللفظ، إن كان المراد بالكتابة معنى الكتب والخط فهذا مخلوق؛ لأنه عمل الإنسان، لذلك يختلف من خطّ جيد إلى خطّ غير جيد، فهو عمل الإنسان، أما المخطوط والمكتوب فهذا كلام الله غير مخلوق.

أصواتنا ومدادنا وأداؤنا
والرَّقُّ ثمَّ كتابَةُ القرآنِ^(١)
ولقد أتى في نظمه مَنْ قال قَوْ
لَ الحَقِّ والإنصافِ غيرَ جبانِ
إنَّ الذي هُوَ في المصاحفِ مُثبِتُ
بأناملِ الأشياخِ والشُّبانِ
هو قولُ ربِّي آيُهُ وحُرُوفُهُ
ومِدادُنا والرَّقُّ مخلوقانِ^(٢)
فشفَى وفَرَّقَ بينَ مَثَلٍ ومَصِّ
نوعٍ وذاك حَقِيقَةُ العِرفانِ^(٣)

(١) هذه كلها مخلوقة، الصوت مخلوق، وورق المصحف مخلوق، والمداد الذي يكتب به القرآن مخلوق، وعمل الإنسان وهو الرسم مخلوق، لكن المكتوب كلامُ الربِّ سبحانه وتعالى.

(٢) يعني الإمام القحطاني، وله قصيدة نونية مشهورة، وذكر منها ابن القيم رحمه الله هذين البيتين، وأثنى على القحطاني لأنه أتى بالتفصيل الذي هو مذهب الإمام أحمد والبخاري وأئمة الحديث، ففصل بين الورق وبين المكتوب في الورق، فالمكتوب في الورق هو كلام الرحمن، والكتابة والورق مخلوقان.

(٣) أي: يشفى الصدور بهذا التفصيل، وهذا دليل على معرفته؛ لأن التفصيل لا بد منه، أمّا الإجمال فلا يحصل به المقصود ولا يتبين به الحق.

الكلُّ مخلوقٌ وليس كلامُه إلَّ

مَتَلُّوْ مَخْلُوقاً هُنَا شَيْئَانِ (١)

فعلِيكَ بالتفصِيلِ والتمييزِ فال

إِطْلَاقُ والإجمالُ دونَ بيانِ (٢)

قد أفسدَا هذا الوجودَ وخَبَطَا ال

أذهبانَ والآراءَ كلَّ زمانِ (٣)

وتلاوةُ القرآنِ في تعريفها

باللامِ قد يُعْنَى بها شَيْئَانِ

يُعْنَى بها المَتَلُّوْ فهو كلامُه

هُوَ غَيْرُ مخلوقٍ كذِي الأكوَانِ

(١) هناك فرق بين المتلو والتلاوة والمكتوب والكتابة كما سبق بيانه .

(٢) هذا ردُّ على الذين أجملوا في اللفظ بالقرآن وقالوا: لا نقول: مخلوق، ولا غير مخلوق، فالإجمال لا يحصل به المقصود ولا يتبين به الحق، وهذا البيت قاعدة ينبغي أن يتخذها طالب العلم في بحثه .

(٣) فلا بد من التفصيل، فالذي لا يُحسن أن يُفصّل فإنه يسكت؛ لأنه لا يحصل بكلامه فائدة، فكل ما يحصل من الأخطاء سببه عدم التفصيل بين الحق والباطل، فلا بد من التفصيل والتمييز وعدم الخلط، فقد يكون في كلام الخصم شيءٌ من الحق وفيه شيء باطل، فلا تجعله كله باطلاً، ولا تجعله كله حقاً، بل ميّز بين حقه وباطله، فلا تردّه كله ولا تقبله كله، بل ميّز بين ما فيه حقٌ وصوابٌ وما فيه من باطلٍ وخطأ، وإذا كنت لا تُحسن التفصيل فلا تدخل هذا الميدان .

ويرادُ أفعالُ العبادِ كصوتِهِمْ
وأدائِهِمْ وكلاهما خَلْقَانِ^(١)
هذا الذي نصّت عليه أئمةُ الـ
إسلامِ أهلُ العلمِ والعرفانِ
وهو الذي قصد البخاريُّ الرضا
لكن تقاصرَ قاصِرُ الأذهانِ^(٢)
عن فهمِهِ كتقاصرِ الأفهامِ عَن
قولِ الإمامِ الأعظمِ الشيباني
في اللفظِ لَمَّا أن نفى الضّدينِ عند
هُ واهتدى للنفى ذو عرفانِ^(٣)

(١) إذا قيل: هل التلاوة للقرآن مخلوقة أو غير مخلوقة فلا بد أن تفصل بين المتلوّ والتلاوة، أمّا المتلوّ فهو كلام الله سبحانه وتعالى، وأمّا التلاوة بالصوت والأداء فهو فعل البشر، وهو مخلوق، فلا بد من التفصيل فتقول للسائل: ما مرادك بالتلاوة، هل مرادك المتلوّ فهذا غير مخلوق، أو مرادك اللفظ والصوت والأداء فهذا مخلوق.

(٢) الذي قصد الإمام البخاري في قوله: إنّ التلاوة أو القراءة أو الكتابة فيها تفصيل، شيء مخلوق وشيء غير مخلوق، فأنكروا عليه بدون تفهم لكلامه ومعرفة مقصوده، ورموه بالقول بخلق القرآن - والعياذ بالله - وهذا اتهام شنيع لإمام جليل.

(٣) قصرُوا في فهم كلام الإمام البخاري كما قصرُوا في فهم كلام الإمام أحمد في مسألة اللفظ بالقرآن حيث نفى الضدين عنه، فلم يقل: إنه =

فَاللَّفْظُ يَصْلُحُ مَصْدَرًا هُوَ فِعْلُنَا

كَتَلْتُهُ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ

وَكَذَاكَ يَصْلُحُ نَفْسَ مَلْفُوظٍ بِهِ

وَهُوَ الْقُرْآنُ فَذَاكَ مُحْتَمَلَانِ

فَلَذَاكَ أَنْكَرَ أَحْمَدُ الْإِطْلَاقَ فِي

نَفْيِ وَإِثْبَاتِ بِلَا فُرْقَانٍ^(١)

* * *

= مخلوق ولا غير مخلوق مطلقاً، بل فصل فقال: اللفظ الذي هو بمعنى التللفظ مخلوق، واللفظ الذي هو بمعنى الملفوظ غير مخلوق. وعرف ذلك من كلامه أهل التحقيق من العلماء.

(١) أنكر الإمام أحمد أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق مطلقاً، وأنكر أن يقال: لفظي بالقرآن غير مخلوق مطلقاً، لأنه لا بُدَّ من التفصيل بين اللفظ والملفوظ.

فصل

في الفلاسفة والقرامطة في كلام الربّ جلّ جلاله^(١)

(١) لما انتهى من بيان أقوال المتكلمين وقول أهل السنة في كلام الله والتفصيل في هذه المسألة، أراد أن يُتم البحث في ذكر كلام غير الإسلاميين (في كلام الرب عموماً) من الفلاسفة والقرامطة والاتحادية، وهذه طوائف كفرية. والفلاسفة: جمع فيلسوف، وفيلسوف كلمة يونانية يقولون: إنها مركبة من كلمتين، فيلا وسوف، فيلا: معناها المحب، وسوف: معناها الحكمة، فالفيلسوف معناه عندهم: مُحب الحكمة.

واليونان دولة قديمة نشأ فيها فلاسفة كأرسطو وأفلاطون، وجاء بعدهم فلاسفة تتلمذوا عليهم وفلاسفة يُنسبون إلى الإسلام كالفارابي وابن سينا، ونصير الكفر الطوسي. هؤلاء فلاسفة ينسبون إلى الإسلام وقد تلقوا مذهبهم عن فلاسفة اليونان.

والسبب في سريان فلسفة اليونان إلى المسلمين واعتناق هؤلاء لها: هو المأمون العباسي - غفر الله لنا وله - فإنه هو الذي نقل كتب الروم وعربها، وجعلها بأيدي المسلمين بما فيها من شر، وبما فيها من فتنة، وما فيها من ضلال، فأثرت على كثير من المسلمين فيتحمل هو وزرها وإثمها. والسبب في هذا: أنه استوزر أناساً خونة من المعتزلة وعلماء الكلام فأثروا عليه في نقل هذه العلوم، فلما عُرِّبَت هذه الكتب دخل الشر على المسلمين.

ولهذا يقول الإمام أحمد: لا أظن أن الله يغفل عن المأمون فقد أدخل في الإسلام ما ليس منه. وعلى كل حال هذا هو السبب الذي وصل هذا الضلال وهذا الكفر وهذا الإلحاد إلى من تأثر به من المسلمين، =

وأتى ابنُ سينا القرمطيُّ مُصانِعاً

للمسلمينَ بِإفكٍ ذي بُهتانٍ (١)

فَرَاهُ فَيْضاً فَاضَ مِنْ عَقْلِ هُوَ الْ

فَعَّالُ عِلَّةٌ هَذِهِ الْأَكْوَانِ (٢)

= وحمى الله الأئمة وحمى الله علماء المسلمين المتمسكين بالكتاب والسنة، لكن حصل عليهم محنة بسبب ذلك، كما حصل للإمام أحمد وغيره من الأئمة بسبب تعريب هذه الكتب وإدخالها إلى بلاد الإسلام.

(١) ابن سينا: هو الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، ويلقب بالرئيس؛ لأنه متقدّم في الفلسفة والطب، وهو من الشيعة الباطنية. اعتنق هذا المذهب الإلحادي، وأراد أن يجمع بين الفلسفة ودين الإسلام، فأليس الفلسفة ثوباً دينياً، وزعم أنها لا تتعارض مع نصوص الإسلام، فجمع بين التلبس والتضليل لخداع المسلمين. إذا رأى النصوص تُخالف ما يريد أوّل النصوص وحرّفها حتى تتوافق مع ما يريده.

(٢) هذا الملحد يرى أنه ليس لله كلام وإنما هو: فيضٌ فاض من العقل، الفعّال الذي هو أحد الأفلاك، الذي تنشأ عنه الحوادث، فاض منه وصادف أن محمداً له فطرة صافية وذكاء، فهذا الفيض أثر في نفسه وتصوره كأن أناساً يُخاطبونه ويكلمونه، يظنهم ملائكة، فتكلّم بهذا الذي يسمّى القرآن تخيلاً منه، وأراد بذلك التأثير على العوام، أمّا العقلاء فإنهم لا يتأثرون بهذا، ولذلك يرى بزعمه أن القرآن ليس فيه براهين، وإنّما هو خطب ومواعظ، ليس فيه براهين عقلية، هذا رأي ابن سينا في القرآن، أنه صاغه محمد بناء على ما تخيّل في ذهنه، يريد بذلك إصلاح العوام الذين لا يحتاجون إلى براهين، بل يكفيهم الوعظ والخطابة والتأثير.

حتى تلقَّاهُ ذَكِيٌّ فاضِلٌ
 حَسَنُ التَّخْيِيلِ جَيِّدُ التَّبْيَانِ^(١)
 فَأَتَى بِهِ لِلْعَالَمِينَ خُطَابَةً
 وَمَوَاعِظاً عَرِيَّتَ عَنِ الْبُرْهَانِ^(٢)
 مَا صرَّحَتْ أَخْبَارُهُ بِالْحَقِّ بَلْ
 رَمَزَتْ إِلَيْهِ إِشَارَةً لِمَعَانِ^(٣)
 وَخُطَابُ هَذَا الْخَلْقِ وَالْجُمْهُورِ بِالِ
 حَقِّ الصَّرِيحِ فَغَيْرُ ذِي إِمْكَانِ
 لَا يَقْبَلُونَ حَقَائِقَ الْمَعْقُولِ إِلَّا
 لَا فِي مِثَالِ الْحِسِّ وَالْأَعْيَانِ^(٤)

(١) يقول: ليس محمد نبياً إنما هو إنسان ذكي وصافي الذهن، فخيَّل للناس هذه الأمور تخيلاً، وإلا فإنه لم يأتَه مَلَكٌ ولا نزل عليه قرآن، إنما هو ذكي فخيَّل للناس هذه التخيُّلات، وقال: إنَّ الرب أرسلني، وأنزل عليَّ القرآن، وأنه كلام الله... وهو شيءٌ حدث في نفسه وتخيُّله، وأصدره للناس كلاماً على حسب عقول العوام. هذا اعتقاد ابن سينا في القرآن والنبِيِّ - والعياذ بالله -.

(٢) يقول: إنَّ القرآن مجرد خطابة ومواعظ، ما فيه براهين عقلية تُقنع العقول.
 (٣) يقول: إن محمدًا يعلم أنَّ هذا القرآن ليس بحقيقة، ولكنه يريد أن يُخيَّل للناس لأجل مصلحتهم فقط.

(٤) يقول: إن محمدًا لو خاطب الناس بالذي هو يعرف ما قبلوا منه، لكنه خاطبهم بالذي يصلح لهم فقط.

ومشاربُ العقلاء لا يردونها

إلا إذا وُضِعَتْ لهم بأواني^(١)

مِنْ جِنْسٍ مَا أَلْفَتْ طِبَاعُهُمْ مِنْ أَلْ

مَحْسُوسٍ فِي ذَا الْعَالَمِ الْجُمْثَانِي

فَاتُوا بِتَشْبِيهِهِ وَتَمَثِيلِهِ وَتَجْ

سِيمٍ وَتَخْيِيلٍ إِلَى الْأَذْهَانِ^(٢)

وَلِذَلِكَ يَحْرُمُ عِنْدَهُمْ تَأْوِيلُهُ

لَكِنَّهُ حِلٌّ لِذِي الْعِرْفَانِ^(٣)

فَإِذَا تَأَوَّلْنَاهُ كَانَ جِنَايَةً

مَنْ أَوْ خَرَقَ سِيَاجَ ذَا الْبُسْتَانِ

لَكِنْ حَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ أَنْ قَدْ أَتَوْا

بِالْكَذِبِ عِنْدَ مَصَالِحِ الْإِنْسَانِ^(٤)

(١) يقول: إن عامة الناس لا يصلون إلى معارف العقلاء، فلا بد أن يخاطبوا

بما يعرفونه ولو كان مخالفاً للحقيقة، وهذا الذي فعله محمد معهم.

(٢) كل الرسل عند الفلاسفة، مُخَيَّلَةٌ وَمَشْبَهَةٌ، ما أتوا بالحقائق التي يعرفها العقلاء.

(٣) يقولون: العوام لا يصلح أن يفسر لهم القرآن على حقيقته بل يفسر لهم على ظاهره، أمرٌ ونهيٌّ ووعدٌ ووعدٌ وأخبار، لكن لو فُسِّرَ الْقُرْآنُ التفسيرَ الصحيح على منهج الفلاسفة ما قبلوه، لأنه لا تتحملة أذهانهم.

(٤) حقيقة قول ابن سينا وأمثاله أن الرسل جاؤوا بالكذب من أجل مصلحة الناس.

والفيلسوفُ وذا الرسولُ لديهمُ
 مُتفاوتانِ وما هُما عِدلانِ^(١)
 أمّا الرسولُ ففيلسوفُ عوامهمُ
 والفيلسوفُ نبيُّ ذي البرهانِ^(٢)
 والحقُّ عندهمُ ففيمَا قاله
 أتباعُ صاحبِ منطقِ اليونانِ^(٣)
 ومضى على هذي المقالةِ أمةً
 خَلَفَ ابنِ سينا فاغْتَدَوْا بِلِبانِ^(٤)
 منهم نصيرُ الكفرِ في أصحابِه
 الناصرينِ لملّةِ الشيطانِ^(٥)
 فاسألْ بهمُ ذا خبرةٍ تلقاهمُ
 أعداءَ كلِّ مُوحِّدِ رباني

(١) الفيلسوف عندهم أفضل من الرسول، لأنه لا يتكلم إلا عن برهان وعن حقيقة، أما الرسول فإنه يُخَيَّل ويكذب من أجل المصلحة.

(٢) يقولون: الفيلسوف نبي العقلاء، وأما الرسول فهو نبي العوام.

(٣) الحق عندهم ما جاء به منطق اليونان والفلسفة، وأما ما جاءت به الرسل فإنه مجرد تخييل فقط لا حقيقة له.

(٤) تأثر بابن سينا طوائف أخذوا مذهبه، كالفارابي والطوسي وغيرهم.

(٥) نصير الكفر: هو نصير الدين الطوسي شيعي باطني جرّ التتار على بلاد المسلمين، وهو متأثر بفلسفة ابن سينا ومعه سائر الشيعة الباطنية.

واسأل بهم ذا خبرة تلقاهم

أعداء رُسلِ الله والقرآن^(١)

صوفيَّهم عبْدُ الوجودِ المطلقِ الـ

معدومِ عندَ العقلِ في الأعيانِ^(٢)

أو مُلحدٌ بالإتحادِ يدينُ لا الثـ

توحيدِ مُنسلخٍ من الأديانِ

معبودُهُ موطوؤُهُ فيه يرى

وَصَفَ الجمالِ ومظهرَ الإحسانِ^(٣)

(١) هذه حقيقة الباطنية أنهم أعداء الرسل، وأعداء المسلمين، وأعداء
الموحدّين، وإن كانوا يتسمون بالإسلام.

(٢) لما ذكر أقوال هذه الفرق الفلسفية انتقل إلى قول الصوفية الذين انحدروا
من مذهب الفلاسفة وهم قسمان:

صوفية معطلة على مذهب الجهمية، ينفون الأسماء والصفات،
ويعبدون رباً ليس له أسماء ولا صفات فهو رب معدوم؛ لأن الذي ليس
له أسماء ولا صفات معدوم.

وصوفية اتحادية ويأتي ذكرها.

(٣) هذا هو القسم الثاني من الصوفية الملاحدة وهم أهل وحدة الوجود أتباع
ابن عربي الطائي الذين يقولون: إن الله هو الكون كله، ليس هناك خالق
ومخلوق ولا تعدد ولا انقسام، ولا ينزه الله عن الأشياء المستقدرة؛ لأنها
عين الله عنده، فالله عندهم هو الموطوء بالجماع وهو المأكول وهو
الكلب والخنزير وهو كل شيء - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -،
وهذا انسلاخ من الأديان كلها حيث لا يقول بهذا القول القبيح غيرهم.

اللهُ أَكْبَرُ كَمْ عَلَىٰ ذَا الْمَذْهَبِ الـ
 مَلْعُونٍ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ شَيْخَانِ
 يَبْغُونَ مِنْهُمْ دَعْوَةً وَيُقَبَّلُو
 نَ أَيَادِيًا مِنْهُمْ رَجَا الْغُفْرَانِ
 وَلَوْ أَنَّهُمْ عَرَفُوا حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ
 رَجَمُوهُمْ لَا شَكَّ بِالصَّوَانِ^(١)
 فَايْذُرْ لَهُمْ إِنْ كُنْتَ تَبْغِي كَشَفَهُمْ
 وَافْرِشْ لَهُمْ كَفًّا مِنَ الْأَتْبَانِ
 وَاطْهَرِ بِمِظْهَرٍ قَابِلٍ مِنْهُمْ وَلَا
 تَطْهَرِ بِمِظْهَرٍ صَاحِبِ الثُّكْرَانِ
 وَانظُرْ إِلَىٰ أَنْهَارِ كَفْرِ فُجِّرَتْ
 وَتَهْمُ لَوْلَا السِّيفُ بِالْجَرِيَانِ^(٢)

(١) أي كم على مذهب أهل وحدة الوجود من مشائخ الضلال الذين يعظمهم الناس لعدم معرفتهم بحقيقة مذهبهم؛ لأنهم يظهرون التقى والتشف والزهدي، ويتظاهرون بتعظيم الرسول والقرآن والسنة، فهذا التبس أمرهم على الناس فصاروا يعظمونهم ويطلبون منهم الدعاء، ويقبلون أيديهم تعظيماً لهم، ولو علموا حقيقة قولهم في الله، وأنه هو الكون كله بما فيه من كل قبيح لرجموهم بالحجارة.

(٢) يعني إذا كنت تريد معرفة مذهبهم فأظهر لهم الموافقة والتعظيم لهم، ولا تنكر عليهم ليوحوا لك بما عندهم إذا وثقوا منك فإنهم أهل تقية ونفاق.

فصل

في مقالات طوائف الاتحادية

في كلام الرب جل جلاله

وَأَتَتْ طَوَائِفُ الْإِتْحَادِ بِمِلَّةٍ

طَمَّتْ عَلَى مَا قَالَ كُلُّ لِسَانٍ^(١)

قَالُوا كَلَامُ اللَّهِ كُلُّ كَلَامٍ هـ

ذَا الْخَلْقِ مِنْ جِنٍّ وَمِنْ إِنْسَانٍ

نَظْمًا وَنَثْرًا زُورَةً وَصَحِيحَةً

صَدَقًا وَكُذْبًا وَاضِحَ الْبُطْلَانِ^(٢)

فَالسَّبُّ وَالشَّتْمُ الْقَبِيحُ وَقَذْفُهُمْ

لِلْمُحْصَنَاتِ وَكُلِّ نَوْعِ أَغَانٍ

وَالنُّوْحُ وَالتَّعْزِيمُ وَالسَّحَرُ الْمَبِيءِ

مِنْ وَسَائِرِ الْبُهْتَانِ وَالْهَذْيَانِ

(١) أي أن اعتقادهم في كلام الله هو أقبح أقوال العالم، والاتحادية هم القائلون بوحدة الوجود.

(٢) قالوا كل الكلام كلام الله الكذب والصدق والشعر والنثر والزور والبهتان والسب والشتم كله كلام الله عندهم؛ لأنه ليس هناك انقسام بين الخالق والمخلوق بل كل الوجود هو الله عندهم.

هو عينُ قولِ اللهِ جَلَّ جلالُه

وكلامُه حقاً بلا نُكرانٍ^(١)

هذا الذي أدَّى إليه أصلُهُم

وعليه قامَ مُكسَّحُ البُيانِ^(٢)

إذ أصلُهُم أنَّ الإلهَ حقيقةً

عينُ الوجودِ وعينُ ذي الأكوانِ

فكلامُها وصفاتُها هو قولُه

وصفاتُه ماها هنا قولانٍ^(٣)

وكذاك قالوا إنَّه الموصوفُ بالضُّ

ضِدَّيْنِ من قُبْحٍ ومن إحسانٍ^(٤)

(١) كل هذه الأنواع القبيحة من الكلام هي كلام الله عندهم تعالى الله عما يقولون.

(٢) هذا الذي أدَّى إليه أصل وحدة الوجود حيث قالوا: إن الكون كله هو الله، ليس فيه انقسام بين خالق ومخلوق، فكل ما في الكون من كلام فهو كلام الله.

(٣) إذا كان الوجود كله هو الله عندهم فكل كلام الكائنات هو كلام الله؛ لأنها هي الله عندهم.

(٤) ويترتب على هذا المذهب الخبيث أيضاً: أن كل الكائنات هي الله حسنها وقبيحها، الكلب والخنزير كلها عندهم هي الله، تعالى الله عما يقولون.

وكذاك قد وصفوه أيضاً بالكما

لِ وَضِدِّهِ مِنْ سَائِرِ التَّقْصَانِ (١)

هذي مقالات الطوائف كلها

حُمَلَتْ إِلَيْكَ رَخِيصَةً الْأَثْمَانِ (٢)

وأظنُّ لو فَتَّشْتَ كُتُبَ النَّاسِ مَا

أَلْفَيْتَهَا أَبَدًا بَذَا التَّيَّانِ (٣)

زُفْتُ إِلَيْكَ فَإِنْ يَكُنْ لَكَ نَازِرٌ

أَبْصَرْتَ ذَاتَ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ (٤)

(١) وبناء على مذهبهم وصفوه بالضدين، بالكمالات وبالنقائص؛ لأن هذا كله متفرّع عن القول بوحدة الوجود، فإذا كان الوجود فيه كمالات وفيه نقائص، وفيه مدح وفيه ذم، وفيه خير وفيه شر، وفيه حسن وفيه قبيح، فيلزم أن يوصف الله بالمتضادات، تعالى الله عما يقولون.

(٢) لما انتهى من سياق أقوال الفرق في كلام الله، وجمعها لك قال: إن هذا الجمع وهذا الحصر وهذا التقسيم الذي ذكره نادرٌ أن تجده في كتاب من الكتب، إلا متفرقاً، فافهمه واعتن به حتى يكون عندك إمام بمقالات الطوائف في كلام الله سبحانه وتعالى.

(٣) يقول: لو أنك فتشت الكتب تطلب هذه المقالات ما وجدتتها مجموعة، لكن تجدها متفرقة يصعب عليك حصرها.

(٤) لا بد أن تعرف الحق وتعرف الضلال، ومقالات الضالين من أجل أن تحذر منها وتُحذّر منها، فليست معرفة هذه الأقوال محبة لها، وإنما ذلك من أجل الحذر منها، ولئلا يغتر الإنسان بها، لأنها مُزوّرة ومزوّقة، =

فاعطف على الجهمية المغل الأولي

خرقوا سياج العقل والقرآن^(١)

شرّد بهم من خلفهم واكسرهم

بل ناد في ناديهم بأذان^(٢)

= لأن كل قول خالف الكتاب والسنة فهو باطل دون نظير إلى من قاله، فالحق يعرف بالدليل دون أن يُعرف بالرجال.

(١) لما انتهى من هذه المقالات في كلام الله، وبيّن الحق والصواب والباطل منها قال: «اعطف على الجهمية»؛ لأن الجهمية هم أصل الضلال، وهذه الفرق كلها متفرعة عنها وناشئة منها، فهم أول من طرق باب الضلال - والعياذ بالله - وكما ذكر العلماء: أنّ أصل مقالتهم موروثه أو مروية عن اليهود، فلذلك أعاد الكلام فيهم؛ لأنهم هم أصل البلاء، والجهمية أتباع الجهم بن صفوان رأس المذهب، والمغل: لعله يقصد بهم المغول وهم طائفة من البشر يُقال لهم: التتار حصل منهم ما حصل على المسلمين في غزوهم لبلاد المسلمين، وتقتيلهم للمسلمين، وإتلافهم كتب المسلمين. يزعمون بذلك أنهم يقضون على الإسلام، ولكن والحمد لله الإسلام محفوظ، وما نقصوا الإسلام قيد شعرة مع ما بذلوه من الفتك والقتل والكيد، ولكن الإسلام لم يتأثر بهم - والحمد لله - فالناظم كأنه شبه الجهمية بالمغول في كيدهم للإسلام.

(٢) يعني لا تتهاون مع الجهمية أبداً؛ بل عليك أن تُحذّر منهم، وأن تكسر حججهم وأقوالهم وتبين بطلانها، ولا تتهاون بشأنها، لأنه لا بد من حربها ومضادتها، ولا يمكن هذا إلا بمعرفة هذه المذاهب وهذه الأقوال الخبيثة، لأنّ الجاهل بالشيء لا يمكن أن يُحذّر منه ويتجنبه حتى يعرفه =

أفسدتمُ المعقولَ والمنقولَ والـ

مَسْمُوعَ من لغةٍ بكلِّ لِسَانٍ^(١)

أيصحُّ وصفُ الشيءِ بالمُشْتَقِّ والـ

مَسْلُوبٍ معناهُ لذي الأذهانِ^(٢)

= لثلا يقع فيه وهو لا يدري، فالعناية بمحاربة هذه الأفكار أمرٌ واجبٌ لا يجوز التساهل فيه، ولا الغفلة عنه، لأن لها دعاة وأتباعاً، وإذا غُفل عنهم نشرها، فلا بد أن يكون المسلمون دائماً على حذر ودائماً في جهاد ﴿يَتَأَيَّبُوا النَّبِيَّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣] الكفار يُجاهدون بالسلاح، وأما المنافقون والزنادقة فيُجاهدون بالحجة والبيان.

(١) يُخاطب الجهمية يقول لهم: أفسدتم المعقول، يعني الأدلة العقلية، وأفسدتم المنقول الذي هو الكتاب والسنة.

(٢) هل يصح أن يُقال: الله سبحانه وتعالى متكلم، لأنه خلق الكلام، وأنه سميع، لأنه خلق السمع، لا، لأن الله متصف بهذه الأمور، ولكن لأنه خالقها فيقال عندهم: الله متكلم بمعنى: أنه خالقٌ للكلام، ويُقال: الله سميع؛ لأنه خالقٌ للسمع، وبصير لأنه خالقٌ للبصر، هل هذا يصح في العقل أو في النقل؟! إن الشيء يوصف بما هو خارجٌ عنه، بل لا يوصف بالشيء إلا من هو متصفٌ به حقيقة، فلا يوصف الله بالكلام إلا لأنه متكلم حقيقة، ولا يوصف بأنه سميعٌ وبصيرٌ إلا لأنه ذو سمع وذو بصر، ولا أنه عليمٌ إلا لأنه ذو علم، كما لا يُقال: زيدٌ كاتبٌ إلا إذا كان هو يكتب بالفعل.

أَيَصِحُّ صَبَّارٌ وَلَا صَبِيرٌ لَهُ
 وَيَصِحُّ شَكَّارٌ بَلَا شُكْرَانَ^(١)
 وَيَصِحُّ عَلَّامٌ وَلَا عِلْمٌ لَهُ
 وَيَصِحُّ غَفَّارٌ بَلَا غُفْرَانَ^(٢)
 وَيُقَالُ هَذَا سَامِعٌ أَوْ مَبْصُرٌ
 وَالسَّمْعُ وَالْإِبْصَارُ مَفْقُودَانِ^(٣)
 هَذَا مُحَالٌ فِي الْعُقُولِ وَفِي النُّقُولِ
 لِ وَفِي اللُّغَاتِ وَغَيْرِ ذِي إِمْكَانٍ^(٤)

(١) هل يصحُّ أن يُقال: فلان صَبَّارٌ وهو لا يصبر، هذا لا يمكن، هل يُقال: شَكَّارٌ للنعم وهو لا يشكر وإنما غيره الذي يشكر، هذا غير صحيح.

(٢) يقول الجهمية: غَفَّارٌ؛ لأنه خلق المغفرة، وعَلَّامٌ؛ لأنه خلق العلم في غيره، هذا باطل بل يُقال: غَفَّارٌ؛ لأنه يغفر، ويُقال: علامٌ؛ لأنه يعلم الغيب سبحانه وتعالى فلا يُطلق الوصف إلا على من اتصف به ولا يوصف بما هو خارج عنه.

(٣) أي: لا يقال هذا لمن ليس عنده سمعٌ ولا بصيرٌ، بل لأنه هو الذي خلق الأسماع والأبصار في المخلوقين، بل يُقال: الله سميعٌ لأنه ذو سمع، وبصيرٌ لأنه ذو بصر، يرى ويُبصر، والمخلوق أيضاً يرى ويُبصر ويسمع ولكن لا تشابه بين صفات الخالق وصفات المخلوق، فليس سمع المخلوق مثل سمع الخالق، وليس علم المخلوق مثل علم الخالق، وهكذا في سائر الصفات: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ثم قال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(٤) محال أن يوصف الشيء بما هو قائمٌ في غيره، هذا محال في العقول وفي النقول وفي اللغات، عند جميع العالم إلا عند الجهمية.

فلئن زعمتم أنه متكلّم
 لكن بقولٍ قام بالإنسان^(١)
 أو غيره فيقال هذا باطلٌ
 وعليكم في ذلك محذوران
 نفي اشتقاق اللفظ للموجود مع
 ناه به وثبوته للثاني
 أعني الذي ما قام معناه به
 قلب الحقائق أقبح البهتان^(٢)
 ونظيرُ ذا أخوان هذا مبصرٌ
 وأخوه معدودٌ من العميان^(٣)

(١) فلئن زعمتم أيها الجهمية أن الله يوصف بالكلام؛ لأنه خلق الكلام في غيره، ويُقال: مُتكلّم من باب المجاز؛ لأنه خلق الكلام فهذا باطل؛ لأنه لا يوصف بالكلام إلا من هو متكلّم به.

(٢) ويلزمكم فيما قلتم محذوران:

المحذور الأول: أن تُنسب الصفة إلى غير من هو متصف بها مع أنها لا تُشتق من صفة قائمة بغيره فهذا محال.

والمحذور الثاني: أنكم سلبتم الصفة ممن هو متصف بها وأثبتموها لغيره ممن هو ليس متصفاً بها، وهذا كذب قبيح.

(٣) هذا مثال يوضح بطلان قولهم: إذا كان أخوان، أحدهما مبصرٌ والآخر أعمى فلا يُقال للأعمى: إنه مبصر؛ لأنّ أخاه مبصر، هذا محال؛ لأنّ البصر قام بغيره، هذا خلاف مقتضى اللغة، ومقتضى القرآن، ومقتضى السنة، ومقتضى العقول، ومقتضى كلّ الأدلة؛ لأنه جعل في خلقه الكلام.

سَمَّيْتُمْ الْأَعْمَىٰ بِصِيرًا إِذْ أَخُو
 هُ مُبْصِرٌ وَبِعَكْسِهِ فِي الثَّانِي
 فَلَمَّا زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ ثَابِتٌ
 فِي فِعْلِهِ كَالْخَلْقِ لِلْأَكْوَانِ
 وَالْفِعْلُ لَيْسَ بِقَائِمٍ بِالْهِنَا
 إِذْ لَا يَكُونُ مَحَلًّا ذِي حَدِّثَانٍ (١)
 وَيَصِحُّ أَنْ يُشْتَقَّ مِنْهُ خَالِقٌ
 فَكَذَلِكَ الْمَتَكَلِّمُ الْوَحْدَانِي
 هُوَ فَاعِلٌ لِكَلَامِهِ وَكِتَابِهِ
 لَيْسَ الْكَلَامُ لَهُ بِوَصْفٍ مَعَانِي
 وَمُخَالَفُ الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَالْ
 فِطْرَاتِ وَالْمَسْمُوعِ لِلْإِنْسَانِ

(١) يمكن أن يحتج الجهمية فيقولون: يُوصف الله سبحانه وتعالى بأنه خالق، لأنه خلق الموجودات، وليس معنى ذلك أن الخلق حالٌّ في ذاته، فيقال لهم: هناك فرق بين هذا وهذا، هناك فرق بين الشيء الموجود خارجاً عن ذات الله سبحانه وتعالى والشيء الموجود في ذات الله سبحانه من الصفات، فالأعيان موجودة خارج ذات الرب سبحانه وتعالى، أما صفة الخلق والإيجاد والتقدير فهي قائمة بذات الله سبحانه وتعالى.

مَنْ قَالَ إِنَّ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ

وَصَفَّ قَدِيمٌ أَحْرَفٌ وَمَعَانِي^(١)

وَالسَّيْنُ عِنْدَ الْبَاءِ لَيْسَتْ بَعْدَهَا

لَكِنْ هُمَا حُرْفَانِ مَقْتَرِنَانِ^(٢)

أَوْ قَالَ إِنَّ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ

مَعْنَى قَدِيمٌ قَامَ بِالرَّحْمَنِ

مَا أَنْ لَهُ كُلٌّ وَلَا بَعْضٌ وَلَا أَلٌ

عَرَبِي حَقِيقَتُهُ وَلَا الْعِبْرَانِي^(٣)

(١) يقولون: إذا كان الله يُقال له: خالق وليس في ذاته شيء من الخلق، فكذلك يُقال: الله متكلم وليس في ذاته شيء من الكلام فنقول: فرق بين المعاني والأعيان، المعاني يتصف الرب سبحانه وتعالى بها، فيتصف بالكلام والسمع والبصر والإرادة والخلق، وأما الأعيان المخلوقة فهي خارجة عن ذات الرب سبحانه وتعالى.

(٢) هذا قول الاقترانية الذين سبق ذكرهم، وهم يرون أن كلام الله قديم، لا يتجدد، وأن حروفه مقترنة لا يسبق بعضها بعضاً، وهذا كلام باطل، لم يقله أهل السنة وإنما قاله طائفة تنسب إلى السنة ولكنها أخطأت في هذا، لأن هذا غير معقول فلا يحتج به الجهمية على أهل السنة، لأن أهل السنة يُنكرون هذا القول.

(٣) هذا ردُّ على الأشاعرة، الذين يقولون: إن كلام الله هو المعنى القائم في نفسه فقط كما سبق بيانه، فيحتج الجهمية على أهل السنة بذلك، فالجواب عن ذلك أن هذا ليس بقول أهل السنة، وإنما هو قول الأشاعرة وقد أنكره أهل السنة.

والأمرُ عينُ النهي واستفهامُه

هو عينُ أخبارٍ بلا فُرقانٍ

وكلامُه كحَيَاتِهِ ما ذاك مَقْدُ

دُورٌ لَهُ بلْ لَازِمُ الرَّحْمَنِ

هذا الذي خالفَ المعقولَ والـ

منقولَ والفطراتِ للإنسانِ^(١)

أَمَّا الذي قد قالَ إنَّ كلامَه

ذُو أَحرفٍ قد رُتِّبَتْ ببيانِ

وكلامُه بمشيئةٍ وإرادةٍ

كالفعلِ منه كِلاهُما سِيَّانِ

فهو الذي قد قالَ قولاً يَعْلَمُ الـ

عُقْلَاءُ صِحَّتَهُ بلا نُكرانِ^(٢)

(١) يقول الجهمية: إن قول الأشاعرة مخالف للفطر والعقول، نقول: نعم هو مخالف ولهذا أنكرناه عليهم.

(٢) يقول الجهمية: نحن أحسن من هؤلاء لأننا نرى أن كلام الله بحروف مرتبة بخلاف من قال: إنه بحروف مقترنة، وإنه بإرادة منه سبحانه وتعالى، وأما الأشاعرة ومن ذهب مذهبهم فيرون أن كلامه معنى قائم بذاته لا يتعلق بالإرادة والمشيئة، نقول لهم: هذا الذي ذكرتم صحيح من ناحية لكنه باطلٌ من ناحية، فقولكم: إنه بحروف وألفاظ وإرادة هذا صحيح، لكنكم تقولون: إنه مخلوق وهذا باطل.

فَلأَيِّ شَيْءٍ كَانَ مَا قَدْ قُلْتُمْ
 أَوْلَى وَأَقْرَبَ مِنْهُ لِلْبُرْهَانِ
 وَلَايِ شَيْءٍ دَائِماً كَفَرْتُمْ
 أَصْحَابَ هَذَا الْقَوْلِ بِالْعُدْوَانِ^(١)
 فَدَعُوا الدَّعَاوِيَّ وَابْحَثُوا مَعْنَى بِتْحِ
 قِيْقٍ وَإِنْصَافٍ بِإِلَاءِ عُدْوَانِ
 وَارْزُقُوا مَذَاهِبَكُمْ وَسُدُّوا خَرْقَهَا
 إِنْ كَانَ ذَاكَ الرَّفُؤُ فِي الْإِمْكَانِ^(٢)
 فَاحْكُمْ هَذَاكَ اللهُ بَيْنَهُمْ فَقَدْ
 أَدْلَوْا إِلَيْكَ بِحُجَّةٍ وَبَيَانِ^(٣)
 لَا تَنْصَرَّنَ سِوَى الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ
 هُمْ عَسْكَرُ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ^(٤)

(١) يقول الجهمية: فلماذا كفرتمونا ونحن أحسن قولاً من أولئك.

(٢) يقول الجهمية لأهل السنة: أصلحوا مذاهبكم في كلام الله إن كان يمكن إصلاحها، ولا تعيبوا علينا مذهبنا، وهذا غير صحيح لأن ما تنتقدونه ليس مذهب أهل السنة.

(٣) يقول: إن الجهمية أدلوا على أهل السنة بهذه الحُجج، فما هو الجواب عنها، هذا ما سيأتي قريباً.

(٤) إذا أردت أن تعرف الصحيح من هذه الأقوال وتردّ الباطل فالزم حديث الرسول ﷺ ففيه الحق، وفيه البيان، وفيه النور، فالذي يرد على الطوائف بغير القرآن والسنة لا يستطيع ذلك، وإن كان يظن ذلك، فالردُّ إنما يكون =

وَتَحَيَّزْنَ إِلَيْهِمْ لَا غَيْرُهُمْ

لتكون منصوراً لدى الرحمن^(١)

فتقول هذا القدرُ قد أعيأ على

أهل الكلام وقادة أصلان

إحداهما هل فعله مفعولُهُ

أو غيرُهُ فهما لهم قولان^(٢)

والقائلون بآئه هو عينه

فرؤوا من الأوصاف بالجدثان

= بالكتاب والسنة لأن الكتاب ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [فصلت: ٤٢] وما جاء عن الرسول ﷺ فإنه ممن (لا ينطق عن الهوى). إن هو إلا وحي يوحى)، لكن الشأن في أنك لا بد أن تفهم الكتاب والسنة، لأنه ليس كل من يرد بالكتاب والسنة يكون قد فهم الكتاب والسنة، وأهل السنة «هم عسكر القرآن والإيمان» أي: هم الجيش الذي لا يُهزم، إذا تسلَّحوا بالقرآن والسنة فلا يمكن أن يُهزموا أبداً، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ جُنَدًا لَهُمْ أَفْزَلُونَ ﴾ [الصفات: ١٧٣] وقال: ﴿ إِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

(١) لا ترد عليهم بالمنطق أو بعلم الكلام أو بالفلسفة، لأنهم يتقنون هذه الأشياء أكثر منك، ولأنها باطل ليس فيها شيء من الحق، وإنما هي زبد، فلا ترد عليهم بغير القرآن والسنة أبداً إلا من باب الإلزام لهم.

(٢) أي: هناك فرق بين الفعل والمفعول، لأن الفعل معنى قائم بالفاعل، وأمّا المفعول فهو شيء خارج عن الفاعل، فإذا قلت: فلان كاتب، فالكتابة وصف قائم بالكاتب، أمّا المكتوب فهو شيء خارج عن الكاتب.

لكن حقيقة قولهم وصریحه
 تعطيلُ خالقِ هذه الأکوانِ
 عن فعله إذ فعله مفعوله
 لكنّه ما قام بالرحمن
 فعلى الحقيقة ماله فعلٌ إذ الـ
 مفعولٌ منفصلٌ عن الدّيان^(١)
 والقائلون بأنّه غيرُ له
 متنازعون وهُم فطائفانِ
 إحداهما قالت قديمٌ قائمٌ
 بالذاتِ وهو كقذرة المّنانِ
 سمّوه تكويناً قديماً قاله
 أتباعُ شيخِ العالمِ الثّعمانى
 وخصومهم لم يُصِفُوا في ردّه
 بل كابروهم ما أتوا ببيانِ

(١) الذين لم يفرقوا بين الفعل والمفعول على ما ذكرنا فروا من حلول
 الحوادث بذات الرب إذ قالوا: إن الفعل والمفعول شيء واحد، وهو
 خارج عنه، والحق أنّ فيه فرقاً بين الفعل والمفعول، فالفعل معنى قائمٌ
 بالفاعل، وأمّا المفعول فهو خارجٌ عنه، فلا يُخلط بينهما، فيقال: الفعل
 هو المفعول، لأن هذا الخلط هو الذي أوقع الناس في الضلال.

والآخرون رأوهُ أمراً حادثاً
 بالذاتِ قامَ وإنَّهم نوعانِ
 إحداهما جعلتهُ مُفْتَتِحاً به
 حَذَرَ التسلسلِ ليسَ ذا إمكانِ
 هذا الذي قالتهُ كَرَامِيَّةُ
 ففعالهُ وكلامهُ سِيَّانٌ^(١)

(١) المعنى القائم بالله سبحانه وتعالى، هو الخلق والرزق والإحياء والكلام وغير ذلك، ولكن القائلون بهذا انقسموا إلى قسمين:

قسمٌ يقولون: هو معنى قديم لا يتجدد.

وقسمٌ يقولون: هو حادث وهؤلاء انقسموا إلى قسمين:

القسم الأول: أهل الحديث يرونه قديم النوع حادث الآحاد، فأنه جلّ وعلا يوصف بأنه متكلم، فالكلام صفة له سبحانه وتعالى، لكن كلامه يتجدد، إذا أراد سبحانه وتعالى أن يتكلم فإنه يتكلم في الماضي والمستقبل، يتكلم متى شاء إذا شاء، وكل صفات الأفعال كذلك فإنها قديمة النوع حادثة الآحاد، مثل: الخلق والرزق والإحياء والإماتة والكلام والنزول والاستواء، هذه كلها صفات الأفعال وهي قديمة النوع حادثة الآحاد.

القسم الثاني من يقول: ليس هو قديم النوع لثلا يُشارك الله تعالى في القدم، وهؤلاء هم الذين يرون منع التسلسل في الماضي، وهم الكرامية، والصواب: أن صفات الأفعال قديمة النوع لا بداية لنوعها كما أن الله تعالى لا بداية له، فهو الأول ليس قبله له سبحانه وتعالى، وهو الآخر ليس بعده شيء، فلكذلك صفاته، نوعها قديمٌ بقدمه سبحانه.

والآخرون أولو الحديث كأحمدٍ

ذاك ابنُ حنبلٍ الرضا الشيباني

قد قالَ إنَّ اللهَ حقاً لم يَزَلْ

متكلماً إن شاء ذو إحسانٍ^(١)

جعلَ الكلامَ صفاتِ فعلٍ قائمٍ

بالذاتِ لم يُفقد من الرحمنِ^(٢)

وكذاك نصَّ على دوامِ الفعلِ بألِّ

إحسانٍ أيضاً في مكانٍ ثانٍ^(٣)

وكذا ابنُ عباسٍ فراجعُ قوله

لَمَّا أَجَابَ مَسَائِلَ الْقُرْآنِ

(١) يعني لم يكن لأفعاله بداية أبداً، كما أن ذاته سبحانه وتعالى لا بداية لها فكذاك أفعاله وصفاته.

(٢) فاتصافه بصفة الكلام ليس له بداية، وكذلك اتصافه بالخلق والرزق والإحياء والإماتة ليس له بداية، فلا يزال متصفاً بذلك، أمّا أنواع أفعاله سبحانه وتعالى فإنها متجددة تتعلق بمشيئته وإرادته متى شاء فعل سبحانه وتعالى.

(٣) أي: نص الإمام أحمد على أن الله دائم الإحسان، فدلَّ على أن اتصافه بالإحسان أزلي أبدي لا بداية له ولا نهاية، أمّا أفراد الإحسان فهي متجددة، فالله لا يزال يُحسن سبحانه وتعالى إلى عباده، ويخلق ويرزق ويُدبر.

وكذاك جعفرُ الإمامُ الصادقُ الـ
مَقْبُولُ عِنْدَ الْخَلْقِ ذُو الْعِرْفَانِ
قَدْ قَالَ لَمْ يَزَلِ الْمُهَيْمِنُ مُحْسِنًا
بِرًّا جَوَادًا عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ^(١)
وكذا الإمامُ الدارميُّ فَإِنَّهُ
قَدْ قَالَ مَا فِيهِ هُدَى الْحِيرَانِ
قال الحياةُ معَ الفعَالِ كلاهما
مُتَلَاذِمَانِ فليَسَّ يفتَرِقَانِ

(١) ابن عباس لما أجاب الرجل الذي جاء يسأله عن آيات أشكلت عليه من القرآن مثل: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦] وما أشبهها مما قد يفهم منه أنه كان في الماضي ثم انتهى، فأجابه ابن عباس بأنه كان ولا يزال غفوراً رحيماً وكذلك ما شابهها فإنه كان ولا يزال كذلك^(*). وكذلك جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب من أهل البيت أجاب بهذا الجواب مَنْ سأل عن ذلك كما أجاب به ابن عباس، وكما أجاب الإمام أحمد رحمه الله وأئمة السنة: أن أفعال الله جلّ وعلا قديمة النوع، فهو متصفٌ بها في الأزل الذي ليس له بداية، وأمّا أفراد الأفعال فإنها تتجدد، لأنها متعلقة بالمشيئة، إذا شاء وأراد فإنها توجد هذه الأشياء.

(*) انظر الحديث في «صحيح البخاري» كتاب التفسير، سورة حم السجدة (فصلت) بعد الحديث (٤٨١٥)، وانظر «تفسير ابن كثير» ٧/١٦٥-١٦٦ سورة فصلت تفسير الآيات ٩-١٢ منها.

صدق الإمام فكلُّ حيٍّ فهو فعٌ

عَالٌ وذا في غاية التَّيَانِ^(١)

إِلَّا إِذَا كَانَ ثُمَّ مَوَانِعُ

مِنْ آفَةٍ أَوْ قَاسِرِ الْحَيَوَانِ

وَالرَّبُّ لَيْسَ لِفَعْلِهِ مِنْ مَانِعٍ

مَا شَاءَ كَانَ بِقُدْرَةِ الدِّيَانِ^(٢)

وَمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ لِأَزْمَةٍ لَهُ

وَكذَٰكَ قُدْرَةُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

(١) أي أن الإمام عثمان بن سعيد الدارمي قال في رده على المرِّيسي: إن كل حي فإنه يكون فاعلاً لما يشاء، فالله جلّ وعلا يوصف بالحياة أزلاً وأبدأ، فكما لا تفارقه الحياة سبحانه وتعالى، فإنه لا تفارقه الأفعال، فالحي لا بد أن يفعل، فالفعل ملازمٌ له، أما الميت فليس له فعل، فالله جلّ وعلا يوصف بالحياة أزلاً وأبدأ، فيلزم من هذا أن يوصف بالأفعال أزلاً وأبدأ، لا بداية لأفعاله سبحانه وتعالى ولا نهاية، كما أنه لا بداية لحياته سبحانه وتعالى فالله لم يزل حياً، إذا لم يزل فعلاً، هذا ردُّ على الذين يقولون: إن أفعال الله لها بداية لثلا يلزم التسلسل في الماضي.

(٢) قد يكون الشيء حياً لكنه لا يستطيع أن يفعل لمانع يمنعه، هذا في المخلوقين فهم فيهم حياة، لكن قد لا يستطيعون بعض الأفعال لمانع، لكن لو زال هذا المانع لصار يفعل، أمّا الله جلّ وعلا فإن أفعاله لا يعترضها موانع أبداً، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

هذا وقد فطرَ الإلهُ عباده

أَنَّ المهيمنَ دائِمُ الإحسانِ

أو لستَ تسمعُ قولَ كلِّ موحدٍ

يا دائِمَ المعروفِ والسلطانِ^(١)

وقديَمَ الإحسانِ الكثيرِ ودائِمَ الـ

جُودِ العَظِيمِ وصاحبِ الغُفرانِ

من غيرِ إنكارٍ عليهمُ فطرةً

فُطروا عليها لا تَواصيَ ثانٍ^(٢)

أو ليسَ فعلُ الربِّ تابعَ وصفِهِ

وكمالِهِ أفذاكَ ذوِ حدِّثانٍ^(٣)

(١) أي: أن الله فطر العباد حتى العوام أن يقولوا في دعائهم: يا دائم الإحسان، يعني أنه جلّ وعلا لا يزال متصفاً بالإحسان أولاً وأبداً، كذلك صفاته سبحانه وتعالى كلها دائمة.

(٢) أي: يقولون هذا من غير إنكار عليهم من أهل العلم، ولو كانوا أخطؤوا لردّ عليهم أهل العلم ولما أقرّوهم على هذا، فدلّ على أنّ هذا حق، والسبب أنهم فُطروا على هذا، ما علّموا إياه ولا دُرّسوه وإنما هو فطرة فطرهم الله عليها.

(٣) وما دام وصفه قديماً ولا يزال فكذلك أفعاله قديمة ولا تزال تتجدد، ليس ليها حدٌّ بدأت منه، فما دام أنّ وصفه ليس له بداية فكذلك أفعاله جلّ وعلا ليس لها بداية، ولكن هذا بالنسبة للجنس، أما الأفراد فإنّها تتجدد.

وكمالُهُ سببُ الفِعالِ وخالِقُهُ

أفعالُهُم سببُ الكمالِ الثاني^(١)

أو ما فِعالُ الربِّ عينُ كمالِهِ

أفذاك ممتنعٌ على المَنَّانِ

أزلاً إلى أن صار فيما لم ينزل

متمكناً والفعلُ ذو إمكان^(٢)

تاللهِ قد ضلَّتْ عُقولُ القومِ إذْ

قالوا بهذا القولِ ذي البُطلانِ

(١) اللهُ جلٌّ وعلا له الكمال المطلق، وهذا يقتضي أنه لا حدٌّ لأفعاله سبحانه، ولا بداية لها ولا نهاية، هذا يقتضيه كمال الرب، لأننا لو قلنا: إنَّ أفعاله لها بداية للزم أن يكون في وقت فاقداً للكمال، لأنَّ عدم الفعل نقص وإمكان الفعل كمال، وكمال الله ليس له بداية فكذلك أفعاله ليس لها بداية.

(٢) هذا ردٌّ على الذين يمنعون قدم أفعال الرب جلٍّ وعلا بأنه يلزم على هذا وصف الله بالنقص في المدة التي كان فيها ممتنعاً عليه الفعل حسب زعمهم، وأيضاً: إذا كانت أفعاله ممتنعة في البداية فما الذي جعلها ممكنة فيما بعد؟ كيف تكون في وقت ممتنعة ثم تكون في وقت ممكنة؟ فالممتنع لا يتحول إلى ممكن لذاته، فدلَّ على أنَّ أفعال الله كمال، وكمال الله ليس له بداية فيلزم من هذا أن أفعاله ليس لها بداية.

ماذا الذي أضحى له مُتَجَدِّداً

حتى تمكَّنَ فأنطقوا ببيان^(١)

والربُّ ليس مُعْطَلاً عن فعلِهِ

بل كلُّ يومٍ ربُّنا في شانٍ

والأمرُ والتَّكْوِينُ وصفُ كمالِهِ

قدَّما فذا ووُجُودُهُ سِيَّانٍ

وتخلفُ التَّأثيرِ بَعْدَ تمامِ مُو

جِبِهِ مُحَالٌ ليسَ في الإمكانِ

واللهُ ربِّي لَم يَزَلْ ذا قُدْرَةٍ

ومشيئةٍ ويليهِمَا وصفانِ

العِلْمُ مَعُ وصفِ الحِياةِ وهذه

أوصافُ ذاتِ الخالقِ المَنَّانِ

وبِهَا تَمَامُ الفِعْلِ ليسَ بِدُونِهَا

فِعْلٌ يَتِمُّ بواضِحِ البُرْهانِ

فلأَيِّ شَيْءٍ قد تَأخَّرَ فِعْلُهُ

مَعُ مُوجِبٍ قد تَمَّ بالأَرْكانِ

ما كانَ مُمْتَنِعاً عليهِ الفِعْلُ بَلْ

ما زالَ فِعْلُ اللهِ ذا إمْكانِ

(١) أي: إذا كان الفعل ممتنعاً عليه فيما مضى - حسب زعمكم - فما الذي

جعله ممكناً فيما بعد.

وَاللَّهُ عَابَ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّهُمْ
 عَبَدُوا الْحِجَارَةَ فِي رِضَا الشَّيْطَانِ
 وَنَعَى عَلَيْهِمْ كَوْنَهَا لَيْسَتْ بِحَا
 لِقَةٍ وَلَيْسَتْ ذَاتَ نَطْقٍ بَيِّنِ
 فَأَبَانَ أَنَّ الْعَقْلَ وَالتَّكْلِيمَ مِنْ
 أَوْثَانِهِمْ لَا شَكَّ مَفْقُودَانِ
 وَإِذَا هُمَا فُقِدَا فَمَا مَسْلُوبُهَا
 بِإِلَهٍ حَقٌّ وَهُوَ ذُو بَطْلَانِ
 وَاللَّهُ فَهُوَ إِلَهُ حَقٌّ دَائِمًا
 أَفَعَنَهُ ذَا الْوَصْفَانِ مَسْلُوبَانِ
 أَزْلًا وَلَيْسَ لِفَقْدِهَا مِنْ غَايَةٍ
 هَذَا الْمُحَالُ وَأَعْظَمُ الْبَطْلَانِ
 إِنْ كَانَ رَبُّ الْعَرْشِ حَقًّا لَمْ يَزَلْ
 أَبَدًا إِلَهُ الْحَقِّ ذَا سُلْطَانِ
 فَكَذَلِكَ أَيْضًا لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا
 بَلْ فَاعِلًا مَا شَاءَ ذَا إِحْسَانِ
 وَاللَّهُ مَا فِي الْعَقْلِ مَا يَقْضِي لِدَا
 بِالرَّدِّ وَالْإِبْطَالِ وَالتَّكْرَانِ
 بَلْ لَيْسَ فِي الْمَعْقُولِ غَيْرُ ثُبُوتِهِ
 لِلخَالِقِ الْأَرْكَبِيِّ ذِي الْإِحْسَانِ

هذا وما دُونَ الْمُهِمِّنِ حَادِثٌ

ليسَ الْقَدِيمُ سِوَاهُ فِي الْأَكْوَانِ

وَاللَّهُ سَابِقُ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِهِ

مَا رَبُّنَا وَالْخَلْقُ مُقْتَرِنَانِ^(١)

وَاللَّهُ كَانَ وَلِيْسَ شَيْءٌ غَيْرُهُ

سُبْحَانَهُ جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ^(٢)

لَسْنَا نَقُولُ كَمَا يَقُولُ الْمَلْحَدُ الزُّ

نَدِيقُ صَاحِبُ مَنْطِقِ الْيُونَانِ^(٣)

(١) هذا ردُّ على الذين يقولون: إنَّ قولكم بقَدَمِ أفعالِ الله مثل قول الفلاسفة بقدم العالم، فنقول لهم: ليس الأمر كذلك؛ لأن الله قبل كلِّ شيء، وكلُّ شيءٍ فإنَّه مخلوقٌ له سبحانه وتعالى، ولا شك أن الفعل يتأخر عن الفاعل، وهذا خلاف قول الفلاسفة.

(٢) هذا كما في الحديث الصحيح من حديث عمران بن حصين «كان الله ولا شيء معه»^(*)، فالله تعالى هو الأول الذي لا يُشاركه غيره في الأولية.

(٣) منطق اليونان معناه: «علم الكلام والجدل».

(*) أخرجه البخاري (٣١٩١) بلفظ «كان الله ولم يكن شيء غيره» و(٧٤١٨) بلفظ «كان

الله ولم يكن شيء قبله». وهو في «مسند أحمد» ١٠٧/٣٣-١٠٨ (١٩٨٧٦) بلفظ

«كان الله قبل كل شيء» وانظر تمام تخريجه في «المسند»، و«كشف الخفاء» ١٧١/٢

بدوام هذا العالم المشهودِ والـ

أرواحٍ في أزلٍ وليس بفانٍ^(١)

هذي مقالاتُ الملاحدةِ الأولى

كفروا بخالقِ هذه الأكوانِ^(٢)

وأتى ابنُ سينا بعدَ ذلك مُصانِعاً

للمسلمينَ فقال بالإمكانِ^(٣)

(١) المشهود، أي: المشاهد، أمّا جنس العالم فإنه قديم؛ فالفلاسفة يقولون: إن هذا العالم المشاهد قديم، وهذا باطل، فنحن لا نزال نرى الأشياء توجد بعد أن لم تكن.

(٢) حاصل هذه الأبيات أنّ الإمام ابن القيم رحمه الله يُقرّر أنّ أفعال الرب سبحانه وتعالى قديمةٌ بقدم ذاته وباقية ببقائه سبحانه وتعالى، فلا بداية لأفعاله ولا نهاية لها، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، وإذا كان كذلك فإنّ أفعاله ملازمةٌ لذاته سبحانه وتعالى قديمةٌ وباقيةٌ بدوامه سبحانه وتعالى، فهو الفعّال لما يريد في كلّ وقتٍ وفي كلّ زمان في الماضي وفي المستقبل، هذا الذي دلّ عليه القرآن والسنة وإجماع المسلمين.

(٣) ابن سينا هو الحسين بن عبد الله، أبو علي ابن سينا الذي يُسمونه الرئيس، وهو من ملاحدة الفلاسفة من الباطنية الشيعة، وادّعى الإسلام وتظاهر به وقال: إنّ هذه الكائنات ممكن أنها قديمة وليس قدمها بلازم أو واجب كما تقوله الفلاسفة، فقال بالإمكان من أجل مصانعة المسلمين، لأن الفلاسفة يقولون: إنها واجبة القدم، وابن سينا أراد أن يُصانع المسلمين فقال: بأن قدمها ليس بلازم ولكنه ممكن، ولا فرق بينه وبين الفلاسفة =

لكنَّه الأزلِيُّ فليس بمُحدَثٍ

ما كان معدوماً ولا هو فان^(١)

وأتى بِصُلْحٍ بين طائفتينِ بَيِّ

نَهما الحروبُ وما هُما سِلْمَانِ^(٢)

أتى يكون المسلمونَ وشيعةُ الـ

يونانِ صلحاً قَطُّ في الإيمانِ^(٣)

والسيفُ بينَ الأنبياءِ وبينهُم

والحربُ بينهمُ فحربُ عوانِ^(٤)

وكذا أتى الطوسيُّ بالحربِ الصريـ

حِ بصارمٍ مِنْه وسَلَّ لسانِ^(٥)

(١) لكن ابن سينا يقول: قدم العالم ممكن أزلي، وليس بفان، وهذا هو قول الفلاسفة، ولكنه غير اللفظ.

(٢) يريد ابن سينا بهذا القول أن يعقد الصلح بين المسلمين وبين الملاحدة وهذا ليس بممكن فبينهما الحروب من قديم الزمان وهي مستمرة إلى قيام الساعة، لا صلح بين المسلمين وبين الملاحدة.

(٣) شيعة اليونان هم فرقة الفلاسفة، لأن أصل الفلسفة من اليونان.

(٤) الحرب بين الأنبياء وبين الملاحدة قديمة من عهد نوح عليه السلام إلى أن تقوم الساعة.

(٥) الطوسي، هو نصير الدين الطوسي على مذهب ابن سينا، الباطني الخبيث، ويزيد على ابن سينا في شدته على المسلمين وعداوته للمسلمين، والشيعه كلهم أعداء لأهل السنة، ولكن هذا الخبيث ظهرت عداوته =

وَأَتَى إِلَى الْإِسْلَامِ يَهْدِيهِمْ أَضْلَهُ

مِنْ أَسْأِهِ وَقَوَاعِدِ الْبَيِّنَاتِ

عَمَرَ الْمَدَارِسَ لِلْفَلَسَفَةِ الْأُولَى

كَفَرُوا بِدِينِ اللَّهِ وَالْقُرْآنِ (١)

وَأَتَى إِلَى أَوْقَافِ أَهْلِ الدِّينِ يَنْتُ

قَلْبَهَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ ذِي أَضْغَانِ (٢)

= وظهر حقه في حرب التتار لما جاء التتار قادمين على المسلمين وأغرامهم بقتل المسلمين فقتلوا من المسلمين مقتلة عظيمة في بغداد، وقتلوا الخليفة، وأتلفوا كتب المسلمين وألقوها في نهر الفرات، وغزوا بلاد المسلمين في مصر والشام وفي غيرها، وهذا الخبيث يفتح لهم الطرق، ويدلهم على أماكن المسلمين، بل إنه أخذ أوقاف المسلمين وجعلها لمدارس أنشأها تُدرّس الفلسفة، وأراد أن يستبدل القرآن بكتاب ابن سينا المُسمّى «بالإشارات»، يريد أن يجعله بديلاً عن القرآن فهو عمل أعمالاً شنيعة - والعياذ بالله - لما سنحت له الفرصة على يد التتار.

(١) بنى الطوسي مدارس للفلسفة في بلاد المسلمين، بدلاً من مدارس الإسلام التي تعلم علوم الإسلام، هؤلاء هم الشيعة، في كل زمان ومكان، إذا تمكنوا قضاوا على الإسلام والمسلمين، لكن الله تعالى قد أهانهم وأذلهم، وإلا لو وجدوا فرصة لقضوا على الإسلام والمسلمين كما حصل من القرامطة وغيرهم.

(٢) أخذ الطوسي أوقاف المساجد والمدارس الإسلامية وجعلها على مدارس الفلاسفة والإلحاد يضرغ غلاتها عليها.

وأراد تحويلَ الإشاراتِ التي

هي لابنِ سينا موضعَ الفرقانِ^(١)

وأرادَ تحويلَ الشريعةِ بالنوا

ميسِ التي كانت لذي اليونانِ^(٢)

لكنَّه عَلِمَ اللعينُ بأنَّ هـ

هذا ليس في المقدورِ والإمكانِ^(٣)

إلاَّ إذا قتلَ الخليفةَ والقُضا

ةَ وسائرَ الفقهاءِ في البلدانِ^(٤)

(١) أراد الطوسيُّ أن ينزع القرآن من أيدي المسلمين ويجعل محلَّهُ «الإشارات» لابن سينا وهو على مذهب الملاحدة والفلاسفة.

(٢) وأراد الطوسيُّ أن يُغيِّرَ المحاكم الشرعية فينزع تحكيم القرآن منها ويجعل محلَّهُ قوانين التتار، كل هذه مشاريع للطوسي الخبيث، ولكنَّ الله جلَّ وعلا غالبٌ على أمره وناصرٌ دينه، فأظهر الله هذا الدين، ولم يتأثر بأفعال هذا الملحد وتصرفاته، فأعاد الدولة للمسلمين، وأعاد العزة للمسلمين، وبطل كيد هذا الملحد وأمثاله.

(٣) علم الطوسي أنها لا تُنفَّذ هذه الأفكار التي أرادها إلا إذا قتل المسلمين، ولذلك شرع في قتل المسلمين وسلَّط عليهم التتار، وأغرامهم بقتلهم حتى ذبحوا منهم مذبحَةً عظيمة في بغداد، وقتل مئات الآلاف في يوم واحد.

(٤) وقد فعل الطوسي ذلك فقتل الخليفة العباسي وقتل العلماء وقتل مع ذلك كثيراً من المسلمين.

فسعى لذلك وساعد المقدورُ

بالأمر الذي هو حكمة الرحمن^(١)

فأشار أن يضع التتارُ سيوفَهُمُ

في عسكرِ الإيمانِ والقرآنِ^(٢)

(١) فعل الطوسي ذلك بالمسلمين قضاءً وقدرًا وعقوبةً للمسلمين في تفریطهم ومعاصيهم، فاللهُ جلَّ وعلا انتقم من المسلمين وعاقبهم بسبب أفعالهم، ولكنه جلَّ وعلا من رحمته ورأفته أنه لا يستأصل الإسلام والمسلمين، وإنما يُبقي منهم بقايا لتعود العزة لهم بعد ذلك، ويكون هذا الذي جرى عليهم مصلحةً لهم ليتوبوا إلى الله، ويرجعوا إلى الله، ويعترفوا بخطئهم وذنوبهم، فالمصائب فيها مصالح للمسلمين وإن كانت تؤلمهم، ولكن فيها مصالح لهم في العاقبة، فالله تعالى أجرى ما أجرى على يد التتار وعلى يد هذا الملحد الشيعي لحكمة عظيمة، والإسلام ما تضرَّرَ والله الحمد بل بقي القرآن، وبقيت السنة، وبقي من كلام أهل العلم ما حفظ الله به هذا الدين رغم هذه الهزة العظيمة، والمكيدة الكبيرة التي زعم هذا الملحد أنه يقضي بها على الإسلام والمسلمين.

(٢) التتار جند جاؤوا، من بدو المشرق، وكانوا كثيرين وأقوياء، وزحفوا على المسلمين، وذلك بإشارة الشيعة كابن العلقمي وزير المستعصم العباسي وصاحب الجريمة النكراء في ممالة هولاكو على غزو بغداد، والطوسي وغيرهم جذبوا التتار إلى بلاد المسلمين وأشاروا عليهم بالغزو ليشفوا بهم من المسلمين، وليقضوا على الإسلام بزعمهم، لأن الشيعة صنيعة يهودية، واليهود دائماً يريدون أن يقضوا على الإسلام، ولكن الله منكفلاً ببقاء الإسلام مهما عمل أعداؤه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

لكنَّهم يُبقونَ أهلَ مصانعِ الدُّ
 دُنيا لأجلِ مصالحِ الأبدانِ^(١)
 فعدا على سيفِ التتارِ الألفُ في
 مثلِ لها مضروبةً بوِزانِ
 وكذا ثمانِ مئيتها في ألفها
 مضروبةً بالعدِّ والحُسابِ^(٢)
 حتى بكى الإسلامُ أعداهُ اليَهُو
 دُ كذا المجوسُ وعابدو الصُّلبانِ^(٣)
 فشفى اللعينُ النفسَ من حزبِ الرسو
 لٍ وعسكرِ الإيمانِ والقرآنِ^(٤)

(١) قال الشيعة للتتار: اقتلوا كل من وجدتم من المسلمين إلا أهل الحرف والصناعات، هؤلاء أبقوهم لأجل المصالح، لأنكم لو قتلتم أهل الحرف لتعطلت الصناعات، اتركوهم واستخدموهم للصناعات والحرف، وأما العلماء وعامة الناس فضعوا السيف في رقابهم.

(٢) يعني أن مقدار ما قتل التتار من المسلمين يبلغ مليوناً وثمانمائة ألف.

(٣) حتى إن الكفار تألموا لما أصاب المسلمين، من فعل التتار، وهذا الملحد الشيعي يفرح ويمرح ويسرح في غيِّه وطغيانه، فالشيعة أشد حقداً من اليهود، وهذا شيء واقع، الشيعة أشد حقداً على الإسلام من سائر الكفرة.

(٤) أي أن الطوسي شفى حقه بما أصاب المسلمين، لكنه ما شفى حقه من الإسلام، لأن الإسلام بقي رغم أنه.

وَبِوُدِّهِ لَوْ كَانَ فِي أَحَدٍ وَقَدْ

شَهِدَ الْوَقِيعَةَ مَعَ أَبِي سَفِيَانَ

لَأَقْرَأَ أَعْيُنَهُمْ وَأَوْفَى نَذْرَهُ

أَوْ أَنْ يُسْرَى مَمَزَّقَ اللَّحْمَانَ (١)

وَشَوَاهِدُ الْأَحْدَاثِ ظَاهِرَةٌ عَلَيَّ

ذَا الْعَالَمِ الْمَخْلُوقِ بِالْبَرْهَانِ (٢)

(١) يتمنى الطوسي أنه قاتل الرسول ﷺ، والصحابة، وأنه حضر في أحد حتى ينفذ ما في نفسه من الخقد، وهذا ليس في نفس هذا الرجل فقط، بل في نفوس الشيعة كلهم، فكلهم يغفلون حقداً وكيداً على المسلمين، وفي هذا رد على هؤلاء الجهلة الذين يقولون: إنهم إخواننا، وأنه لا خلاف بيننا وبينهم إلا في الفروع، وهؤلاء لم يعرفوا حقيقتهم.

(٢) هذا عود على الرد على الفلاسفة القائلين بقدم العالم بأن الشواهد دالة على أن هذا العالم مخلوقٌ مُحدثٌ بعد أن لم يكن، وأنه لا كما يقول الفلاسفة قديم، بل هو مخلوق وموجود من عدم، بدليل أنك ترى الأشياء تتغير، وأنه يوجد شيء لم يكن موجوداً من قبل، ويُعدم شيء كان موجوداً، فهذا دليل على أن هذا الكون يتعاقب، ليس هو بقديم، ولا هو بأبدي في المستقبل، بل يتجدد، يُخلق شيء ويفنى شيء، يوجد شيء ويُعدم شيء، هذا الكون دائماً هكذا، فهذا دليل على أن له خالقاً يتصرف فيه، لا كما يقول الملاحدة: إنه ناتج عن الطبيعة، ويجحدون وجود الخالق، والواقع يُكذِّب هذه النظرية، فهناك أشياء توجد بعد أن لم تكن، وهناك أشياء تُعدم بعد أن كانت موجودة وهكذا، فهذا يدل على أن هناك من يتصرف فيها وهو الخالق سبحانه وتعالى الفعَّال لما يريد.

وأدلة التوحيد تشهد كلها
 بحدوث كل ما سوى الرحمن^(١)
 لو كان غير الله جلّ جلاله
 معه قديماً كان رباً ثاني^(٢)
 إذا كان عن ربّ العلى مستغنياً
 فيكون حيثئذ لنا ربان^(٣)
 والربّ باستقلاله متوحّداً
 أفممكن أن يستقلّ اثنان
 لو كان ذلك تنافياً وتساقطاً
 فإذا هما عَدَمَانِ ممتنعان^(٤)

(١) الأدلة تدل على أن كل ما سوى الرحمن فهو حادث بعد أن لم يكن، وأما الله جلّ وعلا فليس له بداية، وهذه المخلوقات لها بدايات ولها نهايات بالنسبة لأفرادها، وأما نوعها وجنسها فإنه قديم ومستمر في المستقبل، لأن الله جلّ وعلا يخلق ويرزق ويفعل ما يشاء بدون بداية وبدون نهاية، ليس لأفعاله بداية وليس لأفعاله نهاية.

(٢) هذا رد على الفلاسفة القائلين بقدم العالم بأن الله جلّ وعلا بأسمائه وصفاته هو المنفرد بالقدم والأزل، لا يُشاركه في ذلك أحد، ولو شاركه في ذلك أحد لكان مثله تعالى الله عن ذلك.

(٣) لو كان أحد يشارك الله في الأزل، لكان مستغنياً عن الله فيكون رباً، وليس هناك أحد مستغن عن الله جلّ وعلا، بل كل مخلوق فإنه مفتقر إلى خالقه، وليس هناك إلا الخالق والمخلوق.

(٤) لا يمكن أن يكون لهذا الكون ربان، كلّ واحد مستقل عن الآخر، لأنه يلزم على هذا فساد العالم كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ

والقهرُ والتوحيدُ يشهدُ منهما

كُلٌّ لصاحبه هُما عِدْلانِ^(١)

ولذلك اقترنا جميعاً في صفا

ت الله فانظرُ ذاك في القرآنِ

فالواحدُ القهارُ حقاً ليس في الـ

إمكانِ أن تحظى به ذاتانِ^(٢)

وَلَوْ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٦﴾ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يَشْرِكُونَ ﴿١٧﴾

[المؤمنون: ٩١-٩٢] هذا برهان على بطلان أن يكون مع الله أحدٌ يشاركه في الربوبية وفي الخلق وفي التدبير؛ لأنه لو كان معه أحدٌ لحصل النزاع، وإذا حصل النزاع فإما أن يتغلب أحدهما على الآخر ويقهره، فالمتغلب هو الرب وحده، أو يستقل كلُّ واحد منهما بملكه، وهذا لم يحصل في هذا الكون، لم يحصل فيه فساد، ولم يحصل فيه انقسام، فدلَّ على أن خالقه واحد وهو الله جلَّ وعلا.

(١) من أسماء الله تعالى: الواحد القهار، قال تعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ

الْوَّاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] فهو واحدٌ سبحانه ليس له شريك، قهارٌ لا أحد

يغلبه جلَّ وعلا، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا أحد ينازع الله أو يُغالبه.

(٢) أي اقتران الواحد بالقهار هذا خاصٌّ بالله جلَّ وعلا، فهو الواحد القهار،

ليس هناك أحدٌ يُطلق عليه هذان الوصفان مقترنين إلا الله جلَّ وعلا. فدل

ذلك على انفراده بالملك وتصرفه فيه وحده لا شريك له.

فصل

في اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الرب تعالى
وكلامه والانفصال عنه^(١)

فلئن زعمتُم أنَّ ذاك تسلسلٌ

قلنا: صدقتُم وهو ذو إمكان^(٢)

كتسلسلِ التأثيرِ في مُستقبَلِ

هل بينَ ذلك قطُّ من فرقانِ

(١) اعترضت الجهمية ومن قال بقولهم من الفرق على أهل السنة القائلين
بقدم أفعال الله جلَّ وعلا، بقولهم: أنتم شابهتم الفلاسفة القائلين بقدم
العالم.

(٢) لئن زعمتم أيها المعارضون للقول بقدم أفعال الله بأن هذا تسلسل يشبه
قول الفلاسفة بقدم العالم مشارك للرب ومقارن له، فإننا نقول: هو
تسلسل مسبوق بوجود الرب سبحانه وتعالى، أما الفلاسفة فإنهم
يقولون: هو تسلسلٌ مشارك للرب، مقارنٌ للرب، وهذا باطل، أمّا أهل
السنة فيقولون: هو تسلسلٌ ولكنه مسبوقٌ بوجود الرب سبحانه وتعالى،
ففرقٌ بين هذا وهذا، لأن هذا تسلسل في الآثار وليس تسلسلاً في
المؤثرين.

فأهل السنة يقولون: لا مقارنة بل الله جل وعلا الأول الذي ليس
قبله شيء، ومفعولاته مقارنة لأوليته ليست سابقة عليها.

والله ما افترقا لذي عقلٍ ولا
نَقْلٍ ولا نظيرٍ ولا بُرْهَانٍ
في سَلْبِ إِمْكَانٍ ولا في ضِدِّهِ
هذي العُقُولُ ونحنُ ذو أذْهَانٍ
فلياتٍ بالفرقانِ من هو فارقٌ
فَرَقاً يَبِينُ لصالِحِ الأذْهَانِ (١)
وكذاك سَوَى الجَهْمِ بينهما كذا ال
عَلَّافُ في الإنكارِ والبطلانِ (٢)
ولأجلِ ذا حَكْمًا بِحَكْمِ باطلٍ
قطْعاً على الجَنَّاتِ والنيرانِ (٣)
فالجَهْمُ أفنى الذاتِ والعلَّافُ لُد
حَرَكَاتِ أفنى قاله الثَّورانِ (٤)

(١) هذا رد آخر بأن يقال: إذا جاز التسلسل في المستقبل كما يقوله الأشاعرة وغيرهم، جاز التسلسل في الماضي إذ لا فرق بينهما.

(٢) أبو الهذيل العلاف، والجهم بن صفوان سويًا بين المستقبل والماضي فقالا: بمنع التسلسل فيهما، فعطلوا الله عن أفعاله في الماضي وعطلوا الله عن أفعاله في المستقبل.

(٣) ولأجل قولهما بمنع التسلسل في الماضي والمستقبل قالا بفناء الجنة والنار، وهذا قول باطل، لأن الله أخبر أن الجنة باقية، وأن أهلها خالدون فيها أبداً، وأن النار باقية وأن أهلها خالدون فيها أبداً.

(٤) الجهم يقول بانقطاع التسلسل في الماضي وفي المستقبل للحركات والذوات فلا يبقى شيء من هذه المخلوقات، وأمّا العلاف فيقول: تبقى =

وأبو عليّ وابنه والأشعريّ
 يّ وبعده ابن الطيّب الرّبّاني^(١)
 وجميع أرباب الكلام الباطل الـ
 مَذموم عند أئمة الإيمان
 فرّقوا وقالوا ذاك فيما لم يزل
 حقّ وفي أزل بلا إمكان
 قالوا لأجل تناقض الأزليّ والـ
 أحداث ما هذان يجتمعان
 لكنّ دوام الفعل في مُستقبل
 ما فيه محذور من التكران^(٢)

= المخلوقات في المستقبل لكن ليس لها حركات بل تبقى مُعطلة، ويبقى
 عند العلاف أهل الجنة وأهل النار ولكن دون حركات.

(١) أبو عليّ الجبّائي شيخ المعتزلة وابن الجبّائي أبو هاشم، وأبو الحسن
 الأشعري، وأبو بكر بن الطيب الباقلاني، وهو على مذهب الأشاعرة
 وإن كان له مواقف جيدة في الإسلام والرد على الملاحدة، ولذا وصفه
 بالربّاني لأنّ له مواقف جيدة.

(٢) ومع هؤلاء المذكورين علماء الكلام فرّقوا بين التسلسل في الماضي
 فمنعوه، وبين التسلسل في المستقبل فأثبتوه، وهذا تحكّم، لا دليل عليه
 ولا فرق بينهما، فإذا جاز في أفعال الله أن تستمر في المستقبل بلا نهاية
 جاز أن تكون في الماضي بلا بداية.

فانظر إلى التلبيس في ذا الفرقِ ترَ

ويجأ على العورانِ والعُميانِ^(١)

ما قال ذو عقلٍ بأنَّ الفردَ ذو

أزلٍ لذي ذهنٍ ولا أعيانِ

بل كلُّ فردٍ فهو مسبوقٌ بفِرِّ

دِ قبلَه أبداً بلا حُسيانِ^(٢)

ونظيرُ هذا كلُّ فردٍ فهو مَدُّ

حُوقٌ بفردٍ بعده حُكيانِ^(٣)

النَّوعُ والآحادُ مسبوقٌ ومَدُّ

حُوقٌ وكلُّ فهو منها فانِ

(١) حيث إنهم فرقوا بين التسلسل في المستقبل فأثبتوه، وفي الماضي فنقوه، فهذا تلبيس على العُميان والعوران الذين يُصدقونهم في هذا التناقض، لأنهم قصيرو النظر، أما أهل العلم والبصيرة فهم يُكذِّبون هذا الفرق ويقولون: لا فرق.

(٢) أعيان هذا الكون ما قال أحد: إنها قديمة إلا الفلاسفة الملاحدة، أما الجنس فهو قديم وأزلي بقدم أفعال الله، لكن أفراد المخلوقات حادثة بعد أن لم تكن وليست أزلية، فكل فرد هو مسبوق بفردٍ مثله، مثل الوالد والولد والحفيد، أفراد متعاقبة بعضها سابق لبعض، كذلك المخلوقات من هذا النوع.

(٣) كما أن الفرد مسبوق بفردٍ فهو أيضاً ملحقٌ بفردٍ، فالأب مسبوقٌ بالجد وجد الجد، وملحقٌ بالابن وابن الابن... إلى آخره.

والنوعُ لا يفنى أخيراً فهو لا
يَفْنَى كَذَلِكَ أَوَّلًا بَيَانٍ^(١)
وتعاقبُ الآناتِ أمرٌ ثابتٌ
في الذَّهْنِ وهو كذلك في الأعيانِ^(٢)
فإِذَا أَبِيْتُمْ ذَا وَقَلْتُمْ أَوَّلُ الْ
آنَاتِ مُفْتَتِحٌ بِلَا نَكْرَانِ
ما كان ذلك الآن مسبوقةً يُرى
إِلَّا بِسَلْبِ وجودِهِ الْحَقَّانِي^(٣)

-
- (١) أمّا النوع والجنس من أفعال الله فإنه قديمٌ وأزليٌّ بقدم الرب سبحانه، أمّا الأفراد فإنها متجددةٌ وحادثةٌ ومسبوقةٌ بعدمٍ وتصير إلى فناء كالأزمان.
- (٢) الآنات: هي الأزمان، فأفراد المخلوقات متعاقبة، كذلك أفراد الزمان، من السنين والشهور والأيام والساعات كلها متعاقبة هذا بعد هذا، أمّا جنس الزمان فهو قديم، أمّا أفرادها وهي السنين والشهور والأسابيع والساعات والثواني فهي أفراد توجد ثم تُعدم ويأتي بعدها خلفٌ لها.
- (٣) إذا قالوا: إن هذا الزمان حادثٌ جنسه وأفراده بعد أن لم يكن، ما كان في الأول زمان، وإنما وجد الزمان بعد أن لم يكن، قلنا: هذا باطل.
- الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، فدلّ على وجود الزمان في الأزلي، وإذا كان الزمان كذلك قديم النوع حادث الآحاد، فكذلك سائر المخلوقات، قديمة النوع لكنها حادثة الأفراد والآحاد مثل الأزمان، فإذا كاهروا وأنكروا وقالوا: الزمان مسبوق بعدم فهذا قولٌ باطل، يردّه القرآن حيث جاء فيه ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤] فدلّ على وجود الزمان قبل خلق السموات والأرض.

فَيُقَالُ: مَا تَعْنُونَ بِالْآنَاتِ هَلْ

تَعْنُونَ مَدَّةَ هَذِهِ الْأَزْمَانِ (١)

مِنْ حِينَ إِحْدَاثِ السَّمَوَاتِ الْعُلَى

وَالْأَرْضِ وَالْأَفْلَاكِ وَالْقَمَرَانِ

وَنَظُنُّكُمْ تَعْنُونَ ذَاكَ وَلَمْ يَكُنْ

مِنْ قَبْلِهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَكْوَانِ

هَلْ جَاءَكُمْ فِي ذَاكَ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ

نَصٍّ وَمِنْ نَظَرٍ وَمِنْ بُرْهَانٍ؟ (٢)

هَذَا الْكِتَابُ وَهَذِهِ الْآثَارُ وَالْ

مَعْقُولُ فِي الْفِطْرَاتِ وَالْأَذْهَانِ

إِنَّا نَحَاكُمُكُمْ إِلَى مَا شِئْتُمُو

مِنْهَا فَكُلُّ الْحَقِّ فِي تَبْيَانِ

أَوْ لَيْسَ خَلَقَ الْكَوْنِ فِي الْأَيَّامِ كَمَا

نَ وَذَاكَ مَاخُوذٌ مِنَ الْقُرْآنِ (٣)

(١) ويقال لهم أيضاً: ما تعنون بالزمان؟ هل تعنون الجنس، أو تعنون الأفراد؟ إن عنيتم الجنس فهذا باطل، وإن عنيتم الأفراد فهذا صحيح، ولكن ليس هذا هو المقصود.

(٢) هل عندكم دليل على: أن الزمان كان غير موجود في الأزل فوجد؟

(٣) فقلوه تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الأعراف: ٥٤] دل على أن الزمان موجود قبل خلق السموات والأرض، وبداية هذه الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض يوم الأحد ونهايتها يوم الجمعة.

أَوْ لَيْسَ ذَلِكُمْ الزَّمَانُ بِمُدَّةٍ
لِحُدُوثِ شَيْءٍ وَهُوَ عَيْنُ زَمَانٍ
فَحَقِيقَةُ الْأَزْمَانِ نِسْبَةٌ حَادِثٍ
لِسِوَاهُ تِلْكَ حَقِيقَةُ الْأَزْمَانِ
وَإِذْكَرُ حَدِيثَ السَّبْقِ لِلتَّقْدِيرِ وَالثَّ
تَوَقَّيْتُ قَبْلَ جَمِيعِ ذِي الْأَعْيَانِ
خَمْسِينَ أَلْفًا مِنْ سِنِينَ عَدَّهَا أَلُ
مُخْتَارٌ سَابِقَةٌ لِذِي الْأَكْوَانِ (١)
هَذَا وَعَرْشُ الرَّبِّ فَوْقَ الْمَاءِ مِنْ
قَبْلِ السِّنِينَ بِمُدَّةٍ وَزَمَانٍ (٢)

(١) يعني حديث عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء» (*) دل على أن جنس الزمان قديم، وأما الشهر واليوم والليلة فهذه تحدث وتنتهي، لكن هؤلاء لا يتكلمون من منطلق الكتاب والسنة، وإنما يتكلمون من منطلق عقولهم وأفكارهم الفاسدة، ويقولون على الله بلا علم، أو ينقلون كلام الملاحدة والفلاسفة ويجعلونه دليلاً وبديلاً عن كتاب الله وسنة رسوله.

(٢) يشير إلى حديث كتابة مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

(*) أخرجه مسلم (٢٦٥٣)، وهو في «مسند أحمد» ١١/١٤٤ (٦٥٧٩) من حديث عبد الله بن عمرو.

والناسُ مختلفونَ في القلمِ الذي

كُتِبَ القِضَاءُ بِهِ مِنَ الدِّيَانِ

هَلْ كَانَ قَبْلَ العَرِشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ

قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي العَلَا الهَمْدَانِي

وَالْحَقُّ أَنَّ العَرِشَ قَبْلُ لِأَنَّهُ

قَبْلَ الكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانٍ^(١)

وَكِتَابَةُ القَلَمِ الشَّرِيفِ تَعَقَّبَتْ

إِيجَادُهُ مِنْ غَيْرِ فَصْلِ زَمَانٍ^(٢)

(١) فقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] يدل على أن العرش

هو أول المخلوقات، وأنه سابق للقلم، وبعض العلماء يرى العكس أن القلم

قبل العرش، لحديث «إن أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب...» (*).

والصحيح أن العرش قبل القلم، وأما الأولوية للقلم فهي بالنسبة

للكتابة، أي: أنه من حين خلقه الله قال له: اكتب، فالكتابة مقارنة لخلق

القلم، هذا معنى الحديث، وليس معناه: أنه قبل العرش.

(٢) فقوله ﷺ: «إن أول ما خلق الله القلم: قال له: اكتب» المراد بالحديث:

أن الكتابة مقارنة لوجود القلم وليس معناه: أن القلم قبل العرش، بل

العرش قبله لقوله ﷺ في آخر الحديث - حديث عبد الله بن عمرو الذي

تقدم -: «وكان عرشه على الماء» (**). فهو مطابق للآية الكريمة.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٧/٣٧٨ (٢٢٧٠٥)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي

(٢١٥٥) و(٣٣١٩)، وهو حديث صحيح.

(**) سلف تخريجه ص ٢٦٣.

لَمَّا بَرَاهُ اللَّهُ قَالَ اكْتُبْ كَذَا
فَعَدَا بِأَمْرِ اللَّهِ ذَا جَرِيَانِ
فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ أَبَدًا إِلَى
يَوْمِ الْمَعَادِ بِقُدْرَةِ الرَّحْمَنِ
أَفْكَانَ رَبِّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ
مِنْ قَبْلُ ذَا عَجْزٍ وَذَا نُقْصَانٍ^(١)
أَمْ لَمْ يَزَلْ ذَا قُدْرَةٍ وَالْفِعْلُ مَقْدُورٌ
لَهُ أَبَدًا وَذُو إِمْكَانٍ^(٢)
فَلَيْتَنِي سَأَلْتَهُ وَقُلْتَهُ هَذَا الَّذِي
أَدَّاهُمْ لِخِلَافِ ذَا التَّيْيَانِ
وَلَأَيِّ شَيْءٍ لَمْ يَقُولُوا إِنَّهُ
سُبْحَانَهُ هُوَ دَائِمُ الْإِحْسَانِ
فَاعْلَمْ بِأَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا أَسَّسُوا
أَصَلَ الْكَلَامِ عَمُّوا عَنِ الْقُرْآنِ^(٣)

(١) هذا رد على الجهمية والأشاعرة الذين يقولون: إن أفعال الله لها بداية، إذ معناه: أنه قبل هذه البداية عاجز؛ لأن الذي لا يفعل عاجز، فهذا وصف لله بالنقص، تعالى الله عن ذلك.

(٢) هذا هو الحق، أنه لم يزل ذا قدرة على الفعل، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن بدون تحديد لبداية ولا نهاية.

(٣) أي: أن السبب في ضلال الجهمية والأشاعرة ومن قال بقولهم في تعطيل أفعال الله في الماضي أو في الماضي والمستقبل السبب في هذا - مع =

وعن الحديثِ ومقتضى المعقولِ بل
 عَنْ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ وَالْبُرْهَانِ
 وَبَنَوْا قَوَاعِدَهُمْ عَلَيْهِ فَقَادَهُمْ
 قَسْرًا إِلَى التَّعْطِيلِ وَالْبُطْلَانِ
 نَفْيُ الْقِيَامِ لِكُلِّ أَمْرٍ حَادِثٍ
 بِالرَّبِّ خَوْفَ تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ (١)
 فَيَسُدُّ ذَاكَ عَلَيْهِمْ فِي زَعْمِهِمْ
 إِثْبَاتُ صَانِعِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

= أنهم ينتسبون إلى الإسلام -: أنهم لا يستدلون بالقرآن وإنما يستدلون بما يسمونه أدلة العقل من علم المنطق وكلام الفلاسفة، وهذه سنة الله أن من ترك القرآن والسنة واعتمد على غيرهما من أقوال الناس أنه يؤول إلى الضلال، فهذا مما يوجب على طالب العلم وعلى كل مسلم أن يلزم الكتاب والسنة، ولا يتكلم إلا بدليل من الكتاب والسنة خصوصاً في مسائل العقائد وأمور الغيب، لا يجوز للإنسان أن يتكلم فيها بعقله ورأيه ويقول فلان، وإنما يتكلم بموجب الكتاب والسنة فإن كان معه دليل من الكتاب والسنة قال به وإلا فإنه يسكت ولا يتدخل في أمور لا يعلمها، قال جل جلاله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

فهؤلاء لما أعرضوا عن القرآن والسنة واستدلوا بأقوال الرجال وبقوانين الكلام والمنطق، وقعوا في هذا الضلال العظيم.

(١) نفوا أزلية الأفعال عن الله جلّ وعلا منعاً لتسلسل الحوادث في الأزل.

إِذْ أُثْبِتُوهُ بِكُؤُنِ ذِي الْأَجْسَادِ حَا
 دِئَةً فَلَا تَتَفَكَّرُ عَنْ حَدَثَانِ
 فَإِذَا تَسَلَّسَلَتِ الْحَوَادِثُ لَمْ يَكُنْ
 لِحُدُوثِهَا إِذْ ذَاكَ مِنْ بُرْهَانِ
 فَلَأَجَلٍ ذَا قَالُوا التَّسَلُّسُلُ بَاطِلٌ
 وَالْجِسْمُ لَا يَخْلُو عَنِ الْحَدَثَانِ^(١)
 فَيَصِحُّ حِينَئِذٍ حُدُوثُ الْجِسْمِ مِنْ
 هَذَا الدَّلِيلِ بَوَاضِحِ الْبُرْهَانِ
 هَذِي نَهَايَاتٌ لِإِقْدَامِ الْوَرَى
 فِي ذَا الْمَقَامِ الضَّيِّقِ الْأَعْطَانِ
 فَمَنْ الَّذِي يَأْتِي بِفَتْحٍ بَيِّنٍ
 يُنْجِي الْوَرَى مِنْ غَمْرَةِ الْحَيْرَانِ
 فَاللَّهُ يَجْزِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ
 مِنْ جَنَّةِ الْمَأْوَى مَعَ الرِّضْوَانِ^(٢)

(١) هذا مقتضى قواعد المنطق التي بنوا عليها أصلهم في نفي أفعال الرب سبحانه وتعالى؛ لأن إثباتها بزعمهم يلزم منه حلول الحوادث في ذات الرب سبحانه، وما تحله الحوادث فهو حادث، وهذا يفسد إثبات وجود الخالق.

(٢) يقول: إن الذي يبين للناس الهدى من الضلال والحق من الباطل ويقيم الدليل من الكتاب والسنة، فإن جزاءه عند الله عظيم، لقوله ﷺ: «من =

= دعا إلى هُدى له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»^(*)، فهذا فيه الحثُّ على بيان الحق للناس ودعوتهم للكتاب والسنة، وتحذيرهم من الباطل، كالاستدلال بالمقاييس العقلية والقواعد المنطقية وعلم الكلام لأنها ضلال، ومن دعا إليها فهو داعٍ إلى ضلال.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٨٣/١٥ (٩١٦٠)، ومسلم (٢٦٧٤) (١٦)، وأبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة.

فصل

فاسمعُ إذاً وافهمُ فذاك مُعْطَلٌ
 ومُشَبَّهٌ وهَدَاكُ ذُو الْعُقْرَانِ
 هذا الدليلُ هو الذي أرادَهُمْ
 بل هَدَّ كُلَّ قَوَاعِدِ الْقُرْآنِ
 وهو الدليلُ الباطلُ المردودُ عند
 سَدِّ أُمَّةِ التَّحْقِيقِ والعُرْفَانِ
 ما زالَ أمرُ الناسِ معتدلاً إلى
 أن دارَ في الأوراقِ والأذْهَانِ
 وتمكَّنتْ أجزاءُهُ بقلوبِهِمْ
 فأَتَتْ لوازِمُهُ إلى الإيمانِ
 رُفِعَتْ قَوَاعِدُهُ وُحَّتْ أساسُهُ
 فهوى البناءُ وخرَّ للأركانِ
 وجنَّوا على الإسلامِ كُلِّ جنَايةٍ
 إذ سلَّطوا الأعداءَ بالعُدوانِ
 حملوا بأسلحةِ المُحالِ فخانَهُمْ
 ذاك السلاحُ فما اشتَفَوْا بِطَعَانِ^(١)

(١) يقول الناظم رحمه الله: إنَّ فرق الضلال، من الجهمية وغيرهم لما
 عرضوا عن أدلة القرآن الدالة على توحيد الله سبحانه وتعالى وأسمائه =

وصفاته سبحانه وتعالى، لما أعرضوا عن ذلك، واعتاضوا عنه بقواعد المنطق، وعلم الكلام الذي أسسوا عليه عقيدتهم، ضلوا ولم يهتدوا إلى الحق، لأنهم يسرون في طريق مُظلم، وطريق ضلال، والذي يسير في طريق غير صحيح يقع في الهلاك، فهؤلاء لما أعرضوا عن الطريق الصحيح الذي هو الاستدلال بالوحي المنزل على النبي المرسل من القرآن، والسنة، وأخذوا أسلوب اليونان وأهل الجدل أفضى بهم ذلك إلى الضلال والكفر والهلاك، وأرادوا بذلك إبطال القرآن، وإبطال السنة لأنهما لا يُفِيدان اليقين بزعمهم، لما فعلوا ذلك وقعوا في الضلال والحيرة، وهذه نتيجة الإعراض عن الكتاب والسنة والاستدلال بغيرهما، لا سيما في أمور العقيدة، نتيجته أنه يهلك نفسه ولا يصل إلى حق، وأنه أيضاً إذا أوردت عليه شبهات من أعداء الإسلام، من الملاحدة والكفار لا يستطيع الرد عليها، لأن سلاحه هذا دائر لا يقتل صيداً ولا ينكأ عدواً، فيتسلط أعداء الإسلام على المسلمين من هذا الطريق، فإذا أرادوا الانتقام من المسلمين ولم يكن معهم سلاح يصددهم ويردهم فإنهم ينالون ما أرادوا من المسلمين.

أما لو أن هؤلاء تمسكوا بالكتاب والسنة، وتعلموا الكتاب والسنة، وتسلحوا بهما لم يقف في وجههم أحد، لأن الكتاب والسنة وحي من الله سبحانه وتعالى، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا يمكن الدفاع عن الإسلام إلا بالكتاب والسنة، أما الدفاع عنه بقواعد أهل المنطق وعلم الكلام، فإن هذا يُفرح الأعداء حيث إنه سلاحٌ فاسد لا يصدُّ العدو، والدليل على ذلك: أن المسلمين ما زالوا في خيرٍ وفي استقامة يوم أن كانوا متمسكين بالكتاب والسنة، ولم يدخل عليهم هذا العلم الباطل علم الجدل.

وَأَتَى الْعَدُوَّ إِلَى سِلَاحِهِمْ فَقَا
 تَلَهُمْ بِهِ فِي غَيْبَةِ الْفُرسَانِ
 يَا مُحَنَّةَ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ مِنْ
 جَهْلِ الصَّدِيقِ وَبَغْيِ ذِي طُغْيَانٍ (١)

= وإنما حصل الخلل، لما جُلب هذا العلم الباطل وهذا الجدل العقيم، وبنيت عليه العقائد عند كثير من المنتسبين للإسلام، وذلك في وقت المأمون العباسي، حينما تُرجمت كتب الروم واليونان ونُشرت في الأوراق، وقُرُرت، في الدروس والمجالس، واشتغل الناس بها، حصل على الإسلام والمسلمين من أعدائهم ما حصل من الهزيمة والنكبة، ولا نجاة لهم من ذلك إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة، لأن الله جلّ وعلا يقول: ﴿فَأَمَّا يَا أَلْبَنَّاكُمْ مَنِّي هُدَى فَمَن اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى...﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤] فبيّن الله تعالى أنّ من أعرض عن الكتاب والسنة فإنه يهلك في الدنيا والآخرة، في الدنيا يكون على ضلال، وفي الآخرة يكون مصيره إلى النار.

هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة، فالواجب على المسلمين عموماً أن يعتنوا بدراسة الكتاب والسنة، وألا يلتفتوا إلى هذه المناهج الباطلة، فإنها لا تُروى غليلاً ولا تشفي عليلًا، بل إنها تُشغلهم عن الحق، فإذا تسلّحوا بالكتاب والسنة فلا مانع من أن يطلعوا على هذه الأمور للردّ عليها، والتحذير منها، والوقوف في وجوه من يُروجونها.

(١) يصاب الإسلام بأمرين: جهل أهله واعتداء أعدائه عليه، إذا اجتمع الأمران: صديق جاهل، وعدو حاقد، حصلت النكبة والمصيبة، فإذا =

والله لولا الله ناصرُ دينه

وكتابه بالحق والبرهان

لتخطفت أعداؤنا أرواحنا

ولقطعت منا عرى الإيمان^(١)

= كان المسلمون على جهلٍ بأمور دينهم، وعدوُّهم يتربص بهم الدوائر، فإنه لا يبقى أمامه مدافع، إذا غاب العلماء وانقرضوا واشتغل من بعدهم بهذه العلوم الفاسدة، وهذه العلوم الباطلة، فإن العدو لا يبقى أمامه مدافع عن الإسلام، فلا نجاة ولا قوة للمسلمين، إلا بما أنزل الله عليهم من الكتاب والسنة، ومهما ابتغوا الهدى من غيرهما فإن الله سبحانه وتعالى يوقعهم في الضلال، لأنهم تركوا السبب الذي به نجاتهم من الضلال.

(١) يقول رحمه الله لأهل الحق: لا تيأسوا، فإن الله يقيض للإسلام من يقوم به، لأن الإسلام لا يعدم من يقوم به، ويدافع عنه، فالله جلّ وعلا يقيض له من ينصره، لكن نخشى أن يرحل من عندنا ويعطى لغيرنا كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] فإن الله متكفل بحفظ هذا الإسلام وهذا القرآن إلى أن يأتي أمر الله سبحانه وتعالى، فهو متكفل بأن يوجد لهذا الإسلام وهذا القرآن من يقوم به، قال النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى»^(*).

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٧/٨٨ (٢٢٤٠٣)، ومسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان.

أَيُّكَونُ حَقًّا ذَا الدِّلِيلُ وَمَا اهْتَدَى

خَيْرُ القُرُونِ، لَهُ مَحَالٌّ ذَانِ (١)

وقال: «إنَّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مائة سنة من يُجدد لها دينها» (*) فليس المراد من ذكر المصائب والمحن القنوط واليأس من رحمة الله تعالى، ولكن المراد من هذا الخوف من أن ينحرف الإنسان، ويضل ولا يجد من يهديه، أمَّا الإسلامُ نفسه فإنه محفوظ، وإنما الخوف على أهل الإسلام، ولهذا لما تسلَّط أهل الضلال على الإسلام من الصوفية والقبورية والملاحدة، أظهر الله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقاوم هؤلاء وقارعهم بالحُجة والبرهان، فقضى على شُبُهاتهم وأباطيلهم، وقَيَّضَ الله له أتباعاً وتلاميذ قاموا بالمهمة من بعده كابن القيم ناظم هذه المنظومة، وابن كثير والذهبي، وغيرهم ولا تزال كتبهم وكتب شيخهم تضيء للناس والله الحمد، ثم قَيَّضَ الله لهذه البلاد وغيرها الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، الذي قرأ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه خصوصاً ابن القيم فقام بهذا الواجب، ودافع عن الإسلام، ونفع الله بدعوته في المشارق والمغارب، ولا تزال والله الحمد هذه الدعوة قائمة، فهذا من نعمة الله، وأنَّه مهما كثر الشر واشتد العدا والخصوم للإسلام فإنَّ الله يُقَيِّضُ لهذا الدين من يقوم به وينصره.

(١) يقول للجهمية: دليلكم هذا الذي بنيتم عليه عقيدتكم، هل يكون حقاً وقد غفل عنه السلف الصالح، هذا محال لا يمكن أن يكون حقاً ولا =

(*) أخرجه أبو داود (٤٢٩١) من حديث أبي هريرة، وهو حديث صحيح إن شاء الله، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٥٦٧/٤ (٨٥٩٢)، وانظر تعليق ابن الأثير على هذا الحديث في «جامع الأصول» ١١/٣١٩-٣٢٤ (٨٨٨١).

وَفَقَّتُمْ لِلْحَقِّ مِنْ بَابٍ وَمَا

أَصْلُ الْيَقِينِ وَمَقْعَدِ الْعِرْفَانِ

وَهَدَيْتُمُونَا لِلَّذِي لَمْ يَهْتَدُوا

أَبْدَأَ بِهِ وَأَشَدَّةَ الْحِرْمَانِ^(١)

وَدَخَلْتُمْ لِلْحَقِّ مِنْ بَابٍ وَمَا

دَخَلُوهُ وَاعْجَباً لَذَا الْخِذْلَانِ

وَسَلَكْتُمْ طَرِيقَ الْهَدْيِ وَالْعِلْمِ دُونَ

نَ الْقَوْمِ وَاعْجَباً لَذَا الْبُهْتَانِ^(٢)

= يعرفه الصحابة والتابعون والقرون المفضلة، هذا محال أن يكون به حق ثم يجعله هؤلاء، فلما لم يعلمه سلف هذه الأمة، والقرون المفضلة، دل على أنه باطل وحادث، ولا خير فيه، إذ لو كان خيراً لسبقونا إليه.

(١) هل يُحرم صحابة الرسول وأتباعهم، من هذا الحق الذي تزعمونه وتختصون به أنتم، هذا محال فإن القرون المفضلة هم أفضل هذه الأمة علماً وعملاً من المتأخرين، وهذا عكس ما يقوله الضلال من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم، هذا باطل، بل طريقة السلف هي الأعلم والأحكم والأسلم، إذ لا تكون السلامة إلا مع العلم فهم الأعلم وهم الأسلم وهم الأحكم، وأما الخلف فمن اقتدى منهم بالسلف فهو على منهجهم وحكمهم حكمتهم، ومن خالفهم فإنه يكون بمعزل عن الحق والهدى، شاء أم أبى.

(٢) لو كان الأمر كذلك لكان السلف مخذولين، حيث إنكم وُفقتم للحق وهم قد حُرّموا منه، هذا هو الخذلان، لأن من حُرّم العلم الصحيح فهو مخذول.

وعرّفتمُ الرَحْمَنَ بالأجسامِ وألَّ
 أعراضِ والحركاتِ والألوانِ^(١)
 وَهُمْ فَمَا عَرَفُوهُ مِنْهَا بَلْ مِنْ أَلَّ
 آيَاتِ وَهِيَ فَغَيْرُ ذِي بُرْهَانٍ^(٢)
 اللهُ أَكْبَرُ أَنْتُمْ أَوْ هُمْ عَلَى
 حَقٍّ وَفِي غِيٍّ وَفِي خُسْرَانٍ^(٣)

= وإذا رجعت إلى كلام السلف وجدتهم يقولون: قال الله، وقال رسوله، ولا يقولون بعلم الكلام ولا بالقواعد المنطقية والجسم والعرض والجوهر، التي هي مباني علم الكلام، ليس في كلام السلف حرف واحد من هذا، فدلّ على أنه حادث، وكل حادث لا يوافق الكتاب والسنة فإنه باطل، ولهذا يقول الإمام الشافعي رحمه الله في هؤلاء: حكمي في أهل الكلام أن يُطاف بهم في الأسواق، ويُضربوا بالجريد والنعال، ويقال: هذا جزء من أعرض عن الكتاب والسنة. هذا حكم الإمام الشافعي في هؤلاء، أنهم يُقادون بحبال، تجعل في رقابهم كالبهائم، ويُطاف بهم في الأسواق، ويُضربون بالجريد والنعال، نكالاً لهم، ويقال: هذا جزء من أعرض عن الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام. (١) هذه مباني أدلتهم الجسم والعرض والجوهر، وما أشبه ذلك من مصطلحاتهم، وهذه ما عرفها الإسلام، ولا نزل بها الوحي، ولا تعلّمها الصحابة ومن جاء بعدهم، وإنما كانوا مقبلين على الكتاب والسنة. (٢) السلف ما عرفوا هذه القواعد التي أنتم عليها، لأنها ليست براهين، وإنما عرفوا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، هذا الذي عرفوه. (٣) لا بد من أحد الأمرين: إما أنتم على حقّ والسلف على الباطل، أو العكس، فانظروا: أيّ الفريقين أحقّ؟ فلا يمكن خلط الحق بالباطل.

دَعُ ذَا أَلَيْسَ اللهُ قَدْ أَبَدَى لَنَا

حَقَّ الْأَدْلَةِ وَهِيَ فِي الْقُرْآنِ^(١)

مَتَنوعاتٌ صُرِّفَتْ وَتَظَاهَرَتْ

فِي كُلِّ وَجْهٍ فَهِيَ ذُو أَفْنَانٍ^(٢)

مَعْلُومَةٌ لِلْعَقْلِ أَوْ مَشْهُودَةٌ

لِلْحِسِّ أَوْ فِي فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ

أَسْمَعْتُمْ لِدَلِيلِكُمْ فِي بَعْضِهَا

خَبْرًا أَوْ أَحْسَسْتُمْ لَهُ بَيَانٍ^(٣)

(١) الله جلّ وعلا يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] ويقول:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] فدلّ على أنّ القرآن كاملٌ

صالح لكلّ زمانٍ ومكانٍ ولجميع الأمور وأهمّها العقيدة، فمن ظن أنّ

علم المنطق، وعلم الكلام هو الدليل الصحيح والقرآن لم يذكره، ولم

يُحَلَّ عليه، ولم يأمر به، فهذا يتهم القرآن بأنه ناقص، وأنّ هؤلاء عثروا

على شيءٍ من الحقّ لم يذكر في القرآن، وهل هناك حقّ ليس في

القرآن؟! هذا دليلٌ على بطلان ما هم عليه.

(٢) قال تعالى: ﴿الرَّكَابُ أَحْكَمَتْ أَيْدِيَهُمْ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]

وقال جلّ جلاله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ

حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] الله شهد لهذا القرآن بالكمال، وأنّه صُرِّفَ فيه

الأدلة ونوّعت، ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِمَنْ يَصِدُّونَ﴾ [الأنعام: ٤٦]

الله جلّ وعلا صرّف الآيات وفصلها وبينها وأحكمها.

(٣) الشيخ يتحداهم، ويقول: هذا القرآن موجود بين أيدينا هاتوا دليلاً من

القرآن ينص على هذا الذي أنتم عليه أنّه صحيح وأنّه حقّ، ما في القرآن

ولا آية واحدة تدلّ على هذا الشيء.

أَيُّكُونُ أَصْلُ الدِّينِ مَا تَمَّ الْهُدَى
 إِلَّا بِهِ وَبِهِ قُوَى الْإِيمَانِ
 وَسِوَاهُ لَيْسَ بِمَوْجِبٍ مَنْ لَمْ يُحِطْ
 عِلْمًا بِهِ لَمْ يَنْجُ مِنْ كُفْرَانِ
 وَاللَّهُ ثُمَّ رَسُولُهُ قَدْ بَيَّنَّا
 طُرُقَ الْهُدَى، فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ^(١)
 فَلَايُّ شَيْءٍ أَعْرَضَا عَنْهُ وَلَمْ
 نَسْمَعُهُ فِي أَثَرٍ وَلَا قُرْآنِ^(٢)
 لَكِنْ أَتَانَا بَعْدَ خَيْرِ قُرُونِنَا
 بظهورِ أَحْدَاثٍ مِنَ الشَّيْطَانِ
 وَعَلَى لِسَانِ الْجَهْمِ جَاؤُوا حِزْبُهُ
 مِنْ كُلِّ صَاحِبٍ بَدْعَةٍ حَيْرَانِ^(٣)

-
- (١) ليس بعد بيان الله وبيان رسوله بيان، فما ذكره الله في كتابه، أو رسوله في سنته فهو الحق، وما سواه فهو باطل.
- (٢) لماذا الكتاب والسنة أعرضوا عن هذا الدليل الذي أنتم تتشددون به؟ ما أعرضوا عنه إلا لأنه باطل، لو كان حقاً لتضمنناه ولبيناه.
- (٣) منشأ الضلال إنما حدث بعد القرون المفضلة حينما انتشرت الفرق من جهمية ومعتزلة وقدرية وشيعة بمختلف فرقها، حدث هذا الخلل، وأما وقت القرون المفضلة وهي التي أثنى عليها رسول الله ﷺ بقوله: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»^(*) فما عرفت هذه =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٣٥/٧ (٤١٧٣)، ومسلم (٢٥٣٣) (٢١١) من حديث عبد الله بن مسعود.

ولذلك اشتد النكير عليهم

من سائر العلماء في البلدان

صاحوا بهم من كل قطر بل رموا

في إثرهم بشواقب الشهبان^(١)

الأشياء، ما كان المسلمون يشتغلون إلا بالكتاب والسنة، وما حدث علم المنطق وعلم الكلام وعلم الجدل، إلا بعدما عُرِّبَت كتب الروم واليونان على يد المأمون بسبب الوزراء الذين حوله حيث أشاروا عليه وضللوه فحصل ما حصل، ولكن والحمد لله، القرآن والسنة محفوظان، والحق موجودٌ لمن أراد، وإنما هذا ابتلاء وامتحان من الله سبحانه وتعالى للعباد ليتميز المؤمن من المنافق، وطالب الحق من طالب الضلال. وما وُجد شيء، إلا بقضاء الله وقدره سبحانه وتعالى ولحكمة، فوجود هذه الحوادث لحكمة إلهية، من أجل الاختبار والامتحان، وأيضاً: هي عقوبة عُوقب بها من أعرض عن الكتاب والسنة، لأن من ترك الحق ابتلي بالباطل ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] ﴿وَنَقَلِبْ أَعْدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ= أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

(١) لما ظهرت هذه المقالات وهذه العلوم اليونانية لم يسكت علماء الإسلام بل أنكروا وصاحوا بها وبأهلها، وهذه ردودهم وهذه كتبهم موجودة تشهد بذلك، فهذا دليل على حفظ الله لهذا الدين وأنه يُقَيِّضُ له من يُدافع عنه، ويصدُّ أعداءه.

ودليل ذلك: هذه الكتب التي بأيدينا ترد على علماء الكلام وتفنِّد

أقوالهم، هذا دليل على أن العلماء لم يسكتوا عن هذا الباطل، بل أنكروه وبيّنوا بطلانه.

عَرَفُوا الَّذِي يُقْضَى إِلَيْهِ قَوْلُهُمْ

وَدَلِيلُهُمْ بِحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ^(١)

وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي خَفَارَةِ جَهْلِهِ

وَالْجَهْلُ قَدْ يُنْجِي مِنَ الْكُفْرَانِ^(٢)

(١) العلماء ما فعلوا هذا إلا لما عرفوا ما يُقضى إليه قول هؤلاء من الباطل، فذلِكَ فَنَدُوهُ وِرْدُوهُ وِعَارِضُوا وَشَتَّعُوا عَلَيَّ مِنْ قَالِهِ، فَالْإِمَامُ أَحْمَدُ وَقَفَ مَوْقِفَهُ الْمَشْهُورَ مِنَ الْفِتْنَةِ فَتَنَةَ خَلْقِ الْقُرْآنِ، وَقَفَ فِي وَجْهِهَا، وَصَبَرَ عَلَيَّ الْمَحْتَةَ، وَعَلَيَّ الضَّرْبِ، وَعَلَيَّ السَّجْنِ، حَتَّى أَظْهَرَ اللَّهُ الْحَقَّ وَخَذَلَ الْبَاطِلَ، وَشَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ صَبَرَ عَلَيَّ السَّجْنِ، وَالتَّغْرِيْبَ حَتَّى إِنَّهُ مَاتَ فِي السَّجْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَمُنَعْتَ عَنْهُ الْكُتُبَ وَالْحَبْرَ وَالْأَقْلَامَ يَخَافُونَ أَنْ يَكْتُبَ وَهُوَ فِي السَّجْنِ، لَكِنْ كَتَبَهُ الْآنَ تَتَأَلَّقُ وَتَظْهَرُ وَالنَّاسُ يَقْبَلُونَ عَلَيْهَا، هَذَا مِنْ نُصْرَةِ اللَّهِ لِهَذَا الدِّينِ وَلِهَذَا الْحَقُّ.

(٢) أَخُو الْجَهَالَةِ، يَعْنِي صَاحِبَ الْجَهَالَةِ، فِي خَفَارَةِ جَهْلِهِ، يَعْنِي قَدْ قَيْدَهُ جَهْلِهِ، بِخِلَافِ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَامُوا بِالْوَاجِبِ، أَمَّا الْجَاهِلُ، فَإِنَّهُ سَلْبِي لَمْ يَفْعَلْ شَيْئاً، لَكِنْ الْجَهْلُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ قَدْ يَسْلَمُ بِسَبَبِهِ الْإِنْسَانُ، فَالْجَاهِلُ الَّذِي مَا أَطَّلَعَ عَلَيَّ كُتُبَ هَؤُلَاءِ وَشَبَهَاتِهِمْ سَلِمَ مِنْهَا وَلَمْ يَقَعْ فِيهَا، وَإِنْ كَانَ الْأَوْلَى وَالْأَفْضَلُ، بَلِ الْوَاجِبُ أَنْ يَطَّلَعَ الْإِنْسَانُ عَلَيْهَا وَيُنْقِضَهَا وَيُرْدِئَهَا وَيَخَاصِمُ أَهْلِهَا، لَكِنْ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ تَمَكُّنٌ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ الْإِبْتِعَادُ، وَالْقَاعِدَةُ: أَنَّ الْجَاهِلَ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ بَصِيرَةٌ وَلَا تَعَلُّمٌ عَلِمًا يَتَسَلَّحُ بِهِ، الْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ كُتُبِ أَهْلِ الضَّلَالِ وَلَا يُطَالِعَهَا وَلَا يَقْرَأَ فِيهَا، لِأَنَّهُ مِثْلُ الَّذِي لَمْ يَتَعَلَّمِ السَّبَاحَةَ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْبَحَ وَلَمْ يَتَقَنَّ السَّبَاحَةَ يَغْرُقُ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَدْخُلَ فِي هَذِهِ الْمَجَالَاتِ إِلَّا أَهْلُ الْإِخْتِصَاصِ وَأَهْلُ الْعِلْمِ.

فصل

في الرد على الجهمية المعطلة القائلين بأنه ليس على

العرش إله يُعبد ولا فوق السموات إله يُصلى له

ويُسجد وبيان فساد قولهم

عقلاً ونقلاً ولغة وفطرة^(١)

والله كان وليس شيء غيره

وبرى البرية وهي ذو حدثان^(٢)

(١) هذا الباب وما بعده في إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه، كما دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة، والرد على من ينفي العلو أو ينفي الاستواء كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن سار على دربهم، والشيخ ردّ عليهم بأدلة عقلية ثم أتبعها بأدلة نقلية من الكتاب والسنة تدل على إثبات العلو لله سبحانه وتعالى.

(٢) كان الله جلّ وعلا وليس شيء غيره، فهو الأول بلا بداية ولا يُشاركه أحدٌ في أوليته سبحانه وتعالى، يقول الرسول ﷺ في دعائه: «أنت الأول فليس قبلك شيء»^(*) فالله ليس قبله شيء، ولا معه شيء، وإنما سبحانه وتعالى، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكلّ شيء =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٤/٥٢٠ (٥٩٦٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢١٢)، ومسلم (٢٧١٣) (٦١) و(٦٢)، وأبو داود (٥٠٥١)، وابن ماجه (٣٨٧٣) والترمذي (٣٤٠٠) من حديث أبي هريرة.

فَسَلِّ الْمَعْطَلَ هَلْ بَرَاهَا خَارِجاً
 عَنْ ذَاتِهِ أَمْ فِيهِ حَلَّتْ ذَانِ
 لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَاهُمَا أَوْ أَتَاهَا
 هِيَ عَيْنُهُ مَا تَمَّ مَوْجُودَانِ
 مَا تَمَّ مَخْلُوقٌ وَخَالِقُهُ وَمَا
 شَيْءٌ مَغَايِرُ هَذِهِ الْأَعْيَانِ
 لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَى ثَلَاثٍ مَا لَهَا
 مِنْ رَابِعٍ خَلُوعاً عَنِ الرَّوْعَانِ^(١)

= إلى حديث عمران بن حصين «كان الله ولم يكن شيء قبله» وفي رواية «ولا شيء معه»^(*) وأما الخلق فإنهم مخلوقون مُحَدَّثُونَ بعد أن لم يكونوا، والبرية: يعني الخلق، وذو حدثان: الحدثان: الوجود بعد العدم، فالله أوجد المخلوقات من العدم، ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الشورى: ١١] أي: موجدهما على غير مثال سابق ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] فكل شيء فهو مخلوق من العدم، وأما الله جلَّ وعلا فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء سبحانه وتعالى ﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ يَوْمَئِذٍ شَيْءٌ يُوقَدُ﴾ [الأنبياء: ٢٠] ﴿كُفُّوا أَعْيُنَكُمْ عَنِ اللَّهِ﴾ [الإخلاص: ٣-٥].

(١) هذا دليل عقلي أورده الشيخ رحمه الله، على علو الله سبحانه وتعالى، وهو أنه يقول: هل تقولون: إنَّ هذا الوجود شيءٌ واحد ليس فيه انقسام وأنه هو الله؟! ما هناك خالق ولا مخلوق، فهذا قول الاتحادية، أهل =

ولذلك قال محققُ القومِ الذي

رفعَ القواعدَ مُدَّعي العِرفانِ^(١)

هو عينُ هذا الكونِ ليس بغيره

أنتى وليس مُباينَ الأكوانِ^(٢)

= وحدة الوجود، وهم أكفر الخلق، أو تقولون: إنَّ هناك خالقاً ومخلوقاً، وإذا قلتُم: إنَّ هناك خالقاً ومخلوقاً، هل الله حالٌّ في هذه المخلوقات أو خارجٌ عنها، فإن قلتُم: إنَّه حالٌّ فيها فهذا قول الحلوية وهو قريب من قول الاتحادية. وإن قلتُم: إنَّه خارجٌ عنها فأين هو؟ إن قلتُم: إنَّه فوقها فهذا هو المطلوب، ويكون الله عزَّ وجل بائناً من خلقه فوق سماواته عالٍ على مخلوقاته سبحانه وتعالى، وإن نفيتم علوه فهذا باطل مخالف للأدلة السمعية والعقلية، هذه ثلاثة أقوال لا بدَّ منها، أمَّا القول بوحدة الوجود فهذا كفر وإلحاد، أو القول بالحلول، فهذا كفر وإلحاد أيضاً، أو القول بالعلو وأنَّ الخالق جلَّ وعلا بائنٌ من خلقه وهذا هو الحق، أو تقولون بنفي العلو وتقعون في الباطل، فإن قلتُم: نحن، نقول: لا هو داخل العالم ولا هو خارج العالم، قلنا: هذا محال، لأن الشيء الذي غير داخل في العالم ولا خارج عنه غير موجود، كلُّ موجود فلا بُدَّ إمَّا أن يكون داخل العالم أو خارج العالم، أمَّا افتراض شيء، لا داخل العالم ولا خارج العالم فهو مُحال، لأن هذا هو المعدوم.

(١) وهو ابن عربي قال: لا انقسام بين الخالق والمخلوق، كلُّه هو الله، وقوله: «رفع القواعد» أي: قواعد الكفر والإلحاد.

(٢) يقول ابن عربي: هذا الكون ليس فيه خالق ولا مخلوق، لأننا إن قلنا: فيه خالق ومخلوق صار هذا شركاً، والله لا شريك له.

كلاً وليس مُجانباً أيضاً لها
 فهو الوجودُ بعينه وعيانِ
 إن لم يكن فوقَ الخلائق ربُّها
 فالقولُ هذا القولُ في الميزانِ
 إذ ليس يُعقلُ بعدُ إلا أَنَّهُ
 قد حلَّ فيها وهي كالأبدانِ
 والروحُ ذاتُ الحقِّ جلَّ جلالُهُ
 حلَّت بها كمقالة النصراني^(١)
 فاحكُم على من قال ليس بخارجِ
 عنها ولا فيها بحُكم بيانِ
 بخلافه الوحيين والإجماعِ والـ
 عقل الصريحِ وفِطرةِ الرحمنِ
 فعليه أوقعَ حدَّ معدومٍ وذا
 حدَّ المُحالِ بغيرِ ما فُرقانِ
 يا للعُقُولِ إذا نفيْتُم مُخبراً
 ونقيضَهُ هلْ ذاكُ في إمكانِ

(١) يقول للجهمية الذين ينفون العلو: إن لم تقولوا بوحدة الوجود كابن عربي فلا بد أن تقولوا بقول الحلولية: إن الله حالٌ في المخلوقات كحلول الروح في البدن فيكون هذا مثل قول النصارى بحلول الله في المسيح ابن مريم.

إن كان نفي دخوله وخروجه

لا يصدقان معاً لذي الإمكان

إلا على عدم صريح نفيه

متحققٌ بيداهة الإنسان^(١)

أيصح في المعقول يا أهل التهي

ذاتان لا بالغير قائمتان

ليست تباينُ منهما ذاتٌ لأخر

رى أو تحاسيها فيجتمعان^(٢)

إن كان في الدنيا محالاً فهو ذا

فارجع إلى المعقول والبرهان

فلئن زعمتم أن ذلك في الذي

هو قابلٌ من جسمٍ أو جسمان^(٣)

(١) وإما أن تقولوا: إن الله ليس بداخل العالم فراراً من الحلول، ولا خارج

العالم فراراً من إثبات العلو، فإنكم تقعون في المحال، ولا يُعقل أن يكون

هناك شيء موجود لا داخل العالم ولا خارج العالم إنما يُقال للمعدوم، أمّا

الموجود فإنه لا بُدَّ: إمّا أن يكون داخل العالم أو خارج العالم.

(٢) إذا كان هناك موجودان في الخارج، فلا بُدَّ إما أن يكون أحدهما داخلياً

في الآخر، أو يكون خارجاً عنه، أمّا أن يُقال: شيئان موجودان ليس

أحدهما داخلياً في الآخر ولا خارجاً عنه، فهذا محال.

(٣) يقولون: هذا الذي ذكرتم أنه محال إنما يكون في الشيء القابل، أمّا

ذات الرب سبحانه وتعالى فلا توصف بأنها قابلة لهذا الشيء بحيث إذا =

والربُّ ليسَ كذا فنَّقِيْ دُخولَه
 وخروجَه ما فيه من بَطْلانِ
 فيُقَالُ هذا أَوْلَى من قولِكُم
 دعوى مجرَّدةٌ بلا بُرْهانِ
 ذاك اصطلاحٌ من فريقٍ فارقوا أَلْ
 سَوْحِي المبيّنَ بحكمةِ اليونانِ
 والشّيءُ يَصْدُقُ نَفِيْهُ عن قابِلِ
 وسواهُ في معهودِ كلِّ لسانِ
 أنسيتَ نفيَ الظلمِ عنه وقولكَ الظُّ
 ظلمُ المحالُّ وليسَ ذا إمكانِ^(١)

= نفي عنها لزم المحال، فنقول لهم: هذا أشدُّ من الأول، فإنَّ الشيء القابل أحسنُّ حالاً من الشيء غير القابل، فإنسان أعمى، هو قابل للبصر أحسن من الجماد الذي ليس بقابل للبصر، فأنتم شبهتم الله بالجماد الذي هو غير قابل، ففررتم من شيءٍ ووقعتم في شيءٍ شراً منه، وهكذا الذي يسير على غير دليل من الكتاب والسنة يفرُّ من شيءٍ ويقع في شيءٍ شراً منه ولا عصمة إلا بالكتاب والسنة.

(١) يرد عليهم فيقول:

أولاً: هذا الذي تقولونه ليس عليه دليل، وإنما هو اصطلاحٌ اصطَلَحتموه أنتم، ولا دليل عليه لا من الكتاب ولا من السنة ولا من لغة العرب، ولا من الفِطْر ولا من العقول السليمة.

ونسيتَ نفِي النومِ والسَّنَةِ التي

ليستَ لربِّ العرشِ في الإمكانِ (١)

ونسيتَ نفِي الطُّعْمِ عنهُ وليسَ ذا

مقبولةً والنفِي في القرآنِ (٢)

وثانياً: ما ذكرنا من أن الشيء القابل أحسن من الشيء غير القابل .

وثالثاً: الله جلّ وعلا نزه نفسه عن الظلم فقال: ﴿وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ

أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وأنتم تقولون: الظلم محالّ في حق الله وليس في

مقدوره، ثم نفيتموه عنه، فأنتم نفيتم الظلم عن الله مع أنكم تقولون: إنّه

محالّ عليه؟ إذاً لا حاجة أن تنفوا عنه الظلم لأنّه محالّ عندكم فلا حاجة

إلى نفيه عنه، وأيضاً أنتم تنفون عن الله أنه داخل أو خارج العالم مع أنه

محالّ عندكم، فأنتم وقعتم في شر مما فررتم منه .

(١) الله نزه نفسه عن النوم والسَّنَةِ، فهل معناه: أنّه محالّ عليه النوم والسَّنَةِ

أو معناه أنه ممكن ولكن نزه نفسه عنه، لأنّه لا يليق به سبحانه وتعالى

لكمال حياته وقيوميته .

(٢) قال تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤] نزه نفسه عن أكل الطعام؛

لأنّ أكل الطعام نقص فلا يأكل الطعام إلا مَنْ هو محتاجٌ إليه، والله جلّ

وعلا غنيٌّ عن خلقه، فنفي الطعم عنه سبحانه لكماله، ولهذا استدلّ على

بُطلان إلهية المسيح وأمه بقوله: ﴿كَأَنَّا يَا كَلَانَ الطَّعَامُ﴾ [المائدة:

٧٥] فكيف يكون المسيح وأمه إلهين وهما يأكلان الطعام، والذي يأكل

الطعام محتاج، والله جلّ وعلا منزّه عن الحاجة وهو الغني عن خلقه

سبحانه وتعالى .

ونسيتَ نفِيّ ولادةٍ أو زوجةٍ

وهما على الرحمن ممتنعان^(١)

واللهُ قد وصفَ الجمادَ بأنَّه

مَيِّتٌ أَصَمٌّ وَمَا لَهُ عَيْنَانِ

وكذا نفى عنه الشُّعُورَ ونُطْقَه

وَالخَلْقَ نَفِيًّا وَاضِحَ التَّبْيَانِ

هذا وليس بها قبولٌ للذي

يُنْفِي وَلَا مِنْ جَمَلَةِ الحَيَوَانِ^(٢)

(١) نزه نفسه عن الولد والزوجة لأنّ الوالد محتاجٌ إلى الولد، والله غني عن خلقه سبحانه، ليس بحاجة إلى الولد، وكذلك الإنسان محتاجٌ إلى الزوجة، أمّا الله جلّ وعلا فإنه غنيٌّ عن خلقه ليس بحاجة إلى زوجة، ﴿مَا أَخَذَ صَنْجَةً وَلَا وِلْدًا﴾ [الجن: ٣] لأنّه غني عن ذلك سبحانه وتعالى، والولد شبيه لأبيه وجزءٌ منه كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَكَ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ [الزخرف: ١٥] فالولد جزءٌ عن الوالد وشبيه له، والله تعالى ليس له شبيه، فلو كان له ولد لكان له شبيه من خلقه، ولو كان له ولد لكان محتاجاً إلى خلقه، والله غني عن ذلك كلّهُ.

(٢) يقول الجهمية: أنتم تقولون: إنّه لا يُنفى الشيء عن الشيء إلا إذا كان له ملكة وقابلية، نقول: هذا باطل، لأن الله نفى السمع والبصر والحياة عن الجماد مع أنّ الجماد غير قابل لهذه الأمور، قال تعالى: ﴿أَمْوتُ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢١] فنفى عن الأصنام الحياة مع أنّها جمادات لا روح فيها وغير قابلة للحياة ليبيّن بطلان عبادتها، وقال =

وَيُقَالُ أَيْضاً ثَانِيّاً لَوْ صَحَّ هَذَا
 إِذَا الشَّرْطُ كَانَ لِمَا هُمَا ضِدَّانِ
 لَا فِي النَّقِيضَيْنِ اللَّذَيْنِ كِلَاهُمَا
 لَا يُتَّبَعَانِ وَلَيْسَ يَرْتَفِعَانِ
 وَيُقَالُ أَيْضاً نَفْيُكُمْ لِقَبُولِهِ
 لَهُمَا يُزِيلُ حَقِيقَةَ الْإِمْكَانِ
 بَلْ ذَا كُنْفِي قِيَامِهِ بِالنَّفْسِ أَوْ
 بِالْغَيْرِ فِي الْفِطْرَاتِ وَالْأَذْهَانِ
 فَإِذَا الْمَعْطَلُ قَالَ إِنَّ قِيَامَهُ
 بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْغَيْرِ ذُو بُطْلَانِ
 إِذْ لَيْسَ يَقْبَلُ وَاحِداً مِنْ ذَيْنِكَ أَلْ
 أَمْرَيْنِ إِلَّا وَهُوَ ذُو إِمْكَانِ
 جَسْمٌ يَقُومُ بِنَفْسِهِ أَيْضاً كَذَا
 عَرَضٌ يَقُومُ بِغَيْرِهِ أَخْوَانِ
 فِي حُكْمِ إِمْكَانٍ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ
 مَا كَانَ فِيهِ حَقِيقَةُ الْإِمْكَانِ

= سبحانه وتعالى في الأصنام: ﴿ أَلْهَمَّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا
 أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٩٥] فنفي
 عن هذه الأشياء هذه الصفات مع أنها جمادات، فدلّ على أنّ الشيء قد
 يُنْفَى عَنِ الشَّيْءِ وَلَوْ كَانَ الْمَنْفِي عَنْهُ غَيْرَ قَابِلٍ لَهُ.

فكَلُمَا يَنْفِي الْإِلَهَ حَقِيقَةً
وَكَلُمَا فِي نَفِيهِ سِيَّانٍ
مَاذَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ
فِي النَّفْيِ صِرْفًا إِذْ هُمَا عِدْلَانِ
وَالْفَرْقُ لَيْسَ بِمَمْكِنٍ لَكَ بَعْدَمَا
ضَاهَيْتَ هَذَا النَّفْيَ فِي الْبُطْلَانِ
فَوِزَانُ هَذَا النَّفْيِ مَا قَدْ قَلْتُمْ
حَرْفًا بِحَرْفٍ أَتُّمَّا صِنَوَانِ
وَالْحَصْمُ يَزْعُمُ أَنْ مَا هُوَ قَابِلٌ
لِكِلَيْهِمَا فَكَقَابِلٍ لِمَكَانِ
فَأَفْرُقْ لَنَا فَرْقًا يُبَيِّنُ مَوَاقِعَ الـ
إِثْبَاتِ وَالتَّعْطِيلِ بِالْبَرْهَانِ
أَوْ لَا فَأَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيهَا وَخَلْ
لِ الْفُشْرَ عَنْكَ وَكَثْرَةَ الْهَذْيَانِ^(١)

* * *

(١) قال الشيخ ابن عيسى رحمه الله : إذا نفيتم قبوله سبحانه لأن يكون داخل العالم أو خارجه، فهذا كنفى قيامه بالنفس أو بالغير، فإذا قال المعطل: إن قيامه بنفسه أو بغيره باطل، فعلى هذا يستحيل وجوده تعالى وتقدس. ومعلوم أن الخلو عن النقيضين ممتنع، كما أن الجمع بين النقيضين ممتنع.

فصل

في سياق هذا الدليل من وجه آخر

وَسَلِّ الْمَعَطَّلَ عَنْ مَسَائِلَ خَمْسَةٍ

تُرَدِّي قَوَاعِدَهُ مِنَ الْأَرْكَانِ (١)

(١) حاصل الدليل من وجه آخر أن يُقال:

أولاً: هل ترون أن الله سبحانه وتعالى موجودٌ في الأذهان فقط، أو موجودٌ خارج الأذهان؟ فإن قالوا: إنه موجود في الأذهان فقط عطلوا.
ثانياً: إذا قالوا: هو موجودٌ خارج الأذهان فلا بُدَّ أن يُقال مثل ما قيل في الأول، هل ترون أنه هو هذا العالم، أو هو غير هذا العالم، فإن قالوا: هو هذا العالم، فهذا هو قول أهل وحدة الوجود، وإن قالوا: هو غير هذا العالم يُقال لهم: هل هو داخل العالم أو العالم داخل فيه؟ فإن قالوا: بأحد الأمرين: إنه داخلُ العالم أو العالم بداخله، يُقال: هذا مذهب الحلولية الذين يقولون: إنَّ الله حالٌّ في الكائنات، وهذا أحيث من مذهب النصارى، لأنَّ النصارى إنما قالوا بحلوله في شخص واحد وهو المسيح، وأنتم تقولون: إنه حالٌّ في كلِّ شيء، وهذا من أبطل الباطل، فإن قالوا: إنه ليس في مخلوقاته شيءٌ من ذاته ولا في ذاته شيءٌ من مخلوقاته فهذا هو الحق، فإذا: يكون مابيناً لخلقه، فيُقال لهم: إذا أقررتم بهذا وأنه ليس حالاً في خلقه ولا خلقه حالاً فيه، هل تقولون: إنه عَرَضٌ لا يقوم بنفسه، كالألوان من البياض والحُمْرة والصُّفرة فإذا قالوا: إنه عَرَضٌ لزمهم القول بالحلول، وإن قالوا: إنه غير عَرَضٍ، إنما هو =

قُلْ لِلْمُعْطَلِ هَلْ تَقُولُ إِلَهَنَا أَلْ
 مَعْبُودُ حَقًّا خَارِجَ الْأَذْهَانِ
 فَإِذَا نَفَى هَذَا فَذَاكَ مُعْطَلٌ
 لِلرَّبِّ حَقًّا بِالْبَالِغِ الْكُفْرَانِ^(١)
 وَإِذَا أَقْرَبَ بِهِ فَسَلَّهُ ثَانِيًا
 أُرَاهُ غَيْرَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ
 فَإِذَا نَفَى هَذَا وَقَالَ بِأَنَّهُ
 هُوَ عَيْنُهَا مَا هَا هُنَا غَيْرَانِ
 فَقَدْ ارْتَدَى بِالِاتِّحَادِ مُصْرِحًا
 بِالْكَفْرِ جَا حِدَ رَبِّهِ الرَّحْمَنِ^(٢)
 حَاشَا النَّصَارَى أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ
 وَهُمْ الْحَمِيرُ وَعَابِدُو الصُّلْبَانِ

= ذات، ووجود مستقل، فهذه هي النتيجة المطلوبة، أن الله جلّ وعلا
 كائن قبل كل شيء وأنه بائن من خلقه فيلزم إثبات العلو، لأنّ أليق
 الجهات في حقّه سبحانه هو العلو، والمخلوقات كلّها تحته سبحانه
 وتعالى، فحصل حيثنّ في نهاية هذا الدليل المطلوب، وإن قالوا: إنّه لا
 داخل العالم ولا خارج لعالم ولا فوق ولا تحت لزمهم الباطل، لأنّ هذا
 ليس له وجود، وهو العدم.

(١) إذا قال: إنّه موجود في الأذهان لا في الأعيان، فهذا تعطيل.

(٢) إذا أقرّ بأنه خارج الأذهان فتقول: هل وجوده وجود هذه الكائنات فهذا

قول أهل وحدة الوجود.

هُمُ خَصَّصُوهُ بِالْمَسِيحِ وَأُمَّهُ

وَأَوْلَاءِ مَا صَانُوهُ عَنْ حَيَوَانِ

وَإِذَا أَقْرَبَاءَهُ غَيْرُ الْوَرَى

عَبْدٌ وَمَعْبُودٌ هَمَا شَيْئَانِ

فَاسْأَلْهُ هَلْ هَذَا الْوَرَى فِي ذَاتِهِ

أَمْ ذَاتُهُ فِيهِ هُنَا أَمْرَانِ

وَإِذَا أَقْرَبَ بَوَاحِدٍ مِنْ ذَنْبِكَ الْ

أَمْرَيْنِ قَبْلَ خَدِّهِ النَّصْرَانِي

وَيَقُولُ أَهْلًا بِالَّذِي هُوَ مِثْلُنَا

خَشِدَاشُنَا وَحَبِيبِنَا الْحَقَّانِي

وَإِذَا نَفَى الْأَمْرَيْنِ فَاسْأَلْهُ إِذَا

هَلْ ذَاتُهُ اسْتَعْنَتْ عَنِ الْأَكْوَانِ

فَلِذَلِكَ قَامَ بِنَفْسِهِ أَمْ قَامَ بِالْ

أَعْيَانِ كَالْأَعْرَاضِ وَالْأَكْوَانِ (١)

فَإِذَا أَقْرَبَ وَقَالَ بَلْ هُوَ قَائِمٌ

بِالنَّفْسِ فَاسْأَلْهُ وَقُلْ ذَاتَانِ

(١) إِذَا أَقْرَبَ بَوَاحِدٍ خَالِقٍ وَمَخْلُوقٍ فَيُسْأَلُ سُؤَالًا آخَرَ.

هَلْ يَقُولُ: إِنَّهُ حَالٌّ فِي الْمَخْلُوقَاتِ أَوْ الْمَخْلُوقَاتِ حَالَّةٌ فِيهِ فَهَذَا

قَوْلُ الْحَوْلِيَةِ الَّذِينَ مِنْهُمْ النَّصَارِيُّ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ اللَّهَ حَالٌّ فِي الْمَسِيحِ. فَإِذَا

قَالَ هَذَا وَافْقَهُمْ فَقَبِلُوا رَأْسَهُ رِضًا عَنْهُ.

بِالنَّفْسِ قَائِمَتَانِ أَخْبِرْنِي هُمَا
 مَثَلَانِ أَوْ ضِدَّانِ أَوْ غَيْرَانِ
 وَعَلَى التَّقَادِيرِ الثَّلَاثِ فَإِنَّهُ
 لَوْلَا التَّبَايُنُ لَمْ يَكُنْ شَيْئَانِ
 ضِدَّيْنِ أَوْ مِثْلَيْنِ أَوْ غَيْرَيْنِ كَمَا
 نَابِلُ هُمَا لَا شَكَّ مُتَّحِدَانِ
 فَلِذَاكَ قُلْنَا إِنَّكُمْ بَابٌ لِمَنْ
 بِالِاتِّحَادِ يَقُولُ بَلُّ بَابَانِ
 نَقَطْتُمْ لَهُمْ وَهُمْ خَطُّوا عَلَيَّ
 نُقِطُ لَكُمْ كَمَا عَلَّمِ الصَّبِيَّانِ

* * *

فصل

في الإشارة إلى الطُّرُقِ النقلية الدالة على أَنَّ الله تعالى
فوق سماواته على عرشه^(١)

ولقد أتانا عشرُ أنواعٍ من الأدلِّ

منقولٍ في فَوْقِيَّةِ الرَّحْمَنِ^(٢)

مع مِثْلِهَا أيضاً تزيِدُ بواحدٍ

ها نحنُ نسرُدُها بلا كِتْمَانٍ^(٣)

منها استواءُ الرَّبِّ فوقَ العرشِ في

سَبْعِ أَتِّ في مُحْكَمِ الْقُرْآنِ^(٤)

(١) لما انتهى من الأدلة العقلية الدالة على علو الله على خلقه والرد على المعطلة نفاة العلو، انتقل إلى الأدلة السمعية، والمراد بالسمعية: أدلة الوحي من الكتاب والسنة، وأدلة الوحي كافية بلا شك، ولكن أورد الأدلة العقلية من باب الرد عليهم بمذهبهم وسلاحهم، لما كانوا لا يستدلون بالأدلة النقلية، أراد أن يسد عليهم الطريق وأن يناقشهم بمثل سلاحهم فأورد الدليلين السابقين.

(٢) في القرآن، عشرة أدلة على إثبات العلو، وسيسوقها، وكلُّها تدل على فوقية الرحمن على مخلوقاته.

(٣) يعني عشرة مع عشرة المجموع: عشرون دليلاً تزيِدُ بواحد فتكون واحداً وعشرين دليلاً، سيبينها.

(٤) الدليل الأول: «أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَخْبَرَهُ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ يَقُولُ فِيهَا: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] =

وكذلك اَطْرَدَتْ بلا لام وَلَوْ

كانت بمعنى اللام في الأذهان

لأتت بها في موضع كي يُحْمَل ال

بأقي عليها بالبيان الثاني^(١)

ونظيرُ ذا إضمارُهم في مَوْضِع

حُملاً على المذكور في التَّيَّان

= والعرش، هو أعلى المخلوقات ليس فوقه مخلوقات، والله جلّ وعلا فوق العرش، فهذا فيه إثبات العلو لله عزّ وجل فوق مخلوقاته.

(١) يقول: كل آيات الاستواء جاءت بلفظ: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، بلا لام

«استولى» إذ لو حذف لام «استولى» أصبحت «استوى»، وليس في

واحدة منها «استولى» على العرش باللام حتى تكون هذه الآية مفسّرة،

فلما اطرّدت كلّها بلا لام «استولى» دلّ على أنّ الاستواء غير

الاستيلاء، وإنما هو: الارتفاع والعلو كما فسّرها بذلك السلف، فتفسير

الاستواء بالاستيلاء باطل، لأنه لم يأت به دليل وإنما زاد المعطلة هذه

اللام كما زاد اليهود النون في «حطة» فقالوا: «حنطة» فهذه زيادة تُشبه

زيادة اليهود لما قيل لهم: قولوا: «حطة» يعني حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا، قالوا:

«حنطة» وهي الطعام المعروف، فغيّروا اللفظ وقالوا: «حنطة» لأن

الذي يهمهم الأكل فقط ولا يهمهم الاستغفار وطلب المغفرة، وأيضاً:

هذا من باب العبث بكتاب الله عزّ وجل، كذلك الأشاعرة على نفس

الخط، عبثوا بكتاب الله فزادوا هذه اللام، فقالوا بدل «استوى»

«استولى».

لَا يُضْمَرُونَ مَعَ أَطْرَادِ دُونَ ذَكَرَ

بِالْمُضْمَرِ الْمَحذُوفِ دُونَ بَيَانِ

بَلْ فِي مَحَلِّ الْحَذْفِ يَكْثُرُ ذِكْرُهُ

فَإِذَا هُمْ أَلْفُوهُ إِفْ لِسَانَ

حَذْفُوهُ تَخْفِيفاً وَإِجَازاً فَلَا

يَخْفَى الْمُرَادُ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ

هَذَا وَمِنْ عَشْرِينَ وَجْهاً يَبْطُلُ أَلْ

تَفْسِيرُ بَاسْتَوْلَى لَذِي الْعِرْفَانِ

قَدْ أَفْرَدَتْ بِمُصْنَفِ لِإِمَامِ هَذَا

ذَا الشَّأْنِ بَحْرِ الْعَالَمِ الرَّبَّانِيِّ (١)

* * *

(١) يعني أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، له رسالة في الرد على تفسير الاستواء بالاستيلاء من عشرين وجهاً وهذه الرسالة موجودة في مجموع الفتاوى.

فصل

هذا وثانيها صريحُ علُوّه

وله بحُكم صريحه لفظانِ

لفظُ العليِّ ولفظةُ الأعلى مُعرّ

رَفَةً أتت فيه لقصدِ بيانِ^(١)

إِنَّ العُلُوَّ لَهُ بِمُطْلَقِهِ عَلَى التَّ

تَعْمِيمِ والإِطْلَاقِ بِالْبُرْهَانِ

ولهُ العُلُوُّ مِنَ الوجوهِ جَمِيعِهَا

ذاتاً وقَهراً معَ علُوِّ الشانِ^(٢)

لكن نُفَاةُ علُوّه سلبُوه إِكُ

مَالَ العُلُوُّ فَصَارَ ذَا نَقْصَانِ^(٣)

(١) الدليل الثاني: تصريحُ الله جلَّ وعلا بالعلو على مخلوقاته، قال تعالى:

﴿وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فالعليُّ: معناه العالي على خلقه بذاته

وبقهره وبقدرته سبحانه وتعالى، فالعلو له ثلاثة أنواع: علُوُّ الذات فوق

مخلوقاته، وعلُوُّ القهر، وعلُوُّ القدر، كُلُّهَا ثابتةٌ له سبحانه وتعالى.

(٢) علُوُّ الذات، وعلُوُّ القهر وعلُوُّ القدر، أمّا من فسّر العلوّ بأنّه علُوُّ القدر أو

علُوُّ القهر، فقط، وأنكر علُوُّ الذات فهو معطلٌّ.

(٣) حيث يُفسرونه بالمعينين فقط، علو القهر والقدر، ويجحدون علو الذات،

فصار تفسيرهم ذا نقصان، وليس هو المطلوب.

حاشاهُ من إفكِ النُّفَاةِ وسليهِمْ
 فَلَهُ الكَمَالُ المَطْلُوقُ الرَّبَّانِي (١)
 وَعُلُوُّهُ فَوْقَ الخَلِيقَةِ كُلِّهَا
 فَطَرَتْ عَلَيْهِ الخَلْقُ وَالثَّقَلَانِ (٢)
 لَا يَسْتَطِيعُ مُعْطَلٌّ تَبْدِيلَهَا
 أَبْدأً وَذَلِكَ سُنَّةُ الرَّحْمَنِ (٣)
 كُلُّ إِذَا مَا نَابَهُ أَمْرٌ يُرَى
 مُتَوَجِّهًا بِضُرُورَةِ الإِنْسَانِ
 نَحْوَ العُلُوِّ فَلَيْسَ يَطْلُبُ خَلْفَهُ
 وَأَمَامَهُ أَوْ جَانِبَ الإِنْسَانِ (٤)

(١) هذا تنزيه لله تعالى عن هذا التفسير، حاشاهُ، يعني الرب سبحانه وتعالى عن إفك هؤلاء، والإفك: معناه الكذب، لأنهم كذبوا على الله سبحانه وتعالى حيث فسروا علوه بغير معناه الصحيح.

(٢) هذا دليل الفطرة على العلو، فالعوام والمتعلمون والجهال والحضر والبدو كلهم إذا دعوا الله يتجهون إلى العلو، ويرفعون أيديهم إلى السماء، وجوههم وقلوبهم تتجه إلى السماء فطرة، ما تعلموا ولا درسوا هذا، وإنما فطرتهم هي التي وجهتهم إلى جهة العلو هذا من أكبر الأدلة على علو الله سبحانه وتعالى.

(٣) لا يستطيع المعطلة تغيير هذه الفطرة وأن يردون هؤلاء عن اتجاههم إلى السماء أبداً ولو عملوا ما عملوا، الفطرة تأتي هذا، قال تعالى: ﴿فَطَرَتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِلُ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

(٤) هذا مطرد في الناس كلهم، عند الدعاء يتوجهون إلى العلو ويرفعون =

ونهايةُ الشُّبُهَاتِ تشكيكٌ وتَخُّ

مِيش وتغييرٌ على الإيمانِ

لا يستطيع تعارضُ المعلومِ والـ

مَعْقُولِ عندَ بدائِهِ الإنسانِ^(١)

فَمِنَ المُحَالِ القَدْحُ فِي المَعْلُومِ بالشُّ

شُّبُهَاتِ هَذَا يَبِّنُ البُطْلَانَ

وَإِذَا البِدَائَةُ قَابَلَتْهَا هَذِهِ الشُّ

شُّبُهَاتُ لَمْ تَحْتِجْ إِلَى بُطْلَانِ

شَتَانَ بَيْنَ مَقَالَةٍ أَوْصَى بِهَا

بَعْضٌ لِبَعْضٍ أَوَّلٌ لِالثَّانِي

وَمَقَالَةٍ فَطَرَ الإِلَهَ عِبَادَهُ

حَقًّا عَلَيْهَا مَا هُمَا عِدْلَانِ^(٢)

= أَيْدِيهِمْ وَوُجُوهُهُمْ، هَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، لَا أَحَدٌ

يَتَجَهَّ يَمِينَةً وَلَا يَسْرَةً وَلَا خَلْفًا وَلَا أَمَامًا، وَإِنَّمَا يَتَجَهَّونَ إِلَى العُلُوِّ.

(١) يَعْنِي أَنَّ المَعْطَلَةَ فِي شُبُهَاتِهِمْ وَفِي تَلْبِيسَاتِهِمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُغَيِّرُوا هَذِهِ

الفِطْرَةَ فِي النَّاسِ وَفِي المَخْلُوقَاتِ، فَشُبُهَاتِهِمْ تَبْقَى دَائِرَةً عَلَيْهِمْ فَقَطْ

مُحَاصِرَةً فِيهِمْ لَيْسَ لَهَا سَرِيَانٌ فِي الخَلْقِ.

(٢) يَعْنِي أَنَّ الفِطْرَةَ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا، لَا تَسْتَوِي مَعَ مَذْهَبٍ مِنَ

المَذَاهِبِ الَّتِي أَحْدَثُوهَا وَتَوَاصَوْا بِهَا، وَأَوْصَوْا بِهَا تَلَامِيذَهُمْ، هَذِهِ لَا

تُعْطَلُ الفِطْرَةَ أَبَدًا، وَإِنْ دَرَسُوهَا لِتَلَامِيذِهِمْ وَزَوَّقُوهَا بِالْحُجْجِ الدَّاحِضَةِ

فَإِنَّهَا لَا تَتَعَدَّى مَكَانَهَا.

فصل

هذا وثالثها صريحُ الفَوْقِ مصـ

حوباً بـ«من» وبدونها نوعان^(١)

إحدهما هو قابِلُ التأويلِ والـ

أصلُ الحقيقةِ وحدها بَيَانِ

فإذا ادَّعى تأويلَ ذلك مُدَّعٍ

لَمْ تُقْبَلِ الدَّعْوَى بلا بُرْهَانِ

لكنَّما المجرورُ ليس بقابلُ الثـ

تأويلِ في لغةٍ وعُرفِ لسانِ^(٢)

وأصيحُ لفائدةٍ جَلِيلِ قَدْرُهَا

تَهْدِيكَ لِلتَّحْقِيقِ والعرفانِ

إِنَّ الكلامَ إذا أتى بسياقِهِ

يُؤَدِّي المُرَادَ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ

(١) الدليل الثالث على علوِّ الله أن الله وصف نفسه بالفوقية مسبوقه بـ«من»

وبدونها، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام: ١٨] وقال

تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠]، والفوقية:

معناها العلو، فهو فوق كلِّ شيءٍ سبحانه وتعالى.

(٢) قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ جاءت بـ«مِنْ» مجرورة ففي ذلك

إثبات علوِّ الله سبحانه على خلقه، وإن أولوا «فوقهم» التي بدون «من»

بأنه فوقهم بالقدر والقهر لا بالذات، فإنهم لا يستطيعون تأويل المجرور

بـ«من» في ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ فإنه لا يحتمل غير علوِّ الذات.

أضحى كنصرٍ قاطعٍ لا يقبلُ الثَّ
تأويلَ يعرفُ ذا أولُو الأذهانِ
فسياقَةُ الألفاظِ مثلُ شواهدِ الِ
أحوالِ إنَّهما لنا صنوانِ
إحداهُما للعَيْنِ مشهُودٌ بهَا
لِكنَّ ذاكَ لِمَسْمَعِ الإنسانِ
فإذا أتى التَّأويلُ بعدَ سياقِهِ
تُبدي المُرادَ أتى على استهجانِ
وإذا أتى الكتمانُ بعدَ شواهدِ الِ
أحوالِ كان كَأقْبَحِ الكتمانِ
فأمَلِ الألفاظِ وانظُرْ ما الذي
سَيَقْتُ لَهُ إنْ كُنْتَ ذا عِرْفانِ
والفوقُ وصفٌ ثابتٌ بالذَّاتِ مِنْ
كُلِّ الوجوهِ لفاطرِ الأَكوانِ
لكنْ نفاةُ الفوقِ ما وافوا بهِ
جَحَدُوا كمالَ الفوقِ للذَّيانِ
بل فَسَّرُوهُ بأنَّ قَدَرَ اللهُ أَعْدَ
لِي لا بفوقِ الذاتِ للرحمنِ^(١)

(١) يقول: إنَّ المعطلة يُفسِّرون الفوقية بفوقية القَدْر لا بفوقية الذات كما تقول: الذهب فوق الفضة، أي: في القَدْر فنقول: هذا ليس فيه مدح، =

قالوا وهذا مثلُ قولِ النَّاسِ فِي

ذَهَبٍ يُرَى مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ

هُوَ فَوْقَ جَنْسِ الْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ لَا

بِالذَّاتِ بَلْ فِي مُقْتَضَى الْأَثْمَانِ

وَالْفَوْقُ أَنْوَاعٌ كُلُّهَا

لِلَّهِ ثَابِتَةٌ بَلَا نُكْرَانِ (١)

هَذَا الَّذِي قَالُوا وَفَوْقَ الْقَهْرِ وَالْ

فَوْقِيَّةُ الْعُلْيَا عَلَى الْأَكْوَانِ

* * *

= فأنت إذا قلت: السيف فوق العصا، لم يكن في هذا مدح للسيف، قال الشاعر:

ألم تر أنّ السيفَ ينقص قدرُهُ إذا قيل إنَّ السيفَ أمضى من العصا
فهذا ليس فيه مدحٌ، وصفاتُ الله إنما جاءت بالمدح والثناء على الله سبحانه وتعالى، فالنفاة جحدوا معنى من معاني الفوقية، وهو فوقية الذات.

(١) وهذه الثلاث التي هي فوقية الذات وفوقية القدر وفوقية القهر كلها ثابتة لله.

فصل

هذا ورابعها عروجُ الروحِ وألِّ
 أملاكٌ صاعدةٌ إلى الرحمنِ^(١)
 ولقد أتى في سورتين كلاهما أشدُّ
 تمسلاً على التقديرِ بالأزمانِ
 في سورةٍ فيها المعارجُ قُدِّرتْ
 خمسينَ ألفاً كاملَ الحُسابِ^(٢)
 وبسجدةِ التنزيلِ ألفاً قُدِّرتْ
 فلأجلِ ذا قالوا هُما يومانِ
 يومُ المعادِ بندي المعارجِ ذكرُهُ
 واليومُ في «تنزيلِ» في ذا الآنِ^(٣)

(١) الرابع من أدلة العلو إخبارُهُ سبحانه وتعالى أَنَّهُ تَعْرُجُ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ، وَالْعُرُوجُ مَعْنَاهُ: الصُّعُودُ إِلَى أَعْلَى، وَمِنْهُ: مَعْرَاجُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْإِسْرَاءِ، أَي: رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ تَعَالَى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وَهَذَا فِيهِ إِثْبَاتُ عُلُوِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(٢) فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ قُدِّرَ الْعُرُوجُ بِأَلْفِ سَنَةٍ، وَفِي سُورَةِ الْمَعَارِجِ قُدِّرَ بِخَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ؟ وَهَذَا فِيهِ إِشْكَالٌ وَلِلْعُلَمَاءِ عَنْهُ أَجُوبَةٌ كَثِيرَةٌ.

(٣) قِيلَ: هَذَا مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ عُرُوجِينَ عُرُوجَ فِي الدُّنْيَا وَعُرُوجَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ فَالْعُرُوجُ الَّذِي يَكُونُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، أَمَّا الْعُرُوجُ الَّذِي فِي الدُّنْيَا فَهُوَ فِي أَلْفِ سَنَةٍ، فَهُمَا يَوْمَانِ مُخْتَلِفَانِ لَيْسَ =

وكلاهما عندي فيومٌ واحدٌ

وعُروجهُهم فيه إلى الدِّيَانِ (١)

فالألف فيه مسافةٌ لنزولهم

وصعودهم نحو الرفيعِ الداني

هذي السماء فإنها قد قُدِّرَتْ

خمسينَ في عَشْرِ وذا صِنْفَانِ

لكنما الخمسونَ ألفَ مسافةِ السُّدِّ

سَبْعِ الطَّباقِ وبعُدُ ذي الأكوَانِ (٢)

= العروج الذي في سورة المعارج (*) هو العروج الذي في سورة السجدة (***)، بل هما عروجان مختلفان، هذا في وقت وهذا في وقت، ولا تنافي بينهما.

(١) لا يرضى ابن القيم هذا التفريق فيقول: هما يومٌ واحد ما بينهما فرق.
(٢) الجواب الذي ارتضاه أن اختلاف الآيتين في التقدير إنما هو اختلاف السرعة في الصعود، فالصعود مختلف فمنه نوعٌ يكون في ألفِ سنة، ومنه نوعٌ يكون في خمسين ألف سنة، فهذا الاختلاف لاختلاف نوع الصعود، مثلاً: السائرون في الطريق منهم من يقطعه في يوم، ومنهم من يقطعه في عشرة أيام، لاختلاف السير، فالمُسرع يقطعه بسرعة، والمتباطيء يقطعه =

(*) المذكور في قوله تعالى: ﴿ تَمْرُجُ الْمَلَكِيَّةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٤].

(**) المذكور في قوله تعالى: ﴿ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥].

من عرشِ ربِّ العالمينَ إلى الثَّرَى
 عندَ الحضيضِ الأسفلِ التحتاني^(١)
 واختارَ هذا القولَ في تفسيره الـ
 بغويُّ ذاكَ العالمُ الرباني^(٢)
 ومجاهدٌ قد قالَ هذا القولَ لـ
 كَنِّ ابنِ إسحاقَ الجليلِ الشانِ^(٣)
 قالَ المسافةُ بيننا والعرشِ ذا الـ
 مقدارُ في سيرٍ من الإنسانِ
 والقولُ الأولُ قولُ عكرمةٍ وقو
 لُ قَتادةٍ وهُما لنا عَلمانِ^(٤)
 واختارَهُ الحسنُ الرُّضا ورواه عن
 بحرِ العلومِ مُفسِّرِ القرآنِ

= ببطءٍ فهو راجعٌ إلى اختلاف السير، وقيل: إنَّ المراد بالألف: من الأرض إلى السماء الدنيا، والمراد بخمسين ألف: من تخوم الأرض السابعة إلى السماء السابعة فيكون اختلاف العروج لاختلاف المسافات.

(١) يقول: المسافة التي هي خمسون ألف سنة من الثرى إلى العرش، أما مسافة الألف فهي من الثرى إلى السماء الدنيا فقط.

(٢) البغوي هو الحسين بن مسعود البغوي، إمام جليل، يسير على مذهب السلف، وتفسيره قيم.

(٣) ومجاهد بن جبر التابعي الجليل تلميذ الصحابي الجليل عبد الله بن عباس.

(٤) يقول ابن إسحاق: اختلاف التقدير بخمسين ألف أو بألف، إمّا لاختلاف المسافة طولاً وقصراً، وإمّا لاختلاف السير.

وَيُرَجَّحُ الْقَوْلَ الَّذِي قَدْ قَالَهُ

سَادَاتُنَا فِي فَرْقِهِمْ أَمْرَانِ (١)

إِحْدَاهُمَا مَا فِي الصَّحِيحِ لِمَانِعٍ

لِزَكَاتِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَعْيَانِ

يُكْوَىٰ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَهْرُهُ

وَجَبِينُهُ وَكَذَلِكَ الْجَبَانِ

خَمْسُونَ أَلْفًا قَدْرُ ذَاكَ الْيَوْمِ فِي

هَذَا الْحَدِيثِ وَذَاكَ ذُو تَيَّيَانِ

فَالظَّاهِرُ الْيَوْمَانِ فِي التَّوَجُّهِينِ يَوْمَ

مُّ وَاحِدٌ مَا إِنْ هُمَا يَوْمَانِ (٢)

(١) اختار القول الذي رجحه الناظم جماعة منهم الحسن وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) يعني قوله تعالى في مانع الزكاة: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥] يعني أن الذهب والفضة التي لا تخرج زكاتها فإنها تُحضر يوم القيامة وتحمى في نار جهنم، وتكوى بها جباههم وظهورهم وجنوبهم ﴿هَذَا مَا كَفَرْتُمْ﴾ [التوبة: ٣٥]، يعني لم تُخرجوا زكاته، وكم المدة التي يكوى بها؟ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] كما في الحديث الصحيح (*).

(*) ورد في «صحيح مسلم» (٩٨٧) (٢٤) عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة، لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صُفِّحت له صفائح من نار، فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت عليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار».

قالوا وإيرادُ السِّياقِ يُبيِّنُ الك
مضمونَ منه بأوضحِ التَّبيانِ
فانظُرْ إلى الإضمارِ ضَمَّنَ يرونَهُ
ونراهُ ما تفسيرُهُ بيَّانِ
فاليومُ بالتَّفْسيرِ أولى مِنْ عدا
بِ واقِعِ للقُرْبِ والجيرانِ
ويكونُ ذكْرُ عُرُوجِهِمْ في هذهِ الدُّ
دُنْيا ويومَ قيامَةِ الأبدانِ
فنزولُهُمْ أيضاً هُنالكِ ثابتٌ
كُنزولِهِمْ أيضاً هُنَا للشَّانِ
وعُرُوجُهُمْ القضا كعُرُوجِهِمْ
أيضاً هُنَا فلَهُمْ إذا شَأنانِ
ويزولُ هذا السقفُ يومَ معادِنَا
فَعُرُوجُهُمْ للعَرشِ والرَّحْمَنِ
هذا وما اتضحَتْ لديَّ وعلمُها الـ
موكولُ بَعْدُ لِمُنزِلِ القرآنِ^(١)

= يقول فالظاهرُ أن اليومين المذكورين في الآية والحديث يوم واحد
هذا مقداره .

(١) لما ذكر الأقوال في الاختلاف في تقدير المسافة في الآيتين، توقَّف
وقال: ما ترجح عندي شيءٌ من هذه الأقوال، لكن الآيات بقطع النظر =

وأعوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ جُزْمِ بِلَا

عِلْمٍ وَهَذَا غَايَةُ الْإِمْكَانِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْمُرَادِ بِقَوْلِهِ

وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ

* * *

= عن اختلاف المدة فيها، تدل على علو الله؛ لأن فيها العروج، والعروج: هو الصعود، أما مسألة تقدير العروج بخمسين ألف سنة أو بألف سنة، فهذا يُردّ علمه إلى الله، والله أعلم بمُراده منه، وهذا هو الجواب السليم.

فصل

هذا وخامسها صعودُ كلامنا

بالطيباتِ إليه والإحسانِ^(١)

وكذا صعودُ الباقياتِ الصالحا

تِ إليه مِنْ أعمالِ ذي الإيمانِ

وكذا صعودُ تصدّقي مِنْ طيبِ

أيضاً إليه عندَ كلِّ أوانٍ^(٢)

وكذا عروجُ ملائكِ قد وُكِّلوا

مِنّا بأعمالٍ وهُمْ بدلانٍ^(٣)

(١) الدليل الخامس من أدلة العلو، أنّ الله أخبر بصعود الكلم الطيب والعمل

الصالح، فقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]

والصعود معناه: الارتفاع إلى أعلى، فدلّ على علوِّ الله على مخلوقاته،

وأنه تصعد إليه الأقوال الصالحة والأعمال الصالحة.

(٢) وكذا صعود الصدقة إلى الله، يدل على علوِّ الله على عرشه، لأنّ الصعود

لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى.

(٣) يعني تصعد إليه ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ينزلون ويصعدون كما

أخبر النبي ﷺ أنهم ينزلون إلينا ويصعدون إلى الله، ملائكة بالليل يأتون

في صلاة العصر ويستمرون إلى الفجر، وملائكة بالنهار يأتون في الفجر

ويبقون إلى العصر، يُحصون أعمال بني آدم خيرها وشرّها، ويصعدون =

فإليه تَعْرُجُ بُكْرَةٌ وَعَشِيَّةٌ
والصَبْحُ يَجْمَعُهُمْ عَلَى الْقُرْآنِ (١)
كَي يَشْهَدُونَ وَيَعْرُجُونَ إِلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ
أَعْمَالِ سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ
وَكَذَلِكَ سَعَى اللَّيْلِ يَرْفَعُهُ إِلَى الرَّحْمَنِ
رَحْمَنِ مَنْ قَبْلِ النَّهَارِ الثَّانِي (٢)

= بها إلى الله سبحانه وتعالى (*).

(١) بكرة: يعني في الفجر، وعشية: يعني في العصر، ولهذا قال الله جلَّ وعلا في صلاة الفجر: ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨] يعني تحضره ملائكة الليل وملائكة النهار ويجتمعون في صلاة العصر كذلك، ولذلك صارت صلاة العصر الصلاة الوسطى، والله جلَّ وعلا يقول: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وهي صلاة العصر، لفضلها ولشهود الملائكة لها، وصلاة الفجر سميت قرآناً؛ لأنها تُطَوَّلُ فيها القراءة، وقوله: «مشهوداً» يعني تحضره الملائكة.

(٢) ومن أدلة علو الله أنه «يُرفَعُ إليه عملُ الليلِ قَبْلَ عملِ النهارِ وعملُ النهارِ قَبْلَ عملِ الليلِ» كما في الحديث (***)، والرفعُ يكونُ إلى الأعلى.

(*) ورد ذلك في حديث أخرجه أحمد في «المسند» ٢٠٩/١٦ (١٠٣٠٩) وهو في البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢)، من حديث أبي هريرة، وأوله: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر...» الحديث.

(**) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٩٣) (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري.

وكذاك سعيُّ اليومِ يَرْفَعُهُ له
 مِنْ قَبْلِ لَيْلٍ حَافِظُ الْإِنْسَانِ
 وكذاك مِعْرَاجُ الرَّسُولِ إِلَيْهِ حَقُّ
 قُ ثَابِتٌ مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانٍ^(١)
 بل جاوزَ السَّبْعَ الطَّبَاقَ وَقَدْ دَنَا
 مِنْهُ إِلَى أَنْ قَدَّرَتْ قَوْسَانِ^(٢)

(١) ومن أدلة علو الله أنه قد ثبت في القرآن وفي الأحاديث الصحاح^(*) عروجُ النبي ﷺ من بيت المقدس إلى الربِّ سبحانه وتعالى، وهذا في سورة النجم قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾﴾ [النجم: ٥-٩] فدلَّ هذا على أن الرسول ﷺ صعد إلى الأفق الأعلى، والأحاديث الصحيحة تثبت عروج النبي ﷺ، وأما الإسراء وهو ذهاب الرسول ﷺ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، فالإسراء بالنبي ﷺ هو الذهاب به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأما المعراج فهو الصعود به من المسجد الأقصى إلى السموات العلى في ليلة واحدة.

(٢) قال تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩]، يعني فهو قد قرب من الله.

(*) انظر «تفسير ابن كثير» ٥/٥٠-٤٥ أول تفسير سورة الإسراء حيث أورد الحافظ ابن كثير الأحاديث الواردة في الإسراء والمعراج.

بل عادَ من موسى إليه صاعداً

خمساً عِدَادَ الْفَرَضِ فِي الْحُسْبَانِ (١)

وكذاك رَفَعُ الرُّوحِ عِيسَى الْمُرْتَضَى

حَقاً إِلَيْهِ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ (٢)

وكذاك تصعدُ رُوحُ كلِّ مُصَدِّقٍ

لَمَّا تَفَوْزُ بِفُرْقَةِ الْأَبْدَانِ (٣)

(١) كان ﷺ ينزل من عند الله إلى موسى، ثم يسأله موسى: ما فرض الله عليّ

أمتك فيقول: خمسون صلاةً في اليوم والليلة فيأمره موسى أن يسأل ربه

التخفيف عن أمته فما يزال يتردد بين موسى وربّه يصعد وينزل حتى خفف

الله عنه الخمسين إلى خمس صلوات (*) فهذا يدل على علو الله على خلقه.

(٢) من أدلة العلو أن الله جلّ وعلا صرح بالرفع إليه، والرفع إنما يكون إلى

أعلى قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ خُذْ كِتَابَكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:

٥٥] فالرفع يقتضي أنه رُفِعَ من الأرض إلى الله في السماء، فدل هذا على

علو الله، لأنّ الرفع لا يكون إلا إلى أعلى.

(٣) كذلك من أدلة العلو أنّ أرواح المؤمنين عندما تقبض بالموت تُرْفَعُ إلى

السماء وتُفْتَحُ لها أبواب السماء ثم يأمر الله بها فتُعاد إلى الأرض بعد

إكرامها، وأمّا أرواح الكفار فإنّها تصعدُ ولكن تُغلق دونها أبواب السماء

وتُطرح إلى الأرض (***)، كما قال تعالى: ﴿لَا نُفْتِحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ =

(*) انظر حديث أنس بن مالك في «صحيح البخاري» (٣٢٠٧)، و«صحيح مسلم»

(١٦٢) وفيه قصة فرض الصلاة.

(**) ورد ذلك في حديث أبي هريرة، أخرجه أحمد في «المسند» ١٤ / ٣٧٧-٣٧٨ (٨٧٦٩)

وهو حديث صحيح على شرط الشيخين، وانظر تمام تخريجه في «المسند».

حقاً إليه كي تَفُوزَ بِقُرْبِهِ
وتُعوِدَ يومَ العَرَضِ للجُثْمَانِ
وكذا دُعا المَظْطَرِّ أيضاً صاعِداً
أبداً إليه عند كلِّ أوَانٍ^(١)
وكذا دُعا المَظْطَرِّ أيضاً صاعِداً
حقاً إليه قاطِعَ الأَكْوَانِ

* * *

= [الأعراف: ٤٠] يعني عند موتهم ولا تدخل أرواحهم إلى السماء لخبثها،
فدلك هذا على علو الله سبحانه وتعالى.
(١) كذلك ارتفاع دعوات الداعين، فإنها تُرفع إلى الله سبحانه وتعالى، ولا
سيما دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب^(*)، وهذا من أدلة
العلو أيضاً.

(*) ورد ذلك في حديث ابن عباس، أخرجه أحمد في «المسند» ٤٩٨/٣ (٢٠٧١)
والبخاري (٢٤٤٨)، ومسلم (١٩) (٢٩).

فصل

هذا وسادسها وسابعها النزو

لُ كذالك التنزيل للقرآن^(١)

واللهُ أخبرنا بأنَّ كتابه

تنزيله بالحقِّ والبُرهانِ

أيكونُ تنزيلاً وليس كلامَ مَنْ

فوق العبادِ أذاك ذو إمكانِ^(٢)

أيكونُ تنزيلاً من الرَّحْمَنِ والرُّ

رَحْمَنُ لَيْسَ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ

وكذا نزولُ الرَّبِّ جَلَّ جلاله

في النصفِ من ليلِ وذاك الثاني^(٣)

(١) السادس والسابع من أدلة العلو: النزول والتنزيل منه سبحانه وتعالى، والتنزيل والنزول إنما يكون من أعلى إلى أسفل، فأخبر الله جلّ وعلا أنه يُنزل الملائكة ويُنزل الوحي من عنده إلى أنبيائه ورسله قال تعالى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل: ٢] يعني الرسل عليهم الصلاة والسلام، والنزول يكون من أعلى إلى أسفل، فدلّ على علو الله سبحانه وتعالى.

(٢) هذا ردُّ على الجهمية الذين يقولون: إن القرآن مخلوق وليس منزلاً، وكيف يكون مخلوقاً وهو مُنزل من الله.

(٣) كذلك من أدلة العلو ما صحَّ في الحديث: في قوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كلّ ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يسألني فأعطيه =

فَيَقُولُ لَسْتَ بِسَائِلٍ غَيْرِي بِأَحْ
 — وَالِ الْعِبَادِ أَنَا الْعَظِيمُ الشَّانِ
 مَنْ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فَيُعْطِي سُؤْلَهُ
 مَنْ ذَا يَتُوبُ إِلَيَّ مِنْ عِصْيَانِ
 مَنْ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فَأَغْفِرَ ذَنْبَهُ
 فَأَنَا الْوَدُودُ الْوَاسِعُ الْغُفْرَانِ
 مَنْ ذَا يُرِيدُ شِفَاءَهُ مِنْ سُقْمِهِ
 فَأَنَا الْقَرِيبُ مُجِيبُ مَنْ نَادَانِي
 ذَا شَأْنَهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ
 حَتَّى يَكُونَ الْفَجْرُ فَجْرًا ثَانِيًا (١)
 يَا قَوْمُ لَيْسَ نَزْوْلُهُ وَعَلْوُهُ
 حَقًّا لَدَيْكُمْ بَلْ هُمَا عَدْمَانِ (٢)

= من يستغفرني فأغفر له، من يدعوني فأستجيب له، إلى أن يطلع الفجر» (*)
 فنزوله جل وعلا يدلُّ على علوه، لأن النزول لا يكون إلا من أعلى.
 (١) يعني أنه سبحانه لا يزال يقول: «من يدعوني»، إلخ حتى يطلع الفجر
 الثاني.

(٢) هذا ردُّ على نفاة العلو، يقول: هذا عندكم ليس بحق، يعني كلام الله وكلام
 الرسول ليس بحق عندكم، لأنكم إذا نفيتم العلو معناه أنكم رددتم على
 الله وعلى رسوله، وأبطلتم كلام الله وكلام رسوله، تعالى الله عن ذلك.

(*) أخرجه بنحوه أحمد في «المسند» ٢٥٦/١٥ (٩٤٣٦)، والبخاري (١١٤٥)، ومسلم
 (٧٥٨)، والترمذي (٤٤٦) من حديث أبي هريرة.

وكذا يقولُ ليسَ شيئاً عندكم

لا إذا ولا قولٌ سِوَاهُ ثَانِي

كُلُّ مَجَازٍ لَا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ

أَوَّلُ وَزِدْ وَأَنْقُصْ بِلَا بُرْهَانٍ (١)

* * *

(١) هذا مذهبهم، إذا أعجزهم تكذيب النص، ذهبوا يؤولونه ويُفسرونه بغير تفسيره، وهذا باطل فهم يقولون: هذا مجاز ليس بحقيقة فنفي الحقيقة عنه تكذيبٌ له بطريقة ملتوية، بدل أن يقولوا: هذا كذب، وهذا غير صحيح، احتالوا وذهبوا يؤولون بمعانٍ غير مُرادَة لله ولا رسوله، وهذا هو التكذيب، فيقولون: ينزل ربنا إلى سماء الدنيا، يعني ينزل أمره، نقول لهم: هل أمره يقول: مَنْ يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، من يدعوني فأستجيب له؟ هل الأمر يتكلم ويقول هذا؟ أم الله جلّ وعلا.

فصل

هذا وثامنها بسورة غافر
 هُوَ رِفْعَةٌ الدَّرَجَاتِ لِلرَّحْمَنِ (١)
 درجائهُ مرفوعةٌ كمعارج
 أيضاً له وكلاهما رَفَعَانِ (٢)
 وفعيلٌ فيها ليس معنى فاعل
 وسيأقُها يَأْبَاهُ ذُو التَّبْيَانِ (٣)
 لكنّها مرفوعةٌ درجائهُ
 لكمالِ رَفَعْتِهِ عَلَى الْأَكْوَانِ
 هذا هو القولُ الصحيحُ فلا تَحْذُ
 عنه وَخُذْ معناهُ فِي الْقُرْآنِ
 فنظيرُها المُبْدِي لَنَا تفسيرُها
 فِي ذِي الْمَعَارِجِ لَيْسَ يفتَرِقَانِ

(١) قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ [غافر: ١٥]، أخبر أنه رفيع الدرجات، فهذا يدل على العلو، لأن الرفعة معناها: «العلو».

(٢) كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣] جمع معراج: وهو الصعود.

(٣) رفيع اسم مفعول بمعنى مرتفع، أي أن «فعيل» بمعنى «مفعول» لا بمعنى «فاعل». والمعطلة يقولون: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ يعني رافع درجات المؤمنين، وهذا غلط، بل رفيع معناه: مرتفع.

والرُّوحُ والأَمْلاكُ تَصْعَدُ في معَا

رَجِّهِ إِلَيْهِ جَلَّ ذُو السُّلْطَانِ

ذَا رِفْعَةَ الدَّرَجَاتِ حَقًّا مَا هُمَا

إِلَّا سَوَاءٌ أَوْ هُمَا شَبَهَانِ

فَخُذِ الْكِتَابَ بِبَعْضِهِ بَعْضًا كَذَا

تَفْسِيرُ أَهْلِ الْعِلْمِ لِلْقُرْآنِ (١)

* * *

(١) تفسیر (رفیع) بمعنی (مرتفع) هو التفسیر الصحیح الذی یدل علیہ القرآن لأن القرآن یفسر بعضه بعضاً عند أهل العلم. فیرد بعضه إلى بعض حتی یتضح معناه. ولا یؤخذ بعضه دون بعض كما هی طريقة أهل الضلال.

فصل

هذا وتاسعها النصوص بأته
 فوق السماءِ وذا بلا حُبانِ
 فاستحضرِ الوحيينِ وانظرْ ذاكَ تدْ
 قاهُ مُبيناً واضحَ التبيانِ
 ولسوف نذكر بعض ذلك عن قريـ
 بٍ كي تقومَ شواهدُ الإيمانِ
 وإذا أتتكَ فلا تَكُنْ مستوحِشاً
 منها ولا تَكُ عندها بجبانِ^(١)

(١) الدليل التاسع على علو الله على مخلوقاته: ما جاء في القرآن من أن الله جلّ وعلا في السماء، كما قال تعالى: ﴿ءَأَمِنُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾ (١٦) أم أمِنُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴿ [الملك: ١٦-١٧]، وقال ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»^(*) وقال للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء^(**) فهذه نصوص من القرآن ومن السنة على وصف الله جلّ وعلا أنه في السماء، والسماء يُفسَّر بتفسيرين:

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٦/١٧ (١١٠٠٨)، والبخاري (٤٣٥١)، ومسلم

(١٠٦٤) (١٤٤) من حديث أبي سعيد الخدري.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٩/١٧٥-١٧٦ (٢٣٧٦٢)، ومسلم (٥٣٧) من حديث

معاوية بن الحكم السلمي.

الأول: السماء بمعنى: العلو فكلُّ ما علا وارتفع يقال له: سماء، فعلى هذا تكون «في» ظرفية على بابها، ويكون «من في السماء» يعني من في العلو.

الثاني: أن المراد بالسماء: السبع الطباق المبنية، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [الطلاق: ١٢]. وتكون «في» بمعنى «على» فمعنى ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] على السماء و«في» في اللغة العربية تأتي بمعنى: «على» كما في قوله: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧] يعني: على الأرض، وقوله تعالى فيما حكاه عن فرعون: ﴿وَأَصْلَيْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] يعني: على جذوع النخل، وعلى كلا التفسيرين فالآيات فيها إثبات العلو لله تعالى فوق سماواته. قوله: «بلا حسابان»: يعني بلا عدد، بل هي أدلة كثيرة، لكن من أظهرها هذه الآيات وهذه الأحاديث.

وقوله: «فاستحضر الوحيين» المراد بالوحيين: الكتاب والسنة، لأنهما وحي من الله سبحانه وتعالى، القرآن وحي من الله، والسنة وحي من الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وحيٌ يُوحى﴾ [النجم: ٣-٤]، والله جلَّ وعلا أخبر أن السنة وحيٌ يُوحى من الله سبحانه وتعالى، وليس هي من عند الرسول ﷺ، إنما الذي من عند الرسول هو اللفظ. أما معنى الأحاديث: فوحي من الله سبحانه وتعالى، أما القرآن، فإنه من الله لفظه ومعناه.

إذا سمعت هذه النصوص وجب عليك الإيمان بها وإثباتها من غير تشكك وحيرة؛ لأنها كلام الله سبحانه وتعالى وهو حق لا شك فيه، فلا تفعل مثل ما تفعل الفرق الضالة إذا سمعت هذه النصوص حصل عندها حيرة واضطراب ونفور؛ لأن فطرها قد تغيرت وتكدرت بالشبهات، فهم إذا سمعوا النصوص المحكمة استوحشوا وتهيبوا لفساد فطرتهم، أما أهل =

ليست تَدُلُّ على انحصارِ إلهنا
 عقلاً ولا عرفاً ولا بلسانٍ^(١)
 إذ أجمعَ السلفُ الكرامُ بأنَّ معَ
 نهاها كمعنىِ الفوقِ بالبرهانِ
 أو أنَّ لفظَ سَمَائِهِ يُعْنَى بِهِ
 نفسُ العُلُوِّ المُطلقِ الحَقَّاني

= الإيمان فإنهم يُقابلون هذه النصوص بالرضا والتسليم ولا يشكون فيها؛ لأنها كلام الله سبحانه وتعالى، وهو أعلم بنفسه سبحانه، ورسوله وهو أعلم الخلق بربه عز وجل، فالذي يكون عنده شك فيها معناه: أنه لا يثق بكلام الله ولا بكلام الرسول ﷺ، وهو دليلٌ على ضلاله وانحرافه.

(١) هذا ردُّ على أهل الضلال الذين يقولون: لو أثبتنا ما في هذه النصوص لصار الله في جهة تحويه من المخلوقات، فنقول: كلا، فالله جلّ وعلا أعظم من ذلك، ولا يلزم من العلو أن يكون حالاً في سمواته؛ لأنه أعظم من كل شيء، وهذه المخلوقات بالنسبة له ليست بشيء، وكيف تُقلُّه أو تُظَلُّه، ولهذا يقول شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية: «من ظنَّ، أن معنى قول الله: ﴿ فِي السَّمَاءِ ﴾ أن السماء تُظَلُّه أو تُقلُّه فهذا باطلٌ بإجماع أهل العلم والدين». فليس معنى أنه في السماء أن السماء تقله كما يقلُّ الراكب مركوبه، أو تُظَلُّه كما يكون الإنسان محوياً في منزلٍ أو تحت سطح، حاشا وكلا بالنسبة لله عز وجل، فليس هو حالاً في مخلوقاته، وليست مخلوقاته بالنسبة إليه بشيء، وليست تُمسِكُه أو هو محتاجٌ إليها، بل هو الذي يُمسِكُها وهي المُحتاجة إليه، فليس معنى أنه في السماء: أنه محتاجٌ إلى السماء، بل السماء محتاجةٌ إليه، وهو الذي يُمسِكُها سبحانه وتعالى بقدرته وعلمه، فالعقل لا يتصور بأن السماء تُقلُّه أو تُظَلُّه.

والربُّ فيه وليس يحصُرُهُ مِن الـ
 مخلوقٍ شيءٌ عزَّ ذُو السُّطَّانِ
 كلُّ الجهاتِ بأسرها عَدَمِيَّةٌ
 في حقِّه هو فوقها بيان^(١)
 قد بانَ عنها كُلُّها فهو المحيـ
 طٌ ولا يُحاطُ بخالقي الأكوانِ^(٢)
 ما ذاك يَنقِمُ بَعْدُ ذُو التعطيلِ مِن
 وَصَفِ العُلُوِّ لربِّنا الرَّحْمَنِ^(٣)

(١) هو أعظم من كل شيء، فكيف تحصره المخلوقات؟ سبحانه وتعالى، بل هي بالنسبة إليه ليست بشيء، والله جلّ وعلا يقبض الأرض ويطوي السموات بيمينه، كما جاء في الحديث^(*)، فهو أعظم من كل المخلوقات فكيف تحويه وهو أعظم منها.

والجهات المعروفة التي هي: الشمال والجنوب والشرق والغرب عدمية بالنسبة إليه، هو في جهة العلو سبحانه وتعالى، في غير جهة مخلوقة، فهو خارج الجهات المعروفة وفوق مخلوقاته سبحانه من جهات وغيرها، فهو في جهة غير مخلوقة، ليست من الجهات المخلوقة.

(٢) هو المحيط بجميع مخلوقاته، ولا تحيط به سبحانه وتعالى.

(٣) ما دام أنه قد تبين هذا المعنى وتوضّح من كلام الله وكلام رسوله ومن لغة العرب، فما الذي ينقّمه المعطل الذي ينفي العلو ممن يثبت العلو كما أثبت الله لنفسه وأثبت له رسوله؟ وما هي شُبّهته، ليس له شُبّهة.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٤/٤٥١-٤٥٢ (٨٨٦٣)، والبخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧) من حديث أبي هريرة.

أَيْرُدُّ ذُو عَقْلٍ سَلِيمٍ قَطُّ ذَا

بَعْدَ التَّصَوُّرِ يَا أَوْلِي الْأَذْهَانِ (١)

وَاللَّهِ مَا رَدَّ امْرُؤٌ هَذَا بَغِيءَ

سِرِّ الْجَهْلِ أَوْ بِحَمِيَّةِ الشَّيْطَانِ (٢)

* * *

(١) لَا يَرُدُّ إِثْبَاتَ الْعُلُوِّ أَصْحَابَ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ، وَإِنَّمَا يَرُدُّهُ أَصْحَابُ الْعُقُولِ غَيْرِ السَّلِيمَةِ الْمُتَلَوِّثَةَ بِفِكْرَةِ التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ، أَمَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِعَظَمَةِ اللَّهِ وَإِحَاطَتِهِ، وَأَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ كُلَّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ، وَأَنَّهَا مَحْتَاجَةٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ لَيْسَ مَحْتَاجًا إِلَيْهَا، إِذَا تَصَوَّرَ الْإِنْسَانَ هَذَا زَالَ عَنْهُ الْإِشْكَالُ، لَكِنْ حِينَمَا لَا يَتَصَوَّرُ هَذَا، وَيُظَنُّ أَنَّهُ إِذَا قِيلَ: إِنَّهُ فَوْقَ الْخَلْقِ صَارَ مَحْتَاجًا إِلَى أَنْ السَّمَوَاتِ تُقَلِّهُ أَوْ تُظَلِّهُ فَهَذَا فَاسِدُ التَّصَوُّرِ، وَإِنَّمَا أُتِيَ مِنْ فَسَادِ تَصَوُّرِهِ وَمَنْ أَنَّهُ لَمْ يُقَدِّرْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ...﴾ [الأنعام: ٩١] فَلَمَّا لَمْ يَقْدِرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ عَطَّلُوا أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَمِنْهَا: الْعُلُوُّ.

(٢) مَا رَدَّ نِصُوصَ الْعُلُوِّ إِلَّا أَحَدُ شَخْصِينَ:

إِمَّا جَاهِلٌ لَا يَعْرِفُ مَعْنَى النِّصُوصِ وَلَا يَعْرِفُ لُغَةَ الْعَرَبِ، وَالْجَاهِلُ لَا عَبْرَةَ بِكَلَامِهِ.

وَإِمَّا مُعَانِدٌ أَوْ مُغْرَضٌ ذُو طَغْيَانٍ يَعْرِفُ الْحَقَّ لَكِنَّهُ لَا يَرِيدُهُ، فَهَذَا لَا حِيلَةَ فِيهِ مَهْمَا بَيَّنْتَ لَهُ فَهُوَ لَا يَقْبَلُ، أَمَّا أَهْلُ الْعِلْمِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا الْوَحْيَ فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَكٌّ فِي كَلَامِ اللَّهِ وَلَا فِي كَلَامِ رَسُولِهِ، فَالْمَدَارُ عَلَى الْخَبْرِ، فَمَا دَامَتْ قَدْ صَحَّتِ الْأَخْبَارُ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ فَيَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا.

فصل

هذا وعاشرها اختصاصُ البعضِ مِنْ

أَمَلَاكِهِ بِالْعِندِ لِلرَّحْمَنِ (١)

وكذا اختصاصُ كتابِ رَحْمَتِهِ بِعِندِ

لِللَّهِ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو تَبْيَانٍ (٢)

(١) العاشر من أدلة العلو أن الله وصف بعض الملائكة بأنهم عنده. قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] يعني: الملائكة المُقَرَّبِينَ منه سبحانه وتعالى، وكون الله اختص هؤلاء بأنهم عنده، دليلٌ على علوه سبحانه وتعالى، وإلا لم يكن لهؤلاء مزية على غيرهم من الملائكة لو كان المراد بقوله: «عنده» أن الله خلقهم أو أنهم في ملكه لم يكن لهم مزية، فالحيوانات والبشر والجن والإنس كلهم مخلوقات لله تعالى وكلهم في ملكه، فإذا فسرت «العندية» بالخلق، فهذا باطل، لأن هذا لا يختص بالملائكة المُقَرَّبِينَ، لأنَّ كَلَّ الخلق خَلَقَهُم اللهُ سبحانه وتعالى، لا مزية لبعضهم على بعض.

(٢) جاء في الحديث «إنَّ الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش» (*)، فقوله: «عنده فوق العرش»: دليل على أن الله سبحانه فوق العرش، وأنه خصَّ هذا الكتاب بكونه عنده هناك.

(* أخرجه أحمد في «المسند» ٨٢/١٥ (٩١٥٩)، والبخاري (٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١)

(١٤) من حديث أبي هريرة.

لَوْ لَمْ يَكُنْ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْوَرَى
 كانوا جميعاً عند ذي السُّلْطَانِ^(١)
 وَيَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ إِبْلِيسُ وَجِب
 رِبِيلُ هُمَا فِي الْعِنْدِ مُسْتَوِيَانِ
 وَتَمَامُ ذَلِكَ الْقَوْلِ أَنْ مَحَبَّةَ الرَّ
 رَحْمَنِ عَيْنُ إِرَادَةِ الْأَكْوَانِ
 وَكِلَاهُمَا مَحْبُوبُهُ وَمِرَادُهُ
 وَكِلَاهُمَا هُوَ عِنْدَهُ سَيَّانِ^(٢)
 إِنْ قَلْتُمْ عِنْدِيَّةَ التَّكْوِينِ فَالذُّ
 ذَاتَانِ عِنْدَ اللَّهِ مَخْلُوقَانِ
 أَوْ قَلْتُمْ عِنْدِيَّةَ التَّقْرِيْبِ تَقُّ
 رِيْبِ الْحَبِيْبِ وَمَا هُمَا عِدْلَانِ
 فَالْحَبُّ عِنْدَكُمْ الْمَشِيئَةُ نَفْسُهَا
 وَكِلَاهُمَا فِي حَكْمِهَا مِثْلَانِ

(١) لو كان جميع الخلق عنده بمعنى أنهم في ملكه لم يختص بذلك بعض
 الملائكة أو هذا الكتاب الذي كتبه سبحانه وتعالى، إذ كلُّ الخلق في
 ملكه، وهم خلقه سبحانه وتعالى، ولا مزية لبعضهم على بعض.
 (٢) ويكون أقرب الخلق إليه وهو جبريل عليه السلام كما قال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ
 رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ١٩-٢٠] فيكون هو
 وإبليس الذي لعنه الله وطرده وأبعده سواء؛ لأنهم كلُّهم في ملك الله فلا
 مزية لجبريل على إبليس على كلام هؤلاء.

لكن مُنَازِعُكُمْ يَقُولُ بَأْتَهَا

عِنْدِيَّةٌ حَقًّا بَلَا رَوَّغَانِ (١)

جَمَعَتْ لَهُ حُبَّ الْإِلَهِ وَقُرْبَهُ

مِنْ ذَاتِهِ وَكَرَامَةَ الْإِحْسَانِ

وَالْحُبُّ وَصْفٌ وَهُوَ غَيْرُ مَشِيئَةٍ

وَالْعِنْدُ قُرْبٌ ظَاهِرُ التِّيَانِ (٢)

* * *

(١) فجبريل وإبليس كلاهما مُكُونٌ وكلاهما مخلوق فلا مزية لبعضهما على بعض على هذا التفسير، ومنازعوكم وهم أهل السنة يقولون: هي عندية حقيقية بمعنى القرب منه سبحانه.

(٢) الحب والقرب منه سبحانه يجتمعان في حقِّ الذين ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] القرب منه ومحبتُهُ لهم سبحانه وتعالى، لولا أنه يُحِبُّهم ما قَرَّبَهُم، أما عند الجهمية فالمحبة عندهم بمعنى المشيئة، وعلى هذا كلُّ المخلوقات محبوبة له لأنه شاءها وقَدَّرَها، فلا فرق، بين إبليس وغيره، لأنَّ الكلَّ شاء الله إيجادَهُم وقَدَّرَ خلقَهُم، فعندهم لا فرق بين المشيئة والمحبة، فمَعْنَى محبة الله: مشيئةُ الله عندهم، وهذا يلزم منه أنه يُحِبُّ جميع المخلوقات لأنه شاءها - تعالى الله عن ذلك - ولا يختصُّ بعضهم بالمحبة دون بعض.

فصل

هذا وحادي عشرهن إشارة

نحو العلوّ بإصبع وبنان

لله جلّ جلاله لا غيره

إذ ذاك إشراك من الإنسان

ولقد أشار رسوله في مجمع آل

حجّ العظيم بموقف الغفران^(١)

نحو السماء بإصبع قد كُرمّت

مُستشهداً للواحد الرّحمن

(١) الدليل الحادي عشر من الأدلة النقلية على علوّ الله إشارة النبي ﷺ إليه - إلى الله في جهة العلوّ - كما في خطبة حجة الوداع لما خطبهم ﷺ بعرفة الخطبة العظيمة وقال: «ألا هل بلغت» قالوا: «نعم» فأشار بإصبعه إلى السماء وقال: «اللهم اشهد»^(*) فأشارته إلى ربه في السماء دليل على علوّ الله على عرشه، حيث لم يُشر إلى يمين، أو إلى شمال ولا إلى تحت وإنما أشار إلى العلوّ فدلّ على أن الله جلّ وعلا في العلوّ.

(*) قطعة من حديث جابر بن عبد الله في خطبته ﷺ يوم عرفة، أخرجه مسلم (١٢١٨) (١٤٧)، وأبو داود (١٩٠٥).

يَا رَبُّ فَاشْهَدْ أَنِّي بَلَّغْتُهُمْ

وَيُشِيرُ نَحْوَهُمْ لِقَصْدِ بَيَانِ

فَعَدَا الْبِنَانَ مُرْفَعًا وَمُصَوَّبًا

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ ذُو الْغُفْرَانِ

أَدَّيْتَ ثُمَّ نَصَحْتَ إِذْ بَلَّغْتَنَا

حَقَّ الْبَلَاغِ الْوَاجِبِ الشُّكْرَانِ^(١)

* * *

(١) أشار إلى السماء مستشهداً على الأمة أنه بلَّغها وأنها أقرت بأنه بلَّغها .
 حيث يشير إلى الله جلَّ وعلا، في جهة العلو ثم يُشير إلى الحاضرين
 يستشده عليهم، يرفع إصبعه إلى السماء ثم يَنكُبها إليهم ويُشير إليهم
 ويقول: «اللهم اشهد على هؤلاء» .

فصل

هذا وثاني عشرها وصفُ الظهو
 رَلَهُ قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
 وَالظَّاهِرُ الْعَالِي الَّذِي مَا فَوْقَهُ
 شَيْءٌ كَمَا قَدْ قَالَ ذُو الْبُرْهَانِ^(١)
 حَقًّا رَسُولُ اللَّهِ ذَا تَفْسِيرُهُ
 وَلَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِضَمَانٍ
 فَاقْبَلْهُ لَا تَقْبَلْ سِوَاهُ مِنَ التَّفَا
 سِيرِ الَّتِي قِيلَتْ بِهَا بُرْهَانِ^(٢)

(١) الدليل الثاني عشر من أدلة العلو أن الله وصف نفسه بقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ
 وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ﴾ [الحديد: ٣]، والظاهر معناه: الذي ليس فوقه شيء كما
 فسره النبي ﷺ بقوله: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر
 فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء»^(*)، فالظاهر معناه:
 العالي على خلقه الذي ليس فوقه شيء، وهذا تفسير من النبي ﷺ، فهو
 حجة قاطعة، أمّا من يُفسر ظهور الله بأنه الذي قامت الأدلة على وجوده،
 فهذا تفسيرٌ يخالف النصّ فهو تفسير مردود.

(٢) الرسول ﷺ لَمَّا فَسَّرَ الظاهر بأنه الذي ليس فوقه شيء، تعين القول به؛
 لأن التفسير إذا جاء من الرسول ﷺ فلا قول لغيره معه، وقد ورد في
 حديث صحيح رواه مسلم.

(*) أخرجه مسلم (٢٧١٣)، وأبو داود (٥٠٥١)، والترمذي (٣٤٠٠) من حديث أبي
 هريرة، وهو في «مسند أحمد» ١٤/٥٢٠ (٥٩٦٠).

والشيء حين يتم منه علوه

فظهوره في غاية التبيان^(١)

أو ما ترى هذي السّما وعلوّها

وظهورها وكذلك القمران^(٢)

والعكس أيضاً ثابت فسقوله

وخفاؤه إذ ذاك مُصطحبان^(٣)

(١) يقول: إن الشيء إذا كان عالياً على غيره فإن ظهوره يكون بيئاً واضحاً ولذا قال الرسول ﷺ: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء»^(*) وذلك لكمال علوه سبحانه.

(٢) الكون ينقسم إلى قسمين: قسمٌ ظاهر، وهو العالي كالسما و قسمٌ باطن: وهو التحتاني، والله سبحانه وتعالى يوصف بأشرف القسمين، وهو «العلو»، ولا يوصف بالسفل.

(٣) يعني أن الخفاء ملازم للسفل، وأن الظهور ملازم للعلو فالله سبحانه لما كان عالياً فوق مخلوقاته كان ظاهراً، انظر إلى المخلوقات، تجد أنّ السماء عالية وتجد الأرض تحتها وتجد الأفلاك والكواكب فوق الأرض تدور عليها، فالشمس والقمر والنجوم كلّها تدور على الأرض، عكس ما يقوله المنحرفون الآن، أنّ الأرض وسائر الكواكب تدور على الشمس يسمونها «المجموعة الشمسية» هذا انتكاس، وعدم إقرار بالسموات، وأنه ما هناك إلا أفلاك وكواكب فقط، ما فيه سماوات ولا فيه عرش عندهم، وهذا يؤول إلى أنه ليس فيه رب وإنما هي طبيعة، هذا كلام =

فانظُرْ إِلَىٰ عُلُوِّ الْمُحِيطِ وَأَخِذْهُ

صِفَةَ الظُّهُورِ وَذَاكَ ذُو تَبْيَانٍ^(١)

وَانظُرْ خِفَاءَ الْمُرْكَزِ الْأَدْنَىٰ وَوَضِّ

فَ السُّفْلِ فِيهِ وَكَوْنَهُ تَحْتَانِي^(٢)

= الملاحظة، هذا القول يؤول إليه، وأما الأدلة والفترة والواقع أنّ الأرض هي المركز وأنّ الأفلاك تدور عليها، ومنها فلك الشمس والقمر، والنجوم كلّها تدور على الأرض بالأفلاك، هذا شيء مشاهد ومن البداهة، كما يدلُّ عليه ظاهر القرآن أيضاً أنّ الشمس تدور على الأرض، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٣٨] والقمر والنجوم تطلع من المشرق وتغرب من المغرب، هذا يدل على أنها تدور على الأرض، فإذا جاءت من المشرق ظهرت لنا، وإذا غربت من المغرب معناها: أنها دارت على النصف الثاني من الكرة الأرضية فظهرت على أناسٍ غيرنا، وغابت عن النصف الذي نحن فيه، وهكذا دواليك إلى أن تقوم الساعة، والأرض مستقرة كما قال تعالى: ﴿أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [النمل: ٦١] ثابتة، لكن هؤلاء لا يحتجون بالوحي ولا بالقرآن، وإنما يحتجون بأقوال الفلاسفة والملاحدة ويقولون: هذه حقائق ثابتة.

(١) وانظر إلى محيط الأشياء ومركزها، فإن المحيط لتمام علوه في غاية الظهور، والمركز لسفوله في غاية الخفاء، وكذلك الكون.

(٢) هذا من جهة اللغة: أنّ الظاهر يُطلق على الذي ليس فوقه غيره، تقول: ظاهر الثوب كذا وكذا، وباطنه كذا وكذا: فظاهر الشيء أعلاه، وباطنه أسفله، وهكذا الكون محيطه أعلاه ومركزه أسفله.

وظُهُورُهُ سُبْحَانَهُ بِالذَّاتِ مَث

لُ عُلُوُّهُ فَهُمَا لَهُ صِفَتَانِ (١)

لَا تَجَحَدَتُهُمَا جُحُودَ الْجَهَمِ أَوْ

صَافَ الْكَمَالِ تَكُونُ ذَا بُهْتَانِ (٢)

وظُهُورُهُ وَهُوَ مُقْتَضٍ لِعُلُوِّهِ

وَعُلُوُّهُ لظُهُورِهِ بَيَانِ (٣)

وَكَذَاكَ قَدْ دَخَلْتَ هُنَاكَ الْفَاءَ لِلتَّ

تَسْيِيبِ مُؤَذِّنَةً بِهَذَا الشَّانِ (٤)

فَتَأْمَلَنَّ تَفْسِيرَ أَعْلَمِ خَلْقِهِ

بِصِفَاتِهِ مَن جَاءَ بِالْقُرْآنِ

(١) يقول إن الله سبحانه هو الظاهر بذاته فوق مخلوقاته كما أنه العالی بذاته فوق مخلوقاته فظهوره وعلوه بمعنى واحد.

(٢) يقول: لا تجحد الظهور والعلو لله سبحانه فوق مخلوقاته تكن مثل الجهم بن صفوان المعطل لأسماء الله وصفاته.

(٣) الظهور والعلو بمعنى واحد، فالظهور هو العلو، والعلو هو الظهور لا فرق بينهما.

(٤) دخلت الفاء في قوله ﷻ: «أنت الظاهر فليس فوقك شيء» (*) والفاء هنا سببية يعني: فسبب ظهورك ليس فوقك شيء وهذا واضح.

إذ قال أنت كذا فليس لصدّه
أبداً إليك تطرُقُ الإتيان^(١)

* * *

(١) يقول: إن تفسير الظهور بالفوقية على جميع المخلوقات هو تفسير من النبي ﷺ الذي هو أعلم بما يليق بالله سبحانه فهو التفسير الحق فلا تقبل سواه من تفاسير الناس.

فصل

هذا وثالثَ عَشْرَها إخبارُهُ

أنا نراهُ بِجَنَّةِ الحِوانِ^(١)

فَسَلِ المَعطَّلَ هل نَرى مَنْ تحتنا

أَمْ عن شمائلنا وعن أيمانِ

أَمْ خَلقنا وأماننا سُبْحانَهُ

أَمْ هل نَرى مَنْ فوقنا ببيانِ^(٢)

(١) الدليل الثالث عشر على علو الله على خلقه إخبارُ النبي ﷺ أننا نرى ربنا بجنة الحيوان: يعني الحياة الكاملة، فجنة الحيوان: يعني جنة الحياة الكاملة التي لا يعترها موت، ولا مرض ولا همّ أخبر النبي ﷺ في الأحاديث المتواترة أننا نرى ربنا يوم القيامة في الجنة، والرؤية تقتضي أننا نراهُ جَلًّا وعلا من أعلى، لا من شمال ولا من فوق ولا من تحت، وهذا من أدلة العلو أيضاً، حيث شبّه رؤيته سبحانه برؤية الشمس والقمر حيث قال: «كما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب»^(*) ونحن نرى الشمس والقمر من فوقنا.

(٢) الحق أنّه يُرى من فوق؛ لأنه يليق به، وأن يُرى من العلو، لأن العلو هو الكمال.

(*) أخرجه بنحوه أحمد في «المسند» ١٣/١٤٣ (٧٧١٧)، والبخاري (٦٥٧٣)، ومسلم

(١٨٢) من حديث أبي هريرة.

وانظر أحاديث رؤية الله عز وجل في «جامع الأصول» ١٠/٥٥٧ لابن الأثير.

يا قوم ما في الأمر شيءٌ غيرُ ذا
 أو أَلَّ رُؤْيَتَهُ بلا إمكان^(١)
 إذ رؤيةٌ لا في مُقابلةٍ من الرُّ
 رائِي مُحالٌ ليس في الإمكان^(٢)
 ومن ادَّعى شيئاً سِوى ذا كان دَعَا
 سِواه مكابرةً على الأذهان^(٣)
 ولذلك قال مُحققٌ منكم لأهـ
 لـ الاعتزالِ مقالةً بأمانِ
 ما بيننا خُلفٌ وبينكم لذي الثـ
 تحقيقٍ في معنى فيا إخواني
 شُدوا بأجمعنا لنحمِلَ حَمَلَةَ
 نَذَرُ المُجَسِّمَ في أذلِّ هوانِ^(٤)

-
- (١) لا يمكن أن يُرى من غير جهة الفوقية والعلو، إذ هذا هو اللائقُ به سبحانه وتعالى. فرؤيته من غير الجهة العلوية لا يمكن؛ لأن هذا لا يليق به سبحانه.
- (٢) هذا ردٌّ على الأشاعرة الذين يقولون: إنَّه يُرى، لا في جهة، وهذا محال لأنه ليس هناك شيء يُرى وهو ليس في جهة، فهم أثبتوا رؤية مستحيلة، والله جلّ وعلا يُرى من جهة العلو، وهي جهة غير مخلوقة، لأنه فوق المخلوقات، أمّا الجهمية فإنهم نفوا الأمرين، نفوا العلو ونفوا الجهة وهذا معناه: المعدوم فهم لا يُقرُّون بوجود الله سبحانه وتعالى.
- (٣) من ادَّعى أنه لا يرى أو أنه يرى بلا جهة فهذه مُكابرة للمعقول والمنقول.
- (٤) يقول أحد الأشاعرة الذين يثبتون الرؤية لا في جهة للجهمية والمعتزلة الذين ينفون الرؤية مطلقاً: تعالوا نعتد صلحاً بيننا وبينكم نقوم بموجبه =

إذ قال إِنَّ إِلَهَنَا حَقًّا يُرَى

يَوْمَ الْمَعَادِ كَمَا يُرَى الْقَمْرَانِ (١)

= بمحاربة أهل السنة الذين يقولون بإثبات الرؤية في جهة العلو، إذ لا فرق بيننا وبينكم فنحن إخوان فدعونا نحارب أعداءنا أهل السنة لأنهم يثبتون الرؤية في جهة العلو، وهذا تجسيم لأنه لا يُرى إلا الأجسام، فهم يصفون أهل السنة بالمُجسمة، لأنَّ هذه الصفات عندهم لا تثبت إلا لجسم، والله منزَّهٌ عن الجسم فلذلك نفوا الصفات، والتجسيم لفظ ابتدعوه هم، لأن الجسم لم يرد نفيه ولا إثباته في الكتاب والسنة، فنحن لا ندخل في ذلك لا نفيًا ولا إثباتًا إلا أننا نُثبت الصفات لله سبحانه وتعالى.

فيقول هذا الأشعري للمعتزلة: دعونا نتعاون على أهل السنة المجسمة الذين يُثبتون الصفات، وهذا يُشبه القاعدة الذهبية التي يُردها بعض الجماعات الحزبية الآن، ويقولون: نتعاون فيما اجتمعنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

(١) يقولون: إن الذي يقول: إن الله يرى يوم القيامة مجسم، والذي قال هذا هو الرسول ﷺ فمعناه أن الرسول ﷺ مُجسَّم لأنه هو الذي قال: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا القمر لا تُضامون في رؤيته» (*) الحديث، بل الله جلَّ وعلا أثبت هذه الرؤية فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْمُسْتَقِيمِ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] الزيادة فسرها النبي ﷺ بأنها رؤية الله في الجنة =

(*) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) (٢١١) و(٢١٢).

وتصيرُ أبصارُ العبادِ نواظِراً
 حقّاً إليه رؤيةٌ بعيانٍ
 لا ريبَ أنّهمُ إذا قالوا بذا
 لزمَ العلوُّ لفاطرِ الأكوانِ
 ويكونُ فوقَ العرشِ جَلَّ جلالُهُ
 فلذلكَ نحنُ وحزبُهُمُ خصمانِ
 لكننا سلّمٌ وأنتمُ إذ تسّا
 عدنا على نفي العلوِّ لربنا الرحمنِ
 فعلوهُ عَيْنُ المُحالِ وليسَ فَوْ
 قَ العرشِ مِن رُبِّ ولا دِيانِ
 لا تنصبوا معنا الخلافَ فما لَهُ
 طَعْمٌ فنحنُ وأنتمُ سلّمَانِ^(١)

= كما في صحيح مسلم^(*)، وقوله: «القمران»: الشمس والقمر سُمياً بذلك من باب التغليب، كما يُقال: العُمران لأبي بكر وعمر.
 (١) يقول هذا الأشعري للمعتزلة: قد اتفقنا وإياكم على نفي العلو فلا تكون مخالفتنا لكم في الرؤية مسببة للفرقة بيننا وبينكم ما دمنا اتفقنا على نفي العلو فدعونا نقاتل عدونا المشترك وهم أهل السنة.

(*) أخرجه مسلم (١٨١) من حديث صهيب، وانظر «تفسير ابن كثير» ٤/٢٦٢-٢٦٣ تفسير الآية ٢٦ من سورة يونس. ولفظ حديث صهيب عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة،...، فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب من النظر إلى ربهم عز وجل» ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَسْئِرٍ زَبَدًا﴾ [يونس: ٢٦].

هذا الذي والله مُودِعُ كُتُبِهِمْ

فانظُرْ تَرَىٰ يَا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ (١)

* * *

(١) يقول: هذا الباطل الذي ذكرنا هو الذي في كُتُبِ المعتزلة والأشاعرة، اقرأها ترى ما ذكرناه، وهذا في حقِّ مَنْ عنده تمكُّن من العلم أمَّا الذي ليس عنده تمكُّن فلا ينبغي له أن يقرأ كتبهم لئلا ينخدع بها.

فصل

هذا ورابعَ عَشْرَها إقرارُ سَا
 ثلثة بلفظِ الأَيْنِ للرحْمَنِ^(١)
 ولقد رَواهُ أبو رُزَيْنِ بعدما
 سألَ الرسولَ بلفظةِ بوزانِ
 ورواهُ تبليغاً لَسَهُ ومُقَرَّراً
 لَمَّا أَقْرَبَ به بلا نُكرانِ^(٢)

(١) الدليل الرابع عشر: على أن الله في جهة العلو، أن الرسول ﷺ قال للجارية: «أين الله؟» أي في أيِّ جهةٍ «هو» سبحانه وتعالى قالت الجارية: «في السماء» أي: في جهة العلو، فقال ﷺ لِمَالِكِها: «أعتقها فإنها مؤمنة»^(*) لَمَّا أثبتت أن الله في العلو وصفها بأنها مؤمنة فدل على أن الذي ينفي علو الله على خلقه ليس بمؤمن.

(٢) وأبو رزين العقيلي أيضاً سأل النبي ﷺ فقال: أين كان ربُّنا قبل أن يخلق السموات والأرض، أو قبل أن يخلق الخلق؟ قال: «كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء»^(**)، والعماء معناه: الجهة غير المخلوقة لأنَّه سبحانه فوق الخلق.

ولم ينكر الرسول ﷺ على أبي رزين العقيلي: أنه قال: «أين كان =

(*) سلف تخريجه ص ٣١٩.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ١٠٨/٢٦، ١١٧-١١٨ (١٦١٨٨) و(١٦٢٠٠)،

والترمذي (٣١٠٩) وابن ماجه (١٨٢) من حديث أبي رزين العقيلي.

هذا وما كَانَ الجوابُ جوابَ مَنْ

لكنْ جوابُ اللفظِ بالميزانِ (١)

كلاً وليس لـ «مَنْ» دخولٌ قَطُّ في

هذا السياقِ لمنْ له أُذنانِ (٢)

دعْ ذا، فقد قالَ الرسولُ بنفسِه

أينَ الإلهُ؟ لعالمِ بلسانِ (٣)

واللهِ ما قصدَ المُخاطَبُ غيرَ مَعْدٍ

نَهاها الذي وُضِعَتْ له الحَقَّاني

واللهِ ما فَهَمَ المُخاطَبُ غيرَهُ

واللَّفْظُ موضوعٌ لِقَصْدِ بَيَانِ

= «ربنا؟» بل أخبره وأجابه ولم ينكر عليه فدل، على أنه يجوز أن يُقال: «أين الله؟» وهذا يلزم منه إثبات الجهة لله.

(١) هذا ردُّ على الذين أوَّلوا الحديث فقالوا: «أين الله» معناها: «مَنْ الله»

فيكون السائل يسأل: «من الله؟» وهذا لم يأتِ في اللغة، أن «أين؟»

معناها: «مَنْ؟» والسائل لم يسأل: من الله؟ وإنما سأل: أين الله؟ فيبينهما

فرق، لأن السؤال بـ«من؟» له جواب غير جواب السؤال بـ«أين؟» كما

قال فرعون: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿

[طه: ٤٩-٥٠] وأما السؤال بأين الله فيُجاب عنه بأنه في السماء، فجواب

«أين» يختلف عن جواب «مَنْ».

(٢) لفظ «مَنْ» ليس له مناسبة في هذا السياق أبداً، فلا يصح التفسير به.

(٣) الرسول ﷺ هو الذي قال: «أين الله؟» حين سأل الجارية بلفظ الأين فدلَّ

على أنه يُقال: «أين الله؟».

يا قَوْمُ لَفْظُ الْأَيْنِ مُمْتَنِعٌ عَلَى الزُّ
رَحْمَنِ عِنْدَكُمْ وَذُو بَطْلَانٍ
وَيَكَاذُ قَائِلِكُمْ يُكْفِّرُنَا بِهِ

بل قد وهذا غاية العُدوان^(١)

لفظٌ صريحٌ جاء عن خيرِ الورى
قولاً وإقراراً هُما نوعان^(٢)

والله ما كان الرسولُ بعاجزٍ
عن لفظِ «مَنْ» مع أنها حرفان^(٣)

«والأَيْنَ» أحرفها ثلاثٌ وهي ذو
لبسٍ و«مَنْ» هي غاية التَّبيان^(٤)

(١) بعض نفاة العلو يقول من قال: أين الله؟ فهو كافر مع أن الرسول قال:
«أين الله» انظر كيف ينتهي الضلال بأصحابه.

(٢) فالرسول ﷺ قال: «أين الله» وأقر من قال ذلك، وأهل الضلال
ينكرونه.

(٣) لا يعجز الرسول أن يقول للجارية «من الله؟» مع أن لفظة «مَنْ» أيسر من
لفظة «أين» لأن لفظة «أين» ثلاثة حروف، ولفظة «مَنْ» حرفان فقط،
فكيف يأتي الرسول بكلام من ثلاثة حروف ويترك الكلام الذي هو من
حرفين مع أنه أيسر.

(٤) هذا فرقٌ ثانٍ، أن «مَنْ» أوضح من «أين» فكان المناسب أن يأتي الرسول
ﷺ بالواضح ويترك الذي فيه لبس.

والله ما الملكان أفصح منه إذ

في القبر من رب السما؟ يسألان^(١)

ويقول أين الله يعني من فلا

والله ما اللفظان متحذان

كلًا ولا معناهما أيضًا لذي

لغة ولا شزع ولا إنسان

* * *

(١) الملكان يسألان الميت في القبر فيقولان له: «من ربك»^(*) ولا يقولان:
أين ربك؟ وليس الملكان بأفصح من الرسول. لكن المقام يختلف وكل
مقام له مقال.

(*) قطعة من حديث البراء بن عازب أخرجه أحمد في «مسنده» ٤٩٩/٣٠-٥٠٣
(١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، وهو حديث إسناده صحيح.

فصل

هذا وخامسَ عَشْرَها الإجماعُ مِنْ
 رُسُلِ الإلهِ الواحدِ المَنَّانِ
 فالمرسلونَ جميعُهُمْ معَ كُتُبِهِمْ
 قد صرَّحُوا بالفَوْقِ للرحمٰنِ^(١)
 وحكى لنا إجماعُهُمْ شيخُ الورى
 والذِّينِ عبدُ القادرِ الجيلاني^(٢)
 وأبو الوليدِ المالكي أيضاً حكى
 إجماعَهُمْ أعني ابنَ رُشدِ الثاني^(٣)

(١) والدليل الخامس عشر من أدلة العلو إجماع الرسل عليهم الصلاة والسلام على علو الله على خلقه، وكذلك الكتب المنزلة عليهم من الله، جاء فيها كلها وصف الله بالفوقية مثل ما جاء في القرآن مثل قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] والفوقية معناها: العلو ففيها دليل على علو الله على خلقه سبحانه.

(٢) حكى ذلك الإجماع عن الرسل: عبد القادر الجيلاني الإمام الحنبلي المشهور بعلمه وفقهه وورعه وزُهده رحمه الله، وله كتابٌ مشهور اسمه «الغنية» في الفقه ذكر في أوله العقيدة، ومن جملة ما ذكره: إجماع الرسل على علو الله سبحانه.

(٣) وحكى إجماعهم أيضاً: أبو الوليد بن رُشد صاحب «بداية المجتهد» المتوفى سنة ٥٩٥هـ، ويُلقَّب بالحفيد فرقاً بينه وبين جده أبي الوليد =

وكذا أبو العباس أيضاً قد حكى
 إجماعهم علم الهدى الحراني
 وله اطلاع لم يكن من قبله
 لسواه من متكلم بلسان^(١)
 هذا ونقطع نحن أيضاً أنه
 إجماعهم قطعاً على البرهان^(٢)
 وكذا نقطع أنهم جاؤوا بإثبات
 الصفات لخالق الأكوان^(٣)
 وكذا نقطع أنهم جاؤوا بإثبات
 الصفات لربنا الرحمن^(٤)

= محمد بن أحمد بن رشد المتوفى سنة ٥٢٠هـ، صاحب «البيان والتحصيل»
 في مذهب المالكية.

(١) وممن حكى هذا الإجماع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وله اطلاع على مذاهب الناس لم يكن لمثله من العلماء، حيث أعطاه الله سبحانه وتعالى سعة الاطلاع وسعة الفهم حتى إنه كان يعرف من المذاهب ما لا يعرفه أتباعها، وكان يُناظرهم ويأتي من مذاهبهم بأشياء لم يكونوا يعرفونها هم، وذلك لسعة اطلاعه.

(٢) يعني مع حكاية هؤلاء الأئمة إجماع الرسل على علو الله تعالى فنحن نقطع بذلك ونعتقدُه وندينُ الله به لتواتر الأدلة به.

(٣) كذلك نقطع بأن الرسل عليهم الصلاة والسلام جاؤوا بإثبات الصفات لله عز وجل فنحن نؤمن بها ونثبتها لله عز وجل كما يليق بجلاله.

(٤) ونقطع بأن الرسل جاؤوا بإثبات الكلام لله فنحن نثبت ذلك.

وكذلك نقطع أنهم جاؤوا بإث

بات المعاد لهذه الأبدان^(١)

وكذلك نقطع أنهم جاؤوا بتو

حيد الإله وماله من ثاني^(٢)

وكذلك نقطع أنهم جاؤوا بإث

بات القضاء ومالهم قولان^(٣)

(١) وكذلك نقطع بأن الرسل جاؤوا بإثبات البعث والنشور وهو المعاد، فالبعث بعد الموت حقٌ والإيمان به ركنٌ من أركان الإيمان، قد ذكره الله سبحانه وتعالى مقروناً بالإيمان به، في آيات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٦٢] ذكر الإيمان باليوم الآخر مقروناً بالإيمان بالله تعالى، وتارة يذكره مقروناً ببقية أركان الإيمان.

كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِمْ ءَآمَنٌ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧] فذكر الإيمان باليوم الآخر مع الإيمان بالله والملائكة والرسل فنحن نؤمن بكل ذلك.

(٢) نقطع بأن الرسل جاؤوا بإثبات التوحيد ونفي الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] كل الرسل جاؤوا بإثبات التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة والنهي عن الشرك وهو عبادة غير الله.

(٣) وكذلك نقطع بأنهم جاؤوا بإثبات القضاء والقدر. والإيمان به ركنٌ من أركان الإيمان، وهو الإيمان بأن ما جرى وما يجري في هذا الكون فهو بقضاء الله وقدره، وأن الله علمه وكتبه وقدره وأوجده.

فَالرُّسُلُ مُتَّفِقُونَ قِطْعاً فِي أَسْوَ

لِ الدِّينِ دُونَ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ (١)

كُلُّ لَهُ شَرْعٌ وَمِنْهَا جُورٌ وَذَا

فِي الْأَمْرِ لَا التَّوْحِيدِ فَافْهَمِ ذَانِ (٢)

فَالدِّينُ فِي التَّوْحِيدِ دِينٌ وَاحِدٌ

لَمْ يَخْتَلَفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ اثْنَانِ (٣)

(١) الرسل مُجمعون على التوحيد ونفي الشرك وأصول الإيمان، وأما الشرائع

العملية فإنها مختلفة، فالله تعالى يشرع لكل أمة ما يُناسبها كما قال تعالى:

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جُورٌ﴾ [المائدة: ٤٨] فالشرائع العملية مختلفة

لكن كلها تشريع من الله سبحانه وتعالى، يشرع لكل أمة ما يُناسبها

وينسخ منها ما يشاء، وأما أصول الإيمان بالله والملائكة واليوم الآخر

والكتاب والنبين فهذه ليست محل اختلاف بينهم، هم متفقون عليها.

(٢) فالتوحيد محل اتفاق لا اختلاف فيه بين الرسل وأتباعهم، وأما الشرائع

فهي تختلف، يشرع الله لكل أمة ما يُناسبها ثم ينسخه بشريعة أخرى

وهكذا إلى أن نُسخت الأديان بشريعة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ،

وهي شريعة باقية لا تُنسخ ولا تُبدل ولا تُغَيَّر إلى أن تقوم الساعة.

(٣) كلهم جاؤوا بالتوحيد وهو إفراد الله بالعبادة، وعبادة الله تكون باتباع ما

شرعه في كل زمان بحسبه، فكل الأمم التابعة للرسول يعبدون الله

بشرائعهم التي شرعها الله لهم، فإذا نسخت فإن العمل يكون بالناسخ

دون المنسوخ مثلاً: الاتجاه في الصلاة كان إلى بيت المقدس،

وصلاتهم إلى بيت المقدس عبادة لله سبحانه وتعالى، فلما نُسخت

وحولت إلى الكعبة، صارت العبادة هي الاتجاه إلى الكعبة، ومن اتجه =

دينُ الإلهِ اختارَهُ لعبادِهِ
ولنفسِهِ هُوَ قِيَمُ الأديانِ
فمِنَ المُحالِ بأن يكونَ لِرسولِهِ
في وَصْفِهِ خبرانِ مُختلفانِ^(١)
وكذاكِ نَقَطُ أَتَمَّ جاؤوا بِعَدُ
لِ اللهُ بَيْنَ طوائِفِ الإنسانِ^(٢)

= إلى بيت المقدس بعد ذلك فإنَّ صلاته غيرُ صحيحة، لأنَّه شرعُ نسخٍ وانتهى، فالشرع المنسوخ لا يجوز العمل به، بل يجب العمل بالناسخ، فالإنسان يدور مع أمر الله سبحانه وتعالى، ولذا قال: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧]. فالبر: هو اتباع ما أمر الله به في كل وقت بحسبه.

(١) فالتوحيد لا يمكن أن يختلف فيه الرسلُ أبداً، لأن دينهم واحد وهو الإسلام الذي وصف الله به جميع الرسل، فهم كلُّهم مسلمون بمعنى: أنهم يوحدون الله ويُقرِّدونه بالعبادة وينقادون لأمره، هذا محلُّ إجماعٍ ومحلُّ اتفاق، ولهذا يقول النبي ﷺ: «الأنبياء إخوةٌ لِعَلَّاتٍ»^(*) والإخوة لِعَلَّاتٍ: هم الذين أبوهم واحد وأمهاتهم مختلفة، فكذلك الرسل عقيدتهم واحدة وشرائعهم مختلفة.

(٢) كما أنَّ الرسل جاؤوا بالعدل الذي هو ضدُّ الجور وضدُّ الظلم، فكل ما جاء به الرسل فإنه عدلٌ وصالح، وكلُّهم نهوا عن الظلم والجور والفساد، هذا محل اتفاق بين الرسل وهو الأمر بالعدل والنهي عن الظلم والجور والطغيان.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٥٣/١٥ (٩٢٧٠)، والبخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة.

وكذاك نَقَطْعُ أَنَّهُمْ أَيْضاً دَعَوْا

لِلْخَمْسِ وَهِيَ قَوَاعِدُ الْإِيمَانِ

إِيمَانُنَا بِاللَّهِ ثُمَّ بِرُسُلِهِ

وَبِكُتُبِهِ وَبِقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

وَبِجَنَدِهِ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْأَوْلَى

هُم رُسُلُهُ لِمَصَالِحِ الْأَكْوَانِ (١)

هَذِي أُصُولُ الدِّينِ حَقًّا لَا أَصُو

لُ الْخَمْسِ لِلْقَاضِي هُوَ الْهَمْدَانِي (٢)

(١) أركان الإيمان الستة محلُّ إجماع الرسل وهي: «الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره» محل اتفاق بين الرسل لم يخالف فيها منهم أحد.

(٢) هذه الأصول الستة أجمعت عليها الرسل والكتب الإلهية. بخلاف أصول المعتزلة الخمسة التي أحدثوها وهي: التوحيد والعدل وإنفاذ الوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه أصول المعتزلة التي جعلوها بدل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، والتوحيد يريدون به نفي الصفات، والعدل عندهم نفي القدر لأن إثبات القدر عندهم جورٌ وظلم، وإنفاذ الوعيد: هو تخليد أصحاب الكبائر في النار خلاف أهل السنة الذين يقولون: أهل الكبائر لا يخرجون من الإيمان وهم مُعَرَّضُونَ للوعيد، إن شاء الله أنفذه فيهم وإن شاء عفا عنهم، فإنهم لا يخرجون من الإيمان ولا يُخَلَّدُونَ في النار، =

تلك الأصول للاعتزالِ وكم لها
 فَرَعٌ فَمِنْهُ الْخَلْقُ لِلْقُرْآنِ
 وَجُحُودٌ أَوْصَافِ الْإِلَهِ وَنَفِيهِمْ
 لِعُلُوِّهِ وَالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ^(١)

= والمعتزلة يقولون: أصحاب الكبائر خارجون من الإيمان وغير داخلين في الكفر، هم بمنزلة بين المنزلين وإذا ما أتوا على ذلك فهم مُخَلَّدُونَ في النار. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يريدون به: الخروج على ولاة المسلمين إذا ظلموا أو جاروا مع أن الرسول ﷺ نهى عن ذلك، وأمر بطاعتهم والتزام بيعتهم ما لم يرتكبوا كفراً بواحاً، فما داموا لم يرتكبوا كفراً مخرجاً من الملة وإنما ارتكبوا كبائر دون الكفر فإن طاعتهم واجبة وباقية، ويجب الصبر على ظلمهم وجورهم لأجل جمع الكلمة ودرء المفسدة ومنع حدوث الفتن، لكن المعتزلة يقولون: الخروج عليهم إذا ظلموا أو فسقوا هو من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا باطل وهو المنكر بعينه، لأنه هو الذي نهى عنه الرسول ﷺ وأمر بالسمع والطاعة وإن جاروا وظلموا وارتكبوا ما يقتضي فسقاً، وذلك لأن الخروج عليهم في هذه الحالة يُسبب شروراً على المسلمين وضياعاً للدين، ويفرق الكلمة ويسلط الأعداء، فالمفسدة التي تحصل في الخروج عليهم أعظم من المفسدة التي في طاعتهم والصبر على ظلمهم وفسقهم وجورهم، وجاء الدينُ بارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما، هذه قاعدة عظيمة مجمعٌ عليها.

(١) مما ترتب على هذه الأصول الباطلة: القول بخلق القرآن، الذي هو فرع عن الأصل الأول الذي هو عندهم التوحيد، فالتوحيد عندهم نفي الصفات، =

وكذا نفيهم لرؤيتنا له

يومَ اللقاء كما يُرى القمران^(١)

ونفوا قضاءَ الربِّ والقدَرَ الذي

سبقَ الكتابُ به هُما حتمان^(٢)

من أجلِ هاتيكَ الأصولِ وخلدُوا

أهلَ الكبائرِ في لظى النيرانِ^(٣)

ولأجلِها نَفَوْا الشفاعةَ فيهمُ

ورمَوْا رواةَ حديثِها بِطعانِ^(٤)

= ومن ذلك نفي الكلام فقالوا: إن الله ليس له كلام وإنما كلامه مخلوق مثل سائر مخلوقاته.

(١) كل هذا متفرع عن الأول وهو نفي الصفات ومنها الرؤية.

(٢) هذا معنى العدل عندهم: وهو نفي القضاء والقدرة، لأن إثبات القضاء والقدرة يقتضي الظلم عندهم، يقولون: كيف يقدر الكفر على العبد ثم يعذبه عليه؟ ونحن نقول: إن الثواب والعقاب يتعلقان بفعل العبد لا بمجرد القضاء والقدرة.

(٣) هذا هو إنفاذ الوعيد عندهم ومعناه: تخليد أصحاب الكبائر في النار، خلافاً للنصوص الدالة على أن أصحاب الكبائر لا يخلدون في النار إذا دخلوها، بل يخرجون منها بإيمانهم وتوحيدهم، وقد يعفو الله عنهم فلا يدخلونها أصلاً.

(٤) ترتب على قولهم بإنفاذ الوعيد نفي الشفاعة التي ثبتت بالكتاب والسنة فقالوا: إن من دخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا بغيرها، مع أنه =

ولأجلها قالوا بأنَّ اللهَ لَمْ

يَقْدِرُ عَلَى إِصْلَاحِ ذِي الْعِصْيَانِ^(١)

ولأجلها قالوا بأنَّ اللهَ لَمْ

يَقْدِرُ عَلَى إِيمَانِ ذِي الْكُفْرَانِ^(٢)

= ثبت في الحديث: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَشْفَعُ لِبَعْضِ الْعُصَاةِ^(*)، وَالْأَوْلِيَاءِ يَشْفَعُونَ، وَالْأَفْرَاطِ يَشْفَعُونَ، فَالشَّفَاعَةُ حَقٌّ وَهِيَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ الْعَاصِي، أَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهَا لَا تَنْفَعُهُ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ.

(١) وَلِأَجْلِ نَفِيهِمُ الْقَدْرَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِصْلَاحِ ذِي الْعِصْيَانِ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ يَسْتَقِلُّ بِفَعْلِهِ بِدُونِ تَقْدِيرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ يَطِيعُ وَيَعْصِي بِفَعْلِهِ، دُونَ تَقْدِيرِ اللَّهِ، هَذَا مِنْ ثَمَارِ هَذِهِ الْأَصُولِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي أَصَلُّوْهَا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، خِلَافَ الْأَصُولِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الرِّسَالُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(٢) وَلِأَجْلِ هَذِهِ الْأَصُولِ الْبَاطِلَةِ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَى هِدَايَةِ الضَّالِّ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى إِصْلَاحِ الْفَاسِدِ، وَإِنَّمَا الْعَبْدُ هُوَ الَّذِي يَصْلِحُ وَيُفْسِدُ بِدُونِ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ مَشِيئَةٌ أَوْ إِرَادَةٌ أَوْ تَدَخُّلٌ فِيهِ، وَكَفَى بِهَذَا ضَلَالًا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى إِصْلَاحِ الْفَاسِدِ وَإِفْسَادِ الصَّالِحِ لِحِكْمَةٍ مِنْهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى.

(*) انظر أحاديث الشفاعة في «جامع الأصول» ١٠/٤٧٥-٤٩٠ ومنها، حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» أخرجه أحمد في «المسند» ٢٠/٤٣٩ (١٣٢٢٢٢)، وأبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم ١/١٣٩ (٢٢٨) وصححه على شرط الشيخين.

ولأجلها حَكِّمُوا عَلَى الرَّحْمَنِ بِالشُّ

شَرَعِ الْمُحَالِ شَرِيعَةَ الْبُهْتَانِ

ولأجلها هُمْ يوجبون رعايةً

للأصلح الموجودِ ذي الإمكانِ

حقاً على ربِّ الوريِّ بعقولهم

سبحانَكَ اللهُمَّ ذِي السُّبْحَانِ (١)

* * *

(١) ومن تفرعاتهم الباطلة على هذه الأصول أنهم يوجبون على الله فعل الأصلح، والله جلّ وعلا لا يجب عليه شيء إلا ما أوجبه هو على نفسه تفضلاً منه كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] هذا حقٌّ أوجبه على نفسه، أما الناس فلا يوجبون على الله شيئاً، تعالى الله عن ذلك، وسبحانه عما يقولون من هذه الأباطيل، والذي أوصلهم إلى هذا: أنهم اعتمدوا على عقولهم وأفكارهم وتركوا أدلة الكتاب والسنة، ولا هداية إلا باتباع الكتاب والسنة، فمن تركهما واعتمد على أدلة العقل وقواعد المنطق وقع في الضلال.

فصل

هذا وسادسَ عَشْرَها إجماعُ أهـ
 لـ العلمِ أعني حُجَّةَ الأزمانِ
 مِنْ كُلِّ صاحبِ سُنَّةٍ شهدتْ لَهُ
 أهْلُ الحديثِ وعسْكَرُ القُرْآنِ
 لا عبرةً بِمُخالفِ لَهمْ وَلَوْ
 كانوا عديداً الشاءِ والبُعْرانِ
 أنَّ الذي فوقَ السَّمواتِ العُلَى
 والعرشِ وهو مباينُ الأَكوانِ
 هو رَبُّنا سبحانَهُ وبِحَمْدِهِ
 حقاً على العرشِ استوى الرَّحْمَنِ (١)

(١) الدليل السادس عشر على إثبات العلو: إجماع أهل العلم في كل زمان، وهم أهل الحديث، وأهل السنة، من الصحابة والتابعين وأتباعهم وكل من سار على نهجهم كلهم مُجمعون على إثبات علو الله على عرشه، والإجماع حُجَّةٌ قاطعة، ولا عبرة بمن خالفهم من أهل الضلال، ولو كانوا عدد الشياهِ والإبل؛ لأنَّها مخالفةٌ بالباطل فلا عبرة بها، فالإجماع تامٌّ بدونهم، فالذين نفوا العلو لا عبرة بهم ولا يُعتدُّ بخلافهم؛ لأنهم ليسوا من أهل السنة والجماعة، وليسوا من أهل الحديث فلا عبرة بمخالفتهم في مسائل الاعتقاد، والخلاف الذي له وجه: هو الخلاف في المسائل الفقهية التي تُستنبط من الأدلة، فالعلماء يختلفون فيها بحسب =

فاسْمَعْ إِذَا أَقْوَالَهُمُ وَاشْهَدْ عَلَيَّ

هَمَّ بَعْدَهَا بِالْكَفْرِ وَالْإِيمَانِ (١)

وَاقْرَأْ تَفَاسِيرَ الْأُئِمَّةِ ذَاكِرِي ال

إِسْنَادِ فَهِيَ هِدَايَةُ الْحَيْرَانِ (٢)

= اجتهادهم ومداركهم. وهذا خلاف غير مذموم إلا إذا ظهر الدليل فالواجب اتباعه وترك ما خالفه من الاجتهادات، أما العقيدة فليست مجالاً للاختلاف؛ لأنها ليست محلاً للاجتهاد، وإنما هي اتباع وتسليم وانقياد لما ثبت في الكتاب والسنة، فهي توقيفية ليست محلاً للاجتهاد، فمن خالف فيها فلا عبرة لمخالفته، فالذي يُعتبر قولهم وإجماعهم أهل الحديث والقرآن، مثل الأئمة الأربعة والأوزاعي والثوري وابن المبارك وأئمة العلم والحديث ومن جاء من بعدهم من الأئمة. فهم مجتمعون من أولهم إلى آخرهم على أن الله فوق السموات العلى.

قوله: «وهو مبين الأكوان» أي: منفصل عن الأكوان، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته سبحانه وتعالى، هذه هي المبانيّة، وهذا ردُّ على أهل الحلول، الذين يقولون: إن الله في كلِّ مكان، وعلى أهل الاتحاد الذين يقولون بوحدة الوجود.

(١) اسمع أقوال أهل العلم، حتى تحكم على هذه الأقوال: هل هي حقٌّ أو باطل؟ لأنه لا يحكم الإنسان على الشيء قبل سماعه وقبل تصوُّره، كما يقولون: الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوُّره، فاسمع أقوالهم واسمع حججهم وأدلتهم وبعد ذلك احكم عليهم بالصواب أو الخطأ.

(٢) التفسير بالإسناد هو الذي يعتمد عليه بخلاف التفسير الذي ليس له إسناد فإنه لا يعتبر، وهناك كتب تعتنى بالإسناد والرواية كتفسير ابن جرير وابن كثير والبغوي.

وانظر إلى قول ابن عباس بتف
سير استوى إن كنت ذا عرفان^(١)
وانظر إلى أصحابه من بعده
كمجاهد ومقاتل خيران^(٢)
وانظر إلى الكلبي أيضاً والذي
قد قاله من غير ما نكران
وكذا رفيع التابعي أجلهم
ذاك الرياحي العظيم الشأن
كم صاحب ألقى إليه علمه
فلذاك ما اختلفت عليه اثنان
فليهن من قد سبه إذ لم يوا
فق قوله تحريف ذي البهتان
فلهم عبارات عليها أربع
قد حُصِّلت للفراس الطعان
وهي استقرّ وقد علا وكذلك از
تفع الذي ما فيه من نكران

(١) حيث قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩]
ارتفع إلى السماء.

(٢) تلاميذ ابن عباس فسّروا الاستواء بأنه العلو على العرش، ولم يُفسّروه
باستولى؛ لأن تفسيره بالاستيلاء تفسيرٌ مُحدثٌ وليس له سند، وليس له
أصلٌ عند السلف الصالح.

وكذاك قد صَعِدَ الذي هُوَ أَرْبَعٌ

وأبو عُبيدةَ صاحبُ الشيباني

يختارُ هذا القولَ في تفسيرِهِ

أدرى من الجَهْمِيِّ بِالْقِرَانِ (١)

والأشعريُّ يقولُ تفسيرُ استوى

بحقيقةِ استولى من البُهْتَانِ (٢)

هو قولُ أهلِ الاعتزالِ وقولُ أت

بِاعِ لجهِمٍ وهو ذُو بَطْلانٍ (٣)

(١) أبو عبيدة هو معمر بن المثنى البصري والشيباني هو أبو عمرو، إسحاق ابن مرار.

هذا تفسير السلف للاستواء بأربعة تفاسير ومعناها واحد وهي: استقرَّ وعلا وارتفع وصعد.

(٢) الإمام أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - ينكر تفسير الاستواء بالاستيلاء وهو الذي ينتسب إليه الأشعرية وهو برىء منهم، فنسبة هذا القول إليه من البُهْتَانِ فهو يكذبُ هذا وينفيه ويوافق السلف على تفسير الاستواء بما سبق من المعاني الأربعة، فمن نسب إليه تفسير استوى بـ«استولى» فهو كذاب، لأنه يخالف ما في كتابه «الإبانة عن أصول الديانة» و«مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» لما ذكر الأقوال ذكر أنه على مذهب أهل السنة، وأنه متبعٌ للإمام أحمد، وصرَّح بهذا، فهذه الوثيقة في هذه الكتب تُبرئ أبا الحسن الأشعري من هذا القول.

(٣) يقول: إن تفسير الاستواء بالاستيلاء هو مذهب المعتزلة ومذهب الجهمية، وأبو الحسن برىء منه.

في كُتِبِهِ قَدْ قَالَ ذَا مِنْ مُوجِزٍ
 وَإِبَانَةٍ وَمَقَالَةٍ بَيَانٍ^(١)
 وَكَذَلِكَ الْبَغْوِيُّ أَيْضاً قَدْ حَكَا
 هُ عَنْهُمْ بِمَعَالِمِ الْقُرْآنِ^(٢)
 وَانظُرْ كَلَامَ إِمَامِنَا هُوَ مَالِكُ
 قَدْ صَحَّ عَنْ قَوْلِ لُذِي إِتْقَانِ
 فِي الْإِسْتِوَاءِ بِأَنَّهُ الْمَعْلُومُ لـ
 كَيْفُهُ خَافِ عَلَى الْأُذْهَانِ^(٣)

- (١) هذه ثلاثة كتب لأبي الحسن الأشعري صرَّح فيها برجوعه وهي «الموجز» و«الإبانة في أصول الديانة»، وكذلك «مقالات الإسلاميين».
- (٢) الإمام الحسين بن مسعود البغوي الملقَّب بمحي السنة، وهو إمام جليل وله تفسير جليل اسمه: «معالم التنزيل»، يذكر عن السلف الصالح تفسير الاستواء بهذه المعاني الأربعة وهو حُجَّةٌ في هذا.
- (٣) ومن الأئمة العظام الذين صرَّحوا بإثبات الاستواء على العرش على حقيقته الإمام مالك بن أنس رحمه الله إمام الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة، لما سأله سائل فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق الإمام مالك وعرق من قبح هذا السؤال وسوء أدب السائل مع الله سبحانه وتعالى، ثم رفع رأسه وقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً ثم أمر به فأخرج. فهو يقول: إن معنى الاستواء معلوم وهو: العلو والارتفاع، وأمَّا كَيْفِيَّتُهُ فهي مجهولة، والسؤال عنها بدعة، ولا يعلم الكيفية إلا الله سبحانه وتعالى فالكيف مجهول لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

وروى ابن نافع الصدوقُ سَمَاعَهُ
 منه على التحقيق والإتقان
 الله حقاً في السماءِ وعلمُهُ
 سبحانه حقاً بكلِّ مكانٍ
 فانظُرْ إلى التفريقِ بين الذاتِ والـ
 معلومٍ من ذا العالمِ الرَّبَّانِي
 فالذاتُ خُصَّتْ بالسماءِ وإنما الـ
 معلومُ عمَّ جميعَ ذي الأكوانِ
 ذا ثابتٌ عن مالكٍ من رَدَّةٍ
 فلسوف يلقى مالكا بهوانٍ^(١)
 وكذا قال الترمذيُّ بجامعٍ
 عن بعضِ أهلِ العلمِ والإيمانِ

(١) أي: روى ابن نافع قال: قال الإمام مالك: الله جلّ وعلا فوق السموات
 وعلمه في كل مكان، وهذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة: أن الله سبحانه
 بذاته فوق سماواته عالٍ على مخلوقاته، أمّا علمه سبحانه فهو في كلِّ مكان،
 قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ
 إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ...﴾ الآية [المجادلة: ٧] فهو معهم
 بعلمه سبحانه، ليس مختلطاً بالناس، ولكنه بعلمه مع خلقه سبحانه وتعالى
 لا يخفون عليه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] فأخبر أنه
 استوى على العرش، وأنه يعلم ما في السموات وما في الأرض لا يخفى
 عليه شيء فهو بذاته فوق مخلوقاته، وأمّا علمه فهو في كل مكان.

اللهُ فوقَ العرشِ لكنْ علمُهُ
مع خَلْقِهِ تفسِيرُ ذِي الإِيمَانِ
وكذاك أوزاعِيَهُمْ أيضاً حَكِي
عن سائرِ العُلَماءِ في البلدانِ^(١)
مِنْ قَرْنِهِ والتابعينَ جَمِيعِهِمْ
مُتوافرينَ وهُمْ أولُوا العرفانِ
إيمانُهُمْ بِعُلُوِّهِ سبحانَهُ
فوقَ العبادِ وفوقَ ذي الأَكوانِ
وكذاك قال الشافعيُّ حكاةً عند
هُ البيهقيُّ وشيخُهُ الرِّبَّاني
حقاً قضى اللهُ الخِلافةَ ربُّنا
فوقَ السماءِ لأُصَدِّقِ العُبدانِ^(٢)
حِبُّ الرِّسولِ وقائمٌ مِنْ بعْدِهِ
بالحقِّ لا فَشلٌ ولا مُتَّوانِ^(٣)

(١) هذان الإمامان الترمذي والأوزاعي حكيا عن أهل العلم أن الله في السماء وعلمه في كل مكان.

(٢) قال الإمام الشافعي فيما رواه عنه الإمام البيهقي هذه الكلمة: أن خلافة أبي بكر الصديق حقّ قضاءه الله من فوق سبع سماوات.

(٣) يعني أبا بكر فهو حبيب الرسول والقائم بعده بالحق وهو الذي وقف الموقف العظيم من أهل الردة بعد وفاة الرسول حتى ثبت الله به الإسلام.

فانظر إلى المَقْضِيَّ في ذي الأرض لـ

كِنَ في السماء قضاءً ذي السُلْطَانِ (١)

وقضاؤه وصفٌ له لم ينفصل

عنه وهذا واضحُ البُرْهَانِ (٢)

وكذلك التُّعْمَانُ قال وبعده

يعقوبُ والألفاظُ للتُّعْمَانِ (٣)

مَنْ لَمْ يُقَرَّ بعَرْشِهِ سُبْحَانَهُ

فوق السماءِ وفوقَ كلِّ مكانٍ

ويُقَرَّ أَنَّ اللهَ فوقَ العَرْشِ لا

يخفى عليه هواجسُ الأذهَانِ

فهو الذي لا شكَّ في تكفيرِهِ

للهِ دَرْكٌ مِنْ إِمَامِ زَمَانٍ (٤)

(١) قال الشافعي: الله سبحانه قدَّر وقضَى استخلاف أبي بكر بعد النبي ﷺ

فوق العرش، وهذا يدل على أن الشافعي يرى مثل ما يرى الأئمة في إثبات العلو.

(٢) قضاء الله صفة من صفاته، وفعلٌ من أفعاله ملازم لذاته سبحانه وتعالى.

(٣) النعمان: اسم أبي حنيفة فهو النعمان بن ثابت، هو أيضاً قال بما قال به الأئمة من علو الله على عرشه وقاله من بعده: صاحبه أبو يوسف حاكياً هذا القول عن أبي حنيفة.

(٤) لما سئل الإمام أبو حنيفة عن الذي يقول: لا أدري ربي في السماء أو في الأرض، قال: هو كافر؛ لأنَّ الله جلَّ وعلا يقول: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ =

هذا الذي في الفقه الأكبر عندهم
 وله شروحٌ عدَّةٌ لبيان^(١)
 وانظرُ مقالةَ أحمدٍ ونصوصه
 في ذاك تلقاها بلا حُبانٍ
 فجميعها قد صرَّحتْ بعلوه
 وبالاستوا والفوق للرحمن
 وله نصوصٌ واردةٌ لم تقع
 لسواه من فُرسانٍ هذا الشانِ
 إذ كان مُمتحناً بأعداءِ الحدي
 سِ وشيعةِ التعطيلِ والكُفرانِ^(٢)

= عِبَادَةٌ ﴿ [الأنعام: ١٨] ويقول: ﴿ أَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤] من لم يؤمن بهذا يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل هذا معنى ما قاله الإمام أبو حنيفة رحمه الله.

(١) هذه العبارة التي قالها أبو حنيفة موجودة في رسالته المسماة الفقه الأكبر، وهذه الرسالة مشهورةٌ عن أبي حنيفة وثابتةٌ عنه، بخلاف من يُشكك فيها، فقد رواها عنه أصحابه وشرحوها، وعليها شروح كثيرة لهم.

(٢) الإمام أحمد ابتلي بأهل البدع والزيغ وامتنحن، فهو ردٌّ عليهم بردود واضحة وموجودة في كتب أصحابه وفي كتب مستقلة قد أملاها رحمه الله ذكر فيها علو الله فوق مخلوقاته واستواءه على عرشه.

وإذا أردت نصوصه فانظر إلى
 ما قد حكى الخلال ذو الإتيان^(١)
 وكذلك إسحاق الإمام فإنه
 قد قال ما فيه هدى الحيران^(٢)
 وابن المبارك قال قولاً شافياً
 إنكاره علم على البهتان
 قالوا له ما ذاك نعرف ربنا
 حقاً به لنكون ذا إيمان
 فأجاب نعرفه بوصف علوه
 فوق السماء مبين الأنوان^(٣)
 وبأنه سبحانه حقاً على الـ
 عرش الرفيع فجعل ذو السلطان
 وهو الذي قد شجع ابن خزيمة
 إذا سل سيف الحق والعرفان

(١) إذا أردت الوقوف على أقوال الإمام أحمد في العلو وغيره فانظر إلى كتاب «الجامع» للخلال فإنه جمع كل ما صدر عن الإمام أحمد من فتاوى ورسائل من مختلف الأقطار، جمعها في كتاب اسمه: «جامع الخلال».

(٢) إسحاق بن راهويه عالم المشرق قد قال بإثبات العلو لله.

(٣) عبد الله بن المبارك الإمام الجليل، لما سئل بماذا نعرف ربنا؟ أجاب بأننا نعرفه بأنه فوق مخلوقاته مستو على عرشه.

وقضى بقتل المنكرين علوه

بعد استتابتهم من الكفران

وبأنهم يُلقون بعد القتل فو

ق مزابِلِ الميِّتاتِ والأنتان^(١)

فشفى الإمام العالم الحبرُ الذي

يُذعى إمامَ أئمةِ الأزمانِ

ولقد حكاهُ الحاكمُ العدلُ الرضا

في كُتبه عنه بلا نُكران^(٢)

وحكى ابنُ عبد البرِّ في تمهيده

وكتابِ الاستذكارِ غيرَ جبانِ

إجماعَ أهلِ العلمِ أنَّ الله فو

ق العرشِ لم ينكرهُ ذو إيمانِ

(١) أبو بكر محمد بن خزيمة إمام الأئمة رحمه الله ألف كتابه المشهور «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب سبحانه وتعالى» بالأسانيد الصحيحة، حكى علو الله واستواءه على عرشه في هذا الكتاب.

(٢) ذكر الإمام الحاكم أنه لما سُئل الإمام أبو بكر محمد بن خزيمة رحمه الله عن من ينكر العلو، فقال: أرى أن يقتل ويُلقى على مزبلة حتى لا يتأذى بنته المسلمون وأهل الكتاب، يعني لا يدفن في مقابر المسلمين وإنما يُلقى في مزبلة كالجيفة القذرة.

وَأَتَى هُنَاكَ بِمَا شَفَى أَهْلَ الْهُدَى
لَكِنَّهُ مَرَضٌ عَلَى الْعُمَيَّانِ (١)
وَكَذَا عَلَيَّ الْأَشْعَرِيُّ فَإِنَّهُ
فِي كُتُبِهِ قَدْ جَاءَ بِالتَّيَّانِ
مِنْ مَوْجِزٍ وَإِبَانَةٍ وَمَقَالَةٍ
وَرَسَائِلٍ لِلثَّغَرِ ذَاتِ بَيَانَ (٢)
وَأَتَى بِتَقْرِيرِ اسْتِوَاءِ الرَّبِّ فَوْقَ
عَرْشِ الْإِيضَاحِ وَابْرَهَانَ
وَأَتَى بِتَقْرِيرِ الْعُلُوِّ بِأَحْسَنِ التُّ
تَقْرِيرِ فَاَنْظُرْ كُتُبَهُ بَعِيَانَ (٣)

(١) كذلك الإمام: يوسف بن عبد البر النمري الإمام المشهور صاحب المؤلفات الضخمة مثل: شرح الموطأ المسمى بـ«التمهيد» ومثل كتاب «الاستذكار في فقه علماء الأمصار» ذكر في هذين الكتابين إجماع أهل السنة والجماعة على علو الله على عرشه.

(٢) وكلام ابن عبد البر هو في الحقيقة. كلامٌ يفرح به أهل الإيمان ولكن المعطلة يغضبون منه وينفرون منه لأنه لا يوافق أذواقهم الفاسدة.

(٣) كذلك الإمام أبو الحسن الأشعري في كتبه التي ألفها في آخر حياته، والتي رجع فيها إلى مذهب أهل السنة والجماعة ككتاب «الإبانة عن أصول الديانة» و«مقالات الإسلاميين» وكتاب: «الموجز» وكذا رسائله لأهل الثغر هذه أربعة كتب كلها رجع فيها إلى الحق وأثبت علو الله على عرشه هذا الإمام الذي تنتسب له الأشعرية الآن وهم يخالفونه في عقيدته، فانتسابهم إليه ظلمٌ وعدوان.

والله ما قال المُجَسِّمُ مثلَ ما

قَدَ قَالَهُ ذَا الْعَالِمِ الرَّبَّانِي (١)

فَارْمُوهُ وَيَحْكُمُ بِمَا تَرْمُوا بِهِ

هَذَا الْمُجَسِّمَ يَا أُولِي الْعُدْوَانِ (٢)

أَوْ لَا فَقُولُوا إِنَّ نَمَّ حَزَاةٌ

وَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ مِنْ حَرَّانٍ

فَسَلُّوا اللَّهَ شِفَاءَ ذَا الدَّاءِ الْعُضَا

لِ مُجَانِبِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ (٣)

(١) انظر كُتُبَ الأشعري الأربعة تجد أنه مُصْرِحٌ بعلوِّ الله واستوائه على عرشه، وأنه على مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك، وهذا رجوعٌ منه عن مذهبه الأول الذي هو مذهب الكلائية.

(٢) المعطلة يُسْمُونُ الذي يُثَبِتُ العلوَّ مُجَسِّمًا فَالْحَنَابِلَةُ عِنْدَهُمْ مُجَسِّمَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ يُثَبِتُونَ الصِّفَاتِ كَالْعَلْوِّ، وَإِثْبَاتُ الصِّفَاتِ عِنْدَهُمْ يَقْتَضِي التَّجْسِيمَ، فَلِذَلِكَ يَسْمُونُ الْحَنَابِلَةَ بِالْمُجَسِّمَةِ، فَالشَّيْخُ يَقُولُ: إِنَّ أَبَا الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيَّ قَدْ قَالَ مَقَالَةً هِيَ أَوْضَحُ مِنْ مَقَالَةِ الْمَجَسِّمَةِ كَمَا تَسْمُونَهُمْ وَهُمْ الْحَنَابِلَةُ، فَلِيَكُنْ إِمَامُكُمْ الَّذِي تَتَسَبَّبُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَجَسِّمَةِ.

(٣) إِذَا لَمْ تَعْتَرَفُوا بِهَذَا فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الَّذِي عِنْدَكُمْ هُوَ حَقٌّ وَحَرَارَةٌ شَدِيدَةٌ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ وَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ يُقَالُ: تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ، يَعْنِي أَظْهَرَ مَا فِي صَدْرِهِ مِنَ الْحَرَارَةِ وَالْكَتْمِ الَّذِي فِيهِ، وَتَنَفَّسَ تَنَفَّسَ مَهْمُومٌ، فَأَنْتُمْ كَذَلِكَ تَرِيدُونَ أَنْ تُظْهِرُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ مِنَ الْحَقِّدِ عَلَى مَنْ أُثْبِتَ ذَلِكَ.

وانظُرْ إِلَى حَرْبٍ وَإِجْمَاعٍ حَكِيٍّ
 اللَّهُ دَرَكٌ مِّنْ فَتَى كَرْمَانِي (١)
 وانظُرْ إِلَى قَوْلِ ابْنِ وَهْبٍ أَوْحِدِ الْ
 عُلَمَاءِ مِثْلَ الشَّمْسِ فِي الْمِيزَانِ (٢)
 وانظُرْ إِلَى مَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فِي
 تِلْكَ الرِّسَالَةِ مُفْصِحاً بَيَّانٍ
 مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ
 بِالذَّاتِ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْأَكْوَانِ (٣)
 وانظُرْ إِلَى مَا قَالَه الْكَرْخِيُّ فِي
 شَرْحِ لِتَصْنِيفِ امْرِئِ زَبَّانِي (٤)
 وانظُرْ إِلَى الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ شَرْحُهُ
 فَهُمَا الْهَدَى لِمُلْدَدٍ حَيْرَانٍ

-
- (١) هو حرب الكرماني من أصحاب الإمام أحمد، حكى الإجماع على علو الله على عرشه، فهو من جملة الأئمة الذين حكوا الإجماع.
 (٢) عبد الله بن وهب صاحب الإمام مالك المشهور من أكابر الأئمة في مصر، حكى إجماع أهل العلم على علو الله على عرشه.
 (٣) عبد الله: هو أبو محمد بن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة المشهورة على مذهب الإمام مالك وهي في الفقه، وبدأها بالتوحيد، وقرّر فيها علو الله على عرشه، وأثبت فيها الأسماء والصفات لله عز وجل، فهي رسالة قيمة ومرجع من مراجع أهل الإسلام.
 (٤) وكذلك الإمام الكرخي ألف شرحاً على رسالة الإمام أبي حنيفة وحكى فيها الإجماع على علو الله على خلقه.

وانظر إلى تفسير عبد ما الذي
 فيه من الآثار في ذا الشأن^(١)
 وانظر إلى تفسير ذاك الفاضل الث
 ثبت الرضا المتصلع الرباني
 ذاك الإمام ابن الإمام وشيخه
 وأبوه سفيان فرازيان^(٢)
 وانظر إلى النسائي في تفسيره
 هو عندنا سفر جليل معاني^(٣)
 وقرأ كتاب العرش للعبسي وه
 و محمد المولود من عثمان^(٤)

(١) لعله يقصد عبد بن حميد المشهور من أئمة المفسرين.

(٢) أبو حاتم الرازي محمد بن إدريس بن المنذر وابنه: ابن أبي حاتم،
 عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، وأبو محمد هو صاحب التفسير
 من أئمة أهل الحديث ولهم كلام في هذا الأصل في إثبات علو الله على
 عرشه ولا نعلم المراد من قوله: «وأبوه سفيان».

(٣) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي صاحب السنن الكبرى
 والمجتبى المشهور بـ«سنن النسائي» وهي إحدى السنن الأربع، هذا
 الإمام أثبت علو الله على عرشه، في كتاب التفسير له، لما جاء على
 آيات الاستواء أثبت علو الله واستواءه على عرشه.

(٤) محمد بن عثمان بن أبي شيبة أبو جعفر العبسي، له كتاب: اسمه
 «العرش» ذكر فيه الآيات التي في العرش وعلو الله عليه.

واقراً لمُسْنِدِ عَمِّهِ وَمُصَنَّفِ

أَتْرَاهُمَا نَجْمَيْنِ بِلِ شَمْسَانِ (١)

واقراً كِتَابَ الاسْتِقَامَةِ لِلرِّضَا

ذَاكَ ابْنُ أَصْرَمَ حَافِظُ رَبَّانِي

واقراً كِتَابَ الحَافِظِ الثَّقَةِ الرِّضَا

فِي السُّنَّةِ العُلْيَا فَتَى الشَّيْبَانِي

ذَاكَ ابْنُ أَحْمَدَ أَوْحَدَ الحَفَافِ قَدْ

شَهَدَتْ لَهُ الحُفَافُ بِالإِتْقَانِ (٢)

واقراً كِتَابَ الأَثْرِمِ العَدْلِ الرِّضَا

فِي السُّنَّةِ الأُولَى إِمَامَ زَمَانِ (٣)

(١) المسند والمُصَنَّف لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة، أبي بكر العبسي، عم محمد بن عثمان بن أبي شيبة، أبي جعفر العبسي.

(٢) هو عبد الله بن الإمام أحمد له كتاب «السنة» مشهور ومطبوع، أثبت هذه المسألة ووضحها أتمّ إيضاح، وهو الحافظ الثقة وأبوه: إمام أهل السنة: أحمد بن حنبل رحمهما الله.

(٣) أبو بكر الأثرم صاحب الإمام أحمد له كتاب: «السنة» لأنّ هناك مصنّفات كثيرة يسمونها «السنة» (*) مثل: السُّنَّة لعبد الله بن أحمد والسنة لابن أبي عاصم والسنة للمروزيّ والسنة للأثرم إلى غير ذلك، يسمون كتب العقيدة كتب «السنة» لأنها على مذهب أهل السنة.

(*) انظر «الرسالة المستطرفة» ص ٣٧-٣٩ الكتب التي تعرف بكتب السنة.

وكذا الإمام ابن الإمام المرتضى
 حقاً أبي داود ذي العرفان
 تصنيفه نظماً ونثراً واضح
 في السُّنَّةِ الْمُثَلَّىٰ هـا نـجـمـان^(١)
 وقرأ كتابَ السُّنَّةِ الأُولَىٰ التي
 أبداه مُضْطَلَعٌ مِّنَ الإِيمَانِ
 ذاك النبيلُ ابنُ النبيلِ كتابُهُ
 أيضاً نبيلٌ واضحُ البرهانِ^(٢)
 وانظُرْ إلى قولِ ابنِ أسباطِ الرِّضَا
 وانظُرْ إلى قولِ الرِّضَا سفيانِ^(٣)
 وانظُرْ إلى قولِ ابنِ زَيدِ ذاكِ حَمْدِ
 مَادُّ وَحَمَادُ الإِمَامِ الثَّانِي^(٤)

(١) هو أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث له منظومة حائية في العقيدة على مذهب السلف وله مصنف آخر في ذلك.

(٢) النبيل ابن النبيل، هو ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن النبيل أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، أبو بكر، له كتاب «السُّنَّةُ» الكبير.

(٣) ابن أسباط، يوسف بن أسباط الشيباني الزاهد الواعظ، له ترجمة في «سير أعلام النبلاء» ١٦٩/٩-١٧١، و«لسان الميزان» ٥٤٨/٨. وسفيان هو ابن عيينة.

(٤) الحمادان: حماد بن زيد وحماد بن سلمة إمامان مشهوران، يُقرران علو الله واستواءه على عرشه.

وانظر إلى ما قاله علم الهدى

عُثْمَانُ ذَاكَ الدَّارِمِيُّ الرَّبَّانِيُّ (١)

فِي نَقْضِهِ وَالرَّدِّ يَا لَهُمَا كِتَابَا

بِأَسْنَتِهِ وَهَمَا لَنَا عَلَمَانِ

هُدِمَتْ قَوَاعِدُ فِرْقَةٍ جَهْمِيَّةِ

فَخَرَّتْ سُقُوفُهُمْ عَلَى الْحَيْطَانِ (٢)

وانظر إلى ما في صحيح محمد

ذَاكَ الْبَخَارِيُّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

مِنْ رَدِّهِ مَا قَالَهُ الْجَهْمِيُّ بِالذُّ

نَقْلِ الصَّحِيحِ الْوَاضِحِ الْبُرْهَانِ

(١) عثمان بن سعيد الدارمي له كتابان: أحدهما: الرد على المريسي اسمه «نقض عثمان بن سعيد على المريسي العنيد»، والثاني: «الرد على الجهمية» وكلاهما مطبوع والمريسي هو بشر بن غياث المريسي الذي ناصب الإمام أحمد العداوة، هو والقاضي ابن أبي دُوَادٍ، وهما اللذان أساءوا إلى الإمام أحمد وشيأ به وكانا سبباً في محنته.

(٢) كُتِبَ الدارمي هدمت أصول الجهمية حتى خَرَّتْ سُقُوفُهَا مِنَ الْحَيْطَانِ، وذلك لأنَّ الْحَقَّ يُزَلْزَلُ الْبَاطِلُ، وَلَا يَنْفَعُ الْبَهْرَجُ وَالْكَذْبُ بَلْ يَبْقَى الْحَقُّ وَأَهْلُ الْحَقِّ، فَالْإِمَامُ أَحْمَدُ امْتَحَنَ وَأُوذِيَ، وَخُصُومُهُ اعْتَزَلُوا بِالْإِسْلَامِ وَالْقُوَّةُ لَكِنْ سَرَعَانَ مَا زَالَتْ قُوَّتُهُمْ وَبَهْرَجَهُمْ وَبَقِيَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَبَقِيَ الْحَقُّ، وَالْآنَ إِذَا ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدَ يُشْنَى عَلَيْهِ وَيُسْتَغْفَرُ لَهُ وَيُدْعَى لَهُ، وَإِذَا ذَكَرَ أَوْلَئِكَ فَإِنَّهُمْ يُسَبَّوْنَ وَيُسْتَمُونُ.

وانظر إلى تلك التراجم ما الذي
 في ضمنها إن كنتَ ذا عِرْفَانٍ^(١)
 وانظر إلى ما قاله الطبري في الشُّ
 شَرَحَ الذي هو عندكم سِفْرَانِ
 أعني الفقيهَ الشافعيَّ اللَّالِكَا
 ئِيَّ المُسَدَّدَ ناصِرَ الإيْمَانِ^(٢)
 وانظر إلى ما قاله علم الهدى الثُّ
 تَيْمِي في إيضاحه وبيانِ
 ذاك الذي هو صاحبُ الترغيب والثُّ
 تَرْهيبِ ممدوحٍ بكلِّ لسانِ^(٣)
 وانظر إلى ما قاله في السُّنَةِ الِ
 كَبْرَى سَلِيمَانُ هو الطبراني^(٤)

(١) انظر إلى الجامع الصحيح للإمام البخاري وهو أصح كتاب بعد كتاب الله وفيه كتاب التوحيد وانظر إلى تراجمه وما فيها من العلم الغزير.

(٢) يعني «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» لأبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي الطبري، كتاب مشهور وطُبع محققاً.

(٣) كتاب «الترغيب والترهيب» للإمام الحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الطلحي.

(٤) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة وله كتاب السنة في أصول الإيمان صرح فيه بعلو الله على خلقه واستوائه على عرشه.

وانظر إلى ما قاله شيخ الهدى

يُدعى بِظُلْمَتِكِهِمْ ذُو شَانٍ^(١)

وانظر إلى قول الطحاوي الرضا

وَأَجِرُهُ مِنْ تَحْرِيفِ ذِي بُهْتَانٍ^(٢)

وكذلك القاضي أبو بكر هو أبـ

من الباقلاني قائدُ الفرسانِ

قد قال في تمهيده ورسائلٍ

والشرح ما فيه جليُّ بيانٍ^(٣)

في بعضها حقاً على العرش استوى

لكنه استولى على الأكوان^(٤)

(١) الإمام الطلمنكي، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي أيضاً: له كتاب «الوصول إلى معرفة الأصول» قرر فيه علو الله على خلقه واستواءه على عرشه ومعيته لخلقته بعلمه.

(٢) يعني عقيدة الإمام الطحاوي المشهورة التي عليها شرح ابن أبي العز، قد قرّر فيها علو الله على عرشه، ونقل عن الإمام أبي حنيفة في هذا وصاحبه.

(٣) أبو بكر بن الباقلاني: إمام مشهور وهو من الأشاعرة لكنه يُقرّر «العلو» أتمّ تقريره وبأوضح عبارة. كما في كتابه: «التمهيد في أصول الدين».

(٤) أي: صرح في كتبه بأن الله استوى على العرش حقيقةً بمعنى علا وارتفع، واستولى على الأكوان، أي: المخلوقات لأنها في ملكه، فيقال: استولى على الأكوان و﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وأتى بتقريرِ العلوِّ وأبطل الـ
لام التي زيدت على القرآن^(١)
من أوجهٍ شتى وذا في كتبه
بادٍ لمن كانت له عينان
وانظر إلى قول ابن كلاب وما
يقضي به لمعطل الرحمن
أخرج من النقل الصحيح وعقله
من قال قول الزور والبهتان
ليس الإله بداخل في خلقه
أو خارج عن جملة الأكوان^(٢)
وانظر إلى ما قاله الطبري في التـ
فسير والتهديب قول معان
وانظر إلى ما قاله في سورة الـ
أعراف مع طه ومع سبحان^(٣)

(١) أبطل ابن الباقلاني قولهم: «استوى» بمعنى: «استولى» أبطل هذه اللام، وهو إمامٌ جليل مشهور بقوة الحجّة والذكاء والفتنة.
(٢) هو عبد الله بن سعيد بن كلاب، إمام الكلابية المشهور، لكن مع أنه يؤول كثيراً من الأسماء والصفات إلا أنه يثبت العلو.
وردة مقالة المعطلة: إن الله لا داخل ولا خارج العالم.
(٣) الطبري هو أبو جعفر الإمام الطبري شيخ المفسرين قال هذا في كتابه: «التفسير»، المشهور بتفسير الطبري، وكتاب «تهذيب السنن والآثار». =

وانظر إلى ما قاله البغوي في

تفسيره والشرح والإحسان^(١)

في سورة الأعراف عند الإستوى

فيها وفي الأولى من القرآن

وانظر إلى ما قاله ذو سنة

وقراءة ذاك الإمام الداني^(٢)

وكذاك سنة الأصبهاني أبي الش

شيخ الرضا المستل من حيان^(٣)

وانظر إلى ما قاله ابن سريج ال

بحر الخضم الشافعي الثاني^(٤)

وانظر إلى ما قاله علم الهدى

أعني أبا الخير الرضا الثعمان

= وعندما فسّر الآيات التي في الاستواء والعلو من هذه السور أثبت

استواء الله على عرشه حقيقة من غير تأويل ومن غير تحريف.

(١) هو الإمام الحسين بن مسعود البغوي محي السنة إمام جليل، له كتاب في

التفسير مختصر وهو فيه على مذهب أهل السنة والجماعة.

(٢) المقرئ الإمام المشهور بالداني قال بإثبات علو الله على عرشه وله في

ذلك كتاب مشهور.

(٣) هو أبو الشيخ بن حيان له كتاب «العظمة» يقرّر هذه المسألة كغيره من

الأئمة.

(٤) ابن سريج من أئمة الشافعية ويُلَقَّب: بالشافعي الثاني لإمامه بالمذهب

حتى صار حجة في مذهب الشافعي، وقد حكى هذا القول أيضاً.

وَكِتَابُهُ فِي الْفَقْهِ وَهُوَ بَيَانُهُ
يُيَدِي مَكَانَتَهُ مِنْ الْإِيمَانِ
وَانظُرْ إِلَى الشُّنَنِ الَّتِي قَدْ صَنَفَ أَلْ
عُلَمَاءُ بِالْآثَارِ وَالْقُرْآنِ
زَادَتْ عَلَى الْمَائَتَيْنِ مِنْهَا مُفْرَدٌ
أَوْفَى مِنْ الْخَمْسِينَ فِي الْحُسْبَانِ^(١)
مِنْهَا لِأَحْمَدَ عِدَّةٌ مَوْجُودَةٌ
فِيهَا رِسَائِلُهُ إِلَى الْإِخْوَانِ^(٢)
وَاللَّائِي فِي ضِمْنِ التَّصَانِيفِ الَّتِي
شُهِرَتْ وَلَمْ تَحْتَجْ إِلَى حُسْبَانِ
فَكثِيرَةٌ جَدًّا فَمَنْ يَكُ رَاغِبًا
فِيهَا يَجِدُ فِيهَا هُدًى الْحَيْرَانِ^(٣)

(١) انظر إلى الكتب التي صُنِّفَتْ بِاسْمِ السَّنَةِ مِثْلَ: «السَّنَةُ» لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، أَوْ «الْإِعْتِصَامُ بِالسَّنَةِ» لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ، أَوْ «السَّنَةُ» لِلْمَرْوَزِيِّ وَهَذِهِ الْكُتُبُ، تَزِيدُ عَلَى الْمَائَتَيْنِ، كُلُّهَا تُسَمَّى «بِالسَّنَةِ» مِنْهَا خَمْسُونَ أَوْ أَزِيدُ مِنْ خَمْسِينَ مُفْرَدَةٌ وَمِنْهَا الْبَقِيَّةُ مَذْكُورَةٌ مَعَ غَيْرِهَا مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ.

(٢) مِنْ كُتُبِ السَّنَةِ رِسَائِلُ: «السَّنَةُ» لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَى السَّائِلِينَ الَّذِينَ سَأَلُوهُ وَأَجَابَهُمْ، جَمَعَهَا الْخَلَّالُ فِي كِتَابِهِ: «جَامِعُ الْخَلَّالِ» كُلُّهَا تَقَرَّرُ هَذَا الْأَصْلُ.

(٣) لَمَّا ذَكَرَ أَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ وَمَوْلاَتِهِمْ، أَحَالَ عَلَيَّ بِقِيَّتِهَا، وَمَنْ أَرَادَ الْمَزِيدَ فَلِلنَّازِمِ كِتَابُ اسْمُهُ «اجْتِمَاعُ الْجِيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَيَّ غَزْوِ الْمَعْطَلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ» ذَكَرَ فِيهِ أَقْوَالُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَكُتُبُهُمُ الْمُصَنَّفَةُ فِي ذَلِكَ.

أصحابها هم حافظو الإسلام لا

أصحاب جهنم حافظو الكفران^(١)

وهم النجوم لكل عبد سائر

يبغي الإله وجنة الحيوان^(٢)

وسواهم والله قطاع الطير

قائمة تدعو إلى النيران

ما في الذين حكيت عنهم أنفاً

من حنبلي واحد بضمن^(٣)

(١) أصحاب هذه الكتب هم حافظو الإسلام وحراسه والمدافعون عنه لا أصحاب جهنم الضلال حافظوا الكفر والمدافعون عن الكفر والإلحاد - والعياذ بالله -

(٢) العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء يهتدي بهم الناس في الظلمات كما يهتدون بالنجوم في الليل، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَنَّا وَيَأْتَجِمُ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، وشبهه النبي ﷺ العلماء بالنجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، هؤلاء هم النجوم الذين يهتدى بهم لا علماء الضلال الذين يضللون الناس ويصرفونهم عن الحق.

(٣) وما عدا أعلام الهدى وعلماء أهل السنة والجماعة فإنهم قطاع طريق، يعني يقطعون الطريق إلى الله عز وجل، ويصدون الناس عن السير إلى الله، ويدعونهم إلى جهنم كما قال تعالى في فرعون وآله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى التَّكْوِينِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُبْصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١] فائمة =

بَلْ كُلُّهُمْ وَاللَّهِ شِيعَةٌ أَحْمَدٌ
فَأَصُولُهُ وَأَصُولُهُمْ سَيِّانٌ^(١)

= الضلال يدعون إلى النار بتحريفهم وتزييفهم وصددهم الناس عن الحق، وقد وصفهم النبي ﷺ لما ذكر الفتن وما يحدث في آخر الزمان قال: «دعاًة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها»^(*)، فما كل من يدعو يُستجاب له حتى يُنظر ماذا يدعو إليه، وما هو علمه، وما هي سيرته، وإلا فالانساق وراء كل داعية فيه خطرٌ عظيم، خصوصاً في هذا الزمان، لأن اسم الدعوة إلى الله صار مظلة دخل تحته ما هب ودب، من الشيعة والباطنية والملاحدة، كلهم يدعون الدعوة إلى الله، لكن لننظر من يدعو إلى الله حقيقة ونكون معه، ونتجنب هؤلاء الدعاة المتسمين بالدعوة لأنهم وإن قالوا: إنهم يدعون إلى الله فهم يدعون إلى النار، الآن كثرت الأحزاب والفتن، وكل يتنسب للدعوة إلى الله، وكل له مؤسسة جماعية وتنظيم ومنهج ويتسمون باسم: الدعوة إلى الله، فيجب علينا أن نُميِّز الحق من الباطل ولا ننساق وراء كل أحد، ولا نتخدع بالمظاهر والكلام المعسول حتى نُميِّز.

(١) يقول رحمه الله: هؤلاء الذين حكى عنهم من البداية إلى الآن، وهم لا يُحصون عدداً من الأئمة وأتباعهم، يقول: هؤلاء كلُّهم ليسوا بحنابلة، لأن أهل الضلال يقولون: إنه لا يثبت الصفات إلا الحنابلة، ويُسمونهم المجسمة، وهؤلاء الذين حكى عنهم إثبات الصفات أغلبهم ليسوا حنابلة، بل إنهم يجتمعون مع الحنابلة على الحق.

(*) قطعة من حديث حذيفة بن اليمان أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

وبذاك في كتبٍ لهم قد صرّحوا

وأخو العَمَايةِ ما له عِينان^(١)

أَتَظُنُّهُمْ لَفْظِيَّةً جَهْلِيَّةً

مثلَ الحميرِ تُقَادُ بِالْأَرْسانِ^(٢)

حاشاهُمْ مِنْ ذاكِ بَلْ وَاللَّهِ هُمْ

أَهْلُ الْعُقُولِ وَصِحَّةِ الْأَذْهَانِ

فانظُرْ إِلَى تَقْرِيرِهِمْ لِعُلُوِّهِ

بِالنَّقْلِ وَالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

= وإنما هم من شيعة أحمد يعني من مُناصريه، وإن كانوا حنفية ومالكية وشافعية أو مَنْ قبلهم من الأئمة الذين لا ينتسبون لمذهب معين، كلهم اتفقوا مع الإمام أحمد ومع الحنابلة على هذا الأصل وهو إثبات علو الله على عرشه فكيف تدمون الحنابلة وتصفونهم بالمُجَسِّمة والحشوية إلى غير ذلك من الألقاب، ما ذنبهم في هذا؟!

(١) هؤلاء الأئمة صرّحوا في كتبهم بهذه المسألة ووافقوا الحنابلة، أو الحنابلة اتفقوا معهم، لكن الذي ليس له عينان لا يُبصر الحق، وإنما يُغمض عن الحق، ويتكلّم عن الشخص الذي يحقد عليه ويُبغضه فقط.

(٢) أتظنون أن هؤلاء الأئمة مُقلِّدة، وأنهم عبّاد أَلْفَاظٍ يَتَّقِدُونَ بِالْأَلْفَاظِ دُونَ فَهْمِهِ بِالْمَعْنَانِي، كما هو قول أهل الضلال في أئمة الهدى؛ أنّهم لا يفهمون، يحفظون الألفاظ ولكن لا يفهمون معانيها، فهم مثل الحمير التي تحمل الكتب، وهي لا تفهم ما فيها، هذا ما يقولونه في أئمة الهدى يسمونهم: حشوية، مُجَسِّمة، لفظية.

عقلانٍ عقلٌ بالنصوص مُؤيِّدٌ
 ومُؤيِّدٌ بالمنطقِ اليوناني
 واللهِ ما استويا ولن يتلاقيا
 حتى تشيبَ مفارقُ الغِربانِ^(١)
 أفتقدِفونَ أولاءِ بَلْ أضعافُهُم
 مِنْ سَادَةِ العُلَمَاءِ كُلِّ زَمَانٍ
 بِالْجَهْلِ والتَّشْبِيهِ والتَّجْسِيمِ والتَّ
 تَبْدِيحِ والتَّضْلِيلِ والبُهْتَانِ

(١) يقول: هناك عقلان: عقل مؤيدٌ بالنصوص من الوحي المُنزَّل من كتاب الله وسنة رسوله، والعقل الثاني: عقل مؤيد بالمنطق اليوناني وعلم الكلام، لا يستويان ولن يجتمعا أبداً، فلا بُدَّ أن يختلفا، ولن يجتمعا حتى تشيب مفارق الغِربان، لأن الغراب لا ينقلب أبيض، فكذلك لا يجتمع الذي عقيدته مبنية على علم الكلام والمنطق مع الذي عقيدته مبنية على الكتاب والسنة، فالذين يقولون الآن: نجتمع فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، هذا يبطله كلام ابن القيم، يقول: والله لن يجتمعا حتى تشيب مفارق الغِربان، لا نتفق نحن وإياهم أبداً، ما دام الخلاف على الأصول وعلى العقيدة، فلا يمكن أن نجتمع مهما قُلتم، ولو كان الخلاف في مسائل فقهية لها محل من النظر أمكن الاجتماع مع بقاء الاختلاف في مسائل الفقه، لكن الخلاف في الأصول، لا يمكن الاجتماع بين المختلفين فيه أبداً.

يا قومنا الله في إسلامكم

لا تُفسدوه لنخوة الشيطان^(١)

يا قومنا اعتبروا بمصرع من خلا

من قبلكم في هذه الأزمان

لم يُغن عنهم كذبهم ومحالهم

وقالهم بالزور والبهتان

كلا ولا التدليس والتليس عند

سد الناس والحكام والسلطان^(٢)

(١) يقول: ارجعوا إلى الصواب، لا يمكن أن يكون هؤلاء الأئمة وإجماعهم واتفقهم على خطأ، قال عليه السلام: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»^(*) قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] والذي يتبع غير سبيل المؤمنين مصيره إلى جهنم.

(٢) ولا ينفعهم أنهم يذمون أهل الحق عند الناس وفي المجالس وعند السلاطين ويُغرون السلاطين، ماذا صنع خصوم الإمام أحمد به عند السلطان؟! وماذا كانت العاقبة؟ وماذا صنع خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية؟ =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٠٠/٤٥ (٢٧٢٢٤) من حديث أبي بصرة الغفاري، وهو حديث صحيح لغيره، وأخرجه الحاكم في «المستدرک» ١/١٩٩-٢٠٣ (٣٩١-٤٠٠) من حديث ابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك. وانظر «كشف الخفاء» ٢/٤٧٠ (٢٩٩٩)، وبالجملة فالحديث مشهور المتن، وله أسانيد كثيرة، وشواهد عديدة في المرفوع وغيره.

وبدا لهم عند انكشافِ غِطَائِهِمْ

مَا لَمْ يَكُنْ لِلْقَوْمِ فِي حُسْبَانِ

وبدا لهم عند انكشافِ حقائقِ الـ

إِيمَانِ أَنَّهُمْ عَلَى الْبُطْلَانِ^(١)

مَا عِنْدَهُمْ وَاللَّهِ غَيْرُ شَكَايَةٍ

فَاتُّوا بِعِلْمٍ وَأَنْطَقُوا بَيَانِ^(٢)

= ووشاتهم به عند السلطان حتى أودع في السجن، لكن انكشف فيما بعد أن الحق مع الشيخ وأنهم على الباطل والله الحمد، فالشيخ الآن ذكره يلمع وكتبه يتسابق الناس إليها ويقرؤونها بلهف، وأما كتب أولئك فإنها ذهبت معهم مغمورة لا قيمة لها، إلا أنها سوّدت الأوراق فقط.

(١) لما ماتوا ورأوا مصيرهم بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، والإمام أحمد يوم مات خرجت بغداد كلها معه تشيعه وضافت الشوارع حتى حُزر الذين حضروا جنازته بمئات الألوف، وابن أبي دُواد لما مات ما وجد من يحمل جنازته إلا بعض شرطة السلطان.

(٢) ما عند أهل الضلال حجة إلا أنهم يلجؤون للقوة، ويشكون إلى السلاطين الذين يوافقونهم كما فعلوا مع المأمون والمعتصم والواثق وكما فعل خصوم شيخ الإسلام عندما وشوا به للسلاطين ما عندهم إلا اللجوء إلى القوة، مثل فرعون لما أفحمه موسى بالحجة قال: ﴿لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

ما يشتكي إلا الذي هو عاجزٌ
 فاشكوا لِنَعْدُرْكُمْ إِلَى الْقُرْآنِ (١)
 ثُمَّ اسْمَعُوا مَاذَا الَّذِي يَقْضِي لَكُمْ
 وَعَلَيْكُمْ فَالْحَقُّ فِي الْفُرْقَانِ (٢)
 لَبَسْتُمْ مَعْنَى النُّصُوصِ وَقَوْلَنَا
 فَعَدَا لَكُمْ لِلْحَقِّ تَلْيِيسَانِ (٣)
 مَنْ حَرَفَ النَّصَّ الصَّرِيحَ فَكَيْفَ لَا
 لَا يَأْتِي بِتَحْرِيفٍ عَلَى إِنْسَانٍ
 يَا قَوْمُ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ أَسَأْتُمْ
 بِأَثْمَةِ الْإِسْلَامِ ظَنَّ الشَّانِي
 مَا ذَنْبُهُمْ وَنَبِيَّهُمْ قَدْ قَالَ مَا
 قَالُوا كَذَاكَ مُنْزَلُ الْفُرْقَانِ (٤)

(١) لا يلجأ إلى القوة إلا العاجز عن الحجة، فالشيخ يقول: إن كنتم ستشكون فاشكوا إلى القرآن، لننظر أينا الذي على الحق، أما إنكم تشكون إلى مخلوق لا يعرف الحقيقة وتغررون به وتخدعونه، فهذه ليست طريقة علم ولا طريقة مناظرة.

(٢) يقول: تعالوا نتحاكم وإياكم إلى القرآن فننقاد لحكمه.

(٣) يقول: ليس تحريفكم لكلامنا وكذبكم علينا فقط، بل أنتم لبستم معاني النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، تطاول شرؤكم حتى بلغ النصوص، تناولتموها بالتحريف والتلبيس فليس شرؤكم مقصوراً علينا.

(٤) ما ذنب أهل العلم والسلف إذا قالوا: قال الله وقال رسوله، ماذا يُقابلون قولهم إلا بقولكم قال الفيلسوف فلان، وقال المتكلم فلان، ما عندكم =

ما الذنبُ إلا للنصوصِ لديكمُ
 إذ جَسَمَتْ بل شَبَّهَتْ صِنْفَانِ^(١)
 ما ذَنْبٌ مَنْ قد قال ما نطقتُ به
 من غيرِ تحريفٍ ولا عُدوانِ^(٢)
 هذا كما قال الخبيثُ لصخبِهِ
 كلبُ الروافضِ أخبثُ الحيوانِ
 لَمَّا أفاضُوا في حديثِ الرفضِ عند
 سدِّ القبرِ لا يخشونَ من إنسانِ
 يا قومُ أصلُ بلائِكُمْ ومُصابِكُمْ
 من صاحبِ القبرِ الذي تَريانِ^(٣)

-
- = غير هذا، ما عندكم غير المنطق العقلي والأقيسة العقلية، ما عندكم غير هذه الحجج، تقابلون بها النصَّ الوارد في القرآن والسنة.
- (١) قال بعضهم: القرآن ليس فيه إلا الشرك، لأنه يُثبت الصفات، وإثبات الصفات عندهم شرك.
- (٢) الذي قد قال ما قالت به النصوص من غير تحريف ولا تأويل ما ذنبه؟ هو متبعٌ للوحي فكيف تعيبيونه؟ إن كان عندكم عيب فعيبوا مُنزل الوحي وهو الله سبحانه وتعالى، وعيبوا مُبلِّغ الوحي وهو الرسول ﷺ أما هؤلاء فهم متبعون للوحي فلا تعيبيوهم وإنما عيبوا الأصل، الذي هم عليه.
- (٣) الروافض اجتمعوا عند القبر النبوي ومعهم شيخهم يسبون أهل السنة، قال لهم: لا تسبوا أهل السنة، صاحب هذا القبر هو أصل البلاء؛ لأنهم يأخذون بكلامه ويُخاصمونكم به، وهو إمامهم وقائدهم.

كَمْ قَدَّمَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ بِلِ غَدَا
 يُثْنِي عَلَيْهِ ثَنَاءَ ذِي شُكْرَانِ
 وَيَقُولُ فِي مَرَضِ الْوَفَاةِ يَوْمَئِذٍ
 عَنِّي أَبُو بَكْرٍ بِلَا رَوَّغَانِ
 وَيَظَلُّ يَمْتَعُ مِنْ إِمَامَةٍ غَيْرِهِ
 حَتَّى يُرَى فِي صُورَةِ الْغَضْبَانِ
 وَيَقُولُ لَوْ كُنْتُ الْخَلِيلَ لِوَاحِدٍ
 فِي النَّاسِ كَانَ هُوَ الْخَلِيلَ الدَّانِي
 لَكِنَّهُ الْأَخُّ وَالرَّفِيقُ وَصَاحِبِي
 وَلَهُ عَلَيْنَا مِئَّةُ الْإِحْسَانِ
 وَيَقُولُ لِلصَّدِيقِ يَوْمَ الْغَارِ لَا
 تَحْزَنُ فَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ لَا اِثْنَانِ
 اللَّهُ ثَالِثُنَا وَتِلْكَ فَضِيلَةٌ
 مَا حَازَهَا إِلَّا فَتَى عُثْمَانَ (١)

(١) يقول الرافضي لأصحابه عند قبر الرسول ﷺ: لا تدموا أبا بكر بل ذموا صاحب هذا القبر كيف تبغضون أبا بكر وتلعنونه، وصاحب هذا القبر هو الذي يُقدِّمه في الصلاة، وهو الذي أشار إلى استخلافه من بعده، وهو الذي قال: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً» (*) =

(*) أخرجه مسلم (٢٣٨٣) من حديث عبد الله بن مسعود.

يا قومُ ما ذنبُ النواصبِ بعدَ ذا

لَمْ يُذْهِكُمْ إِلَّا كَبِيرُ الشَّانِ^(١)

= فلا تلموا أبا بكرٍ وتقولوا: صنم قريش، لكن لوموا صاحب هذا القبر هو الذي قدّمه على الصحابة، كذلك لا تُسبُّوا عمر وعثمان والصحابة لأن الذي قدّمهم وفضّلهم هو صاحب هذا القبر.

وفي غار ثور لما خرجا مختفين عن المشركين، وخرج المشركون يطلبونهما ووقفوا على الغار، قال أبو بكر: يا رسول الله: لو نظر أحدُهم إلى موضع قدمه لأبصرنا، فقال ﷺ لأبي بكر: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(*) فأنزل الله في ذلك قرآناً، ﴿إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِثَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠] الرسول ﷺ وأبو بكر، ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾ [التوبة: ٤٠] فهو معهما بإعانتة وتوفيقه سبحانه، ليس معناه أنه حالٌ معهما في الغار تعالى الله عن ذلك، لأنه فوق سماواته عالٍ على عرشه، لا يحلُّ في شيءٍ من خلقه أبداً، وفتى عثمان هو أبو بكر الصديق لأن اسمه: عبد الله ابن عثمان.

(١) يقول الرافضي لأصحابه: ما ذنب النواصب - يعني أهل السنة - تسميهم الرافضة نواصب؛ لأنهم ناصبوا أهل البيت العدو بزعمهم، ليس لهم ذنب إذا أحبوا أبا بكر، والرسول قد أحبه. فأنتم ما ضرّكم إلا هذا الرسول الذي مدحه وأثنى عليه وأحبه.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١/١٨٩-١٩٠ (١١)، والبخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

فَتَفَرَّقَتْ تِلْكَ الرَّوَافِضُ كُلُّهُمْ

قَدْ أَطْبَقَتْ أَسْنَانَهُ الشَّفْتَانِ (١)

وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ ذَاكَ رَضِيعُهُمْ

فَهُمَا رَضِيعَا كُفْرِهِمْ بِلِيَانِ (٢)

ثُوبَانٍ قَدْ نُسِجَا عَلَى الْمُنْوَالِ يَا

عُريَانُ لَا تَلْبَسُ فَمَا ثُوبَانِ

وَاللَّهِ شَرٌّ مِنْهُمَا فَهُمَا عَلَى

أَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالشَّقَا عِلْمَانِ (٣)

* * *

(١) كُلُّهُمْ نَدَمُوا لَمَّا سَمِعُوا كَلَامَ هَذَا الْخَبِيثِ، وَأَصَابَهُمُ النَّدَمُ وَالْحَسْرَةُ فَصَمْتُوا وَلَمْ يَتَكَلَّمُوا مِنْ شِدَّةِ الْحَسْرَةِ.

(٢) وَالْجَهْمِيَّةُ رَضِيعُوا مِنْ مَذْهَبِ الرَّافِضَةِ الْخُبَيْثِ وَالْكَفْرِ وَالْإِلْحَادِ، فَهُمَا شَبِيهَانِ.

(٣) مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحْبَبُ مِنَ الرَّافِضَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ لِتَشَابُهُمْ فِي الْكَفْرِ وَالْإِلْحَادِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَهُمَا ثُوبَانِ مَنْسُوجَانِ مِنَ الْكَفْرِ وَالْإِلْحَادِ. وَالشَّيْخُ يُحَدِّثُ مِنْ لِبْسِ هَذَيْنِ الثُّوبَيْنِ، ثُوبِ الرَّفِضِ وَثُوبِ التَّجْهِمِ.

فصل

هذا وسابعَ عَشْرَهَا إِبْرَاهُ
 سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
 عَنْ عَبْدِهِ مُوسَى الْكَلِيمِ وَحَرِيهِ
 فِرْعَوْنَ ذِي التَّكْذِيبِ وَالطُّغْيَانِ
 تَكْذِيبِهِ مُوسَى الْكَلِيمِ بِقَوْلِهِ
 اللَّهُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ تَبَانِي (١)
 وَمِنَ الْمَصَائِبِ قَوْلُهُمْ إِنََّّ اعْتَقَا
 دَ الْفِرْعَوْنَ مِنْ فِرْعَوْنَ ذِي الْكُفْرَانِ
 فَإِذَا اعْتَقَدْتُمْ ذَا فَأَشْيَاعٌ لَهُ
 أَنْتُمْ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبُهْتَانِ (٢)

(١) الدليل السابع عشر على إثبات علو الله فوق سماواته: إخبار الله في القرآن عن موسى وفرعون حيث إن فرعون لما أراد أن يتظاهر بتكذيب موسى أمام الناس قال لهامان وزيره: ﴿أَبْنِي لِي صَرْحًا﴾ [غافر: ٣٦] والصرح البناء المرتفع، ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [٣٦] أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَاطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] فهذا يدل على أن موسى عليه السلام أخبر فرعون أن ربه في السماء فقال فرعون هذا من باب الجحود والمكابرة وإلا فهو يعرف في قلبه صدق موسى عليه السلام، ولكن من باب المكابرة والعناد والخوف على ملكه بزعمه قال هذا الكلام.

(٢) المعطلة قلبوا هذا الدليل وقالوا: هذا يدل على أن اعتقاد علو الله فوق مخلوقاته هو مذهب فرعون، فأنتم إمامكم فرعون المعطل، يقولون هذا =

فَاسْمَعُ إِذَا مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَىٰ بِفِرْ
 عَوْنَ الْمُعْطَلِ جَا حِدِ الرَّحْمَنِ
 فَانظُرْ إِلَىٰ مَا جَاءَ فِي الْقَصَصِ الَّتِي
 تَحْكِي مَقَالَ إِمَامِهِمْ بَيَانِ
 وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الضَّلَالَةَ قُدُورَةً
 بِأُمَّةٍ تَدْعُو إِلَى النَّيْرَانِ^(١)
 فإِمَامٌ كُلُّ مُعْطَلٍ فِي نَفْسِهِ
 فرعونُ مع نمرودَ مع هامانِ
 طلبَ الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ مُكْذِبًا
 موسى ورامَ الصَّرْحَ بِالْبُنْيَانِ

= لأهل السنة وكذبوا في ذلك، لأنَّ ذلك خلاف مدلول الآية، لأن مدلولها: أن موسى هو الذي أخبر بذلك فكذبه فرعون، وأراد أن يظهر تكذيبه أمام الناس بزعمه فيكون إمامهم هم فرعون على الحقيقة، وإمامنا موسى عليه السلام كغيره من النبيين.

(١) الله جلَّ وعلا أخبر أن فرعون، وملاه أئمة يدعون إلى النار، ففي آخر هذه القصة لما قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَنْهَمِنُ عَلَى الظُّلَمِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنْ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨] الآيات إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى التَّكْوِينِ﴾ [القصص: ٤١] فصار فرعون إماماً للجهمية يدعوهم إلى النار؛ لأنهم اتبعوه في إنكار العلو، وإنكار العلو يلزم منه إنكار الرب سبحانه وتعالى، فهم أشبه بفرعون، وهم جند فرعون وشيعته، أمّا المسلمون فإمامهم موسى عليه السلام الذي دعاهم إلى الجنة هو وغيره من الأنبياء.

بل قال موسى كاذبٌ في زعيمه
 فوق السماءِ الرَّبُّ ذُو السُّلْطَانِ
 فابنوا لي الصَّرْحَ الرَّفِيعَ لعلني
 أرقى إليه بحيلةِ الإنسانِ
 وأظنُّ موسى كاذباً في قوله
 اللهُ فوقَ العرشِ ذُو سلْطَانِ
 وكذاك كذَّبَه بأن إلهه
 ناداهُ بالتكليمِ دونَ عَيَانِ^(١)
 هو أنكرَ التَّكْلِيمَ والفَوْقِيَّةَ الـ
 عُلياً كقولِ الجهمِ ذي صَفْوَانِ
 فمن الذي أولى بفرعونَ إذا
 مِنَّا ومنكم بعدَ ذا التَّيْبَانِ
 يا قومنا والله إن لقولنا
 أَلْفاً تدلُّ عليه بل أَلْفَانِ
 عقلاً ونقلاً مع صريحِ الفِطْرَةِ الـ
 أُولى وذوقِ حلاوةِ القُرْآنِ

(١) فرعون هو الذي أنكر أن الله فوق السموات وأنه كلم موسى عليه السلام وكذلك الجهمية أنكروا كلام الله وأنكروا علو الله، فهم على مذهب فرعون في هاتين الخصلتين القبيحتين: إنكار علو الله على عرشه، وإنكار تكليم الله لموسى عليه السلام.

كُلُّ يَدُلُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ

فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ (١)

أَتْرُونَ أَنَّا تَارِكُوا ذَا كُلِّهِ

لِجَعَاغِ التَّعْطِيلِ وَالْبُهْتَانِ (٢)

يَا قَوْمُ مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَى

أَنْ تَرْجِعُوا لِلْوَحِيِّ بِالْإِذْعَانِ

وَتُحَكِّمُوهُ فِي الْجَلِيلِ وَدِقِّهِ

تَحْكِيمَ تَسْلِيمٍ مَعَ الرِّضْوَانِ (٣)

(١) من الذي هو أولى بفرعون، نحن أو أنتم بعد هذا البيان.

إِنَّ لِقَوْلِنَا فِي إِثْبَاتِ عُلُوِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَلْفِ دَلِيلٍ بَلْ أَكْثَرَ، مِنَ الْوَحِيِّ وَمِنَ الْعَقْلِ وَمِنَ الْفِطْرَةِ أَدْلَةٌ كَثِيرَةٌ تَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ. فَالدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ وَالدَّلِيلُ النَّقْلِيُّ وَدَلِيلُ الْفِطْرَةِ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ، هَذَا مَجْمَلُهَا وَتَفَاصِيلُهَا تَبْلُغُ أَلْفَ دَلِيلٍ.

وَمُبَايِنُ الْأَكْوَانِ: يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ وَلَا فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ، هَذَا مَعْنَى الْمُبَايِنَةِ، وَهَذَا نَفْيٌ لِلْحُلُولِ وَنَفْيٌ لِلاتِّحَادِ.

(٢) أَتْرُونَ يَا مَعْشَرَ الْمُعْطَلَةِ أَنَّا نَتْرِكُ أَلْفَ دَلِيلٍ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ مِنْ أَجْلِ جَعَاغِ وَهَذْيَانِ لَدَيْكُمْ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مَعَكُمْ دَلِيلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ إِلَّا جَعَاغِ وَكَذْبِ وَهَذْيَانِ.

(٣) لَا بَدَّ عِنْدَ النَّزَاعِ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى الْوَحِيِّ الْمُنَزَّلِ مِنَ السَّمَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ لَنْ نَزَعَنَّهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وَقَالَ =

قد أقسمَ اللهُ العَظِيمُ بِنَفْسِهِ
 قَسَمًا يُبَيِّنُ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ
 أن ليس يُؤْمَنُ مَنْ يَكُونُ مُحَكَّمًا
 غَيْرَ الرِّسُولِ الوَاضِحِ البُرْهَانِ^(١)
 بل ليس يُؤْمَنُ غَيْرُ مَنْ قَدْ حَكَّمَ أَلْ
 وَوَحْيَيْنِ حَسْبُ فِذَلِكَ ذُو إِيْمَانِ
 هَذَا وَمَا ذَاكَ المُحَكَّمُ مُؤْمِنًا
 إِنْ كَانَ ذَا حَرْجٍ وَضَيْقٍ بِطَانِ
 هَذَا وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ حَتَّى يُسَلِّدَ
 لِمَ لِلذِّي يَقْضِي بِهِ الوَحْيَانِ^(٢)

= تعالى: ﴿ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحَكَّمَهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠] فالذي
 يفصل النزاع هو الوحي وإذا رجعنا إلى الوحي وجدناه يثبت العلو.
 (١) يشير الناظم إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا
 شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥] وهذا قسم من الله أقسم بنفسه سبحانه
 وتعالى، وهو الصادق وإن لم يحلف، لكن هذا لأهمية تحكيم رسوله
 ﷺ في كل نزاع يحدث بينهم حتى يكونوا مؤمنين.

(٢) فدلَّت الآية على أنه لا يؤمن إلا من قد حَكَّمَ الوحيين، أمَّا من حَكَّمَ
 غيرهما فقد حَكَّمَ الطاغوت سواء سمَّاه قانوناً أو سمَّاه نظاماً أو أي اسم
 فهو الطاغوت، فالأسماء لا تُغَيِّرُ الحَقِيقَةَ.

ولا يكفي التحكيم أيضاً، لصحة الإيمان حتى يضيف إلى التحكيم
 نفي الحرج من نفسه، لأنه يمكن أن يتحاكم إلى القرآن وهو كاره من =

يا قوم بالله العظيم نشدتكم
 وبِحُرْمَةِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ
 هل حدثتكم قط أنفسكم بهذا
 فسئلوا نفوسكم عن الإيمان
 لكن رب العالمين وجنده
 ورسوله المبعوث بالقرآن
 هم يشهدون بأنكم أعداء من
 ذا شأنه أبداً بكل زمان^(١)
 ولأي شيء كان أحمد خضمتكم
 أعني ابن حنبل الرضا الشيباني^(٢)

= باب المجاملة أو من باب المخادعة، وليس في قلبه انشراح لحكم الله ورسوله، فهذا وإن تحاكم إلى الشرع ولم ينشرح صدره بذلك فإنه لا يكون مؤمناً، فلا بد لصحة الإيمان من ثلاثة أشياء: الأول: تحكيم الشرع. الثاني: عدم الحرج من ذلك. الثالث: التسليم والانقياد، فإن فقد شرطاً من هذه الثلاثة لم يكن الإنسان مؤمناً.

(١) لكن الله يشهد والنبي يشهد والمؤمنون يشهدون أنكم لستم كذلك، وأنكم أعداء لمن هذه صفاته، لأنكم لا ترجعون إلى الكتاب والسنة في أهم الأمور وهو العقيدة بل تحكّمون القوانين الكلامية والقواعد المنطقية، ولا تحكّمون القرآن في عقيدتكم.

(٢) لماذا عاديتهم الإمام أحمد لما أعلنتم القول بخلق القرآن ورفض هو ذلك وأبى، صبر على المحنة لماذا عاديتموه؟ ما عاديتموه إلا لأنه يدعوكم =

ولأَيِّ شَيْءٍ كَانَ بَعْدُ خَصْمَكُمُ

أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ (١)

ولأَيِّ شَيْءٍ كَانَ أَيْضاً خَصْمَكُمُ

شَيْخُ الْوُجُودِ الْعَالِمُ الْحَرَّانِيُّ (٢)

= إلى المحاكمة إلى كتاب الله . كانوا يضربونه ويعذبونه وهو يقول: ايتوني بشيء من كتاب الله ، لا يزيد على هذا ، فهذا دليل على أنهم ما عادوه إلا لأنه يدعوهم للحكم بما أنزل الله .

(١) لماذا تُلَقَّبون أهل الحديث وعسكر القرآن بالمجسمة والمشبهة والحشوية وغير ذلك ، إلا لأنهم يدعونكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، لأن الحكم بالشرعية ليس قاصراً على الحكم في خصومات الدماء والأموال والنزاعات بين الناس ، بل أعظم من هذا تحكيم الشريعة في العقيدة ، لكن تحكيم الشريعة لا يدعو إليه إلا أهل السنة ، أما بقية الفرق وأصحاب العقائد الباطلة فإنها تُعرض عن تحكيم الشريعة في ذلك وهذا موجود في عصرنا هذا . ولهذا تجد كثيراً من هذه الطوائف والفرق والجماعات من جهمية ومعتزلة وحزبية يقولون: حَكِّمُوا الشريعة ، فنقول لهم: دعونا نُحَكِّمها في الأصل ، وهو العقيدة قبل كل شيء لأن تحكيمها فيما دون العقيدة فقط لا ينفع .

(٢) أيضاً كما عاديتم الإمام أحمد رحمه الله لأنه دعاكم إلى تحكيم الشريعة في الأصول والعقائد ، عاديتم من بعده العالم الحرَّانِيُّ شيخ الإسلام ابن تيمية لما دعاكم إلى الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله في العقيدة والإيمان وأصول الدين ، لما دعاكم إلى هذا ضللتموه أو كفرتموه ، وما ذنبه إلا أنه مثل سلفه من السلف الصالح يدعوكم إلى تحكيم كتاب الله =

أعني أبا العباسِ ناصرِ سُنَّةِ الـ

مُختارِ قامِعِ سُنَّةِ الشَّيْطَانِ (١)

واللهِ لَمْ يَكُ ذَنْبُهُ شَيْئاً سِوَى

تَجْرِيدِهِ لِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ

إِذْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ عَنِ شَرِكِ كَذَا

تَجْرِيدُهُ لِلْوَحْيِ عَنِ بُهْتَانِ (٢)

= وسنة رسوله في أصول الدين وفروعه، فكيف تدعون الإسلام وأنتم لا تدعون إلى كتاب الله وسنة رسوله، وقوله: «شيخ الوجود». يعني شيخ الإسلام ابن تيمية فهو شيخ الوجود في وقته رحمه الله، فهو أعلم أهل زمانه، يدلُّ على هذا غزارة علمه ومؤلفاته، وأنه فاق أقرانه في وقته في العلم والتحقيق والإدراك، وكذلك من باب أولى من جاء بعده، لا أحد يُساويه ولا أحد يُقاربه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وقوله: «الحراني»: نسبة إلى حران شمالي الشام لأنه وُلد فيها.

(١) فشيخ الإسلام هو ناصر سنة المختار، وقامع سنة الشيطان التي هي الشرك والإلحاد والكفر والبدعة، لقد قام بمقاومة هذه الأمور وأوذي في هذا وسُجن ومُنِعَ عنه المِداد والقِرطاس لثلاثين يوماً وهو في السجن، وتوفاه الله وهو في السجن، كان يكتب رحمه الله العلم وهو في السجن حتى لَمَّا رَأَوْا ذلك منعوا عنه القلم والقِرطاس فصار يكتب بالفحم على الجدران رحمه الله، وذلك من حرصه على بيان الحق وإظهاره.

(٢) هذا شيء معلوم من كتبه التي أصبحت والله الحمد منارةً يُهتدى بها، وأمَّا خصومه فماتوا وماتت أخبارهم، وكتبهم عليها الآن الغبار لأنه ليس فيها خير.

فَتَجَرَّدَ الْمُقْصُودُ عَنِ قَصْدِ لَهٗ
 فَلِذَاكَ لَمْ يُنْصَفْ إِلَى إِنْسَانٍ
 مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ دَعَا لِمِقَالَةٍ
 غَيْرِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْإِيمَانِ
 فَالْقَوْمُ لَمْ يَدْعُوا إِلَى غَيْرِ الْهُدَى
 وَدَعْوَتُهُمْ أَنْتُمْ لِرَأْيِ فُلَانٍ
 شَتَانَ بَيْنَ الدَّعْوَتَيْنِ فَحَسْبُكُمْ
 يَا قَوْمُ مَا بَكُمْ مِنَ الْخُذْلَانِ^(١)

(١) انتساب النَّاسِ إِلَى مَذْهَبِ الْحَنَابِلَةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنَفِيَّةِ لَيْسَ مِنَ التَّعَصُّبِ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةَ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، فَحَنْ نَسْتَفِيدُ مِنْ عِلْمِهِمْ وَكَلَامِهِمْ، لَكِنْ لَا نَعْتَقِدُ لَهُمُ الْعِصْمَةَ مِنَ الْخَطَا، فَإِذَا أَخْطَأَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَنِ اجْتِهَادِ فَإِنَّا لَا نَأْخُذُ عَنْهُ الْخَطَا بَلْ نَأْخُذُ عَنْهُ الصَّوَابَ فَقَطْ، فَحَنْ نَتَّبِعُهُمْ لِأَجْلِ أَنْ نَسْتَفِيدَ مِنْ عِلْمِهِمْ وَفَقْهِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَلَكِنْ الْقِدْوَةُ لَنَا هُوَ الرَّسُولُ ﷺ.

وهؤلاء الأئمة لا يدعون إلا إلى الكتاب والسنة، ويقولون: إذا خالف كلامنا كلام الرسول ﷺ فاتركوا كلامنا، وخذوا قول الرسول ﷺ، أما أنتم أيها الضلال فتدعون إلى الأخذ بقول جهم وبقول فلان وفلان من أئمتكم وتقولون: من خالفهم فهو ضال.

وهذا هو الخذلان - والعياذ بالله - فالذي يدعو إلى غير سنة الرسول ﷺ، مخذول لأنه يدعو إلى باطل، وهم كذلك يدعون إلى تقليد أئمتهم، ويصفون من خالف مذاهبهم الباطلة بالضلال والتشبيه والتجسيم إلى آخر هذه الألقاب المنفرة، والسبب في هذا: أنهم يرون عصمة قادتهم، وأما =

قالوا لنا لَمَّا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى

هَذَا مَقَالَةً ذِي هَوَى مَلَانٍ

ذَهَبَتْ مَقَادِيرُ الشُّيُوخِ وَحُرْمَةُ الْ

عُلَمَاءِ بَلْ عَبَّرْتَهُمُ الْعَيْنَانِ (١)

وَتَرَكْتُمْ أَقْوَالَهُمْ هَدْرًا وَمَا

أَصَغَتْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ أُذُنَانِ

لَكِنْ حَفِظْنَا نَحْنُ حُرْمَتَهُمْ وَلَمْ

نَعُدُّ الَّذِي قَالُوهُ قَدْرَ بَنَانٍ (٢)

= أهل السنة - والله الحمد - فلا يرون عصمة أئمتهم وقادتهم، إذا أخطؤوا تركوا خطأهم وأخذوا بالصواب، ولذلك فإن سوق الترجيح بالدليل قائم - والله الحمد - بين أهل السنة ويُنَادون به ويحُثون عليه.

(١) إذا قيل لهؤلاء: اتركوا الخطأ وخذوا بالصواب من قول فلان وفلان، قالوا: يا أسفى ذهب قدرُ الشيخ وقدر الإمام، لأننا إذا تركنا قوله إذا كان مخطئاً فمعنى هذا: أنه حط من قدره، وهذا كذب، فليس في ترك الخطأ حط من قدر الشيخ الذي أخطأ إذا كان هذا الشيخ متبعاً للكتاب والسنة، لأنه هو يقول لنا: إذا خالف قولي قول الرسول ﷺ فخذوا بقول الرسول فليس معنى أننا إذا تركنا مسألة اجتهد فيها أحد الأئمة وما تركناها إلا لأنه لم يكن الدليل واضحاً عليها، ليس معنى هذا: الحط من قدر هذا الإمام، لأننا نعظم الحق ولا نُعَظِّم الرجال، مع أنهم والله الحمد صوابهم كثير، وأخطأوهم قليلة.

(٢) المعطلة يقولون: نحن الذين نُعَظِّمُ الشُّيُوخَ ونُقَدِّرُهُمْ لأننا نأخذ أقوالهم ونعمل بها حتى ولو كانت خطأً تقديراً لهم، فنقول: بل والله أنتم الذين =

يَا قَوْمُ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ كَذَبْتُمْ
 وَأْتَيْتُمْ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ
 وَنَسَبْتُمْ الْعِلْمَاءَ لِلْأَمْرِ الَّذِي
 هُمْ مِنْهُ أَهْلٌ بِرَاءةٍ وَأَمَانٍ^(١)
 وَاللَّهُ مَا أَوْصُوكُمْ أَنْ تَتْرَكُوا
 قَوْلَ الرَّسُولِ لِقَوْلِهِمْ بِلِسَانٍ
 كَلًّا وَلَا فِي كُتُبِهِمْ هَذَا بَلَى
 بِالْعَكْسِ أَوْصُوكُمْ بِلَا كِتْمَانٍ
 إِذْ قَدْ أَحَاطَ الْعِلْمُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ
 لِيُسُوا بِمَعْصُومِينَ بِالْبُرْهَانِ
 كَلًّا وَمَا مِنْهُمْ أَحَاطَ بِكُلِّ مَا
 قَدْ قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ

= أهتتم الشيوخ ولم تعرفوا قدرهم، فليس معنى تعظيم الشيوخ أننا نأخذ
 بالخطأ من أقوالهم، هم لا يرضون بذلك، إذا كانوا متبعين للكتاب والسنة
 وعباراتهم في ذلك مشهورة ومن ذلك قول الإمام الشافعي: «أجمع
 المسلمون على أنّ من استبان له سنة النبي ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول
 أحد. فليس معنى تعظيمنا لهم ومحبتنا لهم: أن نأخذ كل أقوالهم ولو كانت
 خطأ، هذا ليس بتعظيم ولا إجلال بل هذا غلو ومبالغة - والعياذ بالله - .
 (١) العلماء يتبرؤون مما تقولون، لم يقولوا لنا: خذوا أقوالنا على التسليم
 بل قالوا: مَحْصُوا الأَقْوَالَ، وانظروا فيها، فما وافق الحق فخذوا به وما
 خالفه فاضربوا به عرض الحائط كما يقول الإمام الشافعي.

فلذلك أوصوكم بأن لا تجعلوا

أقوالهم كالنص في الميزان^(١)

(١) ما أوصوكم أن تتركوا قول الرسول بل أوصوا بالعكس .
وراجعوا كتبهم تجدون عباراتهم وما نُقل عنهم، ليس فيها كلمة واحدة يدعون فيها إلى التعصب لأقوالهم وذلك لأمر:
أولاً: هم يعترفون أنهم غير معصومين، وغير المعصوم لا يؤخذ كلامه حتى يُعرض على كلام المعصوم ﷺ.

ثانياً: أنهم لم يُحيطوا بكل ما جاء عن الرسول ﷺ، وإذا قُدِّر أن أحداً منهم يُخطيء فله عُذْرُهُ كما بيّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» ومُجامعُ الأعدار لهم:
أولاً: ألا يكون النص قد بلغهم، لأنهم لم يُحيطوا بكلّ النصوص، مهما بلغوا من الحفظ، لا أحد يدعي ذلك.

ثانياً: أن تكون هذه النصوص قد بلغتهم ولكن خالفوها لأنهم يرون أنها لم تثبت عندهم بحسب اجتهادهم وقد ثبتت عند غيرهم، وهذه فائدة عظيمة: أنه ليس كل حديث يقول فيه عالم من العلماء: إنه ضعيف يجب أن يكون ضعيفاً في نفس الأمر، قد يكون صحيحاً لكن لم يتوصّل هو إلى تصحيحه، ويكون العالم الآخر قد توصّل إلى تصحيحه بالطرق المعروفة، ومن ثبت عنده النص لم يجز له أن يُخالفه.

ثالثاً: أن يكون قد بلغهم النص وثبت عندهم ولكن يرون أنه لا يتناول هذه المسألة التي أخطؤوا فيها، لأنّ عمومه قاصر عنها، فلا يرون أنها داخلة في النص، في حين أنها ظهرت لبعض العلماء أنها داخلة وأنّ النص يتناولها.

رابعاً: أن يكون النص قد بلغهم وثبت عندهم ورأوا أنه عام لهذه المسألة، ولكن بدا لهم أنه منسوخ بدليل آخر، أو أنه مُطلق وهناك دليل =

لكن زُئوها بالنصوصِ فإن تُووا

فَقَهَا فَتَلَكَ صَحِيحَةُ الْأَوْزَانِ (١)

لَكِنُّكُمْ قَدَّمْتُمْ أَقْوَالَهُمْ

أَبْدَأَ عَلَى النَّصْرِ الْعَظِيمِ الشَّانِ (٢)

وَاللَّهِ لَا لَوْصِيَّةَ الْعُلَمَاءِ نَفَّ

فَنَذَّمْتُمْ وَلَا لَوْصِيَّةَ الرَّحْمَنِ (٣)

= يُقِيدُهُ، وَلَمْ يَظْهَرِ لِلآخَرِينَ نَسْخُهُ وَلَا تَقْيِيدُهُ، فَلذَلِكَ اخْتَلَفُوا، فَالْعِبْرَةُ بِمَا قَامَ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ، وَهَذِهِ أَعْدَارُهُمْ الَّتِي يُعْتَذِرُ لَهُمْ بِهَا، وَقَدْ يَكُونُونَ مُصِيبِينَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَقَدْ يَكُونُونَ مُخْطِئِينَ وَالصَّوَابُ مَعَ غَيْرِهِمْ، وَالْعَصْمَةُ إِنَّمَا هِيَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، فَيَجِبُ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ تَبَصُّرٌ فِي خِلَافِ الْعُلَمَاءِ وَالتَّمَاسِ الْأَعْدَارِ لَهُمْ، لَكِنْ لَا يَجُوزُ لَهُ أَبْدَأُ أَنْ يَأْخُذَ بِقَوْلِ يَرَى أَنَّهُ غَيْرُ صَحِيحٍ، بَلْ يَأْخُذُ بِالْقَوْلِ الصَّحِيحِ حَتَّى وَإِنْ خَالَفَ قَوْلَ إِمَامِهِ الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ، فَالْحَقُّ أَحَبُّ إِلَى النَّفْسِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

(١) هَذَا كَلَامُهُمْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، يَقُولُونَ: لَا تَأْخُذُوا أَقْوَالَنا عَلَى التَّسْلِيمِ وَلَكِنْ زُئُوها بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لِأَنَّ الَّذِي يَأْخُذُ بِالتَّسْلِيمِ هُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَإِنْ وَافَقْتَ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَإِنْ خَالَفْتَ فَاتْرَكُوها وَخُذُوا بِالدَّلِيلِ، هَذِهِ وَصَايَاهُمْ.

(٢) لَكِنُّكُمْ أَيُّهَا الْمُخَالَفُونَ عَكَسْتُمْ فَقَدَّمْتُمْ أَقْوَالَهُمْ عَلَى النُّصُوصِ حَتَّى فِي أَعْظَمِ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَقِيدَةُ وَهَذَا ضَلَالٌ مُبِينٌ.

(٣) لَمْ تَأْخُذُوا بِوَصِيَّةِ الْعُلَمَاءِ بِأَنْ تَأْخُذُوا مَا قَامَ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ، وَتَتْرَكُوا مَا خَالَفَهُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ، وَلَمْ تَأْخُذُوا بِوَصِيَّةِ الرَّحْمَنِ: فِي قَوْلِهِ: ﴿أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] فَاللَّهُ أَوْصَى بِأَنْ =

وركبتم الجهلين ثم تركتم الذ

نصين مع ظلم ومع عدوان^(١)

قلنا لكم فتعلموا قلتم أما

نحن الأئمة فاضلوا الأزمان^(٢)

من أين والعلماء أنتم فاستحووا

أين النجوم من الثرى التحتاني^(٣)

= يتبع كتابه ومن بعد كتابه سنة رسوله ﷺ فإنها من كتاب الله لأنها منزلة من

عند الله ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤] هذا الذي

أوصى به الله تعالى، والعلماء المحققون لا يؤصون إلا بوصية الله تعالى.

(١) الجهل على قسمين: جهل بسيط، وجهل مركب، فالجهل البسيط: هو

الذي لا يعرف صاحبه الحق لكنه لو بين له الحق لأخذ به، لأنه لا يزكي

نفسه، وهذا أمره سهل، وهذا قل من يسلم منه، أما الجهل المركب:

فهو، أن الإنسان يجهل ولا يدري أنه يجهل، بل يظن أنه عالم، هذا هو

الجهل المركب، وهذا أشد، وهذا قل أن يرجع صاحبه؛ لأنه يرى أنه

على الحق، وأن غيره هو المخطيء، هذه آفة كثير من الناس اليوم،

وهي آفة التعالم، وادعاء العلم والإعجاب بالنفس وعدم القبول للحق

الذي يخالف رأيه وقوله، وهذا الذي أصاب كثيراً من الناس.

(٢) هذا هو الجهل المركب: إذا قيل لصاحبه: تعلم قال: أنا فوق هذا، أنا

أعلم الناس، كيف أتعلم على من هو دوني. أما الجهل البسيط فهو الذي

إذا قيل لصاحبه: تعلم فإنه يتعلم، ويعرف قدر نفسه.

(٣) يقول لهؤلاء المتعالمين: أين أنتم والعلماء؟ أنتم بعيدون عن العلماء

مثل بُعد الثرى عن الثريا، لأن هذا القول يدل على جهلكم.

لَمْ يُشْبِهِ الْعُلَمَاءَ إِلَّا أَنْتُمْ
 أَشْبَهُتُمْ الْعُلَمَاءَ فِي الْأَذْقَانِ (١)
 وَاللَّهُ لَا عِلْمَ وَلَا دِينَ وَلَا
 عَقْلَ وَلَا بِمُرُوءَةِ الْإِنْسَانِ
 عَامَلْتُمْ الْعُلَمَاءَ حِينَ دَعَوْكُمْ
 لِلْحَقِّ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ (٢)

(١) أي أنكم تشبهون العلماء في صبوركم فقط، من اللحي والعمائم والملابس الواسعة، لكن ليس العبرة في المظهر بل بالمخبر، وكم ممن يتزيا بزّي أهل العلم لكنه في الحقيقة ليس من أهل العلم، وكم من إنسان لا يظهر بمظهر العلماء في ملابسه وثيابه وعنده علم غزير، فالعبرة ليست في المظهر، بل بما يعطيهم الله من العلم، والعلماء والأولياء ليس لهم زيّ خاص وإنما هذا اصطنعه المتأخرون، اصطنعوا هذه الأزياء، والعلماء لا يحبون أن يظهروا بمظهر يُميزهم عن الناس، بل يلبسون كما يلبس الناس، ويتكلمون كما يتكلم الناس، وإنما يُخفون أعمالهم ويُخلصونها لله عزّ وجل ولهذا يقول ﷺ: «رَبِّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٌ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَيَّ اللَّهُ لَأَبْرَهُ» (*). كلما كثر علم الإنسان كثر تواضعه وكلّما قلّ علم الإنسان كثر تعاضمه في نفسه والمبالغة في زيّه حتى يراه الناس، ويقولوا: هذا عالم.

(٢) عاديتم العلماء لما دعوكم إلى اتباع الحق ونبذ ما أنتم عليه من التعصب والإعجاب بأرائكم.

(* أخرجه مسلم (٢٦٢٢) و(٢٨٥٤) من حديث أبي هريرة.

إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا الذَّبَابُ إِذَا رَأَى

طُعْمًا فَيَا لِمَسَاقِطِ الذَّبَّانِ^(١)

وَإِذَا رَأَى فَرَعًا تَطَايَرَ قَلْبُهُ

مِثْلَ البُغَاثِ يُسَاقُ بِالعِقبَانِ^(٢)

وَإِذَا دَعَوْنَاكُمْ إِلَى البُرْهَانِ كَمَا

نَجْوَابُكُمْ جَهْلًا بِبُرْهَانِ

(١) همكم تحصيل الدنيا، تتكالبون على الوظائف والمناصب وعلى جمع الأموال، كالذبان التي تتهافت على الطعام، أما العلماء فليسوا كذلك، لكن إذا وكل إليهم ما فيه نفع للمسلمين وقيام بالحق قبلوه، لا من أجل الطمع ولكن تحرياً للأجر، وليس همهم الأموال ولا الأرصدة، أما الذي همُّه الأموال والوظيفة فهذا من الذين يطلبون الدنيا بعمل الآخرة، كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا التَّكَاؤُ ﴿[هود: ١٥-١٦]، فالعبرة بالمقاصد، فالذي يطلب الدنيا بعمل الآخرة هذا خاسر، وأما الذي يطلب الآخرة فهذا هو المقبول عند الله، وإذا رزقه الله رزقاً حلالاً أخذه واستعان به على طاعة الله.

(٢) هذه صفة علماء السوء، أنهم إذا رأوا طُعماً تهافتوا عليه وتساقطوا عليه مثل الذبان التي تتساقط على الأطعمة، وإذا رأوا خوفاً تقطعت قلوبهم وأصابهم الرعب لضعف إيمانهم، أما أهل الإيمان فإنهم يشتون عند الرعب ثبات الجبال ويدافعون ويقاومون، لا يرهبهم الخوف، لأنهم يتوكلون على الله سبحانه.

نَحْنُ الْمُقَلِّدَةُ الْأُولَى أَلْفَوْا كَذَا

آبَاءَهُمْ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ^(١)

قَلْنَا فَكَيْفَ تُكْفِّرُونَ وَمَا لَكُمْ

عِلْمٌ بِتَكْفِيرٍ وَلَا إِيْمَانٍ^(٢)

إِذَا أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ مُقَلِّدًا

لِلنَّاسِ كَالْأَعْمَى هُمَا أَخَوَانٍ^(٣)

(١) إذا دعوناكم إلى الحق قلتم: نحنُ نُقَلِّدُ مَنْ قَبَلْنَا، فلا تقبلون الحق كما قال من قبلكم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ . . .﴾ [الزخرف: ٢٢] هذه طريقة أهل الضلال، أنهم لا يقبلون الحق، وإنما يحتجون بما عليه الناس وما عليه أسلافهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [البقرة: ١٧٠] هذه حجة المُقلِّدة.

(٢) كيف تُكْفِّرُونَ أهل الحق الذين يُثبتون الأسماء والصفات وتقولون: هؤلاء مُجسمة مُشبهة وهذا كفر، وأنتم لا تعرفون أسباب الكفر ولا أنواع الردة، ولا يجوز للإنسان أن يحكم على آخر بالكفر والردة إلا بعد أن يعرف أنواع الردة والضلال، أما التكفير بالهوى فقط فهذه طريقة أهل الضلال.

(٣) أجمع العلماء كما قال ابن حزم وغيره، أن المُقلِّد ليس بعالم، وإنما العالم هو العارف بالكتاب والسُنَّة الذي يعرف مدارك الأحكام من الكتاب والسُنَّة، وأما الذي يُقلِّد الناس فلا يُقال له: عالم بل هو مُقلِّد مثل الأعمى الذي لا يعرف الطريق ويحتاج إلى من يأخذ بيده، فمشي الأعمى في الطريق ليس عن معرفة وإنما هو تقليدٌ لمن يأخذ بيده. أنتم كذلك ليس عندكم من العلم شيء وإنما تُقلِّدون غيركم، ومن كانت هذه حاله فكيف يعتبر نفسه من العلماء.

والعلمُ معرفةُ الهدى بدليله

ما ذاك والتقليدُ مُستويان^(١)

حَرْنَا بِكُمْ وَاللَّهِ لَا أَنْتُمْ مَعَ الْ

عُلَمَاءِ تَنقَادُونَ لِلْبُرْهَانِ

كَلًّا وَلَا مُتَعَلِّمُونَ فَمَنْ تُرَى

تُدْعَوْنَ نَحْسَبُكُمْ مِنَ الشِّرَانِ^(٢)

لَكِنَّهَا وَاللَّهِ أَنْفَعُ مِنْكُمْ

لِلْأَرْضِ فِي حَرْثٍ وَفِي دَوْرَانِ

نَالَتْ بِهِمْ خَيْرًا وَنَالَتْ مِنْكُمْ الْ

مَعَهُودَ مَنْ بَغَى وَمِنْ عُدْوَانِ

(١) هذا هو العلم الصحيح أنه معرفة الحق بدليله من الكتاب والسنة، وليس هو مجرد القول بلا دليل، فالذي لا يعرف الحق بدليله ليس من أهل العلم وإنما هو مُقلِّد، والمُقلِّد لا يعرف الهدى ولا يعرف دليله، وإنما يقول: سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلته، وهذا مثل البيغاء الذي يُحاكي أصوات الناس ولا يعرف معانيها.

(٢) يقول: حَرْنَا بِكُمْ يَا هَؤُلَاءِ الْمُقْلِدَةَ، لستم من العُلَمَاءِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْهُدَى بِدَلِيلِهِ، وَلستم من العوام الذين ليس عندهم إمكانية للتعلُّم، أَنْتُمْ لستم علماء ولا متعلمين، فماذا تكونون؟ ما لكم شبيه إلا الشيران، التي لا تعرف شيئاً إلا أنها تُساق وتُدرَّب على العمل.

فمن الذي خيرٌ وأنفعٌ للورى
أنتم أم الثيرانُ بالبرهان^(١)

* * *

(١) لكن الثيران أنفع منكم لأن الثيران يُستفاد منها في الحرث وفي مصالح كثيرة، أما أنتم فليس فيكم نفع، وإنما تُضيّقون المكان وتأكلون ما كان، فالثيران يُحرث عليها وتدير الدالوب لاستنباط الماء، أما أنتم فالأرض تتأذى منكم؛ لأنكم من المفسدين في الأرض بالكفر والضلال والإلحاد، والله جلّ وعلا يقول: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، فالثيران أنفع منكم للناس وللأرض.

فصل

هذا وثامن عشرها تنزيهه

سُبْحَانَهُ عَنْ مَوْجِبِ النُّقْصَانِ

وعن العيوبِ وموجبِ التمثيلِ والتد-

تَشْبِيهِهِ جَلَّ اللهُ ذُو السُّلْطَانِ (١)

ولذلك نَزَّهَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ

عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ ثَانٍ

أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ظَهِيرٌ فِي الْوَرَى

سُبْحَانَهُ عَنْ إِفْكِ ذِي بُهْتَانٍ

(١) الثامن عشر من أدلة العلو: أنّ الله نَزَّهَ نفسه عن النقائص ووصف نفسه بالكمال، فإذا جئنا لمسألة العلو: هل هو نقص أو كمال؟ وجدنا أن العلو كمال، ونفي العلو عنه سبحانه نقص، إذا فهذا من أدلة إثبات العلو؛ لأنه كمالٌ في حقه سبحانه وتعالى، والله نَزَّهَ نفسه عن النقائص في كثير من الآيات، حيث سَبَّحَ نفسه والتسبيح معناه: التنزيه، كقوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١] ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣] إلى غير ذلك، فنَزَّهَ نفسه عن الشرك وعن الكفر وعن النقائص، ونفي العلو من النقص فَيُنَزَّهَ عنه الله جل وعلا، وما دام الأمر كذلك فالعلو صفة كمال ونفيه صف نقص، فمن نفى علو الله على عرشه وفوق مخلوقاته فقد تنقصه.

أَوْ أَنْ يُؤَلِّي خَلْقَهُ سُبْحَانَهُ

مِنْ حَاجَةٍ أَوْ ذَلِيَّةٍ وَهَوَانٍ^(١)

أَوْ أَنْ يَكُونَ لَدَيْهِ أَصْلًا شَافِعٌ

إِلَّا بِإِذْنِ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ^(٢)

(١) نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الشَّرِيكِ وَعَنِ الظَّهِيرِ وَهُوَ الْمُعِينُ، وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلِيًّا مِنَ الدُّلِّ، كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي آخِرِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكًا فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ وَلِيًّا مِنَ الدُّلِّ وَكَبِيرَةً تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]. فقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ وَلِيًّا مِنَ الدُّلِّ وَكَبِيرَةً تَكْبِيرًا﴾ يعني: لا يحتاج إلى وليٍ يعينه ويدافع عنه كما يحتاج المخلوق إلى من يدفع عنه الذل، ولكن له أولياء من عباده بمعنى: أنه يحبهم ويفرَّبُهم، وهذا كمالٌ وفضلٌ منه سبحانه وتعالى، لا أنه بحاجة إليهم فأولياؤه في المحبة والنصرة والموالاتة والتأييد، لا لأنه بحاجة إليهم، ولكنهم هم المحتاجون إليه سبحانه وتعالى، فلا يجوز أن تقول: ليس لله وليٌّ مطلقاً، بل تقول: ليس لله وليٌّ من الذل بهذا القيد كما في القرآن، فالله تعالى له من عباده أولياء يحبهم ويحبونه ويكرمهم سبحانه وتعالى، لكن ليس لحاجته إليهم وإنما هذا تفضلٌ منه سبحانه وتعالى وتكرمٌ منه سبحانه وتعالى، لما أطاعوه وتقرَّبوا إليه تقرَّب إليهم وأحبهم، وهذا من باب الجزاء على أعمالهم، لأنه سبحانه عدلٌ لا يظلم أحداً، بل هو متفضلٌ، يزيد على ما يستحقه العامل أضعافاً مضاعفة، يعطي على العمل القليل الشيء الكثير سبحانه وتعالى، يُضاعفُ لمن يشاء تكراً منه سبحانه وتعالى.

(٢) ولا أحد يشفعُ عنده إلا بإذنه بخلاف غيره من الملوك والرؤساء فإنَّ

الشُّفَعَاءُ يَتَقَدَّمُونَ وَيَشْفَعُونَ عِنْدَهُمْ، وَلَوْ لَمْ يَرْضُوا شَفَاعَتَهُمْ، وَلَوْ لَمْ =

وكذلك نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الْوَالِدِ

وكذلك عن وَلِدِهِ هُمَا نَسَبَانِ (١)

وكذلك نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ زَوْجَتِهِ

وكذلك عن كُفْرٍ يَكُونُ مُدَانِي (٢)

ولقد أتى التنزيهُ عَمَّا لَمْ يَقُلْ

كي لا يدور بخاطرِ الإنسانِ

فانظرْ إلى التنزيهِ عن طُعْمٍ وَلَمْ

يُنْسَبَ إِلَيْهِ قَطُّ مِنْ إِنْسَانٍ (٣)

وكذلك التنزيهُ عن موتٍ وعن

نومٍ وعن سِنَّةٍ وعن غِشْيَانٍ (٤)

= يأذنوا لهم؛ لأنهم يضطرون إلى تشفيعهم لأنهم بحاجة إليهم، أما الله جلَّ وعلا فليس كذلك، لا يشفع أحدٌ عنده إلا بإذنه، ولا يأذن بالشفاعة إلا فيمن يستحق الشفاعة من أهل الإيمان، أما الكُفَّار والمُشْرِكُونَ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ شَفَاعَةٌ.

(١) ﴿لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ [الإخلاص: ٣] نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الْوَالِدِ وَالْوَالِدِ: اللهُ مُنَزَّهٌ عَنِ ذَلِكَ.

(٢) نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَهِيَ الزَّوْجَةُ لِأَنَّ اتِّخَاذَ الزَّوْجَةِ وَالْوَالِدِ مِنْ عِلْمَاتِ النِّقْصِ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الزَّوْجَةِ وَعَنِ الْوَالِدِ، لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى ذَلِكَ.

(٣) نَزَّهَ نَفْسَهُ عَمَّا قِيلَ مِنَ النِّقْصِ وَالْعَيْبِ وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَمَّا لَمْ يَقُلْ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يَطْعَمُهُ﴾ [الأنعام: ١٤] فَلَا أَحَدٌ قَالَ مِنَ الْخَلْقِ إِنَّ اللَّهَ يُطْعَمُ وَلَكِنَّهُ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ ذَلِكَ.

(٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، السِّنَّةُ: أَوَّلُ النَّوْمِ، =

وكذلك التنزيه عن نسيانه

والربُّ لم يُنسب إلى نسيانٍ^(١)

وكذلك التنزيه عن ظلمٍ وفي الـ

أفعالٍ عن عبثٍ وعن بطلانٍ^(٢)

وكذلك التنزيه عن تعبٍ وعن

عجزٍ يُنافي قدرةَ الرحمن^(٣)

= والنوم هو المستغرق فنزه نفسه عن النوم بجميع أنواعه، الخفيف والثقل، ونزّه نفسه عن الموت، فقال: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨] وذلك لكمال حياته، أمّا الحي الذي ينام، أو تأخذه السنّة فهذا دليل على نقص حياته، كذلك من باب أولى الحي الذي يعتره الموت والفاء، هذا دليل على نقص حياته.

(١) هذه أمور لم يقل أحدٌ بها في حقّ الله، لم يقل أحدٌ: إنّ الله يموت وإنّ الله ينام لا من الأولين ولا من الآخرين، ومع هذا نزّه نفسه عن هذه الأشياء، وكذلك النسيان لم يقل أحدٌ من الخلق: إنّ الله ينسى، وذلك لكمال تنزيهه سبحانه وتعالى من كلّ نقص، سواء قيل في حقه أو لم يقل.

(٢) كل هذه الأمور ما قال أحدٌ بإضافتها إلى الله، فلم يقل أحدٌ: إنّ الله يظلم ولم يقل أحدٌ: إنّ الله يفعلُ أفعالاً عبثاً، ومع هذا نزّه نفسه عن هذه الأمور.

(٣) أمّا التعب فقد وصفته اليهود به حين قالوا: إنّ الله جلٌّ وعلا استراح يوم السبت يقولون: خلق الخلق في ستة أيام بدايتها يوم الأحد ونهايتها يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، فردّ الله عليهم بقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨] اللُّغُوبُ: هو التعب.

ولقد حكى الرحمنُ قولاً قالهُ

فَنَحَاصُ ذُو الْبُهْتَانِ وَالْكَفْرَانِ

أَنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْفَقِيرُ وَنَحْنُ أَصْدُ

حَابُ الْغِنَى ذُو الْوُجْدِ وَالْإِمْكَانِ

وَكَذَاكَ أَضْحَى رَبُّنَا مُسْتَقْرِضاً

أَمْوَالَنَا سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ^(١)

وَحَكَى مَقَالَةَ قَائِلٍ مِنْ قَوْمِهِ

أَنَّ الْعَزِيزَ ابْنَ مِنَ الرَّحْمَنِ^(٢)

(١) فنحاص من أخبار اليهود، لما سمع قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْعَاقًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال قبَّحه الله؛ إن الله فقير يطلب من القرض ونحن أغنياء، وهو يعلم أن الله مُنَزَّهٌ عن ذلك، لكن يريد أن يطعن في القرآن، وهو يعلم أنه كاذب، لكن هذه صفة اليهود، يريدون أن ينتصروا ولو بالباطل، والله تعالى أنزل قوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١-١٨٢] فالله ذكر هذه المقالة مع أنه ما قالها إلا واحد من اليهود فدلَّ ذلك على تنزيه الله سبحانه عن كل نقص ولو لم يقل به إلا واحد من الناس.

(٢) كذلك قالت اليهود: عزيزٌ ابن الله، مثل ما قالت النصرانيُّ المسيح ابنُ الله، فنسبوا الابن إلى الله، والله نَزَّهٌ نفسه عن الولد، لأنَّ الولد جزءٌ من الوالد، يُشبهه الوالد، والله لا شبيه له سبحانه وتعالى، ولأنَّ الوالد يحتاج =

هذا وما القولانِ قَطُّ مَقَالَةٌ

منصورةٌ في موضعٍ وزمانٍ^(١)

لكن مَقَالَةٌ كَوْنُهُ فوقَ الوريِّ

والعرشِ وهو مُباينُ الأكوانِ

قَدْ طَبَّقَتْ شرقَ البلادِ وغَرْبَهَا

وغَدَّتْ مُقَرَّرَةً لِذِي الأذْهَانِ^(٢)

= إلى الولد، وأمّا الله جلّ وعلا فهو غنيٌّ عن خلقه ليس بحاجة إلى الولد، ولا غيره، لكن اليهود يقولون على الله البُهتان، وعُزير قيل: إنّه نبي من أنبياء بني إسرائيل، وقيل: إنّه عبدٌ صالح من صالح بني إسرائيل، فلمّا رأوا صلاحه قالوا: إنّه ابن الله، تعالى الله عمّا يقولون، وهذا من الغلو في الصالحين، وهو يوصّل إلى الشرك - والعياذ بالله -، ولهذا لا يجوز الغلو في الأشخاص حتى الأنبياء والملائكة، لا يجوز الغلو فيهم.

(١) هذه أقوال غريبة، لم يقلها إلا القليل، ومع هذا نرّاه الله نفسه عنها، فدلّ على أن الله منزّه عن كلّ نقص سواء كان هذا النقص مشتهراً على الألسنة، أو كان هذا النقص لم يقل به إلا بعض الخلق، أو كان هذا النقص لم يقل به أحد، فالله منزّه عن النقص مطلقاً، لأنّ له الكمال المطلق سبحانه وتعالى.

(٢) الآن توصّل إلى النتيجة: يقول إذا كان الله نرّاه نفسه عن هذه النقائص وأنتم تقولون: إنّ العلوّ نقص لأنّه يدل على الجهة، والله منزّه عن الجهة، لأنّه إذا كان في جهة فهو محتاجٌ إليها، يقول الشيخ: لماذا لم يُنزه نفسه عن العلو، إذا كان نقصاً كما تقولون، فكونه لم يُنزه نفسه عن ذلك دليلٌ =

فلأَيِّ شَيْءٍ لَمْ يُنَزَّهُ نَفْسَهُ

سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

عن ذي المقالة مع تفاقم أمرها

وظهورها في سائر الأديان^(١)

بل دائماً يُبدي لنا إثباتها

ويُعِيدُهُ بِأَدْلَةِ التَّبَيَّنِ^(٢)

= على اتصافه به، لأنه كمال، هذا من حيث العقل، أما من حيث النقل فإن الله وصف نفسه بالعلو وبالفوقية كما يأتي، لكن من حيث الدلالة العقلية: إذا كان العلو والفوقية نقصاً عندكم فلماذا لم يُنَزَّهُ اللهُ نفسه عنه، مع أنه نَزَّهَ نفسه عن كلِّ نقصٍ حتى النقص الذي لم يُقَلَّ به أحدٌ من الخلق، ولا وجدنا في آية واحدة أو في حديث عن الرسول ﷺ تنزيه الله عن العلو وعن الفوقية.

(١) وقد اشتهر على ألسنة العالم أن الله في العلو، ولا يتجهون بدعائهم وسؤالهم إلا إلى العلو فطرةً فطرهم الله عليها، فلو كانت نقصاً، لماذا لم يُنَزَّهُ اللهُ نفسه عنها؟ كما نَزَّهَ نفسه عن مقالة اليهود وغيرهم.

وكل الأديان السماوية تصفُ الله بأنه في العلو، كذلك فطرَ الناس تتجه دائماً إلى العلو، لا تتجه إلى الشمال أو اليمين أو الأسفل، وإنما تتجه إلى العلو وتشير إلى العلو، فطرةً من الله فطرَ الناس عليها.

(٢) هذا من حيث الدليل النقلي: وهو أن القرآن مملوءٌ من وصف الله بالعلو والفوقية والاستواء على العرش، كذلك أحاديث الرسول ﷺ مشتهرة بوصف الله بالعلو واستوائه على العرش والفوقية، فكيف يكون هذا باطلاً =

لا سيما تلك المقالة عندكم
 مقرونة بعبادة الأوثان^(١)
 أو أنها كمقالة لمثلث
 عبد الصليب المُشركِ النَّصراني
 إذ كان جسماً كلُّ موصوفٍ بها
 ليس الإله مُنزلُ الفرقانِ
 فالعابدون لمن على العرشِ استوى
 بالذاتِ ليسوا عابدي الدِّيَّانِ^(٢)

= يُنزهُ الله عنه كما تقولون؟ إذن يكون القرآن والسنة لم يدلَّا على الحق، وإنما دلَّا الناس على الباطل بزعمكم وليسا كتابا هداية، وإنما هما كتابا إضلال. وهم كذلك يقولون: إنَّ القرآن مملوء من الشرك والتضليل لأنَّه يصفُ الله، ويسمي الله بالأسماء والصفات، وهذا يقتضي التشبيه، فغلاَّتْهم يُصرحون بهذا.

(١) عندهم الذي يصف الله بالصفات، فإنَّما يعبدُ الصنم لأنَّ هذه الصفات لا تكون إلا للمخلوق - تعالى الله عن ذلك - فعندهم لا تدل الصفات على كمال وإنما تدل على نقص، وأنَّ الذي يعتقدُها فإنَّه يعبدُ صنماً.

(٢) يقولون: إن إثبات الصفات يقتضي الشرك، كالتثليث عند النصارى، ولهذا يُنزهون الله تعالى عن الأسماء والصفات، وقصدُهم بزعمهم التنزيه، لكن لما كان هذا التنزيه مبنياً على هذا التصور الفاسد صار ضلالاً، ولو كان هذا التنزيه مبنياً على دلالة الكتاب والسنة لكان تنزيهاً حقاً.

لكنَّهُمْ عِبَادُ أَوْثَانٍ لَدَى

هَذَا الْمُعْطَلِ جاحِدِ الرَّحْمَنِ (١)

ولِذَاكَ قَدْ جَعَلَ الْمُعْطَلُ كُفْرَهُمْ

هُوَ مُقْتَضَىِ الْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ (٢)

هَذَا رَأْيَاهُ بِكُتُبِكُمْ وَلَمْ

نَكْذِبْ عَلَيْكُمْ فِعْلَ ذِي الْبُهْتَانِ (٣)

= ويقولون: هذه الصفات: السمع والبصر واليد والوجه والعلو والاستواء والنزول، لا تكون إلا لجسم، والأجسام متشابهة، فإثباتها يدلُّ على التشبيه، لأنها لا تكون إلا للأجسام والأصنام - تعالى الله عما يقولون - .

ويعتبرون الذين يقولون: إنَّ الله استوى على العرش، إنما يعبدون رباً متحيزاً في جهة، وهذا غير الله، كذا يقولون.

(١) هذا على القاعدة عندهم: أنَّ الصفات لا تكون إلا لجسم، والأجسام متشابهة، فيلزم من إثبات الصفات تشبيهُ الله بخلقه فإثباتها يقتضي أن الله جلَّ وعلا يكون مثل أوثان المشركين، هكذا يقولون، ولذلك قالوا: ليس لله اسم ولا صفة فالله منزَّهٌ عن الأسماء والصفات، ومسلِكهم في النصوص إما التأويل أو التفويض.

(٢) وجعلوا التعطيل هو الإيمان والتنزيه، وجعلوا إثبات الأسماء والصفات هو الكفر والتضليل، هذا من مغالطة العقول، إذ يكون القرآن جاء ليُضللَّ الناس لا ليهديهم.

(٣) إذا أردت أن تعرف ما ذكرناه عنهم فراجع كتبهم، وهذه قاعدة في كل ما ينسب إلى الناس والأشخاص والعلماء، فإنه لا يكتفى بالنقل عنهم. إذا =

ولأي شيء لم يُحَدَّرْ خَلْقَهُ

عَنْهَا وَهَذَا شَأْنُهَا بَيَانٌ (١)

= أردت أن تحكّم عليهم فراجع كلامهم الذي صدر منهم في كتبهم التي أَلْفُوها. قالوها بأفواههم وكتبوها بأيديهم فإنك إذا رجعت إلى كتبهم تجد أن هذه المقالات الشنيعة في كتب الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن نحا نحوهم، تجدها مشحونة بهذه الأباطيل التي يزعمون أنهم يُنزهون الله بها عن أسمائه وصفاته، وهي موجودة في عقائدهم التي تُدرّس في مدارسهم الآن وفي كلياتهم، يُدرّسون أولادهم هذا الباطل، راجع ما يُدرّس في مدارس المعتزلة يميناً وشمالاً تجد مقرراتهم تدور على هذه الأمور، وليس فيها آية من كتاب الله ولا حديث عن رسول الله ﷺ، وإنما فيها قواعد يزعمون أنها عقلية، وليست عقلية بل هي جهلية، لأن القواعد العقلية الصحيحة لا تُخالف الكتاب والسنة، لكن يسمونها عقليات وهي جهليات، ويسمونها: يقينيات وهي ضلالات، لا تجد في كتبهم الاستدلال بآية قرآنية، ولا تجد فيها الاستدلال بحديث نبوي ولا يقول إمام من أئمة السلف، وإنما كلُّها قواعد منطقية وأساليب كلامية يُلقنونها لأولادهم ويُنشئونها عليها، حتى كتب التفسير التي أَلْفها هؤلاء تجدها مشحونة من التحريف والتأويل، وهم يزعمون أنهم يُفسرون كلام الله عزّ وجل، لم ينبج من هذا الباطل إلا تفاسير السلف مثل: تفسير ابن جرير وتفسير ابن كثير وتفسير البغوي ومن درج على سبيلهم.

(١) يقول: لماذا لم يُحَدَّرْ الله خَلْقَهُ من أسمائه وصفاته، لو كانت كما تقولون: إنها كفر وإلحاد، فهل يليق بالله سبحانه أن يتركها، وأن يترك الناس على ضلال، وهي مشهورة ومتواترة عند الناس، هذا لو فرضنا أنه ما نزل بها =

هَذَا وَلَيْسَ فَسَادُهَا بِمُبَيَّنٍ
 حَتَّى يُحَالَ لَنَا عَلَى الْأَذْهَانِ
 وَلِذَاكَ قَدْ شَهِدَتْ أَفْضَلُكُمْ لَهَا
 بظهورها للوهم في الإنسان
 وخفاء ما قالوه من نفي على الـ
 أذهان بل تحتاج للبرهان^(١)

* * *

= آيات قرآنية ولا أحاديث نبوية، لو فرضنا أنها مقالة عند الناس منتشرة فسكوت الله عنها دليل على أنها حق، مع أنه ليس الأمر مجرد إقرار من الله لهذه المقالة، بل إن الله أثبتها لنفسه في نصوص كثيرة، ومدح نفسه بأنه القاهر فوق عباده، وأنه العلي العظيم، وأنه استوى على العرش، وأنه في السماء، ﴿أَمَنُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] في آيات كثيرة.

(١) يقول: إن هذه المقالة وهي إثبات الأسماء والصفات ليست خفية، بل هي مقالة ظاهرة منتشرة ومع هذا فالله جلّ وعلا لم ينكر على من قالها، بل إنه أثبتها وأيدها، فدل ذلك على أنها حق وليست باطلاً كما تقولون، فيلزم على قولكم: أن الله أقرّ الناس على باطل، وأن الله أيّد الباطل في كتابه وسنة نبيه وكفى بذلك إثماً ميبناً.

وأفضل هؤلاء الضلال شهدوا بظهور مقالة الإثبات في الكتاب والسنة وخفاء ما قالوه من النفي والتعطيل.

فصل

هذا وتاسع عشرها إلهامٌ ذي التَّ

تَعْطِيلِ أَفْسَدَ لَازِمٍ بَيَانٍ^(١)

وَفَسَادٌ لَازِمٌ قَوْلِهِ هُوَ مُقْتَضَى

لِفَسَادِ ذَلِكَ الْقَوْلِ بِالْبُرْهَانِ^(٢)

فَسَلِ الْمُعْطَلَّ عَنْ ثَلَاثِ مَسَائِلٍ

تَقْضِي عَلَى التَّعْطِيلِ بِالْبُطْلَانِ

مَاذَا تَقُولُ أَكَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ

هَذَا الرَّسُولُ حَقِيقَةَ الْعِرْفَانِ

أَمْ لَا وَهَلْ كَانَتْ نَصِيحَتُهُ لَنَا

كَلَّ النَّصِيحَةَ لَيْسَ بِالْخَوَّانِ

أَمْ لَا وَهَلْ حَازَ الْبَلَاغَةَ كُلَّهَا

فَاللَّفْظُ وَالْمَعْنَى لَهُ طَوْعَانِ

فَإِذَا انْتَهَتْ هَذِي الثَّلَاثَةُ فِيهِ كَا

مِلَّةٌ مُبْرَأَةٌ مِنَ التَّقْصَانِ

(١) الدليل التاسع عشر من أدلة العلو قضية الإلهام. وهي كما يأتي.

(٢) هذه قاعدة: وهي أن فساد اللازم دليل على فساد الملزوم، ذلك أنه يلزم

على قولهم بنفي العلو، أن الله في كل مكان، وهذه مقالة الحلول، فإذا

كان لازم قولهم هذا الباطل، دل على بطلانه.

فلأَيِّ شيءٍ عاشَ فينا كماً

للنفي والتَّعْطِيلِ في الأزمانِ (١)

(١) يقول: إنَّ الرسولَ ﷺ أثبت علوَّ الله على عرشه، هذا متواترٌ عنه فنسألُكم ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول: هل كان هذا الرسول يعرف ربه، أو كان جاهلاً به؟
فإن قلت: إنه يعرف ربه حصل المقصود، وإن قلت: إنَّه جاهل به كفرتم.

السؤال الثاني: هل كان الرسول ﷺ ناصحاً لأُمَّته أو كان غير ناصح
فإن قلت: إنه كان ناصحاً وقد بيَّن علوَّ الله على عرشه فهذا حق لأنَّه كلام
ناصر، وإن كان غير ناصر فقد وصفتم الرسول ﷺ بالخيانة، وهذا كفر.

السؤال الثالث: إذا كان الرسول ﷺ يعرف ربه وكان ناصحاً في بيان
ذلك، هل كان يقدرُ على البيان أو كان غير قادرٍ على البيان؟ فإن قلت:

إنَّه غير قادرٍ على البيان فقد كفرتم، كيف يرسل الله رسولاً لا يقدرُ على
البيان، وإن قلت: إنَّه قادرٌ على البيان، وقد بيَّن وأثبت أنَّ الله فوق

سماواته، فهذا حق وحصل المقصود، فلا بُدَّ من هذه اللوازم الثلاثة،
إمَّا أن يقولوا: إنَّ الرسول لا يعرف ربه أو يقولون: يعرف ربه لكن لم

يُبيِّن هذا للناس، فيكون هذا من الخيانة، أو يقولون: إنَّه يُعرف ربه
وأراد البيان لكنه عاجزٌ لم يُبيِّن، مثل الأخرس والأعجمي لا يستطيع أن

يُبيِّن، ليس عنده لغة يُبيِّن بها للناس، فيكون الرسول ﷺ موصوفاً
بالنقص، ولا يمكن أن يرسل الله رسولاً عاجزاً عن البيان لأُمَّته، بل إنَّ

الله يختار الرسل من خيرة الخلق وأعلمهم وأنصحهم وأقدرهم على
البيان، ولهذا كلُّ رسولٍ يقول لقومه: «إني لکم ناصحٌ أمين» وإذا كان

الرسول ﷺ عارفاً بربه، ناصحاً لأُمَّته، قادراً على البيان بما أعطاه الله من =

بَلْ مُفْصِحاً بِالضُّدِّ مِنْهُ حَقِيقَةً أَلْ
 إِفْصَاحِ مُوَضَّحَةً بِكُلِّ بَيَانٍ
 وَلَايِي شَيْءٍ لَمْ يُصْرَحْ بِالَّذِي
 صَرَّحْتُمْ فِي رَبِّنَا الرَّحْمَنِ
 الْعَجْزِهِ عَنِ ذَاكَ أَمْ تَقْصِيرُهُ
 فِي النَّصْحِ أَمْ لَخْفَاءِ هَذَا الشَّانِ (١)
 حَاشَاؤُ بَلْ ذَا وَصْفُكُمْ يَا أُمَّةَ التُّ
 تَعْطِيلِ لَا الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ (٢)
 وَلَايِي شَيْءٍ كَانَ يَذْكَرُ ضِدًّا ذَا
 فِي كُلِّ مَجْتَمَعٍ وَكُلِّ زَمَانٍ (٣)

= البلاغة واللغة العربية الفصيحة، فكيف يعيش ولم يُبين للناس أنَّ العُلُوَّ باطل، وأنتَ لا يجوز وصفُ الله به كما تقولون، بل صرَّح بخلاف ذلك. (١) إذا كان عارفاً بربه ناصحاً لأُمَّته قادراً على البيان فلا يمكن أن يترك الناس يعتقدون الباطل، وهو قد أرسلهُ الله للهداية وإرشاد الناس للحق.

(٢) هذا تنزيه للرسول ﷺ عن هذه الأوصاف، وخلعها عليهم «هم» فهم الجهلة بربهم وهم الخونة وهم الأعاجم، الذين لا يقدرّون على البيان، فهذه صفات الجهمية - قبحهم الله - فهم خليط من سلالة اليهود والنصارى ومن المجوس تَقَمَّصُوا الإسلام وقالوا هذه المقالة وغيرها من الضلال، إمّا تعمداً للتضليل وإمّا جهلاً بالله سبحانه وتعالى وإمّا عُجْمَةً لا يعرفون معاني القرآن ولا يعرفون معاني السُّنة.

(٣) لأيِّ شيء كان رسولُ الله ﷺ يُكرِّر إثبات علوِّ الله على عرشه في أحاديث كثيرة طول حياته ﷺ، ومات ولم يأت بخلاف ذلك حتى يُقال: إنَّ ما سبق =

أمره أصبح عاجزاً عن قوله اسـ

تولّى ويُنزِلُ أمره وفلان^(١)

ويقول: أين الله يعني مَنْ بَلَّفَ

ظِ الأَيْنَ هل هذا مِنَ التَّيَّانِ^(٢)

= منه كان منسوخاً، وهو يصرِّح بعلوِّ الله على عرشه، مع أنَّ الأخبار لا يدخلها النسخ.

(١) أترون الرسول عاجزاً عن أن يقول ما تقولون، استولى معناه: استولى، لماذا لم يقل مرة من المرات: استولى، حتى يكون هذا تفسيراً لبقية النصوص، بل اطرد قوله: استولى بدون لام وفي النزول أنتم تقولون: ينزل أمره، والرسول يقول: «ينزل ربنا»^(*) فهل كان عاجزاً عن أن يقول: ينزل أمر ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: «هل من داع فاستجيب له، هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له»^(**)، وأيضاً: فهل يمكن أن المَلَك الذي ينزل على حسب زعمكم، أو أن أمره على حسب زعمكم، هل المَلَك أو الأمر يغفر الذنوب ويُعطي السائلين ويستجيب، أو هذه أوصافُ الله سبحانه وتعالى.

(٢) الرسول ﷺ يقول للجارية: «أين الله»^(***)؟ بهذا اللفظ فتقول: في السماء، وأنتم تقولون: أين الله؟ معناه: مَنْ الله، ما قال أحد من العرب هذا التفسير، ثم لو فرض أن «أين» بمعنى «مَنْ» فلماذا لم يقل الرسول: =

(*) سلف تخريجه ص ٣١٥.

(**) سلف تخريجه ص ٣١٩.

والله ما قال الأئمة غير ما

قد قاله من غير ما كتمان

لكن لأن عقول أهل زمانهم

ضاقت بحمل دقائق الإيمان^(١)

= «من الله؟ لماذا قال: «أين الله؟ بدل «من الله». هذا من الكتمان والتضليل، حيث عدل عن كلمة «من» إلى «أين»، لأن «أين» اسم استفهام تدل على المكان، و«من» اسم استفهام تدل على حقيقة الشيء فبينهما فرق، فكيف يترك رسول الله ﷺ اللفظ الواضح ولا يقول: «من الله» حسب زعمكم.

(١) يقول: إن الرسول ﷺ قال أحاديث كثيرة في صفات الله عز وجل، والأئمة لم يبيئوها كلها للناس خشية عليهم من الافتتان لقصور عقولهم، وإنما يحدثون الناس بحسب ما يعرفون كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله^(*). فإذا جئت عند أناس مبتدئين في طلب العلم أو عوام، أو أنصاف متعلمين فلا تذكر لهم كل العلم، لأن هذا يحملهم على الاستغراب، ولكن أعطهم على قدر عقولهم ولا تحملهم على الفتنة، يقول عبد الله بن مسعود رضي ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة^(**).

(*) رواه البخاري عن علي موقوفاً (١٢٧) بعد أن ذكره تعليقاً ثم عقبه بالإسناد، وانظر «فتح الباري» ٢٩٧/١ كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا.

(**) رواه مسلم في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع من حديث عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن مسعود وإسناده منقطع، فإن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود روايته عن عم أبيه عبد الله بن مسعود مرسلة.

وَعَدَتْ بِصَائِرُهُمْ كَحُقَّاشٍ أَتَى

ضوءُ النهارِ فَكَفَّ عَن طَيْرَانٍ (١)

فالأوجب على المُعلِّم والعالم أن يُعطي الناس على قدر عقولهم ولا يأتي لهم بالغرائب والأشياء التي لا تتحملها عقولهم؛ لئلا يضلوا ويفتنوا، وإذا حدثت العلماء والراسخين في العلم اذكر لهم ما ورد عن الرسول ﷺ لأنَّ عقولهم تتحمل هذه الأمور، هذه هي الطريقة التعليمية الناجحة، وهي التدرج في التعليم.

وكان أبو هريرة راوية الإسلام الذي روى عن رسول الله ﷺ من الأحاديث ما لم يماثله فيه غيره، يقول: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين فأما أحدهما فبئثته، وأما الآخر فلو بئثته قُطِعَ هذا البلعوم (*). والمراد بالذي لم يبئثه: الأحاديث التي فيها تشويش على الناس وإن كانت حقاً ولما كانوا لا يدركون معناها، لم يذكرها لهم، وهي أحاديث الفتن والملاحم التي تأتي في آخر الزمان والتي فيها ذكر الولاية ووجوب الصبر عليهم، لم يبئثها أبو هريرة لكل الناس خشية أن يفتنوا، وإن كان قد بنئها لبعض الخواص، هذه هي الحكمة، فالعالم لا يقول كل ما يعلم، إلا إذا وجد له حملة فحينئذ يُبين لهم.

(١) هذا وصف للمُعطلَّة يقول: إنَّهم مثل الحُقَّاش، الذي يطير في الليل لأنه لا يُناسبه إلا الظلام، وهؤلاء الجهمية مثل الحُقَّاش، إذا جاءت الشبهات والتضليلات نشطوا، وإذا سمعوا النصوص والقرآن والأدلة الصحيحة كذبوا بها وحرَّفوها وطعنوا فيها، لأنه لا يُناسبهم العلم الصحيح وإنما =

(*) أخرجه البخاري عن أبي هريرة موقوفاً (١٢٠)، وانظر «فتح الباري» ١/ ٢٨٥-٢٨٦.

حتى إذا ما الليلُ جاءَ ظلامُهُ

أَبْصَرْتَهُ يَسْعَى بِكُلِّ مَكَانٍ^(١)

وَكَذَا عُقُوبُكُمْ لَوْ اسْتَشَعَرْتُمْ

يَا قَوْمِ كَالْحِشْرَاتِ وَالْفِيرَانِ

= يُنَاسِبُهُم الشبهات والشكوك، وينشطون عند ذلك، وهذه صفة لكلِّ مضللٍّ، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٤٧]، والمتشابه هو الكلام المحتمل الذي يحتاج إلى تفسير وإلى توضيح بأدلةٍ أُخرى. أهل الضلال يأخذونه ولا يرجعون فيه إلى المُحكّم، والراسخون في العلم يردُّون المتشابه إلى المُحكّم، ويفسرون كلام الله وكلام رسوله بعضه ببعض، ويقولون: كلٌّ من عند ربنا، المُحكّم والمتشابه، أمّا أهل الزيغ فيأخذون طرفاً ويتركون الطرف الثاني من أجل الفتنة وتضليل الناس، ويقولون: نحن نستدل بالقرآن والسنة، فتقول لهم كذبتم: لم تستدلوا بالقرآن والسنة لأنكم قطعتم النصوص بعضها عن بعض ولم تفسروا كلام الله بكلام الله ولم تفسروه بكلام النبي ﷺ، فالاستدلال بالمتشابه ليس استدلالاً لا بكلام الله ولا بكلام رسوله.

(١) هذا الحُقَاش، إذا جاء الليل وحلَّ الظلام رأيتَه يطير، وأمّا إذا جاء النهار وانتشر النور فلا ترى منه شيئاً لأنه لا يناسبه النور، كذلك الجهمية وأضرابهم، لا يُنَاسِبُهُم الحق وإنما يُنَاسِبُهُم الباطل فهم إنما ينشطون إذا جاء الباطل.

أَنَسَتْ بِإِيْحَاشِ الظَّلَامِ وَمَا لَهَا
 بِمَطَالَعِ الْأَنْوَارِ قَطُّ يَدَانِ (١)
 لَوْ كَانَ حَقًّا مَا يَقُولُ مُعْطَلٌ
 لِعُلُوِّهِ وَصِفَاتِهِ الرَّحْمَنِ
 لَزِمَتْكُمْ شِنَعٌ ثَلَاثٌ فَارْتَوُّوا
 أَوْ حُلَّةٌ مِنْهُنَّ أَوْ ثِنْتَانِ
 تَقْدِيمُهُمْ فِي الْعِلْمِ أَوْ فِي نُصْحِهِمْ
 أَوْ فِي الْبَيَانِ أَذَاكَ ذُو إِمْكَانِ (٢)
 إِنْ كَانَ مَا قَدْ قُلْتُمْ حَقًّا فَقَدْ
 ضَلَّ السُّورِيُّ بِالسُّوْحِيِّ وَالْقُرَّانِ (٣)

(١) فأنتم مثل الخُفَّاشِ ومثل الحُشْرَاتِ وَالْقُرَّانِ إِنَّمَا تَخْرُجُ فِي اللَّيْلِ، وَأَمَّا فِي النَّهَارِ فَتَخْتَفِي فِي جُحُورِهَا لِأَنَّ النُّورَ يَبْهَرُهَا وَلَا تَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ، فَهَذَا شَبَّهَ أَهْلَ الضَّلَالِ مَعَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

(٢) يَقُولُ: لَوْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولُونَ أَيُّهَا الْجَهْمِيَّةُ وَمَنْ تَبِعَكُمْ لِلزَّمِ أَنْكُمْ أَعْرَفَ بِاللَّهِ مِنْ رَسُولِهِ، أَوْ أَنْكُمْ أَنْصَحَ لِلأُمَّةِ مِنَ الرَّسُولِ، أَوْ أَنْكُمْ أَقْدَرُ عَلَى الْبَيَانِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ كَفَرَ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ هُوَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ، وَهُوَ أَنْصَحُ الْخَلْقِ، وَهُوَ أَقْدَرُ الْخَلْقِ عَلَى الْبَيَانِ.

(٣) الشَّنَاعَةُ الثَّانِيَّةُ إِنْ كَانَ مَا تَقُولُونَ حَقًّا، فَالرُّسُلُ كُلُّهُمْ إِذَا جَهِلُوا، وَإِنَّمَا كَذِبَةٌ، وَإِنَّمَا عَجْزَةٌ عَنِ بَيَانِ الْحَقِّ، لِأَنَّ مَا جَاؤُوا بِهِ عَلَى خِلَافِ مَا تَقُولُونَ، فَلَا بُدَّ أَنَّ الْحَقَّ مَعَكُمْ أَوْ مَعَهُمْ، لَا يَجْتَمِعُ قَوْلُكُمْ وَقَوْلُهُمْ أَبَدًا.

إذ فيهما ضِدُّ الذي قُلْتُمْ وما
 ضِدَّانِ في المعقول يجتمعان^(١)
 بل كان أولى يُعْطَلُ منهما
 ويُحَالُ في علمٍ وفي عِرْفَانِ
 إِمَّا على جَهْمٍ وجَعْدٍ أو على النَّدِ
 نِظَامٍ أو ذِي المذهبِ اليوناني^(٢)
 وكذلك أتباعُ لَهُم فَقَّعُ الفِلا
 صُمَّمٌ وبُكْمٌ تابعو العُمَيَّانِ^(٣)
 ذاك أفرأخ القرامطة الأولى
 قد جاهروا بعداوةِ الرَّحْمَنِ

(١) هذه قاعدة، وهي أنه لا يجتمع الحقُّ والباطل ولا النور والظلام ولا
 يجتمع الهدى والضلال.

(٢) الشناعة الثالثة لو كان ما تقولون حقاً ما احتجنا إلى الوحي وإلى الرسل،
 وكنا نُحَالُ إلى الجهم بن صفوان أو الجعد بن درهم أو النظام إمام
 المعتزلة أو غيرهم من فلاسفة اليونان ولا نحتاج إلى وحي ولا إلى رسل.

(٣) يعني إذا كان الكتاب والسنة لا يصلحان للاتباع بزعمكم فإن الناس يجب
 عليهم اتباع أئمة أهل الضلال وأتباعهم على الباطل ممن لا يسمعون
 الحق ولا يبصرونه فهم كالعميان.

وقوله: «فَقَّعُ الفِلا»، الفَقَّع: الكمأة، وهذا النوع هو أردؤها،
 والجمع فِقْعَةٌ - ويقال للدليل: هو أذل من فِقَّع بقرقرة، لأنه لا يمتنع على
 من اجتنائه، أو لأنه يوظأ بالأرجل.

كالحَاكِمِيَّةِ وَالْأَوْلَى وَالْوَهُمُ

كَأَبِي سَعِيدٍ ثُمَّ آلِ سِنَانٍ (١)

وَكَذَا ابْنُ سِينَا وَالنَّصِيرُ نَصِيرُ أَهْ

لِ الشَّرِكِ وَالتَّكْذِيبِ وَالكُفْرَانِ (٢)

وَكَذَاكَ أَفْرَاحُ المَجُوسِ وَشَبَّهُهُمُ

وَالصَّابِئِينَ وَكُلِّ ذِي بُهْتَانٍ (٣)

إِخْوَانُ إبْلِيسَ اللَّعِينِ وَجُنْدُهُ

لَا مَرْحَبًا بِعَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ (٤)

أَفَمَنْ حَوَالَتُهُ عَلَى التَّنْزِيلِ وَالْ

وَحْيِ المُبِينِ وَمُحَكِّمِ الفُرْقَانِ

(١) يقول: أو يتبع الناس على قولكم ملاحدة الباطنية الإسماعيلية من القرامطة والفاطميين أتباع الحاكم العبيدي ومن سار على نهجهم من الملاحدة، وآل سنان طائفة من الإسماعيلية، وهؤلاء يُقال لهم: الباطنية وهم أكفر الخلق - والعياذ بالله - بقولون على الله ورسوله ودينه من الكفر والإلحاد ما لم يقله غيرهم، ويقولون: السنة والقرآن لهما ظاهر وباطن وهم يأخذون بالباطن بزعمهم ويتركون ظاهر القرآن والسنة.

(٢) تقدم الكلام عن هذين الملحدين بما فيه كفاية - إن شاء الله -.

(٣) المجوس هم الذين يعبدون النار، وأمَّا الصابئة فهم الذين يقصدون الكواكب والنجوم ويعبدونها.

(٤) كل الذين مر ذكرهم من القرامطة والباطنية وغيرهم من طوائف الضلال على اختلاف نحلهم لا مرحباً بهم لأنهم أعداء الله وأعداء الدين في كلِّ زمانٍ ومكان.

كَمْحَيَّرِ أَضَحَتْ حِوَالَّتُهُ عَلَى

أَمْثَالِهِ أَمْ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ (١)

أَمْ كَيْفَ يَشْعُرُ تَائَهُ بِمُصَابِهِ

وَالْقَلْبُ قَدْ جُعِلَتْ لَهُ قُفْلَانِ

قُفْلٌ مِنَ الْجَهْلِ الْمَرْكَبِ فَوْقَهُ

قُفْلُ التَّعَصُّبِ كَيْفَ يَنْفَتِحَانِ (٢)

(١) هل يستوي من عمدته الوحي المُنزَّل من الله عزَّ وجل وهم أهل السنة والجماعة ومن عمدته ضلالات البشر، لا يستويان عند الله سبحانه وتعالى.

(٢) من ابتلي بالضلال فإنه لا رجاء في رجوعه، لأنه إذا فسد القلب فإنه لا رجاء في صاحبه، وما دام القلب فيه حياة ولو قليلة ففيه رجاء أنه يقبل الحق ويرجع، لكن إذا انطمس القلب ولم يبق فيه حياة ولا قبول للحق فإنه لا فائدة فيه، وهذه قلوب أهل الضلال - والعياذ بالله - قال الله تعالى - في المنافقين: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٦-٧]، فهذا مثل هؤلاء المعطلة، هم من الذين طبع الله على قلوبهم وختم الله على قلوبهم بسبب أنهم رفضوا الوحي، وإذا أعرض الإنسان عن الوحي ابتلي بفساد القلب، ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف: ٥] وهذا يكون على قلبه قفلان: قفل من الجهل المركب وهو: الذي صاحبه لا يدري ولا يدري أنه لا يدري. والقفل الثاني: هو التعصب، وهذا هو المصيبة. إن الإنسان يتعصب للباطل مع علمه أنه ليس على حق وهذا يُبتلى بالزيغ.

وَمَفَاتِحُ الْأَقْفَالِ فِي يَدِ مَنْ لَهُ التَّ

تَصْرِيفُ سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ (١)

فَاسْأَلُهُ فَتَحَ الْقَفْلَ مَجْتَهِدًا عَلَى الْ

أَسْنَانِ إِنَّ الْفَتْحَ بِالْأَسْنَانِ (٢)

(١) هذه الأقفال لا يقدر على فتحها إلا الله سبحانه وتعالى فهو الذي بيده القلوب يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكنّه من حكمته ورحمته أنّ من أعرض عن الحقّ رغبةً عنه وزهداً فيه أنّ الله يُعَاقِبُهُ فَلَا يَقْبَلُ الْحَقَّ وَلَا يَهْدِيهِ اللَّهُ لِلْحَقِّ عَقُوبَةً لَهُ.

(٢) فاسأل الله أن يفتح قلبك لقبول الحقّ وأكثر من الدعاء، وكان النبي ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» (**). فالإنسان يسأل الله أن يهدي قلبه إلى الحقّ، ولهذا كان ﷺ يفتتح تهجدهً بالليل فيقول في استفتاحه «اللهم ربّ جبرائيلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ فاطرَ السموات والأرضِ، عالمَ الغيبِ والشهادةِ. أنتَ تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدني لما اختلفَ فيه من الحقِّ بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم» (**). فدلّ على الحاجة إلى الدعاء في طلب الهداية وقوله: إن الفتح بالأسنان، معناه: أن الدعاء لا بد معه من عمل صالح فالأعمال الصالحة هي أسنان المفتاح. ومفتاح بدون أسنان لا يفتح.

(*) أخرجه الترمذي (٢١٤٠)، وابن ماجه (٣٨٣:٤) من حديث أنس بن مالك، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(**) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ١٢٧/٤٢ (٢٥٢٢٥)، ومسلم (٧٧٠)، وأبو داود (٧٦٧)، والترمذي (٣٤٢٠)، والنسائي ٣/٢١٢-٢١٣، وابن ماجه (١٣٥٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فصل

هَذَا وَخَاتَمُ الْعِشْرِينَ وَجْهًا
 وَهُوَ أَقْرَبُهَا إِلَى الْأَذْهَانِ
 سَرْدُ النُّصُوصِ فَإِنَّهَا قَدْ نَوَّعَتْ
 طُرُقَ الْأَدَلَّةِ فِي أَتَمِّ بَيَانِ
 وَالنَّظْمِ يَمْنَعُنِي مِنْ اسْتِيفَائِهَا
 وَسِيَاقَةَ الْأَلْفَاظِ بِالْمِيزَانِ^(١)
 فَأَشِيرُ بَعْضَ إِشَارَةِ لِمَوَاضِعِ
 مِنْهَا وَأَيْنَ الْبَحْرِ مِنْ خُلْجَانِ
 فَاذْكُرْ نِصُوصَ الْإِسْتِوَاءِ فَإِنَّهَا
 فِي سَبْعِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ^(٢)
 وَادْكُرْ نِصُوصَ الْفَوْقِ أَيْضًا فِي ثَلَاثِ
 ثِي قَدْ غَدَّتْ مَعْلُومَةُ التَّبْيَانِ^(٣)

(١) يقول: الدليل العشرون من أدلة العلو: سوق النصوص الدالة على العلو في القرآن، وفي السنة وهي كثيرة لا أستطيع حصرها بالنظم لأن النظم ضيق.

(٢) نصوص الاستواء في سبعة مواضع من القرآن، في سورة الأعراف [٥٤]، وفي سورة يونس [٣]، وفي سورة الرعد [٢]، وفي سورة طه [٥]، وفي سورة الفرقان [٥٩]، وفي سورة الم السجدة [٤]، وفي سورة الحديد [٤].

(٣) في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾، في آيتين من سورة الأنعام [١٨] و[٦١]: وفي قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [٥٠] من سورة النحل.

واذكر نصوصَ علُوِّه في خمسة

معلومة برئت من الثَّقْصَانِ (١)

واذكر نصوصاً في الكتاب تَضَمَّنَتْ

تنزيله من ربِّنا الرَّحْمَنِ

فَتَضَمَّنَتْ أَصْلِينَ قَامَ عَلَيْهِمَا الـ

إِسْلَامٌ وَالْإِيمَانُ كَالْبُنْيَانِ

كُونَ الْكِتَابُ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ

وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ (٢)

وَعِدَادُهَا سَبْعُونَ حِينَ تَعُدُّ أَوْ

زَادَتْ عَلَى السَّبْعِينَ فِي الْحُسْبَانِ (٣)

(١) في قوله: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] و [الشورى: ٤]. وقوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤]. وقوله: ﴿ الْكَبِيرُ

الْمُتَعَالَى ﴾ [الرعد: ٩] وقوله: ﴿ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢].

وقوله: ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١].

(٢) ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الزمر: ١] والتنزيل والنزول إنما

يكون من أعلى.

(٣) ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ ﴾ دلَّ على مسألتين:

الأولى: علوُّ الله، فإنَّ التنزيل لا يكون إلا من العلو.

الثانية: أنَّ القرآن كلام الله منزلٌ غير مخلوق.

وَاذْكُرْ نُصُوصاً ضُمِّنْتَ رُفْعاً وَمَعْدُ

رَاجِئاً وَإِصْعَاداً إِلَى الدِّيَّانِ (١)

هِيَ خُمْسَةٌ مَعْلُومَةٌ بِالْعَدِّ وَالْ

حُسْبَانِ فَاطْلُبْهَا مِنَ الْقُرْآنِ

وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ الْمَلِكِ الَّتِي

تُنَجِّي لِقَارِئِهَا مِنَ النَّيرانِ

نَصَّانِ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ

عِنْدَ الْمُحَرِّفِ مَا هُمَا نَصَّانِ (٢)

(١) النصوص التي فيها: العُروج، والعُروج هو الصعود، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] والآيات التي فيها الرفع إليه فقال تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] يعني: المسيح عليه السلام.

(٢) ورد في سورة الملك أنها تشفع لصاحبها، فقد روي عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية، شفعت لرجل حتى غفر له، وهي: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]» (*). وقد ورد فيها نَصَّانِ صريحان أن الله عز وجل في السماء وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [الملك: ١٦] وقوله جل وعلا: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [الملك: ١٧].

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٥٣/١٣ (٧٩٧٥)، والترمذي (٢٨٩١)، وأبو داود (١٤١٠) من حديث أبي هريرة، وهو حديث حسن لغيره، انظر تمام تخريجه وتنقيده في «المسند».

ولقد أتى التخصيصُ بالعندِ الذي

قُلْنَا بِسَبْعِ بِلْ أَتَى بِثَمَانِ

منها صريحٌ موضعانِ بسورةِ آل

أعرافٍ ثمَّ الأنبياءِ الثاني (١)

فَدَبَّرَ التَّعْيِينَ وَانظُرْ مَا الَّذِي

لِسِوَاهُ لَيْسَتْ تَقْتَضِي النَّصَانَ

وبسورةِ التحريمِ أيضاً ثالثٌ

بِأَدْيِ الظُّهُورِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ (٢)

ولديه في مُزْمَلٍ قَدْ بَيَّنَّتْ

نَفْسَ الْمُرَادِ وَقَيَّدَتْ بَيْنَانِ (٣)

لَا تَنْقُضِ الْبَاقِي فَمَا لِمُعْطَلٍ

مِنْ رَاحَةٍ فِيهَا وَلَا تَبَيَانَ

(١) في . قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾

[الأعراف: ٢٠٦] وفي سورة الأنبياء ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا

يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]، فالعندية تقتضي العلو، لأنه لو لم يكن

المراد به العلو لصار كل الخلق عنده وهذا باطل، فالعندية تقتضي

الخاصية.

(٢) وهو قول امرأة فرعون: ﴿رَبِّ أَبْنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ...﴾ [التحریم:

٢١] يدل على علو الله سبحانه وتعالى.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَمَا تَقْلِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَحَدُّوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] يقتضي

الخصوصية لهذا العمل.

وبسورة الشورى وفي مُزْمَلٍ
 سِرٌّ عَظِيمٌ شَأْنُهُ ذُو شَانٍ
 فِي ذِكْرِ تَفْطِيرِ السَّمَاءِ فَمَنْ يُرِدْ
 عِلْمًا بِهِ فَهُوَ الْقَرِيبُ الدَّانِي (١)
 لَمْ يَسْمَحِ الْمَتَأَخِّرُونَ بِنَقْلِهِ
 جُبْنًا وَضَعْفًا عَنْهُ فِي الْإِيمَانِ
 بَلْ قَالَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ فَوَارِسُ الْ
 إِسْلَامِ هُمْ أَمْرَاءُ هَذَا الشَّانِ
 وَمُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ فِي
 تَفْسِيرِهِ حُكِيَتْ بِهِ الْقَوْلَانِ (٢)

* * *

(١) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴾ [الشورى: ٥] وَقَوْلِهِ:
 ﴿ السَّمَاءُ مَنفَطِرٌ بِهِ ﴾ [المزمل: ١٨] ذَلِكَ لِعَظْمَةِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(٢) وَهَذَا الْاِسْتِدْلَالُ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ مِنْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ سُورَةِ الشُّورَى وَسُورَةِ
 الْمَزْمَلِ فَقَدْ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقَوْلُهُ: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴾
 [الشورى: ٥] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ: تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَشَقَّقْنَ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِينَ
 مِنْ عَظْمَةِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ. أَمَّا الْآيَةُ الْمَذْكُورَةُ مِنْ سُورَةِ الْمَزْمَلِ فَإِنَّ الضَّمِيرَ
 فِي (بِهِ) عَائِدٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَهَذَا الْمَعْنَى نَصَّ عَلَيْهِ الْأَيْمَةُ الْقُدَمَاءُ، أَمَّا
 الْمَتَأَخِّرُونَ فَإِنَّهُمْ سَكَتُوا عَنْهُ مِنْ بَابِ عَدَمِ الْجُرْأَةِ عَلَى ذَلِكَ وَخَوْفًا مِنْ
 أَهْلِ زَمَانِهِمْ، وَالْحَقُّ يَجِبُ أَنْ يُقَالَ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَلَا نُخَشَى فِي اللَّهِ
 لَوْمَةَ لَائِمٍ..

فصل

هذا وحاديها وعشرون الذي

قد جاء في الأخبارِ والقرآنِ

إتيانُ ربِّ العرشِ جلَّ جلالهُ

ومجيئُهُ لِلْفُضْلِ بِالْمِيزَانِ

فانظرْ إلى التَّقْسِيمِ وَالتَّنْوِيعِ فِي الْ

قُرْآنِ تُلْفِيهِ صَرِيحَ بَيَانٍ^(١)

(١) الحادي والعشرون من أدلة علو الله على عرشه: إخبارُهُ سبحانه أَنَّهُ يَأْتِي

يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفُضْلِ الْقَضَاءِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ

مِنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة: ٢١٠]

وكذلك مجيئُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢]

والإتيان والمجيء بمعنى واحد، وهذا الإتيان وهذا المجيء حقيقي.

يأتي سبحانه وتعالى بذاته كما يليق بجلاله، ليس كمجيء وإتيان

المخلوقين، وإنما هو إتيانٌ ومجيءٌ لا يعلم كيفيتهما إلا الله تعالى،

ووجه الدلالة من ذلك على العلو: أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ مِنْ يَمِينٍ أَوْ مِنْ

شمالٍ أَوْ مِنْ أَمَامٍ أَوْ مِنْ خَلْفٍ فَهُوَ مَنْزَهُ عَنْ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ

لَزِمَ الْحُلُولَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَدَلَّ عَلَى إِثْبَاتِ الْعُلُوِّ، وَأَمَّا

مَنْ يَقُولُ: يَأْتِي وَيَجِيءُ أَمْرُهُ فَهُوَ تَأْوِيلٌ بَاطِلٌ وَيَلْزَمُ عَلَيْهِ أَنْ يُقَدَّرَ كَلِمَةٌ

فِي الْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِهِ فَيَقُولُ: يَأْتِي وَيَجِيءُ أَمْرُهُ، وَأَمْرُهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى

يَأْتِي فِي كُلِّ وَقْتٍ وَيَنْزِلُ فِي كُلِّ وَقْتٍ فَلِمَاذَا يَخْتَصُّ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ.

إِنَّ الْمَجِيءَ لِدَاتِهِ لَا أَمْرِهِ
 كَلًّا وَلَا مَلِكٍ عَظِيمِ الشَّانِ
 إِذْ ذَاكَ الْأَمْرَانِ قَدْ ذُكِرَا وَيَّ
 نَهُمَا مَجِيءُ الرَّبِّ ذِي الْغُفْرَانِ
 وَاللَّهُ مَا احْتَمَلَ الْمَجِيءُ سِوَى مَجِي
 الذَّاتِ بَعْدَ تَبَيُّنِ الْبُرْهَانِ
 مِنْ أَيْنَ يَأْتِي يَا أُولِي الْمَعْقُولِ إِنَّ
 كُنْتُمْ ذَوِي عَقْلٍ مَعَ الْعِرْفَانِ
 مِنْ فَوْقِنَا أَوْ تَحْتِنَا أَوْ عَنْ شَمَا
 ثَلْنَا وَمِنْ خَلْفٍ وَعَنْ أَيْمَانٍ^(١)

(١) أي يأتي بذاته سبحانه وليس المراد يأتي أمره، أمّا الذين أوّلوا المجيء
 بأنه مجيء أمره فهذا تأويل باطل لا دليل عليه، وهذا يلزم منه حمل
 القرآن على المجاز ونفي الحقيقة وهذا باطل، فالقرآن حقيقة وليس فيه
 مجاز، خصوصاً في حقّ الرب سبحانه وتعالى.
 وفي قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ
 بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ذكر مجيء الملائكة ومجيء الرب
 ومجيء الأمر، أي: مجيء بعض آيات الرب وهو طلوع الشمس من
 مغربها في آخر الزمان، وعطف هذا على هذا فدلّ على المغايرة، فقوله:
 ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ لا يحتمل غير مجيء الرب بذاته تعالى، لأن مجيء
 الملائكة قد تقدم، ومجيء الأمر - وهو بعض الآيات - تأخر، ومجيء
 الرب بينهما.

والله لا يأتِيهِمْ مِنْ تَحْتِهِمْ

أَبْدًا تَعَالَى اللهُ ذُو السُّلْطَانِ

كَلًّا وَلَا مِنْ خَلْفِهِمْ وَأَمَامِهِمْ

وَعَنْ الشَّمَائِلِ أَوْ عَنِ الْإِيمَانِ

والله لا يأتِيهِمْ إِلَّا مِنْ أَلْفِ

عُلُوِّ الَّذِي هُوَ فَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ (١)

* * *

(١) هل تقولون: إنه يأتي من يمين أو من شمال أو من خلف أو من أمام، فيلزم الباطل والحلول، بل لا بد أنه يأتي من أعلى، وهذا يدل على علوه سبحانه وتعالى.

فصل

في الإشارة إلى ذلك في السنة^(١)

وَأَذْكُرُ حَدِيثاً فِي الصَّحِيحِ تَضَمَّنَتْ
 كَلِمَاتُهُ تَكْذِيبَ ذِي الْبُهْتَانِ
 لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلِيقَةَ رَبُّنَا
 كَتَبَتْ يَدَاهُ كِتَابَ ذِي الْإِحْسَانِ
 وَكِتَابُهُ هُوَ عِنْدَهُ وَضَعُ عَلَى الْ
 عَرْشِ الْمَجِيدِ الثَّابِتِ الْأَرْكَانِ
 إِنِّي أَنَا الرَّحْمَنُ تَسْبِقُ رَحْمَتِي
 غَضَبِي وَذَلِكَ لِرَأْفَتِي وَحَنَانِي^(٢)

(١) لَمَّا فَرِغَ مِنْ ذِكْرِ أُدْلَةِ الْقُرْآنِ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ، أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ أَمْثَلَةً مِنْ السَّنَةِ تَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ، لِأَنَّ السَّنَةَ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْقُرْآنِ، فَيُسْتَدَلُّ بِهَا كَمَا يُسْتَدَلُّ بِالْقُرْآنِ، لِأَنَّ الْكُلَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(٢) هَذَا الدَّلِيلُ الْأَوَّلُ مِنَ السَّنَةِ وَهُوَ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَاباً قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنْ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»(*) فَدَلَّ عَلَى عُلُوِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لِأَنَّ اخْتِصَاصَ هَذَا الْكِتَابِ =

ولقد أشار نبيُّنا في خُطْبَةٍ
 نحوَ السماءِ بأصْبَعٍ وبنانِ
 مُسْتَشْهِدِ رَبِّ السَّمَوَاتِ العُلَى
 ليرى وَيَسْمَعَ قَوْلَهُ الثَّقَلَانِ (١)
 أترأه أَمْسَى لِلسَّمَا مُسْتَشْهِدًا
 أم للذي هو فوق ذِي الأَكْوَانِ (٢)

= بَأَنَّهُ (عنده) كاختصاص بعض الملائكة بأنهم عنده ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] ولو كان المراد بالعندية هنا عندية المَلِكِ لم يكن للملائكة ولا لهذا الكتاب ميزة إذ الجميع في مُلْكِ الله سبحانه وتعالى، فتخصيص هذا الكتاب بَأَنَّهُ عنده، يدل على مباينته لخلقه سبحانه وتعالى، وكذلك الإخبار عن بعض الملائكة بأنهم عنده، أيضاً يدلُّ على مباينته لخلقه.

(١) هذا الدليل الثاني: وهو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا خَطَبَ الْمُسْلِمِينَ فِي عَرْفَةَ - يَوْمِ حِجَّةِ الْوَدَاعِ - قَالَ: «هَلْ بَلَّغْتَ» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ بَلَّغْتَ وَنُصِّحْتَ، فَرَفَعَ أَصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ إِشَارَةً إِلَى رَبِّهِ يَسْتَشْهِدُهُ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ» (*) فِهَذَا دَلِيلٌ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ، لَمْ يُشْرَ إِلَى الْيَمِينِ أَوْ الشَّمَالِ أَوْ إِلَى الْخَلْفِ أَوْ إِلَى الْأَمَامِ بَلْ أَشَارَ إِلَى الْعُلُوِّ وَهَذَا وَاضِحٌ.

(٢) إِشَارَتُهُ لِلسَّمَاءِ: هَلْ يَسْتَشْهِدُ السَّمَاءَ الْمَخْلُوقَةَ أَوْ يَسْتَشْهِدُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَهُوَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هَذَا هُوَ الْحَقُّ أَنَّهُ يَسْتَشْهِدُ اللَّهَ جَلًّا وَعَلَا، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ فِي الْعُلُوِّ.

ولقد أتى في رُقِيَةِ المَرَضِيِّ عن الـ

هَادِي المُبِينِ أَتَمُّ مَا تَبَيَّنَ

نَصْرٌ بِأَنَّ اللهَ فَوْقَ سَمَائِهِ

فَاسْمَعُهُ إِنَّ سَمِعْتَ لَكَ الأَذْنَانِ^(١)

ولقد أتى خَبَرٌ رَوَاهُ عَمُّهُ الـ

عَبَّاسُ صِنُو أَبِيهِ ذُو الإِحْسَانِ^(٢)

(١) النبي ﷺ لَمَّا رَقِيَ المَرِيضُ قَالَ: «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك...»^(*) فقولُه: «ربنا الله الذي في السماء» هذا إثبات للعلو، والسماء المراد بها العلو، وتكون في ظرفية، يعني في العلو، وإن أريد السماء المبنية فـ«في» بمعنى «على»، قال جل وعلا: ﴿ءَأَمِنُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] أي: من على السماء، كقولُه تعالى: ﴿فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧] يعني: على الأرض، ﴿وَلَأَصْلَبَنَّهُمْ فِي جُدُوعِ التَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: على، فـ«في» تأتي بمعنى «على».

(٢) هذا من أدلة السُّنَّةِ على علوِّ الله على عرشه وهو حديث العباس بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ «حديث الأوعال المشهور»^(**)، الذي ذكر فيه النبي ﷺ صفة السموات وما بينها من المسافات، وذكر العرش، ثم ذكر البحر الذي فوق السماوات وذكر حملة العرش، وذكر أَنَّ الله فوق =

(*) أخرجه أبو داود (٣٨٩٢) من حديث أبي الدرداء.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٩٢/٣ (١٧٧٠)، وأبو داود (٤٧٢٣)، وابن ماجه

(١٩٣)، والترمذي (٣٣٢٠).

أَنَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى مِنْ فَوْقِهَا أَلْ
 كُرْسِي عَلَيْهِ الْعَرْشُ لِلرَّحْمَنِ
 وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ يَنْظُرُ خَلْقَهُ
 فَاَنْظُرُهُ إِنْ سَمَحْتَ لَكَ الْعَيْنَانِ
 وَاذْكَرْ حَدِيثَ حُصَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ الثُّ
 ثِقَةَ الرِّضَا أَعْنِي أَبَا عِمْرَانَ
 إِذْ قَالَ رَبِّي فِي السَّمَاءِ لِرَغْبَتِي
 وَلرَهْبَتِي أَدْعُوهُ كُلَّ أَوَانٍ
 فَأَقْرَهُ الْهَادِي الْبَشِيرُ وَلَمْ يَقُلْ
 أَنْتَ الْمُجَسَّمُ قَائِلٌ بِمَكَانٍ
 حَيَّرَتْ بِلَ جِيَّهَتْ بِلَ شَبَّهَتْ بِلَ
 جَسَّمَتْ لَسَتْ بِعَارِفِ الرَّحْمَنِ
 هَذَا مَقَالَتُهُمْ لَمَنْ قَدْ قَالَ مَا
 قَدْ قَالَهُ حَقًّا أَبُو عِمْرَانَ (١)

= ذلك كله، فهذا دليل على إثبات العلو لله تعالى. الصنو معناه: القرين،
 قال تعالى: ﴿وَزَرَعَ وَيَحْتَلِ صَنَوَانٌ وَغَيْرُ صَنَوَانٍ﴾ [الرعد: ٤] يعني: أن العباس
 رضي الله عنه صنو أبي النبي ﷺ وهذا مدح للعباس.

(١) لما جاء حصين والد عمران بن حصين قبل أن يسلم إلى النبي ﷺ فقال
 له: «يا حصين، كم تعبد اليوم إلهاً؟» قال: أعبد سبعة آلهة، ستة في
 الأرض وواحد في السماء، قال: «أيُّهم الذي تعدُّ لحاجتك وضرورتك =

فَاللَّهُ يَأْخُذُ حَقَّهُ مِنْهُمْ وَمِنْ
 أَتْبَاعِهِمْ فَالْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ
 وَاذْكَرْ شَهَادَتَهُ لِمَنْ قَدْ قَالَ رَبِّ
 بِي فِي السَّمَاءِ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ^(١)
 وَشَهَادَةَ الْعَدْلِ الْمُعْطَلِ لِلَّذِي
 قَدْ قَالَ ذَا بِحَقِيقَةِ الْكُفْرَانِ^(٢)

= قال: «الذي في السماء» فعرض عليه النبي ﷺ الإسلام فأسلم^(*).
 والشاهد أن الذي يُعَدُّه لحاجته وضرورته هو الذي في السماء فهذا فيه
 إثبات أن الله في السماء، وأقره ﷺ على ذلك، ولم يقل له: أنت
 المُجَسَّم كما تقولهُ الجهمية لمن يثبت العلو. لم يقل النبي ﷺ لحصين
 هذه التشيعات التي تقولها الجهمية لمن يثبت العلو، يُنْفَرُونَ بها من
 الحق، وهكذا أشباههم في كلِّ زمان يُنْفَرُونَ من الحق بألقابٍ يأتون بها
 لأهل الحق.

(١) هذا دعاءٌ عليهم، بأن الله يأخذ حقَّ أهل الحقِّ من هؤلاء الذين يؤذونهم
 ويُسْنَعُونَ عليهم.

(٢) يشير إلى حديث الجارية التي جاء بها سيدها يريد أن يعتقها، فجاء إلى
 النبي ﷺ بها فقال لها: «أين الله؟» قالت: «في السماء» قال: «من أنا»
 قالت: «أنت رسول الله» قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»^(**). فأقرها على
 قولها: «إنَّ الله في السماء» وشهد لها بالإيمان فهذا دليل على إثبات أن
 الله جلَّ وعلا في السماء.

(*) أخرجه الترمذي (٣٤٨٣) من حديث عمران بن الحصين.

(**) سلف تخريجه ص ٣١٩.

واحْكُمُ بِأَيِّهِمَا تَشَاءُ وَإِنِّي
 لَأُرَاكَ تَقْبَلُ شَاهِدَ الْبُطْلَانِ
 إِنْ كُنْتَ مِنْ أَتْبَاعِ جَهَنَّمَ صَاحِبِ الثَّ
 تَعْطِيلِ وَالْبُهْتَانِ وَالْعُدْوَانِ (١)
 وَاذْكَرْ حَدِيثًا لِابْنِ إِسْحَاقَ الرِّضَا
 ذَاكَ الصَّدُوقُ الْحَافِظُ الرَّبَّانِي
 فِي قِصَّةِ اسْتِسْقَائِهِمْ يَسْتَشْفِعُو
 نَ إِلَى الرَّسُولِ بِرَبِّهِ الْمَتَّانِ
 فَاسْتَعْظَمَ الْمُخْتَارُ ذَاكَ وَقَالَ شَأْ
 نُ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ أَعْظَمُ شَأْنِ (٢)
 اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ فَوْقَ سَمَائِهِ
 سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالسَّلْطَانِ
 وَلِعَرْشِهِ مِنْهُ أَطْيَطُّ مِثْلَ مَا
 قَدْ أَطَّ رَحْلُ الرَّاكِبِ الْعَجْلَانِ (٣)

(١) وفرق بين شهادة الرسول ﷺ بالإيمان لمن أثبت أن الله في السماء، ومن أثبت له الكفر وهم الجهمية. فقولهم ضد قول الرسول ﷺ، فهم أولى بالكفر - والعياذ بالله - لأنهم أنكروا ما أثبتهُ الرسول ﷺ.

(٢) فهل تتبع مقالة الرسول ﷺ أو تتبع مقالة الجهم، فإن أثبت العلو فانت متبع للرسول ﷺ وإن نفيت العلو فانت متبع لقول الجهم بن صفوان ويكون هو قدوتك وإمامك وبئس الإمام وبئس القدوة.

(٣) يشير إلى حديث رواه ابن إسحاق صاحب السيرة - وهو الإمام المشهور - في قصة الذي جاء إلى النبي ﷺ يشكو إليه امتناع المطر وطلب من النبي =

لله ما لقي ابنُ إسحاقَ من الـ

جَهْمِيّ إِذ يرميه بِالْعَدْوَانِ

وَيَظُلُّ يمدحُه إِذَا كَانَ الَّذِي

يَرَوِي يُوَافِقُ مذهبَ الطَّعَّانِ

كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْهُمْ أَمْثَالَ ذَا

فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الشَّانِ

= **رَضِيَ اللَّهُ** أَنْ يَسْتَسْقِيَ لَهُمْ، وَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ، لَكِنْ فِي النِّهَايَةِ قَالَ: فَإِنَا نَسْتَشْفَعُ بِكَ عَلَيَّ اللَّهُ وَنَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ. فَعِنْدَ ذَلِكَ غَضِبَ النَّبِيُّ **رَضِيَ اللَّهُ** وَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيَّ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ» لِأَنَّ هَذَا تَنْقِصٌ لِلَّهِ تَعَالَى، فَكَأَنَّ الْمَخْلُوقَ صَارَ أَعْلَى مِنَ الْخَالِقِ لِأَنَّ الْمَشْفُوعَ عِنْدَهُ أَعْظَمُ مِنَ الشَّافِعِ. وَالشَّاهِدُ مِنَ الْحَدِيثِ: - أَنَّ الرَّسُولَ **رَضِيَ اللَّهُ** قَالَ لَهُ: «وَيْحَكَ، أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟» ثُمَّ إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشَارَ إِلَى أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَفَوْقَ مَخْلُوقَاتِهِ، فَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهَذَا فِيهِ إِثْبَاتُ الْعُلُوِّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَفِي الْحَدِيثِ نَفْسَهُ أَخْبَرَ **رَضِيَ اللَّهُ** أَنَّ الْعَرْشَ يَطُّ مِنْ عِظْمَةِ اللَّهِ وَاسْتَوَاءَهُ عَلَيْهِ، كَمَا يَطُّ الرَّحْلُ بِالرَّاكِبِ^(*)، فَكَذَلِكَ الْعَرْشُ يَطُّ مِنْ اسْتَوَاءِ اللَّهِ، مَعَ أَنَّ الْعَرْشَ أَعْظَمُ الْمَخْلُوقَاتِ، فَدَلَّ عَلَيَّ عِظْمَةِ اللَّهِ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِهِ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ الضَّعْفَاءِ.

(*) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٧٢٦) مِنْ حَدِيثِ جَبْرِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ جَبْرِ بْنِ مَطْعَمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ.

هذا هو التطفيفُ لا التطفيفُ في

ذَرْعٍ وَلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانٍ (١)

وَأَذْكَرُ حَدِيثَ تَزْوِيلِهِ نِصْفَ الدُّجَى

فِي ثُلُثِ لَيْلٍ آخِرٍ أَوْ ثَانِي

فَنَزُولُ رَبِّ لَيْسَ فَوْقَ سَمَائِهِ

فِي الْعَقْلِ مُمْتَنِعٌ وَفِي الْقُرْآنِ (٢)

(١) صار الجهمية يُشنعون على ابن إسحاق، راوي هذا الحديث ويصفونه بالأوصاف القبيحة كعادتهم مع غيره من أهل الحق، وما ذنب ابن إسحاق إلا أَنَّهُ رَوَى حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي يُخَالِفُ رَأْيَهُمْ وَيُخَالِفُ مَذْهَبَهُمْ.

أَمَا لَوْ رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ مَا يُوَافِقُ مَذْهَبَ الْجَهْمِيَّةِ فَإِنَّهُمْ يَفْرَحُونَ بِذَلِكَ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَلَا يَتَّبِعُونَ مَا جَاءَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ لَا يُنصِتُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْتَرِ بِهَدْيِ بَنِي اللَّهِ... ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقوله: هذا هو التطفيف، التطفيف: هو التقصير، قال تعالى: ﴿ وَيَلْئَلِ الْمُتَطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين: ١]، وكذلك البخس، وهو نقص المكائيل والموازين، فالجهمية وأضرابهم من أعظم المطففين، ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزَنُوا لَهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ [المطففين: ٢-٣] فما وافق أهواءهم فرحوا به ومدحوه، وما خالف أهواءهم كذبوه ودَّموه، فهذا هو التطفيف وهو تطفيف معنوي.

(٢) من أدلة علو الله على عرشه: حديث النزول المتواتر: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يسألني =

واذكر حديثَ الصادقِ ابنِ رِواحةٍ
 في شأنِ جارِيَةٍ لَدَى الغُشَيَّانِ
 فِيهِ الشَّهَادَةُ أَنَّ عَرشَ اللَّهِ فَوْقَ
 قَاءِ المَاءِ خَارِجَ هَذِهِ الأَكْوَانِ
 وَاللَّهُ فَوْقَ العَرشِ جَلَّ جَلالُهُ
 سُبْحانَهُ عَن نَفِي ذِي البُهْتانِ
 ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ فِي اسْتِيعابِهِ
 هَذَا وَصَحَّحَهُ بِلا نَكَرَانِ (١)

= فَأُعْطِيهِ، مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُ فَأَغْفِرُ لَهُ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ
 حَتَّى يَطْلُعَ الفَجْرُ (٢) وَالنَّزُولُ يَلْزَمُ مِنْهُ العُلُوُّ، لِأَنَّ النَّزُولَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ
 عُلُوٍّ، وَلَكِنْ هَذَا النَّزُولُ لَيْسَ كَنَزُولِ المَخْلُوقِ وَلَكِنَّهُ نَزُولُ الخالِقِ فَهُوَ
 يَلِيْقُ بِجِلالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَلَا نَعْلَمُ كِيفِيَتَهُ، لَكِنْ نُثَبِّتُهُ وَنُؤْمِنُ بِهِ، وَنَزُولُ اللَّهِ
 إِلَى السَّماءِ الدُّنْيَا لَيْسَ مَمْتَنَعاً عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ يَفْعَلُ ما يَشَاءُ سُبْحانَهُ وَتَعَالَى،
 وَأَمَّا كِيفِيَةُ النَّزُولِ فَلَا نَعْلَمُهَا.

(١) عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رِواحةِ الأَنْصارِيِّ شاعِرِ الرِّسُولِ ﷺ صَحابِي جَلِيلٍ وَمُجاهِدٍ
 يَطْلُعُ اسْتُشْهَدَ يَوْمَ مِؤْتَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كانَ لَهُ جاريةٌ وَكانَ يَتَسَرَّى بِها
 بِمَلِكِ اليَمِينِ، فَدَخَلَتْ زَوْجَتَهُ، فَرَأَتْهُ مَعَهَا فَغَضِبَتْ عَلَيْهِ، لِأَنَّ النِّساءَ
 عِنْدَهُنَّ غَيْرَةُ عَلَيٍّ أَزْواجَهُنَّ مَعَ أَنَّهُ أَمْرٌ أَباحَهُ اللَّهُ لَهُ، فَغَضِبَتْ عَلَيْهِ
 وَكَلَّمَتْهُ، فَأَنكَرَ أَنَّهُ يَأْتِي الجارِيَةَ، وَهَذَا مِنَ الكَذِبِ لِلْمُصْلِحَةِ لِأَنَّهُ يَجُوزُ
 لِلزَّوْجِ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ زَوْجَتَهُ مِنْ أَجْلِ بقاءِ العِشْرَةِ، فَقالَتْ لَهُ: لَا =

(٢) سَلَفٌ تَخْرِيجُهُ ص ٣١٥.

وحدِيثُ مِعْرَاجِ الرَّسُولِ فَثَابَتْ
 وَهُوَ الصَّرِيحُ بِغَايَةِ التَّبَيَّنِ
 وَإِلَى إِلَهِ الْعَرْشِ كَانَ عُرُوجُهُ
 لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْ صَحْبِهِ رَجُلَانِ (١)

= أصدقك حتى تقرأ القرآن، لأن الجنب لا يقرأ القرآن. قال رضي الله عنه
 - وكان شاعراً -:

شهدتُ بأنَّ وعد الله حقَّ وأنَّ النار مثوى الكافرينا
 وأنَّ العرش فوق الماء طافٍ وفوق العرش ربُّ العالمينا
 فحسبت زوجته أنَّ هذا قرآن، وكانت لا تحفظ القرآن ولا تقرأه،
 فقالت: صدق الله وكذبتُ عيني. فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ ضحك ولم
 ينكر عليه (***)، وفيه قوله: «فوق العرش ربُّ العالمينا» فهذا دليل على
 علوِّ الله على عرشه سبحانه وتعالى.

وابن عبد البر وهو الإمام الجليل حافظ المغرب صاحب الكتب
 المشهورة ومنها، كتاب: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لما جاء على
 ترجمة عبد الله بن رواحة ذكر هذه القصة، وأثبتها.
 (١) من الأدلة على علوِّ الله على عرشه، حديث الإسراء والمعراج (***) وهو
 الصعود بالنبي ﷺ إلى السماء، والمعراج مشهور ومتواتر، من أنكره =

(*) انظر «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر ٣٩٧-٣٩٨، ترجمة عبد الله
 ابن رواحة الأنصاري، قال ابن عبد البر: رواها من وجوه صحاح.

(**) انظر «تفسير ابن كثير» ٥/٥-٤٥ أول تفسير سورة الإسراء حيث أورد الحافظ ابن
 كثير الأحاديث الواردة في الإسراء والمعراج.

واذكر بقصة خندق حُكماً جرى

لقريظة من سعدِ الرِّبَّاني

شَهِدَ الرَّسُولُ بِأَنَّ حُكْمَ الْهِنَا

مِنْ فَوْقِ سَبْعِ وِفْقَهُ بِوِزَانٍ^(١)

= فهو كافر لأنَّ الله ذكر المعراج في أول سورة النجم، وذكر الإسراء في أول سورة بني إسرائيل (الإسراء)، والمعراج من بيت المقدس إلى السماء، والإسراء والمعراج حصولاً في اليقظة ليس رؤياً كما يقوله بعضهم، فعروجه ﷺ إلى السماء يدُّ على علو الله على عرشه، لأنَّ العروج هو الصعود، إلى أعلى وهذا مثل قوله جلَّ جلاله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] يعني تصعد، فالعروج هو الصعود إلى العلو. وعُرج به عليه السلام بروحه وببدنه يقظة لا مناماً، وهذا يدُّ على علو الله.

(١) لَمَّا تَأَلَّبَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَذَلِكَ بِإِعْزَازِ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي الْمَدِينَةِ وَهُمْ حُلَفَاءُ الرَّسُولِ ﷺ، فِي الْمَدِينَةِ إِلَّا أَنَّهُمْ خَانُوا الْعَهْدَ وَذَهَبُوا يُحَرِّضُونَ الْقَبَائِلَ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ فَجَاءَتِ الْقَبَائِلُ بِقِيَادَةِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَلَمَّا عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُدُومِهِمْ اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ، مَاذَا يَعْمَلُ؟ فَأَشَارَ عَلَيْهِ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِأَنْ يَحْفَرَ خَنْدَقًا حَوْلَ الْمَدِينَةِ، يَمْنَعُ الْخَيْلَ وَالرِّجَالَ مِنَ الْوُصُولِ لِلْمَدِينَةِ فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِحْفَرِ الْخَنْدَقِ، وَشَارَكَ مَعَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَفْسِهِ حَتَّى أْتَمَّ حَفْرَ الْخَنْدَقِ، فَلَمَّا رَأَى الْمُشْرِكُونَ هَذَا الْخَنْدَقَ، قَالُوا: إِنَّهَا لَمْكِيدَةٌ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَعْرِفُهَا، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَذَا الْخَنْدَقِ وَمَنَعَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْمَدِينَةِ، =

واذكر حديثاً للبراء رواه أض

حَابُ الْمَسَانِدِ مِنْهُمْ الشَّيْبَانِي

وَأَبُو عَوَانَةَ ثُمَّ حَاكَمْنَا الرِّضَا

وَأَبُو نَعِيمٍ الْحَافِظُ الرَّبَّانِي

= وخانت قريظة من داخل المدينة وقد كانت محالفة ومبايعة للرسول ﷺ في الدفاع عنها فأحاط الأعداء بالمسلمين من الداخل والخارج، قال تعالى: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ... ﴾ [الأحزاب: ١٠] فبلغ بالمسلمين من الكرب الشيء العظيم، لأنَّ العدو يحيط بالمسلمين من الخارج ومن الداخل، فعند ذلك أرسل الله في ليلة من الليالي ريحاً حصبت المشركين وكفأت قدورهم واقتلعت خيامهم وضاقت صدورهم فرجعوا خائبين، وكفى الله المؤمنين القتال، وبقيت قريظة الخائنة فأمره الله تعالى بغزوهم، فغزاهم رسول الله وحاصرهم في حصنهم أياماً، ثمَّ طلبوا النزول على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه وكان جريحاً فجيء به على حمار وحكم «بأن تُقتل مقاتلتهم وتُسبى نساؤهم وذاراريهم، فقال النبي ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة» (*) وهذا محل الشاهد من الحديث، حيث دل هذا على علو الله على عرشه وأنَّ الله فوق السماوات، فالله هو الذي حكم بهذا الحكم الذي وُفق له سعد ابن معاذ رضي الله عنه.

(*) ورد هذا اللفظ في «السيرة النبوية» لابن هشام ١٨٩/٣ عن علقمة بن وقاص الليثي.

قَدْ صَحَّحُوهُ وَفِيهِ نَصٌّ ظَاهِرٌ
 مَا لَمْ يُحَرِّفْهُ أَوْلُو الْعُدْوَانِ
 فِي شَأْنِ رُوحِ الْعَبْدِ عِنْدَ وِدَاعِهَا
 وَفِرَاقِهَا لِمَسَاكِنِ الْأَسْدَانِ
 فَتَظَلُّ تَصْعَدُ فِي سَمَاءٍ فَوْقَهَا
 أُخْرَى إِلَى خَلَاقِهَا الرَّحْمَنِ
 حَتَّى تَصِيرَ إِلَى سَمَاءٍ رَبُّهَا
 فِيهَا وَهَذَا نَصُّهُ بِأَمَانٍ^(١)

(١) هذا الحديث الذي أشار إليه رواه أصحاب الكتب المعتمدة في الحديث، ومنهم الإمام أحمد الشيباني، وأبو عبد الله الحاكم في كتابه «المستدرک» وهو أنَّ الروح عندما تُقبض عند وفاة الإنسان يُصعدُ بها إلى السماء، فإن كانت روح مؤمن فُتحت لها أبواب السماء، وإن كانت روح كافر أُغلقت دونها أبواب السماء، ثم تُطرح إلى الأرض وإلى سجين^(*). وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] الشاهد منه: صعود الروح إلى الله جلَّ وعلا، والصعود لا يكون إلا إلى أعلى.

(*) أخرجه أحمد في «المستند» ٤٩٩/٣٠-٥٠٣ (١٨٥٣٤)، والحاكم في «المستدرک» ٩٣/١-٩٥ (١٠٧) من حديث البراء بن عازب، وهو حديث إسناده صحيح، وانظر تمام تخريجه في «المستند». وانظر ما سلف ص ٣١٢.

واذكر حديثاً في الصحيح وفيه

تَحذِيرٌ لِّذَاتِ الْبَعْلِ مِنْ هُجْرَانِ

مَنْ سُخِّطَ رَبٌّ فِي السَّمَاءِ عَلَى التِّي

هَجَرَتْ بِلا ذَنْبٍ وَلَا عُدْوَانٍ^(١)

واذكر حديثاً رواه جابرٌ

فيه الشفاءُ لطالبِ الإيمانِ

في شأنِ أهلِ الجنةِ العُليا وما

يَلْقَوْنَ مِنْ فَضْلِ وَمِنْ إِحْسَانِ

بَيْنَهُمْ فِي عَيْشِهِمْ وَنَعِيمِهِمْ

وَإِذَا بَنورِ ساطِعِ الغُشيانِ

لكنَّهُمْ رَفَعُوا إِلَيْهِ رُؤُوسَهُمْ

فإِذَا هُوَ الرَّحْمَنُ ذُو الْغُفْرانِ

فِيَسْلَمُ الْجَبَّارُ جَلَّ جلالُهُ

حَقًّا عَلَيْهِمْ وَهُوَ ذُو الْإِحْسانِ^(٢)

(١) وهو حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده!

ما من رجل يدعوا امرأته إلى فراشها، فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء

ساخطاً عليها حتى يرضى عنها»^(*) ويُرَاد بالذي في السماء الله سبحانه

وتعالى، فهذا فيه دليلٌ على أن الله في السماء.

(٢) من الأدلة على علو الله على عرشه، حديث جابر بن عبد الله، قال: =

(*) أخرجه مسلم (١٤٣٦) (١٢١) من حديث أبي هريرة.

واذكرُ حديثاً قد رواهُ الشافعي

يُ طريقهُ فيه أبو اليقظانِ

في فضلِ يومِ الجُمعةِ اليومِ الذي

بالفضلِ قد شهدتُ له النَّصانِ

يومَ استواءِ الرَّبِّ جلَّ جلالهُ

حقاً على العرشِ العظيمِ الشانِ^(١)

واذكرُ مقالتهُ ألسْتُ أمينَ مَنْ

فوقَ السماءِ الواحدِ المَنَّانِ^(٢)

= قال رسول الله ﷺ «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ طلع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم فإذا الربُّ قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم، يا أهل الجنة»^(*) فهذا فيه إثبات العلو لله وأنه يُشرف عليهم من فوقهم».

(١) يشير إلى الحديث الذي ذكره الذهبي في كتاب العلو وفيه: (وهو اليوم الذي استوى فيه الربُّ على العرشِ)^(***) وقد رواه الشافعي في مسنده.

(٢) يشير إلى حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه البخاري ومسلم وفيه: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»^(***) ففيه إثبات أن الله في السماء وهو يدل على علو الله.

(*) أخرجه ابن ماجه (١٨٤) من حديث جابر.

(**) وأورده الإمام الشافعي في كتاب الجمعة من «الأم» ١/١٨٥، من حديث أنس بن

مالك، وأورده الطبري في «التفسير» ١١/٤٣٠-٤٣١ (٣١٩٣٨) وابن كثير في

«التفسير» ٧/٤٠٧ في سورة (ق) تفسير الآية ٣٥.

(***) سلف تخريجه ص ٣١٩.

واذكر حديث أبي رزینِ ثمَّ سقُّ

هُ بطولِهِ كَمَ فِيهِ مِنْ عِرْفَانِ (١)

وَاللَّهِ مَا لِمُعْطَلٍ بِسَمَاعِهِ

أَبْدَأُ قَوِيَّ إِلَّا عَلَى التُّكْرَانِ (٢)

فَأُصُولُ دِينِ نَبِيْنَا فِيهِ أَتَتْ

فِي غَايَةِ الْإِيضَاحِ وَالتَّبَيَّانِ

وَبَطُولِهِ قَدْ سَاقَهُ ابْنُ إِمَامِنَا

فِي سُنَّةِ وَالْحَافِظِ الطَّبْرَانِي

وَكَذَا أَبُو بَكْرٍ بِتَارِيخِ لَهْ

وَأَبُوهُ ذَلِكَ زُهَيْرُ الرَّيَّانِي

(١) يعني حديث أبي رزین العقيلي: أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: «كان في عماء ما تحته هواء، وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء» (*) رواه الترمذي وابن ماجه وفيه إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه. والعماء هو السحاب.

(٢) الْمُعْطَلُ لَعَلَّوْا اللهُ عَلَى خَلْقِهِ لَا يُطِيقُ سَمَاعَ حَدِيثِ أَبِي رَزِينٍ لِأَنَّهُ يُخَالِفُ مَذْهَبَهُ، كَذَلِكَ أَهْلُ الْبَاطِلِ لَا يُطِيقُونَ سَمَاعَ الْحَقِّ الَّذِي يُخَالِفُ مَذْهَبَهُمْ وَأَهْوَاءَهُمْ.

(*) سلف تخريجه ص ٣٣٩.

واذكر كلامَ مُجاهِدٍ في قوله
 أقم الصلاة وتلك في سبحانِ
 في ذكرِ تفسيرِ المقامِ لأحمدِ
 ما قيلَ ذا بالرأيِ والحُسابِ^(١)
 إن كان تجسيماً فإنَّ مجاهداً
 هو شيخُهُم بل شيخُهُ الفوقاني
 ولقد أتى ذكرُ الجلوسِ به وفي
 أثرٍ رواه جعفرُ الرِّبَّاني
 أعني ابنَ عمِّ نيينا وبغيره
 أيضاً أتى والحقُّ ذو التَّبيانِ^(٢)

(١) يعني قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ . . . ﴾ [الإسراء: ٧٨] إلى قوله: ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] قال:

المقام المحمود: أن الله يجلس محمداً ﷺ معه على العرش.

فهذا دليل على علو الله على عرشه سبحانه وتعالى، وهذا حديث صحيح وإن كان يُشَوِّش على ضعاف الإدراك فلا عبرة بهم لأنه لا يمكن أن يُقال هذا الكلام من جهة الاجتهاد أو الرأي بل له حكم الرفع.

(٢) إن كان هذا الذي ورد عن مجاهد تجسيماً فإنَّ مجاهداً يعتبر شيخ المجسمة عندهم، بل يكون أيضاً ابن عباس شيخ المجسمة على زعمكم لأنه أخذهُ عن ابن عباس.

والدارقطني الإمام يُبَيِّنُ الْ

أَثَارَ فِي ذَا الْبَابِ غَيْرَ جَبَانٍ

وَلَهُ قَصِيدٌ ضَمَّنَتْ هَذَا وَفِي

هَا لَسْتُ لِلْمُرُويِّ ذَا نُكْرَانٍ^(١)

وَجَرَتْ لَذَلِكَ فِتْنَةٌ فِي وَقْتِهِ

مِنْ فِرْقَةِ التَّعْطِيلِ وَالْعُدْوَانِ^(٢)

وَاللَّهُ نَاصِرٌ دِينِهِ وَكِتَابِهِ

وَرَسُولِهِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ

لَكِنْ بِمَحَنَةِ حِزْبِهِ مِنْ حِزْبِهِ

ذَا حِكْمَةٍ مُذْ كَانَتْ الْفِتْنَانِ

وقد روي هذا التفسير عن جعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول ﷺ وله طرق أخرى فلم ينفرد به مجاهد^(*).

(١) الإمام الدارقطني يثبت هذه الآثار التي في جلوس النبي ﷺ على العرش، وقد نظم الدارقطني معنى هذه الآثار في قصيدة وأقرها ولم يُنكرها وهو الإمام الجليل الحافظ الثقة.

(٢) يعني أن خصومه أنكروا هذا عليه في وقته وشنعوا عليه لكنه لم يُبَالِ بهم بل روى هذه الآثار وأظهرها ونظمها ونشرها ولم يُبَالِ بخصومه لأنه لا تأخذه في الله لومة لائم.

وقد اقتصرْتُ على يسيرٍ مِنْ كَثِيرٍ
 — فَايَّتِ لِلْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ
 مَا كُلُّ هَذَا قَابِلُ التَّأْوِيلِ بِالنِّسْبِ
 تَحْرِيفِ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ^(١)

* * *

(١) يقول: إنِّي لم أستقص كلَّ الأدلة من الكتاب والسنة على العلو، وإنَّما أتيتُ ببعضها، وقد ذكر فيما سبق أنها تبلغ ألف دليل أو أكثر.

فصل

في جناية التأويل على ما جاء به الرسول
والفرق بين المردود منه والمقبول^(١)

(١) بعد أن فرغ رحمه الله من ذكر أدلة العلو وأطال في ذلك، لأنَّ مسألة العلو مسألة عظيمة، وإنكارها يقتضي الكفر؛ لأنَّه إمَّا أن يقتضي الحُلُول وهذا كفر، أو يقتضي نفي وجود الرَّبِّ سبحانه وتعالى إذا قيل أنَّه لا داخل العالم ولا خارج العالم فهذا تعطيلٌ محض، وكفر صريح، وإن كان نفاة العلو قد لا يريدون ذلك فهو يلزم على قولهم، وهو مقتضى قولهم، فإن كانوا قد تعمّدوه فلا شكَّ في كفرهم، وإن لم يتعمّدوه فلا شكَّ أنَّ هذا كفرٌ وقعوا فيه من حيث لا يشعرون. لمَّا فرغ من بيان ذلك ذكر سبب نفي العلو وهو التأويل الباطل، وأنَّ التأويل الباطل اتُّخذ مطية لكلِّ ضلال، فكلُّ ملحد وضال يستخدم التأويل للنصوص التي تُخالف مذهبهم، فعندهم التأويل مَرَكَبٌ للإلحاد، والتأويل على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وهو التفسير وهو الذي في عرف السلف الصالح، ولهذا فإن ابن جرير الطبري يقول: القول في تأويل قوله تعالى، يعني في تفسير الآية.

القسم الثاني: التأويل بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر غير مراد باللفظ، وهذا هو التأويل الباطل، وهو الذي استخدمه أهل الضلال، إذا ورد دليل يخالف مذهبهم استخدموا فيه التأويل وقالوا: ليس على ظاهره.

القسم الثالث: التأويل الذي هو بمعنى ما يؤول إليه الشيء في المستقبل، وهذا حق وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ =

هذا وأصل بليّة الإسلام من
 تأويل ذي التحريف والبطلان^(١)
 وهو الذي فرّق السبعين بل
 زادت ثلاثاً قولَ ذي البرهان^(٢)

= [آل عمران: ٧]، على أحد القولين أي: ما يؤول إليه الأمر من بعد، فمثلاً النصوص التي جاءت في وصف المستقبل الذي لم يحصل بعد، وهو وقوع ما أخبرت عنه، ونصوص الآخرة التي جاءت فيما يكون في الآخرة تأويلها لا يحصل في الدنيا، وإنما يكون إذا وقعت في وقتها، لهذا قال يوسف لما سجد له أبواه وإخوته ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ ﴾ [يوسف: ١٠٠] يعني قوله: ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤] ثم حدث ما حدث ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ ﴾ [يوسف: ١٠٠] فلم يقع تأويلها إلا بعد مدة، ومثل قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ ﴾ [الأعراف: ٥٣] أي ما ينتظر هؤلاء إلا وقوع ما أخبرت به النصوص وحينذاك لا ينفعهم الإيمان.

(١) أصل بلية الإسلام هو من هذا التأويل الفاسد الذي أولوا به النصوص عن ظاهرها وفسروها بتفسير باطل ليس هو تفسيرها الحق.

(٢) التأويل هو الذي فرّق الأمة الإسلامية إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلّها في النار إلا واحدة، كما أخبر به الصادق المصدوق عليه السلام «إن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء - كلّها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»^(*)، وهذه الثلاث والسبعين هي أصول الفرق =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٨/١٣٤-١٣٥ (١٦٩٣٧)، وأبو داود (٤٥٩٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان، وهو حديث حسن، بل صحيح بشواهده، انظر تمام تخريجه في «المسند».

وهو الذي قَتَلَ الخليفةَ جامعَ الـ

قُرَّانِ ذَا النورَيْنِ وَالإِحْسَانِ (١)

وهو الذي قَتَلَ الخليفةَ بعدهُ

أعني عليّاً قاتِلَ الأقرانِ (٢)

= وإلاّ فهي أكثر من ذلك بكثير لكنما زاد على الثلاث والسبعين فهو متفرعٌ عنها.

(١) والتأويل هو الذي قتل الخليفة الثالث: عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإنما قتله مَنْ قَتَلَهُ بسبب التأويل الفاسد حتى ظنّوا أنّه يسوغ لهم قتلهُ فقتلوه، فهذه أول جناية جناها التأويل على الإسلام وهو قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه.

(٢) الجناية الثانية من جنایات التأويل قتل الخليفة الرابع: علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقتله الخوارج وقالوا: إنّهُ كافر لأنّهُ حَكَّم الرجال، والحكمُ إنّما هو لله تعالى، ففسّروا الآية بتفسير باطل فتأمروا على قتل الصحابة الثلاثة رضي الله عنهم عليّاً ومعاوية وعمرو بن العاص وانتدب لذلك ثلاثة من الخوارج، أمّا صاحب علي فقد تمكن من قتله، وأمّا صاحب معاوية فإنّهُ طعنهُ وهو يصلي بالناس لكن كانت طعنته في غير مقتل ونجاهُ الله من القتل، وأصيب بحراجه لم تُضره، وأمّا الذي انتدب لقتل عمرو بن العاص فصادف أنّ عمراً رضي الله عنه لم يخرج للصلاة بالمسلمين في الفجر، وإنّما خلف خارجه بن حذافة، فقتله الخارجي وهو يظنّه عمرو بن العاص، ولهذا لما تبين له ذلك قال: «أردتُ عمراً وأراد الله خارجه» فقتل الصحابي الجليل خارجه بن حذافة، هؤلاء هم من الخوارج، وسبب هذه الجرائم هو التأويل الباطل، لأنّهم تأوّلوا النصوص، وكفّروا الصحابة، ورأوا أنّ قتلهم جائز، وذلك بسبب =

وهو الذي قَتَلَ الحُسَيْنَ وأهلهُ

فَقَدُوا عليه مُمَزَّقِي اللُّحْمَانِ^(١)

وهو الذي في يومِ حَرْبِهِمُ أبا

حَ حِمَى المدينةِ مَعْقِلِ الإيْمَانِ^(٢)

= تأويلهم الفاسد، وكذلك التأويل الآن هو سبب ضلال من يضل من هذه الأمة، بسبب عدم فهم النصوص على حقيقتها وتنزيلها في غير منازلها. (١) كذلك من جنابة التأويل: قتل الحسين بن علي بن أبي طالب سبط الرسول ﷺ، فإنَّ الحسين استدرجَهُ أهل العراق وزعموا أَنَّهُم سينصرونه، فخرج من المدينة على موعِدٍ مع هؤلاء الذين استدرجوه، فوقع في جيش عبيد الله بن زياد، وخذلهُ أهل العراق فلم ينصروه فقتل - رضي الله عنه - ظلماً وعدواناً بسبب التأويل الباطل، لأنَّهُم زَيَّنُوا لَهُ الخروج على يزيد بن معاوية بتأويلهم، وزعموا أَنَّهُم سينصرونه وخذلوه، فقتل رضي الله عنه بسبب هذه الخديعة والتأويل الفاسد للنصوص التي تدل على أنه لا يجوز الخروج على وليِّ أمر المسلمين ولو كان فاسقاً.

(٢) كذلك من جرائم التأويل التي وقعت في الإسلام «وقعة الحرة» وهي المكان القريب من المدينة بسبب أن أهل المدينة أرادوا الخروج على يزيد بن معاوية فنهاهم عقلاء الصحابة كابن عمر وغيره وأمرهم بالتزام السمع والطاعة وأنَّ هذا الرجل وهو يزيد تمَّت له البيعة لا يجوز الخروج عليه وإن كان فاسقاً، لكن أمر الله نافذ، فخرجوا عليه فجهَّز لهم يزيد جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة فغزا المدينة والتقى الفريقان في الحرة وخرج إليه أهل المدينة، فقتل في الحرة عدداً كثيراً واستباح المدينة ثلاثة أيام وحصل بالمسلمين نكبة عظيمة بسبب التأويل الخاطيء الذي وقع من أهل المدينة عفا الله عنهم.

حَتَّى جَرَّتْ تِلْكَ الدَّمَاءُ كَأَنَّهَا

فِي يَوْمِ عِيدِ سُنَّةِ الْقُرْبَانِ^(١)

وَعَدَا لَهُ الْحِجَاجُ يَسْفِكُهَا وَيَقُ

تُلُّ صَاحِبَ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ^(٢)

وَجَرَى بِمَكَّةَ مَا جَرَى مِنْ أَجْلِهِ

مِنْ عَسْكَرِ الْحِجَّاجِ ذِي الْعُدْوَانِ

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ الْخَوَارِجَ مِثْلَ إِنْ

شَاءَ الرِّوَاقِضِ أَحْبَبَ الْحَيَوَانَ^(٣)

وَلَأَجْلِهِ شَتَمُوا خِيَارَ الْخَلْقِ بَعُ

دَ الرُّسُلِ بِالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ

(١) وقعة الحرّة نكبة عظيمة وذلك بسبب الخروج على يزيد بن معاوية، ولو أنّهم صبروا وأخذوا بمشورة أكابر الصحابة والتزموا بقول الرسول ﷺ بالصبر على أئمة الجور لما حصلت هذه الفتنة.

(٢) والتأويل الفاسد جعل الحجاج بن يوسف يسفك الدماء ويقتل الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير، ويضرب الكعبة بالمنجنيق.

(٣) أي التأويل الفاسد هو الذي أنشأ الفرق كلّها، ومن أحبب الفرق: الخوارج وهم الذين يخرجون على ولي أمر المسلمين بتأويل غير سائغ لأنهم يستبيحون دماء المسلمين ويقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، كما أخبر النبي ﷺ، ومن أحبب الفرق التي أنتجها التأويل الروافض الذين يزعمون أنّهم يتشيعون لأهل البيت والسبب في ظهورهم وخروجهم هو التأويل الفاسد.

ولأجله سَلَّ البُغَاةُ سِيُوفَهُمْ

ظَنًّا بِأَنَّهُمْ ذُوو إِحْسَانٍ^(١)

ولأجله قد قال أهلُ الاعتزاليين

لِ مَقَالَةٍ هَدَّتْ قُوَى الْإِيمَانِ^(٢)

ولأجله قالوا بأنَّ كَلَامَهُ

سَبْحَانَهُ خَلَقَ مِنَ الْأَكْوَانِ^(٣)

(١) ولأجل التأويل الباطل سَلَّ البُغَاةُ سِيُوفَهُمْ وخرجوا على الأئمة، والبُغَاةُ: هم الذين يخرجون على وليِّ الأمر المسلم، بتأويل سائق هؤلاء يُقال لهم: البُغَاةُ، فالبغي معناه: التعدي على الناس بغير حق، سواء كان على ولاة الأمور أو على غيرهم.

(٢) ولأجل التأويل الباطل نشأت المعتزلة، أتباع واصل بن عطاء الغزالي، وكان من تلاميذ الحسن البصري، ثمَّ اختلف على شيخه في مسألة مرتكب الكبيرة، فالحسن البصري يقول: هو مؤمن ناقص الإيمان ولا يخرج من الإسلام كما يقولُه أهل العلم، فخالفه تلميذُه واصل وقال: مرتكب الكبيرة ليس بمسلم ولا كافر بل هو بالمنزلة بين المنزلتين، فمن ثمَّ سُمِّي هؤلاء بالمعتزلة لأنَّهم اعتزلوا الحسن بالبصري إمام التابعين رحمه الله.

فإن قلت: لماذا ترك الناظم الجهمية ولم يذكرهم؟ قلنا: الجهمية ليس لهم دليل، كلُّ الفرق لها شُبْهَةٌ إلاَّ الجهمية فإنَّهم ليس لهم أيُّ شُبْهَةٍ فلا يُحسبون من الفرق الإسلامية.

(٣) قال المعتزلة كما قال الجهمية القرآن مخلوق خلقه الله ولم يتكلَّم به، وُسِّمِي كَلَامَ اللَّهِ؛ لأنَّ الله خلقه في غيره، فُسِّمِي كَلَامَ اللَّهِ من باب المجاز =

ولأجله قد كذبت بقضائه

شبهه المجوس العابدي النيران^(١)

= فالقرآن كلام الله حقيقة تكلم به وسمعه منه جبريل، وبلغه بأمر الله إلى محمد ﷺ، وبلغه محمد ﷺ إلى الأمة، فهو كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

(١) ولأجل التأويل الفاسد نفى القدرية القدر وأنكروا الركن السادس من أركان الإيمان وهو القضاء والقدر وذلك بالنسبة لأفعال العباد. قالوا: إن الله لم يُقدرها وإنما العباد هم الذين فعلوها استقلالاً ولم تكن بمشيئة الله وإرادته وخلقه سبحانه وتعالى، فأفعال العباد عندهم ليست من خلق الله وإنما هي من خلق البشر، وليس لله فيها مشيئة ولا إرادة، فشابهوا المجوس الذين يقولون بإثبات خالقين هما النور والظلمة، والمعتزلة قالوا بإثبات خالقين متعددين كلٌّ يخلق فعل نفسه، فلذلك صاروا شراً من المجوس هذا وجه تسميتهم بمجوس هذه الأمة؛ لأنهم أثبتوا خالقين مع الله تعالى وشبهتهم: نفى الظلم عن الله تعالى، قالوا: لو قلنا: إن الله شاءها وأرادها وخلقها وعذبهم عليها لكان ذلك ظلماً، والله مُنزهٌ عن الظلم، فنقول: كلاً، لا يلزم هذا، الله شاءها وأرادها وخلقها لكن هم فعلوها باختيارهم ومشيئتهم، وعندهم القدرة على فعلها أو تركها، فهم فعلوها بقدرتهم واختيارهم ومشيئتهم، والثواب والعقاب إنما يتعلقان بفعلهم هم ومشيئتهم وإرادتهم ولا يتعلقان بقضاء الله وقدره، فليس في هذا ظلم وإنما هو عدل، وإلا فيلزم أن يسوي الله بين أهل الإيمان وأهل الكفر، لأنهم كلهم فعلوا أفعالهم بقضاء الله وقدره، فيلزم التسوية بين المؤمن والكافر، والله تعالى يقول: ﴿أَفَجَعَلُ الْمُشْرِكِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٦﴾ =

ولأجله قد خَلَدُوا أَهْلَ الْكِبَا
 ثِرٍ فِي الْجَحِيمِ كَعَابِدِي الْأَوْثَانِ
 ولأجله قد أنكروا لشفاعة الـ
 مُخْتَارٍ فِيهِمْ غَايَةَ النِّكَرَانِ^(١)

= [القلم: ٣٥-٣٦] هذا هو الذي أضل المعتزلة إنه التأويل الباطل، ولو أنهم جمعوا بين النصوص ولم يضربوا الأدلة بعضها ببعض لما حصل لهم هذا الضلال ولما حصل لهم نفي القدر الذي الإيمان به هو الركن السادس من أركان الإيمان.

(١) ولأجل التأويل الباطل خَلَدَ الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزَلَةُ أَصْحَابَ الْكِبَائِرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي النَّارِ، كُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ التَّأْوِيلِ الْبَاطِلِ؛ لِأَنَّهُمْ أَخَذُوا بِجَانِبِ الْوَعِيدِ وَتَرَكُوا جَانِبَ الْوَعْدِ وَالرَّحْمَةَ وَالْمَغْفِرَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وَأَخَذُوا بِمِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِمٌّ﴾ [النساء: ١٤] فَأَخَذُوا بِنُصُوصِ الْوَعِيدِ، وَتَرَكُوا نُصُوصِ الْوَعْدِ، وَلَوْ جَمَعُوا بَيْنَ النُّصُوصِ وَفَسَّرُوا بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، وَقَيَّدُوا الْمَطْلُوقَ، وَخَصَّصُوا الْعَامَّ لَمَا حَصَلَ لَهُمْ هَذَا الضَّلَالُ، وَمِنْ فُرُوعِ هَذَا الضَّلَالِ: أَنَّهُمْ نَفَوْا شَفَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ الَّتِي تَوَاتَرَتْ بِهَا الْأَدْلَةُ فَيُشْفَعُ الرَّسُولُ ﷺ لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَإِمَّا أَلَّا يَدْخُلُوا النَّارَ، وَإِمَّا إِنْ دَخَلُوهَا فَإِنَّهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْهَا بِشَفَاعَتِهِ ﷺ أَوْ بِشَفَاعَةِ غَيْرِهِ مِنَ الشَّافِعِينَ الَّذِينَ يَأْذَنُ اللَّهُ لَهُمْ بِالشَّفَاعَةِ. وَقَعُوا فِي هَذَا الضَّلَالِ مِنْ أَجْلِ التَّأْوِيلِ الْبَاطِلِ، فَأَنكَرُوا الشَّفَاعَةَ وَهِيَ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَدْلَةُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهِيَ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ.

- ولأجله ضُربَ الإمامُ بسَوْطِهِمْ
 صِدِّيقُ أَهْلِ السُّنَّةِ الشَّيْبَانِي (١)
 ولأجله قد قال جَهْمٌ لَيْسَ رَبُّ
 بُ العَرشِ خَارِجَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
 كَلًّا وَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى
 وَالعَرشِ مِنْ رَبِّ وَلَا رَحْمَنِ (٢)
 مَا فَوْقَهَا رَبُّ يُطَاعُ جِبَاهُنَا
 تَهْوِي لَهُ بِسُجُودِ ذِي خُضْعَانِ (٣)
 ولأجله جُحِدَتْ صِفَاتُ كَمَالِهِ
 وَالعَرشَ أَخْلَوُهُ مِنَ الرَّحْمَنِ (٤)

(١) ولأجل التأويل الباطل عُدب الأئمة على يد ولاية الجور، منهم من قُتل، ومنهم من سُجن وضُرب كالإمام أحمد رحمه الله، فإنه ضُرب بالسياط حتى سألت منه الدماء، وحتى أُغمي عليه مرات عديدة لما امتنع من القول بخلق القرآن في وقت المأمون والمعتصم والواثق، وقُتل بعض الأئمة في هذه الفتنة لما أبوا أن يقولوا بخلق القرآن ظلماً وعدواناً، وهذا كله بسبب التأويل الباطل.

(٢) ولأجل التأويل الباطل نشأ مذهب الجهمية، والجهمية أهل ضلالٍ بعيدٍ لأنهم ليس لهم دليل ولا شبهة على مذهبهم فهم أضلُّ الفرق - والعياذ بالله - نفوا علو الله على عرشه فوق مخلوقاته وقالوا: إِنَّهُ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وليس له مكان ولا جهة ولا ولا... إلى آخره. وهذا كفرٌ بالله تعالى، وقال بهذه المقالة من تأثر بمذهب الجهمية كالشاعرة والمعتزلة.

(٣) هذا مقضى كلام الجهمية.

(٤) ولأجل التأويل الباطل جُحِدَتْ الصِّفَاتُ، وَأُوِّلَتْ عِنْدَ الْفِرْقِ الضَّالَّةِ.

ولأجلِهِ أَفْنَى الْجَحِيمِ وَجَنَّةَ الدِّ

مَاوَى مَقَالَةَ كاذِبٍ فَتَانَ^(١)

ولأجلِهِ قالوا الإلهُ مُعْطَلٌ

أزلاً بغيرِ نِهَايةٍ وزمانٍ^(٢)

ولأجلِهِ قد قالَ ليس لِفعلِهِ

مِن غَايَةٍ هي حكمةُ الدِّيَانِ^(٣)

(١) لأجل التأويل الباطل قالت الجهمية بفناء الجنة والنار ولا يبقى شيء إلا الله تعالى، وهذه مقالة باطلة، لأنَّ الجنة تبقى والنار تبقى، وأصحاب الجنة خالدون مُخلَّدون فيها وأصحاب النار خالدون فيها، فالقول بفناء الجنة والنار من أقوال أهل الباطل وسببه التأويل الفاسد، يقولون: لثلاث مشاركان الله في البقاء، فإنَّ الباقي هو الله وحده، فنقول: بقاء الله يختلف عن بقاء المخلوق لأنَّ بقاء الله ذاتي، وأمَّا بقاء المخلوق فهو بإبقاء الله له وإرادته ومشيئته لذلك وليس ذاتياً ففرق بين البقائين.

(٢) أي لأجل التأويل الباطل منعوا التسلسل في المستقبل فقالوا بفناء الجنة والنار وفناء العالم وأنه لا يبقى إلا الله، ونفوا التسلسل في الماضي فقالوا: إنَّ الله كان ولم يكن له صفات ولا أفعال ولا خلق، ثمَّ حدث له بعد ذلك الفعل والخلق لثلاث مشاركات الصفات الله في قدمه وأزليته، فهم منعوا التسلسل في الماضي وفي المستقبل، وهذا كفرٌ بالله عزَّ وجل وتعطيلٌ لله من الصفات.

(٣) ولأجل التأويل الباطل نفيت الحكمة في أفعال الله تعالى فقيل: إنَّ الله يفعل لا لحكمة؛ لأننا لو أثبتنا الحكمة لصارت مؤثرة في الله تعالى، وأنَّ =

ولأجله قَدْ كَذَّبُوا بِنزُولِهِ

نحو السماءِ بنصفِ ليلٍ ثانٍ^(١)

ولأجله زعموا الكتابَ عبارةً

وحكايةً عن ذلك القرآن^(٢)

= الله يفعل لا لحكمة ويقولون: إنَّ الله يفعل لا لغرض ولا لحكمة وإنما يفعل لمجرد المشيئة فقط تعالى الله عما يقولون، والله تعالى في غالب الأفعال يذكر حكمته سبحانه وتعالى، حيث نص على أنه «حكيم» والحكيم: هو الذي يضع الأمور في موضعها.

(١) ولأجل التأويل الباطل نفوا النزول الإلهي إلى سماء الدنيا الذي تواترت به الأدلة مثل قوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كلَّ ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر»^(*) قالوا: هذا يلزم منه الانتقال، والله مُنَزَّةٌ عن الحركة والانتقال لثلاثا يُشابه المخلوقين. فنقول: نحنُ ثبت النزول كما جاء، وأمَّا كيفية النزول فإنها لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، فنقول: ينزل نزولاً لا يشبه نزول المخلوقين بل يليق بجلاله، وأهل الحق فيقولون: نزول كلِّ شيءٍ بحسبه، فالنزول بالنسبة لله كما يليق بجلاله لا يعلم كيفية إلاَّ الله جلَّ وعلا، وأمَّا نزول المخلوق فهو لائق بالمخلوق.

(٢) هذا مذهب الأشاعرة والماتريديه في القرآن، يقولون: الله جلَّ وعلا لا يوصف بالكلام الذي يُسمع وإنما يوصف بالكلام النفسي الذي لا يُسمع، وهذا القرآن أو التوراة أو الإنجيل، حكاية أو عبارة عن كلام الله عزَّ وجل، حكاة أو عبَّر عنه جبريل فليس لله كلام يُسمع وإنما هو المعنى =

ما عندنا شيءٌ سوى المخلوق والـ
 قُرْآنٌ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الرَّحْمَنِ (١)
 ما ذا كلامُ اللهِ قَطُّ حَقِيقَةً
 لكنْ مَجَازٌ وَيُحَ ذَا الْبُهْتَانِ

= القائم بنفسه، وهذا الكلام الموجود مخلوق لأنه إمّا كلام الملك أو كلام البشر، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً. والفرق بين الحكاية والعبارة، أنهم يقولون: إنّ الحكاية أدقُّ من العبارة، لأن الحكاية معناها: المشابهة للمحكي من كل وجه، وأمّا العبارة فلا يلزم منها مشابهة تامّة للمعبر عنه، والمآل واحد: وهو أنهم يقولون هذا القرآن الذي بين أيدينا هو من كلام البشر أو كلام جبريل وهو عبارةٌ أو حكاية عن كلام الله، وهل في لغة الأمم كلهم العجم أو العرب أو غيرهم: أنّ ما في النفس يسمّى كلاماً. إنّما الكلام ما تُلفّظ به وتُكلّم به.

(١) المعتزلة والجهمية يقولون: هذا القرآن مخلوق خلقه الله إمّا في جبريل أو محمد ﷺ، وسمي كلام الله من باب المجاز، والأشاعرة يقولون: هو المعنى القائم بالنفس، ولكن هذا القرآن الذي بين أيدينا من كلام جبريل أو محمد فهو مخلوق، فالقرآن يجتمع فيه عند الأشاعرة الصفتان: أنّه مخلوق وأنّه غير مخلوق فهم مترددون بين مذهب أهل السنة الذين يقولون: القرآن غير مخلوق ومذهب الجهمية الذين يقولون: إنّهُ مخلوق، فالجهمية والمعتزلة أصرح منهم، قالوا: إنّهُ مخلوق وانتهوا، فهؤلاء شابهوا النصارى في قولهم في المسيح: إنّهُ عبارة عن شيئين: هما اللاهوت والناسوت، فكذلك القرآن عند الأشاعرة اجتمع فيه الأمران: الخلق وعدم الخلق فهذا القول من جنس قول النصارى الذين يقولون: بحلول اللاهوت في الناسوت.

ولأجله قُتِلَ ابنُ نصرٍ أحمدٌ

ذاك الخُرَاعِي العَظِيمُ الشَّانِ

إذ قال ذا القرآنُ نفسُ كلامِهِ

ما ذاك مخلوقٌ مِنَ الأَكْوَانِ^(١)

وهو الذي جرَّ ابنَ سينا والأولى

قالوا مقالتهُ على الكُفْرانِ^(٢)

فتأولوا خلقَ السَّمَوَاتِ العُلَى

وحُدُوثَهَا بحَقِيقَةِ الإمكانِ^(٣)

(١) أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي من أقران الإمام أحمد رحمه الله، امتنع من القول بخلق القرآن فقتله الواثق بإملاء من المعتزلة، لأنهم أثروا على الواثق كما هي عادة بطانة وجلساء السوء، لأن الخلفاء لما جعلوا بطانتهم من المعتزلة أثروا عليهم فاعتنقوا مذهب المعتزلة وعادوا أهل السنة.

(٢) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الذي يُسمونه الرئيس، وكان من الباطنية، الإسماعيلية، وأبوه كان يهودياً، وكان مشتهراً بالطب واشتهر بالفلسفة، والتأويل الباطل هو الذي جرَّاهُ على القول بجواز قدم العالم، والفلاسفة الذين قبله صرَّحوا بوجوب قدم العالم، وأما هو فقال: هو ممكن، وهذا كفرٌ، لأن الواجب أن يعتقد أن الله هو القديم الأزلي الذي ليس قبله شيء، فمن قال: إنَّ العالم قديم فهو كافر، أو قال: إنه يجوز القول بقدم العالم فهو كافر أيضاً.

(٣) يعني يقولون: يمكن القول بقدم العالم، وإنَّما قالوا: يمكن من باب المخادعة للمسلمين؛ لأنَّ ابن سينا يدعي الإسلام وأراد أن يجمع بين الإسلام والفلسفة فجاء بهذه الكلمة مخادعة للمسلمين.

وتأولُّوا عِلْمَ الإلهِ وقولَهُ

وصِفَاتِهِ بالسلبِ والبُطلانِ^(١)

وتأولُّوا البعثَ الذي جاءَتْ به

رُسُلُ الإلهِ لهذه الأبدانِ

بفراقِها لعناصرٍ قد رُكِّبَتْ

حتى تعودَ بسيطةَ الأركانِ^(٢)

وهو الذي جرَّ القرامطةَ الأولى

يتأولُّون شرائعَ الإيمانِ^(٣)

(١) نفوا الصفات عن الله جلَّ وعلا، والسلب: هو النفي، وصفوا الله بالصفات السلبية، فقالوا: لا داخل ولا خارج ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا... كلَّ وصفهم لله بالنفي المحض.

(٢) وتأولوا البعث بأنَّهُ: ليس معناه أنَّ الله يُحيي الموتى ويُعيدُهم كما كانوا في الدار الدنيا بعد قيام الساعة والنفخ في الصور كما دلَّت عليه الكتب السماوية، وإنما: بعثها تغيُّرها من حالٍ إلى حال.

(٣) والتأويل الفاسد هو الذي جرَّ القرامطة: وهم قومٌ من الشيعة الباطنية وهم شر طوائف الشيعة، وحصل منهم على المسلمين النكبات، وهم أتباع حمدان قرمط من أهل الأحساء، وهذا الخبيث القرمطي جاء إلى مكة، وقتل الحُجاجَ في المسجد الحرام حتى سالت الدماء في المسجد الحرام، وسحب الجُثث وألقاها في بئر زمزم، واقتلع الحجر الأسود، وذهب به إلى هجر «الأحساء»، وأقام هناك مدة طويلة، وخلت منه الكعبة، وكان المسلمون يشيرون إلى مكانه إذا حاذوه في الطواف، ولهذا لَمَّا =

فتأولوا العمليّ مثل تأول الـ

علميّ عندكم بلا فرقان

وهو الذي جرّ النصيرَ وحزبه

حتى أتوا بعساكر الكفران^(١)

= صنف الخرقى «مختصره» وكان في زمن فقد الحجر، وجاء على ذكر الطواف قال: «وإذا حاذى مكان الحجر يشير إليه» لأنه في وقته غير موجود؛ ثم رده الله بعد ذلك إلى مكانه، هؤلاء هم القرامطة، وسبب ضلالهم وكفرهم وإلحادهم: هو التأويل، ينتسبون إلى الإسلام ويُفسرون النصوص بتأويلات باطلة. فيفسرون الصلاة بأنها الدعاء، والصيام بأنه كتم الأسرار، والحج بأنه قصد المشاهد، فمن ذهب إلى أيّ مشهد أو إلى أيّ قبر فقد حجّ عندهم، وهكذا تأويلات القرامطة مشهورة.

(١) وكذلك هذا التأويل الباطل هو الذي جرّاً نصير الدين الطوسي الشيعي وزير الخليفة العباسي. هذا الخبيث كاتب التتار في المشرق، وهم بدو المشرق، وكانوا أشداء، وكانوا كفرة وملاحدة، وزين لهم غزو المسلمين، فغزوا بلاد العراق، وداهموا بغداد، وقتلوا الخليفة، وقتلوا العلماء، وأخذوا الكتب وطرحوها في نهر دجلة، حتى تغيّر الماء من مداد هذه الكتب، وزحفوا على الشام ومصر، وذاق المسلمون منهم بلاءاً عظيماً، كلُّ هذا بسبب التأويل الباطني الذي هو مذهب نصير الدين، وهو في الحقيقة نصير الكفر، ومعه ابن العلقمي الشيعي.

فجرى على الإسلام أعظمُ محنةٍ
 وخُمارُهما فينا إلى ذا الآن^(١)
 وجميعُ ما في الكون من بدعٍ وأحـ
 سادٍ تُخالفُ مُوجبَ القرآنِ
 فأساسُها التأويلُ ذو البُطلانِ لا
 تأويلُ أهلِ العلمِ والإيمانِ^(٢)
 إذ ذاك تفسيرُ المُرادِ وكشْفُهُ
 وبيانُ معناه إلى الأذهانِ^(٣)
 قد كان أعلمُ خَلْقِهِ بكلامِهِ
 صلَّى عليه اللهُ كلَّ أوانٍ
 يتأوَّلُ القرآنَ عندَ رُكوعِهِ
 وسجودِهِ تأويلَ ذي بُرهانِ

(١) خُمارُها: يعني آثارُها السيئةُ فينا معشر المسلمين، إلى ذا الآن يعني: إلى وقت الإمام ابن القيم فإنَّهم كانوا لا يزالون في ذلك الوقت لهم بقايا وشر، إلى وقت شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه.

(٢) كلُّ ضلالٍ وشر فسببه التأويل الباطل، والتأويل الصحيح الذي عليه أهل العلم هو تفسير النصوص بمعناها الصحيح الذي تدل عليه حقيقة بحسب وضعها الشرعي واللغوي.

(٣) هذا هو التأويل الصحيح: كشف معاني الألفاظ وتفسيرها المطابق لما تدل عليه.

هذا الذي قالتُه أمُّ المؤمنيـ

من حكاية عنه لها بلسان^(١)

فانظر إلى التأويلِ ما تعني به

خَيْرُ النساءِ وأفقه النسوانِ

أتظنها تعني به صرفاً عن الـ

مَعْنَى القويِّ لغيرِ ذي الرُّجحانِ^(٢)

وانظر إلى التأويلِ حينَ يقولُ عدُّ

لَمَهْ لِعَبْدِ اللهِ في القرآنِ

ماذا أرادَ به سوى تفسيره

وظهور معناه له ببيانِ

(١) قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ بعدما نزل عليه قوله

تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾...» [النصر: ١] إلى آخر السورة

يقول: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» يتأول القرآن^(*)،

يعني: يُفسر القرآن ويبيِّن معنى هذه الآية يفسرها عملياً. فدل على أن

التأويل هو بيان المعنى لا صرف اللفظ عن ظاهره ومدلوله.

(٢) عائشة رضي الله عنها لا تعني التأويل الباطل الذي هو صرف اللفظ عن

ظاهره إلى معنى مرجوح؛ لأنها أفقه النساء، وهو تأويل باطل متأخر

الحدوث، وإنما تعني تفسير اللفظ وبيان معناه.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٠/١٩٢-١٩٣ (٢٤١٦٣)، والبخاري (٤٩٦٧) و(٤٩٦٨)

ومسلم (٧٨٤) وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها.

قول ابن عباسٍ هو التأويلُ لا

تأويلُ جَهْمِيٍّ أَخِي بُهْتَانٍ^(١)

وحقيقةُ التأويلِ معناه الرجو

عُ إِلَى الْحَقِيقَةِ لَا إِلَى الْبُطْلَانِ^(٢)

وكذلك تأويلُ المنامِ حقيقةُ الـ

مَرْتِيٍّ لَا التَّحْرِيفُ بِالْبُهْتَانِ^(٣)

(١) والتأويل الذي دعا به الرسول ﷺ لعبد الله بن عباس قال: «اللهم فقِّههُ في الدين وعلمهُ التأويلَ»^(*) المراد به: تفسير القرآن. فكان ابن عباس رضي الله عنهما، بسبب هذه الدعوة يُسَمَّى ترجمان القرآن ببركة دعوة الرسول ﷺ، والشاهد: أن مُراد الرسول ﷺ بالتأويل هو التفسير، فكان ابن عباس من أعلم الناس بالتفسير واشتهر بذلك، أمّا تأويل الجهمي فإنه ليس هو التفسير وإنما هو تحريف الكلم عن مواضعه، وتفسيره بمعنَى غير مُراد الله منه.

(٢) ويراد بالتأويل أيضاً: ما يؤول إليه الشيء، يعني يرجع عليه، والمراد بيان حقائق ما جاءت به الأخبار في المستقبل حين تقع مدلولاتها.

(٣) وتأويل الرؤيا: بيان حقيقة المرثي حينما يقع، فالإنسان يرى في منامه شيئاً فإذا وقع هذا الشيء فهو تأويل الرؤيا كما قال يوسف عليه السلام: ﴿يَتَأَبَّتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٢٥/٤ (٢٣٩٧) من حديث ابن عباس، والحديث إسناده قوي على شرط مسلم، وانظر تمام تخريجه في «المسند».

وكذاك تأويلُ الذي قد أُخبرَتْ

رُسُلُ الإلهِ به من الإيمان^(١)

لا خُلْفَ بينَ أئمةِ التفسيرِ في

هذا وذلك واضحُ البرهانِ

نفسُ الحقيقةِ إذ تُشاهدُها لدى

يَوْمِ المَعَادِ بِرُؤْيَا وَعِيَانِ

هذا كلامُ الله ثُمَّ رسوله

وأئمةِ التفسيرِ للقرآن^(٢)

تأويلُه هو عندهم تفسيرُه

بالظاهرِ المفهومِ للأذهانِ

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ [الأعراف: ٥٣] يعني: لا

ينتظر الكافر إلا وقوع ما أُخبرت به الرسل في يوم القيامة، حينذاك

﴿ يَقُولُ الَّذِينَ ذُنُوبُهُمْ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا رَبَّنَا بِالْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٥٣] اعترفوا

بصحة ما جاءت به الرسل، وكانوا في الدنيا يكذبونهم ويقولون: هذا

مُحال، ليس هناك بعثٌ ولا نشور ولا جنَّة ولا نار، يكذبون الرسل، فإذا

عائِنوا ذلك يوم القيامة اعترفوا أَنَّ الرسل على الحقِّ والصدق لكن لا

ينفعهم الاعتراف، حينذاك.

(٢) وهو أن التأويل الحق الذي دل عليه القرآن والسنة وكلام أئمة التفسير

يطلق على معنيين:

تفسير اللفظ وبيان معناه.

ما يؤول إليه الشيء والخبر في المستقبل هذان التأويلان حقٌّ، وهما

المُرَاد في القرآن، لا تأويل الجهمية والقرامطة والشيعة.

ما قالَ منهم قطُّ شخصٌ واحدٌ
 تأويلُهُ صَرَفٌ عن الرُّجْحَانِ
 كلاً ولا نفيُّ الحقيقةِ لا ولا
 عَزْلُ النصوصِ عن اليقينِ فذَانِ
 تأويلُ أهلِ الباطلِ المردودِ عندُ
 سَدِّ أئمةِ العِرفانِ والإيمانِ
 وهو الذي لا شكَّ في بطلانِهِ
 واللهُ يقضي فيه بالبُطلانِ^(١)
 فجَعَلْتُمْ لِلْفِظِ مَعْنَى غَيْرَ مَعِ
 نَاهُ لَدَيْهِمْ بِاصْطِلَاحِ ثَانِ
 وَحَمَلْتُمْ لَفْظَ الْكِتَابِ عَلَيْهِ حَتَّى
 تَأْتِيَ جَاءَكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَحْذُورَانِ

(١) التأويل عند المتقدمين هو تفسير اللفظ بالمعنى الذي يدل عليه، أما التأويل عند المتأخرين: فهو صرف الكلام عن المعنى المراد إلى معنى غير المراد. والسلف ما أرادوا هذا أبداً وإنما أرادوا المعنى المراد، فلم يقل هذا أحد من السلف.

ولم يقل أحد منهم بعزل النصوص عن اليقين، وأنها تُفيد الظن لا اليقين كما يقوله أهل التأويل الباطل، لأن الذي يُفيد اليقين عندهم هو القواعد المنطقية. ولو كان ما يقولونه حقاً لكان القرآن كُلُّهُ للتعمية والأحاجي والألغاز، والله أثنى على القرآن، ومدحه بأنه ﴿يَلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] وأنه ﴿أَحْكَمَتَّءِائِنْتُمْ ثُمَّ قُصِّلَتْ﴾ [هود: ١].

كذبت على الألفاظ مع كذب على

من قالها كذبان مقبوحان

وتلاهما أمران أقبح منهما

جحد الهدى، وشهادة البهتان

إذ يشهدون الزور أن مرادة

غير الحقيقة وهي ذو بطلان^(١)



(١) يقول الشيخ للجهمية أحدثتم للقرآن والسنة معانٍ غير المعاني التي أنزلت من أجلها، فيلزم من هذا محذوران:

الأول: أن القرآن ما نزل للهداية، وإنما نزل للتعمية.

الثاني: أن الرسل ما أخبرت بالحقيقة، وإنما أخبرت بأشياء غير

حقيقية، وكلا القولين كفر. ويلزم من هذا محذوران عظيمان هما: الكذب

على الألفاظ، والكذب على من قالها، ويتلو هذين المحذوران محذوران

أقبح منها، وهما جحد أن القرآن جاء للهداية، والشهادة الكاذبة عليه

بذلك.

فصل

فيما يلزم مُدَّعي التأويل لتصحيح دعواه^(١)

وعليكم في ذا وظائفُ أربعُ

والله ليس لكم بهنَّ يدان^(٢)

منها دليلٌ صارفٌ لللفظِ عن

موضوعه الأصليِّ بالبرهانِ

(١) يلزم مُدَّعي التأويل أربعة أمور إذا تمت صار التأويل صحيحاً، وإلا فهو تأويل باطل، وهذه الأربعة مستحيلٌ وجودها في تأويل أهل الباطل:
الأول: إقامة الدليل على أن هذه النصوص ليست على ظاهرها، وإنما لها معنى آخر.

الثاني: إقامة الدليل على صحة الاحتمال الذي صُرف اللفظ إليه.
الثالث: إقامة الدليل على أن المتكلم أراد هذا المعنى الذي صُرف إليه اللفظ، تقول: ولماذا لا يكون أرادَ غيره؟ إذا صار اللفظ محتملاً لعدَّة معان، وأنت أيها المؤول تقول: يريد هذا المعنى، فما الدليل على هذا التحديد؟ وقد يكون أمراً تعبدياً، لأنَّ بعض النصوص تعبدية لا تُعرف حكمتها وعلتها، فما الذي يؤمنك من كونها تعبدية.

الرابع: الجواب عن قول المعارض الذي يقول صرفتم اللفظ إلى غير مراد المتكلم، لأن الأصل هو العمل بالظاهر، والنصوص على ظاهرها مالم يدل دليل على صرفها عنه.

(٢) يعني ليس لكم على الإتيان بالأربعة المذكورة قوة.

إذ مُدَّعِي نَفْسِ الْحَقِيقَةِ مُدَّعٍ
 لِلأَصْلِ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى بُرْهَانٍ (١)
 فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكُمْ دَلِيلُ الصَّرْفِ يَا
 هِيَهَاتَ طُوبِئْتُمْ بِأَمْرِ ثَانٍ
 وَهُوَ احْتِمَالُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى الَّذِي
 قُلْتُمْ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالتَّبْيَانِ (٢)
 فَإِذَا أَتَيْتُمْ ذَاكَ طُوبِئْتُمْ بِأَمْرِ
 ثَالِثٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا الثَّانِي
 إِذْ قُلْتُمْ أَنَّ الْمُرَادَ كَذَا فَمَا
 ذَا دَلَّكُمْ أَنْتُمْ خَرُصُ الْكُهَّانِ؟
 هَبْ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدِ الْمَوْضُوعَ لـ
 كَيْنَ قَدْ يَكُونُ الْقَصْدُ مَعْنَى ثَانٍ
 غَيْرَ الَّذِي عَيَّنْتُمُوهُ وَقَدْ يَكُونُ
 نُونُ اللَّفْظِ مَقْصُوداً بَدُونَ مَعَانٍ

(١) الأمر الأول: أن يقال لمدعى التأويل: أين الدليل على أن ظاهر اللفظ غير مراد، لأن الأصل: أن الكلام على ظاهره، إلا أن تأتوا بدليل يصرف عن هذا الأصل، وأتى لكم الدليل.
 فالذي يدعي أن اللفظ على ظاهره مُدَّعٍ للأصل، وأنتم تدعون أنه على خلاف الأصل فما هو دليلكم؟

(٢) إذا جئتم بالدليل على صرف اللفظ عن ظاهره، وهذا بعيد جداً طولبتم بشيء آخر وهو إقامة الدليل على تعيين الاحتمال الذي فسرتُم اللفظ به وإلا كنتم كاذبين.

كتعبُّدٍ وتلاوةٍ ويكونُ ذا
 كِ القصدُ أنفعَ وهو ذو إمكانٍ^(١)
 مِنْ قَصْدٍ تَحْرِيفٍ لَهَا يُسَمَّى بِتَأْ
 وَيْلِ مَعَ الْإِتْعَابِ لِلْأَذْهَانِ
 وَاللَّهِ مَا الْقَصْدَانِ فِي حَدِّ سِوَا
 فِي حِكْمَةِ الْمُتَكَلِّمِ الْمَثَانِ
 بَلْ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ تُبْطِلُ قَصْدَهُ الثَّ
 تَحْرِيفَ حَاشَا حِكْمَةَ الرَّحْمَنِ
 وَكَذَاكَ تُبْطِلُ قَصْدَهُ أَنْزَالُهَا
 مِنْ غَيْرِ مَعْنَى وَاضِحِ التَّبْيَانِ
 وَهُمَا طَرِيقًا فَرَّتَيْنِ كِلَاهُمَا
 عَنِ مَقْصِدِ الْقُرْآنِ مُنْحَرِفَانِ

(١) إذا أتيتم بالدليل على صحة هذا الاحتمال الذي صرفتم اللفظ إليه نقول لكم: ما الدليل على أن الشارع ما أراد إلا هذا الذي تقولون ولم يرد غيره، ما دام أن اللفظ له احتمالات وأنتم صرفتموه إلى واحد من هذه الاحتمالات، فما دليل الحصر عندكم؟ ولماذا لا يكون الشارع أراد الاحتمال الثاني؟ فليس عندكم إلا تخرُّص الكُفَّان الذين يدعون علم الغيب ويقولون: سيقع كذا وكذا، وليس عندهم علم وإنما هو تخرُّص وكذب. وقد يكون اللفظ ليس له معنى معلوم وإنما هو تعبدي، فهناك نصوص كثيرة لم يظهر للعلماء معناها، مما يُسمونه التعبدي.

فصل

في طريقة ابن سينا وذويه من الملاحدة في التأويل^(١)

وأتى ابنُ سينا بعدَ ذا بطريقتِهِ

أخرى ولم يأنفُ من الكُفرانِ

قال المرادُ حقائقُ الألفاظِ تَحْـ

يلاً وتقريباً إلى الأذهانِ^(٢)

(١) لَمَّا كان علماء الكلام هم الذين فتحوا باب التأويل في نصوص الصفات جاءهم الفلاسفة وقالوا لهم: نحنُ أولى بالتأويل منكم فتأويلنا أولى من تأويلكم ما دام أنكم أولتم نصوص الصفات فلماذا تنكرون علينا تأويل يوم القيامة وتأويل الأوامر والنواهي؟ ما دام جاز لكم التأويل فنحنُ أولى بالجواز، لماذا تُنكرون علينا؟ فانفتح الباب لأهل الباطل وأولوا كلِّ شيء، حتى ادَّعوا أنَّ القرآن والسنة ليس لهما معاني حقيقية وإنما هي من باب تقريب الحقائق للناس، أو هي من باب التخيل لأجل مصلحة الناس، وانفتح الباب لأهل التجهيل والتضليل، فتحه علماء الكلام لما أولوا نصوص الصفات، انفتح لأهل الضلال تأويل الأوامر الشرعية، فأولوا الصيام والصلاة والحج بأنها ليست على ظاهرها، فالحج يقولون فيه: القصد إلى المشائخ، والزكاة يُراد بها تطهير النفوس من الأخلاق الرذيلة، ليس معناها: دفع المال، هذا هو تأويل الباطنية والقرامطة، فهذه جناية التأويل على الشريعة.

(٢) قال ابن سينا هذه النصوص كلها ما أُريد بها الحقائق، وإنما أُريد بها =

عَجَزَتْ عَنِ الْإِدْرَاكِ لِلْمَعْقُولِ إِلَى
 لَا فِي مِثَالِ الْحِسِّ كَالصَّبِيَانِ
 كَيْ يُرِيزَ الْمَعْقُولَ فِي صُورٍ مِنْ أَلْ
 مَحْسُوسٍ مَقْبُولًا لِدَى الْأَذْهَانِ
 فَتَسَلُّطُ التَّأْوِيلِ إِبْطَالًا لَهَا
 هَذَا الْقَصْدِ وَهُوَ جِنَايَةٌ مِنْ جَانِ
 هَذَا الَّذِي قَدْ قَالَهُ مَعَ نَفْيِهِ
 لِحَقَائِقِ الْأَلْفَاظِ فِي الْأَذْهَانِ
 وَطَرِيقَةُ التَّأْوِيلِ أَيْضًا قَدْ غَدَتْ
 مُشْتَقَّةً مِنْ هَذِهِ الْخُلُجَانِ^(١)
 وَكِلَاهُمَا اتَّفَقَا عَلَى أَنَّ الْحَقِيقَةَ
 مَقَّةً مُنْتَفِ مِمْضُونُهَا بِيَانِ^(٢)

= التخييل والتمثيل، والتقريب للأذهان فقط، لأنَّ الناس أَلْفُوا أَشْيَاءَ، فالرسل جاءتهم بما أَلْفُوا، وإلَّا فالحقيقة ليست فيما أخبروا عنه.

(١) لما فتح علماء الكلام التأويل في الصفات، استخدمه الملاحدة في الأمور الشرعية وأمور الآخرة فقالوا: هي ليست بحقائق وإنما هي من باب التخييل والتمثيل فقط وليست هي حقائق تقع، أو ليست الأوامر والنواهي عبادات كما تعرفون من صلاة وصيام وزكاة وحج، وإنما هذه ألفاظ يُراد بها معانٍ أنتم لا تعرفونها.

(٢) علماء الكلام لما قالوا في الصفات: حقائقها ليست مرادة ولا لله صفات، وعلماء الباطن قالوا: أمور الآخرة وأمور الشرائع ليست حقائق، ولا تدل =

لكن قد اختلفا فعند فريقكم
 ما إن أريدت قط بالتبيان
 لكن عندهم أريد ثبوتها
 في الذهن إذا عُدت من الإحسان
 إذ ذاك مصلحة المخاطب عندهم
 وطريقة البرهان أمر ثانٍ (١)
 فكلاهما ارتكبا أشد جنابة
 جُنيت على القرآن والإيمان (٢)

= على حقائق، وإنما هي ألفاظ يُراد بها التمثيل للحقائق الصحيحة فقط
 فاتفقت الطائفتان على تأويل النصوص.

(١) يقولون: ليس المراد أنّ هناك جنة وأنهاراً وأشجاراً وثماراً حقيقة وإنما
 هي من باب ترغيب الناس في الأخلاق الطيبة، والمعاملات الطيبة، وإلاّ
 فليس هناك جنة حقيقة، هذا تأويل الباطنية، والنار يقولون فيها ليس
 هناك نارٌ محرقة تحرق وتأكل الناس، وإنما هذا من باب التخويف حتى
 يكف الناس عن الرذائل وعن السرقة وعن الأخلاق المذمومة فهو تهديد
 فقط، هذا هو كلام الباطنية، فهو يشبه كلام علماء الكلام في نفي
 الأسماء والصفات، بل إنّ تأويل علماء الكلام أشد لأنه يتعلّق بالتوحيد
 وبحق الله تعالى.

(٢) بعد هذا التأويل الباطل عند علماء الكلام وعند الباطنية لا يبقى
 للقرآن حقيقة ولا للسنة حقيقة، وإنما هي ألفاظ مجردة، والجريمة
 كلّها جريمة علماء الكلام، لأنهم فتحوا هذا الباب في نصوص الصفات =

جعلوا النُّصوصَ لأجلها غرضاً لهم
 قد خَرَّقُوهُ بِأَسْهُمِ الْهَذْيَانِ
 وتسلَّطِ الأوغادِ والأوقاحِ والـ
 أرذالِ بالتَّخْرِيفِ والبُهْتَانِ
 كلُّ إذا قابَلْتَهُ بالنصِّ قا
 بَلَهُ بِتَأْوِيلِ بِلَا بُرْهَانِ^(١)
 ويقول تأويلي كتأويلِ الذي
 من تأوَّلُوا فَوْقِيَّةَ الرَّحْمَنِ^(٢)
 بل دُونَهُ فظهورُها في الوحي بالذِّ
 نَصِّينِ مِثْلَ الشَّمْسِ فِي التَّبْيَانِ^(٣)

= فقالوا: ما دام أنكم أجزتموه في نصوص الصفات وأنها ليست حقيقة
 فما الذي يمنعُه في بقية النصوص؟ .

(١) فتصير النصوص ليست حُجَّة؛ لأنك إذا احتججت عليهم بالنصوص
 قالوا: هذه ليست على حقيقتها ولا على ظاهرها، فبذلك عطَّلوا القرآن
 والسنة عن الاستدلال والعمل بسبب التأويل الباطل .

(٢) يقول الباطني: ما الفرق بين تأويلي الجنة والنار والصلاة والزكاة والحج
 والأوامر الشرعية وبين تأويل الذين أوَّلوا العلوَّ والفوقية والاستواء
 والنزول؟ إذا كان تأويلهم سائغاً فتأويلي سائغ .

(٣) يقول الباطني بل تأويلي أخف من تأويل علماء الكلام للأسماء والصفات
 لأن نصوصها أظهر في الدلالة على الحقيقة .

أيسوغُ تأويلُ العلوِّ لَكُمْ ولا
تتأولوا الباقي بلا فرقان^(١)
وكذاك تأويلُ الصفاتِ مَعَ أنَّها
مِلءُ الحديثِ ومِلءُ ذا القرآنِ^(٢)
واللهِ تأويلُ العلوِّ أشدُّ مِنْ
تأويلنا لقيامَةِ الأبدانِ^(٣)
وأشدُّ مِنْ تأويلنا لِحَيَاتِهِ
ولِعِلْمِهِ ومشيئَةِ الأكوانِ
وأشدُّ مِنْ تأويلنا لحدوثِها
لذا العالمُ المحسوسِ بالإمكانِ^(٤)

(١) هذا الباطني يخاطب الجهمي والمعتزلي والأشعري فيقول: ما الفرق بين تأويلي وتأويلكم؟ لأنَّ الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة يردُّون على الباطنية، فالباطنية يردُّون عليهم فيقولون: ما الفرق بين تأويلنا وتأويلكم؟ نحنُ أولنا وأنتم أولتم فلماذا ساغ تأويلكم وبطل تأويلنا؟

(٢) يعني ذكر نصوص الأسماء في القرآن والحديث كثير، فلماذا تأولتموها وصرفتموها عن ظاهرها، وتنكرون علينا نحنُ إذا صرفنا نصوص المعاد والأوامر والنواهي عن ظاهرها وهي أقل عدداً من نصوص الأسماء والصفات.

(٣) تأويل علماء الكلام العلوِّ أشدُّ خطراً من تأويل الباطنية ليوم القيامة؛ لأنَّ العلوَّ يتعلَّق بالله سبحانه وتعالى، وأدلته أكثر من ألف دليل، ومع هذا أولوه، فهو أشدُّ من تأويل اليوم الآخر.

(٤) هذا عند ابن سينا يقول: بإمكان قدم هذا العالم، والفلاسفة قبله يقولون: بوجود قدم العالم، وأنَّه ليس مُحدثاً ومخلوقاً وإنما هو شيءٌ قديم، =

وأشدُّ من تأويلنا بعض الشرا
 ئع عندَ ذي الإنصافِ والميزانِ^(١)
 وأشدُّ من تأويلنا لكلامِهِ
 بالفيضِ من فعَّالِ ذي الأكوانِ^(٢)
 وأشدُّ من تأويلِ أهلِ الرفضِ أحر
 بارَ الفضائلِ حازها الشيخانِ^(٣)
 وأشدُّ من تأويلِ كُلِّ مُؤوِّلٍ
 نصّاً أبانَ مُرادَهُ الوحيانِ
 إذ صرَّحَ الوحيانِ مع كُتُبِ الإلّا
 هِ جميعها بالفوقِ للرحمنِ

= هذا قول الفلاسفة، وأمّا ابن سينا فإنه تَلَطَّفَ وقال: بإمكان قدم هذا العالم.

(١) يقول الفلاسفة لعلماء الكلام: تأويلنا للشرائع أخفُّ من تأويلكم للصفات.

(٢) يقول الفلاسفة: كلامُ الله هو الفيض الذي يفيض من العقل الفعَّال، ويقول الجهمية والمعتزلة: كلام الله خَلَقَ خَلْقَهُ في غيره، والله لا يوصف بالكلام، فتأويل الفلاسفة مثل تأويل الجهمية ما بينها فرق بل تأويل الجهمية أشد.

(٣) يجحد الروافض كل منقبة لأبي بكر وعمر، ويؤوِّلونها بأنَّ هذا قبل أن يرتدوا، فما ثبت من الفضائل لأبي بكر وعمر إذا عجزوا عن تكذيبه قالوا: هذا قبل أن يرتدا.

فَلَايِّ شَيْءٍ نَحْنُ كَفَارٌ بَدَا لَنَا

تَأْوِيلٍ بَلْ أَنْتُمْ عَلَى الْإِيمَانِ^(١)

إِنَّا تَأْوَلْنَا وَأَنْتُمْ قَدْ تَأَوُّ

وَلْتُمْ فَهَاتُوا وَاضِحَ الْبُرْهَانِ

الْكُمِ عَلَى تَأْوِيلِكُمْ أَجْرَانِ حَيْثُ

كُنَّا لَنَا عَلَى تَأْوِيلِنَا وَزُرَانِ^(٢)

هَذِي مَقَالَتُهُمْ لَكُمْ فِي كُتُبِهِمْ

مِنْهَا نَقَلْنَاهَا بِلا عُدْوَانِ^(٣)

رَدُّوا عَلَيْهِمْ إِنْ قَدَّرْتُمْ أَوْ فَانَحُوا

حُورًا عَنْ طَرِيقِ عَسَاكِرِ الْإِيمَانِ

(١) يقول الباطنية للجهمية ومن معهم: لماذا تقولون: إننا كفار بتأويلنا، وتزعمون أنكم أهل الإيمان، لماذا لا نكون جميعاً كفاراً؟ نحن وأنتم، أمّا إنَّ بعضَ التأويلِ حقٌّ وبعضه باطلٌ فهذا غير صحيح، لأنَّ النصوص مجراها واحد، إمّا أن تكون على ظاهرها كُلُّها، وإمّا أن تكون مؤولة كُلُّها.

(٢) يقول الباطني من وجه آخر: الفرق بين تأويلنا وتأويلكم، أنكم تزعمون أنكم مجتهدون، وأنَّ المجتهد إذا أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد فلماذا إذا نحنُ ليس لنا أجر مثلكم، مع أنَّ طريقتنا وطريقتكم واحدة، فيجب أن نشترك في الأجر ونشترك في الوزر.

(٣) يقول: أنا ما قلت هذا الذي قاله الفلاسفة لعلماء الكلام من عندي، وإنما هذا موجود في كتبهم التي يردُّون بها عليهم ولم يجيبوا عنها.

لَا تَحْطِمَنَّكُمْ جُنُودُهُمْ كَحَطِّ

سِ السَّيْلِ مَا لَاقَى مِنَ الدِّيدَانِ^(١)

وَكَذَا نَطَالِبُكُمْ بِأَمْرِ رَابِعٍ

وَاللَّهِ لَيْسَ لَكُمْ بِذَا إِمْكَانٍ

وَهُوَ الْجَوَابُ عَنِ الْمَعَارِضِ إِذْ بِهِ الدُّ

دَعْوَى تَتِمُّ سَلِيمَةَ الْأَرْكَانِ^(٢)

(١) يقول: يا معشر المؤولة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، ردُّوا على الباطنية إن كنتم تقدرُونَ وإن لم تكونوا تقدرُونَ فكلوا الردَّ لأهل الإيمان يردون عليهم وعليكم، ويبطلون كلامهم وكلامكم، وابتعدوا عن طريق أهل الحق لئلا يحطموكم بأقدامهم كما يحطم السيل إذا جاء الديدان التي في وجهه وسائر الحشرات، هذا وصف أهل التأويل أنَّهُم حشرات وديدان لا يقومون بوجه الحق إذا جاء.

(٢) هذا الوجه الرابع ممَّا يُطالب به أهل التأويل، وسبق أن ذكر أن المؤول يُطالب بأربعة أشياء:

الإتيان بالدليل على أنَّ اللفظ الذي يؤوِّله ليس على ظاهره.

الإتيان بالدليل على المعنى الآخر الذي يريد أن يُفسَّر به الدليل، أنَّ

هذا اللفظ يحتمله.

الدليل على أنَّ الشارع أراد هذا المعنى بخصوصه ولم يُرد معنى

آخر، إذ كان اللفظ له عدة معان.

الأمر الرابع: الجواب عن المعارض الذي يُعارضكم ويقول: هذا

التأويل باطل، لأن الأصل هو العمل بالظاهر، والنصوص على ظاهرها

ما لم يدل دليل على صرفها عنه، فإذا وفيتم بهذه المقاصد الأربعة صار

تأويلكم صحيحاً، لكن هذا من أبعد المحال.

لكنّ ذا عينُ المحال ولو يسا
 عدُّكم عليه ربُّ كلِّ لسانٍ^(١)
 فأدلةُ الإثباتِ حقاً لا تقو
 مُ لها الجبالُ وسائرُ الأكوانِ^(٢)
 تنزيلُ ربِّ العالمينَ ووحيه
 مع فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ والبُرْهانِ
 أتى يُعارضُها كُناسَةٌ هذه الـ
 أذهانِ بالشُّبهاتِ والهَديانِ
 وجعاجِعُ وفراقِعُ ما تحتهَا
 إلّا السَّرابُ لواردٍ ظمآنِ^(٣)

(١) ولو اجتمع الناس كلُّهم، الفصحاء والبُلغاء يريدون مساعدتكم على وجاهة تأويلكم لما استطاعوا، لأنكم تعارضون الكتاب والسنة، ومن عارض الكتاب والسنة فهو مخصوم ومحجوج على كلِّ حال ولو ساعده من ساعده من الخلق، لأنّه يخاصم القرآن ويخاصم السنة ويخاصم أهل الحق.

(٢) لأنّها مُنزلةٌ من أحكم الحاكمين وأصدق القائلين: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١] فهي ليست مثل كلام البشر.

(٣) العقول السليمة والبراهين العقلية لا تُعارضها الشبهات والشكوك والفلسفات وقواعد المنطق. كل هذه إنّما هي ﴿ كَرَابٍ بَقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ [النور: ٣٩]، يقول الشاعر:

حججٌ مثلُ الزُّجاجِ تخالها
 حقاً وكلُّ منها كاسرٌ مكسور
 يُبطل بعضها بعضاً.

فَلْتَهِنُكُمْ هَذِي الْعُلُومُ اللَّاءِ قَدْ
 ذُخِرَتْ لَكُمْ عَنْ تَابِعِ الْإِحْسَانِ^(١)
 بَلْ عَنْ مَشَايِخِهِمْ جَمِيعاً ثُمَّ وَفُ
 فِقْتُمْ لَهَا مِنْ بَعْدِ طَوْلِ زَمَانٍ^(٢)
 وَاللَّهِ مَا ذُخِرَتْ لَكُمْ لِفَضِيلَةٍ
 لَكُمْ عَلَيْهِمْ يَا أَوْلِي التَّقْصَانِ^(٣)
 لَكِنْ عُقُوبُ الْقَوْمِ كَانَتْ فَوْقَ ذَا
 قَدْرًا وَشَأْنُهُمْ فَأَعْظَمُ شَانٍ
 وَهُمْ أَجَلٌ وَعِلْمُهُمْ أَعْلَى وَأَشَدُّ
 رَفٌّ أَنْ يُشَابَ بِزُخْرَفِ الْهَدْيَانِ
 فَلِذَاكَ صَانَهُمُ الْإِلَهُ عَنْ الَّذِي
 فِيهِ وَقَعْتُمْ صَوْنَ ذِي إِحْسَانٍ^(٤)

(١) فلتهينكم هذه الجعجات وهذه الفلسفات وعلم الكلام والطنطنة التي ورثتموها وحُرِمَ منها أهلُ الإيمانِ كأنها ادخرت لكم دون أهل الإيمان والقرآن.

(٢) فآدلة المنطق وعلم الكلام ما عرفها الإمام أحمد ولا أبو حنيفة قبله ولا مالك ولا الشافعي ولا الزهري ولا أئمة التابعين ما عرفوا هذا، فمعناه: أَنَّ الله خصكم بهذا العلم من دونهم.

(٣) تخصيصكم بها دون أهل السنة والجماعة دليل على أَنَّ الله أراد بكم شراً، حيث إنَّها ادخرت لكم خاصّة، فادخارها لكم علامة على شقاوتكم.

(٤) كون أئمة الهدى لم يعرفوا هذه الأدلة الكلامية دليل على كرامتهم على الله، وَأَنَّ الله صانهم عن هذه الترهات والأباطيل، ولم تأت إلا بعد =

سَمَّيْتُمْ التَّحْرِيفَ تَأْوِيلًا كَذَا التُّ

تَعْطِيلَ تَنْزِيهَا هُمَا لَقْبَانِ (١)

وَأَضْفْتُمْ أَمْرًا إِلَى ذَا ثَالِثًا

شَرًّا وَأَقْبَحَ مِنْهُ ذَا بُهْتَانِ (٢)

فَجَعَلْتُمْ الْإِثْبَاتَ تَجْسِيمًا وَتَشْ

بِيهَا وَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْعُدْوَانِ

= انقراض القرون المفضلة، وبعد ذهاب علماء القرون المفضلة، فهذا ابتلاء وامتحان لكم من الله، وصرف لكم عن الحق بسبب إعراضكم، أمّا أولئك فأقبلوا على كتاب الله وسنة رسول الله تعلمًا وتعليمًا وعملاً فأكرمهم الله بأن حماهم من هذه الأباطيل، فخرجت بعدهم على أناس همهم القيل والقال وكثرة الكلام والجدل، فعاقبهم الله، وأظهر لهم هذا الشر على يد أشقى الناس من المعتزلة الذين غرروا بالخليفة العباسي واستغلوا سلطته وجهله بهذه الأمور، وقالوا له: إنَّها حق، وإنها كرامة فغرروا به فساعدهم على هذا الشيء يظنُّ أنَّهم على حق.

(١) سميت التحريف تأويلاً من أجل أن يروج على الناس وإلا فهو في الحقيقة تحريف كتخريف اليهود، والتخريف معناه: صرف اللفظ عن معناه الصحيح إلى معنى باطل، وسموا التعطيل تنزيهاً لأنهم قالوا: لو أثبتنا الصفات لله للزم مشابهة الخالق للمخلوق، وهذا باطل، ولم يهتدوا إلى أن إثبات الأسماء والصفات لله لا يلزم منه التشبيه.

(٢) الأمر الثالث من باطلهم: أنهم سمو الإثبات تجسيماً، فالذي يُثبت الصفات لله يُسمونه مجسماً، ولذلك يسمون أهل السنة بالمجسمة، خصوصاً الحنابلة أتباع الإمام أحمد بن حنبل، لأنهم يشبِّهون الصفات لله عزَّ وجل.

فقلبتُم تلكَ الحقائقَ مثلَ ما
 قُلبتِ قلوبُكم عن الإيمانِ
 وجعلتُم الممدوحَ مذموماً كذا
 بالعكسِ حتى استكملَ اللبَّانُ (١)
 وأردتُم تُحمدوا بالإتِّبا
 عِ نَعَمَ لَكِن لِمَنُ يا فِرقةَ البُهتانِ (٢)
 وبغيتُم أن تَنسبوا للإبتدا
 عِ عساكِرَ الآثارِ والقُرآنِ
 وجعلتُم الوَحِيَّينَ غيرَ مفيدةٍ
 للعلمِ والتحقيقِ والبُرهانِ (٣)

-
- (١) جعلتم الممدوح مذموماً، والمذموم ممدوحاً، جعلتم اتباع الكتاب والسنة تشبيهاً وتجسيماً، وجعلتم تعطيل الأسماء والصفات تنزيهاً من باب التمويه، وسميت الحق باطلاً والباطل حقاً للتلبيس على الناس.
- (٢) أردتم أن تُحمدوا بكثرة الأتباع، لكنكم متبعون لمن؟ لليهود والنصارى، ولستم متبعين لسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم، فأنتم أتباعٌ لكلِّ مُعطلٍ ولكلِّ مُبطلٍ.
- (٣) يقول علماء الكلام: إنَّ نصوص الوحي من الكتاب والسنة لا تفيد اليقين، والعقائد لا تبنى إلا على ما يُفيد اليقين، فنصوص السمع وهي الكتاب والسنة لا تفيد اليقين، والذي يفيد اليقين عندهم هو العقليات، فعزلوا الكتاب والسنة عن الاستدلال في أهمِّ الأمور وأعظمها وهو أصول الإيمان.

لكن عقول الناكبين عن الهدى
 لهما تقيّد ومنطق اليونان^(١)
 وجعلتم الإيمان كُفراً والهدى
 عين الضلالِ وذا من الطغيانِ
 ثم استحققتُم عقولاً ما أرا
 د الله أن تزكوا على القرآنِ
 حتى استجابوا مُهطعينَ لدعوةِ التّ
 تعطيلِ قد هربوا من الإيمانِ
 يا ويحهم لو يشعرون بمن دعا
 ولما دعا قعدوا قعودَ جبان^(٢)

(١) يقول الذي يُفيد اليقين عندكم هو علم المنطق اليوناني، واستغنيتم به عن الكتاب والسنة.

ف عندكم أن الكتاب والسنة لا يُفيدان العلم واليقين، وأن قواعد المنطق هي التي تُفيد اليقين.

فنتج من هذا أن هؤلاء المعطلة بنوا عقائدهم على المنطق وأعرضوا عن الكتاب والسنة.

(٢) يقول ليت شرّكم اقتصر عليكم بل أغويتم فئات من الناس دعوتهم إلى هذه العقيدة الباطلة فاعتنقوها وتوارثوها فيما بينهم، وصارت عقيدة السلف المبنية على الكتاب والسنة تشبيهاً وتجسيماً.

والذين اتبعوهم لو شعروا بأن هؤلاء دعاة إلى الضلال؟ لما تابعوهم، لكن اغتروا بهم وظنّوا أنّهم على حق، فاتبعوهم وأخذوا هذه العقائد.

فصل

في شبه المُحَرِّفِينَ للنصوص باليهود وإرثهم التحريف منهم
وبراءة أهل الإثبات ممَّا رَمَوْهُم بِهِ من هذا الشبه

هَذَا وَثَمَّ بَلِيَّةٌ مَسْتُورَةٌ

فِيهِمْ سَأْبُدِيهَا لَكُمْ بَيَانٍ

وَرِثَ الْمُحَرِّفُ مِنْ يَهُودَ وَهُمْ أَوْلُو التَّ

تَحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَالتَّكْتِمَانِ

فَأَرَادَ مِيرَاثَ الثَّلَاثَةِ مِنْهُمْ

فَعَصَّتْ عَلَيْهِ غَايَةَ الْعَصِيَانِ

إِذْ كَانَ لَفْظُ النَّصْرِ مَحْفُوظًا فَمَا التَّ

تَّبْدِيلُ وَالتَّكْتِمَانُ فِي الْإِمْكَانِ

فَأَرَادَ تَبْدِيلَ الْمَعَانِي إِذْ هِيَ الِ

مَقْصُودٌ مِنْ تَعْبِيرِ كُلِّ لِسَانٍ^(١)

(١) هناك بلية أخرى، فقد ورث هؤلاء المتأولون تحريفهم من اليهود، وهم المشهورون بالتحريف والتبديل والتكتمان، كل هذا ذكره الله عن اليهود، فهؤلاء المعطلة ورثوا هذه الأمور الثلاثة عن اليهود فسلفهم هم اليهود لأنهم اقتدوا بهم.

لكن اليهود تسلطوا على نصوص التوراة فحرّفوها، لأن الله وكل حفظها إلى أحبارهم وعلمائهم ابتلاءً وامتحاناً، فحرّفوها وغيروها، أمّا =

فأتى إليها وهي بارزةٌ من الـ
 ألفاظٍ ظاهرةٌ بلا كتمانٍ
 فنفى حقائقها وأعطى لفظها
 معنىً سوى موضوعه الحَقَّاني
 فجنى على المعنى جنابةً جاحدٍ
 وجنى على الألفاظِ بالعدوانِ (١)

= القرآن فإن الله لم يكل حفظه إلى أحد وإنما تولى سبحانه حفظه بنفسه
 فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، تولاةُ
 سبحانه وتعالى بالحفظ، فلم يقدروا على تحريف القرآن كما حرّف اليهود
 التوراة، فلما لم يقدر الجهمية وأتباعهم على تحريف اللفظ؟ عملوا على
 تحريف المعنى ففسروه بغير تفسيره، وحملوه على غير مُراد الله منه،
 فاليهود جمعوا بين أمرين: تحريف اللفظ، وتحريف المعنى، أما هؤلاء
 فلم يقدروا على تحريف اللفظ فاقترضوا على تحريف المعاني، ولكن
 الحمد لله ما دام اللفظ محفوظاً فأهل الحق يأخذون علمهم من القرآن
 المحفوظ الذي لم يُغيّر ولم يُبدل، ويتركون تحريفات هؤلاء وتأويلاتهم.
 (١) بقي عمل الجهمية هذا مرفوضاً - والله الحمد عند أهل العلم والإيمان -
 لأن القرآن مُفسّر تفسيراً صحيحاً، وطرق ومصادر تفسيره معروفة وهي
 تفسير القرآن بالقرآن فالقرآن يفسر بعضه بعضاً وتفسير الرسول وتفسير
 الصحابة وتفسير اللغة العربية التي نزل بها، فيبقى تفسير هؤلاء عندهم لا
 قبول له ولا رواج له عند أهل الحق، فنحن لا نرجع للتفاسير المتأخرة
 كتفسير الرازي والزمخشري والنسفي في أصول الإيمان والعقيدة، وإنما
 نرجع لتفسير السلف الصالح الذي يتمشى مع المنهج السليم.

وَأَتَى إِلَى حِزْبِ الْهُدَىٰ أَعْطَاهُمْ
شِبْهَ الْيَهُودِ وَذَا مِنَ الْبُهْتَانِ
إِذْ قَالَ إِنَّهُمْ مَشَبَّهُةٌ وَأَنْ
تُمْ مِثْلُهُمْ فَمَنْ الَّذِي يَلْحَانِي^(١)
فِي هَتِكِ أَسْتَارِ الْيَهُودِ وَشِبْهِهِمْ
مِنْ فِرْقَةِ التَّحْرِيفِ لِلْقُرْآنِ
يَا مُسْلِمُونَ بِحَقِّ رَبِّكُمْ اسْمَعُوا
قَوْلِي وَعُوهُ وَعَيَّ ذِي عِرْفَانِ
ثُمَّ احْكُمُوا مِنْ بَعْدِ مِنْ هَذَا الَّذِي
أَوْلَىٰ بِهَذَا الشَّبْهِ بِالْبُرْهَانِ
أَمَرَ الْيَهُودَ بِأَنْ يَقُولُوا حِطَّةٌ
فَأَبَوْا وَقَالُوا حِطَّةٌ لِهَوَانِ

(١) يقول المعطل: إن الميثب للصفات يشبه اليهود، لأنهم يشبهون الله بخلقه، والذي يُثبت الصفات عنده مُشَبَّه، وهذا باطل لأننا نثبت صفاتاً تليق بجلاله سبحانه، لا تماثل صفات المخلوقين ولا مشابهة بينه وبين خلقه، فنحن والله الحمد موحدون، ولهذا يقول نعيم بن حماد شيخ البخاري رحمهما الله: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن عطّل الله من صفاته فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه. هذه قاعدة عظيمة، وهذا على حدّ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].
وقوله: «فمن الذي يلحاني»: يقول المعطل من الذي يلومني إذا قلت: إن مثبتة الصفات مشبهة فنقول يلحاك الكتاب والسنة وجميع المسلمين.

وكذلك الجهمي قيل له استوى

فأبى وزاد الحَرْفَ لِلتَّقْصَانِ

قال استوى استولى وذا من جهله

لُغَةً وَعَقْلاً مَا هُمَا سَيِّئَانِ (١)

عشرون وجهاً تُبْطِلُ التَّأْوِيلَ بِاسِ

تولى فلا تَخْرُجُ عَنِ الْقُرْآنِ

قد أَفْرِدَتْ بِمُصَنَّفٍ هُوَ عِنْدَنَا

تصنيفُ حَبْرٍ عَالِمٍ رَبَّانِي

ولقد ذكرنا أربعينَ طَرِيقَةً

قد أَبْطَلْتُ هَذَا بِحُسْنِ بَيَانِ

هي في الصواعقِ إنْ تُرِدْ تَحْقِيقَهَا

لا تَحْتَفِي إِلَّا عَلَى الْعُمِيَانِ (٢)

(١) يقول من هو الذي أولى بالشبه باليهود، هل هم أهل السنة والجماعة أو

هم المُعْطَلَّة، لا شك أن الأولى هم المُعْطَلَّة، وذلك لأن المعطل قيل

له: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فقال: استولى، فزاد حرفاً في

القرآن كما زاد اليهود لما قيل لهم: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] قالوا:

«حنطة» فزادوا النون فمن هو الأشبه باليهود.

(٢) تأويل «استوى» باستولى باطل من عشرين وجهاً ذكرها شيخ الإسلام ابن

تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» وزاد عليها ابن القيم رحمه الله

عشرين وجهاً فصارت أربعين وجهاً كلها تبطل تفسير استوى باستولى.

وذلك في كتابه القيم: «الصواعق المرسله على الجهمية والمُعْطَلَّة».

نون اليهود ولامُ جَهْمِيٍّ هُمَا
 فِي وَحْيِ رَبِّ الْعَرْشِ زَائِدَتَانِ^(١)
 وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ عَطَّلَ وَصَفَهُ
 وَيَهُودٌ قَدْ وَصَفُوهُ بِالنَّقْصَانِ
 فَهَمَا إِذَا فِي نَفِيهِمْ لُصْفَاتِهِ الـ
 عَلَيَا كَمَا بَيَّنَّهُ أَخَوَانِ^(٢)

* * *

(١) نون اليهود التي زادوها في حطة، ولام الجهمية التي زادوها في «استوى»
 ليسا هما من الوحي، ليسا من التوراة والقرآن، بل هما زائدتان فمن
 الذي يُشبه اليهود إذاً، الذي يُشبه اليهود هم الجهمية .
 (٢) اليهود شَبَّهوهُ بِالْخَلْقِ، وَالْجَهْمِيَّةُ عَطَّلُوا صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَنَفُوها
 وَشَبَّهوهُ بِالْجَمَادَاتِ بِلِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فَهُمَا سَيِّئَانِ فِي تَنْقِصِ اللَّهِ، سُبْحَانَهُ
 وَتَعَالَى عَمَا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

فصل

في بيان بُهتانهم في تشبيه أهل الإثبات بـ«فرعون»

وقولهم: **إِنَّ مَقَالَ الْعُلُوِّ عَنْهُ أَخَذُوهَا،**

وَأَنَّهُمْ أَوْلَىٰ بِفِرْعَوْنَ وَهَمَّ أَشْبَاهُهُ^(١)

ومن العجائب قولهم **فِرْعَوْنٌ مَدُّ**

هَبُّهُ الْعُلُوُّ وَذَاكَ فِي الْقُرْآنِ^(٢)

(١) من جملة مغالطات الجهمية ومن سار على نهجهم في تأويل الصفات أنهم يزعمون أن من يُثبت العلو لله سبحانه وتعالى فإنه قد أخذ بقول فرعون؛ لأن فرعون يظن أن الله في العلوّ ولذلك قال لهامان: ﴿أَبِنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] لأن موسى لما دعاه لعبادة الله وأثبت له ربوبية الله تعالى ظنّ فرعون أنّ الله في السماء فبنى هذا الصرح أو أراد بناءه، فالذين يُثبتون العلو هم على مذهب فرعون بزعم الجهم وأتباعه، وهذا في الحقيقة من قلب الحقائق لأنّ فرعون يريد تكذيب موسى لما أخبره أنّ الله في العلو فهم أشباه فرعون على الحقيقة لا أهل السنة.

(٢) في القرآن أنّ فرعون قال: ﴿أَبِنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ

السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ﴾ لكن ليس المراد أن هذا اعتقاد فرعون،

وإنما هو اعتقاد موسى، وفرعون يريد أن يكذبه؟

ولذالكَ قَدْ طَلَبَ الصُّعُودَ إِلَيْهِ بِالضُّ
صَرَاحِ الَّذِي قَدْ رَامَ مِنْ هَامَانَ
هَذَا رَأْيَانَهُ بِكُتُبِهِمْ وَمِنْ
أَفْوَاهِهِمْ سَمْعًا إِلَى الْأَذَانِ^(١)
فاسْمَعْ إِذَا مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَى بِفِرْ
عَوْنَ الْمُعْطَلِ جَاحِدِ الرَّحْمَنِ
وَانظُرْ إِلَى مَنْ قَالَ مُوسَى كاذِبٌ
حِينَ ادَّعَى فَوْقِيَّةَ الرَّحْمَنِ
فَمِنَ الْمَصَائِبِ أَنَّ فِرْعَوْنِيكُمْ
أَضْحَى يُكْفَرُ صَاحِبَ الْإِيمَانِ^(٢)
ويَقُولُ ذَاكَ مُبَدَّلٌ لِلدِّينِ سَا
عٍ بِالْفَسَادِ وَذَا مِنَ الْبُهْتَانِ^(٣)

(١) يقول ابن القيم: هذا الكلام رأيناه في كتبهم، يعني الجهمية، يزعمون أن أهل السنة في إثباتهم العلو على مذهب فرعون يقول: وسمعناه منهم في مجالسهم.

(٢) فرعونيكم: وهو الجهم بن صفوان، لأنه إمام الجهمية، فهو فرعوني لأنه على مذهب فرعون، وهو يُكْفَرُ أهل الإيمان الذين يُثبتون علو الله على عرشه.

(٣) يقول الجهم: إن أهل السنة يُفسدون في الأرض وينشرون العقائد الفاسدة؛ لأنهم يُثبتون العلو والصفات لله عز وجل، وهذا في نظره إفسادٌ =

إِنَّ الْمُورَثَ ذَا لَهُمْ فِرْعَوْنَ حِي

نَ رَمَى بِهِ الْمَوْلُودَ مِنْ عِمْرَانَ (١)

فَهُوَ الْإِمَامُ لَهُمْ وَمَا فِيهِمْ بِمَثُّ

جُبُوعٍ يَقُودُهُمْ إِلَى النَّيْرَانِ (٢)

= في الأرض، كما قال فرعون لقومه: ﴿ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] ففرعون يصف موسى بأنه مُفسد في الأرض وأنه يريد أن يُبدل دينهم، وكذلك الجهمية تقول: إنَّ أهل السنة مفسدون في الأرض، ويريدون أن يبدلوا دين الإسلام، وهذا في الحقيقة بهم ألصق، وكما يقال: رمتني بدائها وانسلت، فهم الذين يفسدون في الأرض، وهم الذين يريدون تبديل الدين.

(١) فرعون رمى موسى بن عمران بالإفساد في الأرض وتبديل الدين الحق بالدين الباطل فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] ففرعون صار يعظ الناس خداعاً بأن يتمسكوا بالدين ويحذروا الفساد في الأرض، وكذلك الجهمية يتظاهرون بالوعظ، وأنهم يخافون على دين المسلمين من إفساد أهل السنة له، ويخافون على الدين من أهل السنة، وهذا من قلب الحقائق، فحماة الدين في كل زمان ومكان هم أهل السنة والجماعة والمفسدون للدين هم الجهمية وأتباعهم.

(٢) فرعون هو إمام الجهمية وهاديهم يقودهم إلى النار كما قال تعالى في فرعون ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدَ الْمَورُودُ﴾ [هود: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النُّكْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١].

هو أنكر الوصفين وصفَ الفوقِ والتُّ

تَكْلِيمِ إِنْكَاراً عَلَى الْبُهْتَانِ^(١)

إِذْ قَصَدُهُ إِنْكَارُ ذَاتِ الرَّبِّ فَالْتُّ

تَعْطِيلُ مِرْقَاةٍ لِيَا التُّكْرَانَ^(٢)

وَسِوَاهُ جَاءَ بِسُلْمٍ وَبِآلَةٍ

وَأَتَى بِقَائُونَ عَلَى بُيَانِ

وَأَتَى بِذَاكَ مُفَكِّراً وَمُقَدِّراً

وَرِثَ الْوَلِيدِ لِعَابِدِ الْاَوْثَانِ

وَأَتَى إِلَى التَّعْطِيلِ مِنْ أَبْوَابِهِ

لَا مِنْ ظُهُورِ الدَّارِ وَالْجُدْرَانِ

(١) فرعون أنكر الوصفين لله عزَّ وجل، أنكر علوه وأراد أن يتحدى موسى ببناء الصرح لبيان كذب موسى، وأنكر رسالة موسى لأنَّ رسالة موسى مبنية على أنَّ الله كلمه، فهو أنكر الأمرين، صفة العلوِّ وصفة الكلام، كذلك الجهمية أنكروا العلوَّ وأنكروا كلامَ الله سبحانه وتعالى، فمن هو الأشبه بفرعون؟! الأشبه به هم الجهمية الذين أنكروا الأمرين: العلو والكلام.

(٢) من مبالغة فرعون في التعطيل أنه يقول: ﴿فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: ٣٧] فهو ليس بإله لفرعون ولا ربَّ له، فمعناه أنه ينكر وجود الرب سبحانه وتعالى، فتبين أن التعطيل للصفات الذي هو مذهب الجهمية طريق إلى إنكار الرب سبحانه وتعالى.

وَأَتَى بِهِ فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ وَالتُّ

تَعْظِيمِ تَلْيِيساً عَلَى الْعُمِيَانِ (١)

وَأَتَى إِلَى وَصْفِ الْعُلُوِّ فَقَالَ ذَا التُّ

تَجْسِيمِ لَيْسَ يَلِيقُ بِالرَّحْمَنِ (٢)

(١) يعني أن فرعون صرَّحَ بالإنكار واختصر الطريق، أما الجهمية فإنَّهم جاؤوا بطرق وبسُلم إلى الباطل، ويجدل وبقواعد وقوانين كلامية فطوَّروا الطريق، ولو أنَّهم اختصروا فصرَّحوا بالتكذيب والتعطيل أراحوا الناس من تلييسهم، لكن جعلوا كتبهم على صفة براهين عقلية وقواعد منطقية فهم قد طولوا الطريق. وفرعون اختصر الطريق وأتى التعطيل من باب، أما هؤلاء فإنَّهم راوغوا وجادلوا وطوَّروا الطريق تديساً على الناس.

والجهمي يُسمِّي أعماله هذه تنزيهاً للرب سبحانه وتعالى عن مشابهة المخلوقين، وتنزيه الرب واجب، ولكن ليس تنزيهه بالإلحاد ونفي الأسماء والصفات، بل تنزيهه بإثبات ما أثبتهُ لنفسه، وما أثبتهُ له رسوله مع نفي مشابهة المخلوقين، هذا هو التنزيه الصحيح.

(٢) سمَّى الجهمي نفي الصفات تنزيهاً لله عن التجسيم؛ لأن إثبات العلو عندهم يقتضي التجسيم، والأجسام متشابهة فيلزم التشبيه، وهذا من التزييف الباطل؛ لأنه لا يلزم من إثبات الأسماء والصفات التجسيم الذي يعنونه، وأيضاً التجسيم لم يرد نفيه ولا إثباته في الكتاب ولا في السنة، وإنما الذي جاء فيهما تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين، هذا الذي جاء في الكتاب والسنة.

فاللفظُ قد أنشأهُ مِنْ تلقائِهِ

وكسأهُ وَصَفَ الواحدِ المَنَّانِ^(١)

والناسُ كُلُّهُمُ صَبِيُّ العقلِ لم

يبلغ ولو كانوا من الشَّيْخانِ^(٢)

إِلَّا أناساً سَلَّمُوا للوحي هُم

أهلُ البلوغِ وأعقلُ الإنسانِ^(٣)

فأتى إلى الصبيانِ فانقادوا لَهُ

كالشَّاءِ إِذْ تَنقَادُ للجَوَّبانِ^(٤)

(١) يعني وضعوا هذه الأباطيل من إنشائهم وإحداثهم وكسوها أنها تنزية للرحمن جلّ وعلا من أجل التلبيس على الناس .

(٢) غالب الناس ينطلي عليه هذا الكلام، لأنهم صبيان العقول وإن كانوا شيوخاً في أعمارهم، فأهل العلم والبصيرة في الناس قليل، وأكثر الناس في جسمه كبير ولكن في عقله طفل صغير .

(٣) يقول: إن الذين اعتصموا بالكتاب والسنة هؤلاء هم أعقل الناس؛ لأنهم أثبتوا ما أثبتته الكتاب والسنة ونفوا ما نفاه الكتاب والسنة فصاروا أعقل الناس .

(٤) أتى الجهم إلى صبيان العقول فانقادوا له كما تنقاد الشياه للراعي تبعه، فهم يشبهون بهيمة الأنعام التي تتبع الراعي وإن كانت لا تفهم ما يقول كما قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ [البقرة: ١٧١] فهي تتبع صوت الراعي وإن كانت لا تفهمه، فكذلك هؤلاء يتبعون الجهم وإن كانوا لا يدرون عن مقصوده وما يريد، فانقادوا وساروا خلفه كالأغنام .

فانظر إلى عقلٍ صغيرٍ في يدي

شيطاناً ما يلقى من الشيطان (١)

(١) ماذا يعمل الجهم بهؤلاء الصبيان الذين انقادوا له، لا شك أنه كالشيطان سيعمل بهم ما يعملهُ الشيطان، سيُبعدهم عن الحق، ويوقعهم في جهنم، فهو لا يريد لهم الخير، فهو مثل الذئب إذا لبس لباس الراعي ليرعى الغنم، فهو لا يُريد لها السلامة وإنما يريد أن يفترسها، فكذلك الجهم يتظاهر لهم بالخير وهو يريد أن يوردهم موارد الهلاك ويعزلهم عن الكتاب والسنة.

فصل

في بيان تدليسهم وتلبسهم الحقَّ بالباطل^(١)

قالوا إذا قال المُجسِّم ربُّنا
حقاً على العرشِ استوى بلسانِ
فسلوه كم للعرشِ من معنى واستوى
أيضاً له في الوضعِ خمسُ معانٍ
وعلى فكم معنى لها أيضاً لدى
عَمِّرو فذاك إمامُ هذا الشأنِ^(٢)

(١) من صفات الجهمية التلبس والتدليس من أجل خِداع الناس فيقبلون الحقَّ باطلاً والباطلَ حقاً، لأنهم صنيعة اليهود، واليهود هذه حرفتهم دائماً وأبداً.

(٢) يقول الجهمية إذا قال السني: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فقولوا له: العرش كم له من معنى؟ فالعرش له معانٍ كثيرة فحدِّد لنا المطلوب منها، ثم حرف «على» كم له من معنى؟ حدِّد لنا المطلوب، لأنَّ الحروف العربية لها عدة معاني كما ذكر ذلك إمام النحويين واللغويين «سيبويه»، وهذا الذي يقوله الجهمية من باب التلبس؛ لأنَّ العرش ليست له عدة معانٍ، بل هو معروف أنه السرير، هذا في اللغة، وأمَّا عرش الرحمن فلا يعلم كيفيته إلا هو، هو سقف المخلوقات وأعلاها، لكن العرش في اللغة ليس له إلا معنى واحد، وهو السرير الذي يجلس عليه الملك وقد قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ =

وَالْأَرْضُ ﴿ [البقرة: ٢٥٥] ، فالكرسي وسع السموات والأرض فكيف العرش ، لأن العرش أعظم من الكرسي ، «وما الكرسي في العرش إلا كحلقة في فلاة» (*) كما في الحديث .

وإذا قالوا: «استوى» كم لها من معنى؟

قلنا: لها عدة معانٍ في اللغة ، بحسب ما تقع في السياق ، فالاستواء إذا عُدي بالحرف «على» فمعناه: العلو على الشيء ، ليس له معنى غير هذا ، كما في قوله تعالى: ﴿ لَسْتَوْأُ عَلَى ظُهُورِهِ ﴾ [الزخرف: ١٣] معناه: تعلق على ظهور الفلك والأنعام . وقوله: ﴿ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ ﴾ [الفتح: ٢٩] يعني: ارتفع على أغصانه ، فإذا عُدي الاستواء بـ«على» فمعناه: العلو في كل لغة ، ليس له إلا هذا المعنى ، وهذا هو الذي جاء في القرآن ﴿ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤] فمعناه: علا على العرش ، وإذا عُدي الاستواء بـ«إلى» كقوله: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ [فصلت: ١١] فمعناه: قصد إلى السماء ، أي: لما فرغ سبحانه من خلق الأرض قصد إلى السماء وعلا وارتفع إليها سبحانه وتعالى ، وإذا عُدي الاستواء بالواو نحو: «استوى الماء والخشبة» فمعناه: المساواة ، أي: تساوى سطح الماء مع رأس الخشبة ، فهذه ثلاث استعمالات ، وهناك استعمال رابع ، وهو إذا لم يُعدَّ بحرف ، صار لازماً مثل ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ﴾ [القصص: ١٤] فمعناه التمام والكمال ، أي: أن موسى عليه السلام لما تكامل خلقه =

(*) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» ١٢/٣ (٥٧٩٥) من طريق يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي ، قال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض» .

بَيِّنْ لَنَا تِلْكَ الْمَعَانِي وَالَّذِي
 مِنْهَا أُرِيدُ بِوَضَحِ التَّبَيَّانِ
 فَاسْمَعْ فِذَاكَ مُعْطَلٌ هَذَا الْجَعَا
 جِعُ مَا الَّذِي فِيهَا مِنَ الْهَدْيَانِ^(١)
 قَلْ لِلْمُجْجَعِ وَيْحَكَ اعْقِلْ ذَا الَّذِي
 قَدْ قُلْتَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانَ
 الْعَرْشِ عَرْشِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَاللَّامُ لِلْمَعْهُودِ فِي الْأَذْهَانِ^(٢)

= وعقله يبلغ أسده، يعني كمل في خلقه وخلقه عليه السلام، أوحى الله إليه، فاستوى بحسب السياق، فكلُّ سياقٍ له معنى في اللغة العربية، والجهمية لا يعرفون هذه التفاصيل لأنهم أعاجم في الغالب، أو يعرفونها لكنهم مُضللون ومُلبسون. وقوله: «المجسم» يعنون أهل السنة والجماعة؛ لأنَّ إثبات الصفات عندهم يقتضي التجسيم، فلم يقولوا: قال السني، بل قالوا: قال «المجسم» من باب التشنيع.

(١) كلام الجهمية جعاجع، يريدون به التلبيس على الناس، وإلا فإن استوى معناها معلوم، ليس فيه لبس والحمد لله كما قال الإمام مالك رحمه الله: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول).

(٢) العرش عرش الربِّ وليس عرش غيره، واستوى على العرش لا يحتمل غير العلو وما جاء بمعناه، أمَّا قولهم: المراد بالعرش: الملك، فاستوى على العرش استولى على الملك، فلو كان هذا هو المقصود ما صار للعرش ميزة، لأنَّ الله مستولى على كلِّ شيء ومالك لكلِّ شيء، =

ما فيه إجمالٌ ولا هو مُوهِمٌ

نَقَلَ المَجَازِ وَلَا لَهُ وَضْعَانِ (١)

ومحمدٌ والأنبیاءُ جميعُهُم

شَهِدُوا بِهِ لِلخالقِ الرَّحْمَنِ (٢)

منهُم عَرَفْنَاهُ وَهُمْ عَرَفُوهُ مِنْ

رَبِّ عَلَيْهِ قَدْ اسْتَوَى دِيَّانِ

لَمْ تَفْهَمِ الأَذْهَانَ مِنْهُ سَرِيرَ بَدِّ

قَيْسٍ وَلَا بَيْتاً عَلَى أَرْكَانِ (٣)

= فلا يكون للعرش خاصية لأنه من جملة مخلوقات الله وممتلكات الله عز وجل.

واللام التي في «العرش» للعهد ليس المراد به عرش المخلوق بل المراد به عرش الرب سبحانه وتعالى الذي هو سقف الجنة وهو أعظم المخلوقات وأعلى الجنة.

(١) العرش هنا، ليس له معنيان، له معنى واحد وهو سرير الملك.

(٢) أثبت العرش لله عز وجل جميع الأنبياء.

(٣) وجميع المسلمين لما سمعوا: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] لم

تذهب عقولهم إلى أن المراد عرش بلقيس، التي قال تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ

عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣] فهذا عرش لمخلوق، فما ذهبت أذهان الناس إلى

أنه يريد عرش بلقيس، ولا ذهبت الأذهان إلى أنه استوى على بيت من

البيوت، وإنما فهموا أنه العرش المخلوق فوق السموات وهو أعظم

المخلوقات، هذا الذي فهموا.

كَلًّا وَلَا عَرْشًا عَلَىٰ بَحْرٍ وَلَا

عَرْشًا لِّجَبْرِيلَ بَلَا بُيُوتَانِ^(١)

كَلًّا وَلَا الْعَرْشَ الَّذِي إِنْ ثُلَّ مِنْ

عَبْدٍ هَوَىٰ تَحْتَ الْحَضِيضِ الدَّانِي^(٢)

كَلًّا وَلَا عَرْشَ الْكُرُومِ وَهَذِهِ أَلْ

أَعْنَابِ فِي حَرْثٍ وَفِي بُسْتَانِ^(٣)

(١) ولا فهموا أنه العرش الذي على البحر^(*) ولا الذي عليه جبريل لما رآه محمد في الأفق بين السماء والأرض وهو على كرسي^(**)، كل هذه ليس مرادة بقوله: ﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾.

(٢) ولا فهموا العرش الذي يجلس عليه المخلوق، بحيث لو كسرت قوائمه لسقط مَنْ عليه، كل هذا ليس هو المطلوب.

(٣) الكروم هي الأعناب التي ترتفع على ما يجعل لها من عروش قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] لأن الأعناب تكون على عروش تحملها وترفعها عن الأرض، فليست هذه العروش هي المقصودة، كل هذه غير مرادة وإنما المقصود عرش الرحمن.

(*) وهو عرش إبليس على البحر كما ورد في حديث أبي سعيد الخدري، وفيه: أن رسول الله ﷺ سأل ابن صياد «ما ترى؟» قال: أرى عرشاً على الماء، فقال رسول الله ﷺ: «ترى عرش إبليس على البحر». رواه مسلم (٢٩٢٥)، والترمذي (٢٢٤٧).

(**) انظر ما ورد في «صحيح البخاري» (٤)، ومسلم (١٦١) حديث جابر بن عبد الله الأنصاري.

لكنها فهمت بحمد الله عر

ش الرب فوق جميع ذي الأكوان^(١)

وعليه رب العالمين قد استوى

حقاً كما قد جاء في القرآن

وكذا استوى الموصول بالحرف الذي

ظَهَرَ المرادُ به ظهورَ بيان^(٢)

لا فيه إجمالٌ ولا هو مُفهِمٌ

للاشتراك ولا مجازُ ثانٍ^(٣)

تركيبه مع حرف الاستعلاء نص

ص في العلو بوضع كل لسان^(٤)

(١) الذي فهمته العقول أن المراد بالعرش في قوله: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾

[الأعراف: ٥٤] هو عرش الرحمن لا يُراد غيره أبداً.

(٢) لما انتهى من رده عليهم في مسألة «العرش» انتقل إلى الرد عليهم في مسألة

الحرف الذي هو «على» الذي قالوا: له عدة معانٍ، نقول «على» في هذه

الآيات السبع ليس له عدة معانٍ، ليس له إلا معنى وهو أنه تعالى علا وارتفع

على العرش.

(٣) قوله: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَكَلُ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] ليس فيه

إجمال، هو نص واضح وليس فيه اشتراك مع معنى آخر، فليس له إلا

معنى العلو والارتفاع والاستقرار والصعود.

(٤) إذا قيل: استوى على كذا، الكل يفهم من لغة العرب أن المراد: ارتفع

عليه، فالاستواء في هذا التركيب نص لا يحتمل غير معناه، وقوله: «تركيبه

مع حرف الاستعلاء نص»، أي: لا يفيد إلا علوه تعالى على العرش.

فإِذَا تَرَكَّبَ مَعَ إِلَى فَالْقَصْدُ مَعَ

مَعْنَى الْعُلُوِّ لِوَضْعِهِ بَيَانٍ^(١)

وإِلَى السَّمَاءِ قَدْ اسْتَوَى فَمَقْيَدٌ

بِتَمَامِ صَنَعَتِهَا مَعَ الْإِتْقَانِ^(٢)

لَكِنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى هُوَ مُطْلَقٌ

مِنْ بَعْدِهَا قَدْ تَمَّ بِالْأَرْكَانِ^(٣)

لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ يَقْصُرُ فَهْمُهُ

عَنْ ذَا فَتَلَكْ مَوَاهِبُ الْمَنَانِ

فإِذَا اقْتَضَى وَאו الْمَعِيَةَ كَانَ مَعَهُ

نِهَاةُ اسْتَوَى مُتَقَدِّمٌ وَالثَّانِي^(٤)

(١) مع العلو، فمعنى استوى إلى كذا: قصد إليه مستعلياً عليه.

(٢) وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] يفيد القصد إلى خلقها مع الإحكام والإتقان.

(٣) وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] هو مطلق لا يفيد إلا علوه على العرش الذي قام على أركانه فوق السموات، والذي هو أعلى الموجودات وأعظم المخلوقات.

(٤) أما إذا اقترن فعل استوى مع واو المعية نحو قولهم: استوى الماء والخشبة، أفاد أن ما قبل الواو قد ساوى ما بعدها.

فإذا أتى من غير حرفٍ كان معُ

ناهُ الكمالَ فليس ذا نُقصانٍ^(١)

لا تلبسُوا بالباطلِ الحقَّ الذي

قد بيَّنَ الرَّحْمَنُ في الفُرْقَانِ

وعلى للاستعلاءِ فهي حقيقةٌ

فيه لدى أربابِ هذا الشانِ

وكذلك الرَّحْمَنُ جلَّ جلالُهُ

لَمْ يَحْتَمِلْ معنىً سوى الرَّحْمَنِ^(٢)

يا وَيَحَهُ بَعْمَاهُ لو وجدَ اسمُهُ الرُّ

رَحْمَنَ مُحْتَمِلاً لخمسةٍ معانٍ

لقضى بأنَّ اللفظَ لا معنى لهُ

إلا التلاوةَ عندنا بلسانٍ^(٣)

(١) فإذا أتى الفعل استوى من غير حرف واستعمل لازماً كما في قوله عز وجل :

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص: ١٤] أفاد معنى الكمال وتمام القوة،

أي : أن موسى لما تكامل خلقه وعقله ببلوغ أشده أوحى الله إليه .

(٢) كما أن اسم «الرحمن» لا يحتمل غير الرب الموصوف بالرحمة سبحانه

وتعالى .

(٣) لو وجد الجهم أن «الرحمن» له عدة معانٍ لفرح بذلك، ولبس على

الناس، وجنى على هذا اللفظ العظيم، وتم له ما يريد من التعطيل

نهائياً، ولكنه ما وجد للرحمن إلا معنى واحداً، فسلبت سفسطه على بقية

الألفاظ وهي لفظ «العرش» ولفظ «على» و«استوى» .

فلذلك قال أئمة الإسلام في

معناه، ما قد ساءكم ببيان^(١)

ولقد أحلناكم على كتب لهم

هي عندنا والله بالكيهان^(٢)

* * *

(١) أئمة الإسلام صرّحوا بأن ﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] يعني: علا

وارتفع، فساء الجهمية هذا الكلام؛ لأنهم يريدون تغييره عن معناه،
فلذلك أجلبوا بخيلهم ورجلهم ولكن باؤوا بالفشل والحمد لله.

(٢) أحلناكم على كتب أهل الإيمان وهي عندنا كثيرة، بالكيهان: يعني بكم

كثير والله الحمد، فأهل السنة عندهم ثروة علمية لا تضاهيها ثروة كتب
في العالم، أخذوها من الوحي المنزل، فلا يجوز لطالب العلم أن يذهب
لكتب هؤلاء ويقول عنها: كتب ثقافية أو هؤلاء مفكرون كما يقوله الآن
بعض الجهلة ويترك كتب السلف.

فصل

في بيان سبب غلطهم في الألفاظ والحكم عليها
باحتمال عدة معانٍ حتى أسقطوا الاستدلال بها

واللفظ منه مفردٌ ومُرْكَبٌ

في الاعتبارِ فَمَا هُمَا سَيِّانٌ^(١) واللفظُ

(١) اللفظ تارةً يكون مفرداً ويُسمى «الكلمة» مثل: زيد، علي، جاء، فالكلمة ثلاثة أقسام: اسمٌ وفعلٌ وحرف، فالكلمة الواحدة لا يُستفاد منها شيء إلا إذا رُكِبَتْ مع كلمةٍ أخرى من مبتدأٍ وخبرٍ وتسمى جملة اسمية، أو فعل وفاعل وتسمى جملة فعلية مثل: جاء زيد، فلو فصلت الفعل عن الاسم وقلت: «جاء» لم يفد شيئاً، ولو فصلت الاسم عن الفعل وقلت: «زيد» لم يفد شيئاً، أمّا إذا رُكِبَتْما فقلت: «جاء زيد» حصلت الفائدة، فهم عمدوا إلى التضليل فصاروا يفصلون الكلام بعضه عن بعض، وهذه البلية التي تقع من المتعالمين اليوم، يقطعون ما أمر الله به أن يوصل، بمعنى: أنهم يقطعون الكلام ويترونه، ويقولون: هذا هو الحق. ولو تركوا الكلام على تركيبه وسياقه لاتضح الحق، هذا دأب أهل الضلال، أنهم يقطعون الكلام بعضه عن بعض، أمّا أهل السنة والجماعة فيضمون الكلام بعضه إلى بعض ويرجعون بعضه إلى بعض، ويعلمون أنّ كلام الله لا يتناقض، وكلام الرسول ﷺ لا يتناقض، بخلاف أهل الزيغ فإنهم يأخذون المتشابه ويتركون المحكم، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ...﴾ [آل عمران: ٧] أمّا =

واللفظُ بالتركيب نصٌّ في الذي

قَصَدَ الْمُخَاطَبُ مِنْهُ فِي التَّبْيَانِ (١)

أَوْ ظَاهِرٌ فِيهِ وَذَا مِنْ حَيْثُ نَسَدُ

بُئْهُ إِلَى الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ (٢)

فِيكَونَ نَصًّا عِنْدَ طَائِفَةٍ وَعِنْدَ

سِوَاهُمْ هُوَ ظَاهِرُ التَّبْيَانِ (٣)

وَلَدَى سِوَاهُمْ مُجْمَلٌ لَمْ يَتَّضِحْ

لَهُمُ الْمَرَادُ بِهِ اتِّضَاحَ بَيَانٍ (٤)

= الراسخون في العلم فيفسرون كلامَ الله بعضه ببعض، ويردون بعضه إلى بعض؛ لأنه كلُّه من عند الله، فهذه قاعدة عظيمة، وهي ردُّ النصوص بعضها إلى بعض، وهذا هو الذي سيأتي في كلام ابن القيم في هذا الباب وهو بابٌ عظيمٌ جداً.

(١) اللفظ المركب: نصٌّ فيما قصده المُخاطَبُ أمّا أن يقصد كل كلمة على حدة فهذا ليس كلاماً.

(٢) الكلام إمّا نصٌّ وإمّا ظاهرٌ، هذا تقسيمُهُ عند الأصوليين، فالنص: هو الذي لا يحتمل إلا معنى واحداً، وأمّا الظاهر: فهو الذي يحتمل عدة معانٍ، لكن أحدها أظهر.

(٣) هذا من حيث الأصل أنّ الكلام ينقسم إلى نصٍّ وظاهرٍ، لكن المخاطبون يختلفون في الفهم: فبعضهم يكون الكلام عنده نصًّا، وبعضهم يكون الكلام عنده ظاهراً وليس نصًّا، فلذلك اختلفوا بسبب أفهامهم وإلا فإن نفس الكلام ليس مجالاً للاختلاف، وأفهام الناس ليست حجةً على الأدلة.

(٤) صنفٌ ثالث: يكون الكلام عندهم مجملاً: وهو ما دلَّ على عدة معانٍ لا يترجَّح واحدٌ منها، ويحتاج إلى شيءٍ يبيِّنُهُ من أدلّةٍ أخرى، فالمُجمل: هو =

فالأولون لإفهِم ذاك الخطأ

بَ وإفهِم معناه طولَ زَمَانٍ

طال المراسُ لهم لمعناه كما أشـ

تَدَّتْ عنايةُهمُ بذاك الشانِ (١)

والعلمُ منهمُ بالمُخاطبِ إذ هُمُ

أولىُ به من سائرِ الإنسانِ (٢)

= ما يحتمل عدة معانٍ لم يترجَّح بعضها على بعض ، وإنما يُفسَّرُهُ نصُّ آخر ودليلٌ آخر يُسمَّى بالمُبيِّن ، فالناس على ثلاث أقسام نحو كلام الله ورسوله :

١ - منهم من يكون الكلام عنده : «نصاً» في الموضوع لا يحتمل غيره .

٢ - ومنهم من يقول : إنَّه ظاهر وليس بنص .

٣ - ومنهم من يقول : لم يترجَّح عندي معنى من المعاني فيكون مجملاً بالنسبة له .

(١) الذين يقولون : إنَّ ما ورد في الصفات نص لا يحتمل إلا معنى واحداً

هؤلاء هم الذين لهم عناية بكلام الله وكلام رسوله ، ومارسوا دراسة

كتاب الله وسنة رسوله ، وطال مِرانهم ومِراسهم لها حتى عرفوها

فأصبحت نصوصاً عندهم لا تحتمل إلا معنى واحداً ، وهذا ينطبق على

السلف الصالح لطول ممارستهم للنصوص ، ولأنها نزلت بلغتهم ،

ولأنهم أقرب إلى عهد الرسالة ، وتعلّموا من الطبقات الأولى من هذه

الأمّة ، فهم أميز من غيرهم ، فما يكون نصاً عندهم يكون «مجملاً» أو

«ظاهراً» عند غيرهم ممن لم يصل إلى درجتهم في العلم .

(٢) هم أولى بفهم كلام الله وكلام رسوله من غيرهم لما تميزوا به من الأسبقية

في العلم والتلمذ على صدر هذه الأمّة ، فهم أعلم ممن جاء من بعدهم .

وَلَهُمْ أْتَمُّ عنايةٍ بِكلامِهِ
 وَقُصُودِهِ مَعَ صِحَّةِ العِرْفَانِ^(١)
 فِخْطابُهُ نَصْرٌ لَدِيهِمْ قاطِعٌ
 فِيمَا أُريدَ بِهِ مِنَ التَّبَيَّانِ
 لَكِنَّ مَنْ هُوَ دُونَهُمْ قِي ذاكَ لَمْ
 يَقْطَعْ بِقَطْعِهِمْ عَلَى البُرْهانِ^(٢)
 وَيَقُولُ يَظْهَرُ ذَا وَليْسَ بِقاطِعِ
 فِي ذَهْنِهِ لا سائِرَ الأَذْهانِ^(٣)

= في العلم والتلمذ على صدر هذه الأمة، فهم أعلم ممن جاء من بعدهم.
 (١) هذا ينطبق على السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم والقرون الثلاثة
 المفضلة، تميّزوا بهذه الميزة العلمية عن غيرهم، فتفسيرهم لهذه النصوص
 أولى من تفسير غيرهم، فيرجع في تفسير النصوص إلى تفسير السلف،
 لأنهم أدري بمعانيها ومراميتها وسياقاتها، من غيرهم.
 (٢) أمّا من جاء بعدهم فإنه لم يكن بهذه الدرجة من العلم بحيث يُدرك المعنى
 المراد من هذه النصوص، وأيضاً دخل على المتأخرين علم المنطق
 والكلام، فأثر على كثير من الخلف المتأخرين، تأثروا بهذه الآراء والأفكار
 لما عرّبت كتب الفرس واليونان إلى اللغة العربية، ونقصت علمهم بكتاب الله
 وسنة رسوله ﷺ، فصار عندهم اشتباه في هذه الأمور بسبب الخلط الذي
 دخل عليهم، أمّا السلف فلم يكن عندهم شيء من هذه الأمور.
 (٣) مَنْ يَقُولُ: يَظْهَرُ مِنَ اللفظِ كذا فليس عنده فهمٌ جازمٌ لكثرة ما عنده من
 الاحتمالات وما عنده من الأفكار، حتى صارت نصوص الكتاب والسنة
 عنده من الظواهر فقط وليست بنص.

ولإلفه بكلام من هو مُقْتَدٍ
 بكلامه من عالم الأزمان
 هو قاطعٌ بمُراده وكلامه
 نصٌّ لديه واضحٌ التَّيَّانِ (١)
 والفتنة العُظمى، من المتسلِّق الـ
 مخدوع ذي الدَّعوى أخي الهدَّيان
 لم يعرف العلم الذي فيه الكلا
 مٌ ولا له إلفٌ بهذا الشانِ (٢)

- (١) هذا من العجب: أن هؤلاء المتأخرين يكون كلام مشائخهم عندهم نصوصاً لا تحتمل التأويل، وأمّا كلام الله وكلام رسوله فهو ألفاظ محتملة وظواهر، فيا عجباً كيف يكون كلام البشر نصّاً لا يحتمل التأويل، وكلام الرب ورسوله يحتمل التأويل وليس نصّاً في مُراده، فهذا من تناقضهم ومعنى هذا: أنهم يُعظمون أئمتهم ويُقدسون ألفاظهم ما لا يُعظمون الله وكلام الله وكلام رسوله ﷺ، فألفاظ مشائخهم نصوص يقبلونها كما جاءت، ولا تحتمل أي معنى يخالف ما يعتقدونه، وأمّا كلام الله أو الرسول فهو ألفاظ مجملات لا تفيد اليقين عندهم، فهذا من العجائب؛ لأن الله صرف قلوبهم، ولذلك يُرجعون كلام الله وكلام رسوله لقواعد أئمتهم وكلامهم في الأخذ والترك، والواجب العكس أن أقوال الناس تُعرض على الكتاب والسنة، فما وافقهما وجب الأخذ به، وما خالفهما وجب ردّه وإن كان قائله من أجلّ الناس فهو بشر يخطيء مهما بلغ من العلم والمكانة.
- (٢) هذا صنف ثالث: وهو المتعالِم الذي هجم على العلم بدون روية ومن غير بصيرة، وأتى الأمر من غير بابه، وهذا هو المصيبة العُظمى؛ لأنه لا =

لِكِنَّهُ مِنْهُ غَرِيبٌ لَيْسَ مِنْ
 سُكَّانِهِ كَلَّا وَلَا الْجِيرَانَ^(١)
 فَهُوَ الزَّانِمُ دَعِيٌّ قَوْمٍ لَمْ يَكُنْ
 مِنْهُمْ وَلَمْ يَصْحَبْهُمْ بِمَكَانٍ^(٢)
 وَكَلَامُهُمْ أَبْدَأَ لَدَيْهِ مُجْمَلٌ
 وَبِمَعزِلٍ عَنِ إِمْرَةِ الْإِيْقَانِ^(٣)

= يُمَيِّزُ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالسَّقِيمِ، وَقَوَاعِدَ الْاِسْتِدْلَالِ وَمَدَارِكَ الْأَحْكَامِ،
 وَهَؤُلَاءِ مِنْ أَعْظَمِ مَا ابْتَلَيْتَ بِهِمُ الْأُمَّةَ وَمَا أَكْثَرَهُمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَقَدْ
 صَارُوا يَتَكَلَّمُونَ فِي أُمُورِ الْعِلْمِ بِغَيْرِ بَصِيرَةٍ، وَظَهَرُوا عَلَى النَّاسِ بِأُمُورٍ
 شَوْشَتْ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، لِأَنَّهَا صَدَرَتْ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَعَالِمِينَ.

(١) لَيْسَ مِنْ سَكَانِ مَعْقَلِ الْعِلْمِ وَلَا مِنْ جِيرَانِهِ، وَإِنَّمَا هَجَمَ عَلَى الْعِلْمِ.

(٢) الزَّانِمُ: هُوَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ نَسَبٌ، وَالْمُرَادُ هُنَا مِنْ لَيْسَ لَهُ نَسَبٌ عِلْمِي وَهُوَ
 الَّذِي لَمْ يَتَلَقَ الْعِلْمَ عَنْ أَهْلِهِ، إِذَا قِيلَ لَهُ: مَنْ شَيْخُكَ، مِنْ الَّذِي قَرَأْتَ
 عَلَيْهِ؟! قَالَ: أَنَا لَا أَحْتَاجُ إِلَى هَذَا، أَنَا قَرَأْتُ فِي الْكُتُبِ وَعِنْدِي مَكْتَبَةٌ،
 وَنَقُولُ لَهُ: لَيْسَ هَذَا طَرِيقَ الْعِلْمِ، فَالْعِلْمُ لَا يَدْرَأُ أَنْ تَعْرِفَ صِغَارَهُ قَبْلَ كِبَارِهِ،
 وَتَعْرِفَ مَنَاجِيهَهُ بِالتَّلْمُذِ عَلَى أَيْدِي أَهْلِ الْعِلْمِ، وَيَبْدَأُ بِالْمَخْتَصِرَاتِ إِلَى
 الْمُتَوَسِّطَاتِ ثُمَّ يَتَرَقَّى إِلَى الْمُطَوَّلَاتِ وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ وَطَوَّلِ زَمَانٍ،
 فَادْعَاؤُهُ لِلْعِلْمِ لَيْسَ بِصَحِيحٍ وَإِنَّمَا هُوَ قَارِئٌ، وَلِذَا جَاءَ: أَنَّهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ
 يَكْثُرُ الْقُرَّاءُ وَيَقَلُّ الْفُقَهَاءُ، فَالْعِبْرَةُ لَيْسَتْ بِكَثْرَةِ الْقِرَاءَةِ وَإِنَّمَا هِيَ بِالْفَهْمِ.

(٣) هَذَا الْمُتَعَالِمُ لَا يَفْهَمُ كَلَامَ الْعُلَمَاءِ، بَلْ رِيْمَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَعَالِمِينَ لَا
 يُقَدِّرُونَ الْعُلَمَاءَ وَيَقُولُونَ: نَحْنُ رِجَالٌ وَهُمْ رِجَالٌ، فَيَقَالُ لِهَذَا: هَلْ أَنْتَ =

نَشَدَ التَّجَارَةَ بِالزِّيُوفِ يَخَالُهَا

نَقْدًا صَحِيحًا وَهُوَ ذُو بَطْلَانٍ (١)

حَتَّى إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ نَالَهُ

مِنْ رَدِّهَا خِزْيٌ وَسُوءٌ هَوَانٍ (٢)

فَأَرَادَ تَصْحِيحًا لَهَا إِذْ لَمْ يَكُنْ

نَقْدُ الزُّيُوفِ يَرُوجُ فِي الْأَثْمَانِ (٣)

وَرَأَى اسْتِحَالَةَ ذَا بَدُونِ الطَّعْنِ فِي

بَاقِي النُّقُودِ فَجَاءَ بِالْعُدْوَانِ (٤)

= تَعَلَّمْتُ مِثْلَ مَا تَعَلَّمُوا، وَحَصَلْتُ مِثْلَ مَا حَصَلُوا، وَحَفِظْتُ مِنَ الْعِلْمِ مِثْلَ مَا حَفِظُوا، أَيْنَ الثَّرَى مِنَ الثَّرِيَا؟ وَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ، بَلْ رُبَّمَا لَا يَرْجِعُ لِكَلَامِ الْعُلَمَاءِ وَلَا يُطَالَعُهُ مَجْرَدَ مَطَالَعَةٍ، فَيَقُولُ: هَذَا كَلَامُ رِجَالٍ وَيَزْهَدُ فِيهِ.

(١) هَذَا الْمَتَعَالِمُ عِلْمُهُ مُزَيَّفٌ فَهُوَ مِثْلُ مَنْ مَعَهُ نَقُودٌ مُزَيَّفَةٌ فَالْعِلْمُ الَّذِي مَعَهُ مُزَيَّفٌ.

(٢) هَذَا الْمَتَعَالِمُ إِذَا جَاءَ إِلَى الْعُلَمَاءِ رَدُّوا كَلَامَهُ وَلَمْ يَقْبَلُوهُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِعَالِمٍ وَلَا يُحْسِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي مَسَائِلِ الْعِلْمِ وَلَا يَتَصَدَّرُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ اسْتِعْدَادٌ.

(٣) هَذَا الْمَتَعَالِمُ يَرِيدُ أَنْ يُصَحِّحَ عِلْمَهُ الْمَزَيَّفَ، وَهَذَا لَا يُمَكِّنُ لِأَنَّ الزِّيْفَ لَا يَكُونُ نَقْدًا وَالْجَهْلُ لَا يَكُونُ عِلْمًا.

(٤) هَذَا الْمَتَعَالِمُ، لَمَّا قِيلَ لَهُ: إِنَّكَ لَمْ تَأْخُذْ الْعِلْمَ عَنِ الْعُلَمَاءِ قَالَ: كُلُّ النَّاسِ هَكَذَا، الْإِمَامُ أَحْمَدُ، سَفِيَانُ الثُّورِيِّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوِيَةَ،

وَالْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ مِثْلُنَا، هُمْ رِجَالٌ وَنَحْنُ رِجَالٌ لَا يَمْتَازُونَ عَلَيْنَا بِشَيْءٍ وَنَقُولُ لَهُ: النَّاسُ يَفْرُقُونَ بَيْنَ الْعَالَمِ وَالْمَتَعَالِمِ، وَالْعِلْمُ لَهُ حَمَلَتُهُ وَرِجَالُهُ، =

واستعوضَ الثمنَ الصحيحَ بجهلهِ
 وبظُلْمِهِ يَبْغِيهِ بِالْبُهْتَانِ
 عَوْجاً لِيَسْلَمَ نَقْدُهُ بَيْنَ الْوَرَى
 وَيَرْوِجُ فِيهِمْ كَامِلَ الْأَوْزَانِ
 وَالنَّاسُ لَيْسُوا أَهْلَ نَقْدٍ لِلَّذِي
 قَدْ قِيلَ إِلَّا الْفَرْدَ فِي الْأَزْمَانِ^(١)
 وَالزَّيْفُ بَيْنَهُمْ هُوَ النَّقْدُ الَّذِي
 قَدْ رَاجَ فِي الْأَسْفَارِ وَالْبُلْدَانِ
 إِذْ هُمْ قَدْ اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ وَارْتَضَوْا
 بِجَوَازِهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانِ
 فَإِذَا أَتَاهُمْ غَيْرُهُ وَلَوْ أَنَّهُ
 ذَهَبٌ مُصَفًّى خَالِصُ الْعِقْيَانِ

= فمسائل العلم ونصوصه لها نُقَادٌ يُمَيِّزُونَهَا، ويعرفون العلم المُزَيَّفَ من العلم الصحيح، مثل الصيارفة الذين يعرفون النقود الصحيحة والمُزَيَّفَةَ. (١) يقول: الذي معي من العلم مثل ما مع الآخرين ليضع نفسه في مصاف العلماء، ولكن الناس يعرفون العالم الصحيح من المتعالم، وذلك إذا وقعت النوازل التي تحتاج إلى رأي العلماء، عند ذلك يتبين العلماء من المتعالمين، فالعالم يوفقه الله للحلِّ الصحيح في هذه النازلة، ويخرج بتتيحة يستفيد منها المسلمون، لأنَّ عندهم خبرة بالنصوص يُنزلونها - يعني النصوص - على هذه الوقائع، ويستخرجون حكمها منها، أمَّا هذا المتعالم فإنَّه لو حاول فسيبوء بالفشل.

رُدُّوهُ وَاعْتَذَرُوا بِأَنْ نُقُودَهُمْ
 مِنْ غَيْرِهِ بِمِرَاسِمِ السُّلْطَانِ
 فَإِذَا تَعَامَلْنَا بِنَقْدِ غَيْرِهِ
 قُطِعَتْ جَوَامِكُنَا مِنَ الدِّيَوَانِ
 وَاللَّهِ مِنْهُمْ قَدْ سَمِعْنَا ذَا وَلَمْ
 نَكْذِبْ عَلَيْهِمْ وَيَحَ ذِي الْبُهْتَانِ
 يَا مَنْ يُرِيدُ تِجَارَةً تُنْجِيهِ مَنْ
 غَضِبَ إِلَهُهُ وَمُوقِدِ النَّيْرَانِ^(١)
 وَتَفِيدُهُ الْأَرْبَاحَ بِالْجَنَّاتِ وَالْحُورِ
 الْحَسَانِ وَرُؤْيَا الرَّحْمَنِ
 فِي جَنَّةٍ طَابَتْ وَدَامَ نَعِيمُهَا
 مَا لِلْفَنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
 هَيَّءْ لَهَا ثَمَنًا يُبَاعَ بِمِثْلِهَا
 لَا تُشْتَرَى بِالرَّيْفِ مِنْ أَثْمَانِ
 نَقْدًا عَلَيْهِ سِكَّةٌ نَبْوِيَّةٌ
 ضَرَبُ الْمَدِينَةِ أَشْرَفِ الْبُلْدَانِ^(٢)

(١) لَمَّا ذَكَرَ هَذِهِ الْمَصَائِبَ أَرَادَ أَنْ يُوْجِّهَكَ إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ لِتَخْرُجَ مِنْ هَذِهِ الْبَلَايَا وَالْمَصَائِبِ .

(٢) هَذَا مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَمٍ تُنَجِّكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠] . فَإِذَا أُرِدَتْ هَذِهِ التِّجَارَةُ فَتَمْسِكُ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ ، =

أظننتَ يا مغرورُ بائعَها الذي
يَرْضَىٰ بنقدي ضَرْبِ جَنْكِيْزْخَانَ^(١)
مَتَّكَ وَاللَّهِ الْمُحَالَ النَّفْسُ أَنْ
طَمِعَتْ بِذَا وَخُدِعَتْ بِالشَّيْطَانِ
فاسمِعْ إِذَا سَبَبَ الضَّلَالِ وَمِنْشَأُ التُّ
تَخْلِيْطِ إِذِ يَتَنَاطَرُ الخِصْمَانِ
يَحْتَجُّ بِاللَّفْظِ المَرْكَبِ عَارِفٌ
مُضْمُونَهُ بِسِيَاقِهِ لِبَيَانِ
وَاللَّفْظُ حِينَ يُسَاقُ بِالتَّرْكِيبِ مَحْ
فُوفٌ بِهِ لِلْفَهْمِ وَالتَّبْيَانِ
جَنْدٌ يُنَادَىٰ بِالبَيَانِ عَلَيْهِ مِثْ
لِ نِدَائِنَا بِإِقَامَةِ وَأَذَانِ
كِي يَحْصُلَ الإِعْلَامُ بِالمَقْصُودِ مِنْ
إِيرَادِهِ وَيَصِيرَ فِي الأَذْهَانِ

= وقوله: نقدٌ عليه سِكَّةٌ نبوية ضرب المدينة يعني: صادر من الرسول ﷺ لا النقود الزيوف التي عليها ضرب السلاطين، والمخالفين للكتاب والسنة من المتعالمين والمبتدعة والوضاعين.

(١) يقول: الجنة لا تُشترى بنقد، عليه ضرب جنكيزخان ملك التتر، ولا تُشترى بنقود عليها ضرب السلاطين والملوك الكفار، وإنما تُشترى بالنقود النبوية، وكذلك العلم لا يكون بالجدل وعلم المنطق، وإنما يكون بأدلة الكتاب والسنة، سكة صادرة عن النبي ﷺ وهي القرآن والسنة.

فَيْفُكَ تَرْكِيْبَ الْكَلَامِ مَعَانِدُ
حَتَّى يُقْلَقَلَهُ مِنْ الْأَرْكَانِ
وَيَرُومُ مِنْهُ لَفْظَةً قَدْ حُمِّلَتْ
مَعْنَى سِوَاهَا فِي كَلَامٍ ثَانِ
فِيَكُونُ دَبُّوسَ الشَّقَاقِ وَعُدَّةً
لِلدَّفْعِ فِعْلَ الْجَاهِلِ الْفَتَّانِ
فِيَقُولُ هَذَا مُجْمَلٌ وَاللَّفْظُ مُحَدٌ
تَمَلُّ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبُهْتَانِ
وَبِذَاكَ يَفْسُدُ كُلُّ عِلْمٍ فِي الْوَرَى
وَالْفَهْمُ مِنْ خَبَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
إِذَا أَكْثَرُ الْأَلْفَاظِ تَقَبَّلُ ذَاكَ فِي الْإِ
إِفْرَادِ قَبْلَ الْعَقْدِ وَالتَّيْيَانِ
لَكِنْ إِذَا مَا رُكِبَتْ زَالَ الَّذِي
قَدْ كَانَ مُحْتَمِلًا لَدَى الْوَحْدَانِ
فَإِذَا تَجَرَّدَ كَانَ مُحْتَمِلًا لَعَيْنِ
رِ مُرَادِهِ أَوْ فِي كَلَامٍ ثَانِ
لَكِنَّ ذَا التَّجْرِيدِ مُمْتَنِعٌ فَإِنْ
يُقْرَضُ يَكُنْ لَا شَكَّ فِي الْأَذْهَانِ (١)

(١) غرض الناظم في هذه الأبيات أن يُقارن بين استدلال أهل العلم من السلف الصالح وأتباعهم بالنصوص، وبين استدلال أهل الفتنة وأهل =

والمفرداتُ بغيرِ تركيبٍ كمثـ

لِ الصَوْتِ تَنْعَقُهُ بِتِلْكَ الضَّانِ (١)

وهناك الإجمالُ والتشكيكُ والتـ

تجهيلُ والتحريفُ والإتيانُ بالبُطلانِ (٢)

= الضلال من الخلف أصحاب التأويل، فالسلف وأتباعهم ينظرون في النصوص في سياقها وفي تركيبها ويردون بعضها إلى بعض فيفسرونها بمعناها الصحيح المُستفاد من سياقها وتركيبها، وأما الخلفُ الضلالُ وأهل الكلام فإنهم لا علم لهم بذلك، أو أنهم يتعمدون الإفساد فلا ينظرون في سياق النصوص ولا ينظرون في تركيبها بل ينثرونها، ويجعلون كل كلمة على حدة، ويقطعون السياق ويقولون: الكلام يحتمل كذا ويحتمل كذا... وليس نصاً فيما تُريدون، ولا يفيد العلم... ولا شك أن الكلام إذا نُثر وقُطِعَ ولم ينظر في سياقه، لا شك أنه يصبح لا معنى له، هذا صنيع المتأخرين من أهل الضلال، إنهم ينثرون الكلام ويقطعون صلة بعضه ببعض ثم يقولون: هذا الكلام يحتمل كذا ويحتمل كذا، وليس نصاً فيما تقولون، ولا يُفيد العلم ولا يُعتمد عليه في العقيدة... هذا هو الواقع في حالهم.

(١) إذا أُفردت الألفاظ لم يكن لها معانٍ، بل تكون مثل الصوت الذي تسمعه الأغنام من الراعي وهي لا تفهم معناه، قال تعالى: ﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ﴾ [البقرة: ١٧١] فهذه الألفاظ إذا قُطعت وجُردت أصبحت مجرد أصوات ليس لها معانٍ.

(٢) كل هذا ينشأ من قطع الكلام بعضه عن بعض.

فإِذَا هُمْ فَعَلُوهُ رَامُوا نَقْلَهُ

لِمُرَكَّبٍ قَدْ حُفَّ بِالتَّبْيَانِ

وَقَضُوا عَلَى التَّرْكِيبِ بِالْحُكْمِ الَّذِي

حَكَمُوا بِهِ لِلْمُفْرَدِ الْوَحْدَانِي

جَهْلًا وَتَجْهِيلًا وَتَدْلِيْسًا وَتَدْ

بِيْسًا وَتَرْوِيْجًا عَلَى الْعُمِيَانِ

* * *

فصل

في بيان شبه غلطهم في تجريد الألفاظ

بغلط الفلاسفة في تجريد المعاني^(١)

هذا هداك الله من إضلالهم

وضلالهم في منطقي الإنسان

كمجرّدات في الخيال وقد بنى

قومٌ عليها أوهنّ البنيان

(١) في هذا الفصل يريد أن يعقد مقارنةً بين مذهب المؤولة وبين مذهب الفلاسفة، المؤولة: هم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وكل من يؤول نصوص الصفات، أمّا الفلاسفة فهم الذي يُسمّون أنفسهم بالحُكماء، فالفلسفة عندهم: هي الحكمة، والفيلسوف معناه: الحكيم، الفلاسفة يُحرّفون معاني النصوص، ومنهم الباطنية: الذين يقولون: إنّ للقرآن ظاهراً وباطناً، فالظاهر هو للعوام والباطن لا يفهمه إلا الخواص فيُحرّفون المعاني، وأمّا المؤولة فيُحرّفون الألفاظ، فالمصنف أراد أن يعقد مقارنة بين الفلاسفة الملاحدة وبين المؤولة وأتباعهم المنتسبين إلى الإسلام مع أنّ هؤلاء المؤولة يردّون على الفلاسفة ويتبرّؤون منهم ويصفونهم بالإلحاد، لكن في الواقع ليس بينهم فرق فهؤلاء أوّلوا، وهؤلاء أوّلوا فلا فرق بينهم، وما الذي يجعل تأويل المعتزلة والجهمية والأشاعرة مقبولاً، ويجعل تأويل الباطنية والفلاسفة مردوداً؟ هذا تناقض لأنه لا فرق بينهم، فهذا هو قصد الناظم من هذا الفصل.

ظنوا بأن لها وجوداً خارجاً
ووجودها لو صحَّ في الأذهانِ
أنى وتلك مُشَخَّصَاتٌ حُصِّلَتْ
في صورةٍ جُزئيةٍ بعيانِ
لكنها كُليَّةٌ إن طابقت
أفرادها كاللفظِ في الميزانِ
يدعونه الكُلِّيَّ وهو مُعيَّنٌ
فردُّ كذا المعنى هما سيانِ
متجرّداً في الذهنِ أو في خارجِ
عن كلِّ قيدٍ ليس في الإمكانِ
لا الذهنُ يعقله ولا هو خارجٌ
هو كالخيالِ لطيفهِ السَّكرانِ
لكن تجرُّدها المُقيَّدُ ثابتٌ
وسِواه مُمتنعٌ بلا إمكانِ
فتجرُّدُ الأعيانِ عن وصفٍ وعنِ
وضعٍ وعن وقتٍ لها ومكانِ
فرضٌ من الأذهانِ يفرضه كفرٌ
ض المستحيلِ هما لها فرضانِ
الله أكبرُ كم دهي من فاضلِ
هذا التجرُّدُ من قديم زمانِ

تجريدُ ذي الألفاظِ عَنْ تَرْكِيبِهَا
وكذاكَ تجريدُ المعاني الثاني
والحقُّ أَنَّ كِلَيْهِمَا فِي الذَّهْنِ مَفْـ
روضٌ فَلَا تَحْكُمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْأَذْهَانِ (١)
فَيَقُودُكَ الْخِصْمُ الْمُعَانِدُ بِالذِّي
سَلَّمْتَهُ لِلْحُكْمِ فِي الْأَعْيَانِ
فَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ إِنْ هُمْ أَطْلَقُوا
أَوْ أَجْمَلُوا فَعَلَيْكَ بِالتَّبْيَانِ

* * *

(١) الكلِّي والجُزِّيء، لا وجود لهما في الأعيان والخارج وإنما وجودهما في الأذهان، والذهن يرد عليه كل شيء الحق والباطل. فهم يأخذون ما يدور في الأذهان ويجعلونه أدلة مع أنه لا يصلح للاستدلال لأنه مجرد خيال.

فصل

في بيان تناقضهم وعجزهم عن الفرق

بين ما يجب تأويله وما لا يجب^(١)

وَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ الْمُنْقُولِ عَنِّ

أَشْيَاحِهِمْ كَتَمَشُّكَ الْعُمَيَّانِ

وَأَبَوْا بِأَنْ يَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ النَّ

نَصِيِّنِ وَاعْجَبُوا مِنَ الْخُدَلَانِ^(٢)

(١) عندما تأتي العبارة عن أشياخهم يتمسكون بها ويُجرونها على ظاهرها ولا يجرونها على تأويلها، بل يقولون: كلام الشيخ على ظاهره لا يجوز أن يُفسر على غير ظاهره، وأمّا كلام الله فإنهم يؤولونه ولا يتركونه على ظاهره، فصار كلام الشيوخ عندهم أعظم من كلام الله عزّ وجل، إذ كلام شيوخهم يقبلونه ولا يتعرّضون لتأويله وإنّما يُجرونها على ظاهره، ويقبلونه ويستدلّون به ويعتمدون عليه، بينما كلام الله جلّ وعلا يُسلطون عليه التأويل، فصار كلام مشايخهم أعظم عندهم وفي صدورهم من كلام الله عزّ وجل، وأيُّ ضلالٍ أعظم من هذا الضلال؟! والواجب هو العكس وهو أن يُعرض كلام العلماء على الكتاب والسنة فما وافقهما أخذ به وما خالفهما فإنّه يُردُّ على صاحبه.

(٢) فهم يُعظمون كلام مشايخهم أعظم من تعظيم الكتاب والسنة، وحثّتهم أنهم يقولون بأن مشايخهم أعلم فيتمسكون بظواهر كلام شيوخهم، =

قَوْلُ الشُّيُوخِ مُحَرَّمٌ تَأْوِيلُهُ

إِذْ قَصَدُهُمْ لِلشَّرْحِ وَالتَّبْيَانِ^(١)

فَإِذَا تَأَوَّلْنَا عَلَيْهِمْ كَانَ إِبْدَ

طَالاً لِمَا رَامُوا بِإِبْرَاهِيمِ

فَعَلَى ظَوَاهِرِهَا تَمُرُّ نُصُوصُهُمْ

وَعَلَى الْحَقِيقَةِ حَمْلُهَا لِيبَانِ

يَا لَيْتَهُمْ أَجْرُوا نُصُوصَ الْوَحْيِ ذَا أَلْ

مَجْرِي مِنْ الْآثَارِ وَالْقُرْآنِ^(٢)

بَلْ عِنْدَهُمْ تِلْكَ النُّصُوصُ ظَوَاهِرٌ

لَفِظِيَّةٌ عَزَلَتْ عَنِ الْإِيقَانِ^(٣)

لَمْ تُغْنِ شَيْئاً طَالِبَ الْحَقِّ الَّذِي

يُبْغِي الدَّلِيلَ وَمُقْتَضَى الْبُرْهَانِ

= وَيَأْبُونَ أَنْ يَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، هَذَا مِنَ الْخُذْلَانِ - وَالْعِيَاذُ
بِاللَّهِ - لِأَنَّ الْوَاجِبَ هُوَ الْعَكْسُ.

(١) الْقُرْآنَ وَالسَّنَةَ وَاجِبٌ تَأْوِيلُهُمَا عِنْدَهُمْ، أَمَّا قَوْلُ شُيُوخِهِمْ فَيُحْرَمُ تَأْوِيلُهُ
لِأَنَّهُ يَنَافِي مَا قَصَدُوهُ مِنَ الشَّرْحِ وَالتَّبْيَانِ.

(٢) يَعْنِي: يَا لَيْتَهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ بِنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ فَأَجْرُواهَا عَلَى
ظَوَاهِرِهَا كَمَا أَبْقُوا ظَوَاهِرَ نُصُوصِ شُيُوخِهِمْ.

(٣) أَي: فَعَلُوا ذَلِكَ لِأَنَّ نُصُوصَ الشَّرْعِ عِنْدَهُمْ ظَوَاهِرَ لَفِظِيَّةٍ لَا تُفِيدُ الْيَقِينَ،
أَمَّا كَلَامُ شُيُوخِهِمْ فَهُوَ يَفِيدُ الْيَقِينَ عِنْدَهُمْ.

فانظر إلى الأعرافِ ثمَّ لِيُوسِفِ
والكهفِ وافهمْ مقتضى القرآنِ
وسَطُوا على الوَحِيِّينَ بالتحريفِ إذْ
سَمَّوهُ تأويلاً بوضعِ ثانٍ^(١)
فإذا مررتَ بآلِ عمرانِ فهِمُّ
تَ القَصْدِ فَهَمَّ مُوقِفِ رَبَّانِي
وعلمتَ أنَّ حَقِيقَةَ التَّأْوِيلِ تَبْ
يَسُّ الحَقِيقَةَ لا المَجَازُ الثَّانِي
ورأيتَ تأويلَ النُّفَاةِ مُخَالَفاً
لجميعِ هذا ليسَ يَجْتَمَعَانِ^(٢)

(١) إذا خالف نصُّ الوحي أقوالَ شيوخهم سَطَّوا عليه بالتأويل، وإذا عجزوا عن تأويله فَوَضَّوه، وقالوا: هذا لا يعلم معناه إلا الله، ونحنُ إنما نقرأ حروفه، وهو مثل الكلام الأعجمي الذي لا يُعرَف معناه، هذا موقفهم من الكتاب والسنة، وكل هذا محافظة على أقوال شيوخهم التي تُخالف الكتاب والسنة، وهذا قد دُوِّنَ في عقائدهم وكتبهم، اقرأ أي كتاب من كتب علماء الكلام تجد هذا فيها، ويُسمون ذلك تأويلاً من باب التلطيف وهو في الحقيقة: تحريف كما قال تعالى عن اليهود ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦].

(٢) تجد تأويل هؤلاء مخالفاً للتأويل الصحيح المذكور في القرآن الذي هو التفسير أو الحقيقة التي يؤول إليها الشيء، فتأويل هؤلاء هو صرف اللفظ عن مدلوله المراد منه وهذا قسمٌ ثالثٌ مُحدثٌ.

اللفظُ هُمُ أَنشَأُوا لَهُ مَعْنَى بَذَا

كِ الْإِصْطِلَاحِ وَذَلِكَ أَمْرٌ دَانٍ^(١)

وَأَتَوْا إِلَى الْإِلْحَادِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالثَّ

تَحْرِيفِ لِأَلْفَاظٍ بِالْبَهْتَانِ^(٢)

فَكَسَوَهُ هَذَا اللَّفْظُ تَلْيِيساً وَتَدُّ

لِيساً عَلَى الْعُمِيَانِ وَالْعُورَانِ^(٣)

فَاسْتَنَّ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُكْذِبٍ

مِنْ بَاطِنِي قُرْمُطِيٍّ جَانٍ

فِي ذَا بَسْتِنِهِمْ وَسَمَى جَحْدَهُ

لِلْحَقِّ تَأْوِيلاً بِلَا فَرْقَانٍ^(٤)

(١) يعني هذا التأويل الذي يستعملونه اصطلاحاً منهم أحدثوه ماله وجود.

(٢) هذا هو التأويل الذي تَسَلَّحُوا بِهِ فِي تَأْوِيلِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهُوَ

التأويل المُحَدَّثُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ لَّا فِي كَلَامِ اللَّهِ وَلَا فِي كَلَامِ رَسُولِهِ

ﷺ.

(٣) سَمَّوَهُ تَأْوِيلاً وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ إِلْحَادٌ حَيْثُ قَالُوا: الْمُرَادُ بِيَدِ اللَّهِ الْقُدْرَةُ،

وَالْمُرَادُ بِالْوَجْهِ الذَّاتِ، وَالْمُرَادُ بِالرَّحْمَةِ إِرَادَةُ الْإِنْعَامِ، وَهَكَذَا يُحَرِّفُونَهَا

عَنْ مَعَانِيهَا الصَّحِيحَةِ إِلَى مَعَانٍ لَا تَدُلُّ عَلَيْهَا.

(٤) اقْتَدَى بِهِمْ كُلُّ مَلْحَدٍ مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ وَمِنْ كُلِّ قُرْمُطِيٍّ مِنْ أَتْبَاعِ حَمْدَانَ

قُرْمُطِ الْبَاطِنِيِّ الرَّافِضِيِّ الْخَبِيثِ، يُوَوَّلُونَ النُّصُوصَ بِأَنَّ لَهَا ظَاهِراً

وِبَاطِناً، يُسَمُّونَ بِالْبَاطِنِيَّةِ، وَهَؤُلَاءِ الْجَهْمِيَّةُ عَلَى هَذَا الْمَشْرَبِ، وَهُوَ

تَحْرِيفُ نُّصُوصِ الْوَحْيِ عَنْ ظَاهِرِهَا وَتَفْسِيرُهَا بِغَيْرِ حَقِيقَتِهَا.

وَأَتَى بِتَأْوِيلِ كِتَابِ أَيْلَاتِهِمْ
 شَبْرًا بِشَبْرٍ صَارِحًا بِأَذَانِ (١)
 إِنَّا تَأْوَلْنَا كَمَا أَوْلَّيْتُمْ
 فَاتُّوا نُحَاكِمُكُمْ إِلَى الْوَزَانِ (٢)
 فِي الْكِفَّيْنِ نَحُطُّ تَأْوِيلَاتِنَا
 وَكَذَلِكَ تَأْوِيلَاتِكُمْ بِوِزَانِ
 هَذَا وَقَدْ أَقْرَرْتُمْ أَنَا بِأَيْ
 دِينَا صَرِيحُ الْعَدْلِ وَالْمِيزَانِ
 وَغَدَوْتُمْ فِيهِ تَلَامِيذًا لَنَا
 أَوْ لَيْسَ ذَلِكَ مَنْطِقَ الْيُونَانِ (٣)

(١) يقول: لا فرق بين تأويل القرامطة الباطنية وبين تأويل هؤلاء الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، كلُّ طائفة منهم عَزَلتِ النصوص عن معانيها الصحيحة إلى معانٍ لا تدلُّ عليها لا من قريب ولا من بعيد، أو جمَّدوها وقالوا: هذه ظواهر لا يعلم معناها إلا الله، وفوَّضوها، ولكن هم في الحقيقة عطلُّوها عن مدلولها.

(٢) يقول الملاحدة والفلاسفة الذين لا يؤمنون بالشرائع: ما الفرق بين تأويلنا وتأويلكم، كلُّنا عزلنا نصوص الوحي عن دلالتها، وقلنا: لا يُعتمد على نصوص الوحي، فما الفرق بيننا وبينكم؟

(٣) يقول الملاحدة للجهمية: أليس هذا المنطق أتاكم من اليونان؟ الذين هم الفلاسفة، الذي بنيت عليه عقيدتكم، فكيف تبرؤون منهم؟ وأنتم تمشون في ركابهم، وتستعملون علومهم التي جلبتموها إلى بلادكم، وبنيتم عقائدكم عليها؟

مِنَّا تَعَلَّمْتُمْ وَنَحْنُ شِيُوخُكُمْ
 لَا تَجْهَدُونَا مِنَّةَ الْإِحْسَانِ
 فَسَلُّوا مَبَاحِثَكُمْ سُؤَالَ تَفَهُُّهُمْ
 وَسَلُّوا الْقَوَاعِدَ رَبَّةَ الْأَرْكَانِ
 مِنْ أَيْنَ جَاءَتْكُمْ وَأَيْنَ أُصُولُهَا
 وَعَلَى يَدَيْ مَنْ يَا أَوْلِيَ التُّكْرَانِ
 فَلَايِّي شَيْءٍ نَحْنُ كُفَارًا وَأَنْ
 تُمْ مُؤْمِنُونَ وَنَحْنُ مُتَّفِقَانِ (١)
 إِنَّ النُّصُوصَ أَدْلَى لَفْظِيَّةً
 لَمْ تُفْضِ قَطُّ بِنَا إِلَى إِيقَانِ (٢)
 فَلِذَاكَ حَكَمْنَا الْعُقُولَ وَأَنْتُمْ
 أَيْضًا كِذَاكَ فَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ
 فَلَايِّي شَيْءٍ قَدْ رَمَيْتُمْ بَيْنَنَا
 حَرْبَ الْحُرُوبِ وَنَحْنُ كَالْأَخْوَانِ

(١) لأبي شيء يكون الرومان واليونان وأصحاب المنطق من الفلاسفة
 والباطنية كفاراً وأنتم تكونون مؤمنين والمشرب واحد ونحن شيوخكم،
 ونحن متفقون على التأويل وعدم العمل بنصوص الوحي .
 (٢) نحن متفقون على أنّ النصوص ظواهر لفظية لا تفيد اليقين وإنما الذي
 يُفيد اليقين هذه القواعد المنطقية وعلم الكلام ولذلك يُسمونها: يقينيات
 عقلية وبراهين، ويسمّون علم الكلام علم التوحيد، ولذلك لا يذكرون
 في كتبهم: توحيد الإلهية أو العبادة أبداً.

الأصل معقولٌ ولفظُ الوحي مَعُ

زولٌ ونحنُ وأنتمُ صِوَانِ (١)

لا بالنصوصِ نقولُ نحنُ وأنتمُ

أيضاً كذاكَ فنحنُ مُصْطَلِحَانِ (٢)

فذرُوا عَادَوْتَنَا فَإِنَّ وِرَاءَنَا

ذَاكَ الْعَدُوَّ الثَّقِيلَ ذِي الْأَضْغَانِ

فَهُمْ عَدُوُّكُمْ وَهُمْ أَعْدَاؤُنَا

فَجَمِيعُنَا فِي حَرِيهِمْ سِيَانِ (٣)

تِلْكَ الْمُجَسِّمَةُ الْأُولَى قَالُوا بَأَنَّ

نَ اللَّهِ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ (٤)

(١) الوحي معزولٌ عندنا وعندكم، والاعتماد على العقل عندنا وعندكم، إذاً لماذا نتعادي؟

(٢) نحن وأنتم لا نحتج بالنصوص فلماذا تُعادوننا؟

(٣) يقولون: انتبهوا للعدوِّ الصحيح، وهم بذلك يعنون أهل السنة والجماعة المتمسكين بنصوص الكتاب والسنة من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، بل يعنون بالذات الرسول ﷺ لكن لا يُصرِّحون بهذا، وهذا ظاهر من مذهبهم.

(٤) سمّوا أهل السنة بالمجسِّمة، لأنهم يُثبِّتُونَ الأسماء والصفات، لأن الأسماء والصفات عندهم لا تقوم إلاً بجسم والله منزَّهٌ عن الجسمية، والجسم هذا لم يرد نفيُّه ولا إثباتُه لا في الكتاب ولا في السنة، وما لم يرد نفيُّه ولا إثباتُه فنحن نسكت عنه، نتركه ولا نشتغل فيه. وهؤلاء المجسِّمة قالوا بالعلوِّ ونحنُ وأنتمُ لا نؤمن بالعلوِّ ولا نُقرُّ به.

وإليه يصعد قولنا وفعالنا
 وإليه ترقى روح ذي الإيمان^(١)
 وإليه قد عرج الرسول حقيقةً
 وكذا ابن مريم مُصعد الأبدان
 وكذا قالوا إنه بالذات فو
 ق العرش قدرته بكل مكان^(٢)
 وكذا ينزل كل آخر ليلة
 نحو السماء فهأهنا جهتان
 للابتداء والانتهاى وذان لد
 أجسام أين الله من هذان^(٣)

-
- (١) أي: يقول المجسمة في قوله تعالى: ﴿تَرْقَى الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، إن هذه النصوص عندهم تدلُّ على التجسيم.
- (٢) قال المجسمة: إن الله فوق العرش وقدرته وعلمه في كل مكان، فهو سبحانه فوق سماواته وفوق عرشه، وعلمه محيطٌ بكل شيء، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.
- (٣) وكذلك يؤمنون بقول النبي ﷺ «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر»^(*) والنزول إنما يكون للجسم وبداية النزول من العلو ونهايته إلى السماء الدنيا، وهذا إنما يكون للأجسام.

وكذلك قالوا إنه متكلم

قام الكلام به فيا إخوان

أيكون ذلك بغير حرف أم بلا

صوت فهذا ليس في الإمكان

وكذلك قالوا ما حكينا عنهم

من قبل قولٍ مُشَبَّهِ الرَّحْمَنِ

فدرو الحراب لنا وشدوا كلنا

جمعاً عليهم حملة الفرسان

حتى نسوقهم بأجمعنا إلى

وسط العرين ممرقي اللحمان (١)

فلقد كوونا بالنصوص ومالنا

بلقائها أبدأ الزمان يدان (٢)

كم ذا يقال الله قال رسوله

من فوق أعناق لنا وبنان

(١) العرين: هو موطن الأسد، يعني: دعونا نسوقهم إلى عرين الأسد ونمزقهم شر تمزيق، لأنهم يعتقدون بنصوص الكتاب والسنة، فهم مشبهة ومجسمة، فهم مرتدون يحتاجون إلى قتال مثل ما يُقاتل الكفار.

(٢) هم يعتمدون على النصوص ونحن نعتمد على العقليات، فهم كوونا بالنصوص، فإذا قلنا: العقل يدل على كذا، قالوا: القرآن يدل على كذا والسنة تدل على كذا، فليس لنا طاقة في مقابلتهم.

إِنَّ نَحْنُ قُلْنَا قَالَ أَرَسَطُو الْمُعَدُّ
 لِمُ أَوْلَا أَوْ قَالَ ذَاكَ الثَّانِي
 وَكَذَاكَ إِنَّ قُلْنَا ابْنُ سِينَا قَالَ ذَا
 أَوْ قَالَهُ الرَّازِي ذُو التَّبْيَانِ
 قَالُوا لَنَا قَالَ الرَّسُولُ وَقَالَ فِي الْ
 قُرْآنِ كَيْفَ الدَّفْعُ لِلْقُرْآنِ (١)
 وَكَذَاكَ أَنْتُمْ مِنْهُمْ أَيْضاً بِهِ
 ذَا الْمَنْزِلِ الضَّنْكِ الَّذِي تَرِيَانِ
 إِنْ جِئْتُمُوهُمْ بِالْعُقُولِ أَتَوْكُمْ
 بِالنَّصْرِ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
 فَتَحَالَفُوا إِنَّا عَلَيْهِمْ كُنَّا
 حَرْبٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ سِلْمَانِ
 فَإِذَا فَرَغْنَا مِنْهُمْ فَخَلَفْنَا
 سَهْلٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ أَخَوَانِ (٢)
 فَالْعَرْشُ عِنْدَ فَرِيقِنَا وَفَرِيقِكُمْ
 مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ بِلَا كِتْمَانِ (٣)

-
- (١) يُسْمُونَ الَّذِي يُعَلِّمُهُمُ الْفَلَسْفَةَ الْمُعَلِّمُ، وَيَقُولُونَ: أَهْلُ السَّنَةِ يَسْتَدَلُّونَ بِقَالَ
 اللَّهُ وَقَالَ رَسُولُهُ، وَنَحْنُ نَسْتَدَلُّ بِقَالَ أَرَسَطُو الْمَعْلَمِ الْأَوَّلِ أَوْ قَالَ الْمَعْلَمِ
 الثَّانِي، وَهُوَ الْفَارَابِيُّ، فَهَمَّ قَطَعُوا أَعْنَاقَنَا بِهَذَا الْكَلَامِ وَتَأَذَيْنَا مِنْهُمْ، فَلَيْسَ لَنَا
 إِلَّا أَنْ نَسْتَأْصِلَ شَأْفَتَهُمْ بِالْقُوَّةِ حَتَّى لَا نَسْمَعَ مِنْ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ وَقَالَ رَسُولُهُ.
 (٢) لِنَتَخَلَّصَ مِنْهُمْ ثُمَّ نَصْلِحَ مَا بَيْنَنَا وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ، لِأَنَّ مَشْرَبَنَا وَمَقْصِدَنَا وَاحِدٌ.
 (٣) نَحْنُ وَأَنْتُمْ نَجْحِدُ عَلَوَّ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ، فَنَحْنُ وَأَنْتُمْ سَوَاءٌ فِي هَذَا.

ما فوقه شيءٌ سوى العدم الذي
 لا شيءٌ في الأعيان والأذهان
 ما الله موجودٌ هناك وإنما الـ
 عدمُ المحققُ فوقَ ذي الأكوان^(١)
 والله معدومٌ هناك حقيقةً
 بالذاتِ عكسَ مقالةِ الديصان^(٢)
 هذا هو التوحيدُ عندَ فريقنا
 وفريقكمُ وحقيقةُ العرفان^(٣)
 وكذا جماعتنا على التحقيقِ في التـ
 توراةِ والإنجيلِ والفُرقانِ
 ليستَ كلامُ الله بل فيضٌ من الـ
 فعَالِ أو خَلْقٍ من الأكوانِ^(٤)

(١) ليس هناك علوٌ ولا استواءٌ على العرش، والله جلٌّ وعلا ليس داخل العالم ولا خارج العالم، ولا يمين ولا يسار، ولا فوق ولا تحت، فكلُّ الأوصاف التي يصفون الله بها سُلوُبٌ ونفي محض، فهم يصفون الله بالنفي وهذا يُفضي إلى العدم.

(٢) يقولون: الله ليس موجوداً فوق العرش، عكس مقالة أهل الديصان، يُسمُّون أهل السنة بالديصانيين، وهم المجوس، فهم يُشبهون أهل السنة بالمجوس من باب التنفير من مذهبهم.

(٣) هذا توحيد الفلاسفة والمتكلمين، وحقيقتهُ: النفي والعدم.

(٤) نحن متفقون وأنتم على أن الله ليس له كلام وليست التوراة ولا الإنجيل ولا الزبور ولا القرآن من كلامه وإنما هي من كلام المخلوق، أنتم =

فالأرضُ ما فيها له قولٌ ولا
فوقَ السَّما للخلْقِ من دِيانِ
بشرٌ أتى بالوحيِّ وهو كلامُهُ
في ذلك نحنُ وأنتمُ مثلانِ
ولذلك قلنا إنَّ رؤيتنا له
عينُ المُحالِ وليسَ في الإمكانِ^(١)
وزعمتُم أنَّا نراه رؤيَةً الـ
معدومِ لا الموجودِ في البرهانِ

= تقولون: إنَّه من كلام جبريل أو هو عبارة عن كلام الله، وأمَّا الفلاسفة
فيقولون: إنَّه فيضٌ من العقل الفعَّال. فلا خلاف بينهم، فنحن وأنتم
متفقون على أنَّه ليس لله كلام، وإنما يُنسب له الكلام مجازاً.
(١) كذلك الرؤية التي جاءت في الأحاديث المتواترة أنَّ المؤمنين يرون ربَّهم
يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر وكما يرون الشمس صحواً ليس
دونها سحاب^(*) وكما هو معتقد أهل السنة والجماعة، فالمُخالِفون من
الجهمية والمعتزلة الأشاعرة ينفون الرؤية، وكذلك الفلاسفة فهم متفقون
على نفي الرؤية وإن اختلفت عباراتهم، ويكذبون ما جاء في القرآن
كقوله تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] هذا نصٌّ
في أنَّها تنظر إليه يوم القيامة، وفي قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
لَمَّحْجُورُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] يعني: الكفار فدلاً على أن المؤمنين لا
يحجبون عن الله جلَّ وعلا بل يرونه.

إِذْ كُلُّ مَرْتَبِي يَقُومُ بِنَفْسِهِ
 أَوْ غَيْرِهِ لَا بُدَّ فِي الْبُرْهَانِ
 مِنْ أَنْ يُقَابَلَ مَنْ يَرَاهُ حَقِيقَةً
 مِنْ غَيْرِ بُعْدٍ مُفْرِطٍ وَتَدَانٍ
 وَلَقَدْ تَسَاعَدْنَا عَلَى إِبْطَالِ ذَا
 أَنْتُمْ وَنَحْنُ فَمَا هُنَا قَوْلَانِ
 أَمَّا الْبَلِيَّةُ فَهِيَ قَوْلُ مُجَسِّمٍ
 قَالَ الْقُرْآنُ بَدَأَ مِنَ الرَّحْمَنِ
 هُوَ قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ مِنْهُ بَدَأَ
 لَفْظاً وَمَعْنَى لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
 سَمِعَ الْأَمِينَ كَلَامَهُ مِنْهُ وَأَدْ
 دَاهُ إِلَى الْمَخْتَارِ مِنْ إِنْسَانٍ (١)
 فَلَهُ الْأَدَاءُ كَمَا الْأَدَا لِرَسُولِهِ
 وَالْقَوْلُ قَوْلُ اللَّهِ ذِي السُّلْطَانِ

(١) يقول الفلاسفة: البلية التي لا بد أن ندفعها قول المجسمة: إن القرآن
 كلام الله، والأشاعرة يقولون: القرآن بعضه مخلوق وبعضه غير مخلوق،
 حيث قالوا: معناه غير مخلوق ولفظه مخلوق، وأما الجهمية فإنهم
 أصرح في الكفر والضلال حيث قالوا: كلُّه مخلوق، حروفه ومعانيه، أما
 أن يقال: إن معناه غير مخلوق والفاظه مخلوقة، هذا تناقض، فالجهمية
 أصرح في الكفر في مذهبهم وأجرأ من قول الأشاعرة الذين خلطوا بين
 هذا وهذا، وهذا الخلط غير ممكن.

هذا الذي قلنا وأنتم إنَّه

عَيْنُ الْمُحَالِ وَذَاكَ ذُو بُطْلَانٍ^(١)

فَإِذَا تَسَاعَدْنَا جَمِيعاً أَنَّهُ

مَا بَيْنَنَا اللَّهُ مِنْ قُرْآنٍ

إِلَّا كَيْتِ اللَّهِ تِلْكَ إِضَافَةٌ أَلْ

مَخْلُوقٍ لَا الْأَوْصَافُ لِلدِّيَانِ^(٢)

فَعَلَامَ هَذَا الْحَرْبِ فِيمَا بَيْنَنَا

مَعَ ذَا الْوِفَاقِ وَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ

(١) والحق: أَنَّ الْقُرْآنَ سَمِعَهُ الْأَمِينُ وَهُوَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ اللَّهِ وَحَمَلَهُ مِنْ اللَّهِ وَبَلَّغَهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَبَلَّغَهُ لِلْأُمَّةِ، فَالْكَلامُ كَلامُ اللَّهِ وَالْمَبْلُغُ هُوَ مُحَمَّدٌ عَنْ جَبْرِيلَ. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١] يَعْنِي: جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَالْمُرَادُ بِهِ أَنَّ جَبْرِيلَ بَلَّغَهُ، فَقَوْلُهُ قَوْلٌ تَبْلِيغٌ لَيْسَ قَوْلٌ إِنْشَاءٌ وَابْتِدَاءٌ، فَنَسَبْتَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ أَوْ إِلَى جَبْرِيلَ إِنَّمَا هِيَ نِسْبَةٌ تَبْلِيغٌ، فَالْكَلامُ إِنَّمَا يُضَافُ إِلَى مَنْ قَالَهُ مَبْتَدَأًا لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا، فَبِدَايَةِ الْقُرْآنِ إِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَّا مُحَمَّدٌ وَجَبْرِيلُ فَإِنَّهُمَا وَاسِطَةٌ وَمَبْلُغانِ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(٢) يَقُولُ الْفَلَسَفَةُ لِعُلَمَاءِ الْكَلامِ: نَحْنُ وَإِيَّاكُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ كَلامٌ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي بِأَيْدِينَا لَيْسَ كَلامُ اللَّهِ وَإِنَّمَا هُوَ مَخْلُوقٌ، وَإِضَافَتُهُ إِلَى اللَّهِ كِإِضَافَةِ الْمَخْلُوقِ لِخَالِقِهِ مِثْلُ: إِضَافَةِ الْكَعْبَةِ إِلَى اللَّهِ، إِضَافَةِ مَخْلُوقٍ لِخَالِقِهِ، وَمِثْلُ عَبْدُ اللَّهِ، رَسُولُ اللَّهِ، كَذَلِكَ كَلامُ اللَّهِ عِنْدَهُمْ هُوَ إِضَافَةُ مَخْلُوقٍ لِخَالِقِهِ.

فإذا أبيتُم سلّمنا فتحَيُّزُوا

لمقالة التجسيم بالإذعان
عودوا مُجَسِّمَةً وَقُولُوا دِينَنَا أَلْ

إِبْثَاتُ دِينٍ مُشَبَّهُهِ الدِّيَّانِ
أَوْ لَا فَلَا مِنَّا وَلَا مِنْهُمْ وَذَا

شَأْنُ الْمَنَافِقِ إِذْ لَهُ وَجْهَانِ (١)
هَذَا يَقُولُ مُجَسِّمٌ وَخُصُومُهُ

تَرْمِيهِ بِالتَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ
هُوَ قَائِمٌ هُوَ قَاعِدٌ هُوَ جَا حِدٌ

هُوَ مُثَبَّتٌ تَلْقَاهُ ذَا أَلْوَانِ
يَوْمًا بِتَأْوِيلٍ يَقُولُ وَتَارَةً

يَسْطُو عَلَى التَّأْوِيلِ بِالنُّكْرَانِ (٢)

(١) يقولون: إمّا أنكم تأتون معنا أو سيروا مع أئمة التجسيم أهل السنة، وأمّا أنكم تكونون فريقاً ثالثاً فهذا شأن المنافق الذي له وجهان.

(٢) يقول الفلاسفة لأهل الكلام: كونوا صريحين مثلنا صرّحوا بالجحود والنفي، أمّا أنكم تكونون بين الفريقين، فلا أنتم مثبتة ولا أنتم نفاة، فهذا تلؤن ونفاق، فحيناً تؤولون وحيناً تنكرون التأويل، فمثلاً: يقولون للأشاعرة: في الصفات قسّمتم الصفات إلى قسمين: قسم أثبتموه، وهو الصفات السبع بزعمكم، وقسم نفيتموه وهو بقية الصفات، فأنتم لستم مثبتة ولستم نفاة، وهذا تناقض، إمّا أن تكونوا نفاةً خلصاً مثل الفلاسفة والباطنية وإمّا أن تكونوا مثبتين خلصاً كأهل السنة والجماعة، أمّا الجمع بين النقيضين فهذا لا يليق.

فصل

في المطالبة بالفرق بين ما يُتأوَّل وما لا يُتأوَّل^(١)

فَنَقُولُ فَارَقَ بَيْنَ مَا أَوْلَتْهُ

وَمَنْعَتَهُ تَفْرِيقَ ذِي بُرْهَانٍ^(٢)

فَيَقُولُ مَا يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ

وَلِنَاهُ مِنْ خَبَرٍ وَمِنْ قُرْآنٍ

كَالِإِسْتِوَاءِ مَعَ التَّكْلِمْ هَكَذَا

لَفْظُ النُّزُولِ كَذَاكَ لَفْظُ يَدَانِ

(١) هذا الفصل عقده الشيخ رحمه الله للرد على الأشاعرة الذين جعلوا

الصفات على قسمين:

قسمٌ يُثَبَّت ولا يُتَأوَّل وهو الصفات السبع، وقسمٌ يُؤوَّل وهو باقي

الصفات، فالشيخ رحمه الله يقول في هذا الفصل: ما الفرق بين ما

أثبتتموه وبين ما نفيتموه؟ إن كان ما أثبتتموه دَلَّ عليه دليل فما نفيتموه دَلَّ

عليه الدليل، وإن كان ما نفيتموه لم يدَلَّ عليه دليل فكذلك ما أثبتتموه،

فالباب واحد، إمَّا أن تنفوا الجميع وتكونوا كالمُعْطَلَةِ الخُلَّص من جهمية

ومعتزلة، وإمَّا أن تثبتوا الجميع فتكونوا مع أهل الحق، أمَّا الجمع بين

النقيضين فهذا لا يليق بعاقل فضلاً عمَّن يدعي كونه من أهل العلم، وهذا

من الإيمان، ببعض الكتاب والكفر ببعض آخر.

(٢) يقول للأشعري: فرَّق بين ما أولته وما أثبته تفريقاً بالدليل والبرهان.

إذ هذه أوصافُ جسمٍ مُحدَثٍ
 لا ينبغي للواحدِ المَنَّانِ (١)
 فنقولُ أنتَ وصفتهُ أيضاً بما
 يُفْضِي إلى التَّجْسِيمِ والحِدْثَانِ
 فوصفتهُ بالسَّمْعِ والأبْصَارِ مَعُ
 نَفْسِ الحَيَاةِ وَعَلْمِ ذِي الأَكْوَانِ
 ووصفتهُ بمشِيئةٍ مَعَ قُدْرَةٍ
 وكلامِهِ النَّفْسِيِّ وهو مَعَانِ
 أو واحدٌ والجِسْمُ حَامِلٌ هذه الأَ
 أوصافٍ حقاً فَاتٍ بالفرْقَانِ
 بينَ الذي يُفْضِي إلى التَّجْسِيمِ أو
 لا يَقْتَضِيهِ بواضِحِ البُرْهَانِ
 واللهِ لَوْ نُشِرَتْ شَيْوْخُكَ كُلُّهُمْ
 لم يَقْدِرُوا أبداً على الفرقانِ (٢)

(١) التفريقِ عندهم أنهم يقولون: هذه الصفات السبع لا تقتضي التجسيم، وأما بقية الصفات فهي تقتضي التجسيم فلذلك نفيناها، فالجواب: إن كانت الصفات التي نفيتموها تقتضي التجسيم بزعمكم، فإن ما أثبتموه يقتضي التجسيم لا فرق بين هذا وهذا، فأنتم مجسمة فيما أثبتموه ومغطة فيما نفيتموه، فجمعتم بين التجسيم والتعطيل وهذا تناقض.

(٢) يقول الشيخ للأشعري: والله لو جمعت جميع شيوخك من أولهم إلى آخرهم الذين علموك هذا المذهب وقلت لهم: فرّقوا بين ما أثبتموه وما نفيتموه، لم يستطيعوا ولن يستطيعوا فهذا دليل على بطلان التفريق.

فصل

في ذكر فرقٍ آخرٍ لهم وبيان بطلانه^(١)

فلذلك قال زعيمهم في نفسه
 فرقاً سوى هذا الذي تريان
 هذي الصفات عقولنا دلت على
 إثباتها مع ظاهر القرآن^(٢)
 فلذلك صنّاها عن التأويل فاع
 جَبْ يا أخوا التحقيق والعرفان^(٣)

(١) الفرق الأول يقولون: ما يقتضي التجسيم ينفي عن الله وما لا يقتضي التجسيم يُثبت لله. اعتمدوا على التجسيم. والفرق الثاني: هو ما ذكره الشيخ في هذا الفصل.

(٢) يقول: إن الفرق الآخر عندهم إن الصفات السبع دلّ عليها العقل، وأما بقية الصفات فدلّ عليها السمع فقط وهو القرآن، ولم يدلّ عليها العقل، والجواب عن هذا واضح؛ أنّ العقل إذا كان يدلّ على السبع فهو يدلّ على البقية، لا فرق بين النوعين، ولو سلّمنا وفرضنا أنّ العقل يدلّ على السبعة ولم يدلّ على البقية، فالبقية دلّ عليها الوحي المنزّل من الله سبحانه وتعالى، والوحي دليلٌ مقدّم على العقل.

(٣) يقول الشيخ: اعجب من هذا التناقض، العقل إن كان يدلّ على هذه الصفات التي أثبتموها فهو يدلّ أيضاً على البقية فالباب واحد، وأيضاً لو فرضنا أنّ العقل لم يدلّ على البقية فقد دلّ عليها دليلٌ آخر وهو السمع والوحي، فلماذا تتحكمون في الأدلة، تستعملون بعضها وتتركون بعضها؟

كَيْفَ اعْتِرَافِ الْقَوْمِ أَنَّ عُقُولَهُمْ

دَلَّتْ عَلَى التَّجْسِيمِ بِالْبُرْهَانِ

فَيُقَالُ هَلْ فِي الْعَقْلِ تَجْسِيمٌ أَمْ أَلْ

مَعْقُولٌ نَنْفِيهِ كَذَا التَّقْصَانِ

إِنْ قُلْتُمْ نَنْفِيهِ فَاَنْقُوا هَذِهِ أَلْ

أَوْصَافَ وَأَنْسَلِخُوا مِنَ الْقُرْآنِ (١)

أَمْ قُلْتُمْ نَقْضِي بِإِثْبَاتٍ لَهُ

فَفِرَارُكُمْ مِنْهَا لِأَيِّ مَعَانٍ (٢)

أَوْ قُلْتُمْ نَنْفِيهِ فِي وَضْفٍ وَلَا

نَنْفِيهِ فِي وَضْفٍ بِإِبْرَاهَانَ

فَيُقَالُ مَا الْفَرْقَانُ بَيْنَهُمَا وَمَا أَلْ

بِرْهَانُ فَأَتُوا الْآنَ بِالْفَرْقَانِ

وَيُقَالُ قَدْ شَهِدَ الْعِيَانُ بِأَنَّهُ

ذُو حِكْمَةٍ وَعِنَايَةٍ وَحَنَانٍ (٣)

(١) انقوا هذه الأوصاف التي أثبتموها لأنه إن كان الذي نفيتموه يقتضي

التجسيم فما أثبتموه أيضاً فإنه يقتضي التجسيم.

(٢) وإن قلتم: بأن العقل لا ينفي هذه السبع فالعقل أيضاً لا ينفي بقية

الأسماء والصفات.

(٣) يقول: إذا كان العقل يدل على إثبات ما أثبتموه فهو يدل أيضاً على إثبات

ما نفيتموه، فإذا تأمل الإنسان في المخلوقات وفي تباينها واختلافها فهذا

يدل على حكمة الخالق سبحانه وتعالى، فثبتت الحكمة أيضاً بدليل =

مَعَ رَأْفَةٍ وَمُحَبَّةٍ لِعِبَادِهِ
 أَهْلِ الْوَفَاءِ وَتَابِعِي الْقُرْآنِ
 وَلِذَلِكَ خُصُّوا بِالْكَرَامَةِ دُونَ أَعْدَاءِ
 الْإِلَهِ وَشِيعَةِ الْكُفْرَانِ
 وَهُوَ الدَّلِيلُ لَنَا عَلَى غَضَبٍ وَبُغْضٍ
 مِنْهُ مَعَ مَقْتٍ لِذِي الْعِضْيَانِ
 وَالنَّصُّ جَاءَ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ مَعَ
 مِثْلِ الصِّفَاتِ السَّبْعِ فِي الْقُرْآنِ (١)
 وَيُقَالُ سَلَّمْنَا بِأَنَّ الْعَقْلَ لَا
 يُفْضِي إِلَيْهَا فَهِيَ فِي الْفُرْقَانِ
 أَفْتَقَى أَحَادِ الدَّلِيلِ يَكُونُ لِدَمْذُولٍ نَفِيًّا يَا أَوْلِي الْعِرْفَانِ (٢)

= العقل، وكذلك إتقانها وإحكامها وانتظام الخلق وأنه لا يضطرب ولا يتغير نظامه، هذا دليل على علم الخالق سبحانه وتعالى وهذا دليل عقلي، كذلك الإحسان إلى أهل الخير وأهل الأعمال الصالحة يدل على الرحمة والمحبة، والمعاقبة لأهل الذنوب والمعاصي يدل على أنه يُغضهم فدلَّ العقل على الغضب ودلَّ على الرضا ودلَّ على الرحمة.

(١) دلَّ العقل ودلَّ القرآن على صفات الله وأنتم تقولون: ليس عليها دليل عقلي.

(٢) نفي الدليل المعين عن شيء لا يدل على أنه ليس هناك دليل آخر، فإذا قيل: إنَّ العقل لا يدلُّ على بقية الصفات، فعدم الدليل المعين لا يدل =

أو نفيٍ مُطلقه يدلُّ على انتفاء الـ
 مَدْلُولٍ في عَقْلِ وفي قُرْآنٍ
 أبعَدَ ذا الإنصافِ وَيَحْكُمُو سَوِي
 مَحْضِ العنادِ ونُخوةِ الشَّيْطَانِ
 وتَحْيِيزِ مِنْكُمْ إِلَيْهِمْ لا إِلِي الـ
 قُرْآنِ والآثارِ والإيمانِ

* * *

= على عدم المدلول المعين، لأنَّ الأدلة كثيرة، فنفي الواحد منها لا يدل
 على نفي البقية.

فصل

في مخالفة طريقهم لطريق أهل الاستقامة

عقلاً ونقلاً^(١)

واعلمَ بأنَّ طريقَهُم عَكْسُ الطَّرِيقِ

— قِ المُسْتَقِيمِ لِمَن لَه عَيْنَانِ

جَعَلُوا كَلَامَ شِيُوخِهِمْ نَصّاً لَهُ أَلْ

إِحْكَامٌ مَوْزُوناً بِه النَّصَّانِ

وَكَلَامَ بَارِيهِمْ وَقَوْلَ رَسُولِهِمْ

مُتَشَابِهاً مُتَحَمِّلاً لِمَعَانِ^(٢)

(١) رَكَزَ عَلَى الْأَشَاعِرَةِ بِالذَّاتِ لِأَنَّهْمُ هُمَ الَّذِينَ لَبَّسُوا عَلَى النَّاسِ بِأَنَّهْمُ أَهْلُ السَّنَةِ وَلَا يَزَالُونَ إِلَى الْآنَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْأَشَاعِرَةَ هُمَ أَهْلُ السَّنَةِ مَعَ أَنَّهْمُ مُتَنَاقِضُونَ وَمُضْطَرِبُونَ، فَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ، وَلَيْسُوا مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَإِنَّمَا هُمَ مُذَبْذَبُونَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ.

(٢) مِنْ بَلَايَاهُمْ أَنَّهْمُ يَتَمَسَّكُونَ بِأَقْوَالِ شِيُوخِهِمْ وَقَوَاعِدِ الْمُنْطَقِ الَّذِي بَنَوْا عَقِيدَتَهُمْ عَلَيْهِ تَمَسَّكاً أَعْمَى وَيَقُولُونَ: هَذِهِ الْقَوَاعِدُ لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ، بَيْنَمَا يَسْطُونَ عَلَى كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِالتَّأْوِيلِ وَالتَّحْرِيفِ، فَهَمُ يُعْظَمُونَ كَلَامَ شِيُوخِهِمْ وَلَا يُعْظَمُونَ كَلَامَ اللَّهِ وَلَا كَلَامَ رَسُولِهِ ﷺ، فَلِذَلِكَ جَمَدُوا عَلَى إِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَاتِ السَّبْعِ، لِأَنَّ شِيُوخَهُمْ أَثْبَتُوهَا وَنَفَوْا مَا عَدَاهَا، لِأَنَّ شِيُوخَهُمْ نَفَوْهَا وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، فَكَلَامُ اللَّهِ =

فتولدت من ذينك الأصليين أو
 لاذ أتت للغبي والبهتان^(١)
 إذ من سفاح لا نكاح كونها
 بئس الوليد وبئست الأبوان^(٢)
 عرضوا التصوص على كلام شيوخهم
 فكانها جيش لذي سلطان
 والعزل والإبقاء مرجعه إلى السد
 سلطان دون رعيّة السلطان
 وكذلك أقوال الشيوخ فإنها الـ
 ميزان دون النصّ والقرآن
 أن وافق قول الشيوخ فمرحبا
 أو خالف فالدفع بالإحسان

= ورسوله عندهم ظني لكونه محتملاً لعدة معانٍ، فدلالته ظنية، وأمّا كلام
 شيوخهم فهو لا يحتمل التأويل لأنه قطعي، فهذه البلية التي أصيبوا بها.
 (١) هذان الأصلان هما:

١ - أنّ كلام الله ورسوله ظني الدلالة.

٢ - أن كلام شيوخهم قطعي الدلالة لا يحتمل التأويل، فتولد من هذين
 الأصليين أولاد سوء ليس لهم نسب، فهم لقطاع.

(٢) تشبه الثمرات التي تولدت عن هذين الأصليين الباطلين تشبه أولاد الزنى
 الذين هم من سفاح لا نكاح، فكل ما تولد عن أصلي الجهمية والمعتزلة
 والأشاعرة الذي هو قطعية كلام الشيوخ وظنية كلام الله والرسول تولد
 عنهم أولاد زنى وسفاح.

إمَّا بتأويلٍ فإن أعيًا فَتَفُ

ويضُّ ونتركها لقولِ فلان^(١)

إذ قَوْلُهُ نَصٌّ لَدِينَا مُحَكَّمٌ

فظواهرُ المنقولِ ذاتُ معانٍ^(٢)

والتَّصْرُّ فهو به عليمٌ دُونَنَا

وبحَالِهِ مَا حِيلَةُ الْعُمَيَّانِ^(٣)

إِلَّا تَمَسُّكُهُمْ بِأَيْدِي مُبْصِرٍ

حَتَّى يَقُودَهُمْ كَذِي الْأَرْسَانِ^(٤)

(١) يقولون عن نصوص القرآن والسنة: إنها ظنية محتملة أو يقولون: غير صحيحة ولا ثابتة، فلا يقولون: إنها باطلة، بل يلتمسون لهم عذراً في عدم قبولها من الاحتمالات، فإذا عجزوا عن تضعيفها من جهة السند والتمن قالوا: نفوض معناها فنقول: لا يعلمه إلا الله، فهي من المتشابهة، وهذه فرقة المفوضية ومع ذلك ينسبون التفويض إلى السلف وكذبوا على السلف في هذا.

(٢) قول الشيوخ عندهم نصٌّ لا يقبل التأويل، أمّا أدلة الكتاب والسنة فهي ظواهرٌ تحتمل عدة معانٍ.

(٣) شيخهم هو الذي يقودهم، وهو يعرف الطريق، وهم لا يعرفونه، هذه صورتهم معه - نسأل الله العافية - يقولون: الشيوخ أعلم منا فلو علموا أنّ هذا النص يدلُّ على كذا وكذا لبيّنوه لنا، أمّا كونهم لم يبيّنوا فهذا دليلٌ على أنّه يُفوّض، أمّا نحن فلا نفهم وإنّما نقلدُهم فقط.

(٤) هم كالحيوانات التي لها أرسان يقودها صاحبها فهم مع شيوخهم مثل الحيوانات، هذه صفتهم - نسأل الله العافية -.

فَاعْجَبْ لِعُمَيَانَ الْبَصَائِرِ أَبْصَرُوا
 كَوْنَ الْمُقَلِّدِ صَاحِبِ الْبُرْهَانِ
 وَرَأَوْهُ بِالتَّقْلِيدِ أَوْلَى مِنْ سِوَا
 هُ بِغَيْرِ مَا بَصَرَ وَلَا بُرْهَانَ
 وَعَمُّوا عَنِ الْوَحْيَيْنِ إِذْ لَمْ يَفْهَمُوا
 مَعْنَاهُمَا عَجَباً لَدِي الْحَرَمَانِ (١)
 قَوْلُ الشُّيُوخِ أَتَمُّ تَبْيَاناً مِنَ الْ
 وَحْيَيْنِ لَا وَالْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ (٢)
 النُّقْلُ نَقْلٌ صَادِقٌ وَالْقَوْلُ مِنَ
 ذِي عِصْمَةٍ فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ (٣)
 وَسِوَاهُ إِمَّا كَاذِبٌ أَوْ صَحَّحَ لَمْ
 يَكُ قَوْلَ مَعْصُومٍ وَذِي تَبْيَانٍ (٤)

(١) حرموا أنفسهم من التفقه في كتاب الله وسنة رسوله بهذه الحجة الخبيثة، أنهم لا طاقة لهم بفهم الكتاب والسنة، وإنما يتبعون الذين يزعمون أنهم يفهمون الكتاب والسنة، فحرموا أنفسهم من العلم.

(٢) عندهم: أن أقوال الشيوخ أتم بياناً من القرآن، وأقسم الناظم أن هذا كذب، والعكس هو الصحيح، وأن القرآن أتم بياناً.

(٣) نصوص الوحيين: الكتاب والسنة يتوفر فيهما النقل الصادق يعني السند الصحيح، والتمن واضح التبيان ما فيه غموض ولا لبس، فكيف يُعَادَل هذا بأقوال الشيوخ التي هي عرضة للخطأ، والرسول ﷺ معصومٌ عن الخطأ.

(٤) وسوى الوحي إمّا أن يكون سنده غير صحيح، فكثيراً ما يُنسب إلى العلماء شيء غير صحيح لم يثبت عنهم، وإن ثبت عنهم فهم غير =

أفيستوي النقلانِ يا أهلَ النهيِ

واللهِ لا يتمائِلُ النقلانِ^(١)

هذا الذي ألقى العداوةَ بيننا

في الله نحنُ لأجله خصمانِ^(٢)

نصروا الضلالةَ من سفاهةِ رأيهمُ

لكنْ نصرنا مُوجبَ القرآنِ^(٣)

ولنا سلوكٌ ضدَّ مسلكهمُ فما

رَجُلانِ مِنَّا قَطُّ يلتقيانِ^(٤)

= معصومين وعُرْضة للخطأ، وإنما تُعرض أقوالهم على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة أخذنا به وما خالف الكتاب والسنة تركناه.

(١) هل يستوي النقلان؟ النقل عن العلماء والنقل عن الله وعن رسوله، لا يستويان أبداً.

(٢) هذا الذي سبب العداوة بين أهل السنة وخصومهم من أهل الضلال، أنَّ أهل السنة يوصون باتباع الكتاب والسنة بعكس أهل الضلال الذين يُقلِّدون شيوخهم.

(٣) فرق بين الحزبين: أهل السنة نصروا الوحيين: الكتاب والسنة وهؤلاء نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم التي هي اتباع غير الكتاب والسنة.

(٤) لا يمكن الجمع بين ضدين مبتدع وسُنِّي، والضدان لا يجتمعان، وهذا ردُّ على من يقولون الآن: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، فنحن نجتمع إذا وافقونا على جميع الحق، أما إنهم يقولون على ضلالتهم وشرهم فهذا لا يمكن.

إِنَّا أَيْنَا أَنْ نَدِينَ بِمَا بِهِ
 دَانُوا مِنْ الْأَرَاءِ وَالْبُهْتَانِ
 إِنَّا عَزَلْنَاهَا وَلَمْ نَعْبَأْ بِهَا
 يَكْفِي الرُّسُولُ وَمُحَكَّمُ الْفُرْقَانِ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ يَكْفِيهِ ذَانِ فَلَا كَفَا
 هُ اللَّهُ شَرَّ حَوَادِثِ الْأَزْمَانِ (١)
 مَنْ لَمْ يَكُنْ يَشْفِيهِ ذَانِ فَلَا شَفَا
 هُ اللَّهُ فِي قَلْبِ وَلَا أَبْدَانِ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ يُغْنِيهِ ذَانِ رَمَاهُ رَبُّ
 بُ الْعَرْشِ بِالْإِعْدَامِ وَالْحِرْمَانِ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ يَهْدِيهِ ذَانِ فَلَا هِدَا
 هُ اللَّهُ سُبُلَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ
 إِنَّ الْكَلَامَ مَعَ الْكِبَارِ وَلَيْسَ مَعَ
 تَلِكِ الْأَرَادِلِ سِفْلَةِ الْحَيَوَانِ (٢)

(١) إِذَا لَمْ يَسْتَجِيبُوا وَيَتْرَكُوا بَاطِلَهُمْ وَضَلَالَهُمْ فَإِنَّهُ يُوَجِّهُ إِلَيْهِمْ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ
 الَّتِي نَرْجُو اللَّهُ أَنْ يَقْبَلَهَا مِنَّا عَلَيْهِمْ .
 (٢) يَقُولُ : إِنَّهُمْ يَنْقَسِمُونَ إِلَى قَسْمَيْنِ :
 قَسْمٌ أَتَمَّةٌ كِبَارٌ مُقَلِّدُونَ .

وَقَسْمٌ يَتَّبِعُ كُلَّ نَاعِقٍ ، فَكَلَامُنَا لَيْسَ مَعَ هَؤُلَاءِ الْغَوْغَاءِ أَتْبَاعِ كُلِّ نَاعِقٍ
 وَإِنَّمَا كَلَامُنَا مَعَ الْقَادَةِ ، لِأَنَّ الْقَادَةَ لَوْ اهْتَدَوْا لَاهْتَدَى أَتْبَاعُهُمْ ، لَكِنْ =

أوساخِ هذا الخلقِ بلْ أُنْتَانِهِ
 جِيْفِ الوجُودِ وأخْبَثِ الإنسانِ
 الطالبينَ دماءَ أهلِ العلمِ بالِ
 كُفْرانِ والبُهْتانِ والعُدوانِ^(١)
 الشاتمي أهلَ الحديثِ عداوةً
 للسُّنَّةِ العُليا مع القرآنِ^(٢)
 جعلوا مسبِّهُمُ طعامَ حُلُوقِهِمُ
 فاللهُ يَقْطَعُهَا مِنْ الأذْقَانِ
 كِبِراً وإعجاباً وتيهاً زائداً
 وتجاوُزاً لمراتبِ الإنسانِ

= المصيبة إذا كان القادة هم الذين يُحَرِّضُونَ أتباعهم على الضلال ومخالفة
 الكتابة والسنة.

(١) يُحَرِّضُونَ على أهل السنة والجماعة دائماً وأبداً عند السلاطين والولاة،
 وكثيراً ما امتحن أهل السنة والجماعة بسبب هؤلاء، فما الذي حمل
 المأمون والمعتصم على ضرب الإمام أحمد وإهانتته إلا بسبب مشورة
 أحمد بن أبي دُواد وبشر المريسي وخبثاء المعتزلة.

(٢) من هو الذي سبَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتبه وألَّف المؤلفات
 في ذمِّه وذمَّ دعوته إلا هؤلاء وأذئابهم، ولو اطلعتهم على اعتراض الشُّبكي
 على هذه النونية وما فيه من الوقاحات والسب والشتم حيث يلعن ابن القيم
 ويشتمه، ثم تبعه خبيث هذا الزمان الكوثري فعلق على ابن القيم بكتاب
 «السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل» يسمي ابن القيم ابن زفيل.

لَوْ كَانَ هَذَا مِنْ وِرَاءِ كَفَايَةٍ
 كُنَّا حَمَلْنَا رَايَةَ الشُّكْرَانِ
 لَكِنَّهُ مِنْ خَلْفِ كُلِّ تَخَلُّفٍ
 عَنِ رُتْبَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ
 مَنْ لِي بِشِبْهِ خَوَارِجٍ قَدْ كَفَرُوا
 بِالذَّنْبِ تَأْوِيلاً بِبَلَاءِ إِحْسَانٍ^(١)
 وَلَهُمْ نَصُوصٌ قَصَّروا فِي فَهْمِهَا
 فَأَتُوا مِنَ التَّقْصِيرِ فِي الْعِرْفَانِ
 وَخُصُومُنَا قَدْ كَفَرُونَا بِالذِّي
 هُوَ غَايَةُ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ

(١) يُقَارَنُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الضَّلَالِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَأَتْبَاعِهِمْ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ، لِأَنَّهُمْ
 يَقُولُونَ: أَنْتُمْ خَوَارِجٌ فَهوَ يَرِيدُ أَنْ يُبَيِّنَ: مَنْ هُوَ الْأَوَّلِيُّ بِالْخَوَارِجِ؟ قَارَنَ
 بَيْنَهُمْ، فَوَجَدَ أَنَّ الْخَوَارِجَ أَحْسَنَ حَالاً مِنْهُمْ، مَعَ ضَلَالِ الْخَوَارِجِ إِلَّا أَنَّهُمْ
 أَحْسَنَ حَالاً مِنْ هَؤُلَاءِ، لِأَنَّ الْخَوَارِجَ يَسْتَدِلُّونَ بِنُصُوصٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَكِن
 مَا فَهَمُوا، وَالذِّي يَسْتَدِلُّ بِنُصُوصٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَحْسَنُ حَالاً مِنَ الذِّي يَسْتَدِلُّ
 بِقَوَاعِدِ الْمُنْطَقِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ، وَأَيْضاً: الْخَوَارِجُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الْكُذْبِ لِأَنَّ
 الْكُذْبَ كَبِيرَةٌ وَهُمْ يُكْفَرُونَ بِالْكَبَائِرِ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَكُلُّ بَضَاعَتِهِمُ الْكُذْبُ،
 مَا عِنْدَهُمْ إِلَّا الْكُذْبُ وَالْإِفْتِرَاءُ فَالْخَوَارِجُ أَحْسَنُ حَالاً مِنْ هَؤُلَاءِ.
 وَأَيْضاً الْخَوَارِجُ كَفَرُوا أَهْلَ الْكَبَائِرِ وَهُمْ فَسَاقٌ، وَهَذَا لَا شَكَّ غَلُوبِ
 وَضَلَالِ، وَهَؤُلَاءِ كَفَرُوا أَهْلَ السَّنَةِ وَعِلْمَاءَ الْمِلَّةِ وَأُمَّةَ التَّوْحِيدِ.
 فَيَتَبَيَّنُ مِنْ هَذَا: أَنَّ الْخَوَارِجَ عَلَى ضَلَالِهِمْ أَحْسَنُ حَالاً مِنْ هَؤُلَاءِ.

فصل

في بيان كذبهم ورميهم أهل الحقِّ بأنَّهم أشباهُ الخوارج
وبيان شبههم المُحقِّق بالخوارج^(١)

ومن العجائبِ أنَّهم قالوا لِمَنْ
قَدْ دَانَ بِالْآثَارِ وَالْقُرْآنِ
أَنْتُمْ بَذَا مِثْلُ الْخَوَارِجِ إِنَّهُمْ
أَخَذُوا الظَّوَاهِرَ مَا اهْتَدَوْا لِمَعَانِ^(٢)
فَانظُرْ إِلَى ذَا الْبُهْتِ هَذَا وَصَفُهُمْ
نَسَبُوا إِلَيْهِ شِيعَةَ الْإِيمَانِ
سَلُّوا عَلَى سُنَنِ الرَّسُولِ وَحِزْبِهِ
سَيْفِينَ سَيْفَ يَدِ وَسَيْفَ لِسَانِ^(٣)
خَرَجُوا عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا خَرَجَ الْأَوْلَى
مِنْ قَبْلِهِمْ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ^(٤)

(١) لَمَّا بَيَّنَّ الْمَقَارَنَةَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ مَنْ هُوَ الْأَحَقُّ

بِمِشَابَهَةِ الْخَوَارِجِ، هَلْ هُمْ أَهْلُ السَّنَةِ أَوْ هَؤُلَاءِ؟

(٢) يَقُولُ أَهْلُ الضَّلَالِ لِأَهْلِ السَّنَةِ: أَنْتُمْ تَشَابَهُونَ الْخَوَارِجَ لِأَنَّكُمْ تَأْخُذُونَ

بِظَوَاهِرِ النُّصُوصِ وَالِاسْتِدْلَالِ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ اسْتِدْلَالًا بِالظَّوَاهِرِ.

(٣) هَذَا فِي الْحَقِيقَةِ وَصَفُهُمْ هُمْ، لَيْسَ وَصَفَ أَهْلِ السَّنَةِ. لِأَنَّهُمْ سَلُّوا عَلَى

الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ سَيْفِينَ: سَيْفَ السُّلْطَةِ، وَسَيْفَ اللِّسَانِ بِالتَّحْرِيفِ وَالتَّأْوِيلِ.

(٤) خَرَجُوا عَلَى أَهْلِ السَّنَةِ مِثْلَمَا خَرَجَ الْخَوَارِجُ عَلَى وِلَاةِ الْمُسْلِمِينَ.

والله ما كان الخوارج هكذا
وهُم البَغَاةُ أُمَّةُ الطُّغْيَانِ
كَفَرْتُمْ أَصْحَابَ سُنَّتِهِ وَهُمْ
فَسَّاقُ مِلَّتِهِ فَمَنْ يَلْحَانِي (١)
إِنْ قُلْتُ هُمْ خَيْرٌ وَأَهْدَى مِنْكُمْ
والله ما الفِئْتَانِ مستويَانِ (٢)
شَتَّانَ بَيْنَ مُكْفِّرِ السُّنَّةِ الِ
عُلْيَا وَبَيْنَ مُكْفِّرِ العَصِيَانِ (٣)
قَلْتُمْ تَأَوْلْنَا كَذَاكَ تَأَوْلُوا
وَكَلَّاكُمْ مَا فَتَّانِ بَاغِيْتَانِ (٤)
وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ مِيزَةُ التَّعْطِيلِ وَالتُّ
تَحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَالبُّهْتَانِ (٥)

- (١) يقول لهؤلاء الضلال: الخوارج كفروا فساق الملة وأنتم كفرتم خيرة أهل السنة، فأياكم أضل؟ وقوله: «فمن يلحاني» أي: من يلومني.
- (٢) يقول: إن الخوارج على ضلالهم خير من هؤلاء الضلال.
- (٣) الخوارج كفروا العصاة وأنتم كفرتم خيرة أهل السنة، فأياكم أشد تكفيراً؟!.
- (٤) قلت: تأولنا النصوص وحملناها على غير ظاهرها، وهم تأولوا كذلك، فكلاكما متأول وضال فأنتم أشبه بهم.
- (٥) الخوارج ليسوا مُعْطَلَةٌ لأنهم يؤمنون بالأسماء والصفات، وأنتم عظمتم أسماء الله وصفاته فأنتم زدتم على الخوارج بالتعطيل. فهم أحسن منكم، =

وَلَهُمْ عَلَيْكُمْ مِيزَةُ الْإِثْبَاتِ وَالتَّ
تَصْدِيقِ مَعَ خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
الْكُمُ عَلَى تَأْوِيلِكُمْ أَجْرَانِ إِذْ
لَهُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِمْ وَزُرَانِ^(١)
حَاشَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ ذَا الْحُكْمِ بَلْ
أَنْتُمْ وَهُمْ فِي حُكْمِهِ سِيَّانِ^(٢)
وَكَلاهُمَا لِلنَّصِّ فَهُوَ مُخَالِفٌ
هَذَا وَبَيْنَكُمَا مِنَ الْفُرْقَانِ
هُمُ خَالَفُوا نَصًّا لِنَصِّ مِثْلِهِ
لَمْ يَفْهَمُوا التَّوْفِيقَ بِالْإِحْسَانِ

= وعندهم ورع وخوف وعبادة، وصلاة بالليل، وأنتم ليس عندكم خوف
ولا عبادة، فهم أحسن منكم من ناحية السلوك.
(١) ما الفرق بين تأويلكم وتأويلهم؟ إن كان تأويلهم خاطئاً فتأويلكم أشدُّ
خطأً، وإن كنتم مصيبين فهم أصوب منكم، لهم من الأجر مثل ما
لكم.
(٢) لا هم ولا أنتم من أهل الاجتهاد الذي يُعذَّر به ففعلكم ضلال،
والحديث: «إذا حكم الحاكم، فاجتهد، فأصاب، فله أجران وإذا حكم
فاجتهد فأخطأ فله أجر»^(*) هذا في الذي عنده أهلية الاجتهاد.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٠٨/٢٩ (١٧٧٧٤)، والبخاري (٧٣٥٢)، والترمذي
(١٣٢٦) من حديث عمرو بن العاص.

لكنكم خالفتم المنصوص للشـ

شبه التي هي فكرة الأذهان^(١)

فلأي شيء أنتم خير وأقـ

رب منهم للحق والإيمان

هم قدموا المفهوم من لفظ الكتا

ب على الحديث الموجب التبيان^(٢)

لكنكم قدمتمو رأي الرجا

ل عليهما أفأنتما عدلان

أم هم إلى الإسلام أقرب منكم

لاح الصباح لمن له عينان

والله يحكم بينكم يوم الجزا

بالعدل والإنصاف والميزان

هذا ونحن فمنهم بل منكم

براء إلا من هدى وبيان^(٣)

(١) الخوارج اعتمدوا على نصوص لكنهم ما أحسنوا الاستدلال بها، وأما أنتم أيها المعطلة فلم تلتفتوا إلى النصوص أصلاً، وإنما عدلتم إلى آراء أئمتكم.

(٢) والخوارج أخذوا ببعض النصوص من القرآن وأنكرو السنة وأنتم أنكرتم: الكتاب والسنة، فأنتم أشد ضلالاً، لأنكم تقولون: الكتاب والسنة ظواهر ظنية لا تُفيد اليقين، فأنتم أشد ضلالاً من الخوارج.

(٣) نحن براء من الفريقين: براء الخوارج ومنكم يا أهل التعطيل.

فاسمعُ إذا قولَ الخوارجِ ثمَّ قوُ
لَ خُصُومِنَا واحْكُمْ بلا ميلانِ
من ذا الذي مِنَّا إذا أشباهُهُم
إن كنتَ ذا علمٍ وذا عِرفانٍ^(١)
قال الخوارجُ للرسولِ اعدِلْ فلمْ
تَعِدِلْ وما ذي قِسْمَةَ الدَيَّانِ^(٢)
وكذلكَ الجَهْمِيُّ قالَ نظيرَ ذا
لكنَّهُ قد زادَ في الطغيانِ^(٣)

(١) إذا من هو الأشبه بالخوارج بعد هذا البيان لحال أهل السنة وحال أهل التعطيل.

(٢) كما قاله ذو الخويصرة التميمي للرسول ﷺ حينما قسم عليه السلام الأموال في الفيء فقال له عدوُّ الله: اعدِلْ فإنَّكَ لم تعدلْ فقال عليه السلام: «ويلك ومن يعدلْ إذا لم أعدِلْ»^(*) وظهرت فرقة الخوارج في عصر الخلفاء الراشدين وصار لهم شوكة.

(٣) فالجهمية قالوا أشد من قول ذي الخويصرة، قالوا: قال الرسول: (استوى) والصواب استولى، فلم يعدل الرسول في قوله فالجهمية أشدُّ ضللاً.

(*) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) (١٤٨) من حديث أبي سعيد الخدري، وهو في «مسند الإمام أحمد» ١٨/٩٤-٩٥ (١١٥٣٧) وفيه تمام تخريجه.

قال الصوابُ بأنه استولى فلم

قُلْتَ استوى وعدلتَ عن تبيان^(١)

وكذاك ينزلُ أمره سبحانه

لِمَ قُلْتَ ينزلُ صاحبُ الغفران^(٢)

ماذا بعدلٍ في العبارة وهي مؤ

همة التحرك وانتقال مكان^(٣)

وكذاك قلتَ بأن ربك في السما

أوهمتَ حيزَ خالقِ الأكوان^(٤)

(١) يقولون لله: لِمَ قلتَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ولم تقل: «الرحمن على العرش استولى» لأنَّ هذا هو الصواب، وأمَّا لفظ «استوى» فهو خطأ.

(٢) كذلك يا محمد، قلتَ: «ينزل ربنا»^(*) ولم تقل: ينزل أمره، حتى يكون الأمر واضحاً، فهم يُخطئون الرسول ﷺ ويُعاتبونه.

(٣) ما عدلتَ في العبارة، مثل ما قال ذو الخويصرة: ما عدلتَ في القسمة. ويقولون: النزول يوهم التحرك والانتقال من مكان إلى مكان، والله منزّه عن ذلك.

(٤) يقولون للرسول: إنك تقول: إنَّ ربك في السماء، مع أنَّه تعالى ليس في مكان، فلا يُقال: في السماء ولا في الأرض ولا داخل العالم ولا خارجه ولا ولا.

كان الصوابُ أن يُقالَ بَأَنَّهُ

فوقَ السما سُلطانُ ذي السُلطانِ^(١)

وكذاك قُلْتَ إليه يَعْرُجُ وَالصَّوَا

ب إلى كرامةِ رَبِّنا المَنَّانِ^(٢)

وكذاك قُلْتَ بَأَنَّ مِنْهُ يُنْزَلُ الـ

قُرْآنُ تنزيلاً مِنْ الرَّحْمَنِ^(٣)

كان الصوابُ بَأَنَّ يُقالَ نُزُولُهُ

مِنْ لَوْحِهِ أَوْ مِنْ مَحَلِّ ثَانٍ^(٤)

(١) يقولون: لو قلت أيها الرسول في السماء سُلطانُهُ أو أمره أو ملكه، كان هذا هو الصواب، فهذا أشد من قول الخوارج.

(٢) يقولون للرسول: كذا قلت: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] وهذا خطأ لأن الذي في السماء ويصعد إليه هو أمره وسلطانه، فلم عدلت عن أمره وسلطانه وقلت: «إليه» لأن الضمير يرجع إلى الله وهذا عندهم خطأ.

(٣) عندهم أن تنزيلَ الكتاب من اللوح المحفوظ؛ لأن الله خلقه في اللوح المحفوظ فصار جبريل يأخذه من اللوح المحفوظ ولم ينزل من الله.

(٤) فنزوله عندهم من اللوح المحفوظ أو من محلِّ ثانٍ، المهم أنه ليس تنزيلاً من الله، فهل بعد هذا الكفر كفر؟ نسأل الله العافية.

وتقولُ أين الله؟ ذاك الأينُ مُمَدُّ

تَنَعُّ عَلَيْهِ وليسَ في الإمكانِ (١)

لو قُلْتَ مَنْ كان الصوابُ كما ترى

في القبرِ يسألُ ذلكَ الملكانِ (٢)

وتقولُ: أَللَّهُمَّ أنتَ الشاهدُ الـ

أعلى تُشيرُ بأصبعِ وبنانِ (٣)

(١) يعاتبون الرسول فيقولون تقول للجارية: «أين الله؟» (*) والسؤال بهذا اللفظ خطأ من الرسول عندهم، فالواجب أن يُقال: مَنْ الله؟ كما يقوله الملكان للميت: «من ربك» (***) هذا هو الصواب لأن «أين» تدل على المكان والله منزّه عنه عندهم.

(٢) يقولون للرسول لو قلت: مَنْ الله؟ فهم يُعدّلون على الرسول ﷺ وَيُعَلِّطُونَهُ في كلامه، فأين هذه الضلالات من ضلالات الخوارج؟ كما يقول الملكان للميت: «مَنْ ربك؟» ولم يقولوا: أين ربك؟ فرق بين الحديثين.

(٣) كذلك أيضاً من تخطتتهم للرسول ﷺ أَنَّهُ أشار إلى الله في العلو، وذلك في خُطْبَتِهِ ﷺ في عرفة يوم الحج قال: «إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلّغت، ورفع أصبعه إلى السماء وقال: «اللهم اشهد» (***) ورفع أصبعه إلى السماء إشارة إلى علو الله سبحانه وتعالى، فهذه الإشارة أكبر عليهم من القذائف المُدْمِرة - والعياذ بالله - =

(*) سلف تخريجه ص ٣١٩.

(**) سلف تخريجه ص ٣٤٢.

(***) سلف تخريجه ص ٣٢٧.

نحو السماء وما إشارتنا له
 حسيّة بل تلك في الأذهان
 والله ما ندري الذي بُدِيه في
 هذا من التأويل للإخوان
 قلنا لهم إنَّ السَّما هي قِبْلَةُ الدُّ
 دَاعِي كَيْتِ اللهُ ذِي الأركانِ^(١)
 قالوا لنا هذا دليلٌ أَنَّهُ
 فوق السماء بأوضح البرهانِ^(٢)

= فغلطوا رسول الله في رفعه أصبعه إلى السماء وقالوا: لا تجوز الإشارةُ إلى الله في العلو ولا يجوز أن يُقال: أين الله؟ ولا يجوز أن يُقال: استوى على العرش.

(١) قالوا محرفين الكلام عن مواضعه: إنَّ الإشارة إلى السماء ورفع اليدين والتوجه إلى العلو كل هذه الأمور تدل على أنَّ السماء قِبْلَةُ الداعي كما أن الكعبة قِبْلَةُ المصلين، فيقال لهم: هل السماء قِبْلَةُ؟ أو القِبْلَةُ: هي الكعبة، أمَّا السماء فليست قِبْلَةُ، بل نهى النبي ﷺ أن يرفع بصره إلى السماء^(*)، فالسما ليست قِبْلَةُ.

(٢) قال أهل السنة: إنَّ هذه النصوص دليلٌ على أنَّ الله في السماء، فبماذا تجيبونهم؟

(*) من ذلك ما ورد في حديث جابر بن سمرة عن النبي ﷺ قال: «لينتهين أقوامٌ يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة، أو لا ترجع إليهم» أخرجه أحمد في «المسند» ٥٢٦/٣٤ (٢١٠٤٢)، ومسلم (٤٢٨)، وأبو داود (٩١٢)، وابن ماجه (١٠٤٥).

فالنَّاسُ طَرّاً إِنَّمَا يَدْعُونَهُ

مِنْ فَوْقِ هَذِي فِطْرَةَ الرَّحْمَنِ (١)

لَا يَسْأَلُونَ الْقَبْلَةَ الْعُلْيَا وَلَا

كُنْ يَسْأَلُونَ الرَّبَّ ذَا الْإِحْسَانِ

قَالُوا وَمَا كَانَتْ إِشَارَتُهُ إِلَى

غَيْرِ الشَّهِيدِ مُنْزِلِ الْفُرْقَانِ (٢)

أَتْرَاهُ أَمْسَىٰ لِلسَّمَاءِ مُسْتَشْهِدًا

حَاشَاهُ مِنْ تَحْرِيفِ ذِي الْبُهْتَانِ (٣)

وَكِذَابِكَ قُلْتَ بِأَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ

وَكَلَامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ

نَادَى الْكَلِيمَ بِنَفْسِهِ وَكَذَلِكَ قَدْ

سَمِعَ النَّدَا فِي الْجَنَّةِ الْأَبْوَانِ

وَكَذَا يُنَادِي الْخَلْقَ يَوْمَ مَعَادِهِمْ

بِالصَّوْتِ يَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلَانِ

(١) توجّه الناس إلى السماء بدون تعليم ولا تدريس فطرة فطروا عليها كما يدل على أن الله في العلو.

(٢) قال أهل السنة: إنّ إشارة الرسول إلى السماء إنما هي إلى الله، ليست إلى السماء ذاتها.

(٣) فالرسول يستشهد الله تعالى ولا يستشهد السماء.

إِنِّي أَنَا الدِّيَانُ أَخَذُ حَقَّ مَظْ
 لُومٍ مِنَ العَبْدِ الظُّلُومِ الجَانِي (١)
 وَتَقُولُ إِنَّ اللهَ قَالَ وَقَائِلٌ
 وَكَذَا يَقُولُ وَليْسَ فِي الإِمْكَانِ
 قَوْلٌ بِلا حَرْفٍ وَلا صَوْتٍ يُرَى
 مِنْ غَيْرِ مَا شَفَّةٍ وَغَيْرِ لِسَانِ
 أَوْقَعَتْ فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ مَنْ
 لَمْ يَنْفِ مَا قَدْ قُلْتَ فِي الرَّحْمَنِ
 لَوْ لَمْ تَقُلْ فَوْقَ السَّمَاءِ وَلَمْ تُشِرْ
 بِإِشَارَةٍ حَسِيَّةٍ بَيْنَانِ
 وَسَكَتٌ عَنِ تِلْكَ الأَحَادِيثِ الَّتِي
 قَدْ صَرَّحَتْ بِالفَوْقِ لِلدِّيَانِ (٢)

(١) الأدلة تدلُّ على أن الله يتكلَّم كلاماً حقيقياً، وأهل السنة يُثبتون ذلك فإنه
 كلَّم موسى عليه السلام وسمعه موسى ولذلك سُمِّي موسى كلِّيم الله،
 وكلَّم الأبوين ﴿وَنَادَاهُمَا مِنْ أَلْفِ مِائَةِ أَلْفٍ أَلْفٍ أَلْفٍ﴾ [الأعراف: ٢٢]
 فعلمنا أن الذي يُكلِّمهم هو الله سبحانه وتعالى، وكذلك يُكلِّم عباده
 حقيقة إذا دخلوا الجنة ويسمعون كلامه ويرونه بأبصارهم رؤية عيان هذا
 هو مدلول النصوص في الكتاب والسنة وهو مذهب أهل السنة والجماعة.
 (٢) يقترحون على الرسول ﷺ ويقولون: لو أنك سكتَ عن هذه الأحاديث
 ولم تذكرها لكان هذا أحسن، لأنها تشبيه. فأَيُّ كُفْرٍ أشدُّ من هذا
 الكُفْر؟

وذكرت أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِدَاخِلٍ

فِينَا وَلَا هُوَ خَارِجُ الْأَكْوَانِ (١)

كُنَّا انْتَضَفْنَا مِنْ أَوْلِي التَّجْسِيمِ بَلْ

كَانُوا لَنَا أَسْرَى عِبِيدَ هَوَانٍ

لَكِنْ مَنْحَتَهُمْ سِلَاحاً كُلِّمًا

شَاؤُوا لَنَا مِنْهُمْ أَشَدَّ طِعَانٍ (٢)

وَعَدُوا بِأَسْهُمِكَ الَّتِي أُعْطِيَتْهُمْ

يَرْمُونَنَا غَرَضاً بِكُلِّ مَكَانٍ

لَوْ كُنْتَ تَعْدِلُ فِي الْعِبَارَةِ بَيْنَنَا

مَا كَانَ يُوجَدُ بَيْنَنَا رَجْفَانٍ

هَذَا لِسَانَ الْحَالِ مِنْهُمْ وَهُوَ فِي

ذَاتِ الصَّدُورِ يَغْلُ بِالْكِتْمَانِ (٣)

(١) يقولون للرسول: لو أَنَّكَ أتيت بهذه القعيذة فقلت: أَنَّ اللهَ لا دَاخِلَ

العالم ولا خارجه، لَكُنَّا انتصرنا بها على أهل الحديث وأهل السنة

وأرحتنا من التأويلات، لكن تركتنا أسرى بين أيديهم، ماذا نقول لهم؟

(٢) يقولون: أُعْطِيَتْهُمْ سِلَاحاً عَلَيْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وما ندرى ماذا نعمل

بهم؟

(٣) يعني: هذه المقالات التي مرّت هم لم يقولوها بألسنتهم، وإنّما تلزم

على مذهبهم، فهم ما ارتكبوا هذه التأويلات إلاّ لِيُنْفِسُوا عما في صدورهم

من الغل والكمد على النصوص.

يبدو على فلتات ألسنهم وفي
 صفحات أوجهم يرى بعيان^(١)
 سيما إذا قرىء الحديث عليهم
 وتلوت شاهدته من القرآن^(٢)
 فهناك بين النزاعات وكورت
 تلك الوجوه كثيرة الألوان
 ويكاد قائلهم يصرح لو يرى
 من قابل فتراه ذا كتمان
 يا قوم شاهدنا رؤوسكم على
 هذا ولم نشهده من إنسان

(١) هذه الاعتقادات في عباراتهم وكلامهم، وفي الأثر: «ما أسرَّ رجلٌ سريرةً إلاَّ وأبداها الله على صفحات وجهه وفتلات لسانه»^(*)، فنحن يظهر لنا ذلك من فلتات ألسنتهم وتغيُّرات وجوههم عند ذكر النصوص المخالفة لما يعتقدونه.

(٢) هذا الذي يُبين ما عندهم: أنك إذا جئت بالحديث الذي فيه الاستواء والنزول، أو قرأت آيات من القرآن فيها صفات الله ظهر ما عندهم إمَّا بظهوره على ألسنتهم أو بتغيُّر وجوههم.

(*) هذا من قول الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، أورده ابن كثير في «تفسيره» ٣٢١/٧، في سورة محمد، تفسير الآية ٣٠.

وهو الذي في كُتُبِهِمْ لَكِنْ بُلُطُ

فِ عِبَارَةٍ مِنْهُمْ وَحُسْنِ بَيَانٍ (١)

وَأَخُو الْجَهَالَةِ نَسَبَةٌ لِلْفِظِ وَالْ

مَعْنَى فَنَسَبُ الْعَالِمِ الرَّيَانِي

يَا مَنْ يَظُنُّ بِأَنَّا حِفْنَا عَلَيْكَ

هِهِمْ كُتُبُهُمْ تُنْبِئُكَ عَنْ ذَا الشَّانِ

فَانظُرْ تَرَى لَكِنْ نَرَى لَكَ تَرْكَهَا

حَذَرًا عَلَيْكَ مَصَايِدَ الشَّيْطَانِ (٢)

(١) هذه التأويلات والهجوم على النصوص مُسَجَّلٌ فِي كُتُبِهِمْ وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ ابْنَ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ مَخَازِي الْجَهْمِيَّةِ وَالْمَعْتَزَلَةِ وَمِنْ نَحْوِهِمْ مِنْ مَوْوَلَةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَمَا صَدَرَ مِنْهُمْ وَمِنْ أَتَمَّتْهُمْ مِنْ كَلَامٍ قَبِيحٍ حَوْلَ نِصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ رَدَّ النَّاسِ إِلَى عِلْمِ الْكَلَامِ وَقَوَاعِدِ الْمَنْطِقِ، وَتَرَكَ الْاسْتِدْلَالَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. لَمَّا ذَكَرَ هَذِهِ الْأُمُورَ عَنْهُمْ وَذَكَرَ الْمَقَارَنَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ، الْفِرْقَةَ الضَّالَّةَ الَّتِي ضَلَّتْ بِسُوءِ الْفَهْمِ، وَذَكَرَ أَنَّ الْخَوَارِجَ أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُمْ عَلَى ضَلَالِهِمْ، خَشِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنَّكَ شَدَّدْتَ عَلَيْهِمْ أَوْ نَسَبْتَ إِلَيْهِمْ مَا لَمْ يَقُولُوا، وَقَوْلْتَهُمْ أَشْيَاءَ مَا قَالُوهَا، فَأَجَابَ عَنْ ذَلِكَ: بَأَنَّ تُرَاجِعْ كُتُبَهُمْ فَكُتُبُهُمْ تُنْبِئُ عَنْ مَذْهَبِهِمْ وَمَا يَرُونَ، مِثْلَ: كِتَابِ الرَّازِيِّ وَالزَّمْخَشَرِيِّ وَالْجَوْنِيِّ وَالْقَشِيرِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ.

(٢) يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذِهِ الْكُتُبُ مَشْحُونَةٌ بِالْأَبَاطِيلِ أَشَدَّ مِمَّا ذَكَرْنَا عَنْهُمْ، لَكِنْ لَا يَجُوزُ أَنْ يُطَّلَعَ عَلَيْهَا إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ بِصِيرَةٍ وَعِنْدَهُ عِلْمٌ يَمَيِّرُ بَيْنَ =

فشباكها والله لم يعلق بها
 من ذي جناح قاصِر الطيران^(١)
 إلا رأيت الطيرَ في قفصِ الرَدَى
 يبكي له نوحٌ على الأغصانِ^(٢)
 ويظلُّ يخبِطُ طالباً لخلصه
 فيضيقُ عنه فرجُه العيدانِ
 والذنبُ ذنبُ الطيرِ أخلَى طيبَ الدُّ
 مَرَاتٍ في عالٍ من الأفنانِ^(٣)

= الحقُّ والباطل، ولا يطلع عليها إلا أهل العلم المتخصصون في العلم
 خشية التأثير بها.

- (١) الشباك هي التي تُنصب لصيد الطيور، وهذا تشبيه لهذه الكتب وما فيها
 من الخداع والمكر وزخرف القول بالشباك التي تُنصب للطيور ويُجعل فيها
 الحَبَّ فيأتي الطائر ويعلق بهذه الشباك ولا يتخلص منها، كذلك الطالب
 المبتدئ الذي ليس عنده تمكُّن حينما يطلع على ما في هذه الكتب فإن
 فيها شباكاً تُمسكه وتؤثر فيه وفي فكره وعقله فلا يستطيع التخلص منها،
 بخلاف العالم المتمكن فإنَّ هذه الشبه لا تنطلي عليه لأنَّه يُعرف بطلانها
 ويسبرُّ أغوارها، ويحسن التخلص منها فلا تروج عليه هذه الترهات.
- (٢) إذا وقع فيها ولم يستطع أن يتخلص منها فالذنب ذنبه؛ لأنه ترك الأغصان
 الرفيعة والثمار الطيبة وهي الكتاب والسنة وعلم السلف ووقع في هذه
 الحُفْر فلم يستطع بذلك الخروج من هذا المأزق لأنَّه ليس عنده تمكُّن.
- (٣) يقول الذنب ذنب هذا الطائر، وكذلك الذنب ذنب طالب العلم الذي
 ليس عنده تمكُّن، فالطائر ترك تلك الثمار الشهية والأغصان العالية وهبط =

وَأَتَى إِلَى تِلْكَ الْمَزَابِلِ يَبْتَغِي أَلْ
فَضْلَاتِ كَالْحَشْرَاتِ وَالِدَيْدَانِ
يَا قَوْمُ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ نَصِيحَةٌ
مِنْ مُشْفِقٍ وَأَخٍ لَكُمْ مِعْوَانِ
جَرَّبْتُ هَذَا كُلَّهُ وَوَقَعْتُ فِي
تِلْكَ الشِّبَاكِ وَكُنْتُ ذَا طَيْرَانِ (١)
حَتَّى أَتَاكَ لِي الْإِلَهَ بِفَضْلِهِ
مَنْ لَيْسَ تَجْزِيهِ يَدِي وَلِسَانِي
حَبْرٌ أَتَى مِنْ أَرْضِ حَرَآنٍ فِيهَا
أَهْلًا بَمَنْ قَدْ جَاءَ مِنْ حَرَآنِ (٢)

= إلى هذه المزابل، التي عليها شباك أمسكته، كذلك الطالب غير المتمكن، ترك الكتاب والسنة وعلوم السلف، ولجأ إلى هذه الكتب الرديئة والأفكار المنحرفة فصار يُطالع فيها حتى أسرته ولم يستطع التخلص منها ليلجأ إلى العلوم النافعة، فياله من تحذيرٍ بليغٍ وتشبيهٍ لطيفٍ منه رحمه الله.

(١) يضرب مثلاً بنفسه: أَنَّهُ جَرَّبَ هَذِهِ الْأُمُورَ، وَحَكَى حِكَايَةَ مُجَرَّبٍ أَنَّهُ طَالَعَ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ وَلَيْسَ عِنْدَهُ تَمَكُّنٌ فَتَأَثَّرَ بِهَا، وَكَانَ فِي الْأَوَّلِ طَائِرًا حَرًّا فَلَمَّا قَرَأَهَا أُسْرَتَهُ وَمَا زَالَ يَعْانِي مِنْهَا حَتَّى هَيَأَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُخَلِّصُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ يُؤْخَذُ عَنِ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ وَلَا يُؤْخَذُ عَنِ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْمُتَعَالِمِينَ. وَلَا يُؤْخَذُ عَنِ الْكُتُبِ كَمَا عَلَيْهِ مُتَعَالِمَةُ الْوَقْتِ.

(٢) يعني شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، والحبر معناه: العالم الغزير العلم، وأرض حرّان: في أقصى بلاد الشام وفيها منشأ شيخ الإسلام ابن تيمية ولذلك يُقَالُ لَهُ: «الحرّاني» نسبةً إلى حرّان، فلما جاء التتار إلى =

فَاللَّهُ يَجْزِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ

مِنْ جَنَّةِ الْمَأْوَىٰ مَعَ الرَّضْوَانِ (١)

أَخَذْتُ يَدَاهُ يَدَيَّ وَسَارَ فَلَمْ يَرِمْ

حَتَّىٰ أَرَانِي مَطْلَعَ الْإِيمَانِ (٢)

وَرَأَيْتُ أَعْلَامَ الْمَدِينَةِ حَوْلَهَا

نُزُلُ الْهَدْيِ وَعَسَاكِرُ الْقُرْآنِ (٣)

= البلاد الشامية انتقل والده عبد الحليم من أرض حرّان إلى دمشق وكان معه ابنه (أحمد) صغيراً، وجاءوا بمكتبتهم على عربية يجزؤونها من حرّان إلى دمشق، فنشأ الشيخ رحمه الله على العلماء، وعكف على كتب السلف، وتروى منها وتبصّر فيها حتى تمكن من العلم النافع، وهذا بسبب صدق النية وتحري الحق في وقت كان هؤلاء المعطلة مستولون على البلاد وعلى القضاء وعلى التدريس، فظهر هذا العالم وكان ظهوره من حكمة الله ورحمته للمسلمين.

(١) هذا وفاءً منه لشيخه، وهكذا ينبغي لطالب العلم أن يفي لشيخه الذين دلّوه على الطريق الصحيح وأخذوا بيده عن مواطن العطب يوفيهم حقهم، وأن يعترف بفضلهم ويثني عليهم.

(٢) أخذت يدا شيخ الإسلام يد ابن القيم، فأمسكه ولم يتركه حتى أراه مطلع الإيمان، يعني أوردّه الكتاب والسنة وفقه السلف الصالح فتروّى منهما وشرب منهما، وترك ما كان عليه من قبل من علوم هؤلاء، فهذا إنقاذ له وتيسير من الله تعالى.

(٣) منبع العلم من مدينة رسول الله ﷺ لأنها أرض الهجرة ودار الجهاد ومكة المشرفة دار البعثة ومصدر الدعوة فمنبع الإيمان من أرض الحجاز، وأما منبع المنطق وعلم الكلام فهو من أثينا في بلاد اليونان.

ورأيتُ آثاراً عظيماً شأنها

محجوبةٌ عن زُمْرَةِ العَمِيَانِ

ورأيتُ أكوازاً هناك كثيرةً

مِثْلَ التُّجُومِ لَوَارِدِ ظَمَانِ

وَوَرَدَتْ رَأْسَ المَاءِ أبيضَ صافياً

حَضِيأُوهُ كَلَالِيءِ التَّيْجَانِ

ورأيتُ حوضَ الكوثرِ الصافي الذي

لا زالَ يَشْخُبُ فيه ميزابانِ

مِيزَابِ سُنَّتِهِ وَقَوْلِ الإِلهِ

وَهُمَا مَدَى الأَزمَانِ لا يَنِينِ^(١)

والتَّاسُ لا يَرِدُونَهُ إِلاَّ مِنَ الـ

آلِقِ أَقْرَادِ ذَوِي إِيمَانِ

(١) يعني مصدر الشريعة، شَبَّهَهُ بالحوض النبوي الذي أعطاه الله نبيّه محمداً

ﷺ وتردّه أمته يوم القيامة، «من شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً» (*) كذلك

حوض الشريعة التي أوردتها محمد أمته يشخب فيه ميزابان هما: القرآن

والسنة، وهذا الحوض لا يردّه إلاّ أهل السنة، أمّا أهل البدع فإنهم

يُداوون عنه، والكتاب والسنة محفوظان، ومن أراد الهداية وجدها في

هذين المصدرين العظيمين، لأنّ الله تكفّل بحفظهما: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

(*) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

وردوا عذاب مناهلٍ أكرمَ بها
 ووردتُم أنتم عذاب هوانٍ
 فبحق من أعطاكم ذا العدلِ والـ
 إنصافِ والتخصيصِ بالعِرفانِ^(١)
 من ذا على دين الخوارجِ بعدَ ذا
 أنتم أم الحشويُّ ما تريانِ^(٢)
 والله ما أنتم لدى الحشويِّ أهـ
 لا أن يُقدِّمكم على عثمانِ^(٣)
 فضلاً عن الفاروقِ والصديقِ فضـ
 لا عن رسولِ اللهِ والقُرآنِ

- (١) يتهكم بهم ويقول: بحق من أعطاكم هذا الفهم الذي زعمتموه لأنفسكم وأنكم أهل الحق، بعد ما بينا لكم صفات أهل الحق وصفات خصومهم، من هو الأولى بهذا اللقب الذي تقولونه، وهو وصف الخوارج نحن أم أنتم.
- (٢) لأنهم لما قالوا: إن أهل السنة يشبهون الخوارج، فلما بين أوصاف أهل السنة وأوصاف خصومهم طالبهم أن يبيثوا من هو الأولى بهذا الوصف ومن هو الأقرب والأشبه بالخوارج؟
- (٣) يسمون أهل السنة حشوية: بمعنى أنهم فضول في الناس ليس لهم قيمة فهم من الحشوي: الذي ليس له قيمة، فهو يتنزل معهم ويقول: هؤلاء الذين تسمونهم حشوية وخوارج وأنتم تزعمون أنكم على حق وأهل علوم ومعرفة، أنصفونا أيثنا على الحق؟

والله لو أبصرتُم لرأيتُم الـ

حَشْوِيَّ حَامِلَ رَايَةِ الْإِيمَانِ (١)

وَكَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدِهِ

فِي قَلْبِهِ أَعْلَى وَأَكْبَرُ شَانِ (٢)

مِنْ أَنْ يُحَرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَأَنْ

يُقْضَى لَهُ بِالْعَزْلِ عَنْ إِيقَانِ

وَيَرَى الْوَلَايَةَ لِابْنِ سِينَا أَوْ أَبِي

نَضْرٍ أَوْ الْمَوْلُودِ مِنْ صَفْوَانَ (٣)

أَوْ مَنْ يُتَابِعُهُمْ عَلَى كُفْرَانِهِمْ

أَوْ مَنْ يَقْلُدُهُمْ مِنَ الْعُمَيَّانِ

يَا قَوْمَنَا بِاللَّهِ قُومُوا وَانظُرُوا

وَتَفَكَّرُوا فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ

(١) لو أنصفتُم لرأيتُم هذا الذي تسمونه الحشوي هو حامل راية القرآن، لأنه هو المتبع للكتاب والسنة.

(٢) هذا الذي تسمونه حشوي لا يُقدّم على كلام الله ولا كلام رسوله كلام أحد.

(٣) الولاية: يعني المحبة، أي أن صاحب الضلال يرى الموالاتة لأقطاب أهل الضلال، مثل ابن سينا رأس الفلاسفة، وأبي نصر الفارابي الذي يُسمونه المُعلّم الثاني والجهنم بن صفوان السمرقندي أو الترمذي، هؤلاء هم قدوة هؤلاء الذين أخذوا منهم علمهم وعقيدتهم.

نظراً وإن شئتم مُناظرةً فمن
 مثني على هذا ومن وُحْدانٍ^(١)
 أي الطوائفِ بعدَ ذا أدنى إلى
 قولِ الرَّسُولِ ومُحكَمِ الْقُرْآنِ
 فإذا تبيّنَ ذا فإمّا تتبّعوا
 أو تعذروا أو تُؤذِنوا بطعانٍ^(٢)

* * *

(١) يقول لهم: فكروا وتأملوا، واجتمعوا إمّا مثني أو فرادى للتفكر هذا شيء، والشيء الثاني: ندعوكم إلى المناظرة بيننا وبينكم كلُّ يدلي بما عنده ويُجيب عن حُجة خصمه.

(٢) بعد التفكير والمناظرة، إمّا أن تتبعوا الكتاب والسنة إن كنتم منصفين، وإمّا أن تُعلنوا مخالفتكم للكتاب والسنة جهاراً، وإلا أعلنوا الحرب بيننا وبينكم.

فصل

في تلقيبهم أهل السنة بالحشوية وبيان من أولي بالوصف

المذموم من هذا اللقب من الطائفتين

وذكر أول من لُقِبَ به أهل السنة من أهل البدع^(١)

وَمِنَ الْعَجَائِبِ قَوْلُهُمْ لِمَنْ اقْتَدَى

بِالْوَحْيِ مِنْ أَثَرٍ وَمَنْ قُرَّانَ

حَشْوِيَّةً يَعْنُونَ حَشَوًا فِي الْوَجُو

دِ وَفَضْلَةً فِي أُمَّةِ الْإِنْسَانِ^(٢)

وَيَظُنُّ جَاهِلُهُمْ بِأَنَّهُمْ حَشَوًا

رَبِّ الْعِبَادِ بِدَاخِلِ الْأَكْوَانِ^(٣)

(١) انتقل إلى بيان لقب آخر يُلقبون به أهل السنة، وهو لقب الحشوية، بمعنى أنهم لا قيمة لهم في الناس، لأن الحشو: هو الشيء الذي لا قيمة له ولا فائدة فيه، فهذا رأي أهل الضلال في أهل السنة، لأنهم أخذوا بظواهر الكتاب والسنة ولم يتعمقوا بزعمهم في الفهم، أمّا أصحابهم فإنهم تعمقوا في الفهم والاستدلال وقواعد المنطق وعلم الكلام فهم أهل العقول وأهل الرأي السيد بزعمهم.

(٢) أي: لا قيمة لهم، فهم فضلة وحشو فليس عندهم إلا قال الله وقال رسوله، وليس عندهم معرفة بعلم المنطق وعلم الكلام.

(٣) وجّهالهم يفسرون الحشوية: بأنهم وصفوا الربّ بأنه في السماء وإذا كان في السماء فمعناه: أنهم حشوه داخل الكون.

إِذْ قَوْلُهُمْ فَوْقَ الْعِبَادِ وَفِي السَّمَاءِ
 الرَّبُّ ذُو الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ
 ظَنَّ الْحَمِيرُ بَأَنَّ فِي لَلْظَرْفِ وَالرُّ
 رَحْمَنٍ مَخْوِيٍّ بِظَرْفٍ مَكَانٍ (١)
 وَاللَّهُ لَمْ يَسْمَعْ نِدَاءً مِنْ فِرْقَةٍ
 قَالَتْهُ فِي زَمَنِ مِنْ الْأَزْمَانِ (٢)
 لَا تَبْهَتُوا أَهْلَ الْحَدِيثِ بِهِ فَمَا
 ذَا قَوْلُهُمْ تَبَأَ لَذِي الْبُهْشَانِ
 بَلْ قَوْلُهُمْ إِنَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى
 فِي كَفِّ خَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
 حَقًّا كَخَرْدَلَةٍ تُرَى فِي كَفِّ مُنْ
 سِكِّهَا تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ (٣)

(١) وصفهم بالحمير للبلادة، في أفهامهم وعدم فقههم في كتاب الله حيث فسروا «في» التي في قوله تعالى: ﴿ءَأَمْنُم مِّن فِي السَّعَاءِ﴾ [الملك: ١٦] للظرفية.

(٢) ما قال أحد من الخلق مؤمنهم وكافرهم: إِنَّ اللَّهَ دَاخِلَ السَّمَاوَاتِ وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ تَحْوِيهِ، ما قال هذا أحد فضلاً عن أن يقوله أهل السنة وأهل البصيرة، فهم رموا بهذا القول أهل السنة لشدة عداوتهم لهم.

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] فالسماوات والأرض =

أَتَرُونَهُ الْمَحْضُورَ بَعْدُ أَمْ السَّمَا

يَا قَوْمَنَا ارْتَدِعُوا عَنِ الْعُدْوَانِ

كَمْ ذَا مُشَبَّهَةٌ وَكَمْ حَشْوِيَّةٌ

فَالْبُهْتُ لَا يَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ

يَا قَوْمُ إِنْ كَانَ الْكِتَابُ وَسْنَةً أَلْ

مَخْتَارِ حَشَوًا فَاشْهَدُوا بَيَانِ

إِنَّا بِحَمْدِ إِلَهِنَا حَشْوِيَّةٌ

صِرْفٌ بِلَا جَحْدٍ وَلَا يَكْتِمَانِ^(١)

تَدْرُونَ مَنْ سَمَّتْ شَيْوُخَكُمْ بِهِ

ذَا الْإِسْمِ فِي الْمَاضِي مِنْ الْأَزْمَانِ

سَمَّى بِهِ ابْنُ عُبَيْدٍ عَبْدَ اللَّهِ ذَا

كَ ابْنِ الْخَلِيفَةِ طَارِدِ الشَّيْطَانِ^(٢)

= فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ كَخِرْدَلَةٍ فِي يَدِ الْبَشَرِ، وَذَلِكَ لِعَظَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِغَرِ
الْمَخْلُوقَاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ.

(١) إِنْ كَانَ مَتَبَعُ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ حَشْوِيًّا فَنَحْنُ حَشْوِيَّةٌ، فَالْعِبْرَةُ بِالْمَعَانِي وَلَا
تَكُونُ بِالْأَلْفَاظِ وَتَلْقِيْبِكُمْ لَنَا بِالْحَشْوِيَّةِ أَوْ الْمَشْبَهَةِ، هَذِهِ الْفَاطَةُ لَا تَضُرُّنَا.

(٢) لَقِبَ الْحَشْوِيَّةُ قَدِيمٌ عِنْدَكُمْ وَلَيْسَ بِجَدِيدٍ، فِيمَا مَعَكُمْ الَّذِي هُوَ عَمْرُو بْنُ
عُبَيْدِ الْمُعْتَزَلِيِّ لَقَّبَ بِهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِأَنَّهُ يَأْخُذُ
بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ يَأْخُذُ بِرَأْيِ الْمُعْتَزَلَةِ الَّذِينَ ظَهَرُوا فِي
عَصْرِ التَّابِعِينَ، وَعَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ وَالِدَ عَبْدِ اللَّهِ الَّذِي لَقِبَهُ إِمَامَكُمْ =

فَوَرِثْتُمْ عَمْرًا كَمَا وَرِثُوا لِعَبِّ

— سد الله أننى يستوي الإرثان^(١)

تَذَرُونَ مَنْ أَوْلَىٰ بِهَذَا الْإِسْمِ وَه

— وَ مُنَاسِبٌ أَحْوَالُهُ بِوِزَانِ

مَنْ قَدْ حَشَا الْأَوْرَاقَ وَالْأَذْهَانَ مِنْ

بِدَعٍ تُخَالِفُ مُوجِبَ الْقُرْآنِ

هَذَا هُوَ الْحَشْوِيُّ لَا أَهْلُ الْحَدِيدِ

— سِ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ^(٢)

وَرَدُّوا عِذَابَ مَنْ هَلِ السُّنَنِ الَّتِي

لَيْسَتْ زِبَالَةً هَذِهِ الْأَذْهَانَ

= بالحشوي قال فيه ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً، إلا سلك فجاً غير فجك»^(*) لقوة إيمانه وصلابته في الحق.

(١) أهل السنة ورثوا عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأنتم ورثتم عمرو بن عبيد المعتزلي الخبيث فأئى الإرثين أحق بهذا اللقب؟

(٢) يقول: أنتم الحشوية الذين حشوتهم الأوراق والدفاتر بالكلام الباطل والمذاهب الخبيثة، وهذا كله يؤخذ منه الرد على أهل الباطل وبيان فضائحهم، فهم الحشوية، أمّا أهل الحق فإنهم ملؤوا الأوراق بالحق والعلم النافع وملؤوا الأذهان بالهداية ونور الحق.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٧٢/٣ (١٤٧٢)، والبخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦)

من حديث سعبد بن أبي وقاص.

وَوَرَدَتْكُمْ الْقُلُوبَ مَجْرَى كُلِّ ذِي أَلٍ

أَوْسَاخٍ وَالْأَقْدَارِ وَالْأَنْتَانِ (١)

وَكَسَلْتُمْ أَنْ تَصْعَدُوا لِلْوَرْدِ مِنْ

رَأْسِ الشَّرِيعَةِ خَيْبَةَ الْكِسْلَانِ (٢)

* * *

(١) يَبَيِّنُ مَوَارِدَ أَهْلِ السَّنَةِ وَمَوَارِدَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ، فَمَوَارِدُ أَهْلِ السَّنَةِ أَعْدَبُ الْمَوَارِدِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، وَأَمَّا مَوَارِدُ أَهْلِ التَّعْطِيلِ فَهِيَ الْمَجَارِي الْمَخْتَلِطَةُ بِالْبَوْلِ وَالْعَذْرَةَ. وَالْقُلُوبُ: نَهْرٌ جَارٍ فِي الشَّامِ تَنْصَبُ إِلَيْهِ الْأَقْدَارُ وَأَوْسَاخُ الْبُيُوتِ وَيَمْتَلِئُ بِالْقَاذُورَاتِ.

(٢) تَكَاسَلْتُمْ عَنِ وُرُودِ الشَّرِيعَةِ، فَهَيَّطْتُمْ إِلَى وُرُودِ الْقُلُوبِ وَالْمَوَارِدِ الْخَيْبَةِ فِيَاخِيَةِ الْكِسْلَانِ مِثْلَكُمُ الَّذِي تَكُونُ مَوَارِدُهُ خَيْبَةً مِنَ الْبَوْلِ وَالغَائِطِ وَنَحْوَهُمَا.

فصل

في بيان عدوانهم في تلقيب أهل القرآن والحديث
بالمجسمة وبيان أنهم أولى بكل لقب خبيث^(١)

كم ذا مُشَبَّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ نوا

بِتَّةٌ مَسَبَّةٌ جاهِلٍ فَتَّانٍ^(٢)

(١) ما زال الناظم رحمه الله يُبَيِّنُ أقوال أهل الضلال في تنقُّص أهل السنة ورميهم بالألفاظ الشنيعة، ومنها وصفهم لهم بأنهم يقولون عن الله بأنه جسم؛ لأنهم يشبِّهون له الصفات، والصفات يزعمهم لا تقوم إلا بجسم، والأجسام متشابهة، فهذا فيه تشبيه وتجسيم، وهذا من البهتان، لأن إثبات الصفات لا يقتضي التجسيم، لأنها صفات تليق به ولا تشابهها صفات الأجسام من المخلوقين، وأيضاً: لفظ الجسم لم يرد في الكتاب ولا في السنة تفيُّه ولا إثباته فهو من مصطلحات علماء الكلام ونحن لا نلتفت إليه، فإذا كان عندكم أن إثبات الصفات يقتضي التجسيم فاشهدوا علينا بأننا مُجَسِّمَةٌ، وهذا لا يضُرُّنا ما دمتنا على الحق؛ لأن العبرة بالحقائق وليست بالألفاظ، فإذا كان إثبات الصفات تجسيمياً عندكم فنحن لا نترك ذلك بسبب هذا اللقب الذي اخترعتموه، وأكثر ما يُطلقون ذلك على الحنابلة لأنَّ إمامهم أحمد بن حنبل يثبت الصفات ويعمل بالحديث.

(٢) يلقبون أهل السنة بهذه الألقاب فيقولون: إنهم مُشَبَّهَةٌ؛ لأنهم يشبِّهون الأسماء والصفات، وإثباتها عندهم تشبيه؛ لأنها توجد عند المخلوقين فإذا أُثبت لله لزم مشابهة المخلوقين. والجواب عن هذا واضح: أن أسماء الله وصفاته تليقُ به سبحانه ولا تشبه صفات المخلوقين، فهناك فرقٌ عظيم بين الخالق والمخلوق في ذاته وفي أسمائه وصفاته، ويقولون: =

أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمْ بِهَا أَهْلَ الْحَدِيدِ

ثِ وَنَاصِرِي الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ

سَمَّيْتُمُوهُمْ أَنْتُمْ وَشُيُوكُمْ

بَهْتًا بِهَا مِنْ غَيْرِ مَا سُلْطَانِ

وَجَعَلْتُمُوهَا سُنَّةً لِنَتَقُّرُوا

عَنْهُمْ كَفَعَلِ السَّاحِرِ الشَّيْطَانِ (١)

مَا ذَبُّهُمْ وَاللَّهِ إِلَّا أَنَّهُمْ

أَخَذُوا بِوَحْيِ اللَّهِ وَالْفُرْقَانِ (٢)

وَأَبَوْا بِأَنْ يَتَحَيَّزُوا لِمَقَالَةٍ

غَيْرِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ (٣)

وَأَبَوْا يَدِينُوا بِالَّذِي دِنْتُمْ بِهِ

= نوابته، أي: هم شيءٌ حادثٌ في الإسلام مع أنهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان. وهذا جحدٌ لما كان في الكتاب والسنة وعليه السلف الصالح من أن إثبات الأسماء والصفات جاء به الإسلام وليس أمراً حادثاً، والحقيقة أن هذا ينطبق عليهم، مبتدعة ونوابت فهم يلقَّبون أهل السنة بما ينطبق عليهم.

(١) افتريتم هذه الألفاظ لتنفروا الناس عن أهل السنة والجماعة. هذا هو الغرض، وهذا متكرَّرٌ من أهل الضلال في كلِّ زمان وفي وقتنا هذه يصفونهم بأنهم رجعية ومتخلفون وإرهابيون وغلاة.

(٢) ذنبهم عند أهل الضلال أنهم أخذوا بنصوص الكتاب والسنة، وهذا في الحقيقة ليس بعيب بل هو الحق كما قال تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨].

(٣) أخذوا بالنصوص وأبوا أن ينحازوا لأيِّ مذهبٍ إلا للقرآن والسنة، هذا ذنبهم عند أهل الضلال.

مِنْ هَذِهِ الْأَرَاءِ وَالْهَيْدِيَانِ^(١)
 وَصَفُوهُ بِالْأَوْصَافِ فِي النَّصِّينِ مِنْ
 خَبَرٍ صَحِيحٍ ثُمَّ مِنْ قُرْآنٍ
 إِنْ كَانَ ذَا التَّجْسِيمِ عِنْدَكُمْ فِيا
 أَهْلًا بِهِ مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانٍ
 إِنَّا مُجَسِّمَةٌ بِحَمْدِ اللَّهِ لَمْ
 نَجْهَدْ صِفَاتِ الْخَالِقِ الدِّيَانِ
 وَاللَّهِ مَا قَالَ أَمْرٌ مِّنَّا بَأَنْ
 نَ اللَّهُ جِسْمٌ يَا أُولِي الْبُهْتَانِ^(٢)
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّنَا فِي وَصْفِهِ
 لَمْ نَعُدْ مَا قَدْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ^(٣)
 أَوْ قَالَهُ أَيْضاً رَسُولُ اللَّهِ فَهْوَ
 وَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ بِالْبُرْهَانِ

-
- (١) أبوا أن يأخذوا مذهبكم الذي هو عبارة عن الهديان وآراء رجال، ليس فيه من كتاب الله ولا من سنة رسوله.
- (٢) الجسم لفظٌ محدث، أنتم الذين وضعتموه، ونحن لا نترك الحق لأجل هذه الاصطلاحات التي وضعتموها.
- (٣) نحن متمسكون بالقرآن نقول بما جاء به القرآن، وليس في القرآن لفظ الجسم لا نفيًا ولا إثباتًا، فهو لفظ مبتدع من مصطلحات المتكلمين.

أَوْ قَالَهُ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ
 فَهُمْ التَّجْوُّمُ مَطَالِعُ الْإِيمَانِ
 سَمُّوهُ تَجْسِيماً وَتَشْبِيهاً فَلَسْنَا
 نَا جَاحِدِيه لِذَلِكَ الْهَدْيَانِ (١)
 بَلْ بَيْنَنَا فَرْقٌ لَطِيفٌ بَلْ هُوَ الـ
 فَرْقُ الْعَظِيمِ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ (٢)
 إِنَّ الْحَقِيقَةَ عِنْدَنَا مَقْصُودَةٌ
 بِالنَّصِّ وَهُوَ مُرَادَةُ التَّيْيَانِ
 لَكِنْ لَدَيْكُمْ فَهِيَ غَيْرُ مُرَادَةٍ
 أَنِّي يُرَادُ مُحَقِّقُ الْبُطْلَانِ
 فَكَلَامُهُ فِيمَا لَدَيْكُمْ لِاحْتِ
 قَةِ تَحْتَهُ تَبْدُو إِلَى الْأَذْهَانِ (٣)
 فِي ذِكْرِ آيَاتِ الْعُلُوِّ وَسَائِرِ الـ
 أَوْصَافِ وَهِيَ الْقَلْبُ لِلْقُرْآنِ

(١) لَا يُرْهِدُنَا فِي الْحَقِّ أَنْكُمْ تَسْمُونَهُ تَشْبِيهاً أَوْ تَجْسِيماً سَمُّوهُ مَا سَمَّيْتُمْ فَتَحْنُ
 لَا نَعْبَأُ بِهَذِهِ التَّسْمِيَّاتِ وَلَا نَزْهَدُ فِي الْحَقِّ أَبَدًا.

(٢) الْفَرْقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنَّنَا نُوْمِنُ بِالْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ وَمَعَانِيهَا فَتَبِتُ الْلَفْظِ
 وَالْمَعْنَى، أَمَّا أَنْتُمْ فَلَا تُتَبِتُونَ الْلَفْظَ وَلَا الْمَعْنَى، فَالْمَعْنَى لَا تُتَبِتُونَهُ لِأَنَّكُمْ
 تَقُولُونَ: إِنَّهُ مَجَازٌ وَليْسَ حَقِيقَةً، وَلَا تُتَبِتُونَ الْلَفْظَ لِأَنَّكُمْ تَقُولُونَ: إِنَّهُ
 لَيْسَ كَلَامُ اللَّهِ وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ مَخْلُوقٍ.

(٣) وَإِنَّمَا هُوَ مَجَازٌ لَيْسَ عَلَيَّ ظَاهِرُهُ عِنْدَكُمْ.

بَلْ قَوْلُ رَبِّ النَّاسِ لَيْسَ حَقِيقَةً
 فِيمَا لَدَيْكُمْ يَا أُولِي الْعُرْفَانِ
 وَإِذَا جَعَلْتُمْ ذَا مَجَازاً صَحَّ أَنْ
 يُنْفَى عَلَى الْإِطْلَاقِ وَالْإِمْكَانِ^(١)
 وَحَقَائِقُ الْأَلْفَاظِ بِالْعَقْلِ انْتَفَتْ
 فِيمَا زَعَمْتُمْ فَاسْتَوَى النَّفْيَانِ
 نَفْيُ الْحَقِيقَةِ وَانْتِفَاءُ اللَّفْظِ إِنْ
 دَلَّتْ عَلَيْهِ فَحِظُّكُمْ نَفْيَانِ
 وَنَصِيئِنَا إِبْطَاتُ ذَاكَ جَمِيعِهِ
 لَفْظاً وَمَعْنَى ذَاكَ إِبْطَاتَانِ^(٢)

(١) المجاز يجوز نفيه، فلو قلت مثلاً: رأيتُ أسداً وأنت تريد رجلاً شجاعاً فلكلٍّ أحدٍ له أن يقول: لم تر أسداً وإنما رأيت رجلاً فيجوز نفيه، وكذلك نصوص القرآن إذا كانت على المجاز فيجوز نفيها ويُقال: ليست حقيقة ففي قوله تعالى: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] يقال: لم يستو على العرش وإنما هذا عبارة عن الاستيلاء على العرش، وهو مجاز فيجوز نفي لفظ ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، ويُقال: استولى، أو ملك العرش، وهذا من أعظم الكفر والضلال.

(٢) كلام الله هو اللفظ والمعنى جميعاً، كلاهما كلام الله حقيقة، ومعانيه مُرادَة وليست مجازاً، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة وهو حقيقة الإيمان.

فمن الْمُعْطَلُ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرُكُمْ

لَقَبٌ بِلا كَذِبٍ وَلا عُدْوَانٍ^(١)

وَإِذَا سَبَّيْتُمْ بِالْمُحَالِ فَسُبْنَا

بِأَدْلِيَةٍ وَحِجَاجِ ذِي بُرْهَانٍ^(٢)

تُبْدِي فُضَائِحَكُمْ وَتَهْتِكُ سِرُّكُمْ

وَتُبَيِّنُ جَهْلَكُمْ مَعَ الْعُدْوَانِ

يَا بُعْدَ مَا بَيْنَ السَّبَابِ بِذَاكُمْ

وَسِبَابِكُمْ بِالْكَذِبِ وَالطُّغْيَانِ^(٣)

مَنْ سَبَّ بِالْبُرْهَانِ لَيْسَ بِظَالِمٍ

وَالظَّلْمُ سَبُّ الْعَبْدِ بِالْبُهْتَانِ^(٤)

فَحَقِيقَةُ التَّجْسِيمِ أَنْ تَكُ عِنْدَكُمْ

وَصَفَ الْإِلَهِ الْخَالِقِ الدَّيَّانِ

بِصَفَاتِهِ الْعُلْيَا الَّتِي شَهِدَتْ بِهَا

آيَاتُهُ وَرَسُولُهُ الْعَدْلَانِ

(١) مَنْ الْمُعْطَلُ النَّافِي، هَلْ هُوَ الَّذِي يَثْبِتُ اللَّفْظَ وَالْمَعْنَى أَوْ الَّذِي يَنْفِي

اللَّفْظَ وَالْمَعْنَى أَوْ الَّذِي يَثْبِتُ اللَّفْظَ دُونَ الْمَعْنَى؟ فَهَذَا لِقَبِّكُمْ فِي الْحَقِيقَةِ

وَلَيْسَ لِقَبِّ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَلِذَلِكَ نَسَمِيكُمْ بِالْمُعْطَلَةِ.

(٢) يَعْنِي: إِذَا سَبَبْتُمُونَا فَسَبِّكُمْ كَذِبٌ؛ لِأَنَّآ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَسْنَا مَحَلَّ سَبِّ،

فَنَحْنُ عَلَى الْحَقِّ، وَأَمَّا سَبْنَا إِيَّاكُمْ فَهُوَ حَقِيقَةٌ لِأَنَّكُمْ أَهْلُ ضَلَالٍ وَبَاطِلٍ.

(٣) يَا بُعْدَ مَا بَيْنَ السَّبَابِ، سَبَابٌ بِالْبَاطِلِ وَالْبُهْتَانِ وَسَبَابٌ بِالْحَقِّ وَالِدَلِيلِ.

(٤) نَحْنُ نَسَبُ بِالْبُرْهَانِ وَأَنْتُمْ تَسْبُونَ بِالظَّلْمِ وَالْعُدْوَانِ فَفَرَّقْ بَيْنَ السَّبَابِ وَالسَّبَابِ.

فَتَحَمَّلُوا عَنَّا الشَّهَادَةَ وَاشْهَدُوا
 فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وَكُلِّ مَكَانٍ
 أَنَّا مُجَسَّمَةٌ بِفَضْلِ اللَّهِ وَوَلَدِ
 يَشْهَدُ بِذَلِكَ مَعَكُمْ الثَّقَلَانِ^(١)
 اللَّهُ أَكْبَرُ كَثَّرَتْ عَنْ نَابِهَا أَلْ
 حَرْبُ الْعَوَانِ وَصِيحَ بِالْأَقْرَانِ
 وَتَقَابَلَ الصِّقَانِ وَانْقَسَمَ الْوَرَى
 قَسَمِينَ وَاتَّضَحَّتْ لَنَا الْقِسْمَانِ^(٢)



(١) إِذَا كُنْتُمْ تَسْمُونَ إِثْبَاتِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ «تَجْسِيمًا» فَاشْهَدُوا أَنَّنَا مُجَسَّمَةٌ وَلِيَشْهَدْ مَعَكُمْ الثَّقَلَانِ، الْجَنُّ وَالْإِنْسُ.

(٢) قَامَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَعْدَائِهِمْ بِالسَّلَاحِ وَاللِّسَانِ، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّبُوا عَلَى اللَّهِ جِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣] فَالْكَفَّارُ يُجَاهِدُونَ بِالسِّيفِ وَالسَّنَانِ، وَالْمُنَافِقُونَ يُجَاهِدُونَ بِالْحِجَّةِ وَاللِّسَانِ.

فصل

في بيان مورد أهل التعطيل وأنهم تعوضوا
بالقلوط عن مورد السلسيل^(١)

يا واردة القلوط ويحك لو ترى
ماذا على شفتيك والأسنان^(٢)
أو ما ترى آثارها في القلب والنـ
يئات والأعمال والأركان^(٣)
لو طاب منك الورد طابت كلها
أنى تطيب موارد الأنتان
يا واردة القلوط طهر فاك من
خبث به واغسله من أنتان^(٤)

(١) مورد أهل الحق: الكتاب والسنة وهو السلسيل العذب النظيف، ومورد
أهل الضلال من القلوط وهو نهر جارٍ تنصب إليه النفايات والقاذورات.

(٢) أنت تشرب من ماء قدر فيظهر أثره على فمك وشفتيك، ولو ترى هذا
لنفرت منه، لكن بسبب الفتنة لا تحس بهذه التغييرات التي تظهر على
شفتيك وأسنانك من هذا الماء القدر النتن الخبيث.

(٣) لا تقتصر آثار هذا الشراب الخبيث على الشفتين والأسنان ولكنها تؤثر
على القلب بالزيف والضلال، وتؤثر على الأقوال والأعمال بالانحراف
والعياذ بالله.

(٤) إذا كنت تريد السلامة فطهر أسنانك وفمك من هذا بأن ترجع إلى الحق
والصواب وتشرب من الماء العذب.

ثُمَّ اشْتَمِ الْحَشَوِيَّ حَشَوَ الدِّينِ وَالْ
 قُرْآنِ وَالْأَثَارِ وَالْإِيمَانِ^(١)
 أَهْلًا بِهِمْ حَشَوَ اليَقِينِ وَغَيْرُهُمْ
 حَشَوَ الشُّكُوكِ فَمَا هُمَا صِنْوَانِ
 أَهْلًا بِهِمْ حَشَوَ المساجِدِ وَالسَّوَى
 حَشَوَ الكِنِيفِ فَمَا هُمَا عَدْلَانِ^(٢)
 أَهْلًا بِهِمْ حَشَوَ الجِنَانِ وَغَيْرُهُمْ
 حَشَوَ الجَحِيمِ أَيْسَتَوِي الحَشْوَانِ
 يَا وَارِدِ القُلُوطِ وَيَحْكُ لَوْ تَرَى أَلْ
 حَشَوِيَّ وَارِدَ مَنَهْلِ الفُرْقَانِ^(٣)
 وَتَرَاهُ مِنْ رَأْسِ الشَّرِيعَةِ شَارِبًا
 مِنْ كَفِّ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالقُرْآنِ^(٤)

-
- (١) إِذَا طَهَّرْتَ نَفْسَكَ أَوْلاً فَحِينَئِذٍ اشْتَمِ خِصْمُوكَ وَسُبَّهِمْ .
 (٢) أَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ حَشَوُ الْمَسَاجِدِ، هِيَ مَحَلُّ تَجْمَعَاتِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ فِيهَا،
 وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَعْبُدُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، أَمَّا أَهْلُ الضَّلَالِ فَيَفْرُونَ مِنْ
 الْمَسَاجِدِ إِلَى الْأَمَاكِنِ الْقَدْرَةِ الَّتِي يَتَلَقُونَ فِيهَا هَذِهِ الْأَفْكَارَ وَالْعَقَائِدَ الزَّائِغَةَ
 وَهَكَذَا أَهْلُ الضَّلَالِ فَإِنْ تَجْمَعَاتِهِمْ تَكُونُ فِي السَّرَادِيبِ الْمَظْلَمَةِ وَالْكَهُوفِ
 الْخَفِيَّةِ وَدَرُوسِهِمْ سَرِيَّةً وَمَعْلَمُوهُمْ مَجْهُولُونَ يَتَسْتَرُونَ وَلَا يَعْرِفُونَ .
 (٣) هَذَا الَّذِي تُسَمِّيهِ الحَشَوِيَّ لَوْ تَرَى مَوَارِدَهُ الطَّيِّبَةَ وَمَأْخِذَهُ الحَمِيدَةَ، لَوْ
 رَأَيْتَهَا لَمَا قَلْتَ فِيهِ مَا قَلْتَ، وَلَكِنَّكَ بِسَبَبِ الضَّلَالِ لَا تَرَاهَا .
 (٤) الشَّرِيعَةُ أَصْلُهَا مَا خُودُ مِنَ المَشْرَبِ وَالمُورِدِ، وَالمَرَادُ بِهَا هُنَا: القُرْآنُ وَالسَّنَةُ،
 لِأَنَّهَا مَوْرِدُ أَهْلِ الحَقِّ، يَأْخُذُونَ مِنْهُمَا الحَقَّ وَيَرْتَوُونَ مِنْ ظَمَأِ الجَهْلِ .

وَتَرَاهُ يَسْقِي النَّاسَ فَضْلَةَ كَأْسِهِ
 وَخِتَامُهَا مِسْكٌ عَلَى رِيحَانٍ (١)
 لَعَذْرَتَهُ إِنْ بَالَ فِي الْقُلُوطِ لَمْ
 يَشْرَبْ بِهِ مَعَ جُمْلَةِ الْعُمَيَّانِ
 يَا وَارِدَ الْقُلُوطِ لَا تَكْسَلْ فِرَا
 سِ الْمَاءِ فَاقْصِدْهُ قَرِيبٌ دَانَ (٢)
 هُوَ مِنْهَلٌ سَهْلٌ قَرِيبٌ وَاسِعٌ
 كَافٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ الثَّقَلَانِ
 وَاللَّهُ لَيْسَ بِأَصْعَبِ الْوِرْدَيْنِ بَلْ
 هُوَ أَسْهَلُ الْوِرْدَيْنِ لِلظَّمآنِ (٣)

(١) الذي يسقيه من الشريعة الرسول ﷺ فهو الذي يُعلم الناس عليه الصلاة والسلام.

(٢) هذه نصيحة لهم يقول: اتركوا هذا الشراب الخبيث واستبدلوه بالشراب الطيب، ارجعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله، ولا تستمروا على هذا الشراب الخبيث من علم الكلام وقواعد المنطق وإلا فإن النهاية هي الضلال، فهذه نصيحة لكل من ابتلي بالمذاهب الفاسدة أن يقبل على الله ويترك الباطل الذي هو عليه.

(٣) هذا مورد أهل الحق أمّا مورد أهل الضلال فهو صعبٌ بعيد المنال وضعيب الحصول، لأنّه من تكلفات البشر، ولو رأيتم علم المنطق وما فيه من الصعوبة لتعجبتم، ثم إنكم لا تصلون إلى نتيجة ولا إلى حق ولا هدى بل هو ضلال في ضلال ولهذا يقول بعض العلماء عن علم الكلام: إنه لحم حجل غث. فوق جبل صعب فلا هو سمين فينتقى، ولا سهل فيرتقى.

فصل

في بيان هَدْمِهِمْ لقواعدِ الإسلامِ
والإيمان بعزلهم نصوصَ السُّنَّةِ والقُرْآنِ^(١)

يا قومُ بالله انظروا وتفكروا
في هذه الأخبارِ والقُرْآنِ
مِثْلَ التدبُّرِ والتفكُّرِ للذي
قد قاله ذو الرأي والحُسابِ^(٢)

(١) من أفعالهم الوخيمة: أنهم عزلوا الكتاب والسنة عن بيان الحق وقالوا:
الحق لا يؤخذ منهما وإنما يؤخذ من العلوم العقلية، لأن أدلة الكتاب
والسنة عندهم لا تُفيد اليقين وإنما تُفيد الظنَّ، والذي يُفيد اليقين
عندهم: هو العلوم العقلية، هذا مذهبهم ومبدؤهم الذي يسرون عليه،
وهم يُفنون أعمارهم فيها، وبعضهم تأسَّف على إفناء عمره في هذه
الأشياء ولم يصل إلى الحق، يقول أحدهم:

لعمري لقد طُفت المعاهد كلَّها وسيَّرتُ طرفي بين تلك العوالم
فلم أرَ إلا واضعاً كفَّ حائِرٍ على ذقنٍ أو قارع سنٍّ نادم
فهذه شهادات منهم ذكرها شيخ الإسلام رحمه الله عنهم في أوَّل

الرسالة «الحموية» ومنهم من تاب ورجع كالرازي والجويني.

(٢) يقول: لو أعطيتم القرآن والسنة من التفقه والتدبر مثل ما تعطون لعلم
المنطق وعلم الكلام لحصلتم على العلم الغزير ووصلتم إلى الحق.

فأقلُّ شيءٍ أن يكونا عندكم

حَدًّا سواءً يا أولي العُدوانِ (١)

والله ما استويا لدى زعمائكم

في العلم والتحقيقِ والعِرفانِ (٢)

عزُّلوهما بل صرَّحوا بالعزلِ عن

نيلِ اليقينِ ورُتْبَةِ البرهانِ

قالوا وتلك أدلَّةٌ لفظية

لَسْنَا نُحَكِّمُهَا عَلَى الْإِيْقَانِ (٣)

(١) الواجب أن تُعرضوا عن هذه المذاهب الكلامية نهائياً ولا تُغيروها اهتماماً، وأن تُقبلوا على الكتاب والسنة لأن فيهما الكفاية، أو على الأقل ادرسوا هذا وادرسوا هذا وقارنوا بينهما حتى يتبين لكم الحق، أمّا إنكم تقتصرون على دراسة هذه المذاهب الكلامية ولا تلتفتون إلى الكتاب والسنة فهذه طريقة أهل الضلال. فالأحوال ثلاث:

الأولى: أن تُقبل على الكتاب والسنة دراسةً وفهماً وتعلماً وتعليماً.

الثانية: أن تدرس هذا وهذا من أجل المقارنة، وسيوضح لك الحق

بالمقارنة - إن شاء الله -.

الثالثة: أن تقتصر على دراسة هذه المذاهب الباطلة ولا تنظر في

الكتاب والسنة وهذه حالة بعض أهل الضلالة والأشقياء.

(٢) لا يستوي عند زعماء أهل الضلال القرآن والمنطق، عندهم المنطق

أعظم، ولذا يُقدمون المنطق على القرآن، ويقولون: القرآن يفيد الظن

والمنطق يفيد اليقين فيأخذون ما يفيد اليقين بزعمهم.

(٣) يقولون: لا نُحَكِّمُ القرآن والسنة لأنها ظواهر لفظية تفيد الظن، ونترك

الذي يفيد اليقين وهو العقل.

ما أنزلت لِينالَ مِنْها العِلْمُ بِالْ
 إِبْباتِ لِأوصافِ لِلرَّحْمَنِ
 بلْ بِالْعُقُولِ يُنالُ ذاكِ وَهذهِ
 عَنْهُ بِمَعزِلِ غَيْرِ ذِي السُّلْطانِ
 فِبِجْهَدِنَا تَأوِيلُها وَالذَّفْعُ فِي
 أَكْنافِها دَفْعاً لِذِي الصَّوْلاَنِ
 كَكَبيرِ قَوْمِ جِاءَ يَشْهَدُ عِنْدَ ذِي
 حَكْمِ يَريدُ دِفاعَهُ بِليانِ
 فيقولُ قَدْرُكَ فَوْقَ ذَا وَشِهادَةُ
 لِسِواكَ تَصْلُحُ فَاذْهَبَنَّ بِأَمَانِ
 وَبِوُدِّهِ لَوْ كانَ شَيْءٌ غَيْرُ ذَا
 لَكِنَّ مِخافَةَ صاحِبِ السُّلْطانِ^(١)
 فَلَقَدْ أَتانَا عَن كَبيرِ فِيهِمْ
 وَهُوَ الحُقيرُ مِقالَةُ الكُفْراَنِ^(٢)

(١) مثل علماء الكلام في تقديم علم الكلام على القرآن مثل كبير قوم جاء ليؤدي شهادته عند قاضي، والقاضي لا يريد شهادته لكنه لم يقل له: لا أريد شهادتك، بل قال: نريد شاهداً غيرك ولا نكلفك أن تأتي، فأنت شأنك أرفع من هذا، وهو قد أراد ردّه وعدم قبول شهادته بملاطفة، كذلك حالهم مع القرآن؛ لا يقولون: القرآن باطل ولا يُستفاد منه العلم لكن يأتون بأشياء فيها تغريز بالناس، وهم في الحقيقة لا يرون أن القرآن يصلح للحكم.

(٢) هو الجهم بن صفوان.

لو كان يُمكنني وليس بمُمكن
لَحَكَّكْتُ مِنْ ذَا الْمَصْحَفِ الْعُثْمَانِي
ذَكَرَ اسْتِوَاءَ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ لـ
كِنْ ذَاكَ مُمْتَنِعٌ عَلَى الْإِنْسَانِ (١)
وَاللَّهِ لَوْلَا هَيْبَةُ الْإِسْلَامِ وَالـ
قُرْآنِ وَالْأُمَرَاءِ وَالسُّلْطَانِ
لَأَتَوْا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَلَدَا كَدُّكُوا أَلـ
إِسْلَامَ فَوْقَ قَوَاعِدِ الْأَرْكَانِ (٢)
فَلَقَدْ رَأَيْتُمْ مَا جَرَى لِأَيِّمَةِ أَلـ
إِسْلَامٍ مِنْ مِحْنٍ عَلَى الْأَزْمَانِ
لَا سِيَّما لَمَّا اسْتَمَالُوا جَاهِلًا
ذَا قُدْرَةٍ فِي النَّاسِ مَعَ سُلْطَانِ (٣)

(١) يقول الجهم: لو تمكنت من أن أحكَّ هذه الآيات التي تدل على الاستواء والعلو وأزيلها من المصحف لفعلت، ولكنني أخاف من الناس لأنهم يخالفون في نفي الاستواء والعلو.

(٢) لو تمكنوا لأظهروا كفرهم وحقدهم ولكن كفى الله شرهم بقوة المؤمنين والسلطان.

(٣) لما استمالوا المأمون العباسي، وأثروا عليه، واقتنع بمذهب المعتزلة، أراد أن يُلزم أهل السنة بالقول بخلق القرآن، ولكن الله قيَّض له الأئمة في ذلك الزمان وامتنعوا خصوصاً الإمام أحمد، وجري عليهم ما جرى من القتل والضرب والحبس، وهذه مصيبة إذا تمكن أهل الضلال من ولي الأمر فإنهم يخدعون، فإذا تمكنوا منه وخدعوه ضرُّوا بالمسلمين فعلى حكام المسلمين أن يحذروا من هؤلاء.

وسعوا إليه بكلِّ إفكٍ بينِ
 بل قاسمُوه بأغلظِ الأيمانِ
 أنَّ النَّصِيحَةَ قَصْدُهُمْ كَنَصِيحَةِ الشُّ
 شَيْطَانٍ حِينَ خَلَا بِهِ الْأَبْوَانِ
 فيرى عمائمَ ذاتِ أذنانِ على
 تلكِ القُشُورِ طويلاً الأردنِ
 ويرى هيولى لا تهولُ لمُبصرِ
 وتهولُ أعمى في ثيابِ جبانِ
 فإذا أصاحَ بِسَمِعِهِ ملوؤه من
 كذبٍ وتلبيسٍ ومن بُهتانِ
 فيرى ويسمعُ فشرَّهُمُ وفشارَّهُمُ
 يا مَحْنَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأُذُنَانِ
 فتحوا جرابَ الجهلِ مع كذبٍ فخذُ
 واحمِلْ بِلا كيلٍ ولا ميزانِ
 وآتوا إلى قلبِ المُطاعِ ففتشوا
 عمَّا هناكَ ليَدْخُلُوا بأمانِ
 فإذا بدا غرضُ لهمُ دخلوا بهِ
 منه إليه كحيلةِ الشَّيْطَانِ
 فإذا رأوه هسَّ نحوَ حديثهمُ
 ظفروا وقالوا ويحَ آلِ فلانِ

هُوَ فِي الطَّرِيقِ يَعُوقُ مَوْلَانَا عَنِ الْكُ
مَقْصُودٍ وَهُوَ عَدُوٌّ هَذَا الشَّانِ
فَإِذَا هُمْ غَرَسُوا الْعِدَاوَةَ وَاطْبُؤُوا
سَقْيَ الْغِرَاسِ كِفْعَلِ ذِي الْبُسْتَانِ
حَتَّى إِذَا مَا أَثْمَرَتْ وَدَنَا لَهُمْ
وَقَتُّ الْجُدَاذِ وَصَارَ ذَا إِمْكَانِ
رَكَبُوا عَلَى حَرْدٍ لَهُمْ وَحَمِيَّةِ
وَالسُّتَجِدُوا بِعَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
فَهُنَالِكَ ابْتُلِيَتْ جُنُودُ اللَّهِ مِنْ
جُنْدِ اللَّعِينِ بِسَائِرِ الْأَلْوَانِ
ضَرْباً وَحَبْساً ثُمَّ تَكْفِيراً وَتَبِ
دِيْعاً وَشَتْمَ ظَاهِرِ الْبُهْتَانِ
فَلَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ فَرِيقٍ مِنْهُمْ
أَمْراً تُهَدُّ لَهُ قُوسَى الْإِيمَانِ
مِنْ سَبِّهِمْ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَدِينُهُمْ
أَخَذَ الْحَدِيثِ وَتَرَكَ قَوْلَ فَلَانِ (١)
يَا أُمَّةً غَضِبَ إِلَهُ عَلَيْهِمْ
الْأَجَلِ هَذَا تَشْتَمُوا بِهِوَانِ

(١) مثل ما حدث مع شيخ الإسلام ابن تيمية عندما وقف في وجوههم فحصل من السلاطين على أهل السنة بسبب هؤلاء الشيء الكبير من الأذى.

تَبَا لَكُمْ إِذْ تَشْتُمُونَ زَوَامِلَ الْ
إِسْلَامِ حِزْبِ اللَّهِ وَالْقُرْآنِ
وَسَبَيْتُمُوهُمْ ثُمَّ لَسْتُمْ كُفَاهُمْ
فِرَاوًا مَسَبَّتْكُمْ مِنَ التُّقْصَانِ
هَذَا وَهُمْ قَبِلُوا وَصِيَّةَ رَبِّهِمْ
فِي تَرْكِهِمْ لِمَسَبَّةِ الْأَوْثَانِ
حَذَرَ الْمُقَابَلَةِ الْقَبِيحَةِ مِنْهُمْ
بِمَسَبَّةِ الْقُرْآنِ وَالرَّحْمَنِ
وَكَذَاكَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ
ضَرَبَتْ لَهُمْ وَلَكُمْ بِذَا مَثَلَانِ
سَبُّوكُمْ جَهَّالُهُمْ فَسَبِّتُمْ
سُنَنَ الرَّسُولِ وَعَسْكَرَ الْإِيمَانَ
وَصَدَدْتُمْ سُفَهَاءَكُمْ عَنْهُمْ وَعَنْ
قَوْلِ الرَّسُولِ وَذَا مِنَ الطُّغْيَانِ
وَدَعَوْتُمُوهُمْ لِلَّذِي قَالَتْهُ أَشَدُّ
يَاخُ لَكُمْ بِالْخَرْصِ وَالْحُسْبَانِ
فَأَبُوا إِجَابَتَكُمْ وَلَمْ يَتَحَيَّرُوا
إِلَّا إِلَى الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ
وَالِى أَوْلِي الْعِرْفَانِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ
سِتْ خُلَاصَةَ الْأَكْوَانِ وَالْإِنْسَانِ

قَوْمٌ أَقَامَهُمُ الْإِلَهُ لِحَفْظِ هـ

هذا الدين من ذي بدعة شيطان

وأقامهم حرساً من التبديل والثـ

تَحْرِيفِ وَالتَّمِيمِ وَالنَّقْصَانِ^(١)

يَزُكُّ عَلَى الْإِسْلَامِ بَلِ حِصْنٌ لَهُ

يَأْوِي إِلَيْهِ عَسَاكِرُ الْفُرْقَانِ

فَهُمُ الْمَحَكُّ فَمَنْ يُرَى مُتَنَقِّصاً

لَهُمْ فَزَنْدِيقٌ خَبِيثٌ جَنَانِ^(٢)

إِنْ تَتَّهَمُهُ فِقَبْلَكَ السَّلْفُ الْأُولَى

كَانُوا عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ

أَيْضاً قَدْ اتَّهَمُوا الْخَبِيثَ عَلَى الْهُدَى

وَالْعِلْمِ وَالْآثَارِ وَالْقُرْآنِ

وَهُوَ الْحَقِيقُ بِذَلِكَ إِذْ عَادَى رُؤَا

ةَ الدِّينِ وَهِيَ عِدَاوَةُ الدِّيَانِ

فَإِذَا ذَكَرْتَ النَّاصِحِينَ لِرَبِّهِمْ

وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ بِلِسَانِ

(١) أقام الله علماء الحديث وعلماء أهل السنة ليحفظ الله بهم هذا الدين ويحرسه من هؤلاء، ويردوا الكذب والبهتان، وجعلهم الله جنداً للحق يدافعون عنه ويذبون عنه كيد الكائدين.

(٢) لا يسبُّ أهل السنة وعلماء الحديث إلا خبيثٌ فاسدٌ القلب لأته ما سبهم من أجل أشخاصهم وإنما لأجل ما يحملونه من العلم والدفاع عن الحق.

فَاغْسِلْهُ وَيَلِّكَ مِنْ دَمِ التَّعْطِيلِ وَالتَّ
 تَكْذِيبِ وَالْكَفْرَانِ وَالْبَهْتَانِ
 أَتَسْبُهُمْ عَدُوًّا وَلَسْتَ بِكُفِّيهِمْ
 فَاللَّهُ يَفْدِي حِزْبَهُ بِالْجَانِي
 قَوْمٍ هُمْ بِاللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ
 أَوْلَى وَأَقْرَبُ مِنْكَ لِلْإِيمَانِ
 شَتَانٍ بَيْنَ التَّارِكِينَ نَصُوصَهُ
 حَقًّا لِأَجْلِ زِبَالَةِ الْأَذْهَانِ
 وَالتَّارِكِينَ لِأَجْلِهَا آرَاءَ مَنْ
 آرَأُوهُمْ ضَرَبَ مِنَ الْهَدْيَانِ^(١)
 لَمَّا فَسَا الشَّيْطَانُ فِي آذَانِهِمْ
 ثَقَلَتْ رُؤُوسُهُمْ عَنِ الْقُرْآنِ^(٢)

(١) يقول الناظم لهؤلاء الخصوم المعادين لأهل السنة: إذا ذكرت أهل السنة فاذكرهم ذكر معظّم لهم ومحبّ لهم، ولا تذكرهم ذكر معادٍ ومقاطع لهم فإنهم حملة الشريعة وورثة الرسول ﷺ، وهم الذين يُقدّمون الكتاب والسنة على قول كلِّ أحد من الناس، وكيف يوازن بين أهل السنة المتمسكين بها وبين هؤلاء المبتدعة والضلال.

(٢) لَمَّا ذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا يَنَامُ عَنِ الْفَجْرِ وَلَا يَقُومُ لِلتَّهَجُّدِ قَالَ: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالِ الشَّيْطَانِ فِي أُذُنِهِ»^(*) وهذا مثلٌ لهؤلاء أن الشيطان أخذت في =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٤٨/٧ (٤٠٥٩)، والبخاري (٣٢٧٠)، ومسلم (٧٧٤)

(٢٠٥) من حديث عبد الله بن مسعود.

فلذلك ناموا عنه حتى أصبحوا
 يتلاعبون تلاعب الصبيان
 والركب قد وصلوا العلا وتيمموا
 من أرض طيبة مطلع الإيمان
 وأتوا إلى رؤساتها وتيمموا
 من أرض مكة مطلع القرآن
 قوم إذا ما ناجد النص بدا
 طاروا له بالجمع والوحدان
 وإذا بدا علم الهدى استبقوا له
 كتائب الفرسان يوم رهان
 وإذا هم سمعوا بمبتدع هدى
 صأحوا به طراً بكل مكان
 ورثوا رسول الله لكن غيرهم
 قد راح بالثقصان والحرمين
 وإذا استهان سواهم بالنص لم
 يرفع به رأساً من الخسران
 عَضُوا عليه بالنواجذ رغبة
 فيه وليس لديهم بمهان^(١)

= أذانهم حتى ثقلت عن القرآن والعمل به بسبب كيد الشيطان لهم، فهو الذي ثقله عليهم.

(١) أهل السنة يكرمون النصوص ويعضون عليها بالنواجذ من حرصهم عليها =

لَيْسُوا كَمَنْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَقِيقَةً
 وَتِلَاوَةً قَصِداً بِتَرْكِ فُلَانٍ^(١)
 عَزَلُوهُ فِي الْمَعْنَى وَوَلَّوْا غَيْرَهُ
 كَأَبِي الرَّبِيعِ خَلِيفَةِ السُّلْطَانِ^(٢)
 ذَكَرُوهُ فَوْقَ مَنْابِرٍ وَبِسِكَّةٍ
 رَقَمُوا اسْمَهُ فِي ظَاهِرِ الْأَثْمَانِ
 وَالْأَمْرِ وَالتَّهْيِ الْمَطَاعِ لِغَيْرِهِ
 وَلَمْ يَهْتَدِ ضُرَيْبَتٌ بِذَا مَثَلَانِ
 يَا لِلْعُقُولِ أَيْسْتَوِي مَنْ قَالَ بَأْ
 قُرْآنٍ وَالْآثَارِ وَالْبُرْهَانِ

= والتمسك بها بخلاف أهل البدع فالنصوص عندهم رخيصة لا قيمة لها وإنما يتبعون أقوال أئمتهم.

(١) لا يُقْلَدُونَ مَنْ نَبَذَ الْكِتَابَ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَهَمْ يَهْجُرُونَ أَهْلَ الْبَاطِلِ وَيَتَعَدُونَ عَنْهُمْ وَيَفْرُونَ مِنْهُمْ.

(٢) هُوَ لِأَنَّ الضَّلَالَ عَزَلُوا الْقُرْآنَ عَنِ الْاِسْتِدْلَالِ وَالْهَدَايَةِ وَعَنِ إِفَادَةِ الْعِلْمِ، وَوَلَّوْا غَيْرَهُ مِنَ الْمَذَاهِبِ الْبَاطِلَةِ كَمَا فَعَلَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ مَعَ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَكْفِيِّ بِاللَّهِ سَلِيمَانَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ، أَبِي الرَّبِيعِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ أُمُورِ الْخِلَافَةِ إِلَّا مَرَّاسِمُهَا، اسْمُ السُّلْطَانِ وَخُطْبَةُ الْجُمُعَةِ وَيُوضَعُ اسْمُهُ عَلَى النُّقُودِ، وَكَانَتْ بَقِيَّةُ الْأُمُورِ بِيَدِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ، وَكَذَلِكَ فَهَمْ أَبْقَوْا الْقُرْآنَ مُجَرَّدَ اسْمٍ، وَعَزَلُوهُ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى.

وَمُخَالَفٌ هَذَا وَفِطْرَةَ رَبِّهِ
 اللَّهُ أَكْبَرُ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ
 بَلْ فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فُطِرُوا عَلَى
 مَضْمُونِهَا وَالْعَقْلُ مَقْبُولَانِ
 وَالْوَحْيُ جَاءَ مُصَدِّقًا لِهَذَا فَلَا
 تُلْقِي الْعَدَاوَةَ مَا هُمَا حَرْبَانِ (١)
 سَلْمَانٍ عِنْدَ مُوَفَّقِيٍّ وَمُصَدِّقٍ
 وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ هُمَا سَلْمَانِ (٢)
 فَإِذَا تَعَارَضَ نَصْرٌ لَفِظٍ وَارِدٍ
 وَالْعَقْلُ حَتَّى لَيْسَ يُلْتَقِيَانِ
 فَالْعَقْلُ إِمَّا فَاسِدٌ وَيُظَنُّهُ الرُّ
 رَائِي صَحِيحاً وَهُوَ ذُو بُطْلَانِ
 أَوْ أَنَّ ذَاكَ النَّصْرَ لَيْسَ بِشَابِتٍ
 مَا قَالَهُ الْمَعْصُومُ بِالْبُرْهَانِ

(١) لا يمكن أن يخالف العقل الصريح النقل الصحيح بأي حال من الأحوال
 فإذا حصل اختلاف فلا بد من أحد أمرين: إما أن النقل غير صحيح، أو
 أن العقل غير صريح.

ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: العقل الصريح لا يخالف النقل
 الصحيح فإن اختلفا فإما إن العقل غير صريح وإما إن النقل غير صحيح.

هذه قاعدة عظيمة، فالعقل والنقل والفتوة لا تتخالف أبداً وانظر

كتابه: درء تعارض النقل والعقل.

(٢) النقل والعقل سلمان ليس بينهما حرب.

وَنُصُوصُهُ لَيْسَتْ تُعَارِضُ بَعْضَهَا

بَعْضاً فَسَلِّ عَنْهَا عَلِيمَ زَمَانٍ^(١)

وَإِذَا ظَنَنْتَ تَعَارِضاً فِيهَا فَذَا

مِنْ آفَةِ الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ^(٢)

أَوْ أَنْ يَكُونَ الْبَعْضُ لَيْسَ بِثَابِتٍ

مَا قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ^(٣)

لَكِنَّ قَوْلَ مُحَمَّدٍ وَالْجَهْمِ فِي

قَلْبِ الْمَوْحِدِ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ^(٤)

إِلَّا وَيَطْرُدُ كُلُّ قَوْلٍ ضِدَّهُ

فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا فَمُقْتَبِلَانِ

(١) وكذلك النصوص لا يُخالفُ بعضها بعضاً ولا تتناقض، فكلام الله ورسوله لا يتناقض، وإنما هذا الذي يظهر في التعارض بينهما إنما هو حسب فهم الإنسان، فالأفهام تختلف.

(٢) كلام الله لا يتعارض، وكلام الرسول لا يتعارض، وإذا حصل لك تعارض فهذا من فهمك أنت، وهذا وهم يزول إذا حُكمت القواعد العلمية الدينية، وليس هذا التعارض من ذات النصوص وإنما هو من فهمك.

(٣) إذا حصل تعارض في الظاهر، فإما إن هذا وهمٌ توهمته، إذا كانت النصوص كلها صحيحة وإما أن يكون النص غير صحيح ولا تجوز نسبه إلى الرسول ﷺ، وما أكثر النصوص المكذوبة على رسول الله ﷺ.

(٤) قول محمد ﷺ وقول الجهم بن صفوان لا يجتمعان في قلب الموحد أبداً، لأنهما متضادان فلا يجتمع قول الجهمية وقول الرسول ﷺ.

وَالنَّاسُ بَعْدُ عَلَى ثَلَاثِ حِزْبِهِ

أَوْ حَرِّبِهِ أَوْ فَارِغٍ مُتَوَانٍ

فَاخْتَرْنَا لِنَفْسِكَ أَيْنَ تَجْعَلُهَا فَلَا

وَاللَّهُ لَسِتَ بِرَابِعِ الْأَعْيَانِ^(١)

مَنْ قَالَ بِالتَّعْطِيلِ فَهُوَ مُكَذِّبٌ

بِجَمِيعِ رُسُلِ اللَّهِ وَالْفُرْقَانِ^(٢)

إِنَّ الْمُعْطَّلَ لَا إِلَهَ لَهُ سِوَى الْإِلَهِ

مَنْحُوتٍ بِالْأَفْكَارِ فِي الْأَذْهَانِ^(٣)

وَكَذَا إِلَهُ الْمُشْرِكِينَ نَحِيَّتَهُ الْإِلَهِ

أَيْدِي هُمَا فِي نَحْتِهِمْ سَيَّانٍ^(٤)

(١) الناس أصناف: حزبُ الله تعالى، وحربُ الله وهو حزب الشيطان، أو أحد فارغ ليس عنده موالاة للرحمن ولا للشيطان يعني - بهيمة من البشر - فارغ الذهن، فانظر نفسك من أيِّ هذه الأقسام هي.

(٢) من قال بنفي الأسماء والصفات عن الله جلّ وعلا فهو مُكذِّب لرسول الله، لأنَّ رسلَ الله كلَّهم جاؤوا بالتوحيد وإثبات ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء والصفات، فهذا قد اتفقت عليه جميع الرسل والشرائع.

(٣) يقول: إنَّ الْمُعْطَّلَ يعبدُ عدماً؛ لأنَّ الشياء الذي ليس له أسماء ولا صفات ليس بموجود وإنَّما هو شيءٌ تخيُّله المعطل لا وجود له في الواقع.

(٤) والذي يُشَبِّه الله بخلقه يعبد صنماً لأنه يُشَبِّه المشركين الذين يعبدون الأصنام فهم يعبدون صنماً على صورة إنسان.

لكن إله المرسلين هو الذي

فوق السماء مَكُونُ الأَكْوَانِ^(١)

تالله قد نسب المعطل كل من

باليئات أتى إلى الكتمان

والله ما في المرسلين معطل

نافي صفات الواحد الرحمن^(٢)

كلاً ولا في المرسلين مُشَبَّهٌ

حاشاهم من إفك ذي بُهتان^(٣)

فخذ الهدى من عبده وكتابه

فهما إلى سبل الهدى سببان^(٤)

* * *

(١) من صفات إله الموحدين العلوُّ والاستواء على العرش، ونصَّ الشيخ على هذين الوصفين: العلو الاستواء على العرش، لأنَّ المعطلة ينفون هذين الوصفين بالذات.

(٢) بل كلُّهم جاؤوا بإثبات الأسماء والصفات له سبحانه وتعالى والكمال المطلق له سبحانه وتعالى.

(٣) ليس في المرسلين معطل ولا مُشَبَّهٌ؛ لأنَّ المعطل يعبد عدماً والمشبه يعبد صنماً.

(٤) خذ الهدى من الرسول ﷺ، أي: من سنَّته ومن كتاب الله وما سواهما فهو ضلال.

فصل

في بطلان قول الملحدين أن الاستدلال بكلام الله ورسوله

لا يُفيدُ العلم واليقين^(١)

واحدُ مقالاتِ الذين تفرَّقوا

شِعْراً وكانوا شِيعَةَ الشَّيْطَانِ^(٢)

واسأل خيراً عنهم يُنبيكَ عن

أسرارِهِم بنصيحةٍ وبيان^(٣)

قالوا الهدى لا يُستفادُ بسنةٍ

كلاً ولا أثراً ولا قرآن^(٤)

(١) هذه هي آفة الملحدين: أنهم لا يرون نصوص الكتاب والسنة تفيد اليقين، وإنما الذي يُفيد اليقين هو قواعد المنطق وعلم الكلام، فلذلك بنوا عقائدهم على علم الكلام والمنطق وسموه «علم التوحيد» والملحد في أسماء الله وصفاته هو الذي ينفيها أو ينفي معانيها قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أَسْتَمْتِمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] فالإسلام جاء بتوحيد الكلمة على الحق وعلى الكتاب والسنة، فما ظهرت هذه الفرق والاختلافات إلا بعد القرون المفضلة.

(٣) يعني نفسه رحمه الله لأنه درس هذه الأشياء وتمعن فيها، فهو يخبركم عن خبرة وإطلاع على واقع عرفه.

(٤) يقولون: السنة والقرآن لا يُفيدان اليقين ولا يُفيدان العلم، وإنما يُفيدان =

إذْ كُلُّ ذَاكَ أدِلَّةٌ لفظيَّةٌ

لَمْ تُبَدِّ عَنِّ عِلْمٍ وَلَا إِيْقَانٍ^(١)

فِيهَا اشْتِرَاكٌ ثُمَّ إِيْقَالٌ يُرَى

وَتَجُوزُ بِالتَّزْيِيدِ وَالتَّقْصَانِ^(٢)

وَكَذَلِكَ الإِضْمَارُ وَالتَّحْقِيقُ وَالْ

حَذْفُ الَّذِي لَمْ يُبَدِّ عَنِّ تَبْيَانِ

= الظن، وما كان كذلك فلا تُبنى عليه العقائد.

(١) يقولون: أدلة الشرع ظواهر لفظية لا تُفيد اليقين ولا البرهان.

(٢) يقولون: نصوص القرآن والسنة فيها إجمال، ففيها مُجمل، وفيها مطلق

وفيها مجاز، وما دام يتطرق إليها هذه الأشياء فإنها لا تُفيد اليقين، هذه

شبهتهم، فالناظم رحمه الله يريد أن يردَّ على علماء الكلام الذين بنوا

عقيدتهم على قواعد المنطق وعلم الكلام ولم يبنوها على أدلة القرآن

والسنة وهما مصدر الحق. لا يستدلون بالسنة، بحجة أنها أخبارٌ آحاد،

فيقال لهم: ما دام أن السند صحيحٌ سواء كان متواتراً أو آحاداً فإنه يُفيد

العلم ويُفيد اليقين، والرسول ﷺ كان يقبل أخبار الآحاد، فكان يقبل من

رأى الهلال وحده ويثبت بذلك صوم الشهر، وكان يُرسلُ رُسُلَهُ آحاداً

إلى الملوك والرؤساء والقبائل، ويرسل عاملاً لأخذ الزكاة فيصدقونه

ويُعطونه زكاتهم، وما عهد أن الأمة الإسلامية تتوقف في أخبار الآحاد

لأنها تُفيد العلم وتُفيد اليقين ضرورة، وأيضاً: لو أخذنا بهذا الكلام ما

صحَّ حكمٌ في الدنيا؛ لأنَّ الناس يتخاطبون فيما بينهم، فلو قلت لشخص

كلاماً لقال لك: كلامك لا يُفيد شيئاً لأنه محتمل.

والتَّكْلُ أَحَادٌ فَمَوْقُوفٌ عَلَى

صِدْقِ الرُّوَاةِ وَلَيْسَ ذَا بُرْهَانٍ

إِذْ بَعْضُهُمْ فِي الْبَعْضِ يَقْدَحُ دَائِمًا

وَالْقَدْحُ فِيهِمْ فَهَوَ ذُو إِمْكَانٍ

وَتَوَاتُرٌ وَهُوَ الْقَلِيلُ وَنَادِرٌ

جِدًا فَأَيْنَ الْقَطْعُ بِالْبُرْهَانِ

هَذَا وَيَحْتَاجُ السَّلَامَةَ بَعْدُ مِنْ

ذَلِكَ الْمَعَارِضِ صَاحِبِ السُّلْطَانِ^(١)

وَهُوَ الَّذِي بِالْعَقْلِ يَفْرِضُ صِدْقَهُ

وَالنَّفْيِ مَظْنُونٌ لَدَى الْإِنْسَانِ

فَلْأَجْلِ هَذَا قَدْ عَزَلْنَاهَا وَوَلَّ

لَيْنَا الْعُقُولَ وَمَنْطِقَ الْيُونَانِ^(٢)

(١) يقولون: الأدلة اللفظية يحصل بينها تعارضٌ وحينئذ فبأيها نقطع مع التعارض؟ نقول: الحمد لله، العلماء وضعوا ضوابط عند التعارض معروفة، وذلك أنه إذا وجد التعارض فيُنظر في السند ويقدم الصحيح على ما دونه. فإن تساوت فإذا أمكن الجمع وجب، وإذا لم يمكن الجمع فلا بُدَّ من الترجيح والأخذ بالراجح، وإذا لم يمكن الترجيح فإن أحد الخبيرين ناسخٌ للآخر فيُنظر المتأخر منهما.

(٢) يقولون: ما دامت هذه الطعون تتجه للأخبار اللفظية فإننا قد عزلناها عن الاستدلال وحكمتنا العقول؛ لأنَّ العقول ليس فيها مجال للشك، فنقول: العقول تختلف أيضاً: فعقول البشر قاصرة لا تعلم كل شيء، وأيضاً هي =

فانظُرْ إِلَى الْإِسْلَامِ كَيْفَ بَقَاؤُهُ
 مِنْ بَعْدِ هَذَا الْقَوْلِ ذِي الْبُطْلَانِ^(١)
 وَاَنْظُرْ إِلَى الْقُرْآنِ مَعْزُولاً لَدَيْهِمْ
 عَنْ نَفُوذِ وِلَايَةِ الْإِيْقَانِ
 وَاَنْظُرْ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ كَذَاكَ مَعَهُ
 زُوراً لَدَيْهِمْ لَيْسَ ذَا سُلْطَانِ
 وَاللَّهُ مَا عَزَلُوهُ تَعْظِيماً لَهُ
 أَيُّظُنُّ ذَلِكَ قَطُّ ذُو عِرْفَانِ^(٢)
 يَا لَيْتَهُمْ إِذِ يَحْكُمُونَ بِعَزْلِهِ
 لَمْ يَرْفَعُوا رَايَاتِ جَنْكِيْزْخَانَ^(٣)

= مختلفة، فبعضهم يثبت شيئاً وينفيه الآخر، وأيضاً لو كانت العقول كافية لما احتجنا إلى الرسل ولما احتجنا إلى الكتب، فهذا كلام باطل ظاهر البطلان.

(١) إذا أبطلت نصوص الكتاب والسنة فماذا تكون حال الإسلام، تكون حاله

لا شيء، لا يصح إسلام ولا إيمان إلا إذا بني على الكتاب والسنة.

(٢) ما عزلوه تعظيماً له وإنما عزلوه تنقصاً له، لأنه لا يفيد العلم ولا اليقين

عندهم، وهذا هو عين التنقص لكلام الله وكلام رسوله ﷺ.

(٣) لما حكموا بعزل القرآن والسنة رفعوا رايات جنكيزخان وهو رئيس التتر

الملحد الخبيث، وجاؤوا بقانونه الذي يسمونه «الياسق» وحكموه بين

الناس، فاستبدلوا كتاب الله وسنة رسوله بنظام الكفر والإلحاد، وهذه

سنة الله عز وجل أن من ترك الحق ابتلي بالباطل.

يا ويلَهُمْ وَلَوْ نَتَّيَجَ فِكْرِهِمْ
 وَقَضَوْا بِهَا قِطْعاً عَلَى الْقُرْآنِ
 وَرِذَالَهُمْ وَلَوْ إِشَارَاتِ ابْنِ سِينَا
 نَا حِينَ وَلَوْ مَنْطِقَ الْيُونَانِ
 وَانظُرْ إِلَى نَصِّ لِكِتَابِ مُجَنَّدَلَا
 وَسَطِ الْعَرِينِ مُمَزَّقِ اللَّحْمَانِ (١)
 بِالطَّعْنِ بِالْإِجْمَالِ وَالْإِضْمَارِ وَالتَّ
 تَخْصِيصِ وَالتَّأْوِيلِ بِالْبُهْتَانِ
 وَالْإِشْتِرَاكِ وَبِالْمَجَازِ وَحَذْفِ مَا
 شَاءُوا بِدَعْوَاهُمْ بِإِلَّا بُرْهَانِ
 وَانظُرْ إِلَيْهِ لَيْسَ يَنْفُذُ حُكْمُهُ
 بَيْنَ الْخُصُومِ وَمَا لَهُ شَأْنِ
 وَانظُرْ إِلَيْهِ لَيْسَ يُقْبَلُ قَوْلُهُ
 فِي الْعِلْمِ بِالْأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ
 لَكِنَّمَا الْمَقْبُولُ حُكْمُ الْعَقْلِ لَا
 أَحْكَامُهُ لَا يَسْتَوِي الْحُكْمَانِ (٢)

(١) قتلوا القرآن بعملهم هذا ومَرَّقُوهُ حَيْثُ لَا يُسْتَدَلُّ بِهِ فِي الْعَقَائِدِ وَلَا يُحْكَمُ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْمَنَازَعَاتِ وَلَا يُعْمَلُ بِهِ وَإِنَّمَا الْعَمَلُ بِنِظَامِ جَنْكِيزْخَانَ وَ«إِشَارَاتِ» ابْنِ سِينَا.

(٢) الْمَقْبُولُ عِنْدَهُمْ: حُكْمُ الْعَقْلِ لَا حُكْمُ الْقُرْآنِ وَلَا يَسْتَوِي الْحُكْمَانِ.

يَبْكِي عَلَيْهِ أَهْلُهُ وَجُنُودُهُ

بِدِمَائِهِمْ وَمَدَامِعِ الْأَجْفَانِ

عَهْدُوهُ قَدَمًا لَيْسَ يَحْكُمُ غَيْرُهُ

وَسِوَاهُ مَعزُورٌ عَنِ السُّلْطَانِ

إِنْ غَابَ نَابَتْ عَنْهُ أَقْوَالُ الرَّسُولِ

لِ هُمَا لَهُمْ دُونَ الْوَرَى حَكَمَانِ

فَأَتَاهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ فِي ظَنِّهِمْ

فِي حُكْمِ جَنْكِرْخَانَ ذِي الطُّغْيَانِ

بِجُنُودِ تَعْطِيلٍ وَكُفْرَانٍ مِنَ الْ-

مَفْعُولِ ثُمَّ اللَّاصِ وَالْعَلَّانِ

فَعَلُوا بِمِلَّتِهِ وَسُنَّتِهِ كَمَا

فَعَلُوا بِأُمَّتِهِ مِنَ الْعُدْوَانِ

وَاللَّهُ مَا انْقَادُوا لَجَنْكِرْخَانَ حَتَّى

تَنَى أَعْرَضُوا عَنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

وَاللَّهُ مَا وَلَّوهُ إِلَّا بَعْدَ عَزْزِ

لِ الْوَحْيِيِّ عَنْ عِلْمٍ وَعَنْ إِيقَانِ

عَزْلُوهُ عَنْ سُلْطَانِهِ وَهُوَ الْيَقِينِ

مِنَ الْمُسْتَفَادِ لَنَا مِنَ السُّلْطَانِ

هَذَا وَلَمْ يَكْفِ الَّذِي فَعَلُوهُ حَتَّى

تَنَى تَمَمُوا الْكُفْرَانَ بِالْبُهْتَانِ

جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ إِذْ عَضُّهُوَ أَنْ

— وَاغَا مُعَدَّةً مِنَ التَّقْصَانِ (١)

مِنهَا انْتِفَاءً خُرُوجِهِ مِنْ رَبِّنَا

لَمْ يَبْدُ مِنْ رَبِّ وَلَا رَحْمَنٍ (٢)

لَكِنَّهُ خَلَقَ مِنَ اللُّوحِ ابْتَدَا

أَوْ جَبْرِيلَ أَوْ الرِّسُولِ الثَّانِي (٣)

مَا قَالَهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ العُلَى

لَيْسَ الكَلَامُ بِوَصْفِ ذِي العُفْرَانِ (٤)

تَبَا لَهُمْ سَلْبُوهُ أَكْمَلَ وَصِفِهِ

عَضُّهُوَ عَضَّهُ الرَّيْبِ وَالكُفْرَانِ

(١) قَطَّعُوا الْقُرْآنَ أَعْضَاءً وَأَجْزَاءً لِلْقَضَاءِ عَلَيْهِ، كَمَا أَنَّ الكُفْرَانَ وَصَفُّوا الْقُرْآنَ

بِأَنَّهُ سِحْرٌ، وَأَنَّهُ كَلَامُ البَشَرِ، وَأَنَّهُ أُسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ وَأَنَّهُ... فَأَنْزَلَ اللهُ

تَعَالَى: ﴿إِنَّا كَفَيْتَكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ

عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] أَي: أَجْزَاءً وَأَسْمَاءً مُخْتَلِفَةً، فَسَمَّاهُ بَعْضُهُمْ سِحْرًا،

وَبَعْضُهُمْ كَلَامَ البَشَرِ، وَبَعْضُهُمْ أُسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ.

(٢) بَعْضُهُمْ قَالَ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ يَعْنِي الْقُرْآنَ خَلَقَهُ اللهُ فِي اللُّوحِ المَحْفُوظِ أَوْ فِي

جَبْرِيلَ أَوْ مُحَمَّدٍ فَهُوَ عِنْدَ الجَهْمِيَّةِ لَيْسَ بِكَلَامِ اللهِ.

(٣) وَالجَهْمِيَّةُ قَالُوا: الْقُرْآنَ لَيْسَ كَلَامَ اللهِ، بَلْ إِمَّا إِنَّ اللهُ خَلَقَهُ فِي اللُّوحِ

المَحْفُوظِ أَوْ فِي جَبْرِيلَ أَوْ فِي الرِّسُولِ ﷺ.

(٤) يَقُولُونَ: لَيْسَ الكَلَامُ صِفَةً لِهَذَا عَزَّ وَجَلَّ فَيَنْفُونَ عَنِ اللهِ تَعَالَى أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ.

هل يستوي باللهِ نَسْبُهُ إِلَى
 بَشَرٍ وَنَسْبُهُ إِلَى الرَّحْمَنِ
 مِنْ أَيْنَ لِلْمَخْلُوقِ عَيْنُ صِفَاتِهِ
 اللَّهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ
 بَيْنَ الصِّفَاتِ وَبَيْنَ مَخْلُوقٍ كَمَا
 بَيْنَ الْإِلَهِ وَهَذِهِ الْأَكْوَانِ^(١)
 هَذَا وَقَدْ عَضَّهُوهُ أَنَّ نُصُوصَهُ
 مَعْرُوزَةٌ عَنِ إِمْرَةِ الْإِيقَانِ^(٢)
 لَكِنَّ غَايَتَهَا الظَّنُّونُ وَلَيْتَهُ
 ظَنًّا يَكُونُ مُطَابِقًا بَيَانِ^(٣)
 لَكِنَّ ظَوَاهِرُ مَا يُطَابِقُ ظَنَّهُا
 مَا فِي الْحَقِيقَةِ عِنْدَنَا بِوِزَانِ
 إِلَّا إِذَا مَا أُوْلِكَ فَمَجَازُهَا
 بِزِيَادَةٍ فِيهَا أَوْ التَّقْصَانِ

(١) لا تشابه بين الله وبين خلقه ولا بين صفاتهم وصفاته كما أن ذات الله تعالى لا تشبه ذوات المخلوقين كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، لأن الصفات تابعة للذات.

(٢) عزلوا كلام الله عن الاستدلال لأنه لا يفيد اليقين عندهم.

(٣) غاية ما يفيد القرآن أنه يفيد الظن ولا يفيد اليقين، فلا يصح الاستدلال به في العقيدة عندهم.

أَوْ بِالكَنَايَةِ وَاسْتِعَارَاتٍ وَتَشْدُ

بِيهِ وَأَنْوَاعِ الْمَجَازِ الثَّانِي
فَالْقَطْعُ لَيْسَ يُفِيدُهُ وَالظَّنُّ مَنْدُ

فِي كَذَلِكَ فَانْتَفَى الْأَمْرَانِ
فَلِمَ الْمَلَامَةُ إِذْ عَزَلْنَاهَا وَوَلَدُ

لَيْنَا الْعُقُولَ وَفِكْرَةَ الْأَذْهَانَ
فَاللَّهُ يُعْظِمُ فِي النِّصُوصِ أَجُورَكُمْ

يَا أُمَّةَ الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ (١)
مَاتَتْ لَدَى الْأَقْوَامِ لَا يُحْيُونَهَا

أَبْدَاءً وَلَا تُحْيِيهِمْ لَهُوَ إِنْ
هَذَا وَقَوْلُهُمْ خِلَافُ الْحَسِّ وَالْ

مَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَالْبُرْهَانِ
مَعَ كَوْنِهِ أَيْضاً خِلَافَ الْفِطْرَةِ الِ

أَوْلَى وَسُنَّةِ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ (٢)
فَاللَّهُ قَدْ فَطَرَ الْعِبَادَ عَلَى التَّفَا

هُمْ بِالْخِطَابِ لِمَقْصِدِ التِّيَانِ (٣)

(١) يُعْزِي أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِمَا فَعَلَهُ هَؤُلَاءِ .

(٢) هَذَا رَدٌّ عَلَيْهِمْ ، لِأَنَّ قَوْلَهُمْ هَذَا خِلَافُ النُّقْلِ وَالْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ .

(٣) يَقُولُ : لَوْ كَانَ كَلَامُ اللَّهِ وَالرَّسُولِ لَا يُفِيدَانِ الْيَقِينَ فَهَذَا يَسْرِي عَلَى كَلَامِ
النَّاسِ كُلِّهِمْ ، فَيَكُونُ كَلَامُ النَّاسِ لَا يُبَيِّنُ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، لَا عَقُودَ تَمَلُّكَ وَلَا =

كُلُّ يَدُلُّ عَلَى الَّذِي فِي نَفْسِهِ

بِكَلَامِهِ مِنْ أَهْلِ كُلِّ لِسَانٍ^(١)

فَتَرَى الْمُخَاطَبَ قَاطِعاً بِمُرَادِهِ

هَذَا مَعَ التَّقْصِيرِ فِي الْإِنْسَانِ^(٢)

إِذْ كُلُّ لَفْظٍ غَيْرِ لَفْظٍ نَبِيَّنَا

هُوَ دُونَهُ فِي ذَا بِلَا نَكَرَانٍ^(٣)

حَاشَا كَلَامَ اللَّهِ فَهُوَ الْغَايَةُ الـ

قَصْوَى لَهُ أَعْلَى ذُرَى التِّيَّانِ^(٤)

= بيع ولا شراء ولا أنكحة ولا أي شيء، لأنه كلامٌ محتمل، وكذلك الشهادة لا يُبنى عليها حكم شرعي لأنها تحتمل، فكل شيء محتمل فتخرب الدنيا بهذا القانون الشيطاني الذي جاؤوا به.

(١) لغة العالم وُضعت للتفاهم والتخاطب وبناء الأحكام والعقود عليها سواء كانت ألفاظاً عربية أو أعجمية حتى الطيور والوحوش كلها تتفاهم بينها بلغاتها التي جعلها الله فيها، ويفهم بعضها بعضاً وتبني عليها ما تريد من تصرفات.

(٢) فالناس يبنون على كلامهم أحكاماً مع قصوره فكيف لا يُبنى على كلام الله وكلام رسوله المعصوم من الخطأ.

(٣) لا شك أن كلام الناس أقلُّ درجة من كلام الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

(٤) إذا كان هذا في كلام الرسول ففي كلام الله من باب أولى، فكلام الله تعالى هو أفصح وأبين من كلام البشر.

لَمْ يَفْهَمِ الثَّقَلَانِ مِنْ لَفْظٍ كَمَا
 فَهَمُّوا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
 فَهُوَ الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَى التَّبْيَانِ كَمَا
 تِيْلَانَهُ حَقًّا عَلَى الْإِحْسَانِ (١)
 مَا بَعْدَ تَبْيَانِ الرَّسُولِ لِناظِرٍ
 إِلَّا الْعَمَى وَالْعَيْبُ فِي الْعُمَيَانِ
 فَاَنْظُرْ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ لِسَائِلِ
 مِنْ صَحْبِهِ عَنْ رُؤْيَةِ الرَّحْمَنِ
 حَقًّا تَرَوْنَ إِلَهُكُمْ يَوْمَ اللَّقَا
 رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمْرَانِ
 كَالْبَدْرِ لَيْلَ تَمَامِهِ وَالشَّمْسِ فِي
 نَحْرِ الظَّهْيِرَةِ مَا هُمَا مِثْلَانِ
 بَلْ قَصْدُهُ تَحْقِيقُ رُؤْيَتِنَا لَهُ
 فَأَتَى بِأَظْهَرِ مَا يُرَى بِعِيَانِ
 وَنَفَى السَّحَابَ وَذَاكَ أَمْرٌ مَانِعٌ
 مِنْ رُؤْيَةِ الْقَمَرَيْنِ فِي ذَا الْآنِ

(١) كلام الله وكلام رسوله استوليا على البيان، فليس هناك أبلغ ولا أبين ولا
 أوضح ولا أفصح من كلام الله وكلام رسوله ﷺ ولا أسلم من التناقض
 والاختلاف من كلام الله ورسوله ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ
 اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

فأتى إذا بالمقتضى ونفى الموا
 نِعَ خَشْيَةَ التَّقْصِيرِ فِي التَّبَيَّانِ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَذَا الَّذِي
 يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا بَيَّانٍ^(١)

(١) لَمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ سَائِلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ:
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ
 اللَّهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا
 رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنكُمْ تَرُونَهُ كَذَلِكَ»^(*).

فهل بعد هذا البيان بيان؟ حيث شبهه، رؤية الله برؤية النيران الشمس والقمر، ولم يشبه المرئي بالمرئي، فهذا غاية البيان والإيضاح من الرسول ﷺ، وهذه الرؤية يوم القيامة، وأمّا في الدنيا فلا يراه أحد من الناس لأنهم لا يتحملون رؤيته لضعفهم وضعف قواهم ومداركهم وأجسامهم، فلو تجلّى لهم ربُّ العزة لهلكوا، وأمّا في الآخرة فإنَّ الله يُعطي المؤمنين قوةً يرون فيها ربَّهم إكراماً لهم لأنهم عبدوه في الدنيا باليقين وهم لم يروه، فيتجلّى لهم يوم القيامة إكراماً لهم وتشريفاً لهم، أمّا الكفار الذين كفروا به فيحرمهم هذه النعمة، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥] وقصد الرسول ﷺ من هذا التشبيه نفي كل الاحتمالات وإثبات أنَّها رؤية حقيقة، فليس بعد هذا البيان بيانٌ أبداً ولا إشكال.

(*) أخرجه أحمد «المستد» ٣٠٣/١٣ (٧٩٢٧)، والبخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢)

(٢٩٩) من حديث أبي هريرة.

ماذا يقولُ القاصِدُ التَّبَيَّنَ يَا

أهلَ العَمَى مِنْ بَعْدِ ذَا التَّبَيَّنِ

فبأيِّ لَفْظٍ جَاءَكُمْ قُلْتُمْ لَهُ

ذَا اللَّفْظِ مَعْرُوفٌ عَنِ الْإِيْقَانِ (١)

وَضَرَبْتُمْ فِي وَجْهِهِ بَعْسَاكِرِ التُّ

تَأْوِيلِ دَفْعاً مِنْكُمْ بِلِيَانِ

لَوْ أَنْكُمْ وَاللَّهِ عَامَلْتُمْ بِذَا

أَهْلَ الْعُلُومِ وَكُتِبَتْ لَهُمْ بِوِزَانِ

فَسَدَتْ تَصَانِيفُ الْوُجُودِ بِأَسْرِهَا

وَعَدَتْ عُلُومُ النَّاسِ ذَاتَ هَوَانِ

هَذَا وَلَيْسُوا فِي بَيَانِ عُلُومِهِمْ

مِثْلَ الرَّسُولِ وَمُنْزِلِ الْقُرْآنِ

وَاللَّهِ لَوْ صَحَّ الَّذِي قَدْ قُلْتُمْ

قُطِعَتْ سَبِيلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

فَالْعَقْلُ لَا يَهْدِي إِلَى تَفْصِيلِهَا

لَكِنَّ مَا جَاءَتْ بِهِ الْوَحْيَانُ (٢)

(١) مع هذا البيان الواضح تقولون: هذا اللفظ لا يُفيد اليقين فخير الرؤية لا يُفيد اليقين.

(٢) أهل السنة والجماعة لا يعزلون العقل تماماً كما تقولهُ الأشاعرة ولا يؤلهونه كما تقولهُ المعتزلة، فالمعتزلة يغفلون في العقل حتى يجعلوه هو =

فإذا غدا التفصيلُ لفظياً ومعاً
 —زُولاَ عَنِ الإيقانِ والرُّجحانِ
 فهُنَاكَ لا عِلْمًا أَفَادَتْ لا ولا
 ظَنًّا وهذا غايَةُ الحِرْمَانِ
 لو صحَّ ذاكَ القولُ لم يحصلُ لنا
 قطعٌ بقولٍ قطُّ من إنسانٍ^(١)
 وغدا التَّخاطُبُ فاسداً وفسادُهُ
 أصلُ الفسادِ لِنوعِ ذا الإنسانِ
 ما كانَ يحصلُ عِلْمُنَا بِشهادَةِ
 ووصيَّةِ كِلا ولا إيمانِ
 وكذلكَ الإقرارُ يَصِحُّ فاسداً
 إِذْ كانَ مُحْتَمِلاً لِسَبْعِ مَعانِ

= المقدم، والأشاعرة يعزلون العقل ويقولون: لا حكم إلا بالشرع، والعقل لا يفيد شيئاً، فيلغون العقول، وأهل السنة يتوسطون: فيقولون: العقل يُستدلُّ به على قدرة الله وعلى استحقاق الله للعبادة لكن لا يستقل بالاستدلال في أمور الآخرة وأمور الأحكام الشرعية، لكنه يدل على الحسن والقبح في الجملة لكن لا يستقل ويُنبنى عليه الحكم وحده فلا بُدَّ من الشرع فأهل السنة يجمعون بين الشرع والعقل.

(١) لو صحَّ ما تقولون: إنَّ كلامَ الله ورسولِهِ لا يفيد اليقين، ما صحَّ لنا كلامٌ في الدنيا، ولفسدت أمور الناس كُلِّها.

وكذا عقود العالمين بأسرها
 باللفظ إذ يتخاطب الرجلان^(١)
 يسوغ للشهدا شهادتهم بها
 من غير علم منهم ببيان^(٢)
 إذ تلوكم الألفاظ غير مفيدة
 للعلم بل للظن ذي الرجحان^(٣)
 بل لا يسوغ لشاهد أبدا شها
 دته على مدلول نطق لسان
 بل لا يراق دم بلفظ الكفر من
 متكلم بالظن والحسبان^(٤)

(١) عقود العالمين بأسرها والنقوض من طلاق وفسخ لا تصح على قولكم لأنها بالألفاظ، والألفاظ عندكم محتملة. فإما أن تحكموا أن جميع هذه الألفاظ لا تصلح ومنها كلامكم، أو تحكموا أن الألفاظ يبنى عليها أحكام وأعظمها كلام الله وكلام رسوله، أما إنكم تتحكمون وتقولون: إن كلام الله ورسوله لا يقيد اليقين، وأما كلام الناس فيقيد اليقين فهذا باطل.

(٢) كيف يشهد الشهود على حقوق الناس وهم إنما يشهدون عليها بالكلام؟

(٣) كيف يشهد الشهود على العقود وإنما هي كلام من طرفين، والكلام يحتمل ولا يقيد العلم عندكم.

(٤) كذلك إذا نطق إنسان بالردة، كأن يسب الله أو يسب رسوله ﷺ أو يسب دين الإسلام لا نحكم عليه، لأن كلامه هذا محتمل ولا ندري ما في =

بَلْ لَا يُبَاحُ الْفَرْجُ بِالْإِذْنِ الَّذِي
هُوَ شَرْطُ صِحَّتِهِ مِنَ النَّسْوَانِ
أَيْسُوغٌ لِلشَّهْدَاءِ جَزْمُهُمْ بِأَنْ
رَضِيَتْ بِلَفْظٍ قَابِلٍ لِمَعَانِ (١)
هَذَا وَجُمْلَةٌ مَا يُقَالُ بِأَنَّهُ
فِي ذَا فَسَادِ الْعَقْلِ وَالْأَدْيَانِ (٢)

= قلبه، فلا يحكم على أحد بردة لمجرد الكلام الذي نطق به، والنبى ﷺ يقول: «من بدل دينه فاقتلوه» (*) فإذا تكلم بسب الله ورسوله والاستهزاء بالقرآن وجب قتله، وهذا كلام عندكم لا يفيد، وهذه قالوها في هذه الأيام حيث ظهر الآن جماعة من المرجئة يقولون: لو سب الله أو الرسول لا يحكم عليه بالردة لأن كلامه محتمل حتى نعلم ما في قلبه، فهذا مأخوذ من هذه القاعدة الفاسدة من المتكلمين.

(١) الشهود يخبرون عن رضا الزوج وعن رضا الزوجة، لأن من شروط صحة عقد النكاح التراضي بين الزوجين، فالذي يثبت لنا التراضي هو الشهادة، وهذا عندكم كلام لا يفيد، وعليه فالعقد باطل، والاستباحة للفرج غير صحيحة عندكم.

(٢) خلاصة ما سبق: أنه يلزم على كلامهم فساد الكلام والأديان جميعاً، هذه كلها لوزام مذهبهم الباطل حيث يقولون: إن نصوص الكتاب والسنة لا يستفاد منها العلم.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣/٣٦٤ (١٨٧١)، والبخاري (٦٩٢٢)، وأبو داود (٤٣٥١)، والترمذي (١٤٥٨) من حديث ابن عباس.

هذا ومنُّ بُهْتَانِهِمْ أَنَّ اللِّغَا
 تِ أَتَتْ بِنَقْلِ الْفَرْدِ وَالْوَحْدَانِ
 فَاَنْظُرْ إِلَى الْأَلْفَاظِ فِي جَرِيَانِهَا
 فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ^(١)
 أَنْظَرْتَهَا تَحْتَاجُ نَقْلًا مُسْنَدًا
 مُتَوَاتِرًا أَوْ نَقْلَ ذِي وَحْدَانٍ^(٢)
 أَمْ قَدْ جَرَتْ مَجْرَى الضَّرُورِيَّاتِ لَا
 تَحْتَاجُ نَقْلًا وَهِيَ ذَاتُ بَيَانٍ^(٣)

(١) هذه مسألة أصولية وهي: هل اللغات توقيفية أو اصطلاحية فإذا كانت اصطلاحية فمعناه: أنها لا تُفِيد شيئاً لأنها من وضع البشر والناس يبنون عليها الآن، يتخاطبون بها وكلُّ بلغته، فيلزم على قولهم فساد اللغة من الأصل لأنها من وضع البشر، وإن قيل: إنها توقيفية من الله، فمن الذي نقلها لنا؟ أليس الذي نقلها أفراد وجماعات، فاللغة منقولة إلينا بالرواية كما في كتب اللغة والنحو.

(٢) يعني اللغة هل لا بُدَّ أن تُنقل متواترة أو يكفي نقل الأفراد؟ إن قلت: إنه لا بُدَّ من التواتر فليس هناك تواتر، وإن قلت: إنه يكفي نقل الأفراد، بطل قولكم إن خبر الواحد لا يفيد العلم.

(٣) هذا القول الثاني أنها اصطلاحية يضعها الناس باصطلاحهم، ولكنَّ القول الأول أَنَّ اللِّغَاتِ تَوْقِيفِيَّةٌ وَأَنَّهَا مِنْ تَعْلِيمِ اللَّهِ لِلْعِبَادِ، هُوَ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ، وَإِذَا كَانَتْ تَوْقِيفِيَّةً فَلَا بُدَّ لَهَا مِنَ النَّقْلِ، وَالنَّقْلُ الْغَالِبُ أَنَّهٗ أَفْرَادٌ وَوَحْدَانٌ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: خَبَرُ الْوَاحِدِ لَا يُفِيدُ شَيْئًا، فَأَبْطَلُوا اللِّغَةَ لِأَنَّهَا مِنْ رِوَايَةِ الْأَفْرَادِ وَالْآحَادِ.

إِلَّا الْأَقْلَّ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ لِلذُّ
نَقْلِ الصَّحِيحِ وَذَلِكَ ذُو تَبْيَانٍ
وَمِنَ الْمَصَائِبِ قَوْلُ قَائِلِهِمْ بِأَنَّ
نَ اللَّهِ أَظْهَرَ لَفْظَةَ بِلِسَانٍ^(١)
وَجِلَافُهُمْ فِيهِ كَثِيرٌ ظَاهِرٌ
عَرَبِيٌّ وَضَعُ ذَلِكَ أَمَ سِرْيَانِي^(٢)

(١) لفظ الجلالة «الله» هو أظهر لفظة في كل الألسن، ثم اختلفوا في لفظ الجلالة «الله»، هل هو لفظ عربي، أو لفظ سرياني، وهل هو مشتق أو جامد؟ وإذا كان مشتقاً فمن أين اشتقاقه، فإذا كان هذا النزاع حصل في لفظ الجلالة الذي هو باتفاقٍ أعظم لفظ تعرفه الأمم، ومع هذا فيه خلاف: هل هو من المشتقات أو الجامدات؟ وإذا كان من المشتقات فما اللفظ الذي اشتق منه؟ فهذا يحدث التشكك حتى في لفظ الجلالة.

(٢) يعني: إذا كان هذا الخلاف جرى في لفظ الجلالة «الله» هل هو عربي أو أعجمي؟ وهل هو مشتق أم جامد؟ فهل هذا الخلاف يؤثر على أن الله رب العالمين؟ لا يؤثر، كذلك الكلام إذا جرى فيه خلاف في اشتقاقه أو جموده أو غير ذلك من الاصطلاحات البلاغية، فهذا لا يؤثر على دلالة على المعنى المطلوب، كما أن هذا الخلاف الذي جرى في لفظ الجلالة لا يؤثر على اعتقاد أن الله جلّ وعلا، هو رب العالمين بلا شك وأنه خالق ومدبر والكون، فالاختلاف في الألفاظ لا يؤثر على معانيها ودلالاتها.

وكذا اختلافهم أمشتقاً يرى
أم جامداً قولان مشهوران
والأصل ماذا فيه خُلفٌ ثابتٌ
عند التَّحَاةِ وذلك ذو ألوان
هذا ولفظُ الله أظهرُ لفظاً
نطق اللسان بها مدى الأزمان
فانظر بحق الله ماذا في الذي
قالوه من لبسٍ ومن بهتانٍ
هل خالف العقلاء أن الله رب
رب العالمين مُدبِّرُ الأَكْوَانِ
ما فيه إجمالٌ ولا هو مُوهِمٌ
نقل المجاز ولا له وُضْعَانِ
والخُلفُ في أحوالِ ذلك اللَّفْظِ لا
في وضعه لم يختلف رجُلان
وإذا همُ اختلفوا بلفظة مَكَّةِ
فيه لهم قولان معروفيان
أفبينهم خُلفٌ بأنَّ مُرادهم
حَرَمُ الإلهِ وقِبْلَةُ البُلدانِ (١)

(١) وكذلك لفظ مكة البلد الحرام، هل هي مشتقة من مك الشيء إذا أهلكه، لأنها تُهلك الجبابة والطغاة، أو هي لفظ جامد؟ هل هذا يؤثر على =

وَإِذَا هُمْ اِخْتَلَفُوا بِلَفْظَةِ أَحْمَدٍ
 فِيهِ لَهُمْ قَوْلَانِ مَذْكَورَانِ
 أَفَبَيْنَهُمْ خُلْفٌ بَأَنَّ مُرَادَهُمْ
 مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ذُو الْبُرْهَانِ
 وَنَظِيرُ هَذَا لَيْسَ يُخَصَّرُ كَثْرَةً
 يَا قَوْمُ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ
 أَمْثَلِ ذَا الْهَدْيَانِ عَزَلْتُ نَصُو
 صُ الْوَحْيِ عَنِ عِلْمٍ وَعَنِ إِيقَانٍ^(١)
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُعَافِي عَبْدَهُ
 مِمَّا بَلَائِكُمْ يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ
 فَلْأَجَلِ ذَا نَبَذُوا الْكِتَابَ وَرَاءَهُمْ
 وَمَضُوا عَلَى آثَارِ كُلِّ مُهَانَ^(٢)

= المقصود بها أنها مكة وأنها أم القرى وأنها البلد الحرام، فالخلاف في لفظها لا يؤثر على حقيقتها؟

(١) يعني بمثل هذه الاختلافات في الألفاظ واللغات والمسميات تُعزل النصوص عن مدلولاتها، وهذا باطل.

(٢) لأجل هذا المذهب الباطل: أن الألفاظ لا تفيد العلم نظراً للاختلاف الذي قيل فيها، نبذوا الكتاب والسنة، لأن ألفاظهما ألفاظ ظواهر لا تفيد اليقين عندهم واعتمدوا على علم الكلام والمنطق فاستبدلوا الذي هو أذى بالذي هو خير.

ولأجل ذلك غدّوا على السنن التي

جاءت وأهليها ذوي أضغان^(١)

يرمونها كذباً بكلّ عظمة

حاشاهم من إفك ذي بهتان

* * *

(١) الأضغان جمع ضغن: وهو الحقد، فصاروا يحقدون على علماء السنة

ورواة الحديث لأنهم يجادلونهم بالكتاب والسنة.

ويناظرونهم بهما، فهم خصموهم بالنصوص التي لم يجدوا منها

مخرجاً، فلذلك صاروا يحقدون على أهل السنة لأنهم أفسدوا عليهم

منهجهم ومذهبهم، وهكذا كل صاحب ضلالة فإنه يحقد على أهل الحق

لأن أهل الحق يفضحون ضلالته ويبيّنون مخازيه.

فصل

في تنزيه أهل الحديث وحملة الشريعة

عن الألقاب القبيحة والشنيعه^(١)

فَرَمَوْهُمْ بَغِيَاءَ بِمَا الرّامِي بِهِ
 أَوْلَىٰ لِيَدْفَعَ عَنْهُ فِعْلَ الْجَانِي
 يرمي البريء بما جناهُ مُبَاهِتاً
 وَلِذَاكَ عِنْدَ الْغِرِّ يَشْتَبِهَانِ^(٢)
 سَمَّوْهُمْ حَشْوِيَّةً وَنَوَابِتاً
 وَمُجَسِّمِينَ وَعَابِدِي أَوْثَانِ^(٣)

-
- (١) لما ختم الفصل السابق بأنَّ خصوم الحق لما أعيأهم الرد بالحجة لجؤوا إلى الألقاب التي يُلقَّبون بها أهل الحق، عقد هذا الفصل لردِّ هذه الفرية، وأنَّ أهل الحق بريئون من هذه الألقاب وأنَّها بمن وضعها ألصق، فهم يُلقَّبون أهل الحق بألقاب تنطبق عليهم هم.
- (٢) رموهم بغياً بما الأجدربه الرامي لهم لأنه يرمي البريء بما ليس فيه، فيُصدِّقُه ذلك الغرُّ الذي لا يدري، فيكون في نفسه حقد على أهل الحق، وتؤثر فيه هذه التهمة، فأما العالم والمُدرك فإنه لا تنطلي عليه هذه الخديعة.
- (٣) رموا أهل الحق بهذه الألقاب بأنهم الحشوية: الذين لا يفهمون شيئاً، فهم حشوء في الوجود، فوجودهم كعدمهم، تقول: هذا كلامٌ حشو ليس فيه فائدة، فعندهم: أنَّ علماء أهل السنة من هذا النوع، حشو في الوجود ليس عندهم إدراك ولا معرفة، وهذا من أجل التنفير عنهم، وفي الحقيقة =

وكذلك أعداء الرسول وصحبه

وهم الروافضُ أخبثُ الحيوانِ

نصَّبُوا العداوةَ للصحابةِ ثمَّ سمَّ

مَوْاً بالنواصبِ شيعةَ الرَحْمَنِ (١)

أنَّ أهل الضلال هم الحشوية، لأنهم هم الذين ليس فيهم فائدة، لأنهم لما تركوا الكتاب والسنة صاروا حشواً في الوجود لا فائدة منهم، وسمَّوا أهل نوابت: يعني حدثاء لم يسبق لهم خبرة ولا معرفة وإنما هم جديدون على العلم ومعرفة الحقائق لم يتبصروا فيها، وسموهم مُجسِّمة لأنهم يشتون الصفات، ومُثبت الصفات عندهم مُجسِّم، وسموهم عابدي أو ثان: فيقولون: من وصف الله بأسمائه وصفاته فقد شَبَّههُ بالمخلوقين فيكون كمن يعبد صنماً، لأنَّ هذه الأسماء والصفات إنَّما تنطبق على المخلوقين فكأنَّهم يعبدون مخلوقاً، والله تعالى عندهم ليس له اسم ولا صفة، فنحن نقول لهم: وأنتم تعبدون عدماً، لأنَّ الذي ليس له أسماء ولا صفات معناه أنه معدوم، وهذا في معتقد الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن نحا نحوهم، ونقول لهم: إن أسماء الخالق وصفاته لا تشبه أسماء وصفات المخلوق.

(١) الروافض يسئون كل من لم يذهب مذهبهم في بغض الصحابة وتكفير أبي بكر وعمر يسئونهم نواصب، فيسمون أهل السنة بالنواصب يقولون: لأنهم نصبوا العداوة لعلي فكل من لم يتبرأ من أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة فإنه يكون عدواً لعلي، والواقع أن الصحابة كلهم إخوة متحابون في الله عز وجل متناصرين، وفي مقدمتهم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر عثمان وعلي وأهل السنة يحبون الجميع ولا يعادون أحداً من الصحابة. وإنما هذه صفة أهل الضلال الذين يفرقون بين الصحابة فيوالون بعضهم ويبغضون البعض الآخر منهم.

وكذا المعطَّلُ شَبَّهُ الرَّحْمَنُ بِالْ

مَعْدُومِ فَاجْتَمَعَتْ لَهُ الْوَصْفَانِ (١)

وَكَذَاكَ شَبَّهُ قَوْلَهُ بِكَلَامِنَا

حَتَّى نَفَاهُ وَذَانِ تَشْبِيهِانِ (٢)

وَكَذَاكَ شَبَّهُ وَصَفَهُ بِصِفَاتِنَا

حَتَّى نَفَاهَا عَنْهُ بِالْبُهْتَانِ (٣)

وَأَتَى إِلَى وَصْفِ الرَّسُولِ لِرَبِّهِ

سَمَاءً تَشْبِيهًا فَيَا إِخْوَانِي (٤)

(١) شَبَّهُ الْمَعَطَّلُ الرَّبَّ بِالْمَعْدُومِ، لِأَنَّ الَّذِي لَيْسَ لَهُ أَسْمَاءٌ وَلَا صِفَاتٌ هُوَ الْمَعْدُومُ، فَاجْتَمَعَ لَكُمْ التَّشْبِيهِ بِالْمَعْدُومِ وَالتَّعْطِيلُ لِلصِّفَاتِ.

(٢) الْجَهْمِيَّةُ شَبَّهُوا كَلَامَ اللَّهِ بِكَلَامِ خَلْقِهِ، وَلِذَلِكَ نَفَوْا الْكَلَامَ عَنِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا لئَلَّا يَقْتَضِيَ التَّشْبِيهِ عِنْدَهُمْ.

(٣) يَقْلِبُ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ لِأَنَّهُمْ هُمْ يَقُولُونَ: أَهْلُ السَّنَةِ مُشَبَّهَةٌ لِأَنَّهُمْ أُبْتُوا الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ لِلَّهِ، وَإِبَاتُهَا يَقْتَضِي التَّشْبِيهِ بِزَعْمِهِمْ، وَنَحْنُ نَقُولُ: أَنْتُمْ الَّذِينَ شَبَّهْتُمْ اللَّهَ لِأَنَّهُ مَا وَقَعَ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ إِلَّا مَا هُوَ يَشْبَهُ صِفَاتٍ وَأَسْمَاءَ الْمَخْلُوقِينَ، فَلِذَلِكَ نَفَيْتُمُوهَا فَجَمَعْتُمْ بَيْنَ التَّشْبِيهِ وَبَيْنَ التَّعْطِيلِ، شَبَّهْتُمْ أَوْلَى ثُمَّ عَطَلْتُمْ ثَانِيًا، فَهَمَّ مَا نَفَوْا الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ عَنِ اللَّهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ شَبَّهُوا بِخَلْقِهِ.

(٤) وَصَفُوا الرَّسُولَ ﷺ بِأَنَّهُ مُشَبَّهُ لِأَنَّهُ وَصَفَ اللَّهُ بِهِذِهِ الصِّفَاتِ وَسَمَاءً بِهِذِهِ الْأَسْمَاءِ فَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَى قَوْلِهِمْ مُشَبَّهًُا.

بِاللَّهِ مَنْ أَوْلَىٰ بِهَذَا الْإِسْمِ مِنْ
 هَذَا الْخَبِيثِ الْمُخْبِثِ الشَّيْطَانِي
 إِنْ كَانَ تَشْبِيهًا ثُبُوتُ صِفَاتِهِ
 سُبْحَانَهُ أَكْمَلُ بِهِ ذِي شَانٍ (١)
 لَكِنَّ نَفْسِي صِفَاتِهِ تَشْبِيهُهُ
 بِالْجَامِدَاتِ وَكُلِّ ذِي نُقْصَانٍ (٢)
 بَلْ بِالَّذِي هُوَ غَيْرُ شَيْءٍ وَهُوَ مَعَهُ
 دُومٌ وَإِنْ يُفَرِّضُ فِي الْأَذْهَانِ
 فَمَنْ الْمُشَبَّهِ بِالْحَقِيقَةِ أَنْتُمْ
 أَمْ مُثَبَّتُ الْأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ (٣)

* * *

-
- (١) إِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ تَشْبِيهًا فَتَحْنُ مُشَبَّهَةٌ وَرَضِينَا بِهَذَا اللَّقْبِ .
 (٢) لَكِنَّ التَّشْبِيهَ الْحَقِيقِيَّ حَصَلَ عِنْدَكُمْ أَنْتُمْ ، لِأَنَّكُمْ مَا وَقَعَ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ
 هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ إِلَّا مَا فِي الْخَلْقِ فَشَبَّهْتُمُوهُ بِخَلْقِهِ ثُمَّ عَطَلْتُمُوهُ مِنْ
 أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ، فَمَنْ هُوَ الْمُشَبَّهُ إِذَا؟
 (٣) وَهَذَا مِنْهُمْ تَشْبِيهٌ آخَرٌ : إِنَّهُمْ لَمَّا نَفَّسُوا وَعَطَّلُوا شَبَّهُوا اللَّهَ بِالْجَامِدَاتِ
 وَالْمَعْدُومَاتِ ، وَهَذَا أَقْبَحُ التَّشْبِيهِ فَتَبَيَّنَ أَنَّكُمْ شَبَّهْتُمْ اللَّهَ أَقْبَحَ التَّشْبِيهِ حَيْثُ
 شَبَّهْتُمْ بِالْجَامِدَاتِ وَالنَّاقِصَاتِ .

فصل

في نكتةٍ بديعةٍ تُبَيِّنُ ميراثَ الملَّقبين
والمَلَّقبين من المشركين والموحدين

هذا وثمَّ لطيْفَةٌ عَجَبٌ سَأَبُ
ـديها لَكُمْ يا معشرَ الإخوانِ
فاسمِعْ فذاك مُعْطَلٌ ومُشَبَّهٌ
واعْقِلْ فذاك حَقِيقَةُ الإنسانِ
لا بُدَّ أنْ يَرِثَ الرسولَ وَضِدَّهُ
في الناسِ طائفتانِ مختلفانِ
فالوارثونَ له علىٰ منْهَاجِهِ
والسوارثونَ لِضِدِّهِ ففتانِ
إحداهُما حَرَبٌ له ولحزبِهِ
ما عندَهُمْ في ذاكٍ مِنْ كِتْمَانٍ^(١)

(١) يقول: إِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ لَهُمْ وَرَثَةٌ، وَأَهْلَ الْبَاطِلِ لَهُمْ وَرَثَةٌ، فَأَهْلُ الْبَاطِلِ مِنْ قَبْلِ وَهْمِ الْمُشْرِكِينَ لَقَبُوا رَسُولَ اللَّهِ بِأَنَّهُ الْمُذْمَمُ، وَأَنَّهُ سَاحِرٌ وَكَاهِنٌ فَوَرِثَهُمْ هَؤُلَاءِ الْجَهْمِيَّةُ وَأَتْبَاعُهُمْ فَلَقَبُوا أَتْبَاعَ الرَّسُولِ ﷺ بِأَنَّهُمْ حَشْوِيَّةٌ، مُجَسِّمَةٌ، نَوَابِتٌ، مُشَبَّهَةٌ، وَفِي الْوَأَقِعِ أَنَّ هَذِهِ الْأَلْقَابَ تَنْطَبِقُ عَلَىٰ مَنْ قَالَهَا وَلَا تَنْطَبِقُ عَلَىٰ مَنْ قِيلَتْ فِيهِ، كَمَا كَانَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ سِوَاءَ بِسِوَاءٍ.

فَرَمَوْهُ مِنْ أَلْقَابِهِمْ بِعِظَائِمٍ
هُمُ أَهْلُهَا لَا خَيْرَ الرَّحْمَنِ
فَأَتَى الْأَوْلَىٰ وَرِثُوهُمْ فَرَمَوْا بِهَا
وُزَائِنَهُ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ
هَذَا يُحَقِّقُ إِرْثَ كُلِّ مِنْهُمَا
فَاسْمِعْ وَعِهِ يَا مَنْ لَهُ أُذُنَانِ
وَالْآخَرُونَ أَوْلُوا النِّفَاقِ فَأَضْمَرُوا
شَيْئاً وَقَالُوا غَيْرَهُ بِلِسَانِ (١)
وَكَذَا الْمُعْطَلُ مُضْمِرٌ تَعْطِيلُهُ
قَدْ أَظْهَرَ التَّنْزِيهَ لِلرَّحْمَنِ
هَذِي مَوَارِيثُ الْعِبَادِ تَقَسَّمَتْ
بَيْنَ الطَّوَائِفِ قِسْمَةَ الْمَنَانِ

(١) الذين عادوا الرسول ﷺ في وقته انقسموا إلى قسمين: كفار صُرحاء، صرَّحُوا بالعداوة والسبِّ والشتم للرسول ﷺ، وقسمٌ ثانٍ: أظهرُوا الإسلام، وهم أعداء للإسلام وللرسول، وهم المنافقون يأتون بالفاظ معسولة وفي قلوبهم الحقد على الرسول وأصحابه، وإذا سنحت فرصة أظهرُوا ما عندهم من الكفر والضلال، فأعداء الرسول على طائفتين: كفار ومنافقون، كذلك أعداء أهل السنة مُصرِّحُونَ بالعداوة ويقولون ما شأؤوا من الألقاب، وطائفةٌ منافقة تُظهر الولاء والمحبة لأهل السنة ولكنهم فيما بينهم وإذا سنحت لهم الفرصة ترميهم بالعظائم.

هذا وثم لطيفةٌ أُخرى بها
 سُلوَانٌ مَنْ قَدْ سُبَّ بِالْبُهْتَانِ
 تَجِدُ الْمُعْطَلَ لَاعِنًا لِمُجَسِّمِ
 وَمُشَبَّهِهِ اللهُ بِالْإِنْسَانِ
 وَاللهُ يَصْرِفُ ذَاكَ عَنْ أَهْلِ الْهُدَى
 كُمَحَمَّدٍ وَمُذَمَّمِ إِسْمَانِ
 هُمْ يَشْتُمُونَ مُذَمَّمًا وَمُحَمَّدًا
 عَنْ شَتْمِهِمْ فِي مَعَزِلِ وَصِيَانِ
 صَانَ الْإِلَهُ مُحَمَّدًا عَنْ شَتْمِهِمْ
 فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى هُمَا صِنَوَانِ
 كصِيَانَةِ الْأَتْبَاعِ عَنْ شَتْمِ الْمُعْطَلِ
 طِلِّ لِلْمُشَبَّهِ هَكَذَا الْإِرْتِنَانِ
 وَالسَّبُّ مَرْجِعُهُ إِلَيْهِمْ إِذْ هُمْ
 أَهْلٌ لِكُلِّ مَذَمَّةٍ وَهَوَانِ
 وَكَذَا الْمُعْطَلُ يَلْعَنُ اسْمَ مُشَبَّهِهِ
 وَاسْمُ الْمُوَحَّدِ فِي حِمَى الرَّحْمَنِ
 هَذَا حِسَانٌ عَرَائِسٍ زُقَّتْ لَكُمْ
 وَلَدَى الْمُعْطَلِ هُنَّ غَيْرُ حِسَانِ
 وَالْعِلْمُ يَدْخُلُ قَلْبَ كُلِّ مُوَفَّقِي
 مِنْ غَيْرِ أَبْوَابٍ وَلَا اسْتِئْذَانِ

وَيَرُدُّهُ الْمَحْرُومَ مِنْ خِذْلَانِهِ
 لَا تُشْقِنَا اللَّهُمَّ بِالْحَرَمَانِ
 يَا فِرْقَةً نَفَتِ الْإِلَهَ وَقَوْلَهُ
 وَعُلُوَّهُ بِالْجَحْدِ وَالْكَفْرَانِ
 مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ فَرَبِّي عَالِمٌ
 بِسَرَائِرِ مِنْكُمْ وَخُبُثِ جَنَانِ
 فَاللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ
 وَرَسُولِهِ بِالْعِلْمِ وَالسُّلْطَانِ
 وَالْحَقُّ رُكْنٌ لَا يَقُومُ لَهُدَّهِ
 أَحَدٌ وَلَوْ جُمِعَتْ لَهُ الثَّقَلَانِ
 تَوْبُوا إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ تَعْطِيلِكُمْ
 فَالرَّبُّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ النَّدْمَانِ
 مَنْ تَابَ مِنْكُمْ فَالْجَنَانُ مَصِيرُهُ
 أَوْ مَاتَ جَهْمِيًّا فِي النَّيْرَانِ

* * *

فصل

في بيان اقتضاء التجهُّم والجبر والإرجاء

للخروج عن جميع ديانات الأنبياء^(١)

(١) هذا الفصل يُبيِّن فيه الشيخ رحمه الله ما يترتب على هذه المذاهب الثلاثة

الضالة وهي: الجبر والإرجاء والتجهُّم. والجبر: عند القدرية الذين يقولون: إنَّ العبد مُجبر على أفعاله ليس له اختيار، وأنَّه يفعل الطاعات والمعاصي بغير اختياره، مُحرَّك ليس له إرادة ولا مشيئة ولا اختيار، وإنَّما يتحرَّك بحسب القضاء والقدر، فحملوا على القضاء والقدر كلَّ أفعالهم ونسبوا إلى الله، وبرَّؤوا أنفسهم منها، وعلى هذا ليس عليهم لوم ولا مؤاخذة، وإذا عدَّ بهم عليها فقد عدَّ بهم على ما أجبرهم عليه، بل إنَّ بعضهم يزيد ويقول: أفعالي كلُّها طاعات فيقول:

أصبحتُ منفعلًا لما يختارُهُ مِنِّي ففعلي كلُّه طاعات

هذا قول الجبرية، وهو كفرٌ واضح حيث إنَّهم لم يجعلوا أحدًا مؤاخذاً على أفعاله مهما فعل، وهذا لا شكَّ في بطلانه.

والإرجاء أخبث من الجبر، والمرجىء هو الذي يقول: إذا اعترف العبد بوجود الله وربوبيته فهذا يكفي في الإيمان، ولو فعل ما فعل من الكفر والإلحاد والمعاصي، ما دام أنَّه لم يكذب بربوبية الله وألوهيته فإنَّه مؤمن كامل الإيمان، وسَمُّوا مرجئة لأنَّهم أرجؤوا الأعمال يعني: أخروها عن مسمَّى الإيمان، وهذا كفرٌ واضح، فمن سبَّ الله ورسوله وسجد للصنم وفعل ما فعل من أنواع الكفر وداس المصاحف، ما دام أنَّه =

وَأَسْمَعُ وَعِيَهُ سِرّاً عَجِيباً كَانَ مَكّاً

تُوماً مِنَ الْأَقْوَامِ مُنْذُ زَمَانٍ

=
يؤمن بالله ورسوله ولم يكذبهما فأفعاله معاص فقط لا تخرجه من الدين،
وعندهم الكفر هو التكذيب فقط، والإيمان هو التصديق فقط، وهذا
المذهب ظهر الآن على السنة بعض المتعالمين، يقولون: الكفر هو
التكذيب فقط، وأمّا الأفعال والأقوال فإنها لا تضر ما دام أنّ القلب
مُصدّق حتى لو سبَّ الله ورسوله، وهو ليس بمكذب لهما، وهذا مذهب
واضح البطلان، لكن لعل هؤلاء المتعالمين ما فطنوا لهذا القول، ولا
عرفوا مدى خبثه لجهلهم، لأنهم لم يتعلموا وإنّما أخذوا علمهم من
الأوراق ومطالعات الكتب، ولم يجلسوا في مجالس العلماء ويتعلّموا
مذهب أهل السنة والجماعة ويفهموه، إنّما عكفوا على أوراق
يُطالعونها، وظنّوا أنّهم على هذا يكونون علماء، وهذه مصيبة على
الإسلام، أمّا التجهم فهو مذهب الجهم بن صفوان، وهو نفي الأسماء
والصفات والجبر والإرجاء فهو يجمع المذاهب الخبيثة كلها، فإذا
تجمّعت هذه المذاهب الثلاثة في رجل لم يبق عنده من الإيمان حية
خردل، وخرج من الدين بالكلية - والعياذ بالله - لأنّه ليس عنده التوحيد
الذي هو أصل الدين، وليس عنده إيمان بالقضاء والقدر الذي هو ركن
عظيم من أركان الإيمان، وليس عنده حقيقة الإيمان الذي هو قول وعمل
واعتماد يزيد وينقص، فعندهم الكفر هو التكذيب فمن كذّب بقلبه فهو
الكافر، وإن صدق بقلبه فهو المؤمن ولو فعل ما فعل من الأفعال
الوخيمة والكفريات ونواقض الإسلام، وبهذا تعرفون خبث هذه
المذاهب.

فأذعته بعد اللتيا والتي

نُصْحاً وَخَوْفَ مَعَرَّةِ الْكُتْمَانِ^(١)

جِيمٌ وَجِيمٌ ثُمَّ جِيمٌ مَعَهُمَا

مَقْرُونَةٌ مَعَ أَحْرَفِ بِيُوزَانَ^(٢)

فِيهَا لَدَى الْأَقْوَامِ طَلَسُمٌ مَتَى

تَحْلُلُهُ تَحْلُلُ ذِرْوَةَ الْعِرْفَانِ

فَإِذَا رَأَيْتَ الثَّوْرَ فِيهِ تَقَارَنَ أَلْ

جِيمَاتٌ بِالتَّثْلِيثِ شَرَّ قِرَانِ^(٣)

دَلَّتْ عَلَى أَنَّ النُّحُوسَ جَمِيعَهَا

سَهْمٌ الَّذِي قَدْ فَازَ بِالْخِذْلَانِ^(٤)

(١) هذا المعنى كان متقدراً في نفس الشيخ منذ زمن أن هذه المذاهب إذا تجمعت أخرجت صاحبها من الإيمان، فتردد بين إظهاره وعدمه، إلا أنه من باب النصيحة أظهره وبينه، وهو - والله - في غاية البيان والتحقيق، فإذا تأملته وجدته - رحمه الله - قد نصح المسلمين نصيحة عظيمة، وحثهم من هذه المذاهب الخبيثة الثلاثة التي هي أصل البلاء.

(٢) أي جيم: جبر، وجيم: تجهم، وجيم: إرجاء، فإذا تجمعت هذه المذاهب الثلاثة فقد اجتمع الكفر كله.

(٣) إذا رأيت رجلاً تجمعت فيه هذه الجيمات فهو ثور من البشر لأنه ليس عنده عقل ولا تفكير فيصبح مثل البهائم.

(٤) وتجمعت فيه النحوس وهي الشرور، وأي شر أعظم من الكفر المتنوع.

جبر وإرجاء وجميع تجهم

فتأمل المجموع في الميزان

فاحكم بطالعها لمن حصلت له

بخلصه من ربقة الإيمان^(١)

فاحمل على الأقدار ذنبك كله

حمل الجدوع على قوى الجدران^(٢)

(١) لأنه لا يكون عنده إيمان بالقضاء والقدر ولا بالتوحيد ولا بحقيقة الإيمان الذي بعث الله به رسوله، فإذا تجمعت فيه هذه المذاهب لم يبق فيه خير قط.

(٢) يقول الجبري: أنت تفعل شيئاً ليس باختيارك لأنك مجبرٌ عليه، فلا لوم عليك وهذا هو الاحتجاج بالقضاء والقدر على فعل المعاصي؛ وهذا باطل لأنه إنما يحتج بالقضاء والقدر على فعل المصائب التي تنزل عليه وليس له فيها قدرة ولا اختيار، أمّا الأفعال الاختيارية فهي أفعاله يُعاقب عليها ويؤاخذ عليها، فهو قد أتاها عن اختيار وقدرة ومشئته، وهو يعرف أنها شر ويقدر على تركها. والمؤمن والكافر والزاني والشارب والبر والفاجر، هو الذي يُسمى بتلك الأسماء ولا يقال: هذا هو القضاء والقدر. بل يُسمى بهذه الأسماء من فعل تلك الأفعال وهذا بإجماع الديانات السماوية قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِرْتُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] فنسب الإيمان والكفر إلينا، فنحن الذين نفعل هذه الأفعال، وأمّا القضاء والقدر فهو إلى الله تعالى ليس لنا فيه بحث، وهما من أفعال الله تعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وهو مع هذا أمرنا ونهانا =

وافتَحْ لِنَفْسِكَ بَابَ عُدْرٍ إِذْ تَرَى الْ

أَفْعَالَ فِعْلَ الْخَالِقِ الدِّيَانِ^(١)

فَالْجِبْرُ يُشْهِدُكَ الذَّنُوبَ جَمِيعَهَا

مِثْلَ ارْتِعَاشِ الشَّيْخِ ذِي الرَّجْفَانِ^(٢)

لَا فَاعِلٌ أَبَدًا وَلَا هُوَ قَادِرٌ

كَالْمَيْتِ أُدْرَجَ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ

وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ اللَّذَانِ تَوَجَّهَا

فَهُمَا كَأَمْرِ الْعَبْدِ بِالطَّيْرَانِ^(٣)

وَكَأَمْرِهِ الْأَعْمَى بِنَقْطِ مَصَاحِفِ

أَوْ شَكْلِهَا حَذْرًا مِنَ الْأَلْحَانِ^(٤)

= وأعطانا القدرة على الفعل والترك، وأعطانا معرفة الطيب من الخبيث، فلم يترك لنا حُجَّةَ سبحانه وتعالى.

(١) تقول: هذه ليست أفعالي، وإنما هذه أفعال الله، هو الذي خلقها، فُتْسَدُ أفعالكَ إلى الله تعالى، بدل أن تتوب وتستغفر وتعترف بخطئك، تعذر نفسك وتُسند هذه الأفعال إلى الله.

(٢) الجبرُ يعفيك من الذنوب كُلِّها، ويجعلك مثل المرتعش بدون اختياره، مثل ارتعاش الشيخ الكبير الذي يرتعش بدون اختياره.

(٣) على مذهب الجبر يكون الأمر والنهي الذي أمر الله به ونهى عنه من المستحيل تحقيقه، وهو مثل أمر العبد بالطيران بنفسه.

(٤) وكما تأمر أعمى بنقط المصاحف أو بضبطها بالتشكيل من علامات الرفع والنصب، والخفض والسكون، فأنت تكلفه بالمستحيل.

وإذا ارتفعتْ دُرَيْجَةٌ أُخْرَى رَأَى

تَ الْكُلِّ طَاعَاتٍ بِلَا عَصِيَانٍ^(١)

إِنْ قِيلَ قَدْ خَالَفْتَ أَمْرَ الشَّرْعِ قُلْ

لَكِنْ أَطَعْتُ إِرَادَةَ الرَّحْمَنِ

وَمُطِيعُ أَمْرِ اللَّهِ مِثْلُ مُطِيعِ مَا

يَقْضِي بِهِ وَكِلَاهُمَا عَبْدَانِ

عَبْدُ الْأَمْرِ مِثْلُ عَبْدِ مَشِيئَةٍ

عِنْدَ الْمُحَقِّقِ لَيْسَ يَقْتَرِفَانِ^(٢)

فَانظُرْ إِلَى مَا قَادَتِ الْجِيْمُ الَّذِي

لِلْجَبْرِ مِنْ كُفْرٍ وَمِنْ بُهْتَانِ

(١) يرتفع غلاة المرجئة فيجعلون كل الأفعال طاعات، يقولون: إن خالفنا الأمر فقد وافقنا القضاء والقدر، أي: خالفنا أمره وأطعنا قدره ومشيبته، ولذا يقول شاعرهم:

أصبحتُ منفعلاً لما يختاره مني ففعلي كُله طاعات

(٢) لا فرق عند المرجئة بين القضاء والقدر وبين الشرع فهما شيء واحد من أطاع أحدهما فقد أطاع الله - تعالى الله عما يقولون - فالله تعالى جعل للأشياء أسباباً فإذا عطلت الأسباب تعطلت المسببات، فكذلك الأعمال أسباب للسعادة أو الشقاوة، والفطر السليمة كذلك تأمر باتخاذ الأسباب.

وكذلك الإرجاء حين تُقَرَّبُ بأُ

معبودٍ تُصْبِحُ كَامِلَ الإِيمَانِ^(١)

فَارِمُ المصاحِفَ فِي الحُشُوشِ وَخَرَّبَ أَلْ

بَيْتَ العَتِيقَ وَجِدَّ فِي العَصِيانِ^(٢)

(١) الإرجاء تقدم أن معناه: أنه تأخيرُ الأعمال عن حقيقة الإيمان فلا مدخل لها في حقيقة الإيمان. والكفر عندهم هو التكذيب، إذا كذب برؤية الله أو بالرسالة فهو كافر، والإيمان عندهم هو التصديق فقط، وأمَّا الأعمال فلا تدخل في حقيقة الإيمان، فلو سجد للصنم أو سبَّ الله ورسوله أو داس المصحف فهو ليس بكافر حتى يُكذَّب بقلبه، فمجرَّد أقواله وأفعاله لا تدلُّ على كفره، هذا مذهب غلاة المرجئة، ويُظهِرُه بعض المتعالمين اليوم ولا حول ولا قوة إلا بالله، وسبب وقوعهم فيه هو الجهل، لأنَّهم لم يتعلَّموا العقيدة ويأخذوها عن العلماء، وإنَّما أخذوها من أوراق ومن دفاتر، ولم يعرفوا أصول الدين والإيمان، وكون الإنسان يتعلَّم من الكتب أو على الجُهَّال والمتعالمين يوقع في هذا الخطر، والمشكلة أنَّهم يؤثرون على شباب المسلمين.

(٢) عند المرجئة لو فعلت أشنع الكفر فلن يضرَّك، حتى لو رميت المصاحف في الحشوش وهي: مواضع قضاء الحاجة، عند المرجئة: هذا خطأ ومحرم ولا يصل إلى الكفر ما دمت أنَّك مصدِّقٌ بقلبك، فلو هدمت الكعبة المشرفة فأنت من أهل الإيمان الكامل، وهذا يعتبر مخالفة ومعصية ولا يعتبر كفراً حتى يصدر عن تكذيب بالقلب.

وَأَقْتُلْ إِذَا مَا اسْطَغْتِ كُلَّ مُوَحِّدٍ

وَتَمَسَّحَنْ بِالْقُسِّ وَالصُّلْبَانِ^(١)

وَاشْتُمُّ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ أَتَوْا

مِنْ عِنْدِهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانٍ^(٢)

وَإِذَا رَأَيْتَ حِجَارَةً فَاسْجُدْ لَهَا

بَلْ خِسرٌ لِلْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ^(٣)

(١) عند المرجئة اقتل من شئت من أهل الإيمان والعلماء فهذا يعتبر مخالفة فقط، ما دام أنه لم يصدر عن تكذيب فليس بكفر، وتمسح بالصلبان وهي معبودات النصارى، والقسوس وهم رؤساء النصارى، يعني اعتنق دين النصارى ما دام أنك مؤمن ومصداق بقلبك فلا يضرك أن ترى صحة ما عليه النصارى واليهود والمجوس وجميع طوائف الكفر.

(٢) يقول: عند المرجئة لو شتمت الرسل لا يعتبر هذا كفراً، ما دام أنك تصدق الرسل، ولو شتمتهم فهذا يعتبر سوء أدب معهم ولا يعتبر كفراً عندهم مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، كفرهم بكلمة قالوها على وجه المزح واللعب، وهؤلاء يقولون: لا يعتبر ذلك كفراً، ما دام أنهم مُصدقون بقلوبهم فلا يكفرون، هذا مذهب الإرجاء وهذه ثمراته الخبيثة، إنه لا يكفر أحد على وجه الأرض حتى يكذب بقلبه.

(٣) يقول المرجئة ما دام أنك تؤمن بربوبية الله وتصدق الرسول بقلبك فلو سجدت للصنم أو ذبحت للقبور فليست بكافر، والذين يدعون الأولياء والصالحين ويستغيثون بهم ليسوا كفاراً ما داموا يُصدقون بقلوبهم، فهذه =

وَأَقْرَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ
هُوَ وَحْدَهُ الْبَارِي لِذِي الْأَكْوَانِ (١)
وَأَقْرَأَنَّ رَسُولَهُ حَقًّا أَتَى
مِنْ عِنْدِهِ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ (٢)
فَتَكُونُ حَقًّا مُؤْمِنًا وَجَمِيعُ ذَا
وِزْرٌ عَلَيْكَ وَلَيْسَ بِالْكَفْرَانِ (٣)
هَذَا هُوَ الْإِرْجَاءُ عِنْدَ غُلَاتِهِمْ
مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ أَخِي الشَّيْطَانِ (٤)

= الأعمال ليست كفرًا لأنَّ الكفر هو التكذيب بالقلب، هذا مذهب الإرجاء وما يترتب عليه من الضلال والشر، وهو بذرة خبيثة.

(١) يقول المرجئة لو فعلت هذه الأفعال كُلُّهَا فإنك لا تكفر بشرط أن تكون مُقْرَأً بقلبك فلست بكافر فاعترف بتوحيد الربوبية وأنَّ الله هو الباري لهذه الأكوان كي تكون مؤمنًا، وهذه الأفعال والأقوال الشركية والكفرية لا تضرُّك ولا تقدرح في إيمانك، هذه مخالفات فقط وإساءة أدب.

(٢) يقول المرجئة: إذا كنت مُقْرَأً للرسول ﷺ بالرسالة تكون مؤمنًا بهذا الإقرار ولو لم تعمل شيئاً.

(٣) أي إذا أقررت بالله ورسوله تكون مؤمنًا حقًا ولو قُلْتَ وفعلت الكفر والشرك والإلحاد، هذه الأفعال والأقوال لا تضرُّك.

(٤) هذا هو الإرجاء والمرجئة أربع طوائف:

الطائفة الأولى: غلاة المرجئة، وهم هؤلاء الجهمية الذين يقولون:

الإيمان مجرد المعرفة.

الطائفة الثانية: الأشاعرة وهم الذين يقولون: الإيمان هو التصديق

بالقلب فقط ولو لم ينطق بلسانه لا مجرد المعرفة.

فَأُضِيفَ إِلَى الْجِيمِينَ جِيمَ تَجَهُمِ
 وَأَنْفِ الصِّفَاتِ وَأَلْقَى بِالْأَرْسَانِ^(١)
 قُلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ رَبٌّ عَالِمٌ
 بِسِرَائِرٍ مِنَّا وَلَا إِعْلَانِ
 بَلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو سَمْعٍ وَلَا
 بَصَرٍ وَلَا عَزْدٍ وَلَا إِحْسَانِ
 قُلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ مَعْبُودٌ سِوَى اللَّهِ
 عَدَمَ الَّذِي لَا شَيْءَ فِي الْأَعْيَانِ^(٢)
 بَلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ مِنْ مُتَكَلِّمٍ
 بِأَمْرِ وَزَوَاجِرٍ وَقُرْآنِ
 كَلًّا وَلَا كَلِمٍ إِلَيْهِ صَاعِدٌ
 أَبْدَأَ وَلَا عَمَلٌ لَدِي شُكْرَانِ

= الطائفة الثالثة: الكرامية الذين يقولون: إِنَّ الْإِيمَانَ هُوَ النُّطْقُ
 بِاللِّسَانِ وَلَوْ لَمْ يَعْتَقِدْ بِقَلْبِهِ.

الطائفة الرابعة: مرجئة الفقهاء الذين يقولون: الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ
 وَعِتْقَادٌ بِالْقَلْبِ وَلَا تَدْخُلُ الْأَعْمَالُ فِي حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ. وَهَنَّاكَ فَرْقَةٌ
 خَامِسَةٌ ظَهَرَتْ الْآنَ وَهَمَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْأَعْمَالَ شَرْطٌ فِي كَمَالِ
 الْإِيمَانِ الْوَاجِبِ أَوْ الْكَمَالِ الْمُسْتَحَبِّ.

(١) الْجِيمِ الثَّلَاثَةُ جِيمَ التَّجَهُمِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالتَّوْحِيدِ وَهِيَ نَفْيُ الْأَسْمَاءِ
 وَالصِّفَاتِ، كَالْعُلُوِّ وَالِاسْتِوَاءِ وَالْكَلَامِ وَالرُّؤْيَا وَالْقُدْرَةَ وَالْإِرَادَةَ.

(٢) عَنْدهم لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ رَبٌّ لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ مَكَانٌ، لَا دَاخِلٌ وَلَا خَارِجٌ
 وَلَا فَوْقٌ وَلَا يَمَنَةٌ وَلَا يَسْرَةٌ.

أَنِّي وَحَظُّ الْعَرْشِ مِنْهُ كَحَظِّ مَا
 تَحْتَ الثَّرَى عِنْدَ الْحَضِيضِ الدَّانِي ^(١)
 بَلْ نِسْبَةُ الرَّحْمَنِ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ
 لِلْعَرْشِ نِسْبَتُهُ إِلَى الْبُيَّانِ
 فَعَلَيْهِمَا اسْتَوْلَى جَمِيعاً قُدْرَةً
 وَكِلَاهُمَا مِنْ ذَاتِهِ خِلْوَانِ
 هَذَا الَّذِي أَعْطَتْهُ جِيمٌ تَجَّهَتْ
 حَشَواً بِلا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانٍ ^(٢)
 تَاللهَ مَا اسْتَجْمَعْنَ عِنْدَ مُعْطَلٍ
 جِيْمَاتُهَا وَلَدَيْهِ مِنْ إِيْمَانٍ ^(٣)
 وَالْجَهْمُ أَصْلُهَا جَمِيعاً فَاعْتَدَتْ
 مَقْسُومَةً فِي النَّاسِ بِالْمِيزَانِ
 وَالْوَارِثُونَ لَهُ عَلَى التَّحْقِيقِ هُمْ
 أَصْحَابُهَا لَا شِيعَةَ الْإِيْمَانِ ^(٤)

(١) عندهم العرش الذي هو أعلى المخلوقات بالنسبة لله مثل الحضيض الذي هو أسفل المخلوقات، تعالى الله عما يقولون.

(٢) هذا ما تضمنه جيم التجهم من الضلال والكفر، فأئذٍ دين يبقى بعد هذه الأمور الجبر والتجهم والإرجاء؟! لا التوحيد ولا الإيمان ولا القضاء والقدر.

(٣) هذه الجيمات ما استجمعن عند معطل، إلا صار جهمياً مرجئاً جبرياً. إذا اجتمعت فيه فإنه خارجٌ من الدين بالكلية.

(٤) اجتمع في الجهم هذه المذاهب الخبيثة كلها، وكلٌ ورث منها حظه من الضلال، ففرقت في الناس مدلولات هذه الجيمات الثلاث فمنهم =

لكن تقسّمت الطوائفُ قولُهُ
 ذُو السَّهْمِ والسَّهْمَيْنِ والسُّهُمَانِ
 لكن نجا أهلُ الحديثِ المخضِرِ أتُ
 باعُ الرسولِ وتابِعُوا القرآنِ (١)
 عَرَفُوا الذي قد قالَ مع علمٍ بما
 قال الرسولُ فهُمُ أُولُوا العِرْفَانِ (٢)

= الجهمي فقط ومنهم من هو مرجيء فقط، ومنهم من هو جبري فقط،
 ومنهم من جمعها كلها كالجهم، وكلها ضلالات وكفر وإلحاد سواءً
 مجموعاتها أو جزئياتها.

(١) أهل الحديث الذين تمسكوا بالحديث نجوا من هذه المذاهب الخبيثة،
 فهذا ممّا يؤكّد وجوب تعلم عقيدة السلف الصالح، قال ﷺ: «إِنِّي تَارِكٌ
 فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي» (*) وقال: «إِنَّهُ
 مِنْ يَعْشَ مِنْكُمْ فِسْرِي اِخْتِلَافًا كَثِيرًا عَلَيْكُمْ بَسْتِي وَسُنَّةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ
 الْمُهَيَّبِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ
 الْأُمُورِ...» (**).

(٢) عرفوا الحق وتمسكوا بنصوص الكتاب والسنة، ولهذا كان السلف
 قليلٌ كالأهمم كثيرٌ علمهم، وأمّا الخلف فبالعكس كما ذكر ذلك ابن
 رجب في شرحه لحديث أبي الدرداء «من سلك طريقاً يلتمس فيه =

(*) سلف تخريجه ص ٩١

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٧٣/٢٨ (١٧١٤٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي

(٢٦٧٦) من حديث العرياض بن سارية، وهو حديث صحيح.

وَسِوَاهُمْ فِي الْجَهْلِ وَالِدَّعْوَى مَعَ الْ
 كِبْرِ الْعَظِيمِ وَكَثْرَةِ الْهَذْيَانِ
 مَدُّوا يَدًا نَحْوَ الْعُلَا بِتَكْلُفٍ
 وَتَخْلُفٍ وَتَكَبُّرٍ وَتَوَانٍ^(١)
 أَتَرَى يَنَالُوهَا وَهَذَا شَأْنُهُمْ
 حَاشَا الْعُلَا مِنْ ذَا الزَّبُونِ الْفَانِي^(٢)

= «علماء»^(*) وكذلك في رسالته «فضل علم السلف على علم الخلف» وهي رسالة مطبوعة جيدة، يقول: «إنَّ السلف غزيرٌ علمهم قليلٌ كلامهم وأما من جاء بعدهم فكثيرٌ كلامهم قليلٌ علمهم».

(١) فهم يريدون طلب المعالي من غير بذلٍ لأسبابها، هذه صفتهم طلبوها من غير الطريق الموصول إليها، وإنما يصل إلى المعالي من اتخذ سبيلها وعمل بطريقها، أما من لا يسلك مسالكها فهذا لا يصل إلى شيء بل يتعب بدون شيء، هذه طريقة المبتدعة والمخالفين وأهل الضلال.

(٢) العُلا: لا ينالها إلاَّ الزبائن الذين يستحقونها وهم أهل العلم، أما هؤلاء الذين ليس معهم نقود ولا أموال فإنهم لا يُحصِّلون شيئاً، مثل الذي يدخل السوق ومعه نقود ويُحسن البيع والشراء فإنه يخرج بفائدة، أما الذي يدخل بدون هذه الأشياء فهذا يخرج صفر اليدين، كذلك هؤلاء الذين يريدون نيل المعالي بدون طلب للعلم الصحيح لا ينالون شيئاً. وقيل: من طلب العلا سهر الليالي.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٥/٣٦ (٢١٧١٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢) وهو حديث حسن.

فصل

في جواب الرّبِّ تبارك وتعالى يوم القيامة إذا سأل
المُعطلَّ والمشبه عن قول كل منهما^(١)

وسأل المعطلَّ ما تقولُ إذا أتى

ففتانٍ عند الله يختصمان

إحداهما حكمت على معبودها

بعقولها وبفكرة الأذهان^(٢)

سمّته معقولاً وقالت إنّه

أولى من المنصوص بالبرهان^(٣)

(١) لمّا ذكر مذاهب الجهمية والجبرية والمرجئة وأهل الحديث قال: إنّ الجميع سيفنون بين يدي الله تعالى. وسيسأل كلّ فريق عن معتقده ومذهبه، وسيُجيب كلّ فريق بما عنده، فماذا سيكون موقف أهل الإلحاد والجهل أمام ربِّ العالمين، وماذا يكون موقف أهل السنة والجماعة؟ وهذا من باب التذكير لكلّ مسلم بأنّ ما يقوله ويفعله ويصدر عنه محفوظٌ عليه ومُدوّن في صحيفته وسيُحاسب عنه يوم القيامة.

(٢) الفرقة الأولى: حكمت على ربها بعقلها وبفكرة الأذهان، لم يتبعوا وحياً ولا كتاباً ولا سنة، وإنّما حكموا على الرّبِّ بعقولهم وأفكارهم، فنفوا عن الله ما أثبتته لنفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال، وخالفوا الكتاب والسنة.

(٣) سمّت مذهبها معقولاً وتركوا النقول وقالوا: إنّ المعقول يُفيد اليقين، وأمّا المنقول فإنّه يُفيد الظن، ويدخل في هذا الكتاب والسنة.

والنصُّ قطعاً لا يُفِيدُ فنحنُ أو
 ولنا وفَوْضُنا لنا قولان^(١)
 قالتْ وَقُلْنَا فِيكَ لَسْتَ بِدَاخِلٍ
 فِينَا وَلَسْتَ بِخَارِجِ الْأَكْوَانِ
 وَالْعَرْشِ أَخْلِينَاهُ مِنْكَ فَلَسْتَ فَوْ
 قَ الْعَرْشِ لَسْتَ بِقَابِلٍ لِمَكَانٍ^(٢)
 وَكَذَلِكَ لَسْتَ بِقَائِلِ الْقُرْآنِ بَلْ
 قَدْ قَالَهُ بَشَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
 وَنَسَبْتَهُ حَقّاً إِلَيْكَ بِنَسَبَةِ الثِّ
 تَشْرِيفِ تَعْظِيمِ الَّذِي الْقُرْآنِ

(١) يقولون: نحنُ حَكَمْنَا العقولَ، وأمَّا النصوصُ فهم فيها فريقان: فريقٌ أولها يعني: صرفها عن ظواهرها بالتأويلات، وفريقٌ فَوْضُها وقال: الله أعلم بمراذه منها، وهي في نفس الأمر لا تدلُّ على معانٍ في نفسها، ففوضوها إلى الله، وعلى هذا يكون القرآن لا فائدة منه ومعزول؛ لأنه إمّا مؤول وإمّا مُفَوْضٌ، فلا يدلُّ على شيءٍ عندهم.

(٢) ينفون عُلُوَّ الله لأنَّ إثبات العلو والاستواء على العرش عندهم يلزم منه أن الله تعالى في مكان، وهذا باطل عندهم، ويقول أهل السنة: المكان لفظ مُجْمَل لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة، فلا يُثَبَّت ولا يُنْفَى عن الله، لكن إن أُريد به العلو فهذا معنى صحيح، وإن أُريد أن الله داخل السماوات وهي تحويه فهذا باطل.

وكذلك قلنا لست تنزل في الدجى

إن النزول صفات ذي الجثمان^(١)

وكذلك قلنا لست ذا وجه ولا

سمع ولا بصير فكيف يبدان

وكذلك قلنا لا ترى في هذه الدُّ

دنيا ولا يوم المعاد الثاني^(٢)

وكذلك قلنا ما لفعلك حكمة

من أجلها خصصته بزمان^(٣)

(١) كذلك نفوا عن الله النزول الذي أثبتته الرسول ﷺ لربه حيث قال: «ينزل

ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر» (*) بحجة: أن

النزول من لوازم الأجسام عندهم.

(٢) نفي الرؤية عن الله في هذه الدنيا هذا صحيح، ولكن نفيها عنه في يوم

المعاد الثاني باطل فإنه يُرى سبحانه وتعالى، يراه المؤمنون كما دلت

على ذلك الأدلة، فهم قاسوا الآخرة على الدنيا وقالوا: لا يُرى في

الدارين وهذا باطل، والواجب الفرق.

(٣) كذلك نفوا الحكمة في أفعال الله تبارك وتعالى وقالوا: إنه يفعل ما يشاء

لكن بدون حكمة، وهذا باطل لأن الله وصف نفسه بأنه حكيم، والحكيم

هو الذي يضع الأمور في مواضعها المناسبة وشبهتهم في النفي أنهم

يقولون: إن إثبات الحكمة في أفعاله يقتضي أن هذه الحكمة هي التي =

مَا تَمَّ غَيْرُ مَشِيئَةٍ قَدْ رَجَّحَتْ

مَثَلًا عَلَى مَثَلِ بِلَا رُجْحَانٍ^(١)

لَكِنْ مِمَّا مَنْ يَقُولُ بِحِكْمَةٍ

لَيْسَتْ بِوَصْفٍ قَامَ بِالرَّحْمَنِ

هَذَا وَقُلْنَا مَا اقْتَضَتْهُ عُقُولُنَا

وَعُقُولُ أَشْيَاخٍ ذَوِي عِرْفَانٍ

قَالُوا لَنَا لَا تَأْخُذُوا بظواهرِ الـ

ـ وَوَحِيِّنِ تَسْلُخُوا مِنَ الْإِيمَانِ

بَلْ فَكِّرُوا بِعُقُولِكُمْ إِنْ شِئْتُمْ

أَوْ فَاقْبَلُوا آرَاءَ عَقْلِ فُلَانٍ^(٢)

= أُنزِلَتْ فِيهِ سُبْحَانَهُ حَتَّى عَمِلَ وَفَعَلَ، وَنَقُولُ: هَذَا كَلَامٌ بَاطِلٌ وَتَعْطِيلٌ لَصِفَةِ عَظِيمَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فَهُوَ الْحَكِيمُ الَّذِي يُتَّقَنُ مَصْنُوعَاتِهِ فَلَيْسَ فِيهَا خَلَلٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الَّذِي يَضَعُ الْأُمُورَ فِي مَوَاضِعِهَا.

(١) كَفَى ذَلِكَ تَنْقِصًا لِلرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِإِخْلَاءِ أَعْمَالِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ.

(٢) يَقُولُ هَؤُلَاءِ الضَّلَالُ: أَوْصَانَا مَشَايِخَنَا بِهَذَا، قَالُوا: لَا تَأْخُذُوا بِظَوَاهِرِ

الْوَحِيِّينَ بَلْ اعْتَمِدُوا عَلَى عُقُولِكُمْ، وَعَلَى أَقْوَالِ عُلَمَائِكُمْ، هَذَا الَّذِي

أَوْصَوْهُمْ بِهِ، لِأَنَّ الْوَحِيِّينَ لَا يَحْتَجُّ بِهَمَا فِي الْعَقَائِدِ، فَإِذَا أَخَذْتُمْ بِظَوَاهِرِ

الْوَحِيِّينَ انْسَلَخْتُمْ مِنَ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ ظَوَاهِرِ الْوَحِيِّينَ كَفَرُوا عِنْدَهُمْ، وَيَقُولُونَ

لَهُمْ: إِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ قُدْرَةٌ عَلَى التَّفَكُّرِ فَفَكِّرُوا وَخُذُوا بِمَا تَقُولُهُ عُقُولِكُمْ،

وَإِنْ كَانَ لَيْسَ عِنْدَكُمْ قُدْرَةٌ فَقَلِّدُوا الْأَشْيَاخَ.

فَلْأَجْلِ هَذَا لَمْ نُحَكِّمْ لَفْظًا

ثَارٍ وَلَا خَبْرٍ وَلَا قُرْآنٍ

إِذْ كُلُّ تِلْكَ أَدْلَةٌ لَفْظِيَّةٌ

مَعزولةٌ عن مُقْتَضَى البُرْهَانِ (١)

* * *

(١) لأجل هذه الوصية يقولون: نحن لا نُحَكِّم الآثار من الكتاب والسنة وإنما نُحَكِّم القواعد المنطقية، لأنَّ هذه الآثار عندهم أدلة ظنية والعقيدة لا تُبنى إلا على اليقين، ولذلك عدلوا عن الكتاب والسنة.

فصل

والآخرون أتوا بما قد قاله

من غير تحريفٍ ولا كتمانٍ^(١)

قالوا تلقينا عقيدتنا عن آل

— وحيين بالأخبارِ والقرآنِ

فالحكمُ ما حكما به لا رأيُ أهـ

لِ الاختلافِ وظنُّ ذي الحُسابِ^(٢)

أراؤهم أحداثُ هذا الدينِ نا

قِصَّةٌ لأضلِّ طهارةِ الإيمانِ

أراؤهم ريحُ المقاعدِ أين تدُ

لِكَ الريحِ من رُوحٍ ومن رِيحانٍ^(٣)

(١) هذا هو الفريق الثاني: وهم أهل الآثار وأهل الكتاب والسنة إذا سألهم الربُّ يوم القيامة، قالوا: يا ربَّنَا لقد قلنا بما قلت لنا في كتابك وسنة رسولك تمسكنا به وآمنَّا. فهم أقرؤا بكلام الله ورسوله ولم يجحدوه أو يكتموه بل أعلنوه للناس.

(٢) قالوا عقيدتنا ما دلَّ عليه الوحيان، ولم نلتفت إلى ما قاله فلان من الناس حتى من مشايخنا الذين نعظمهم ونأخذ عنهم، إذا أخطؤوا لا نأخذ عنهم الخطأ أبداً.

(٣) آراء هؤلاء المخالفين للكتاب والسنة مثل: ريح المقاعد التي تخرج من الدبر، أين هذه الريح الخبيثة من رُوحٍ وريحانِ الجنة؟ فهذا تشبيه =

قالوا وأنت رَقِينَا وشهيدُنَا

مِنْ فَوْقِ عَرْشِكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ (١)

إِنَّا أَيْبِنَا أَنْ نَدِينَ بِبِدْعَةٍ

وَضَالَّةٍ أَوْ إِفْكٍ ذِي بُهْتَانٍ (٢)

لَكِنْ بِمَا قَدْ قُلْتَهُ أَوْ قَالَهُ

مَنْ قَدْ أَتَانَا عَنْكَ بِالْفُرْقَانِ

وَكَذَلِكَ فَارْقَنَاهُمْ حِينَ اخْتِيَا

جِ النَّاسِ لِلْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ

= للكتاب والسنة بالروح والريحان، وتشبيهه لآراء المخالفين بما يخرج من مقاعد الناس من القاذورات والروائح الكريهة، لأنها أفكار خبيثة تخرج من أدمغتهم فهي مثل ما يخرج من أديبارهم من الخبث.

(١) نحن قلنا هذا وأنت تعلم صدقنا وأنت رقيبنا وشهيدنا علينا، ما قلنا إلا

ما تعلمه كما يقول المسيح: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ

إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ

الْغُيُوبِ﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا

دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿المائدة:

[١١٦-١١٧].

(٢) البدعة: ما أحدث في الدين مما ليس له أصل في كتاب الله وسنة

رسوله، ولا سيما في العقائد، فأخطر البدع هي التي تكون في العقائد

لأنها توصل إلى الكفر.

كَيْلَا نَصِيرَ مَصِيرَهُمْ فِي يَوْمِنَا
 هَذَا وَنَطْمَعُ مِنْكَ بِالْغُفْرَانِ
 فَمَنْ الَّذِي مَنَّا أَحَقُّ بِأَمْنِهِ
 فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعِرْفَانِ
 لَا بُدَّ أَنْ نَلْقَاهُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ
 فِي مَوْقِفِ الْعَرْضِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
 وَهَنَّاكَ يَسْأَلُنَا جَمِيعاً رَبُّنَا
 وَلَدَيْهِ قَطْعاً نَحْنُ مُخْتَصِمَانِ
 فَنَقُولُ قُلْتَا كَذَا وَقَالَ نَبِينَا
 أَيْضاً كَذَا فِيمَا نَا الْوَحْيَانِ^(١)
 فَافْعَلْ بِنَا مَا أَنْتَ أَهْلٌ بَعْدَ ذَا
 نَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ ذُو الْإِحْسَانِ
 أَفْتَقِدِرُونَ عَلَيَّ جَوَابٍ مِثْلَ ذَا
 أَمْ تَعْدِلُونَ عَلَيَّ جَوَابٍ ثَانِ
 مَا فِيهِ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ
 بَلْ فِيهِ قُلْنَا مِثْلَ قَوْلِ فُلَانِ

(١) هذا جواب أهل السنة، إذا سألهم ربهم يقولون: قلت كذا وقال نبيك كذا، فنحن أخذنا بكلامك وبكلام نبيك ولم نقبل المساومة عليهما ولم نتأثر بتلقيب أهل الباطل لنا بالألقاب المنفرة.

وهو الذي أدت إليه عقولنا

لَمَّا وَزَنَّا الْوَحْيَ بِالْمِيزَانِ^(١)

إِنْ كَانَ ذَلِكَ الْجَوَابُ مُخَلَّصًا

فَامْضُوا عَلَيْهِ يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ

تَاللَّهِ مَا بَعْدَ الْبَيَانِ لِمَنْصِفٍ

إِلَّا الْعِنَادُ وَمَرْكَبُ الْخُذْلَانِ^(٢)

* * *

(١) أما أهل الباطل فيقولون في جوابهم لربهم: وزنا الوحي وقلنا: لا يُقيد اليقين، والذي يُقيد اليقين هو العقل فقدّمنا العقل على النقل، فهذا هو جوابهم يوم القيامة لأنهم قالوا ذلك في الدنيا.

(٢) قد نصّحهم الشيخ في هذا الفصل نصيحة إذا تأملها الإنسان وجد الإخلاص فيها والإنصاف وبيّن لهم طريق النجاة ودعاهم إلى الحق، وهذه طريقة الناصح أنه لا يحملُه بغضُ أعدائه على عدم نصّحهم وبذل النصيحة للخلق.

فصل

في تحميل أهل الإثبات
للمُعظّلين شهادة تُؤدّي عند ربّ العالمين

يا أيُّها الباغي على أتباعه
بالظُّلم والبُهتانِ والعُدوانِ
قد حَمَلوك شهادةً فاشهدْ بها
إن كنتَ مقبولاً لدى الرحمنِ
واشهدْ عليهم إن سئلتَ بأنَّهم
قالوا إلهُ العرشِ والأكوانِ
فوقَ السَّمواتِ العُلى حقاً على الـ
عرشِ استوى سبْحانَ ذي السلطانِ^(١)
والأمرُ ينزلُ منه ثمَّ يسيرُ في الـ
أقطارِ سبْحانَ العظيمِ الشانِ^(٢)

(١) يقول أهل السنة للمخالفين: اشهدوا علينا يوم القيامة عند الله بأننا نثبت ما أثبتّه الله لنفسه وما أثبتّه له رسوله، ونحن نشهد عليكم بأنكم خالفتم الكتاب والسنة، فنحن نثبت علو الله واستواءه على عرشه، وأنتم تقولون: هذا باطل.

(٢) مع علوّه فوق مخلوقاته فإن أمره ينزل إلى الأرض ويسير فيها، فأمره في كلِّ مكان، وأمّا هو سبحانه فإنه فوق الأكوان وكذلك علمه سبحانه في =

وإِلَيْهِ يَصْعَدُ مَا يَشَاءُ بِأَمْرِهِ
 مِنْ طَيِّبَاتِ الْقَوْلِ وَالشُّكْرَانِ
 وَإِلَيْهِ قَدْ صَعِدَ الرَّسُولُ وَقَبْلَهُ
 عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ كَاسِرُ الصُّلْبَانِ^(١)
 وَكَذَلِكَ الْأَمْلاكُ تَصْعَدُ دَائِمًا
 مِنْ هَاهُنَا حَقًّا عَلَى الدِّيَّانِ
 وَكَذَلِكَ رُوحُ الْعَبْدِ بَعْدَ مَمَاتِهَا
 تَرْقَى إِلَيْهِ وَهُوَ ذُو إِيْمَانٍ

= كلُّ مكان، وهو فوق كلِّ الأكوان مستوٍ على عرشه سبحانه وتعالى وعلمه في كل مكان لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.
 (١) إليه قد صعد الرسول ﷺ ليلة المعراج حيث عُرج به من الأرض إلى السماء وجاوز السبع الطباق وانتهى إلى الرّب تعالى وسمع كلامه، وكذلك المسيح رفع إليه كما قال تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وذلك أنّ الله سبحانه قبض المسيح ورفعه حياً بروحه وجسمه، فهو لا يزال حياً إلى أن ينزل في آخر الزمان إلى الأرض، ويقتل الدجال ويكسر الصليب كما جاء في الأحاديث الصحيحة ثم يموت بعد ذلك في الأرض ويُدفن كبقية بني آدم. قال تعالى: ﴿وَلَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْفِئِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] فدلَّ على أنّه يموت في آخر الزمان، وأمّا التوفي في قوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] فالتوفي هنا ليس توفي موت وإنّما هو مثل توفي النائم كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِأَلْوِيلٍ﴾ [الأنعام: ٦٠] يعني وفاة النوم، فالنوم توفي، كذلك توفي المسيح من هذا النوع، ليست وفاة موت وإنّما قبض وهو نائم.

وَاشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ
 مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
 سَمِعَ الْأَمِينَ كَلَامَهُ مِنْهُ وَأَذَى
 دَاهُ إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ (١)
 هُوَ قَوْلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقَةً
 لَفْظاً وَمَعْنَى لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
 وَاشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ
 قَدْ كَلَّمَ الْمَوْلُودَ مِنْ عِمْرَانَ (٢)
 سَمِعَ ابْنُ عِمْرَانَ الرَّسُولُ كَلَامَهُ
 مِنْهُ إِلَيْهِ مَسْمَعِ الْأَذَانِ
 وَاشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ
 نَ الْإِلَهَ نَادَاهُ بِإِلَّا كِتْمَانِ
 وَاشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ
 نَ الْإِلَهَ نَادَى قَبْلَهُ الْأَبْوَانَ

(١) اشهد على أهل السنة أنهم يصفون الله بأنه يتكلم ومن كلامه: القرآن الكريم تكلم به حقيقة.

(٢) هذا من أفراد كلامه سبحانه أنه كلم موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام بكلام سمعه موسى من الله بدون واسطة ملك، وهذا من خصائص موسى عليه السلام، ولذلك يُسَمَّى كليم الرحمن، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ رَبُّهُ قَالَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

واشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ
 نَ اللَّهُ يَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلَانِ
 وَاللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ لِرَسُولِهِ
 إِنِّي أَنَا اللَّهُ الْعَظِيمُ الشَّانِ
 وَاللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ لِرَسُولِهِ
 اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ ذِي الطُّغْيَانِ
 وَاللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ حَمَّ مَعَهُ
 طَهُ وَمَعَ يَسَّ قَوْلَ بَيَانَ
 واشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ وَصَفُوا الْإِلَهَ
 بِكُلِّ مَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ (١)
 وبكُلِّ مَا قَالَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً
 مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا عُدْوَانٍ (٢)
 واشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّ قَوْلَ نَبِيِّهِمْ
 وَكَلَامَ رَبِّ الْعَرْشِ ذَا التَّبْيَانِ

(١) أثبتوا لله كل ما وصف به نفسه في القرآن لم يتحاشوا شيئاً من ذلك، فلم يقولوا: هذا تجسيم أو تشبيه، بل سلموا لله تعالى ذلك دون تدخل منهم على ما يليق بالله.

(٢) كل ما صح عن الرسول ﷺ فإنهم يقبلونه في صفات الله عز وجل لا يفرقون بين متواتر وأحاد كما يقوله المبتدعة، لأنهم يسلمون بكل ما ثبت عن النبي ﷺ.

نَصْرٌ يُفِيدُ لَدَيْهِمْ عِلْمَ الْيَقِينِ
 - مِنْ إِفَادَةِ الْمَعْلُومِ بِالْبُرْهَانِ
 وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ قَابَلُوا التَّ
 تَعْطِيلَ وَالتَّمْثِيلَ بِالتُّكْرَانِ
 إِنَّ الْمَعْطَّلَ وَالْمُمَثَّلَ مَا هُمَا
 مُتَيَقِّنِينَ عِبَادَةَ الرَّحْمَنِ (١)
 ذَا عَابِدٍ الْمَعْدُومِ لَا سُبْحَانَهُ
 أَبْدَأُ وَهَذَا عَابِدُ الْأَوْثَانِ (٢)
 وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَثْبَتُوا
 الْأَسْمَاءَ وَالْأَوْصَافَ لِلدِّيَّانِ (٣)
 وَكَذَلِكَ الْأَحْكَامُ أَحْكَامُ الصِّفَا
 تِ وَهَذِهِ الْأَرْكَانُ لِلْإِيمَانِ (٤)

-
- (١) واشهد أيها المبتدع المخالف لمنهج السلف وأهل السنة أنهم يرون أنّ كلام الرسول ﷺ يُفيد العلم واليقين، خلاف مذهب المخالفين في أحاديث الرسول فيرون أنّها ظواهر ظنية لا تفيد اليقين.
- (٢) الْمُعْطَّلُ يعبدُ عدماً، ليس هو المتصف بالأسماء والصفات، وَالْمُمَثَّلُ الذي يشبه الله بخلقه يعبد صنماً لأنه لم ينزه الله عن مشابهة المخلوقين.
- (٣) اشهد على أهل السنة أنهم يثبتون الأسماء والصفات للدَّيَّانِ، والدَّيَّانِ هو المحاسب الذي يُحاسب عباده يوم القيامة.
- (٤) وَيُثْبِتُونَ الصِّفَاتِ بِأَلْفَاظِهَا وَبِمَعَانِيهَا وَبِأَثَارِهَا وَأَحْكَامِهَا كُلِّ هَذَا يَثْبِتُونَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قالوا عليهم وهو ذو علمٍ ويعر

لم غاية الأسرار والإعلان^(١)

وكذا بصيرٌ وهو ذو بصرٍ ويُب

صر كل مرئي وذي الأكوان^(٢)

وكذا سميعٌ وهو ذو سَمْعٍ ويس

مع كل مسموعٍ من الأكوان

متكلمٌ وله كلامٌ وصفه

ويكلمُ المخصوصَ بالرضوان^(٣)

(١) العليم اسمه والعلم صفته، والأسرار: الشيء الخفي، والإعلان هو

الشيء الظاهر، فالله يستوي في علمه ما كان سراً وما كان جهراً، ﴿يَعْلَمُ

الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ [الأعلى: ٧] ﴿وَإِنْ نَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]

أي ما هو أخفى من السرِّ، لا يخفى عليه شيء سبحانه وتعالى، وهذا من

آثار اسمه العليم الذي هو المبالغ في العلم الذي لا يخفى عليه شيء.

(٢) من أسمائه البصير، وهو يُبصر كل شيء في مخلوقاته لا يحجب بصره

شيء سبحانه وتعالى.

(٣) ومن أوصافه أنه مُتكلمٌ ويتكلم، وأنه يُكلم من شاء من عباده ويتكلم إذا

شاء، فهو سبحانه يتكلم وكلامه قديم النوع حادث الآحاد.

قديم النوع: يعني أن الله متصف بصفة الكلام أزلاً وأبداً،

وحادث الأفراد بمعنى: أنه يتكلم إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء سبحانه

وتعالى.

وهو القويُّ بقوَّةِ هِي وَصْفُهُ

ومَلِكٌ يَقْدِرُ يَا أَخَا السُّلْطَانِ (١)

وهو المُرِيدُ لَهُ الإِرَادَةُ هَكَذَا

أَبْدَأُ يُرِيدُ صِنَائِعَ الإِحْسَانِ

والوصفُ معنَى قائمٌ بالذاتِ وَالْ

أَسْمَاءُ أَعْلَامٌ لَهُ بِوِزَانِ (٢)

أَسْمَاؤُهُ دَلَّتْ عَلَى أَوْصَافِهِ

مُشْتَقَّةٌ مِنْهَا اسْتِقْطَاقَ مَعَانِ (٣)

(١) ومن أسمائه القوي، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥] قوته لا يغلبها شيء سبحانه وتعالى، وهو يقدر على السلاطين، وهم تحت تصرفه ونفوذه، لا يخرج أحداً منهم عن ذلك، فلا تغتر أيها السلطان بقوتك وقدرتك فإنَّ ربك أقدرُ منك وأقوى منك، فأنت أضعف شيء بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى.

(٢) الأسماءُ أعلامٌ تدلُّ على الذات، ويُشتق من هذه الأسماء صفاتٌ، وكلُّ اسمٍ من أسماء الله فإنه يدلُّ على صفةٍ، فالعليم يدلُّ على العلم والسميع يدلُّ على السمع، والقويُّ يدلُّ على القوة، والعزيز يدلُّ على العزة وهكذا، ليست أسماءه أعلاماً محضة وإنما هي أعلامٌ تدلُّ على معانٍ وصفات، فالرحمن يدلُّ على الرحمة والسميع يدلُّ على السمع وهكذا.

(٣) كلُّ اسمٍ فإنه يدلُّ على صفةٍ ويُشتقُّ منه صفة، هذه قاعدة.

وصفائه دَلَّتْ عَلَى أَسْمَائِهِ

وَالْفِعْلُ مُرْتَبِطٌ بِهِ الْأَمْرَانِ (١)

وَالْحُكْمُ نَسْبَتُهَا إِلَى مُتَعَلِّقَا

تِ تَقْتَضِي آثَارَهَا بَيَانِ

وَلَرُبَّمَا يُعْنَى بِهِ الْإِخْبَارُ عَنْ

آثَارَهَا يُعْنَى بِهِ أَمْرَانِ

وَالْفِعْلُ إِعْطَاءُ الْإِرَادَةِ حُكْمَهَا

مَعَ قُدْرَةِ الْفَعَالِ وَالْإِمْكَانِ

فَإِذَا انْتَفَتْ أَوْصَافُهُ سُبْحَانَهُ

فَجَمِيعُ هَذَا بَيْنَ الْبُطْلَانِ (٢)

(١) وكذلك كلُّ صفةٍ تدلُّ على اسمٍ من أسمائه سبحانه، فالرحمة تدلُّ على الرحيم، فالعلم يدلُّ على العليم والسمع يدلُّ على السميع، فأسماءه تدلُّ على صفاته لأنها مشتقة منها.

وأما الفعل فيشتق منه الأمران: الاسم والصفة، فالفعل يخلق يؤخذ منه اسم الخالق وأتته له صفة الخلق، يعلم يؤخذ منه الاسم وهو العليم والصفة وهي العلم.

(٢) إذا نُفِيت هذه الصفات عن الله كما هو مذهب المعطلة انتفت كل هذه الأمور، وهذا يدلُّ على قُبْح مذهبهم لما يلزم عليه من هذه الأمور واللوازم الباطلة، حيث إنهم أنكروا صفات الله وأسماءه وأفعاله وآثارها وأحكامها.

وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِهِ

سَذَا كَلَّهُ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانٍ (١)

وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ بُرَاءٌ مِنْ

تَأْوِيلِ كُلِّ مُحَرَّفٍ شَيْطَانٍ (٢)

وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يَتَأَوَّلُونَ

ن حَقِيقَةَ التَّأْوِيلِ فِي الْقُرْآنِ

هَم فِي الْحَقِيقَةِ أَهْلُ تَأْوِيلِ الَّذِي

يُعْنَى بِهِ لَا قَائِلُ الْهَذْيَانِ (٣)

(١) اشهد أيها المعطل على أهل الحديث وعلى أهل السنة والجماعة عند ربك أنهم أثبتوا ما أثبتته الله لنفسه، ونفوا عنه ما نفاه عن نفسه لا يتعدون الكتاب والسنة في هذا.

(٢) اشهد أيها المعطل على أهل السنة أنهم برآء من مذهب المُعْطَلَةِ على اختلاف أشكالهم، براءة يشهد بها عند الله تعالى كل من عرف مذهبهم.

(٣) التأويل عند أهل السنة: هو التفسير، وأما عند المعطلة فهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر، فالتأويل يطلق على معانٍ هي:

١ - التفسير.

٢ - حقيقة الشيء وما يؤول إليه في المستقبل.

٣ - صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى غير ظاهر وهذا عند المتأخرين وهو ما يسمونه بالمجاز.

٤ - التأويل الذي هو بمعنى حمل الكلام على المعنى الراجح دون المرجوح، وهذا يقول به أهل السنة فالتأويل عند أهل السنة على ثلاثة أنواع:

١ - التأويل الذي هو التفسير.

واشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنْ تَأْوِيلَاتِهِمْ
 صَرَفَ عَنِ الْمَرْجُوحِ لِلرُّجْحَانِ
 واشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ حَمَلُوا النُّصُو
 صَ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا الْمَجَازِ الثَّانِي (١)
 إِلَّا إِذَا مَا اضْطَرَّهْمُ لِمَجَازِهَا أَلْ
 مُضْطَرُّ مِنْ حِسٍّ وَمِنْ بُرْهَانِ (٢)
 فَهُنَاكَ عِصْمَتُهَا إِبَاحَتُهُ بَغْيٌ
 رِ تَجَانُفٍ لِلْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
 واشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَكْفُرُوا
 نَكْمٌ بِمَا قُلْتُمْ مِنَ الْكُفْرَانِ (٣)

٢ - التأويل الذي هو الحقيقة التي يؤول إليها الشيء .

٣ - التأويل الذي هو حمل اللفظ على معناه الراجح دون المرجوح ، وأما
 التأويل عند المتأخرين فهو صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى
 المرجوح دون دليل .

(١) اشهد على أهل السنة أنهم حملوا كلام الله وكلام رسوله على الحقيقة لا
 على المجاز الذي يقول به المتأخرون ، فكلام الله حقيقة لا مجاز ، هذا
 هو الحق بل الحق أن القرآن كله حقيقة وليس فيه مجاز ، لأن المجاز
 يُغَيِّرُ ظَاهِرَ الْكَلَامِ إِلَى مَعْنَى آخَرَ ، وكلام الله ما جاء للأحاجي والألغاز
 وإنما جاء للبيان والهداية ، فهو على ظاهره وحقيقته .

(٢) التأويل الذي صرف الكلام إلى المعنى المرجوح إذا دلَّ عليه دليل تعيّن ،
 وهذا قليل في كلام الله تعالى .

(٣) أهل السنة والجماعة من أبعد الناس عن التكفير إلا إذا قام الدليل على =

إذ أنتم أهل الجهالة عندهم
 لستم أولي كفرٍ ولا إيمانٍ (١)
 لا تعرفون حقيقة الكفران بل
 لا تعرفون حقيقة الإيمان
 إلا إذا عاندتم ورددتكم
 قول الرسول لأجل قول فلان (٢)

= كفر من اتصف به، فهم يكفرون بموجب الكتاب والسنة لا بموجب
 الأهواء، ولا يقولون: كل من خالفنا فهو كافر كما تقوله المبتدعة، الذين
 يكفرون أهل السنة لأنهم أثبتوا الله الأسماء والصفات وخالفوهم في ذلك.
 (١) السبب في عدم تكفيرهم لكم: أنكم جهال، والجاهل لا يكفر حتى يبين
 له وتقام عليه الحجة، فلا بد أن تتحقق شروط التكفير وتنتفي موانعه.
 (٢) بعد البيان، فحينئذ يحكم عليكم بالكفر، لأنكم تردون النصوص من
 الكتاب والسنة لأجل قول مشايخكم وتقولون: هم أدرى منا بالنصوص
 وأعلم، ولا شك أن هذا باطل، ولذا يقول الإمام الشافعي: أجمع
 المسلمون على أن من استبان له سنة الرسول ﷺ لم يكن له أن يدعها
 لقول أحداً. والإمام مالك يقول: كلنا راؤ ومردودٌ عليه إلا صاحب هذا
 القبر - يعني: رسول الله - ويقول الإمام أبو حنيفة إذا جاء الحديث عن
 رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن أصحاب رسول الله
 فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال.
 هذه أقوال الأئمة، لكن المتعصبين الذين جاءوا من بعدهم هم الذين
 ادعوا العصمة لأئمتهم، وتركوا العمل بالأحاديث التي خالفوها عن
 اجتهاد.

فَهِنَاكَ أَنْتُمْ أَكْفَرُ الثَّقَلَيْنِ مِنْ

إِنْسٍ وَجِنٍّ سَاكِنِي النَّيْرَانِ (١)

وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ أُثْبِتُوا أَلْ

أَقْدَارَ وَارِدَةً مِنَ الرَّحْمَنِ

وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّ حُجَّةَ رَبِّهِمْ

قَامَتْ عَلَيْهِمْ وَهُوَ ذُو غُفْرَانٍ (٢)

وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ هُمْ فَاعِلُو

نَ حَقِيقَةِ الطَّاعَاتِ وَالْعَصِيَانِ (٣)

(١) إذا تعصبتم هذا التعصب المذموم وقتلتم: لا نترك قول إمامنا لأجل الحديث

الصحيح، فأنتم أكفر الجن والإنس؛ لأنها استبانت لكم سنة رسول الله
ثم تتركونها لقول إمامكم، وحاشا الأئمة رحمهم الله أن يرضوا بهذا.

(٢) حجة الله على خلقه: هي إرسال الرسل وإنزال الكتب، قال تعالى:

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:

١٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] فالله

تعالى أقام الحجة على عباده وما ترك لهم عُذْرًا، فإن حصل منهم تقصير

أو إهمال فهذا من فعلهم هم وإلا فالله تعالى ما ترك لأحد حجة.

(٣) أشهد على أهل السنة أنهم يرون أن الخلق هم الذين يفعلون الطاعات

والمعاصي باختيارهم ومشيتهم وإرادتهم، لا أنهم يفعلونها من باب

الإجبار عليها وليس لهم اختيار كما يقوله الجبرية بل يفعلونها باختيارهم

وإرادتهم ولو شاءوا تركوها، فمذهب أهل السنة أن أفعال العباد حصلت

منهم حقيقة وهي مُقدَّرة من الله سبحانه وتعالى، وهم يُثابون أو يُعاقبون

على أفعالهم لا على القضاء والقدر.

وَالجَبْرُ عِنْدَهُمْ مُحَالٌ هَكَذَا

نَفْيُ الْقَضَاءِ فَبُشَّتِ الرَّأْيَانِ

وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّ إِيمَانَ الْوَرَى

قَوْلٌ وَفَعَلٌ ثُمَّ عَقَدُ جَنَانٍ^(١)

وَيَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ قَطْعاً هَكَذَا

بِالضُّدِّ يُمْسِي وَهُوَ ذُو نُقْصَانٍ

وَاللَّهُ مَا إِيمَانٌ عَاصِينَا كَيْ

مَا نِ الْأَمِينِ مُنَزَّلِ الْقُرْآنِ^(٢)

كَلًّا وَلَا إِيمَانٌ مُؤْمِنَنَا كَيْ

مَا نِ الرَّسُولِ مُعَلِّمِ الْإِيمَانِ

(١) هذا خلاف قول المرجئة القائلين بأنَّ الإيمان هو المعرفة في القلب فقط، وبعضهم يقول: مُجَرَّدُ التَّصَدِيقِ بِالْقَلْبِ، وبعضهم يقول: مجرد النطق باللسان، وبعضهم يقول: هو القول باللسان والاعتقاد بالقلب، ولا تدخل فيه الأعمال عند جميعهم، هذه مذاهب المرجئة.

(٢) هذا ردُّ على المرجئة الذين يقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب، وهو لا يزيد ولا ينقص، فإيمان جبريل مثل إيمان الفاسق العاصي، وهذا باطل بلا شك، فالإيمان يتفاوت في القلوب قوة وضعفاً، وهذا معلوم بالضرورة، وحقيقة مذهب المرجئة تضييع الإيمان، وهذا المذهب أخبث المذاهب لأنَّه خروجٌ من الدين بالكلية.

وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُخْلِدُوا

أَهْلَ الْكِبَائِرِ فِي حَمِيمٍ أَنْ (١)

بَلْ يَخْرُجُونَ بِإِذْنِهِ بِشَفَاعَةٍ

وَبِدُونِهَا لِمَسَاكِينِ بِنَانِ

وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّ رَبَّهُمْ يُرَى

يَوْمَ الْمَعَادِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ (٢)

وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّ أَصْحَابَ الرَّسُولِ

لِ خِيَارِ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ إِنْسَانٍ (٣)

(١) بخلاف قول الخوارج الذين يُخْلِدُونَ العصاة بالكبائر، فأهل الكبائر عند

أهل السنة قد يُعَذَّبُونَ عَلَى قَدَرِ مَعَاصِيهِمْ، وَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ بِإِيمَانِهِمْ
ولو كان قليلاً، وقد يغفر الله لهم وهذا بخلاف قول الخوارج.

(٢) أهل السنة يثبتون رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة بأبصارهم خلاف قول
الجهمية والمعتزلة الذين ينفون الرؤية، وسبق بيان ذلك وشرحه.

(٣) هذا ردٌّ عَلَى الرَّافِضَةِ، فمذهب أهل السنة: أَنَّ أَصْحَابَ الرَّسُولِ أَفْضَلُ

قُرُونِ الْأُمَّةِ لِمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِصُحْبَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَالتَّشْرِيفِ بِرُؤْيَيْهِ
وَالْجِهَادِ مَعَهُ وَالتَّعَلُّمِ مِنْهُ، لَا يَبْلُغُ دَرَجَتَهُمْ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَلَا أَحَدٌ

يُسَاوِيهِمْ وَلَا يَبْلُغُ دَرَجَتَهُمْ، وَهَذَا بِخِلَافِ قَوْلِ الرَّافِضَةِ - قَبْحَهُمْ اللَّهُ -

الَّذِينَ يُكْفَرُونَ كَثِيرًا مِنَ الصَّحَابَةِ لَا سِوَمَا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعِثْمَانَ فَهَذَا
مَذْهَبٌ بَاطِلٌ، وَكُتِبَهُمْ وَصُدُّورُهُمْ مَمْلُوءَةٌ مِنَ الْحَقْدِ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ

اللَّهِ وَشَتَمَهُمْ وَتَكْفِيرَهُمْ وَالْبِرَاءَةَ مِنْهُمْ.

حَاشَا النَّبِيِّنَ الْكِرَامَ فَإِنَّهُمْ
 خَيْرُ الْبَرِيَّةِ خَيْرَةُ الرَّحْمَنِ
 وَخِيَارُهُمْ خُلَفَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ
 وَخِيَارُهُمْ حَقًّا هُمَا الْعُمَرَانِ^(١)
 وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلَى أَحَقُّ بِالْثَمَنِ
 تَقْدِيمِ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ بَيَّانٍ
 كُلُّ بِحَسَبِ السَّبْقِ أَفْضَلُ رُتْبَةً
 مِنْ لَاحِقِي وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ

* * *

(١) خيار الصحابة الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، هؤلاء أفضل الصحابة على الإطلاق، ثم بقية العشرة، ثم أصحاب بدر، ثم أصحاب بيعة الرضوان، والمهاجرون أفضل من الأنصار، فهم يتفاضلون فيما بينهم رضي الله عنهم، والرافضة كفروهم، فهل يُقال: هؤلاء مسلمون؟!

فصل

في عهود المُبْتَتِين مع ربِّ العالمين (١)

يا ناصِرَ الإسلامِ والسَّنَنِ التي
جاءت عن المبعوثِ بالفرقانِ
يا من هو الحقُّ المبينُ وقولُهُ
ولقاؤُهُ ورسولُهُ ببيانِ
اشْرَحَ لِدِينِكَ صَدْرَ كُلِّ مُوَحِّدٍ
شَرَحاً يَنالُ به ذُرَى الإيْمَانِ (٢)

(١) أهل السنة والجماعة يُعَاهِدُونَ رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نُصْرَةِ دِينِهِ، وَإِعْلَاءِ
كَلِمَتِهِ، وَعَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَنْ خَالَفَهُمْ وَخَذَلَهُمْ أَوْ تَعَرَّضَ لَهُمْ بِسُوءٍ،
بَلْ هُمْ مَاشُونَ فِي طَرِيقِهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ كَمَا قَالَ
النَّبِيُّ ﷺ لَأَنَّ هَدْفَهُمُ الْحَقَّ دَائِماً وَأَبْداً، حَتَّى إِنْ مِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ صَابِراً
مُحْتَسِباً، وَمِنْهُمْ مَنْ سُجِنَ وَعُدِّبَ كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَمِنْهُمْ مَنْ طُرِدَ وَأُبْعِدَ،
لَكِنْ لَمَّا كَانَ هَدْفُهُمُ الْحَقَّ سَهْلٌ عَلَيْهِمْ كُلُّ ذَلِكَ.

(٢) هَذَا دَعَاءٌ مِنَ النَّاطِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ أَنْ يَشْرَحَ
صَدُورَ أَهْلِ الْحَقِّ لِلثَّبَاتِ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَقَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ
فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّي﴾ [الزمر: ٢٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ
يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ...﴾ [الأنعام: ١٢٥] فَشَرَحَ الصَّدْرَ لِلْإِسْلَامِ
أَكْبَرُ نِعْمَةٍ عَلَى الْعَبْدِ بِخِلَافِ الَّذِي يَضِيقُ صَدْرَهُ، فَهَذَا لَا يَثْبِتُ عَلَى
الْحَقِّ.

واجعله مُؤْتَمًّا بِوَحْيِكَ لَا بِمَا
 قَدْ قَالَهُ ذُو الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ^(١)
 وَأَنْصُرْ بِهِ حِزْبَ الْهُدَىٰ وَاكْبِتْ بِهِ
 حِزْبَ الضَّلَالِ وَشِيعَةَ الشَّيْطَانِ^(٢)
 وَأَنْعِشْ بِهِ مَنْ قَصَدَهُ إِحْيَاؤُهُ
 وَاعْصِمْهُ مِنْ كَيْدِ امْرِئٍ فَتَّانٍ
 وَاضْرِبْ بِحَقِّكَ عُنُقَ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالتُّ
 تَبْدِيلِ وَالتَّكْذِيبِ وَالتَّطْغْيَانِ^(٣)
 فَوَحِّقْ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَنِي
 وَجَعَلْتَ قَلْبِي وَاعِي الْقُرْآنِ
 وَكَتَبْتَ فِي قَلْبِي مِتَابَةَ الْهُدَىٰ
 فَقَرَأْتُ فِيهِ أَسْطَرَ الْإِيمَانِ
 وَنَشَلْتَنِي مِنْ حُبِّ أَصْحَابِ الْهَوَىٰ
 بِحَبَائِلٍ مِنْ مُحْكَمِ الْفِرْقَانِ

(١) من ائتم، أي: اهتدى بالكتاب والسنة فإنه يكون على الحق، أما الذي يأتيه بأقوال الناس والرجال فإنه يضل ويضيع ﴿ كَرَّابٍ بَقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾ [النور: ٣٩].

(٢) هذا دعاء أن ينصر الله حزبه حزب الهدى والإيمان أهل الحق، وإن يكتب حزب الضلال وفرقة الشيطان، فإن الله يقول: ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧٣].

(٣) هذا دعاء بأن يكفي الله تعالى عباده شر أعدائهم.

وَجَعَلْتَ شِرْبِي الْمَنْهَلَ الْعَذْبَ الَّذِي
 هُوَ رَأْسُ مَاءِ الْوَارِدِ الظَّمَانَ
 وَعَصَمْتَنِي مِنْ شِرْبِ سِفْلِ الْمَاءِ تَحْتِ
 نَجَاسَةِ الْأَرَاءِ وَالْأَذْهَانِ
 وَحَفِظْتَنِي مِمَّا ابْتَلَيْتَ بِهِ الْأَوْلَى
 حَكَمُوا عَلَيْكَ بِشَرَعَةِ الْبُهْتَانِ
 نَبَذُوا كِتَابَكَ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ
 وَتَمَسَّكُوا بِزُخْرَافِ الْهَيْدِيَانِ
 وَأَرَيْتَنِي الْبِدْعَ الْمُضِلَّةَ كَيْفَ يُدْ
 قِيهَا مُزْخَرَفَةٌ إِلَى الْإِنْسَانِ
 شَيْطَانُهُ فَيُظَلُّ يَنْقَشُهَا لَهُ
 نَقْشَ الْمُشَبَّهِ صُورَةً بِدِهَانِ
 فَيُظَنُّهَا الْمَغْرُورُ حَقًّا وَهِيَ فِي التُّ
 تَحْقِيقِ مِثْلِ الْآلِ فِي الْقِيَعَانِ
 لِأَجَاهِدَنَّ عِدَاكَ مَا أَبْقَيْتَنِي
 وَلَا أَجْعَلَنَّ قِتَالَهُمْ دَيْدَانِي (١)

(١) لَمَّا فَرَّغَ مِنَ الدَّعَاءِ اعْتَرَفَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ أَنْقَذَهُ مِنَ الضَّلَالَةِ وَبَصَّرَهُ بِالْحَقِّ، وَعَزَمَ عَلَى جِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَهَذَا مِنْ شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ.

وَأَفْضَحْنَهُمْ عَلَى رُؤْسِ الْمَلَائِكَةِ
وَأَفْزَيْنَ أَدِيمَهُمْ بِلِسَانِي (١)
وَأَكْشَفْنَا سَرَائِرَ خَفِيَّتْ عَلَى
ضَعْفَاءِ خَلْقِكَ مِنْهُمْ بَيِّنَاتٍ
وَلَاتُبِعْنَهُمْ إِلَىٰ حَيْثُ أَنْتَهُوا
حَتَّىٰ يُقَالَ أُبَعِدُ عَبَّادَانِ (٢)
وَلَأَرْجُمَنَّهِنَّ بِأَعْلَامِ الْهُدَىٰ
رَجْمَ الْمُرِيدِ بِثَاقِبِ الشُّهْبَانِ
وَلَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ مَرَاصِدَ كَيْدِهِمْ
وَلَأَخْضُرَنَّهِنَّ بِكُلِّ مَكَانٍ
وَلَأَجْعَلَنَّ لِحُومَهُمْ وَدِمَاءَهُمْ
فِي يَوْمِ نَصْرِكَ أَعْظَمَ الْقُرْبَانَ

(١) وقد فعل رحمه الله ما تعهد به لربه، فإنه أتى على شبهاتهم فأحرقها بالبيان والحق، ومن ذلك هذه النونية العظيمة التي نازل الفرق فيها وجادلهم وأدحض باطلهم، ومن ذلك كتابه «إغاثة اللهفان» وكتابه «الصواعق المرسلات على الجهمية والمعتلة» وكتابه «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» وكتابه «مدارج السالكين» فكل هذه من مجهوداته رحمه الله، وصارت هذه المؤلفات مراجع عظيمة لأهل الإسلام وسلاحاً بأيدي المؤمنين.

(٢) يعني: لأقصينهم إلى أقصى المشرق وأبعدهم عن قبلة المسلمين، وعبادان: من بلاد فارس.

وَأَحْمِلَنَّ عَلَيْهِمُ بَعْسَاكِرٍ
 لَيْسَتْ تَفِرُّ إِذَا التَّقَى الزَّحْفَانِ
 بَعْسَاكِرِ الْوَحْيَيْنِ وَالْفِطْرَاتِ بِالِ
 مَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ بِالْإِحْسَانِ
 حَتَّى يَبِينَ لِمَنْ لَهُ عَقْلٌ مِنْ أَلِ
 أَوْلَى بِحُكْمِ الْعَقْلِ وَالْبُرْهَانِ
 وَلِأَنْصَحَنَّ اللَّهُ ثُمَّ رَسُولَهُ
 وَكِتَابَهُ وَشَرَائِعَ الْإِيمَانِ (١)
 إِنْ شَاءَ رَبِّي ذَا يَكُونُ بِحَوْلِهِ
 أَوْ لَمْ يَشَأْ فَالْأَمْرُ لِلرَّحْمَنِ (٢)

(١) وهذه العساكر هي حجج الكتاب والسنة وليست هي قواعد المنطق وعلم الكلام، وأيضاً الفطرة السليمة والمعقول، يعني الأدلة العقلية الصحيحة التي يُخاصم بها هؤلاء.

(٢) هذا مأخوذ من الحديث: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم» (*) هذا هو الدين.

وبما أنه التزم فيما سبق من الآيات بمناصرة الحق ودفع الباطل فَوَضَّ الأَمْرَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَقَالَ: هَذَا رَاجِعٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ فَإِنْ شَاءَ أَعَانَنِي عَلَى ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَشَأْ فَالْأَمْرُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ بَلْ يُفَوِّضُ الأَمْرَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٣٨/٢٨ (١٦٩٤٠)، ومسلم (٥٥) (٩٦)، وأبو داود (٤٩٤٤) من حديث تميم الداري، وانظر تمام تخريجه في «المسند» وشرحه في «جامع العلوم والحكم» لابن رجب، الحديث السابع.

فصل

في شهادة أهل الإثبات على أهل التعطيل أنه ليس
في السماء إله يعبد ولا لله بيننا كلام
ولا في القبر رسول الله^(١)

إِنَّا تَحَمَّلْنَا الشَّهَادَةَ بِالَّذِي
قُلْتُمْ نُؤَدِّيهِا لَدَى الرَّحْمَنِ
مَا عِنْدَكُمْ فِي الْأَرْضِ قُرْآنٌ كَلَامٌ
مُ اللَّهُ حَقًّا يَا أُولِي الْعُدْوَانِ^(٢)
كَلًّا وَلَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى
رَبُّ يُطَاعُ بِوَأَجِبِ الشُّكْرَانَ^(٣)

(١) هذا من مُجمل عقائد أهل الباطل: أنه يلزم على عقائدهم نفي وجود الرب سبحانه وتعالى، لأنه إذا نُفيت أسماؤه وصفاته صار معدوماً، وهذا لازمٌ مذهبهم وإن لم يُصَرِّحُوا بذلك، وأيضاً: الربُّ سبحانه وتعالى عندهم لا يتكلم، لأنهم نفوا عنه صفة الكلام سبحانه وتعالى، وأيضاً ليس في القبر رسول الله ﷺ لأنهم يجحدون الرسالة ويزعمون أن الفلاسفة أعلم من الرسل.

(٢) بل هو كلام البشر كما قال الوليد بن المغيرة: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] فهو عند الجهمية إما كلام جبريل أو كلام محمد وهو مخلوق، أو يقولون: خلقه الله في اللوح المحفوظ وأخذه جبريل من اللوح المحفوظ.

(٣) لأنهم يُنكرون علوَّ الله واستواءه على عرشه.

كَلَّا وَلَا فِي الْقَبْرِ أَيْضًا عِنْدَكُمْ

مِنْ مُرْسَلٍ وَاللَّهِ عِنْدَ لِسَانِي (١)

هَاتِيكَ عَوْرَاتٍ ثَلَاثٌ قَدْ بَدَتِ

مِنْكُمْ فَغَطُّوْهَا بِلَا رَوَّغَانِ

فَالرُّوْحُ عِنْدَكُمْ مِنَ الْأَعْرَاضِ قَا

ئِمَّةٌ بِجِسْمِ الْحَيِّ كَالْأَلْوَانِ

وَكَذَا صِفَاتُ الْحَيِّ قَائِمَةٌ بِهِ

مَشْرُوطَةٌ بِحَيَاةِ ذِي الْجُمْئَانِ

فَإِذَا انْتَفَتَتْ تِلْكَ الْحَيَاةُ فَيَنْتَفِي

مَشْرُوطُهَا بِالْعَقْلِ وَالْبُرْهَانِ

(١) لأنهم يعتقدون أنَّ الرسولَ إنما كان في حال الحياة ولكن بعد الموت تحلَّلَ وذهب ولم يُعد رسولاً، وهذا خلاف الحق، لأنَّ الرسولَ ﷺ حيٌّ في قبره حياةً برزخيةً، وقد دلَّت الأحاديث على ذلك ومنها: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» (*) عليهم الصلاة والسلام، وأيضاً قال الله تعالى في الشهداء: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فإذا كان الشهداء أحياء في قبورهم حياةً برزخية فالرسل أولى بالحياة البرزخية.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٨٤/٢٦ (١٦١٦٢)، وأبو داود (١٠٤٧) و(١٥٣١)، وابن ماجه (١٠٨٥) و(١٦٣٦) من حديث أوس بن أبي أوس، وهو حديث إسناده صحيح.

ورسالة المبعوثِ مشروطٌ بها

كصِفَاتِهِ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ^(١)

فإذا انتفتت تلك الحياةُ فكلُّ مشـ

روطٍ بها عدمٌ لذى الأذهانِ^(٢)

* * *

(١) يقول: عندكم أنه إذا مات لم يكن رسولاً؛ لأن الرسالة مشروطة بأن تكون في حال الحياة، هكذا يقولون، والحق أنّ رسالات الأنبياء لا تبطل بموتهم عليهم السلام.

(٢) يقولون: الرسالة مشروطة بحياة النبي ﷺ فإذا مات ذهب عنه الرسالة، وهذا مثل كلام أهل الردة الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ، وقالوا: نطيعه لو كان حياً. وبعضهم قال: لو كان نبياً ما مات.

فصل

في الكلام في حياة الأنبياء في قبورهم^(١)

ولأجل هذا رامَ ناصرٌ قولكم

تَرْقِيَعُهُ يَا كَثْرَةَ الخُلُقَانِ

قال الرسولُ بقبره حيٌّ كما

قَدْ كَانَ فَوْقَ الأَرْضِ والرَّجْمَانِ^(٢)

(١) هذا الفصل ردٌّ على مَنْ ينفون حياة الأنبياء في قبورهم، بأن حياتهم في قبورهم ليست كحياتهم على الأرض، بل هي في الحقيقة حياة برزخية ليست مثل حياتهم في الدنيا، وليس معنى كونه حياً حياة برزخية أنه يُستغاث به ويطلب منه المدد، لأن هذا باطل، ويستدل بعض هؤلاء المخرفين بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ﴾ [النساء: ٦٤] فنقول: هذا في حال حياته عليه السلام، كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يفعلون ذلك في حياته، ولم يكونوا يفعلون ذلك معه بعد موته عليه السلام.

(٢) الذي يقول: إِنَّ حَيَاتَهُ فِي البرزخ مثل حياته في الدنيا كاذب وهذه مقالة الخرافيين، حتى إنهم في احتفالاتهم البدعية يزعمون أن الرسول ﷺ يحضر ويحيونه ويقومون له، وهذا باطل، فإن الرسول ﷺ بعد موته لا يأتي إلى الدنيا، اللهم إلا في رؤيا المنام وهي تختلف عما يرى في اليقظة.

مِنْ فَوْقِهِ أَطْبَاقُ ذَاكَ التُّرْبِ وَالْ
 لِبْنَاتُ قَدْ عُرِضَتْ عَلَى الْجُدْرَانِ
 لَوْ كَانَ حَيًّا فِي الضَّرِيحِ حَيَاتَهُ
 قَبْلَ الْمَمَاتِ بغيرِ مَا فُرْقَانِ
 مَا كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ بِلِ مِنْ فَوْقِهَا
 وَاللَّهِ هَذَا سُنَّةُ الرَّحْمَنِ (١)
 أَتْرَاهُ تَحْتَ الْأَرْضِ حَيًّا ثُمَّ لَا
 يُفْتِيهِمْ بِشَرَائِعِ الْإِيمَانِ (٢)
 وَيُورِيحُ أُمَّتَهُ مِنَ الْأَرَاءِ وَالْ
 حُلُفِ الْعَظِيمِ وَسَائِرِ الْبُهْتَانِ (٣)

- (١) يقول: لو كان الرسول ﷺ حياً في القبر كحياته في الدنيا، فلماذا يُدفن؟ وهو أغلى شخص عند المؤمنين، وهو أحب إليهم من أرواحهم وأنفسهم، فلماذا دفنوه وهو حي؟ هل يقول هذا عاقل؟! فهذا أول رد عليهم فدفنه دليل على أنه قد مات وفارق الدنيا وانتقل إلى الرفيق الأعلى، وأن حياته في القبر حياة برزخية من أمور الآخرة.
- (٢) لو كان حياً في قبره حياته على وجه الأرض لما تأخر الصحابة عن الجلوس عند قبره وسؤاله وتلقي العلم منه، وأيضاً لم ينقطع الوحي الذي كان ينزل عليه - عليه الصلاة والسلام -.
- (٣) لو كان في قبره حياً كحياته على وجه الأرض لأزال كثيراً من الاختلافات الاجتهادية التي تحصل بين الصحابة وغيرهم من العلماء، فيرجعون إليه ولا يحتاجون للاجتهاد.

أَمْ كَانَ حَيًّا عَاجِزًا عَنِ نُطْقِهِ
 وَعَنِ الْجَوَابِ لِسَائِلِ لَهْفَانٍ
 وَعَنِ الْحِرَاكِ فَمَا الْحَيَاةُ اللَّاتِ قَدْ
 أَثْبَتُوهَا أَوْضَحُوا بَيَانَ (١)
 هَذَا وَلَمْ لَا جَاءَهُ أَصْحَابُهُ
 يَشْكُونَ بِأَسَ الْفَاجِرِ الْفَتَّانِ
 إِذَا كَانَ ذَلِكَ دَأْبُهُمْ وَنَبِيُّهُمْ
 حَيًّا يُشَاهِدُهُمْ شُهُودَ عِيَانِ (٢)
 هَلْ جَاءَكُمْ أَثْرٌ بَأَنَّ صِحَابَهُ
 سَأَلُوهُ فُتِيًا وَهُوَ فِي الْأَكْفَانِ
 فَأَجَابَهُمْ بِجَوَابٍ حَيًّا نَاطِقٍ
 فَاتُّوا إِذَا بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ (٣)

(١) لو كان حياً كما تزعمون كحياته على الأرض لما انقطع كلامه ﷺ مع الناس، فانقطع كلامه ﷺ دليل على موته.

(٢) فالصحابه إذا نزلت بهم نازلة أو ضايقتهم عدو أو أصابتهم كربة ما كانوا يذهبون إلى القبر ويطلبون من النبي أن يجيبهم كما كانوا يفعلون ذلك قبل موته فدل على أن حياته في البرزخ تختلف عن حياته في الدنيا.

(٣) هل عندكم فتوى واحدة أفتى بها الرسول ﷺ بعد موته، فدل على أنه انتهى من الدنيا، لأنه بلغ رسالة ربه ولحق بالرفيق الأعلى عليه الصلاة والسلام ولم يبق مرجعاً عند الاختلاف وعند الشدائد لأنه انتقل من بينهم إلى دار أخرى وإنما المرجع ما أوصى بالرجوع إليه من بعده وهما الكتاب والسنة.

هَلَّا أَجَابَهُمْ جَوَاباً شَافِئاً
 إِنْ كَانَ حَيًّا نَاطِقاً بِلِسَانٍ
 هَذَا وَمَا شُدَّتْ رِكَائِبُهُ عَنِ الْ
 حُجْرَاتِ لِلْقَاصِي مِنَ الْبُلْدَانِ
 مَعَ شِدَّةِ الْحَرَصِ الْعَظِيمِ لَهُ عَلَى
 إِرْشَادِهِمْ بِطَرَائِقِ التَّيَّانِ (١)
 أَتْرَاهُ يَشْهَدُ رَأْيَهُمْ وَخِلَافَهُمْ
 وَيَكُونُ لِلتَّيَّانِ ذَا كِتْمَانٍ (٢)
 إِنْ قُلْتُمْ سَبَقَ الْبَيَّانُ صِدْقَتُمْ
 قَدْ كَانَ بِالتَّكْرَارِ ذَا إِحْسَانٍ

- (١) لا تُشد الرحال إلى قبره عليه الصلاة والسلام مثل ما كانت تُشد إليه وهو حيٌّ، كانت تأتيه الوفود والركبان من المشرق والمغرب، ويفدون عليه - عليه الصلاة والسلام - وبعد موته ما جاءت وفود ولا ركبان إلى قبره عليه السلام لسؤاله والتلقي عنه، لعلمهم أنه قد مات وأنه قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» (*) أما القبور فلا تُشد الرحال إليها لا قبور الأنبياء ولا الأولياء ولا الصالحين، لأن ذلك يُفضي إلى الشرك بالله عز وجل فمَنع ذلك من سدِّ وسائل الشرك.
- (٢) حصل بعده مشاكل عند المسلمين في وقت الصحابة ومَن بعدهم، وما تَوَلَّى الرسول ﷺ حلَّها بعد موته كما كان يتولى ذلك وهو حيٌّ، فدلَّ على أنَّ أحكام حياته في القبر تختلف عن أحكام الحياة في الدنيا.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١١٦/١٢ (٧١٩١)، والبخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧) من حديث أبي هريرة.

هذا وكم من أمرٍ أشكلَ بعدهُ
 أعني على علماء كلِّ زمانٍ
 أو ما ترى الفاروقَ ودَّ بأئه
 قد كان منه العهدُ ذا تبيانٍ
 بالجَدِّ في ميراثه وكرالاةٍ
 وبيعضِ أبوابِ الرِّبَا الفَتَّانِ
 قد قصَّرَ الفاروقُ عندَ فريقكمُ
 إذ لم يسأله وهو في الأكفانِ (١)
 أترأهمُ يأتونَ حولَ ضريحه
 لسؤالِ أمهمُ أعزَّ حصانٍ

(١) تمنى الفاروق عمر بن الخطاب أن الرسول بين هذه المسائل الثلاث لأنها أشكلت عليه ولم تتضح له وهي:

١ - الكلالاة، فالفاروق مات ولم تتضح له هذه المسألة.
 ٢ - ميراث الجد مع الإخوة: الجمهور يرون مشاركة الإخوة للجد وذهبت طائفة من أهل العلم إلى أنه يحجبهم كالأب فالفاروق توقّف ولم يكن مع أحد الرأيين.

٣ - مسائل من الربا أشكلت عليه، وكان الفاروق يودُّ لو أن الرسول ﷺ بين هذه المسائل الثلاث، فلو كان يؤتى إليه في قبره لكان أولى الناس بالذهاب إليه الفاروق يسأله عن هذه المسائل الثلاث، فدلَّ على أنه في قبره لا يسأل عن شيء، وكيف يبقى الفاروق على إشكاله ولا يسأل الرسول بعد موته، لو كان سؤاله بعد الموت جائزاً، فكونه لم يسأله دليل على أنه غير جائز.

وَنَبِيُّهُمْ حَيٌّ يَشَاهِدُهُمْ وَيَسُدُّ
 مَعَهُمْ وَلَا يَأْتِي لَهُمْ بَيَانٌ^(١)
 أَفْكَانَ يَعْجِزُ أَنْ يُجِيبَ بِقَوْلِهِ
 إِنْ كَانَ حَيًّا دَاخِلَ الْبُنْيَانِ
 يَا قَوْمَنَا اسْتَحْيُوا مِنَ الْعُقَلَاءِ وَالْ
 مَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ وَالرَّحْمَنِ
 وَاللَّهِ لَا قَدَرَ الرَّسُولِ عَرَفْتُمْ
 كَلًّا وَلَا لِلنَّفْسِ وَالْإِنْسَانِ
 مَنْ كَانَ هَذَا الْقَدْرُ مَبْلَغَ عِلْمِهِ
 فَلَيْسَتْ تَرَى بِالصَّمْتِ وَالْكِتْمَانِ
 وَلَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ أَنَّ رَسُولَهُ
 مَيِّتٌ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ^(٢)

(١) كانوا يؤتون عائشة رضي الله عنها فيسألونها، والقبر عندهم في الحجرة، فيأتون إلى أم المؤمنين فيسألونها مع أن القبر قريبٌ عندهم في الحجرة، فدلَّ على أن سؤاله بعد الموت لا يجوز، وهذا في مسائل العلم فكيف بسؤاله تفريج الكربات وإغاثة اللفهان، وقوله: أعزَّ حَصَان: يعني عائشة حيث برَّأها الله تعالى من قول أهل الإفك، فكيف يسكت الرسول ويتركهم، هذا كتمان وحاشاهُ أن يكتم الحق.

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] هذا ردُّ على المخرفين الذين يقولون بحياة الرسول ﷺ في قبره كحياته على الأرض ويغفلون فيه، ويزعمون أنها لا تختلف عن حياته على وجه الأرض، ولذلك يطلبون منه الحاجات ويستغيثون به - والعياذ بالله - هذا ضدُّ قول الطائفة =

أَفْجَاءَ أَنَّ اللَّهَ بَاعِثُهُ لَنَا
 فِي الْقَبْرِ قَبْلَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
 أَثَلَاثَ مَوْتَاتٍ تَكُونُ لِرُسُلِهِ
 وَلِغَيْرِهِمْ مِنْ خَلْقِهِ مَوْتَانِ (١)
 إِذْ عِنْدَ نَفْخِ الصُّورِ لَا يَبْقَى امْرُؤٌ
 فِي الْأَرْضِ حَيًّا قَطُّ بِالْبُرْهَانِ (٢)

= التي تقول: إنه قد صار عدماً بعد موته، وينفون حياته مطلقاً، وأهل الحق توسطوا بين الطائفتين فأثبتوا حياة الرسول ﷺ في البرزخ، لكنها من أمور الآخرة ليست كحياته على وجه الأرض.

(١) إذا كانت حياته في قبره. كما تقولون كحياته في الدنيا، هذا معناه أن الله بعثه بعد موته، وهل هناك بعث قبل يوم القيامة؟! يعني: مات ثم بُعث ثم مات ثم بُعث فيكون هناك بعثان للرسول، وأما غيره فموت واحد وبعث واحد، لا يقول هذا أحد، كما في قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنَا وَأَحْيَيْتَنَا أَتَيْتَنَّا﴾ [غافر: ١١]، فالخلق كلهم لهم حياتان وموتان:

الموتة الأولى: حين كانوا نطفة ميتة، ثم إن الله طور هذه النطفة إلى أن تجسدت بعد ذلك، ثم نُفِخَتْ فِيهَا الرُّوحُ فَأَحْيَاهَا سَبْحَانَهُ بعد موتها، هذه الحياة الأولى.

الموتة الثانية: عند نهاية الأجل في الدنيا، والحياة الثانية بعد البعث في يوم القيامة، فهل الرسول يكون له حياة زائدة على البشر؟ ثلاث موتات وثلاث بعثات، هذا ما قاله أحد.

(٢) قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الزمر: ٦٨] يموت كلُّ الخلق إلا ما استثنى الله.

أفهل يموتُ الرُّسُلُ أم يبقوا إذا
 ماتَ الورى أم هل لَكُمْ قولان^(١)
 فتكلّموا بالعلم لا الدعوى وجيـ
 ءُوا بالدليل فنحنُ ذو أذهان^(٢)
 أو لم يقلُ من قبلكم للرافعي الـ
 أصواتِ حَوَلِ القبرِ بالتكرانِ
 لا ترفعوا الأصواتَ حُرْمَةً عِنْدِهِ
 مَيْتاً كَحُرْمَتِهِ لَدَى الحيوَانِ
 قد كان يُمكنُهُم يقولوا إنَّهُ
 حيٌّ فغضُّوا الصوتَ بالإحسانِ
 لكنَّهُم بأللهِ أعلمُ منكمُ
 ورسولِهِ وحقائقِ الإيمانِ^(٣)

(١) يعني هل للرسول خاصة فلا يموتون عند الصعق؟ أو أنهم مثل غيرهم يموتون ويصعقون.

(٢) هاتوا لنا دليل من الكتاب والسنة على ذلك فنحن نسلم.

(٣) وذلك أن عمر رضي الله عنه أنكر على النفر الذين جاؤوا من الطائف ودخلوا مسجد الرسول ﷺ ورفعوا أصواتهم فحصبهم وأنكر عليهم (*). لأن حُرْمَتَهُ مَيْتاً كحرمته حياً، وقد قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] فلا يجوز رفع الصوت عند قبره تعظيماً له واحتراماً له عليه السلام ولكن يُسَلَّمُ عليه المسلّم بصوتٍ منخفضٍ.

(*) انظر ما ورد في «صحيح البخاري» (٤٧٠).

ولقد أتوا يوماً لى العباسِ يسئ

تسئون من قحطٍ وجذبِ زمانٍ

هذا وبينهم وبين نبيهم

عرضُ الجدارِ وحجرةُ النسوانِ

فنيهم حيٌّ ويستسقون غي

ر نبيهم حاشى أولي الإيمان^(١)

* * *

(١) هذا من البراهين: على أنه ﷺ لا يسأل شيئاً بعد موته لأنَّ الصحابةَ لما أجدبوا، يعني امتنع عنهم المطر وانحبس، وكان من سنة النبي ﷺ الاستسقاء لهم عند ذلك والدعاء، فلم يذهبوا إلى قبر النبي ﷺ يطلبون منه أن يدعو لهم بالسقيا بل ذهبوا إلى عمه العباس، وطلبوا منه أن يدعو الله لهم بالغيث، فكونهم عدلوا عن الرسول إلى العباس دليل على أنَّ الرسول لا يُطلب منه شيء بعد موته، إذ كيف يعدلون عن الفاضل إلى المفضول، إلا لأنَّ الفاضل لا يُطلب منه شيء بعد الموت، وهم أعلم الأمة بما يجوز وما لا يجوز في حقه ﷺ.

فصل

فيما احتجوا به على حياة الرسل في القبور^(١)

فإن احتججتم بالشهيد بأنه

حي كما قد جاء في القرآن

والرسل أكمل حالة منه بلا

شك وهذا ظاهر التبيان^(٢)

(١) تقدّم الكلام في حياة الرسل بعد موتهم في قبورهم، وتبيّن أنّ هذه الحياة حياة برزخية ليست كحياتهم في الدنيا، والحياة البرزخية لا يعلمها إلا الله تعالى، وهي تختلف أحكامها عن أحكام الحياة في الدنيا، فلا تعلق بهذه المسألة وهي أنّ الأنبياء أحياء في قبورهم للمخرفين الذين يدعونهم من دون الله، فهم أحياء في قبورهم، ولكن لا يسوغ دعاؤهم ولا الاستغاثة بهم، فلا تلازم بين هذا وبين أنّهم أحياء في قبورهم؛ لأنّ حياتهم في قبورهم تختلف عن حياتهم على وجه الأرض من وجوه كثيرة وسبق إيضاح ذلك، وقد ذكر في هذا الفصل الحجج التي احتجوا بها على التعلّق بالرسل بعد موتهم، حيث احتجوا على هذا بشبهة سيأتي بيانها.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْفَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقال في الآية الأخرى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، فذكر في الآيتين أنّهم أحياء، وأنا لا نشعر بهذه الحياة ولا ندرکها لأنّها من عالم الغيب فهي حياة خاصة في البرزخ تختلف عن حياتهم في الدنيا، هذا =

فلذلك كانوا بالحياة أحقَّ من

شُهادتنا بالعقل والبُرهان^(١)

وبأنَّ عَقْدَ نِكَاحِهِ لَمْ يَنْفَسِخْ

فمساؤه في عصمة وصيان^(٢)

ولأجل هذا لم يحلَّ لغيره

منهنَّ واحدةٌ مدَى الأزمانِ

أفليس في هذا دليلٌ أنَّه

حيٌّ لمن كانت له أذنان^(٣)

= في الشهداء، والرسول لم يأت نصُّ على أنَّهم أحياء في قبورهم ولكن من باب قياس الأولى إذا كان الشهداء أحياء في قبورهم عند ربِّهم ولا نشعرُ بحياتهم فالأنبياء من باب أولى لأنَّهم أكمل من الشهداء فهم أحياء في قبورهم حياةً برزخية لا تعلق لها بأمور الدنيا، فهم قد ماتوا كغيرهم من البشر الموتة التي فارقوا بها الدنيا وهم أحياء حياةً برزخية في القبور، والقبور وما يجري فيها لا نُدرکه نحن.

(١) نحن ثبت حياة الرسل في القبور من باب قياس الأولى.

(٢) قالوا أيضاً: نساء النبي ﷺ يُحرم عليهنَّ التزوُّج من بعده، فهذا دليلٌ على أنَّه حيٌّ في قبره، فنقول: نعم أزواجه لا يحلُّ التزوج منهنَّ، وعقدُهُ عليهنَّ باقٍ، فهنَّ زوجاتُهُ في الجنة وليس معناه أنه لم يمت بل مات، ولذلك أعتدُنَّ عدة الوفاة وبقين في بيوت الزوجية بعده ﷺ.

(٣) هذا كلامُهم يقولون: ما دامت أزواجه لا تتزوج لأنهن مقصورات عليه فهذا دليلٌ على حياته في القبر كحياته في الدنيا، ونقول لهم: حياته في القبر حياةً برزخية ليست كحياته في الدنيا كما سبق.

أَوْ لَمْ يَرَ الْمُخْتَارُ مُوسَى قَائِماً
 فِي قَبْرِهِ لَصَلَاةِ ذِي الْقَرْبَانِ
 أَفَمَيِّتٌ يَأْتِي الصَّلَاةَ وَإِنَّ ذَا
 عَيْنِ الْمُحَالِ وَوَضَحُ الْبُطْلَانِ^(١)
 أَوْ لَمْ يَقُلْ إِنِّي أَرَدْتُ عَلَى الَّذِي
 يَأْتِي بِتَسْلِيمٍ مَعَ الْإِحْسَانِ^(٢)

(١) هذه شبهةٌ ثالثة: قالوا مما يدل على أنّ الأنبياء أحياء في قبورهم كحياتهم في الدنيا: أنّ النبي ﷺ ليلة أسري به من مكة إلى بيت المقدس مرَّ على موسى وهو يصلي في قبره^(*). فقالوا: هذا دليل على أنّ الأنبياء أحياء في قبورهم كحياتهم في الدنيا؛ لأنّ موسى كان يصلي في قبره، وقد أجاب ابن القيم عن هذا بأمرين:

الأول: أنّ في سند هذا الحديث مقالاً فهو موقوف.

الثاني: لو صحَّ هذا الحديث فصلاّته في قبره من أمور البرزخ وأمور

الآخرة فليست كصلاّتهم في الدنيا بل هذه صلاةٌ برزخية وحياةٌ برزخية.

(٢) وهذا دليلٌ لهم آخر: أنّ الرسول ﷺ قال: «ما من أحد يُسَلِّم عليّ، إلا ردَّ الله عليّ رُوحِي، حتّى أَرَدَّ عليه السلام»^(***) قالوا: هذا دليل على =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٤٣/١٩ (١٢٢١٠)، ومسلم (٢٣٧٥) من حديث أنس بن مالك، ولفظه عند أحمد: «مررت ليلة أسري بي على موسى قائماً يصلي في قبره» وانظر تمام تخريجه في «المسند».

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٧٧/١٦ (١٠٨١٥)، وأبو داود (٢٠٤١) من حديث أبي هريرة، وهو حديث إسناده صحيح.

أَيُّرُدُّ مَيِّتَ السَّلَامِ عَلَى الَّذِي
يَأْتِي بِهِ هَذَا مِنَ الْبُهْتَانِ
هَذَا وَقَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ بِأَنَّهَمْ
أَحْيَاءُ فِي الْأَجْدَاثِ ذَا تَبْيَانٍ
وَبَأَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ عَلَيْهِ تُعْرَضُ
رَضُ دَائِمًا فِي جُمُعَةٍ يَوْمَانِ
يَوْمَ الْخَمِيسِ وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الَّذِي
قَدْ خُصَّ بِالْفَضْلِ الْعَظِيمِ الشَّانِ (١)

= حياته ﷺ في قبره كحياته في الدنيا وهذا في الواقع حجة عليهم: لأنه قال: «رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي» فدلَّ على أنَّ رُوحه قد فارقت بدنه عليه الصلاة والسلام وإنما تُرد في وقت السلام عليه فقط.

(١) واحتجوا بأن عرض أعمال العباد عليه في يوم الاثنين والخميس دليلٌ على أنه حيٌّ، وهذا عنه جوابان:

الأول: أن الحديث في «عرض الأعمال» (*) فيه مقال.

الثاني: لو صحَّ فعرضها عليه لا يدلُّ على أنه حيٌّ مثل حياته في الدنيا وإنما يدلُّ على أنه حيٌّ حياةً برزخية تختلف عن حياته في الدنيا.

(*) الكلام هنا عن حديثين: الأول: حديث عرض الأعمال على الله تعالى، وفيه ذكر يوم الاثنين والخميس، أخرجه أحمد في «مسنده» ٧٧/١٣ (٧٦٣٩)، ومسلم (٢٥٦٥)، من حديث أبي هريرة. والثاني: حديث عرض الأعمال على الرسول ﷺ ليس فيه ذكر يوم الخميس والاثنين ونصه: «حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم...» الحديث. انظره تاماً مع تخريجه ص ٧٠٦.

فصل

في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة

فيقال أصل دليلكم في ذلك حُجْ

جئنا عليكم وهي ذات بيان

إنَّ الشهيدَ حياتهَ مَنْصُوصَةٌ

لا بالقياسِ القائمِ الأركانِ^(١)

هذا مع النهي المؤكِّدِ أننا

ندعوه مَيْتاً ذاك في القرآن^(٢)

ونسأؤه حلٌّ لنا مِن بعدهِ

والمالُ مقسومٌ على الشُّهْمَانِ^(٣)

(١) الشهيد حياتهُ ثبتت بالنص في القرآن في موضعين ومع هذا فإنَّ الشهيدَ دُفِنَ، وزُوِّجَت نساؤه، وقُسِمَ ميراثه، فدلَّ على أنَّ هذه الحياةَ حياةً خاصَّةً تُفارق حياته في الدنيا، وحياة الأنبياء مقيسة عليها فيكون من باب أولى أن حياتهم في البرزخ تختلف عن حياتهم في الدنيا فهذا دليلٌ عليكم لا لكم.

(٢) الشهيد مع النص على حياته في القرآن فإنه لا يجوز لنا دعاؤه من دون الله قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأحقاف: ٥].

(٣) الشهيد، أثبت الله أنه حي ومع ذلك أباح أن نتزوج امرأته من بعده، فدلَّ على أنَّ حياته في البرزخ غير حياته في الدنيا، وكذلك نقسم ميراثه وهذا دليلٌ على الفرق بين الحياتين.

هَذَا وَأَنَّ الْأَرْضَ تَأْكُلُ لَحْمَهُ

وَسِبَاعُهَا مَعَ أُمَّةِ الدِّيدَانِ (١)

لَكِنَّهُ مَعَ ذَاكَ حَيٌّ فَارِحٌ

مُسْتَبْشِرٌ بِكَرَامَةِ الرَّحْمَنِ (٢)

فَالرُّسُلُ أَوْلَىٰ بِالْحَيَاةِ لَدَيْهِ مَعَ

مَوْتِ الْجُسُومِ وَهَذِهِ الْأَبْدَانِ (٣)

وَهِيَ الطَّرِيَّةُ فِي التَّرَابِ وَأَكْلُهَا

فَهُوَ الْحَرَامُ عَلَيْهِ بِالْبَرْهَانِ (٤)

(١) الشهيد أيضاً يتمزق جسمه ويأكله الدود والسباع والطيور، ولو كان حياً

مثل حياته في الدنيا بقي جسمه لم يتمزق ولم يُبدَل بجسمه الذي تمزق

في القتال بحواصل الطير، فدل على أن حياة الشهداء ليست هي تلك

الحياة الجسدية في القبر وأن أرواحهم تجعل في حواصل طير خضر في

الجنة تروح وتسرح فيها كما صَحَّ في الحديث (*).

(٢) مع كل هذه الأمور من قسم ميراثه وتزويج امرأته ودفنه وتمزق جسمه

أخبر الله أنه حيٌّ فدلَّ على أنها حياة خاصة أخروية لا تُقاس على حياته

في الدنيا.

(٣) وإذا كان الشهداء أحياء في قبورهم فالرسل من باب أولى أنهم أحياء في

قبورهم حياةً برزخية أخروية لا تعلق لها بأمور الدنيا.

(٤) أما أجسام الأنبياء فهي تختلف عن أجسام الشهداء، أجسام الشهداء تفتنى

وتتمزق ومنها ما يبقى، أما الأنبياء فإن أجسامهم محفوظة وتبقى طرية، =

(*) ورد ذلك في «صحيح مسلم» (١٨٨٧)، والترمذي (٣٠١١) من حديث عبد الله بن

ولبعض أتباع الرسول يكونُ ذا
 أيضاً وقد وجدوه رأيَ عيانٍ^(١)
 فانظروا إلى قلب الدليل عليهم
 حرفاً بحرفٍ ظاهرٍ التَّيَّانِ
 لكن رسول الله خُصَّ نساؤه
 بخصيصةٍ عن سائر النِّسوانِ
 خَيْرَنَ بين رُسولِهِ وسواهُ فَاخُذْ
 تَرَنَ الرسولَ لِصِحَّةِ الإِيمَانِ^(٢)
 شَكَرَ الإِلَهَ لَهُنَّ ذَاكَ وَرَبُّنَا
 سُبْحَانَهُ لِلْعَبْدِ ذُو شُكْرَانِ

= فدلَّ على أنَّ هذه الأمور أمورٌ غيبيةٌ وأمورٌ برزخيةٌ لا يُقال فيها إلا بما
 ثبت في الدليل .

(١) وقد يكون من الشهداء من يبقى جسمه طرياً كما حصل وقائع من هذا أنه
 عُثِرَ على قبور ويوجد أصحابها كما دفنوا وهذه كرامة من الله عز وجل
 ومع هذا لا يجوز دعاؤهم من دون الله .

(٢) نساء الرسول ﷺ يختلفن عن نساء الشهداء الشهداء تتزوج نساؤهم أمَّا
 نساء الرسول فإنَّهن لا يتزوجن؛ لأنهن نساؤه في الجنة، وقد خيَّرن
 الرسول ﷺ فاخترن ذلك وبقين زوجاته في الجنة، ولذلك حُرِّمَ على
 الأمة نكاحهن بعده ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا
 أَرْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣] .

قَصُرُ الرِّسُولِ عَلَى أَوْلَيْكَ رَحْمَةً

مِنْهُ بِهِنَّ وَشُكْرَ ذِي الْإِحْسَانِ^(١)

وَكَذَلِكَ أَيْضاً قَصُرُهُنَّ عَلَيْهِ مَعَهُ

لُومٌ بِلا شَكٍّ وَلَا حُسْبَانٍ

زَوْجَاتُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ

أُخْرَى يَقِيناً وَاضِحَ الْبُرْهَانِ

فَلِذَا حَرُمْنَ عَلَى سِوَاهُ بَعْدَهُ

إِذْ ذَاكَ صَوْناً عَنِ فِرَاشِ ثَانٍ

لَكِنْ أَتَيْنَ بَعْدَهُ شَرَعِيَّةً

فِيهَا الْحِدَادُ وَمُلْزَمُ الْأَوْطَانِ^(٢)

هَذَا وَرُؤْيَيْتُهُ الْكَلِيمَ مُصَلِّياً

فِي قَبْرِهِ أَثَرَ عَظِيمِ الشَّانِ^(٣)

(١) لَمَّا اخْتَرَنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ أَكْرَمَهُنَّ اللَّهُ بِأَنْ جَعَلَهُنَّ زَوْجَاتَهُ فِي الْجَنَّةِ.

(٢) مَعَ كَوْنِهِنَّ زَوْجَاتَهُ فِي الْجَنَّةِ وَهُنَّ فِي عَصْمَتِهِ لَمَّا مَاتَ أَتَيْنَ بَعْدَهُ الْوَفَاةَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ أَحْكَامَهُنَّ فِي الدُّنْيَا مِثْلَ غَيْرُهُنَّ فِي الْعِدَّةِ وَلِزُومِ الْبَيْتِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرِّسُولَ تَوَفَّى لِأَنَّهُ عَوْمَلُ مَعَامَلَةِ الْمَتَوَفَّى فَاعْتَدَدْنَ مِنْ بَعْدِهِ.

(٣) وَأَمَّا مَا وَرَدَ مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ مَرَّةً عَلَى مُوسَى وَهُوَ يَصَلِّي فِي قَبْرِهِ^(*)، أَجَابَ عَنْهُ بِجَوَابَيْنِ:

في القلب مِنْهُ حَسِيبَةٌ هَلْ قَالَهُ
فَالْحَقُّ مَا قَدْ قَالَ ذُو الْبَرْهَانِ^(١)
وَلِذَاكَ أَعْرَضَ فِي الصَّحِيحِ مُحَمَّدٌ
عَنْهُ عَلَى عَمَدٍ بِلا نِسْيَانٍ
وَالدَّارِقُطْنِيُّ الْإِمَامُ أَعْلَاهُ
بِرِوَايَةٍ مَعْلُومَةٍ التَّبَيَّانِ
أَنْسُ يَقُولُ رَأَى الْكَلِيمَ مُصَلِّياً
فِي قَبْرِهِ فَاَعْجَبَ لِذَا الْفُرْقَانِ

= الأول: من ناحية السند: أنه متردد بين الوقف والرفع، والبخاري
أعرض عنه نظراً لأنه لم يثبت مرفوعاً، وهو رأي جماعة من المحدثين.
الثاني: إذا ثبت أنه مرفوع كما في الرواية الثانية وهي رواية مسلم
في «صحيحه» (٢٣٧٥) وأنه رأى موسى يصلي في قبره فالصلاة في قبره
ليست خاصة بموسى عليه السلام فقد ثبت أن الميت إذا وُضع في قبره
وجاءه الملكان تمثل له الشمس عند الغروب فيطلب من الملكين أن
يتركاهُ يُصَلِّيَ العصر قبل أن تغرب الشمس فيقولان له: أما إنك
ستُصلي^(*)، فإذا كان الميت في القبر يريد أن يصلي وموسى رؤي يصلي
في القبر فهذه أمورٌ برزخية وأمورٌ خاصة ليست كالأمور التي في الدنيا.
(١) هذا جواب عن حديث صلاة موسى في قبره يعني: سند الحديث فيه
مقال، هل قاله الرسول أو قاله الصحابي وما دام أنه متردد بين الوقف
والرفع فالاحتجاج به يكون ضعيفاً.

(*) رواه ابن حبان في «صحيحه» ٧/ ٣٨٠ (٣١١٣) من حديث أبي هريرة، وهو حديث
إسناده حسن، وانظر تمام تخريجه فيه.

فرواهُ مَوْقُوفاً عَلَيْهِ وَلَيْسَ بِأَدِّ
 مَرْفُوعٍ وَاشْتَوْقاً إِلَى الْعِرْفَانِ
 بَيْنَ السِّيَاقِ إِلَى السِّيَاقِ تَفَاوُتٌ
 لَا تَطْرَحُنْهُ فَمَا هُمَا سِيَّانِ
 لَكِنْ تُقَلَّدُ مُسْلِماً وَسِوَاهُ مِنْ
 مَنْ صَحَّ هَذَا عِنْدَهُ بَيَانٌ (١)
 فِرَوَاتُهُ الْأَثْبَاتُ أَعْلَامُ الْهُدَى
 حُقَاقُظُ هَذَا الدِّينِ فِي الْأَزْمَانِ
 لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُخْتَصَّاً بِهِ
 وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ وَذُو إِحْسَانٍ (٢)
 فِرَوَى ابْنُ حَبَّانَ الصَّدُوقُ وَغَيْرُهُ
 خَبَرًا صَحِيحاً عِنْدَهُ ذَا شَأْنِ
 فِيهِ صَلَاةُ الْعَصْرِ فِي قَبْرِ الَّذِي
 قَدْ مَاتَ وَهُوَ مُحَقَّقُ الْإِيمَانِ
 فَتَمَثَّلَ الشَّمْسَ الَّذِي قَدْ كَانَ يَرَى
 عَاهَا لِأَجْلِ صَلَاةِ ذِي الْقُرْبَانِ

(١) الرواية الثانية المرفوعة للحديث عند مسلم (٢٣٧٥) أن الرسول هو الذي أخبر أنه رأى موسى يُصلي عليه السلام.

(٢) على القول بأن الحديث صحيح وأنه لا مطعن في سنده: نقول: هذا ليس مختصاً بموسى فكل ميت يوضع في قبره تمثّل له الشمس عند المغيب فيريد أن يصلي العصر قبل أن تغرب، وهذه أمورٌ برزخية وهذه صلاةٌ خاصة.

عِنْدَ الْغُرُوبِ يَخَافُ فَوْتُ صَلَاتِهِ
 فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكِينَ هَلْ تَدْعَانِي
 حَتَّى أَصَلِّيَ الْعَصْرَ قَبْلَ فَوَاتِهَا
 قَالَا سَتَفْعَلُ ذَلِكَ بَعْدَ الْآنِ^(١)
 هَذَا مَعَ الْمَوْتِ الْمُحَقَّقِ لَا الَّذِي
 حُكِيََتْ لَنَا بِبُيُوتِهِ الْقَوْلَانِ
 هَذَا وَثَابِتُ الْبُنَانِيِّ قَدْ دَعَا الرَّ
 رَحْمَنَ دَعْوَةَ صَادِقِ الْإِيْقَانِ^(٢)
 أَنْ لَا يَزَالَ مُصَلِّياً فِي قَبْرِهِ
 إِنْ كَانَ أُعْطِيَ ذَلِكَ مِنْ إِنْسَانٍ
 لَكِنَّ رُؤْيَيْتَهُ لِمُوسَى لَيْلَةَ الْ
 مَعْرَاجِ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ

-
- (١) فدلَّ على أنَّ الميت يريد أن يُصَلِّيَ في قبره وليس في هذا مُتَعَلِّقٌ
 للقبوريين الذين يدعون الأموات ويستغيثون بهم .
- (٢) ثابتُ البُنَانِيِّ أحدُ رواة الحديث سأل ربه : إن كان الميت يصلِّي في قبره :
 أن يجعله يصلِّي في قبره حباً للصلاة فليس هذا خاصاً بموسى ، فقد روي
 عن ثابت أنه كان يقول : اللهم إن كنت أعطيت أحداً الصلاة في قبره ،
 فأعطني الصلاة في قبوري ، ويقال إن هذه الدعوة استجيبت له ، وإنه رُوي
 بعد موته يصلِّي في قبره . ذكر ذلك الذهبي في «تهذيب الكمال» في
 ترجمة ثابت بن أسلم البنانِي ٣٤٨/٤ .

يرويه أصحاب الصَّحاحِ جميعُهُمْ

والقطعُ مُوجِبُهُ بلا نكرانٍ (١)

ولذاكَ ظَنَّ مُعَارِضاً لصلاته

في قبره إذ ليس يجتمعان (٢)

وأجيبَ عنه بأنَّهُ أُسْرِي به

لِإِيرَاهُ ثُمَّ مُشَاهِدًا بَعِيَانٍ

(١) هذا اعتراض على كون موسى يصلي في قبره، كيف يصلي في قبره وقد رآه ﷺ فوق السماوات؟! وتردد بينه وبين الله في فرض الصلوات الخمس، والجواب: أن يقال إن صحت صلاة موسى في قبره، فإنَّ هذا محمولٌ على تفاوت الزمان فيكون، رآه في قبره يصلي في وقت، ورآه في الملاء الأعلى في وقتٍ آخر، ولا مانع من هذا في قدرة الله سبحانه وتعالى، وأمور الأموات والبرزخ من الأمور التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ولا تُثبت فيها إلا ما ثبت في الدليل ونقتصر عليه.

(٢) هذا جواب عن احتجاجهم برد النبي ﷺ السلام على من سلم عليه في قبره (*) بأن نقول: ردُّ النبي ﷺ على مَنْ سَلَّمَ عليه في قبره، نقول: هو حيٌّ لكن حياة برزخية ليست حياةً دنيوية، وكون الرسول تُردُّ رُوحُهُ إليه ليردَّ السلام ليس خاصاً بالرسول بل هذا يكون في غيره من الأموات أيضاً فما من مسلم يزور أخاه في الله ويسلم عليه إلا ردَّ اللهُ رُوحَ الميت حتى يردَّ عليه السلام كما جاء في الحديث.

(*) سلف ذكر الحديث وتخريجه ص ٦٩٥.

فرآه ثم وفي الضريح وليس ذا
 بتناقضٍ إذا أمكنَ الوَقْتانِ
 هذا وَرَدُّ نَبينا التَّسْلِيمَ مَنْ
 يَأْتِي بِتَسْلِيمٍ مَعَ الإِحْسَانِ
 ما ذاك مَخْتَصاً بِهِ أَيْضاً كَمَا
 قَدْ قَالَهُ المَبْعُوثُ بِالقُرْآنِ
 مَنْ زَارَ قَبْرَ أَخٍ لَهُ فَاتَى بِتَسْلِيمٍ
 عَلَيْهِ وَهُوَ ذُو إِيمَانٍ
 رَدَّ إِلَهُهُ عَلَيْهِ حَقّاً رُوحَهُ
 حَتَّى يَرُدَّهُ عَلَيْهِ رَدّاً بَيَاناً^(١)
 وَحَدِيثُ ذِكْرِ حَيَاتِهِمْ بِقَبُورِهِمْ
 لَمَّا يَصِحُّ وَظَاهِرُ التُّكْرَانِ
 فَاَنْظُرْ إِلَى الإِسْنَادِ تَعْرِفْ حَالَهُ
 إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ بِهَذَا الشَّانِ
 هَذَا وَنَحْنُ نَقُولُ هُمْ أَحْيَاءُ لـ
 كُنْ عِنْدَنَا كَحَيَاةِ ذِي الأَبْدَانِ^(٢)

(١) لروح الميت اتصال ببدنه، تعاد إليه في وقت سؤال الملكين وتعاد عليه عند تسليم المسلم عليه.

(٢) هذه الحياة عند ربهم، قال تعالى: ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فلم يقل «أحياء» مطلقاً بل قال: ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وحياتهم في القبر =

والتُّرْبُ تَحْتَهُمْ وَفَوْقَ رُؤُوسِهِمْ
 وَعَنْ الشَّمَائِلِ ثُمَّ عَنْ أَيْمَانِ
 مِثْلَ الَّذِي قَدْ قَلْتُمُوهُ مَعَاذَنَا
 بِاللَّهِ مِنْ إِفْكِ وَمِنْ بُهْتَانِ
 بَلْ عِنْدَ رَبِّهِمْ مِثْلَ مَا
 قَدْ قَالَ فِي الشُّهَدَاءِ فِي الْقُرْآنِ
 لَكِنْ حَيَاتُهُمْ أَجَلٌ وَحَالُهُمْ
 أَعْلَى وَأَكْمَلُ عِنْدَ ذِي الْإِحْسَانِ (١)

= تختلف عن حياتهم في الدنيا، وهي أكمل وأحسن من حياتهم في الدنيا، لأنها حياةٌ نعيم، وأما حياتهم في الدنيا فحياةٌ نغص وتعب ومُكَدَّرَاتٍ وهموم وأحزان فتختلف حياة البرزخ عن حياة الدنيا.

(١) هذه الشبهة الأخيرة من شبه عبَاد القبور وهي: أَنَّهُمْ قَالُوا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ أَنَّهُ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ فَيَسْتَغْفِرُ لِمَنْ رَأَى مِنْهُمْ خَطَأً، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ طَلَبُ الْحَوَائِجِ مِنْهُ. وَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا مِنْ وَجْهَيْنِ:

الأول: من ناحية السند: أَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ حَدِيثُ عَرْضِ الْأَعْمَالِ عَلَيْهِ (*) =

(*) وهو حديث رواه الدليمي صاحب كتاب «الفردوس» عن أنس، وعزاه السيوطي في «الجامع الصغير» للحارث عن أنس، وفيه عند ابن سعد عن بكر بن عبد الله المزني مرسلًا بلفظ «حياتي خير لكم، تُحدثون ويحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم، تعرض عليّ أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت شراً استغفرت لكم». وذكره ابن حجر الهيثمي في «فتاواه» ولم يبيّن مخرجه ولا رتبته. «كشف الخفاء» ٤٤٢/١ (١١٧٨).

هذا وأمّا عرضُ أعمالِ العبا
 دِ عليه فَهوَ الحَقُّ ذُو وإمکانِ
 وأتى به أثراً فإنَّ صَحَّ الحديـ
 ثُ به فحقُّ وليس ذا نُكرانِ
 لكنَّ هذا ليسَ مُختصّاً بهِ
 أيضاً بِأثارِ رُوِينِ حَسَانِ
 فعلى أبي الإنسانِ يُعرضُ سَعِيهِ
 وعلى أقارِبِهِ مَعَ الإخوانِ
 إنَّ كانَ سَعِيّاً صَالِحاً فَرِحُوا بِهِ
 واستَبَشَرُوا يا لَذَّةَ الفَرَحانِ
 أو كانَ سَعِيّاً سَيِّئاً حَزَنُوا وَقَا
 لُوا رَبِّ راجِعُهُ إلى الإحسانِ
 ولذا استعاذ من الصحابة مَنْ روى
 هذا الحديثَ عَقِيْبَهُ بلسانِ^(١)

الثاني: أنه لو ثبت فعرض الأعمال على الرسول ليس خاصاً به، بل
 ورد أن أعمال الإنسان تُعرض على والديه الميتين فيُسْران بالأعمال
 الصالحة ويستأن من الأعمال السيئة ولم يرد أن أحداً يدعو والديه أو
 يستغيث بهما ويسألهما كما كان في الدنيا فكذلك الرسول ﷺ.
 (١) هو أبو الدرداء، عويمر بن زيد، قال: إن أعمالكم تعرض على موتاكم
 فيسرون ويسأون، ثم قال: اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً تخزي به
 عبد الله بن رواحة.

يا ربُّ إنِّي عائذٌ مِنْ خِزْيَةٍ
 أُخْزِي بِهَا عِنْدَ الْقَرِيبِ الدَّانِي
 ذَاكَ الشَّهِيدُ الْمُرْتَضَى ابْنُ رَوَاحَةَ الْ
 مَحْبُوبُ بِالْغُفْرَانِ وَالرَّضْوَانِ
 لَكِنَّ هَذَا ذُو اخْتِصَاصٍ وَالَّذِي
 لِلْمُصْطَفَى مَا يَعْمَلُ الثَّقَلَانِ (١)
 هَذِي نَهَايَاتُ لِأَقْدَامِ الْوَرَى
 فِي ذَا الْمَقَامِ الضَّنْكِ صَعْبِ الشَّانِ (٢)

(١) أمَّا المصطفى عليه السلام فإنه قد ورد أنه تُعرض عليه أعمال جميع أمته، وإذا ثبت فإنه لا يدل على أن حياته في البرزخ كحياته في الدنيا هذا حياة خاصة.

(٢) لما ذكر شبهاتهم وأجاب عنها قال: «هذه نهايات لأقدام الوری» يعني: شبهاتهم، وقد أجاب عنها واحدة واحدة رحمه الله، وهذا الموضوع وهو موضوع الحياة في القبور موضوعٌ خطير جداً؛ لأنه ضلَّ به أمم كثيرة من القبوريين والخرافيين فلا بدَّ من معرفة هذا الأمر ومعرفة الفروق بين الحياة في البرزخ والحياة في الدنيا، والإمام ابن القيم في كتاب «الروح» يقول: «إنَّ الحياة تختلف فحياة الجنين في بطن أمه تختلف بحسب الأحوال عن حياته بعد ولادته وعلى وجه الأرض، وحياته على وجه الأرض تختلف عن حياته في القبر، وحياته في الجنة أو في النار تختلف عن كل أنواع الحياة، ففي كل مكانٍ بحسبه ولا يعلم ذلك إلا الله سبحانه وتعالى، ولهذا أطال ابن القيم رحمه الله في هذه المسألة وأبدى فيها وأعاد، فهذا المبحث مبحث عظيم وجيد يحتاج إلى فهم.

والحقُّ فيه ليس تَحْمِلُهُ عقو
لُ بني الزمانِ لغلظةِ الأذهانِ^(١)
ولجهلِهِم بِالرُّوحِ مع أحكامِها
وصفاتها لإلفِ بالأبدانِ
فأرضَ الذي رضيَ الإلهُ لَهُم به
أتريدُ تنقُضُ حكمةَ الرَّحْمَنِ^(٢)
هل في عُقولِهِمُ بأنَّ الرُّوحَ في
أعلىِ الرفيقِ مُقيمةٌ بِجنانِ^(٣)
وتُردُّ أوقاتَ السلامِ عليه مِن
أتباعِهِ في سائرِ الأزمانِ
وكذاكَ إن زُرتَ القبورَ مُسلِّماً
رُدَّتْ لَهُمُ أرواحُهُم لَلآنِ

(١) يقول إنَّ أمورَ الموتِ والقبورِ والأرواحِ لا تتحمَّلُها عقولُ الناسِ لأنَّها من
الأمورِ الغيبيةِ التي لا يعلمُها إلا اللهُ .

(٢) فما عليكَ إلا أن تسلِّمَ لما جاء عن الله وعن رسوله ولا تتعدَّى ذلك، وما
جاء عن الله وعن رسوله التعلُّقُ بالأمواتِ ولا بالأنبياءِ بعد موتهم ولا
طلبِ شيءٍ منهم وهم أموات .

(٣) روح في أعلىِ عليين وهي: روح الشهيد، وروح المؤمن في الجنة،
وهذا نبينا ﷺ روحه في أعلىِ عليين مع الرفيقِ الأعلى، ثم إذا جاء
شخصٌ وسلِّمَ عليه في قبره تردُّ في الحال وهي في الملائكةِ الأعلى، كيف
هذا؟! هذا من شأنِ الله ولا تحيطُ به العقولُ .

فهم يَرُدُّونَ السَّلَامَ عَلَيْكَ لـ

كِنْ لستَ تَسْمَعُهُ بِذِي الْأُذْنَانِ (١)

هذا وأجواف الطيورِ الحُضْرِ مَسُّ

كُنْهَا لَدَى الْجَنَّاتِ وَالرِّضْوَانِ (٢)

مَنْ لَيْسَ يَحْمِلُ عَقْلَهُ هَذَا فَلَا

تَظْلِمُهُ وَاغْذَرَهُ عَلَى التُّكْرَانِ

لِلرُّوحِ شَأْنٌ غَيْرُ ذِي الْأَجْسَامِ لَا

تَهْمِلُهُ شَأْنُ الرُّوحِ أَعْجَبُ شَأْنِ

وَهُوَ الَّذِي حَارَ الْوَرَى فِيهِ فَلَمْ

يَعْرِفَهُ غَيْرُ الْفَرْدِ فِي الْأَزْمَانِ (٣)

(١) هذا دليلٌ على أنَّهم يردون السلام ردًّا خاصًّا؛ لأنَّه لو كان ردًّا مثل ما في الدنيا لسمعتَ ذلك، لكن الميت يردُّ عليك وأنت لا تسمعه، لأنَّه في عالم وأنت في عالمٍ آخر، وعالم الآخرة يختلف عن عالم الدنيا.

(٢) أرواح الشهداء في أجواف طير تأوي إلى قبناديل تحت العرش ومع ذلك لها اتصال بهم في قبورهم وهي في أعلى عليين تذهب وتأتي في لحظةٍ واحدة وفي وقتٍ متقارب، وهذا من قدرة الله سبحانه وتعالى.

(٣) أمر الأرواح لا يعرفه إلا الخواص من الراسخين في العلم الذين تتبعوا الأدلة وفقهوا معانيها، هؤلاء هم الذين يعرفون هذه المسألة، أمَّا عامة الناس فإنَّهم لا يعرفون هذه الأمور، ولذلك ضلُّوا فيها وأضلُّوا، ولذلك لا ينبغي تحديث الناس بمثل هذه الأمور التي لا تدركها عقولهم كما قال =

هذا وأمرٌ فوقَ ذا لو قُلْتُهُ

بَادَرْتُ بِالْإِنْكَارِ وَالْعُدْوَانِ^(١)

فَلِذَاكَ أَمْسَكْتُ الْعَنَانَ وَلَوْ أَرَى

ذَاكَ الرَّفِيقَ جَرَيْتَ فِي الْمِيدَانِ

هَذَا وَقَوْلِي إِنَّهَا مَخْلُوقَةٌ

وَحُدُوثُهَا الْمَعْلُومُ بِالْبُرْهَانِ^(٢)

= علي رضي الله عنه: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتْرِيدُونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ»^(*).

فيجوز كتمان العلم عمَّن لا يتحمَّله، لأنَّه إمَّا أَنْ يُكَذِّبَ بِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَفْهَمَهُ فَهَمًّا غَيْرَ صَحِيحٍ، فَلَا تُحَدِّثُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ إِلَّا مَنْ عِنْدَهُ تَقَبُّلٌ وَفَهْمٌ وَفَقْهٌ.

(١) الأرواح لا شك أنها مخلوقة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] فالأرواح مخلوقة وليست قديمة كما يقوله الفلاسفة، بل هي مخلوقة مُحدثة بعد أن لم تكن، ولكنها لا تفتنى بعد ذلك بل هي تُفارق الأجساد بالموت، لكنها لا تفتنى بل هي باقية تُنعم أو تُعذب، إلى أن يُعيدها الله إلى أجسادها عند النفخ في الصور، فترجع كلُّ روح إلى جسدها، ثم يصير إمَّا إلى الجنة وإمَّا إلى النار وفيما بين ذلك لها اتصال بالبدن في البرزخ وفي القبر، ولها انفصال ولها صعود ولها نزول.

(٢) من المتفلسفة من يقول: إِنَّ الرُّوحَ شَيْءٌ سِرِّيٌّ لَيْسَتْ بِدَاخِلِ الْبَدَنِ وَلَا خَارِجَهُ كَمَا قَالُوا فِي حَقِّ اللَّهِ، لَيْسَ بِدَاخِلِ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ وَلَا يَمِينُ =

هذا وقولي إنها ليست كما

قد قال أهل الإفك والبُهتان

لا داخل فينا ولا هي خارج

عنا كما قالوه في الديان^(١)

= ولا شمال ولا فوق ولا تحت، فهذا من تخبطاتهم ومن باطلهم فهم قالوا في الروح كما قالوا في حق الله تعالى، وهذا يلزم منه: أن الروح غير موجودة كما يلزم من قولهم: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه أنه غير موجود - تعالى الله عن ذلك -، هذا منتهى الضلال، وسببه الكلام بغير علم وخصوصاً في أمور الغيب، فإن الواجب على المؤمن في أمور الغيب أن يقتصر على ما صحَّ به الدليل ويتوقف عنده ولا يزيد عليه ولا ينقص، وإذا لم يفهمه فإنه يتوقف ويُسلم.

(١) في هذا الفصل والذي بعده يُركِّز الناظم رحمه الله على شبهة من أعظم شبهات المعطلة للأسماء والصفات، وهي شبهة التركيب؛ لأنهم يوردون شبهاً على إثبات الصفات لله عزَّ وجلَّ منها أنهم يقولون: إن إثباتها يقتضي التشبيه لأنها موجودة في المخلوقين، وقد تكررت هذه الشبهة وتبين بطلانها، وأنه لا يلزم من إثبات الصفات لله تشبيهه بالمخلوقين، وأن صفاته خاصة به سبحانه، وصفات المخلوقين خاصة بهم، ومعلوم الفرق بين الخالق والمخلوق، لا ينكر هذا إلا مكابر أو مجنون لا يعقل ما يقول. ومن شبههم: أن إثبات الصفات يقتضي التجسيم، لأن إثبات الصفات لا يقوم إلا بجسم والأجسام متشابهة، ولذلك يُسمون مثبته الصفات بالمُجسِّمة، ويخصُّون الإمام أحمد والحنابلة بهذا الوصف، وهذه الشبهة باطلة في حق الله. ومن شبههم: أن إثبات الصفات يقتضي =

= تعدد القدماء، فإذا أُثبت لله ذات وأُثبت له صفات فتكون الصفات شريكة له في القدم فيلزم من إثبات الصفات تعدُّد القدماء، وهذه شبهة باطلة، لأنَّ الصفات ليست شيئاً مستقلاً عن الموصوف بل هي تابعة للموصوف فالله جلٌّ وعلا بصفاته قديم لا بداية له، وما سواه فهو محدث. وإذا كانت ذات الله قديمة فكذلك صفاته؛ لأنَّه لا ينفك عن صفاته، فلا يتصور في الخارج وجود ذات بدون صفات، وإنما هذا قد يكون في الذهن فقط لا غير.

ومن أكبر شبهاتهم هذه الشبهة وهي: أنَّ إثبات الصفات يقضي التركيب، يعني: يكون الله مُركَّباً من ذات وصفات، والتركيب يقتضي الحدوث، وهذه شبهة لا يقل بطلانها عما قبلها فهي شبهة محدثة، بل إنَّ التركيب ينقسم إلى ستة أقسام، وسيسوقها المصنف رحمه الله تعالى وهي:

- ١ - تركيب مزج وهو تركيب الشيء من أعضائه.
- ٢ - تركيب مجاورة كتركيب الباب في الجدار.
- ٣ - تركيب من الجواهر الفردة وهي الأجزاء التي لا تنجزأ.
- ٤ - تركيب من الهولوى والصورة عند الفلاسفة.
- ٥ - تركيب من الذات والصفات وهذا هو المقصود عندهم.
- ٦ - تركيب من الذات والوجود.

كل هذه التراكيب مصطلحات محدثة لا يُحکمُ بها على الكتاب والسنة، وكل هذه الأنواع منتفية عن إثبات الصفات والله الحمد، ولا تُسمَّى الذات والصفات مُركَّباً لأن هذا اصطلاح حادث، وشبه الناظم هذه الشبهة بالمنجنيق الذي ينصبونه لهدم عقيدة أهل السنة والجماعة، بل =

والله لا الرَّحْمَنَ أَثْبُتُكُمْ وَلَا
 أَرْوَاحَكُمْ يَا مُدَّعِي الْعَرْفَانِ
 عَطَّلْتُمْ الْأَبْدَانَ مِنْ أَرْوَاحِهَا
 وَالْعَرْشَ عَطَّلْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ

* * *

لهدم عقيدة الكتاب والسنة. والمنجنيق: شيء يستعمل في هدم الحصون، وهو آلة ضخمة، ويجعلون فيها صخرة كبيرة يقذفونها ويهدون بها الحصون، مثل المدفع تقريباً إلا أن المدفع آلة نارية، وهؤلاء نصبوا هذا المنجنيق ليهدموا به عقيدة الحق فيقولون: إثبات الصفات يقتضي التركيب.

فصل

في كسر المنجنيق الذي نصبه أهل التعطيل
على معازل الإيمان وحُصونه جيلاً بعد جيل

لَا يُفْزِعَنَّكَ قَعَايِعُ وَفَرَايِعُ

وَجَعَايِعُ عَرِيَتْ عَنِ الْبَرْهَانِ^(١)

ما عندهم شيءٌ يهولك غيرُ ذا

ك الْمَنْجَنِيقِ مُقَطَّعِ الْأَفْخَاذِ وَالْأَرْكَانِ

وهو الذي يدعونه التركيبَ منذُ

صُوباً عَلَى الْإِثْبَاتِ مِنْذُ زَمَانٍ^(٢)

أرأيتَ هذا المنجنيقَ فإِنَّهُمْ

نَصَبُوهُ تَحْتَ مَعَاظِلِ الْإِيمَانِ

(١) كل هذه أصوات للأشياء حينما تُحرَّك، فرقعة وقعقة السلاح وجعجة الرحي، فهم ما عندهم إلا هذه الأصوات الفارغة، جمعجة وفرقعة وقعقة، يريدون بها إرهاب أهل الحق، وأهل الحق لا يُرهبهم هذا الشيء لأنه باطل ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ رَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

(٢) عندهم أن إثبات الصفات يقتضي «التركيب» والتركيب يقتضي الحدوث والله جلّ وعلا منزّه عن الحدوث، هذه قواعد منطقية مكونة من مقدمات ونتائج وهي قواعد ليس عليها دليل من الكتاب والسنة.

بَلَغَتْ حِجَارَتُهُ الْحُصُونَ فَهَدَّتَ الشُّرُفَاتِ وَاسْتَوْلَتْ عَلَى الْجُدْرَانِ (١)
 اللَّهُ كَمْ حِصْنٍ عَلَيْهِ اسْتَوْلَتْ أَلْ كُفَّارُ مِنْ ذَا الْمَنْجَنِيقِ الْجَانِي
 وَاللَّهُ مَا نَصَبُوهُ حَتَّى عَبَّرُوا قَصْداً عَلَى الْحِصْنِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
 وَمَنْ الْبَلِيَّةِ أَنْ قَوْماً بَيْنَ أَهْلِ الْحِصْنِ وَأَطْوَهُمْ عَلَى الْعُدْوَانِ (٢)
 وَرَمَوْا بِهِ مَعَهُمْ وَكَانَ مُصَابُ أَهْلِ الْحِصْنِ مِنْهُمْ فَوْقَ ذِي الْكُفْرَانِ
 فَتَرَكَبَتْ مِنْ كُفْرِهِمْ وَوَفَاقِ مَنْ فِي الْحِصْنِ أَنْوَاعٌ مِنَ الطُّغْيَانِ
 وَجَرَّتْ عَلَى الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِخْنَةً مِنْ ذَيْنِ تَقْسِيراً مِنَ الرَّحْمَنِ (٣)

-
- (١) أصابت الحجارة الجدران والشرفات فقط، أما الحق فلم يتأثر بها.
 (٢) إذا جاءت الفتن متأثر بها من تأثر ولو كان داخل حصون المسلمين ولا يثبت إلا أهل الإيمان.
 (٣) لو شاء الله ما حصل هذا ولكن لحكمته سبحانه أجراه لتمييز أهل الصدق من أهل الكذب، وإلا لو كان الحق دائماً منصوراً ما تبين المنافق من المؤمن الصادق.

والله لولا أن تدارك دينه الرُّ

رَحْمُنُ كَانَ كَسَائِرِ الْأديَانِ^(١)

لكن أقام له الإلهُ بفضلِهِ

يَزَكَا مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ^(٢)

فرموا على ذا المنجنيقِ صَوَاعِقًا

وحجارةً هدتهُ للأركانِ^(٣)

فاسألهمُ ماذا الذي يعنونَ بالث

تَرْكيبِ فَالتركيبُ ستُّ معانٍ^(٤)

إحدى معانيه هو التركيبُ من

مُتباينِ كَتَرْكِبِ الْحَيوانِ^(٥)

(١) الأديان السابقة دخلها التبديل والتحريف والتغيير، فدين اليهود والنصارى دخلتهما الوثنية والتثليث، أما هذا الدين الإسلامي فإنَّ الله تكفل بحفظه فيبقى خالياً من التغيير والتبديل إلى أن تقوم الساعة .

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] لكن أهله

قد يُمتحنون، أمَّا ذاته فإنَّه محفوظ بحفظ الله سبحانه وتعالى .

(٢) حمى الله سبحانه وتعالى دينه بجنود الحق الذين يدافعون عنه .

(٣) أرسلت الحجج الإسلامية على هذا المنجنيق كأنها صواعق، وهي حجج

من الكتاب والسنة هدت هذه الشبهات كما قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ

عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٨] .

(٤) التركيبي أمرٌ مُجمل له معانٍ كثيرة فأبيها يعنون .

(٥) إحدى معانيه تركيب المزج وهو المُركَّب من الأعضاء، كاليدين والرجلين =

مِنْ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ كَذَا أَعْضَاؤُهُ

قَدْ رُكِّبَتْ مِنْ أَرْبَعِ الْأَرْكَانِ

أَفَلَا زِمَ ذَا لِلصِّفَاتِ لِرَبِّنَا

وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ^(١)

وَلَعَلَّ جَاهِلِكُمْ يَقُولُ مُبَاهِتًا

ذَا لَازِمَ الْإِثْبَاتِ بِالْبُرْهَانِ

فَالْبَهْتُ عِنْدَكُمْ رَخِيصٌ سِعْرُهُ

حَثْوًا بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانَ

هَذَا وَثَانِيهَا فَتَرْكِيْبُ الْجَوَا

رٍ وَذَاكَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَفْتَرِقَانِ^(٢)

كَالْجَسْرِ وَالْبَابِ الَّذِي تَرْكِيْبُهُ

بِجَوَارِهِ لِمَحَلَّةٍ مِنْ بَانَ^(٣)

وَالأَوَّلُ الْمَدْعُوُّ تَرْكِيْبُ امْتِزَا

جٍ وَاخْتِلَاطٍ وَهُوَ ذُو تَبْيَانٍ

= والأعضاء، وهذا يُسَمَّى «تركيب الشيء من أعضائه» وهذا لا يُطلق على الله سبحانه وتعالى.

(١) هذا التركيب لا يصلح في حق الله تعالى.

(٢) تركيب الجوار مثل تركيب الباب في الجدار.

(٣) أي: تركيب الجوار مثل تركيب الجسر الذي يكون على النهر وهو مُكوّن من سقف وأعمدة ينتصب عليها، هذا تركيب جوار.

أفلازمٌ ذا مِنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ

أيضاً تعالى اللهُ ذُو السُلْطَانِ^(١)

والثالثُ التَّرْكِيبُ مِنْ مُتَمَاثِلٍ

يُذَعَى الجَوَاهِرَ فَرْدَةً الأَكْوَانِ^(٢)

والرابعُ الجِسْمُ المُرَكَّبُ مِنْ هَيْئَةٍ

لَاهُ وَصُورَتُهُ لِذِي اليُونَانِ^(٣)

والجِسْمُ فَهُوَ مُرَكَّبٌ مِنْ ذَيْنِ عِنْدِ

سَدِّ الفِيلَسُوفِ وَذَاكَ ذُو بُطْلَانِ^(٤)

وَمِنَ الجَوَاهِرِ عِنْدَ أَرِيَابِ الكَلَا

مِ وَذَاكَ أَيْضاً وَاضِحُ البُطْلَانِ^(٥)

فَالْمُثَبَّتُونَ الجَوَاهِرَ الفَرْدَةَ الِذِي

زَعَمُوهُ أَصَلَ السَّيِّئِينَ وَالإِيمَانَ^(٦)

(١) أيلزم من إثبات الصفات لله أنه مُرَكَّبٌ تركيب جوار؟

(٢) الثالث من أنواع التركيب عند المتكلمين: المُرَكَّبُ مِنَ الجَوَاهِرِ الفَرْدَةِ، والجواهر الفردة هي الأجزاء التي لا تتجزأ.

(٣) الرابع من أنواع التركيب عند الفلاسفة وهو: المُرَكَّبُ مِنَ الهَيْئَةِ والصورة، والهَيْئَةُ، يعني حقيقة الشيء، وصورته هي مظهره الذي يراه الناس، وهذا لا حقيقة له ولا وجود له وإنما هو اصطلاح فارغ.

(٤) الفيلسوف مفرد جمعه فلاسفة، وهو محب الحكمة.

(٥) أمّا عند علماء الكلام فالمُرَكَّبُ هو المُرَكَّبُ مِنَ الجَوَاهِرِ الفَرْدَةِ.

(٦) الجواهر الفرد لا وجود له فما ترتب عليه فهو باطل.

قالوا بأنَّ الجسمَ منه مُرَكَّبٌ

ولَهُمْ خِلافٌ وهو ذو ألوانٍ^(١)

هل يمكنُ التركيبُ من جُزءَيْنِ أو

مِن أربَعٍ أو سِتَّةٍ وثمانٍ

أو سِتِّ عَشْرَةَ قد حكاها الأشعريُّ

يُ لذي مقالاتِ عليِّ التَّبَّيَّانِ^(٢)

أفلازمٌ ذا من ثُبوتِ صفاتِهِ

وعُلُوُّهُ سُبْحانَ ذي السُّبْحانِ^(٣)

والحقُّ أن الجسمَ ليس مركَّباً

مِن ذا ولا هذا هُما عَدَمانِ^(٤)

والجوهرُ الفَرْدُ الذي قد أثبتو

هُ في الحقيقةِ ليس ذا إمكانِ^(٥)

(١) هم مختلفون فيما بينهم في هذا التركيب، فلو كان حقاً ما اختلفوا فيه، وإنما هو مجرد اصطلاح.

(٢) أبو الحسن الأشعري حكى هذه الأقوال في كتابه «مقالات الإسلاميين» وهو مشهور ومطبوع.

(٣) هل يلزم من هذا التركيب عندكم نفي علو الله على عرشه؟! وسائر صفاته، لا يلزم من هذا المصطلح الحادث أن نحكم به على الله سبحانه وتعالى.

(٤) أي: ليس مركباً من الهولوى والصورة ولا من الجواهر الفردة، كلاهما عدمان، فليس هناك تركيب من جواهر فردة ولا هولوى وصورة، كل هذا تخيُّل من عندهم.

(٥) الجوهر الفرد وهو الجزء الذي لا يتجزأ، هذا مستحيل وليس بموجود.

لو كان ذلك ثابتاً لَزِمَ المُحا
لُ لَوَاضِحِ البُطْلانِ والبُهْتانِ
من أوجهِ شَتَى وَيَعْسُرُ نَظْمُها
جِدْداً لأجلِ صَعوبَةِ الأوزانِ^(١)
أَتَكُونُ خَرْدَلَةً تَساوي الطَّوْدَ في الِ
أجزاءٍ في شيءٍ من الأذهانِ^(٢)
إذ كان كلُّ منهما أجزاءهُ
لا تَنْتَهي بِالْعَدِّ والحُسبانِ
وَإِذا وَضَعْتَ الجواهرينِ وثالثاً
في الوَسْطِ هو الحَاجِزُ الوَسْطاني
فَلأَجْلِهِ اِفتَرَقا فلا يَتلاقيا
حَتَّى يَـزُولَ إِذاً فيلتقيانِ
ما مَسَّهُ إِحداهما منه هو الِ
مَمْسُوسٌ لِلثاني بلا فِرْقانِ^(٣)

(١) راجعوا ذلك في كتاب «درء تعارض العقل والنقل» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وفي كتابه «الرد على الرازي» في «تأسيس التقديس».

(٢) الجواهر أيضاً ليست متماثلة ولا متشابهة، فليست الخردلة مثل الجبل العظيم، هذا في المخلوقات، وليست الذرة مثل الفيل فبينهما تفاوت، فإذا كان هذا في المخلوقات بعضها مع بعض فكيف بالخالق سبحانه وتعالى مع خلقه؟

(٣) هذا من تنمة كلامهم في الجواهر الفردة التي يتركب منها الجسم.

هَذَا مُحَالٌ أَوْ تَقْوَلُ بِغَيْرِهِ

فَهُوَ انْقِسَامٌ وَاضِحٌ التَّبَيَّنِ

وَالخَامِسُ التَّرْكِيبُ مِنْ ذَاتٍ مَعَ الِ

أَوْصَافٍ هَذَا بِاصْطِلَاحِ ثَانٍ^(١)

سَمَّوْهُ تَرْكِيبًا وَذَلِكَ وَضَعُهُمْ

مَا ذَاكَ فِي عُرْفٍ وَلَا قُرْآنٍ

لَسْنَا نَقْرُؤُ بِلَفْظَةٍ مَوْضُوعَةٍ

فِي الْاصْطِلَاحِ لِشِيعَةِ الْيُونَانِ^(٢)

(١) هذا هو التركيب الذي حملهم على نفي الصفات وهو التركيب بين الذات والصفات، قالوا: لو أثبتنا الصفات للزم التركيب بين الذات والصفات، لأن الصفات شيء والذات شيء آخر عندهم فيلزم أن الله مركب من شيئين، والجواب عن هذا أن نقول: لا يلزم ما تقولون، لأن الصفات ليست شيئاً مستقلاً عن الذات، فالله بصفاته سبحانه هو الرب وهو الخالق والمدبر لهذا الكون فلا يتصور افتراق الصفات عنه سبحانه وتعالى وأن تكون شيئاً آخر يتركب مع الذات.

فالصفات ليست شيئاً زائداً عن الذات إلا في الذهن فقط ولا توجد زائدة عن الذات في الخارج، وهذا التركيب الذي زعمتموه ليس موجوداً في الكتاب والسنة.

(٢) نحن لا نخضع لمصطلحاتهم بل نخضع للكتاب والسنة، فالله وصف نفسه بأسماء، فنحن ثبت ذلك على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى.

أَوْ مَنْ تَلَقَّى عَنْهُمْ مِنْ فِرْقَةٍ
 جَهْمِيَّةٍ لَيْسَتْ بِذِي عِرْفَانٍ^(١)
 مِنْ وَصْفِهِ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتِهِ الـ
 عُلْيَا وَيَتْرُكُ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ^(٢)
 وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَاتُ أَيْضاً كُلُّهَا
 قَبْلَ الْفَسَادِ وَمُقْتَضَى الْبُرْهَانِ^(٣)
 سَمَّوَهُ مَا شِئْتُمْ فَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الـ
 أَسْمَاءِ بِالْأَلْقَابِ ذَاتِ الشَّأْنِ^(٤)

(١) هذه التُّرَاهَاتُ إِمَّا إِنَّهَا عِنْدَ الْيُونَانِيِّينَ وَعِنْدَ مَنْ تَلَقَّاهَا مِنَ الْيُونَانِيِّينَ مِنْ فِرْقِ الضَّلَالِ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ كَالْجَهْمِيَّةِ أَتْبَاعِ الْجَهْمِ بْنِ صِفْوَانَ التَّرْمِذِيِّ الْخَبِيثِ الَّذِي يَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَبِالْجَبْرِ وَالْإِرْجَاءِ وَبِنَفْيِ الصِّفَاتِ، وَمَذْهَبِهِ مَذْهَبٌ بَاطِلٌ يَجْمَعُ أَحْبَبَ الْأَقْوَالِ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ دَسِيسَةٌ يَهُودِيَّةٌ.

(٢) فَلَا نَأْخُذُ مِصْطَلِحَاتِكُمْ وَتَتْرُكُ الْقُرْآنَ؟ حَاشَا وَكَأَلَّا، هَذَا لَا يَصْدُرُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ.

(٣) يَعْنِي لَا نَتْرُكُ الْكِتَابَ وَالسَّنَةَ وَالْفِطْرَةَ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا وَنَأْخُذُ بِهَذِهِ الْمِصْطَلِحَاتِ الْمَخَالَفَةَ لِلْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَالْفِطْرَةِ، هَذَا لَا يَجُوزُ مِنْ مُؤْمِنٍ، وَهَذِهِ الْقَوَاعِدُ قَوَاعِدُ الْمَنْطِقِ وَعِلْمُ الْكَلَامِ هِيَ الَّتِي أَفْسَدَتْ عَقَائِدَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ صَاغَوْهَا بِكُتُبِ سَمَّوَهَا «عِلْمُ التَّوْحِيدِ» وَتُدْرَسُ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَلَيْسَ فِيهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ شَيْءٌ، وَإِنَّمَا هِيَ جَدَلِيَّاتٌ لَا تَتَوَصَّلُ مِنْهَا إِلَى شَيْءٍ، وَيُدْرَسُونَهَا لِأَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

(٤) سَمَّوْنَا وَصَفَ اللَّهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ تَرْكِيْبًا وَتَشْبِيْهًا وَتَجْسِيمًا فَالْأَلْقَابُ وَالْأَسْمَاءُ لَا عِبْرَةَ بِهَا، الْعِبْرَةُ بِالْحَقَائِقِ فَالْأَسْمَاءُ لَا تَغَيِّرُ الْحَقَائِقَ.

هل من دليلٍ يقتضي إبطالَ ذا التَّ
 تَرْكِيبٍ مِنْ عَقْلِ وَمِنْ فَرْقَانِ (١)
 وَاللَّهِ لَوْ نُشِرَتْ شَيْوُخُكُمْ لَمَا
 قَدَرُوا عَلَيْهِ لَوْ أَتَى الثَّقَلَانِ (٢)
 وَالسَّادِسُ التَّرْكِيبُ مِنْ مَاهِيَّةٍ
 وَوُجُودِهَا مَا هَا هُنَا شَيْئَانِ (٣)
 إِلَّا إِذَا اخْتَلَفَ اعْتِبَارُهُمَا فَذَا
 فِي الذَّهْنِ وَالثَّانِي فِي الْأَعْيَانِ (٤)
 فَهُنَاكَ يَعْقِلُ كَوْنٌ ذَا غَيْرًا لَذَا
 فَعَلَى اعْتِبَارِهِمَا هُمَا غَيْرَانِ
 أَمَّا إِذَا اتَّحَدَا اعْتِبَارًا كَانَ نَفْسٌ
 وَوُجُودِهَا هُوَ ذَاتُهَا لَا ثَانِ (٥)

- (١) هل على أقوالكم هذه دليل يقنع المنصف؟
 (٢) والله لو خرج شيوخكم ومشايخكم الذين قعدوا لكم هذه القواعد وطولبوا بإقامة الدليل على هذه الأقوال لما قدروا على ذلك، وإنما هو شيء توارثتموه جيلاً عن جيل وأغلقتم آذانكم عن سماع الحق.
 (٣) وهذا أغرب أنواع التركيب حيث يقولون: الشيء مركب، من شيئين الماهية والوجود، فالموجود شيان، ذات ووجود، وهذا تخيل منهم فليس الوجود شيء والذات شيء.
 (٤) تصوّر الفرق بين الذات والوجود إنّما هو في الذهن، أمّا في الخارج فليس له تصوّر، فليس هناك ذات مستقلة ولا وجود مستقل فلا فرق بينهما، في الخارج وإنما هو تخيل في الذهن فلا يبنى عليه عقيدة.
 (٥) في الخارج الوجود والذات شيء واحد لا ينفك هذا عن هذا.

من قال شيئاً غيرَ ذا كان الذي
 قَدْ قَالَهُ ضَرْباً مِنَ الْفَعْلَانِ^(١)
 هذا وكم خَبَطَ هُنَا قَدْ زَالَ بِالثَّ
 تَفْصِيلٍ وَهُوَ الْأَصْلُ فِي الْعِرْفَانِ^(٢)
 وَابْنُ الْخَطِيبِ وَحِزْبُهُ مِنْ بَعْدِهِ
 لَمْ يَهْتَدُوا لِمَوَاقِعِ الْفُرْقَانِ^(٣)
 بَلْ خَبَطُوا نَقْلاً وَبِخْشاً أَوْجَبَا
 شَكّاً لِكُلِّ مُلَدِّدٍ حَيْرَانِ
 هَلْ ذَاتُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَجُودُهُ
 أَمْ غَيْرُهُ فَهَمَا إِذَا شَيْئَانِ
 فَيَكُونُ تَرْكِيباً مُحَالاً ذَاكَ إِنْ
 قُلْنَا بِهِ فَيَصِيرُ ذَا إِمْكَانِ
 وَإِذَا نَفَيْنَا ذَاكَ صَارَ وَجُودُهُ
 كَالْمُطْلَقِ الْمَوْجُودِ فِي الْأَذْهَانِ

(١) يعني ضرباً من الوهم.

(٢) لما ذكر الناظم رحمه الله أنواع التركيب الستة فنّدها وبين بطلانها، حتى لا تروج على الناس.

(٣) من أشدهم حيرة: ابن الخطيب، الذي هو: محمد بن عمر الرازي، وهو متكلم جدلي ليس عنده علم بالسنة، وكتابه التفسير فيه كلُّ شيءٍ فيه إلا التفسير، فهو جدل وتشكيكات، ومن طريقته أنه يورد الشبهات ولا يُجيب عليها ويترك القارئ في حيرة، حتى إنه تحير في آخر حياته، وتاب كما نقل عنه، ولعلّ هذا قد صحَّ عنه.

وَحَكُوا أَقَاوِيلًا ثَلَاثًا ذَيْنِكَ أَدُّ
 قَوْلَيْنِ إِطْلَاقًا بِلا فُرْقَانِ
 الثَّالِثُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْوَاجِبِ أَدُّ
 أَعْلَى وَيُبْنَى وَجُودِ ذِي الْإِمْكَانِ
 وَسَطُوا عَلَيْهَا كُلَّهَا بِالنَّقْضِ وَالْأَدُّ
 إِبْطَالِ وَالتَّشْكِكِ لِلْإِنْسَانِ
 حَتَّى أَتَى مِنْ أَرْضِ أَمَدٍ آخِرًا
 ثَوْرٌ كَبِيرٌ بَلْ حَقِيرُ الشَّانِ
 قَالَ الصَّوَابُ الْوَقْفُ فِي ذَا كُلِّهِ
 وَالشُّكُّ فِيهِ ظَاهِرُ التَّيْبَانِ
 هَذَا قُصَارَى بَحْثِهِ وَعُلُومِهِ
 أَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ الْعَظِيمِ الشَّانِ (١)

(١) جاء آخرهم: الأمدى وهو سيف الدين، والأمدى نسبة إلى أمد كان حنبلياً
 حفظ بعض كتب مذهب الإمام أحمد ثم تحوّل لمذهب الشافعي،
 وتخصّصه في أصول الفقه، وهو متبحر في علوم المنطق والكلام، موقفه
 في هذه المسألة: هل وجود الله عين ذاته أو غيره؟ الحيرة والتوقف توقّف
 في ربه نسأل الله العافية هذا ما ينتهي إليه الجدل والمنطق.
 ووصفه ابن القيم في قوله: حتى أتى من أرض أمد آخراً بأنّه «ثور»
 لأنّه تمادى في نصرة هذه الأباطيل وأفنى عمره فيها، والثور هو الذي لا
 يدري وليس له همٌّ إلا الأكل والشرب؟ فالأمدى مثله لأنّه تحيّر في أمره،
 رغم ما له من باع في أصول الفقه، لكن الذي لا يتبع الكتاب والسنة هذه
 نهايته وإن كان متبحراً في غيرهما والذكاء لا ينفعه.

فصل

في أحكام هذه التراكيب الستة^(١)

فالأولان حقيقة التركيب لا

تعدوهُما في اللفظ والأذهان^(٢)

وكذلك الأعيان أيضاً إنَّما

التركيبُ فيها ذانك النوعان^(٣)

(١) تقدّم أن ذكر الشيخ رحمه الله أن نفاة الصفات يقولون: إنَّ إثباتها يقتضي التركيب بين الصفة والموصوف، ويبيّن أنّ أنواع التركيب ستة، كلّ واحد منها لا ينطبق على إثبات الصفات، وهي تراكيب اصطلاحية من عندهم اصطلمحوا عليها، تركيب المزج و تركيب الجوار، والجسم المُركَّب من الجواهر الفردة، و تركيب الذات والصفات، و تركيب الهيولى والصورة، و تركيب الذات والوجود، كل هذه اصطلاحات من عندهم لا يجوز أن تستعمل فيما أثبتته الله لنفسه وأثبتته له رسله.

(٢) يقول: إنَّ التركيب لا يخرج عن الاثنين الأولين، إمّا تركيب مزج كتركب الجسم من أعضائه، وإمّا تركيب جوار كتركيب الباب والجدار، فالباب شيء والجدار شيء آخر متجاوزان، هذا هو التركيب في اللغة، وأمّا بقية التراكيب فهي غير صحيحة ولا وجود لها، ولا تلزم من أثبت الأسماء والصفات.

(٣) إمّا جوار وإمّا امتزاج.

والأوسطانِ هُما اللِّذانِ تَنازَعَا الـ

عُقلاءَ في تَرْكِيبِ ذِي الجُثْمَانِ

ولهُمُ أقاويلٌ ثلاثٌ قَدْ حَكِيـ

نَهاها وَبيَّنا أتمَّ بيانِ

والآخِرانِ هُما اللِّذانِ عليهما

دارَتْ رَحى الحَرْبِ التي تَريانِ

أنتُمْ جعلتُمْ وصفَهُ سُبْحانَهُ

بَعْلُوهُ من فَوْقِ ذِي الأَكْوانِ

وصفَاتِهِ العُلِيا التي ثَبَّتَ لَهـ

بالنَّقْلِ والمَعقُولِ ذِي البُرْهانِ

من جَمَلَةِ التَّرْكِيبِ ثُمَّ نَفَيْتُمْ

مضمونها مِن غيرِ ما بُرْهانِ^(١)

فجعلتُمْ لمرقاةٍ للتعطيلِ هذا

الإِصطِلاحَ وذا مِنَ العُدْوانِ^(٢)

لكن إِذا قِيلَ اصطِلاحٌ حَدَثُ

لا حَجَرَ في هذا على إنسانِ

(١) كون الموصوف والصفة مُركبان بعضهما من بعض، هذا اصطلاحٌ منكم

لم يرد في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ ولا تُردُّ به النصوص.

(٢) جعلوا هذا الاصطلاح مصعداً يصعدون به لضرب نصوص الكتاب والسنة

وهو باطل.

فَنَقُولُ نَفْيُكُمْ بِهَذَا الْإِصْطِلَاحِ

ح صِفَاتِهِ هُوَ أَبْطَلُ الْبُطْلَانِ^(١)

وَكَذَاكَ نَفْيُكُمْ بِهِ لَعْلُوهُ

فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ^(٢)

وَكَذَاكَ نَفْيُكُمْ بِهِ لِكَلَامِهِ

بِالْوَحْيِ كَالْتَّوْرَةِ وَالْقُرْآنِ

وَكَذَاكَ نَفْيُكُمْ لِرُؤْيَيْنَا لَهُ

يَوْمَ الْمَعَادِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ

وَكَذَاكَ نَفْيُكُمْ لِسَائِرِ مَا أَتَى

فِي النِّقْلِ مِنْ وَصْفٍ بِغَيْرِ مَعَانٍ

كَالْوَجْهِ وَالْيَدِ وَالْأَصَابِعِ وَالَّذِي

أَبْدَأَ يَسْوؤُكُمْ بِلَا كِتْمَانٍ^(٣)

(١) الاصطلاح الحادث لا يكون دليلاً على نفي الصفات التي أثبتها الله لنفسه.

(٢) يعني ونفيتم بهذا الاصطلاح الباطل صفة العلو عن الله.

(٣) ونفيتم من أجل هذا الاصطلاح الباطل جميع الصفات الذاتية والفعلية عن الله، وعطلتموه من أسمائه وصفاته حذراً من التشبيه بزعمكم، ولا يلزم من هذا أن تكون صفات المخلوقين مشابهة لصفات الله سبحانه وتعالى، إنما هذا عارضٌ عرض لعقولكم لنقص علمكم بالله تعالى، وإلا فنحن نقول: هناك فارق بين صفات الرب وبين صفات المخلوقين وإن اشتبهت في الاسم والمعنى فإنها لا تشبه بالحقيقة.

وَبِوُدِّكُمْ لَوْ لَمْ يَقُلْهُ رَبَّنَا

ورسوله المبعوث بالبرهان^(١)

وَبِوُدِّكُمْ وَاللَّهِ لَمَّا قَالَهَا

أَنْ لَيْسَ يَدْخُلُ مَسْمَعِ الْإِنْسَانِ^(٢)

قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى اسْتِنَادِ الْكُونِ أَجْزَءَهُ

مَعَهُ إِلَى خَلْقِهِ الرَّحْمَنِ

مَا قَامَ قَطُّ عَلَى انْتِفَاءِ صِفَاتِهِ

وَعُلُوِّهِ مِنْ فَوْقِ ذِي الْأَكْوَانِ

هُوَ وَاحِدٌ فِي وَصْفِهِ وَعُلُوِّهِ

مَسَا لِلْوَرَى رَبِّ سِوَاهُ ثَانٍ

(١) ليس شيء أثقل عليهم من هذه النصوص لأنها تخالف عقيدتهم حتى إن بعضهم يتمنى لو مُسحت من المصحف ليبقى لهم كلامهم، فلا أشدَّ عليهم من قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] ومن قول النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة»^(*) ومن إثبات كلام الله تعالى، وأنَّ الله يتكلَّم، وأنه مستوٍ على العرش، ليس هناك ما هو أشدَّ عليهم من هذا الكلام لأنَّه يُخالف عقيدتهم التي بنوها على أوهام، نسأل الله العافية.

(٢) يتمنون أنَّهم لم يسمعوا هذه النصوص لثقلها عليهم.

فَلأَيِّ مَعْنَى تَجْحَدُونَ عُلُوَّهُ

وصفاته بالفِشْرِ والهِذْيَانِ^(١)

هذا وما المحذورُ إلا أن يُقالَ

لَ مَعَ الإِلهِ لَنَا إِلهٌ ثانٍ^(٢)

أَوْ أَنْ يُعْطَلَ عَن صِفَاتِ كَمالِهِ

هذان محذورانِ مَحْظورانِ^(٣)

أَمَّا إِذَا ما قِيلَ رَبُّ واحِدٌ

أوصافُهُ أَرَبَّتْ عَلى الحُسابِ^(٤)

(١) ما عندهم إلا الفشر والهديان، والفشر هو الكذب، والهديان هو الكلام الذي لا حقيقة له مثل كلام المجنون وكلام المعتوه، هذه أدلتهم وهذه كتبهم كلها هديان لأنها لم تُبن على الكتاب والسنة، وإنما بُنيت على أوهام توهموها وقعدوا قواعدها من علم الكلام والمنطق.

(٢) المحذور ليس في إثبات الصفات، وإنما المحذور أن يُقال: إنَّ مَعَ الله إلهاً آخر، أمَّا إنَّ الله تعالى إلهٌ واحد موصوف بالصفات فهذا لا يقتضي تعدُّد الآلهة كما تقولون؛ لأنَّ الصفة ليست منفردة عن الموصوف حتى في المخلوقين، فليس المخلوق شيء وصفاته شيءٌ آخر، هذا لا يقوله عاقل، فالصفات ليست مستقلة عن الذات في الخارج.

(٣) فقولكم: إنَّ إثبات الصفات مثل إثبات أنَّ هناك شريكاً لله تعالى في الألوهية سؤلةٌ بسوء، هذا من أبطل الباطل لأنَّ إثبات الصفات لا يلزم منه الذي قلتم.

(٤) هو ربُّ واحد وله أسماءٌ كثيرة وصفاتٌ كثيرة ممَّا يدُّ على عظمته سبحانه وتعالى، ولا تدُّ على تعدُّد الآلهة ولا الشرك بالله تعالى.

وهو القديم فلم يزل بِصِفَاتِهِ
 مُتَوَحِّدًا بَلْ دَائِمَ الإِحْسَانِ
 فبِأَيِّ بُرْهَانٍ نَقَيْتُمْ ذَا وَقَدْ
 تُمْ لَيْسَ هَذَا قَطُّ فِي الإِمْكَانِ
 فَلَئِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ نَقْصٌ فَذَا
 بَهْتٌ فَمَا فِي ذَاكَ مِنْ نُقْصَانٍ (١)
 النقصُ فِي أَمْرَيْنِ سَلْبُ كَمَالِهِ
 أَوْ شِرْكَةٌ بِالْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ (٢)
 أَتَكُونُ أَوْصَافُ الكَمَالِ نَقِيصَةً
 فِي أَيِّ عَقْلِ ذَاكَ أَمْ قُرْآنِ
 إِنَّ الكَمَالِ بِكثْرَةِ الأَوْصَافِ لَا
 فِي سَلْبِهَا ذَا وَاضِحُ البُرْهَانِ
 مَا التَّقْصُرُ غَيْرُ السَّلْبِ حَسْبُ وَكُلُّ نَقْصٍ
 صِ أَوْلُهُ سَلْبٌ وَهَذَا وَاضِحُ التَّبَيَّنِ

- (١) إثبات الأسماء والصفات لله كمال، والنقص إنما هو في نفيها.
- (٢) النقص في حق الله تعالى في أحد أمرين: إما نفي أسمائه وصفاته، وإما في إثبات الشريك له سبحانه وتعالى، هذا هو النقص، وليس النقص في إثبات الأسماء والصفات بل بالعكس، هذا كمال، لكن إذا فسدت الفطر والعقول اعتقدت الحق باطلاً والباطل حقاً ﴿أَفَمَنْ زِينَ لَهُمْ سُوءُ عَمَلِهِمْ فَرَأَاهُمْ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨] وهذه عاقبة من زهد بنصوص الوحي واشتغل بقواعد المنطق وعلم الكلام.

فَالْجَهْلُ سَلْبُ الْعِلْمِ وَهُوَ نَقِيصَةٌ
 وَالظُّلْمُ سَلْبُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانُ^(١)
 مُتَنَقِّصُ الرَّحْمَنِ سَالِبٌ وَضْفِهِ
 حَقًّا تَعَالَى اللَّهُ عَنْ نُقْصَانِ
 وَكَذَا الثَّنَاءُ عَلَيْهِ ذِكْرُ صِفَاتِهِ
 وَالْحَمْدُ وَالتَّمْجِيدُ كُلُّ أَوْانٍ^(٢)
 وَلِذَاكَ أَعْلَمُ خَلْقِهِ أَدْرَاهُمُ
 بِصِفَاتِهِ مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ^(٣)

(١) فإذا قلت: فلان ليس عنده علم، وليس عنده عدل، هل هذا مدح أو ذم؟ هذا ذم واضح، فكذلك إذا قلت: ليس لله تعالى سمع ولا بصر ولا... إلخ، فهذا وصف لله بالنقص.

(٢) الثناء على الله بذكر صفاته، ولهذا كان النبي ﷺ يُثني على ربه بصفاته وأفعاله، وكلُّ الرسل يُثنون على الله بأسمائه وصفاته ويتوسلون بأسمائه وصفاته ﴿أَنْفِي مَسْنِي الصُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] توَسَّلَ إِلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] توَسَّلَ إِلَيْهِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَلُوْهِتِهِ.

(٣) أفضل الأنبياء محمد ﷺ وقد جاء بالقرآن الذي فيه الأسماء والصفات وكان يدعو ربه ويتوسَّلَ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ...» (*) الحديث. «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ تَحِبُّ الْعَفْوُ =

(*) قطعة من حديث جابر بن عبد الله، أخرجه أحمد في «المسند» ٥٥/٢٣ (١٤٧٠٧)، والبخاري (١١٦٢)، وأبو داود (١٥٣٨) وانظر تمام تخريجه في «المسند».

ولَهُ صِفَاتٌ لَيْسَ يُحْصِيهَا سِوَا

هُ مِنْ مَلَائِكَةٍ وَلَا إِنْسَانٍ^(١)

وَلِذَلِكَ يُثْنِي فِي الْقِيَامَةِ سَاجِدًا

لَمَّا يَرَاهُ الْمُصْطَفَى بَعِيَانٍ^(٢)

= فاعفُ عني^(*) كل هذه أدعية نبوية أثنى على الله بدعائه بأسمائه وصفاته. والله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] حيث أمر بدعائه بها والتوسل إليه بها، ثم قال: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلَجِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ^٤﴾ [الأعراف: ١٨٠] وهم الذين ينفونها أو يحرفونها. (١) لله أسماء وصفات ذكرها لنا لنعبده بها ونذكره بها ونعرفه بها سبحانه وتعالى، وهناك أسماء وصفات لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، ولهذا يقول ﷺ: «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك^(**)» فدلّ على أنّ هناك أسماء استأثر الله بها ولم يعلمها أحداً من خلقه. (٢) كما في حديث الشفاعة أنه يسجد بين يدي ربه ويثني عليه بمحامد عظيمة^(***) فدلّ على أنّ إثبات أسماء الله ومحامده هو من الكمال.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٣٦/٤٢ (٢٥٣٨٤)، والترمذي (٣٥١٣) من حديث عائشة رضي الله عنها، وهو حديث إسناده صحيح.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٤٦/٦-٢٤٧ (٣٧١٢) من حديث عبد الله بن مسعود.

(***) انظر حديث الشفاعة في صحيح البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك.

وانظر أحاديث الشفاعة في «جامع الأصول» لابن الأثير ١٠/٤٧٥-٤٨٧.

بِشَاءِ حَمْدٍ لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الدُّ
 دُنْيَا لِيُحْصِيَهُ مَدَى الْأَزْمَانِ^(١)
 وَثَنًا وَهُوَ بِصِفَاتِهِ لَا بِالسُّلُوبِ
 بِ كَمَا يَقُولُ الْعَادِمُ الْعِرْفَانِ^(٢)
 وَالْعَقْلُ دَلٌّ عَلَى انْتِهَاءِ الْكُونِ أَجْ
 مَعَهُ إِلَى رَبِّ عَظِيمِ الشَّانِ^(٣)
 وَثَبُوتِ أَوْصَافِ الْكَمَالِ لِدَاتِهِ
 لَا يَقْتَضِي إِبْطَالَ ذَا الْبُرْهَانِ^(٤)
 وَالْكَوْنُ يَشْهَدُ أَنَّ خَالِقَهُ تَعَا
 لِي ذُو الْكَمَالِ وَدَائِمِ السُّلْطَانِ^(٥)

(١) يفتح الله عليه من المحامد في ذلك الموقف بمحامد لم يكن يعلمها في الدنيا لكن الله يفتحها عليه في هذا الموقف لأنه موقفٌ عظيم .
 (٢) لا أحد يقول من الأنبياء ولا غيرهم من أهل الإيمان أو يثنى على الله بالسلوب أي بنفي الصفات عنه، فيقول: أسألك بأنك لا تسمع ولا تبصر وليس لك وجه ولا يدين، لا يقول هذا عاقل؟ لأنه تنقُصُ لربِّ العالمين .
 (٣) كلُّ المخلوقات ترجع إليه سبحانه وتعالى فهو خالقها ومُدبرُها ومُصرِّفُها .
 (٤) لا تناقض بين إثبات الصفات لله عز وجل وبين قيام البرهان على كماله وعظمته، بل هذا هو الدليل على كماله وعظمته، وهو إثبات الأسماء والصفات .

(٥) إذا تأملت في هذه المخلوقات ونظامها وانتظامها وحسن ترتيبها علمت أن الخالق لها خالقٌ واحد، لأنه لو كان هناك عدة آلهة لتفاوتت هذه =

وكذلك يشهد أنه سبحانه

فوق الوجودِ وفوق كلِّ مكانٍ (١)

وكذلك يشهد أنه سبحانه الـ

معبودٌ لا شيءٌ من الأكوانِ

وكذلك يشهد أنه سبحانه

ذو حكمةٍ في غايةِ الإتقانِ (٢)

وكذلك يشهد أنه ذو قُدرةٍ

حيٍّ عليمٌ دائمٌ الإحسانِ (٣)

= المخلوقات وتباينت واختلقت، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢] فدلَّ على أنَّ الخلاق واحد وهو الله سبحانه وتعالى.

(١) لأنَّ له صفات الكمال، والعلوُّ كمالٌ وعدمه نقصٌ، فاللائق بجلال الله أن يكون في العلوِّ، وهذا من جهة العقل فكيف والسمع جاء بإثبات العلو له في الكتاب والسنة وكما تقتضيه فطر الخلائق كلَّهم عند الدعاء التوجه إلى العلو.

(٢) انتظام هذا الكون وائتلافه واستمراره يدلُّ على أنَّ خالقه حكيم يضع الأشياء في مواضعها، وهو الذي يحكم الأشياء ويتقنها بحيث لا تتفاوت ولا تختل، فهذا الكون يدلُّ على حكمة الله تعالى.

(٣) هذا الكون يدلُّ على أنَّ خالقه له قُدرة، لأنَّه لا يمكن أن يخلق هذا الكون على هذه الصفة إلا ذو قُدرة عظيمة.

وكذلك يشهد أنه الفَعَّالُ حَقًّا

قَا كُلَّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانٍ^(١)

وكذلك يشهد أنه المختارُ في

أفَعَالِهِ حَقًّا بِلَا نُكْرَانٍ^(٢)

وكذلك يشهد أنه الحيُّ الذي

مَا لِلْمَمَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانٍ^(٣)

(١) قال تعالى: ﴿يَسْتَلْهُم مِّنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]

فأفعاله تعالى متواصلة يفعل متى شاء إذا شاء سبحانه وتعالى، تتجدد أفعاله سبحانه وتعالى.

(٢) يدل هذا الكون أنه سبحانه يفعل بقدرته واختياره وإرادته، لا أحد يُجبره على شيء كما هو في شأن المخلوقين بعضهم مع بعض.

(٣) قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] لأنه لو مات

لفسد هذا الكون، فدلَّ على استمرار حياته ودوامها، سبحانه وتعالى، وكذلك لا ينام؛ لأنَّ النوم نقصٌ في الإنسان وهو نوعٌ من الموت ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] يعني لكمال حياته سبحانه وتعالى، فالنوم نقص في الإنسان، ففي الخالق من باب أولى، ولذلك جاء في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ»^(*).

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٩٦/٣٢ (١٩٥٣٠)، ومسلم (١٧٩) من حديث أبي

موسى الأشعري.

وكذلك يشهد أنه القيومُ قَا

مَ بنفسِه ومُقيمُ ذي الأَكْوَانِ (١)

وكذلك يشهد أنه ذو رحمةٍ

وإرادةٍ ومحبَّةٍ وحنانٍ (٢)

وكذلك يشهد أنه سبحانه

مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

وكذلك يشهد أنه سبحانه الـ

خَلَّاقٌ بَاعَثُ هَذِهِ الْأَبْدَانَ (٣)

لا تجعلوه شاهداً بالزورِ والتـ

تعطيلِ تلك شهادة البطلان (٤)

(١) القيوم: صيغة مبالغة، فهو قائم بنفسه لا يحتاج إلى أحد وهو المقيم لغيره،

﴿يُطَوِّمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤] فكلُّ شيءٍ مُحتَاجٌ إليه سبحانه وتعالى.

(٢) وذلك لنعمه على العباد وكرمه عليهم حتى الكفار يُنعم عليهم وينزل

الغيث، كل هذا يدلُّ على أنه رحيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ

لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

(٣) كذلك يشهد الكون أنه قادر على إعادة هذه الأبدان بعد الموت، لأنَّ

الذي خلقها أول مرة قادر على إعادتها بعد الموت من باب أولى، فالذي

بدأها من عدم قادرٌ على أن يعيدها مرة ثانية.

(٤) لا تجعلوا هذا الكون شاهداً بنفي الصفات عن الله كما تقوله المعطلة،

هذه شهادة زور لا تليق بمخلوقات الله سبحانه وتعالى، والكون كُله

يشهد شهادة حق لا شهادة زور.

وإذا تأملت الوجود رأيتَهُ
 إن لم تكن من زمرة العميان
 بشهادة الإثبات حقاً قائماً
 لله لا بشهادة التُّكران^(١)
 وكذاك رُسُلُ الله شاهدةً به
 أيضاً فسَلْ عنهم عليمَ زمانٍ^(٢)
 وكذاك كُتُبُ الله شاهدةً به
 أيضاً فهذا مُحكمُ القرآنِ^(٣)
 وكذلك الفِطْرُ التي ما غُيِّرَت
 عن أصلِ خَلْقِهَا بأمرٍ ثانٍ^(٤)
 وكذا العقولُ المُستنيراتُ التي
 فيها مصابيحُ الهدى الربّاني^(٥)

(١) إذا تأملت هذا الكون وجدت هذه الدلالات التي ذكرناها لك شاهدة لله
 بالكمال إلا أن تكون من زمرة هؤلاء الطوائف المنحرفة فإنك لا تدرك
 هذا الشيء لفساد فطرتك وانتكاس عقلك كما حصل لهم.

(٢) الرسل يشهدون لله بالأسماء والصفات وبالكمال كما يعرف ذلك عنهم
 أهل العلم.

(٣) كتب الله تشهد له بالكمال، وأعظم هذه الكتب القرآن الذي يشهد
 بالأسماء والصفات لله عز وجل.

(٤) الفطر السليمة تشهد لله بالكمال، أمّا الفطر التي غُيِّرَت فلا قيمة لها.

(٥) خلق الله تعالى العقول لتدلّ عليه سبحانه وتعالى وعلى كماله، فإذا تأمل =

أترون أننا تاركوا ذا كُله

(١) لشهادة الجَهْمِيّ واليوناني

هذي الشهود فإن طلبتم شاهداً

من غيرها سيقوم بعد زمان

إذ ينجلي هذا الغبار فيظهر الـ

(٢) حق المبين مُشاهداً بعيان

فإذا نفيتم ذا وقتتم إنّه

(٣) ملزوم تركيب فمن يلحاني

إن قلت لا عقل ولا سمع لكم

(٤) وصرخت فيما بينكم بأذان

= الإنسان هذا الكون وما فيه من المخلوقات دلّته على حكمة الله وقدرته وصفاته وكماله، فالعقل إذا سلم من الهوى دليل قوي.

(١) أتظنون يا معشر المعطلة أنا نترك هذه الشواهد العظيمة في هذا الكون وما جاءت به الكتب والرسول، نترك هذه الدلائل من أجل منطق اليونان وعلم الكلام.

(٢) هذه الشهود والدلائل التي هي موجودة الآن، وهناك شاهد سينجلي ويتضح ولا أحد يشك فيه وذلك يوم القيامة إذا عاينتم الحقيقة ورأيتم ما وعد الله ورسوله لكن بعد أن فات الأوان ولم يكن هناك وقت للتراجع، وهذا يكون عند الموت وعند البعث.

(٣) أمّا إذا ألغيتم ذلك وقتتم: هذا يلزم منه التركيب، يقول لهم: من يلومني إذا قلت لكم كذا وكذا.

(٤) من يلومني إن قلت: لا عقل لكم ولا فكر ولا عندكم إيمان من يلومني لأنّ هذا القول هو الحق.

هل يُجَعَلُ المَلزومُ عَيْنَ اللّازِمِ الـ
 مِنفِيّ هَذَا يَبِينُ البُطْلانِ
 فَالشَّيْءُ لَيْسَ لِنَفْسِهِ يُنْفَى لَدَى
 عَقْلِ سَلِيمٍ يَا ذَوِي العِرْفانِ
 قُلْتُمْ نَفَيْنَا وَصَفَهُ وَعُلُوَّهُ
 مِنْ خَشِيَةِ التَّرْكِيبِ وَالإمْكَانِ
 لَوْ كَانَ مَوْصُوفاً لَكَانَ مُرَكَّباً
 فَالْوَصْفُ وَالتَّرْكِيبُ مُتَّحِدَانِ
 أَوْ كَانَ فَوْقَ العَرْشِ كَانَ مُرَكَّباً
 فَالفَوْقُ وَالتَّرْكِيبُ مُتَّفَقَانِ
 فَنفَيْتُمُ التَّرْكِيبَ بِالتَّرْكِيبِ مَعُ
 تَغْيِيرِ إِحْدَى اللَّفْظَتَيْنِ بِثَانِ
 بَلْ صُورَةُ البُرْهَانِ أَصْبَحَ شَكْلُهَا
 شَكْلاً عَقِيماً لَيْسَ ذَا بُرْهَانِ
 لَوْ كَانَ مَوْصُوفاً لَكَانَ كَذَاكَ مَوْ
 صُوفاً وَهَذَا حَاصِلُ البُرْهَانِ
 فَإِذَا جَعَلْتُمْ لَفْظَةَ التَّرْكِيبِ بِالْ
 مَعْنَى الصَّحِيحِ أَمَارَةَ البُطْلانِ
 جِئْنَا إِلَى المَعْنَى فَخَلَّصْنَا مِنْ
 هَا وَاطَّرَحْنَاهَا اطَّرَاحَ مُهَانَ

هي لفظة مقبوحة بدعيّة

مَذْمُومَةٌ مِّنَّا بِكُلِّ لِسَانٍ (١)

واللفظُ بالتوحيدِ نجعلُهُ مَكَا

نَ اللفظِ بالتركيبِ في التَّيْبَانِ

واللفظُ بالتوحيدِ أولى بالصفاء

تِ وبالعُلُوِّ لِمَن لَّهُ أُذُنَانِ (٢)

هذا هو التوحيدُ عندَ الرُّسُلِ لا

أَصْحَابِ جَهْمٍ شِيعَةِ الكُفْرَانِ (٣)

* * *

(١) لفظة التركيب لفظة بدعية اصطلاحية لا تُستعمل دليلاً في حقِّ الله تعالى .

(٢) إذا سميتم أنتم إثبات الأسماء والصفات لله تركيباً فنحنُ نسميه توحيداً وهذا هو الحق .

(٣) التوحيد عند الرسل هو إثبات ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء والصفات ، أما أتباع جهم بن صفوان فيقولون : التوحيد هو نفي الأسماء والصفات عكس ما جاءت به الرسل .

فصل

في أقسام التوحيد والفرق بين توحيد المرسلين

وتوحيد النفاة المعطلين^(١)

فاسمَعُ إِذَا أَنْوَاعَهُ هِيَ خَمْسَةٌ

قَدْ حُصِّلَتْ أَقْسَامُهَا بَيَانٍ^(٢)

تَوْحِيدُ أَتْبَاعِ ابْنِ سِينَا وَهُوَ مَنْ

سَوَّبَ لِأَرِسْطُو مِنْ الْيُونَانِ^(٣)

(١) هذا الفصل فيه بيان أقسام التوحيد عند الفرق وقد ذكر فيه خمسة أنواع:

١ - توحيد الفلاسفة .

٢ - توحيد أهل وحدة الوجود .

٣ - توحيد الجهمية .

٤ - توحيد الجبرية . هذه أربعة، ثم ذكر الخامس وهو توحيد الأنبياء والمرسلين .

(٢) هي خمسة لا سادس لها، وهذا الحصر بالاستقراء ولا تخرج أقوال الفرق عن هذه الخمسة .

(٣) النوع الأول: توحيد فلاسفة اليونان القدماء المخالفين للرسول، وعليه ممن ينتسبون للإسلام أبو علي ابن سينا الملقَّب بالرئيس، كان حاذقاً بالطب، ولكنه كان في العقيدة باطنياً ملحداً يقول بجواز قدم العالم ويعتقد مذهب الفلاسفة، لكنه يُستره بالتسمي بالإسلام، هذا الملحد الذي =

مَا لِإِلَهِ لَدَيْهِمْ مَاهِيَةٌ

غَيْرُ الوجودِ الْمُطْلَقِ الوِخْدَانِ (١)

مسلوبٌ أوصافِ الكمالِ جميعِها

لكنْ وجودٌ حَسْبُ لَيْسَ بِفَانٍ

مَا إِنْ لَهُ ذَاتٌ سِوَى نَفْسِ الوجودِ

دِ المطلقِ المَسْلُوبِ كُلِّ معانٍ (٢)

فَلذَٰكَ لَا سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ وَلَا

عِلْمٌ وَلَا قَوْلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ

وَلذَٰكَ قَالُوا لَيْسَ ثَمَّ مَشِيئَةٌ

وإِرَادَةٌ لوجودِ ذِي الأَكْوَانِ (٣)

= يُعْظَمُهُ بَعْضُ النَّاسِ الْآنَ وَيَسْمُونُ بِاسْمِهِ بَعْضُ الْمَدَارِسِ وَالْمَوْسُئَاتِ، هُوَ مَلْحَدٌ وَأَبُوهُ كَانَ مِنَ الْيَهُودِ وَهُوَ قَدْ انْتَسَبَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاعْتَنَقَ مَذْهَبَ الشَّيْعَةِ الْبَاطِنِيَّةِ وَهُوَ أَحْبَبَ الْمَذَاهِبَ.

(١) ابن سينا يقول بقول الفلاسفة: إنَّ التوحيد هو إثبات وجود الله تعالى «الوجود المطلق» بدون أسماء ولا صفات، فهو وجود مُطلق بشرط الإطلاق.

(٢) وجود مطلق بشرط الإطلاق، ليس له أسماء ولا صفات لأنَّهم لو أثبتوا له الأسماء والصفات لشاركته في الوجود، وهذا شركٌ عندهم، ونقول لهم: هل يمكن أن يكون هناك موجود ليس له صفات!

(٣) يعني أنَّ هذه الأكوان ليس لها خالق بل هي وُجِدَتْ بِنَفْسِهَا كَمَا يَقُولُ الطَّبَّائِعِيُّونَ وَيَقُولُونَ: هَذَا الْعَالَمُ مُحَدَّثٌ لَيْسَ لَهُ بَدَايَةٌ، وَابْنُ سِينَا أَضَافَ إِضَافَةً يَسِيرَةً لِيَمُوهَ عَلَى النَّاسِ حَيْثُ قَالَ: بِإِمْكَانِ قَدَمِ الْعِلْمِ.

بل تلك لازمة له بالذات لم
 تَنفَكَ عَنْهُ قَطُّ فِي الْأَزْمَانِ (١)
 مَا اخْتَارَ شَيْئاً قَطُّ يَفْعَلُهُ وَلَا
 هَذَا لَهُ أَبَداً بِذِي إِمْكَانٍ
 وَبَنَوْا عَلَىٰ هَذَا اسْتِحَالَةَ خَرْقِ ذِي الْ
 أَفْلَاقِ يَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
 وَلِذَاكَ قَالُوا لَيْسَ يَعْلَمُ قَطُّ شَيْءٌ
 شَيْئاً مَا مِنَ الْمَوْجُودِ فِي الْأَعْيَانِ (٢)
 لَا يَعْلَمُ الْأَفْلَاقُ كَمَا أَعْدَادُهَا
 وَكَذَا النُّجُومُ وَذَانِكَ الْقَمَرَانِ
 بَلْ لَيْسَ يَسْمَعُ صَوْتَ كُلِّ مُصَوِّتٍ
 كَلًّا وَلَيْسَ يَرَاهُ رَأْيَ عِيَانٍ
 بَلْ لَيْسَ يَعْلَمُ حَالَةَ الْإِنْسَانِ تَفْصِيلاً
 صِيلاً مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْعَصِيَانِ
 كَلًّا وَلَا عِلْمٌ لَهُ بِتَسَاقُطِ الْ
 أُورَاقِ أَوْ بِمُنَابَتِ الْأَغْصَانِ

(١) فهو لا يفعلها بمشيئته وقدرته وإرادته وإنما هي لازمة له .

(٢) هذه كلها أمثلة، وإلا فالقاعدة العامة عندهم: أنه الوجود المطلق الذي لا يوصف بالصفات، هذا محض التوحيد عندهم، والشرك عندهم هو إثبات الصفات .

عَلِمًا عَلَى التَّفْصِيلِ هَذَا عِنْدَهُمْ
 عَيْنُ الْمُحَالِ وَلَا زُمْ الْإِمْكَانِ
 بَلْ نَفْسُ آدَمَ عِنْدَهُمْ عَيْنُ الْمُحَا
 لِ وَلَمْ يَكُنْ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
 مَا زَالَ نَوْعُ النَّاسِ مَوْجُودًا وَلَا
 يَفْنَى كَذَاكَ الدَّهْرُ وَالْمَلَوَانِ (١)
 هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ
 مِثْلَ ابْنِ سِينَا وَالنَّصِيرِ الثَّانِي (٢)
 قَالُوا وَأَلْجَأْنَا إِلَى ذَا خَشْيَةِ التَّ
 تَرْكِيبِ وَالتَّجْسِيمِ ذِي الْبَطْلَانِ
 وَلِذَاكَ قَلْنَا مَا لَهْ سَمْعٌ وَلَا
 بَصَرٌ وَلَا عِلْمٌ فَكَيْفَ يَدَانِ
 وَكَذَاكَ قَلْنَا لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ إِلٌ
 لَا الْمُسْتَحِيلُ وَلَيْسَ ذَا إِمْكَانِ
 جِسْمٌ عَلَى جِسْمٍ كَلَّا الْجِسْمَيْنِ مَحُ
 دُوْدٌ يَكُونُ كِلَاهِمَا صِنْوَانِ (٣)

(١) يقولون بقدّم الأشياء كلها من البشر وغيره فليس لها بداية لا لأعيانها ولا أجناسها، والقول بأن بداية البشرية من خلق آدم غلط.

(٢) هذا التوحيد عند الفلاسفة من أمثال ابن سينا ونصير الدين الطوسي الشيعي الباطني.

(٣) يقولون نفينا عن الله الأسماء والصفات خشية التركيب والتجسيم.

فبذاك حقاً صرّحوا في كتبهم

وهُم الفحولُ أئمةُ الكفرانِ^(١)

ليُسوا مَخانيثَ الوجودِ فلا إلى الـ

كُفرانِ ينحازوا ولا الإيمانِ^(٢)

والشركُ عندهمُ ثبوتُ الذاتِ والـ

أوصافِ إذ يبقى هناك اثنانِ^(٣)

غيرُ الوجودِ فصارَ ثم ثلاثةٌ

فلذا نفينا اثنينِ بالبرهانِ^(٤)

نفى الوجودِ فلا يضافُ إليه شيءٌ

غيرُهُ فيصيرَ ذا إمكانِ

* * *

(١) هذا القول موجود في كتبهم وليس هو من التقول عليهم.

(٢) ليسوا مثل أصحاب المذاهب المشككة التي هي خليط من الحق والباطل كالأشاعرة والمعتزلة بل مذهبهم إلحاد صرف، والمخانيث هم الذين ليسوا ذكوراً ولا إناثاً بل مشتبه أمرهم.

(٣) الشرك عند الفلاسفة هو إثبات الصفات حيث يلزم منه عندهم تعدد الآلهة.

(٤) يقولون يلزم من إثبات الصفات إثبات ثلاثة آلهة: الذات والصفات والوجود.

فصل

في النوع الثاني من أنواع التوحيد لأهل الإلحاد

هذا وثانيها فتوحيدُ ابنِ سَبِّ
 عَيْنَ وشيعتهِ أُولِي البُهْتَانِ
 كُلِّ اتِحَادِيٍّ خِيثٍ عِنْدَهُ
 مَعْبُودُهُ مَوْطُوؤُهُ الحَقَّانِي (١)
 توحيدُهُمْ أَنَّ الإلهَ هو الوُجُوهُ
 دُ الْمُطَلَّقُ المَبْشُوثُ فِي الأعيانِ
 هو عَيْنُهَا لا غَيْرُهَا ما هَا هُنَا
 رَبُّ وَعِبْدٌ كَيْفَ يفتَرِقَانِ

(١) النوع الثاني من أنواع التوحيد: توحيد غلاة الصوفية كابن عربي وابن سبعين وابن الفارض أهل وحدة الوجود، يقولون: التوحيد: أن تعتقد أن هذا الكون كله هو الله ليس فيه انقسام ولا تعدد، فمن أثبت أن هناك خالقاً ومخلوقاً فهو مشرك، ومن قال: إن هذا الكون كله هو الله فهذا هو الموحد عندهم، ولذلك سموا أهل وحدة الوجود، وهم أكثر أهل الأرض؛ لأنهم جعلوا كل شيء هو الله، فجعلوا ما يؤكل ويشرب هو الله، وجعلوا النساء التي تنكح هي الله - والعياذ بالله - وهذا كفر صريح، ويقولون: فرعون ما كفر إلا لأنه قال: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأعلى ﴾ [النازعات: ٢٤] حيث خصص الربوبية به، وإلا لو اعتقد أن الكون كله هو الله صار موحداً، وهذه أقبح فرقة، وهم غلاة الصوفية وإمامهم ابن عربي.

لَكِنَّ وَهَمَّ الْعَبْدِ ثُمَّ خِيَالَهُ
 فِي ذِي الْمَظَاهِرِ دَائِمًا يَلْجَانِ^(١)
 فَلِذَاكَ حُكْمُهُمَا عَلَيْهِ نَافِذٌ
 فَابْنُ الطَّبِيعَةِ ظَاهِرُ التَّقْصَانِ
 فِإِذَا تَجَرَّدَ عِلْمُهُ عَنْ حِسِّهِ
 وَخِيَالِهِ بَلْ ثُمَّ تَجْرِيدَانِ
 تَجْرِيدُهُ عَنْ عَقْلِهِ أَيْضًا فَإِنْ
 نَ الْعَقْلَ لَا يُدْنِيهِ مِنْ ذَا الشَّانِ
 بَلْ يَخْرِقُ الْحُجْبَ الْكثِيفَةَ كُلَّهَا
 وَهَمًّا وَحِسًّا ثُمَّ عَقْلٌ وَإِنْ
 فَالْوَهْمُ مِنْهُ وَحِسُّهُ وَخِيَالُهُ
 وَالْعِلْمُ وَالْمَعْقُولُ فِي الْأَذْهَانِ
 حُجْبٌ عَلَى ذَا الشَّانِ فَاخْرِقْهَا وَإِلَّا
 لَا كُنْتَ مَحْجُوبًا عَنِ الْعِرْفَانِ^(٢)

(١) يقولون: القول بأنَّ هناك خالقاً ومخلوقاً، خيالٌ عند من يتخيلون هذه الأشياء.

(٢) هم لا يأخذون بالوحي لأنه حجاب، وإنما يأخذون علمهم عن الله مباشرة بزعمهم لا عن الأنبياء والرسل، فإذا كنت تريد الحقيقة فاخترق حجاب الوحي والوهم لتصل إلى الحقيقة.

هذا وأكثفها حجاب الحسِّ وال
 مَعْقُولُ ذَانِكَ صَاحِبُ الْفُرْقَانِ
 فَهُنَاكَ صِرْتَ مُوَحِّدًا حَقًّا تَرَى
 هَذَا الْوُجُودَ حَقِيقَةَ الدِّيَانِ
 وَالشُّرْكَ عِنْدَهُمْ فَتَنُوعُ الْوُجُودِ
 دِ وَقَوْلُنَا إِنَّ الْوُجُودَ اثْنَانِ (١)
 وَاحْتَجَّ يَوْمًا بِالْكِتَابِ عَلَيْهِمْ
 شَخْصٌ فَقَالُوا الشُّرْكَ فِي الْقُرْآنِ (٢)
 لَكِنَّمَا التَّوْحِيدُ عِنْدَ الْقَائِلِينَ
 سَنَ بِالِاتِّحَادِ فَهُمْ أُولُو الْعِرْفَانِ
 رَبُّ وَعَبْدٌ كَيْفَ ذَاكَ وَإِنَّمَا الـ
 مَوْجُودُ فَرْدٌ مَا لَهُ ثَانٌ (٣)

(١) الشرك عند أهل وحدة الوجود: اعتقاد أنه هناك خالقاً ومخلوقاً، وأنَّ هذا الكون مُتَعَدَّدٌ من مخلوقات متعددة، لأن الكون شيءٌ واحد عندهم، واعتقاد ذلك هو التوحيد عندهم.

(٢) لما احتجَّ عليهم شخص بأنَّ ما هم عليه يُخَالِفُ الْقُرْآنَ، قالوا: الْقُرْآنُ كُلُّهُ شُرْكَ؛ لِأَنَّ فِيهِ إِثْبَاتَ خَالِقٍ وَمَخْلُوقٍ وَإِثْبَاتَ تَعَدُّدٍ فِي الْكُونِ، هَذَا شُرْكَ.

(٣) التوحيد الصحيح عند القائلين بوحدة الوجود وهو أن هذا الكون كله هو الله تعالى، فليس فيه تعدُّد ولا انقسام، ولا ربٌّ ولا عبد، بل الوجود شيءٌ واحد وهو الربُّ فقط.

فصل

في النوع الثالث من التوحيد لأهل الإلحاد

هذا وثالثها هو التوحيدُ عند

دَ الْجَهْمِ تَعْيِيلٌ بِلا إيمانٍ^(١)

نفي الصفاتِ مع العُلُوِّ كذاكَ نَفْ

يُ كَلامِهِ بِالوحيِ والقُرآنِ

فالعَرْشُ ليس عليه شيءٌ بَتَّةً

لكنَّهُ خِلُوٌّ مِنَ الرَّحْمَنِ

ما فوقه ربُّ يُطاع ولا عليه

ه للورى مِنْ خالِقِ رَحْمَنِ

بل حَظُّ عَرشِ الرَّبِّ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ

منهُ كحَظِّ الأَسْفَلِ التَّحْتانِي^(٢)

(١) النوع الثالث من أنواع التوحيد توحيد الجهم بن صفوان وأتباعه من الملاحدة: وهو نفي الأسماء والصفات، فهذا هو مصطلح التوحيد والشرك عند الجهمية وهم شرُّ الفرق وأضلها.

(٢) ينفون جميع الأسماء والصفات من غير استثناء صفات الذات وصفات الأفعال.

ويلزم على مذهبهم وصف الله بالعدم، لأنَّ الذي ليس له أسماء ولا صفات هو المعدوم، أمَّا الموجود فلا بُدَّ له من صفات.

فَهُوَ الْمُعْطَلُ عَنْ نُعُوتِ كَمَالِهِ
 وَعَنِ الْكَلَامِ وَعَنْ جَمِيعِ مَعَانٍ
 وَاَنْظُرْ إِلَى مَا قَدْ حَكِينَا عَنْهُ فِي
 مَبْدَا الْقَصِيدِ حِكَايَةَ التَّبْيَانِ (١)
 هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ
 تَلَوُ الْفُحُولِ مُقَدِّمِي الْبُهْتَانِ
 وَالشَّرْكَ عِنْدَهُمْ فَاِثْبَاتُ الصِّفَا
 تِ لِرَبِّنَا وَنَهَايَةُ الْكُفْرَانِ
 اِنْ كَانَ شَرْكَاً ذَا وَكُلُّ الرُّسُلِ قَدْ
 جَاؤُوا بِهِ يَا خَيْبَةَ الْاِنْسَانِ (٢)

* * *

(١) عندما ساق رحمه الله في مطلع هذه القصيدة مذاهب الناس في البحث عن الرب تعالى على صفة ركبان ذهبوا هنا وهناك ومن جملتهم ركب الجهمية.

(٢) الشرك عند الجهمية هو إثبات الصفات، فعليه يكون الرسل جاؤوا بالشرك لأنهم جاؤوا بإثبات الصفات، وكفى بهذا القول إثماً مبنياً.

فصل

في النوع الرابع من أنواعه

هذا ورابعها فتوحيدٌ لدى

جَبْرِيَّهِمْ هُوَ غَايَةُ الْعِرْفَانِ^(١)

الْعَبْدُ مَيِّتٌ مَا لَهُ فِعْلٌ وَكَ

كِنْ مَا تَرَى هُوَ فِعْلٌ ذِي السُّلْطَانِ

وَاللَّهُ فَاعِلٌ فَعَلْنَا مِنْ طَاعَةٍ

وَمِنَ الْفُسُوقِ وَسَائِرِ الْعِصْيَانِ^(٢)

هِيَ فِعْلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقَةً

لَيْسَتْ بِفِعْلٍ قَطُّ لِلْإِنْسَانِ

فَالْعَبْدُ مَيِّتٌ وَهُوَ مُجْبُورٌ عَلَى

أَفْعَالِهِ كَالْمَيِّتِ فِي الْأَكْفَانِ^(٣)

(١) الجبرية: هم الذين يقولون: العبد ليس له مشيئة وإنما هو مجبورٌ على أفعاله، ليس له فيها اختيار، فهم يغفلون في القدر وينفون أن يكون للعبد قدرةً واختياراً ومشيةً، هذا هو التوحيد عندهم.

(٢) كل الطاعات والمعاصي هي فعلُ الله عندهم، وأما نحنُ بزعمهم فآلةٌ تُحرِّك، وأنَّ الله يُعذِّب العصاة على شيءٍ ليس لهم فيه اختيار ولا إرادة، وهذا كذبٌ على الله، فإنَّ الله لا يُعذِّب المُكْرَمَةَ ولا المجنون ولا الصغير لأنَّ هؤلاء ليس لهم إرادة ولا اختيار.

(٣) الميت في الأكفان ليس له قدرة ولا اختيار ويُحرِّك ويُدفن فليس له إرادة =

وهو المَلُومُ عَلَى فِعَالِ إِلَهِهِ

فيه وداخلُ جَاحِمِ النيرانِ (١)

يا وَيَحَهُ الْمَسْكِينُ مَظْلُومٌ يُرَى

في صورةِ العبدِ الظُّلْمِ الجاني (٢)

لكن نقولُ بَأَنَّهُ هو ظالمٌ

في نفسه أدباً مع الرَّحْمَنِ (٣)

هذا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ

مِنْ كُلِّ جَبْرِيٍّ خَبِيثٍ جَنَانِ

والكلُّ عِنْدَ غُلَاتِهِمْ طَاعَاتُنَا

ما نَمَّ في التَّحْقِيقِ مِنْ عَصِيَانِ (٤)

= ولا مشيئة، فهم يقولون: كذلك في حال الحياة هو مجبر على أعماله ليس له إرادة ومشية.

(١) وهذا معناه وصف الله بالظلم، تعالى الله عن ذلك، وذلك أَنَّهُ يُعَذِّبُ

النَّاسَ عَلَى شَيْءٍ لَيْسَ لَهُمْ فِيهِ اخْتِيَارٌ وَلَا مَشِيئَةٌ لِأَنَّهُمْ مُجْبُرُونَ عَلَيْهِ.

(٢) عندهم لا يوصف العبد بأنه ظالم أو فاسق أو كافر لأن هذه الأفعال التي

تصدر عنه ليست أفعاله وإنما هي أفعال الله.

(٣) هو في الحقيقة عندهم مظلوم لكن يقولون: هو ظالم من باب المجاز

تأدباً مع الله تعالى.

(٤) يقول غلاتهم: إن أفعال العباد كلها طاعات لأنها امتثال لمشية الله

وقدره مثل قول المشركين: ﴿لَوْ سَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]

ويقول شاعرهم:

أصبحتُ منفَعلاً لما يختارُهُ مِنِّي ففعلني كلُّه طاعات

والشرك عندهم اعتقادك فاعلاً
 غير الإله المالك الديان^(١)
 فانظر إلى التوحيد عند القوم ما
 فيه من الإشراك والكفران
 ما عندهم والله شيء غيره
 هاتيك كتبهم بكل مكان^(٢)
 أترى أبا جهل وشيعته رأوا
 من خالق ثانٍ لذي الأكوان
 أم كلهم جمعاً أقرؤا أنه
 هو وحده الخلاق للإنسان^(٣)
 فإذا ادعيتهم أن هذا غاية الت
 توحيد صار الشرك ذا بطلان^(٤)

(١) هذا هو الشرك عند الجبرية: أن تعتقد أن العبد يفعل باختياره ومشئته، لأن هذا معناه أنه يصير شريكاً لله في خلقه وفعله.

(٢) يقول: ارجعوا إلى كتبهم فهذا الكلام موجودٌ فيها فلم نتجنى عليهم لأن هذا موجود في كتبهم.

(٣) هل أبو جهل الذي هو أكفر أهل الأرض في زمانه يعتقد أن أحداً يخلق مع الله؟ ما اعتقد هذا أحدٌ بل الجميع مقرّون بأن الله وحده هو الخلاق، فيكون الجهمية أغلظ كفرًا من أبي جهل وأشباهه.

(٤) يقولون: إذا اعتقدتم هذه العقيدة وأنَّ العبد ليس له إرادة ولا مشيئة حققتم التوحيد، أمّا إذا اعتقدتم أن العباد لهم مشيئة وإرادة ويفعلون باختيارهم وإرادتهم فهذا هو الشرك عندهم.

فالنَّاسُ كُلُّهُمْ أَقْرَبُوا أَنَّهُ

هو وحدهُ الخلاقُ ليس اثنانِ

إلاَّ المَجُوسَ فَإِنَّهُمْ قالوا بأنَّ

نَ الشَّرِّ خالِقُهُ إلهٌ ثانٍ (١)

* * *

(١) انفرد المَجُوسَ بعقيدة أنَّ هناك خالقين: خالقٌ للخير وخالقٌ للشر، وأما من عداهم من الأمم فإنهم لا يعتقدون أنَّ هناك خالقاً غير الله على اختلاف مللهم.

فصل

في بيان توحيد الأنبياء والمرسلين
ومخالفته لتوحيد الملاحدة والمعطلين

فاسْمَعْ إِذَا تَوْحِيدَ رُسُلِ اللَّهِ ثُمَّ
مَ اجْعَلْهُ دَاخِلَ كِفَّةِ الْمِيزَانِ
مَعَ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ وَانظُرْ أَتِيهَا
أَوْلَى لَدَى الْمِيزَانِ بِالرُّجْحَانِ^(١)
تَوْحِيدُهُمْ نَوْعَانِ قَوْلِيٌّ وَفِعْ
لِيٌّ كِلَا نَوْعَيْهِ ذُو بُرْهَانِ^(٢)
فَالأَوَّلُ الْقَوْلِيٌّ ذُو نَوْعَيْنِ أَيُّ
ضُماً فِي كِتَابِ اللَّهِ مَوْجُودَانِ^(٣)

(١) هذا هو النوع الخامس من أنواع التوحيد عند الفرق، لما ذكر مذاهب أهل الضلال في تعريف التوحيد والشرك ذكر مذهب أهل الحق المخالف لتوحيد الفرق الضالة كلها، وهو التوحيد الذي جاءت به الرسل، لأن المسلم مطلوب منه أن يعرف الشر ليتجنبه ويعرف الحق ليلتزمه.

(٢) توحيد الأنبياء والرسل نوعان: قولِيٌّ وعمليٌّ، والقولي هو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، والعملية هو توحيد الألوهية.

(٣) الأول: وهو توحيد الربوبية نوعان: =

إِحْدَاهُمَا سَلْبٌ وَذَا نَوْعَانِ أَيُّ

ضاً فِيهِ حَقّاً فِيهِ مَذْكُورَانِ

سَلْبُ النَّقَائِضِ وَالْعُيُوبِ جَمِيعَهَا

عَنْهُ هُمَا نَوْعَانِ مَعْقُولَانِ

سَلْبٌ لِمَتَّصِلٍ وَمُنْفَصِلٍ هُمَا

نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ أَمَّا الثَّانِي

سَلْبُ الشَّرِيكِ مَعَ الظَّهِيرِ مَعَ الشَّفِيِّ

مَعَ بَدُونِ إِذْنِ المَالِكِ الدِّيَّانِ (١)

وَكَذَاكَ سَلْبُ الزَّوْجِ وَالوَلَدِ الَّذِي

نَسَبُوا إِلَيْهِ عَابِدُو الصُّلْبَانِ (٢)

= نفي وإثبات. والنفي هو أن يُنْفَى عن الله تعالى جميع أنواع النقص والعيوب، والإثبات هو إثبات الكمال لله تعالى، فتوحيد الأسماء والصفات يدور على هذين الأصلين: النفي والإثبات، فالنفي يسمونه السلب، والإثبات يسمونه الإيجاب.

(١) النفي قسمان:

نفي النقائص عن الله تعالى، ونفي الشركاء.

(٢) نفي ما يتصل بذاته سبحانه وتعالى من العيوب والنقائص كنفي النوم

والسُّنَّةِ عنه ونفي العجز واللغوب. ونفي الأشياء المنفصلة عنه كنفي

الشركاء عنه تعالى ونفي صاحبة وهي الزوجة ونفي الولد الذي أثبت له

النصارى والمشركون له تعالى الله عن ذلك.

وكذاك نفي الكُفءِ أيضاً والولي

ي لنا سوى الرحمنِ ذي الغُفرانِ^(١)

والأولُ التنزيهُ للرحمنِ عن

وصفِ العيوبِ وكُلِّ ذي نُقصانِ^(٢)

كالموتِ والإغْيَاءِ والتَّعَبِ الذي

يَنفِي اقتِدَارَ الخَالِقِ الدِّيَانِ

والنَّوْمِ والسَّنَةِ التي هي أصلُهُ

وعُزُوبِ شيءٍ عنه في الأكوانِ^(٣)

وكذلك العَبَثُ الذي تنفيه حِكْ

مَتُهُ وحمدُ اللهِ ذي الإِتْقَانِ^(٤)

(١) أي نفي المشابه كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ كُفُؤًا أَحَدٌ﴾

[الإخلاص: ٤] والولي هو الناصر ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ﴾ [الإسراء: ١١١]

يعني: يُناصرُهُ وَيُعِينُهُ جَلًّا وَعِلًّا لَأَنَّهُ لَيْسَ بِحَاجَةٍ لِذَلِكَ.

(٢) هذا نفي المتصل.

(٣) النوم: هو المستغرق، والسَّنَةُ: هي مبادئ النوم، والله مُنَزَّهٌ عن ذلك

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(٤) الله مُنَزَّهٌ عن العَبَثِ فهو لا يفعل شيئاً إلا لحكمة، والعَبَثُ أن يفعل شيئاً

لا لحكمة، فما خلق ولا فعل إلا لحكمة باهرة قد نعلمها وقد لا نعلمها،

وقد وصف نفسه بالحكيم، ونزَّه نفسه عن العَبَثِ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ

عِبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَاتَرْجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وكذلك تَرَكَ الخَلْقِ إِهْمَالاً سُدًى
 لَا يُبْعَثُونَ إِلَى مَعَادٍ ثَانٍ
 كَلًّا وَلَا أَمْرًا وَلَا نَهْيًا عَلَيَّ
 هِمٌّ مِنْ إِلَهٍ قَادِرٍ دَيَّانٍ
 وكذاكَ ظَلَمُ عِبَادِهِ وَهُوَ الغَنِيُّ
 يُّ فَمَا لَهُ وَالظُّلْمُ لِلْإِنْسَانِ^(١)
 وكذاكَ غَفْلَتُهُ تَعَالَى وَهُوَ عَدُوٌّ
 لَأُمِّ الغَيْبِ فَظَاهِرُ البُّطْلَانِ^(٢)
 وكذاكَ النِّسْيَانُ جَلٌّ إِيَّاهَا
 لَا يَعْتَرِيهِ قَطُّ مِنْ نِسْيَانِ^(٣)

(١) نَزَّ اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ عَنِ الظُّلْمِ فَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا شَيْئًا مِنْ حَسَنَاتِهِ بَلْ يُضَاعَفُهَا
 لَهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَلَا يَنْقُصُ أَحَدًا مِنْ حَسَنَاتِهِ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾
 [فصلت: ٤٦] ﴿لَا تُظْلَمُ أَلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧].

(٢) نَفَى اللهُ عَنِ نَفْسِهِ الغَفْلَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا اللهُ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:
 ٧٤].

(٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] فَلَا يَنْسَى، وَالنِّسْيَانُ الَّذِي
 نَزَّ اللهُ نَفْسَهُ عَنْهُ هُوَ الذَّهْوُ عَنِ الشَّيْءِ، وَأَمَّا النِّسْيَانُ فِي قَوْلِهِ: ﴿سُؤُوا
 اللَّهَ فَانْسِيهِمْ﴾ [التوبة: ٦٧] فَهَذَا مِنْ بَابِ المَجَازَاةِ، مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَمَكَرُوا
 وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] مَعْنَاهُ التَّرْكَ وَهَذَا مِنْ بَابِ المَجَازَاةِ وَهُوَ
 عَدُوٌّ مِنْهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وكذلك حاجته إلى طعامٍ ورزقٍ

قِ وَهُوَ رَزَاقٌ بِلَا حُسْبَانٍ^(١)

هذا وثاني نوعي السلب الذي

هُوَ أَوَّلُ الْأَنْوَاعِ فِي الْأَوْزَانِ

تنزيهه أوصاف الكمال له عن التثبيته

تَشْبِيهِهِ وَالتَّمْثِيلِ وَالتُّكْرَانِ^(٢)

(١) كذلك نزهة سبحانه نفسه عن أن يطعم، لأنَّ الطَّعْمَ لَا يَحْتَاجُهُ إِلَّا الْخَلْقُ، وَأَمَّا اللَّهُ تَعَالَى فَهُوَ غَعِيٌّ عَنِ الطَّعَامِ فَهُوَ ﴿يُطْعَمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤] وَإِنَّمَا هَذَا لِلْعِبَادِ الَّذِينَ يَحْتَاجُونَ لِلطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَلِذَلِكَ رَدَّ عَلَيَّ النَّصَارِيُّ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ فِي الْمَسِيحِ فَقَالَ: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِأَكْلَانِ الطَّعَامِ﴾ [المائدة: ٧٥] فَعَيْسَى كَغَيْرِهِ مِنَ الرُّسُلِ لَيْسَ بِإِلَهِ، وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ يَعْنِي مِنَ الْمُبَالِغِينَ فِي الصِّدْقِ وَقَوْلُهُ: ﴿كَأَنَّا بِأَكْلَانِ الطَّعَامِ﴾ دَلِيلٌ عَلَيَّ بِشَرِيَّتِهِمَا، وَأَنَّهِنَّ لَيْسَا بِأَلْهَةٍ لِأَنَّهِنَّ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ، وَالَّذِي يَأْكُلُ الطَّعَامَ هُوَ الْمَحْتَاجُ.

(٢) التنزيه قسمان:

تنزيه الله في ذاته.

وتنزيه الله في أسمائه وصفاته، وتنزيه أسمائه وصفاته عن التشبيه والتمثيل فيه رُدُّ عَلَيَّ الْمَشْبَهَةِ وَرُدُّ عَلَيَّ الْمَعْطَلَةِ، لِأَنَّ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتَ بِحَسَبِ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ، فَإِنْ أُضِيفَتْ إِلَى اللَّهِ اخْتَصَّتْ بِهِ، وَكَانَتْ لِأَثْقَةِ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَإِنْ أُضِيفَتْ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ فَهِيَ تَلِيقٌ بِهِمْ وَتَخْتَصُّ بِهِمْ =

لَسْنَا نُشَبِّهُهُ وَصَفَهُ بِصِفَاتِنَا

إِنَّ الْمُشَبَّهَ عَابِدُ الْأَوْثَانِ (١)

كَلَّا وَلَا نُخْلِيهِ مِنْ أَوْصَافِهِ

إِنَّ الْمُعْطَّلَ عَابِدُ الْبُهْتَانِ (٢)

مَنْ مَثَّلَ اللَّهَ الْعَظِيمَ بِخَلْقِهِ

فَهُوَ النَّسِيبُ لِمَشْرِكٍ نَصْرَانِي (٣)

أَوْ عَطَّلَ الرَّحْمَنَ عَنْ أَوْصَافِهِ

فَهُوَ الْكُفُورُ وَلَيْسَ ذَا إِيْمَانٍ (٤)

* * *

= فصفاا المخلوقين ناقصة، وأما صفاا الربِّ فهي كاملة لا يُشبهها شيء، فمن لم يدرك هذا الفرق ضلَّ سواء السبيل، ولما فات هذا الفرق على الجهمية وأضرابهم وقعوا في الضلال.

(١) الذي يُشبهه صفاا الله بصففاا المخلوقين فإنه يعبدُ وثناً لأن الله لا شبيه له، والذي ينفي الأسماء والصففاا عن الله يعبدُ عدماً، لأنَّ الذي ليس له أسماء ولا صفاا معدوم، ولذلك يقول العلماء: المُشَبَّهُ يعبدُ صنماً والمُعْطَّلُ يعبدُ عدماً.

(٢) المُعْطَّلُ يعبدُ عدماً لا أصل له، لأنه ليس هناك شيءٌ في الوجود ليس له أسماء ولا صفاا.

(٣) من شبهه الله بخلقه فهو كالنصارى الذين يعبدون المسيح عليه السلام، لأنَّهم شبهوا المسيح البشري بالله عزَّ وجل.

(٤) وأشدُّ منه الذي عطَّلَ الرحمن عن أوصافه، وهذا كفر بوجود الرب.

فصل

في النوع الثاني من النوع الأول وهو الثبوت^(١)

هذا ومن توحيدهم إثبات أو

صاف الكمال لربنا الرحمن^(٢)

كعلوه سبحانه فوق السما

وات العلى بل فوق كل مكان

فهو العلى بذاته سبحانه

إذ يستحيل خلاف ذا بيان^(٣)

وهو الذي حقاً على العرش استوى

قد قام بالتدبير للأكوان

(١) أي: توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

(٢) من توحيد الأنبياء والمرسلين إثبات الكمال لله تعالى ونفي النقص عنه.

(٣) من توحيد الأنبياء إثبات علو الله على مخلوقاته، كما في قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠]،

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾

[المعارج: ٤] والعروج هو الصعود، ففي القرآن ما يزيد على ألف دليل يدل على العلو.

فالعلو صفة ذات لا تنفك عنه سبحانه وتعالى، وأما الاستواء فهو

من صفات الأفعال التي يفعلها متى شاء سبحانه، وهذا هو الفرق بين

العلو والاستواء.

حَيُّ مُرِيدٌ قَادِرٌ مُتَكَلِّمٌ
 ذُو رَحْمَةٍ وَإِرَادَةٍ وَحَنَانٍ
 هُوَ أَوَّلٌ هُوَ آخِرٌ هُوَ ظَاهِرٌ
 هُوَ بَاطِنٌ هِيَ أَرْبَعٌ بِوِزَانٍ (١)
 مَا قَبْلَهُ شَيْءٌ كَذَا مَا بَعْدَهُ
 شَيْءٌ تَعَالَى اللهُ ذُو السُّلْطَانِ
 مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ كَذَا مَا دُونَهُ
 شَيْءٌ وَذَا تَفْسِيرُ ذِي الْبُرْهَانِ (٢)

(١) كما جاء في الآية: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وفسرها النبي ﷺ في دعائه بقوله: «أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء» (*) ومعنى «ليس دونك شيء» أنه لا يحجبُه سبحانه شيء عن مخلوقاته، بل يراها جميعاً وهو قريبٌ منها، هذا هو تفسير الرسول ﷺ، أما الذي يقول: إن معنى الظاهر البين بالأدلة كما تقولُه الجهمية والأشاعرة والمعطلة فهذا باطل، وهو يخالف تفسير الرسول ﷺ، فهي أربعٌ متقابلة، اثنان لعلوّه ودنوّه: الظاهر والباطن، واثنان لأوليته وأخريته لأنه ليس له بداية وليس له نهاية فهما اسمان لأزليته وأبديته.

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥] هذا معنى الباطن لا كما يقوله الحلوية: الباطن الحال في الأشياء والعياذ بالله، فهو الباطن بعلمه ورؤيته لعباده لا بذاته، وهذا التفسير =

فَانظُرْ إِلَى تَفْسِيرِهِ بِتَدْبِيرٍ
وَتَبَصُّرٍ وَتَعَقُّلٍ لِمَعَانٍ
وَانظُرْ إِلَى مَا فِيهِ مِنْ أَنْوَاعٍ مَعٍ
رَفَةٍ لَخَالِقِنَا الْعَظِيمِ الشَّانِ
وَهُوَ الْعَلِيُّ فَكُلُّ أَنْوَاعِ الْعُلُوِّ
وَلَهُ فَثَابِتَةٌ بِلَا نَكَرَانٍ^(١)
وَهُوَ الْعَظِيمُ بِكُلِّ مَعْنَى يُوجِبُ التَّ
تَعْظِيمَ لَا يُحْصِيهِ مِنْ إِنْسَانٍ^(٢)
وَهُوَ الْجَلِيلُ فَكُلُّ أَوْصَافِ الْجَلَا
لِ لَهُ مُحَقَّقَةٌ بِلَا بَطْلَانٍ^(٣)
وَهُوَ الْجَمِيلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَيْفَ لَا
وَجَمَالٌ سَائِرٍ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

= لهذه الأسماء الأربعة هو تفسيره ﷺ وإذا جاء التفسير عن الرسول ﷺ فإنه لا يُقدَّمُ عليه شيء.

(١) العلو ثلاثة أنواع: علو ذات وعلو القهر، وعلو القدر، وكلها ثابتة لله تعالى عند أهل السنة. وأما أهل الضلال إنما يُثبتون النوع الثاني والثالث فقط ويجحدون أعظم الأنواع وهو علو الذات.

(٢) له العظمة المطلقة التي لا يُشارِكُه فيها أحد، فهو أعظم من كل شيء وهو أكبر من كل شيء.

(٣) من أسمائه الجليل، أي: لا شيء أجل منه، وكل أوصاف الجلال ثابتة له سبحانه.

من بعض آثارِ الجميلِ فَرَبُّهَا

أولى وأجدرُ عندِ ذي العِرفانِ^(١)

فجمالهُ بالذاتِ والأوصافِ والـ

أفعالِ والأسماءِ بالبُرهانِ^(٢)

لا شيءَ يُشبهه ذاتُه وصِفاته

سُبْحانَه عن إفكِ ذي بُهتانِ

وهو المجيدُ صفاتُه أوصافُ تَعَدُّ

ظِمْ فشانُ الوصفِ أعظمُ شانِ^(٣)

وهو السميعُ يرى وَيَسْمَعُ كُلَّ ما

في الكونِ مِنْ سِرٍّ ومِنْ إعلَانِ

ولِكُلِّ صوتٍ مِنْهُ سَمْعٌ حاضِرٌ

فالسُّرُّ والإعلَانُ مُستَوِيانِ

(١) خلق اللهُ تعالى الجمالَ وأوجدَه في مخلوقاته، فهو أولى به سبحانه وتعالى

مِنْ خَلْقِهِ، ولذلك يوصف بالجميل، وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ

الجمال»^(*) فهو جميل سبحانه وتعالى في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله،

وهو واهبُ الجمالِ وواهبُ الجمالِ لا بُدَّ وأن يكون جميلاً.

(٢) الله تعالى جميل في الذاتِ والأسماءِ والصفاتِ والأفعالِ، وكل ما يُنسب

إلى الله تعالى فهو جميل، الذاتِ والصفاتِ والأفعالِ، كُلُّها جميلة.

(٣) له المجد المطلق سبحانه وتعالى، وسمَّى نفسه بالمجيد.

(*) أخرجه مسلم (٩١)، وابن حبان ٢٨٠/١٢ (٥٤٦٦) من حديث عبد الله بن مسعود.

وَالسَّمْعُ مِنْهُ وَاسِعُ الْأَصْوَاتِ لَا

يَخْفَى عَلَيْهِ بَعِيدُهَا وَالِدَانِي^(١)

وهو البصيرُ يرى ديببَ النملةِ السِّدِّ

سَوْدَاءٍ تَحْتَ الصَّخْرِ وَالصَّوَّانِ^(٢)

ويرى مجاري القوتِ في أعضائها

ويرى نياطَ عُروِقِهَا بَعِيَانِ^(٣)

ويرى خياناتِ العيونِ بلحظِهَا

ويرى كَذَاكَ تَقَلَّبَ الْأَجْفَانِ^(٤)

(١) وهو السميع الذي يسمع كلَّ شيء في الكون لا يخفى عليه شيء ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [آل عمران: ٥]، ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الملك: ١٣]، ﴿ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [النحل: ١٩]، ﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: ٧] وكل الأصوات ترتفع إلى الله بلغاتها وهو يسمعها سبحانه في لحظة واحدة ويقضي جميع حوائج مخلوقاته في آن واحد.

(٢) يرى ويبصر كل شيء سبحانه وتعالى فهو يرى ديبب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل لا تخفى عليه.

(٣) ويرى سبحانه مسالك الغذاء فيها ويُنظِّمُهُ سبحانه وتعالى حسب حكمته، ويرى عروقها المتصلة بقلبها، فهو الخلاق العليم سبحانه وتعالى.

(٤) قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ حَايَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩] وخائنة الأعين هي التي تُسارق النظر إلى الحرام، ويرى حركات العين والأجفان.

وهو العليمُ أحاطُ علماً بالذي

في الكونِ من سرٍّ ومن إعلانِ

وبكل شيءٍ علمُهُ سبحانه

فهو المحيطُ وليسَ ذا نسيانِ

وكذاك يعلمُ ما يكونُ غداً وما

قَدْ كانَ والموجودَ في ذا الآنِ

وكذاك أمرٌ لم يَكُنْ لو كانَ كيـ

فَ يَكُونُ ذا إمكانِ^(١)

* * *

(١) الله تعالى بكل شيءٍ عليم، يعلم ما في السماوات وما في الأرض، يعلم ما كان في الأزل وما يكون في المستقبل، لا يخفى عليه شيءٌ سبحانه وتعالى، علمُهُ أزلي ثابتٌ له سبحانه وتعالى، لا ينفكُ عنه، وهو محيطٌ بعلمه وقدرته وإرادته وتدبيره بمخلوقاته، وهي بالنسبة إليه كلا شيءٍ على سعتها وامتدادها واختلافها، هو محيطٌ بها كُلِّها يُدبِّرُها ويُنظِّمُها، ويعلم ما كان في الأزل، وما يكون في المستقبل، ويعلم الحاضر سبحانه وتعالى، فعلمُهُ شاملٌ للأزمنة كما أنه شاملٌ للأمكنة، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، ومما يدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] فهم لا يُرَدُّون إلى الدنيا أبداً، ولكن لو رُدُّوا فإنَّه سيعلم ما يكون منهم، فهو يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون.

فصل

وهو الحميدُ فكلُّ حَمْدٍ واقعٌ
 أو كان مفروضاً مدَى الأزمانِ
 ملاً الوجودَ جميعه ونظيره
 من غير ما عدَّ ولا حُبانِ
 هو أهلهُ سُبْحَانَهُ وَيَحْمَدُهُ
 كلُّ المحامدِ وصفٌ ذي الإحسانِ^(١)

* * *

(١) ومن أسماء الله الحميدُ، وهو الذي له الحمد المطلق الذي لا حصر له، ولهذا يقول ﷺ: «لَكَ الْحَمْدُ مَلَأَ السَّمَاءَ وَمَلَأَ الْأَرْضَ وَمَلَأَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ» (*) فحمدهُ سُبْحَانَهُ لا حصرَ له ولا يُحصَى، ولهذا قال في أول سورة الفاتحة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢] أي جميع المحامد لله تعالى وهو الذي يستحقُّها لكمال إنعامه وفضله على خلقه فهو المحمود على كل حال، له الحمد المطلق، يُحمدُ لذاته ولأفعاله ولأسمائه وصفاته، والحمدُ في اللغة: هو الثناء على المحمود بكلِّ كمالٍ وكلِّ حمدٍ، وهو ضدُّ الذمِّ، فهو المحمود المطلق، وأمَّا ما سواه فيُحمدُ على قدر ما له من الفضل.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٦٤/٣١ (١٩١١٩)، ومسلم (٤٧٦) من حديث عبد الله ابن أبي أوفى.

فصل

وهو المكلّم عبده موسى بتك

ليم الخطاب وقبّله الأبوان^(١)

(١) ومن أوصافه سبحانه صفة الكلام فإنه موصوف بأنه يتكلّم، وكلامه لا يحصيه إلا هو، فكلامه سبحانه لا حصر له كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنفِدَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، فلو كانت البحار كلها حبراً يكتب به، ولو كانت الأشجار كلها أقلاماً يكتب بها فإن كلام الله لا ينفد؛ لأنّ كلامه من أفعاله، وأفعاله جلّ وعلا لا حصر لها، يتكلّم متى شاء إذا شاء سبحانه وتعالى بكلام يُسمع من غير واسطة أحياناً كما كلّم موسى عليه السلام وقبّله كلّم الأبوين آدم وحواء قال تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢] وأحياناً يكلم رسله بواسطة الوحي الذي ينزل به جبريل من الله إلى رسله، وكلماته قدرية وشرعية، فالقدرية هي التي بها يخلق ويرزق وبها يُدبّر ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فكل ما كان وكل ما يكون فإنه كائنٌ حادثٌ بأمر الله وكلامه، وكلامٌ شرعي، وهو حكمه سبحانه وشرعه ودينه ووحيه، فالقرآن والتوراة والإنجيل كلامه وسائر الكتب المنزلة من كلامه سبحانه وتعالى الذي به يأمر وينهى ويشرع، فهذا كلامه الشرعي، وهو يتكلّم بكلام حقيقي يُسمع بحرفٍ وصوت إذ الكلام لا يكون إلا كذلك، ويكون نداءً ومناجاةً ومباشرةً بغير واسطة ويكون بواسطة.

كَلِمَاتُهُ جَلَّتْ عَنِ الْإِحْصَاءِ وَالثَّ
 تَعْدَادِ بَلْ عَنْ حَضْرٍ ذِي الْحُسْبَانِ
 لَوْ أَنَّ أَشْجَارَ الْبِلَادِ جَمِيعَهَا أَلْ
 أَقْلَامُ تَكْتُبُهَا بِكُلِّ بَنَانٍ
 وَالْبَحْرَ تُلْقِي فِيهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ
 لِكِتَابَةِ الْكَلِمَاتِ كُلِّ زَمَانٍ
 نَفِدَتْ وَلَمْ تَنْفَدْ بِهَا كَلِمَاتُهُ
 لَيْسَ الْكَلَامُ مِنَ الْإِلَهِ بِفَانٍ
 وَهُوَ الْقَدِيرُ وَلَيْسَ يُعْجِزُهُ إِذَا
 مَا رَامَ شَيْئاً قَطُّ ذُو سُلْطَانٍ^(١)
 وَهُوَ الْقَوِيُّ لَهُ الْقَوَى جَمْعاً تَعَا
 لَى اللَّهُ ذُو الْأَكْوَانِ وَالسُّلْطَانِ^(٢)

(١) ومن أسمائه القدير حيث سَمِيَ نَفْسَهُ بِالْقَدِيرِ، أَي: الْمُبَالِغِ فِي الْقُدْرَةِ فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَالْمَخْلُوقُ لَهُ قُدْرَةٌ وَلَكِنهَا قُدْرَةٌ مَحْدُودَةٌ.

(٢) ومن أسمائه سبحانه القوي، فالقويُّ اسْمُهُ وَالْقُوَّةُ صِفَتُهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠] وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْقُوَّةِ، وَلَهُ سَبْحَانَهُ قُوَّةُ الْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ وَقُوَّةُ الْاِمْتِنَاعِ، فَهُوَ قَوِيٌّ بِمَعْنَى مَنِيعٍ، لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَغْلِبَهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَهُ قُوَّةُ الْغَلْبَةِ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً فَإِنَّهُ لَا يَفْوَتْهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَنْ يَعْجِزَ اللَّهُ شَيْءٌ إِذَا طَلَبَهُ.

وَهُوَ الْعَنِي بِذَاتِهِ فَعَنَاهُ ذَا
 تِي لَهُ كَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ
 وَهُوَ الْعَزِيزُ فَلَنْ يُرَامَ جَنَابُهُ
 أَنِّي يُرَامُ جَنَابُ ذِي السُّلْطَانِ
 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ الْغَلَّابُ لَمْ
 يَغْلِبْهُ شَيْءٌ هَذِهِ صِفَتَانِ
 وَهُوَ الْعَزِيزُ بِقُوَّةٍ هِيَ وَصْفُهُ
 فَالْعِزُّ حِينَئِذٍ ثَلَاثُ مَعَانٍ (١)
 وَهِيَ الَّتِي كَمَلَتْ لَهُ سُبْحَانَهُ
 مِنْ كُلِّ وَجْهِ عَادِمِ التَّقْصَانِ (٢)
 وَهُوَ الْحَكِيمُ وَذَلِكَ مِنْ أَوْصَافِهِ
 نَوْعَانِ أَيْضاً مَا هُمَا عَدَمَانِ (٣)

(١) هي عزة الذات وعزة الغلبة وعزة الامتناع.

(٢) عزته وقوته كاملتان لا يعتريهما نقص، أما المخلوق وإن كان عنده شيء من القوة والقدرة فهما عرضة للزوال والعجز والغلبة، فما من قوي إلا وهناك من هو أقوى منه، وما من عزيز إلا وهناك من هو أعز منه، هذا في المخلوقات.

(٣) ومن أسمائه سبحانه الحكيم، فالحكيم اسمه، والحكمة صفة سبحانه وتعالى، والحكيم بمعنى حاكم وهو الذي يحكم، وهذا نوعان:

حكم قضائي قدري.

وحكم ديني شرعي، فهو الحاكم بين عباده سبحانه وتعالى الذي

تنتهي إليه الأحكام، والذي يحكم بين عباده فيما اختلفوا فيه، يحكم بين =

حُكْمٌ وَإِحْكَامٌ فَكُلٌّ مِنْهُمَا

نوعانٍ أيضاً ثابتا البرهان^(١)

وَالْحُكْمُ شَرْعِيٌّ وَكَوْنِيٌّ وَلَا

يَتَلَازِمَانِ وَمَا هُمَا سَيِّانِ^(٢)

= عباده بالفصل بينهم يوم القيامة، والحكم القدري يتعلّق به كل ما في هذا الكون، فإنّه من حكم الله سبحانه وتعالى قضاءً وقدرًا.

والنوع الثاني: الحكيم بمعنى المُحْكِم، أي: الذي أتقن الأشياء كما قال تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ لِدَىٰ أَنْفَنَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] فهو يُتَقَنُ الأشياءَ وَيُحْكِمُهَا وَيُعْطِيهَا مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَكُلُّ مَخْلُوقَاتِهِ مُحْكَمَةٌ لَيْسَ فِيهَا نَقْصٌ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ، وَمِنْ مَعَانِي الْحَكِيمِ أَنَّهُ يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا اللَّائِقَةِ بِهَا، فَمِنْ حِكْمَتِهِ أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ أَهْلَ الطَّاعَةِ وَلَا يَظْلِمُهُمْ شَيْئًا مِنْ حَسَنَاتِهِمْ، وَمِنْ حِكْمَتِهِ سَبْحَانَهُ أَنَّهُ لَا يَكْرُمُ أَهْلَ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ بَلْ يُجَازِي كَلًّا بِعَمَلِهِ اللَّائِقِ بِهِ. هَذَا مِنْ حِكْمَتِهِ فَيَضَعُ الْإِكْرَامَ وَالْإِحْسَانَ فِيمَنْ يَسْتَحِقُّهُ، وَيَضَعُ الْعَذَابَ وَالنَّقْمَةَ فِيمَنْ يَسْتَحِقُّهُمَا.

(١) وكذلك هو حكيم بمعنى أنّه مُحْكِمٌ للأشياء وهذا نوعان:

١ - حِكْمَةٌ إِتْقَانٌ.

٢ - حِكْمَةٌ وَضَعُ الْأَشْيَاءِ فِي مَوَاضِعِهَا اللَّائِقَةِ بِهَا، وَكُلُّ هَذَا التَّقْسِيمِ مَأْخُودٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، لَكِنْ هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى تَدْبِيرٍ فِي النُّصُوصِ وَفَقْهِهِ وَتَأْمُلِ.

(٢) الحكم الشرعي من لازمه المحبة، وأمّا الحكم القضائي القدري فهذا قد يحبّه وقد لا يحبّه، فالكفر والفسوق والعصيان، هذه الأشياء أرادها =

بل ذاك يوجد دون هذا مُفرداً

والعكس أيضاً ثمَّ يجتمعان^(١)

لن يخلو المربوب من إحداهما

أو منهما بل ليس يتفیان^(٢)

لكنما الشرعيُّ محبوبٌ له

أبداً ولن يخلو من الأكوان

هو أمره الدينيُّ جاءت رسلُهُ

بقيامه في سائر الأزمان

لكنما الكونيُّ فهو قضاؤه

في خلقه بالعدل والإحسان

هو كله حقٌّ وعدلٌ ذو رضاء

والشأن في المَقْضِيِّ كُلِّ الشانِ^(٣)

= وقضاها كوناً لكنّه لا يحبها ولا يرضاها شرعاً وديناً، والطاعة قضاها
كوناً وشرعاً وهو يحبها ويرضاها، فهناك فرق بين الحكم القضائي
الكوني والحكم الديني الشرعي.

(١) قد يجتمع الحكم القدري والشرعي في طاعة المؤمن، ويفرد الحكم
القضائي في كفر الكافر وسائر المخالفات.

(٢) لا بُدَّ في كلِّ المخلوقين من الحكم القضائي أو الشرعي أو هما جميعاً.

(٣) القدر محمود من الله جلّ وعلا لأنه لحكمة بالغة، أمّا المُقَدَّرُ فقد يكون
محموداً إذا كان طاعةً وبرّاً، وقد يكون مذموماً إذا كان كفراً ومعصية.

فلذاكَ نَرْضَى بِالْقَضَاءِ وَنَسْخَطُ الـ
مَقْضِيَّ حِينَ يَكُونُ بِالْعِصْيَانِ^(١)
فَاللَّهُ يَرْضَى بِالْقَضَاءِ وَيَسْخَطُ الـ
مَقْضِيَّ مَا الْأَمْرَانَ مُتَّحِدَانِ
فَقَضَاؤُهُ صِفَةٌ قَامَتْ بِهِ وَمَا الـ
مَقْضِيَّ إِلَّا صَنْعَةُ الْإِنْسَانِ^(٢)
هَذَا الْبَيَانُ يُزِيلُ لُبْسًا طَالَمَا
هَلَكْتُ عَلَيْهِ النَّاسُ كُلَّ زَمَانٍ^(٣)
وَيَحِلُّ مَا قَدْ عَقَدُوا بِأُصُولِهِمْ
وَبُحُورِهِمْ فَافْهَمَهُ فَهَمَّ بَيَانٍ^(٤)

-
- (١) الأمور المكروهة نعلم أن الله قضاه ونؤمن بذلك لكن لا يلزمنا أن نرضى بها ونحبها، بل يجب علينا أن نبغضها إذا كانت كفرًا وذنوبًا ومعاصي، وأما القضاء الشرعي فنرضى به لأنه خير ونعمة من الله تعالى.
- (٢) القضاء فعلُ الله، وأما المقضي فهو فعلُ العبد طاعةً أو معصية، ولذلك يُثاب على الطاعة ويُعاقب على المعصية لأنها أفعاله هو بقدرته واختياره ومشيئته.
- (٣) هذا البيان في القضاء والقدر والحكم والتفصيل في ذلك، هذا بيان يُزيل الإشكالات ويُرسخ الإيمان في قلب المؤمن، ويسلم من الضلالات التي وقعت فيها الفرق التي لم تُميّز بين هذه الأمور ولم تُفصل فيها؛ لعدم فقههم وإدراكهم وتدبرهم لكتاب الله وسُنَّة رسوله.
- (٤) إذا فهمت هذا وأتقنته فإنك تُدرك أخطاء أهل الضلال، لكن إذا لم تعرف هذا فقد تظنّها صحيحة لأنّ لها دعاية عندهم، وربما تنظلي على الجاهل الذي لا يميّز.

مَنْ وَافَقَ الْكُونِيَّ وَافَقَ سُخْطَهُ

إِنْ لَمْ يُوَافِقْ طَاعَةَ الدِّيَّانِ (١)

فَلِذَلِكَ لَا يَعْدُوهُ ذَمٌّ أَوْ فَاوَا

تُ الْحَمْدِ مَعَ أَجْرٍ وَمَعَ رِضْوَانِ (٢)

وَمُؤَافِقُ الدِّينِيِّ لَا يَعْدُوهُ أَجْرٌ

سَرٌّ بَلْ لَهُ عِنْدَ الصَّوَابِ اثْنَانِ (٣)

* * *

(١) يعني من عصى الله وكفر به وافق سُخْطَهُ تعالى وإن كان الله قَضَى ذلك وقَدَّرَهُ، لكن أنت منهيٌّ عن أن تفعل هذا الشيء فعليك اجتنابه.

(٢) يعني الذي يوافق القضاء والقدر ينقسم إلى قسمين:

١ - إن كان طاعة فهو محمود ومُثاب عليه.

٢ - وما كان معصية فهو مذمومٌ ومُعاقب، وإن كان الله قَضَى بهذا وقَدَّرَهُ

إلا أنَّك أنت فعلت هذا بمشيئتك وإرادتك.

(٣) يعني ما وافق القضاء الديني كما قال ﷺ: «إذا حكم الحاكم، فاجتهد،

فأصاب، فله أجران، وإذا حكم، فاجتهد فأخطأ، فله أجرٌ» (*) لأنَّ الله

أمرَ بالاجتهاد والبحث والتحري عن الحق فإذا استفرغ وسعته عن علم

وفقه فهو مأجور على كلِّ حالٍ في الإصَابَةِ والخطأ.

فصل

وَالْحِكْمَةُ الْعُلْيَا عَلَى نَوْعَيْنِ أَيُّ
 ضاً حُصَّلاً بِقَوَاطِعِ الْبُرْهَانِ
 إِحْدَاهُمَا فِي خَلْقِهِ سُبْحَانَهُ
 نَوْعَانِ أَيْضاً لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
 أَحْكَامُ هَذَا الْخَلْقِ إِذْ إِجْبَادُهُ
 فِي غَايَةِ الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ
 وَصُدُورُهُ مِنْ أَجْلِ غَايَاتٍ لَهُ
 وَلَهُ عَلَيْهَا حَمْدٌ كُلُّ لِسَانِ
 وَالْحِكْمَةُ الْأُخْرَى فَحِكْمَةُ شَرْعِهِ
 أَيْضاً وَفِيهَا ذَانِكَ الْوُصْفَانِ
 غَايَاتُهَا اللَّاتِي حُمِدْنَ وَكُونُهَا
 فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ وَالْإِحْسَانِ

فصل

وَهُوَ الْحَيِّيُّ فَلَيْسَ يَفْضَحُ عَبْدَهُ

عِنْدَ التَّجَاهُرِ مِنْهُ بِالْعِصْيَانِ (١)

لَكِنَّهُ يُلْقِي عَلَيْهِ سِتْرَهُ

فَهُوَ السَّتِيرُ وَصَاحِبُ الْغُفْرَانِ (٢)

(١) الله جل وعلا يوصف بالحياء كما في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ حَيِّيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مَنْ عَبْدَهُ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صَفْرًا» (*) وهو حياء يليق به، وفي الحديث الآخر: أَنَّ ثَلَاثَةَ دَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَالنَّبِيَّ ﷺ يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَجَلَسَ فِي الْحَلْقَةِ (رَغْبَةً فِي الْعِلْمِ) وَأَمَّا الْآخِرُ فَجَلَسَ خَلْفَ الْحَلْقَةِ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَذَهَبَ وَتَرَكَ الْحَلْقَةَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا الْأَوَّلُ فَأَوْى فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الثَّانِي فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ» (***) وَالشَّاهِدُ «فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ» وَهُوَ حَيَاءٌ يَلِيْقُ بِهِ لَيْسَ كَحَيَاءِ الْمَخْلُوقِينَ.

(٢) هذا من فضله وحيائه سبحانه وتعالى: أَنَّهُ يَسْتُرُ عِبَادَهُ وَهُمْ يُدْنِبُونَ وَيَمْهَلُهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ وَلَا يَفْضَحُهُمْ.

(*) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٩٠، وبنحوه أخرجه أحمد ١١٩/٣٩ -

١٢٠ (٢٣٧١٤، ٢٣٧١٥) من حديث سلمان الفارسي، وهو حديث صحيح.

(**) أخرجه أحمد في «المستد» ٢٣٨/٣٦ (٢١٩٠٧)، والبخاري (٦٦) و(٤٧٤)،

ومسلم (٢١٧٦) من حديث أبي واقد الليثي.

وهو الحَلِيمُ فلا يُعَاجِلُ عبدهُ

بعقوبةٍ لیتوبَ من عصیانِ^(١)

وهو العَفْوُ فعفوهُ وَسِعَ الوری

لولاهُ غَارَ الأرضُ بالسُّكَّانِ^(٢)

وهو الصَّبُورُ على أذى أعدائه

شتموهُ بل نسبوهُ للبهتانِ

قالوا له ولدٌ وليس يُعيدنا

شتماً وتكذيباً من الإنسانِ

هذا وذاك بِسَمْعِهِ وبعلمِهِ

لو شاءَ عَاجَلَهُمْ بكلِّ هوانِ

(١) كذلك من أسمائه الحليم، والحلم صفة سبحانه، ومن حلمه عدم المعالجة بالعقوبة بل يُمهّل عبده إذا عصى وخالف لعله يتوب ويرجع إلى الله تعالى، وهذا بسبب حلمه على العبد.

(٢) وهو العفو الذي يعفو عن عباده ويتوب عليهم، والعفو: هو الستر، يُقال: أعفى الأثر: إذا ستره، أو هو الإزالة، يُقال: عفت الديار: إذا زالت آثارها، سُمي الله بالعفو لأنه يُزيل عن العاصي معصيته ويتوب عليه، ولولا عفو الله وحلمه لهلك العالم كله في لحظة ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥] فهذا من عفوهِ سبحانه وتعالى وحلمه.

لكن يُعافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ وَهُمْ

يُؤْذُونَهُ بِالشُّرْكِ وَالْكَفْرَانِ (١)

* * *

(١) من أسماء الله الصبور، فهو يصبر على ما يصدر من العباد في حقه سبحانه وتعالى، يؤذونه ويسبونه ويكفرون به وينسبون إليه الولد والبنت والزوجة إلى غير ذلك من النقائص وهو يصبر ولا يُعاجلهم بالعقوبة، بل يرزقهم ويُعطِيهم مع أنهم يؤذونه، فهو الصبور المبالغ في الصبر على ما يصدر في حقه سبحانه وتعالى من أذى عباده.

فصل

وهو الرقيبُ على الخواطرِ واللوا

حِظِ كَيْفَ بِالْأَفْعَالِ بِالْأَرْكَانِ^(١)

وهو الحفيظُ عليهمُ وهو الكفي

لُ بِحِفْظِهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَانِ^(٢)

وهو اللطيفُ بعبدهِ ولعبدهِ

وَاللُّطْفُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ

(١) هو الرقيبُ سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢]

الذي يراقب عباده ويراهم ويسمعهم ولا يخفون عليه، بل لا تخفى عليه

ضمائرهم ونياتهم، لا يخفى عليه شيءٌ من أمورهم فهو يراقبهم ﴿وَلَا

تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ

يُلْجِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَنَنْفِقُ﴾ [فصلت: ٤٠] ولهذا لما سأل

جبريل النبي ﷺ عن الإحسان فقال له: «أخبرني عن الإحسان» قال:

«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(*).

(٢) الحفيظ الذي يحفظُ عليهم أعمالهم ويحصيها عليهم ويحاسبهم عليها،

وقد وكلَّ بذلك ملائكة يكتبون، وهم الحفظة، يكتبون أعمال العباد،

ويحفظ عباده عما يضرهم.

(*) قطعة من حديث عمر بن الخطاب أخرجه مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي

(٢٦١٠)، وهو في «مسند أحمد» ١/٤٣٤-٤٣٦ (٣٦٧) وفيه تمام تخريجه. وانظر

«جامع العلوم والحكم» لابن رجب ١/٩٣ الحديث الثاني.

إِدْرَاكُ أَسْرَارِ الْأُمُورِ بِخَيْرَةٍ
 وَاللُّطْفُ عِنْدَ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ
 فَيُرِيكَ عِزَّتَهُ وَيُبْدِي لُطْفَهُ
 وَالْعَبْدُ فِي الْغَفَلَاتِ عَنِ ذَا الشَّانِ (١)

* * *

(١) اللطيف من أسماء الله قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]

واللطف نوعان:

النوع الأول: لطف بمعنى إدراك أسرار الأمور ومكونات الصدور، فاللطيف هنا بمعنى الذي يدرك أعمال عباده من حيث لا يشعرون.

النوع الثاني: اللطف بمعنى الرحمة والرفقة يُنعم عليهم، وهو لطف إحسان وإكرام منه تعالى، وهو جلّ وعلا قادرٌ على أن يُعاقبك، فإذا تبت إليه فإنه تعالى يُبدي لطفه بك فيقبلُ توبتك.

فصل

وهو الرفيقُ يحبُّ أهلَ الرفقِ بَلْ يُعْطِيهِمْ بِالرَّفْقِ فَوْقَ أَمَانٍ (١)
وهو القريبُ وقُرْبُهُ المَخْتَصُّ بالذِّدَاعِي وَعَابِدِهِ عَلَى الْإِيمَانِ (٢)

(١) من أسمائه تعالى: الرفيق، ولهذا يقول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ» (*) والرفقُ خصلةٌ حميدةٌ ضدُّ الشدة والعنف، ومن الرفقِ بالعباد: أَنْ اللَّهَ لَا يُحْمَلُهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ لَا يُطِيقُونَ، فَلِذَلِكَ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا. وهذا من رفقهِ سبحانه وتعالى بعبادِهِ فضلًا منه وإحسانًا، ومن رفقهِ سبحانه أَنَّهُ جَعَلَ هَذَا الدِّينَ سَمْحًا يَتَمَاشَى مَعَ قُدْرَةِ الْإِنْسَانِ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ومن رفقهِ أَنَّهُ يَشْرَعُ الشَّرَائِعَ الشَّاقَّةَ بِالتَّدرِيجِ حَتَّى يَتَمَرَّنُوا عَلَيْهَا.

(٢) من أسمائه سبحانه وتعالى: القريب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقُرْبُهُ سبحانه وتعالى عَلَى نَوْعَيْنِ:

الأول: قَرَبٌ عَامٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَحْصُلُ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَمَا يَحْصُلُ فِي الْكُونِ، فَهَذَا قَرَبٌ عَامٌ مِنْ جَمِيعٍ =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٥٦/٢٧ (١٦٨٠٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٧٢)، وأبو داود (٤٨٠٧)، من حديث عبد الله بن مغفل وهو حديث صحيح. وانظر تمام تخريجه في «المسند».

وهو المجيبُ يقولُ مَنْ يَدْعُو أُجِبْ

هُ أَنَا الْمَجِيبُ لِكُلِّ مَنْ نَادَانِي (١)

وهو المُجِيبُ لدعوة المضطر إذ

يَدْعُوهُ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانٍ (٢)

= الخلق بمعنى أَنَّهُ يَعْلَمُ أَحْوَالَهُمْ لَيْسَ بِبَعِيدٍ عَنْهُمْ وَلَا بِغَافِلٍ عَنْهُمْ مَعَ أَنَّهُ عَلِيٌّ فَوْقَ مَخْلُوقَاتِهِ .

النوع الثاني: القرب الخاص من عبادة المؤمنين، يستجيب دعاءهم ويعتني بهم، مع أَنَّهُ سَبْحَانَهُ فَوْقَ مَخْلُوقَاتِهِ عَالٍ عَلَى خَلْقِهِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] فهو الظاهر بكونه فوق مخلوقاته، والباطن وهو القريب منهم فهو عليٌّ في دُنُوِّهِ قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

(١) من أسمائه سبحانه المجيب بمعنى الذي يُجِيبُ مَنْ دَعَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ﴾ [البقرة: ١٨٦] وفي الحديث: «يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثَلَاثَ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُ فَأَغْفِرُ لَهُ؟» (*) فهو يجيب من دعاه ويسمع دعاء عباده ويُعْطِي كُلَّ سَائِلٍ مَا سَأَلَ وَلَا يَتَّبِرُ مِنْ سَوَالِ السَّائِلِينَ لِكَرَمِهِ وَجُودِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَا تَتَعَاظَمُ الْمَسْأَلَةُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ بِشَرَطِ الْآلَاءِ يَكُونُ فِي سَوَالِكَ اعْتِدَاءٍ، بَأَن تَسْأَلَ شَيْئًا لَا يَلِيقُ بِكَ أَوْ تَسْأَلَ شَيْئًا فِيهِ ظَلَمٌ لِأَحَدٍ .

(٢) والمضطر بصفة خاصة يستجيب الله دعاءه لضرورته ولو كان كافراً ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ =

وهو الجوادُ فجودُهُ عمَّ الوجو
 دَ جميعَهُ بالفضلِ والإحسانِ
 وهو الجوادُ فلا يُحِيبُ سائلاً
 وَلَوْ أَنَّهُ مِنْ أُمَّةِ الْكُفْرَانِ (١)
 وهو المغيْثُ لكلِّ مخلوقاته
 وكذا يُجِيبُ إغاثةَ اللهفانِ (٢)

* * *

= تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهَهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿ [الإسراء: ٦٧].
 فالمضطرُّ تُستجاب دعوتُهُ ولو كان كافراً وهذا من كرمه سبحانه وتعالى.

(١) من أسمائه الجواد الذي يجودُ على عباده بأعظم أنواع الجود فيُعطيهم ولا يبخلُ عليهم سبحانه وتعالى، فهو الجواد ومنه الجود المطلق سبحانه وتعالى.

(٢) من أسمائه المغيْث الذي يُغيث المحتاجين، والغوث: هو إعطاء المحتاج وإنقاذه من الهلاك، فالغوث يكون عند الشدة، فالإغاثة نوعان: إغاثة عامة للخلق. وإغاثة خاصة باللهفان والمضطر الذي وقع في خطر وفي شدة، والاستغاثة في الأمور التي لا يقدرُ عليها إلا الله لا تُطلب إلا من الله تعالى كشفاء المريض وإغناء المحتاج، وأما الإغاثة التي يقدر عليها المخلوق فيجوز أن يستغاث بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَعِذْ بِالَّذِي مِنْ شِعْبِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص: ١٥].

فصل

وهو الودودُ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُ

أَحِبَّاهُ وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ (١)

وهو الذي جعلَ المحبَّةَ في قُلُوبِ

بِهِمْ وَجَازَاهُمْ بِحُبِّ ثَانٍ (٢)

هذا هو الإحسانُ حَقًّا لَا مُعَا

وَضَةً وَلَا لِتَوَقُّعِ الشُّكْرَانِ (٣)

(١) الودود من أسماءِ تعالى، ﴿ وَهُوَ الْعَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ [البروج: ١٤] فالودود صيغة

مبالغة من الود، وهو المحبة، فهو يحبُّ عباده المؤمنين ويحبُّه عباده المؤمنون، وقرن الغفور بالودود، هذا من خصائصه سبحانه وتعالى فإنه إذا تاب إليه العبد واستغفره فإنه يغفر له، ومع ذلك يودُّه، بخلاف المخلوق إذا أخطأت في حقِّه وطلبت منه المسامحة فإنه قد يُسامحك، لكن يكون في قلبه كراهة لك مع أنه قد يسامحك، وأما الله سبحانه وتعالى فإنه يعفو عنك ومع ذلك فإنه يودُّك ويحبك.

(٢) هو جعل المؤمنين يحبونه وأثابهم على ذلك بأن أحبهم تعالى فله الفضل في ذلك سبحانه وتعالى.

(٣) فالله تعالى يُعطي ولا يقصد من ذلك معاوضة كما يقصد المخلوق مع المخلوق إذا أعطاه شيئاً، فإنه يرجو أن يردَّ عليه بالمثل، وينفعه كما نفعه بما أعطاه، فكلُّ منهما يرجو الآخر، وهو تعالى يُعطيك ولا يرجو منك مردوداً.

لكن يُحِبُّ شُكْرَهُمْ وَشُكْرَهُمْ
لا لاحتياج منه للشُّكران^(١)
وهو الشُّكُورُ فلن يُضَيِّعَ سَعْيَهُمْ
لكن يُضَاعِفُهُ بِلا حُسبان^(٢)
ما للعبادِ عليه حقٌّ واجبٌ
هو أوجبَ الأجرَ العظيمَ الشانِ
كلًّا ولا عملٌ لديه ضائعٌ
إن كانَ بالإخلاصِ والإحسانِ
إن عُذِّبوا فَبَعْدِلِهِ أو نُعِّمُوا
فَبَفَضْلِهِ والحمدُ لِلْمَنَّانِ^(٣)

(١) قوله: يحبُّ شُكْرَهُمْ بفتح الشين، وهو اسم فاعل من شكر يشكر فهو شاكِر، أما الشُّكُور بالضم فهو المصدر من شكر يشكر شكوراً وشكراناً، فهو يحب الشُّكُور من العباد ويحبُّ شُكْرَهُمْ، وهو الفعل، وإذا شكروه زادهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

(٢) من شكره سبحانه لعباده أنه لا يُضَيِّعُ أفعالهم الجميلة بل يُجازيهم عليها خيراً، ويُثيبهم عليها، فهو الذي أنعم عليهم بالإيمان، ومع ذلك يُثيبهم عليه، وهذا من كرمه سبحانه وتعالى.

(٣) هذه المسألة وهي: هل للعباد حقٌّ واجب على الله تعالى كما جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه «أتدري ما حقُّ الله على العباد، وما حقُّ العباد على الله؟» قلتُ: اللهُ ورسولُهُ أعلم، قال: «حقُّ الله على العباد أن =

= يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً، وحقُّ العباد على الله ألا يُعذَّب من لا يشركُ به شيئاً»(*) فحقُّ الله على العباد واجب، لأنَّه هو ربُّهم وخالقهم والمُنعمُ عليهم، وهو أعظم وأوَّل الواجبات وهو الذي خلقهم لأجله، أمَّا حقُّ العباد على الله فليس بواجب، وإنَّما هو تفضُّلٌ منه سبحانه وتعالى، لأنَّه لا يوجب أحدٌ على الله شيئاً، وإنَّما هو حقٌّ أوجبهُ على نفسه بوعدِهِ الكريم حيث قال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] والمعتزلة يقولون: يجب على الله إثابة المطيع. وهذا من إساءة الأدب مع الله تعالى.

ومن كرمه أنَّه لا يُضيع أجر من أحسن عملاً، وليس ذلك واجباً عليه، ولكنَّه كرمٌ منه سبحانه وتعالى، ولو قارنت بين عمل العبد وما له من الحسنات مع نعم الله سبحانه وتعالى ما ساوى عمله ولا أقلَّ نعمة واحدة من نعم الله تعالى، فالله يُثيبهم مع أنَّ أعمالهم لا تُقاربُ نعمةً تعالى، وهذا من كرمه سبحانه وتعالى، فمغفرته ورحمته فضلٌ منه وإحسان، وتعذيبه للعصاة بما كسبت أيديهم عدلٌ منه سبحانه وتعالى.

(*) أخرجه أحمد في «المستد» ٣٦/٣١٧ (٢١٩٩١)، والبخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠) من حديث معاذ بن جبل.

فصل

وهو الغفورُ فلو أتى بِقُرابِها
 مِن غيرِ شِرْكِ بَلْ من العِصيانِ
 لِأتاهُ بِالْغُفرانِ مِلاءَ قُرابِها
 سِبحانَهُ هو واسِعُ الغُفرانِ^(١)
 وكذلكِ التَّوَابُ مِن أوصافِهِ
 والتَّوْبُ في أوصافِهِ نوعانِ

(١) ومن أسمائه سبحانه الغفور، صيغة مبالغة من الغفر، وهو الستر، ومنه المِغْفَر الذي يكون على الرأس، فالله يغفر الذنوب بمعنى أنه يسترها ويمحو أثرها عن المؤمن، وهو واسع المغفرة سبحانه وتعالى، ولذلك فالموحد يرجو مغفرة الله وإن عظمت ذنوبه، وأمّا المشرك الذي مات على الشرك الأكبر ولم يتب فهو لا طمع له في مغفرة الله سبحانه وتعالى؛ لأنّه لم يأت بسبب المغفرة وهو التوحيد. وجاء في الحديث القدسي: «يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»^(*) فهذا فيه فضل التوحيد وخطر الشرك الذي يتعارض مع المغفرة.

(*) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) من حديث أنس بن مالك، وقال: هذا حديث حسن غريب.

إِذْنٌ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ وَقَبُولُهَا

بعد المتاب بِمِنَّةِ الْمَنَّانِ (١)

* * *

(١) ومن أسمائه تعالى التواب، وهو صيغة مبالغة ومعناه كثير التوبة، والتوبة في اللغة معناها: الرجوع، يقال: تاب إذا رجع، فالله تعالى يتوب على العبد بمعنى أنه يعود عليه بالفضل والإحسان. وتوبة العبد رجوعه عن المعصية إلى الطاعة. وتوبة الله على عبده نوعان: النوع الأول: توفيقه للتوبة وإرجاعه للطاعة. النوع الثاني: أنه تعالى يقبل توبته.

فصل

وهو الإلهُ السيِّدُ الصَّمَدُ الَّذِي
 صَمَدَتْ إِلَيْهِ الْخَلْقُ بِالْإِذْعَانِ
 الْكَامِلُ الْأَوْصَافِ مِنْ كُلِّ الْوَجُوهِ
 هِ كَمَالُهُ مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانٍ^(١)
 وَكَذَلِكَ الْقَهَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ
 فَالْخَلْقُ مَقْهُورُونَ بِالسُّلْطَانِ
 لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا عَزِيزًا قَادِرًا
 مَا كَانَ مِنْ قَهْرٍ وَلَا سُلْطَانٍ^(٢)

(١) هو الإله: يعني المعبود بحق سبحانه وتعالى، وما سواه من المعبودات فهي آلهة باطلة، ﴿ذَلِكَ يَأْتِكُ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] فهو الإله الحق سبحانه وتعالى، ومن أسمائه السيِّد، والسيد هو الملك، فهو مالكُ الملِكِ سبحانه وتعالى، فالسيادة المطلقة له سبحانه وتعالى، والصمد من أسمائه تعالى وفيه تفاسير كثيرة: قيل: إنَّه الَّذِي تَصَمَدُ إِلَيْهِ الْخَلَائِقُ بِالْحَوَائِجِ وَهَذَا تَفْسِيرُ النَّازِمِ. وقيل: الصمد هو الغني عما سواه فلا يحتاج إلى أحد. ومن معاني الصمد: أنَّه الْكَامِلُ الْأَوْصَافِ مَا فِيهِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ إِلَّا وَهِيَ تَامَةٌ لَيْسَ فِيهَا نَقْصٌ.

(٢) الْقَهَّارُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْوَّاجِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦] وَالْقَهَّارُ: هُوَ الَّذِي انْقَادَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ. قَهَرَ الْخَلْقَ بِمَعْنَى: انْقَادَتْ لَهُ كُلُّ الْخَلَائِقِ، لَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ عَنْ قَدْرِهِ وَقَضَائِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَعَنْ مُلْكِهِ، =

وكذلك الجَبَّارُ من أوصافِهِ
والجَبْرُ في أوصافِهِ قِسْمَانِ
جَبْرُ الضعيفِ وكلُّ قلبٍ قد غدا
ذا كَسْرَةٍ فالجَبْرُ منه دانِ
والثاني جَبْرُ القهرِ بالعزِّ الذي
لا ينبغي لسِوَاهُ من إنسانِ
وله مُسمًى ثالثٌ وهو العُلُوُّ
وُ فليس يدنو فيه من إنسانِ
من قولهم جَبَّارَةٌ للنخلة الـ
عُليا التي فاتت لكلِّ بَنانٍ^(١)

= فيقال: الواحد القَهَّارُ؛ لأنَّه ليس هناك قَهَّارٌ غيره، فلا أحد يستعصي على
أمر الله الكوني، ولفظ القهار يستلزم الحياة ويستلزم العِزَّةَ والقُدرةَ،
فالذي ليس بحيٍّ لا يكون قَهَّاراً، والذي ليس بقويٍّ لا يكون قَهَّاراً،
فاسمُ القَهَّارِ يتضمَّن شيئين:
الأول: العِزَّةَ والقُدرةَ.

الثاني: أنَّه كامل الحياة، لأنَّ الميت لا يقهرُ أحداً.

(١) وكذلك من أسمائه الجبار، وله ثلاثة معان:

الأول: جبر الضعيف والمنكسر، يجبره بمعنى يُقويه من ضعفه ومن
انكساره فهو الذي يجبر الضعيف والمصاب.

الثاني: جبر القهر فهو مثل القهار الذي لا أحد يخرج عن تدبيره
وإرادته سبحانه وتعالى.

الثالث: الجبار بمعنى: العالي، يُقال: نخلة جَبَّارة يعني مُرتفعة،

فكل هذه المعاني تدخل تحت اسم الجبار.

فصل

وهو الحسيبُ كِفايةً وحمايةً
والْحَسْبُ كافي العَبْدِ كُلِّ أوانٍ^(١)
وهو الرشيدُ فقولهُ وفعالهُ
رُشِدٌ ورَبُّكَ مُرْشِدُ الحَيْرَانِ
وكلاهما حقٌّ فهذا وَصْفُهُ
والفعلُ للإرشادِ ذاك الثاني^(٢)
والعدلُ مِنْ أوصافِهِ في فعلِهِ
ومقالِهِ والحُكْمُ في الميزانِ^(٣)
فَعَلَى الصِّراطِ المُسْتَقِيمِ إِلَهَنَا
قَوْلًا وَفِعْلًا ذَاكَ فِي القُرْآنِ

(١) من أسمائه الحسيب بمعنى: أنه حَسْبُ عباده يعني: يكفيهم جميع ما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم، فالْحَسْبُ هو: الكفاية قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٤] أي: كافيك الله ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلَّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ١٢٩] أي: كافيني.

(٢) من أسمائه الرشيد، والرشيد يأتي بمعنيين:
الأول: المرشد، يعني الذي يرشد عباده ويدلهم إلى الخير.
الثاني: بمعنى راشد في أفعاله، فأفعاله كلها رُشدٌ، والرُّشدُ ضدُّ الغيِّ، فكل هذين المعنيين يدخل تحت اسم الرشيد.

(٣) يُوصف الله بأنه عدل، وحوكم عدل بمعنى أنه جلَّ وعلا يعدل في حكمه بين الناس فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

فصل

هذا ومن أوصافه القدوس ذو الت-

تزيه بالتعظيم للرحمن^(١)

وهو السلام على الحقيقة سالم

من كل تمثيل ومن نقصان^(٢)

والبر في أوصافه سبحانه

هو كثرة الخيرات والإحسان

صدرت عن البر الذي هو وصفه

فالبر حينئذ له نوعان

وصف وفعل فهو بر محسن

مولي الجميل ودائم الإحسان^(٣)

(١) من أسمائه الملك القدوس فالملك هو الذي بيده الملك والقدوس

معناه: المُنزّه عن كل عيب وعن كل نقص.

(٢) من أسمائه: السلام، أي: السالم من كل النقائص والعيوب والمسلم

لغيره في كل محذور.

(٣) ومن أسمائه البر مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور:

٢٨] والبر: بالفتح مأخوذ من البر بالكسر، وهو كمال الإحسان. فهو البر

في أفعاله العطوف على عباده ببره ولطفه، والبر من أوصافه سبحانه

وتعالى.

وكذلك الوهَّابِ مِنْ أَسْمَائِهِ
فَانظُرْ مَوَاهِبَهُ مَدَى الْأَزْمَانِ^(١)
أَهْلُ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ عَنْ
تلك المَوَاهِبِ لَيْسَ يَنْفَكَّانِ^(٢)
وكذلك الْفَتَّاحُ مِنْ أَسْمَائِهِ
وَالْفُتْحُ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ
فَتَّحٌ بِحُكْمٍ وَهُوَ شَرْعٌ إِيَّاهُنَا
وَالْفَتْحُ بِالْأَقْدَارِ فَتْحٌ ثَانِ
وَالرَّبُّ فَتَّاحٌ بِنَدَائِنِ كِلَيْهِمَا
عَدْلًا وَإِحْسَانًا مِنَ الرَّحْمَنِ^(٣)
وكذلك الرَّزَّاقُ مِنْ أَسْمَائِهِ
وَالرَّرْزُقُ مِنْ أَفْعَالِهِ نَوْعَانِ

(١) الوهَّاب: صيغة مبالغة من الهبة وهي: العطاء، فكل النعم والإحسان من عطائه تعالى.

(٢) ليس كثرة مواهبه سبحانه خاصة بأهل الأرض بل هي عامة لأهل السموات وأهل الأرض من الملائكة والادميين والجن والإنس.

(٣) كذلك الفتاح من أسمائه كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ [سبأ: ٢٦] فالفتَّاحُ لهُ معنيان:

أحدهما: الفتَّاحُ بمعنى: المقدِّر للمقادير والقضاء.

والثاني: بمعنى: الذي يشرع لعباده سبحانه على السنة الرسل ما يحلُّ مشكلاتهم ويفتحُ معضلاتهم وما استغلق أمامهم.

رِزْقٌ عَلَى يَدِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ
نوعانِ أيضاً ذانِ مَعْرُوفانِ
رِزْقُ القلوبِ العِلمِ والإيمانِ والرُّزْ
رِزْقُ المَعَدِّ لِهذِهِ الأبدانِ
هذا هو الرِزْقُ الحلالُ وربُّنا
رَزَّاقُهُ والفضلُ للمَنانِ
والثاني سَوَقُ القوتِ للأعضاءِ في
تِلْكَ المِجاري سَوَقُهُ بِوِزَانِ
هذا يكونُ مِنَ الحلالِ كما يكو
نُ مِنَ الحرامِ كلاهُما رِزْقانِ
واللهُ رازِقُهُ بِهَذَا الاعْتِبا
رٍ وليس بِالإِطْلاقِ دُونَ بَيانِ (١)

(١) من أسماء الله الرزاق، صيغة مبالغة، اسم فاعل بمعنى رازق، والرزق هو العطاء فالله هو الرزاق المطلق كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُمْ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢١] وما يجري على يد فلان وفلان إنما هو بالواسطة، وإلا فهو من الله تعالى. والرزق على معنيين أحدهما: رزق معنوي.

الثاني: رزق حسي، فالرزق المعنوي هو رزق العلم والهداية التي جاءت على يد الرسول ﷺ من الله من هداية القلوب بالإيمان والنجاة من الكفر والقيام بالأعمال الصالحة. هذا رزق من الله بالعلم. الرزق الحسي من المأكل والمشرب والمسكن والمراكب والأموال كل هذا من رزق الله تعالى.

فصل

هذا ومن أوصافه القيومُ وال
 قَيُّومٌ في أوصافه أمرانِ
 إحداهما القيومُ قامَ بنفسِه
 والكونُ قامَ به هُما الأمرانِ^(١)
 فالأوَّلُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ غَيْرِهِ
 والفقرُ مِنْ كُلِّ إِلَيْهِ الثَّانِي
 والوصفُ بالقيومِ ذو شأنٍ كذا
 موصوفُهُ أيضاً عَظِيمُ الشَّانِ
 والحيُّ يتلوه فأوصافُ الكما
 لِ هُما لأفُقِ سَمَائِهَا قُطْبَانِ^(٢)

(١) قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الحي: يعني كامل الحياة، والقيوم صيغة مبالغة من قام يقوم فهو قَيَّامٌ وقَيُّومٌ، وقرئت الآية باللفظين «قَيُّومٌ» و«قَيَّامٌ» والقيوم له معنيان: أحدهما: القائم بنفسه الغني عما سواه.

الثاني: المُقِيمُ لغيره، فاللهُ جَلَّ وعلا قامت به السماوات والأرض ومن فيهنَّ، فهو قائمٌ بها جَلَّ وعلا ومقيمها بقدرته جَلَّ وعلا.

(٢) هذان الاسمان: الحي القيوم ترجع إليهما جميعُ الأسماء والصفات، فالحي: ترجعُ إليه كل صفات الذات من العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر، والقيوم: ترجع إليه كل صفات الأفعال من الخلق والرزق والإحياء=

فَالْحَيِّ وَالْقَيُّومُ لَنْ تَتَخَلَّفَ أَلْ

أَوْصَافُ أَصْلًا عَنْهُمَا بَيَّانٍ

هُوَ قَابِضٌ هُوَ بَاسِطٌ هُوَ خَافِضٌ

هُوَ رَافِعٌ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

وَهُوَ الْمُعِزُّ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَذَا

عِزِّ حَقِيقِيٍّ بِسَلَا بُطْلَانٍ

وَهُوَ الْمُذَلُّ لِمَنْ يَشَاءُ بِذِلَّةِ الدُّ

دَارِيْنَ ذَلٌّ شَقَا وَذَلٌّ هَوَانٌ (١)

هُوَ مَانِعٌ مُعْطٍ فَهَذَا فَضْلُهُ

وَالْمَنْعُ عَيْنُ الْعَدْلِ لِلْمَنَانِ (٢)

يُعْطِي بِرَحْمَتِهِ وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ

ءُ بِحِكْمَةٍ وَاللَّهُ ذُو سُلْطَانٍ

= والإمامة والتدبير، ولذلك يُروى أَنَّ الْحَيَّ الْقَيُّومَ هُمَا اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ،

لأنهما ترجعُ إليهما جميع الصفات الذاتية والفعلية.

(١) الْمُعِزُّ: يعني الْمُقْوِي والمؤيِّد سبحانه وتعالى لمن يشاء بسبب الطاعة،

قال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ

وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦]

والمذل معناه الذي يضع الذل والهوان في الدنيا والآخرة على من يشاء

بسبب الكفر والمعاصي.

(٢) العطاء هو منح الخير فضلاً منه سبحانه لأنه لم يجب عليه شيء بل هو

المتفضل سبحانه وتعالى، وأمَّا المنع فهو عدلٌ منه لا يمنع إلا من

يستحق أن يُمنع بسبب ذنوبه والمنان هو المعطي.

فصل

والنورُ من أسمائه أيضاً ومن

أوصافه سبحانه ذي البرهان^(١)

(١) النور جاء في القرآن منسوباً إلى الله جلّ وعلا وهو على قسمين:

أحدهما: نورٌ يوصف به الرب سبحانه، وهذا من أسمائه وصفاته، فالله نورٌ في ذاته وفي أسمائه وصفاته، وحجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه سبحانه وتعالى^(*)، فهذا النور من صفات الله تعالى وهو غير مخلوق.

الثاني: نورٌ مخلوق مثل نور الشمس والقمر والمصابيح والنجوم وهو نوعان:

أحدهما: معنوي: وهو نور الإيمان في القلوب، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥].

الثاني: نور حسي: مثل نور الشمس ونور القمر والكواكب والمصابيح هذا كله مخلوق لله تعالى. هذا هو خلاصة الكلام في النور المضاف إلى الله تعالى إضافة صفة وإضافة خلق.

(*) عن أبي موسى الأشعري قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه. يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» أخرجه أحمد في «المسند» ٢٩٦/٣٢ (١٩٥٣٠)، ومسلم (١٧٩).

قال ابن مسعودٍ كلاماً قد حكا

هُ الدارميُّ عنه بلا نُكرانٍ

ما عندهُ ليلٌ يكونُ ولا نها

رٌ قلتُ تحتَ الفُلكِ يُوجدُ ذانٍ (١)

نورُ السمواتِ العُلى من نورِهِ

والأرضِ كيفِ النجمِ والقمرانِ

من نورِ وجهِ الرَّبِّ جلَّ جلالُهُ

وكذا حكاهُ الحافظُ الطبراني (٢)

فيه استنارَ العرشِ والكرسيُّ مع

سبعِ الطباقِ وسائرِ الأكوانِ (٣)

(١) اللهُ جلَّ وعلا ليس عندهُ ليلٌ ولا نهارٌ* وإِنما هذا تحتَ الفُلكِ حيثَ الشمسِ والقمرِ والكواكبِ .

(٢) هو الذي أمدّها بهذا النورِ ﴿ اللهُ نُورٌ أَسْمَوَاتٍ وَالْأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥] ولو شاء لسلبَ هذا النورَ وأصبحتِ الكائناتُ مُظلمةً .

(٣) فنورِ العرشِ والكرسيِ والسمواتِ وسائرِ الكونِ من نورِهِ سبحانه ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر: ٦٩] إذا جاء يومُ القيامةِ لفصلِ القضاءِ بينِ العبادِ أشرقتِ الأرضُ بنورِهِ سبحانه وتعالى .

(*) روى الدارمي والطبراني عن ابن مسعود أنه قال: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور العرش من نور وجهه، وقد أورده ابن كثير في «تفسيره» ٥٨/٦ عند تفسير الآية ٣٥ من سورة النور .

وكتابه نورٌ كذلك شرعه

نورٌ كذا المبعوثُ بالفرقان^(١)

وكذلك الإيمانُ في قلبِ الفتى

نورٌ على نورٍ مع القرآن^(٢)

وحجابه نورٌ فلو كُشفَ الحجا

بُ لأحرقَ السُّبُحاتُ للأكوان^(٣)

(١) قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥]
سَمَى اللهُ الْقُرْآنَ نُورًا لِأَنَّهُ يُضِيءُ الطَّرِيقَ، وَالنُّورُ هُنَا نُورٌ مَعْنَوِيٌّ، وَمُحَمَّدٌ
ﷺ نُورٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝١٥
وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] وَهَذَا مِنَ النُّورِ
الْمَعْنَوِيِّ.

(٢) كما ذكر اللهُ جَلَّ وَعَلَا ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا
مِصْبَاحٌ ﴾ [النور: ٣٥] وَالْمِشْكَاةُ هِيَ الْكُوَّةُ فِي الْجِدَارِ فِيهَا سِرَاجٌ مَتَوَقَّدٌ
لأن هذا أبلغ في النور؛ لأنه مُنْبِتٌ من اتجاهاً واحد ويكون أقوى، فهذا
مثل الإيمان في قلب المؤمن.

(٣) لَمَّا سُئِلَ الرَّسُولُ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فَقَالَ: «نورٌ أتى
أراه»(*) وفي رواية: «رأيتُ نوراً»(**).

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣١١/٣٥ (٢١٣٩٢)، ومسلم (١٧٨) (٢٩١)،
والترمذي (٣٢٨٢) من حديث أبي ذر الغفاري. وانظر «مجموع الفتاوى» لابن تيمية
٣/٣٨٦-٣٨٩، و«زاد المعاد» لابن القيم ٣/٣٣-٣٥. وانظر تمام تخريجه والتعليق
عليه في «المسند» وانظر حديث أبي موسى الأشعري وقد ذكر ص ٧٩٩.
(**) أخرجه مسلم (١٧٨) (٢٩٢).

وإذا أتى للفضل يُشْرِقُ نُورُهُ
 في الأرضِ يَوْمَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ
 وكذلك دارُ الربِّ جنَّاتُ العُلَى
 نورٌ تَلْأَلُ ليسَ ذا بَطْلانٍ (١)
 والنُّورُ ذو نوعينِ مخلوقٌ ووضوٌ
 فَمَاهِمَا وَاللهِ مُتَّحِدَانِ
 وكذلك المخلوقُ ذو نوعينِ مَحْ
 سوسٌ وَمَعْقُولٌ هُمَا شَيْئَانِ (٢)
 احذِرْ تَزِلَّ فَتَحْتَ رِجْلِكَ هُوَّةٌ
 كم قد هوى فيها على الأزمانِ
 من عابدٍ بالجهلِ زَلَّتْ رِجْلُهُ
 فهوى إلى قعرِ الحضيضِ الدَّانِي
 لاحت له أنوارُ آثارِ العبا
 دةٍ ظَنَّتْهَا الأنوارَ للرحمنِ

(١) فالجنَّةُ نورُها يتلألُ بخلاف جهنمَ فهي مُظلمة ليس فيها نور.

(٢) كما سبق النور المُضاف إلى الله نوعان:

أحدهما: غير مخلوق وهو ما يتعلَّق به سبحانه وتعالى.

الثاني: مخلوق وهو نوعان:

الأول: نور الإيمان والعلم في قلوب المؤمنين.

الثاني: حسي وهو نور هذه الكواكب من الشمس والقمر وسائر

الكواكب، وكلُّ أنوارها مستمدة من نور الله سبحانه وتعالى.

فَأَتَى بِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَبَلِيَّةٍ
 مَا شِئْتَ مِنْ شَطْحٍ وَمِنْ هَدْيَانِ^(١)
 وَكَذَا الْحُلُولِيُّ الَّذِي هُوَ خِدْنُهُ
 مِنْ هَاهُنَا حَقًّا هُمَا أَخْوَانِ^(٢)
 وَيُقَابِلُ الرَّجُلِينَ ذُو التَّعْطِيلِ وَالِ
 وَحُجُبِ الْكثِيفَةِ مَا هُمَا سَيَّانِ
 ذَا فِي كَثَافَةِ طَبْعِهِ وَظِلَامِهِ
 وَبِظُلْمَةِ التَّعْطِيلِ هَذَا الثَّانِي
 وَالتُّورِ مَحْجُوبٌ فَلَا هَذَا وَلَا
 هَذَا لَهُ مِنْ ظُلْمَةٍ يَرِيَانِ^(٣)

(١) لَمَّا ذَكَرَ النَّازِمُ رَحْمَةَ اللَّهِ نُورَ اللَّهِ وَنُورَ مَخْلُوقَاتِهِ وَفَصَّلَ ذَلِكَ قَالَ: احذِرْ
 أَنْ تَزُولَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كَمَا زَلَّتِ الصُّوفِيَّةُ، فَالصُّوفِيَّةُ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَا هُمْ
 فِيهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالرُّهْدِ أَنَّهُ مِنْ نُورِ اللَّهِ تَعَالَى وَهَذَا غَلْطٌ كَبِيرٌ، وَلِذَلِكَ وَصَلَ
 بِهِمُ الْأَمْرَ إِلَى أَنْ أَدْعُوا أَنَّ اللَّهَ حَالٌّ فِيهِمْ وَفِي مَشَائِخِهِمْ فَهَذَا ضَلَالٌ مُبِينٌ
 وَهَذِهِ مَزَلَةٌ عَظِيمَةٌ. وَحَتَّى قَالُوا بِسُقُوطِ التَّكَالِيفِ وَاسْتِغْنَاؤِهَا عَنِ شَرَعِ اللَّهِ
 تَعَالَى وَهَذَا كُلُّهُ بِسَبَبِ سُوءِ الْفَهْمِ وَلِذَلِكَ حَذَّرَكَ النَّازِمُ مِنْهُمْ.

(٢) الْحُلُولِيُّ: هُوَ الَّذِي يَدَّعِي أَنَّ اللَّهَ حَالٌّ فِيهِ، فَالصُّوفِيُّ وَالْحُلُولِيُّ كُتُّهُمُ
 يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ حَصَلُوا عَلَى هَذَا النُّورِ الرُّوحِيِّ الَّذِي أُغْنَاهُمْ عَنِ الشَّرَعِ وَعَنِ
 الرِّسْلِ بِزَعْمِهِمْ.

(٣) يُقَابِلُ الصُّوفِيَّ وَالْحُلُولِيَّ الْمُعْطَلُ فِهْمَا عَلَى طَرَفِي نَقِيضٍ، هُوَ لَا غَلْوَا
 فِي الْإِثْبَاتِ، وَهُوَ لَا غَلْوَا فِي التَّنْزِيهِ، فِهْمَا مُتْقَابِلَانِ، فَلَمْ يَصِلْ نُورُ اللَّهِ
 لَا إِلَى الصُّوفِيِّ وَلَا إِلَى الْمُعْطَلِ، وَإِنَّمَا يَصِلُ نُورُ اللَّهِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ
 الْمُسْتَقِيمِينَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ.

فصل

وهو المقدم والمؤخرُ ذاك الضُّ

صفتانٍ للأفعالِ تابعتان^(١)

وهما صفاتُ الذاتِ أيضاً إذ هما

بالذات لا بالغيرِ قائمتان^(٢)

ولذلك قد غلَطَ المُقسِّمُ حينَ ظنَّ

نَ صفاتِهِ نوعانِ مختلفانِ

إن لم يُردْ هذا ولكنْ قد أرا

دَ قيامها بالفعلِ ذي الإمكانِ

والفعلُ والمفعولُ شيءٌ واحدٌ

عندَ المُقسِّمِ ما هُما شيئانِ^(٣)

(١) ومن أسمائه جل جلاله المقدم والمؤخر، وهما من الأسماء المتقابلة التي لا يجوز إفراد أحدهما عن مقابله. والتقديم إما كوني كتقديم بعض المخلوقات في الوجود على بعض، وإما شرعي معنوي كتفضيل الأنبياء على سائر البشر، وهو سبحانه المؤخر لبعض الأشياء عن بعض إما بالزمان أو بالشرع أيضاً.

(٢) والتقديم والتأخير صفتان من صفات الأفعال التابعة لمشيئته تعالى وحكمته، وهما أيضاً تابعتان للذات إذ قيامها بالذات لا غيرها.

(٣) هكذا لم يفرقوا مع أنَّ الفعل صفة ذات، والمفعول صفة فعل.

فلذاك وُصِفُ الفعلِ ليس لديه إلـ

لا نسبةً عَدَمِيَّةً بَيَانِ^(١)

فجميعُ أسماءِ الفعالِ لديه ليـ

سَتْ قَطُّ ثَابِتَةٌ ذَوَاتِ مَعَانِ^(٢)

مَوْجُودَةٌ لِكِنِ أُمُورٌ كُلُّهَا

نَسَبٌ تُرَى عَدَمِيَّةَ الْوَجْدَانِ

هذا هو التعطيلُ للأفعالِ كالتـ

تَعَطِيلِ لِلأوصافِ بِالْمِيزَانِ^(٣)

فالحَقُّ أَنَّ الوُصْفَ لَيْسَ بَمُورِدِ الثـ

تَقْسِيمِ هَذَا مُقْتَضَى الْبُرْهَانِ

بَلْ مَوْرِدُ التَّقْسِيمِ مَا قَدْ قَامَ بِالذَّ

ذَاتِ الَّتِي لِلوَاحِدِ الرَّحْمَنِ

(١) بنفون تعلق الفعل به؛ لأنه منزَّهٌ عن قيام الحوادث به، فنقول: نعم، هو

منزَّهٌ عن قيام الحوادث، لكن وصفهُ بأنه خالق ورازق وأنه مُحي ومميت

لا يلزم منه قيام الحوادث به وإنما هي صفاته وهي صفاتُ كمال.

(٢) كل الأفعال ليس لها تعلق بذاته عند المعطلة من أشاعرة وغيرهم، وأما

أهل السنة فعندهم الصفات لها جهتان: جهة الفعل، وهذا متعلق بذاته،

وجهة الإيجاد والخلق، وهذا صفة فعل خارج عن ذاته.

(٣) فهم مُعطلةٌ في الأسماء ومُعطلةٌ في الأفعال، فلم يقتصر تعطيلهم على

نفي الأسماء بل تجاوز لنفي الأفعال.

فَهُمَا إِذَا نَوَعَانِ أَوْصَافٌ وَأَفْ

عَا لٌ فَهَذِي قِسْمَةُ التَّبَيَّانِ

فَالْوَصْفُ بِالْأَفْعَالِ يَسْتَدْعِي قِيَا

مَ الْفِعْلِ بِالْمَوْصُوفِ بِالْبُرْهَانِ^(١)

كَالْوَصْفِ بِالْمَعْنَى سِوَى الْأَفْعَالِ مَا

إِنْ يَبَيِّنَ ذَيْنَكَ قَطُّ مِنْ فُرْقَانِ

وَمَنْ الْعَجَائِبِ أَنَّهُمْ رَدُّوا عَلَيَّ

مَنْ أَثَبَّتَ الْأَسْمَاءَ دُونَ مَعَانِ^(٢)

قَامَتْ بِمَنْ هِيَ وَصَفُهُ هَذَا مُحَا

لٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ لَدِي الْأَذْهَانِ

(١) كل فعل فإنه يؤخذ منه صفة، فالخلق يؤخذ منه صفة الخالقية، والرزق يؤخذ منه وصفه بالرازق، وهكذا فلو لم يؤخذ من الفعل صفة لزم سلب أن يكون هذا فعله، وهذا تعطيل.

(٢) من العجائب أنهم لما نفوا صفات الذات المشتقة من صفات الأفعال رَدُّوا على المعتزلة الذين قالوا: إنَّ أسماء الله ليس لها معانٍ، فقال لهم الأشاعرة: هذا غير ممكن، فهم رَدُّوا على المعتزلة شيئاً هم واقعون فيه، فالمعتزلة قالوا: الأسماء ليس لها معانٍ، وهؤلاء يقولون: الأفعال ليس لها معانٍ أيضاً، فما الفرق بين التعطيلين؟ لا فرق بينهما، فإمّا أن يثبت الجميع أو يُنفى الجميع، فإمّا أن يثبت شيء ويُنفى نظيره فهذا تحكّم لا دليل عليه، وهذا ما وقعت فيه الأشاعرة، فالمعتزلة طردوا التعطيل في الأسماء، والأشاعرة طردوا التعطيل في الأفعال ولا فرق بين التعطيلين.

وَأَتَوْا إِلَى الْأَوْصَافِ بِاسْمِ الْعَقْلِ قَا
لُوا لَمْ تَقُمْ بِالْوَاحِدِ الدِّيَانِ
فَانظُرْ إِلَيْهِمْ أَبْطَلُوا الْأَصْلَ الَّذِي
رَدُّوا بِهِ أَقْوَالَهُمْ بِوِزَانِ^(١)
إِنْ كَانَ هَذَا مُمْكِنًا فَكَذَلِكَ قَوْ
لُ خُصُومِكُمْ أَيْضًا فَذُو إِمْكَانِ^(٢)
وَالْوَصْفُ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ كَوُ
نِيَّ وَدِينِيَّ هُمَا نَوْعَانِ
وَكَلاهُمَا أَمْرٌ حَقِيقِيٌّ وَنَسْ
بِيَّ وَلَا يَخْفَى عَلَى الْأَذْهَانِ
وَاللَّهُ قَدَّرَ ذَلِكَ أَجْمَعَهُ بِإِحْ
كَامٍ وَإِتْقَانٍ مِنَ الرَّحْمَنِ^(٣)

(١) أبطلوا الأصل الذي ردُّوا به على المعتزلة، لأنَّهم لما عطلوا المعاني في الأفعال زال الفرق بينهم وبين المعتزلة.

(٢) قال المعتزلة: إن كان قولكم أيُّها الأشاعرة سائغاً فقولنا أيضاً سائغ.

(٣) عاد إلى البحث الأول: في المقدّم والمؤخّر، قال: التقدّم والتأخير نوعان: كوني ومعنوي، كوني: وهو خلق بعض الأشياء قبل بعض، ومعنوي: وهو تفضيل بعض المخلوقات على بعض، فالله فضّل الرسل على غيرهم وفضّل بعض الرسل على بعض وفضّل المؤمنين بعضهم على بعض هذا تقدّم وتأخير معنوي وشرعي. وقد سبق تبيان ذلك في أول هذا الفصل.

فصل

هذا ومن أسمائه ما ليس يُف

—رُدُّ بل يُقالُ إذا أتى بقران

وهي التي تُدعى بمزدوجاتها

إفرادها خَطَرٌ على الإنسان^(١)

إذ ذاك مُوهِمٌ نوعٍ نقصٍ جَلَّ رَبُّ

بُ العرشِ عن عيبٍ وعن نُقصانٍ^(٢)

كالمانعِ المعطيِ وكالضارِ الذي

هو نافعٌ وكمالُه الأمرانِ^(٣)

(١) أسماء الله تعالى منها ما هو متقابل مع اسم آخر لا يُفرد بعضهما عن بعض منها: المقدم والمؤخر الذي سبق ذكرهما، ومنها: الأول والآخر، والظاهر والباطن سبق ذكرهم أيضاً، ومنها ما سيذكره الناظم في هذا الباب، مثل: الخافض الرافع، والقابض الباسط، والمعز المذل. هذه أسماء مُتقابِلة لا يجوز إفراد بعضها عن الآخر؛ لأنَّه يكون نقصاً في حقِّ الله تعالى، وهي تُدعى بالمزدوجات أو المتقابلات، وإفراد واحدٍ منها خطرٌ على الإنسان؛ لأنَّه نُقصٌ في حقِّ الله تعالى، فأنت إذا قلت: يا ضار، يا مذل، أو أخبرت بذلك، لم تكن مثنياً عليه، ولا حامداً حتى تذكر مقابله.

(٢) والله تعالى ذكرها متقابله، فلا تذكر أفراداً، فإنها إذا أفردت أو همت نقصاً في حقه تعالى، والكمال في ذكرهما جميعاً.

(٣) تقول: الضار النافع، ولا تقل الضار فقط، أو تقل: النافع فقط، بل تقول: هو الضارُّ النافع، وتقول: المعطي المانع، ولا تقل: المعطي فقط أو المانع فقط.

ونظيرُ هذا القابضُ المقرونُ باسـ

سـ الباسطِ اللفظانِ مُقترنانِ^(١)

وكذا المعزُّ مع المُذِلِّ وخافضُ

مَع رافعِ لفظانِ مُزْدَوِجانِ^(٢)

وحديثُ إفرادِ اسمِ مُنتقمِ فَمَوْ

قُوفُ كما قد قالَ ذُو العِرْفانِ

ما جاء في القرآنِ غيرَ مُقيِّدِ

بالمجرمينَ وجا بذُو نوعانِ^(٣)

(١) كذلك تقول القابض الباسط كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾

[البقرة: ٢٤٥].

(٢) قال تعالى: ﴿وَعُزُّ مَنْ نَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ نَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] فلم يقل:

﴿وَعُزُّ مَنْ نَشَاءُ﴾ فقط ولم يقل: ﴿وَتُذِلُّ مَنْ نَشَاءُ﴾ فقط بل قرن بينهما

سبحانه وتعالى، فهما لفظان مزدوجان متقابلان لا يجوز ذكر أحدهما

بدون الآخر. وكذلك الخافض الرافع اسمان متقابلان لا يذكر أحدهما

بدون الآخر.

(٣) ذكر أن «المنتقم» جاء فيه حديث لكِنَّهُ موقوف، وقد جاء مفرداً في القرآن

لكن مُقيِّداً بالمجرمين، ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢] قيده

«بالمجرمين»، وقال تعالى: ﴿فَأَنقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] وهذا عدلٌ منه سبحانه وتعالى أَنَّهُ يضع نِقْمته فيمن

يستحقها وهو المجرم، ولو قيل: المنتقم مفرداً لكان الانتقام يشمل أهل

الإيمان والأعمال الصالحة، ويكون هذا جوراً وهو منزهٌ عنه سبحانه

وتعالى.

فصل

ودلالة الأسماء أنواعٌ ثَلا

ثُ كُلُّهَا معلومةٌ ببيان^(١)

دَلَّتْ مُطابَقَةً كذاكَ تَضْمُنًا

وكذا التزاماً واضحَ البُرهانِ^(٢)

أَمَّا مُطابَقَةُ الدَّلَالَةِ فَهِيَ أَنْ

نَ الإِسْمَ يُفْهَمُ مِنْهُ مَفْهُومانِ

(١) لَمَّا ذَكَرَ النَّاظِمُ رَحْمَةَ اللَّهِ جَمَلَةً مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ دَلَالََةَ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ لِأَنَّهَا أَسْمَاءٌ عَظِيمَةٌ لَهَا دَلَالَاتٌ وَليست مُجَرَّدَ أَلْفَاظٍ، وَإِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءٌ تَتَضَمَّنُ دَلَالَاتٍ عَظِيمَةً لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَذَلِكَ أَنَّ دَلَالََةَ الْلفْظِ عِنْدَ الْأَصُولِيِّينَ ثَلَاثُ أَقْسَامٍ:

- إِمَّا دَلَالََةَ مُطابَقَةٍ .

- أَوْ دَلَالََةَ تَضْمُنٍ .

- أَوْ دَلَالََةَ التَّزَامِ .

لَا يَخْرُجُ لَفْظٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْعَرَبِيَّةِ عَنِ هَذِهِ الدَّلَالَاتِ فَدَلَالََةُ الْمُطابَقَةِ:

دَلَالََةُ الشَّيْءِ عَلَى تَمَامِ مَعْنَاهُ، وَدَلَالََةُ التَّضْمُنِ دَلَالََةُ الشَّيْءِ عَلَى بَعْضِ مَعْنَاهُ، وَدَلَالََةُ الْإِتِّزَامِ دَلَالََةُ الشَّيْءِ عَلَى شَيْءٍ خَارِجٍ عَنِ مَعْنَاهُ وَأَسْمَاءُ اللَّهِ تَشْتَمِلُ عَلَى هَذِهِ الدَّلَالَاتِ كُلِّهَا، وَسَيُبَيِّنُ النَّاظِمُ رَحْمَةَ اللَّهِ هَذَا بِالْمِثَالِ الْآتِي .

(٢) هَذِهِ أَقْسَامُهَا بِالْإِجْمَالِ وَسَيَفْصَلُهَا فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ .

ذاتُ الإله وذلك الوصفُ الذي

يُشتقُّ منه الإسمُ بالميزانِ^(١)

لكنْ دِلالتُهُ على إحداهُما

بتضمُّنِ فافهمهُ فَهَمَ بيانِ^(٢)

وكذا دِلالتُهُ على الصفةِ التي

ما اشتقَّ منها فالتزامُ دانِ^(٣)

وإذا أردتَ لداً مثلاً بيّناً

فمثالُ ذلكَ لفظَةُ الرَّحْمَنِ

ذاتُ الإلهِ ورحمةٌ مدلولُها

فهُمَا لهذا اللفظِ مدلولانِ

(١) هذه دلالة المطابقة: وذلك أنَّ الاسم من أسماء الله يدلُّ على شيئين:

الأول: يدل على ذاته سبحانه وتعالى.

الثاني: يدلُّ على صفته.

(٢) ودلالته على أحد المعنيين إما الذات وإما الصفة، هي دلالة تضمن،

والتضمن معناه دخول الشيء في الشيء.

(٣) أمَّا دِلالتُهُ على شيءٍ خارج عن معناه فهي دلالة التزام، مثال ذلك: إذا

بعتَ داراً، فلفظ «الدار» يشمل كل ما تحويه الدار من مبانٍ وأساسات

وعُرف وأحوشة، فدلالة الدار على جميع ما فيها دلالة مُطابقة، ودلالة

الدار على بعض ما فيها كدلالته على العُرف فقط أو دلالته على

الجُدران فقط دلالة تضمُّن، ودلالته على ما خرج عنها وهو من مرافقها

كمجري المياه والفناء الخارجي عند الباب دلالة التزام.

إحدهما بعضُ لذا الموضوعِ فهـ

— ي تضمَّنُ ذا واضحُ التَّيَانِ

لكنَّ وصفَ الحيِّ لازمٌ ذلك الـ

معنى لزومِ العِلْمِ للرحمَنِ

فلذا دلالتُه عليه بالتزا

مِ يَّيِّنِ والحقُّ ذو تَيَانٍ^(١)

* * *

(١) إذا أردت لذلك مثلاً من أسماء الله فهو «الرحمن» يدلُّ على الذات الإلهية وعلى الصفة وهي الرحمة، هذه دلالة مطابقة، ودلالة الرحمن على الرحمة فقط هذه دلالة تضمَّن، ودلالة الرحمن على الحياة والعلم والقدرة دلالة التزام؛ لأن هذه الصفات خارجة عن معنى الرحمن لكنها لازمة له، ولأن الرحمة لا بدَّ أن تكون من سميع عالم، وهذه دلالة التزام؛ لأنها دلالة عن شيء خارج عن معنى اللفظ ولكن يلزمه لزوماً، فيلزم من الرحمن أن يكون حياً سميعاً عليماً قديراً، وهذا البحث مهم جداً إذا عرفه طالب العلم استفاد منه في أسماء الله جلَّ وعلا.

فصل

في بيان حقيقة الإلحاد في أسماء

رب العالمين وذكر انقسام الملحدين (١)

(١) لما ذكر الشيخ رحمه الله جملة من أسماء الله الواردة في الكتاب والسنة، وأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فإن الله تعالى أمرنا أن نعرف هذه الأسماء ونعتقدها لله وأن نتوسل إليها بها وندعوه بها لأن هذا سبب للإجابة، فتتوسل لحاجتك باسم من أسماء الله تعالى ويكون اسماً مناسباً فتقول: يا رحمن ارحمني، يا غفور اغفر لي، ولا تتوسل بالاسم المضاد لحاجتك كأن تقول: يا عزيز ذو انتقام اغفر لي، ولما ذكر الناظم رحمه الله دلالات أسمائه الثلاث وهي المطابقة والتضمن والالتزام، وأنه يجب على المؤمن أن يعتقدها ويؤمن بها، وأن كل اسم من أسمائه يتضمن هذه الدلالات الثلاث، ذكر النقيض وهو الإلحاد بها، كما قال تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠] «فالإلحاد في اللغة: هو الميل، ومنه سُمِّي اللحد في القبر لأنه مائل عن سمت القبر، وأما الإلحاد في أسماء الله تعالى فيكون بأنواع من الميل، ومن الإلحاد بها: ما يكون بالميل عن مدلولها وعمّا أريد بها، هذا هو الإلحاد في الأسماء على سبيل العموم هو الميل بها عن مدلولها وما تقتضيه وهو ثلاث أنواع كما ذكر الناظم هنا:

أَسْمَاؤُهُ أَوْصَافٌ مَدْحٌ كُلُّهَا

مَشْتَقَةٌ قَدْ حُمِّلَتْ لِمَعَانٍ (١)

إِيَّاكَ وَالْإِلْحَادَ فِيهَا إِنَّهُ

كُفِرَ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ كُفْرَانٍ (٢)

= النوع الأول: الإلحاد فيها يجعلها أسماء للمخلوقات كما جعل المشركون اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من اسم المنان، فهم اشتقوا من أسماء الله لأصنامهم، وهذا الإلحاد فيها، لأنهم اعتقدوا لله شريكاً فيها وهي أصنامهم، وأشد من ذلك الإلحاد أهل وحدة الوجود الذين جعلوا هذا الكون كله شريكاً لله تعالى وقالوا: من اعتقد أن هناك خالقاً ومخلوقاً فهو مُشرك، والتوحيد هو اعتقاد وحدة الوجود وأن كل الوجود هو الله سبحانه وتعالى.

النوع الثاني من أنواع الإلحاد في أسمائه سبحانه: الإقرار بالفاظها فقط مع نفي معانيها، وذلك كالإلحاد المعتزلة ومن سار في ركبهم.

النوع الثالث من أنواع الإلحاد في أسماء الله: تأويلها عن مدلولها الصحيح إلى مدلول آخر، وهو الإلحاد في النفي كتأويل العلو بعلو القهر والقدر، وتأويل اليد بالقدرة والرحمة بالإنعام والاستواء بالاستيلاء.

(١) كل أسماء الله ألفاظها مدح وليست هي مجرد ألفاظ بل هي مدح لله وكمال لله.

(٢) كما قال تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠].

وحقيقة الإلحاد فيها الميلُ بأل
 إشراكٍ والتعطيلِ والنكرانِ^(١)
 فالمُلحدونُ إذاً ثلاثُ طوائفٍ
 فعليهِمُ غضبٌ من الرحمنِ^(٢)
 المشركونَ لأنَّهُم سَمَّوْا بها
 أوثانَهُم قالوا إلهٌ ثانٍ
 هم شبَّهوا المخلوقَ بالخلَّاقِ عك
 سنَ مُشَبِّهِ الخَلَّاقِ بالإنسانِ^(٣)
 وكذلك أهلُ الاتحَادِ فإنَّهُم
 إخوانُهُم من أقربِ الإخوانِ^(٤)

(١) هذه أقسام الإلحاد الثلاثة أجملها وسيُفصلها.

(٢) لما أجمل أراد أن يُفصّل طوائف الملحدين.

(٣) النوع الأول من الملحدين المشركون وهم نوعان: النوع الأول عبدة الأصنام. سمّوها آلهة وقالوا: ﴿أَيْنَا لَتَأْرِكُوا ءِالِهَتِنَا﴾ [الصفات: ٣٦] والإلهية لله عزّ وجل، فإطلاق الآلهة على المخلوقات إلحادٌ في أسماء الله تعالى.

(٤) هؤلاء هم النوع الثاني من ملاحدة المشركين أهل وحدة الوجود حيث جعلوا هذه الأسماء لجميع هذا الكون، وهؤلاء أشدّ إلحاداً من عبدة الأوثان حيث عمّموا عبادة الأوثان فقالوا: إنّ هذا الكون كلّهُ هو الله وهو الإله، ومن اعتقد التجزئة والانقسام فهذا عندهم مشرك، والموحد عندهم: هو الذي يعتقد أنّ هذا الكون كلّهُ هو الله تعالى، وهذا أعظم =

أَعْطُوا الْوُجُودَ جَمِيعَهُ أَسْمَاءَهُ

إِذْ كَانَ عَيْنَ اللَّهِ ذِي السُّلْطَانِ^(١)

وَالْمَشْرُكُونَ أَقْلُ شِرْكَاءَ مِنْهُمْ

هُمْ خَصَّصُوا ذَا الْأَسْمِ بِالْأَوْثَانِ^(٢)

وَلِذَلِكَ كَانُوا أَهْلَ شِرْكِ عِنْدَهُمْ

لَوْ عَمَّمُوا مَا كَانَ مِنْ كُفْرَانِ^(٣)

وَالْمَلْحَدُ الثَّانِي فَذُو التَّعْطِيلِ إِذْ

يَنْفِي حَقَائِقَهَا بِمَا بُرْهَانَ

مَا تَمَّ غَيْرُ الْأَسْمِ أَوْلَاهُ بِمَا

يَنْفِي الْحَقِيقَةَ نَفْيَ ذِي بَطْلَانِ^(٤)

= الكفر والعياذ بالله، وعلى هذا المذهب ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض وغيرهم من أهل وحدة الوجود.

(١) يقول: هذا الكون كله هو عين الله وليس هناك انقسام ولا تعدد.

(٢) المشركون أقل شركاء من أهل وحدة الوجود؛ لأنهم خصّوه ببعض الأصنام وهؤلاء عمّموه - والعياذ بالله -.

(٣) أهل وحدة الوجود يسمّون عبدة الأوثان مشركين؛ لأنهم فرّقوا هذا الكون وجعلوه عبارة عن مخلوق وخالق، وهذا هو الشرك عند أهل وحدة الوجود.

(٤) الملحد الثاني: هو المعطل، والتعطيل: هو إخلاء الشيء عن مضمونه،

تقول: امرأة عاطل: يعني ليس عليها حلي. فالعاطل هو الذي خلا من خصائصه، والمُعطلة: سُمّوا بهذا لأجل هذا المعنى؛ لأنهم عطّلوا الله =

فالقصدُ دَفْعُ النَّصِّ عن معنى الحقيـ

قَةٍ فاجتهدُ فيه بلفظِ بيانٍ^(١)

عَطَّلَ وَحَرَّفَ ثُمَّ أَوَّلَ وَاثْفَهَا

وَأَقْذِفَ بِتَجْسِيمٍ وَبِالْكَفْرَانِ^(٢)

لِلْمُشْبِتِينَ حَقَائِقَ الْأَسْمَاءِ وَالْ

أَوْصَافِ بِالْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

= من أسمائه وصفاته. هذا هو التعطيل، وهذا ما عليه الجهمية ومن سار على نهجهم كله أو بعضه؛ لأنهم نفوا الأسماء والصفات وقالوا عن الله: إنه ذات مجردة فقط، يليهم المعتزلة أتباع واصل بن عطاء الغزالي الذين أقرؤوا بألفاظ الأسماء، لكن جرّدوها عن المعاني فهي عندهم مجرد ألفاظ مترادفة لا تدلُّ على معانٍ، ونفوا الصفات، فعطلوا الأسماء عن معانيها، يليهم الأشاعرة الذين أقرؤوا بالأسماء وبعض الصفات، وعطلوا بقية الصفات، والماتريدية كذلك، ثم أيضاً لا يثبتون هذه الصفات على ظاهرها، مثلاً: اليد عندهم بمعنى القدرة، والوجه بمعنى الثواب، وإذا لم ينفوها أو يؤولوها قالوا: نفوض معناها إلى الله تعالى وهذا مذهب المفوضة وهو تعطيل.

(١) المطلوبُ عند المعطلة أن تصرف الألفاظ عن ظاهرها فلا تجعل لها معنى، لأنَّ ظاهرها عندهم غير مُراد ويدلُّ على الباطل، فهم يحاولون صرفها عن ظاهرها إما بالتأويل أو بالتفويض.

(٢) يقولون: من أثبت الصفات فاقدفهُ بالتجسيم؛ لأنه يعتقد بهذه الصفات وهي في المخلوقات فهو مُجَسِّم، والتجسيم عندهم كفر.

فَإِذَا هُمْ اِحْتَجُّوا عَلَيْكَ فَقُلْ لَهُمْ

هذا مجازٌ وهُوَ وَضِعُ ثَانٍ (١)

فَإِذَا غَلِبَتْ عَلَى الْمَجَازِ فَقُلْ لَهُمْ

لَا يُسْتَفَادُ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ (٢)

أَتَى وَتِلْكَ أَدْلَةٌ لَفْظِيَّةٌ

عُزِلَتْ عَنِ الْإِيْقَانِ مُنْذُ زَمَانٍ (٣)

فَإِذَا تَضَافَرَتِ الْأَدْلَةُ كَثْرَةً

وَعُزِلَتْ عَنِ تَقْرِيرِ ذَا بَيَانٍ

(١) يقولون: إذا قال لك المثبت: هذه ألفاظ في الكتاب والسنة واللغة العربية تدل على أن هذه الأسماء لها معانيها ومدلولاتها فيقولون: أجبهُ بأن هذا مجاز، فهي ليست على ظاهرها، والمجاز: هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر.

(٢) يقول المعطلة بعضهم لبعض: إذا لم تستطع تأويلها على المجاز فقل لهم: هذه الألفاظ في الكتاب والسنة ظنية، والقطعي هو دلالة العقل، ويقولون: لا يجوز استعمال الظن في العقائد. ولا شك في ضلال هؤلاء؛ لأنهم اعتقدوا أن كلام الله لا حقيقة له، وهذا يدل على ضلال هؤلاء؛ لأنهم يقولون: كلام الله ظني وليس بحقيقي وكذلك كلام الرسول ﷺ.

(٣) عُزِلَتْ عندهم عن كونها تفيد اليقين، وعلى هذا المسلك الذين يُحَلِّلون ويُحَرِّمون من جهة أهوائهم إذا أُقِيمَ عليهم الدليل قالوا: هذا ظني لأنه خبر آحاد وهو محتمل لعدة احتمالات. والدليل عندهم يلزم أن يكون قطعي الدلالة قطعي الثبوت، فلا بُدَّ أن يكون متواتراً ولا يحتمل إلا معنى واحداً، وبهذا تُعطلُ النصوص كلها، فهذا طاغوت نفوا به جميع الشرع.

فعليك حينئذ بقانون وضع
 ناه لدفع أدلة القرآن^(١)
 ولكل نص ليس يقبل أن يؤؤ
 ول بالمجاز ولا بمعنى ثان
 قل عارض المنقول معقول وما ال
 أمران عند العقل يتفقان
 ما ثم إلا واحد من أربع
 متقابات كلها بوزان
 أعمال دين وعكسه أو تلغي ال
 معقول ما هذا بذي إمكان
 العقل أصل النقل وهو أبوه إن
 تبطله يبطل فرعه التحتاني
 فتعيّن الأعمال للمعقول والك
 إلغاء للمنقول بالبرهان^(٢)

(١) يقولون: إذا لم تستطع التأويل فاحملها على المجاز، وإذا لم تستطع حملها على المجاز فقل: هذه أدلة لفظية فإذا تواترت هذه الأدلة الجأ إلى شيء ثالث وقالوا: العقل مُقدّم على السمع؛ لأنّ العقل هو الأصل عندهم، وهذا يدلّ على أنّ كلّ أدلة الشرع عندهم لا تُفيد اليقين.

(٢) إذا تعارض المنقول وهو أدلة الكتاب والسنة مع المعقول قدّمنا العقل، لأنّه الأصل، وهنا يقولون: إن تعارض المعقول مع المنقول فهناك أربع

إِعْمَالُهُ يُفْضِي إِلَى الْغَايَةِ
 فَاهْجُرْهُ هَجَرَ التَّرِكِ وَالتَّسْيَانِ (١)
 وَاللَّهِ لَمْ نَكْذِبْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا
 وَهُمْ لَدَى الرَّحْمَنِ مُخْتَصِمَانِ (٢)
 وَهَنَّاكَ يُجْزَى الْمَلْحَدُونَ وَمَنْ نَفَى الْ
 الْخَادَ يُجْزَى ثُمَّ بِالْغَفْرَانِ
 فَاصْبِرْ قَلِيلًا إِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ
 يَا مُثَبِّتَ الْأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ (٣)

الأولى: إمَّا أن نؤمن بالجميع وهذا تناقض .
 الثانية: وإمَّا أن نرفض الجميع، وهذا رفعٌ للنقيضين، وهذا لا يصح .
 الثالثة: وإمَّا أن نُقدِّم النقل على العقل، وهذا لا يجوز لأنَّ النقل
 فرع والعقل أصل، ولا يُقدِّم الفرع على الأصل فيتعيَّن .
 الرابعة: تقديم العقل على النقل لأنَّه الأصل، وهذا موجود في
 كتبهم .

(١) يقولون: اهجر النقل كلَّه وخذ بالعقل، لأنَّ العقل عندهم هو الذي دلَّ
 على صدق النقل فهو الأصل في الدلالة .
 (٢) يقول رحمه الله لما ذكر هذه المذاهب الباطلة التي عليها المعطلة: لم
 أكذب عليهم وإنَّما هذا كلامهم موجودٌ في كتبهم ومشهورٌ عنهم .
 (٣) يُجزى من أَلحد بالغضب، وأهل السنة والجماعة يُجزون بالمغفرة،
 وهذا كلُّه يحتاج إلى صبر، فاصبر على آذاهم وعلى ما يقولون، ولا
 تغرك تهديداتهم فإنَّ العاقبة للمتقين .

فَلَسَوْفَ تَجْنِي أَجْرَ صَبْرِكَ حِينَ يَجِدُ
 نِيِ الْغَيْرِ وَزَرَ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
 فَاللَّهُ سَائِلُنَا وَسَائِلُهُمْ عَنِ الْ
 إِثْبَاتِ وَالتَّعْطِيلِ بَعْدَ زَمَانٍ
 فَأَعِدَّ حِينَئِذٍ جَوَاباً كَافِياً
 عِنْدَ السُّؤَالِ يَكُونُ ذَا تَبْيَانٍ
 هَذَا وَثَالِثُهُمْ فَنَافِيهَا وَنَا
 فِي مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ بِالْبُهْتَانِ^(١)
 ذَا جَا حِدُ الرَّحْمَنِ رَأْساً لَمْ يُقَرَّ
 رَبِّ خَالِقِي أَبِداً وَلَا رَحْمَنِ
 هَذَا هُوَ الْإِلْحَادُ فَاحْذَرُهُ لَعَلَّ
 لَ اللَّهُ أَنْ يَنْجِيكَ مِنْ نِيرَانِ^(٢)
 وَتَفُوزَ بِالرُّلْفَى لَدَيْهِ وَجَنَّةِ الْ
 مَاؤُوى مَعَ الْغُفْرَانِ وَالرُّضْوَانِ

(١) ثالث الملاحظة: الذي ينفىها وينفي ما تدلُّ عليه وهي الذاتُ الإلهية، فَيُعْطَلُونَ الكونَ عن الخالق، ويقولون: هذه الأشياء نتيجة الطبيعة، وليس هناك خالق، وهذا قول فرعون والدهريين والحدائين والعلمانيين اليوم يقولون: الإله هو الطبيعة.

(٢) يعني هذا هو الإلحاد بأقسامه الثلاثة: إلحاد المشركين وإلحاد المُعْطَلِينَ للأسماء والصفات، وإلحاد المعطلين للخلق من خالقه.

لَا تُوحِشَنَّكَ غُرْبَةٌ بَيْنَ الْوَرَى

فَالنَّاسُ كَالْأَمْوَاتِ فِي الْحُسْبَانِ^(١)

أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أَهْلَ السَّنَةِ أَلْ

غُرْبَاءُ حَقًّا عِنْدَ كُلِّ زَمَانٍ^(٢)

قُلْ لِي مَتَى سَلِمَ الرَّسُولُ وَصَحْبُهُ

وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ عَلَى الْإِحْسَانِ

مَنْ جَاهِلٍ وَمَعَانِدٍ وَمَنَافِقٍ

وَمُحَارِبٍ بِالْبَغْيِ وَالطَّغْيَانِ

وَتَظَنُّ أَنَّكَ وَارِثٌ لَهُمْ وَمَا

ذُقْتَ الْأَذَى فِي نُصْرَةِ الرَّحْمَنِ

كَلَّا وَلَا جَاهَدْتَ حَقَّ جِهَادِهِ

فِي اللَّهِ لَا بِيَدٍ وَلَا بِلِسَانٍ

(١) يوصى الميثب بالصبر وانتظار الفرج، لأن الميثب سيكون غريباً بين

المعطلة فليصبر على الغربة، قال ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً

كما بدأ فطوبى للغرباء» (*).

(٢) وتشد غربة أهل السنة في آخر الزمان لفشو الجهل وقلة العلم.

(* أخرجه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة، وانظر «كشف الخفاء» للمجلوني

مَنَّكَ وَاللَّهِ الْمُحَالَ النَّفْسُ فَاسِدٌ

تَحَدِثُ سِوَى ذَا الرَّأْيِ وَالْحُسْبَانِ^(١)

لَوْ كُنْتَ وَارِثَهُ لِأَذَاكَ الْأَوْلَى

وَرِثُوا عِدَاءَهُ بِسَائِرِ الْأَلْوَانِ^(٢)

* * *

(١) لم يسلم الرسول ﷺ من مناوشات النَّاسِ ولومهم فكيف تسلم أنت في آخر الزمان؟ والسلف ابتلوا بهذه الأصناف: من جاهل لا يعرف الحق، ومن منافق يعرفه لكن يتركه تكبراً وعناداً، أو عدو لأهل السنة، فأنت بين فرق من الخصوم وقد تبلى بمعاودة أهل السلطة، لأنهم قد لا يريدون الحق، فلا بد من الصبر والتحمل للأذى من الأعداء فلا تُسالم أهل الشر وتسكت عنهم، فلا يمكن تحصيل هذا الثواب والأجر بدون صبر وبدون غربة بين النَّاسِ.

(٢) لو كنت وارثاً للرسول ﷺ لأذاك الأعداء كما آذوا الرسول ﷺ.

فصل

في النوع الثاني من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين
المُخالف لتوحيد المُعطلين والمُشركين^(١)

هذا وثاني نوعي التوحيد تو

حيد العبادَة منك للرحمن^(٢)

ألا تكونَ لغيره عبداً ولا

تعبُدَ بغيرِ شريعةِ الإيمانِ^(٣)

(١) تقدّم أنّ الناظم ذكر أنّ التوحيد نوعان على سبيل الإجمال:

١ - توحيد الربوبية والأسماء والصفات ويُسمّى بالتوحيد العلمي الخبري، وذكر نقيضه وهو التعطيل والإلحاد في أسماء الله وصفاته، والآن ينتقل إلى بيان النوع الثاني وهو التوحيد العملي وهو توحيد في الطلب والقصد وهو توحيد الألوهية وذكر نقيضه وهو الشرك كما سيأتي.

(٢) توحيد العبادة، أي: إفراد الله بالعبادة، ويُسمّى توحيد الألوهية أو توحيد الطلب والقصد كلّها أسماء له.

(٣) لا تعبُدُ إلاّ الله ولا تعبُدُهُ إلاّ بما شرّعه على لسان نبيّه محمد ﷺ فلا يصح توحيد العبادة إلاّ بهذين الشرطين:

١ - الإخلاص لله في النية والقصد وهذا فيه نفي الشرك.

٢ - المتابعة للرسول ﷺ في العمل والافتداء: وهذا فيه نفي البدع

والمحدثات، ويدلّ لذلك قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ

فتقوم بالإسلام والإيمان وال
 إحسان في سرٍّ وفي إعلان^(١)
 والصدق والإخلاص رُكناً ذلك الث
 توحيد كالرُكنتين للبيان
 وحقيقة الإخلاص توحيد المرا
 د فلا يُزاحمُهُ مرادٌ ثانٍ
 لكن مُرادُ العبدِ يبقَى واحداً
 ما فيه تفریقٌ لدى الإنسان^(٢)

= مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿البقرة: ١١٢﴾ أسلم
 وجهه، أي: قصده ونيته لله، وهذا معناه إخلاصُ العبادة له سبحانه
 وتعالى. وهو مُحسن، أي: مُتَّبِعٌ للرسول ﷺ، متجنب للبدع، محسنٌ
 في عبادته بأن يكون مقتدياً بالنبي ﷺ. والإحسان: إتقان الشيء على
 الوجه المطلوب.

(١) توحيد العبادة يشمل مراتب الدين الثلاثة التي بيّنها الرسول ﷺ في
 حديث جبريل عليه السلام حين جاء يسأل النبي ﷺ بحضرة أصحابه عن
 الإسلام والإيمان والإحسان فلما خرج قال عليه السلام: «هذا جبريل
 أتاكم يُعلمكم أمرَ دينكم» (*) فالدين ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان
 والإحسان وكلُّ مرتبة لها أركان.

(٢) هذا هو حقيقة الإخلاص أن يكون معبودك واحداً وهو الله تعالى، فلا
 تعبد غيره معه، ولا ترد بعبادتك إلا وجهه، هذا هو التوحيد المراد، =

إِنْ كَانَ رَبُّكَ وَاحِداً سُبْحَانَهُ

فَاخْصُصْهُ بِالتَّوْحِيدِ مَعَ إِحْسَانٍ (١)

أَوْ كَانَ رَبُّكَ وَاحِداً أَنْشَاكَ لَمْ

يُشْرِكْهُ إِذْ أَنْشَاكَ رَبُّ ثَانٍ (٢)

فَكَذَلِكَ أَيْضاً وَحْدَهُ فَاغْبُدْهُ لَا

تَعْبُدُ سِوَاهُ يَا أَخَا الْعِرْفَانِ (٣)

وَالصِّدْقُ تَوْحِيدُ الْإِرَادَةِ وَهُوَ بَدُ

لُ الْجَهْدِ لَا كَسَلاً وَلَا مُتَوَانٍ (٤)

= وتوحيد الإرادة: بأن يكون القصد وجه الله فلا تقصد بعملك رياءً ولا سمعة ولا مدحاً ولا ثناءً من الناس ولا طمعاً دنيوياً وإنما قصدك التقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

(١) لما كان الله تعالى هو المتفرد بتوحيد الربوبية في الخلق والرزق والتدبير ولا يُشَارِكُهُ غَيْرُهُ، فكذلك في العبادة لا يجوز أن يُشَارِكَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ مِمَّنْ لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ وَلَا يَمْلِكُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئاً.

(٢) ولما كان الله هو الذي خلقك وحده ولم يُشَارِكَهُ أَحَدٌ فِي خَلْقِكَ فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَعْبُدَ غَيْرَهُ.

(٣) فكما أنه لا شريك له في عموم تدبيره وفي خلقك وإيجادك فلا يجوز أن يُشْرِكَ مَعَهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ، وهذا من الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية.

(٤) من كان عابداً لله تعالى وعالماً أنه لا شريك له فإنه يجد في العبادة ولا يكسل.

وَالسَّنَةُ الْمَثَلِيُّ لَسَالِكِهَا فَتَوْ

حَيْدُ الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ السُّلْطَانِي (١)

فَلوَاحِدٍ كُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ

أَعْنِي سَبِيلَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ (٢)

هَذِي ثَلَاثُ مُسْعِدَاتٍ لِلَّذِي

قَدْ نَالَهَا وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ (٣)

فَإِذَا هِيَ اجْتَمَعَتْ لِنَفْسٍ حُرَّةٍ

بَلَّغَتْ مِنَ الْعِلْيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ (٤)

(١) توحيد الطريق: وهو أن تكون السنة النبوية هي الطريق الذي تسير عليه وتتجنب البدع والمحدثات لقوله ﷺ «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (*) فالقدوة المتَّبَع هو الرسول ﷺ، وغيره إنما يتَّبَع ويُقتدَى به فيما وافق فيه الرسول، وما خالف فيه الرسول ﷺ فإنه يردُّ على صاحبه ولو كان عالماً أو صالحاً مهما بلغ من الصلاح أو العلم.

(٢) فلواحدٍ هذا توحيد المراد لله تعالى، وكن واحداً، هذا توحيد القصد وفي واحد، هذا طريق المتابعة وهو السنة، يعني في طريق واحد وهذا إجمال لما سبق.

(٣) من نال هذه الثلاث: توحيد المراد وتوحيد الإرادة وتوحيد الطريق نال السعادة كلها، ومن أخلَّ بشيءٍ منها، فإنه لا يحصلُ على المطلوب.

(٤) نفس حُرَّة، يعني سليمة من التقليد الأعمى، فالاتباع لشرع الله تعالى هو =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٥٧/٤٣ (٢٦٠٣٣)، والبخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) (١٧)، وأبو داود (٤٦٠٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

للهِ قَلْبٌ شَامٌ هَاتِيكَ الْبُرُوقَ

قَ مِنْ الْخِيَامِ فَهَمَّ بِالطَّيْرَانِ (١)

لَوْلَا التَّعَلُّلُ بِالرَّجَاءِ تَصَدَّعَتْ

أَعْشَارُهُ كَتَصَدَّعَ الْبَيْتَانِ (٢)

وَتَرَاهُ يَسْطُرُهُ الرَّجَاءُ فَيَنْشِي

مُتَمَايلاً كَتَمَايَلَ النَّشْوَانِ (٣)

= الحرية الصحيحة التي تُحرِّرُكَ من عبودية الخلق، فمن لم يكن عبداً لله كان عبداً لغيره، ولذا يقول الناظم في هذه القصيدة:

هربوا من الرِّقِّ الذي خُلِقُوا لَهُ فَبُلُّوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

(١) يمدح القلب الذي تعلَّقَ بهذه المقاصد الثلاثة، ورأى هذا البرق، لأنَّ من عادة العرب أنَّهم إذا رأوا البرق في جهة يذهبون إليها لأجل الرعي ويسمونهُ انتجاع البروق، كذلك العابد يتجع الحق إذا لاح له الحق في أيِّ مكان ومع أيِّ شخص، شَمَّرَ إليه وقصده، مثل ما تفعل البوادي في انتجاع البروق والذهاب للمراعي، فالمسلم يبحث عن الحق أينما كان وفي أيِّ مكان لاح له وبرق له.

(٢) لولا أنَّ القلب يرجو ربَّهُ عزَّ وجلَّ أن يلحقه بهؤلاء الصفوة والأخيار لتقطعت القلوب من الحسرة، فالرجاء بالله وحسن الظن بالله هو الذي يجبر هذه القلوب.

(٣) يفرح بهذا الرجاء ويطمئن ويسر بالله، لكن إذا قنط وأيس أصابه الغم والحزن، فالرجاء وحسن الظن بالله مطلوب مهما كثرت الشرور وتكالبت الأعداء، فالدين منصور وممتحن.

ويعودُ يَقْبِضُهُ الإِيَّاسُ لكونِهِ

مُتَخَلِّفًا عَن رُقُقَةِ الإِحْسَانِ (١)

فترَاهُ بَيْنَ القَبْضِ والبَسْطِ اللذ

يَنِ هُمَا لأُفُقِ سَمَائِهِ قُطْبَانِ (٢)

وبدَا لَهُ سَعْدُ السُّعُودِ فصارَ مَسْ

رَاهُ عَلَيْهِ لا عَلى الدَّبْرَانِ (٣)

لِلَّهِ ذِيكَ الفَرِيقُ فَإِنَّهُمْ

خُصُّوا بِخَالِصَةٍ مِنَ الرَّحْمَنِ (٤)

شُدَّتْ رَكَائِبُهُمْ إِلَى مَعْبُودِهِمْ

ورسُولِهِ يَا خَيِّبَةَ الكَسْلَانِ

(١) إذا تذكَّر تخلفه وأنه في آخر الزمان، زمانِ الفتن فإنه يُصِيبُهُ الخوف،

فالمؤمن يجمع بين الخوف والرجاء، فيرجو رحمة الله ويخاف عقابه.

(٢) المؤمن يكون بين الخوف والرجاء، فتارةً يتقبض ويخاف وتارةً ينسبط

ويفرح، فيجمع بينهما.

(٣) بدا له سعد السعود أي، وبينما هو يسير في الطريق إلى الله بدا له النجم،

لأنَّ الله جعل النجم للمسافرين يسرون عليه، فهو يسير إلى الله إذا بدت

له السنة والقرآن سار على نهجهما، لا على الدبران والنجم الواقع خلف

الثريا. وسعد السعود: هو النجم الذي يظهر في أول فصل الربيع، وهو

من منازل القمر.

(٤) المراد بالفريق، الذين يسرون على منهاج القرآن والسنة، فأولئك قد

اجتباهم الرحمن، وهداهم إلى طريق الحق.

فصل

وَالشِّرْكَ فَاخْذَرُهُ فِشْرِكَ ظَاهِرٌ

ذَا الْقِسْمُ لَيْسَ بِقَابِلِ الْغُفْرَانِ (١)

وَهُوَ اتِّخَاذُ النَّدِّ لِلرَّحْمَنِ أَيُّ

يَأْ كَانَ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ إِنْسَانٍ (٢)

يَدْعُوهُ أَوْ يَرْجُوهُ ثُمَّ يَخَافُهُ

وَيُحِبُّهُ كَمَحَبَّةِ الدِّيَّانِ

(١) لما فرغ من بيان توحيد الألوهية انتقل إلى بيان ضده، وهو الشرك، لأنه لا يكفي أنك تعرف التوحيد فقط بل لا بُدَّ أن تعرف ما ينقضه ويُنقصه وهو الشرك من أجل أن يحذره المسلم، وهو نوعان: شرك أكبر يُخرج من الملة ولا يغفره الله إلا بالتوبة. والنوع الثاني: هو الشرك الأصغر وسيأتي إن شاء الله، وبدأ بالشرك الأكبر لأنه الأخطر، وهو الذي يُخرج من الملة، وهو شركٌ ظاهر يراه النَّاسُ كالذبح لغير الله، ودعاء غير الله، والاستغاثة بغير الله، وشركٌ خفي، وهو في القلب، وهو شرك النية والقصد والإرادة، وهذا لا يعلمه إلا الله تعالى.

(٢) الندد: هو الشبيه والمثيل، فالشرك يتناول كل ما عُبد من دون الله من حجرٍ ومن شجرٍ أو ميت أو قبر أو إنسانٍ حيٍّ يُخضع لأقواله ولو كانت شركاً وباطلاً، مثل أصحاب الطرق الصوفية الذين يتقيدون بأقوال شيوخهم، والشرك الأكبر لا يُغفر إلا بالتوبة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

والله ما ساوؤهُمُ بالله في
 خَلْقٍ ولا رِزْقٍ ولا إِحْسَانٍ^(١)
 فاللهُ عِنْدَهُمُ هُوَ الخَلْأَقُ والرِّزَّاقُ مُولِي الفَضْلِ والإِحْسَانِ
 لَكَنَّهُمُ ساوؤهُمُ بالله في
 حُبِّ وتَعْظِيمِ وفي إِيمانٍ^(٢)

(١) إن المشركين ما ساووا معبوديهم بالله في الخلق والرزق والإحسان؛ لأنهم يعلمون أن الخلق والرزق والإحسان هو الله وحده، وهذا توحيد الربوبية، وإنما ساووههم بالله في المحبة قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

(٢) المحبة على قسمين:

الأول: المحبة مع الله. الثاني: المحبة في الله.

فالمحبة الأولى شرك، فمن أحب مع الله غيره فهذا شرك أكبر، وأما الحب في الله فهذا من حقوق التوحيد وهو دين، وقد جاء في الحديث: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»^(*) فالحب في الله مطلوب وهو علامة على الإيمان، ولذا يقول ابن عباس: «من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك»، ومن السبعة الذين يُظلمهم الله في ظلّه: «رجلان تحاببا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه»^(**).

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٨٨/٣٠ (١٨٥٢٤) من حديث البراء بن عازب، وهو

حديث حسن بشواهد، انظر تمام تخريجه وتنقيده في «المسند».

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٤١٤/١٥ (٩٦٦٥)، والبخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١)

(٩١)، والترمذي (٢٣٩١) من حديث أبي هريرة.

جعلوا مَحَبَّتَهُمْ مع الرَّحْمَنِ ما

جَعَلُوا المَحَبَّةَ قَطُّ للرَّحْمَنِ (١)

لو كان حُبُّهُمْ لأجلِ اللهِ ما

عَادُوا أَحِبَّتَهُ على الإيمانِ (٢)

ولما أَحَبُّوا سُخْطَهُ وتَجَنَّبُوا

مَحْبُوبَهُ ومَوَاقِعَ الرِّضْوَانِ (٣)

شَرَطُ المَحَبَّةِ أن توافِقَ من تُحِبُّ

بُ على مَحَبَّتِهِ بلا عِصْيَانِ (٤)

فإذا ادَّعَيْتَ لَهُ المَحَبَّةَ مَعَ خِلا

فِكَ ما يُحِبُّ فانت ذُو بُهْتَانِ

(١) لم يُخلصوها، فكونهم يحبون الله لا ينفعهم إذا كانوا يحبون غيره معه فالعبادة لا تنفع إلا مع الإخلاص.

(٢) هذا هو الحبُّ في الله، فالذي يحبُّ في الله لا يُعادي أولياء الله وإنَّما يحبُّهم، فعلامة الحب في الله أنَّك لا تُعادي أولياء الله بل تُحِبُّهم دائماً وأبداً.

(٣) من علامة محبة الله أن تفعل ما أمرك الله به، وتترك ما نهاك عنه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، فمحبة الله ليست دعوى بل لها علامات وأدلة تدلُّ عليها.

(٤) هذه علامة المحبة وشرطها وهو اتباع ما أمر الله به وترك ما نهى عنه، وأن تحب ما أمر الله به وتبغض ما نهى عنه، ولذلك يقول بعض السلف: لا تكون محبتك لله صحيحة حتى يكون ما يبغضه الله أمرًا عندك من الصبر.

أُحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدْعِي
حُبَّ لَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانٍ
وَكَذَا تُعَادِي جَاهِدًا أَحْبَابَهُ
أَيْنَ الْمَحَبَّةُ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ^(١)
لَيْسَ الْعِبَادَةُ غَيْرَ تَوْحِيدِ الْمَحْبُوبِ
بَةِ مَعَ خُضُوعِ الْقَلْبِ وَالْأَرْكَانِ^(٢)
وَالْحُبُّ نَفْسٌ وَفَاقِهِ فِيمَا يُحِبُّ
بُ وَبُغْضُ مَا لَا يَرْتَضِي بِجَنَانِ^(٣)
وَوَفَاقَهُ نَفْسٌ اتَّبَاعِكَ أَمْرُهُ
وَالْقَصْدُ وَجْهُ اللَّهِ ذِي الْإِحْسَانِ

(١) ومن علامة محبة الله محبة أوليائه، أمّا من يدعي محبة الله ويُبغض أوليائه فهذا بهتان وكذب، فكل من ادّعى محبة الله وليس فيه هذا الدليل فهو كاذب.

(٢) العبادة هي محبة الله مع الذل له فتعريف العبادة باختصار: هو غاية الحب مع غاية الذل، فلا بد من اجتماع الأمرين: غاية الذل مع غاية الحب، والتعريف المُفصّل، ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله «العبادة: هي اسمٌ جامعٌ كُلُّ ما يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، الظاهرة والباطنة».

(٣) هذه من علامات المحبة، أن توافق المحبوب فيما يُحب وفيما يكره فتُحب ما يُحب وتكره ما يكره.

هذا هو الإحسانُ شَرْطُ فِي قَبْوِ

لِ السَّعْيِ فَافْهَمَهُ مِنَ الْقُرْآنِ (١)

وَالِإِتِّبَاعِ بِدُونِ شَرْعِ رَسُولِهِ

عَيْنُ الْمُحَالِ وَأَبْطَلُ الْبُطْلَانِ

فَإِذْ نَبَذَتْ كِتَابَهُ وَرَسُولَهُ

وَتَبِعَتْ أَمْرَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

وَتَخَذَتْ أُنْدَاداً تُحِبُّهُمْ كَحُبِّ

بِ اللَّهِ كُنْتَ مَجَانِبَ الْإِيمَانِ (٢)

وَلَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ فَرِيقٍ يَدَّعِي الْ

إِسْلَامَ شِرْكَاً ظَاهِرَ التَّبْيَانِ

(١) الإحسان: هو إتقانُ العبادة وإتمامها، قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ

إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] وقال النبي ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (*) فتعبد الله بالمشاهدة كأنك تشهد من

قوة الإيمان واليقين، فإن لم تبلغ هذه المرتبة فتعلم أنه يراك فتخاف منه ومن مراقبته تعالى.

(٢) فإن ادعيت محبة الله وأنت في نقيضها لا تطيع أوامره ولا تجتنب

نواهيه، ولا تحب أوليائه، ولا تبغض أعداءه، فأين المحبة؟ فإذا انتفت

الأدلة انتفى المدلول.

جَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ وَالْوَهْمُ وَسَوْ

وَوَهْمٌ بِهِ فِي الْحُبِّ لَا السُّلْطَانَ

وَاللَّهُ مَا سَاوَوْهُمْ بِاللَّهِ بَلْ

زَادُوا لَهُمْ حُبًّا بِلا كِتْمَانٍ^(١)

وَاللَّهُ مَا غَضِبُوا إِذَا انْتَهَكْتَ مَحَا

رِمٌ رَبِّهِمْ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ^(٢)

(١) يذكر رحمه الله في وقته أناساً ادعوا أنهم من أهل التوحيد ويحبون الله، ورأى منهم العجائب من المخالفات، كما حصل من عبّاد القبور يدعون الإسلام ومحبة الله وهم يعبدون الأموات ويستغيثون بهم من دون الله وهذا تناقض، بل زادوا في محبة الأصنام والأشجار والقبور أكثر من محبتهم لله تعالى، بدليل أنه إذا تنقص الله عندهم فإنهم لا يتحركون، وإذا تنقص الذي يعبدونه هاجت هائجتهم، وحملوا سلاحهم، وانطلقت ألسنتهم بالسب، وهذا واضح ومستمر إلى الآن، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنَ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

(٢) فهم يرون المعاصي والمنكرات والمخالفات وتنقص الرب سبحانه وإنكار أسمائه وصفاته ولا يغارون لذلك، بل لا يرون الجهاد في سبيل الله، وإذا انتقصت معبوداتهم حصل منهم ما حصل، من الغضب والمعاداة، وهذا ينجر إلى الذين يُعَلِّدون الأئمة والعلماء تقليداً أعمى، إذا ذكرت السنّة والأخذ بالدليل والراجح غضبوا وقالوا: هؤلاء لا يحبون الأئمة، وإذا مُدح المذهب أو الإمام فرحوا واستبشروا، والواجب على المسلم =

حَتَّى إِذَا مَا قِيلَ فِي الْوَثَنِ الَّذِي
 يَدْعُونَهُ مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانٍ
 فَأَجَارَكَ الرَّحْمَنُ مِنْ غَضَبٍ وَمِنْ
 حَرْبٍ وَمِنْ شَتْمٍ وَمِنْ عُدْوَانٍ
 وَأَجَارَكَ الرَّحْمَنُ مِنْ ضَرْبٍ وَتَعَدٍ
 زَبِيرٍ وَمِنْ سَبٍّ وَمِنْ تَسْجَانٍ
 وَاللَّهُ لَوْ عَظَّمْتَ كُلَّ صِفَاتِهِ
 مَا قَابَلُوكَ بِيَعُضِ ذَا الْعُدْوَانِ (١)
 وَاللَّهُ لَوْ خَالَفْتَ نَصَّ رَسُولِهِ
 نَصًّا صَرِيحًا وَاضِحَ التَّيْيَانِ
 وَتَبِعْتَ قَوْلَ شَيْوْخِهِمْ أَوْ غَيْرِهِمْ
 كُنْتَ الْمُحَقَّقَ صَاحِبَ الْعِرْفَانِ (٢)
 حَتَّى إِذَا خَالَفْتَ آرَاءَ الرَّجَا
 لِ لِسُنَّةِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

= أن يدور مع الحق حيثما دار ولا يتعلق بغير الحق، والأئمة يوصون باتباع
 الحق، ويُنكرون على مَنْ قلدَهم وترك الحق كما هو معلوم من كلامهم،
 ومُدُون في كتبهم، أنهم ينكرون تقليدهم بغير حق، ويوجبون اتباع
 الدليل مع من كان.

(١) لو عظمت كل صفات الرب ما عادوك، لكن لو سببت أوثانهم أو
 تنقصتها لأتاك شيء عظيم من اللوم والأذى واستعداء السلطان عليك.

(٢) لو خالفت نص الرسول وتبعت قول شيوخهم أثنوا عليك عاطر الثناء.

نَادُوا عَلَيْكَ بِدُعَاةِ وَضَلَالَةٍ
 قَالُوا وَفِي تَكْفِيرِهِ قَوْلَانِ
 قَالُوا تَنَقَّضْتَ الْكِبَارَ وَسَائِرَ الْ
 عُلَمَاءِ بَلْ جَاهَرْتَ بِالْبُهْتَانِ
 هَذَا وَلَمْ تَسْلُبْهُمْ حَقًّا لَهُمْ
 لِيَكُونَ ذَا كَذِبٍ وَذَا عُدْوَانٍ (١)
 وَإِذَا سَلَبْتَ صِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ
 وَكَلَامَهُ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانٍ (٢)
 لَمْ يَغْضَبُوا بَلْ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ
 عَيْنَ الصَّوَابِ وَمُقْتَضَى الْإِحْسَانِ (٣)
 وَالْأَمْرُ وَاللَّهُ الْعَظِيمُ يَزِيدُ فَوْ
 قَ الْوَصْفِ لَا يَخْفَى عَلَى الْعُمَيَّانِ
 وَإِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ تَوْحِيدًا رَأَيْتَ
 سِتَّ وَجُوهَهُمْ مَكْسُوفَةً الْأُلْوَانَ

(١) ما سلبنا هؤلاء الشيوخ حقاً لهم؛ لأنَّ حقَّ الاتِّباعِ للرسول ﷺ وليس لهم، فالعلماءُ يُتبعون فيما وافقوا فيه الرسول ﷺ ويُخالفون فيما خالفوا فيه الرسول ﷺ، وليس في هذا تنقُّصٌ لهم.

(٢) أمَّا إذا تعديت على الله تعالى وسلبت عُلوَّهُ على عرشه وكلامه وصفاته زاد قدرك عندهم.

(٣) لا يغضبون لله إذا سلبت صفاته بل يفرحون ويقولون: هذا هو الصواب.

بَلْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ شِزْرًا مِثْلَ مَا
 نَظَرَ التِّيُّوسُ إِلَى عَصَا الْجُوبَانَ
 وَإِذَا ذَكَرْتَ بِمِدْحَةٍ شُرَكَاءَهُمْ
 يَتَّبِشِرُونَ تَبَاشِيرَ الْفَرَحَانِ
 وَاللَّهُ مَا شَمُّوا رَوَائِحَ دِينِهِ
 يَا زَكْمَةَ أَعْيَتْ طَيْبَ زَمَانٍ^(١)

* * *

(١) أصبحوا لا يحسون بالخطأ كالمزكوم الذي أصبحت حاسة الشم عنده معطلة وتعسر علاجه عند الأطباء.

فصل

في صفِّ العَسْكَرَيْنِ وتَقَابُلِ الصَّفَيْنِ واستدارةِ رَحَى الحَرْبِ العَوَانِ وتَصَاوُلِ الأَقْرَانِ^(١)

(١) لَمَّا ذَكَرَ الشَّيْخُ رَحْمَةُ اللهِ مَوَاقِفَ أَهْلِ الضَّلَالِ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُوْلِهِ ﷺ، وَنَبَذَهُمُ الاسْتِدْلَالَ بِالْوَحِيِّنِ، وَأَخَذَهُمْ بِأَدْلَةِ الْعَقْلِ، وَعَزَلَهُمْ نِصُوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَنِ الاسْتِدْلَالِ، ذَكَرَ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ أَهْلَ الْحَقِّ لَا يَتْرَكُونَهُمْ عَلَيَّ هَذَا الضَّلَالَ وَعَلَيَّ هَذَا التَّلْبِيسِ لِیُضَلُّوا عِبَادَ اللهِ، بَلْ إِنَّهُ يَجِبُ عَلَيَّ أَهْلَ الْحَقِّ مَقَاوِمَةَ هَؤُلَاءِ وَدَحْضَ حُجَجِهِمْ، وَكَشْفَ شِبْهَاتِهِمْ، وَفِصْحَ زَيْفِهِمْ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ الْحَقُّ وَيُنْكَشَفَ الضَّلَالُ، فَلَوْ تُرِكَ هَؤُلَاءِ، وَتُرِكَتْ كِتْبَتُهُمْ وَأَقْوَالُهُمْ بِدُونِ تَبْيِينِ مَا فِيهَا مِنَ الْبَاطِلِ؛ لِرَاجِ هَذَا عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَيْسَ عِنْدَهُمْ بَصِيرَةٌ قَوِيَّةٌ، وَهَذَا مِمَّا يَجِبُ عَلَيَّ أَهْلَ الْحَقِّ فَضْحَ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَالتَّحْذِيرَ مِنْهُمْ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، فَلَا مُدَاهَنَةَ وَلَا مُجَامَلَةَ فِي دِينِ اللهِ تَعَالَى، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ لِرَسُوْلِهِ ﷺ ﴿فَلَا تُطِيعِ الْكٰفِرِيْنَ وَجٰهَدْهُمْ بِهٖ جِهَادًا كَبِيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٢] أَي: بِالْقُرْآنِ، وَالْجِهَادُ يَكُونُ بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ كَمَا يَكُونُ بِالسَّلَاحِ، فَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَيَّ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ الرَّدَّ عَلَيَّ أَهْلِ الْبَاطِلِ، وَكَشْفَ شِبْهَاتِهِمْ فَهَذِهِ سُنَّةُ إِلَهِيَّةٌ، وَاللهُ تَعَالَى أَرْسَلَ الرُّسُلَ لِأَجْلِ بَيَانِ الْحَقِّ وَدَحْضِ الْبَاطِلِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ حُرِيَّةُ أَفْكَارٍ فِي الْكُفْرِ وَالرَّدَةِ وَالْإِلْحَادِ، فَلَا يَجُوزُ السُّكُوتُ عَلَيَّ أَهْلِ الْبَاطِلِ، وَلِهَذَا عَقَدَ النَّاطِمُ هَذَا الْفَصْلَ فِي مَوْقِفِ أَهْلِ الْحَقِّ مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ، وَسَمَّيَ ذَلِكَ حَرْبًا، وَالْحَرْبُ قَدْ تَكُونُ =

يَا مَنْ يُشِبُّ الْحَرْبَ جَهْلًا مَا لَكُمْ

بِقِتَالِ حِزْبِ اللَّهِ قَطُّ يَدَانِ (١)

أَنْتَى تَقُومُ جُنُودَكُمْ لَجُنُودِهِمْ

وَهُمُ الْهُدَاةُ وَعَسَكَرَ الْقِرَانَ

وَجُنُودَكُمْ مَا بَيْنَ كَذَّابٍ وَدَجٍّ

جَالٍ وَمُحْتَالٍ وَذِي بُهْتَانٍ

مِنْ كُلِّ أَرْعَنٍ يَدَّعِي الْمَعْقُولَ وَهَدٍ

وَ مُجَانِبٍ لِلْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ

بالسلاح وقد تكون بالخصومة والجدال، وقوله: «واستدارة رحي الحرب العوان» يعني المستمرة، فذكر الناظم رحمه الله في هذا الفصل العظيم جيوش أهل الحق وجيوش أهل الباطل، وقارن بينهم، وذكر سلاح أهل الحق وسلاح أهل الباطل، فجيوش أهل الحق هم الملائكة والرسل والصحابة والأئمة والفقهاء وعلماء الأمة، وجيوش أهل الباطل الفلاسفة وأهل المنطق وأهل البدع والفرق الضالة، فهي مُلَفِّقَةٌ مِنْ كُلِّ جَنَسٍ خَبِيثٍ، وَهَلْ يَتَقَابَلُ جُنُودَ الشَّيْطَانِ مَعَ جُنُودِ الرَّحْمَنِ؟ ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْقَلْبِيُّونَ﴾ [المائدة: ٥٦] وَأَمَّا سِلَاحُ أَهْلِ الْحَقِّ فَهُوَ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ قَالَ الصَّحَابَةُ قَالَ أئِمَّةُ الْهُدَى، هَذَا سِلَاحُهُمْ، وَأَمَّا أَهْلُ الْبَاطِلِ فَلَيْسَ مَعَهُمْ إِلَّا قَالَ أَرْسَطُو وَقَالَ ابْنُ سِينَا وَالْفَارَابِيُّ فَهَذِهِ هِيَ جُنُودُهُمْ وَهَذِهِ هِيَ حُجَجُهُمْ، فَإِذَا قَارَنْتَ بَيْنَ الْجُنُودِ وَالْجُنُودِ وَبَيْنَ السِّلَاحِ وَالسِّلَاحِ عَرَفْتَ الْفَرْقَ الْوَاضِحَ بَيْنَ الْمَوْقِفَيْنِ.

(١) ما لكم يدان، يعني قوة.

أَوْ كُلِّ مُبْتَدِعٍ وَجَهْمِيَّ غَدَاً

فِي قَلْبِهِ حَرَجٌ مِّنَ الْقُرْآنِ^(١)

أَوْ كُلِّ مَنْ قَدَ دَانَ دِينَ شَيْوْخِ أَهْلِ

لِالْإِعْتِزَالِ الْبَيْنِ الْبُطْلَانِ^(٢)

أَوْ قَائِلِ بِالِاتِّحَادِ وَإِنَّهُ

عَيْنُ الْإِلَهِ وَمَا هُنَا شَيْئَانِ^(٣)

أَوْ مَنْ غَدَاً فِي دِينِهِ مُتَحَيِّراً

أَتْبَاعَ كُلِّ مُلَدِّدٍ حَيْرَانَ

وَجُنُودُهُمْ جَبْرِيلُ مَعَ مِيكَالَ مَعَ

بَاقِي الْمَلَائِكَةِ نَاصِرِي الْقُرْآنِ

(١) هؤلاء جنود أهل الباطل الجهمي هو التابع للجهنم بن صفوان الجامع لكل وصف خبيث.

(٢) أهل الاعتزال: أتباع واصل بن عطاء الغرّال المعتزلي سمّوا بالمعتزلة لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصري رحمه الله، ودين المعتزلة نفي الصفات عن الله ونفي القدر وإخراج صاحب الكبيرة من الإسلام.

(٣) من جنودهم الاتحادية الذين يقولون: بوحدة الوجود أتباع ابن عربي وابن سبعين، وأنه لا انقسام في الكون بين الخالق والمخلوق، فكلُّهُ هو الله، تعالى الله عمّا يقولون، هؤلاء جنود أهل الباطل.

وجميعُ رُسُلِ اللَّهِ مِنْ نوحِ إِلَى
 خَيْرِ الْوَرَى الْمَبْعُوثِ مِنْ عَدْنَانِ
 فَالْقَلْبُ خَمْسَتُهُمْ أَوْلُو الْعَزْمِ الْأَوْلَى
 فِي سُورَةِ الشُّورَى أَتَوْا بَيَانِ (١)
 فِي أَوَّلِ الْأَحْزَابِ أَيْضاً ذَكَرَهُمْ
 هُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ إِنْسَانِ
 وَلَوْأُوهُمْ بِيَدِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ
 وَالْكُلُّ تَحْتَ لَوَاءِ ذِي الْفُرْقَانِ (٢)
 وَجَمِيعُ أَصْحَابِ الرَّسُولِ عَصَابَةُ الْ
 إِسْلَامِ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ (٣)

(١) جنودُ أهلِ الحق:

الملائكة ونصَّ على جبريل وميكايل لأنَّهُم رؤساء الملائكة.
 والرسول من نوح عليه السلام إلى محمد عليهم الصلاة والسلام، كلهم
 في صفِّ أهلِ الحق، ومن جنودِ الحق، فمن يُقاوم الملائكة والرسول؟
 والمراد بأهلِ العزم: إبراهيم ومحمد ونوح وموسى وعيسى
 المذكورون في سورة الشورى في قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى
 بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ [الشورى: ١٣]

(٢) كل الرسل تحت لواء محمد ﷺ، لأنَّهُ أفضل الرسل وخاتم النبيين.

(٣) هذا هو الصنف الرابع من صنوف أهلِ الحق وعساكر الإيمان وهم
 صحابة رسول الله، وهم خير الأمة، وهم في المرتبة بعد الأنبياء في
 الفضيلة وقوة الإيمان.

والتابعون لهم بإحسانِ على

طبقاتهم في سائر الأزمان^(١)

أهل الحديث جميعهم وأئمة الـ

فتوى وأهل حقائق العرفان^(٢)

العارفون بربهم ونبئهم

ومراتب الأعمال في الرجحان^(٣)

صوفية سنة نبوية

ليسوا أولي شطح ولا هذيان^(٤)

(١) ومن جنود الحق التابعون الذين هم تلاميذ الصحابة وأتباع التابعين إلى يوم القيامة فهؤلاء هم جنود الحق.

(٢) أهل الحديث الذين اعتنوا بالرواية والأسانيد والفقهاء، وأهل الفتوى وهم المجتهدون.

(٣) فهم يميزون بين الحق والباطل، ويجادلون أهل الباطل عن إيمان وصدق ويقين فمدارهم على الحق.

(٤) قوله: صوفية محلّ نظر، لأنّ نسبة الصوفية لأهل السنة وأهل الحق مطلقاً فيه نظر، لأنّ الصوفية محدثة ليس لها أصل في الدين، ولكنّ الشيخ رحمه الله يقصد الصوفية العبّاد والزّهّاد الذين ليس عندهم شطحات، مثل: إبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وبشر الحافي والجنيّد، هؤلاء عندهم زهد وتقى وعبادة وليس عندهم شطحات مثل صوفية المتأخرين، فهو يقصد الصوفية المعتدلة، وهم الزّهّاد والعبّاد، وليتّه لم يذكر هذه الكلمة لأنّه قد يغتر بها أهل الأهواء ويقولون: أثنى =

هَذَا كَلَامُهُمْ لَدَيْنَا حَاضِرٌ
 مِنْ غَيْرِ مَا كَذِبٍ وَلَا كِتْمَانٍ
 فَاقْبَلْ حِوَالَةَ مَنْ أَحَالَ عَلَيْهِمْ
 هُمْ أَمْلِيَاؤُهُمْ أَوْلُو إِمْكَانٍ (١)
 فَإِذَا بَعَثْنَا غَارَةً مِنْ أُخْرِيَا
 تِ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ بِالْقُرْآنِ
 طَحْتَكُمْ طَحْنَ الرَّحَى لِلْحَبِّ حَتَّى
 تَصِرْتُمْ كَالْبَعْرِ فِي الْقَيْعَانِ (٢)

على الصوفية وهو لا يُريد هذا رحمه الله، فالكلمة إذا صار فيها إجمال =
 وأنها تُستغل فينبغي تجنبها، وأما سنية: فهم من على مذهب أهل السنة،
 ونبوية: يعني أتباع النبي ﷺ، وقوله: «ليسوا أولى شطح ولا هذيان»
 هذا يُفسر قوله: صوفية، بأنهم من ليسوا بأهل الشطحات الذين خرجوا
 عن الحق.

(١) من أحالك على أهل السنة فاقبل الحوالة، لأنها إحالة على مليء وقد
 قال ﷺ: «من أحيل على مليء فليحتل» (*).

(٢) لما ذكر رحمه الله جنود أهل الحق وطبقاتهم وما معهم من السلاح قال
 لأهل الباطل: لو أرسلنا لكم كتية من آخر جيش الإيمان لطحنتكم
 فكيف لو جاءتكم جنود الإسلام كلها ماذا تكونون؟

(* أخرجه أحمد في «المسند» ١٦/٤٧-٤٨ (٩٩٧٣) من حديث أبي هريرة، وهو حديث
 إسناده صحيح على شرط الشيخين.

أَنْتِي يُقَاوِمُ ذِي الْعَسَاكِرِ طَمْطَمٌ
 أَوْ تَنْكَلُوشَا أَوْ أَخُو الْيُونَانِ^(١)
 أَعْنِي أَرِسْطُو عَابِدَ الْأَوْثَانِ أَوْ
 ذَاكَ الْكُفُورَ مُعَلِّمَ الْأَلْحَانِ
 ذَاكَ الْمَعْلَمَ أَوْلَا لِلْحَرْفِ وَالثَّ
 ثَانِي لَصَوْتِ بِنْتِ الْعِلْمَانِ^(٢)
 هَذَا أَسَاسُ الْفُسْقِ وَالْحَرْفُ الَّذِي
 وَضَعُوا أَسَاسَ الْكُفْرِ وَالْهَذْيَانِ^(٣)
 أَوْ ذَلِكَ الْمَخْدُوعَ حَامِلَ رَايَةِ الْ
 إِحَادِ ذَاكَ خَلِيفَةَ الشَّيْطَانِ

(١) هل يُقاوم هذه الجنود من الملائكة والرسل والصحابة والتابعين فيلسوف من الهند اسمه طمطم أو تنكلوش أو فيلسوف من اليونان الذي هو أرسطو مُحدث علم الفلسفة والمنطق وهم مُقدّموكم.

(٢) أرسطو: هو المعلم الأول، لأنّه هو الذي أحدث علم الفلسفة وعلم المنطق، والفارابي: أبو نصر هو المعلم الثاني الذي ورث الفلسفة عن أرسطو، وأحيا هذه الفلسفة، وأضاف إليها علم الموسيقى والنغم والألحان، فهو جمع بين جريمتين: جريمة الفلسفة التي تُفسد العقائد، وجريمة اللهو الذي يُفسد الأخلاق هذه هي جريمة الفارابي وميراثه.

(٣) فالحرف الذي هو الفلسفة والمنطق أساس الكفر، والصوت الذي هو الطرب والألحان أساس الفسق ويُفسد الأخلاق.

أعني ابنَ سينا ذلكَ المحلُولَ مِنْ
أديانِ أهلِ الأرضِ ذا الكُفْرانِ^(١)
وكذا نصيرَ الشريكِ في أتباعِهِ
أعداءِ رُسلِ اللهِ والإيمانِ
نصروا الضلالةَ مِنْ سفاهةِ رأيهِمْ
وغزَوْا جيوشَ الدِّينِ والقرآنِ
فجرى على الإسلامِ مِنْهُمُ مِحْنَةٌ
لم تجرِ قطُّ بسالفِ الأزمانِ^(٢)

(١) هذا ابن سينا الذي يسمونه الرئيس، أبو علي بن سينا، كان أبوه يهودياً، وهو ادّعى الإسلام على طريقة الباطنية فهو إسماعيلي اشتهر بالطب، لكن في العقيدة هو على مذهب الفلاسفة والإسماعيلية، وأراد التقريب بين الإسلام والفلسفة، وهذا من التزوير والإلحاد في دين الله، وكتبه موجودة ومطبوعة ويفتخر بها بعض المنتسبين للإسلام وهي كفرٌ وإلحاد.

(٢) نصير الدين الطوسي المعروف «بالخواجة» شيعي خبيث، وهو الذي جرّ التار على بلاد المسلمين هو وابن العلقمي فتمالاً هذان الشيعةان فجرّوا جيوش التار الملاحدة الوثنيين على بلاد المسلمين، وأسقطوا الخلافة، وقتلوا الخليفة العباسي والمسلمين في بغداد حتى تناثرت الجثث في الشوارع، وأحرقوا الكتب ورموها في نهر دجلة حتى تغير ماء دجلة، ووصلوا إلى مصر، كل هذا بسبب هؤلاء الخبيثاء الذين ادعوا الإسلام وهم من باطنية الشيعة، وهكذا الشيعة دائماً يكونون مع أعداء المسلمين، يكونون مع صفّ أعداء المسلمين ضدّ المسلمين على مدار التاريخ.

أَوْ جَعْدٌ أَوْ جَهْمٌ وَأَتْبَاعٌ لَهُ
هُمُ أُمَّةٌ التَّعْطِيلِ وَالبُّهْتَانِ^(١)
أَوْ حَفْصٌ أَوْ بَشْرٌ أَوْ النَّظَّامُ ذَا
كَ مُقَدِّمُ الفُسَّاقِ وَالمُّجَّانِ^(٢)
وَالجَعْفَرَانِ كَذَاكَ شَيْطَانٌ وَيُودُ
عَى الطَّاقِ لَا حُيِّتَ مِنْ شَيْطَانِ^(٣)
وَكَذَلِكَ الشَّحَامُ وَالعَلَّافُ وَالـ
نَجَّارُ أَهْلِ الجَهْلِ بِالقُرْآنِ^(٤)

(١) الجعد هو ابن درهم الذي أنكر الأسماء والصفات، والجهم بن صفوان تبع الجعد على ضلاله. هؤلاء من عساكر أهل الباطل، فهم أمة تعطيل الأسماء والصفات وتعطيل الخالق سبحانه وتعالى.

(٢) حفص الفرد من أئمة المعتزلة، وكذلك النظام المشهور بالاعتزال وعلم المنطق الذي صاغ علم المنطق ووضع له القواعد والمقدمات فهو من أئمة الفلاسفة والمعتزلة.

(٣) الجعفران: جعفر بن حرب وجعفر بن مبشر وهؤلاء من أئمة المعتزلة، وشيطان الطاق محمد بن علي بن النعمان الشيعي شاعر جمع الشعر والتشيع والإلحاد.

والطاق: اسم موضع في بغداد كان يسكن فيه فأضيف إليه وسُمي بالشیطان لتمرده وعتوه.

(٤) كل هؤلاء من أئمة المعتزلة والجهمية.

والله ما في القومِ شخصٌ رافعٌ

بالوحي رأساً بل برأي فلان^(١)

وخيارٌ عسكرِكُم فذاك الأشدُّ

عربيُّ القرمُ ذاك مُقدّمُ الفرسانِ^(٢)

لكِنِّكُم والله ما أنتم على

إثباتِهِ والحقُّ ذو بُرْهانِ

هو قال إنَّ الله فوقَ العرشِ واسدٌ

تَوَلَّى مقالةً كُلَّ ذي بُهتانِ

في كُتُبِهِ طُراً وَقَرَّرَ قولَ ذي الـ

إثباتِ تقريراً عظيمَ الشانِ^(٣)

(١) ما في هؤلاء من يرفع رأساً بالوحي، وإنما يهتمون بالأدلة العقلية التي يُسمونها يقينية.

(٢) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري نسبة إلى «الأشعر» من اليمن وهو من ذرية أبي موسى الأشعري. كان على مذهب المعتزلة في أول أمره ثم تاب منه واعتنق مذهب الكلائية، ثم تاب منه وانتسب لمذهب أهل السنة، وألّف «الإبانة في أصول الديانة».

(٣) أعلن بأنّه يقول بقول الإمام أحمد في الاستواء على العرش استواءً حقيقياً يليق بجلال الله بمعنى العلو والارتفاع، وقد صرح بذلك في كتابه «الإبانة» وهو مطبوع، وتبرأ من مقالة: استوى بمعنى استولى.

لَكِنَّا كُفِّرْتُمْ أَكْفَرْتُمُوهُ وَقَلْتُمْ

مَنْ قَالَ هَذَا فَهُوَ ذُو كُفْرَانٍ^(١)

فَخِيَارُ عَسَاكِرِكُمْ فَأَنْتُمْ مِنْهُمْ

بُرَاءٌ إِذْ قَرُبُوا مِنَ الْإِيمَانِ^(٢)

هَذِي الْعَسَاكِرُ قَدْ تَلَاقَتْ جَهْرَةً

وَدَنَا الْقِتَالُ وَصِيحَ بِالْأَقْرَانِ^(٣)

صَفُّوا الْجِيُوشَ وَعَبَّئُوهَا وَابْرُزُوا

لِلْحَرْبِ وَاقْتَرَبُوا مِنَ الْفَرَسَانِ

فَهَمُّ إِلَى لُقْيَاكُمْ بِالشُّوقِ كِي

يُوفُوا بِنَذْرِهِمْ مِنَ الْقُرْبَانِ^(٤)

(١) يعني كفرتم إمامكم أيها الأشاعرة لأنكم تقولون: من قال بإثبات استواء الله على عرشه فهو مُجَسِّمٌ كافر، فمعنى هذا أنكم حكمتكم على إمامكم بالكفر لأنه يقول هذا.

(٢) خيارُ عسكركم وهو أبو الحسن الأشعري قد تبرأتم منه لتوبته ورجوعه لمذهب أهل السنة.

(٣) هذه عساكر الموحدين وعساكر الملحدين قد التحمت وصيح بالأقران للقتال.

(٤) أهل السنة يشاققون إلى لقاء هؤلاء ليدحضوا ما عندهم من الباطل، ويردوا على ما عندهم من الشبه، حيث إنهم نذروا الله أن يتقربوا إليه بقتالكم، بإبطال حججكم وشبهاتكم.

وَلَهُمْ إِلَيْكُمْ شَوْقٌ ذِي قَرَمٍ فَمَا
 يَشْفِيهِ غَيْرُ مَوَائِدِ اللَّحْمَانِ (١)
 تَبَّأَ لَكُمْ لَوْ تَعْقِلُونَ لَكُنْتُمْ
 خَلْفَ الْخُدُورِ كَأَضْعَفِ النَّسْوَانِ (٢)
 مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ وَالْحَدِيثُ وَأَهْلُهُ
 وَالْوَحْيُ وَالْمَعْقُولُ بِالْبِرْهَانِ (٣)
 مَا عِنْدَكُمْ إِلَّا الدَّعَاوَى وَالشُّكَا
 وَئِي أَوْ شَهَادَاتٌ عَلَى الْبُهْتَانِ (٤)
 هَذَا الَّذِي وَاللَّهِ نَلْنَا مِنْكُمْ
 فِي الْحَرْبِ إِذْ يَتَقَابَلُ الصَّفَّانِ

- (١) القَرَمُ بفتح الراء هو شهوة أكل اللحم، فيهم قرم عليكم مثل قرم الذي يشتهي اللحم فهم أهل شجاعة وثبات ليسوا جبناء، فشبّه حرص أهل الحق على ملاقاته أهل الباطل بحالة من فيه قَرَمٌ للحم.
- (٢) لو تعقلون حالكم وما أنتم عليه من الباطل وسلاحكم الفاسد وتأملتكم في جنودكم من هم؟ لتخلفتم وراء الستور مثل النساء، بل أنتم أذل من النساء لأنه ليس معكم سلاح.
- (٣) أنتم بعيدون من كتاب الله وسنة رسوله والعقل الذي تعتمدون عليه وهو العقل الصحيح ضدكم.
- (٤) ما عندكم إلا هذه الأمور: إما دعاوى باطلة أو شهادات مزيفة أو الشكايات لأهل السلطة كما حصل للمأمون مع الإمام أحمد بسبب وشاية المعتزلة له.

والله ما جئتم بقال الله أو

قال الرسول ونحن في الميدان

إلا بجعجعة وفرقعة وغم

غمّة وقعّعة بكلّ لسان^(١)

ويحقّ ذاك لكم وأنتم أهلّه

أنتم بحاصليكم أولوا عرفان^(٢)

وبحقّكم تحموا مناصبكم وأن

تحموا ماكلكم بكلّ سنان^(٣)

وبحقنا نحمي الهدى ونذب عن

سنن الرسول ومقتضى القرآن^(٤)

(١) كل ما تدلون به علينا ليس فيه قرآن ولا سنة، وإنما هو دعاوى مالها أساس من الحق، فليس عندكم إلا التهويلات والإرجافات وكلام فيه تخويف وتهديد، وهو إذا تأمله العاقل والمنصف وجدّه لا شيء، وهذا مثال الباطل.

(٢) ويحقّ لكم هذه المهانة وهذه الذلة وأنتم أهلها لأنكم عاديتم كتاب الله وسنة رسوله وأهل الحق، فيحقّ لكم هذا الهوان والخذلان والفضائح.

(٣) تريدون أن تحموا مناصبكم من الوزارة والقضاء والوظائف التي أنتم عليها ولو بالباطل.

(٤) أمّا نحن فلننا نظر إلى المناصب ولا الوظائف ولا المآكل والمشرب بل ننظر لنصرة الحق.

قَبَحَ الْإِلَهَ مُنَاصِباً وَمَأْكِلاً

قَامَتْ عَلَى الْعُدْوَانِ وَالطُّغْيَانِ^(١)

وَاللَّهِ لَوْ جِئْتُمْ بِقَالَ اللَّهُ أَوْ

قَالَ الرَّسُولُ كَفَعَلِ ذِي الْإِيمَانِ

كُنَّا لَكُمْ شَاوِيشَ تَعْظِيمٍ وَإِجْ

لَالٍ كَشَاوِيشِ لَذِي سُلْطَانِ^(٢)

لَكِنْ هَجَرْتُمْ ذَا وَجِئْتُمْ بِدَعَاةٍ

وَأَرَدْتُمْ التَّعْظِيمَ بِالْبَهْتَانِ^(٣)

* * *

(١) هذه المناصب والمآكل والمشارب تذهب سُدى ولا تنفع أهلها بخلاف الحق فإنه سيقى وينتصر في النهاية، لكن هذا يحتاج إلى يقين وصبر كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايِنَتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين» أخذاً من هذه الآية.

(٢) لو جئتم بالكتاب والسنة لصرنا جنوداً وخدماء لكم، لأنَّ صاحب الحق يريد الحق مع من كان، وهذا هو الإنصاف.

(٣) أخذتم بالبدعة ولم تأخذوا بالكتاب والسنة، ما أردتم الحق وإنما أردتم طمع الدنيا.

فصل

العلمُ قال اللهُ قالُ رسولُهُ
قال الصحابةُ هُمُ أولُو العِرفانِ
ما العلمُ نَصَبَكَ للخِلافِ سِفاهةً
يَبَيِّنُ الرِسالِ وَيَبَيِّنُ رَأْيَ فُلانٍ^(١)

(١) لما ذكر الشيخ رحمه الله في الفصول السابقة ما حصل بين أهل السنة ومخالفهم من الحرب والجهاد باللسان وإقامة الحجّة والبُرهان، أراد أن يُبيِّن في هذا الفصل ما هو العلم الذي يجب أن يُتعلَّم وأن يُردَّ به على الخصوم، لأنَّ كلاً يدعي أنَّه على علم فما هو الفصل في ذلك؟ فالعلم ما جاء في القرآن والسنة وما جاء عن الصحابة، لأنَّهم تلاميذ الرسول، وقرنهم خير القرون، وأقرب إلى فهم كلام الله ورسوله، فهم أهل العلم والفقه، فهذه المصادر الثلاثة هي مصادر العلم: الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، وأمَّا مَنْ بعدَ الصحابة فإنَّه لا يؤخذ بقوله إلاَّ إذا وافق هذه الثلاثة الكتاب والسنة أو قول الصحابة.

وقوله: «ما العلم نصبك للخلاف سفاهةً»: «ما» نافية تعمل عمل «ليس» ترفع الاسم وتنصب الخبر، والعلمُ: اسمها ونصبك خبرها منصوب، والمراد: ليس العلم نصبك للخلاف تجعله في مقابل قول الرسول، فلا قول لأحد مع قول الرسول ﷺ، ولهذا يقول ابن عباس لَمَّا احتجوا عليه بقول أبي بكر وعمر في فسح الحج إلى العمرة: «أقول لكم قال رسول الله وتقولون قال أبو بكر وعمر يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء» وهذا مجمع عليه بين أهل العلم، ويقول الشافعي رحمه الله: «أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة الرسول ﷺ لم يكن له ليدعها لقول أحد».

كَلًّا وَلَا جَحْدُ الصِّفَاتِ لِرَبِّنَا

فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ وَالسَّبْحَانِ (١)

كَلًّا وَلَا نَفْيُ الْعُلُوقِ لِفَاطِرِ الْ

أَكْوَانِ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ

كَلًّا وَلَا عَزْلُ النُّصُوصِ وَأَنَّهَا

لَيْسَتْ تَفِيدُ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ (٢)

إِذْ لَا تُفِيدُكُمْ يَقِينًا لَا وَلَا

عِلْمًا فَقَدْ عَزَلَتْ عَنِ الْإِيْقَانِ

وَالْعِلْمُ عِنْدَكُمْ يُنَالُ بِغَيْرِهَا

بِزْبَالَةِ الْأَفْكَارِ وَالْأَذْهَانِ (٣)

(١) كذلك العلم: إثبات ما أثبتته الله لنفسه وما أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، فليس العلم نفي الصفات كما عليه المعطلة لأجل التنزيه لله تعالى بزعمهم، ولأنهم بنوا قواعدهم على علم المنطق والكلام.

(٢) من جهلهم قولهم: إنَّ نصوص الوحي لا تُفيد اليقين، ويسمونها أدلة ظنية، أمَّا قواعد الكلام فهي يقينية لأنَّ العقل دَلٌّ عليها، فنحن نعكس عليهم قولهم ونقول: الأصل هو النقل، والعقل إذا وافق النقل فيؤخذ به، وأمَّا إذا خالف النقل فيضرب به عرض الحائط، مع العلم بأنَّ العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح.

(٣) القواعد التي تسمونها عقليات، هي زبالة أفكار وأذهان قالها فلان وفلان فهي مثل قمامة الحشوش الوسخة. هذه هي علومهم.

سَمِّتُمُوهُ قَوَاطِعاً عَقْلِيَّةً

تَنْفِي الظواهرِ حَامِلَاتٍ مَعَانٍ^(١)

كَلًّا وَلَا إِحْصَاءَ آرَاءِ الرَّجَا

لِ وَضَبْطُهَا بِالْحَضْرِ وَالْحُسْبَانِ^(٢)

كَلًّا وَلَا التَّأْوِيلُ وَالتَّبْدِيلُ وَالتَّ

تَحْرِيفُ لِلوَحْيَيْنِ بِالْبُهْتَانِ^(٣)

كَلًّا وَلَا الإِشْكَالُ وَالتَّشْكِكُ وَالتَّ

وَقُفُّ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ عِرْفَانٍ^(٤)

(١) سميت العقليات قواطع يقينية، وسميت النصوص ظواهر ظنية، فلأجل ذلك قدّمتم العقل، والعكس هو الصحيح.

(٢) كلاً وليس العلم أنك تقرأ وتحفظ آراء الرجال وكلام الفقهاء وعلماء المنطق والجدل، فالعلم أنك تحفظ ما جاء في الكتاب والسنة وآراء الصحابة وتمشي عليها هذا هو العلم.

(٣) كلاً وليس العلم هو التأويل، وهو صرف اللفظ عن معناه الصحيح إلى معنى آخر، أو تفوض النصوص إلى الله وتجعلها كالكلام الأعجمي الذي تُقرأ حروفه ولا يُعرف معناه، بل العلم إبقاء النصوص على ظاهرها وعدم تأويلها أو تحريفها. هذا هو العلم الذي كان عليه سلف الأمة.

(٤) كلاً وليس العلم هو التشكيك وإيراد الاحتمالات، وأن هذه الآية يرد عليها كذا وكذا من الاحتمالات فأيتها المقصود؟ كما يفعل الرازي في تفسيره الذي سماه «مفاتيح الغيب» فلم يُنزل الله الكتاب والسنة للاحتتمالات والألغاز والأحاجي وإنما أنزلهما للهداية والبيان.

هذي عُلُومُكُمْ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا

عَادَيْتُمُونَا يَا أُولِي الْعِرْفَانِ (١)

* * *

(١) هذه علومكم التي هي تقديم العقل على النقل وتأويل النصوص عن
 ظاهرها أو التوقف فيها والتفويض، فعلمكم هي الحيرة والاضطراب
 وإيراد الاحتمالات الكثيرة على الآية أو على الحديث.

فصل

في عقد الهدنة والأمان الواقع بين المُعطلَّة

وأهل الإلحاد حزب جنكيزخان^(١)

يا قَوْمُ صالحَتُمُ نُفَاةَ الذَّاتِ وَالْ

أوصافِ صُلْحاً مُوجِباً لِأَمَانِ^(٢)

وَأَغْرُتُمُ وَهَنَاءَ عَلَيْهِمُ غَارَةً

فَعَقَعْتُمُ فِيهَا لَهُمُ بِشْنَانِ^(٣)

(١) جنكيزخان: هو قائد التتار الذين داهموا بلاد المسلمين في أيام خلفاء بني العباس بمشورة ابن العلقمي ونصير الكفر الطوسي الشيعيين اللذين جلبا جيوش التتار على بلاد المسلمين، لَمَّا جاء هؤلاء بالجيش الجَرَّار الفَتَّاك، ما وقف في نُحورهم إلاَّ أهلُ السنة والاسلاطين الذين استقاموا على الدين، مثل قُطز وغيره الذين قاوموا التتار بمساندة من أهل العلم، فلما جاءت هذه المحنة ما ثبت إلاَّ أهلُ الحق لأنَّهُم بنوا إيمانهم على أساسٍ صحيح.

(٢) وصالحتم جيوش التتار الذين لا يؤمنون بالله عزَّ وجل.

(٣) لَمَّا أردتم أن تُقاوموهم ما استطعتم أن تقفوا على أقدامكم وإنما هي قعقة شيء لا حقيقة له، لأنَّهُ ليس معكم سلاح من العلم والحُجة تقفون به في نُحور هؤلاء.

ما كان فيها من قتيلى منهم
 كلاً ولا فيها أسير عان^(١)
 ولطفتم في القول أو صانعتم
 وأتيتم في بحثكم بدهان^(٢)
 وجلستم معهم مجالسكم مع الـ
 أستاذ بالآداب والميزان^(٣)
 وضرعتم للقوم كل ضراعة
 حتى أعاروكم سلاح الجاني^(٤)
 فعزوتهم بسلاحهم لعساكر الـ
 إثبات والآثار والقُرآن^(٥)

(١) ولذلك ما أسر من هؤلاء المعطلة واحد، ولا قُتل واحد، لأنهم لم يُقاوموا، لأنَّ القتل صار في أهل السنة، ولكن ما ضرَّ أهل السنة كثرة ما قُتل منهم بل صارت العاقبة لهم.

(٢) داهنتم جنكيزخان وشيعته، ولذلك ما أصابكم شيءٌ منهم، لأنكم ليس لكم قيمة، وإنما الابتلاء كان لأهل السنة والجماعة، وهذه سنة الله تعالى، فكانت لهم العاقبة وكان الخزي والعار على هؤلاء المُعطلة النفاة.

(٣) خضعتهم لهم خضوعاً تاماً كخضوع التلميذ لمُدْرِسِهِ، تتلقون عنهم العلوم والمعارف خشيةً من بطشهم.

(٤) حتى أعطوكم من مذهبهم ومن منهجهم الذي سرتهم عليه فأنستهم عليه منهجكم.

(٥) استعملتم سلاح التثار وجعلتموه ضدَّ أهل السنة فصرتم عبئاً على أهل السنة.

ولأجلِ ذَا صَانَعْتُمُوهُمْ عِنْدَ حَزْرٍ
بِكُمْ لَهُمْ بِاللُّطْفِ وَالإِذْعَانِ
ولأجلِ ذَا كَتَمْتُمْ مَخَانِيثاً لَهُمْ
لَمْ تَنْفَتِحْ مِنْكُمْ لَهُمْ عَيْنَانِ^(١)
حَذراً مِنْ اسْتِرْجَاعِهِمْ لِسَلاحِهِمْ
فَتُرُونَ بَعْدَ السُّلْبِ كَالنُّسْوَانِ^(٢)
وَبَحَثْتُمْ مَعَ صَاحِبِ الإِثْبَاتِ بِالتَّ
تَكْفِيرِ وَالتَّضْلِيلِ وَالعُدْوَانِ^(٣)

(١) المخانيث في اللغة جمع مُخَنَّث من الانخناث وهو التثني والتكسر، والمخنث من يشبه بالنساء في الائتناء والتكسر والكلام، والخنثى المشكل: هو الذي لا يُدرى أذكرٌ هو أم أنثى، ولذلك فهؤلاء مخانيث لا يُدرى أمرهم هل هم مسلمون أم ليسوا بمسلمين، جمعوا بين الوصفين، يُمالئون التتار ويأخذون بمذهبهم ويتسبون للإسلام، فهم صاروا مثل الخنثى المشكل فليسوا مع المسلمين ولا مع التتار.

(٢) ما معكم إلا سلاحهم فلذلك استسلمتم لأنكم تخشون أن يسحبوا سلاحهم منكم، ويسترجعوا كتبهم، ولا يبقى لكم شيء.

(٣) وصفتم أهل السنة الذين يُبْتون الأسماء والصفات بالتضليل والتكفير، وموقفكم من أعداء الإسلام المداهنة والمصانعة والتأثر بهم وعدم مقاومتهم، وهكذا عند المحن والشدائد لا يثبت إلا أهل الحق، أما أهل الضلال فإنهم لا يثبتون عند الفتن والمصائب، لأنهم ليس لهم موقف ثابت، ويغلب عليهم النفاق، لأنهم يريدون العيش مع الغالب.

وَقَلْبُكُمْ ظَهَرَ الْمَجَنُّ لَهٗ وَأَجْرُ

لَبْتُكُمْ عَلَيْهِ بِعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ (١)

والله هذي ريبه لا يختفي

مضمونها إلا على الثيران (٢)

هذا وبينهما أشد تفاوت

فتان في الرحمن يختصمان (٣)

هذا نفي ذات الإله ووصفه

نفياً صريحاً ليس بالكتمان

(١) المجن: هو الشيء الذي يجتن به المقاتل دون السلاح ويشبه الترس، فيقول: قلبتم ظهر المجن فبدلاً من أن تستعملوه ضد الكفار جعلتموه ضد المسلمين.

(٢) فأنتم مثلها بل الثيران أحسن منكم، لأن الثيران ليس فيها شر، وهي حيوانات أدت وظيفتها في هذه الحياة وليس فيها شر بل فيها نفع، أما أنتم فلا نفع فيكم ولا خير فيكم.

(٣) بين أهل السنة وأهل التعطيل تفاوت، وهم خصمان كما في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا نِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَيْبٍ فَأَلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ [الحج: ١٩]. إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [الحج: ٢٣] هذا مصير الخصمين إلى النار أو إلى الجنة.

لكنَّ ذَا وَصَفَ الْإِلَهَ بِكُلِّ أَوْ

صَافِ الْكَمَالِ الْمُطْلَقِ الرَّبَّانِي^(١)

وَنَفَى النِّقَائِصَ وَالْعُيُوبَ كَنَفِيهِ التَّ

تَشْبِيهِةً لِلرَّحْمَنِ بِالْإِنْسَانِ^(٢)

فَلَأَيِّ شَيْءٍ كَانَ حَرْبُكُمْ لَهُ

بِالْحَدِّ دُونَ مُعْطَلِ الرَّحْمَنِ

قَلْنَا نَعْمَ هَذَا الْمُجَسِّمُ كَافِرٌ

أَفْكَانَ ذَلِكَ كَامِلَ الْإِيمَانِ^(٣)

لَا تَنْطَفِي نِيرَانُ غَيْظِكُمْ عَلَيَّ

هَذَا الْمُجَسِّمِ يَا أُولِي النِّيَرَانِ

فَاللَّهُ يُوقِدُهَا وَيُضْلِي حَرَّهَا

يَوْمَ الْحِسَابِ مُحَرِّفَ الْقُرْآنِ

(١) خصمٌ نفى أوصاف الرب وأسماءه ووصفه بالنقائص والعيوب وهم المعطلة

وخصمٌ أثبت ما أثبتته الله لنفسه ونزَّهه عمَّا لا يليقُ به وهم أهل السنة؟

(٢) فأهل السنة يشبتون الأسماء والصفات وينفون عنها التشبيه، فهم ينزهون

الله تعالى لكن من غير تعطيل.

(٣) تقولون: إن المتمسك بالسنة مُجَسِّمٌ، لأنَّ السنة تدلُّ على التجسيم وهو

كفر، ولذلك كفرتم أهل السنة لأنَّهم مُجَسِّمَةٌ. ويكفي تصوُّر هذا القول

في قُبْحِهِ وَبُعْدِهِ عَنِ الْحَقِّ.

يا قومنا لقد ارتكبتم خطئة

لم يرتكبها قط ذو عرفان^(١)

وأعدتكم أعداءكم بوفائكم

لهم على شيء من البطلان

أخذوا نواصيكم بها ولحاكم

فعدت تجرؤ بذلة وهوان^(٢)

قلتم بقولهم ورؤيتهم كسرهم

أنى وقد غلقوا لكم برهان^(٣)

وكسرتهم الباب الذي من خلفه

أعداء رُسُلِ الله والإيمان^(٤)

(١) ارتكبتم مع أهل السنة خطئة لم يرتكبها إنسان عارف وإنما يرتكبها الجاهل والأحمق، لأنه يجب الإنصاف حتى مع العدو فلا تجور عليه وتقول ما لم يقل وأنتم خالفتهم ذلك.

(٢) أصبحتم تبعاً للتتار يجزونكم بلحاكم وبرؤوسكم ولا تستطيعون الفكاك منهم، لأنكم استسلمتم لهم، ونسيتم كتاب الله وسنة رسوله، ولذلك استدلوكم واستبعدوكم، وهذه عاقبة من أعرض عن الكتاب والسنة وأخذ بأقوال الناس.

(٣) هم أخذوا عليكم رهوناً، يعني ليس لكم منهم خلاص.

(٤) دون الفتنة باب مغلق، فإذا كسر الباب جاءت الفتنة، فيجب على المسلمين أن يبقوا هذا الباب مغلقاً، ويحذروا من فتحه، فإنه إذا فتح هذا الباب، جاءتهم الفتنة من كل صوب، وهذا الباب هو الكتاب والسنة، =

فَأَتَى عَدُوَّ مَا لَكُمْ بِقِتَالِهِمْ
وَبِحَرْبِهِمْ أَبَدَ الزَّمَانِ يَدَانِ
فَعَدَوْتُمْ أُسْرَى لَهُمْ بِجِبَالِهِمْ
أَيْدِيكُمْ شُدَّتْ إِلَى الْأَذْقَانِ
حَمَلُوا عَلَيْكُمْ كَالسَّبَاعِ اسْتَقْبَلَتْ
حُمْرًا مُعَقَّرَةً ذَوِي أَرْسَانِ^(١)
صَالُوا عَلَيْكُمْ بِالذِّي صَلُّتُمْ بِهِ
أَنْتُمْ عَلَيْنَا صَوْلَةَ الْفَرْسَانِ^(٢)
لَوْلَا تَحْيُزُكُمْ إِلَيْنَا كَتُّمُ
وَسَطَ الْعَرِينِ مُمَزَّقِي اللَّحْمَانِ^(٣)
لَكِنْ بِنَا اسْتَنْصَرْتُمْ وَبِقَوْلِنَا
صَلُّتُمْ عَلَيْهِمْ صَوْلَةَ الشُّجْعَانِ
وَالْيَتِيمِ الْإِثْبَاتِ إِذْ صَلُّتُمْ بِهِ
وَعَزَلْتُمْ التَّعْطِيلَ عَزَلَ مَهَّانِ

= وما يقف في وجوه الكفار والمعاندين إلا كتاب الله وسنة رسوله أي،
التمسك بهما وبما جاء به.

(١) انهذ التار عليكم كهذ السباع على الحمير المقطعة أرجلها فإنها لا
تستطيع الهرب ولا الدفاع فأنتم مثلها.

(٢) هذه عقوبة سلط الله عليكم أهل الباطل لما صلتم على أهل الحق فلم
تستطيعوا ردّهم عقوبة لكم.

(٣) لم ينج منكم إلا من انحاز إلى أهل السنة مثل أبي الحسن الأشعري.

وَأَتَيْتُمْ تَغْزُونََنَا بِسَرِيَّةٍ

مِنْ عَسْكَرِ التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ

مَنْ ذَا بِحَقِّ اللَّهِ أَجْهَلُ مِنْكُمْ

وَأَحَقُّنَا بِالْجَهْلِ وَالْعُدْوَانِ

تَاللَّهِ مَا يَدْرِي الْفَتَى بِمُصَابِهِ

وَالْقَلْبُ تَحْتَ الْحَتْمِ وَالْخِذْلَانِ

* * *

فصل

في مصارع النفاة والمعتلين بأسنة
أمرء الإثبات الموحدين^(١)

وإذا أردتَ مصارعَ مَنْ خلا
مِنْ أُمَّةِ التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ
وَتَرَاهُمْ أُسْرَى حَقِيرٌ شَأْنُهُمْ
أَيْدِيَهُمْ غُلَّتْ إِلَى الْأَذْقَانِ
وَتَرَاهُمْ تَحْتَ الرَّمَاكِ دَرِيئَةً
مَا فِيهِمْ مِنْ فَارِسٍ طَعَّانِ
وَتَرَاهُمْ تَحْتَ السِّيُوفِ تَنُوشُهُمْ
مِنْ عَنِّ شَمَائِلِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِ
وَتَرَاهُمْ انْسَلَخُوا مِنَ الْوَحْيَيْنِ وَالْ
عَقْلِ الصَّحِيحِ وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ^(٢)

(١) لما ذكر موقف أهل التعطيل من أعداء الإسلام، وأنهم تمالؤوا معهم، وملكوهم نواصيهم، ولم يستطيعوا مقاومتهم، ذكر موقف أهل الحق من هذه الفئة، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ذكره وأثنى عليه وذكر مؤلفاته في هذا الفصل.

(٢) فلا هم اتبعوا العقل الصريح ولا النقل الصحيح فصاروا منسلخين من هذا وهذا.

وَتَرَاهُمْ وَاللَّهِ ضُحْكَةً سَاخِرٍ
 وَلَطَّالِمًا سَاخِرُوا مِنَ الْإِيمَانِ
 قَدْ أَوْحِشَتْ مِنْهُمْ رُبُوعٌ زَادَهَا أَلٌ
 جَبَّارٌ يُحَاشَى مِنَ الْأَزْمَانِ
 وَخَلَّتْ دِيَارُهُمْ وَشُتَّتْ شَمْلُهُمْ
 مَا فِيهِمْ رَجُلَانِ مُجْتَمِعَانِ^(١)
 قَدْ عَطَّلَ الرَّحْمَنُ أَفْتِدَةً لَهُمْ
 مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَمِنْ إِيْمَانِ
 إِذْ عَطَّلُوا الرَّحْمَنَ مِنْ أَوْصَافِهِ
 وَالْعَرْشَ أَخْلَوْهُ مِنَ الرَّحْمَنِ
 بَلْ عَطَّلُوهُ عَنِ الْكَلَامِ وَعَنِ صِفَا
 تِ كَمَالِهِ بِالْجَهْلِ وَالْبُهْتَانِ^(٢)
 فَاقْرَأْ تَصَانِيفَ الْإِمَامِ حَقِيقَةً
 شَيْخِ الْوُجُودِ الْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ

(١) سَلَّطَ اللَّهُ الْخِلَافَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَلِذَلِكَ تَفَرَّقُوا إِلَى شِيْعٍ وَأَحْزَابٍ، وَهَذَا مِنَ الْعَقُوبَةِ بِخِلَافِ أَهْلِ السَّنَةِ فَإِنَّهُمْ جَمَاعَةٌ وَاحِدَةٌ مُتَنَاصِرُونَ وَمُتَعَاضِدُونَ يَتَحَابُّونَ وَيَتَعَاوَنُونَ، لِأَنَّهُمْ يَعْتَمِدُونَ عَلَى الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ.

(٢) الْجِزَاءُ مِنَ جِنْسِ الْعَمَلِ، لَمَّا عَطَّلُوا الرَّحْمَنَ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ عَطَّلَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ مِنَ الْفَهْمِ وَالْإِدْرَاكِ جِزَاءً لَهُمْ.

أعني أبا العباس أحمدَ ذلك الـ

بحرَ المحيطِ بسائرِ الخُلجانِ^(١)

واقراً كتابَ العقلِ والنقلِ الذي

ما في الوجودِ لَهُ نظيرٌ ثانٍ^(٢)

وكذاك منهاجٌ له في رَدِّهِ

قَوْلَ الروافضِ شِيعَةِ الشيطانِ^(٣)

(١) من أعظم من قام في وجوه التنازع والفرق الضالة: شيخ الإسلام ابن تيمية فقد قاوم الجهمية والمعتزلة والصوفية والشيعة وعلماء الكلام، وألّف في ذلك المؤلفات التي أصبحت ثروة للإسلام والمسلمين.

(٢) من أعظم مؤلفات شيخ الإسلام: كتاب «العقل والنقل» الذي طُبِعَ باسم «درء تعارض العقل والنقل» والذي حققه الدكتور محمد رشاد سالم رحمه الله، وقوله: «ما في الوجود له نظيرٌ ثانٍ» يعني من الكتب المؤلّفة في هذا الباب، لأنّه بيّن أشياء لم يُبينها أحدٌ مثله.

(٣) وهو كتاب «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية» وهو مطبوع بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، وهو ردٌّ على الشيعة الجعفرية والقدرية المعتزلة، لأنّ الشيعة الجعفرية تتلمذوا على المعتزلة فجمعوا بين التشيع والاعتزال، فلذلك ردّ عليهم في هذا الكتاب، وهو ردّ على كتاب «منهاج الكرامة في إثبات الإمامة» لصفى الدين ابن المطهر الحلي الرافضي الذي يزعم أنه يثبت فيه إمامة الأئمة الاثني عشر فردّ عليه هذا الحبر شيخ الإسلام في هذا الكتاب، ولذلك لا شيء أشد على الشيعة من هذا الكتاب «منهاج السنة» لأنّه قضى على حُججهم وأحرقها إحراقاً.

وكذاك أهل الإعتزال فإنه

أرداهم في حفرة الجبان

وكذلك التأسيس أصبح نقضه

أعجوبة للعالم الرباني (١)

وكذاك أجوبة له مضرية

في ست أسفار كتبتن سمان (٢)

وكذا جواب للنصارى فيه ما

يشفي الصدور وإنه سفران (٣)

وكذاك شرح عقيدة لأصبها

ني شارح المحصول شرح بيان

(١) الكتاب الثالث لشيخ الإسلام: «نقض التأسيس» أي تأسيس التقديس وهو كتاب للفخر الرازي يذكر فيه الأدلة العقلية في إثبات العقيدة فجاه الشيخ فنقضه بهذا الكتاب وسماه «نقض التأسيس» ويسمى «بيان تلبس الجهمية» وهو تحت الطبع وهو يزيد على عشرة مجلدات، وقد حققه جماعة من طلاب العلم في جامعة الإمام.

(٢) وهي المسماة «الفتاوى المصرية» طبعت في خمسة مجلدات وقد جمعت فتاواه الآن وطبعت في خمسة وثلاثين مجلداً، جمعها الشيخ عبد الرحمن ابن القاسم وابنه محمد رحمهما الله تعالى.

(٣) ومن أعيان كتبه العظيمة كتابه في الرد على النصارى وهو «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» وقد طبع محققاً في ثمانية مجلدات رد فيها شبهات النصارى التي يستدلون بها على صحة مذهبهم وما هم عليه.

فيها النُّبُوءَاتُ التي إثباتُها
 في غايةِ التَّقريرِ والتَّبيانِ
 واللهِ ما لأوليِّ الكلامِ نَظيرُهُ
 أبداً وَكُتِبَهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ
 وكذا حَدُوثُ العالَمِ العُلويِّ والسُّ
 سْفَلِيِّ فِيهِ فِي أتمِّ بَيانٍ (١)
 وكذا قِوَاعِدُ الاستِقَامَةِ إنْهَا
 سِفْرانِ فِيمَا بَيْنَنَا ضَخْمانِ (٢)
 وَقَرَأْتُ أَكْثَرَهَا عَلَيْهِ فزادني
 واللهِ فِي عِلْمٍ وَفِي إيمانِ
 هَذَا وَلَوْ حَدَّثْتُ نَفْسِي أَنَّهُ
 قَبْلِي يَمُوتُ لَكَانَ غَيْرُ الشَّانِ (٣)

(١) كذلك من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله «شرح العقيدة الأصبهانية».

(٢) كذلك من مؤلفات شيخ الإسلام العظيم كتابه «الاستقامة» وهو كتاب فيه الرد على الصوفية وشطحاتهم خصوصاً «القشيري» إمام الصوفية، وقد طبع بتحقيق محمد رشاد سالم رحمه الله.

(٣) يقول ابن القيم إنه قرأ هذه الكتب أو أكثرها على مؤلفها شيخ الإسلام فيبينها له فزاده هذا في العلم وفي الإيمان، يقول: ولو كنت أظن أنه سيموت قبلي لأكملت هذه الكتب عليه قبل أن يموت.

وكذلك توحيدُ الفلاسفةِ الأولى
توحيدُهُم هو غايةُ الكُفرانِ
سِفْرٌ لطيفٌ فيه نقضُ أصولِهِم
بحقيقةِ المعقولِ والبُرهانِ^(١)
وكذلكِ تَسعِينِيَّةٌ فيها لَهُ
رَدٌّ على مَنْ قال بالنَّفْسَانِي
تَسْعُونَ وَجهاً بَيَّنَّتْ بطلانَهُ
أعني كلامَ النفسِ ذا الوِحْدانِ^(٢)
وكذا قواعدُ الكبارِ وإنَّها
أوفى من المثمينِ في الحُسبانِ

(١) كذلك الكتب التي رد فيها على الفلاسفة كابن سينا وغيره وهي كتب كثيرة ومشهورة.

(٢) وكذلك رده على الأشاعرة الذين يقولون: إنَّ كلامَ الله تعالى هو معنى قائمٌ بالنفس، وأمَّا ألفاظُهُ فهي من تعبير جبريل أو الرسول ﷺ، فالمعنى غير مخلوق وأمَّا اللفظ والحروف فهي مخلوقة، فهم جمعوا بين حقِّ وباطل، فلا هم بالذين صاروا مع أهل السنة فقالوا: هو كلام الله حروفُهُ ومعانيه، منزلة غير مملوكة ولا هم أخذوا مذهب الجهمية والمعتزلة وقالوا: إنَّه مخلوق حروفه ومعانيه فجعلوا القرآن قسمين: قسمٌ مخلوق، وقسمٌ غير مخلوق، فأبطل رحمه الله قولهم بالكلام النفساني من تسعين وجهاً، ولذلك سميت هذه الرسالة بالتسعينية، لأنَّها تتكوَّن من تسعين وجهاً في ردِّ قول من قال: بالكلام النفساني لله عزَّ وجل وهو قول الأشاعرة.

لم يَتَّسِعْ نَظْمِي لَهَا فَاسْؤُقْهَا
 فَأَشْرْتُ بَعْضَ إِشَارَةِ لِييَانِ^(١)
 وَكَذَا رَسَائِلُهُ إِلَى الْبُلْدَانِ وَالْ
 أَطْرَافِ وَالْأَصْحَابِ وَالْإِخْوَانِ
 هِيَ فِي الْوَرَى مَبْثُوثَةٌ مَعْلُومَةٌ
 تُبْتِغَى بِالْغَالِي مِنَ الْأَثْمَانِ^(٢)
 وَكَذَا فَتَاوَاهُ فَأَخْبَرَنِي الَّذِي
 أَضْحَى عَلَيْهَا دَائِمَ الطَّوْفَانِ
 بَلِغَ الَّذِي أَلْفَاهُ مِنْهَا عِدَّةَ الـ
 أَيَّامٍ مِنْ شَهْرِ بِلَا نُقْصَانِ^(٣)

(١) لا يوجد كتاب له بهذا الاسم لكن لعلها موجودة متفرقة في مؤلفاته مثل: قاعدة جليلة في التوسُّل والوسيلة، وقاعدة في الكرامات والمعجزات، وقاعدة في المحبة، فهي ماثوتة في كتبه رحمه الله، ومؤلَّفات شيخ الإسلام لم يتسع هذا النظم لسردها لكن يُشير إليها إشارات.

(٢) كذلك من مؤلفاته: الرسائل التي كان يرسلها إلى إخوانه وتلاميذه وإلى السائلين الذين يسألونه مثل: الرسالة الواسطية، والحموية، والتدمرية، فهذه مسائل يُسأل عنها ويكتب جواباً عليها ويأتي الجواب في رسالة مستقلة، وهذه الرسائل فيها تأصيل الاعتقاد والرد على المخالفين.

(٣) يعني بلغت فتاواه ثلاثين مجلداً ضخماً، وهي الآن في مجموع جمعه الشيخ عبد الرحمن القاسم رحمه الله في خمسة وثلاثين مجلداً ضخماً، وبقي منها أشياء لا تزال تظهر بين الحين والآخر، والشيخ ذكر منها ثلاثين مجلداً عدد أيام الشهر الوافي.

سَفَرٌ يُقَابِلُ كُلَّ يَوْمٍ وَالَّذِي

قد فاتني منها بلا حُسابٍ (١)

هذا وليس يُقَصِّرُ التفسيرُ عن

عَشْرِ كِبَارٍ لَيْسَ ذَا نُقْصَانٍ (٢)

وكذا المفاريدُ التي في كُلِّ مَسَدٍ

أَلَّةٌ فَسَفَرٌ وَاضِحُ التَّبَيَانِ

ما بينَ عَشْرِ أو يَزِيدُ بِضَعْفِهَا

هي كالنجومِ لسالكِ حَيْرَانٍ (٣)

(١) ولا يزال الكثير منها مفقوداً لم يعثر عليه، لأنَّه رحمه الله من عادته أنَّه لا يحتفظ بالجواب الذي يُمليه ويُرسله، وأيضاً تلاميذه في وقته كانوا يخافون من سطوة أهل الزيغ والضلال إذا وجدوا عندهم فتاوى الشيخ ورسائله آذوهم أشدَّ الإيذاء، فكانوا لا يُظهرونها، ولكن مع ذلك ظهر منها الخير الكثير، ويأبى الله إلا أن يُتم نوره رغم أنَّهم حاولوا إخفاءها وإتلافها.

(٢) التفسير الذي ألقاه في الدروس ولم يُكْتَبْ، لو أنَّها حُفظت دروسه ووضُبت لبلغت مجلِّدات، لكن فُقد الكثير منها، لأنَّ تلاميذه كانوا يخافون من الاحتفاظ بها من أعدائهم.

(٣) له رحمه الله على بعض المسائل كتابة تبلغ مجلداً مثل كتابه «جواب أهل العلم والإيمان في أنَّ سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن»، ومثل جوابه عن نزول الرب تعالى المسمَّى بـ«شرح حديث النزول» في مجلد، ومثل جوابه عن الإيمان عند أهل السنة ومخالفاتهم بلغ مجلداً ضخماً، هذه مسائل يُفردها رحمه الله بمجلِّدات، ومثل رسالته في إبطال التحليل جاء في مُجلِّد.

وَلَهُ الْمَقَامَاتُ الشَّهِيرَةُ فِي الْوَرَى

قَدْ قَامَهَا لِلَّهِ غَيْرَ جَبَانٍ^(١)

نَصَرَ الْإِلَهَ وَدِينَهُ وَكِتَابَهُ

وَرَسُولَهُ بِالسِّيفِ وَالْبُرْهَانِ^(٢)

أَبْدَى فِضَائِحَهُمْ وَبَيَّنَ جَهْلَهُمْ

وَأَرَى تَنَاقُضَهُمْ بِكُلِّ زَمَانٍ

وَأَصَارَهُمْ وَاللَّهِ تَحْتَ نَعَالِ أَهْلِ

لِ الْحَقِّ بَعْدَ مَلَابِسِ التَّيْجَانِ^(٣)

(١) الآن انتهى الناظم رحمه الله من ذكر مؤلفات الشيخ وشرع في ذكر جهاده وأعماله ومقاماته العظيمة التي يقومها في وجوه المبتدعة، مثل: مقامه في حرب التتار، ومقامه في الرد على أهل وحدة الوجود، ومقامه في الرد على نفاة الصفات، وهي مقامات كثيرة مشهورة، ومقامه مع القبورية عبّاد القبور، ومع الفلاسفة، وهذه مواقف في الجهاد بالقلم واللسان، ومواقف في الجهاد باللسان فقد حضر معركة حرب التتار وشجّع المسلمين ونصر الله المسلمين بسبب تشجيعه لهم ووجوده بينهم.

(٢) لا شك أنه إمام مُجدِّد من أعظم المجددين في الإسلام، تشهد له بذلك آثاره العظيمة التي ما زال المسلمون يستضيئون بها، وهي سلاح بأيدي أهل السنة والجماعة أورثها لهم لينتفعوا بها ويردوا بها على الخصوم.

(٣) كان أهل الضلال في الأول متسلطين على أهل السنة وهم الرؤساء وأصحاب المناصب العالية في القضاء والفتيا، فلمّا ظهر هذا العالم وبيّن أخطاءهم ومخازيهم أدلهم الله، فبعد أن كانوا يلبسون التيجان وفي =

وَأَصَارَهُمْ تَحْتَ الْحَضِيضِ وَطَالَمَا
كَانُوا هُمُ الْأَعْلَامَ لِلْبُلْدَانِ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُ بِسِلَاحِهِمْ
أَزْدَاهُمْ تَحْتَ الْحَضِيضِ الدَانِي (١)
كَانَتْ نَوَاصِينَا بِأَيْدِيهِمْ فَمَا
مِنَّا لَهُمْ إِلَّا أَسِيرٌ عَانٍ
فَعَدَّتْ نَوَاصِيهِمْ بِأَيْدِينَا فَمَا
يَلْقَوْنَنَا إِلَّا بِحَبْلِ أَمَانٍ (٢)

= المناصب العالية في الدولة، صاروا تحت النعال، وعرف الناس ضلالهم وقدرهم، فلم يعودوا يثقون بهم، وحصل بينهم وبينه مناظرات فأفحمهم وانتصر عليهم، ولم يستطيعوا مقاومته، وفي الأخير لجؤوا إلى السلطة ووشوا به عند السلطان، فسجن، وهذه عادة أهل الضلال إذا عجزوا عن الحق لجؤوا إلى القوة.

(١) من العجائب أنه يرد عليهم بمذهبهم ومن أقوالهم واصطلاحاتهم، وهذه طريقة قل من العلماء من يتأهل لها، فكان يرد على أهل كل مذهب من مذاهبهم حتى كانوا يقولون: هذا الرجل يعرف من مذاهبنا ما لا نعرفه نحن.

(٢) في الأول كانوا متسلطين على أهل السنة والجماعة، ولما أظهر الله هذا الخبر انعكس هذا الأمر، أظهر الله أهل السنة بالحجة والبرهان على خصومهم، وماذا تنفع المناصب بعد ذلك؟

وَعَدَتْ مَلُوكَهُمْ مَمَالِكًا لَأَنْ
صَارِ الرَّسُولِ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ
وَأَتَتْ جُنُودَهُمُ الَّتِي صَالُوا بِهَا
مُنْقَادَةً لِعَسَاكِرِ الْإِيمَانِ^(١)
يَدْرِي بِهَذَا مَنْ لَهُ خَبْرٌ بِمَا
قَدْ قَالَهُ فِي رَبِّهِ الْفِتَانِ^(٢)
وَالْقَدَمُ يُوحِشُنَا وَلَيْسَ هُنَاكُمْ
فَحْضُورُهُ وَمَغْيِبُهُ سِيَّانِ^(٣)

* * *

(١) هذه نتائج جهاده ومواقفه رحمه الله .
(٢) يدري بمواقف الشيخ وبهذه النتائج العظيمة مَنْ له خبرٌ بما جرى بين
الشيخ وخصومه وما آل إليه الأمر، وهذا واضحٌ وبيِّن .
(٣) القدم: كلمة ذم، وهو الذي لا يفهم أو هو قليلُ الفهم، والعاجز عن
الكلام، هذا هو القدم، وهذه صفة أعداء الحق لا خير فيهم، فحضورهم
ومغيبتهم سواء لا قيمة له .

فصل

في بيان أنَّ المصيبة التي حلتَّ بأهل التعطيل والكُفران
من جهة الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان^(١)

(١) هذا الفصل عظيم جداً يُبين الشيخ رحمه الله فيه سبب ضلال المعطلة للأسماء والصفات، والسبب يتلخَّص في أنَّهم وضعوا اصطلاحات من عند أنفسهم وقالوا: ما خالف هذه الاصطلاحات فهو باطل، من ذلك قولهم: إنَّ إثبات الصفات يقتضي التجسيم؛ لأنَّ الصفات أعراض، والأعراض لا تقوم إلاً بجسم. من أين جاؤوا بذلك؟ وهل ورد في الكتاب والسنة هذا اللفظ يعني: التجسيم؟ أو كان معروفاً عند السلف الصالح.

وكذلك قولهم: بأنَّ إثبات العلو والاستواء يقتضي أنَّ الله في جهة، والجهة حيِّر، فيزهون الله عن الاستواء والعلو لثلا يكون في حيِّر، ولأنَّه إذا كان في جهة فإنَّ الجهة تحويه وتحوزه بزعمهم، فنقول: هذه الاصطلاحات وهي الجهة والتحيز ما وردت لا في الكتاب ولا في السنة فنحن نتوقف في هذا اللفظ، فهو حادث واصطلاح من عندكم.

وكذلك قولهم: إنَّ إثبات الصفات يقتضي التركيب، إذا أثبتنا الوجه واليدين، قالوا: هذه أبعاض وأعضاء يتركب منها الجسم فإثبات هذه يقتضي الجسم ويقتضي التركيب، ويسمُّون الصفات الذاتية أبعاضاً، والله تعالى مُنزَّه عن الأبعاض، فنقول: هذا اصطلاح منكم ليس في الكتاب ولا في السنة فلا يُعوَّل عليه، فنحن نثبت هذه الصفات لله تعالى مع =

يَا قَوْمُ أَضَلُّ بَلَائِكُمْ أَسْمَاءُ لَمْ

يُنزِلُ بِهَا الرَّحْمَنُ مِنْ سُلْطَانٍ^(١)

هِيَ عَكَّسْتِكُمْ غَايَةَ التَّعْكِيسِ وَأَقْ

تَلَعَتْ دِيَارَكُمْ مِنَ الْأَرْكَانِ

= القطع بأنَّ الله لا يماثله شيء من مخلوقاته سبحانه وتعالى لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته.

وقالوا: إنَّ إثبات الحكمة يقتضي أنَّ الله يفعل لغرض ولولا الغرض لم يفعل سبحانه وتعالى، فيكون الغرض أثر في الله وحمله على أن يفعل، فنقول: هذا باطل فليس في الكتاب ولا في السنة تسمية الحكمة بالغرض، ولذلك يقولون: الله منزَّه عن الأعراض، يعني: الصفات، والأعراض: هي الأشياء التي لا تقوم بنفسها بل تقوم بغيرها، ومنزَّه عن الأعراض وهي الحكمة، ومنزَّه عن الأبعاض وهي الصفات الذاتية كالوجه واليدين، فنقول لهم: كل هذه اصطلاحات من عندكم ليس لها أصل لا في الكتاب ولا في السنة، ولو أنَّهم ساروا على ألفاظ الكتاب والسنة لسلموا من هذا الضلال المبين.

وأما السلف فإنَّهم لمَّا تمسكوا بألفاظ الكتاب والسنة ولم يميلوا إلى هذه الاصطلاحات، فإنَّهم سلموا من هذه الأمور، ولذلك يقول الإمام الشافعي - رحمه الله -: حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يَضْرِبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنَّعَالِ وَيُطَافُ بِهِمْ فِي الْأَسْوَاقِ وَيُقَالُ: هَذَا جِزَاءٌ مِنْ أَعْرَضَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَخَذَ بِعِلْمِ الْجَدَلِ.

(١) الآفة التي ضللتكم بها هي هذه المصطلحات التي وضعتوها وجعلتموها أدلة يقينية، ما خالفها فهو مردودٌ عندكم.

فَتَهَدَّمَتْ تِلْكَ الْقُصُورُ وَأَوْحَشَتْ
 مِنْكُمْ رُبُوعَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ (١)
 وَالذَّنْبُ ذَنْبُكُمْ قَبْلْتُمْ لَفْظَهَا
 مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ وَلَا فُرْقَانٍ (٢)
 وَهِيَ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى أَمْرَيْنِ مِنْ
 حَقٍّ وَأَمْرٍ وَاضِحِ الْبُطْلَانِ
 سَمَّيْتُمْ عَرْشَ الْمَهِيمِنِ حَيِّزًا
 وَالْإِسْتِوَاءَ تَحْيِيزًا بِمَكَانٍ (٣)
 وَجَعَلْتُمْ فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى
 جِهَةً وَسُقَّتُمْ نَفِي ذَا بِوِزَانٍ (٤)

(١) يعني: قصور العلم، تهدمت بسبب هذه المصطلحات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

(٢) قبلتم هذه الألفاظ: التجسيم، الأبعاض، الأغراض، الأعراض من غير تفصيل، فلا بُدَّ من التفصيل.

(٣) قالوا: لو أثبتنا الاستواء على العرش لزم أن يكون في حيِّز، يعني: مكان، فلو أثبتنا الاستواء لصار الله تعالى مُتَحَيِّزًا يحويه مكان، فنقول: هذا باطل فنحن نثبت الاستواء على العرش كما أثبتته الله لنفسه، ونعتقد أنَّ الله ليس حالاً في شيء من خلقه، ولذلك قال السلف: بائنٌ من خلقه، فكلمة بائن هذه ما كانت موجودة في الأول، لكن لما جاءت هذه المصطلحات جاء أهل السنة بإبطالها وقالوا هو: «بائن من خلقه» يعني: هو منفصل ليس داخلاً في مخلوقاته سبحانه وتعالى.

(٤) قالوا: إنَّ إثبات العلو يقتضي إثبات الجهة والله منزَّهٌ عن الجهات، =

وجعلتُمُ الإِثباتَ تشبيهاً وتَجْزِ

سِيماً وهذا غايةُ البُهتانِ (١)

وجعلتُمُ الموصوفَ جِسْماً قابِلَ الـ

أعراضِ والأَكوانِ والألوانِ (٢)

وجعلتُمُ أوصافَهُ عَرَضاً وهـ

ذَا كُلهِ جِسْرٌ إِلَى النُّكرانِ (٣)

وكذاك سَمَّيْتُمُ حُلُولَ حِواديِّ

أفعالِهِ تَلْقِيبَ ذِي عُدوانِ (٤)

= فنقول: الجهة ليس لها ذكر في الكتاب ولا في السنة لا نفيًا ولا إثباتًا، فإن أردتم بالجهة إثبات العلو فنحن نُثبته، وإن أردتم بالجهة أن الله داخل في مخلوقاته فهذا باطل، ولا يدلُّ عليه إثبات العلو.

(١) يعني: أن إثبات الصفات يقتضي التشبيه والتجسيم، هذه اصطلاحات من عندهم.

(٢) عندهم: الجسم والعرض، فالعرض عندهم: هو الشيء الذي يُعرض ويزول، مثل: الألوان والروائح فهو لا يقوم إلا بغيره، وأمَّا الجوهر والجسم فهو الشيء الذي يقوم بنفسه، والصفات عندهم لا تقوم إلا بأجسام وجواهر، والله منزَّهٌ عن ذلك كما يقولون، فنقول: هذا اصطلاح باطل وتكلُّف ليس عليه دليل.

(٣) جعلتم الصفات أعراضاً والأعراض هي التي لا تقوم بنفسها وإنما تقوم بغيرها، فيلزم من إثبات الصفات أن الله جسمٌ تقومُ به الأعراض، وهذا كلامٌ باطل لأنه ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله.

(٤) يسمُّون إثبات الأفعال لله تعالى من النزول والاستواء والكلام والخلق =

إِذْ تَنْفِرُ الْأَسْمَاعُ مِنْ ذَا اللَّفْظِ نَفْرًا

رَتَّهَا مِنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّقْصَانِ (١)

فَكَسَوْتُمْ أفعالَهُ لفظَ الحِوَا

دِثِ ثُمَّ قُلْتُمْ قَوْلَ ذِي بَطْلَانٍ (٢)

ليست تقومُ به الحوادثُ والمرَا

دُ النَّفْيِ لِلأفعالِ لِلدِّيَانِ (٣)

= والرزق يسمونها حوادث، فالحوادث لا تقوم إلا بجسم، فيلزم من إثبات الأفعال لله تعالى أنه تحلُّه الحوادث، فلذلك ينفون أفعال الله تعالى فراراً من إثبات أن تحلَّ الحوادث بالله عزَّ وجل، فنقول: هذا كلام باطل واصطلاحاً موضوع، والله تعالى له أفعال وصف بها وليست كأفعال المخلوقين.

(١) إذا سمع الجاهل: أن إثبات الأفعال لله يقتضي «حلول الحوادث بذاته» ينفر من ذلك، لكن لا يلزم من إثبات الأفعال لله تعالى حلول الحوادث بذاته تعالى.

(٢) سميت أفعال الله حوادث، ونحن لا نقول بذلك، هذا كله من وضعكم واصطلاحكم، فإننا نسميها كما سماها الله تعالى: أفعال الله، مثل نزوله واستوائه، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فأثبت لنفسه الأفعال، وأثبت الرسول لربه الأفعال.

(٣) فينفون جميع الأفعال عن الله بحجة أنها حوادث، فالحوادث لا تقوم بالله تعالى، فهو منزَّه عن ذلك عندهم، نقول: نعم هو منزَّه عن حلول الحوادث ولكن إثبات أفعال الله لا يُسمَّى حلول حوادث، بل نسميها كما سماها الله تعالى، أو نقول: حلول الحوادث فيه إجمال، ماذا تريدون به؟ هل تريدون به نفي أفعال الله فهذا باطل، نحن نثبتها ولا نسميها حوادث.

فإذا انتفت أفعاله وصفاته
 وكلامه وعلو ذي السلطان
 فبأي شيء كان رباً عندكم
 يا فرقة التحقيق والعرفان^(١)
 والقصد نفي فعاله عنه بذا الت
 تلقيب فعل الشاعر الفئان^(٢)

(١) إذا نُفيت عن الله الأسماء والصفات فإنه يكون غير موجود، لأنه ليس هناك موجود في هذا الكون إلا وله صفات، فلو نُفيت عن الله تعالى الأسماء والصفات فهذا وصف المعدوم تعالى الله عن ذلك، وهم يزعمون أنه تنزيه، وهو يُفضي إلى نفي وجود الله، فبئس هذا التنزيه، فهم فزوا بزعمهم من شيء ووقعوا في شيء أشد، وقوله: «يا فرقة التحقيق والعرفان» هذا من باب التهكم بهم، يعني بئس هذا التحقيق والعرفان، الذي أدّى إلى هذا المنزلق الخطير.

(٢) هذا من باب التلبيس كما أن الشاعر في شعره يقلب الحق باطلاً والباطل حقاً كما قال ﷺ: «إنَّ من البيان لسحراً»^(*) وذلك بأن يُصوِّر الشيء بغير صورته، قال تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] فالشاعر إذا هجا فإنه يجعل المهجو من أقدر الأشياء ولو كان كذباً، وإذا مدح أسرف في المدح ولو كان كذباً، فهذا الذي فعله المعطلة مثل الشاعر.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٧٥/٨ (٤٦٥١)، والبخاري (٥٧٦٧)، وأبو داود (٥٠٠٧)، والترمذي (٢٠٢٨) من حديث ابن عمر.

وَكذَٰكِ حِكْمَةٌ رَبَّنَا سَمَّيْتُمُ
 عَلَاءً وَأَغْرَضْنَا وَذَانِ اسْمَانِ
 لَا يُشْعِرَانِ بِمِدْحَةٍ بَلْ ضِدُّهَا
 فِيهِمْ وَهُمْ حِينَئِذٍ عَلَى الْأَذْهَانِ
 نَفِي الصِّفَاتِ وَحِكْمَةِ الْخَلَاقِ وَالـ
 أفعالٍ إنكاراً لهذا الشأن (١)
 وكذا استواءُ الرَّبِّ فوقَ العرشِ قَدْ
 تَمَّ إِنَّهُ التَّرْكِيبُ ذُو بَطْلَانِ (٢)

(١) يسمون حكمة الرب علة فالله عندهم لا يفعل لعله ولا يفعل لغرض فهو منزلة عن العلة والغرض، بل هو يفعل بمجرّد مشيئته فقط لا لحكمة وهذا هو مذهب الأشاعرة حيث ينفون الحكمة، فليس في أفعاله عندهم لا علة ولا حكمة؛ لأننا لو قلنا بذلك لصار لا يفعل إلا بسبب هذه الأشياء، وهذا كلام باطل، وذلك لأنّه إذا نُفيت الحكمة عن أفعاله وصفاته تعالى صارت من باب العبث لأنّ الشيء الذي يُفعل من غير حكمة عبث. قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] وبهذه الطريقة يهون على الناس إنكار الصفات لأنهم نفروهم عنها بهذه الألقاب والمصطلحات الشيطانية.

(٢) وينفون الاستواء على العرش لأنه يلزم من إثباته أنّ الله محتاج إلى العرش، وهذا أيضاً كلام باطل، فالله استوى على العرش، وهو ليس بحاجة إليه تعالى، ولا يقال أنّ العرش يُقلُّه أو يُطلُّه هذا من شأن المخلوقين، وأمّا الخالق جلّ وعلا فهو غني عن ذلك، فخلقه كلّهم محتاجون إليه، ولكن هم في الواقع ما عرفوا قدر الربّ تعالى.

وكذلك وجهُ الربِّ جلَّ جلالُهُ

وكذلك لفظُ يَدٍ ولفظُ يَدانٍ^(١)

سَمَّيْتُمْ ذَا كُلِّهِ الأَعْضَاءَ بِل

سَمَّيْتُمُوهُ جَوَارِحَ الإنْسَانِ^(٢)

وَسَطَوْتُمْ بِالنَّفْيِ حَيْثُ عَلَيَّ

هُ كَنَفِينَا لِلْعَيْبِ مَعَ نُقْصَانِ

قُلْتُمْ نُنَزَّهُهُ عَنِ الأَعْرَاضِ وَالْ

أَعْرَاضِ والأَبْعَاضِ والجُثْمَانِ^(٣)

وَعَنِ الحَوَادِثِ أَنْ تَحِلَّ بِذَاتِهِ

سَبْحَانَهُ مِنْ طَارِقِ الحِذْثَانِ

(١) هذه الصفات الذاتية سمّوها أبعاضاً وأعضاء، والأبعاض والأعضاء لا تقوم إلاً بجسم، فالجسم هذا صار طاغوتاً، ولذلك سمّاه الناظم طاغوتاً، وسيكسره في بابٍ قريب إن شاء الله، وسمّاه طاغوتاً لأنهم تحاكموا إليه وتركوا الكتاب والسنة، ومن ترك الكتاب والسنة وتحاكم إلى غيره فقد تحاكم إلى الطّاغوت، فالطاغوت يكون من كلِّ شيء فيكون من القواعد والأنظمة ومن كل ما خالف الكتاب والسنة.

(٢) تقولون: إثبات الوجه لله تعالى والأصابع واليدين والساق والقدم هذا تشبيهٌ له بالمخلوق؛ لأنَّ هذه الأعضاء في المخلوقين، فنقول: هذا كلامٌ باطل، صفات الله تعالى لا تُشبه صفات المخلوقين، والقاعدة الفاصلة التي جاءت في القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] هي الفاصلة في هذا الأمر.

(٣) يعني: الجسم.

والقصدُ نفيُ صفاتِهِ وفِعَالِهِ

والإستواءِ وحِكْمَةِ الرَّحْمَنِ (١)

وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ بِسَجْنِ اللَّفْظِ مَسْتَمِعُونَ

جُونُونَ خَوْفَ مَعَرَّةِ السَّجَّانِ (٢)

وَالكُلُّ إِلَّا الْفَرْدَ يَقْبَلُ مَذْهَباً

فِي قَالِبٍ وَيَرُدُّهُ فِي ثَانٍ (٣)

وَالقصدُ أَنَّ الذَّاتَ وَالْأوصَافَ وَالْأَفْعَالَ لَا تُنْفَى بِذَا الْهَدْيَانِ (٤)

(١) هذا هو قصدكم نفي صفات الله عز وجلّ بهذه المصطلحات فهي طريقة ماكرة خبيثة.

(٢) الناس يأخذون هذه المصطلحات والألفاظ ولا يفكرون فيها، لذلك قلدهم كثير من الناس وساروا على منهجهم، وهذا هو الذي أهلك كثيراً من الناس. إنهم يأخذون أقوال الرجال والطوائف والفرق بدون تمحيص ونظر، وبدون تدقيق وعرض على الكتاب والسنة.

(٣) يعني غالب الناس يقبل هذه الأشياء على ظاهرها دون تفكير إلا الأفراد من الناس أهل البصيرة الذين يميزون بين الحق والباطل، ولا يقبلون شيئاً حتى يعرضوه على الكتاب والسنة، وإلا فالأغلب إمعة يسرون مع أي إنسان بدون معرفة حاله.

(٤) الجسم والعرض والغرض والأبغاض وحلول الحوادث كلها هديان، فلا تهتم بها، وأثبت ما أثبتته الله لنفسه مع اعتقادك بالفارق بين صفات الخالق وصفات المخلوق، هذا هو المنهج السليم.

سَمُوهُ مَا شِئْتُمْ فَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الْ
 أَسْمَاءِ بَلْ فِي مَقْصِدٍ وَمَعَانٍ^(١)
 كَمَاذَا تَوَسَّلْتُمْ بِلَفْظِ الْجِسْمِ وَالشَّ
 تَجْسِيمٍ لِلتَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ^(٢)
 وَجَعَلْتُمُوهُ التَّرْسَ إِنْ قُلْنَا لَكُمْ
 اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْأَكْوَانِ^(٣)
 قُلْتُمْ لَنَا جِسْمٌ عَلَى جِسْمٍ تَعَالَى
 لِيُاللهُ عَنِ الْجِسْمِ وَعَنْ جُثْمَانٍ^(٤)

(١) لا تغرنك الأسماء الرنانة والمزخرفة بل العبرة بالحقائق والمعاني، فلا تقبل ما يقال حتى يتضح لك الأمر، وهذا يستدعي التريث وعدم التسرع في الأمور.

(٢) يعني اتخذتم هذه المصطلحات وسيلة للوصول إلى الباطل وهو نفي الأسماء والصفات، وخذعتم الناس بأنها تنزيه لله تعالى، وأن إثبات الأسماء والصفات يقتضي التركيب والتجسيم وحلول الحوادث، فزيفتم على الناس هذا الباطل.

(٣) يعني جعلتم هذه الأقوال مثل الترس الذي يتخذُه المقاتل يتقي به السلاح، فجعلتم هذه المصطلحات تُرساً لكم في درء ما جاء في الكتاب والسنة، وبذلك هدمتم العقيدة، كما أن القبورين سموا عبادة القبور محبة للصالحين وتوسلاً بهم إلى الله، ويقولون: هذا وسيلة إلى الله تعالى، والله تعالى يقول: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] ويفسرونها: باتخاذ الأوثان والصالحين مع أن المراد بذلك العمل الصالح.

(٤) قلتم: إن الاستواء على العرش يلزم منه أن الله جسمٌ على جسم كما قال الجهم وغيره، تعالى الله عن ذلك.

وكذلك إن قلنا القرآنُ كلامُهُ

منهُ بندا لم يبدُ من إنسانٍ

كلاً ولا ملكٌ ولا لوحٌ ولا

كِنُ قاله الرحمنُ قولَ بيانٍ^(١)

قلْتُم لنا إنَّ الكلامَ قيامُهُ

بالجسمِ أيضاً وهو ذو حدثانٍ

عَرَضٌ يَقُومُ بغيرِ جسمٍ لم يَكُنْ

هذا بمعقولٍ لذي الأذهانِ^(٢)

وكذلك حينَ نقولُ ينزِلُ ربُّنا

في ثلثِ ليلٍ آخِرٍ أو ثانٍ

(١) يقولون القرآن ليس كلام الله بل هو مخلوق خلقه الله في اللوح المحفوظ، ثم أخذهُ جبريل من اللوح المحفوظ، أو خلقه في جبريل أو خلقه في محمد، لأن الكلام عرض لا يقوم إلا بجسم والله منزه عن الجسم، فالناظم هنا يقول: القرآن كلامُ الله حقيقة وليس مصدرُهُ من اللوح المحفوظ ولا من جبريل ولا من محمد ﷺ.

(٢) وقالوا: أيضاً إنَّ الكلامَ فعل، والفعل حدث، والحدث لا يقوم إلا بجسم، فيجب نفي الكلام عن الله، وهذه المقدمات الهزيلة والنتائج الباطلة كلُّها اتخذوها ذريعة لنفي الكلام عن الله تعالى، مع أنَّه عاب على بني إسرائيل عبادتهم العجل بأنَّه لا يتكلم ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يُكَلِّمُهُمُ وَاللَّهُ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ سَكِيلاً﴾ [الأعراف: ١٤٨] فالذي لا يُكَلِّمُ لا يصلح للعبادة ولا يكون إلهاً.

قلتُم لنا إنَّ النزولَ لغيرِ أجمٍ
 سامٌ مُحالٌ ليسَ ذا إمكانٍ^(١)
 وكذلكَ إنَّ قُلنَا يُرى سبحانَهُ
 قُلْتُم أجسَمٌ كَي يُرى بعيانٍ
 أما كانَ ذا جهةٍ تعالى ربُّنا
 عنَ ذا فليسَ يَراهُ مِن إنسانٍ^(٢)
 أمَّا إذا قُلنَا لَهُ وَجْهٌ كما
 في النَّصِّ أو قُلنَا كذاكَ يَدانِ

(١) كما صحَّ في حديث النزول قال ﷺ: «ينزلُ ربُّنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من داع فاستجيب له هل من مستغفر فأغفر له»^(*) وهم قالوا: لا ينزل لأنَّ النزول لا يكون إلا لجسم، والله منزَّهٌ عن الحركة والانتقال، فنقول: نحنُ نثبت النزول، وأمَّا كيفيته فنكلُ علمها إلى الله تعالى، فنثبت الفعل وننزهه عن التشبيه.

(٢) رؤية الله في الدار الآخرة تواترت بها الأدلة فدلَّ عليها القرآن الكريم وهم ينفونها لأنَّهم يقولون: لا يُرى إلا الأجسام، فيلزم من إثبات الرؤية إثبات أنَّ الله جسم، والأجسام متماثلة فيلزم من إثبات الرؤية التجسيم، وهذه هي النتيجة الخبيثة، ونقول: لفظ الجسم صنمٌ تحمونه على أكتافكم، ولا يهمننا، وليس لهذا اللفظ وجود لا في الكتاب ولا في السنة؛ بل هو من مصطلحاتكم، وأيضاً: نفهم للرؤية قالوا: لأنَّ هذا يلزم منه أنَّ الله في جهة، فالله منزَّهٌ عندهم عن الجهة.

(*) سبق تخريجه ص ٣١٥.

وكذلك إن قلنا كما في النص إن
 نَ القلبَ بينَ أصابعِ الرَّحْمَنِ
 وكذلك إن قلنا الأصابعُ فوقها
 كلُّ العوالمِ وهي ذُو رَجَفَانِ
 وكذلك إن قلنا يدها لأرضه
 وسمائه في الحشرِ قابضتانِ
 وكذلك إن قلنا سيكشفُ ساقه
 فيخِرُّ ذاكَ الجمعُ للأذقانِ
 وكذلك إن قلنا يجيء لفضله
 بينَ العبادِ بعدلِ ذي سُلطانِ
 قامتِ قيامتُكم كذلكَ قيامَةُ الـ
 آتي بهذا القولِ في الرحمنِ (١)

(١) قالوا: إذا أثبتنا الوجه لله تعالى وكذلك اليدين لله تعالى والأصابع لله تعالى وجميع الصفات الذاتية له فإن هذا يلزم منه التجسيم، فنقول: هذا ليس بلازم، وسبق أن ذكرنا أن هذا اللفظ مجمل يُبتعد عنه، ويقتصر على ما جاء في الكتاب والسنة، وكذلك إذا قلنا ما جاء في الحديث: «إن الله يجعل السماوات على أصبع والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن»، ويقول: أنا الملك أين الجبارون» (*) ففي يوم القيامة تكون هذه المخلوقات على أصابع الرحمن كما صحَّ بذلك الخبر، فنثبت بذلك =

والله لو قلنا الذي قال الصحا

به والأولى من بعدهم بلسان

لَرَجَمْتُمُونَا بِالْحِجَارَةِ إِنْ قَدَرْنَا

ثُمَّ بَعَدَ رَجْمِ الشَّيْثِ وَالْعُدْوَانِ^(١)

= الأصابع لله تعالى، وكذلك في حديث: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً»(*) كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] وأما القول بأن الكشف عن الساق عبارة عن شدة الأمر فهذا معنى آخر فيقال: كشفت الحرب عن ساقها، أي: عن أمرٍ عظيم، هذا معنى آخر وليس هو المراد في هذه الآية، وكذلك يجيء سبحانه للفصل بين العباد يوم القيامة كما قال جلّ وعلا: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠] هذا في يوم القيامة يأتي مجيئاً يليق به سبحانه وتعالى، فإذا ذكرت هذه الصفات يغضبون غضباً شديداً ويعتبرون ذلك تجسماً وتنقُصاً لله عزّ وجلّ.

(١) لو أظهرنا مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة لضاقت بكم الدنيا، وتغضبون إذا ذكرت نصوص الكتاب والسنة، وهكذا كلُّ صاحب باطل يغضب إذا ذُكر عنده الحق؛ لأنَّ الحق يدفع ما معه من الباطل، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٧/٢٠٢-٢٠٤ (١١١٢٧)، والبخاري (٤٩١٩)، ومسلم (١٨٣) (٣٠٢) من حديث أبي سعيد الخدري.

واللهِ قَدْ كَفَرْتُمْ مَنْ قَالَ بَعْدَ
 ضَمِّ مَقَالِهِمْ يَا أُمَّةَ الْعُدْوَانِ
 وَجَعَلْتُمْ الْجِسْمَ الَّذِي قَدَّرْتُمْ
 بَطْلَانَهُ طَاغُوتَ ذَا الْبَطْلَانِ (١)
 وَوَضَعْتُمْ لِلْجِسْمِ مَعْنَى غَيْرِ مَعْنَى
 رُوفٍ بِهِ فِي وَضْعِ كُلِّ لِسَانٍ (٢)
 وَبَنَيْتُمْ نَفْيَ الصِّفَاتِ عَلَيْهِ فَاجْرُ
 تَمَمْتُمْ لَكُمْ إِذْ ذَاكَ مَحْذُورَانِ
 كَذِبٌ عَلَى لُغَةِ الرُّسُولِ وَنَفْيٌ إِثْمٌ
 سَبَاتِ الْعُلُوِّ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ (٣)
 وَرَكِبْتُمْ إِذْ ذَاكَ تَحْرِيفَيْنِ تَحْرِيفِ
 رِيفِ الْحَدِيثِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ (٤)

(١) هذا الجسم الذي صار بأيديكم سلاحاً تدفعون به النصوص صار طاغوتاً، وكل ما يُعارض الكتاب والسنة فهو طاغوت.

(٢) الجسم الذي اصطَلحوا عليه ليس له وجود في الكتاب والسنة وإنما هو اصطلاحٌ اصطَلحوه وجعلوه قاعدةً يدفعون به نصوص الكتاب والسنة.
 (٣) أي يلزم على ما قلتم محذوران: محذور القول على الله بلا علم حيث أثبتتم هذا الجسم الذي اصطَلحتم عليه، وهو لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة، ومحذور نفي أسماء الله وصفاته، فاجتمع لكم محذوران: الكذب والضلال.

(٤) لما رأيتم النصوص في الكتاب والسنة تتعارض مع هذا الجسم الذي ذكرتموه لجأتم إلى التحريف، تحريف نصوص الكتاب والسنة حتى =

وَكَسَبْتُمْ وِزْرَيْنِ وِزْرَ النَّفْيِ وَالتَّ
 تَحْرِيفِ فَاجْتَمَعَتْ لَكُمْ كِفْلَانِ (١)
 وَعَدَاكُمْ أَجْرَانِ أَجْرُ الصِّدْقِ وَالـ
 إِيمَانِ حَتَّىٰ فَاتَكُمْ حَظَّانِ (٢)
 وَكَسَبْتُمْ مَقْتَيْنِ مَقْتِ الْإِهْكَامِ
 وَالْمُؤْمِنِينَ فَتَالَكُمْ مَقْتَانِ (٣)
 وَلَيْسْتُمْ ثَوْبَيْنِ ثَوْبَ الْجَهْلِ وَالظُّ
 ظْلَمِ الْقِيحِ فَبُئِستِ الثَّوْبَانِ (٤)

= تتوافق مع مصطلحكهم، فقلتم المراد بالوجه: الذات، والمراد باليد: القدرة، ونحو ذلك من التحريف في المعنى، وأيضاً تحريف اللفظ حيث زدتم لأمأ من عندكم كما في «استوى» قلتم: «استولى».

(١) عليكم ويزران: وزر التحريف لكتاب الله وسنة رسوله، التحريف في اللفظ والتحريف في المعنى، ووزر نفي الأسماء والصفات، حيث نفيتم ما أثبتته الله وما أثبتته الرسول ﷺ.

(٢) فاتكم الأجران: أجر الصدق وعدم الكذب على الله وعلى رسوله وأجر الإيمان، وهو إثبات ما أثبتته الله ورسوله والإيمان به من غير اعتراض على كلام الله وكلام رسوله ﷺ، بل الواجب التسليم واعتقاد أنه حق حتى لو لم يظهر لك معناه ويتضح لك، فاتهم نفسك وفهمك.

(٣) المقت: هو البغض، فاكسبتم البغضين: بغض الله لكم وبغض الخلق والمؤمنين لكم، فأنتم محقرتون ومبغضون أمام الله وأمام المؤمنين في الدنيا والآخرة.

(٤) ثوب الجهل: وهو عدم العلم، فأنتم لا تتصفون بالعلم وذلك لأنكم لا تلتفتون لكتاب الله وسنة رسوله وتنتهون إليهما، وإنما همكم دراسة =

وَتَخَذْتُمْ طَرْزَيْنِ طَرْزَ الْكِبَرِ وَالتَّ

تِيهِ الْعَظِيمِ فَبُئِستِ الطَّرْزَانِ (١)

وَمَدَدْتُمْ نَحْوَ الْعُلَى بَاعَيْنِ لـ

كُنْ لَمْ تُظَلُّ مِنْكُمْ لَهَا الْبَاعَانِ (٢)

وَأَتَيْتُمُوهَا مِنْ سِوَى أَبْوَابِهَا

لَكِنْ تَسَوَّرْتُمْ مِنَ الْحَيْطَانِ (٣)

وَعَلَقْتُمْ بَابَيْنِ لَوْ فُتِحَا لَكُمْ

فُزْتُمْ بِكُلِّ بَشَارَةٍ وَتَهَانِ

= المنطق وقواعد الكلام وبنيتم أموركم عليها، والثاني: ثوب الظلم حيث إنكم ظلمتم أنفسكم وحمَلتموها ما لم تحمَل من القولِ على الله بلا علم من نفي أسمائه وصفاته، فوضعتم النصوص في غير موضعها اللائق بها. (١) تزيئتم بالعجب والغرور فبئس هذا التزيئ، فالتزيئ الصحيح هو: زينة الإيمان ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧] فالزينة الصحيحة هي: زينة الإيمان واليقين، وزينة العلم الشرعي: العلم والعمل.

(٢) أردتم المعالي ومددتم أيديكم إليها لكن لم تُدركوها لأنكم لم تأخذوا بالأسباب الصحيحة التي تعلو بكم إلى الكمال والرفعة، فقصرت أبوابكم عن المعالي التي نالها أهل الإيمان.

(٣) ما أتيتم العلم من أبوابه، وإنما أتيتم العلم من ظهوره، فكلُّ شيءٍ تُريدُه فإنك تأتيه من بابه ولا تأتيه من غير بابه، وهذا مثلٌ حسِّي مضروبٌ لأمرٍ معنوي.

بَابُ الْحَدِيثِ وَبَابُ هَذَا الْوَحْيِ مَنْ

يَفْتَحُهُمَا فَلَيْهِنَّهُ الْبَابَانِ (١)

وَفَتْحْتُمْ بَابَيْنِ مَنْ يَفْتَحُهُمَا

تُفْتَحُ عَلَيْهِ مَوَاهِبُ الشَّيْطَانِ

بَابُ الْكَلَامِ وَقَدْ نُهَيْتُمْ عَنْهُ وَال

بَابُ الْحَرِيقِ فَمِنْطَقُ الْيُونَانِ (٢)

(١) أبواب العلم: هي بابُ القرآنِ وبابُ السنة، وفتحهما هو التفقه فيهما وتدرُّهُمَا ومعرفة معانيهما، ولا يُفسَّرُ القرآنُ والسُّنةُ بالرأي أو بما يظهر، بل يُفسَّرُ القرآنُ والسُّنةُ بوجوه التفسير الصحيحة:

١ - تفسير القرآن بالقرآن .

٢ - تفسير القرآن بالسُّنة .

٣ - تفسير القرآن بأقوال الصحابة .

٤ - تفسير القرآن بأقوال التابعين لأنَّهم تلاميذ الصحابة .

٥ - تفسير القرآن بمقتضى اللغة العربية التي نزل بها .

فهذه هي الأوجه الصحيحة لتفسير القرآن الكريم .

(٢) باب الكلام الذي هو علمُ الجدل، ويسمونه علم المناظرة أو علم التوحيد، وهو عبارة عن قواعد وضعوها يُجادلون بها ويردُّون بها على مَنْ عارضها من أهل السنة الذين يعتمدون على الكتاب والسنة، ولهذا جاء في الأثر: «إنَّه ما أعرض النَّاسُ عن الكتاب والسنة إلاَّ ابتلوا بعلم الجدل؛ لأنَّ من ترك الحقَّ ابتلي بالباطل». وقال ﷺ: «ما ضل قوم بعد =

فدخلتم دارين دار الجهل في الدُّ

دُنْيَا ودار الخِزْي في النيران^(١)

وطعمتم لُونَيْن لَوْن الشُّكِّ والتُّ

تَشْكِيكٍ بعد فبست اللونان^(٢)

= هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل^(*). وليس في علم الكلام فائدة ولهذا قال فيه بعض العلماء: «إنه لحم جميل غث على جبلٍ وعر لا سهلٌ فيرتقى، ولا سمينٌ فينتقل»^(**).

(١) عشتم في دا الدنيا على الجهل لا على الإيمان، فشغلتم أنفسكم بهذا العلم الباطل، وفي الآخرة تدخلون النار لأنكم دخلتم إلى الآخرة وليس معكم إيمان، وضيعتم دنياكم بالجدل الباطل وما صورته رحمه الله عن واقعهم في هذه الآيات هو عين الحقيقة لو كانوا يعقلون.

(٢) طعم هذه العلوم هو الشُّكُّ - والعياذُ بالله - والتشكيك للناس في علم الكتاب والسنة، وما انفتح هذا الباب من علم منطق اليونان إلا لما عرّبت الكتب الرومية في عهد المأمون الذي فتح على المسلمين باب شر، ويقال: إنه لما طلب الكتب من الرومان واليونان عارض بعضهم ومانع في إرسالها، وقال عقلاؤهم: أرسلوها إليهم لأنها ما دخلت بلاداً إلا وأفسدتها فصارت غزواً وسلاحاً، فتكوا به في عقائد المسلمين والعياذُ بالله.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٩٣/٣٦ (٢٢١٦٤)، وابن ماجه (٤٨)، والترمذي (٣٢٥٣) من حديث أبي أمامة الباهلي، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده، وانظر تمام تخريجه وتنقيده في «المسند».

(**) هذا اقتباس من حديث أم زرع المشهور عن عائشة أم المؤمنين أخرجه البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨).

وركبتم أمرين كم قد أهلكا
 من أمة في سالف الأزمان
 تقديم آراء الرجال على الذي
 قال الرسول ومُحكَم القرآن
 والثاني نسبتهُم إلى الأغاز والت
 تلبس والتدليس والكتمان^(١)
 ومكرتم مكرين لو تمّا لكم
 لتفصمت فينا عرى الإيمان^(٢)
 أطفأتم نور الكتاب وسنة ال
 هادي بذا التحريف والهذيان^(٣)

(١) يقولون: علم المنطق هو العلم الصحيح الذي يُفيد اليقين، أما أدلة الكتاب والسنة فهي أغاز، لأنها تحتل عدة معانٍ، ولا يُدري ما المقصود منها؟ ولأنها تصف الرب بأشياء لا تليقُ به، فالمراد غير ما يظهرُ منها، فهي أغاز، وعلى هذا يكون الله أنزلَ أحاجي وأغازاً يبتلي بها العباد، هذا وصفهم للقرآن والسنة أنهما أغاز وأحاج.

(٢) المكر هو من البشر عملُ الباطل بخُفيه، فهم عملوا هذا في كتاب الله وسنة رسوله، ولو تمّ لهم مكرهم لانعزل الكتاب والسنة نهائياً، ولكن الله سبحانه وتعالى قيض لكتابه وسنة رسوله من يقوم بهما ويدعو إليهما ولم يتأثر بهذه المذاهب الباطلة فلذلك بقي الكتاب والسنة - والحمد لله - .

(٣) قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨] هذا وعدٌ من الله تعالى على ظهور الدّين مهما تكالب عليه =

لَكُنْكُمْ أَوْ قَدْتُمْ لِلْحَرْبِ نَا
 رَأْيَيْنِ طَائِفَتَيْنِ مُخْتَلِفَانِ
 وَاللَّهُ مُطْفِئُهَا بِالسِّنَةِ الْأُولَى
 قَدْ خَصَّهُمْ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
 وَاللَّهُ لَوْ غَرِقَ الْمُجَسِّمُ فِي دَمِ التِّ
 تَجْسِيمٍ مِنْ قَدَمٍ إِلَى الْأَذَانِ
 فَالْنَصُّ أَعْظَمُ عِنْدَهُ وَأَجَلُّ قَدْ
 رَأَى أَنْ يُعَارِضَهُ بِقَوْلِ فُلَانٍ^(١)

* * *

= الأعداء فَإِنَّ اللَّهَ سَيُظْهِرُ هَذَا الدِّينَ عَلَى أَيْدِي رِجَالٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ
 لَوْمَةٌ لَائِمٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا
 أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] فَاللَّهُ حَافِظٌ وَنَاصِرٌ لِدِينِهِ فَإِذَا تَوَلَّى عَنْهُ قَوْمٌ أَبَدَلَهُمْ
 اللَّهُ بِآخَرِينَ.

(١) يعني: مهما عيرتكم أهل الإثبات بالتجسيم، وأجمعتم على ذمهم، فإن
 هذا لا يصرفهم عن الحق، ولا يعدلهم عن الحق، بل يتمسكون به، ولا
 يعارضون النصوص بأقوال الرجال.

فصل

في كسر الطاغوت الذي نفوا به صفات ذي الملكوت والجبروت^(١)

(١) لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ أَفْتَهُمْ وَعَلَّتَهُمْ هِيَ قَاعِدَةُ التَّجْسِيمِ، وَأَنَّ هَذَا اللَّفْظَ اتَّخَذُوهُ سِلَاحًا ضِدَّ النُّصُوصِ وَضِدَّ أَهْلِ الْإِيمَانِ فَسَمَّاهُ طَاغُوتًا، لِأَنَّ الطَّاغُوتَ مَشْتَقٌّ مِنَ الطَّغْيَانِ وَهُوَ مَجَاوِزَةُ الْحَدِّ، وَهُوَ يُطْلَقُ عَلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ:

١ - يُطْلَقُ عَلَى مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَكُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهُوَ رَاضٍ فَهُوَ طَاغُوتٌ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ كَالْمَسِيحِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ الْمُسْتَقِيمِينَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَهَؤُلَاءِ لَا يُقَالُ لَهُمْ طَوَاغِيَتٌ، لَكِنَّ عِبَادَةَ النَّاسِ لَهُمْ عِبَادَةٌ لِلطَّاغُوتِ الَّذِي هُوَ الشَّيْطَانُ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِهَا، أَمَّا نَفْسُ الشَّخْصِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ فَإِنَّهُ لَا يُسَمَّى طَاغُوتًا، لِأَنَّهُ لَمْ يَرْضَ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَلْ كَانَ فِي حَيَاتِهِ يُحَدِّثُ مَنْ هَذَا فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُوهُ فَهَذَا لَا يَضُرُّهُ، أَمَّا مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهُوَ رَاضٍ فَهُوَ طَاغُوتٌ، وَكَذَلِكَ الْأَشْجَارُ وَالْأَحْجَارُ وَالْجَمَادَاتُ فَعِبَادَتُهَا تُسَمَّى: عِبَادَةً لِلطَّاغُوتِ.

٢ - وَكَذَلِكَ يُطْلَقُ الطَّاغُوتُ عَلَى مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] فَيَكُونُ عِلْمُ الْكَلَامِ وَالتَّجْسِيمِ طَاغُوتًا، لِأَنَّهُمْ يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ وَيُعْرَضُونَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ هَذَا هُوَ وَجْهُ تَسْمِيَتِهِ بِالطَّاغُوتِ.

أَهْوَنُ بَذَا الطَاغُوتِ لَا عَزَّ اسْمُهُ

طَاغُوتٌ ذِي التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ^(١)

كَمْ مِنْ أَسِيرٍ بِلِ جَرِيحٍ بِلِ قَتِيهِ

لِ تَحْتَ ذَا الطَاغُوتِ فِي الْأَزْمَانِ^(٢)

وَتَرَى الْجَبَانَ يَكَادُ يُخْلَعُ قَلْبُهُ

مِنْ لَفْظِهِ تَبَّأَ لِكُلِّ جَبَانِ^(٣)

وَتَرَى الْمُخَنَّثَ حِينَ يَقْرَعُ سَمْعَهُ

تَبْدُو عَلَيْهِ شَمَائِلُ النَّسْوَانِ^(٤)

٣ - ويُطلق الطاغوت على الشيطان، وهو رأس الطواغيت، فكل من تمرّد عن طاعة الله من جنود إبليس فهو طاغوت.

(١) «أهون»: هذه كلمة تعجب، والمعنى: ما أشدّ هوانه لأنه ليس بشيء.

(٢) كم أهلك هذا الطاغوت من أتباعه؟ فصاروا جهمية أو معتزلة أو أشاعرة، كلهم صرعى لهذا الطاغوت الذي حملهم على نفي ما أثبتّه الله لنفسه أو أثبتّه له رسوله.

(٣) ترى الجبان يخاف من هذا الطاغوت لكن المؤمن القوي لا يهّمه لأنه باطل، والباطل لا يقوم أبداً.

(٤) المُخَنَّث هو المشتبه أمره، والانخث هو الاشتباه، فهو مذبذب لا يكون مع أهل الحق، ولا يكون مع أهل الباطل، فتبدو عليه صفات النساء من الذلة والمهانة، فيتحول من كونه رجلاً إلى صفة امرأة.

ويظُلُّ مَنْكُوحاً لِكُلِّ مُعْطَلٍ
 وَلِكُلِّ زَنْدِيقٍ أَخِي كُفْرَانٍ^(١)
 وَتَرَى صَبِيَّ الْعَقْلِ يُفْرِغُهُ اسْمُهُ
 كَالْغُولِ حِينَ يُقَالُ لِلصَّبِيَانِ^(٢)
 كُفْرَانٌ هَذَا الْإِسْمَ لَا سُبْحَانَهُ
 أَبْدأً وَسُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ^(٣)

(١) منكوح عقله بالآراء والمعتقدات، وليس منكوحاً، بفعل الفاحشة، لكنه منكوح بالآراء والاعتقادات الباطلة، فأدخلوها عليه، وأفسدوه بها كما يُفسد الملوط به، فيتحول من الرجولية إلى الأنوثة، وربما يُصاب بمرض لا يصبر معه عن اللواط ويطلبه بكل وسيلة، ويدعو الناس للفعل به، وهذا واقعٌ ومعروفٌ - ولا حول ولا قوة إلا بالله - فهكذا هؤلاء لما فتحوا على أنفسهم ترك الكتاب والسنة، وأخذوا علم الكلام، نكحهم هؤلاء الكُفَّار، بمعنى: أَنَّهُمْ أَفْسَدُوا عَقَائِدَهُمْ كَمَا يُفْسِدُ صَاحِبُ اللِّوَاطِ مَنْ يَفْعَلُ بِهِ الْفَاحِشَةَ، هَذَا وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّشْبِيهِ.

(٢) صبي العقل: هو الذي عقله صغير مثل عقل الطفل وإن كان كبيراً في جسمه، ولذلك يقول حسان:

لَا عَيْبَ فِي الْقَوْمِ مِنْ طَوْلٍ وَمَنْ قَصَرَ جِسْمُ الْبِغَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ
 يَعْنِي: أَنَّ أَجْسَامَهُمْ كَبِيرَةٌ لَكِنْ لَيْسَ لَهُمْ أَحْلَامٌ وَلَا عَقُولٌ، فَعَقُولُهُمْ
 صَغِيرَةٌ.

(٣) يقول: كفرتُ بهذا الاسم اسم الطاغوت الذي هو التجسيم واعتقدتُ بطلانه، لا سبحانه كما يُزْهَهُ وَيُقَدِّسُهُ أَصْحَابُكُمْ وَيُحْكَمُونَهُ، فَأَنَا لَا أَنْزُهُ وَلَا أَقَدِّسُهُ وَإِنَّمَا أَنْزَرَهُ وَأَسَبَّحَ اللَّهَ الَّذِي يَسْتَحَقُّ التَّسْبِيحَ وَالتَّنْزِيهَ.

كَمْ ذَا التَّرْسُ بِالْمُحَالِ أَمَا تَرَى

قَدْ مَزَقَتْهُ كَثْرَةُ السُّهُمَانِ (١)

جِسْمٌ وَتَجْسِيمٌ وَتَشْبِيهٌُ أَمَا

تَعْيُونٌ مِنْ فَشْرِ وَمِنْ هَنْدِيَانِ (٢)

أَنْتُمْ وَضَعْتُمْ ذَلِكَ الطَاغُوتَ ثُمَّ

مَ بِهِ نَفَيْتُمْ مُوجِبَ الْقُرْآنِ (٣)

وَجَعَلْتُمُوهُ شَاهِدًا بَلْ حَاكِمًا

هَذَا عَلَيَّ مَنْ يَا أُوْلِي الْعُدْوَانِ (٤)

(١) يترسون بعلم الكلام كما يترس المقاتل بالترس الذي يقيه من السلاح، فهم يتقون الكتاب والسنة بعلم الجدل والكلام، وهذا الترس مزقته سهام الحق فلا ينفع أصحابه، ولا يدفع عنهم سهام الكتاب والسنة.

(٢) هذه اصطلاحات عقيدتكم وهي: نفي الجسم والتجسيم، أمّا إثبات الأسماء والصفات كما جاءت في الكتاب والسنة فهذا لا تلتفتون إليه، وإنما تشتغلون بالجسم والتركيب ومصطلحات ما أنزل الله بها من سلطان، والفشر والهنديان اسمان للكذب.

(٣) وضعتم هذا الطاغوت وهو التجسيم، ونفيتم به موجب القرآن فالأصل عندهم هو قواعد المنطق، فما وافقها قبلوه وما خالفها ردّوه بالتحريف والتأويل.

(٤) هذا وجه تسمية التجسيم بالطاغوت أنهم جعلوه حاكماً يحكم في العقيدة فما وافقه فإنه يقبل وما خالفه فإنه يردّ.

أَعْلَى كِتَابِ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ

بِاللَّهِ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ^(١)

فَقَضَاؤُهُ بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ مِثْ

لُ قِيَامِهِ بِالزُّورِ وَالْعُدْوَانِ

وَقِيَامُهُ بِالزُّورِ مِثْلُ قَضَائِهِ

بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ^(٢)

كَمْ ذِي الْجَعَالِ لَيْسَ شَيْءٌ تَحْتَهَا

إِلَّا الصَّدَى كَالْبُومِ فِي الْخِرْبَانِ^(٣)

وَنظِيرُ هَذَا قَوْلُ مُلْحِدِكُمْ وَقَدْ

جَحَدَ الصِّفَاتِ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ

(١) على ماذا نصبتم هذا الطاغوت، نصبتموه على كتاب الله وسنة رسوله، استحيوا من أنفسكم أنكم تقابلون كلام الله ورسوله بهذا الطاغوت، وترفضون كلام الله والرسول، وتعتقدون ما يقتضيه هذا الطاغوت ويحكم به.

(٢) قضاء هذا الحاكم الذي هو الطاغوت بالجور والظلم؛ لأن أصله مزور لا حقيقة له ولا يقضي بالحق، فالقضاء قضاء الله ورسوله، أما قضاء غير الله ورسوله فهو قضاء باطل ليس بشيء، فهو كمثل زور، والزور هو الكذب، فشهادة الزور تعني: شهادة الكذب، وسميت زوراً من التزوير، وهو تزوير الشيء وتحسينه وتزويقه حتى يقبل.

(٣) شبه ابن القيم هذا الطاغوت بنعيق البوم على الخراب، فالبوم يصيح على الخراب وليس لصوته فائدة، فكلام هؤلاء مثل أصوات البوم على الخراب لا يلتفت إليه ولا يُقام له وزن، وإنما الموعول على الكتاب والسنة.

لو كان موصوفاً لكان مُركَّباً

فالوصفُ والتركيبُ مُتَّحِدَانِ

ذا المَنجَنِيْقُ وذلك الطَاغُوْتُ قد

هَدَمَا دِيَارَكُمُ إِلَى الْأَرْكَانِ (١)

وَاللَّهُ رَبِّي قَدْ أَعَانَ بِكَسْرِ ذَا

وَيَقْطَعِ ذَا سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ (٢)

فَلَنْ زَعَمْتُمْ أَنَّ هَذَا لَأَزْمٌ

لِمَقَالِكُمْ حَقّاً لَزُومَ بَيَانِ

(١) مثلُ التَّجْسِيمِ فِي الْبَطْلَانِ قَوْلُ مُلْحَدِهِمْ: إِنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ يَقْتَضِي التَّرْكِيبَ، أَي أَنَّ اللَّهَ مُرَكَّبٌ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَهَذَا كَلَامٌ بَاطِلٌ، فَالتَّرْكِيبُ لَمْ يُذَكَّرْ فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ لَا نَفِيّاً وَلَا إِثْبَاتاً، فَنَحْنُ لَا نَسْتُثْنِيهِ وَلَا نَنْفِيهِ، فَلَا نُقِيمُ لَهُ وَزناً إِلَّا مِنْ بَابِ الرَّدِّ عَلَيْهِ وَإِبْطَالِهِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ التَّرْكِيبَ.

هَذَا الْمَنْجَنِيْقُ الَّذِي نَصَبْتُمُوهُ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَرَمِيهِمْ بِهِ، وَالطَّاغُوْتُ الَّذِي حَكَمْتُمُوهُ، هَذَا يَرْجِعُ ضَرَرُهُ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ، وَلَا يَضُرُّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ مُتَحَصِّنُونَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

(٢) أَعَانَ اللَّهُ أَهْلَ السُّنَّةِ عَلَى تَدْمِيرِ هَذِهِ الْأَقَاوِيلِ وَإِبْطَالِهَا بِمَعَاوِلِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيحاً﴾ [الفرقان: ٣٣] وَقَالَ الْإِمَامُ الْمَجْدُدُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي رِسَالَةِ كَشْفِ الشَّبَهَاتِ: «لَا يَأْتِي أَهْلَ الْبَاطِلِ بِشَبَهَةٍ إِلَّا وَفِي الْقُرْآنِ مَا يُبْطَلُهَا وَيُيَسِّئُهَا» وَهَذَا فِي مُخْتَلَفِ الْأَزْمَانِ.

فلنا جواباتٌ ثلاثٌ كُلُّها

معلومةُ الإيضاحِ والتَّبيانِ^(١)

مَنْعُ اللزومِ وما بأيديكمُ سِوَى

دَعْوَى مُجَرَّدَةٍ عَنِ البُرْهَانِ

لا يرتضيها عَالِمٌ أو عاقلٌ

بَلْ تَلِكْ حِيلَةٌ مُفْلِسٍ فَتَّانٍ^(٢)

فلئن زعمتُمُ أَنَّ مَنْعَ لزومِهِ

مِنْكُمْ مَكابِرَةٌ عَلَى البُطْلانِ

فجوابُنا الثاني امتناعُ النفي في

ما تَدْعُونَ لُزومَهُ بَيانِ

(١) إذا قلتُم: إنَّه يلزم من إثبات الصفات، إثبات التجسيم، واللازم إذا كان باطلاً فإنَّ الملزومَ يكونُ باطلاً. فابن القيم يقول: نُجيبكم عن ذلك بثلاثة أجوبة:

الأول: نُجيب بأنَّه لا يلزم من إثبات الصفات التجسيم، ولم يقل بهذا إلا أنتم، وأما الرُّسل وأتباعهم فلم يقولوا بهذا.

الثاني: إذا تنزَّلنا معكم وقلنا: إنَّه يلزم ذلك فلازمُ الحقِّ حقٌّ كما أن لازمُ الباطل باطلٌ، لكن أثبتوا لنا أنَّه يلزم ذلك فلا يُمكن أن يلزم إلا وهو حق. ويأتي الجواب الثالث.

(٢) إذا قلتُم: إنَّه لازم ولكنكم تنفونه وهو لازم، قلنا: إذا كان يلزمُ القرآن والسُّنة فلازمُ القرآن والسنة صحيح، فلازم الحقِّ حقٌّ لكن عليكم الإثبات بأنَّه يلزمُ أوَّلاً.

إِنْ كَانَ ذَلِكَ لَازِمًا لِلنَّصِّ وَالْ
 مَلْزُومِ حَقٌّ وَهُوَ ذُو بُرْهَانٍ
 وَالْحَقُّ لَازِمُهُ فَحَقٌّ مِثْلُهُ
 أَتَى يَكُونُ الشَّيْءُ ذَا بُطْلَانٍ
 وَيَكُونُ مَلْزُومًا بِهِ حَقًّا فَذَا
 غَيْبُ الْمُحَالِ وَليْسَ فِي الإِمْكَانِ
 فَتَعَيَّنَ الإِلْزَامُ حَيْثُ بَدَأَ عَلَى
 قَوْلِ الرَّسُولِ وَمُحَكَّمِ الْقُرْآنِ (١)
 وَجَعَلْتُمْ أَتْبَاعَهُ مَا نَسْتُرًا
 خَوْفًا مِنَ التَّصْرِيحِ بِالْكَفْرَانِ
 وَاللَّهِ مَا قُلْنَا سِوَى مَا قَالَهُ
 هَذَا مَقَالَتَنَا بِلَا كِتْمَانٍ
 فَجَعَلْتُمُوهَا جُنَّةً وَالْقَصْدُ مَفْهُومٌ
 فَحَنْ وَقَايَةُ الْقُرْآنِ (٢)

(١) مِنَ الْمُحَالِ أَنَّ الْحَقَّ يَلْزِمُ عَلَيْهِ بَاطِلٌ، فَالْحَقُّ لَازِمُهُ حَقٌّ.

(٢) يَقُولُ النَّازِمُ: أَنْتُمْ سَمِيتُمْ أَتْبَاعَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مُجَسِّمَةً تَسْتُرًا، وَأَنْتُمْ تَرِيدُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ جَاءَا بِالتَّجْسِيمِ، لَكِنْ لَمْ تُصَرِّحُوا بِهَذَا، فَهَذَا مَعْنَى كَلَامِكُمْ، فَأَنْتُمْ لَوْ قُلْتُمْ: إِنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ جَاءَا بِالتَّجْسِيمِ لَكَانَ هَذَا كُفْرًا صَرِيحًا، فَأَنْتُمْ تَحَاشَيْتُمْ هَذَا وَوَجَّهْتُمْ التَّجْسِيمَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ بَابِ التَّسْتُرِ، فَحَنْ لَمْ نَأْتِ إِلَّا بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ فَقَطْ، =

هذا وثالث ما نُجيبُ به هو اسْمُ
 تَفْسَارُكُمْ يَا فِرْقَةَ الْعِرْفَانِ
 ماذا الذي تَعْنُونَ بالجسمِ الذي
 أَلْزَمْتُمُونَا أَوْضِحُوا بَيَانَ
 تَعْنُونَ مَا هُوَ قَائِمٌ بِالنَّفْسِ أَوْ
 عَلِ عَلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
 أَوْ ذَا الَّذِي قَامَتْ بِهِ الْأَوْصَافُ أَوْ
 صَافُ الْكَمَالِ عَدِيمَةُ النِّقْصَانِ
 أَوْ مَا تَرَكَّبَ مِنْ جَوَاهِرَ فَرْدَةٍ
 أَوْ صُورَةٍ حَلَّتْ هَيُولَى ثَانِ
 أَوْ مَا هُوَ الْجِسْمُ الَّذِي فِي الْعُرْفِ أَوْ
 فِي الْوَضْعِ عِنْدَ تَخَاطُبِ بِلْسَانِ
 أَوْ مَا هُوَ الْجِسْمُ الَّذِي فِي الدَّهْنِ ذَا
 كَ يُقَالُ تَعْلِيمٌ لِذِي الْأَذْهَانِ
 ماذا الذي في ذاك يَلْزَمُ مِنْ ثَبْوِ
 تِ عُلُوِّهِ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ
 فَأَتُوا بِتَعْيِينِ الَّذِي هُوَ لِأَزْمِ
 فَإِذَا تَعَيَّنَ ظَاهِرُ التَّبْيَانِ

= فإذا رميتونا بالتجسيم فمعنى ذلك: أنكم رميتم الكتاب والسنة بالتجسيم
 وهذا كفرٌ صريح.

فَأْتُوا بِرَهَائِنِ بُرْهَانِ اللَّزْوِ

مِ وَنَفِي لَازِمِهِ فِذَانِ اثْنَانِ^(١)

وَاللَّهُ لَوْ نَشِئْتُمْ لَكُمْ أَشْيَاخُكُمْ

عَجَزُوا وَلَوْ وَاطَاهُمُ الثَّقَلَانِ

(١) الجواب الثالث: الاستفصال، ماذا تريدون بالتجسيم، هل تريدون إثبات الأسماء والصفات؟ فهذا حق ولا نسّميه تجسيماً، أم تريدون بالتجسيم أجسام المخلوقين؟ فهذا منفي عن الله تعالى فالله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فالتجسيم لفظٌ مُحَدَّث لا يُثَبَّت ولا يُنْفَى ولكن يستفصل فيه، فإن كان المعنى صحيحاً قيل به، وإن كان باطلاً رُدَّ، أم تريدون بالتجسيم ما وصف الله به نفسه من العلو والاستواء والنزول والسمع والبصر والحياة إلى غير ذلك من الصفات؟ فهذا حقٌ ولكن لا نُسّميه تجسيماً، أم تريدون بالجسم ما تركب من الأجزاء كالجدار يتركب من اللبنة والطين، والباب يتركب من الخشب والمسامير؟ أم تريدون بالتجسيم ما يُريده علماء المنطق أو علماء الفلسفة حيث إنَّ التجسيم عندهم ما رُكِب من الهَيُولَى والصورة، فأَيُّ المعاني تريدون؟ فالمعنى الأول صحيح وهو أنَّ الجسم ما تقوم به الصفات فهذا معنى صحيح، وأمَّا المعنى الثاني والثالث فهما باطلان، فالمهم أنَّ الجسم له معانٍ كثيرة فحدّدوا مُرَادَكُمْ بذلك واتركوا الإجمال فإنّه لا يقبل، لأنّه من التلبيس، فإذا بيّنتم ماذا تريدون بالتجسيم من هذه المعاني، فحينئذ هاتوا أدلّة على أنّ إثبات الأسماء والصفات يقتضي التجسيم، وأنّي لكم ذلك؟

إِنَّ كُنْتُمْ أَنْتُمْ فُحُولاً فَابْرُزُوا
 وَدَعُوا الشُّكَاوَى حِيلَةَ النَّسْوَانِ^(١)
 وَإِذَا اشْتَكَيْتُمْ فَاجْعَلُوا الشُّكْوَى إِلَى الْ
 وَحِيَيْنِ لَا الْقَاضِي وَلَا السُّلْطَانَ^(٢)
 فَجُجِبُ بِالْتَّرْكِيبِ حَيْثُ جَوَا
 بِأَشَافِيَاءٍ فِيهِ هُدَى الْحَيْرَانِ
 الْحَقُّ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ وَنَفْيُهَا
 عَيْنُ الْمُحَالِ وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
 فَالْجِسْمُ إِمَّا لِأَزْمٍ لِثَبُوتِهَا
 فَهُوَ الصَّوَابُ وَلَيْسَ ذَا بَطْلَانِ
 أَوْ لَيْسَ يَلْزَمُ مِنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ
 فَشِنَاعَةُ الْإِلْزَامِ بِالْبُهْتَانِ^(٣)

(١) والله لو اجتمعتم أنتم وشيوخكم الأموات ما استطعتم تصحيح هذا الباطل الذي تفوهتم به، وهو أن إثبات الصفات يقتضي التجسيم.

(٢) إذا عجزتم أنتم وأشياخكم عن أن إثبات الصفات يقتضي التجسيم فلا تلجؤوا إلى الشكوى إلى السلاطين والأمراء ليُعزُّوكم وينتقموا لكم من أهل السنة والجماعة كما حصل من أسلافكم مع الإمام أحمد وغيره، ولكن الجؤوا إلى الكتاب والسنة إن كنتم تريدون الحق، والعاجز عن الحق هو الذي يلجأ إلى السلطة.

(٣) نقول: إذا صحَّ القول بأنَّ إثبات الصفات يستلزم التجسيم، فهذا حقٌّ، ولازم الحقُّ حقٌّ، ولكن أنَّى لكم إثبات هذا كما سبق.

فالمنعُ في إحدى المقدمتين معُ

لُومُ البيانِ إذا بلا نُكرانِ

فالمنعُ إمَّا في اللزومِ أو انتفا

ءِ اللازمِ المنسوبِ للبطلانِ

هذا هو الطاغوتُ قد أضحى كما

أبصرتموه بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ (١)

* * *

(١) يقولون: إثبات الصفات يلزم منه التجسيم والتجسيم باطلٌ، إذن إثبات الصفات باطلٌ، فالقاعدة عندهم مركبة من مقدمتين ونتيجة، فنحنُ أبطلنا المقدمة الأولى وقلنا: لا يلزم من أنَّ إثبات الصفات يقتضي التجسيم، ثمَّ أبطلنا المقدمة الثانية وقلنا: وإذا لزمَ أن إثبات الصفات يستلزم التجسيم فلازم الحقُّ حقٌ وليس بباطل، فبطلت النتيجة لأنَّ المُقدِّمة باطلة، فإذا انكسر هذا الطاغوت الذي بنوا عليه حُجَّتْهم والحمد لله، ولذا قال الناظم:

هذا هو الطاغوتُ قد أضحى كما أبصرتموه بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ

فانكسر هذا الطاغوت الذي بنوا عليه مذهبهم في نفي الصفات.

فصل

في مبدأ العداوة الواقعة بين المُثَبِّتِينَ الموحدين وبين النُفَاة المَعْطَلِينَ

يا قومُ تَدْرُونَ العداوةَ بيننا
 مِن أَجْلِ ما ذا في قديمِ زَمَانٍ^(١)
 إِنَّا تَحَيَّزْنَا إِلَى القُرْآنِ والنُّ
 نْقُلِ الصَّحِيحِ مُفَسِّرِ القُرْآنِ
 وكذا إِلَى العِقلِ الصَّرِيحِ وفِطْرَةِ الر
 رَحْمَنِ قَبْلَ تَغْيِيرِ الإنسانِ
 هي أربَعٌ متلازِماتٌ بَعْضُها
 قَدْ صَدَّقَتْ بَعْضاً عَلَى مِيزانِ

(١) نحن نسأل المعطلة ما هو السبب في العداوة التي بيننا معشر أهل السنة والجماعة وبينكم، وإنما عاديتمونا من أجل اتباع الكتاب والسنة خصوصاً في إثبات الأسماء والصفات، هذا هو سبب العداوة، واتباع الكتاب والسنة لا يوجب العداوة وإنما يجمع القلوب، وإنما الذي يوجب العداوة هو الأهواء والنزاعات والحزبيات، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] فلا يُوحِّد المسلمين إلاّ اتباع الكتاب والسنة.

والله ما اجتمعت لديكم هذه

أبدأ كما أقررتُم بلسان^(١)

إذ قلتُم العقل الصحيح يُعارضُ الـ

مَنقولَ مِن أثرٍ ومن قرآنٍ

فنتقدُّ المعقولَ ثمَّ نصرفُ الـ

مَنقولَ بالتأويلِ ذي الألوان^(٢)

فإذا عجزنا عنه ألقيناهُ لِمَ

نعبأ به قصداً إلى الإحسان^(٣)

(١) فنحن اتبعنا هذه الأصول:

الأول: الكتاب: وهو كلامُ الله عزَّ وجل.

الثاني: السنة: وهي كلامِ الرسولِ المفسرة للقرآن.

الثالث: العقل الصريحُ وهو لا يخالف النقل الصحيح.

الرابع: الفطرة السليمة التي فطرَ اللهُ النَّاسَ عليها قبل فساد النَّاسِ في

فطرهم أمَّا أنتم فليست هذه الأمور الأربعة عندكم.

(٢) قلتُم: إنَّ النقل الصحيح لا يوافق العقلَ الصريحَ فنحنُ نُقدِّمُ العقلَ لأنَّهُ

يُفيد اليقين، والنقل لا يفيد إلا الظن، فهم يعتمدون على العقلِ ويُقدِّمونهُ،

فهذا هو الذي سبَّبَ هلاكَهُم، وماذا يفعلون بالنقل من القرآنِ والسُّنة؟

يُصَرِّفُونَهُ إمَّا بالتحريف والتأويل أو بالتفويض، بحيث لا يُعرف له معنى

بل هو مُجرَّد ألفاظ تُردَّد لا يُعرف لها معنى، فهو من الألفاظ والأحاجي،

فهذه قيمة الكتابِ والسُّنة عندهم أنها لا تُفيدُ علماً.

(٣) قالوا: إذا عجزنا عن تأويله اعتبرنا العقلَ، ورددنا النقلَ، وفوضنا معناه

إلى الله.

وَلَكُمْ بَذَا سَلَفٌ لَهُمْ تَابَعْتُمْ
لَمَّا دُعُوا لِلأَخْذِ بِالْقُرْآنِ
صَدُّوا فَلَمَّا أَنْ أُصِيبُوا أَقْسَمُوا
لَمُرَادُنَا تَوْفِيقُ ذِي الإِحْسَانِ (١)
وَلَقَدْ أُصِيبُوا فِي قُلُوبِهِمْ وَفِي
تِلْكَ الْعُقُولِ بِغَايَةِ النِّقْصَانِ
فَأَتَوْا بِأَقْوَالٍ إِذَا حَصَلَتْهَا
أُسْمِعْتَ ضَحْكَةً هَازِلٍ مَجَّانٍ (٢)
هَذَا جِزَاءُ الْمُعْرِضِينَ عَنِ الْهُدَى
مُتَعَوِّضِينَ زُخَارِفَ الْهَذْيَانِ

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۚ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦١-٦٢]، فالمصيبة إما أن تكون في الأموال والأنفس، وإما أن تكون المصيبة في القلوب، وهي التي تكون بالزيف والضلال، وهذا أشد، وهو جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة أنه يُعاقب، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] وهو القتل والتشريد أو زيف القلوب.

(٢) أَتَوْا بِأَقْوَالٍ وَاعْتِذَارَاتٍ كُلِّهَا أَضْحُوكَاتٍ لَا تَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا، وَهَذِهِ صِفَةٌ مِّنْ أَعْرَضَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَأْتُونَ بِالْعُجْبِ الْعُجَابِ.

واضرب لهم مثلاً بشيخ القوم إذ

يَأْبَى السُّجُودَ بِكِبَرِ ذِي طُغْيَانٍ

ثُمَّ ارْتَضَى أَنْ صَارَ قَوَادِمًا لَأُرِّ

بَابِ الْفُسُوقِ وَكُلِّ ذِي عِصْيَانٍ^(١)

وكذلك أهل الشرك قالوا كيف ذا

بَشَرٌ أَتَى بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ^(٢)

ثم ارتضوا أن يجعلوا معبودهم

مِنْ هَذِهِ الْأَحْجَارِ وَالْأَوْثَانِ^(٣)

(١) وهو إبليس لما أمره الله بالسجود لآدم امتنع واحتج على الله بأنه خير من آدم، فاحتج بالقياس حيث قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] وزعم أن النار خير من الطين فاحتج بالقياس الفاسد، فالنار في الحقيقة ليست خيراً من الطين، فالطين ينبت فيه النبات والكلأ، وتُغرس به الأشجار فتثمر بخلاف النار، فإنها تحرق وتُتلف، فهذا قياسٌ فاسد، وقد لجأ إليه عدو الله لأنه لم يجد دليلاً، فهذا ما أنتم عليه يا معشر المتكلمين يُشبه ما كان عليه إبليس من قبل، وكلُّ مذاهب أهل الباطل مأخوذة من إبليس، والذي حمل إبليس على ذلك الكبر عن أمر الله، والحسد لآدم عليه السلام.

(٢) وهذا القياس الفاسد أيضاً استعمله المشركون في نفي الرسالة فقالوا: كيف يكون الرسول من البشر ونحن بشر، فهو بشرٌ مثلنا حيث قال الله عنهم: ﴿أَبَشْرًا مِثَّا وَحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾ [القمر: ٢٤].

(٣) وهذا من العجب أنهم استغربوا أن يكون الرسول من البشر، ولم يستغربوا أن يكون المعبود من الحجر، فعبدوا الأحجار والأشجار لانتكاس قلوبهم.

وكذلك عبّاد الصليبِ حمّوا بتّنا
 ركّهم من النّسوانِ والولدانِ
 وآتوا إلى ربّ السمّواتِ العلى
 جعلوا له ولدأ من الذّكرانِ^(١)
 وكذلك الجهميُّ نرّة ربّه
 عن عرشه من فوقِ ذي الأكوانِ
 حدراً من الحصرِ الذي في ظنّه
 أو أن يُرى متجيّزاً بمكانِ
 فأصاره عدماً وليس وجوده
 متحقّقاً في خارجِ الأذهانِ^(٢)

(١) البطارقة أو البتاركة: شيوخُ النصارى، فيقولون: إنّ البطريق أو البتريك أو القسيس أو الأب لا يليق به أن يكون له أولاد وزوجة، فنزها بطارقتهم عن الزوجة والأولاد ولم يُنزها الله عن الصحابة والولد، هذا من التناقض - والعياذ بالله - وعبّاد الصليب هم النصارى الذي يعبدون الصليب، والصليب: هو عبارة عن صورة آدمي مصلوبة على خشبة، يزعمون أنّها صورة المسيح عليه السلام لمّا قُتل وصُلب على الخشبة، فهم يعبدون هذا الصليب، وابن القيم يقول: كان الواجب عليهم تكسير الصليب، لأنّه عارٌّ عليهم، لأنّهم يزعمون أنّ اليهود قتلوا نبيّهم وصلّبوه، وهذا عارٌّ على النصارى، فكيف يُظهرون هذا الصليب ويعبدونه، هذه مظاهر يفرح بها اليهود، لأنّها إعادة ذكرى قتل اليهود للمسيح عليه السلام بزعمهم فهذا من غباوتهم.

(٢) كذلك الجهمية وتلاميذهم ومنّ هذا حدوّهم في نفي الصفات، نزّهاوا الله =

لكنَّما قُدِّمواؤكم قالوا بأنَّ

الذات قَدْ وُجِدَتْ بكلِّ مكانٍ (١)

جعلوه في الآبار والأنجاس والـ

حاناتِ والخرباتِ والقيعانِ (٢)

والقصدُ أنكم تَحَيَّزْتُمْ إلى الآ

راءِ وهي كثيرةُ الهذيانِ

فلوَّنتْ بكمُ فجِئتُمْ أنْتُمْ

مُتَلَوِّينَ عجائبَ الأكوانِ

وعرَضْتُمْ قولَ الرسولِ على الذي

قَدْ قالَهُ الأشياخُ عَرَضَ وِزَانِ

= عن صفاته فسلبوا عنه الكمال بحجة التنزيه، فلما نفوا عنه الصفات لزم أن يكون معدوماً، لأنَّ الذي ليس له صفات هو المعدوم، فليس هناك شيءٌ موجود إلاَّ وله صفات، فنزَّهُوا الله عن الصفات ولم يُنَزِّهوه من العدم.

(١) الحُلُولِيَّة يقولون: لا يختصُّ الله بمكان فلا يكون فوق العرش ولا فوق السماوات. وإنَّما هو في كلِّ مكان نفيًّا للعلو عندهم؛ لأنَّه يقتضي التجسيم، ويلزم على قولهم: أنَّ الله في الحُشوش ومحلِّ القاذورات وفي كلِّ مكانٍ سيِّء.

(٢) لأنَّهم ما نزَّهُوه عن الأمكنة القدرة ولا عن الخرائب ولا عن دورات المياه ولا عن أيِّ مكانٍ لا يليقُ بالبشرِ فكيف يليقُ بالله تعالى.

وجعلتُم أِقْوَالَهُمْ مِيزَانَ مَا
 قَدْ قَالَهُ وَالْعَوْلُ فِي الْمِيزَانِ (١)
 وَوَرَدْتُمُ سُفْلَ الْمِيَاهِ وَلَمْ نَكُنْ
 نَرْضَىٰ بِذَلِكَ الْوَرْدِ لِلظَّمَانِ
 وَأَخَذْتُمْ أَنْتُمْ بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ وَنَحْنُ
 مِنْ سِرْنَا فِي الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ السُّلْطَانِي (٢)

(١) عكستم الأمور، فالواجب أنكم تعرضون كلامَ الشيوخ على كلام الله ورسوله، فما صحَّحناه فهو صحيح، وما أبطأه فهو باطل، أما أنتم فقد عكستم، حيث عرضتم أقوالَ الكتاب والسنة على أقوال الشيوخ فما وافقوه أخذتم به وما خالفوه رددتموه، وهذه طريقة أهل الباطل وردهم للنصوص إمَّا أن يكون بالتحريف والتأويل، وإمَّا أن يكون بالتفويض.

(٢) بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ: هي الطرق الصغيرة المختلفة المنشقة عن طريق الحق الخارجة عنه، كما ورد عن عبد الله بن مسعود، قال: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خَطْوَةً عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سَبِيلٌ مَتَفَرِّقَةٌ عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» (*) وَالنَّبِيُّ ﷺ ضَرَبَ هَذَا الْمَثَالَ بِالْمَحْسُوسِ حَتَّىٰ يُقَرَّبَ بِهِ الْمَعَانِي، وَهَؤُلَاءِ سَلَكُوا بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ، وَهِيَ الْجَوَادُّ الْمَخْتَلِفَةُ، وَإمَّا أَهْلَ السَّنَةِ فَسَلَكُوا الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ السُّلْطَانِي، الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ تَعَارِيجٌ وَلَا التَّوَاتُؤَاتِ.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٧/٢٠٧-٢٠٨ (٤١٤٢)، والدارمي (٢٠٨)، والنسائي في «الكبرى» ١٠/٩٥ (١١١٠٩)، والحاكم في «المستدرک» ٢/٣٤٨-٣٤٩ (٣٢٤١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

وجعلتُمُ تُرْسَ الكَلَامِ مِجَنَّتِكُمْ
 تَبَّأَ لِذَاكَ التُّرْسِ عِنْدَ طِعَانِ (١)
 ورميتُمُ أَهْلَ الحَدِيثِ بِأَسْهُمِ
 عَن قَوْسِ مَوْتُورِ الفِؤَادِ جَبَانِ
 ففترسُوا بِالوَحْيِ وَالسُّنَنِ التِّي
 تَتَلَوُهُ نِعَمَ التُّرْسِ لِلشَّجْعَانِ
 هُوَ تُرْسُهُمْ وَاللَّهِ مِنْ عُدْوَانِكُمْ
 وَالتُّرْسُ يَوْمَ البَعْثِ مِنْ نِيرَانِ (٢)
 أَفْتَارِكُوهُ لِفَشْرِكُمْ وَمَحَالِكُمْ
 لَا كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ
 وَدَعَاؤُنَا لِلذِّي قُلْتُمْ بِهِ
 قُلْنَا مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ خِذْلَانِ (٣)

- (١) واتخذتم علم الكلام والجدل وقاية تترسون به من الحق، ولكنه لا يقيكم هذا الترس من سهام الحق، فهي تخترقه وتصل إليكم لأنه ليس بشيء.
- (٢) أهل الحديث: هم المتمسكون بالكتاب والسنة فهم يأخذون عقيدتهم منهما، وترسوا بترس الكتاب والسنة، يدفعون به الأهواء والشبهات، فبهما العصمة من الخطأ والضلال، وهذا في الدنيا، وفي الآخرة يقيهم هذا الترس من النار، لأنه يوصل إلى الجنة، فنحن لا نترك هذا الترس من أجل أهوائكم ومن أجل رغباتكم.
- (٣) تدعوننا إلى علم الجدل وعلم الكلام ونحن نستعيد بالله أن نجيبكم إلى هذه الدعوى، لأنها دعوة إلى الضلال.

فاشْتَدَّ ذَاكَ الْحَرْبُ بَيْنَ فَرِيقِنَا
 وَفَرِيقِكُمْ وَتَفَاقَمَ الْأَمْرَانِ (١)
 وَتَأَصَّلَتْ تِلْكَ الْعِدَاوَةُ بَيْنَنَا
 مِنْ يَوْمِ أَمْرِ اللَّهِ لِلشَّيْطَانِ
 بِسُجُودِهِ فَعَصَى وَعَارَضَ أَمْرَهُ
 بِقِيَاسِهِ وَبَعَقَلِهِ الْحَوَّانِ (٢)
 فَاتَى التَّلَامِيذُ الْوِقَاحُ فَعَارَضُوا
 أَخْبَارَهُ بِالْفَشْرِ وَالْهَازِيَانِ (٣)
 وَمُعَارِضٌ لِلأَمْرِ مِثْلُ مُعَارِضِ الأُ
 أَخْبَارِ هُمْ فِي كُفْرِهِمْ صِنُوانِ (٤)

- (١) لَمَّا أَبِينَا أَنْ نَأْخُذَ مَا دَعَوْتُمُونَا إِلَيْهِ، وَاعْتَصَمْنَا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، حَصَلَتْ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، الْحَرْبُ الْكَلَامِيَّةُ الْجَدَلِيَّةُ، وَتَارَةً تَكُونُ حَرْبًا بِالسَّلَاحِ .
- (٢) فَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مِنْذُ أَنْ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ حَيْثُ لَجَأَ إِلَى الْقِيَاسِ فَعَارَضَ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى وَقَالَ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢] فَأُولَئِكَ مِنْ قَاسِ الْقِيَاسِ الْفَاسِدِ هُوَ إِبْلِيسُ، فَحَصَلَتْ الْحَرْبُ بَيْنَ حِزْبِ اللَّهِ وَحِزْبِ الشَّيْطَانِ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ .
- (٣) تَلَامِيذُ الشَّيْطَانِ هُمْ: أَهْلُ الضَّلَالِ نَحْوُ مَنْحَى الشَّيْطَانِ فَعَارَضُوا الْوَحْيَ بِقَوَاعِدِهِمُ الْعَقْلِيَّةَ وَالْجَدَلِيَّةَ وَالْمَنْطِقِيَّةَ . هَذَا هُوَ سَلَاخُهُمْ وَهَذَا مَا عِنْدَهُمْ .
- (٤) الْوَحْيُ قِسْمَانِ: إِمَّا أَمْرٌ: وَهُوَ التَّشْرِيْعُ، وَإِمَّا خَبْرٌ عَنِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَعَنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَا يَكُونُ فِي آخِرِ الْخَلْقَةِ، فَلَا بَدَّ مِنْ تَصْدِيقِ الْخَبْرِ وَامْتِثَالِ الْأَمْرِ، وَأَهْلُ الْبَاطِلِ يُعَارِضُونَ الْخَبْرَ وَالْأَمْرَ، فَيَكْذِبُونَ بِالْخَبْرِ وَلَا يَمْتَثِلُونَ الْأَمْرَ .

مَنْ عَارِضَ الْمَنْصُوصَ بِالْمَعْقُولِ قَدْ
 مَا أَحْبَرُونَا يَا أُوْلِي الْعِرْفَانِ^(١)
 أَوْ مَا عَرَفْتُمْ أَنَّهُ الْقَدَرِيُّ وَالْـ
 جَبْرِيُّ أَيْضاً ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ
 إِذْ قَالَ قَدْ أَغْوَيْتَنِي وَفَتَنَتَنِي
 لِأَزَيِّنَنَّ لَهُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ
 فَاحْتَجَّ بِالْمَقْدُورِ ثُمَّ أَبَانَ أَنْ
 نَ الْفِعْلَ مِنْهُ بِغَيَّةٍ وَزِيَانِ^(٢)

(١) من الذي عارض المنصوص وهو الكتاب والسنة بالمعقول؟ هل عارضه الصحابة أو التابعون أو أهل القرون المفضلة حاشا وكلاً، إنما عارضه الخلف المتأخرون، الذين دب إليهم علم الجدل والكلام من قبل الفلاسفة وأهل الكلام، فحصلت عندهم المعارضة بزعمهم بين المنقول والمعقول، والنقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح أبداً، فالشرع لا يأتي بما تحيله العقول، لكن يأتي بما تحار فيه العقول، لأن العقول لا تدرك كل شيء بل تتوقف وتسلم أمرها لله تعالى.

(٢) الذي عارض النقل بالعقل هو الشيطان، عارض أمر الله تعالى بالقدر وأن إغواءه بقدر الله، ﴿ قَالَ رَبِّ يَا أَغْوَيْتَنِي لِأَزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الحجر: ٣٩] فاحتج بالقدر على الله ولم يلم نفسه ويقول: أنا الذي عصيت وفرطت، بل أضاف هذا إلى الله وبرا نفسه من ذلك، وقال: ﴿ لِأَزَيِّنَنَّ لَهُمْ ﴾ فصار في الأول جبري وفي الثاني قدري، فالتزيين نسبة إلى نفسه ولم ينسبه إلى قدر الله عز وجل، وهذا قول القدرية في أن العبد يخلق فعل نفسه، وهذا شأن أهل الضلال دائماً يتناقضون.

فانظرُ إلى ميراثِهِمُ ذا الشَيْخِ بالتَّ

تَعْصِيبِ والميراثِ بالسُّهْمَانِ^(١)

فَسَأَلْتُكُمْ بِاللَّهِ مَنْ وُزَّأُهُ

مِنَّا وَمِنْكُمْ بَعْدَ ذَا التَّيْبَانِ^(٢)

هَذَا الَّذِي أَلْقَى الْعِدَاوَةَ بَيْنَنَا

إِذْ ذَاكَ وَاتَّصَلْتُ إِلَى ذَا الْآنِ^(٣)

أَصَلْتُمْ أَصْلًا وَأَصَلَ خَصْمُكُمْ

أَصْلًا فَحِينَ تَقَابَلَ الْأَصْلَانِ

ظَهَرَ التَّبَائِنُ فَانْتَشَتْ مَا بَيْنَنَا أَلْ

حَرْبُ الْعَوَانُ وَصِيحَ بِالْأَقْرَانِ^(٤)

(١) علماء المنطق وعلماء الكلام الذين خالفوا الكتاب والسنة ورثوا إبليس في هاتين النقطتين:

الأولى: الجبر.

الثانية: نفي القدر. فهم ورثوا إبليس بالفرض والتعصيب.

(٢) نحنُ اتبعنا الملائكة في امثالهم لأمرِ الله بالسُّجودِ لآدم، وأنتم اتبعتم الشيطان في امتناعه عن السُّجودِ بالقياسِ الفاسد، فمن هو الذي أولى بإبليس أنحنُ أم أنتم؟

(٣) هذا هو سبب العداوة بيننا وبينكم، أننا ورثنا الكتاب والسنة، وأنتم ورثتم ميراث إبليس في إنكار الخبر وعصيان الأمر، فسبب ذلك العداوة بيننا وبينكم.

(٤) الحرب العوان: هي الحرب المستمرة الدائمة، لما أصَلنا على الكتاب =

أَصَلْتُمْ آرَاءَ الرِّجَالِ وَخَرَصَهَا

مِنْ غَيْرِ بُرْهَانٍ وَلَا سُلْطَانٍ^(١)

هَذَا وَكَمْ رَأْيٍ لَهُمْ فَبِرَأْيٍ مَنْ

نَزِنُ النُّصُوصَ فَأَوْضِحُوا بَيَانَ^(٢)

كُلُّ لَهْ رَأْيٍ وَمَعْقُولٌ لَهُ

يَدْعُو وَيَمْنَعُ أَخَذَ رَأْيٍ فُلَانٍ^(٣)

وَالْخَصْمُ أَصَلَ مُحَكَّمِ الْقُرْآنِ مَعَ

قَوْلِ الرَّسُولِ وَفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ^(٤)

وَبَنَى عَلَيْهِ فَاعْتَلَى بُيُنَانَهُ

نَحْوِ السَّمَاءِ أَعْظَمُ بِذَا الْبُنْيَانِ

= وَالسُّنَّةُ وَأَصَلْتُمْ عَلَيَّ غَيْرَهُمَا، حَصَلَتْ الْحَرْبُ وَالْأَخْذُ وَالرَّدُّ وَالْمَنَاوِشَاتُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، وَتَسْتَمِرُّ إِلَيَّ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

(١) أَصَلْتُمْ آرَاءَ الرِّجَالِ، قَالَ فُلَانٌ وَقَالَ فُلَانٌ، وَأَمَّا أَصَلْنَا فَقَالَ اللَّهُ، وَقَالَ رَسُولُهُ لَا نَعْدِلُ عَنْ ذَلِكَ أَبَدًا.

(٢) «كَمْ» هُنَا بِمَعْنَى كَثِيرٍ، فَإِذَا كَانَ الْمَصْدَرُ هُوَ الْآرَاءُ فَالْآرَاءُ كَثِيرَةٌ وَمُخْتَلِفَةٌ فَمَنْ تَبَعَ مِنَ الْآرَاءِ، وَالْآرَاءُ تَتَنَاقَضُ وَتَتَضَارِبُ وَتَخْتَلِفُ فَمَنْ تَبَعَ؟ وَأَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةُ فَمَصْدَرُهُمْ وَاحِدٌ لَا يَخْتَلِفُ، هُوَ قَالَ اللَّهُ وَقَالَ رَسُولُهُ.

(٣) وَلِهَذَا هُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ مُتَنَاقِضُونَ وَمُخْتَلِفُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

(٤) أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَأَصْلُهُمْ قَوْلُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْفِطْرَةُ السَّلِيمَةُ وَالْعَقْلُ السَّلِيمُ، فَهُمْ اعْتَمَدُوا عَلَيَّ هَذَا وَعَلِمُوا أَنَّهَا لَا تَتَعَارَضُ.

وعلى شفا جُرْفِ بَنِيئُمْ أَنْتُمْ
فَأَتَتْ سَيُولُ الْوَحْيِ وَالْإِيمَانِ^(١)
قَلَعَتْ أُسَاسَ بِنَائِكُمْ فَتَهَدَّمَتْ
تِلْكَ السَّقُوفُ وَخَرَّ لِلْأَرْكَانِ^(٢)
اللَّهُ أَكْبَرُ لَوْ رَأَيْتُمْ ذَلِكَ الْ
بُنْيَانَ حِينَ عَلَا كَمِثْلِ دُخَانٍ
تَسْمُو إِلَيْهِ نَوَاطِرٌ مِنْ تَحْتِهِ
وَهُوَ الْوَضِيعُ وَلَوْ يُرَى بَعِينَانِ
فَاصْبِرْ لَهُ وَهَذَا وَرَدَّ الطَّرْفَ تَلْ
قَاهُ قَرِيباً فِي الْحَضِيضِ الدَّانِي^(٣)

(١) بنیان أهل الحقّ بُني على أساس صحيح فاعتلى إلى السماء؛ لأنّ الأساس إذا كان سليماً ثبت البناء وارتفع، بخلاف الأساس الفاسد والمنهار لا يُبنى عليه شيء، ولو بُني عليه شيء فإنه ينهار سريعاً.
(٢) هذا اقتباس من القرآن ﴿ أَفَمَنْ أَتَسَسَ بِبَيْكُنْهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَتَسَسَ بِبَيْكُنْهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ [التوبة: ١٠٩] فهذه الآيات اقتباس من هذه الآية.

(٣) يعني بنيانكم حين ارتفع، فهو كالدخان يرتفع إلى عنان السماء لكأنه ليس بشيء لأنه هباء، فكذلك بنیان أهل الباطل يرتفع وليس بشيء، فيعجبون به ويظنونهم بنياناً قوياً وهو في الواقع هباء ودُخَانٌ سُرْعَانٌ مَا يَصْمَحِلُّ، فلا تعجبُ به ولا بارتفاعه واصبر قليلاً حتى يتبين لك حقيقته ويذهب هباءً منثوراً.

فصل

في بيان أن التعطيل أساسُ الزندقة والكُفران،
والإثبات أساسُ العلم والإيمان^(١)

مَنْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِفَاعِلٍ
فَعَلًّا يَقُومُ بِهِ قِيَامَ مَعَانٍ
كَلًّا وَلَيْسَ الْأَمْرُ أَيْضًا قَائِمًا
بِالرَّبِّ بَلْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَكْوَانِ
كَلًّا وَلَيْسَ اللَّهُ فَوْقَ عِبَادِهِ
بَلْ عَرْشُهُ خَلُوعٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
فثَلَاثَةٌ وَاللَّهُ لَا تُبْقِي مِنْ أَلِ
إِيمَانٍ حَبَّةَ خَرْدَلٍ بِوِزَانٍ
وَقَدْ اسْتَرَاحَ مُعْطَلٌ هَذَا الثَّلَا
ثَ مِنْ الْإِلَهِ وَجُمْلَةِ الْقُرْآنِ^(٢)

(١) التعطيل لأسماء الله وصفاته أساسُ الزندقة، وإثبات الأسماء والصفات هو أساسُ المعرفة والهدى والإيمان.

(٢) من نفى أفعال الله تعالى ونفى كلامه وقال: إنه مخلوق، ونفى علوه فوق مخلوقاته وقال: ليس له مكان، فماذا بقي عنده من الإيمان؟ ليس عنده شيء من الإيمان، لأنه ليس عنده وحيٌّ من الله ولا معرفة بالله، ولا عنده ثقة بكلام الله وكلام رسوله، فماذا يبقى عنده؟ هذا هو التعطيل ومقتضى =

وَمِنَ الرَّسُولِ وَدِينِهِ وَشَرِيعَةِ الْ

إِسْلَامِ بَلْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَدْيَانِ^(١)

وَتَمَامُ ذَاكَ جُحُودُهُ لَصِفَاتِهِ

وَالذَّاتُ دُونَ الْوَصْفِ ذُو بُطْلَانٍ^(٢)

وَتَمَامُ ذَا الْإِيمَانِ إِقْرَارُ الْفَتْى

بِاللَّهِ فَاطِرِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

فَإِذَا أَقْرَبَ بِهِ وَعَطَّلَ كُلَّ مَفْ

رُوضٍ وَلَمْ يَتَوَقَّ مِنْ عِصْيَانِ

لَمْ يَنْقُصِ الْإِيمَانُ حَبَّةَ خَرْدَلٍ

أَنْىَ وَلَيْسَ بِقَابِلِ التَّقْصَانِ^(٣)

= هذا: أَنَّهُمْ جَحَدُوا وجود الله نهائياً، وهذا هو المعدوم، وهم لا يُسْمَوْنَ تعطيلاً وإنما يسمونه تنزيهاً، من أجل التمويه على النَّاسِ، فصار الْمُعْطَلُ ملحداً لا يستدل بالكتاب ولا بالسُّنَّةِ، ولا يؤمن بربِّ ولا بكتاب ولا بشيء.

(١) إذا نفى هذه الثلاثة لَزِمَ من ذلك: أن ينفي رسالات الرسل، وإنزال الكتب، وجميع الشرائع، فمعنى ذلك أَنَّهُ عاد مُلْحِداً.

(٢) هذا الأمر الرابع: وهو نفي الصفات، ويلزم منه نفي الموصوف، لأنَّه ما من شيء موجود إلَّا وله صفات، والذي ليس له صفات هو المعدوم، فيلزم من نفيهم للصفات عدمُ إيمانهم بالله تعالى.

(٣) من جملة أقوال الجهمية القول بالإرجاء، وهو القول بأن الأعمال ليست من الإيمان، فيقولون: الإيمان هو المعرفة في القلب، فتعترف بقلبك =

وتمام هذا قوله إِنَّ التَّبَوُّ

وَةَ لَيْسَ وَصْفًا قَامَ بِالْإِنْسَانِ

لَكِنْ تَعَلَّقُ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْقَدِيدِ

مِ بَوَاحِدٍ مِّنْ جُمْلَةِ الْإِنْسَانِ

= بوجود الربِّ، ولو فعلت ما فعلت فأنت مؤمن، ومسألة الأعمال هذه أمرها سهل، حتى ولو لم تفعل شيئاً من الطاعات، ولا تركت شيئاً من المنكرات، فأنت مؤمن، هذا هو قول المرجئة العُلَاة، وهم الجهمية الذين يقولون: إِنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْمَعْرِفَةُ بِالْقَلْبِ، وَيَلِيهِ قَوْلُ الْأَشَاعِرَةِ وَهُوَ أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ التَّصَدِيقُ بِالْقَلْبِ، وَيَلِيهِ قَوْلُ الْكِرَامِيَّةِ وَهُوَ أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْقَوْلُ بِاللِّسَانِ فَقَطْ وَلَوْ لَمْ يَعْتَرَفْ بِالْقَلْبِ، وَيَلِيهِ قَوْلُ مُرْجئة الفقهاء وهو أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْإِعْتِقَادُ بِالْقَلْبِ وَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ، وَأَمَّا الْأَعْمَالُ فَلَيْسَتْ دَاخِلَةً فِي مُسَمَّى الْإِيمَانِ؛ بَلْ هِيَ مِنْ لَوَازِمِهِ، فَهَؤُلَاءِ هُمْ أَخْفَى فَرْقِ الْمُرْجئة، وَلَكِنَّ قَوْلَهُمْ قَوْلٌ بَاطِلٌ.

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَيَقُولُونَ: الْإِيمَانُ هُوَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَهَذَا الْقَوْلُ مَأْخُودٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. فَالْجَهْمِيَّةُ يَرَوْنَ أَنَّهُ إِذَا فَعَلَ الشَّخْصُ مَا فَعَلَ مِنَ الْمَكْفَرَاتِ، وَتَرَكَ جَمِيعَ الطَّاعَاتِ، فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ بِكَافِرٍ مَا دَامَ يَعْتَرَفُ بِقَلْبِهِ بِاللَّهِ، وَلِذَا يَقُولُونَ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ.

فإيمان جبريل مثل إيمان أفسق المسلمين عندهم، وهذا قول جميع فرق المرجئة الأربع، وظهر الآن مَنْ يُنَاصِرُونَ قَوْلَ الْمُرْجئة وَيُدَافِعُونَ عَنْهُ.

هذا وما ذاك التعلُّقُ ثابتاً

في خارجِ بلِ ذاكِ في الأذهانِ^(١)

فتعلُّقُ الأقوالِ لا يُعطي الذي

وقفتَ عليه الكونُ في الأعيانِ

هذا إذا ما حصلَ المعنى الذي

قلْتُم هو النَّفْسِيُّ في البُرْهَانِ

لكنَّ جُمهُورَ الطوائفِ لم يروا

ذا مُمكناً بلِ ذاكِ ذو بطلانِ

ما قال هذا غيرُكم من سائرِ النُّ

نظارِ في الآفاقِ والأزمانِ^(٢)

(١) يقولون: إنَّ الله لم يخاطب الرُّسل، لأنَّ الخطاب معنى قائمٌ بالنفس، أي: بذات الربِّ، وهو لم يخاطب الرُّسل، وليست النبوةُ صفةً قامت بالرُّسل، فاللهُ تعالى لا يتكلَّم ولا يأمر ولا ينهى عندهم، هذا من فروع قولهم بالكلام النفسي ونفي الكلام عن الله وأنَّ كلامه مخلوقٌ وقالوا: إسنادُه إلى الله مجاز والأشاعرة يقولون: قام الكلام به سبحانه وتعالى ليس بحرفٍ ولا بصوتٍ، ويسمونه الكلام النفساني، فهم مثل الجهمية إلا أنَّهم أضافوا إليه الكلام النفساني وقالوا: إنَّ الله لا يتكلَّم.

(٢) ما قال بالكلام النفساني أحدٌ غير الأشاعرة، حتى الجهمية التي هي أكفرُ الطوائف لم تقل بالكلام النفساني.

تَسْعُونَ وَجْهًا بَيَّنَّتْ بَطْلَانَهُ

لولا القريضُ لَسُقْتَهَا بِوِزَانٍ^(١)

يا قومُ أينَ الرَّبِّ أينَ كَلامُهُ

أينَ الرَّسُولُ فأوضِحُوا ببيانِ

ما فوقَ عرشِ الرَّبِّ مَنْ هو قائلُ

طَهَ ولا حرفاً من القرآنِ^(٢)

ولقد شَهِدْتُمْ أَنَّ هَذَا قَوْلُكُمْ

واللهُ يَشْهَدُ معَ أولي الإيْمَانِ

وارحمتاهُ لَكُمْ غَبْتُمْ حَظَّكُمْ

مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَمِنْ إِيْمَانِ

وَنَسَبْتُمْ لِلْكَفْرِ أولى مِنْكُمْ

باللهِ والإيْمَانِ وَالْقُرْآنِ^(٣)

هذي بضاعتُكُمْ فَمَنْ يَسْتَأْمُرُهَا

فقد ارتضى بِالْجَهْلِ وَالْخُسْرَانِ^(٤)

(١) وذلك في الرسالة التسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية ردَّ فيها على هذا القول

من تسعين وجهاً، وذلك ردَّ على الأشاعرة في قولهم بالكلام النفساني .

(٢) ما دام نفيتم الكلام فإن الرب، فالذي لا يتكلم لا يكون رباً، وما دام

نفيتم الكلام فكيف يرسل الرسول من لا يتكلم .

(٣) نسبتم للكفر أهل السنة وهم أولى بالإيمان منكم لأنهم صدقوا الكتاب

والسنة .

(٤) هذه بضاعتكم من يشتريها ويتعلمها باء بالخسران لأنها ضلال .

وتمامُ هذا قولُكم في مَبْدَأِ
 وَمَعَادِنَا أَعْنِي الْمَعَادَ الثَّانِي
 وتمامُ هذا قولُكم بفناءِ دا
 رِ الْخُلْدِ فَالِدَّارَانِ فَانِيتَانِ^(١)
 يَا قَوْمَنَا بَلَغَ الْوُجُودُ بِأَسْرِهِ الدُّ
 ذُنْيَا مَعَ الْأُخْرَى مَعَ الْإِيمَانِ
 وَالْخَلْقِ وَالْأَمْرَ الْمُنَزَّلَ وَالْجَزَا
 وَمَنْزِلَ الْجَنَّاتِ وَالنَّيِّرَانِ
 وَالنَّاسُ قَدْ وَرِثُوهُ بَعْدُ فَمَنْهُمْ
 ذُو السَّهْمِ وَالسَّهْمَيْنِ وَالسُّهْمَانِ
 بَسَسَ الْمُوَرَّثُ وَالْمُوَرَّثُ وَالْتُّرَا
 ثُ ثَلَاثَةٌ أَهْلٌ لِكُلِّ هَوَانِ^(٢)
 يَا وَارِثِينَ نَبِيَّهُمْ بُشْرَاكُمْ
 مَا إِرْثُكُمْ مَعَ إِرْثِهِمْ سِيَّانِ

(١) قولهم بفناء الجنة والنار لثلاث تشارك الله تعالى في البقاء كما قالوا بنفي تسلسل أفعال الله في الماضي لثلاث تشارك الله تعالى في القدم، وقالوا: حدثت له الصفات بعد أن لم يكن متصفاً بها لثلاث تشارك الله في القدم، وكذلك قالوا بفناء الجنة والنار لثلاث تشارك الله بالبقاء والأبدية، وهذا ضلال لأن الجنة والنار داران باقيتان لا تفتيان.

(٢) المورث بكسر الراء: الذي ورث هذه الضلالات وابتدأها، والمورث بفتح الراء هو الذي تعلمها واعتقدتها ونفس الإرث وهي الضلالات، كلها باطلة.

شَتَّانَ بَيْنَ الْوَارِثِينَ وَبَيْنَ مَوَ
 رُوثِيهِمَا وَسِهَامِ ذِي سُهْمَانَ
 يَا قَوْمُ مَا صَاحَ الْأُئِمَّةُ جَهْدَهُمْ
 بِالْجَهْمِ مِنْ أَقْطَارِهَا بِأَذَانِ
 إِلَّا لِمَا عَرَفُوهُ مِنْ أَقْوَالِهِ
 وَمَالَهَا بِحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ
 قَوْلَ الرَّسُولِ وَقَوْلَ جَهْمٍ عِنْدَنَا
 فِي قَلْبِ عَبْدِ لَيْسَ يَجْتَمَعَانِ (١)
 نَصْحُوكُمْ وَاللَّهُ جَهْدَ نَصِيحَةٍ
 مَا فِيهِمْ وَاللَّهُ مِنْ خَوَّانِ (٢)
 فَخَذُوا بِهَدْيِهِمْ فَرَبِّي ضَامِنٌ
 وَرَسُولُهُ أَنْ تَفْعَلُوا بِجَنَانِ (٣)

(١) ما أنكر الأئمة على الجهم بن صفوان إلا لما يتضمنه مذهبه من هذه الدواهي، وهذا يوجب على أهل الحق فضح أهل الباطل دائماً وأبداً، فلا يجتمع قول الرسول ﷺ مع قول الجهم بن صفوان لأن قول الرسول إيماناً، وقول الجهم كفر.

(٢) مراد أهل الحق بالرد على الجهم وغيره بيان الحق لثلاثاً يعتر به الجهال ويروج الباطل على الناس، وليس القصد الشخصيات أو الحسد.

(٣) من يقوم بالحق فإن الله يتكفل له بالجنة، قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال جلّ وعلا: ﴿إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] يعني: النصرة لدينه الذي هو من مصلحتكم وهدايتكم.

فإذا أبيتُم فالسلامُ على من أت
تَبَعَ الْهُدَىٰ وَاَنْقَادَ لِلْقُرْآنِ
سِيرُوا عَلَىٰ نُجْبِ الْعِزَائِمِ وَاجْعَلُوا
بِظُهُورِهَا الْمَسْرَىٰ إِلَى الرَّحْمَنِ
سَبَقَ الْمُفْرَدُ وَهُوَ ذَاكِرٌ رَبِّهِ
فِي كُلِّ حَالٍ لَيْسَ ذَا نِسْيَانٍ^(١)
لَكِنْ أَخُو الْغَفَلَاتِ مُنْقَطِعٌ بِهِ
بَيْنَ الْمَفَاوِزِ تَحْتَ ذِي الْغِيْلَانِ^(٢)

(١) كما قال تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرِمَةٌ لِّذِي مِثْلٍ﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
ءَاخَرَ إِنِّي لَكَرِمَةٌ لِّذِي مِثْلٍ ﴿ [الذاريات: ٥٠-٥١] فالفرار إلى الله: يعني
الرجوع إلى كتابه وإلى سنة رسوله ﷺ وترك ما خالفهما، هذا هو الفرار
إلى الله، وقوله: «سبق المفرد وهو ذاكِرُ رَبِّهِ» هذا مأخوذٌ من الحديث
وهو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ» قالوا: وما المفردون يا رسول
الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»^(*)، فالمفردون: هم
الموحدون الذين أفردوا الله جلَّ وعلا بالعبادة والتوحيد.

(٢) أمَّا الذي لم يكن مع المفردين فإنه قد قعدت به راحلته وانقطعت به في
المفاوز المهلكة، فالتَّاسُ إما سابقٌ للخير أو منقطعٌ به في مفاوز الهلاك
فليس هناك قسمٌ ثالث. والغيلان ما يتراءى للناس في المفاوز في ظلام
الليل من تشكل الأضواء هو من عمل الجن لتضليل الناس عن الطريق.

(*) أخرجه مسلم (٢٦٧٦) باللفظ المذكور من حديث أبي هريرة.

صَيْدُ السَّبَاعِ وَكُلُّ وَحْشٍ كَاسِرٍ

بِئْسَ الْمُضِيفُ لِأَعْجَزِ الضَّيْفَانِ (١)

وَكَذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَصْطَادُ الَّذِي

لَا يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ كُلَّ أَوَانٍ (٢)

وَالذِّكْرُ أَنْوَاعٌ فَأَعْلَى نَوْعِهِ

ذِكْرُ الصِّفَاتِ لِرَبِّنَا الْمَنَّانِ (٣)

وَثبُوتُهَا أَصْلٌ لِهَذَا الذِّكْرِ وَالذَّنْدُ

نَافِي لَهَا دَاعٍ إِلَى النُّسْيَانِ (٤)

فَلِذَاكَ كَانَ خَلِيفَةَ الشَّيْطَانِ ذَا

لَا مَرْحَبًا بِخَلِيفَةِ الشَّيْطَانِ (٥)

(١) فإذا انقطعت به السبل، وبقي في أثناء الطريق تسلطت عليه السباع تنهشه وتأكله فصار ضيفاً لها، وهي بئس المضيف، والمراد هنا الشياطين.

(٢) لا يُبعد الشيطان عن الإنسان إلا ذكر الله سبحانه وتعالى ولذا سمَّاه الله بـ ﴿الْوَسْوَسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤] فهو يوسوس إذا غفل الإنسان عن ذكر

الله، ويخنس، أي: يتأخر عنه إذا ذكر الله تعالى، فهو وسواس خناس.

(٣) إذا كان لا ينجو من الشيطان إلا من ذكر الله، فأعلى أنواع الذكر: ذكر صفات الله وأسمائه جلَّ وعلا بأن نُسَبِّحَهُ وَنُقَدِّسُهُ وَنَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وصفاته، هذا هو أعلى أنواع الذكر.

(٤) إذا نُفِيت الأسماء والصفات فيماذا يُذكر الله تعالى وبِمِ يُعْظَمُ وَيُعْرَفُ؟ فلا يُذكر ويُعْظَمُ وَيُعْرَفُ إِلَّا بِأَسْمَائِهِ وصفاته سبحانه وتعالى.

(٥) الذي ينفي الأسماء والصفات يكون خليفة للشيطان ولا مرحباً به.

والذاكرون على مراتبهم فأعد
 لآلهم أولوا الإيمان والعرفان
 بصفاته العلى إذا قاموا بحم
 يد الله في سرّ وفي إعلان^(١)
 وأخصّ أهل الذكر بالرحمن أعد
 لهم بها هم صفوة الرحمن^(٢)
 وكذلك كان محمّد وأبوه إبن
 راهيم والمؤلود من عمران
 وكذلك نوح وابن مريم عندنا
 هم خير خلق الله من إنسان
 لمعارف حصلت لهم بصفاته
 لم يؤتتها أحد من الإنسان
 وهم أولو العزم الذين بسورة ال
 أحزاب والشورى أتوا ببيان

(١) الذاكرون الله تعالى على مراتب: أعلاهم أهل المعرفة بالله تعالى وبأسمائه وصفاته، فهؤلاء هم أعلى أنواع الذاكرين لله تعالى، فهم يناجونه تعالى ويتقرّبون إليه بالتوسل بأسمائه وصفاته، ويمدحونه ويشنون عليه بها.

(٢) أخصّ أهل الذكر وأعرفهم أعلمهم بمعاني أسماء الله وصفاته، وفي هذا ردّ على الذين يقولون: إنّها ألفاظ بدون معانٍ، أو يقولون: لها معانٍ ويُفوضون علمها إلى الله تعالى، أو يقولون: لها معانٍ على غير ظاهرها.

وكذلك القرآن مملوءٌ من الـ
 أوصافٍ وهي القصدُ بالقرآنِ
 ليصيرَ معروفاً لنا بصفاته
 ويصيرَ مذكوراً لنا بجنان^(١)
 ولسانٍ أيضاً معَ محبِّنا له
 فلأجلِ ذاكِ الإثباتِ في الإيمانِ
 مثلُ الأساسِ مِنَ البناءِ فَمَنْ يَرُمُ
 هَدْمَ الأساسِ فكَيْفَ بالبُنيانِ
 واللهِ ما قامَ البناءُ لدينِ رُسُ
 لـ اللهِ بالتعطيلِ للديانِ^(٢)
 ما قامَ إلا بالصفاتِ مُفصَّلاً
 إثباتها تفصيلاً ذي عرفانِ

(١) وكذلك القرآن إذا تدبرت الآيات لم تجد آية تخلو من ذكرِ صفةٍ من صفات الله أو اسمٍ من أسمائه سبحانه وتعالى، فالقرآن مملوء من أسماء الله وصفاته، والقصد من إنزال القرآن هو التعلق بالله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته، والأوامر والنواهي، والحلال والحرام، كل هذا تابع لهذا الأصل ومن حقوق هذا الأصل، فالأصل في القرآن هو التوحيد، وبقية معاني القرآن تابعة لهذا الأصل ومكملة له.

(٢) لا يقوم الدين مع التعطيل ونفي الأسماء والصفات؛ لأنَّ هذا يهدم الأصل والأساس، وهو التوحيد.

فهي الأساسُ لديننا ولكلِّ دِينٍ
 مِنْ قَبْلَهُ مِنْ سَائِرِ الأديانِ (١)
 وكذلك زندقَةُ العبادِ أساسُها التُّ
 تعطيلُ يَشْهَدُ ذَا أُولُو العِرْفانِ
 والله ما في الأَرْضِ زندقَةُ بدتْ
 إِلَّا مِنْ التَّعْطِيلِ والتُّكْرانِ (٢)
 والله ما في الأَرْضِ زندقَةُ بدتْ
 مِنْ جانبِ الإِثباتِ والقُرآنِ (٣)

(١) ما قام الدين إلا بمعرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، فهي الأساس لدين محمد ﷺ ولدين إخوانه من النبيين؛ لأنَّ دين الأنبياء واحد وهو التوحيد، وأمَّا الشرائع والأوامر والنواهي فهي تختلف باختلاف حاجات الناس في كلِّ زمانٍ ومكان، لكن الأصل وهو التوحيد لا يختلف، فالأنبياء إخوة ودينهم واحد وشرائعهم شتى، فالله يشرع لكلِّ أمةٍ ما يُناسِبُها في وقتها، إلى أن جاء دين الإسلام فنسخ جميع الأديان والشرائع السابقة.

(٢) أصل التوحيد هو إثبات الأسماء والصفات، فليختر هؤلاء ما شاءوا. إن شاءوا فليختاروا طريق الأنبياء وأتباعهم، وإن شاءوا أخذوا بطريق الزندقة والإلحاد فصاروا مع فرعون وهامان وجماعة الملاحدة وأهل الزندقة، والتعطيل وجاء من مذهب الجهمية الذين تبنا مذهب اليهود الذين يلحدون في أسماء الله وآياته، فورثهم الجهمية ونفوا الأسماء والصفات بقصد إفساد الأديان كلها.

(٣) لم يحصل من جانب الإثبات والقُرآن إلا التوحيد والإيمان، وما حَدَّثت الزندقة والإلحاد إلا من جانب التعطيل والإنكار والنفي.

هذي زنادقة العباد جميعهم
 ومُصَنَّفَاتُهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ
 مَا فِيهِمْ أَحَدٌ يَقُولُ اللَّهُ فَوْ
 قَ الْعَرْشِ مُسْتَوٍ عَلَى الْأَكْوَانِ (١)
 وَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ
 مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
 وَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ كَلَّمَ عَبْدَهُ
 مُوسَى فَأَسْمَعَهُ بِذِي الْأَذَانِ (٢)
 وَيَقُولُ إِنَّ النُّقْلَ غَيْرُ مَعَارِضٍ
 لِلْعَقْلِ بَلْ أَمْرَانِ مُتَّفَقَانِ (٣)

(١) هذه كتب الجهمية وتلاميذهم ممن جاء بعدهم من الفرق الضالة موجودة فتش فيها، إنك لن تجد فيها العناية بالتوحيد والعناية بإثبات الأسماء والصفات، فليس فيها إثبات العلو ولا الاستواء على العرش، وإنما هي معنية بالتحريف والتعطيل وصرف النصوص عن ظاهرها، وهذا موجود في كتبهم، وسجلوه بأقلامهم، وقد أبقى الله هذه الكتب الفاسدة لتكون حجة عليهم.

(٢) ليس في كتبهم إثبات الكلام لله عز وجل، وأن الله تكلم بالوحي والقرآن وكلم موسى، فليس فيها إلا نفي الكلام بالوحي والقرآن ونفي تكليم موسى، فليس فيها إلا نفي الكلام عن الله تعالى والقول أن كلام الله مخلوق.

(٣) ليس في كتبهم أن النقل يتوافق مع العقل كما هو في كتب أهل السنة، بل فيها أن العقل يخالف النقل وأن الأصل عندهم هو العقل، والنقل عندهم يفيد الظن لا اليقين وهو مستفاد قواعد المنطق.

والتقلُّ جاء بما يحارُّ العقلُ في

هـ لا بالمُحالِ البينِ البُطلانِ^(١)

فانظُرْ إلى الجَهْمِيِّ كيف أتى إلى

أُسَّ الهُدَى ومعاقِلِ الإيمانِ

بمعاوِلِ التعطيلِ يَقْطَعُهَا فما

يُبقِي على التعطيلِ من إيمان^(٢)

يَدرِي بهذا عارِفٌ بماخِذِ الـ

أقوالِ مُضْطَلَعٍ بهذا الشانِ^(٣)

(١) هذه قاعدة وهي: أنَّ العقلَ الصريحَ لا يخالف النقلَ الصحيحَ، فإن اختلفا

فلا بُدَّ أنَّ العقلَ غيرُ صريحٍ، وإمَّا إنَّ النقلَ غيرُ صحيحٍ، فهذه قاعدةٌ

عظيمة، وإذا لم يُدرك العقلُ ما جاء في أمور الآخرة فإنه يُسَلَّم للنص،

فالنقل لا يأتي بما يُحيلُه العقلُ بل بما يحار فيه العقل؛ لأنه لم يُدرِكُه ولم

يُحط به، فموقفُه في ذلك هو التسليم لله عزَّ وجلَّ، ولا يكون من الذين قال

الله فيهم: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ لَمَّا بَأْتَاهُمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩]

فالوحي قد يأتي بما يحار فيه العقول ولم يأت بما يخالف العقولَ أبداً.

(٢) هذه مهنة الجهمي. إنَّه يقطع أصول الإيمان، وإذا قطعها فلا يبقى إلا

التعطيل المحض والإلحاد والزندقة. هذه مهنة الجهمي وأتباعه.

(٣) إنَّما يعرف بطلان مذهب الجهمية وأتباعهم من سَبَرِ أحوالهم، وعرف

مقالاتهم، وتنبَّه لمقاصدهم. أمَّا الإنسان الغر والجاهل، فقد تنظلي عليه

أقوالهم لا سيَّما وأنَّهم يكسونها بزخارف القول والحُجج، لكن العارف

بأدلة الكتاب والسُّنة لا تنظلي عليه الزخارف فينظر إلى الحقائق لا

الزخارف والتمويهات.

والله لو حَدَّقْتُمْ لَرَأَيْتُمْ

هذا وأعظمَ منه رأيَ عِيَانٍ (١)

لَكِنْ عَلَى تِلْكَ الْعُيُونِ غِشَاوَةٌ

ما حِيلَةُ الْكَحَّالِ فِي الْعُمَيَانِ (٢)

* * *

(١) لو أنكم حَدَّقْتُمْ بأبصاركم وبصائركم وتفحصتم هذه الأقوال التي أتى بها الجهمية لتبين لكم بطلانها، أما إنكم تأخذونها على علاتها وينظلي عليكم زُخْرُفُهَا فهذا هو الهلاك، وهذا يوجب على طالب العلم ألا يستعجل، بل يجب عليه أن ينظر في الأقوال ويعرضها على الكتاب والسنة حتى يتبين الحق من الباطل.

(٢) يعني: أن الأعمى لا ينفعه الكحل أو ينفعه العلاج، فكذلك هؤلاء عُمَيَانٌ لا تنفعهم النصيحة والبيان، لأنه عميت بصائرهم بسبب قبولهم الباطل: ﴿وَنَقَلِبُ أَفْسَدْتَهُمْ وَابْصَرْتَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرْتَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠] وهذا عقوبة لهم على إعراضهم عن الكتاب والسنة، فالواجب على طالب العلم إذا صحَّ عنده الدليل أن يقبله ولا يتوقف فيه أبداً، فإن توقف أو شك فإنه حَرِيٌّ أَنْ يُصَابَ بِالزَيْغِ فِي قَلْبِهِ وَالْعَمَى فِي بَصِيرَتِهِ.

فصل

في بَهْتِ أَهْلِ الشَّرْكِ وَالتَّعْطِيلِ فِي رَمِيهِمْ أَهْلَ التَّوْحِيدِ
وَالْإِثْبَاتِ بِتَنْقِصِ الرَّسُولِ ﷺ^(١)

قَالُوا تَنْقَضَتْكُمْ رَسُولَ اللَّهِ وَ
عَجَبًا لِهَذَا الْبَغْيِ وَالْبُهْتَانِ^(٢)
عَزَلُوهُ أَنْ يُحْتَجَّ قَطُّ بِقَوْلِهِ
فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ الشَّانِ^(٣)

(١) كذبوا على أهل السنة والجماعة وقالوا: إنهم تنقصوا الرسول ﷺ.

(٢) أتدرون لماذا قالوا: تنقصتم رسول الله ﷺ؟ قالوا ذلك: لأن أهل السنة لم يعبدوا الرسول ﷺ ولم يطلبوا منه الحوائج بعد موته، ولم يأتوا إلى قبره ويستغيثوا به لأنه نهاهم عن ذلك، فهذا تنقص للرسول ﷺ بزعمهم كما أن عدم طلب ذلك من الأولياء تنقص للأولياء، هذا هو التنقص عندهم، أمّا إذا أشركت الرسول مع الله تعالى فقد وفيتة حقه. فهو رحمه الله قد بين في هذا الفصل أن الله له حق، وأن الرسول ﷺ له حق، وقال: إن الحقوق ثلاثة: حق خاص بالله تعالى، وحق خاص بالرسول ﷺ، وحق مشترك بين الله وبين الرسول ﷺ وهو الإيمان بالله ورسوله، والمحبة لله ورسوله، وطاعة الله ورسوله، هذا حق مشترك، لكن العبادة حق خاص لله تعالى، والاتباع والطاعة حق للرسول ﷺ.

(٣) أئنا الذي تنقص الرسول ﷺ؟ الذي عزل أحاديث الرسول ﷺ وقال: لا يُحتج بها، أو الذي قال: يجب طاعة الرسول فيما أمر، وتصديقه فيما =

عَزَلُوا كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ

عَنْ ذَاكَ عَزْلًا لَيْسَ ذَا كِتْمَانٍ

جَعَلُوا حَقِيقَتَهُ وَظَاهِرَهُ هُوَ الْ

كُفْرُ الصَّرِيحِ الْبَيِّنِ الْبُطْلَانِ (١)

قَالُوا وَظَاهِرُهُ هُوَ التَّشْبِيهُ وَالتَّ

تَجْسِيمُ حَاشَا ظَاهِرَ الْقُرْآنِ (٢)

مَنْ قَالَ فِي الرَّحْمَنِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ

هِ حَقِيقَةُ الْأَخْبَارِ وَالْفُرْقَانِ

= أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يُعبد الله إلا بما شرع، فأئنا أحق

بمعرفة قول الرسول ﷺ نحن أم أنتم الذين تقولون: إنَّ أحاديث الرسول

ﷺ لا يُعتمدُ عليها، وأخباره لا تُفيد العلم. فيا عجباً كيف يقلبون معانيهم

ويلبسوننا إيَّاهما، وهي لهم وبهم الصق. وقالوا: القرآن والسنة لا يُفيدان

اليقين وإنَّما يفيدان الظن، والعقائد يقينية، واليقين لا يكون إلا بالأدلة

العقلية، فالأدل العقلية هي الأصل عندهم. وأمَّا الكتاب والسنة فما وافقا

فيه العقل أخذوا به، وما خالفا فيه العقل بزعمهم أولوه أو فوضوه.

(١) جعلوا ظواهر النصوص تُفيد الشرك والكفر والتجسيم، فلذلك صاروا

فريقين: إمَّا مفوضة يفوضون معانيها إلى الله بزعمهم، وإمَّا مؤولة

يُحرِّفونها إلى معانٍ باطلة.

(٢) قالوا في القرآن والسنة: إنَّهما لا يُفيدان إلا التجسيم والتشبيه والتمثيل

فلا تُبنى عليهما العقائد. إذاً من هو الذي تنقص الله أو تنقص الرسول

ﷺ على الحقيقة. نحن أم هم؟

فَهُوَ الْمُشَبَّهُ وَالْمُمَثَّلُ وَالْمُجَسَّدُ

سِمُ عَابِدُ الْأَوْثَانِ لَا الرَّحْمَنِ (١)

تَاللَّهِ قَدْ مُسِخَتْ عُقُولُكُمْ فلي

سَ وَرَاءَ هَذَا قَطُّ مِنْ نُقْصَانِ (٢)

وَرَمَيْتُمْ حِزْبَ الرَّسُولِ وَجُنْدَهُ

بِمُصَابِكُمْ يَا فِرْقَةَ الْبُهْتَانِ (٣)

وَجَعَلْتُمْ التَّنْقِيسَ عَيْنَ وَفَاقِهِ

إِذْ لَمْ يُوَافِقْ ذَاكَ رَأْيَ فُلَانٍ (٤)

(١) عندهم أنّ الذي يُثبت ما أثبتّه القرآن والسنة فهو مثبت للتجسيم والتشبيه فيكون مشركاً عابداً للأوثان، ولهذا يقول الرازي في تفسيره عن كتاب «التوحيد» لابن خزيمة: إنه كتاب الشرك، لماذا؟ لأنه يُثبت الأسماء والصفات لله عزّ وجلّ.

(٢) فأئنا الذي تنقّص الله ورسوله؟ الذي اتبّع الكتاب والسنة وآمن بهما، واعتقد ما فيهما، أم الذي حرّف الكتاب والسنة وكذلك افترى عليهما وحرّف معانيهما وقال: لا يُفيدان إلا التشبيه والتجسيم والتمثيل؟ فعادة أهل الباطل أنّهم يقلّبون عيوبهم وعوارهم على أهل الحق.

(٣) هذا مصابكم أنتم، فالتعطيل والتشبيه والتمثيل، ليس من طريق ومسلوك أهل السنة والجماعة، وإنما هو مذهبكم.

(٤) وجعلتم التنقيص عين وفاق الرسول ﷺ إذ لم يوافق قول فلان من أئمتكم، وهذا من قلب الحقائق.

- أَنْتُمْ تَنْقَضْتُمْ إِلَهَ الْعَرْشِ وَالْ
 قُرْآنَ وَالْمَبْعُوثَ بِالْقُرْآنِ (١)
 نَزَّهْتُمُوهُ عَنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ
 وَعَنِ الْكَلَامِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ (٢)
 وَجَعَلْتُمْ ذَا كُلِّهِ التَّشْبِيهَ وَالتَّ
 تَمَثِيلَ وَالتَّجْسِيمَ ذَا الْبُطْلَانِ (٣)
 وَكَلَامِكُمْ فِيهِ الشِّفَاءُ وَغَايَةُ التَّ
 تَحْقِيقِ يَا عَجَباً لَذَا الْخِذْلَانِ (٤)

(١) أنتم يا معشر المعطلة تنقضتم الربَّ سبحانه وتعالى فنفتيم أسماءه وصفاته، وتنقضتم القرآن فوصفتموه بأنه كتاب ضلال وأنه تجسيم وتمثيل ولا يعتمد عليه، وإنما يعتمد على العقل فقط، وتنقضتم الرسول ﷺ فيما بلغ عن الله، ورميتموه بالخيانة والتلبيس على النَّاسِ، وأنه ما جاء بالحقائق العقلية.

(٢) هذا من قلب الحقائق، أنهم يُسْمُونُ التعطيل تنزيهاً، فالتعطيل ليس تنزيهاً وإنما هو الإحداد وكفر، وإنما التنزيه الصحيح إثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ مع نفي التمثيل بالمخلوقات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] هذا هو التوحيد وهو التنزيه الصحيح، فهم أخذوا لفظ التنزيه سُترة لهم يسترون به التعطيل والإحداد، والأسماء لا تُغَيِّرُ الحقائق فالعبرة بالحقائق لا بالأسماء.

(٣) جعلتم القرآن والسُّنة لا يُفِيدَانِ اليقين وليس فيهما شفاء.

(٤) وجعلتم كلام أهل المنطق والنُّظَارِ هو الذي يشفي ويثبت العقائد اليقينية، فعلى كلامكم لا حاجة إلى إرسالِ الرسل وإنزالِ الكتب، وإنما نرجع إلى =

جَعَلُوا عُقُولَهُمْ أَحَقَّ بِأَخْذِ مَا
 فِيهَا مِنْ الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
 وَكَلَامِهِ لَا يُسْتَفَادُ بِهِ الْيَقِينُ
 مِنْ لِأَجْلِ ذَا لَا يَقْبَلُ الْخَصْمَانِ
 تَحْكِيمَهُ عِنْدَ اخْتِلَافِهِمَا بَلْ أَلْ
 مَعْقُولُ ثُمَّ الْمَنْطِقَ الْيُونَانِي
 أَيُّ التَّنْقِصِ بَعْدَ ذَا لَوْلَا الْوَقَا
 حَةُ وَالْجِرَاءَةُ أَوْلَى الْعُدْوَانِ (١)
 يَا مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَنُورٌ قَدْ غَدَا
 يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كُلِّ زَمَانٍ (٢)
 لَكِنَّا قُلْنَا مَقَالَةً صَارِحًا
 فِي كُلِّ وَقْتٍ بَيْنَكُمْ بِأَذَانٍ

= العقول، إلى عقل أفلاطون وغيره من الفلاسفة كابن سينا والفارابي
 ويكفينا هذا عن الكتاب والسنة على قولكم.

- (١) عند النزاع في العقيدة لا يتحاكمون إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله لأنهما لا
 يفيدان اليقين عندهم، فلا يُحكّمونهما عند النزاع في أمور العقيدة، ولا
 يقبلون إلا حكم العقل فقط، ولما بين حقيقتهم وكشف عوارهم قال: أيُّ
 الفريقين أحقُّ بالتنقُّصِ، هل نحنُ أهل السنة والجماعة أم أنتم يا أهل التعطيل؟
- (٢) لما فرغ منهم وأسقطهم صرعى، توجه إلى أهل الحق وحثهم على الثبات
 على ما هم عليه، وآلا يتأثروا بهذه الشنشات من أعداء الله ورسوله.

الرَّبُّ رَبٌّ وَالرَّسُولُ فِعْبُدُهُ

حَقًّا وَلَيْسَ لَنَا إِلَهٌ ثَانٍ

فَلذَٰكَ لَمْ نَعْبُدُهُ مِثْلَ عِبَادَةِ الرَّ

رَحْمَنِ فَعَلِ الْمَشْرِكِ النَّصْرَانِي (١)

كَلًّا وَلَمْ نَعْلُ الْغُلُوَّ كَمَا نَهَى

عَنْهُ الرَّسُولُ مَخَافَةَ الْكُفْرَانِ

(١) عاد إليهم في ردّ دعواهم في قولهم . تنقصتم الرسول ﷺ حيث لم تعطوه حقّ الله كما فعلت النصارى مع عيسى ابن مريم أنه ابن الله أو هو الله أو ثالثُ ثلاثة فأنتم يجب أن تقولوا في محمدٍ كذلك وفاءً بحقه ﷺ وتعظيمًا له ، هذا هو مذهبهم الخبيث ، ونحن نقول : لا نُعطي الرسول ﷺ حقّ الله تعالى ، ولا نهضم الرسول ﷺ حقّه الذي أعطاه الله ، بل نُنزله منزّلته عليه الصلاة والسلام ، فنُعطي الله حقّه بالعبادة ، ونُعطي الرسول ﷺ حقّه في الطاعة والمحبة والاتباع والتوقير والاحترام ، وما كان مشتركاً بين الله ورسوله من الإيمان بالله ورسوله وطاعة الله ورسوله ومحبة الله ورسوله فهذا مشترك ، فالحقوق ثلاثة : حقّ خاصّ بالله لا يُشاركه فيه أحد ، لا ملكٌ مُقَرَّب ، ولا نبيٌّ مُرسل ، وهو العبادة بجميع أنواعها ، وحقّ للرسل عليهم السلام ، وهو الاتباع والاقتداء والتعزير الذي هو التوقير والاحترام ، هذا هو حقّ الرسل علينا ، ولذا قال ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنّما أنا عبدٌ فقولوا : عبدُ الله ورسوله » (*) يعني : لا تغلو في مدحي ، فهذا حقّه ومنزلته ، لا يُرفع فوق حقّه ومنزلته ، ولا يُنقص شيءٌ من حقّه عليه السلام .

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١/ ٢٩٥ (١٥٤) ، والبخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب .

اللَّهُ حَقٌّ لَا يَكُونُ لِغَيْرِهِ
 وَلِعَبْدِهِ حَقٌّ هُمَا حَقَّانِ (١)
 لَا تَجْعَلُوا الْحَقَّيْنِ حَقًّا وَاحِدًا
 مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ وَلَا فُرْقَانِ (٢)
 فَالْحَجُّ لِلرَّحْمَنِ دُونَ رَسُولِهِ
 وَكَذَا الصَّلَاةُ وَذَبْحُ ذَا الْقُرْبَانِ
 وَكَذَا السُّجُودُ وَنَذْرُنَا وَيَمِينُنَا
 وَكَذَا مَتَابُ الْعَبْدِ مِنْ عِصْيَانِ
 وَكَذَا التَّوَكُّلُ وَالْإِنَابَةُ وَالثَّقَى
 وَكَذَا الرَّجَاءُ وَخَشْيَةُ الرَّحْمَنِ (٣)
 وَكَذَا الْعِبَادَةُ وَاسْتِعَانَتُنَا بِهِ
 إِيَّاكَ نَعْبُدُ ذَاكَ تَوْحِيدَانِ

(١) لَا نَنْقُصُهُ حَقَّهُ كَمَا فَعَلَتْ الْيَهُودُ مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ، وَلَا نَغْلُو فِي حَقِّهِ كَمَا فَعَلَتْ
 النَّصَارَى بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ؛ بَلْ نَحْنُ نُنَزِّلُ الرُّسُولَ مِنْزَلَتَهُ الَّتِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ
 بِهَا، وَلِذَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» (*).
 (٢) اللَّهُ حَقٌّ لَا يَكُونُ لِعَبْدِهِ، وَلِعَبْدِهِ حَقٌّ خَاصٌّ بِهِ. لَا تَخْلَطُوا بَيْنَ الْحَقَّيْنِ
 وَتَجْعَلُوا حَقَّ الرُّسُولِ ﷺ مَعَ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ بَيْنَهُمَا، فَهَذَا
 مِنْ لِبْسِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، فَحَقُّ اللَّهِ هُوَ الْعِبَادَةُ، وَحَقُّ الرُّسُولِ ﷺ هُوَ
 الطَّاعَةُ وَالْإِتْبَاعُ وَالْمَحَبَّةُ وَالتَّوْقِيرُ.
 (٣) وَمَثَلُ حَقِّ اللَّهِ بِالْحَجِّ وَالصَّلَاةِ وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّمْثِيلِ، وَإِلَّا فَجَمِيعُ أَنْوَاعِ
 الْعِبَادَةِ خَاصَّةً بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وعليهما قام الوجودُ بأسره
 دُنِيَا وَأُخْرَى حَبْذَا الرُّكْنَانِ (١)
 وَكَذَلِكَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّ
 تَهْلِيلُ حَقُّ إِلَهِنَا الدِّيَانِ
 لَكِنَّمَا التَّعْزِيرُ وَالتَّوْقِيرُ حَقٌّ
 قٌ لِلرَّسُولِ بِمَقْتَضَى الْقُرْآنِ (٢)
 وَالحُبُّ وَالإِيمَانُ وَالتَّصَدِيقُ لَا
 يَخْتَصِرُ بَلْ حَقَّانِ مُشْتَرِكَانِ (٣)

(١) «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» هذا يفيدُ حصرَ العبادةِ لله تعالى.

(٢) التعزيرُ يُطلقُ ويُرادُ به التَّأْدِيبُ كما في باب التعزيرِ من كتب الفقه، ويُطلقُ ويُرادُ به الاحترامُ وهذا هو المقصودُ هنا، وذلك لقوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفتح: ٩] فجعل الإيمانَ مشتركاً بينهما، والتوقيرُ والتعزيرُ خاصاً بالرسول ﷺ، ولذا فالضميرُ يرجعُ إليه في قوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ وجعل التَّسْبِيحَ لله تعالى، فذكرَ حَقَّينِ: حَقٌّ مُشْتَرِكٌ وهو الإيمانُ، وحَقٌّ خاصٌّ بالله عزَّ وجلَّ وهو التَّسْبِيحُ، وحَقٌّ خاصٌّ بالرسول ﷺ وهو التعزيرُ والتوقيرُ.

(٣) هذا هو الحقُّ المُشْتَرِكُ كالحبِّ كما في الحديث: «أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا» (*)، وكذلك الإيمانُ: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الفتح: ٩].

(*) أخرجه أحمد في «المستند» ١٩/٦١ (١٢٠٠٢)، والبخاري (١٦) ومسلم (٤٣) (٦٧) من حديث أنس بن مالك.

هذي تفاصيلُ الحقوقِ ثلاثةٌ
لا تَجْهَلُوهَا يَا أَوْلِي العُدْوَانِ (١)
حَقُّ الإِلَهِ عِبَادَةٌ بِالأَمْرِ لا
بِهَوَى النَّفْسِ فَذَاكَ لِلشَّيْطَانِ
مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكِ بِهِ شَيْئاً هُمَا
سَبَبَا النِّجَاةِ فَحَبِّذَا السَّبَبَانِ (٢)
وَرَسُولُهُ فَهُوَ المُطَاعُ وَقَوْلُهُ أَلْ
مَقْبُولُ إِذْ هُوَ صَاحِبُ البُرْهَانِ (٣)
وَالأَمْرُ مِنْهُ الحَتْمُ لا تَخْيِيرَ فِيهِ
عِنْدَ ذِي عَقْلِ وَذِي إِيمَانٍ (٤)

- (١) لا بُدَّ مِنْ تَمْيِيزِ حَقِّ اللهِ عَنِ حَقِّ الرِّسُولِ وَالْحَقِّ المُشْتَرَكِ بَيْنَهُمَا حَتَّى تَكُونَ عَلَيَّ بِصِيرَةٍ.
- (٢) حَقُّ اللهِ عِبَادَتُهُ بِالأَمْرِ، يَعْنِي بِالشَّرْعِ، لا عِبَادَةً بِالأَهْوَى وَالبَدْعِ وَالمُحَدَّثَاتِ، فَالْعِبَادَةُ مَبْنَاهَا عَلَيَّ التَّوْقِيفِ، وَالمَرَادُ اتِّبَاعُ مَا جَاءَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَالْعِبَادَةُ لا تَصَحُّ إِلاَّ بِشَرَطَيْنِ:
- الأول: الاتِّبَاعُ لِلرِّسُولِ ﷺ فَلا يَكُونُ فِيهَا بَدْعَةٌ.
- الثاني: الإِخْلَاصُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلا يَكُونُ فِيهَا شِرْكٌ.
- (٣) فَالرِّسُولُ ﷺ هُوَ المُبَلِّغُ عَنِ اللهِ، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الأَهْوَى﴾ [النَّجْم: ٣] وَهَذَا مُقْتَضِي شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسولَ اللهِ، طَاعَتُهُ فِيما أَمَرَ وَتَصَدِيقُهُ فِيما أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنَهُ نَهْيٌ وَزَجْرٌ، وَأَنْ لا يَعْبُدَ اللهُ إِلاَّ بِمَا شَرَعَ.
- (٤) فَأَمَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ لا يَقْبَلُ التَّخْيِيرَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ =

مَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَهُ قُمْنَا عَلَىٰ

أَقْوَالِهِ بِالسَّبْرِ وَالْمِيزَانِ

إِنْ وَافَقْتَ قَوْلَ الرَّسُولِ وَحُكْمَهُ

فَعَلَى الرَّؤُوسِ تُشَالُ كَالْتَّيْجَانِ

أَوْ خَالَفْتَ هَذَا رَدَدْنَاهَا عَلَىٰ

مَنْ قَالَهَا مَنْ كَانَ مِنْ إِنْسَانٍ

أَوْ أَشَكَلْتَ عَنَّا تَوَقَّفْنَا وَلَمْ

تَجْزِمْ بِلا عِلْمٍ وَلَا بُرْهَانٍ

هَذَا الَّذِي أَدَّى إِلَيْهِ عِلْمُنَا

وَبِهِ نَدِينُ اللَّهَ كُلَّ أَوْانٍ^(١)

= ضَلَّالًا مُبِينًا ﴿ [الأحزاب: ٣٦] فَأَمْرُ اللَّهِ وَأَمْرُ الرَّسُولِ وَاجِبٌ اتِّبَاعُهُ وَطَاعَتُهُ
وَالانْقِيَادُ وَالتَّسْلِيمُ لَهُ.

(١) أمّا قول غيره من المشايخ والعلماء فهذا محلّ نظر، يُعرض على الكتاب والسنة لأنهم غير معصومين، فما وافق الكتاب والسنة قبل، وما خالفهما فاعتذر عن صاحبه ويُرَدُّ، لأنّه مجتهد لم يصب الحقّ، والاجتهاد يكون فيما إذا كان المجال محلّ اجتهاد، أمّا أمور العقائد والعبادات فليست محلّ للاجتهاد؛ لأنّ مبناها على التسليم والقبول والاتباع، والأئمة يقولون: إذا خالف كلامنا كلام الرسول فردّوه ولا تقبلوه.

وهناك طرفان ووسط في هذا: فمن النَّاسِ من لا يقبل أقوال العلماء مطلقاً، ويقولون: هم رجال ونحن رجال، وهذا غلط كبير وضلال، والعكس من يأخذ أقوال العلماء قضيةً مسلمةً ويقبلها مطلقاً، ويقول: =

فهو المطاعُ وأمرُهُ العالِي على
 أمرِ الوَرَى وأوامرِ السُّلطانِ
 وهو المُقَدَّمُ في مَحَبَّتِنَا على الـ
 أهْلِينَ والأزواجِ والـولدانِ
 وعلى العبادِ جَمِيعِهِمْ حتَّى على النُّـ
 نفسِ التي قد ضَمَّهَا الجَنَّبَانِ^(١)

= الإمام فلان يقول كذا وهو أعلمُ مِنَّا، فيرفضون نصوص الكتاب والسنة،
 ويأخذون أقوالَ مشايخهم تعصباً، وهذا موجود عند المتعصبين من أتباع
 المذاهب الأربعة وغيرهم، تقديم قول فلان وفلان على كلام الله ورسوله،
 وهذا ضلال، ومن تعمدَهُ فهو كافر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «من زعم أن أحداً تجب طاعته مطلقاً
 غير الرسول ﷺ فإنه يُستتاب فإن تاب وإلا قُتِلَ» فهذا طرفٌ غالٍ في قبولِ
 أقوالِ العلماء ولو كانت باطلةً، والوسط هو الصحيح، أننا نعرض أقوال
 أهل العلم على الكتاب والسنة فما وافقها فهو مقبول، وما خالفها فهو
 مردود. هذا هو القول الوسط وهو الحق، فإذا وافقت أقوال العلماء قولَ
 الرسول فإنَّها تحملُ على الرؤوس إكراماً لها كالتيجان، وإذا خالفت قولَ
 الله ورسوله فهذه لا مجال لقبولها بل تُردُّ.

وإذا لم يتبين لنا لا الموافقة ولا المخالفة فتوقف فيها، وهذا هو
 القول الحقُّ في أقوال أهل العلم لا إفراط ولا تفريط.

(١) فالرسول هو المُطَاعُ مطلقاً، وأمرُهُ مُقَدَّمٌ على الجميع كائناً من كان، فلا
 قولَ لأحد مع قول الرسول، وكذلك محبته ﷺ مُقَدَّمة على محبة أيِّ
 مخلوق على النفس وعلى الوالدين وعلى الأولاد وعلى الناس أجمعين، =

ونظيرُ هذا قولُ أعداءِ المسيحِ

ح مِنَ النَّصَارَى عَابِدِي الصُّلْبَانِ

إِنَّا تَنَقَّضْنَا الْمَسِيحَ بِقَوْلِنَا

عَبْدٌ وَذَلِكَ غَايَةُ التَّقْصَانِ (١)

= ولذا قال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (**).

وقال عمر لرسول الله ﷺ: يا رسول الله لأنتَ أحبُّ إليَّ من كلِّ شيءٍ إلا من نفسي، فقال ﷺ: «لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك» فقال عمر: والله يا رسول الله لأنتَ الآنَ أحبُّ إليَّ من نفسي، فقال رسول الله ﷺ: «الآنَ يا عمر» (***) فلا يُشاركُ الرسولَ مخلوقٌ في محبته لا النفس ولا الوالدان ولا الأموال والأولاد وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبُيُوتٌ تَبْنُونَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَأَلَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] وهذا تهديد بمعنى انتظروا ماذا يقع بكم؟ فلا يُقدِّمُ على محبة الله ورسوله محبةً شيءٍ كائناً من كان.

(١) الذين يغفلون في حق نبينا محمد ﷺ، ويرفعونه فوق منزلته، ويعطونه شيئاً من العبادة، من الدُّعاء والاستغاثة، هؤلاء فعلمهم نظيرُ فعلِ النصارى =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٠٢/٢٠ (١٢٨١٤)، والبخاري (١٥)، ومسلم (٤٤)

(٦٩) من حديث أنس بن مالك.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٥٨٣/٢٩ (١٨٠٤٧)، والبخاري (٦٦٣٢) من حديث

عبد الله بن هشام.

لَوْ قُلْتُمْ وَلَدُ إِلَهٍ خَالِقٌ

وَقَيَّمْتُمُوهُ حَقَّهُ بِوِزَانٍ^(١)

وكذلك أشباه النصارى قد غلّوا

في دينهم بالجهل والطغيان

صاروا مُعَادِينِ الرَّسُولِ وَدِينَهُ

في صورة الأجاب والإخوان^(٢)

= مع المسيح عليه السلام، فالنصارى غلّوا في المسيح حتى عبدوه من دون الله، وعبدوا الصليب الذي يزعمون أنه على صورته وهو مصلوب، ولذا قال ﷺ: «لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنّما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»^(*).

(١) هذا قول النصارى قالوا: إذا قلنا: إنّ المسيح عبد فقد تنقّصناه، والصواب عندهم: أنه ابن الله أو أنه هو الله أو ثالث ثلاثة قالوا: هذا حقّ المسيح، فأعطوا حقّ الله للمسيح - قبّحهم الله -، كذلك من غلا من هذه الأمة في محمد ﷺ يكون أعطى محمداً حقّ الله تعالى.

(٢) من شابه النصارى في الغلو في محمد حيث عبده من دون الله، صار معادياً للرسول ﷺ في هذا الفعل، وهو في صورة من يحبونه، وأنّ هذا الغلو فيه لأنهم يزعمون أنه من حُبّه، وأما من اعتدل في حقه فإنهم يزعمون أنه مبغض للرسول وجاف في حقه، فالغلو يسمونه حبّاً، وهذا من أقبح الكذب والافتراء.

فانظر إلى تبديلهم توحيدَهُ

بالشرك والإيمان بالكُفْران^(١)

وانظر إلى تجريدِهِ التوحيدِ مِنْ

أسبابِ كُلِّ الشُّرْكِ بِالرَّحْمَنِ^(٢)

واجْمَعُ مَقَالَتَهُمْ وَمَا قَدْ قَالَهُ

وَاسْتَدْعِ بِالنَّقَادِ وَالسُّوْرَانِ

عَقْلٌ وَفَطَرْتِكَ السَّلِيمَةَ ثُمَّ زِنْ

هَذَا وَذَا لَا تَطْغِ فِي الْمِيزَانِ^(٣)

فَهُنَاكَ تَعْلَمُ أَيُّ حِزْبَيْنَا هُوَ الْكَ

مُتَنَقِّصُ الْمَنْصُوصِ ذُو الْعُدُوَانِ

(١) فبدّلوا الإيمان بالكُفْر والتوحيد بالشرك وهم يُسمّونه محبة .

(٢) انظر إلى تجريد الرسول ﷺ، أي: تخليصه التوحيد من كل أسباب

الشرك، فقد اهتم الرسول ﷺ بالتوحيد غاية الاهتمام وسدّ كل الوسائل

التي تُفضي إلى الشرك كالغلو في مدحه، ونهى عن الصلاة عند القبور،

ونهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، لأنّها صورة للتشبه

بعباد الشمس ووسيلة للشرك، ونهى عن تجصيص القبور والكتابة عليها

وعن البناء عليها، لأنّ هذه من وسائل الشرك فقد حمى عليه السلام

التوحيد.

(٣) اجمع مقالة الرسول ﷺ مع مقالة هؤلاء الضلال واعرضها على أهل

العلم ليبينوا لك الحق من الباطل، واعرضها على الكتاب والسنة

وفطرتك السليمة وعلى عقلك وانظر مدى الموافقة فيها والمخالفة.

رامي البريء بدائه ومصائبه

فعل المباهت أوقح الحيوان

كمعيّر للناس بالزغل الذي

هو ضربُهُ فاعجب لذي البهتان^(١)

يا فرقة التنقيص بل يا أمة الذ

دعوى بلا علم ولا عرفان

والله ما قدمتم يوماً مقاً

لته على التقليد للإنسان^(٢)

(١) مثلهم كالذي يضرب نقوداً مغشوشة ويرمي الناس بذلك ويقول: أنتم تبخسون الناس أشياءهم وتغشونهم وهو الذي ضربها، فمصدر الغش من عنده، فهم الذين ضربوا هذه السكة الخبيثة وهي الشرك، وألقوا بالملامة على الناس للتليس عليهم، فكيف من فعل هذا مع الرسول ﷺ وقال: أنت في درجة الله ولست بعبد، أنت تقضي حوائج الناس وتفعل وتفعل، وأنت الذي خلق الخلق من أجلك، وهذا في الحقيقة تنقص للرسول ﷺ لأنه إنزال له فوق منزلته التي أعطاه الله إياها.

(٢) أنتم أيها القبوريون تغلون في حق الرسول ﷺ وتصفونه بما ليس من صفاته وبما لا يليق به، ومع غلوكم في حقه فأنتم لا تمثلون أمره بل تخالفونه وتتبعون قول شيوخكم، فما قاله شيوخ الطرق وأئمة المذاهب فهو حق عندكم، وما قاله الرسول فيه نظر، فهذا تناقض وغلو وتنقص.

والله ما قالَ الشيوخُ وقالَ إل

لَا كُتْمٌ مَعَهُمْ بِلَا كِتْمَانٍ (١)

واللهِ أغلَطُ الشيوخِ لَدَيْكُمْ

أَوْلَى مِنَ الْمَعْصُومِ بِالْبِرْهَانِ (٢)

وَكَذَا قَضَيْتُمْ بِالَّذِي حَكَمْتُمْ بِهِ

جَهْلًا عَلَى الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ (٣)

وَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَدَيْكُمْ مِثْلُ مَعْدٍ

صُومٍ وَهَذَا غَايَةُ الطُّغْيَانِ (٤)

(١) إذا قال الرسول قولاً وقال أشياخكم قولاً ذهبت مع أشياخكم ولم تذهبوا مع قول الرسول ﷺ، والواجب هو العكس أن تذهبوا مع قول الرسول وتخالقوا ما قاله أشياخكم. فأينا المتنقص للرسول نحن أم أنتم؟

(٢) تتعصبون لأقوال أئمتكم وهي ضلالٌ أحياناً، وترفضون قول الرسول ﷺ وهو القائل: «لا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك» (*) وهم يبنون على القبور ويسرجونها ويؤخرفونها ويعملون لها سدنة وأنتم تمشون على أثرهم.

(٣) تقضون بقول أشياخكم على القرآن والسنة، فتجعلون أقوال الشيوخ هي الحكم بينكم وبين القرآن والسنة، ما وافقها من القرآن والسنة قبلتموه، وما خالفها رفضتموه، وكان الواجب هو العكس أن تعرض أقوال شيوخكم على الكتاب والسنة فما وافقها قبل وما خالفها رد.

(٤) غلوتم في حق شيوخكم حتى أنزلتموهم منزلة المعصوم ﷺ وقلتم: إن =

تَبَّأ لَكُمْ مَاذَا التَّنْقِصُ بَعْدَ ذَا

لَوْ تَعْرِفُونَ الْعَدَلَ مِنْ نَقْصَانٍ (١)

وَاللَّهُ مَا يُرْضِيهِ جَعَلَكُمْ لَهُ

تُرْسَاً لِشُرَكَكُمْ وَلِلْعَدْوَانِ (٢)

وَكَذَاكَ جَعَلَكُمْ الْمَشَايخَ جُنَّةً

بِخِلَافِهِ وَالْقَصْدُ ذُو تَبْيَانٍ (٣)

= الشيوخ لا يُخطئون أبداً وهم أعلمُ مِنَّا، وأنتم ترون أن أقوالهم مخالفةٌ لقول الرسول ﷺ.

(١) ما هو التنقص إذا؟ هل هو عندنا أو عندكم؟ نحن الذين نتبع قول الرسول ﷺ ونُقدِّم أقواله على قولِ كُلِّ أحد، ونعرض أقوال أئمتنا على قول الرسول ﷺ، أما أنتم فبالعكس من ذلك، تعرضون قول الرسول ﷺ على قول أئمتكم فما وافقها قبلتموه، وما خالفها رددتموه فأئنا المتنقص للرسول ﷺ نحن أم أنتم؟

(٢) أي لا يُرضي الرسول ﷺ جعلكم له تُرساً للشرك بأن تصرفوا له أنواعاً من العبادة باسم محبته وتعظيمه، وهذا الذي تترسّون من ورائه لئلا تنكشف حقيقتكم، فأنتم تُظهرون محبة الرسول ﷺ وتعظيمه وهذا في الواقع كذب وبهتان؛ لأنّه لو كان حقيقة لاتبعتم قول الرسول ﷺ.

(٣) وهذه فعلة عظيمة أنّهم يجعلون قول المشايخ جُنَّةً يستترون بها ويقولون: أفتى فلان بكذا، ويتبعون أقوال المفتين، ويأخذون منها ما يوافق هواهم، ويقولون: نجعل هذا الشيخ جُنَّةً وتُرساً بيننا وبين النار، وهذا من أعظم الخذلان.

وَاللَّهُ يَشْهَدُ ذَا بِيضِرِ قُلُوبِكُمْ

وكذلك يشهده أولو الإيمان (١)

وَاللَّهُ مَا عَظَّمْتُمُوهُ طَاعَةً

وَمَحَبَّةً يَا فِرْقَةَ الْعِصْيَانِ (٢)

أَنَّى وَجَّهَلِكُمْ بِهِ وَبِدِينِهِ

وِخْلَافِكُمْ لِلْوَحْيِ مَعْلُومَانِ

أَوْصَاكُمْ أَشْيَاخُكُمْ بِخِلَافِهِمْ

لِوِفَاقِهِ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ (٣)

(١) الله يعلم أنكم أصحاب هوى لا أصحاب علم، وأنكم لم تأخذوا قول هذا العالم حبا له بل لأنه وافق هواكم ووافق رغبتكم.

(٢) ليس تعظيم الرسول يحصل بعبادته، بل بطاعته ومحبته باتباع أمره ﷺ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١] فذكر سبحانه وتعالى علامة المحبة الصحيحة وهي الاتباع والطاعة.

(٣) الأشياخ والأئمة رحمهم الله أوصوكم بترك أقوالهم لقول الرسول ﷺ، وأقوالهم معروفة ومشهورة.

يقول الشافعي رحمه الله: «أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة النبي ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد».

ويقول الإمام مالك رحمه الله: «كلنا راؤ ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر» يعني رسول الله ﷺ.

ويقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله وهو أقدم الأئمة الأربعة: «إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء الحديث عن =

خَالَفْتُمْ قَوْلَ الشُّيُوخِ وَقَوْلَهُ

فَقَدْ لَكُمْ خُلْفَانِ مُتَّفِقَانِ

وَاللَّهُ أَمْرُكُمْ عَجِيبٌ مُعْجَبٌ

ضِدَّانِ فِيكُمْ لَيْسَ يَتَّفِقَانِ^(١)

تَقْدِيمُ آرَاءِ الرِّجَالِ عَلَيْهِ مَعُ

هَذَا الْغُلُوفُ فَكَيْفَ يَجْتَمِعَانِ^(٢)

كَفَرْتُمْ مَنْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ جَهْ

لَا مِنْكُمْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ

= صحابة رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال».

والإمام أحمد رحمه الله وهو آخر الأئمة الأربعة يقول: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

(١) خالفتم قول الرسول ﷺ وقول إمامكم الذي تزعمون أنكم تتبعونه، ويعني بذلك بعض أتباع الأئمة الأربعة الذين يتعصبون لقول إمامهم، فإمامكم أحالكم على سنة الرسول ﷺ.

(٢) فعندكم آفتان: آفة الغلو بالرسول ﷺ وآفة تقديم آراء الرجال على قوله ﷺ، وهذا تناقض، تزعمون أنكم تحبونه وأنتم تغلون في حقه، وتخالفونه وتعصونه ﷺ، وهذا من التناقض العجيب.

لَكِنْ تَجَرَّدْتُمْ لِنَصْرِ الشُّرْكِ وَال

بِدَعِ الْمُضِلَّةِ فِي رِضَا الشَّيْطَانِ (١)

وَاللَّهُ لَمْ نَقْصِدْ سِوَى التَّجْرِيدِ لِلتَّ

تَوْحِيدِ ذَاكَ وَصِيَّةَ الرَّحْمَنِ (٢)

وَرِضَا رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَلَّا غُلُوْ

وَ الشُّرْكِ أَصْلِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ (٣)

وَاللَّهُ لَوْ يَرْضَى الرَّسُولُ دُعَاءَنَا

إِيَّاهُ بَادَرْنَا إِلَى الْإِذْعَانِ

(١) مَنْ أَخْلَصَ التَّوْحِيدَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَصْرَحَةِ وَالْقُبُورِ، تَقُولُونَ عَنْهُ: هَذَا كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مُخَالَفٌ لِدِينِ الْمُسْلِمِينَ، وَعِنْدَكُمْ: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ هُمْ عِبَادَةُ الْقُبُورِ، هَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ عِنْدَكُمْ، وَالْوَاقِعُ أَنْكُمْ تَنْصُرُونَ الشَّيْطَانَ وَتَنْصُرُونَ الْبَاطِلَ، مَا دُمْتُمْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ وَهَذِهِ الْعَقِيدَةِ، فَهَذَا أَمْرٌ خَطِيرٌ جَدًّا فَيَجِبُ الْوُقُوفُ عِنْدَهُ وَعَدَمُ الْإِنْسِيَاقِ وَرَاءَ التَّقْلِيدِ الْأَعْمَى، وَمَا عَلَيْهِ النَّاسُ بَدُونَ تَمْحِيصٍ وَنَظَرٍ وَتَمْيِيزٍ.

(٢) مَا قَصَدْنَا إِلَّا إِخْلَاصَ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ تَعَالَى، فَهَذَا هُوَ ذَنْبُنَا عِنْدَكُمْ، وَقَدْ أَوْصَانَا اللَّهُ بِهَذَا فَقَالَ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] وَقَالَ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبِّيكَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] هَذَا الَّذِي أَوْصَانَا اللَّهُ بِهِ وَهُوَ: إِخْلَاصُ التَّوْحِيدِ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(٣) إِخْلَاصُ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَإِخْلَاصُ الْمَتَابَعَةِ لِلرَّسُولِ ﷺ مِنْ غَيْرِ غُلُوٍّ فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هَذَا الَّذِي يَرْضَاهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، لِأَنَّ الْغُلُوَّ فِي حَقِّهِ مِنْ عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ.

والله لو يرضى الرسول سُجُودَنَا
 كُنَّا نَخِرُّ لَهُ عَلَى الْأَذْقَانِ
 والله ما يُرْضِيهِ مِنَّا غَيْرَ إِخْرٍ
 -لاصٍ وتحكيمٍ لذا القرآن^(١)
 ولقد نهى ذا الخَلْقَ عن إطرائِهِ
 فَعَلَ النصارى عابدي الصُّلْبَانِ^(٢)
 ولقد نهانا أن نُصَيِّرَ قَبْرَهُ
 عِيداً حَذَارِ الشُّرْكِ بِالرَّحْمَنِ^(٣)

- (١) لو أمرنا الرسولُ بِدُعَائِهِ لأطعناه، وكذلك لو أمرنا بالسجودِ لَهُ، فنحنُ ندور مع قول الرسول ﷺ لكنَّه نهانا عن ذلك أشدَّ النهي فتمثل نهيه، فالذي يُرضي رسول الله هو إخلاصُ العبادة لله، واتباعُ القرآن والسُّنة، وترك ما خالفها من أقوالِ الشيوخ.
- (٢) يشيرُ إلى الحديث: «لا تُطْرُونِي كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»^(*) والإطراء هو المبالغة في المدح، وهذا محرم لأنه وسيلةٌ إلى الشرك.
- (٣) هذا في حديثٍ صحيحٍ «لا تتخذوا قبوري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً»^(**) والعيد: هو المكان الذي يُتردد إليه، أي: لا تترددوا إلى قبوري كلما دخل إنسان يذهب يُسَلِّمُ على الرسول، وإنما هذا خاص =

(*) سلف تخريجه ص ٩٤٢.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٠٣/١٤ (٨٨٠٤)، وأبو داود (٢٠٤٢)، من حديث أبي هريرة، وهو حديث إسناده حسن.

ودعا بالآء يُجَعَلُ القَبْرُ الَّذِي

قَدْ ضَمَّهُ وَثَنًا مِنَ الْأَوْثَانِ

فَأَجَابَ رَبُّ الْعَالَمِينَ دَعَاءَهُ

وَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ الْجُدْرَانِ

حَتَّى اغْتَدَّتْ أَرْجَاؤُهُ بِدُعَائِهِ

فِي عِزَّةٍ وَحِمَايَةٍ وَصِيَانٍ^(١)

= بمن قدم من سفر، أمّا من جاءَ للمسجد يريد الصلاة فلا يتردد على القبر، لأنّ هذا غلوةٌ يؤول إلى الشرك وكذلك الجلوس عند قبر الرسول هذا من اتخاذ عيدا.

(١) وهذا حديث آخر: قال فيه ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»^(*) فدلّ على أنّ كلّ ما عُبدَ من دونِ الله فهو وثن، ولو كان قبر نبي، ولو كان قبر أفضل المرسلين فإنّه يُصيرُ وثناً، فاستجاب الله دعاءَ رسوله فحمى قبره، وأحاطه بثلاثة جدران وصار قبر الرسول ﷺ في وسط الحجرة، ولا يراه أحدٌ وإنّما النَّاسُ يَقْفُونَ فِي الْمَسْجِدِ وَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ وَلَا يَصْلُونَ إِلَى قَبْرِهِ. وَدُفِنَ فِي بَيْتِهِ وَلَمْ يُدْفَنَ فِي الْبَقِيعِ خَشْيَةَ أَنْ يُتَّخَذَ قَبْرُهُ مَسْجِدًا. فَيُصَلَّى عِنْدَهُ وَيُدْعَى عِنْدَهُ، كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرَزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»^(**) فهذا سرُّ دفن الرسول في =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣١٤/١٢ (٧٣٥٨)، من حديث أبي هريرة، وإسناده قوي وانظر تمام تخريجه وتنقيده فيه.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٥٨/٤١ (٢٤٥١٣)، والبخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ولقد غدا عند الوفاة مُصَرِّحاً
 بِاللَّعْنِ يَصْرُخُ فِيهِمْ بِأَذَانٍ
 وَعَنِ الْأَوْلَى جَعَلُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدًا
 وَهُمْ الْيَهُودُ وَعَابَدُوا الصُّلْبَانَ^(١)
 وَاللَّهُ لَوْلَا ذَاكَ أُبْرِرَ قَبْرُهُ
 لَكِنَّهُمْ حَجَبُوهُ بِالْحَيْطَانِ
 قَصَدُوا إِلَى تَسْنِيمِ حُجْرَتِهِ لِيَمَّ
 تَنَعَ السُّجُودُ لَهُ عَلَى الْأَذْقَانِ

= حُجْرَةٌ عَائِشَةُ حَفَاطًا عَلَيْهِ مِنَ الْعُلُوِّ وَمَنْ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَا يَزَالُ
 مَصُونًا وَمُحَاطًا بِثَلَاثَةِ جُدْرَانٍ؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ لَمَّا دَفَنُوهُ فِي الْحُجْرَةِ جَاءُوا
 إِلَى الْجِدَارِ الشَّمَالِيِّ وَجَعَلُوهُ عَلَى شَكْلِ مُثَلَّثٍ لثَلَا يَسْتَقْبِلُهُ النَّاسُ فِي
 الصَّلَاةِ.

(١) قَالَ ﷺ وَهُوَ يُعَانِي مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى
 اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(*) «أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنِّي
 أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ»^(**) فَهَذَا مِنْ كَمَالِ بَيَانِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي النَّهْيِ عَنِ الْبِنَاءِ
 عَلَى الْقُبُورِ وَلَا سِيَّمَا قَبْرَهُ ﷺ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ نُصْحِهِ وَشَفَقَتِهِ لِأُمَّتِهِ، لِأَنَّ
 الْبِنَاءَ عَلَى الْقُبُورِ وَسِيلَةٌ مِنْ وَسَائِلِ الشَّرْكِ.

(*) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» ٤٣/٨٧-٨٨ (٢٥٩١٦)، وَابْنُ خَالٍ (٤٣٥، ٤٣٦)،
 وَمُسْلِمٌ (٥٣١) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ وَابْنَ عَبَّاسٍ.
 (***) سَلَفٌ تَخْرِيجُهُ ص ٩٥٢.

قَصَدُوا مُوَافَقَةَ الرَّسُولِ وَقَصَدَهُ التَّ

تَجْرِيدَ لِلتَّوْحِيدِ لِلرَّحْمَنِ (١)

يَا فِرْقَةً جَهَلَتْ نُصُوصَ نَبِيِّهِمْ

وَقَصُودَهُ وَحَقِيقَةَ الْإِيمَانِ (٢)

(١) لولا خشية أن يتخذ قبره مسجداً أو يصلّى عنده أو يدعى عنده، لأبرز مع قبور أصحابه في البقيع، ولكنهم خشوا من اتخاذه مسجداً فدفنوه في حُجرتِهِ، وجاء في الحديث أنه عليه السلام قال: «لا ينبغي أن يُدفن نبيٌّ إلاّ حيث يموت» (*). فالأنبياء يُدفنون في البقعة التي ماتوا فيها، وهو مات في الحجرة النبوية فدفنوه فيها، ولذلك ليس هناك قبر من قبور الأنبياء السابقين معروف إلاّ قبر هذا الرسول وهو مصونٌ ومحميٌّ، وقصد الصحابة إلى تسنيم حجرتِهِ يعني: جعلها على شكل مثلث من الناحية الشمالية لثلا يصلّى إلى جدار القبر.

(٢) يُخاطب بذلك الخرافين والقبوريين الذين لم يتلفتوا إلى هذه النصوص ولا إلى هذا التحذير، فصاروا يغفلون في حقّ الرسول ﷺ وفي حقّ الأولياء والصّالحين، ويصرفون لهم من أنواع العبادة من دون الله عزّ وجلّ أنواعاً كثيرة.

(*) ورد في «السيرة النبوية» لابن هشام ٢٣٣/٤، وفي «سنن ابن ماجه» (١٦٢٨): قال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض». وفي «سنن الترمذي» (١٠١٨) عن أبي بكر قال: سمعت من رسول الله شيئاً ما نسيتُهُ، قال: «ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه». قال الترمذي: هذا حديث غريب.

فَسَطَّوْا عَلَيَّ أَتْبَاعِهِ وَجُنُودِهِ

بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ^(١)

لَا تَعَجَلُوا وَتَبَيَّنُوا وَتَثَبَّتُوا

فَمُصَابِكُمْ مَا فِيهِ مِنْ جُبْرَانِ^(٢)

قَلْنَا الَّذِي قَالَ الْأُئِمَّةُ قَبْلَنَا

وَبِهِ النَّصُوصُ أَتَتْ عَلَيَّ التَّبْيَانِ^(٣)

الْقَصْدُ حَجُّ الْبَيْتِ وَهُوَ فَرِيضَةُ الرِّزْقِ

رَحْمَتِي وَاجِبَةٌ عَلَيَّ الْأَعْيَانِ^(٤)

(١) إذا روى العلماء لهم سنة رسول الله وبلغوهم إيها سطوا عليهم بالسباب والشتم ويقولون: أنتم تبغضون الرسول ﷺ، وتنفصون رسول الله ﷺ، لأننا لا نعبده كما هم يعبدونه. والعجيب أنهم يتنقصون رب العالمين ويشركون به ويعبدون غيره ولا ينظرون إلى ذلك.

(٢) مصابهم لا يجبر لأنه شرك، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] فالشرك لا يدخل تحت الغفران إلا من تاب منه فإن الله يتوب عليه.

(٣) إن كان هذا مذمة فياحبذا المذمة، اتباع الأئمة أئمة السلف الذين أخذوا بنصوص الوحيين ولم يتجاوزوا الكتاب والسنة، فإن كان هذا ذماً عندكم فنحن لا نعبأ بهذا الذم، لأنه هو الكمال والمدح عند الله تعالى وعند أهل التحقيق والإيمان.

(٤) شرع الناظم رحمة الله في بيان حكم السلف للعبادة في مكان من الأمكنة، فليس هناك مكان يسافر إليه ويعتقد فيه الفضل إلا ثلاثة مساجد: المسجد =

الحرام وهو أول بيتٍ وُضِعَ للنَّاسِ، وهو أفضل المساجد، ثمَّ المسجد النبوي في المدينة ثمَّ المسجد الأقصى في فلسطين، هذه المساجد يُسافر إليها لأجل الصلاة فيها والاعتكاف، فصلاةٌ في المسجد الحرام عن مائة ألف صلاة، وصلاةٌ في المسجد النبوي عن ألف صلاة، وصلاةٌ في المسجد الأقصى عن خمسمائة صلاة، وما عدا هذه الثلاثة لا ميزة له على غيره من المساجد، ومن سافر إلى مسجدٍ غير هذه المساجد الثلاثة فهو مبتدع، لقوله ﷺ: «لا تُشَدُّ الرحالُ إلَّا إلى ثلاثة مساجد» (*) وفي رواية: «لا تشدُّوا» بالنهي إلَّا إلى ثلاثة مساجد، وهذا حصر.

وأما القبور فلا يُسافر إليها لا إلى قبور الأنبياء ولا إلى غيرهم، ولم يأت دليلٌ صحيح يدل على مشروعية السفر لزيارة قبر الرسول ﷺ وإنَّما السفر لمسجده ويدخل قبره تبعاً، فأنت تسافر لقصد الصلاة في المسجد، أمَّا قصد زيارة القبر فهذا القصد بدعة ما أنزلَ اللهُ بها من سلطان، والأحاديث الواردة التي يروونها في السفر لزيارة القبر بعد الحج أو قبل الحج كُلُّها ضعيفة شديدة الضعف أو موضوعة كما نبَّه على ذلك الأئمة، وبعضُ الخرافيين صنَّفوا كتباً في فضل زيارة القبر، والسفر لزيارة القبر مناقضة لنصوص الرسول ﷺ مثل ما صنَّف السبكي كتاباً في ذلك وردَّ عليه الحافظ ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» فلا يسافر إلَّا إلى المساجد الثلاثة، فأول مسجد وُضِعَ في الأرض هو المسجد الحرام ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (١) فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا =

وَرِحَالِنَا شُدَّتْ إِلَيْهِ مِنْ بَقَا
 عِ الْأَرْضِ قَاصِيهَا كَذَاكَ الدَّانِي
 مَنْ لَمْ يَزُرْ بَيْتَ الْإِلَهِ فَمَا لَهُ
 مِنْ حَجِّهِ سَهْمٌ وَلَا سَهْمَانٍ^(١)
 وَكَذَا نَشُدُّ رِحَالَنَا لِلْمَسْجِدِ الْ
 نَبَوِيِّ خَيْرِ مَسَاجِدِ الْبُلْدَانِ^(٢)
 مِنْ بَعْدِ مَكَّةَ أَوْ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي
 هِ الْخُلْفُفِ بَيْنَ الْقَوْمِ مُنْذُ زَمَانٍ^(٣)

= وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾
 [آل عمران: ٩٦-٩٧] فَحِجُّ الْبَيْتِ فَرِيضَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِ وَرُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ
 الْإِسْلَامِ إِذَا كَانَ يَسْتَطِيعُ وَعِنْدَهُ «الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ» وَتَشُدُّ الرِّحَالُ إِلَيْهِ لِأَجْلِ
 الْعُمْرَةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَتَشُدُّ الرِّحَالُ فِيهِ لِأَجْلِ الصَّلَاةِ وَالْإِعْتِكَافِ،
 وَكَذَلِكَ الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى.

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

(٢) وَهَذَا هُوَ الْمَسْجِدُ الثَّانِي فِي الْأَرْضِ بَعْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي يَسَافِرُ إِلَيْهِ
 لِأَجْلِ الصَّلَاةِ وَالْإِعْتِكَافِ فِيهِ.

(٣) اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ مَكَّةُ أَمْ الْمَدِينَةُ؟ فَالْجَمْهُورُ عَلَى أَنَّ مَكَّةَ
 أَفْضَلُ، وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَرَى أَنَّ الْمَدِينَةَ أَفْضَلُ مِنْ مَكَّةَ لِأَنَّهَا مُهَاجِرُ
 الرَّسُولِ ﷺ وَلَكِنْ الصَّحِيحُ هُوَ الْأَوَّلُ، أَنَّ مَكَّةَ هِيَ أَفْضَلُ الْبِقَاعِ لِأَنَّ
 الرَّسُولَ ﷺ لَمَّا أَخْرَجُوهُ مِنْهَا وَقَفَ فِي مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: الْحَزْرُورَةُ وَقَالَ: =

وَنَرَاهُ عِنْدَ النَّذْرِ فَرُضًا لَكِنِ النَّذْرُ
 نُعْمَانٌ يَا بِي ذَا وَلِلنُّعْمَانِ
 أَصْلٌ هُوَ النَّافِي الْوَجُوبَ فَإِنَّهُ
 مَا جِنْسُهُ فَرَضٌ عَلَى الْإِنْسَانِ (١)
 وَلِنَا بَرَاهِينٌ تَدُلُّ بِأَنَّهُ
 بِالنَّذْرِ مُفْتَرَضٌ عَلَى الْإِنْسَانِ

= «إِنَّكَ لِأَحَبِّ الْبِلَادِ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنْ قَوْمَكَ أَخْرَجُونِي مَا خَرَجْتُ» (**). فَدَلَّ عَلَى أَنَّهَا أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ مَكَّةَ أَفْضَلُ.

(١) يَعْنِي: لَوْ نَذَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ يَزُورُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ أَوْ يَزُورُ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ أَوْ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى فَعِنْدَ الْجُمْهُورِ يَجِبُ عَلَيْهِ الْوَفَاءُ بِالنَّذْرِ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ» (***) وَهَذَا طَاعَةٌ، أَمَّا التُّعْمَانُ وَهُوَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَإِنَّهُ يَقُولُ: النَّذْرُ فِيهِ تَفْصِيلٌ: إِنْ كَانَ جِنْسُهُ وَاجِبًا فِي الشَّرْعِ فَإِنَّ النَّذْرَ يَجِبُ، مِثْلُ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فَهَذِهِ جِنْسُهَا وَاجِبٌ بِالشَّرْعِ، أَمَّا زِيَارَةُ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ فَهَذِهِ جِنْسُهَا لَيْسَ بِوَاجِبٍ فِي الشَّرْعِ فَيَكُونُ الْوَفَاءُ بِالنَّذْرِ مُسْتَحَبًّا وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ، لَكِنِ عَمُومُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ» يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَوَّلَ هُوَ الرَّاجِحُ وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ.

(*) أَخْرَجَهُ بَنُحُوهُ أَحْمَدُ فِي «الْمَسْنَدِ» ٣١/١٠-١٤ (١٨٧١٥-١٨٧١٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٩٢٥) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْحَمْرَاءِ الزَّهْرِيِّ، وَهُوَ حَدِيثٌ إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَانظُرْ تَمَامَ تَخْرِيجِهِ فِي «الْمَسْنَدِ».

(**) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمَسْنَدِ» ٤٠/٨٦ (٢٤٠٧٥)، وَالبَخَارِيُّ (٦٦٩٦) وَ(٦٧٠٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣٢٨٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٥٢٦) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أمرُ الرسولِ لكلِّ ناذِرٍ طاعةٍ
 بوفائِهِ بالتَّنذِرِ بالإِحسانِ^(١)
 وصلاتُنَا فِيهِ بِأَلْفٍ فِي سِوَا
 هُ مَا خِلا ذَا الحِجْرِ والأركانِ^(٢)
 وكذا صلاةٌ فِي قِبا فَكعُمرَةَ
 فِي أَجرِها والفضلُ للمَنانِ^(٣)

(١) لنا دليل على أَنَّ النذر واجبٌ مُطلقاً سواءً كان جنسه واجباً أو لم يكن وهو قوله ﷺ: «من نذر أن يُطيع الله فليُطعه»^(*) والأمر يقتضي الوجوب وهذا عام في كلِّ نذر فلم يستثن نذراً دون نذر.

(٢) صلاتُنَا بالمسجد النبوي عن ألف صلاة ما خلا مسجد الكعبة فالصلاة فيه عن مائة ألف صلاة.

(٣) كذا يستحبُّ لمن زار المدينة أو كان مُقيماً فيها يستحبُّ له أن يزور مسجد «قبا» ويصلي فيه كُلَّ أُسبوعٍ لفعل النبي ﷺ لكن لا يُسافر من بلده لأجل مسجد «قبا»؛ لأنَّ السفر مخصوص بالمساجد الثلاثة، والدليل على فضل زيارة مسجد قبا، والصلاة فيه أن النبي ﷺ حث على زيارته، وكان يزوره عليه السلام كُلَّ سبتٍ وقال: «من تطهَّر في بيته، ثم أتى مسجد قبا، فصلى فيه صلاة، كان له كأجر عمرة»^(**) وهذا فضل عظيم لكن لا يُسافر إليه وإنما يدخل تبعاً.

(*) سلف تخريجه في الصفحة السابقة.

(**) أخرجه ابن ماجه (١٤١٢) وبنحوه عند النسائي ٣٧/٢ (٦٩٨) من حديث سهل بن

حنيف وهو في «مسند أحمد» ٣٥٨/٢٥ (١٥٩٨١) وهو حديث صحيح بشواهده.

انظر تمام تخريجه في «المسند».

فإذا أتينا المسجد النبويَّ صَدَّ
لَيْنَا التَّحِيَّةَ أَوْلَى ثِنْتَانِ
بِتَمَامِ أَرْكَانِ لَهَا وَخُشُوعِهَا
وَحُضُورِ قَلْبِ فِعْلَ ذِي الْإِحْسَانِ (١)
ثُمَّ اثْنَيْنَا لِلزِّيَارَةِ نَقْصِدُ أَلْ
قَبْرَ الشَّرِيفِ وَلَوْ عَلَى الْأَجْفَانِ
فَنَقُومَ دُونَ الْقَبْرِ وَقَفَّةً خَاضِعِ
مُتَذَلِّلِ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ
فَكَأَنَّهُ فِي الْقَبْرِ حَيٌّ نَاطِقٌ
فَالوَاقِفُونَ نَوَاصِئُ الْأَذْقَانِ (٢)

(١) شرع الناظم الآن يُبَيِّنُ آدابَ دخولِ المسجدِ النبويِّ، فإذا وصلتِ إلى المسجدِ النبويِّ فأولُ شيءٍ تُصَلِّيهِ تحيةَ المسجدِ، لقوله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يُصَلِّيَ ركعتين» (*) ثمَّ بعد الصلاة ركعتين تتجّه إلى القبر وتُسَلِّمُ على الرسول ﷺ وعلى صاحبيه.

(٢) هذه آداب الوقوف عند القبر فيقف الإنسان بسكينة وعدم رفع صوت، ويُسَلِّمُ على النبي ﷺ لأنَّ الله يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٢]. فتعظيمه وتوقيره واجب في حياته وبعد موته، فهو حيٌّ في قبره حياةً =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٧/٢٨٧-٢٨٨ (٢٢٦٠١)، ومسلم (٧١٤) (٧٠) من حديث أبي قتادة.

مَلَكْتَهُمْ تِلْكَ الْمَهَابَةُ فَاعْتَرَتْ
 تِلْكَ الْقَوَائِمَ كَثْرَةَ الرَّجَفَانِ
 وَتَفَجَّرَتْ تِلْكَ الْعَيُونَ بِمَائِهَا
 وَلَطَالَمَا غَاضَتْ عَلَى الْأَزْمَانِ^(١)
 وَأَتَى الْمُسَلِّمُ بِالسَّلَامِ بِهَيْبَةٍ
 وَوَقَارٍ ذِي عِلْمٍ وَذِي إِيْمَانٍ
 لَمْ يَرْفَعِ الْأَصْوَاتَ حَوْلَ ضَرِيحِهِ
 كَلًّا وَلَمْ يَسْجُدْ عَلَى الْأَذْقَانِ
 كَلًّا وَلَمْ يُرَ طَائِفًا بِالْقَبْرِ أُسْدٌ
 بَوعَا كَأَنَّ الْقَبْرَ بَيْتٌ ثَانٍ^(٢)

= برزخية ليست هي كحياته على وجه الأرض، فاحترمه كما لو كان بيننا عليه الصلاة والسلام، أما الحياة البرزخية فإنها ثابتة له عليه الصلاة والسلام لأنه إذا كان الشهداء أحياء فالأنبياء من باب أولى.

(١) وذلك محبة لرسول الله ﷺ وإجلالاً له تنبعث الدموع من العيون عند زيارته عليه السلام.

(٢) لا يجوز الصخب ولا رفع الصوت ولا طلب الحوائج منه ولا الطواف به، وإنما هذا خاص بالكعبة المشرفة قال تعالى: ﴿وَلَيْطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩] فليس على وجه الأرض بيت يطاف به إلا البيت العتيق، كذلك ليس هناك شيء يستلم ويقبل سوى الحجر الأسود.

ثُمَّ انشأ بدعائه مُتَوَجِّهاً

لِلَّهِ نَحْوَ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ (١)

هَذِي زِيَارَةٌ مِّنْ غَدَا مُتَمَسِّكاً

بِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ (٢)

مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ هَاتِيكَ الزِّيَا

رَةَ وَهِيَ يَوْمَ الْحَشْرِ فِي الْمِيزَانِ (٣)

لَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ

سُنَنُ الرَّسُولِ بِأَعْظَمِ الْبُرْهَانِ

هَذِي زِيَارَتُنَا وَلَمْ نُنْكَرْ سِوَى الْ

بِدَعِ الْمُضِلَّةِ يَا أَوْلِي الْعُدْوَانِ

(١) إذا أردت أن تدعو بعد زيارة قبر النبي ﷺ فاذهب وتوجه لاستقبال القبلة لأنها قبلة المسلمين في الدعاء والصلاة ووضع الأموات في القبور.

(٢) هذه الزيارة المذكورة هي الزيارة الشرعية، لكنها لا تُرضي الخرافيين والقبوريين.

(٣) زيارة المسجد النبوي والسلام على رسول الله من أفضل الأعمال إذا كانت على الوجه الشرعي كما ذكرها الناظم هنا، وهي مُستوحاة من النصوص، أمّا إذا كانت زيارةً شركية أو بدعية فإنّها تكون في ميزان السيئات.

وحدِيثُ شَدِّ الرَّحْلِ نَصٌّ ثَابِتٌ

يَجِبُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ بِالْبُرْهَانِ^(١)

* * *

(١) يُخَاطَبُ الْخِرَافِيِّينَ: وَيَقُولُ لَهُمْ: لَا تَخْلَطُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، لَا تَقْلُبُوا الزِّيَارَةَ الشَّرْعِيَّةَ وَلَا تَعْدِلُوا إِلَى زِيَارَةٍ شَرَكِيَّةٍ أَوْ زِيَارَةٍ بَدْعِيَّةٍ، فَنَحْنُ لَا نَمْنَعُ الزِّيَارَةَ الشَّرْعِيَّةَ؛ بَلْ نَفْعَلُهَا وَنَأْمُرُ بِهَا وَلَكِنْ نَمْنَعُ الزِّيَارَةَ الْبَدْعِيَّةَ وَالشَّرَكِيَّةَ فَنَحْنُ لَا نَفْعَلُ شَيْئاً إِلَّا حَسَبَ الْأَدْلَةِ الصَّحِيحَةِ، أَمَّا أَنْتُمْ فَتَبْتَدِعُونَ وَتَشْرَعُونَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَحَدِيثُ شَدِّ الرَّحَالِ صَحِيحٌ ثَابِتٌ وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ»^(*) فَحَصَرَهَا فِي الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ دُونَ غَيْرِهَا مِنْ بَقِيَّةِ الْمَسَاجِدِ، فَلَا يَجُوزُ السَّفَرُ لَزِيَارَةِ مَسْجِدٍ غَيْرِ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ وَلَا السَّفَرُ لَزِيَارَةِ الْقُبُورِ، حَتَّى مَسْجِدِ «قَبَاءَ» لَا يَسَافِرُ لِأَجَلِهِ وَإِنَّمَا يَدْخُلُ تَبَعاً فِي حَقِّ مَنْ زَارَ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ أَوْ كَانَ مُقِيماً بِالْمَدِينَةِ.

(*) سَلَفٌ تَخْرِيجُهُ ص ٦٨٧.

فصل

في تعيين أن اتباع السنة والقرآن

طريق النجاة من النيران^(١)

يا مَنْ يُريد نجاته يومَ الحسا

بِ مَنْ الجَحيمِ ومُوقِدِ النيرانِ

اتَّبِعْ رسولَ الله في الأقوالِ والـ

أعمالِ لا تخرُجْ عن القرآنِ

وخذ الصحيحينِ اللذينِ هما لِعَقْدِ

بِ الدِّينِ والإيمانِ واسطتانِ^(٢)

واقراءهما بعدَ التجرُّدِ مِنْ هوى

وتَعْصَبِ وحميةِ الشيطانِ

(١) لا شكَّ أنَّه لا نجاتَ من النيرانِ إلا باتباعِ الكتابِ والسنة، وأمَّا من أعرَضَ عن الكتابِ والسنةِ فإنَّه لا ينجو من النيرانِ، لأنَّه تركَ السببَ الذي فيه النجاة.

(٢) يعني تمسك بالكتابِ والسنةِ، وأعظمُ الكتبِ وأصحها في حديثِ الرسولِ ﷺ هما صحيحا البخاري ومسلم، لأنَّ كلَّ ما فيهما من الأحاديثِ فهو صحيح، وهذا بإجماعِ العلماءِ، وأمَّا ما عداهما من السننِ الأربعِ والمسانيدِ فهذه لم يلتزم أصحابها الصحة بل يروون فيها الصحيح والحسن والضعيف ويبين ذلك سند كل حديث.

وَأَجْعَلُهُمَا حَكَمًا وَلَا تَحْكُمْ عَلَيَّ

ما فيهما أصلاً بقولِ فلان^(١)

واجعلْ مقالتهُ كبعضِ مقالةِ الـ

أشياخِ تَنْصُرُهَا بِكُلِّ أَوَانٍ

وَأَنْصُرْ مقالتهُ كمنصركَ للذي

قَلَدْتَهُ مِنْ غَيْرِ مَا بُرْهَانَ^(٢)

قَدَّرَ رَسُولَ اللَّهِ عِنْدَكَ وَخَدَهُ

وَالْقَوْلُ مِنْهُ إِلَيْكَ ذُو تَبْيَانٍ

ماذا ترى فرضاً عليك مُعَيَّنًا

إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلِ وَذَا إِيْمَانٍ

(١) لا تحكم على ما في الصحيحين بل هو صحيح لا يحتاج إلى نظرك
وحكمك.

(٢) اجعل مقالة الرسول على الأقل مثل مقالة من تُعظمهم من مشائخك،
وإلا فهو فوق أقوال الناس كلهم فالبدع من يفضل قول شيخه على قول
الرسول ﷺ فهذا ما يُسمّى بالتعصب أو التقليد الأعمى، قال تعالى:
﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧] وقال تعالى:
﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:
٦٣] وأما غير الرسول ﷺ فيُتبع قوله فيما وافق فيه الرسول ﷺ وأما ما
خالف فيه الرسول فإنه لا يُتبع ولو كان من الأئمة الكبار، لأنه بشر
يخطيء ويصيب بخلاف الرسول ﷺ فإنه معصوم من الخطأ.

عَرَضَ الَّذِي قَالُوا عَلَى أَقْوَالِهِ

أَوْ عَكْسَ ذَاكَ فَذَانِكَ الْأَمْرَانِ (١)

هِيَ مَفْرُقُ الطَّرِيقَاتِ بَيْنَ طَرِيقِنَا

وَطَرِيقِ أَهْلِ الزِّيغِ وَالْعُدْوَانِ (٢)

قَدَّرْ مَقَالَاتِ الْعِبَادِ جَمِيعِهِمْ

عَدَمًا وَرَاجِعَ مَطَّلَعِ الْإِيمَانِ (٣)

وَاجْعَلْ جُلُوسَكَ بَيْنَ صَحْبِ مُحَمَّدٍ

وَتَلَقَّ مَعَهُمْ عَنْهُ بِالْإِحْسَانِ

(١) هل ترى أنّ الواجب عليك اتباع الرسول أو غير الرسول؟ فإن كان الواجب عليك اتباع الرسول قَدِّمَتْ قَوْلَهُ عَلَى قَوْلِ غَيْرِهِ كَأَنَّكَ مَنْ كَانَ، وَإِنْ كَانَ الْوَاجِبُ هُوَ الْعَكْسُ فَهَذَا هُوَ الضَّلَالُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَلَا بُدَّ مِنْ أَحَدٍ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنَّكَ تَرَى أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ تُعَرِّضُ عَلَى أَقْوَالِ الرَّسُولِ ﷺ فَمَا شَهِدَ لَهُ الرَّسُولُ فَهُوَ حَقٌّ، وَإِمَّا أَنَّكَ تَرَى الْعَكْسَ، وَهُوَ أَنَّكَ تُعَرِّضُ أَحَادِيثَ الرَّسُولِ عَلَى أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ فَمَا وَافَقَ قَوْلَ الْعَالَمِ الَّذِي أُعْجِبْتَ بِهِ أَخَذْتَهُ وَمَا خَالَفَهُ رَدَدْتَهُ، فَلَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا هَذَيْنِ الْقَسْمَيْنِ فَالْوَاجِبُ هُوَ الْأَوَّلُ، وَهَذَا هُوَ قَوْلُ الْأُمَّةِ، وَهُمْ يَوْصُونَنَا بِذَلِكَ.

(٢) اِفْتَرَقَتْ هَذِهِ الْفُرُقُ عِنْدَ هَذَا الْمَنْعَطِ، فَأَهْلُ الْإِيمَانِ أَخَذُوا طَرِيقَ الرَّسُولِ ﷺ وَمَشَوْا فِيهِ وَلَوْ خَالَفَ قَوْلَ أَثْمَتِهِمْ وَمَشَايِخِهِمْ، لِأَنَّ قَوْلَ الرَّسُولِ مَعْصُومٌ، وَقَوْلَ أَثْمَتِهِمْ غَيْرُ مَعْصُومٍ، أَمَّا أَهْلُ الضَّلَالِ فَبِالْعَكْسِ أَخَذُوا بِقَوْلِ مَشَايِخِهِمْ وَتَرَكَوا قَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ، فَهَذَا مَفْتَرِقُ الطَّرِيقِ.

(٣) إِذَا خَالَفَتْ أَقْوَالَ الْعِبَادِ أَقْوَالَ الرَّسُولِ ﷺ قَدَّرْهَا غَيْرَ مَوْجُودَةٍ وَخُذْ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي هُوَ مَطَّلَعُ الْإِيمَانِ.

وَتَلَقَّ عَنْهُمْ مَا تَلَقَّوهُ هُمْ

عَنْهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعِرْفَانِ^(١)

أَفَلَيْسَ فِي هَذَا بِلَاغٌ مُسَافِرٍ

يَبْغِي الْإِلَهَ وَجَنَّةَ الْحَيَوَانِ^(٢)

لَوْلَا التَّنَافُسُ بَيْنَ هَذَا الْخَلْقِ مَا

كَانَ التَّفَرُّقُ قَطُّ فِي الْحُسْبَانِ^(٣)

فَالرَّبُّ رَبٌّ وَاحِدٌ وَكِتَابُهُ

حَقٌّ وَفَهُمُ الْحَقُّ مِنْهُ دَانٍ^(٤)

وَرَسُولُهُ قَدْ أَوْضَحَ الْحَقَّ الْمَبِيدَ

— مِنْ بَغَايَةِ الْإِيضَاحِ وَالتَّبَيَّانِ

(١) تلقى أحاديث الرسول ﷺ من الكتب الصحاح وعظمها كأنك جالس بين يدي الرسول ﷺ مع أصحابه، فإذا سمعت كلام رسول الله ﷺ فتأدب معه ولتأخذك الهيبة والوقار.

(٢) جنة الحيوان: يعني جنة الحياة الكاملة، ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] يعني: الحياة الكاملة التي لا موت فيها.

(٣) الذي حمل الناس على التفرق والاختلاف على رسول الله ﷺ إنما هو التنافس على الرئاسة والمكانة بين الناس، هذا هو فرق الناس.

(٤) الربُّ واحدٌ والطريق الموصول إليه واحد وهو كتابه وسنته رسوله ﷺ فإذا كنت تريد أن تصل إلى الله فخذ هذا الطريق، طريق الكتاب والسنة.

ما ثمَّ أوضح من عبارته فلا

يحتاج سامعها إلى تبيان^(١)

والنصح منه فوق كل نصيحة

والعلم مأخوذ عن الرحمن^(٢)

فلأني شيء يعدل الباغي الهدى

عن قوله لولا عمى الخذلان^(٣)

(١) الله أرسل إليك هذا الرسول ليبلغك ويدللك على الله تعالى فاتبعه، ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٣١-٣٢] قل أطيعوا الله والرسل فإن تولوا فإن الله لا يهتد الكافرين ﴿ [آل عمران: ٣١-٣٢] فليس هناك كلام أوضح من كلام الله ورسوله فلا يحتاج إلى ترجمة لأنه بلسان عربي مبين فليس فيه ألغاز ولا أحاج أمّا كلام غير الله ورسوله فهو عرضة للتعقيد وعدم الفهم.

(٢) لا أحد من الخلق أعلم من الرسول ﷺ ولا أفصح من الرسول ﷺ، ولا أحد من الخلق أنصح من الرسول ﷺ، فاجتمع في حقه ثلاثة أمور: العلم والفصاحة والنصح فهو أعلم الناس وأفصح الناس وأنصح الناس، وعلم الرسول ﷺ مأخوذ من الرحمن لأن الرسول هو الوساطة لتبليغ الرسالة بين الله وبين خلقه، فالرسالة اختيار من الله تعالى، ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥]، ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] فالله تعالى أعلم بمن يختار للرسالة.

(٣) لأني شيء يعدل الإنسان عن قول الرسول ﷺ إذا كان يريد النجاة والسلامة، فمن تلكا عن أن يأخذ ما جاء في القرآن والسنة فإنه يُصاب =

فالتَّغْلُ عَنْهُ مُصَدِّقٌ وَالْقَوْلُ مِنْ
 ذِي عِصْمَةٍ مَا عِنْدَنَا قَوْلَانِ
 والعكسُ عندَ سِوَاهُ فِي الْأَمْرَيْنِ يَا
 مَنْ يَهْتَدِي هَلْ يَسْتَوِي النَّقْلَانِ (١)
 تَاللَّهِ قَدْ لَاحَ الصَّبَاحُ لَمَنْ لَهُ
 عَيْنَانِ نَحْوَ الْفَجْرِ نَاطِرَتَانِ
 وَأَخُو الْعِمَايَةِ فِي عِمَايَتِهِ يَقُو
 لُ اللَّيْلِ بَعْدُ أَيَسْتَوِي الرَّجُلَانِ (٢)

= بالزيف، أمّا من أقبل على كلام الله ورُسُولِهِ برغبة ومحبة فهذا يُوقِّع للهداية ويستنير قلبه بالوحي.

(١) فما نقل عن غير الرسول ﷺ فهو عُرْضَةٌ للكذب وعدم قول الحق، فالإنسان بشر يخطيء ويصيب، وقد يُصيبه شيءٌ من الهوى - والعياذُ بالله - فهل يُسَوِّى هذا بالرسول ﷺ؟ ولو كان من أصلح الناس، فهو عُرْضَةٌ للخطأ، فكيف لو كان من أهل الأهواء والضلال، فهذا يترك الحق عن عمد، فهو كمن قال الله فيهم: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣] فليحذر الإنسان من أن يكون عنده تردُّد عند سماع كلام الله ورُسُوله أو يكون في قلبه إعراض عن كلام الله ورُسُوله.

(٢) إذا طلع الفجر فالذي بصره صحيح يرى الفجر، لكن الأعمى لا يرى الفجر ولو كان واضحاً، كذلك المؤمن يرى الحق ببصيرته وأمّا الضال فلا يرى الحق لعمى قلبه.

تَاللهِ قَدْ رُفِعَتْ لَكَ الْأَعْلَامُ إِنَّ

كُنْتَ الْمُشْمَرَةَ نَلْتَ دَارَ أَمَانٍ (١)

وَإِذَا جَبُنْتَ وَكُنْتَ كَسْلَانًا فَمَا

حُرْمَ الْوَصُولِ إِلَيْهِ غَيْرُ جَبَانٍ (٢)

فَاقْدِمْ وَعِدْ بِالْوَصْلِ نَفْسَكَ وَاهْجُرِ أَلْ

مَقْطُوعَ مِنْهُ قَاطِعِ الْإِنْسَانِ

عَنْ نَيْلِ مَقْصِدِهِ فِذَاكَ عَدُوُّهُ

وَلَوْ أَنَّهُ مِنْهُ الْقَرِيبُ الدَّانِي (٣)

* * *

(١) فأهل الحق يسرون في طريق واضح لا غموض فيه ولا تيه، وعندهم أمارات تدلهم على هذا الطريق، وأمّا أهل الضلال فليس لهم طريق واضح يمشون عليه، وليست لهم أعلام يهتدون بها، وإنما يتيهون مع الأفكار والأهواء المنحرفة، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

(٢) الطريق واضح، فالشجاع والقوي يسير مع هذا الطريق ولا يتكاسل، والحق أحب إليه من كل شيء، أمّا صاحب الشهوات والأهواء فإنه يتكاسل عن السير وإن كان الطريق واضحاً، فالأمر يحتاج إلى جد وصبر.

(٣) عليك بالجد في السير إلى الله تعالى، ولا تستمع لقول المرجفين والمُخَذَّلِينَ، وكذلك لا تطع النفس الأمّارة بالسوء.

فصل

في تيسير السير إلى الله على المُثَبِّتِينَ الموحدين
وامتناعه على المعطَّلين والمُشْرِكِينَ^(١)

يا قاعداً سارت به أنفاسه

سَيْرَ البَرِيدِ وليسَ بالذَّمْلانِ^(٢)

(١) السير إلى الله تعالى سهلٌ على مَنْ وفَّقَهُم اللهُ وهم أهلُ التوحيد، والسير المرادُ به: طريقُ العبادة فهو سيرٌ معنوي من صلاةٍ وصيامٍ وجهادٍ في سبيلِ الله وأعمالٍ صالحةٍ بعد معرفتهم لربِّهم وأسمائِهِ وصفاتِهِ التي تحثُّهم على ذلك وتُحِبُّهم إليه، فإنَّ الأسماءَ والصفاتَ تُحِبُّ العبدَ إلى ربِّه وتُرغِبُهُ في السيرِ إليه، وأمَّا أهلُ الضلالِ فعندهم أنَّ إثباتِ الأسماءِ والصفاتِ من التشبيهِ، فلا يعرفون ربَّهم، وبالتالي فلا يسرون إليه، لأنَّهم لما عطلُّوه عن الأسماءِ والصفاتِ صاروا لا يعرفونه.

(٢) كلُّ إنسانٍ فإنه يسيرُ إلى الله سبحانه وتعالى: إمَّا أن يسيرَ إلى الله بالعملِ الصالحِ والجدِّ في طاعةِ الله عزَّ وجلَّ، وهذا هو السيرُ المفيد، فإن لم يسرِ إلى الله بالعملِ الصالحِ والجدِّ في طاعته سارت به أنفاسُهُ وأيَّامُهُ حتى تُوصِلَهُ إلى الله وهو على غير استعداد، فأنفاسُهُ معدودة، إذا انتهت الأنفاسُ انتهت الحياة، فأنت سائرٌ إلى الله وإن لم تسرِ باختيارك فأنت يُسارٌ بك، تسيرٌ بك الأيامِ والليالي والأنفاسُ فأنت سائرٌ إلى الله إمَّا برغبةٍ أو بغيرِ رغبةٍ، ومعروفٌ أنَّ البريدَ يُسرِعُ بالأخبارِ والرسائلِ، فأسرعَ الركبانُ هو البريدُ لتوصيلِ الرسائلِ والأُمورِ المهمةِ، فأيامُك تسيرٌ بك سيرَ البريدِ سيراً حثيثاً وليسَ بالذَّمْلانِ: وهو السيرُ البطيءُ.

حَتَّىٰ مَتَىٰ هَذَا الرُّقَادُ وَقَدْ سَرَىٰ

وَفُدُّوا المَحَبَّةَ مَعَ أَوْلِي الإِحْسَانِ (١)

وَحَدَّتْ بِهِم عَزَمَاتُهُمْ نَحْو العُلَا

لَا حَادِي الرُّكْبَانِ وَالْأَظْعَانِ (٢)

رَكَبُوا العِزَائِمَ وَاعْتَلَوْا بِظَهْوِهَا

وَسَرُّوا فَمَا حَتُّوا إِلَى نَعْمَانَ (٣)

(١) لماذا لا تسير مع أهل محبة الله؟ الذين عرفوا أسماءه وصفاته وأحبوه وأحبوا لقاءه سبحانه وتعالى واستعدوا، لماذا تخلقت عنهم؟ فما حرمت إلا نفسك ولا جنيت إلا على نفسك، فلا ينفعك التوسل بجاه فلان أو بحق فلان، فتوسل إلى الله بأعمالك الصالحة، فلا ينفعك عمل الصالحين ولو كانوا من أقرب الناس إليك. قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

(٢) من العادة أن الذين يسرون في الليل يحدو بهم الحادي بصوته حتى تتبعه الإبل، وحتى ينشط الناس في السير في الليل، ويسمونه حادي الركب، وهذا من عادة الناس في الأسفار خصوصاً في الليل، يتخذون حادياً بصوت شجي وبصوت بليغ، وحتى لا يضيع أحد فيمشون خلفه والإبل يحدوها الحادي فتتبع صوته إذا سمعته، لكن الصالحين لا يحدوا بهم حادي المسافرين، بل أنفسهم هي التي تحدو بهم لرغبتها في الله عز وجل، فهي حاديهم الذي يحدو بهم إلى الله تعالى، فلم يحد بهم غيرهم، وإنما عزماتهم ورغباتهم هي التي حدت بهم إلى الله جل وعلا.

(٣) ركبوا العزائم وهي جمع عزيمة وهي القصد والجد فجعلوها مراكبهم، يسرون بها إلى الله سبحانه وتعالى، وما حتوا إلى نعمان: وهو اسم =

سَارُوا رُويِدًا ثُمَّ جَاؤُوا أَوَّلًا

سَيْرِ الدَّلِيلِ يَوْمٌ بِالرُّكْبَانِ (١)

سَارُوا بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ إِلَيْهِ لَا التَّ

تُعْطِيلِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتُّكْرَانِ (٢)

= موضع ومكان، والمعنى: أنه ليس همُّهم الديار والأماكن والمواضع يحنون إليها كما يحنُّ الشعراء ويتغنون بالمواضع والآثار والديار كما قال الشاعر:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحينه أبداً لأوّل منزل
فهؤلاء لا يحنون إلى المنازل وإلى الأطلال وإنما يحنون إلى الله
جلّ وعلا.

(١) هذه صفة السير إلى الله تعالى والتي حثَّ عليها النبي ﷺ السير رويداً، فالرسول حثَّ على الاقتصاد في العبادة مع المداومة، فصفة السير إلى الله تعالى الوسط من غير تشديد ومن غير تساهل، فالمُنْبَت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، وهذا السير المتوسط يكسب قطع الطريق والراحة أيضاً، فهذا هو المقتصد والمتوسط فيكسب الأمرين: قطع الطريق والراحة وعدم المشقة وكما قال الشاعر:

يا عجباً من سيرك المُدَلَّل تمشي رويداً وتجي في الأوّل
فهذا هو المتوسط، وهذا البيت الذي ذكره الشيخ مقتبس من بيت
هذا الشاعر، وابن القيم رحمه الله أديب عنده إمام بأقوال الشعراء فهو
يقتبس منها.

(٢) ساروا بإثبات أسماء الله وصفاته التي عرّفَتْهم به، وحببتهم إليه سبحانه وتعالى، فهذه الأسماء والصفات هي التي عرّفَتْهم بالله وعرّفَتْهم بفضله =

عَرَفُوهُ بِالْأَوْصَافِ فَاْمْتَلَأَتْ قُلُوبَهُمْ
 بِهُمُّ لَهٗ بِالْحُبِّ وَالْإِيمَانِ
 فَتَطَايَرَتْ تِلْكَ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ بِالْ
 أَشْوَاقٍ إِذْ مُلِئَتْ مِنَ الْعِرْفَانِ (١)
 وَأَشَدُّهُمْ حُبًّا لَهٗ أَدَارَهُمْ
 بِصِفَاتِهِ وَحَقَائِقِ الْقُرْآنِ
 فَالْحُبُّ يَتَّبِعُ لِلشُّعُورِ بِحَسْبِهِ
 يَقْوَى وَيَضْعُفُ ذَاكَ ذُو تَبْيَانِ (٢)

= وكرمه وغبه وبطشه، فجمعوا بين الخوف والرجاء، فساروا إلى الله على هذا المنهاج بين الخوف والرجاء، وأمّا أهل التعطيل الذين نفوا الأسماء والصفات وقالوا: إنّها تقتضي التشبيه والتجسيم فهؤلاء يجهلون الله تعالى ولا يعرفونه، لأنّهم قطعوا سبيل المعرفة بالله تعالى، فتخلّفوا عن الوصول إلى الله تعالى، فهذا فيه فائدة إثبات الأسماء والصفات واعتقاد صحتها، وما تدلّ عليه، وفيه ضرر نفي الأسماء والصفات أنّهُ يقطع عن الله جلّ وعلا.

(١) هذه ثمرة الإيمان بالأسماء والصفات، فليست هي مُجرّد ألفاظ فقط بل هي أسماء وصفات تدلّ على معانٍ جليّة وتُعرّف بالله عزّ وجلّ وتُعلّق القلب بالله خوفاً ورجاءً.

(٢) لا شكّ أنّ أهل الإيمان يتفاوتون فأشدّهم حباً لهٗ أعرفهم بالله عزّ وجلّ وأعلمهم بمعاني كلامه وهو «القرآن» كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨] فهم أشدّ خشية لأنّهم يعرفون الله عزّ وجلّ، =

ولِذَٰكَ كَانَ الْعَارِفُونَ صِفَاتِهِ

أَحِبَّابَهُ هُمْ أَهْلُ هَذَا الشَّانِ (١)

ولِذَٰكَ كَانَ الْعَالِمُونَ بِرَبِّهِمْ

أَحِبَّابَهُ وَبِشِرْعَةِ الْإِيمَانِ

ولِذَٰكَ كَانَ الْمُنْكَرُونَ لَهَا هَمَّ الـ

أَعْدَاءُ حَقًّا هُمْ أَوْلُو الشَّانِ (٢)

ولِذَٰكَ كَانَ الْجَاهِلُونَ بِذَا وَذَا

بُغْضَاءَهُ حَقًّا ذَوِي شَنَانٍ

= ويعرفون كلامه ومعانيه، فتزداد معرفتهم بالله، أمّا المؤمن الذي ليس عنده تمكن في العلم فهذا لا يصل إلى درجة العلماء وإن كان على طريق خير ونجاة. وهذا بخلاف قول المرجئة الذين يقولون: الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، فإيمان جبريل كإيمان أفسق المسلمين، فحبك لله ينبي على معرفتك بالله، فإذا كانت معرفتك قوية فإنَّ حُبَّكَ لِهِيَ يَكُونُ قويا، وإذا كانت معرفتك دون ذلك فإنَّ حُبَّكَ لله ينقص بقدر ما تجهل من حقائق الأسماء والصفات.

(١) أي هم أهل المعرفة بالله عزَّ وجلَّ هم الذين يعرفون أسماءه وصفاته.

(٢) المنكرون لأسماء الله وصفاته هم أعداء الله وأهل الشَّانِ، يعني البُغض، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ﴾ [المائدة: ٢٤] أي: بُغْضُهُمْ، فهم أعداء لله جلَّ وعلا، لأنهم نفوا أسماءه وصفاته، وجحدوا معنى كلامه، وقالوا: القرآن مخلوق، وهم أهل الشَّانِ والبغض، يُبغضون الله عزَّ وجلَّ ويُبغضهم الله تعالى.

وحياة قلب العبد في شئين مَنْ
يُرزَقُهُمَا يحيا مدى الأزمان
في هذه الدنيا وفي الأخرى يَكُو
نُ الحَيِّ ذَا الرِّضْوَانِ وَالإِحْسَانِ
ذِكْرُ الإِلهِ وَحُبُّهُ مِنْ غَيْرِ إِشْد
رَاكِ بِهِ وَهُمَا فَمُتَمَتِّعَانِ
مِنْ صَاحِبِ التَّعْطِيلِ حَقًّا كَامِتْنَا
عِ الطَّائِرِ المَقْصُوصِ مِنْ طَيْرَانِ (١)

(١) يكون حياً في الدنيا والآخرة من يعرف هذين الأمرين:

الأول: ذكر الإله: أن يُكثر من ذكرِ الله تعالى بالتسبيح والتهليل وقراءة القرآن.

الثاني: حبُّ الله جَلَّ وَعَلَا، فمحببة الله تعالى أعلى أنواع العبادة، فمن رُزق هذين الأمرين: ذكر الله تعالى ومحبته فهذا هو الذي يحيا قلبه في الدنيا والآخرة، قال ﷺ: «مِثْلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مِثْلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» (*) وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] ومع حياة قلبه فإنَّ الله يذكره في الملائكة الأعلى، فمن ذكر الله في ملائكة في ملائكة خير منه يعني - الملائكة - ومن ذكر الله في نفسه ذكره في نفسه كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] والإشراك بالله تعالى لا ينفع معه عمل، لا ذكر ولا غير ذكر، وكذلك صاحب التعطيل =

(*) أخرجه البخاري (٦٤٠٧) من حديث أبي موسى الأشعري.

أَيُّحِبُّهُ مَنْ كَانَ يُنْكِرُ وَصْفَهُ
وَعُلُوَّهُ وَكَلَامَهُ بِقُرْآنِ
لَا وَالَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
مُتَكَلِّمًا بِالْوَحْيِ وَالْفُرْقَانِ^(١)
اللَّهُ أَكْبَرُ ذَاكَ فَضَّلَ اللَّهُ يُؤُ
تِيهِ لِمَنْ يَرْضَىٰ بِلَا حُسْبَانِ^(٢)
وَتَرَى الْمُخَلَّفَ فِي الدِّيَارِ تَقُولُ ذَا
إِحْدَى الْأَثَافِي خُصَّ بِالْحِرْمَانِ^(٣)

= الذي يُعْطَلُ أسماء الله وصفاته، هذا مثل الطير الذي كُسرَت جناحاهُ لا يستطيع أن يطير، فلا يعرف رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ما دام أَنَّهُ جحد أسماء الله وصفاته فلا يعرف الله بشيء .

(١) هل يحبُّ الله تعالى من ينكر صفاتِ الله والقرآن ويقول: هو مخلوق وينكر علو الله على عرشه وفوق سماواته ويقول: هو في كلِّ مكان، هل هذا يحبُّ الله عَزَّ وَجَلَّ؟ .

(٢) قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧] وهو يحرم من يشاء ممن لا يستحق، يحرمه من ذكره ومن عبادته ومن فضله بسبب فعل العبد نفسه .

(٣) أمَّا المتخلف فهو مثل الأثافي، وهي مناصب القدر التي يوضع عليها، فهي مُثبتة لا تتحرك، وهذا لا يتحرك قلبه ولا جسمه في عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا تتحرك عزمته فهو ثابت على بدعته وضلاله، لا يُغادر مكانه، وهو في طريق غير طريقِ الله عَزَّ وَجَلَّ .

اللهُ أَكْبَرُ ذَاكَ عَدْلُ اللَّهِ يَقُ

ضِيهِ عَلِيٌّ مَن شَاءَ مِن إِنْسَانٍ (١)

وَلَهُ عَلِيٌّ هَذَا وَهَذَا الْحَمْدُ فِي الْ

أُولَىٰ وَفِي الْآخِرَىٰ هُمَا حَمْدَانِ

حَمْدٌ لِّذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ

وَكَذَاكَ حَمْدُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ (٢)

يَا مَنْ تَعَزَّرَ عَلَيْهِمْ أَرْوَاحُهُمْ

وَيَرَوْنَ غَنَبًا بَيْعَهَا بِهَوَانٍ

(١) العقاب عدل منه سبحانه وتعالى، وأمّا الثواب فإنه فضل منه سبحانه وتعالى.

(٢) يُحَمِّدُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلِيٌّ عَدْلَهُ وَعَلِيٌّ فَضْلَهُ فَيُحَمِّدُ عَلِيٌّ مَعَاقِبَتَهُ لِلْكَفَّارِ وَالْمَشْرِكِينَ وَأَصْحَابِ الْجَرَائِمِ، لِأَنَّ هَذَا عَدْلٌ، فَهُوَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُوْقَعُ عَقُوبَتَهُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا مِمَّنْ خَالَفَ أَمْرَهُ وَارْتَكَبَ نَهْيَهُ، وَاللَّهُ تَعَالَىٰ يُحَمِّدُ لِدَاتِهِ وَلِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَلِأَفْعَالِهِ جَلَّ وَعَلَا، أَي: يَشْنِي عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَأَمَّا الشُّكْرُ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلِيٌّ الْأَفْعَالِ فَقَطْ، فَلِذَلِكَ صَارَ الْحَمْدُ أَعْمَ مِنَ الشُّكْرِ، وَمِنْ أَفْعَالِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الْجِزَاءُ عَلِيٌّ الْأَعْمَالِ، لَا يُسَوِّي بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَبَيْنَ الْمُطِيعِ وَالْعَاصِي، بَلْ يُجَازِي كَلًّا عَلِيٌّ حَسَبَ عَمَلِهِ، هَذَا هُوَ الْعَدْلُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ فَلَا يُعَاقِبُ الْمُحْسِنَ وَلَا يُثِيبُ الْمُنْسِيءَ عَلِيٌّ إِسَاءَتِهِ بَلْ يُوْقَعُ عَلَيْهِ عَدْلَهُ، فَيُثِيبُ الْمُحْسِنِينَ وَيُعَاقِبُ الْمُسِيئِينَ، وَلِذَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١].

وَيَرُونَ خُسْرَاناً مَبِيناً بِبِعْهَآ
 فِي إِثْرِ كَلِّ قَبِيحَةٍ وَمُهَانٍ
 وَيَرُونَ مِيدَانَ التَّسَابُغِ بَارِزاً
 فَيَتَارِكُونَ تَقَحُّمَ الْمِيدَانِ
 وَيَرُونَ أَنْفَاسَ الْعِبَادِ عَلَيْهِمْ
 قَدْ أُحْصِيَتْ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ
 وَيَرُونَ أَنَّ أَمَامَهُمْ يَوْمَ اللَّقَا
 اللَّهُ مَسْأَلَتَانِ شَامِلَتَانِ (١)
 مَاذَا عَبَدْتُمْ ثُمَّ مَاذَا قَدَّ أَجَبَ
 ثُمَّ مَنْ أَتَى بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ

(١) الشيخ الناظم رحمه الله يُخَاطِبُ النَّاسَ بِأَن يَهْتَمُوا بِهَذَا الْأَمْرِ بَعْدَ أَنْ وَجَّهَ لَهُمُ النَّصِيحَةَ وَقَالَ: الْآنَ تَبَيَّنَ لَكُمْ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ فَلَا تَتَّبِعُوا أَنْفُسَكُمْ بِالشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْغَفَلَاتِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ بَاعَ نَفْسَهُ الَّتِي هِيَ أَعَزُّ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَبَاعَهَا بِالشَّهَوَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ وَالْكَسْلِ، فَبَاعَهَا رَخِيصَةً، أَمَّا الَّذِي بَاعَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهَذَا هُوَ الَّذِي أَكْرَمَ نَفْسَهُ، وَلِذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِالَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١] فهذا هو البيع الرابع.

هاتوا جواباً للسؤال وهَيَّوْا

أَيْضاً صَوَاباً لِلجَوَابِ يَدَانِ (١)

وَتَيَقَّنُوا لَيْسَ يُنْجِيكُمْ سِوَى

تَجْرِيدِكُمْ لِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ

تَجْرِيدِكُمْ تَوْحِيدَهُ سُبْحَانَهُ

عَنْ شِرْكََةِ الشَّيْطَانِ وَالْأَوْثَانِ

(١) كلُّ الناس يوم القيامة يُسألون عن هاتين المسألتين، فمن أجاب بجوابٍ صحيحٍ فقد نجا، ومن أجاب بجوابٍ خاطيء فقد هلك، فيُسألون من ربكم؟ وماذا أجبتهم المرسلين؟ وجاء في الأثر: أنَّ مسألتين يُسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتهم المرسلين؟ فهل تعبدون الله وحده أو تعبدون القبور والأضرحة والأشجار والأحجار والأهواء والشهوات والسلطين والملوك وكلَّ من دعاكم للخضوع له والاستكانة له. المسألة الثانية: ماذا أجبتهم المرسلين، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥] ما هي استجاباتك للرسول، هل أطعتهم واتبعتهم؟ هل عصيتهم وخالفتهم؟ فلا نجاة إلا بعد الجواب الصحيح عن هاتين المسألتين، وهما: ما هو معبودكم؟ وما هو متبوعكم؟ فهذا حاصل ما يُسأل عنه النَّاس يوم القيامة: العبادة والاتباع، وهذا هو معنى الشهادتين شهادة ألاَّ إله إلاَّ الله، أي: لا معبود بحق إلاَّ الله، وشهادة أنَّ محمداً رسول الله، معناها لا متبوع غير رسول الله الذي تجب طاعته واتباعه والانقياد له وترك مخالفته، ولا بُدَّ أن يكون جوابكم صواباً قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]، فليس أيُّ جواب من حيلةٍ ومكرٍ أو كذبٍ أو خداعٍ فهذا كله لا يقبل عند الله تعالى.

وكذاك تجريدُ اتباعِ رسوله
عَنْ هَذِهِ الآراءِ وَالْهَذيانِ^(١)
والله ما يُنجي الفتى مِنْ رَبِّه
شَيْءٌ سِوَى هَذَا بِلا رَوْغانِ
يا رَبِّ جَرِّدْ عَبْدَكَ الْمسكينَ را
جي الْفَضْلِ مِنْكَ وَأضعِفَ الْعُبدانِ^(٢)
لَمْ تَنْسَهُ وَذَكَرْتَهُ فَاجْعَلْهُ لا
يُنْساكَ أَنْتَ بدأتَ بِالإحسانِ
وبه خَتَمْتَ فَكُنْتَ أُولَى بِالجمي
لِ وبِالثناءِ مِنْ الْجَهُولِ الْجاني^(٣)
فالْعَبْدُ لَيْسَ يَضِيعُ بَيْنَ فَوَاحِ
وَخَوَاتِمِ مِنْ فَضْلِ ذِي الْغُفْرانِ
أَنْتَ الْعَليمُ بِهِ وَقَدْ أَنْشَأْتَهُ
مِنْ تُرْبَةٍ هِيَ أضعِفُ الْأَرْكانِ^(٤)

(١) أي إخلاص متابعة الرسول وترك الآراء والبدع والمحدثات والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان واتخذها كثير من الناس ديناً يتبعونه ويتوارثونه ويتواصون به، وهي مهالك - والعياذ بالله - وتركوا السنة الواضحة .
(٢) لَمَّا بَيَّنَّ هَذَا رَحْمَةَ اللَّهِ تَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ بِالدُّعَاءِ حَيْثُ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ وَدَعَا رَبَّهُ فِي نَفْسِهِ ، فَلَا يَفْخَرُ الْإِنْسَانُ بِنَفْسِهِ وَبِعِبَادَتِهِ وَيَغْتَرَّ بِهَذَا .
(٣) بدأت بالخير فاختم لنا بالخير .
(٤) خلقت آدم عليه الصلاة والسلام من طين لازب وحملاً مسنون .

كُلُّ عَلَيْهَا قَدِ عَلَا وَهَوَتْ إِلَى
 تَحْتِ الْجَمِيعِ بِذَلِكَ وَهَوَانِ
 وَعَلَتْ عَلَيْهَا النَّارُ حَتَّى ظَنَّ أَنْ
 يَغْلُو عَلَيْهَا الْخَلْقُ مِنْ نِيرَانِ^(١)
 وَأَتَى إِلَى الْأَبْوِينِ ظَنًّا أَنَّهُ
 سَيُصَيِّرُ الْأَبْوِينِ تَحْتِ دُخَانِ^(٢)
 فَسَعَتْ إِلَى الْأَبْوِينِ رَحْمَتِكَ الَّتِي
 وَسِعَتْهُمَا فَعَلَا بِكَ الْأَبْوَانِ^(٣)
 هَذَا وَنَحْنُ بِنُوهُمَا وَحَلُومُنَا
 فِي جَنْبِ حِلْمِهِمَا لَدَى الْمِيزَانِ

(١) ظَنَّ بعض الخلق أَنَّ الذين يُخْلَقُونَ مِنَ النَّارِ خَيْرٌ مِنَ الَّذِينَ يَخْلُقُونَ مِنْ طِينٍ كَمَا قَالَ إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنَ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] مع أَنَّ الكَرَامَةَ لَيْسَتْ فِي أَصْلِ الْخَلْقَةِ وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْعَمَلِ، فَالْعَمَلُ هُوَ الَّذِي يُرَكِّي الْإِنْسَانَ.

(٢) يَعْنِي يَرْتَفِعُ عَلَيْهِمْ.

(٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿طه: ١٢١-١٢٢﴾ والسَّبَبُ فِي نَجَاتِهَا هُوَ: ﴿قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] فَاعْتَدَرَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتَغْفَرَا مِنَ الذَّنْبِ فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا، وَأَمَّا إِبْلِيسُ فَعَصَى وَتَمَرَّدَ فَلَعَنَهُ اللَّهُ وَأَبْعَدَهُ وَطَرَدَهُ، وَهَذَا يَشْمَلُ كُلَّ مَنْ تَابَ إِلَى اللَّهِ وَكُلَّ مَنْ تَمَرَّدَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

جزءٌ يسيرٌ والعدوُّ فواحدٌ
لهما وأعدانا بلا حُسابٍ^(١)
والضعفَ مُستولٍ عَلَيْنَا مِنْ جَمِيعِ
عِجَاهَاتِنَا سِيمَا مِنَ الْإِيمَانِ
يَا رَبِّ مَعْذِرَةٌ إِلَيْكَ فَلَمْ يَكُنْ
قَصْدُ الْعِبَادِ رُكُوبَ ذَا الْعِصْيَانِ
لَكِنْ نُفُوسٌ سَوَّلَتْهُ وَغَرَّهَا
هَذَا الْعَدُوُّ لَهَا غُرُورَ أَمَانِ
فَتَيَقَّنَتْ يَا رَبِّ أَنَّكَ وَاسِعٌ أَلْ
غُفْرَانِ ذُو فَضْلٍ وَذُو إِحْسَانِ
وَمَقَالْنَا مَا قَالَهُ الْأَبْوَانِ قَبْدِ
لِ مَقَالَةِ الْعَبْدِ الظُّلُومِ الْجَانِي
نَحْنُ الْأَوْلَى ظَلَمُوا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرِ الذُّ
ذَنْبَ الْعَظِيمِ فَنَحْنُ ذُو خُسْرَانِ^(٢)

(١) آدم وحواء عليهما السلام أعظم منا عقولاً، أمّا نحن فعقولنا ضعيفة لا تُوازن عقل أبينا وأمتنا عليهما السلام، وكذلك آدم عدوّه واحد وهو إبليس، أمّا أعداؤنا فأكثر، وهم إبليس وذريته والأهواء والشهوات وشياطين الإنس وشياطين الجن فأعداؤنا أكثر فنحن في خطرٍ أشدّ.

(٢) هذا إشارة لما قاله آدم وحواء عليهما السلام: ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَنَا تَغْفِيرٌ لَنَا وَتَرْحَمَةٌ لَنَا لَكُنْ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] فيجب على بني آدم المبادرة إلى التوبة إذا أخطؤوا اقتداءً بالأبوين.

يا رَبِّ فَاَنْصُرْنَا عَلٰى الشَّيْطَانِ لِيَدَّ

سَ لَنَا بِهِ لَوْلَا حِمَاكَ يَدَانِ (١)

* * *

(١) كما قال الله عنه: ﴿ ثُمَّ لَا تَبْتَهُهُم مِّن بَيْن أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧] فيأتيك من كلِّ جهة وليس لك قدرة على مقاومته إلا بالله جلّ وعلا، ولذلك تستعيد بالله منه استعادة مع حضور قلب، وتكثر من الصلاة والذكر والعبادة حتى يُطرد عنك وسوسة الشيطان.

فصل

في ظهور الفرق بين الطائفتين وعدم التباسه

إلا على مَنْ لَيْسَ بِذِي عَيْنِينَ^(١)

وَالْفَرْقُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خُصُومِكُمْ
 مِنْ كُلِّ وَجْهِ ثَابِتٌ بَيِّنٌ
 مَا أَنْتُمْ مِنْهُمْ وَلَا هُمْ مِنْكُمْ
 شَتَانٌ بَيْنَ السَّعْدِ وَالذَّبْرَانِ^(٢)
 فَإِذَا دَعَوْنَا لِلْقُرْآنِ دَعْوَتُكُمْ
 لِلرَّأْيِ أَيْنَ الرَّأْيِ مِنْ قُرْآنٍ
 وَإِذَا دَعَوْنَا لِلْحَدِيثِ دَعْوَتُكُمْ
 أَنْتُمْ إِلَى تَقْلِيدِ قَوْلِ فُلَانٍ^(٣)
 وَكَذَا تَلَقَّيْنَا نَصُوصَ نَبِيِّنَا
 بِقَبُولِهَا بِالْحَقِّ وَالْإِذْعَانِ

(١) الطائفتان: طائفة الإيمان وطائفة الكفر.

(٢) ليس أهل الحق كأهل الضلال ولا العكس، فهما مختلفان ومتضادان لا يجتمعان أبداً.

(٣) نحن ندعو إلى اتباع الكتاب والسنة، وأنتم تدعون إلى اتباع الآراء، فما أضل الناس إلا اتباع رأي فلان وفلان وترك الكتاب والسنة.

مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا جَحْدٍ وَلَا

تَفْوِيضٍ ذِي جَهْلٍ بِلَا عِرْفَانٍ^(١)

لَكِنْ بِإِعْرَاضٍ وَتَجْهِيلٍ وَتَأْ

وِيْلِ تَلَقَّيْتُمْ مَعَ التُّكْرَانِ

أَنْكُرْتُمُوهَا جَهْدَكُمْ فَإِذَا أَتَى

مَا لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى نُكْرَانِ

أَعْرَضْتُمْ عَنْهُ وَلَمْ تَسْتَبْطُوا

مِنْهُ هُدًى لِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ

فَإِذَا ابْتَلَيْتُمْ مُكْرَهِينَ بِسَمْعِهَا

فَوَضَّيْتُمُوهَا لَا عَلَى الْعِرْفَانِ

لَكِنْ بِجَهْلٍ لِلَّذِي سَيَقَتْ لَهُ

تَفْوِيضٍ إِعْرَاضٍ وَجَهْلٍ مَعَانٍ^(٢)

(١) نحن تلقينا أقوال الرسول ﷺ بالقَبُولِ وَأَمَّا بِهَا فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

وَفِي غَيْرِهَا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَلَقَّيْتُمُ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ بِالْجَحْدِ وَالتَّأْوِيلِ أَوْ

تَفْوِيضِ الْمَعْنَى، وَتَقُولُونَ: إِنَّهَا تَجْسِيمٌ وَتَشْبِيهُ فَهَلْ نَجْتَمِعُ مَعَ هَؤُلَاءِ؟

(٢) فَهَمُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ: إِمَّا أَنْ يَرْفُضُوا سَمَاعَهَا مِنَ الْأَصْلِ وَيَقُولُوا: هَذِهِ

أَدْلَةٌ سَمْعِيَّةٌ وَنَحْنُ عِنْدَنَا أَدْلَةٌ عَقْلِيَّةٌ وَبِرَاهِينٍ يَقِينَةٍ. هَذِهِ أَدْلَةٌ سَمْعِيَّةٌ

لَيْسَتْ بِقَطْعِيَّةِ الثَّبُوتِ وَلَا الدَّلَالَةِ فَنَحْنُ لَا نَرُدُّ الْقَوَاطِعَ الْعَقْلِيَّةَ، وَإِذَا

أُكْرِهُوا عَلَى سَمَاعِهَا قَالُوا: نَوَوَلُّهَا فَلَيْسَتْ عَلَى ظَاهِرِهَا فَتَلْتَمِسُ لَهَا

تَفْسِيرًا عَلَى مُرَادِنَا، وَإِذَا عَجَزُوا عَنِ التَّأْوِيلِ قَالُوا: تُفَوِّضُ لَيْسَ لَهَا مَعْنَى،

اللَّهُ أَعْلَمُ بِهَا، وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَا لَا نَعْرِفُهُ.

فإِذَا ابْتُلِيْتُمْ بِأَحْتِجَاجِ خُصُومِكُمْ
 أُولِيْتُمْوهَا دَفْعَ ذِي صَوْلَانِ
 فَالْجَحْدُ وَالْإِعْرَاضُ وَالتَّأْوِيلُ وَالتَّ
 تَجْهِيلُ حَظُّ النَّصِّ عِنْدَ الْجَانِي
 لَكِنْ لَدَيْنَا حَظُّهُ التَّسْلِيمُ مَعَ
 حُسْنِ الْقَبُولِ وَفَهْمِ ذِي الْإِحْسَانِ

* * *

فصل

في التفاوت بين حظّ المُثبتين
والمعطلين من وحي ربّ العالمين^(١)

ولنا الحقيقة من كلام إلّهنّا

ونصيّكم منه المَجَازُ الثّاني^(٢)

(١) أراد المصنف رحمة الله بهذا الفصل أن يُبيّن انتفاع أهل السّنة والجماعة من نصوص الكتاب والسّنة واهتدائهم بهما، ويبيّن ما حُرِمَ المعطلة من الانتفاع بالوحيين، وأنهم اتبعوا غير الكتاب والسّنة فلم ينتفعوا منهما، بل إنهم صار حظهم من الكتاب والسنة هو العبث والتأويل والتحريف لتوافق مذاهبهم، فهم لا يعتمدون على الكتاب والسّنة وإنما يعتمدون على القواعد التي قَعَدُوها لأنفسهم من علم المنطق والجدل والكلام، لأنهم يقولون: إنّها قواعد عقلية يقينية، وأمّا ما جاء في الكتاب والسّنة فإنّه إذا جاء بما يخالف هذه القواعد المنطقية فإنّهم لا يقبلونه وإنما يُحرفونه عن معانيه الصحيحة ليوافق مذهبهم، وما عجزوا عن تحريفه فَوَضُّوه وقالوا: هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلاّ الله، ما وافق مذهبهم قبلوه لا لأنّه من الكتاب والسنة بل لأنّه يوافق مذهبهم، فهذا هو موقفهم من الكتاب والسنة، أمّا علماء المسلمين فإنّهم يقبلون كل ما جاء في الكتاب والسّنة على ما جاء وعلى معناه ولا يُحرفونه ولا يؤولونه بل يُيقِنونه على ما دلّ عليه وعلى ظاهره.

(٢) أهل السنة يقولون: كل كلام الله حقيقة وكذا كلام رسوله، أمّا أولئك فيقولون: هو محمولٌ على المجاز وليس هو على ظاهره.

وقواطعُ الوَحْيَيْنِ شاهدةٌ لنا
وعليكمُ هلْ يستوي الأمرانِ^(١)
وأدلةُ المعقولِ شاهدةٌ لنا
أيضاً فقاضونا إلى البُرهانِ^(٢)
وكذاك فطرةُ ربِّنا الرحمنِ شاهدةٌ
لنا أيضاً شهودَ بيّانِ^(٣)
وكذاك إجماعُ الصحابةِ والأولى
تبعوهمُ بالعلمِ والإحسانِ^(٤)

-
- (١) قواطع نصوص الكتاب والسنة شاهدة لنا، يعني أهل السنة والجماعة بصحة ما نحن عليه، وهي شاهدة عليكم بالبطلان، فهل يستوي الفريقان؟ مَنْ يشهد له الكتابُ والسُّنَّةُ أَنَّهُ على الحقِّ وَمَنْ يشهد عليه الكتابُ والسنة أَنَّهُ على الباطل لا يستويان.
- (٢) كما أَنَّ الكتابَ والسُّنَّةَ شاهدان لنا، فكذلك العقل الصريح شاهد لنا؛ لأنَّ الكتابَ والسُّنَّةَ لا يمكن أن يُخالفا العقل الصريح فلا يتعارضان أبداً، وأمَّا العقل الفاسد فلا عبرة به، فالعقل الصريح يوافق الكتابَ والسُّنَّةَ ولا يُخالفهما، ولذلك صنَّف شيخ الإسلام كتابه المشهور: «موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول» وهو من أجود ما ألفه الشيخ رحمه الله.
- (٣) الأمر الثالث ممَّا يشهد لأهل السُّنَّة والجماعة: الفطر السليمة التي سلمت من التغير لأنَّ كلَّ مولود يولد على الفطرة وهي دين الإسلام فأبواه يهودانه أو يُنصرانه أو يُمجسانه، فالفطر السليمة توافق ما جاء في الكتاب والسُّنَّة.
- (٤) الأمر الرابع ممَّا يؤيِّد أهل السُّنَّة والجماعة: هو الإجماع إجماع أهل الحق من الصحابة والتابعين والقرون الثلاثة المفضلة على إثبات =

وكذلك إجماع الأئمة بعدهم

هذا كلامهم بكل مكان^(١)

هذي الشهود فهل لديكم أنتم

من شاهد بالنفي والتكران^(٢)

وجنودنا من قد تقدم ذكرهم

وجنودكم فعساكر الشيطان^(٣)

= الأسماء والصفات له سبحانه وتعالى، وقد قال ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة» (*).

(١) يعني الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبوعة أجمعوا على هذا ولم يخالفوا فيه، وكلام الأئمة هؤلاء مدون وموجود في كتب السنة مثل: كتاب «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» لللالكائي، وكتاب «السنة» لابن أبي عاصم، وكتاب «الشريعة» للأجري، تحكي أقوال أئمة أهل العلم على هذا الشيء، وكلهم متفقون فليس بينهم اختلاف - والحمد لله -.

(٢) نحن لنا شهود أربعة: الكتاب والسنة، والعقل والفطرة والإجماع كلها متفقة على ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، وأما أنتم فليس عندكم ما يشهد لكم، فليس عندكم إلا الأباطيل والمراوغات والمغالطات.

(٣) جنود أهل السنة الذين هم على هذه العقيدة هم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين والأئمة من بعدهم كلهم تحت هذه الراية ﴿وَإِنَّ جُنُدَنَا لَهُمُ الْقَلِيلُونَ﴾ [الصفات: ١٧٣] وأما أنتم فجنودكم الشياطين من كل جهمي ومعتزلي وصوفي وفيلسوف وقرمطي، كل طوائف الضلال، هذه جنودكم.

وخيأْمُنَا مَضْرُوبَةٌ بِمَشَاعِرِ الْ
 —وَحَيِّينَ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
 وَخِيَأْمُكُمْ مَضْرُوبَةٌ بِالْتِيهِ فَالْسُدِّ
 سُكَّانُ كُلِّ مُلْدَدٍ حَيْرَانٍ^(١)

هذي شهادتُهُمْ عَلَى مَحْضُولِهِمْ
 عِنْدَ الْمَمَاتِ وَقَوْلُهُمْ بِلِسَانِ
 وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ أَيْضاً كَذَا
 تَكْفِي شَهَادَةُ رَبَّنَا الرَّحْمَنِ^(٢)
 وَلَنَا الْمَسَانِدُ وَالصَّحَاحُ وَهَذِهِ السُّدُّ
 سُنَنُ التِّي نَابَتْ عَنِ الْقُرْآنِ

(١) خيأْمُ أَهْلِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ مَضْرُوبَةٌ عَلَى الْوَحْيِيِّينَ: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ،
 وَالْمَشَاعِرُ: أَعْلَامُ الْحَقِّ، وَأَمَّا خِيَأْمُ أَهْلِ الْبَاطِلِ فَهِيَ مَنْصُوبَةٌ عَلَى التِّيهِ
 فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ دَلِيلٌ فَهَمَّ تَائِهُونَ فِي الصَّحْرَاءِ وَالْبَرَارِيِّ، فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مَا
 يَدُلُّهُمْ عَلَى الْحَقِّ، مِثْلَ أَصْحَابِ التِّيهِ، وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ أُسَاطِينُهُمْ
 كَالرَّازِيِّ عِنْدَ وَفَاتِهِ، وَالشَّهْرِسْتَانِيِّ كَمَا فِي كِتَابِهِ «الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ»، وَمِثْلُ
 مَا قَالَ غَيْرُهُمَا مِنْ أُسَاطِينِ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ أَنَّهُمْ عِنْدَمَا حَضَرَهُمُ الْمَوْتُ
 اعْتَرَفُوا أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى حَقٍّ وَكَلَامُهُمْ مُدَوَّنٌ، وَذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي
 «الْحَمُويَّةِ» شَيْئاً مِنْ نَصُوصِهِمْ حَيْثُ اعْتَرَفُوا أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ.

(٢) وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، يَشْهَدُ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ وَعَلَى أَهْلِ الْبَاطِلِ فَلَا
 يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

ولَكُمْ تصانيفُ الكلامِ وهذه الـ

آراءٌ وهي كثيرةٌ الهذيان^(١)

شُبُهٌ يُكسِّرُ بعضها بعضاً كيـ

سِ من زجاجٍ خراً للأركان^(٢)

هل ثمَّ شيءٌ غيرَ رأيٍ أو كلا

مِ باطلٍ أو منطقِ اليونانِ

(١) نحن نعتمد على كتب السنَّة: الصحاح كصحيح البخاري ومسلم وابن خزيمة وابن حبان، والمسانيد كمسند الإمام أحمد وأبي داود الطيالسي، وكتب السنن الأربع كالترمذي وأبي داود وابن ماجه والنسائي، فالمسانيد هي الكتب التي تذكر الأحاديث التي رواها كلُّ صحابي على حدة، وأمَّا الصحاح فهي الكتب التي التزم أصحابها فيها الصحة، وأمَّا السنن: فهي الكتب التي ألّفت على أبواب الفقه، وأمَّا أنتم فتعتمدون على تصانيف علم الكلام مثل كتاب الجويني الإرشاد، والجوهرة، وكلُّها على قواعد علم الكلام، وليس فيها قال الله وقال رسوله، وإنَّما فيها قواعد منطقية وبراهين تسمونها عقلية فهذه هي عمدتهم.

(٢) الشبه المتعارضة مليئة بها مؤلفاتهم، يُكسِّرُ بعضها بعضاً؛ لأنَّها آراءٌ رجال، وهي ليست معصومة، واللهُ تعالى يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] ولذا قال الشاعر:

حججٌ تهافتُ كالزجاجُ تخالها حقاً وكلُّ منها كاسر مكسور

ونقول قال اللهُ قال رسولُهُ
 في كلِّ تصنيفٍ وكُلِّ مكانٍ^(١)
 لكنْ تقولوا قال آرسطُوا وقا
 ل ابنُ الخطيبِ وقال ذو العِرفانِ
 شيخٌ لكم يُدعى ابنُ سينا لم يَكُنْ
 متقيِّداً بالدينِ والإيمانِ^(٢)
 وخيارٌ ما تأتون قال الأشعريُّ
 يُ تشهدون عليه بالبُهتانِ^(٣)

(١) هل في كتبكم إلا الآراء، إمّا آراء الفلاسفة كابن سينا والفارابي وأرسطو من أساطين اليونان وإمّا من أساطين المتكلمين كالرازي والجويني وفلان وعلان فهذا هو محتوى كتبهم، وأمّا تصانيف أهل السنة فإنّهم يعتمدون فيها على القرآن والسنة فلا يعتمدون على قواعد المنطق وعلم الكلام.

(٢) أرسطو من الفلاسفة، وابن الخطيب هو الرازي لأنّ أباه كان خطيب الري، وابن سينا هو الفيلسوف الذي كان من الشيعة الباطنية وهو قد ادّعى الإسلام، وهو من أئمة الباطنية، وتصانيفه فيها من الضلال والتشكيكات الشيء الكثير وقد نقضها وردّها عليها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتبه.

(٣) أحسن ما عندكم هو: أبو الحسن الأشعري الذي رجع لمذهب أهل السنة والجماعة وصرتم تعييون عليه رجوعه. هذا أحسن ما عندكم، وهم الآن ينكرون رجوع الأشعري ولا يرتضون رجوعه وهو ثابت كما في «الإبانة عن أصول الديانة» أثبت فيه أنّه على طريقة الإمام أحمد رحمه الله، وأنّ الله فوق مخلوقاته مستوٍ على عرشه.

فَالْأَشْعَرِيُّ مُقَرَّرٌ لَعُلُوِّ رَبِّ

بِ الْعَرْشِ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ

فِي غَايَةِ التَّقْرِيرِ بِالمَعْقُولِ وَالْ

مَنْقُولِ ثُمَّ بِفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ (١)

هَذَا وَنَحْنُ فَتَارِكُو الْأَرَاءِ لِلذَّ

نَقْلِ الصَّحِيحِ وَمُحْكَمِ الْفُرْقَانِ

لَكِنَّكُمْ بِالْعَكْسِ قَدْ صَرَّحْتُمْ

وَوَضَعْتُمْ الْقَانُونَ ذَا الْبُهْتَانِ (٢)

وَالنَّفْيِ عِنْدَكُمْ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْ

إِبْثَاتِ إِجْمَالاً بِلَا نُكْرَانِ (٣)

(١) راجعوا كتابه «الإبانة» و«مقالات الإسلاميين» وكل منهما مطبوع ومُتداول.

(٢) أهل السُّنَّة لا يعدلون بالكتاب والسنة شيئاً حتى ولو كانت الآراء المخالفة لعلماء أفاضل، فإذا عارضت الكتاب والسنة فإنهم يردونها؛ لأنَّ هذا المخالف ليس بمعصوم، فإذا كانوا يردُّون قولَ أهل الفضل من العلماء، فكيف لا يردُّون قول الفلاسفة وعلماء الكلام والباطنية وغيرهم، وأمَّا أنتم فبمعكس ذلك تقبلون أقوال أئمتكم وتردون نصوص الكتاب والسُّنَّة.

(٣) خالفتم ما جاء في القرآن، فالقرآن جاء بإثبات مفصل لصفات الكمال لله عزَّ وجل، وجاء بنفي النقائص عن الله نفياً مجملاً كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مریم: ٦٥] أي: لا أحد يُساويه ويشاركه، والقرآن جاء بالنفي المُجْمَل والإثبات المُفْصَّل، وأمَّا أنتم فبالعكس فنفيتم مفصلاً وأثبتتم =

والمُثَبِّتُونَ طَرِيقَهُمْ نَفِيٌّ عَلَى الْ

إِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ بِالتَّبْيَانِ^(١)

فَتَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ مَعَ مَنْ مِنْكُمْ

وَشَهَادَةَ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

وَعَرَضْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ عَلَى الَّذِي

قَالَ الشُّيُوخُ وَمُحَكِّمِ الْفُرْقَانِ^(٢)

فَالْمُحَكِّمُ النَّصْرُ الْمُوَافِقُ قَوْلَهُمْ

لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ فِي الْأَذْهَانِ^(٣)

لَكِنَّمَا النَّصْرُ الْمُخَالَفُ قَوْلَهُمْ

مُتَّشَابِهٌ مُتَّأَوَّلٌ بِمَعَانٍ

= مُجْمَلًا، تقولون: الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا يمين ولا شمال ولا فوق ولا تحت، فتصفون الله بالسُّلُوبِ والنَّفْيِ الْمُفْصَلِ، وأما الإثبات فلا تُثَبِّتُونَ لَهُ إِلَّا ذَاتًا مَجْرَدَةً مِنَ الصِّفَاتِ، فكل عقائدهم نفي الكمال عن الله تعالى مِمَّا يؤول إلى العدم لَأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ وجود ذات مجردة بدون صفات .
(١) هذا هو طريق الكتاب والسُّنَّةِ، الإثبات لله في الأسماء والصفات مُفْصَلًا والنفي عن الله مُجْمَلًا.

(٢) جعلتم أقوال علماءكم هي الحَكَمُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَبِالْعَكْسِ، عَرَضُوا أَقْوَالَ الشُّيُوخِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَمَا وُافِقَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ قَبَلُوهُ، وَمَا خَالَفَهُمَا رَدُّوهُ وَلَوْ كَانَ صَادِرًا عَنْ أَفْضَلِ الْعُلَمَاءِ .

(٣) فعندكم أن الذي يوافق قول علماء الكلام لا يقبل التأويل، والذي يُخَالَفُ رَأْيَهُمْ يُسَلِّطُونَ عَلَيْهِ التَّأْوِيلَ وَالتَّفْوِيضَ وَالتَّضْعِيفَ فِي سَنَدِهِ .

وَإِذَا تَأَدَّبْتُمْ تَقُولُوا مُشْكِلٌ

أَفَوَاضِحٌ يَا قَوْمُ رَأَيْ فُلَانٍ (١)

وَاللَّهِ لَوْ كَانَ الْمَوْافِقَ لَمْ يَكُنْ

مُتَّشَابِهًا مُتَأَوَّلًا بِلِسَانٍ (٢)

لَكِنْ عَرَضْنَا نَحْنُ أَقْوَالَ الشُّيُورِ

خِ عَلِيٍّ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْوَحْيَانِ

مَا خَالَفَ النَّصِيئِينَ لَمْ نَعْبَأْ بِهِ

شَيْئًا وَقَلْنَا حَسْبُنَا النَّصَانِ (٣)

وَالْمُشْكِلُ الْقَوْلُ الْمُخَالَفُ عِنْدَنَا

فِي غَايَةِ الْإِشْكَالِ لَا التَّبْيَانِ

وَالْعَزْلُ وَالْإِبْقَاءُ مَرْجِعُهُ إِلَى الْإِ

آرَاءِ عِنْدَكُمْ بِلَا كِتْمَانٍ (٤)

(١) يعني رأي فلان عندكم ليس بمُشكل وكلام الله مُشكل.

(٢) لو كان يوافق هواكم لما قلت: إنَّ هذا متشابه أو هذا مؤول.

(٣) أما نحن معشر أهل السنة ما خالف الكتاب والسنة لا نقبله ولو قال به من قال من أفاضل العلماء، والأئمة يوصون بذلك، فنحنُ يكفيننا النصان من الكتاب والسنة.

(٤) أما أنتم ما خالف مذهبكم من النصوص عزلتموه ولم تقبلوه وما وافق قبلتموه.

لَكِن لَدِينَا ذَاكَ مَرْجِعُهُ إِلَى
 قَوْلِ الرَّسُولِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ^(١)
 وَالْكَفْرُ وَالْإِسْلَامُ عَيْنُ خِلَافِهِ
 وَوِفَاقِهِ لَا غَيْرُ بِالْبُرْهَانِ
 وَالْكَفْرُ عِنْدَكُمْ خِلَافُ شَيْوِخِكُمْ
 وَوِفَاقُهُمْ فَحَقِيقَةُ الْإِيمَانِ^(٢)
 هَذِي سَبِيلُكُمْ وَتِلْكَ سَبِيلُنَا
 فَالْمَوْعِدُ الرَّحْمَنُ بَعْدَ زَمَانٍ
 وَهَنَّاكَ يُعَلِّمُ أَيَّ حِزْبَيْنَا عَلَى الْ
 حَقِّ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةِ الدِّيَانِ^(٣)
 فَاصْبِرْ قَلِيلًا إِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ
 فَإِذَا أُصِيبْتَ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

(١) فنحن عندنا الحكم هو الكتاب والسنة، وأما أنتم فالحكم عندكم قول فلان وفلان، فهذا هو الفرق بيننا وبينكم.

(٢) الكفر عندنا مخالفة الكتاب والسنة، والإسلام موافقة الكتاب والسنة، وأما الكفر عندكم فمخالفة شيوخكم، والإسلام هو موافقة شيوخكم، فهذا هو الفرق بيننا وبينكم.

(٣) فالله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون يوم القيامة، ويحكم الله به بين الفريقين، ويتبين هناك من هو المحق والمبطل.

فَالْقَوْمُ مِثْلُكَ يَا لِمُونَ وَيَصْبِرُوا

نَ وَصَبْرُهُمْ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ (١)

* * *

(١) يُقَالُ لِأَهْلِ الْحَقِّ التَّزَمُوا الصَّبْرَ عَلَى أَدَى أَهْلِ الْبَاطِلِ ﴿ وَتَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقَسِّمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَيْشُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾ [الروم: ٥٥] فَالِدُنْيَا عَمَرَهَا قَلِيلٌ مِنْ نَصِيبِ الْآخِرَةِ، وَلِذَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْرِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فَالصَّبْرُ هُوَ رَأْسُ الدِّينِ فَلَا بُدَّ مِنَ الصَّبْرِ، وَمَقَامُهُ عَظِيمٌ، فَالَّذِي عَلَى الْحَقِّ سَيِّئَلِي، فَلَا بَدَّ مِنَ الصَّبْرِ. وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء: ١٠٤] فَهَمَّ يَصْبِرُونَ لِأَنَّهُمْ فِي رِضَا الشَّيْطَانِ، وَأَهْلُ الْحَقِّ يَصْبِرُونَ لِأَنَّهُمْ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ.

فصل

في بيان الاستغناء بالوحي المُنزَّل
من السماء عن تقليد الرجال والآراء^(١)

يا طالبَ الحقِّ المبينِ ومُؤثراً
عِلْمَ اليقينِ وصِحَّةَ الإيمانِ
اسْمَعُ مقالةَ ناصحِ خَيْرِ الذي
عندَ الورى مُذْ شَبَّ حتى الآنِ^(٢)
ما زالَ مُذْ عَقَدَتْ يدهُ إزارُهُ
قد شَدَّ مِيزَرَهُ إلى الرحمنِ^(٣)
وتَحَلَّلُ الفتراتِ للعَزَماتِ أمْ
— رَ لازمٌ لطبيعةِ الإنسانِ^(٤)

(١) أغنانا الله تعالى بالقرآن والسنة عن اتباع الأقوال والآراء. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا نِعْمَ مَا نُنزِّلُ مِنَ الذِّكْرِ فَهُوَ أَنذَارٌ لِقَوْمٍ عَادٍ﴾ [طه: ١٢٣].
(٢) يعني نفسه رحمه الله، يقول: أَنَّهُ خَيْرَ ما عند النَّاسِ من الأقوال والاعتقادات، ودرَسَ ما جاء في الكتاب والسنة، فهو رحمه الله يخبرك عن علم لا عن ظنٍّ بل عن علمٍ وتجربة.
(٣) لأنَّه رحمه الله منذُ ميَّزَ فَإِنَّهُ يتعلَّم ويتفقه في دين الله فهو لم يقل عن غير علم.
(٤) يقول رحمه الله: قد يحصل منِّي فتور وكسل لكن هذه طبيعة الإنسان وهذا من باب عدم تزكية النفس.

وَتَوَلَّدُ النِّقْصَانَ مِنْ فِتْرَاتِهِ
 أَوْ لَيْسَ سَائِرُنَا بِنِي التَّقْصَانِ^(١)
 طَافَ الْمَذَاهِبَ يَبْتَغِي نُورًا لَيْهَـ
 —دِيهِ وَيُنْجِيهِ مِنَ النِّيرَانِ
 وَكَأَنَّهُ قَدْ طَافَ يَبْغِي ظِلْمَةَ الـ
 لَيْلِ الْبَهِيمِ وَمَذْهَبَ الْحِيرَانِ
 وَاللَّيْلُ لَا يَزْدَادُ إِلَّا قُوَّةً
 وَالصَّبْحُ مَقْهُورٌ بِذِي السُّلْطَانِ
 حَتَّى بَدَتْ فِي سَيْرِهِ نَارٌ عَلَى
 طُورِ الْمَدِينَةِ مَطْلَعِ الْإِيمَانِ^(٢)

(١) هذا منه رحمه الله عدم تزكية لنفسه لكنه يقول: إنه في الجملة اعتنى بهذا الأمر ودرسه وليس معنى هذا أنه أحاط بكل شيء.

(٢) يقول رحمه الله: إنني درست مذاهب المتكلمين والفلاسفة ومذهب أهل السنة حتى تبين لي نارٌ على جبل، وهذه النار هي نار الوحي، ومن عادة العرب أنهم يوقدون النار على رؤوس الجبال لأجل هداية السائرين، فالذي يدرس هذه المذاهب مثل الذي يسير في ظلمة الليل، لا يدري الطريق الصحيح من الحفر والشوك، لكن بدت له نارٌ على مرتفع فذهب إليها، وإذا هذه النار هي مدينة الرسول ﷺ منبع الإيمان والوحي، وهذا تشبيه بقصة موسى لما ذهب بأهله وأصحابهم البرد وأضاعوا الطريق، رأى ناراً فذهب إليها ليقبض منها ناراً يوقد منها ناراً يصطلون عليها، ويسأل عن الطريق الذي يذهب به إلى مصر، وكانت هذه النار التي رآها ابن القيم =

فَأَتَى لِيَقْبِسَهَا فَلَمْ يُمَكِّنْهُ مَعِ
تِلْكَ الْقِيُودِ مَنَالَهَا بِأَمَانِ
لَوْلَا تَدَارَكَهُ الْإِلَهِ بِلُطْفِهِ
وَلَّى عَلَى الْعَقَبَيْنِ ذَا نُكْصَانِ
لَكِنْ تَوَقَّفَ خَاضِعاً مُتَذَلِّلاً
مُسْتَشْعِرَ الْإِفْلَاسِ مِنْ أَثْمَانِ
فَأَتَاهُ جُنْدٌ حَلَّ عَنْهُ قِيُودُهُ
فَامْتَدَّ حِينَئِذٍ لَهُ الْبَاعَانَ
وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تُحَلَّ قِيُودُهُ
وَتَزُولَ عَنْهُ رِبْقَةُ الشَّيْطَانِ
كَانَ الرُّقْيُ إِلَى الثُّرَيَّا مُضْعِداً
مِنْ دُونَ تِلْكَ النَّارِ فِي الْإِمْكَانِ
فَرَأَى بِتِلْكَ النَّارِ آطَامَ الْمَدِيدِ
نَةَ كَالْخِيَامِ تَشُوفُهَا الْعَيْنَانِ
وَرَأَى هُنَالِكَ كُلَّ هَادٍ مُهْتَدٍ
يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِيقَانِ
فَهُنَاكَ هُنَا نَفْسَهُ مُتَذَكِّراً
مَا قَالَهُ الْمُشْتَاقُ مِنْذُ زَمَانِ

= نار الهدى والوحي، وابن القيم رحمه الله أديب كبير ويسوق الكلام ويحسن التعبير ويقتبس فهو من كبار الأدباء.

والمُستَهَامُ عَلَى الْمَحَبَّةِ لَمْ يَزَلْ
 حَاشَا لِدِذْكَرَاكُمْ مِنَ الشَّيَانِ
 لَوْ قِيلَ مَا تَهَوَّى لِقَالَ مُبَادِرًا
 أَهْوَى زِيَارَتِكُمْ عَلَى الْأَجْفَانِ
 تَاللَّهِ إِنْ سَمَحَ الزَّمَانُ بِقُرْبِكُمْ
 وَحَلَلَتْ مِنْكُمْ بِالْمَحَلِّ الدَّانِي
 لِأَعْفَرَنَّ الْحَدَّ شُكْرًا فِي الشَّرَى
 وَأُكْحَلَنَّ بِثُرْبِكُمْ أَجْفَانِي
 إِنْ رُمْتَ تُبْصِرُ مَا ذَكَرْتَ فَعُضَّ طَرْ
 فَا عَنْ سِوَى الْآثَارِ وَالْقُرْآنِ (١)
 وَاتْرُكْ رُسُومَ الْخَلْقِ لَا تَعْبَأُ بِهَا
 فِي السَّعْدِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ دَبْرَانِ (٢)

(١) يقول: إذا أردت أن تصل إلى الهدى فلا تنظر إلا إلى الكتاب والسنة مثل الذي حصل لي لما اهتديت إلى أعلام المدينة، ولقيت أهلها من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، واطمأنت بعد الحيرة، وأنست بعد الوحشة بليقاهم. إذا كنت تريد هذا فعليك أولاً: بالصبر والتحمل، وثانياً: بأن تغمض عيونك عن الشبهات والشكوك وأقوال الناس، ولا تنظر إلا إلى الوحي حتى تصل إلى الحق.

(٢) يعني: سعد السعود ونظمه هذا من باب الأدب الرفيع والتشبيه البليغ، فهو يقول: إنَّ هناك نجماً يُسَمَّى سعد السعود يُغْنِيكَ عن دبران وهو نجم خفي يخرج خلف الثريا، وسعد السعود واضح وبيِّن، فهذا النجم الواضح يُغْنِيكَ عن هذا النجم الخفي.

حَدَّقْ بِقَلْبِكَ فِي النُّصُوصِ كَمَا
 قَدْ حَدَّقُوا فِي الرَّأْيِ طُولَ زَمَانٍ^(١)
 وَاحْتَلَّ جُفُونَ الْقَلْبِ بِالْوَحْيَيْنِ وَاحٍ
 نَذَرَ كُحْلَهُمْ يَا كَثْرَةَ الْعُمَيَّانِ^(٢)
 فَاللَّهُ بَيَّنَّ فِيهِمَا طَرِيقَ الْهُدَى
 لِعِبَادِهِ فِي أَحْسَنِ التَّبْيَانِ^(٣)
 لَمْ يُخَوِّجِ اللَّهُ الْخَلَائِقَ مَعَهُمَا
 لَخِيَالِ فَلَئَانٍ وَرَأْيِ فُلَانٍ^(٤)
 فَالْوَحْيِيُّ كَافٍ لِلَّذِي يُعْنِي بِهِ
 شَافٍ لِدَاءِ جَهَالَةِ الْإِنْسَانِ^(٥)

(١) يعني تدبّر النصوص فلا تقرأها وأنت غافل لا تتدبرها، ولذا قال: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤] فالتدبّر للنصوص يجعل الإنسان يقتدي وينتفع بها.

(٢) عيون القلب هي التي تبصر الهدى فالقلب إمّا أنّه يُبصر أو أنّه يعمي، فالبصر بصر القلب والعمى عمى القلب، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

(٣) أي: بالكتاب والسنة، وهذا البيان يحتاج إلى تدبّر وتأمل وسؤال أهل العلم.

(٤) أغنى الله سبحانه وتعالى الخلائق عن الأقوال والآراء بالكتاب والسنة.

(٥) لأن الله جعله شفاء قال تعالى: ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢] شفاءً للقلوب من =

وتفاوتُ العلماءِ في أفهامِهِمُ

للوحي فوقَ تفاوتِ الأبدانِ (١)

والجَهْلُ داءٌ قاتلٌ وشِفاؤُهُ

أمرانِ في التركيبِ مُتَّفِقانِ

نصٌّ من القرآنِ أو من سُنَّةِ

وطبيبُ ذاكِ العالمِ الرِّبَّاني (٢)

= الشكوك والأوهام والشرك والعقائد الباطلة، وشفاء للأبدان من الأمراض الحسيّة والمعنوية، فهو شفاء حسيّ ومعنويّ.

(١) العلماء ليسوا على وتيرة واحدة، منهم من يُوفِّق لفهم ثاقب وفقه غزير ويستوعب من الكتاب والسنة الشيء الكثير، ومنهم من يستوعب شيئاً قليلاً، ومنهم المتوسط، فهو فضل الله يؤتیه من يشاء، فأفهام العلماء متفاوتة، كما أن أجسام بني آدم متفاوتة، فمنهم الصحيح ومنهم السقيم ومنهم المعتل وهكذا.

(٢) الجهل داءٌ قاتل بلا شك لكن له علاج وطبيب، فالعلاج وحده لا يكفي فلا بُدَّ من طبيب يُرشد إلى طريقة الاستعمال، فالعلاج موجود وهو الكتاب والسنة، مثل ما تُركَّب الأدوية بعضها مع بعض، وهذا يكون بمراجعة العلماء وسؤالهم، فلا تعتمد على فهمك وكتبك، بل لا بُدَّ من مراجعة أهل العلم والجلوس عندهم في الحلقات، فلا يصلح أبداً أن نأخذ العلم بدون مُعلِّم، كما أن الدواء لا يؤخذ إلا بمشاورة طبيب، ولا بُدَّ أن يكون العالم ربانياً؛ لأن العلماء منهم من يكون من علماء الضلال، لكن عليك بالعالم التقى سليم العقيدة والنية والقصد، والرباني: الذي يُربي النَّاسَ على الحقِّ، قال ابن عباس: الرباني: الذي يُعلِّم النَّاسَ =

والعلمُ أقسامٌ ثلاثٌ ما لها
 مِن رابعٍ والحقُّ ذو تبيانٍ
 عِلْمٌ بأوصافِ الإلهِ وفِعْلِهِ
 وكذلكِ الأسماءُ للرحمنِ
 والأمرُ والتَّهْيُ الذي هو دينُهُ
 وجَزَاؤُهُ يومَ المَعَادِ الثاني
 والكلُّ في القرآنِ والسُّنَنِ التي
 جاءتْ عن المبعوثِ بالفرقانِ^(١)

= صغار العلم قبل كباره. والرباني: هو المربي الذي يُحسن التعليم شيئاً فشيئاً، يُعلِّم النَّاسَ المسائل شيئاً فشيئاً، هذه هي الطريقة الصحيحة فلا بد من التدرُّج في طلب العلم شيئاً فشيئاً.

(١) تكلمَّ الشيخ رحمه الله عن العلم والجهل والمراد بالعلم هنا: العلم الشرعي، هذا إذا أُطلق، وأمَّا غيرُه فيُقَيَّد فيقال: علم الهندسة والزراعة، ولا يُطلق، لأنَّ الإطلاق يكون خاصاً بالعلم الشرعي، والعلم كما عرّفهُ الأصوليون: تصوُّر الشيء المعلوم على ما هو عليه في الواقع، والجهل: تصوُّر الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع، والجهل ينقسم إلى قسمين:

الأول: جهلٌ بسيط.

الثاني: جهلٌ مُركَّب، والمُركَّب أشد وأخطر من البسيط، والجاهل البسيط: هو الإنسان لا يدري ويعرف أنَّه لا يدري، وهذا يزول بالتعلُّم، لذا سُمي بالبسيط؛ لأنَّه يمكن علاجه بالتعلُّم.

والله ما قال امرؤ متحذلق

بسواهما إلا من الهذيان^(١)

= وأما الجهل المركب فهو أن يكون الإنسان لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فيظن أنه عالم، فهو جاهلٌ بالشيء فيرى أنه عالم فلا يتعلم ولا يسأل غيره، وهذا صعب وقلٌ من يسلم منه إلا من وقَّفه الله للرجوع إلى الحقِّ وإلا فإنه يتعصب لجهله.

ولذا قال الشاعر:

قال حمارٌ الحكيم توما لو أنصف الدهرُ كنتُ أركب

لأنني جاهلٌ بسيطٌ وصاحبي جاهلٌ مرَّكَب

وأما العلم فهو على أقسام ثلاثة:

الأول: علم التوحيد، وأشار إليه الشيخ بقوله:

عِلْمٌ بأوصاف الإله وفعله وكذلك الأسماء للرحمن

وهذا هو الأصل وهو المهم، وهو الذي من أجله أرسل الله الرسل

وأنزل الكتب.

الثاني: علمٌ بالأوامر والنواهي، والحلال والحرام والأحكام في

المعاملات والأخلاق وفي جميع الأمور.

الثالث: علم اليوم الآخر، وهو يوم القيامة وما يكون فيه من

الحساب والميزان والصحف والصراف والجنة والنار، وكل هذه الأقسام

الثلاثة جاءت في الكتاب والسنة، وهذا التقسيم حاصر لجميع أقسام

العلم وليس هناك قسمٌ رابع.

(١) المتحذلق: من ادَّعى الحذق وهو ليس كذلك، ويدعي أن هناك علماً

شرعياً في غير الكتاب والسنة.

إِنَّ قُلْتُمْ تَقْرِيرُهُ فَمُقَرَّرٌ
 بِأَتَمِّ تَقْرِيرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
 أَوْ قُلْتُمْ إِضْحَاحُهُ فَمُبَيَّنٌ
 بِأَتَمِّ إِضْحَاحٍ وَخَيْرِ بَيَانٍ
 أَوْ قُلْتُمْ إِجْازُهُ فَهُوَ الَّذِي
 فِي غَايَةِ الْإِجْازِ وَالتَّبْيَانِ^(١)
 أَوْ قُلْتُمْ مَعْنَاهُ هَذَا فَاقْصِدُوا
 مَعْنَى الْخَطَابِ بَعِينَهُ وَعِيَانِ^(٢)
 أَوْ قُلْتُمْ نَحْنُ التَّرَاجِمُ فَاقْصِدُوا أَلْ
 مَعْنَى بِلَا شَطَطٍ وَلَا نُقْصَانِ
 أَوْ قُلْتُمْ بِخِلَافِهِ فَكَلَامُكُمْ
 فِي غَايَةِ الْإِنْكَارِ وَالبُطْلَانِ^(٣)
 أَوْ قُلْتُمْ قِسْنَا عَلَيْهِ نَظِيرَهُ
 فقياسُكُمْ نَوْعَانِ مُخْتَلِفَانِ

(١) جميع هذه الأقسام الثلاثة موجودة في الكتاب والسنة لكن معرفة ذلك تحتاج إلى تعلم وبصيرة.

(٢) إن طالبتكم بيان المعنى، فالمعنى واضح لمن تدبّر وأحضر قلبه، وإنما يخفى المعنى على من لا يتدبّر كلام الله ورسوله.

(٣) من يدعي أنّ علم التوحيد يؤخذ من غير الكتاب والسنة، أو أنّ علم الحلال والحرام يؤخذ من غير الكتاب والسنة، أو أنّ أمور الآخرة تؤخذ من غيرهما فهذا في غاية البطلان.

نوعٌ يُخالفُ نَصَّهُ فهو المُحا
لُ وذاكَ عندَ اللهِ ذو بَطْلانِ
وكلامنا فيه وليس كلامنا
في غيره أعني القياسَ الثاني
ما لا يُخالفُ نَصَّهُ فالنَّاسُ قد
عَمِلُوا به في سائرِ الأزمانِ (١)
لكنَّهُ عندَ الضَّرورةِ لا يُصا
رُ إليه إلا بعدَ ذا الفُقْدانِ (٢)

(١) الأدلة عند الأصوليين على قسمين :

١ - قسمٌ متفقٌ عليه .

٢ - وقسمٌ مختلفٌ فيه .

فالمتفق عليه :

الكتاب . السنة . الإجماع .

وقسم مختلف فيه هو القياس : وهو إلحاق فرع بأصل في حُكم لعلَّة
جامعةٍ بينهما، فالجمهور على أنه دليلٌ يُستدلُّ به وهو الصحيح،
والظاهرية ينكرون القياس وإنكارهم ليس بصحيح، فالقياس موجود في
الكتاب والسنة، وكلام أهل العلم، وهناك أدلة أيضاً مختلف فيها كقول
الصحابي، وشرع من قبلنا، والمصالح المرسله، وأما القياس الفاسد
فهو المخالف للنص فلا يصح الاستدلالُ به .

والقياس الصحيح الذي هو على وفق الضوابط، هذا ما عليه جمهور
النَّاس في سائرِ الأزمان، وإنَّما أنكره الظاهرية .

(٢) لا يُستدل بالقياس إلا إذا لم يوجد دليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع، =

هذا جوابُ الشافعيِّ لأحمدٍ

للهِ دَرَكٌ مِنْ إِمَامِ زَمَانٍ^(١)

واللهِ ما اضْطَرَّ العبادُ إليه في

ما بَيْنَهُمْ مِنْ حَادِثٍ بِزَمَانٍ^(٢)

فإذا رأيتَ النصَّ عنه ساكتاً

فسكوتهُ عَفْوٌ مِنَ الرَّحْمَنِ^(٣)

= والإمام أحمد رحمه الله مشهورٌ عنه تقديم الحديث الضعيف على القياس، فالقياسُ إنما يُحتاج إليه عند الضرورة وبقدر الحاجة.

(١) الإمام الشافعي: هو محمد بن إدريس، وهو من الأئمة الأربعة وهو شيخ للإمام أحمد، فالشافعي قال للإمام أحمد: «إنَّ القياس لا يُحتاج إليه إلا عند الضرورة».

(٢) يعني لو عمل الناس بهذه القاعدة، صار الاستدلال بالقياس قليلاً جداً، لأنَّ الأدلة المتفق عليها تُعني، فيُصار إلى القياس عند الضرورة مثل: الميئة للمضطر.

(٣) لأن الرسول ﷺ قال: «إنَّ الله فرضَ فرائضَ فلا تضيعوها، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رَحْمَةً لَكُمْ غيرَ نسيانٍ فلا تبحثوا عنها»^(*) فما سكت عنه الوحي فإنه معفوٌّ عنه منه.

(*) رواه الدارقطني ٤/١٨٣-١٨٤، والطبراني في «الكبير» ٢٢/ (٥٨٩)، والبيهقي ١٠/١٢-١٣، من حديث أبي ثعلبة الخشني ٩/١٧. وانظر تنقيده وشرحه في «جامع العلوم والحكم» لابن رجب ٢/١٥٠، الحديث الثلاثون.

وَهُوَ الْمُبَاحُ إِبَاحَةَ الْعَقْرِ الَّذِي

مَا فِيهِ مِنْ حَرَجٍ وَلَا نُكْرَانٍ

فَأُضِيفَ إِلَى هَذَا عُمُومَ اللَّفْظِ وَالـ

مَعْنَى وَحُسْنَ الْفَهْمِ فِي الْقُرْآنِ (١)

فَهُنَاكَ تُصْبِحُ فِي غِنَى وَكِفَايَةٍ

عَنْ كُلِّ ذِي رَأْيٍ وَذِي حُسْبَانٍ

وَمُقَدَّرَاتُ الذُّهْنِ لَمْ يَضْمَنْ لَنَا

تَبَيُّانَهَا بِالنَّصِّ وَالْقُرْآنِ (٢)

وَهِيَ الَّتِي فِيهَا اغْتِرَاكُ الرَّأْيِ مِنْ

تَحْتِ الْعَجَاجِ وَجَوْلَةِ الْأُذْهَانِ

لَكِنْ هُنَا أَمْرَانِ لَوْ تَمَّا لَمَا أَحـ

تَجَنَّا إِلَيْهِ فَحَبَّبْنَا الْأَمْرَانَ

(١) إذا عرفت الكتاب والسنة معرفة صحيحة لم تحتج إلى الآراء والاجتهادات فتستغني بالكتاب والسنة، ولا تقلد أحداً، وهذا يتحقق في المجتهد المطلق الذي توفرت له شروط الاجتهاد، وأمّا من كان دون ذلك وعنده قدرة على الترجيح فإنه يرجح إذا أمكنه ذلك، فيأخذ ما يظهر له دليلاً، وأمّا العامي أو المبتدئ الذي ليس عنده علم أصلاً فهذا يسأل أهل العلم ويقبلدهم.

(٢) الاجتهاد يخطيء ويصيب فلا يعتمد عليه، لكن يعتبر بالدليل ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

[النساء: ٥٩] فالآراء تُردُّ إلى الأدلة.

جَمَعَ النُّصُوصِ وَفَهَّمُ مَعْنَاهَا الْمَرَا
 دِ بِلَفْظِهَا وَالْفَهْمُ مَرْتَبَتَانِ
 إِحْدَاهُمَا مَدْلُورٌ ذَاكَ اللَّفْظِ وَضُرُ
 عاً أَوْ لَزُوماً ثُمَّ هَذَا الثَّانِي
 فِيهِ تَفَاوُتِ الْفُهُومِ تَفَاوُتاً
 لَمْ يَنْضَبِطْ أَبَداً لَهُ طَرَفَانِ (١)
 فَالشَّيْءُ يَلْزَمُهُ لَوَازِمٌ جَمَّةٌ
 عِنْدَ الْخَيْرِ بِهِ وَذِي الْعِرْفَانِ
 فَبِقَدْرِ ذَاكَ الْخَيْرِ يُحْصِي مِنْ لَوَا
 زِمِهِ وَهَذَا وَاضِحُ التَّبْيَانِ
 وَلِذَاكَ مَنْ عَرَفَ الْكِتَابَ حَقِيقَةً
 عَرَفَ الْوُجُودَ جَمِيعَهُ بَيَانِ (٢)

(١) هذه مرتبة المجتهد المطلق: وهو الذي جمع النصوص من الكتاب والسنة وعرفها واستقرأها وفهمها، وهذه مرتبة نادرة لا يحصل عليها إلا أكابر العلماء، وهي الإلمام بالنصوص، وفهمها الفهم الصحيح، ودلالة النص على قسمين: دلالة بالوضع، ودلالة باللزوم، فالدلالة بالوضع هي استعمال اللفظ فيما وضع له، ودلالة باللزوم وهي استعمال اللفظ في شيء خارج عن معناه لكنه لازم له، لأنَّ لازم الحقِّ حقٌّ.

(٢) يعني من فهم القرآن، ويدخل فيه السُّنَّةُ، فمن أُعْطِيَ فهم الكتاب والسُّنَّةِ فَإِنَّهُ قَدْ عَرَفَ الْوُجُودَ كُلَّهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وأفهام الناس متفاوتة وتختلف من عالم إلى عالم.

وكذلك يَعْرِفُ جُمْلَةَ الشَّرْعِ الَّذِي
يَحْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ كُلَّ زَمَانٍ
عِلْمًا بِتَفْصِيلٍ وَعِلْمًا مُجْمَلًا
تَفْصِيلُهُ أَيْضًا بِوَحْيٍ ثَانٍ^(١)
وِكِلَاهُمَا وَحْيَانٍ قَدْ ضَمِنَا لَنَا
أَعْلَى الْعُلُومِ بِنِغَايَةِ التَّيَّيَانِ
وَلِذَلِكَ يُعْرَفُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَالْ
أَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ ذِي الْإِحْسَانِ
مَا لَيْسَ يُعْرَفُ مِنْ كِتَابٍ غَيْرِهِ
أَبَدًا وَلَا مَا قَالَتِ الثَّقَلَانِ^(٢)
وَكِذَلِكَ يُعْرَفُ مِنْ صِفَاتِ الْبَعْثِ بِالثَّ
تَفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ فِي الْقُرْآنِ

(١) النصوص منها ما هو مُحْكَمٌ ظاهرُ المعنى لا يحتاج إلى دليل آخر يُفَسِّرُهُ ويوضِّحُهُ، ومنها ما هو متشابه، وهو ما يحتمل عدة احتمالات ولا يُدرى أيُّها المراد، فهذا يُفَسِّرُهُ الْمُحْكَمُ حينما يرد إليه، وهذه طريقة أهل العلم، وهي ردُّ المتشابه إلى المُحْكَمِ، وأمَّا أهل الزيغ فيأخذون المتشابه ويتركون المُحْكَمِ.

(٢) أسماء الله وصفاته إنَّما تُعْرَفُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فلا تُعْرَفُ لِمَنِ الْعَقْلُ وَلَا مِنَ الْقِيَاسِ، فَالْعَقَائِدُ تَوْقِيفِيَّةٌ، فَالْمَرْجِعُ فِي ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ الْإِثْبَاتِ وَالنَّفْيِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَكَذَلِكَ إِثْبَاتُ الْعِبَادَاتِ تَوْقِيفِيٌّ لَا يَدْخُلُهُ الْاجْتِهَادُ.

مَا يَجْعَلُ الْيَوْمَ الْعَظِيمَ مُشَاهِدًا

بِالْقَلْبِ كَالْمَشْهُودِ رَأْيَ عَيَانٍ^(١)

وَكَذَاكَ يُعْرِفُ مِنْ حَقِيقَةِ نَفْسِهِ

وَصِفَاتِهَا بِحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ

يَعْرِفُ لَوَازِمَهَا وَيَعْرِفُ كَوْنَهَا

مَخْلُوقَةً مَرْبُوبَةً بَيَانٍ^(٢)

وَكَذَاكَ يُعْرِفُ مَا الَّذِي فِيهَا مَنْ أَلْ

حَاجَاتِ وَالْإِعْدَامِ وَالنَّقْصَانِ

(١) البعث في اليوم الآخر من علم الغيب لا يُعرف بالعقل، لا يُعرف إلا من الكتاب والسنة؛ لأنه من علم الغيب الذي اختص الله بعلمه، مثل عذاب القبر ونعيمه، ولذلك لما دخل أناسٌ في ذلك ضَلُّوا كالمعتزلة فأنكروا عذاب القبر لعدم رؤيتهم له، وهذا ليس مَحَلًّا للإدراك؛ لأنه من أمور الآخرة التي لا يعلمها إلا الله فنُهينا عن الدخول في ذلك، فأمر البعث لا يُقال فيها بالرأي، وإنما يُقال فيها بالدليل من الكتاب والسنة لأنها من أمور الغيب.

وإذا قرأت ما ذكره الله في اليوم الآخر، فإنك تكون كأنك تشاهده

بقلبك لأنك توقن بهذه النصوص وتؤمن بها فتصبح كأنك تراها.

(٢) النفس وهي الروح موجودة بلا شك، ومع ذلك فإنك لا تراها؛ لأنها من

علم الغيب، وهي مخلوقة تُقبض وتُرسل وتُنعم وتُعذب فلا يعلمها إلا

الذي خلقها.

وكذلك يُعرفُ ربَّهُ وصفاتِهِ

أيضاً بلا مثلي ولا نُقصانٍ^(١)

وهنا ثلاثة أوجهٍ فافطن لها

إن كنتَ ذا علمٍ وذا عرفانٍ

بالضدِّ والأولى كذا بالإمتنا

ع لعلِّمنا بالنَّفْسِ والرَّحْمَنِ

فالضدُّ معرفةُ الإلهِ بضدِّ ما

في النفسِ مِن عَيْبٍ وَمِنْ نُقصانٍ

وحقيقةُ الأولى تُبوتُ كمالِهِ

إذ كان مُعْطِيهِ على الإحسانِ^(٢)

(١) كذلك أسماءُ الله وصفاته هي من علم الغيب فلا ندخل فيها بأرائنا وعقولنا.

(٢) هناك ثلاثة أشياء:

الأول: الضد.

الثاني: الأولى.

الثالث: الامتناع.

والمراد بالأولى قياسُ الأولى فيقال: ما ثبت للمخلوق من كمال لا

يستلزم نقصاً فالله أولى به، وما يُنزّه عنه المخلوق فالله أولى بالتنزيه عنه،

كالنقائص والعيوب.

والامتناع أن يقال: هذه صفة نقص فتمتنع في حق الله تعالى،

والضد أن يقال: كل عيب ونقص فالله يوصف بضدهما وهو السلامة.

فصل

في بيان شروط كفاية النصّين

والاستغناء بالوحيّين

وكفاية النصّين مشروطٌ بتج

ريد التلقّي عنهما لمعان^(١)

وكذاك مشروطٌ بخلع قيودهم

فقيودهم غلٌّ إلى الأذقان^(٢)

وكذاك مشروطٌ بهذم قواعد

ما أنزلت ببيانها الوحيان^(٣)

وكذاك مشروطٌ بإقدام على ال

آراء إن عريّت عن البرهان

(١) هذا هو الشرط الأول: تجريد التلقّي من الكتاب والسنة فلا تتلقّى من

أقوال الناس وإنما تتجرّد للتلقّي من الوحيين.

(٢) الشرط الثاني: ترك القيود التي يضعونها لأنها تُعوق عن فهم الكتاب

والسنة فهي قيود وضعوها من عندهم.

(٣) الشرط الثالث هدم قواعد علم المنطق وعلم الكلام بحيث لا تلتفت إليها

إذا كنت تريد الاستفادة من الكتاب والسنة فاخلع قواعد المنطق، ولا

تعتبرها شيئاً، وارفضها رفضاً تاماً.

بالرَّد والإبطال لا تبعاً بها

شيئاً إذا ما فاتها النَّصَّانِ (١)

لولا القَوَاعِدُ والقِيُودُ وهذه الـ

آراءٌ لا تَسَعَتْ عُرى الإِيْمَانِ

لكنَّها والله ضَيِّقَةُ العُرى

فاحتاجت الأيدي لذاك تَوَانِ

وتعطلت من أجلها والله أغـ

دادٌ من النَّصِّينِ ذاتُ بيانِ (٢)

وتضمَّنت تقييدَ مُطلقِها وإطـ

لاقَ المُقيِّدِ وهو ذو ميزانِ (٣)

(١) الشرط الرابع يشترط في الاستفادة من الوحيين : ألا تُقدِّم عليهما شيئاً من أقوال الناس والشيوخ والعلماء، فتقدِّم الوحيين دائماً وأبداً. وما حصل في الأمة الخلل إلا من هذه الناحية، وهي أنه تؤخذ أقوال الرجال ويترك الكتاب والسنة.

(٢) هذه سلبيات الأخذ بالآراء المخالفة للكتاب والسنة. الأولى أنهم لا يأخذون من النصوص إلا ما وافق هواهم، ويردّون ما خالف ما هم عليه، وقالوا: علماؤنا أعرف بالقرآن والسنة، فتعطلت من أجل آراء الناس النصوص من الكتاب والسنة.

(٣) الثانية أنهم صاروا يُقيِّدون المطلق ويطلقون المقيّد بأهوائهم بدون أدلة من الكتاب والسنة، فالمطلق لا يُقيّد إلا بدليل، ولا يُخصص العام إلا بدليل من الكتاب والسنة.

وَتَضَمَّنَتْ تَخْصِيصَ مَا عَمَّتْهُ وَالثَّ
تَعْمِيمُ لِلْمَخْصُوصِ بِالْأَعْيَانِ
وَتَضَمَّنَتْ تَفْرِيقَ مَا جَمَعَتْ وَجَمْعَ
عَمَّا لِلَّذِي وَسَمَّتْهُ بِالْفُرْقَانِ (١)
وَتَضَمَّنَتْ تَضْيِيقَ مَا قَدْ وَسَّعَتْ
عُهُ وَعَكْسُهُ فَلْتَنْظِيرِ الْأَمْرَانِ (٢)
وَتَضَمَّنَتْ تَحْلِيلَ مَا قَدْ حَرَّمَتْ
عُهُ وَعَكْسُهُ فَلْتَنْظِيرِ النُّوعَانِ (٣)
سَكَتَتْ وَكَانَ سُكُوتُهَا عَفْوًا فَلَمْ
تَعْفُ الْقَوَاعِدُ بِاتِّسَاعِ بَطَانِ (٤)

(١) الثالثة أن هذه الآراء تضمنت تفريق ما جمع الله سبحانه وتعالى وجمع ما فرق الله .

(٢) الرابعة أنهم ضيقوا الواسع ووسعوا الضيق عكس النصوص .

(٣) الخامسة تغير الأحكام الشرعية فمثلاً حرمت النصوص الربا والميسر الذي هو القمار، والآن يوجد من يفتي بحل الفوائد الربوية، ويفتي بالميسر ويسميه مسابقات وجوائز ونحو ذلك فسمّوها بغير اسمها واستحلوها، وحرّموا ما أحلّ الله كما فعل الرهبان والأخبار ﴿ اَتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] وذلك بتحليل الحرام وتحريم الحلال كما قاله ﷺ فاتخذوهم أرباباً .

(٤) السادسة أن النصوص إذا سكتت عن شيء فهو مباح، فيأتي بعض الناس ويقول: هو حرام، فهذا عكس ما شرعه الله تعالى، وما سكت عنه فهو عفو، فقواعدهم لم تسكت عن هذا الشيء الذي سكت الله عنه .

وَتَضَمَّنَتْ إِهْدَارَ مَا اعْتَبَرَتْ كَذَا

بِالْعَكْسِ وَالْأَمْرَانِ مَحْدُورَانِ

وَتَضَمَّنَتْ أَيْضاً شَرْوْطاً لَمْ تُكُنْ

مَشْرُوطَةً شَرْعاً بِلَا بُرْهَانٍ^(١)

فَمَثَلُهَا وَاللَّهِ فِي قَلْبِ الْفَتَى

وَبَاتُّهَا فِي مَبْنَتِ الْإِيمَانِ

كَالزَّرْعِ يَنْبُتُ حَوْلَهُ دَعْلٌ فَيْمُ

نَعُهُ النَّمَاءُ فَتَرَاهُ ذَا نُقْصَانٍ^(٢)

(١) السابعة وضع شروط مخالفة لكتاب الله وقد قال ﷺ: «ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مائة شرط»^(*)، وقال عليه الصلاة والسلام: «المسلمون على شروطهم إلا شرطاً حراماً حلالاً أو أحلاً حراماً»^(**).

(٢) أي مثال شبه أهل الباطل وما تورثه في القلوب مثل ما ينبت في الزرع من النوبات الفضولية؛ لأنَّ الزرع إذا بُدِرَ ونبت ينبت معه نباتات طفيلية، فهذه النباتات إن تركت فإنَّها تتعاضم وتغطي على الزرع، وقد تقضي عليه فلا يحصل منه غلَّةٌ، أمَّا إذا أُتلفت هذه النباتات الطفيلية وأُبدت فإنَّ الزرع يقوى ويثمر غلَّةً طيبة.

(*) قطعة من حديث عائشة أخرجه أحمد في «المسند» ٤٣/٣٥٥ (٢٦٣٣٥)، والبخاري (٢٥٦١)، ومسلم (١٥٠٤) (٨).

(**) أخرجه ابن ماجه (٢٣٥٣)، والترمذي (١٣٥٢) من حديث عمرو بن عوف، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وكذلك الإيمانُ في قلبِ الفتَى
 غَرَسَ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي الْإِنْسَانِ (١)
 وَالنَّفْسُ تُنْبِتُ حَوْلَهُ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ الْأَفْنَانِ
 فَيَعُودُ ذَاكَ الْغَرَسُ يَبْسًا ذَاوِيًا
 أَوْ نَاقِصَ الثَّمَرَاتِ كُلِّ أَوَانِ
 فَتَرَاهُ يَحْرُثُ دَائِبًا وَمَغْلُوهُ
 نَزْرًا وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْحُسْرَانِ
 وَاللَّهِ لَوْ نَكَّشَ النَّبَاتَ وَكَانَ ذَا
 بَصَرٍ لَذَاكَ الشُّوكِ وَالسَّعْدَانِ
 لَأَتَى كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ مَغْلُوهُ
 وَلَكَانَ أضعافاً بلا حُسبانِ (٢)

(١) الإيمان في القلب هو زرع الرحمن تؤثر عليه الشبه كما يؤثر الدغل في الزرع الذي يزرعه الإنسان.

(٢) وهكذا مذاهب أهل الباطل وشبههم مثل النباتات الطفيلية التي تنبت مع الزروع يجب مراقبتها ومراعاتها والعمل على إزالتها وإتلافها وألا يغفل المزارع عنها، فالمزارع هنا هم العلماء الذين يعرفون هذه الآفات وما يضادها ويقضي عليها، فيجب العناية بهذا الأمر فإذا نكشها، يعني أزالها وإلا فإنها تصبح ذات أعصان وأفنان وتغطي على الزرع، بل تصبح ذات شوك مثل شوك السعدان والنباتات الشوكية فتشوه منظر الزرع وتغمره، وهذا مثل آخر لشبه أهل الباطل.

وَتَضَمَّنَتْ أَيْضاً مَوَانِعَ لَمْ تَكُنْ

مَمْنُوعَةً شَرْعاً بِلَا تَبْيَانٍ^(١)

إِلَّا بِأَقْيَسَةٍ وَأَرَاءٍ وَتَقَدُّ

لِيَدِ بِلَا عِلْمٍ أَوْ اسْتِحْسَانٍ

عَمَّنْ أَتَتْ هَذِي الْقَوَاعِدُ مِنْ جَمِيعِ

عِصَابِ الصَّحْبِ وَالْأَتْبَاعِ بِالْإِحْسَانِ

مَا أَسْسُؤُوا إِلَّا اتَّبَاعَ نَبِيِّهِمْ

لَا عَقْلَ فَلْتَانِ وَرَأْيَ فُلَانٍ^(٢)

بَلْ أَنْكَرُوا الْآرَاءَ نُصْحاً مِنْهُمْ

لِلَّهِ وَاللَّذَّاعِي وَاللْقُرْآنِ

أَوْ لَيْسَ فِي خُلْفٍ بِهَا وَتَنَاقُضٍ

مَا دَلَّ ذَا لُبِّ وَذَا عِرْفَانٍ^(٣)

(١) تضمنت هذه الآراء والقواعد المنطقية موانع لم تكن ممنوعة من قبل

الشرع، فعملوا بقواعدهم ومنعوا من أشياء والشرع لم يمنع منها.

(٢) هذه القواعد المنطقية لم تأت عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين

لأنهم يمشون على الكتاب والسنة، وإنما حدثت هذه القواعد العقلية بعد

القرون المفضلة، وهي قول فلان وعلان.

(٣) يعني أن تناقضها واختلافها يدل على بطلانها، يعني أنها لو كانت حقاً ما

تناقضت ولا اختلفت.

والله لو كانت من الرحمن ما اخ

تلفت ولا انتقضت مدى الأزمان^(١)

شبه تهافت كالزجاج تخالها

حقاً وقد سقطت على صفوان^(٢)

والله لا يرضى بها ذو هممة

علياء طالبة لهذا الشأن^(٣)

* * *

(١) كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
أَخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] فالقرآن والسنة لا يختلفان إلى قيام الساعة
أبدًا.

(٢) هذه الآراء والقواعد المنطقية مثل الزجاج إذا سقط على الحصى ينكسر،
وشبهت هذه الآراء والقواعد بالزجاج؛ لأنها براءة يظهر للذي يقرؤها
أنها صحيحة لأنها مزوقة، والشاعر يقول:

في زخرف القول تزيينٌ لباطله والحق قد يعتريه سوء تعبير

(٣) والله لا يرضى بقواعد المنطق وعلم الكلام. من له هممة علياء في فهم
الكتاب والسنة، فالمسلم لا يعدل بالكتاب والسنة شيئاً من آراء الناس ولا
أقوال الناس.

فصل

هذا وليس الطَّعْنُ بالإطلاق في
 ها كُلُّهَا فِعْلَ الْجَهُولِ الْجَانِبِي
 بل في التي قَدْ خالفت قولَ الرِّسْوِ
 لِ وَمُحَكَّمِ الْإِيمَانِ وَالْفُرْقَانِ (١)
 أو في التي ما أنزلَ الرَّحْمَنُ فِي
 تَقْرِيرِهَا يَا قَوْمٍ مِنْ سُلْطَانِ (٢)

(١) ليس الكلام في حُجج المخالفين معناه: أنها تكون كلها باطلة فقد يكون فيها شيء من الحق فيقبل ما فيها من الحق ويُرَدُّ ما فيها من الباطل، هذه طريقة أهل السنة والجماعة مع خصومهم، فالرسول ﷺ قَبِلَ مَقَالَةَ الْيَهُودِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ مِثْلَ قَوْلِ الْيَهُودِيِّ حِينَ قَالَ: إِنَّكُمْ تَشْرِكُونَ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُمْ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شِئْتُمْ، وَقُولُوا: وَرَبُّ الْكَعْبَةِ» (*)، فَأَهْلُ الْعِلْمِ كَذَلِكَ يَنْظُرُونَ مَا مَعَ خِصْمِهِمْ، فَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ حَقِّ قَبْلُوهِ، فَالْحَقُّ ضَالَّةَ الْمُؤْمِنِ، وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ بَاطِلٍ رَدُّوهُ، بِخِلَافِ أَهْلِ الْبَاطِلِ فَإِنَّهُمْ يَرُدُّونَ كُلَّ مَا مَعَ خِصْمِهِمْ وَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْحَسَدِ وَالْحَقْدِ وَالِاسْتِكْبَارِ عَنِ قَبُولِ الْحَقِّ دُونَ نَظَرِ وَتَبْصُرٍ.

(٢) فالأشياء التي تُرد هي الأمور التي ما أنزل الله بها من سلطان.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٣/٤٥ (٢٧٠٩٣)، والنسائي ٦/٧ (٣٧٨٢)، والحاكم في «المستدرک» ٣٣١/٤ (٧٨١٥) من حديث قتيبة بنت صيفي وقال: هذا حديث صحيح، ووافقه الذهبي.

فهي التي كم عَطَلَتْ مِنْ سُنَّةٍ

بَلْ عَطَلَتْ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ^(١)

هذا ونرجو أن واضعها فلا

يَعْدُوهُ أَجْرٌ أَوْ لَهُ أَجْرَانِ

إذ قال مَبْلَغُ عِلْمِهِ مِنْ غَيْرِ إِيجِ

بَابِ الْقَبُولِ لَهُ عَلَى إِنْسَانٍ^(٢)

(١) ترد لأنها عَطَلَتْ نصوص الكتاب والسنة حيث نفوا أسماء الله وصفاته من أجل قواعدهم وشبههم، كذلك ما مع القبوريين من الشبهات عَطَلُوا ما جاء في القرآن من الدعوة إلى التوحيد ومن إنكار الشرك، وصار الكتاب والسنة لا مجال لهما عندهم، فالحق عندهم ما وافق قول شيوخهم.

(٢) لَمَّا ذَكَرَ رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ مَا مَعَ النَّاسِ مِنْ قَوَاعِدٍ وَشَبْهِ إِذَا خَالَفَ شَيْءٌ مِنْهَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ فَإِنَّهُ يُرَدُّ وَيُتْرَكُ، سِوَاءَ مَا كَانَ أَصْحَابُهَا مِنَ الْفُقَهَاءِ أَوْ مِنْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ، لَكِنْ إِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرُوا هَذِهِ الْقَوَاعِدَ ذَكَرُوهَا عَنْ اجْتِهَادٍ وَعَنْ حُسْنِ قَصْدٍ فَإِنَّا مَعَ رَدِّهَا لَهَا نَعْتَذِرُ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ مَجْتَهِدُونَ يَرِيدُونَ الْحَقَّ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَوْفُقُوا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ، فَاجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»^(*) وهذه قاعدة عظيمة ينبغي لطلبة العلم السير عليها، وأما إذا كان من وضع هذه الأشياء متعمداً يريد بها الاستغناء عما جاء في القرآن والسنة، وهم =

بل قد نهانا عن قبول كلامه

نصاً بتقليد بلا برهان^(١)

وكذلك أوصانا بتقديم النصوص

ص عليه من خبر ومن قرآن^(٢)

يعلمون أنها خطأ فهؤلاء لا اعتذار لهم ولا احترام لهم، بخلاف من كان متحريراً للحق وقصدته الاجتهاد ولم يوفق لذلك فإنه يُعذر بذلك.

والناس تجاه هذه الأشياء على ثلاثة أقسام:

١ - قسم يقبل أقوال الناس بلا تمحيص وبدون نظر ويعتبرها أقوالاً معصومة فهذا قول المتعصبة والمقلدين التقليد الأعمى.

٢ - وقسم يرفضها كلية ولا يلتفت إلى ما فيها من حق، ويتهجم على العلماء، وهذا أيضاً مرفوض، وهو نقيض الأول.

٣ - الوسط: هم الذين ينظرون في هذه الأقوال وهذه القواعد ويعرضونها على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة أخذوا به، وما خالف الكتاب والسنة تركوه، واعتذروا لصاحبه، ولم يتهجموا عليه، بل يحترمونه؛ لأن هذا هو مبلغ علمه، وهو الذي أدّى إليه اجتهاده، وقصدته الحق ولكنه لم يتمكن من الوصول إليه.

(١) نهى الأئمة عن قبول كلامهم من غير استناد إلى الدليل الذي بنوا عليه، فالأئمة كلهم يوصون باتباع الكتاب والسنة، ويوصون بترك ما خالف الكتاب والسنة من أقوالهم، ولا يتعصبون لأقوالهم.

(٢) كل إمام من أئمة أهل السنة فإنه يوصينا بتقديم النصوص من القرآن والحديث.

نَصَحَ الْعِبَادَ بِذَا وَخَلَّصَ نَفْسَهُ

عِنْدَ السُّؤَالِ لَهَا مِنَ الدِّيَانِ^(١)

وَالخَوْفُ كُلُّ الخَوْفِ فَهُوَ عَلَيَّ الَّذِي

تَرَكَ النُّصُوصَ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانٍ^(٢)

وَإِذَا بَغَى الْإِحْسَانَ أَوْلَّهَا بِمَا

لَوْ قَالَهُ خَضَمْتُ لَهُ ذُو شَانٍ

لَرَمَاهُ بِالذِّمَاءِ الْعُضَالِ مَنَادِيًّا

بِفْسَادِ مَا قَدْ قَالَهُ بِأَذَانٍ^(٣)

* * *

(١) لِأَنَّهُ يَتَّقِي اللَّهَ وَيُخَافُ اللَّهَ فَهُوَ قَدْ نَصَحَ الْعِبَادَ أَنْ يَقْلُدُوهُ عَلَيَّ خَطَأً، وَبِرَّأ

ذِمَّتِهِ أَمَامَ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا سَأَلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(٢) هَذَا هُوَ الَّذِي يُخَافُ عَلَيْهِ، مَنْ قَدَّمَ قَوْلَ فُلَانٍ عَلَيَّ النُّصُوصَ، فَيُخَافُ

عَلَيْهِ مِنَ الْهَلَاكِ وَالزَّبْحِ وَالخُرُوجِ مِنَ الدِّينِ .

(٣) وَإِذَا أَحْسَنَ هَذَا الَّذِي يَرِدُ النُّصُوصَ لِقَوْلِ إِمَامِهِ فَإِنَّهُ يُوَوِّلُ النُّصُوصَ

تَأْوِيلًا بَاطِلًا حَتَّى تَوَافَقَ هَوَاهُ، وَيَرْتَضِي هَذِهِ الطَّرِيقَةَ السَّيِّئَةَ لِنَفْسِهِ فِي

حِينَ لَوْ أَنَّ خَصْمَهُ فَعَلَ مِثْلَ فَعَلِهِ لَشَنَعَ عَلَيْهِ عِلَانِيَةً .

فصل

في لازم المذهب هل هو مذهب أم لا^(١)

(١) هذه مسألة مهمة جداً: هل لازم المذهب مذهب أم لا؟ أنواع الدلالات ثلاث:

١ - دلالة مطابقة. ٢ - دلالة تضمّن. ٣ - دلالة التزام.

فدلالة المطابقة والتضمّن هذه لا شك أنّها حق ويُقال بها، لكنّ دلالة الالتزام وهي دلالة الشيء على شيء خارج عن معناه محلّ بحث، ومنه قولهم: هل لازم المذهب مذهب أم لا؟

نقول: ما كان لازماً لكلام الله وكلام رسوله فإنّه حق، لأنّ كلام الله ورسوله حق فلازمهما حق، أمّا لازم مذاهب المجتهدين فهذا هو الذي فيه التفصيل:

١ - إذا كان صاحب المذهب عرف لازم المذهب وقصده فإنّه مذهب له، لأنّه عرف لازم مذهبه وقصده.

٢ - إذا كان صاحب المذهب لا يعرف هذا اللازم ولا تصوّره عندما قال قوله، فإنّ هذا اللازم لا ينسب لمذهبه، لأنّه ما عرف هذا اللازم ولا تصوّره عندما تكلم، فلا يُلصق به، ويُقال: لزم على كلام فلان كذا وكذا، وهو لم يعرف هذا اللازم ولا تصوّره عند تبنيه للمذهب الذي يختاره ويقول به.

أمّا كلام الله ورسوله فلازمهما حق؛ لأنّ الله تعالى عالم بكلّ شيء، لا يخفى عليه شيء، فهو يعلم سبحانه وتعالى ما يتناوله كلامه، وما يلزم على كلامه، لا يخفى عليه شيء سبحانه وتعالى، فلازم كلام الرب حق، وكذلك لازم كلام رسول الله فهو حق، لأنّه معصوم عن الخطأ.

ولِوَازِمِ الْمَعْنَى تُرَادُ بِذِكْرِهِ
 مِنْ عَارِفٍ بِلِزُومِهَا الْحَقَّانِي
 وَسِوَاهُ لَيْسَ بِإِلَازِمٍ فِي حَقِّهِ
 قَصْدَ اللِّوَازِمِ وَهِيَ ذُو تَبْيَانٍ
 إِذْ قَدْ يَكُونُ لِزُومِهَا الْمَجْهُولَ أَوْ
 قَدْ كَانَ يَعْلَمُهُ بِلا نُكْرَانٍ
 لَكِنْ عَرَّتَهُ غَفْلَةٌ بِلُزُومِهَا
 إِذْ كَانَ ذَا سَهْوٍ وَذَا نِسْيَانٍ
 وَلِذَاكَ لَمْ يَكُنْ لِأَزْمًا لِمَذَاهِبِ الْ
 عُلَمَاءِ مَذْهَبُهُمْ بِلا بُرْهَانٍ
 فَالْمُقَدِّمُونَ عَلَى حِكَايَةِ ذَاكَ مَذْ
 هَبُهُمْ أَوْلُو جَهْلٍ مَعَ الْعُدْوَانِ^(١)
 لَا فَرْقَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَخَفَائِهِ
 قَدْ يَذْهَبُونَ عَنِ اللُّزُومِ الدَّانِي
 سِيمًا إِذَا مَا كَانَ لَيْسَ بِإِلَازِمٍ
 لَكِنْ يُظَنُّ لُزُومُهُ بِجَنَانٍ

(١) الذين يُلْزَمُونَ الْعُلَمَاءَ بِلِوَازِمِ مَذْهَبِهِمْ هَؤُلَاءِ مَعْتَدُونَ عَلَى الْعُلَمَاءِ
 وَمَتَقَوِّلُونَ عَلَيْهِمْ.

لا تَشْهَدُوا بِالزُّورِ وَيُحَكِّمُ عَلَى

مَا تُلْزَمُونَ شَهَادَةَ الْبُهْتَانِ (١)

بِخِلَافٍ لِأَمْرِ مَا يَقُولُ إِلَيْنَا

وَنَبِيِّنَا الْمَعْصُومِ بِالْبُرْهَانِ (٢)

فَلِذَا دَلَالَاتُ النُّصُوصِ جَلِيَّةٌ

وَخَفِيَّةٌ تَخْفَى عَلَى الْأَذْهَانِ (٣)

وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ الْفَهْمَ فِي

آيَاتِهِ رِزْقًا بِلا حُسْبَانٍ (٤)

(١) لا تُلْزَمُوا الْأَئِمَّةَ بِأَشْيَاءَ لَمْ يُصْرِّحُوا بِهَا إِلَّا إِذَا كَانَ عِنْدَكُمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ قَصَدُوهَا، وَأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا، فَحَيْثُ تَقُولُونَ: إِنَّ لَأَمْرَ الْمَذْهَبِ مَذْهَبٌ، لِأَنَّهُمْ عَرَفُوهَا وَقَصَدُوهَا.

(٢) أَمَّا مَا يُلْزَمُ عَلَى كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ الرَّسُولِ فَهُوَ حَقٌّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَذْهَلُ سُبْحَانَهُ وَلَا يَنْسَى بِخِلَافِ الْمَخْلُوقِ فَإِنَّهُ يَجْهَلُ كَثِيرًا، وَلَوْ عَلِمَ فَإِنَّهُ يَنْسَى وَيَذْهَلُ، وَكَذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَهُوَ مَعْصُومٌ فِيمَا يُبْلَغُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣] فَمَا يُبْلَغُهُ الرَّسُولُ عَنْ رَبِّهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَا يَتَطَّرِقُ إِلَيْهِ شَكٌّ؛ لِأَنَّهُ مَعْصُومٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَمَّا مَا عَدَا الرَّسُولَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَلَيْسَ بِمَعْصُومٍ.

(٣) دَلَالَاتُ النُّصُوصِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ تَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ:

١ - نُّصُوصٌ جَلِيَّةٌ وَاضِحَةٌ.

٢ - وَنُّصُوصٌ خَفِيَّةٌ، يَعْنِي مَعْنَاهَا خَفِيٌّ لَا يَتَفَطَّنُ لَهُ إِلَّا الرَّاسِخُونَ فِي

الْعِلْمِ.

(٤) يَرْزُقُ اللَّهُ الْفَهْمَ لِكَلَامِهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَقَدْ يُعْطَى بَعْضَ النَّاسِ =

واحدَ حكاياتِ لأربابِ الكلا

مِ عن الخُصومِ كثيرةِ الهَديانِ

فحكَّوا بما ظنُّوه يُلزمُهُمَ فقَا

لُوا ذاكَ مذهبُهُمَ بلا بُرهانٍ^(١)

كذبُوا عَلِيهِمَ باهتِينِ لَهُمَ بِمَا

ظنُّوه يُلزمُهُمَ مِنَ البُهْتانِ

فحكى المُعطلُّ عن أولي الإثباتِ قَوْ

لَهُمَ بأنَّ اللهَ ذُو جُثمانٍ^(٢)

وحكى المُعطلُّ أَنهم قالوا بأنَّ

نَ اللهُ لَيْسَ يُرَى لَنَا بَعِيانٍ^(٣)

= أكثرَ من بعضِ في الفهم، فالعلماء ليسوا على درجة واحدة في الفهم بل يتميَّز بعضهم عن بعض، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

(١) مثل قولهم: إن إثبات الصفات يلزم منه التجسيم، وسَمَّوا أهل السنة مُجسِّمة، فهذا اللازم باطلٌ لم يقل به أحدٌ من أهل السنة، فأهل السنة يقولون: نحنُ نثبت ما أثبتهُ اللهُ لنفسه، وما أثبتهُ له رسولُه من غير تحريفٍ ولا تمثيل، وأما لفظ الجسم فنحنُ لا نتعرَّضُ له لا بإثباتٍ ولا بنفي، لأنَّه لم يرد لا في كتاب ولا في سنة فنسكت عنه.

(٢) الجثمان هو «الجسم»، وهذا لم يقل به أهل السنة والجماعة أبداً؛ لأنَّه لم يأت به كتابٌ ولا سنة، وإتِّما هو من قول علماء الكلام واختراعهم.

(٣) قال المُعطلَّة: إنَّ الله لا يُرى أبداً، لأنَّه لو ثبتت الرؤية للزم أن يكون جسماً، لأنَّه لا يُرى إلا الأشياء التي هي أجسام، أو التي تكون في جهة =

وحكى المعطلُّ أنَّهم قالوا يَجُوزُ

زُ كَلامُهُ مِنْ غَيْرِ قَصْدِ مَعَانٍ (١)

وحكى المعطلُّ أنَّهم قالوا يَتَخَذُ

سِيْرَ الإِلهِ وَحَضْرِهِ بِمَكَانٍ (٢)

وحكى المعطلُّ أنَّهم قالوا له أَلْ

أَعْضَاءُ جَلَّ اللهُ عَنْ بُهْتَانٍ (٣)

= وحيز، فنقول: كلُّ هذه لوازم ما قال بها أهل السنة ولا قصدوها، فالله تعالى يرى كما أخبر بذلك عن نفسه وكما أخبر رسوله، وأمَّا اللوازم التي جتتم بها من عند أنفسكم فهذه لا تلزم أهل السنة والجماعة.

(١) يعني كما قال الأشاعرة، أن كلام الله كلام مجرد بدون حرف ولا صوت، بل هو كلام نفساني، ولا يدل على صفة التكلم.

(٢) قالوا: يلزم من إثبات العلوِّ والاستواء على العرش كما قال أهل السنة أن الله متحيزٌ في مكان، فأهل السنة يشبتون صفة العلو والاستواء على العرش كما أخبر عن نفسه من دون ذكر هذه اللوازم الباطلة، وأمَّا لفظ: التحيز والمكان فهذه من اختراعات أهل الباطل، لا تلزم أهل السنة والجماعة، لأنَّ ما جاء فيها نصٌّ لا من الكتاب ولا من السنة، فنحن لا نُثبتها ولا ننفينا بل نتوقف عنها.

(٣) لمَّا أثبت أهل السنة لله ما أثبته الله لنفسه من الوجه واليدين قالوا: إنَّ أهل السنة يُثبتون الأعضاء لله تعالى والأبعض ونحن نقول: هذه اللوازم لا تلزم أهل السنة والجماعة، ولم يتعرضوا للكيفية، ولا أنَّ هذه أعضاء أو أبعاض، فهذه اللوازم التي أتيتم بها هي من اختراعكم الباطل ولا تلزم أهل السنة.

وحكى المعطلُ أنَّ مذهبَهُم هو التَّ

تَّشْبِيهُ لِلخَلَاقِ بِالإنْسَانِ^(١)

وحكى المعطلُ عَنْهُمْ مَا لَمْ يَقُوْ

لُوهُ وَلَا أَشْيَاخُهُمْ بِلِسَانِ^(٢)

ظَنَّ المَعْطَلُ أَنَّ هَذَا لَازِمٌ

فَلِذَا أَتَى بِالزُّورِ وَالْعِدْوَانِ^(٣)

فَعَلِيهِ فِي هَذَا مَعَاذِيرٌ ثَلَا

ثُ كُلُّهَا مُتَحَقِّقُ البُطْلَانِ

(١) لأنَّ أهل السنة لما أثبتوا لله يدين وسمعاً وبصراً قال المعطلة: هذه الأشياء أعضاء في الإنسان فإذا أثبتناها شبَّهنا الله بالإنسان، فنقول: إن هذا باطل، وذلك لأنَّ الله له صفات تخصه، والإنسان له صفات تخصه، ولا تشابه بينهما لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فنفي عن نفسه المثلية وأثبت لنفسه السمع والبصر مع أن الإنسان فيه سمع وبصر، فالله له صفاتٌ تخصُّه والمخلوق كذلك له صفاتٌ تخصُّه.

(٢) فلم يقل أحد من أهل السنة: إنَّ الله جسم، أو أنَّه في مكان من المخلوقات، ولا قال: إنَّ الله ذو أبعاد وأعضاء فهذه اصطلاحات من المعطلة.

(٣) وهذا كُله مبنِّي على قاعدتهم وهي: أنَّ لازم المذهب مذهب، فيلزم عندهم على مذهب أهل السنة والجماعة من إثبات هذه الصفات وصف الله بهذه اللوازم الباطلة فنقول: هذا لا يلزم.

ظَنُّ اللُّزُومِ وَقَذْفُهُمْ بِلُّزُومِهِ

وَتَمَامُ ذَاكَ شَهَادَةُ الْكُفْرَانِ (١)

يَا شَاهِدًا بِالزُّورِ وَيَحْكُ لَمْ تَخَفْ

يَوْمَ الشَّهَادَةِ سَطْوَةَ الدِّيَانِ

يَا قَائِلَ الْبُهْتَانِ غَطَّ لَوَازِمًا

قَدْ قَلْتَ مَلْزُومَاتِهَا بَيَانِ (٢)

(١) يعني: ارتكب المعصية ثلاثة محاذير:

الأول: ظنهم بوجود لوازم تلزم على إثبات الأسماء والصفات لله عز وجل.

الثاني: شهادتهم على أهل السنة أنهم قالوا بهذه الأشياء وكذبوا عليهم فيها، وأهل السنة يقولون: نحن نثبت ما أثبتته الله أو أثبتته له الرسول ولا نتعرض للكيفية، فما سكت الله عنه أو رسوله فنحن نسكت عنه ولا نتعرض له فلا نثبت ولا ننفيه.

الثالث: أنهم شهدوا على أهل السنة أنهم قالوا بهذه الأشياء شهادة زور.

(٢) لأن الرسول ﷺ لما أخبر عن الكبائر قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وكان منكثاً فجلس فقال: «ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور» فما زال يُردها حتى قلنا ليته سكت (*). فشهادة الزور خطرها عظيم =

(*) قطعة من حديث أبي بكره نُفَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»

٢٢/٣٤ (٢٠٣٨٥)، والبخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧)، والترمذي (١٩٠١).

والله لازمها انتفاء الذاتِ والُ
أوصافِ والأفعالِ للرحمٰنِ
والله لازمها انتفاءُ الدِّينِ والِ
قرآنِ والإسلامِ والإيمانِ
ولزومُ ذلكِ يَبِّنُ جَدًّا لِمَنْ
كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ وَاعْيَتَانِ
واللهِ لولا ضيقُ هذا النظمِ بَيِّ
يَنْتُ اللزومَ بأوضحِ التَّبْيَانِ
ولقدْ تَقَدَّمَ منه ما يكفي لِمَنْ
كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ^(١)

= لا سيمًا في حق الله ورسوله وهم يقولون لك: هات بياناً على ما قلت وإلا فإنك مسؤول أمام الله تعالى، وسيخاصمك أهل السنة عند الله يوم القيامة عمّا قلته في حقهم، وهم لم يقولوه وإنما قالوا ما قاله الله ورسوله فقط، ولم يقولوا شيئاً من عند أنفسهم.

(١) إنّ اللوازم الباطلة هي في أقوالكم أنتم، فأقوال المعطلة هي التي يلزم عليها اللوازم الباطلة، فإذا قلتم: إنّ الله ليس له يدان ولا سمع ولا بصر واعتمدتم على النفي فنفيتم ما أثبتته الله وقلتم: إنّ الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا يمته ولا يسرة فما الذي يلزم على هذا؟ يلزم على هذا - والعياذ بالله - نفي وجود الله ونفي الدين والقرآن والإسلام والإيمان وغير ذلك مما لا يتسع هذا النظم لبيانه ويكفي ما ذكر منه.

إِنَّ الذَّكِيَّ بَعْضِ ذَلِكَ يَكْتَفِي

وَأَخُو الْبِلَادَةِ سَاكِنُ الْجَبَّانِ (١)

يَا قَوْمَنَا اعْتَبِرُوا بِجَهْلِ شُيُوخِكُمْ

بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

أَوْ مَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ أَفْضَلِ وَقْتِهِ

فِيكُمْ مَقَالَةٌ جَاهِلٍ فَتَّانٍ

إِنَّ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضَ قَبْدَ

لِ الْعَرْشِ بِالْإِجْمَاعِ مَخْلُوقَانِ (٢)

(١) الجَبَّان: المقبرة، فأخو البلادة مثل الميت ليس فيه فائدة لكن الذكي يتنبه إذا أعطيته مثلاً أو إشارة عرف الباقي، فالشيخ أعطاكم إشارة على ما يلزم مذهبكم أيها المُعطلَّة، وهذه الإشارة تكفيكم عن البقية.

(٢) قال قائلٌ من شيوخهم وهم يُعظمونه لأنه من أكابرهم: إِنَّ الْعَرْشَ مَخْلُوقٌ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَالَفَ بِذَلِكَ الْكِتَابَ وَالسَّنَةَ وَالْإِجْمَاعَ وَدَلِيلُهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فَرَتَّبَ الْاسْتَوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ عَلَى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِ«ثُمَّ» فَدَلَّ عَلَى أَنَّ خَلْقَ الْعَرْشِ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَفَسَّرَ الْاسْتَوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ بِالْخَلْقِ وَمَا قَالَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ فَضْلاً عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ الْاسْتَوَاءَ مَعْنَاهُ الْخَلْقُ، وَأَيْضاً هَذَا يُخَالَفُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] فَبَيَّنَّ سُبْحَانَهُ أَنَّ عَرْشَهُ سَابِقٌ عَلَى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَبَيَّنَّ ذَلِكَ الرَّسُولُ ﷺ بِقَوْلِهِ: «كُتِبَ اللَّهُ =

وَاللَّهِ مَا هَذِي مَقَالَةٌ عَالِمٍ
 فَضْلًا عَنِ الْإِجْمَاعِ كُلِّ زَمَانٍ
 مَنْ قَالَ ذَا قَدْ خَالَفَ الْإِجْمَاعَ وَالـ
 حَبَرَ الصَّحِيحَ وَظَاهَرَ الْقُرْآنِ^(١)
 فَاَنْظِرْ إِلَى مَا جَرَّهُ تَأْوِيلُ لَفْظِ
 الِاسْتِوَاءِ بِظَاهِرِ الْبُطْلَانِ
 زَعَمَ الْمُعْطَلُ أَنَّ تَأْوِيلَ اسْتَوَى
 بِالْخَلْقِ وَالْإِقْبَالِ وَضَعَ لِسَانِ
 كَذَبِ الْمُعْطَلِ لَيْسَ ذَا لُغَةِ الْأُولَى
 قَدْ خُوِطِبُوا بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

= مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة
 وكان عرشه على الماء^(*) فالعرش مخلوق قبل السماوات والأرض،
 فمثل هذا الذي يقول: إن الاستواء بمعنى الخلق هل مثل هذا يُقَلَّد؟
 ويؤخذ بكلامه وهو يُفسَّر كلام الله بغير معناه ويكذب على اللغة.
 (١) من قال ذلك القول فقد خالف إجماع المسلمين في أن العرش مخلوق
 قبل السماوات وخالف خبر الرسول ﷺ في الحديث، وخالف القرآن
 كما في قوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ
 عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ [هود: ٧].

(*) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وقد سلف تخريجه
 ص ٢٦٣.

فأحاره هذا إلى أن قال خذ
 سق العرش بعد جميع ذي الأكوان
 يهنيه تكذيب الرسول له وإج
 ماع الهداة ومُحكَم القرآن^(١)

* * *

(١) يهنيه هذا الجهل المركب حيث فسّر الاستواء على العرش بالخلق، ولم يقل هذا أحدٌ من أهل اللغة، لأن الاستواء عندهم هو العلو والارتفاع. فقد افترض في هذه المقالة، لأن القرآن كذبه والسنة كذّبه وإجماع المسلمين يكذّبه، والذي حمّله على هذا نفي الصفات.

فصل

في الردّ عليهم في تكفيرهم أهل العلم والإيمان
 وذكر انقسامهم إلى أهل الجهل والتفريط
 والبدع والكفران^(١)

(١) هذا الفصل الذي ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله فصلٌ مهمٌ جداً لأنه في بحث في مسألة التكفير، والتكفير حقٌّ لله تعالى ولرسوله ﷺ فلا يجوز لأحدٍ أن يُكفّر من عنده أو برأيه أو بهواه، فالتكفير حكم شرعي لا يتولاهُ إلا الله أو رسوله فمن حكم الله بكفره فهو كافر، كذلك من حكم الرسول ﷺ بكفره فهو كافر، لا خلاف في ذلك، ومسألة التكفير أصبحت الآن سهلة يفتحمها كثير من أنصاف المتعلمين أو المتعلمين، ويُطلقون الكفر على النَّاس بدون دليل من الكتاب والسنة، وتجد طرفاً متساهلاً في حكم الإيمان والكفر، فالكفر عنده خاصٌّ بالاعتقاد، وإذا حققت الموضوع وجدت أن كلا الطرفين ليس عنده علم وإنما يتبع هواه أو يُخيّل إليه أنّ عنده علم وليس كذلك، فالواجب في هذه المسائل الكبار ألا يخوض فيها إلا من عنده أهلية ورصيدٌ من العلم الصحيح، وأسلافنا رحمهم الله أراحونا وبحثوها على وفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله وبينوها غاية البيان، والشيخ رحمه الله في هذا الفصل قسّم هؤلاء الذين يكفرون أهل السنة والجماعة إلى أقسام:

القسم الأول: الذين عرفوا الحقّ ولكنهم خالفوه عن عناد وعن تمرد
 فهؤلاء لا شك في كفرهم مثل: الجهمية وغلاة الرافضة وغلاة الصوفية =

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّكُمْ كَفَرْتُمْ

أهل الحديث وشيعة القرآن

الذين عرفوا الحق ولكنهم ما تنازلوا عن باطلهم، لأنهم يفوتهم شيء من رئاستهم، ومدح الناس لهم، والأطماع التي يحصلون عليها، فهؤلاء لا شك في كفرهم، ولا عذر لهم لأنهم عرفوا الحق ولكنهم لم يقبلوه.

القسم الثاني: قالوا هذه المقالات ولكنهم ما عرفوا الحق، وعندهم

أهلية لو بحثوا لعرفوا الحق، ولكنهم قصرُوا ولم يبحثوا عن الحق، مع أنهم عندهم أهلية لو قرؤوا، فهؤلاء لا شك في أنهم فساق، ولكن

اختلف أهل العلم في تكفيرهم فمنهم من يرى كفرهم ومنهم من لا يرى كفرهم، فمن كفرهم قال: إنَّ عندهم أهلية وهم أهل معرفة ومع ذلك

قصرُوا في البحث عن ذلك، فهم يعرفون الحق ويقدرُونَ عليه لو أرادوا، وبعضهم يرى أنهم لا يُكفرون لأنهم ما عرفوا الحق، والإمام ابن القيم

رحمه الله توقّف في تكفير هؤلاء، ففسقهم ولكنه توقّف في تكفيرهم.

القسم الثالث: أناس لم يعرفوا الحق، وليس عندهم أهلية للبحث

والوصول إلى الحق وهم على قسمين:

قسمٌ قلّدوا من أحسنوا فيهم الظن من أهل الضلال فهم جهّال قلّدوا

أناساً لم يدرُوا أنهم من أهل الضلال.

وقسم ما عرفوا الحق ولكن أرادوا البحث عنه فلم يوفقوا، وأخفقوا

في بحثهم حيث أتوا الأمور من غير أبوابها، فهؤلاء لا شك أنهم ضالون في عملهم لكن لا يُفسقون، فمن بحث منهم عن الحق ووصل إليه فله

أجران، ومن بحث منهم ولم يصل إليه فله أجرٌ واحد، هذا هو التفصيل الذي لا بُدَّ منه في هذه المسألة، وهذا هو ملخص ما ذكره ابن القيم

رحمه الله في هذه الآيات المهمة.

إِذْ خَالَفُوا رَأْيًا لَهُ رَأْيِي يَنَا
 قِضُهُ لِأَجْلِ النَّصِّ وَالْبُرْهَانِ^(١)
 وَجَعَلْتُمْ التَّكْفِيرَ عَيْنَ خِلَافِكُمْ
 وَوَفَاقِكُمْ فَحَقِيقَةُ الْإِيمَانِ
 فَوَفَاقِكُمْ مِيزَانُ دِينِ اللَّهِ لَا
 مَن جَاءَ بِالْبُرْهَانِ وَالْقُرْآنِ^(٢)
 مِيزَانِكُمْ مِيزَانُ بَاغِ جَاهِلٍ
 وَالْعَوْلُ كُلُّ الْعَوْلِ فِي الْمِيزَانِ
 أَهْوَنُ بِهِ مِيزَانُ جَوْرِ عَائِلٍ
 بِيَدِ الْمُطَفِّفِ وَيَلَا ذَا الْوَزَانِ^(٣)
 لَوْ كَانَ ثَمَّ حَيًّا وَأَدْنَى مِسْكَةٍ
 مِنْ دِينٍ أَوْ عِلْمٍ وَمِنْ إِيْمَانِ

(١) ما كَفَرُوا أهل الحقِّ إِلَّا لِأَنَّهُمْ خَالَفُوهُمْ فيما هم عليه، وأهل الحق خالفوهم من أجل أخذ الحق بالدليل واتباع القرآن، وهذا التكفير في غير محله؛ لأنَّ الذي يقول بالكتاب والسنة لا يُكْفَرُ وإنما يُكْفَرُ من تعمَّد المخالفة للكتاب والسنة.

(٢) جعلوا الكفر والإيمان تابعاً لما هم عليه، فمن وافقهم فإنه مؤمن ومن خالفهم فهو الكافر عندهم، وهذا الضابط في الكفر والإيمان باطل، فأهل الحديث ميزانهم الكتاب والسنة، فما وافقهما فهو حق، وما خالفهما فهو باطل، وأمَّا ميزان أهل الضلال فهو ما هم عليه، ففرق بين الميزانين.

(٣) «أهون به» صيغة تعجب، فأهون بهذا الميزان الجائر العائل وأهون بمن يزن به.

لَمْ تَجْعَلُوا آرَاءَكُمْ مِيزَانَ كُفْرٍ

سِرِّ النَّاسِ بِالْبُهْتَانِ وَالْعُدْوَانِ (١)

هَبِكُمْ تَأْوَلْتُمْ وَسَاغَ لَكُمْ أَيْكُ

فُرٌّ مَن يُخَالِفُكُمْ بِلَا بُرْهَانٍ (٢)

هَذِي الْوَقَاحَةُ وَالْجَرَاءَةُ وَالْجَهَا

لَهُ وَيَحْكُمُ يَا فِرْقَةَ الطُّغْيَانِ

اللَّهُ أَكْبَرُ ذَا عِقَابَةٍ تَارِكِ الْ

سُوحِيِّينَ لِلآرَاءِ وَالْهَذْيَانِ (٣)

لَكُنَّا نَأْتِي بِحُكْمٍ عَادِلٍ

فِيكُمْ لِأَجْلِ مَخَافَةِ الرَّحْمَنِ (٤)

(١) لو كان عندهم شيء من الحياء أو أدنى مسكة من العقل، لعرف هؤلاء أنّ ميزانهم هذا باطل، لكن لا حياء من الله تعالى عندهم ولا عقل ولا علم، والآراء ليست ميزاناً وإنما الآراء توزن ولا يُوزن بها، فالذي يُوزن به هو الكتاب والسنة.

(٢) هبكم أنكم قلت: إننا متأولون، وهذا الذي ظهر لنا من النصوص، فإذا كنتم متأولين فغيركم كذلك متأول فلا تكفروهم. ما الذي جعلكم تحكمون بقطعية آرائكم، وتحكمون ببطلان آراء غيركم من غير برهان إلا الهوى والتعصب.

(٣) هذه عقوبة من الله جلّ وعلا، لما انصرفوا عن كتاب الله وسنة رسوله ابتلاهم الله بالهوى. وهكذا من ترك الحق فإنه يُبتلى بالباطل دائماً وأبداً.

(٤) نحن نُقابل السيئة بالحسنة، فأنتم كفرتمونا لكننا لا نكفركم إلا بالعدل فيكم، فمن يستحق الكفر كفرناه، ومن لا يستحق الكفر لا نكفروه، وأمّا =

فاسْمَعْ إِذَا يَا مُنْصِفاً حُكْمَيْهِمَا

وانظُرْ إِذَا هَلْ يَسْتَوِي الْحُكْمَانِ^(١)

هُمُ عِنْدَنَا قِسْمَانِ أَهْلُ جِهَالَةٍ

وَذَوُو الْعِنَادِ وَذَلِكَ الْقِسْمَانِ

جَمْعٌ وَفَرَقٌ بَيْنَ نَوْعَيْهِمَا

فِي بَدْعَةٍ لَا شَكَّ يَجْتَمِعَانِ^(٢)

وَذَوُو الْعِنَادِ فَأَهْلُ كُفْرٍ ظَاهِرٍ

وَالْجَاهِلُونَ فَإِنَّهُمْ نَوْعَانِ^(٣)

= أنتم فبالعكس تكفرون أهل الحديث لأنهم اتبعوا الكتاب والسنة وخالفوا أهواءكم.

(١) انظر في حكم أهل السنة على مخالفيهم وحكم أهل الباطل على مخالفيهم لترى من هو أحق بالصواب؟

(٢) هم في الأصل قسمان:

أهل جهل ولهم حكم، وأهل عنادٍ ولهم حكم، وهذان القسمان يجتمعان في شيء واحد وهو مخالفة الكتاب والسنة وعلى عداوة أهل السنة، ولكنهم يختلفون في الحكم عليهم فمنهم من هو كافر، ومنهم من هو فاسق، ومنهم من هو ضال، ومنهم من هو مجتهد يريد الحق ولكنّه لم يوفّق له، فهم أربعة أقسام.

(٣) أهل العناد: وهم من عرف الحق ورفضه، وهؤلاء كفار مثل ما كان أهل الجاهلية، حيث عرفوا أنّ محمداً على حق وقالوا: نحن لا نتنازل عن رئاستنا لمحمد الفقير اليتيم، وهذا ما قاله أبو جهل وأبو لهب، فالذي منعهم من الإيمان بالرسول هو الكبر، وإلا فإنهم يعرفون أن محمداً على =

مُتَمَكِّنُونَ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ بِالْ
 أَسْبَابِ ذَاتِ الْيُسْرِ وَالْإِمْكَانِ
 لَكِنِ إِلَى أَرْضِ الْجَهَالَةِ أَخْلَدُوا
 وَاسْتَسْهَلُوا التَّقْلِيدَ كَالْعُمَيَانَ
 لَمْ يَبْذُلُوا الْمَقْدُورَ فِي إِدْرَاكِهِمْ
 لِلْحَقِّ تَهْوِيناً بِهَذَا الشَّانِ
 فَهُمْ الْأَوْلَى لَا شَكَّ فِي تَفْسِيهِمْ
 وَالْكَفْرُ فِيهِ عِنْدَنَا قَوْلَانِ^(١)

= حق، ولذا قال تعالى: ﴿قَدْ نَعَلِمَ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ [الأنعام: ٣٣] وأهل الكتاب كذلك يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ولكن منعهم من ذلك الحسد والكبر. كرهوا أن تظهر النبوة في العرب وكانوا يريدون أن تظهر في بني إسرائيل ولذلك حسدوهم.

(١) هؤلاء جهال عندهم قدرة على طلب الحق ولم يطلبوه زهداً فيه فهؤلاء لا شك في فسقهم، وفي تكفيرهم قولان، وابن القيم رحمه الله توقف. فهؤلاء قصروا في طلب الحق وقلدوا غيرهم كالعميان الذين يهدون إلى الطريق من غيرهم مع أنهم ليسوا عمياناً ولكن هذا من باب التشبيه، وبعض الناس اليوم يقول: إن هؤلاء الذين يعبدون القبور معذرون بالجهل فنقول: هؤلاء يقدرون على إدراك الحق لو أرادوا، فكيف يُعذرون وعندهم القرآن والسنة وكلام أهل العلم، ولكنهم ما حرّكوا ساكناً ولا طلبوا الحق بل بقوا على ما هم عليه مع قدرتهم على معرفة الحق، فهؤلاء لا يُعذرون، لأن القاعدة عند أهل العلم: أَنْ مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى فَهْمِهَا لَوْ أَرَادَ، لَكِنَّهُ تَرَكَهَا تَهَاوُنًا فَهَذَا يُكْفَرُ، فهؤلاء لا يُعذرون بما يرتكبون من الشرك وعبادة القبور.

والوقفُ عندي فيهِمْ لستُ الذي
 بالكُفْرِ أَنْعَتُهُمْ ولا الإيمانِ
 واللهُ أعلمُ بِالْبِطَانَةِ مِنْهُمْ
 ولنا ظَهْرَةٌ حُلَّةُ الإِعْلَانِ^(١)
 لِكِنَّهُمْ مُسْتَوْجِبُونَ عِقَابَهُ
 قَطْعاً لِأَجْلِ البَغْيِ والعُدوانِ
 هَبْكُمْ عُدْرَتُمْ بِالْجَهَالَةِ إِنَّكُمْ
 لَنْ تُعْذَرُوا بِالظُّلْمِ والطُّغْيَانِ^(٢)
 والطَّعْنِ فِي قَوْلِ الرَّسُولِ وِدِينِهِ
 وشَهَادَةِ بِالزُّورِ والبُهْتَانِ
 وكذلكِ اسْتِحْلَالَ قَتْلِ مُخَالِفِيهِ
 كُمْ قَتَلَ ذِي الإِشْرَاكِ والكُفْرَانِ^(٣)

(١) هذا رأي ابن القيم في هؤلاء وهو التوقف في تكفيرهم لا في تفسيقهم، وذلك لأنَّ لنا الظاهر وأما الباطن فلا يعلمه إلا الله.

(٢) هم فساق ولا شك، ومستوجبون للعقوبة، وإنَّما الكلام في إخراجهم من الإسلام إلى الكفر. هذا هو محل الخلاف، ونقول لهم: إذا لم تكفروا فلا تُعذرون في عدم طلبكم للعلم وبحثكم عن الحق، ولا تُعذرون أيضاً بظلمكم لأهل السنة وتعديكم عليهم بالسب، وتلقيهم بالألقاب الشنيعة، كل هذا لا تُعذرون به.

(٣) وكذلك لا تُعذرون في استحلالكم دم المخالفين لكم وهم مسلمون، وهذا لا شكَّ أنَّه فسق وخروج عن طاعة الله عزَّ وجل، مع نفرطكم في طلب الحق مع أنكم تقدرون عليه فهذه أمور تؤاخذون عليها.

إِنَّ الْخَوَارِجَ مَا أَحَلُّوا قَتْلَهُمْ
 إِلَّا لِمَا ارْتَكَبُوا مِنَ الْعِصْيَانِ^(١)
 وَسَمِعْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ وَحُكْمَهُ
 فِيهِمْ وَذَلِكَ وَاضِحٌ التَّبَيَّانِ^(٢)
 لَكِنَّكُمْ أَنْتُمْ أَيُّخْتُمْ قَتَلْتَهُمْ
 بِوِفَاقِ سُنَّتِهِ مَعَ الْقُرْآنِ
 وَاللَّهِ مَا زَادُوا النِّقِيرَ عَلَيْهِمَا
 لَكِنْ بِتَقْرِيرٍ مَعَ الْإِيمَانِ^(٣)

(١) فالخوارج ما قوتلوا إلا لأنهم استحلوا دماء المسلمين كما في الحديث:
 «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»^(*).
 (٢) النبي ﷺ قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم»^(**)، وقال:
 «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(***) فقتلهم المسلمون بقيادة أمير
 المؤمنين علي بن أبي طالب في النهروان وهزموهم شرَّ هزيمة.
 (٣) لا فرق بينكم وبين الخوارج في هذا المسلك، ولكن الخوارج خيرٌ منكم
 لأنهم أهلٌ تقى وعبادة ونسك، وهم أبعد الناس عن الكذب، وأما هؤلاء
 المعطلة فهم من أكذب الناس على أهل السنة والجماعة، ومن أكسل
 الناس في الطاعات والعبادات.

(*) قطعة من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أحمد في «المسند» ١٨/١٩١
 (١١٦٤٨)، والبخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

(**) قطعة من حديث علي بن أبي طالب أخرجه أحمد في «المسند» ٢/٥٢-٥٣
 (٦١٦)، والبخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦).

(***) قطعة من حديث أبي سعيد الخدري المذكور قبل الحديث السابق.

فَبِحَقِّ مَنْ قَدْ خَصَّكُمْ بِالْعِلْمِ وَالثَّ
تَحْقِيقِ وَالْإِنْصَافِ وَالْعِرْفَانِ
أَنْتُمْ أَحَقُّ أَمْ الْخَوَارِجُ بِالَّذِي
قَالَ الرَّسُولُ فَأَوْضِحُوا بَيَانَ
هُمْ يَقْتُلُونَ لِعَابِدِ الرَّحْمَنِ بَلْ
يُذْعَوْنَ أَهْلَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ
هَذَا وَلَيْسُوا أَهْلَ تَعْطِيلٍ وَلَا
عَزْلِ التُّصُوصِ الْحَقِّ بِالْبُرْهَانِ^(١)

* * *

(١) هذا من التهكم بالمعطلة، يقول: إن كان عندكم هذه الأمور فأسألكم بالذي أعطاكم هذه الصفات إن كانت عندكم، فأنتم شرٌّ من الخوارج وهم أحسن منكم، ومع ذلك قال فيهم ﷺ: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»^(*) فالخوارج يقتلون أهل الإيمان ويدعون أهل الأوثان دائماً وأبداً، هذه صفاتهم - والعياذ بالله -، وهم أحسن منكم، لأنهم ما عطّلوا الصفات، والخوارج لا يكذبون ففيهم صفات طيبة ليست فيكم، ومع ذلك قال الرسول ﷺ فيهم ما قال من الأمر بقتلهم وكفّ شرهم عن المسلمين.

فالذي أوقع الخوارج فيما وقعوا فيه هو الغلو في الدين، وأمّا أنتم فليس عندكم تديّن بل عندكم استهانة بالدين واستهانة بالنصوص.

(*) قطعة من حديث أبي سعيد الخدري، سلف تخريجه ص ١٠٥٠.

فصل

والآخرون فأهلٌ عَجَزٍ عن بُلُو

غِ الحقِّ مع قَضْدٍ ومع إيمانٍ (١)

بِاللهِ ثُمَّ رَسُوْلِهِ وَلِقَائِهِ

وَهُمْ إِذَا مَيَّزْتَهُمْ ضَرْبَانِ

(١) هذا هو القسم الثالث: الذين لا يعرفون الحق ويعجزون عن البحث فيه وهم على قسمين:

- ١ - قسمٌ منهم أحسنوا الظنَّ بأهل الضلال وقلدوهم.
- ٢ - وقسمٌ منهم حاولوا معرفة الحق لكن أتوا الأمور من غير بابها فلم يوفقوا.

فالقسم الثالث على ضربين:

قسمٌ أخذ إلى التقليد واعترف بعجزه عن البحث وقلد من يحسن به الظن ممن هم من كبار السن ولهم مكانة فظنُّوا بهم الظن الحسن على ما عندهم من ضلال وهم لم يدروا أنَّهم ضالون، وهذا مثل عوام الأشاعرة والمعتزلة الذين ليس عندهم قدرة على طلب العلم، فأحسنوا الظنَّ بهؤلاء فقلدوهم لا عن محبة في الشر ولا عن مخالفة، لكن ظنُّوا أنَّهم على حق، فهم وقعوا في الضلال عن حُسن ظن لا بإرادتهم للضلال، ولكن لجهلهم وعدم قدرتهم على البحث، فهذا الصنف من الناس معذورون بجهلهم بشرط ألا يكفروا أهل السنة ويتناولوا عليهم ويذموهم، أما إن تكلموا في أهل السنة وردُّوا عليهم فعليهم إثم.

قَوْمٌ دَهَاہُمْ حُسْنُ ظَنِّهِمْ بِمَا
 قَالَتْهُ أَشْيَاخُ ذَوُو أَسْنَانٍ
 وَدِيَانَةٍ فِي النَّاسِ لَمْ يَجِدُوا سِوَى
 أَقْوَالِهِمْ فَرَضُوا بِهَا بِأَمَانٍ
 لَوْ يَقْدِرُونَ عَلَى الْهُدَى لَمْ يَرْتَضُوا
 بَدَلًا بِهِ مِنْ قَائِلِ الْبُهْتَانِ
 فَأَوْلَاءِ مَعْذُورُونَ إِنْ لَمْ يَظْلِمُوا
 وَيَكْفُرُوا بِالْجَهْلِ وَالْعُدْوَانِ
 وَالْآخِرُونَ فَطَالِبُونَ الْحَقِّ لَمْ
 كُنْ صَدَّاهُمْ عَنْ عِلْمِهِ شَيْئَانِ
 مَعَ بَحْثِهِمْ وَمُصَنَّفَاتِ قُضْدِهِمْ
 مِنْهَا وَصَوْلُهُمْ إِلَى الْعِرْفَانِ
 إِحْدَاهُمَا طَلَبُ الْحَقَائِقِ مِنْ سِوَى
 أَبْوَابِهَا مُتَسَوِّرِي الْجُدْرَانِ
 وَسُلُوكُ طُرُقٍ غَيْرِ مُوَصَّلَةٍ إِلَى
 دَرْكِ الْيَقِينِ وَمَطْلَعِ الْإِيمَانِ
 فَتَشَابَهَتْ تِلْكَ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ
 مِثْلَ اشْتِبَاهِ الطُّرُقِ بِالْحَيْرَانِ^(١)

(١) هذا هو الصنف الثاني من القسم الثالث: أناس جُهَّال وليس عندهم مقدرة على البحث عن الحق، ولكن حاولوا وأتوا الأمور من غير أبوابها =

فَتَرَىٰ أَفْضَلَهُمْ حَيَارَىٰ كُلُّهَا

فِي التَّيِّهِ يَقْرَعُ نَاجِدَ النَّدْمَانِ

وَيَقُولُ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الطُّرُقُ لَا

أَدْرِي الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ السُّلْطَانِي

بَلْ كُلُّهُمْ طُرُقٌ مَخُوفَاتٌ بِهَا أَلْ

أَفَاتٌ حَاصِلَةٌ بِبَلَا حُسْبَانِ

فَالْوَقْفُ غَايَتُهُ وَآخِرُ أَمْرِهِ

مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مِنْهُ فِي الرَّحْمَنِ (١)

أَوْ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ

وَلِقَائِهِ وَقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

= فلم يُصِيبُوا الْحَقَّ، فَهَؤُلَاءِ أَيْضاً مَعْذُورُونَ وَلَهُمْ أَجْرٌ عَلَىٰ اجْتِهَادِهِمْ،
لَأَنَّ قَصْدَهُمُ الْحَقَّ، وَيُرْغَبُونَ فِي الْحَقِّ، وَمَا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ الْخَطَا لَيْسَ
عَنْ تَعَمُّدٍ وَلَا عَنْ قَصْدٍ لَهُ، فَهَؤُلَاءِ مَعْذُورُونَ لِجَهْلِهِمْ حَيْثُ أَخَذُوا طُرُقاً
لَا تَذْهَبُ بِهِمْ إِلَىٰ شَيْءٍ ظَنَّ مِنْهُمْ أَنَّهَا طَيِّبَةٌ.

(١) كُلٌّ مِنْ أَفْرَادِ هَذَا الصَّنْفِ مَتَحَيِّرٌ وَتَائِهٌ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَذْهَبُ.

وَآخِرُ أَمْرِهِمْ هُوَ التَّوَقُّفُ، لِأَنَّهُمْ بَحِثُوا وَلَمْ يَصِلُوا إِلَىٰ شَيْءٍ فَيَكُونَ
عِنْدَهُ تَوَقُّفٌ، لَكِنَّهُ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ مَعَ ذَلِكَ فَهُوَ يُقْرَأُ بِأَصُولِ الْإِيمَانِ، فَيُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدْرَ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ، وَلَكِنْ وَقَعَ
مَا وَقَعَ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ عَنْ جَهْلِ وَعَنْ عَدَمِ قُدْرَةِ عَلَىٰ الْبَحْثِ عَنِ الْحَقِّ
مَعَ بَدَلِهِ لَمَا يَسْتَطِيعُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَىٰ الْحَقِّ.

فأولاءٍ بينَ الذنْبِ والأجرَيْنِ أو
 إحداهُما أو واسعِ الغُفرانِ^(١)
 فانظُرْ إلى أحكامِنَا فيهِمْ وَقَدْ
 جَحَدُوا النُّصُوصَ وَمُقْتَضَى القُرْآنِ
 وانظُرْ إلى أحكامِهِمْ فينا لأَجْـ
 لِ خِلافِهِمْ إذ قَادَهُ الوَحْيَانِ
 هَلْ يَسْتَوِي الحُكْمَانِ عِنْدَ اللَّهِ أو
 عِنْدَ الرِّسُولِ وَعِنْدَ ذِي إِيْمَانٍ^(٢)

(١) من كان هذا شأنه فإنه إما أنه يؤجر أجرين إن أصاب الحق، أو يؤجر
 أجراً واحداً إن لم يُصب الحق لاجتهاده ونيته الطيبة، أو أن الله يغفر له
 فهو واسع المغفرة سبحانه وتعالى.

(٢) انظر إلى العدل الذي عند أهل الحديث وأهل السنة مع خصومهم،
 وأنهم لا يُكفرونهم في الجملة، وإنما يُفصلون وينظرون في أحوالهم،
 ويعطون كلاً حكمه من الكفر والضلال والفسق أو العذر لبعضهم، فهذا
 هو الحكم العادل الذي ليس مصدره التعصّب وإنما مصدره الكتاب
 والسنة، فهذا التقسيم الذي ذكره الشيخ في أصناف الناس مع الحق مبنيٌّ
 على الكتاب والسنة، فالناس مع الحق أقسام:

القسم الأول: من عرفوا الحق واتبعوه. هؤلاء أهل الإيمان الصحيح،
 وأهل السنة والجماعة.

القسم الثاني: من عرفوا الحق ولم يقبلوه فهؤلاء كفار، مثل دعاة
 أهل الضلال الذين تركوا الحق تكبراً وعناداً وبغياً وحسداً فهؤلاء كفار. =

الْكُفْرُ حَقُّ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ

بِالنَّصِّ يَثْبُتُ لَا بِقَوْلِ فُلَانٍ

مَنْ كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ

قَدْ كَفَّرَاهُ فَذَلِكَ ذُو الْكُفْرَانِ (١)

القسم الثالث: من لم يعرف الحق لكن عنده قدرة على البحث، ولم يبذل هذه القدرة، وأخذ إلى الراحة، فهذا فاسق بلا شك، وفي تكفيره قولان كما قال ابن القيم رحمه الله.

القسم الرابع: من جهل الحق ولم يكن عنده مقدرة على طلبه وفي قلبه إيمان، ويؤمن بأصول الإيمان كلها، ويريد الحق لو تبين له، ولكنه لم يتبين له، فهذا يؤجر إما أجرين أو أجراً واحداً أو يغفر الله له.

وأما حكمهم في أهل السنة فإنهم يُكفِّرون أهل السنة جملةً ولا يُفصِّلون، بل يفعلون كفعل الخوارج والجهمية والمعتزلة والروافض، وليس عندهم شبهة في تكفير أهل السنة إلا اتباع الوحي، وهم لا يريدون اتباع الوحي، بل يُريدون اتباعهم هم وشيوخهم، فلا يستوي حكم أهل السنة والجماعة على المخالفين وحكم المخالفين من أهل الضلال على أهل السنة والجماعة عند الله تعالى لأنَّ هذا عدلٌ وذاك جور.

(١) هذه هي القاعدة التي يجب الوقوف عندها وهي: أن التكفير حق لله ولرسوله، وهو حكم شرعي لا يجوز لأحد أن يدخل فيه إلا بدليل من كتاب الله تعالى أو من سنة رسوله ﷺ، فالواجب عدم إطلاق هذا الحكم إلا على مَنْ يستحقه، فمن ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام التي دلَّ عليها الكتاب والسنة فهو كافر؛ لأنَّ الله كفره، وكفره رسوله، وعبادته لا تصح منه لو تعبد الليل والنهار.

فَهَلُمْ وَيَحْكُمُ نُحَاكِمُكُمْ إِلَى
 النَّصِيحِينَ مِنْ وَحْيٍ وَمِنْ قُرْآنٍ
 وَهناك يُعَلِّمُ أَي حِزْبَيْنَا عَلَى الْ
 كُفْرَانٍ حَقّاً أَوْ عَلَى الْإِيمَانِ^(١)
 فَلِيَهْنِكُمْ تَكْفِيرُ مَنْ حَكَمْتَ بِإِسْ
 لَامٍ وَإِيمَانٍ لَهُ النَّصَّانِ^(٢)
 لَكِنَّ غَايَتَهُ كَغَايَةِ مَنْ سِوَى الْ
 مَعْصُومِ غَايَةِ نَوْعٍ ذَا الْإِحْسَانِ^(٣)
 خَطَأً يُصِيرُ الْأَجْرَ أَجْرًا وَاحِدًا
 إِنْ فَاتَهُ مِنْ أَجْلِهِ الْكِفْلَانِ^(٤)

(١) يقول لهم: ندعوكم إلى التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فمن حكما له بالإيمان فهو مؤمن، ومن حكما له بالكفر فهو كافر.

(٢) التهنية هذه من باب التهديد مثل قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] فليس العذاب الأليم مما يبشر به لكن هذا من باب التهكم بهم وتحقيرهم، يقول: ليهنكم تكفير أهل السنة والجماعة وما يترتب عليه عند الله تعالى من العقوبة العاجلة والآجلة.

(٣) من حَكَمَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ بِإِسْلَامِهِ فَهُوَ مُسْلِمٌ لَكِنَّهُ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ، وَإِنَّمَا الْعِصْمَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ، فَالْإِنْسَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ اتَّقَى النَّاسَ فَهُوَ مُحَلٌّ الْخَطَأَ وَالتَّقْصِيرَ.

(٤) العلماء إذا اجتهدوا في طلب الحق ووقفوا إليه فلهم أجران، وإذا اجتهدوا في طلبه وأخطؤوا فلهم أجرٌ واحد على الاجتهاد، فأخطاء الأئمة في =

إِنَّ كَانَ ذَاكَ مُكْفَرًا يَا أُمَّةَ آلِ
 عُدْوَانٍ مَن هَذَا عَلَى الْإِيمَانِ
 قَدْ دَارَ بَيْنَ الْأَجْرِ وَالْأَجْرَيْنِ وَالتَّ
 تَكْفِيرِ بِالِدَّعْوَى بِلا بُرْهَانِ
 كَفَرْتُمْ وَاللَّهِ مَن شَهِدَ الرَّسُولَ
 لُ بِأَنَّهُ حَقًّا عَلَى الْإِيمَانِ
 ثِنْتَانِ مِّن قَبْلِ الرَّسُولِ وَخَصَلَةٌ
 مِّن عِنْدِكُمْ أَفَأَنْتُمْ عِدْلَانِ (١)

* * *

= مسائل العلم والفقہ لهم فيها أجر، وصوابهم في المسائل لهم فيه أجران، فهم لا يعدوهم الأجر.

(١) أنتم شهدتم على الصحابة بالكفر، والرسول ﷺ شهد لهم بالإيمان، فهذه شهادتان فأَيُّهما على الحق؟ فلا أحد يقول: إنَّ شهادتكم مُقَدِّمَةٌ على شهادة الله وشهادة الرسول ﷺ، فشهادتكم شهادة زور، والحاصل أنَّ هذا الفصل فصلٌ عظيم، يجب تكراره والتأمل فيه وتدبره لأنَّ الحاجة ماسةٌ إليه سيِّمًا في هذا الوقت.

فصل

في تلاعب المُكفِّرين لأهل السنة والإيمان
بالدين كتلاعب الصبيان^(١)

كَمْ ذَا التَّلَاعِبُ مِنْكُمْ بِالذِّينِ وَالْ
إِيمَانِ مِثْلَ تَلَاعِبِ الصَّبِيَانِ
خُسِفَتْ قُلُوبُكُمْ كَمَا خُسِفَتْ عُقُوبُ
لَكُمْ فَلَا تَزْكُوا عَلَى الْقُرْآنِ^(٢)

(١) إنَّ المخالفين لأهل السنة والجماعة يتلاعبون بالدين وبأهل الدين كتلاعب الصبيان، فهم لا يعملون بالدين كما أوجب الله سبحانه وتعالى اعتقاداً وعملاً، ويتنقَّصون أهل الدين ويسخرون منهم لتمسكهم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وهذا لا شك أنَّه أشدُّ أنواع التلاعب المذكور في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الأنعام: ٧٠] ويتلاعبون بالنصوص والأدلة ويحرِّفونها حتى توافق أهواءهم، ولا يخافون الله تعالى، فهذه صفتهم وموقفهم من كتاب الله تعالى وأهل الإيمان، وإن كانوا يتسمون بالنُّظار وأنهم أهل عقل وبراهين عقلية، فهم في الواقع ليسوا من العقل في شيء، لأنَّ العقل الصريح لا يُخالف النقل الصحيح، فهم ليسوا مع الكتاب ولا مع العقول فضيعوا الجميع.

(٢) الخسوف والكسوف: ذهاب ضوء أحد النِّيرين وهما الشمس والقمر أو بعضه، فهم كذلك عقولهم خُسفت، أي: ذهب ضوؤها وذهب نورها وأصبحت في ظُلْمة بسبب إعراضهم عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فأظلمت عقولهم وأصبحت مكسوفة أو مخسوفة لا ضوء فيها.

كَمْ ذَا تَقُولُوا مُجْمَلٌ وَمُفَصَّلٌ

وظواهرٌ عَزَلَتْ عَنِ الْإِقْيَانِ^(١)

حَتَّى إِذَا رَأَى الرَّجَالَ أَتَاكُمْ

فَاسْمَعْ لِمَا يُوحَىٰ بِهَا بُرْهَانَ^(٢)

مِثْلَ الْخَفَافِيشِ الَّتِي إِذَا جَاءَهَا

ضَوْءُ النَّهَارِ فِيهِ كَوَىٰ الْحَيْطَانَ^(٣)

عَمِيَتْ عَنِ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ لَا تُطِئُ

سُقًّ هِدَايَةً فِيهَا إِلَى الطَّيْرَانِ

حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ ظَلَامُهُ

جَاءَتْ بِظُلْمَتِهِ بِكُلِّ مَكَانٍ

(١) هذا رأيهم في نصوص الكتاب والسنة قالوا: إنها لا تفيد اليقين ولا العلم،

لأنها مُجْمَلَاتٌ وَمُطْلَقَاتٌ وظواهر، فلا يُسْتَفَادُ مِنْهَا الْيَقِينَ، وإنما اليقين يُسْتَفَادُ مِنْ قَوَاعِدِ الْمَنْطِقِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ لِأَنَّهُ هُوَ الْبُرَاهِينِ الْقَطْعِيَّةِ عِنْدَهُمْ.

(٢) وَأَمَّا آرَاءُ الرَّجَالَ فَهِيَ عِنْدَكُمْ الْحَقُّ، فَتُقَدِّمُونَ آرَاءَ الرَّجَالَ وَالشُّيُوخِ لِأَنَّهَا هِيَ الْيَقِينَ عِنْدَكُمْ.

(٣) الْخَفَافِيشُ: جَمْعُ خَفَّاشٍ وَهُوَ حَيْوَانٌ مَعْرُوفٌ وَيُسَمَّى الْوَطُوطَ، وَهُوَ

الَّذِي يَطِيرُ فِي اللَّيْلِ لِأَنَّهُ فِي النَّهَارِ لَا يَرَى، فَهُوَ يَأْوِي إِلَى الْجُحُورِ وَيَبْقَى فِيهَا إِلَى اللَّيْلِ ثُمَّ يَخْرُجُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ بِالْخَفَّاشِ لِصِغَرِ عَيْنَيْهِ وَضَعْفِ

بَصَرِهِ، وَالْأَخْفَشُ: ضَعِيفُ الْبَصَرِ. فَهَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ لَهُمْ: وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا

جَاءَتْ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَا يُبْصِرُونَ، أَمَا إِذَا جَاءَتْ عُقُولُ الرَّجَالَ وَأَفْكَارُهُمْ فَهُوَ يُبْصِرُونَ وَيَسْتَدْلُونَ بِهَا فَهَذَا مِثْلُ مُطَابِقِ لِحَالِهِمْ.

فَتَرَى الْمُوَحَّدَ حِينَ يَسْمَعُ قَوْلَهُمْ
 وَيَرَاهُمْ فِي مِحْنَةٍ وَهَوَانٍ
 وَارْحَمَتَاهُ لِعَيْنَيْهِ وَالْأُذُنَ
 يَا مِحْنَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأُذُنَانِ
 إِنَّ قَالَ حَقًّا كَفَرُوهُ وَإِنْ يَقُو
 لُوا بَاطِلًا نَسَبُوهُ لِلإِيمَانِ^(١)
 حَتَّى إِذَا مَا رَدَّهُ عَادُوهُ مِثْ
 لَ عَادَاةِ الشَّيْطَانِ لِلإِنْسَانِ^(٢)

- (١) فالموحد الذي يتبع الكتاب والسنة يكون معهم في محنة، ماذا يعمل معهم؟ لا يقبلون الحق، بل يُريدونه أن يأتي معهم إلى الضلال، وهو يريدهم أن يأتوا معه إلى الحق، فلا يسمع ولا يرى إلا باطلاً منهم، فهو ممتحن بينهم، فإن قال: قال الله وقال رسوله كَفَرُوهُ، لأنه يقول: الله في السماء ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وإذا أثبت الوجه واليدين، قالوا: هذا مُجَسَّم فهو كافر. وإذا جاءت الأقوال الباطلة فإنهم يقولون: هذا هو الإيمان وهذه هي العقيدة الصحيحة، ولذلك يسمون كتبهم التي هي علم الكلام والجدل كتب التوحيد، وأما أدلة الكتاب والسنة فلا يُسمونها علم التوحيد، فعندهم علم التوحيد هو الجدل، وكلها عقليات وليس فيها نصرٌ لا من الكتاب ولا من السنة، ولذا يقول الرازي في تفسيره: ولمحمد ابن خزيمة كتاب يُسميه «كتابُ التوحيد» وهو في الحقيقة كتاب الشرك.
- (٢) إذا لم يقبل الموحد آراء شيوخهم عَادُوهُ، مثل عداوة الشيطان للإنسان، فهي عداوة عميقة لا لشيء إلا لأنَّ الموحد يتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ولا يعدل بهما شيئاً.

قالوا له خالفت أقوال الشُّيو

خ ولم يبالوا الخلف للفرقان^(١)

خالفت أقوال الشيوخ فأنتم

خالفتُم من جاء بالقرآن^(٢)

خالفتُم قول الرُّسول وإنما

خالفت من جرَّاه قول فلان

يا حبَّذا ذلك الخِلافُ فإنَّه

عَيْنُ الوِفاقِ لِطاعةِ الرَّحْمَنِ^(٣)

أو ما علّمت بأن أعداء الرُّسو

ل عليه عابوا الخلف بالبهتان

لشيوخهم ولما عليه قد مضى

أسلافهم في سالف الأزمان

(١) يغارون لأقوال الشيوخ مع أن الواجب أن أقوال الشيوخ تُعرض على

الكتاب والسنة فما كان منها صواباً فإنه يُقبل، وما كان منها من خطأ فإنه

يُردّ، وهم عندهم العكس، يُقدّمون أقوال الشيوخ على الكتاب والسنة.

(٢) نحن مخالفون وأنتم مخالفون فأئّي الخلفين حق، نحن خالفنا أهل

الضلال ووافقنا أهل القرآن، وأنتم بالعكس، وافقتم أهل الضلال

وخالفتم أهل القرآن، فأئّي الخلفين أولى بالحق؟ لا شك أنّ الأولى

بالحق مخالفة أهل السنة والجماعة للقول الباطل.

(٣) هذا هو الحق فمن خالف الباطل ووافق الحق فنعم المخالف.

ما العيبُ إلا في خلافِ النَّصِّ لا
 رأيِ الرجالِ وفكرةِ الأذهانِ^(١)
 أنتم تُعيبوننا بهذا وهو من
 تَوْفِيقِنَا والفضلُ للمَنَانِ^(٢)
 فليهنِكُمْ خُلفُ النُّصوصِ ويهِننا
 خُلفُ الشيوخِ أيستوي الخُلفانِ^(٣)
 والله ما تَسوي عقولُ جميعِ أهـ
 لِ الأَرْضِ نَصّاً صَحّاً ذا تَبَيَانِ
 حتّى نُقَدِّمَهَا عليه مُعْرِضِ
 يِنَ مُؤَوَّلِينَ مُحَرِّفِي الْقُرْآنِ^(٤)

(١) العيب في مخالفة النصوص، وأما مخالفة الرجال فليست عيباً بل هي الكمال.

(٢) تعيبون علينا التمسك بالكتاب والسنة وهذا من توفيق الله لنا وله الفضل والمِنَّة حيث هدانا لذلك.

(٣) هذا من باب السخرية بهم، يقول: فليهنكم مخالفة النصوص إن كان في هذا تهنة، ولكن الواقع أنَّ هذا ليس من باب التهنة بل من باب السخرية بهم، مثل قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] فالبشارة تكون للخير ولكنها هنا من باب التهكم بهم، وليهن أهل السنة مخالفة آراء الرجال واتباع الكتاب والسنة، وهذه تهنة حقيقية.

(٤) جميع آراء النَّاسِ من أول الخلق إلى آخرهم لا تُعادل نصّاً واحداً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتّى نُحَرِّفَهُ من أجلها.

والله إِنَّ النَّصَّ فيما بيننا

لأَجَلٍ مِنْ آراءٍ كُلِّ فلانٍ^(١)

والله لَم يَنْقِمِ علينا مِنْكُمْ

أبداً خِلافَ النَّصِّ مِنْ إنسانٍ

لكنْ خِلافَ الأشعريِّ بِزَعْمِكُمْ

وَكَذَبْتُمْ أَنْتُمْ على الإنسانِ^(٢)

كَفَرْتُمْ مَنْ قالَ ما قَدْ قالَهُ

في كُتُبِهِ حَقّاً بلا كِتْمَانٍ

(١) النصُّ أجلُّ عند أهل الحق من جميع الآراء فهدفهم الحق.

(٢) يخاطب الأشاعرة الذين ينتسبون إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وكان في أول أمره معتزلياً؛ لأنّه تتلمذ على أبي علي الجُبائي، وأخذ عنه علم الاعتزال، وعاش على الاعتزال ثمَّ إنَّ الله هداهُ وأدرك أن الاعتزال باطل، فقام أمام النَّاس يوم الجمعة وأعلن رجوعه عن مذهب الاعتزال وقال: «إني خلعت مذهب المعتزلة كما خلعت ثوبي هذا» ثمَّ خلع ثوبه أمامهم وتبرأ منهم، ثمَّ آل أمره إلى الأخذ بقول أهل السنة خصوصاً الإمام أحمد في كثير من الصفات كما صرَّح بذلك في كتابه: «مقالات الإسلاميين» وفي كتابه «الإبانة عن أصول الديانة» والذين ينتسبون إليه اليوم ما رجعوا كما رجع، وكذبوا عليه حيث يسمُّون أنفسهم أشاعرة، فهم بقوا على مذهبه الأول، ويتسبون إليه اليوم زوراً وبُهتاناً وإلا فهم كلابية.

هذا وخالفناه في القرآن مث

لَ خَلَا فِكُمْ فِي الْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ (١)

فالأشعريُّ مصرحٌ بالاستوا

ءِ وَبِالْعُلُوِّ بِغَايَةِ التَّبْيَانِ (٢)

وَمُصَرِّحٌ أَيْضاً بِإِثْبَاتِ الْيَدَيْ

نِ وَوَجْهِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي السُّلْطَانِ

وَمُصَرِّحٌ أَيْضاً بِأَنَّ لِرَبَّنَا

سُبْحَانَهُ عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ (٣)

وَمُصَرِّحٌ أَيْضاً بِإِثْبَاتِ التُّزُؤِ

لِ لِرَبَّنَا نَحْوَ الرَّفِيعِ الدَّانِي (٤)

(١) وبقيت عند الأشعري مسألة لم يرجع عنها، وهي مسألة القول بكلام الله، لأنه يقول: إنَّ كلام الله عبارة عن المعنى النفسي القائم بذات الله، وليس هو بحرفٍ ولا صوت، ولم يرجع عن ذلك وهذا كلامٌ باطل، فنحن خالفناه في هذا القول، وقبلنا منه قول الحق في غيره، وهذا هو الواجب في أقوال العلماء، أنَّها تُعرض على الكتاب والسنة فما كان فيها من حقٍّ قُبِلَ، وما كان فيها من باطلٍ رُدَّ ولم يُقبَل.

(٢) صرَّح برجوعه في كتابين من كتبه وهما «مقالات الإسلاميين» و«الإبانة» وهما مطبوعان ومُتداولان.

(٣) وأيضاً: يُثبت العينين لله جلَّ وعلا.

(٤) كما في الحديث: «ينزل ربُّنا إلى السماء الدنيا» (*).

ومصرحٌ أيضاً بإثبات الأصا

بعِ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ ذُو الْبُرْهَانِ (١)

ومصرحٌ أيضاً بأنَّ اللهَ يَوُ

مَ الْحَشْرِ يُبْصِرُهُ أَوْلُو الْإِيمَانِ (٢)

جَهْرًا يَرَوْنَ اللهَ فَوْقَ سَمَائِهِ

رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ

ومصرحٌ أيضاً بإثباتِ المِجِي

ءِ وَأَنَّهُ يَأْتِي بِلَا نَكْرَانِ (٣)

وَمُصْرَحٌ بِفَسَادِ قَوْلِ مُؤَوِّلٍ

لِلْإِسْتِوَاءِ بِقَهْرِ ذِي سُلْطَانِ (٤)

(١) إثبات الأصابع لله تعالى حق كما في الحديث: «إن الله يجعل السماوات

على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع وسائر الخلق على

أصبع ثم يهزهنّ ويقول: أنا الملك أين الجبارون» (*).

(٢) يُثَبِّت أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ الرَّوْيَةَ لِهَذَا تَعَالَى كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّنَةِ، وَأَنَّ

الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ.

(٣) يُثَبِّت أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ أَنَّ اللَّهَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ ﴿وَجَاءَ

رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾ [الفجر: ٢٢]، وَقَالَ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ

فِي ظُلُمٍ مِّنَ الْفُجَاءِ﴾ [البقرة: ٢١٠].

(٤) يَنْكَرُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ تَفْسِيرَ الْإِسْتِوَاءِ بِالْإِسْتِيْلَاءِ وَيَقُولُ: الْإِسْتِوَاءُ

حَقِيقِي كَمَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومصرحٌ أَنَّ الأُولَى قالوا بذا التُّ
تَأويلِ أَهْلِ ضَلَالَةٍ بَيَانٍ^(١)
ومصرحٌ أَنَّ الَّذِي قَد قَالَهُ
أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسَكَرُ الْقُرْآنِ
هُوَ قَوْلُهُ يَلْقَى عَلَيْهِ رَبَّهُ
وَبِهِ يَدِينُ اللهُ كُلَّ أَوَانٍ^(٢)
لَكِنَّهُ قَدْ قَالَ إِنَّ كَلَامَهُ
مَعْنَى يَقُومُ بِرَبَّنَا الرَّحْمَنِ
فِي الْقَوْلِ خَالَفْنَاهُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ
فِي الْفَوْقِ وَالْأَوْصَافِ لِلدِّيَانِ^(٣)
لِمَ كَانَ نَفْسُ خِلَافِنَا كُفْرًا وَكَانَ
نَ خِلَافُكُمْ هُوَ مُقْتَضَى الْإِيمَانِ^(٤)

(١) صرح أبو الحسن بأن الذين قالوا: إنَّ الاستواء بمعنى الاستيلاء أنَّهم أهل ضلال وأهل باطل .

(٢) صرَّح كذلك بأنَّه يقول بقول الإمام أحمد في هذه المسائل، وأنَّه يلقى ربه يوم القيامة بذلك .

(٣) هذه التي أخذت على أبي الحسن الأشعري ونرجو أن الله يغفر له، وهذا غلط؛ لأنَّ كلام الله حقيقي يُسمع بحرف وصوت، سمعه جبريل وبلغه لرسول الله ﷺ نحن خالفناه في هذه المسألة. وأنتم خالفتموه في مسألة العلو ومسائل الصفات .

(٤) لماذا كان خِلافنا لأبي الحسن الأشعري في مسألة الكلام كُفْرًا، وخِلافكم له في كثيرٍ من مسائل الحق لا يكون كُفْرًا فهل هذا إلا هوى؟

هذا وخالفتم لنص حين خا

لَفُنَّا لِرَآئِ الْجَهْمِ ذِي الْبُهْتَانِ (١)

والله ما لكم جواب غير تك

فِيرِ بِلَا عِلْمٍ وَلَا إِيقَانٍ (٢)

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لَكُمْ جَوَا

بٌ غَيْرُ ذَا الشَّكْوَى إِلَى السُّلْطَانِ (٣)

فَهُوَ الْجَوَابُ لَدَيْكُمْ وَلَنَحْنُ مُنْذ

تَظَرُّوهُ مِنْكُمْ يَا أَوْلِي الْبُرْهَانِ

والله لا لأشعري تبعتم

كَلًّا وَلَا لِلنَّصِّ بِالْإِحْسَانِ (٤)

(١) نحنُ خالفنا الآراء الباطلة كراي الجهم بن صفوان وغيره من أهل الضلال

وأنتم تُخالفون النصوص، فأئي الخلافيين هو الحق؟ الحق أن خلاف آراء الرجال الضالين هو الحق وأن خلاف النصوص القرآنية هو الباطل.

(٢) لما سألهُم: أيُّنا أشدُّ خلافاً لأبي الحسن الأشعري، خلافاً أو خلافاً لكم؟

وأيهما أولى أن يُسمَّى كُفْراً أو ضلالاً خلافاً للقرآن أو خلافاً لأبي

الحسن الأشعري لم يستطيعوا الجواب.

(٣) ما عندكم جواب إلا أنكم لما عجزتم عن الحق شكيتمونا إلى السلطان،

حيث فعلوا هذا مع شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا هو دأب أهل الباطل

في كلِّ زمانٍ ومكان استعمال القوة لردِّ الحق ونصرة الباطل، وذلك

بالشكوى إلى السلاطين.

(٤) أنتم تسمون أنفسكم الأشاعرة وأنتم تُخالفون الأشعري فهذه النسبة باطلة.

يا قومُ فانتبهوا لأنفسِكُمْ وخَلِّدُوا
لُوا الجَهْلَ والدَّعْوَى بلا بُرْهانٍ^(١)
ما في الرِّياسَةِ بالجهالةِ غيرُ ضَحٍّ
كَعِةِ عاقلٍ منكمُ مدَى الأَزمانِ^(٢)
لا تَرْتَضُوا برياسةِ البَقَرِ التي
رُؤساؤها مِن جَملةِ الثيرانِ^(٣)

* * *

-
- (١) هذه نصيحة لهم بعد أن بيّن لهم بطلان ما هم عليه من الاعتقاد بأن يتركوا العصبية وطلب الجاه وحب الرئاسة.
- (٢) لا تتركوا الحق من أجل تحصيل الرئاسة والملك والوظيفة؛ لأن هذا يضحك العقلاء عليكم.
- (٣) أنتم تترأسون على أناس مثل البقر ضلالاً وجُهاً لا يعرفون الحق، فأنتم مثل الثيران التي تترأس على البقر وبست الرئاسة.

فصل

في أن أهل الحديث هم أنصارُ رسول الله ﷺ وخاصته،

ولا يُبغض الأنصار رجلٌ يؤمن بالله واليوم الآخر^(١)

يا مُبغضاً أهلَ الحديثِ وشاتِماً

أَبَشِرُ بِعَقْدِ وَايَةِ الشَّيْطَانِ

أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَتَهُمْ أَنْصَارُ دِي

— مِنَ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أَنْصَارَ الرَّسُولِ

لِي هُمْ بِلَا شَكٍّ وَلَا نَكْرَانٍ^(٢)

(١) الأنصار: في الأصل هم الأوس والخزرج وسموا بذلك لنصرتهم لرسول الله ﷺ، فصار لهم فضلٌ في ذلك إلى يوم القيامة، حيث أثنى عليهم تعالى في القرآن فقال تعالى: ﴿وَالسَّيْفُوتِ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ...﴾ [التوبة: ١٠٠]. وقد قال ﷺ في الأنصار: «لا يُبغضهم إلا مُنافق»^(*)، ويطلق لقب الأنصار أيضاً على أنصار الحديث هم أنصار رسول الله إلى يوم القيامة، ومن يبغضهم فهو كمن يبغض أنصار الرسول من الأوس والخزرج.

(٢) ليس لفظ الأنصار خاصاً بالأوس والخزرج بل هو عامٌ لكل من نصر سنة رسول الله في كلِّ وقت.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٥٩/٣٠ (١٨٥٠٠)، والبخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥)، وابن ماجه (١٦٣)، والترمذي (٣٩٠٠) من حديث البراء بن عازب، وانظر «جامع الأصول» لابن الأثير ٩/١٦٠ الفصل الرابع في فضائل الأنصار.

هَلْ يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ
 أَوْ مُدْرِكٌ لِرَوَائِحِ الْإِيمَانِ^(١)
 شَهِدَ الرَّسُولُ بِذَلِكَ وَهِيَ شَهَادَةٌ
 مِنْ أَصْدَقِ الثَّقَلَيْنِ بِالْبُرْهَانِ
 أَوْ مَا عَلِمْتَ بَأَنَّ خَزَرَجَ دِينِهِ
 وَالْأَوْسَ هُمْ أَبْدَأُ بِكُلِّ زَمَانٍ^(٢)
 مَا ذَنَبُهُمْ إِذْ خَالَفُوا لِقَوْلِهِ
 مَا خَالَفُوهُ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانٍ^(٣)
 لَوْ وَاوَّفَقُوا وَخَالَفُوهُ كُنْتَ تَشْ
 هَدُ أَنْهُمْ حَقًّا أَوْلُوا الْإِيمَانَ^(٤)

(١) كما جاءت في الحديث: «لا يُحِبُّ الْأَنْصَارَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ»^(*).

(٢) فهم الأنصار في كُلِّ زَمَانٍ، ليس هذا خاصاً بالأنصار الذين في زمن النبي ﷺ.

(٣) لا يُخَالَفُونَ النَّاسَ مِنْ أَجْلِ قَوْلِ فُلَانٍ، وَإِنَّمَا يُخَالَفُونَ مِنْ أَجْلِ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ فلا يعدله عندهم شيء، فهو لاء هم أنصاره في كل زمان ومكان.

(٤) لو خالفوا الرسول ﷺ ووافقوا أيها الضال لشهدت لهم بالإيمان، ولكن لما خالفوا ووافقوا الرسول شهدت عليهم بالكفر؛ لأنك منافق تظهر الإسلام وتُبطن الكفر.

(*) انظر تخريج الحديث السابق، حديث البراء بن عازب.

لَمَّا تَحَيَّرْتُمْ إِلَى الْأَشْيَاخِ وَأَنْ
حَازُوا إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
نَسَبُوا إِلَيْهِ دُونَ كُلِّ مَقَالَةٍ
أَوْ حَالَةٍ أَوْ قَائِلٍ وَمَكَانٍ
هَذَا انْتِسَابُ أَوْلِي التَّفَرُّقِ نِسْبَةً
مِنْ أَرْبَعِ مَعْلُومَةِ التَّبَيَّنِ (١)
فَلِذَا غَضِبْتُمْ حِينَمَا انْتَسَبُوا إِلَى
خَبَرِ الرَّسُولِ بِنِسْبَةِ الْإِحْسَانِ
فَوَضَعْتُمْ لَهُمْ مِنَ الْأَلْقَابِ مَا
تَسْتَقْبِحُونَ وَذَا مِنَ الْعُدْوَانِ
هُمْ يُشْهِدُونَكُمْ عَلَى بَطْلَانِهَا
أَفْتَشْهِدُونَهُمْ عَلَى الْبُطْلَانِ

(١) لم ينتسبوا إلى مقالة كمقالة الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، ولم ينتسبوا إلى قائل مثل الجهم بن صفوان، وأبي الهذيل العلاف والنظام، ولم ينتسبوا إلى الطرق الصوفية والأحوال ولم ينتسبوا إلى قادة التصوف كالنقشبندي والرفاعي ولم ينتسبوا إلى مكان مثل: عراقي ونجدي وحجازي فهذه نسبة إلى مكان، فأهل الحق لا ينتسبون لهذه الأشياء بل للرسول ﷺ، فالأحوال التي ينتسب إليها أربع:

الأولى: المقالة. الثانية: الحال.
الثالثة: القائل. الرابعة: المكان.

مَا ضَرَّهُمْ وَاللَّهِ بُغْضُكُمْ لَهُمْ
 إِذْ وَاقْفُوا حَقًّا رَضَا الرَّحْمَنِ
 يَا مَنْ يُعَادِيهِمْ لِأَجْلِ مَآكِلٍ
 وَمَنَاصِبٍ وَرِيَّاسَةِ الْإِخْوَانِ
 تَهْنِيكَ هَاتِيكَ الْعِدَاوَةَ كَمْ بِهَا
 مِنْ حَسْرَةٍ وَمَذَلَّةٍ وَهَوَانٍ^(١)
 وَلَسَوْفَ تَجْنِي غِبَّهَا وَاللَّهُ عَنُ
 قُرْبٍ وَتَذَكُرُ صِدْقَ ذِي الْإِيمَانِ^(٢)
 فَإِذَا تَقَطَّعَتِ الْوَسَائِلُ وَانْتَهَتْ
 تِلْكَ الْمَآكِلُ فِي سَرِيعِ زَمَانٍ
 فَهَنَّاكَ تَقَرُّعُ سِنَّ نَدْمَانٍ عَلَى التَّ
 تَقْرِيطِ وَقْتِ السَّيْرِ وَالْإِمْكَانِ
 وَهَنَّاكَ تَعْلَمُ مَا بِضَاعَتِكَ الَّتِي
 حَصَلَتْهَا فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

(١) يا من يعادي أهل الحق لأجل مطامع الدنيا وهو يعرف أنهم على حق، وإنما عاداهم لأجل المنصب، فهذا ممن آثر الدنيا على الآخرة، وهي لذة عاجلة لكن تعقبها حسرة دائمة والعياذ بالله.

(٢) قال تعالى: ﴿ فَسَتَذَكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفِوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ

إِلَّا الْوَبَالَ عَلَيْكَ وَالْحَسْرَاتُ وَالْ
 خُسْرَانُ عِنْدَ الْوَضْعِ فِي الْمِيزَانِ
 قِيلٌ وَقَالَ مَا لَهُ مِنْ حَاصِلٍ
 إِلَّا الْعِنَاءُ وَكُلُّ ذِي الْأَذْهَانِ
 وَاللَّهُ مَا يُجْدِي عَلَيْكَ هُنَاكَ إِلٍ
 لَا ذَا الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْوَحْيَانِ
 وَاللَّهُ مَا يُنْجِيكَ مِنْ سَجَنِ الْجَحِيمِ
 مِ سِوَى الْحَدِيثِ وَمُحَكَّمِ الْقُرْآنِ
 وَاللَّهُ لَيْسَ النَّاسُ إِلَّا أَهْلُهُ
 وَسِوَاهُمْ مِنْ جَمَلَةِ الْحَيَوَانِ (١)
 وَلَسَوْفَ تَذْكُرُ بَرَّ ذِي الْإِيمَانِ عَن
 قُرْبٍ وَتَقْرَعُ نَاجِدَ النَّدْمَانِ
 رَفَعُوا بِهِ رَأْسًا وَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ
 أَهْلُ الْكَلَامِ وَمَنْطِقِ الْيُونَانِ (٢)

(١) نصحهم رحمة الله نصيحةً بليغة، فقال: لا ينقذك من النار إلا اتباع الحديث ومُحَكَّمِ الْقُرْآنِ، وأما غيرُهُما فلا يُنْجِيكَ من عذاب الله إذا وقعت فيه، فالناس الذين يعتد بهم هم من يتمسك بالقرآن والسنة، وأما غيرهم فهم شرٌّ من الحيوان بسبب أنهم آثروا الباطل على الحق، وآثروا الدنيا على الآخرة.

(٢) أهل الحق رفعوا بقول الرسول رؤوسهم، وأما أهل منطق اليونان فلم يرفعوا بالقرآن والسنة رأساً، وقالوا: هذه أدلة وظواهر ظنية لا تُفيد اليقين.

فهم كما قال الرسولُ مُمَثَّلًا
 بِالماءِ مَهْبِطُهُ عَلَى القِيعَانِ^(١)
 لا المَاءُ تُمَسِّكُهُ وَلَا كَلًّا بِهَا
 يَرْعَاهُ ذُو كَبِدٍ مِنَ الحَيَوَانِ
 هَذَا إِذَا لَمْ يَحْرِقِ الزَّرْعَ الَّذِي
 بِجَوَارِهَا بِالنَّارِ أَوْ بِدُخَانِ
 وَالجَاهِلُونَ بِذَا وَهَذَا هُمْ زَوَا
 نُ الزَّرْعِ إِي وَاللَّهِ شَرُّ زَوَانِ
 وَهُمْ لَدَى غَرَسِ الإِلَهِ كَمِثْلِ غَرِ
 سِ الدُّلْبِ بَيْنَ مَغَارِسِ الرُّمَّانِ
 يَمْتَصُّ مَاءَ الزَّرْعِ مَعَ تَضْيِيقِهِ
 أَبَدًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ ذَا قِنْوَانِ

(١) يشير في هذا البيت إلى الحديث الصحيح: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرَبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تَمْسِكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلًّا. فَذَلِكَ مِثْلٌ مِنْ فِقْهِ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ اللَّهُ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ. وَمِثْلٌ مِنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلْتُ بِهِ»^(*).

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٢٤٣/٣٢ (١٩٥٧٣)، والبخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

ذَا حَالَهُمْ مَعَ حَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَذْ

صَارَ الرَّسُولِ فَوَارِسِ الْإِيمَانِ^(١)

فَعَلِيهِ مِنْ قَبْلِ الْإِلَهِ تَحِيَّةٌ

وَاللَّهُ يُبْقِيهِ مَدَى الْأَزْمَانِ

لَوْلَاهُ مَا سُقِيَ الْغِرَاسُ فَسَوْقُ ذَا

كَ الْمَاءِ لِلدُّلْبِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

فَالْغَرَسُ دُلْبٌ كُلُّهُ وَهُوَ الَّذِي

يُسْقَى وَيُحْفَظُ عِنْدَ أَهْلِ زَمَانِ

فَالْغَرَسُ فِي تِلْكَ الْحَضَارَةِ شَارِبٌ

فَضَلَ الْمِيَاهِ مَصَارُهُ الْبُسْتَانَ

لَكِنَّمَا الْبُلُوى مِنَ الْحَطَّابِ قَطٌ

طَاعَ الْغِرَاسِ وَعَاقِرِ الْحَيْطَانِ

بِالْفُوسِ يَضْرِبُ فِي أَصُولِ الْغَرَسِ كَيْ

يَجْتَنِّهَا وَيُظَنُّ ذَا إِحْسَانِ

وَيَظَلُّ يَخْلِفَ كَاذِبًا لَمْ أَعْتَمِدْ

فِي ذَا سِوَى التَّشْيِيتِ لِلْعِيدَانِ

يَا خَيْبَةَ الْبُسْتَانِ مِنْ حَطَّابِهِ

مَا بَعْدَ ذَا الْحَطَّابِ مِنْ بُسْتَانِ

(١) هذا حال أهل الضلال مع أهل الإيمان أنصار الرسول وفوارس الإيمان.

فِي قَلْبِهِ غِلٌّ عَلَى الْبُسْتَانِ فَهْوَ
 وَمُوكَّلٌ بِالْقَطْعِ كُلِّ أَوَانِ
 فَالْجَاهِلُونَ شِرَارُ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْ
 عُلَمَاءُ سَادَتُهُمْ أَوْلُو الْإِحْسَانِ
 وَالْجَاهِلُونَ خِيَارُ أَحْزَابِ الضَّلَا
 لِ وَشِيعَةِ الْكُفْرَانِ وَالشَّيْطَانِ
 وَشِرَارُهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ هُمْ شَرُّ خَلْدِ
 قِي اللَّهِ آفَةٌ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

* * *

فصل

في تعيين الهجرة من الآراء والبدع إلى سنته

كما كانت فرضاً من الأمصار

إلى بلدته عليه السلام^(١)

(١) الهجرة في اللغة: مأخوذة من الهجر وهو الترك، يُقال: هَجَرَ الشيء إذا

تركه قال تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥] فالرجز: الأصنام،

وهَجَرُها: تركها، ومنه: الكلام الهَجْر: وهو القبيح، سُمي هَجْرًا: لأنَّه

مهجور ومتروك، وسميت الهجرة هجرةً لأنَّ المُنتقل عنه يكون متروكاً.

والهجرة في الشرع على نوعين:

النوع الأول: هجرة للأبدان.

النوع الثاني: هجرة للقلوب، فهجرة الأبدان: هي الانتقال من بلد

الكفر إلى بلد الإسلام فراراً بالدين. وهذه هي التي جاء ذكرها في القرآن

وأثنى الله على أهلها، حيث أثنى على المهاجرين الذي تركوا ديارهم

وأموالهم فراراً بالدين، ومن ذلك الانتقال من بلد فيه كفرٌ وشرٌّ وضلال

إلى بلدٍ أقلَّ منه شرّاً، ولو كان هذا البلد بلد كفر، كما هاجر الصحابة

إلى الحبشة الهجرة الأولى، فالحبشة بلاد كفر ولكن المسلمين يأمنون

على دينهم فيها عند ملكها النجاشي، حيث كان رجلاً عادلاً لا يُظلم أحدٌ

عنده، وكان نصرانياً، فأمر رسول الله أصحابه بالهجرة للحبشة خشيةً

عليهم من أذى كفار قريش.

والهجرة من بلدٍ إلى بلدٍ فراراً بالدين باقية إلى قيام الساعة كما قال

النبي ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى =

= تطلع الشمس من مغربها»(*) وقد توعدَّ الله من تركوا الهجرة وهم يقدرون عليها مع أنهم لا يأمنون على دينهم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَنُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ... ﴿الآية [النساء: ٩٧-٩٨]﴾.

وأما قوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونيةٌ»(**) فهذا في الهجرة من مكة خاصة لما فتحت وصارت تحت ولاية المسلمين فإنَّ الهجرة منها انتهت شرعيتها؛ لأنَّها صارت تحت ولاية المسلمين، وليس في الحديث دليل على انقطاع الهجرة مطلقاً، وإنَّما هذا في هجرة خاصة من مكة بعد أن صارت بلد إسلام، فهذه الهجرة بالبدن وهي تخضع للاستطاعة وعدم الاستطاعة واختلاف الأحوال، وأمَّا النوع الثاني: وهو هجرة القلب إلى الله ورسوله فهذه لا يُعذر أحدٌ فيها، فهي واجبةٌ على كلِّ مسلم وجوباً عينياً، أن يُهاجر بقلبه، بالإخلاص لله تعالى والتوجه إليه وترك الشرك والكفر، والهجرة إلى الرسول ﷺ بالاتباع والافتداء وترك البدع والمحدثات، وقد صنَّف ابن القيم رحمه الله في هذا كتاباً سمَّاهُ: «سفر الهجرتين» وهو كتابٌ ضخْمٌ ومفيدٌ جداً.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١١١/٢٨ (١١٩٠٦)، وأبو داود (٢٤٧٩)، والنسائي في «الكبرى» ٦٧/٨ (٨٦٥٨) من حديث معاوية بن أبي سفيان، وهو حديث حسن، وانظر تمام تخريجه وتنقيده في «المسند».

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٤٨/٣ (١٩٩١)، والبخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (١٣٥٣) من حديث عبد الله بن عباس.

يَا قَوْمُ فَزُصُ الْهَجْرَتَيْنِ بِحَالِهِ

وَاللّٰهُ لَمْ يُنَسِّخْ إِلَيَّ ذَا الْآنِ (١)

فَالْهَجْرَةُ الْأُولَىٰ إِلَى الرَّحْمَنِ بِأَلِّ

إِخْلَاصٍ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانٍ (٢)

حَتَّىٰ يَكُونَ الْقَصْدُ وَجْهَ اللَّهِ بِأَلِّ

أَقْوَالٍ وَالْأَعْمَالِ وَالْإِيمَانِ

وَيَكُونَ كُلُّ الدِّينِ لِلرَّحْمَنِ مَا

لِسِوَاهُ شَيْءٍ مِّنْ إِنْسَانٍ (٣)

وَالْحُبِّ وَالْبُغْضِ اللَّذَانِ هُمَا

لِكُلِّ وَلايَةٍ وَعِدَاوَةٍ أَصْلَانِ (٤)

(١) الهجرة إلى الله وإلى رسوله بالقلب لم تُنسخ أبداً فهي باقية إلى قيام الساعة.

(٢) فالهجرة الأولى إلى الله تعالى بإخلاص العبادة والنية له والقصد وترك الشرك الأكبر والأصغر وترك النفاق الأكبر والأصغر.

(٣) لا يكون في الدين شيءٌ لغير الله رياءً أو سُمعةً أو قصداً لطلب الدنيا بل يكون الدين كله لله تعالى ظاهراً وباطناً.

(٤) ثم يتبع إخلاص العبادة: الحبُّ والبُغضُ، الحبُّ لأوليائه والبُغضُ لأعدائه، فلا يكون مؤمناً إلا من اتصف بالولاء والبراء. فأوثق عُرى الإيمان: الحبُّ في الله والبُغضُ في الله، وباب الولاء والبراء هو الذي يُميِّز المسلم الصادق من غيره.

لله أيضاً هكذا الإعطاء وال
 مَنَعُ اللذَانِ عَلَيْهِمَا يَقِفَانِ^(١)
 والله هذا شَطْرُ دِينِ اللَّهِ وَالتُّ
 تَحْكِيمُ لِلْمَخْتَارِ شَطْرُ ثَانِ
 وَكِلَاهُمَا الْإِحْسَانُ لَنْ يَتَقَبَّلَ الرُّ
 رَحْمَنٌ مِنْ سَعْيِ بِلَا إِحْسَانٍ^(٢)
 وَالهجرةُ الأخرى إلى المبعوثِ بالـ
 إِسْلَامٍ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ^(٣)
 أَتْرُونَ هَذَا هجرةُ الأبدانِ لا
 وَاللَّهِ بَلْ هِيَ هجرةُ الإيمَانِ^(٤)

(١) كذلك في الإعطاء والمنع يكون لله تعالى، فيُعطي المال لعباد الله وتقرباً إليه، ويمنع المال لله عزَّ وجل، وهذا تابع للهجرة الأولى وهي الإخلاص لله تعالى.

(٢) هجرة القلب إلى الله فيها تحقيق الركن الأول وهو شهادة أن لا إله إلا الله، بالتوحيد والإخلاص والحب والبغض والمنع والإعطاء وغير ذلك، وهجرة القلب إلى الرسول فيها تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله، من الاقتداء والمتابعة والتأسي به، ومن حقق الإخلاص لله تعالى والمتابعة للرسول ﷺ فهذا أعلى درجات الدين التي هي الإسلام والإيمان والإحسان.

(٣) وذلك بتحقيق سنته واتباع ما جاء به وتقديم سنته على كل شيء، وترك البدع والمحدثات، والعوائد الضالة.

(٤) وهي هجرة القلوب، وأما هجرة الأبدان فقد سبق الكلام عليها.

قَطَعُ الْمَسَافَةَ بِالْقُلُوبِ إِلَيْهِ فِي

دَرْكِ الْأَصُولِ مَعَ الْفُرُوعِ وَذَانِ

أَبْدَأُ إِلَيْهِ حُكْمُهَا لَا غَيْرُهُ

فَالْحَكْمُ مَا حَكَمْتَ بِهِ النَّصَّانِ (١)

يَا هِجْرَةَ طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَيَّ

كَسَلَانَ مَنخُوبِ الْفُؤَادِ جَبَّانِ

يَا هِجْرَةَ وَالْعَبْدُ فَوْقَ فِرَاشِهِ

سَبَقَ الشُّعَاةَ لِمَنْزِلِ الرِّضْوَانِ

سَارُوا أَحَثَّ السَّيْرِ وَهُوَ فَسَيْرُهُ

سَيْرُ الدَّلَالِ وَلَيْسَ بِالذَّمَّانِ

هَذَا وَتَنْظَرُهُ أَمَامَ الرِّكْبِ كَالِ

عَلَمِ الْعَظِيمِ يُشَافُ فِي الْقِيَعَانِ

رُفِعَتْ لَهُ أَعْلَامُ هَاتِيكَ التُّصُو

صِ رُؤُوسُهَا شَابَتْ مِنْ النِّيْرَانِ

نَارٌ هِيَ النُّورُ الْمُبِينُ وَلَمْ يَكُنْ

لِيَرَاهُ إِلَّا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ

(١) فالحكم: حكم الكتاب والسنة، وهجرة القلوب إلى هذا الحكم، وترك حكم غيرهما، وهذه هي التي تصعب إلا على من وفقه الله ويسر له الهجرة إليها فلا يصبر عليها إلا الصادقون.

مَكْحُولَتَانِ بِمِرْوَدِ الْوَحْيَيْنِ لَا
 بِمَرَاوِدِ الْأَرَاءِ وَالْهَذْيَانِ
 فَلِذَاكَ شَمَّرَ نَحْوَهَا لَمْ يَلْتَفِتْ
 لَا عَنِ شَمَائِلِهِ وَلَا أَيْمَانِ
 يَا قَوْمُ لَوْ هَاجَرْتُمْ لَرَأَيْتُمْ
 أَعْلَامَ طَيِّبَةَ رُؤْيَا بَعِيَانِ^(١)
 وَرَأَيْتُمْ ذَاكَ اللَّوَاءِ وَتَحْتَهُ الرُّ
 رُسُلُ الْكِرَامِ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ
 أَصْحَابُ بَدْرِ وَالْأَلْيِ قَدْ بَايَعُوا
 أَرْكَى الْبَرِيَّةِ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ
 وَكَذَا الْمُهَاجِرَةَ الْأَلْيِ سَبَقُوا كَذَا
 أَنْصَارُ أَهْلِ الدَّارِ وَالْإِيمَانِ
 وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَا
 لِكُ هَدْيِهِمْ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانِ
 لَكِنْ رَضِيْتُمْ بِالْأَمَانِيِّ وَابْتُلِيَ
 تُمْ بِالْحِظْوِظِ وَنَصْرَةِ الْإِخْوَانِ^(٢)

(١) لو هاجرتم هجرة القلوب لأبصرتم أعلام طيبة، وهي المدينة النبوية التي
 شِعَّ منها نور الإيمان والقرآن.

(٢) هذا لوم للذين آثروا المناصب والمآكل والمشارب ورضا الناس على
 متابعة السنة والافتداء بالسلف الصالح.

بل غرَّكُمْ ذَاكَ الْغُرُورُ وَسَوَّلَتْ

لَكُمْ النُّفُوسُ وَسَاوَسَ الشَّيْطَانُ^(١)

وَبَدَأْتُمْ غَسَلَ التُّصُوصِ وَرَاعَكُمْ

وَقَنَعْتُمْ بِقُطَارَةِ الْأَذْهَانِ

وَتَرَكْتُمُ الْوَحْيَيْنِ زُهْدًا فِيهِمَا

وَرَغِبْتُمْ فِي رَأْيِ كُلِّ فُلَانٍ^(٢)

وَعَزَلْتُمْ النَّصِيحِينَ عَمَّا وُلِّيَا

لِلْحُكْمِ فِيهِ عَزَلَ ذِي عُذْوَانٍ

وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَيْسَ بِحُكْمٍ بَيْنَنَا

إِلَّا الْعُقُولُ وَمَنْطِقُ الْيُونَانِ^(٣)

(١) أي يخذلهم شياطين الجن والإنس فيقولون: هؤلاء متشددون وعندهم قصور نظر.

(٢) هذا أيضاً من الملامة على هؤلاء الذين تعوضوا عن الوحيين بأراء الرجال كمقلدة المذاهب الذين لا يُمَيِّزون بين ما خالف الكتاب والسنة وبين ما وافق الكتاب والسنة.

(٣) الذين يُقَدِّمُونَ العقول على النصوص هم علماء المنطق وأهل الكلام ومن اقتدى بهم حيث يقولون: إن أدلة السمع دلالتها ظنية، وأما دلالة العقول فهي يقينية، وكذبوا في هذا بل الصواب أن نصوص الكتاب والسنة هي اليقينية، وذلك لأنها كلام الله ورسوله ودلالة العقول هي الظنية: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

فَهُنَا بِحُكْمِ الْحَقِّ أَوْلَىٰ مِنْهُمَا
 سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا الشُّبْحَانِ (١)
 حَتَّىٰ إِذَا انْكَشَفَ الْغِطَاءُ وَحُصِّلَتْ
 أَعْمَالُ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْمِيزَانِ
 وَإِذَا انْجَلَىٰ هَذَا الْعِبَارُ وَصَارَ مِثُّ
 سِدَانِ السَّبَاقِ تَنَالَهُ الْعَيْنَانِ
 وَبَدَتْ عَلَىٰ تِلْكَ الْوَجُوهِ سِمَاتُهَا
 وَسَمِ الْمَلِيكِ الْقَادِرِ الدِّيَانِ (٢)
 مُبْيَضَّةٌ مِثْلَ الرِّيَاضِ بَجَنَّةٍ
 وَالسُّودُ مِثْلَ الْفَحْمِ لِلنَّيْرَانِ
 فَهُنَاكَ يَعْلَمُ رَاكِبٌ مَا تَحْتَهُ
 وَهُنَاكَ يَقْرَعُ نَاجِدُ النَّدْمَانِ
 وَهُنَاكَ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا الَّذِي
 مَعَهَا مِنَ الْأَرْبَاحِ وَالْخُسْرَانِ

(١) هذا تنزيه لله سبحانه وتعالى لأنه يلزم منه النقص في حق الله تعالى، إذا قيل: إن كلامه لا يفيد إلا الظن، وأن قواعد المنطق هي المعصومة، فهذا تنقُصُ لله تعالى، ولهذا سبَّح الله من هذا التنقص.

(٢) كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌُ وَسُودُ وُجُوهٌُ فَأَمَّا الَّذِينَ آسَدَتِ وُجُوهُهُمُ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦-١٠٧] وهذه نتيجة أعمال العباد يوم القيامة، قال بعض السلف: تسودُّ وجوه أهل الفرقة والابتداع، وتبيض وجوه أهل السنة والاتباع.

وَهُنَاكَ يَعْلَمُ مُؤْتِرُ الْآرَاءِ وَالشُّ

شَطَحَاتِ وَالْهَٰذِيَانِ وَالْبُطْلَانِ

أَيُّ الْبَضَائِعِ قَدْ أَضَاعَ وَمَا الَّذِي

مِنْهَا تَعَوَّضَ فِي الزَّمَانِ الْفَانِي

سُبْحَانَ رَبِّ الْخَلْقِ قَاسِمِ فَضْلِهِ

وَالْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ بِالْمِيزَانِ (١)

لَوْ شَاءَ كَانَ النَّاسُ شَيْئاً وَاحِداً

مَا فِيهِمْ مِنْ تَائِهٍ حَيْرَانِ (٢)

لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْتَصِرُ بِأَلِّ

فَضْلِ الْعَظِيمِ خُلَاصَةَ الْإِنْسَانِ

وَسِوَاهُمْ لَا يَصْلُحُونَ لِصَالِحِ

كَالشُّوْكِ فَهُوَ عِمَارَةُ النَّيِّرَانِ

وَعِمَارَةُ الْجَنَّاتِ هُمْ أَهْلُ الْهُدَى

اللَّهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ

(١) الله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء تفضلاً منه للحق والعلم النافع، ويضل من يشاء عدلاً منه سبحانه وتعالى.

(٢) افتضت حكمته سبحانه أن يفرق بين أهل الضلال وأهل الحق من باب الامتحان والابتلاء، ولأجل أن يتميز المؤمن من الكافر، والصادق من الكاذب، فيتميز هذا من هذا، فهذه حكمة الله تعالى، لأنه لولا الابتلاء والامتحان لما تميز الخبيث من الطيب.

فَسَلِ الْهَدَايَةَ مَنْ أَزَمَّتْ أَمْرِنَا
 بِيَدَيْهِ مَسْأَلَةَ الذَّلِيلِ الْعَانِي^(١)
 وَسَلِ الْعِيَاذَ مِنْ اثْنَتَيْنِ هُمَا اللَّتَا
 نِ بِهُلْكِ هَذَا الْخَلْقِ كَاِفْلَتَانِ
 شَرُّ النَّفُوسِ وَسَيِّءُ الْأَعْمَالِ مَا
 وَاللَّهُ أَعْظَمُ مِنْهُمَا شَرَّانِ
 وَلَقَدْ أَتَى هَذَا التَّعَوُّذُ مِنْهُمَا
 فِي خُطْبَةِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ^(٢)

(١) كذلك من الحكمة في ذلك سؤال الله تعالى، أمّا لو كان النَّاسُ كُلُّهُمْ سواء ما احتاجوا إلى الدعاء والتضرُّع والعبادة لله تعالى، وكذلك أيضاً لو كان النَّاسُ كُلُّهُمْ سواء في الخير لبطل جهاد النفس والشيطان والكفار، فوجود الخير والشر والكفر والإيمان فيه حِكْمٌ عَظِيمَةٌ، ويترتب عليه أحكام عظيمة.

(٢) أخطر ما على الإنسان شيان:

الأول: شرُّ نفسه.

الثاني: سيئات عمله، ولذا كان ﷺ يستعيذ بالله منهما في خطبه فيقول: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا»^(*) فشر النفس: هو الهوى والكبر والحقد والحسد وهذه تُهلك الإنسان، وشرُّ الأعمال: المعاصي والذنوب والأفعال المُحَرَّمَةُ، فإذا سلم الإنسان من هاتين الآفتين نجا وأفلح.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٦٤/٦ (٣٧٢١)، والترمذي (١١٠٥)، وابن ماجه

(١٨٩٢) من حديث عبد الله بن مسعود وهو حديث صحيح.

لو كان يَدْرِي العَبْدُ أَنَّ مُصَابَهُ

في هذه الدنيا هما الشَّرَّانِ

جعل التَعَوُّذَ مِنْهُمَا دَيْدَانَهُ

حَتَّى تَرَاهُ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ (١)

وَسَلِّ الْعِيَاذَ مِنَ التَّكْبِيرِ وَالْهُوَى

فَهُمَا لِكُلِّ الشَّرِّ جَامِعَتَانِ (٢)

وَهُمَا يَصُدَّانِ الْفَتَى عَن كُلِّ طُرٍّ

قِي الْخَيْرِ إِذْ فِي قَلْبِهِ يَلْجَأَانِ

فَتَرَاهُ يَمْنَعُهُ هَوَاهُ تَارَةً

وَالكِبْرُ أُخْرَى ثُمَّ يَشْتَرِكَانِ (٣)

وَاللَّهُ مَا فِي النَّارِ إِلَّا تَابِعٌ

هَذِينَ فَاسْأَلْ سَاكِنِي النَّارِ (٤)

وَاللَّهُ لَوْ جَرَدَتْ نَفْسُكَ مِنْهُمَا

لَأَتَتْ إِلَيْكَ وَفُودٌ كُلُّ تَهَانِ (٥)

(١) يعني: لازم هذا الدعاء حتى يتوفى.

(٢) هذا من شرِّ النفس، فأخطر آفات النفس: الكبر والهوى.

(٣) أحياناً يُسَلِّطُ عَلَيْهِ الاثنان: الكبر والهوى وأحياناً ينفرد أحدهما: إمَّا الكبر وإمَّا الهوى.

(٤) فالذي أوجب دخول النَّار هو هذان الأمران: الكبر واتباع الهوى.

(٥) لو سلمت من الكبر والهوى لسلمت من كلِّ شرٍّ.

فصل

في ظهور الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين^(١)

والفرق بين الدعوتين فظاهراً
جداً لمن كانت له أذنان^(٢)

(١) هذا الفصل لبيان الفرق بين دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام ودعوة المعطلين لأسماء الله وصفاته من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وكل من عطل شيئاً من الأسماء والصفات، ويتضح الفرق في أنّ الرسل عليهم الصلاة والسلام أثبتوا لله تعالى هذه الأسماء والصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه النقص على سبيل الإجمال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] فالرسل جاؤوا بإثبات مفصل للأسماء والصفات، وبنفي مجمل للنقائص والعيوب، وأما المعطلة فهم على النقيض جاؤوا بإثبات مجمل، ونفي مفصل عكس دعوة الرسل، فنفوا عن الله تعالى كلّ ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله على وجه التفصيل، وأثبتوا وجود الله تعالى على وجه الإجمال، فلم يُثبتوا لله تعالى إلا ذاتاً مجردة عن الأسماء والصفات، وقالوا: موجود مطلق بشرط الإطلاق.

(٢) الفرق بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين واضح لمن كانت له أذنان يسمع بهما الحق، أمّا الذي أصمّ أذنيه عن سماع الحق وعمّا جاءت به الرسل فهذا لا فائدة منه.

فَرَقٌ مُبِينٌ ظَاهِرٌ لَا يَخْتَفِي

إِيضَاحُهُ إِلَّا عَلَى الْعُمِيَانِ (١)

فَالرُّسُلُ جَاؤُونَا بِإِثْبَاتِ الْعُلُوِّ

وَلِرَبِّنَا مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ

وَكَذَا أَتُونَا بِالصِّفَاتِ لِرَبِّنَا الرُّ

رَحْمَنِ تَفْصِيلاً بِكُلِّ بَيَانٍ (٢)

وَكَذَاكَ قَالُوا إِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ

وَكَلَامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ

وَكَذَاكَ قَالُوا إِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَلْ

مَرِّي يَوْمَ لِقَائِهِ بَعِيَانٍ

وَكَذَاكَ قَالُوا إِنَّهُ الْفَعَّالُ حَقٌّ

قَا كُلَّ يَوْمٍ رَبِّنَا فِي شَانٍ (٣)

وَأَتَيْتُمُونَا أَنْتُمْ بِالنَّفْيِ وَالثَّ

تَعْطِيلِ بَلْ بِشَهَادَةِ الْكُفْرَانِ (٤)

(١) فإذا قرأت النصوص في القرآن وجدت أن النفي مُجْمَلٌ والإثبات مُفَصَّلٌ بخلاف ما إذا قرأت كتب علماء الكلام فإنك تجد العكس فيها إثبات مُجْمَلٌ ونفي مُفَصَّلٌ.

(٢) مِنْ سَمِعَ وَبَصَرَ وَقُدْرَةَ وَإِرَادَةَ لَكِنِ بِالتَّفْصِيلِ.

(٣) وذلك أَنَّ أفعاله سبحانه وتعالى تتجدد كلَّ يوم، وكل وقت كما يشاء سبحانه وتعالى كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يَرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

(٤) أمَّا أهل التعطيل فأتونا بالنفي المُفَصَّلِ حيث نفوا عنه كلَّ اسم وكلَّ صفة أثبتها لنفسه، ولم يكتفوا بذلك بل حكموا على من أثبتها أنه كافر.

لِلْمُشْبِتِينَ صِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ
 وَنِدَاءَهُ فِي عُرْفِ كُلِّ لِسَانٍ
 شَهِدُوا بِإِيمَانِ الْمُقَرَّرِ بِأَنَّهُ
 فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ
 وَشَهِدْتُمْ أَنْتُمْ بِتَكْفِيرِ الَّذِي
 قَدْ قَالَ ذَلِكَ يَا أَوْلِي الْعُدْوَانِ
 وَأَتَى بِأَيِّنِ اللَّهِ إِقْرَاراً وَنُطْ
 قَاءَ قَلْتُمْ هَذَا مِنَ الْبِهْتَانِ^(١)
 فَسَلُّوا لَنَا بِالْأَيِّنِ مِثْلَ سَوَائِنَا
 مَا الْكُونِ عِنْدَكُمْ هَمَا شَيْئَانِ^(٢)

(١) وكذلك أهل السنة أثبتوا السؤال: بأين الله؟ كما أثبتته الرسول حينما سأله سائل: فقال: أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟^(*) فلم ينكر عليه، وكذلك هو ﷺ نطق بهذا حيث قال للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»^(***). وأين: إشارة إلى المكان.
 (٢) يقولون: نعم الرسول ﷺ قال: «أين» ومعناها «ما» فهو يقول للجارية: «ما الله» وهذا من أبطل الباطل، وذلك لأنَّ «أين» سؤالٌ عن المكان و«ما» سؤالٌ عن الحقيقة حقيقة الشيء، فهذه لغة العرب، وأما المعطلة فهم يقولون: السؤال بـ«أين» و«ما» سواء وهذه مكابرة ومخالفة للغة العرب.

(*) سلف تخريجه ص ٣٣٩.

(**) سلف تخريجه ص ٣١٩.

وكذا أتونا بالبيان فقلتم

باللغز أين اللغز من تبيان^(١)

إذا كان مدلول الكلام ووضعه

لم يقصده بِنُطْقِهِمْ بِلِسَانِ^(٢)

والقصد منه غير مفهوم به

ما اللغز عند الناس إلا أذان^(٣)

يا قوم رسل الله أعرف منكم

وأتم نصحاً في كمال بيان

أثرونها قد ألغزوا التوحيد إذ

بيئتموه يا أولي العرفان

(١) الرسل أتوا بالبيان الواضح، وأنتم تزعمون أنهم أتوا بالألغاز، لأنكم تقولون: إنَّ كلام الرسل في الأسماء والصفات ليس المقصود منه ظاهره، وإنما المقصود منه معنى آخر لم يُبينوه، فليس هو على ظاهره، وهذا اتهام للرسل أنهم أتوا بالألغاز وأنهم غشوا الناس ولم يُبينوا لهم وإنما حَيَّرُوهم.

(٢) هذا معنى اللغز: أن يكون اللفظ ليس المقصود منه ما يظهر منه، وإنما المقصود منه شيء آخر، وهذا لم تأت به الرسل.

(٣) اللغز هو الذي لا يقصد معناه الظاهر وإنما يقصد معنى خفي قل من يعثر عليه.

أَتَرُونَهُمْ قَدْ أَظْهَرُوا التَّشْبِيهَ وَهَذَا

— وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا (١)

وَلَا يَشَاءُ شَيْءٌ لِمَنْ يَقُولُوا مِثْلَ مَا

قَدْ قُلْتُمْ فِي رَبِّنا الرَّحْمَنِ (٢)

وَلَا يَشَاءُ شَيْءٌ صَرَخُوا بِخِلَافِهِ

تَصْرِيحًا تَفْصِيلًا بِإِلْتِمَانٍ (٣)

(١) لَا شَكَّ أَنَّ الرِّسْلَ أَعْلَمَ الخَلْقَ، وَأَنَّهُمْ أَعْظَمَ الخَلْقَ بَيَانًا وَتَوْضِيحًا، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ وَصَفَهُمْ بِعَدَمِ البَيَانِ أَنَّهُ كَافِرٌ، لِأَنَّهُ تَنَقُّصُ الرِّسْلِ، فَهَلْ أَنْتُمْ بَيِّنْتُمْ التَّوْحِيدَ وَهَمَّ أَلْغَزُوا فِيهِ. إِنْ اعْتَقَدْتُمْ ذَلِكَ فَهَذَا كُفْرٌ. وَيَقُولُونَ: لَوْ أَجْرَيْنَا نِصْوَصَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَى ظَاهِرِهَا لِلزَّمِّ التَّشْبِيهِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ مَوْجُودَةٌ فِي المَخْلُوقِينَ، فَإِذَا أُبْتِنَاهَا عَلَى ظَاهِرِهَا فَهَذَا تَشْبِيهِ وَهُوَ كُفْرٌ. وَنَحْنُ نَقُولُ: لَيْسَتْ أَسْمَاءُ اللَّهِ وَصِفَاتُهُ مِثْلَ أَسْمَاءِ المَخْلُوقِينَ وَصِفَاتِهِمْ، فَهَنَّاكَ فَارِقٌ بَيْنَ الخَالِقِ وَالمَخْلُوقِ، فَأَسْمَاءُ اللَّهِ وَصِفَاتُهُ تَلِيْقُ بِهِ، وَكَذَلِكَ أَسْمَاءُ المَخْلُوقِينَ وَصِفَاتُهُمْ تَلِيْقَانِ بِهِمْ، فَمَنْ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ الخَالِقِ وَالمَخْلُوقِ فَقَدْ كَفَرَ، وَهَمَّ إِنَّمَا أَتَوْا مِنْ عَدَمِ الفَرَقِ بَيْنَ الخَالِقِ وَالمَخْلُوقِ.

(٢) لَوْ أَنَّكُمْ عَلَى حَقٍّ فِيمَا تَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ النِّصْوَصَ لَيْسَتْ عَلَى ظَوَاهِرِهَا، وَأَنَّهَا تَقْتَضِي التَّشْبِيهَ لَبَيَّنَ ذَلِكَ الرِّسْلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ وَوَضَحُوهُ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا لَمْ يَقُولُوا بِذَلِكَ، دَلَّ عَلَى أَنَّ ظَاهِرَهَا مَقْصُودٌ، وَأَنَّهُ لَا تَشَابَهَ بَيْنَ صِفَاتِ الخَالِقِ وَصِفَاتِ المَخْلُوقِ.

(٣) أَيُّ لَأَيِّ شَيْءٍ خَالَفَكُمْ الرِّسْلَ فِيمَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ إِلَّا لِأَنَّكُمْ عَلَى بَاطِلٍ.

ولأَيِّ شَيْءٍ، بِالغُوءِ فِي الوَصْفِ بِالـ

إِثْبَاتِ دُونَ النِّفْيِ كُلِّ زَمَانٍ

وَلأَيِّ شَيْءٍ أَنْتُمْ بِالغُوءِ

فِي النِّفْيِ وَالتَّعْطِيلِ بِالْقُفْزَانِ^(١)

فَجَعَلْتُمْ نَفْيَ الصِّفَاتِ مُفَصَّلاً

تَفْصِيلَ نَفْيِ العَيْبِ وَالتَّقْصَانِ

وَجَعَلْتُمْ الإِثْبَاتِ أَمْراً مُجْمَلاً

عَكْسَ الَّذِي قَالُوهُ بِالبُزْهَانِ

أَتْرَاهُمْ عَجَزُوا عَنِ التَّبْيَانِ وَاسـ

تَوَلَّيْتُمْ أَنْتُمْ عَلَيَّ التَّبْيَانِ^(٢)

أَتَرُونَ أَفْرَاحَ اليَهُودِ وَأُمَّةَ التـ

تَعْطِيلِ وَالعَبَّادِ لِلنِّيرَانِ

وَوَقَاحِ أَرْبَابِ الكَلَامِ البَاطِلِ الـ

مَذْمُومِ عِنْدَ أُمَّةِ الإِيمَانِ

(١) لأَيِّ شَيْءٍ بِالغِ الرَّسْلِ بِالوصفِ بالإِثْبَاتِ وَفَصَّلُوا فِيهِ، وَأَجْمَلُوا فِي النِّفْيِ
إِلَّا لِأَجْلِ أَنَّ هَذَا هُوَ الحَقُّ عِنْدَ الرَّسْلِ وَأَتْبَاعِهِمْ، وَأَمَّا مَخَالَفَتُهُمْ فَعَلَى
العَكْسِ عِنْدَهُمْ إِثْبَاتِ مُجْمَلٍ وَنَفْيِ مُفَصَّلٍ. بِالْقُفْزَانِ: يَعْنِي جُزْأً لَا
حَصْرَ لَهُ، وَالقُفْزَانِ: جَمْعُ قَفِيزٍ وَهُوَ مَكْيَالٌ مَعْرُوفٌ.

(٢) هَذَا اتِّهَامٌ لِلرَّسْلِ بِالعِجْزِ وَأَنْكُمْ أَحْسَنُ وَأَعْرَفُ مِنْهُمْ بَيَانِ الحَقِّ، وَكُفَى
بِهَذَا كُفْراً وَضَلالاً.

مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ وَمَعْتَزِلٍ وَمَنْ
 وَالْأَهْمَا مِنْ حِزْبِ جَنْكِسْخَانَ
 بِاللَّهِ أَعْلَمَ مِنْ جَمِيعِ الرُّسُلِ وَالْتِ
 تَوْرَةَ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ^(١)
 فَسَلُّوهُمْ بِسُؤَالِ كُتُبِهِمْ الَّتِي
 جَاءُوا بِهَا عَنْ عِلْمِ هَذَا الشَّانِ^(٢)
 وَسَلُّوهُمْ هَلْ رَبُّكُمْ فِي أَرْضِهِ
 أَوْ فِي السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ
 أَمْ لَيْسَ مِنْ ذَا كُلِّ شَيْءٍ فَلَا
 هُوَ دَاخِلٌ أَوْ خَارِجٌ الْأَكْوَانِ^(٣)

-
- (١) أفراخ اليهود: الجهمية، وأئمة التعطيل: هم أتباع فرعون المُعطل، والعباد للنيران: هم المجوس، وأرباب الكلام: أهل علم المنطق، فهل هؤلاء الطوائف أعلم بالله من جميع الرسل؟
- (٢) أسألو الرسل، أي: الكتب التي جاءت بها الرسل هل تتفق مع ما أنتم عليه أو تختلف؟ فإن اختلفت فالحق مع ما جاءت به الرسل كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَنْ نَزَعَهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرُّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].
- (٣) ارجعوا إلى الكتب الإلهية، هل ترون فيها أن الله في كل مكان؟ تعالى الله عن ذلك، أو تجدون فيها أن الله في السماء، فكل الكتب فيها أن الله في السماء، وأعظم كتاب دل على ذلك القرآن ففيه أن الله في السماء عالٍ على خلقه مستوٍ على عرشه، فليس فيها أن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا يمته ولا يسرة كما تقوله المعطلة، لأن هذا معناه أنه معدوم.

فَالْعِلْمُ وَالتَّيَّانُ وَالتُّصْحُ الَّذِي

فِيهِمْ يُبَيِّنُ الْحَقَّ كُلَّ بَيَّانٍ

لَكِنَّمَا الْإِلْغَاظُ وَالتَّلْيِيسُ وَالْ

كَيْثَمَانُ فَعِلُّ مُعَلِّمِ الشَّيْطَانِ^(١)

* * *

(١) الْإِلْغَاظُ وَالْإِجْمَالُ هَذِهِ كُلُّهَا مِنْ عُلُومِ مُعَلِّمِ الْكُفْرِ، وَهُوَ الْفَيْلَسُوفُ الَّذِي وَضَعَ عِلْمَ الْمُنْطِقِ.

فصل

في شكوى أهل السنة والقرآن أهل التعطيل
والآراء المخالفين للرحمن^(١)

يا ربُّ هُم يشكوننا أبدأً بِنَعْدِ
بِهِمْ وظُلْمِهِمْ إِلَى السُّلْطَانِ
ويُلَبِّسُونَ عَلَيْهِ حَتَّى إِنَّهُ
لَيَظُنُّهُمْ هُم ناصِرُوا الإِيمَانَ^(٢)
فِي رُؤْتِهِ البِدْعَ المُضِلَّةَ فِي قَوَا
لِبِ سُنَّةِ نبوِيَّةٍ وَقُرْآنِ^(٣)
وَيُرُونَهُ الإِثْبَاتَ لِلأَوْصَافِ فِي
أَمْرِ شَنِيعٍ ظَاهِرِ التُّكْرَانِ

(١) حصلت المعركة بين أهل الحق وأهل الباطل، وتبين منهج أهل الحق وأهل الباطل، فأهل الحق يشكون إلى الله تعالى، وأما أهل الباطل فيشكون إلى السلطان إذا عجزوا عن الأدلة والبراهين، والناظم رحمه الله قد ناله شيء من هذا.

(٢) فهم يوشون بأهل السنة إلى السلطان لا سيما إذا قالوا: إنهم يفسدون عليكم الملك، ويفسدون الناس عليكم، فالسلاطين يغارون على ملكهم، وهذا هو الذي فعلوه مع المأمون والمعتصم في حق الإمام أحمد، واغتر بهم السلطان يظن أنهم علماء وقضاة حيث يتزيون بزئ أهل العلم والزهد والورع والصدق..

(٣) يُلبِّسُونَ عَلَيْهِ السنة فيجعلونها بدعة، ويجعلون البدعة هي السنة، ويقولون: إن أهل السنة مشبهة ومجسمة وحشوية.

فَيَلْبَسُونَ عَلَيْهِ تَلْيِيسِينَ لَوْ
 كُشِفَا لَهُ بَادَاهُمْ بَطْعَانِ (١)
 يَا فِرْقَةَ التَّلْيِيسِ لَا حِيَّتُمْ
 أَبَدًا وَحِيَّتُمْ بِكُلِّ هَوَانٍ
 لَكُنَّا نَشْكُوهُمْ وَصَنِعَهُمْ
 أَبَدًا إِلَيْكَ فَأَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ (٢)
 فَاسْمَعْ شَكَائِنَا وَأَشْكِ مُحِقَّنَا
 وَالْمُبْطِلَ ارْزُدُّهُ عَنِ الْبُطْلَانِ (٣)
 رَاجِعْ بِهِ سُبُلَ الْهُدَى وَالطُّفَّ بِهِ
 حَتَّى تُرِيَهُ الْحَقَّ ذَا تَبْيَانِ (٤)
 وَارْحَمَهُ وَارْحَمْ سَعْيَهُ الْمَسْكِينِ قَدْ
 ضَلَّ الطَّرِيقَ وَتَوَّاهَ فِي الْقِيَعَانِ

(١) التلبيس الأول قلب الحق باطلاً، والتلبيس الثاني قلب الباطل وجعله حقاً.
 (٢) أهل السنة يشكون إلى الله تعالى ولا يشكون إلى السلاطين، بل إلى ملك
 الملوك، وهو ينتصر لهم ولو بعد حين، وقد حصل هذا فيان الحق واندحض
 الباطل، والربّ تعالى هو السلطان الحقيقي، وأمّا سلاطين أهل الأرض
 فسلطتهم ضعيفة ومُلْكُهُمْ يزول، لكن سلطان الله هو الحق وهو الباقي.
 (٣) يدعو الله أن يؤيّد من معه الحق من الفريقين، وأمّا صاحب الباطل فارزُدُّهُ،
 وهذا هو الإنصاف.

(٤) وهذا من إنصافه رحمه الله: أنه دعا لهم بالهداية وأن يردهم الله إلى
 الصواب.

يَا رَبِّ قَدْ عَمَّ الْمُصَابُ بِهَذِهِ أَلْ
 آرَاءِ وَالشُّطْحَاتِ وَالْبُهْتَانِ
 هَجَرُوا لَهَا الْوَحْيَيْنِ وَالْفِطْرَاتِ وَالْ
 آثَارَ لَمْ يَعْبُوا بَذَا الْهَجْرَانِ
 قَالُوا وَتِلْكَ ظَوَاهِرٌ لَفْظِيَّةٌ
 لَمْ تُغْنِ شَيْئاً طَالِبَ الْبُرْهَانِ
 فَالْعَقْلُ أَوْلَى أَنْ يُصَارَ إِلَيْهِ مِنْ
 هَذِي الظواهرِ عِنْدَ ذِي الْعِرْفَانِ^(١)
 ثُمَّ ادَّعَى كُلُّ بَانٍّ الْعَقْلَ مَا
 قَدْ قُلْتُهُ دُونَ الْفَرِيقِ الثَّانِي
 يَا رَبِّ قَدْ حَارَ الْعِبَادُ بِعَقْلِ مَنْ
 يَزْنُونَ وَحَيْكَ فَاتِ بِالْمِيزَانِ
 وَبِعَقْلِ مَنْ يَقْضِي عَلَيْكَ فَكُلُّهُمْ
 قَدْ جَاءَ بِالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

(١) عاد إلى ذكر ما هم عليه وأنهم يقولون: إنَّ القرآن والسنة ظواهر ظنية لا تُفيد اليقين، وأنَّ قواعد المنطق علمية تفيد اليقين. هذا هو سبب الضلال، ثم اختلفوا فيما بينهم فكلُّ يدعي أنَّ ما هو عليه هو الحق، وأن غيره ليس عنده حق، وهكذا سنة الله فيمن ابتلي بترك الحق أن يُبتلى بالخلاف والجدال والافتراق حتى إن بعضهم يُكفر بعضاً ويُضلل بعضهم بعضاً، فكلُّ يدعي أنه عنده العقل الصحيح.

يَا رَبِّ أَرشِدْنَا إِلَى مَعْقُولٍ مِّنْ
 يَقَعُ التَّحَاكُمُ إِنَّنا خَصَمَانِ
 جَاءُوا بِشُبُهَاتٍ وَقَالُوا إِنَّهَا
 مَعْقُولَةٌ بِإِذْنِهِ الْأَذْهَانِ
 كُلٌّ يُنَاقِضُ بَعْضُهُ بَعْضاً وَمَا
 فِي الْحَقِّ مَعْقُولَانِ مُخْتَلِفَانِ
 وَقَضَوْا بِهَا كَذِباً عَلَيْكَ وَجُرْأَةً
 مِنْهُمْ وَمَا التَّفْتُوا إِلَى الْقُرْآنِ (١)
 يَا رَبُّ قَدْ أَوْهَى النِّفَاةُ حَبَائِلَ الـ
 قُرْآنِ وَالْآثَارِ وَالْإِيمَانِ (٢)
 يَا رَبُّ قَدْ قَلَبَ التُّفَاةُ الدِّينَ وَالـ
 إِيْمَانَ ظَهْرًا مِنْهُ فَوْقَ بَطَانِ
 يَا رَبُّ قَدْ بَغَتِ التُّفَاةُ وَأَجْلَبُوا
 بِالْحَيْلِ وَالرَّجْلِ الْحَقِيرِ الشَّانِ
 نَصَبُوا الْحَبَائِلَ وَالْغَوَائِلَ لِلْأَلَى
 أَخَذُوا بِوَحْيِكَ دُونَ قَوْلِ فُلَانِ

(١) حكموا على الله بعقولهم، ونفوا عنه الأسماء والصفات، ولم يلتفتوا إلى القرآن الذي أثبت الله فيه الأسماء والصفات.

(٢) يعني أضعفوا حبائل الإيمان وأدلة الشرع عند الناس، وأسأؤوا الظنَّ بها وزهدوا فيها.

وَدَعُوا عِبَادَكَ أَنْ يُطِيعُوهُمْ فَمَنْ
يَعْصِيَهُمْ سَاءَ مَوْهُ شَرًّا هَوَانٍ
وَقَضُوا عَلَى مَنْ لَمْ يَقُلْ بِضَلَالِهِمْ

بِاللَّعْنِ وَالتَّضْلِيلِ وَالْكَفْرَانِ^(١)

وَقَضُوا عَلَى أَتْبَاعِ وَحِيكَ بِالَّذِي
هُمْ أَهْلُهُ لَا عَسْكَرُ الْقُرْقَانِ
وَقَضُوا بَعْزْلَهُمْ وَقَتْلَهُمْ وَحَبْ

سِهِمْ وَنَفِيهِمْ عَنِ الْأَوْطَانِ^(٢)

وَتَلَاعَبُوا بِالذِّينِ مِثْلَ تَلَاعِبِ الْ
حُمُرِ الَّتِي نَفَرَتْ بِلا أَرْسَانِ
حَتَّى كَانَتْهُمْ تَوَاصَوْا بَيْنَهُمْ

يُوصِي بِذَلِكَ أَوَّلٌ لِلثَّانِي

هَجَرُوا كَلَامَكَ هَجَرَ مُبْتَدِعَ لِمَنْ
قَدْ دَانَ، بِالْآثَارِ وَالْقُرْآنِ^(٣)

(١) كما هو موجود في كتبهم حيث يُشنعون على أهل السنة ويصفونهم بالمجسمة والمشبهة والحشوية والغناء وغير ذلك من الألفاظ.

(٢) قضوا على علماء أهل السنة بالعزل من الوظائف، والقتل لبعضهم، والنفي من الأوطان، وشرّدهم وأخرجوهم من ديارهم.

(٣) جعلوا أهل الآثار والقرآن هم المبتدعة فهجروهم مع أنّ الواجب هو العكس، وأنّ الذي يُهجر هو المبتدع، وهو المخالف للكتاب والسنة.

فكأنه فيما لديهم مُصَحَفٌ

في بيتِ زنديقٍ أحي كُفْرانٍ^(١)

أو مسجدٌ بجوارِ قومٍ همُّهم

في الفسقِ لا في طاعةِ الرحمنِ^(٢)

وخواصُّهم لم يقرؤوه تدبُّراً

بل للتَّبَرُّكِ لا لفهْمٍ معانٍ

وعوائهم في الشُّبْعِ أو في ختمةِ

أو تُرْبَةٍ عَوْضاً لذي الأثمانِ

هذا وهم حَرْفِيَّةُ التجويدِ أو

صَوْتِيَّةُ الأنغامِ والألحانِ^(٣)

(١) كان أهل السنة عند أهل الباطل مصحف عند زنديق فلا قيمة للمصحف، وكذلك العالم من أهل السنة عند هؤلاء لا قيمة له.

(٢) أو أن أهل السنة عندهم كمسجد في حارة أهلها لا يُصَلُّون وإنَّما يشتغلون بالزنا وشرب الخمر والمعاصي، فلا قيمة للمسجد لأنه لا يرتأده أحد.

(٣) خواصُّهم يقرؤون القرآن لا لأجل التدبُّر والاستدلال به، لأنَّهم مكتفون بأدلة العقل، وإنَّما يقرؤون القرآن تَبَرُّكاً به، والعوام منهم يقرؤون القرآن لأجل حصول المآكل به فيحصلون على الشبغ والختمة الكاملة للقرآن عند الموتى كما هو معروف، أو يقرؤونه عند التربة في المقابر كما هو موجود الآن، فهم لا يستعملون القرآن إلا لهذه الأغراض الثلاث فالقرآن عندهم لم يكن للعمل والاتباع والاستدلال، وقرآؤهم بين نوعين:

يَا رَبُّ قَدْ قَالُوا بِأَنَّ مَصَاحِفَ الْ
 إِسْلَامِ مَا فِيهَا مِنَ الْقُرْآنِ
 إِلَّا الْمَدَادُ وَهَذِهِ الْأَوْرَاقُ وَالْ
 جِلْدُ الَّذِي قَدْ سُئِلَ مِنْ حَيَوَانِ
 وَالْكُلُّ مَخْلُوقٌ وَلَسْتَ بِقَائِلٍ
 أَصْلًا وَلَا حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ
 إِنَّ ذَاكَ إِلَّا قَوْلُ مَخْلُوقٍ وَهَلْ
 هُوَ جِبْرَائِيلُ أَوْ الرَّسُولُ فِذَا
 قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ قَدْ قَالَتْهُمَا
 أَشْيَاخُهُمْ يَا مِخْنَةَ الْقُرْآنِ
 لَوْ دَاسَهُ رَجُلٌ لَقَالُوا لَمْ يَطَأْ
 إِلَّا الْمَدَادَ وَكَاعْدَ الْإِنْسَانِ
 يَا رَبُّ زَالَتْ حَرْمَةُ الْقُرْآنِ مِنْ
 تِلْكَ الْقُلُوبِ وَحُرْمَةُ الْإِيمَانِ

= النوع الأول: الذين يعتنون بالتجويد «مخارج الحروف والغنة»
 والقراءات السبع، وأمّا العمل فليس عندهم عمل، بل هم من أفسق
 النَّاسِ، ومن أبعد النَّاسِ عن الْقُرْآنِ فَهَمُّهُمْ اللَّفْظُ، يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ
 وَيُضَيِّعُونَ حُدُودَهُ، أو يعتنون بالأصوات والتنغيم كأنهم مغنون وليس
 عندهم تدبر ومعرفة وتفسير للقرآن، والعجيب أنّ ما ذكره الناظم هو
 الموجود الآن.

وجرى على الأفواه منهم قولهم

ما بيننا لله من قرآن

ما بيننا إلا الحكاية عنه والت

تعبيرُ ذاك عبارة بلسان^(١)

(١) يبيّن الشيخ رحمه الله في هذه الأبيات وما بعدها مذهب الأشاعرة في كلام الله عزّ وجل وهو قريب من مذهب الجهمية، فالجهمية يقولون: القرآن مخلوق لفظه ومعناه وليس هو كلام الله، ويقرب منه قول الأشاعرة والكلائية: إنّ القرآن ليس بمخلوق معناه، وأما لفظه فهو مخلوق، فكلام الله عندهم هو المعنى القائم بالنفس الإلهية ولم يتكلم به تعالى بحرف وصوت، ولكنّ جبريل حكى عمّا في نفس الله، أو أنّ محمداً هو الذي عبّر عمّا في نفس الله تعالى، فهو إمّا كلام الرسول الملكي أو الرسول البشري، والكلام النفسي اخترعوه من عند أنفسهم، فليس في لغة العرب أنّ ما في النفس يُسمّى كلاماً، فلا يسمّى كلاماً حتى يُنطق ويُتكلّم به، فلم يقل أحد هذه المقالة لا من أهل اللغة ولا من علماء الكلام وغيرهم، ويحكون بيتاً للأخطل وهو شاعر نصراني في وقت بني أمية قال فيه:

إنّ الكلام لفي الفؤاد وإنّما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

قالوا: فهذا دليل على أنّ ما في النفس يُسمّى كلاماً. والرد عليه من

وجهين:

الأول: أنّ هذا البيت مكذوب على الأخطل لم يوجد في ديوانه ولا

في شعره.

هَذَا وَمَا التَّالُونَ عُمَّالًا بِهِ
 إِذْ هُمْ قَدْ اسْتَعْنَوْا بِقَوْلِ فُلَانٍ^(١)
 إِنَّ كَانَ قَدْ جَازَ الْحَنَاجِرَ مِنْهُمْ
 فَبَقَدِرِ مَا عَقَلُوا مِنَ الْقُرْآنِ
 وَالْبَاحُثُونَ فَقَدَّمُوا رَأْيَ الرَّجَا
 لِ عَلَيْهِ تَصْرِيحًا بِلَا كِتْمَانِ

= الثاني: لو صحَّ عن الأخطل أنه قال هذا فهو نصراني والنصارى يقولون في الله تعالى أعظم من هذا، يقولون: إنَّ اللاهوت قد اتحد في الناسوت فتكوَّن عيسى بينهما، فهم في الحقيقة شابهاوا النصارى فيما قالوه في المسيح، حيث يقولون: القرآن بعضه إلهي وبعضه بشري - والعياذ بالله .

ولذلك لا يُقيمون وزناً للمصاحف؛ لأنَّهم يقولون: الذي فيها ليس كلام الله، فكلام الله ما في نفسه، والقرآن الذي في المصاحف مخلوق لأنَّه عبارة عن حروف وأصوات وجلد، فليس هو كلام الله، بل هو كلام جبريل أو كلام محمد، وهذا يلزم على مذهبهم، وبعضهم يُصرِّح بذلك، أي بعدم احترام وتوقير ما في المصحف، فلو أنَّ رجلاً وطَّيء على المصحف وجلس عليه ما استنكروا ذلك، لأنَّهم يقولون: ما في المصحف مخلوق، فيترتب على ذلك زوال حرمة القرآن فيتهاون به النَّاسُ .

(١) ما سبق هو من ناحية الاعتقاد بالقرآن وأنَّه ليس كلام الله، وكذلك من ناحية العمل، فإنَّهم لا يعملون بالقرآن بل بالأدلة العقلية، فالقرآن عندهم لا يُفيد اليقين، فهم عزلوه عن الاستدلال، فالقرآن لا يتجاوز حناجرهم لأنَّهم لا يفقهون معناه ولا يعملون بمقتضاه .

عَزَلُوهُ إِذْ وَلَّوْا سِوَاهُ وَكَانَ ذَا
 كَ الْعَزْلُ قَائِدَهُمْ إِلَى الْخِذْلَانِ
 قَالُوا وَلَمْ يَخْضُلْ لَنَا مِنْهُ يَقِي
 مَنْ فَهُوَ مَعَزُولٌ عَنِ الْإِيْقَانِ (١)
 إِنَّ الْيَقِيْنَ قَوَاطِعُ عَقْلِيَّةٌ
 مِيْزَانُهَا هُوَ مَنْطِقُ الْيُونَانِ (٢)
 هَذَا دَلِيْلُ الرَّفْعِ مِنْهُ وَهَذِهِ
 أَعْلَامُهُ فِي آخِرِ الْأَزْمَانِ
 يَا رَبُّ مَنْ أَهْلُوهُ حَقًّا كَيْ يَرَى
 أَقْدَامَهُمْ مِّنَّا عَلَى الْأَذْقَانِ (٣)
 أَهْلُوهُ مَنْ لَا يَرْتَضِيْ مِنْهُ بَدِي
 لًا فَهَوَ كَافِيهِمْ بِلَا نُقْصَانِ

(١) هذه شبهتهم: أنّ أدلة القرآن لا تفيد اليقين، والعقائد إنّما تُبنى على اليقين.

(٢) أصل المنطق جاء من اليونان، وكان اليونان موطناً للفلاسفة الذين وضعوا علم المنطق، فدرس هؤلاء كتبهم وتوارثوها، بسبب أنّ المأمون جلب هذه الكتب من اليونان وكون لها «دار الحكمة» ووضع فيها مترجمين، فتغيّرت عقائد هؤلاء، ونسوا القرآن، وصرفتهم عنه، ولذا يقول الإمام أحمد: «لا أظنّ أنّ الله ينسى المأمون فقد أدخل في الإسلام ما ليس منه».

(٣) يقول: يا رب دلّنا على أهل الحق المتمسكين به حتى نُجلّهم، ونجعلهم يمشون على أذقاننا، ونخضع لهم بالأدب ونتواضع معهم.

وَهُوَ الدَّلِيلُ لَهُمْ وَهَادِيهِمْ إِلَى الْ

إِيمَانِ وَالْإِيقَانِ وَالْعِرْفَانِ

هُوَ مُوَصَّلٌ لَهُمْ إِلَى دَرْكِ الْيَقِينِ

مِنْ حَقِيقَةِ وَقَوَاعِ الْبُرْهَانِ^(١)

يَا رَبُّ نَحْنُ الْعَاجِزُونَ بِحُبِّهِمْ

يَا قَلَّةَ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ^(٢)

* * *

(١) هذا ردّ على هؤلاء الذين يقولون: إنّ القرآن لا يفيد اليقين ولا قواع البراهين لأنّه ظني بزعمهم.

(٢) هؤلاء هم الذين يستحقون البحث والتقدير ونحن عاجزون أن نوفّيهم حقهم، لأنهم هم الذين حفظ الله بهم هذا الدين، وحفظ الله بهم القرآن والسنة.

فصل

في أذان أهل السنة الأعلام بصريحتها جهراً

على رؤوس منابر الإسلام^(١)

يا قومُ قَدْ حَانَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ فَادُّ

تَبَهُوا فإِنِّي مُعَلِّنٌ بِأَذَانٍ^(٢)

(١) لما كان مذهب أهل السنة والجماعة هو العمل بالسنة والقرآن في العقائد وغيرها نادوا بهذا وأعلنوا وصرحوا على رؤوس المنابر وفي دروسهم، وأمروا الناس بالرجوع إلى الكتاب والسنة. والأذان في اللغة: هو الإعلام، فأذان أهل السنة على المنابر: هو الإعلان في الخطب على المنابر بالرجوع إلى الكتاب والسنة وترك ما سواهما، ولولا أن الله قيضهم فتادوا بهذا النداء لهلك الناس وضلوا عن الصراط المستقيم.

(٢) هذا من التشبيه، شبه بعثة النبي ﷺ بطلوع الفجر الذي به يتضح به ما حول الإنسان، ويظهر النور، وتزول الظلمة، وهكذا بعثة رسول الله ﷺ، فبعثته طلوع للفجر بعد الظلمة المستحكمة. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٥٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿[الأحزاب: ٤٥-٤٦] وكذلك كلُّ مُجَدِّدٍ يَأْتِي بَعْدَهُ فِي وَسْطِ الظُّلُمَاتِ فَإِنَّهُ فَجْرٌ يَطْلُعُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ دَعْوَةِ الْمُجَدِّدِينَ لِهَذَا الدِّينِ كَشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ وَتَلَامِيذِهِ وَالشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَأَحْفَادِهِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

لَا بِالْمُلْحَنِ وَالْمُبَدَّلِ ذَلِكَ بَلْ
 تَأْذِينَ حَقٌّ وَاضِحَ التَّيَّانِ
 وَهُوَ الَّذِي حَقًّا إِجَابَتُهُ عَلَيَّ
 كُلُّ امْرِيٍّ فَرَضٌ عَلَيَّ الْأَعْيَانِ
 اللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ أَلْ
 عَرَبِيٌّ مَخْلُوقًا مِنَ الْأَكْوَانِ (١)
 وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ أَلْ
 مَلَكِيٌّ أَنْشَأَهُ عَنِ الرَّحْمَنِ
 وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ أَلْ
 بَشَرِيٌّ أَنْشَأَهُ لَنَا بِلِسَانِ (٢)
 هَذِي مَقَالَاتٌ لَكُمْ يَا أُمَّةَ الشُّ
 تَشْبِيهِه مَا أَنْتُمْ عَلَيَّ إِيمَانِ

(١) هذا ردٌّ على الجهمية الذين يقولون: إن القرآن لفظه ومعناه مخلوق، والأشعرية الذين يقولون: لفظه مخلوق ومعناه غير مخلوق. فالحكم واحد في ذلك.

(٢) لهم قولان فيمن تكلم بالقرآن:

القول الأول: أنه الرسول الملكي وهو جبريل.

القول الثاني: أنه الرسول البشري وهو محمد عليه السلام، وهذا لا

يختلف عن قول الوليد بن المغيرة فيما حكاه الله عنه حين قال عن القرآن

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥].

شَبَّهْتُمْ الرَّحْمَنَ بِالْأَوْثَانِ فِي

عَدَمِ الْكَلَامِ وَذَلِكَ لِلْأَوْثَانِ (١)

مِمَّا يَدُلُّ بِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَ

لِهَةٍ وَذَا الْبُرْهَانَ فِي الْفُرْقَانِ

فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ مَعَ طَهَ وَثَا

لِئِنَّهَا فَلَا تَعْدِلُ عَنِ الْقُرْآنِ

أَفْصَحَ بِأَنَّ الْجَاهِدِينَ لَكُونَهُ

مُتَكَلِّمًا بِحَقِيقَةٍ وَبَيَانَ

هَمَّ أَهْلِ تَعْطِيلٍ وَتَشْبِيهِ مَعًا

بِالْجَامِدَاتِ عَظِيمَةِ التَّقْصَانِ (٢)

لَا تَقْدِفُوا بِالذَّاءِ مِنْكُمْ شِيعَةَ الرُّ

رَحْمَنِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ

(١) الذي حملهم على نفي صفة الكلام عن الله نفي التشبيه، فهم بزعمهم نزهوا الله عن مشابهة المخلوقين فنفوا عنه الكلام. فنقول: إن الذي لا يتكلم ليس بآله كما في الأعراف في نفي ألوهية العجل ﴿الْقَيْرُونَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٤٨] وفي سورة طه في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْجَعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه: ٨٩] لكلام صفة كمال وضده وهو الخرس صفة نقص، والله تعالى منزّه عن النقص.

(٢) كل من نفى كلام الله فإنه مشبهٌ ومعطّلٌ في آين واحد، لأنه لما شبيّه بالجامدات التي لا تتكلم عطله عن الكلام فهو جمع بين التعطيل والتشبيه.

إِنَّ الَّذِي نَزَلَ الْأَمِينَ بِهِ عَلَى
 قَلْبِ الرَّسُولِ الْوَاضِحِ الْبِرْهَانِ
 هُوَ قَوْلُ رَبِّي اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى جَمِيْعاً
 عَمَّا هُمَا أَخْوَانِ مُصْطَحِبَانِ^(١)
 لَا تَقْطَعُوا رَحِمًا تَوَلَّيْتُ وَضَلَّهَا الرَّزْ
 رَحْمَنٍ تَنْسَلِخُوا مِنَ الْإِيمَانِ
 وَلَقَدْ شَفَانَا قَوْلُ شَاعِرِنَا الَّذِي
 قَالَ الصَّوَابَ وَجَاءَ بِالْإِحْسَانِ
 إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ مَثْبُوتٌ
 بِأَنْسَامِلِ الْأَشْيَاخِ وَالشُّبَّانِ
 هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيَةٌ وَحُرُوفُهُ
 وَمِدَادُنَا وَالرَّقُّ مَخْلُوقَانِ^(٢)

(١) نحن نقول: الذي نزل به الأمين وهو جبريل على قلب الرسول ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٦﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٧٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤] هو كلام الله لفظه ومعناه، رداً على الذين يقولون: إنه مخلوق لفظه ومعناه أو الذين يقولون: إن معناه من الله ولفظه من جبريل أو محمد.

(٢) هذا قول القحطاني في نونيته التي ردَّ بها على الأشاعرة وقصيدته جيدة، وهذا يدلُّ على أنه قبل ابن القيم في الزمان. فالمعنى واللفظ ليسا مخلوقين ومِدَادُنَا وهو الحبر الذي نكتب به القرآن، والرَّقُّ وهو القرطاس الذي نكتب عليه كلاهما مخلوق، وأمَّا الكلام المكتوب فهو كلام الله غير مخلوق.

واللهُ أَكْبَرُ مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى

لَكِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْأَكْوَانِ (١)

واللهُ أَكْبَرُ ذُو الْمَعَارِجِ مَنْ إِلَيْهِ

سَبَّحَ الْأَمْلاكُ كُلَّ أَوَانٍ (٢)

واللهُ أَكْبَرُ مَنْ يَخَافُ جَلَالَهُ

أَمْلاكُهُ مِنْ فَوْقِهِمْ بَيَانٍ (٣)

(١) انتقل من مسألة الكلام إلى مسألة الاستواء؛ لأنَّ الأشاعرة أيضاً ينفون الاستواء على العرش، ويقولون: معنى استوى: استولى، فيزيدون اللام على كلام الله؛ ومعنى استوى على العرش عند أهل السنة علا وارتفع، وهذا مقتضى اللغة العربية، ولو كان الاستواء بمعنى الاستيلاء للزم أن يكون العرش قبل استيلاء الله عليه بولاية غيره، كما تقول: استولى الملك على المكان الفلاني، ألا يدرك ذلك على أنه قبل الاستيلاء كان في ملك غيره، هذا هو مقتضى هذا اللفظ، ثم لو كان الاستواء بمعنى الاستيلاء لم يكن هناك فرق بين العرش وغيره، لأنَّ الله مستولٍ على كلِّ الكون، والاستواء صفة فعلية، ولذلك رُتِبَ على خلق السماوات بـ«ثم» قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

(٢) العلو: صفة ذاتية لله تعالى لا تنفك عنه، والمعارج: المصاعد ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [المعارج: ٤] أي: تصعد إليه، فالعروج لا يكون إلا إلى أعلى، والعلو ثبت بالدليل السمعي والعقلي والفطري بخلاف الاستواء. فبالدليل السمعي.

(٣) هذا أيضاً فيه إثبات الفوقية لله تعالى، والعلو والفوقية بمعنى واحد =

وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ غَدَا لِسِرِيرِهِ
 أَطَّ بِهٖ كَالرَّحْلِ لِلرُّكْبَانِ
 وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ أَتَانَا قَوْلُهُ
 مِنْ عِنْدِهِ مِنْ فَوْقِ سِتِّ ثَمَانٍ ^(١)
 نَزَلَ الْأَمِينَ بِهٖ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ
 رَبِّ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى الرَّحْمَنُ
 وَاللَّهُ أَكْبَرُ قَاهِرٌ فَوْقَ الْعِبَا
 دِ فَلَا تَضَعُ فَوْقِيَّةَ الرَّحْمَنِ
 مِنْ كُلِّ وَجْهِ تِلْكَ ثَابِتَةٌ لَهُ
 لَا تَهْضُمُوهَا يَا أُولِي الْبُهْتَانِ ^(٢)
 قَهْرًا وَقَدْرًا وَاسْتِوَاءَ الذَّاتِ فَوْقِ
 قِ الْعَرْشِ بِالْبُرْهَانِ ^(٣)

= وهما ثلاثة أنواع:

الأول: علو وفوقية القدر.

الثاني: علو وفوقية القهر.

الثالث: علو وفوقية الذات، كما قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

(١) الله أكبر فهو الذي أتانا وحيه وقرآنه من عنده من فوق ثمان، أي من فوق سبع سماوات والعرش.

(٢) يعني هذه الوجوه الثلاثة ثابتة لله من كل وجه، فلا تهضموه بجحد فوقية الذات وتثبتون فوقية القهر والقدر.

(٣) لقد ثبتت فوقيته تعالى من كل وجه قهراً وقدرًا واستواء بذاته على عرشه.

فبذاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَىٰ

ثُمَّ اسْتَوَىٰ بِالذَّاتِ فَافْهَمْ ذَانِ

فضميرٌ فعلِ الاستواءِ يعودُ للذُّ

ذَاتِ الَّتِي ذُكِرَتْ بِهَا فُرْقَانِ (١)

هُوَ رَبُّنَا هُوَ خَالِقُ هُوَ مُسْتَوٍ

بِالذَّاتِ هَذَا كُلُّهَا بِوِزَانِ

وَاللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْعُلُوِّ الْمُطَّلَقِ الِ

مَعْلُومِ بِالْفِطْرَاتِ وَالْإِيمَانِ

فَعُلُوُّهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ثَابِتٌ

فَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ ذُو السُّلْطَانِ

وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ رَفَىٰ فَوْقَ الطَّبَا

قِ رَسُولُهُ مِنَ الدِّيَّانِ (٢)

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فالضمير في قوله: ﴿خَلَقَ﴾ يرجع إلى

الله كذلك قوله: ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ يرجع إلى الله تعالى، فدلَّ على أَنَّهُ

استوى على العرش بذاته سبحانه وتعالى، فكما أَنَّهُ هو الذي خلق الخلق

بذاته، فلا يصح التفريق بينهما بأن يقال استوى أمره وتدييره واستيلاؤه

لأنَّ الضمير واحد، ومرجعُهُ في الفعلين واحد، فلماذا تُفَرَّقون؟

(٢) هذا كما في أول سورة النجم ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾

[النجم: ٨-٩] فالعروج دليل على إثبات العلوِّ لله تعالى، والإسراء والمعراج

كانا بالروح والبدن جميعاً في اليقظة وليس هو بالروح فقط، وذلك لأنَّ

الله قال: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١] والعبد اسمٌ للروح والبدن.

وإليه قَدْ صَعِدَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً
 لَا تُنْكِرُوا الْمِعْرَاجَ بِالْبُهْتَانِ
 وَدَنَا مِنَ الْجَبَّارِ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَدَنَا إِلَيْهِ الرَّبُّ ذُو الْإِحْسَانِ
 وَاللَّهُ قَدْ أَحْصَى الَّذِي قَدْ قُلْتُمْ
 فِي ذَلِكَ الْمِعْرَاجِ بِالْمِيزَانِ
 قُلْتُمْ خَيْالًا أَوْ أَكَاذِبًا أَوْ أَلْ
 مِعْرَاجُ لَمْ يَحْضُلْ إِلَى الرَّحْمَنِ
 إِذْ كَانَ مَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى
 رَبُّ إِلَيْهِ مُنْتَهَى الْإِنْسَانِ
 وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ أَسَارَ رَسُولُهُ
 حَقًّا إِلَيْهِ بِأُضْبَعِ وَيَنَانِ^(١)
 فِي مَجْمَعِ الْحَقِّ الْعَظِيمِ بِمَوْقِفِ
 دُونَ الْمُعَرَّفِ مَوْقِفِ الْغُفْرَانِ

(١) أشار النبي ﷺ إلى ربه في خطبة «حجة الوداع» في عرفة لما خطب في الحجاج وقال: «ألا هل بلغت؟» فرفع أصبعه إلى السماء وقال: «اللهم اشهد»(*) فأشارته إلى السماء دليل على علو الله تعالى، والمعطلة عندهم أن الله لا يُشار إليه في العلو.

مَنْ قَالَ مِنْكُمْ مَنْ أَسَارَ بِأَصْبِعِ
 قُطْعَتٍ فَعِنْدَ اللَّهِ يَجْتَمِعَانِ
 وَاللَّهُ أَكْبَرُ ظَاهِرٌ مَا فَوْقَهُ
 شَيْءٌ وَشَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ شَأْنِ
 وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَرْشُهُ وَسِعَ السَّمَاءَ
 وَالْأَرْضَ وَالْكَرْسِيُّ ذَا الْأَرْكَانِ (١)
 وَكَذَلِكَ الْكُرْسِيُّ قَدْ وَسِعَ الطَّبَاءَ
 قِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ بِالْبُرْهَانَ
 وَالرَّبُّ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْكَرْسِيُّ لَا
 يَخْفَى عَلَيْهِ خَوَاطِرُ الْإِنْسَانِ (٢)
 لَا تَحْضُرُوهُ فِي مَكَانٍ إِذْ تَقْوُ
 لَوْ رَبُّنَا حَقًّا بِكُلِّ مَكَانٍ (٣)

(١) من الأدلة على عظمة الله سبحانه وتعالى أن عرشه الذي استوى عليه
 عرش عظيم، قال تعالى: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١١٢٩] فهو عرش
 عظيم، وهو أعلى المخلوقات، والمخلوقات تحته، فإذا كان هذا عظم
 العرش، فكيف بالخالق سبحانه وتعالى، فهو أكبر وأعظم من كل شيء.
 (٢) الله فوق المخلوقات مستوٍ على عرشه ليس حالاً في شيء من مخلوقاته
 وليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ومع علوه على خلقه واستوائه على
 عرشه يعلم ما يخطر في نفس الإنسان.
 (٣) هذا رد على الحلولية، ونفاة العلو عموماً للذين ينفون علو الله واستواءه
 على عرشه، فالله فوق مخلوقاته بائن عنها.

نَزَّهْتُمُوهُ بِجَهْلِكُمْ عَنْ عَرْشِهِ
وَحَصَرْتُمُوهُ فِي مَكَانٍ ثَانٍ^(١)
لَا تَعْدُمُوهُ بِقَوْلِكُمْ لَا دَاخِلٌ
فِينَا وَلَا هُوَ خَارِجُ الْأَكْوَانِ^(٢)
اللَّهُ أَكْبَرُ قَدْ هَتَكَتُ سِتَارَكُمْ
وَبَدَّتْ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شَبِّهِ وَعَنْ
مَثَلٍ وَعَنْ تَعْطِيلِ ذِي كُفْرَانٍ^(٣)

(١) نَزَّهوه عن العلوِّ فوق مخلوقاته لأنَّهم يقولون: إنَّه ليس له مكان، ولكنهم تناقضوا فقالوا: إنَّه في كلِّ مكان، وهكذا أهل الضلال إذا فرَّوا من شيءٍ، وقعوا في شيءٍ أعظم منه، فلا يليق بالعبد إلَّا التسليم لله ورسوله، وعدم الدخول في شأن الله، لأنَّه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، فلا يليق بالمؤمن إلَّا أن يُثبت ما أثبتَّه الله لنفسه أو أثبتَّه له رسوله.

(٢) وهؤلاء قالوا: لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوق ولا تحت ولا مُباين ولا يمنة ولا يسرة، وهذا هو العدم المحض، تعالَى اللهُ عن ذلك.

(٣) لما فرغ من المُعظلة التُّفأة شرع في الرد على المشبهة الذين غلوا في الإثبات، حيث شبهوا أسماء الله وصفاته بصفات خلقه تعالَى، فهم غلوا في الإثبات، والذين من قبلهم غلوا في النفي والتزويه بزعمهم، وكلا طرفي الأمور ذميم وخير الأمور الوسط.

واللهُ أَكْبَرُ مَنْ لَهُ الْأَسْمَاءُ وَالْ

أَوْصَافُ كَامِلَةٌ بِلا نَقْصَانٍ (١)

واللهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنُ وَلَدٍ وَصَا

حِبَّةٍ وَعَنُ كُفَاءٍ وَعَنُ أَخْدَانٍ (٢)

واللهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنُ شَبِّهِ الْجَمَا

دِ كَقَوْلِ ذِي التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ (٣)

هُمُ شَبَّهُوهُ بِالْجَمَادِ وَلَيْتَهُمْ

قَدْ شَبَّهُوهُ بِكَامِلِ ذِي شَانِ

اللَّهِ أَكْبَرُ جَلَّ عَنُ شَبِّهِ الْعَبَا

دِ فِذَانِ تَشْبِيهِانِ مُمْتَنَعَانِ (٤)

(١) له الأسماء الحسنی ومعنی كونها حسنی أنّها الكاملة التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وكذلك يُشتق من أسمائه صفات فليست ألفاظاً مجردة لا معاني لها بل هي أسماء لها معانٍ.

(٢) هذا ردٌّ على قول النصارى ومشركي العرب الذين أثبتوا لله الولد والصاحبة - تعالى الله عن ذلك - وهؤلاء أقبح المشبهين حيث إن الولد شبيه لوالده كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِمَنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾ [الزخرف: ١٥] يعني ولداً، فالله ليس له مثل ولا شبيه ولا كفؤ.

(٣) هم فرؤوا من كون إثبات الصفات يقتضي التشبيه، ولكنهم وقعوا في تشبيه أعظم وهو تشبيهه بالجمادات التي لا تسمع ولا تعقل، ولا تبصر وليس فيها حياة.

(٤) فهو منزّه عن مشابهة الموجودات، ومن باب أولى هو منزّه عن مشابهة المعدومات، ومنزه عن مشابهة العباد.

واللهُ أكبرُ واحدٌ صمدٌ فكلُّ

لُ الشَّانِ فِي صَمَدِيَّةِ الرَّحْمَنِ (١)

نَفَتِ الْوِلَادَةَ وَالْأَبُوَّةَ عَنْهُ وَال

كُفَاءَ الَّذِي هُوَ لِأَزْمِ الْإِنْسَانِ (٢)

وَكَذَاكَ أَثَبَّتِ الصِّفَاتِ جَمِيعَهَا

لِلَّهِ سَالِمَةً مِنَ التَّقْصَانِ (٣)

وَالِيهِ يَضْمُدُ كُلُّ مَخْلُوقٍ فَلَا

صَمَدٌ سِوَاهُ عَزَّ ذُو السُّلْطَانِ

لَا شَيْءَ يُشْبِهُهُ تَعَالَى كَيْفَ يُشَدُّ

بِهِ خَلْقُهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانِ

لَكِنْ تُبُوَّتُ صِفَاتِهِ وَكَلَامِهِ

وَعُلُوُّهُ حَقًّا بِلَا نُكْرَانِ

(١) الصمد: الذي تصمد إليه الخلائق بحوائجها، يعني تقصده سبحانه لحوائجها لأنه الغني الكريم.

(٢) يعني: سورة الإخلاص نفت الولادة عن الله ﴿لَمْ يَكِلِدْ﴾ والأبوة ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ ونفت المشابهة عنه ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُوا أَحَدًا﴾ ولذا سميت الإخلاص.

(٣) أي صمديته نفت هذه الأشياء، ويلزم من نفي الكفو نفي الولادة والأبوة عنه، ويلزم منها إثبات صفات الكمال له سبحانه وتعالى.

لا تجعلوا الإثبات تشبيهاً له

يا فِرْقَةَ التَّشْبِيهِ وَالطُّغْيَانِ (١)

كم ترتقون بِسُلْمِ التَّنْزِيهِ لِلتَّ

تَعْطِيلِ تَرْوِيحاً عَلَى الْعُمَيَانِ (٢)

فَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ صِفَاتُهُ

كَصِفَاتِنَا جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

هَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ لَا إِثْبَاتٌ أَوْ

صَافِ الْكَمَالِ فَمَا هُمَا سَيِّانِ (٣)

* * *

(١) يردُّ على المعطلة الذين نفوا الصفات بحجة أن إثباتها يقتضي التشبيه بزعمهم، وهذا باطل، لأننا عرفنا الفرق بين صفات الخالق والمخلوق، وهم فرُّوا من تشبيهه بالموجودات فوقعوا في تشبيهه بالمعدومات والناقصات والجمادات.

(٢) هم ملاحدة ولكنهم اتخذوا سُلْمَ التَّنْزِيهِ للوصول إلى إلحادهم فقالوا: ننزه الله عن هذه الصفات ليتوصلوا بها إلى نفي وجوده تبارك وتعالى، فستروا بهذه الشبهة وهم يريدون الإلحاد في حق الله تعالى.

(٣) هذا هو التشبيه الغليظ وهو نفي الصفات، لأنهم شبهوه بالمعدومات والناقصات والجمادات. لا ما ادعوه أن إثبات الصفات يقتضي التشبيه.

فصل

في تلازم التعطيل والشرك

واعلم بأنَّ الشرك والتعطيل مُذ

كانا هُما لا شكَّ مُصْطَحِبَانِ^(١)

(١) النفي والجحود هو التعطيل، والشرك: إثبات الشريك لله سبحانه وتعالى في عبادته. والتعطيل على قسمين:

الأول: تعطيل للكون عن خالقه، كتعطيل فرعون وتعطيل النمرود والدهرية الذين قالوا: ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤] وهؤلاء ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤] وقوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾ [٣٥-٣٦] وهذا برهان عقلي، ولذا لما سمع جُبَيْر بن مُطْعَم رسول الله يتلو هذه الآية في صلاة المغرب وكان كافراً حينذاك ففكَّر وقال: كاد قلبي أن يطير^(*)، لأنَّه عربي فصيح يفهم عظمة هذا البرهان.

الثاني: معطلة الخالق عن أسمائه وصفاته، وهم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، لأنَّ التعطيل أصله إخلاء الشيء، كما تقول: امرأة عاطل، يعني: خالية من الجُلي، والمعطل مشرك لأنَّ الخلق لا بُدَّ لهم من رب يدعونه ويسألونه ويرفعون حوائجهم إليه، فإذا عُطِّل هذا الكون من خالقه، أو عُطِّل الربُّ من صفاته، توجَّه الخلقُ إلى غيره، فيلزم على التعطيل حينئذٍ الشرك، والمشرك مُعْطَلٌ؛ لأنَّه عَطَّلَ الله سبحانه مِن حَقِّه الذي لا يُشَارِكُهُ فيه أحد وهو العبادة.

(*) أخرجه البخاري (٤٨٥٤).

أَبْدَأُ فَكُلُّ مَعْطَلٍ هُوَ مُشْرِكٌ
 حَتْمًا وَهَذَا وَاضِحُ التَّبَيَّنِ
 فَالْعَبْدُ مُضْطَرٌّ إِلَى مَنْ يَكْشِفُ الـ
 بَلَوِي وَيُغْنِي فَاقَةَ الْإِنْسَانِ
 وَإِلَيْهِ يَصْمُدُ فِي الْحَوَائِجِ كُلِّهَا
 وَإِلَيْهِ يَقْرَعُ طَالِبًا لِأَمَانِ
 فَإِذَا انْتَفَتْ أَوْصَافُهُ وَفَعَالُهُ
 وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ
 فَزِعَ الْعِبَادُ إِلَى سِوَاهُ وَكَانَ ذَا
 مِنْ جَانِبِ التَّعْطِيلِ وَالتُّكْرَانِ (١)
 فَمَعْطَلُ الْأَوْصَافِ ذَاكَ مَعْطَلُ التَّ
 تَوْحِيدِ حَقًّا ذَانِ تَعْطِيلَانِ (٢)
 قَدْ عَطَّلَا بِلِسَانِ كُلِّ الرُّسُلِ مِنْ
 نُوحٍ إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ (٣)

(١) هذا وجه كون المَعْطَلِ مشركاً؛ لأن العبد مضطرٌّ إلى إلهٍ يسأله ويدعوه ويطلب منه مقصوده وما يصلحه، وإذا كان الرب لا يقدر على ذلك توجه العباد إلى غيره وهذا هو الشرك.

(٢) الذي يقر بوجود الله لكنه يشرك في توحيد العبادة يكون مُعْطَلًا لله، وذلك لأنه صرف حقَّ الله لغيره، وجعل لله شريكاً، وهذا تعطيل التوحيد.

(٣) يعني أن المشرك معطل، والمَعْطَلُ مشرك، هذا على ألسنة جميع الرسل عليهم السلام، إلا أن المشرك أكثر وجوداً من الملحد المَعْطَلِ.

والناسُ في هذا ثلاثُ طوائفٍ
 ما رابعٌ أبداً بذِي إمكانِ
 إحدى الطوائفِ مُشركٌ بِاللَّهِ
 فإذا دعاهُ دعا إِلَهًا ثَانِ
 هذا وثاني هذه الأقسامِ ذا
 لِكَ جاحدٌ يدعُو سِوَى الرَّحْمَنِ
 هُوَ جاحدٌ لِلرَّبِّ يدعُو غَيْرَهُ
 شِرْكَاءُ وتَعْطِيلًا لَهُ قَدَمَانِ
 هذا وثالثُ هذه الأقسامِ خَيْدٌ
 رُ الخلقِ ذاكِ خلاصَةُ الإنسانِ
 يدعُو الإِلَهَ الحَقَّ لا يدعُو سِوَا
 هُ قَطُّ فِي الأَشْيَاءِ والأَكْوَانِ
 يدعُوهُ فِي الرِّغْبَاتِ والرِّهْبَاتِ وَالْ
 حَالَاتِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ^(١)

(١) هذا مُلخَّصٌ لما سبق وبيان انقسام الناس نحو التعطيل من عدمه إلى

ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تعطيل المشركين الذين عطلوا الرب من إفراده بالعبادة.

القسم الثاني: معطلة الكون من خالقه وهم الذين نفوا وجود الرب

ونسبوا الكون إلى الطبيعة.

القسم الثالث: الذين عطلوا الله من أسمائه وصفاته من الجهمية ومن

تابعهم.

توحيدُهُ نَوْعَانِ عِلْمِيٍّ وَقَصْدُ

سِدِّي كَمَا قَدْ جُرِّدَ النُّوعَانِ

فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ مَعَ تَالٍ لِنَصِّ

رِ اللَّهِ قَلِّ يَا أَيُّهَا بَيِّنَانِ

وَلِذَلِكَ قَدْ شُرِعَا بِسُنَّةِ فَجَّرْنَا

وَكَذَلِكَ سُنَّةِ مَغْرِبِ طَرْفَانِ

لِيَكُونَ مَفْتَحُ النَّهَارِ وَخَتْمُهُ

تَجْرِيدَكَ التَّوْحِيدَ لِلدِّيَانِ

وَكَذَلِكَ قَدْ شُرِعَا بِخَاتَمِ وَثَرْنَا

خَتْمًا لَسَعِي اللَّيْلِ بِالْأَذَانِ

وَكَذَلِكَ قَدْ شُرِعَا بِرَكْعَتِي الطَّوَا

فِي وَذَلِكَ تَحْقِيقٌ لِهَذَا الشَّانِ

فَهُمَا إِذَا أَحْوَانَ مُصْطَحِبَانِ لَا

يَتَفَارِقَانِ وَلَيْسَ يَنْفَصِلَانِ

فَمُعْطَلُ الْأَوْصَافِ ذُو شِرْكَ كَذَا

ذُو الشَّرْكِ فَهُوَ مُعْطَلُ الرَّحْمَنِ

أَوْ بَعْضِ أَوْصَافِ الْكَمَالِ لَهُ فَحَقُّ

قِقُّ ذَا وَلَا تُسْرِعْ إِلَى نَكَرَانِ^(١)

(١) أنواع التوحيد على الإجمال اثنان:

الأول: توحيد خبري علمي: وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

الثاني: توحيد عملي طلبي: وهو توحيد الألوهية، وقد جُرِّدَ هذان =

= النوعان من التوحيد في سورتين:

الأولى: سورة الإخلاص: وهي في توحيد الربوبية والأسماء والصفات.
 الثانية: سورة الكافرون: وهي في توحيد الألوهية، ولكون هاتين
 السورتين العظيمتين تتضمنان نوعي التوحيد: العملي والعلمي كان النبي ﷺ
 يقرأ بهما في ركعتي الفجر الراتبة(*)، ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ﴾ في الأولى
 وفي الثانية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ليفتح النهار بنوعي التوحيد، وكان ﷺ يقرأ
 بهما في راتبة المغرب(*) ليفتح بهما الليل بنوعي التوحيد العلمي والعملي،
 وكان أيضاً يقرأ بهما في ركعتي الطواف(**) لتضمنهما نوعي التوحيد،
 وكذلك في الشفع والوتر(***) في هذه المواضع وذلك لختام عمل الليل
 وهو القيام والتهجد يختمه بالتوحيد فصار يقرأ بهما في أربعة مواضع:

الأول: في راتبة الفجر.

الثاني: الشفع والوتر من قيام الليل.

الثالث: راتبة المغرب.

الرابع: ركعتي الطواف. وهذا يدل على أنه لا يكفي توحيد الربوبية
 بل لا بد معه من توحيد الألوهية لأنهما أخوان مصطحبان.

ومعطلة الأسماء والصفات ليسوا على حد سواء منهم من يُعطل
 الأسماء والصفات كالجهمية، ومنهم من يُعطل الصفات كلها ويُقر
 بالأسماء كالمعتزلة، ومنهم من يُثبت الأسماء وبعض الصفات ويُعطل
 البقية وهم الأشاعرة والماتريدية.

(*) انظر «مسند أحمد» ٣٢/١٠ (٥٧٤٢) حديث ابن عمر، و«تفسير ابن كثير»

٥٠٦/٨ أول تفسير سورة ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ﴾.

(**) انظر «صحيح مسلم» (١٢١٨) حديث جابر بن عبد الله.

(***) انظر «مسند أحمد» ٧٨/٣٥ (٢١١٤١) حديث أبي بن كعب.

فصل

في بيان أن المعطل شرٌّ من المُشرك^(١)

لكن أخو التعطيل شرٌّ من أخي ال
إشراك بالمعقول والبُرهان
إنَّ المعطلَ جاحدٌ للذاتِ أو
لكمالها هذان تعطيلان
متضمنان القَدْحَ في نفس الألو
هة كم بذاك القَدْحِ مِنْ نُقْصَانِ^(٢)
والشُّركُ فَهُوَ تَوَسُّلٌ مقصوده الزُّ
زُلْفَى مِنَ الرَّبِّ العَظِيمِ الشَّانِ^(٣)

(١) المعطل شر من المشرك؛ لأنَّ المعطل ينفي وجود الله تعالى بالكلية أو يكون معطلاً لأسمائه وصفاته، وأمَّا المشرك فهو يُقَرُّ بوجود الله مع شركه في العبادة.

(٢) المعطل: لا يخلو من حالتين:

الأولى: إمَّا إنَّه جاحدٌ بوجود الذات.

الثانية: وإمَّا إنَّه مُعطل لكمالها بنفي الأسماء والصفات، وهؤلاء هم الجهمية ومشتقاتهم من فرق الضلال.

(٣) المشركون يقرون بوجود الله تعالى وبأسمائه وصفاته ويعبدون الله، ولكنهم يقولون: إننا لن نصل إلى الله بدون واسطة فنحن بحاجة إلى وسطاء وشفعاء إلى الله، فالمشركون أخفُّ من المعطلة.

بعبادة المخلوق من حَجَرٍ وَمِنْ
 بَشَرٍ وَمِنْ قَبْرِ وَمِنْ أَوْثَانٍ^(١)
 فالشرك تعظيمٌ بجهلٍ من قيا
 سِ الرَّبِّ بِالْأَمْرَاءِ وَالسُّلْطَانِ^(٢)
 ظَنُّوا بَأَنَّ الْبَابَ لَا يُغْشَى بِدُو
 نِ تَوْشِطِ الشُّفَعَاءِ وَالْأَعْوَانِ
 وَدَهَاهُمْ ذَاكَ الْقِيَاسُ الْمُسْتَبِيحُ
 مِنْ فَسَادِهِ بِبِدَاهَةِ الْإِنْسَانِ
 الْفَرْقُ بَيْنَ اللَّهِ وَالسُّلْطَانِ مِنْ
 كُلِّ الْوُجُوهِ لَمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
 أَنَّ الْمُلُوكَ لِعَاجِزُونَ وَمَا لَهُمْ
 عِلْمٌ بِأَحْوَالِ الدُّعَا بِأَذَانِ

(١) كل ما يعبدون من دون الله يقصدون به التوسط منه لهم عند الله، سواء كان معبودهم من الأحجار أو الأشجار أو الملائكة أو الصالحين أو القبور والأضرحة.

(٢) والذي حملهم على اتخاذ الشفعاء والوسائط التي يعبدونها من دون الله، أنهم قاسوا الخالق على المخلوق، لما رأوا سلاطين وملوك الدنيا لا يتوصل إليهم، إلا بشفعاء قاسوا الله عليهم - تعالى الله عن ذلك - فالله تعالى لا يقاس بأحد من خلقه، وذلك لأن السلاطين لا يعلمون بأحوال الرعية إلا بعد أن يبلغهم الشفعاء، والله تعالى يعلم كل شيء لا يخفى عليه شيء.

كلاً ولا هم قادرون على الذي
 يحتاجه الإنسان كل زمان
 كلاً وما تلك الإرادة فيهم
 لقضا حوائج كل ما إنسان
 كلاً ولا وسعوا الخليفة رحمة
 من كل وجه هم أولو التقصان
 فلذلك احتاجوا إلى تلك الوسأ
 يط حاجة منهم مدى الأزمان
 أما الذي هو عالم للغيب متد
 تدبر على ما شاء ذو إحسان
 وتخافه الشفعاء ليس يريد من
 هم حاجة جل العظيم الشان
 بل كل حاجات لهم فالإيه لا
 لسواه من ملك ولا إنسان
 وله الشفاعة كلها وهو الذي
 في ذاك يأذن للشفيع الداني
 لمن ارتضى ممن يوحدُه ولم يشرك به
 شيئاً لما قد جاء في القرآن^(١)

(١) هناك فروق بين الله وبين الملوك والسلاطين تتلخص فيما يلي:

الأول: أن الملوك عاجزون عن إجابة طلبات الرعية.

سَبَقَتْ شَفَاعَتُهُ إِلَيْهِ فَهَوَ مَشُ
 فُوعٌ إِلَيْهِ وَشَافِعٌ ذُو شَانِ
 فَلذَا أَقَامَ الشَّافِعِينَ كِرَامَةً
 لَهُمْ وَرَحْمَةً صَاحِبِ الْعِصْيَانِ^(١)
 فَالْكُلُّ مِنْهُ بَدَا وَمَرَجِعُهُ إِلَيْهِ
 وَوَحْدَهُ مَا مِنْ إِلَهٍ ثَانِ
 غَلَطَ الْأُلَى جَعَلُوا الشَّفَاعَةَ مِنْ سِوَا
 هُ إِلَيْهِ دُونَ الْإِذْنِ مِنْ رَحْمَنِ
 هَذَا شَفَاعَةٌ كُلِّ ذِي شِرْكٍَ فَلَا
 تَعْقِدْ عَلَيْهَا يَا أَخَا الْإِيمَانِ

الثاني: أنهم لا يعلموا أحوال الرعية إلا بعد أن يبلغهم الوسطاء.

الثالث: عدم قدرتهم على قضاء حوائج الناس دائماً.

الرابع: لقسوتهم وعدم رحمتهم للرعية.

الخامس: أن الشفاعة كلها لله فلا أحد يشفع عنده إلا بإذنه ﴿مَنْ ذَا

الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

أما الملوك فليس بلزام أن يأذنوا لمن يشفع عندهم.

(١) والحكمة في أن الله يُشْفَعُ من يشاء من عباده المؤمنين من وجهين:

الأول: أن الله يريد بذلك إكرام «الشافع» وإظهار فضله.

الثاني: الرحمة بالمشفوع فيه لأنه من عصاة الموحدين فهو محلٌّ

للرحمة.

واللهُ في القرآنِ أبطلها فلا
تَعْدِلْ عَنِ الْآثَارِ وَالْقُرْآنِ
وكذا الوِلايَةُ كُلُّهَا لله لا
لِسِوَاهُ مِنْ مَلِكٍ وَلَا إِنْسَانٍ (١)
واللهِ لَمْ يَفْهَمُ أَوْلُو الْإِشْرَاكِ ذَا
وَرَأَهُ تَنْقِيساً أَوْلُو التَّقْصَانِ

(١) الولاية: بفتح الواو، معناها المحبة، فالله هو الذي يستحق المحبة الكاملة دون ما سواه، وهي أعظم أنواع العبادة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَقَدْ﴾ [البقرة: ١٦٥] ولكن لا يقتصر الدين على المحبة كما يقول الصوفيّة، بل العبادة أنواع كثيرة كالخوف والتوكل والندب والذبح فلا تقتصر على المحبة، فالصوفية يقولون: نحن نعبده من أجل المحبة فقط، وهذا باطل لأن الرسل وهم أعظم الناس محبة لله يعبدونه بالخوف والرجاء قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِأَلْخَمِيرَاتٍ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠] فالرغب: هو الرجاء والرهب هو الخوف، فلا بد من الجمع بين الرجاء والخوف، ولذا يقول العلماء: من عبَد الله بالرجاء فقط فهو صوفي ومن عبد الله بالخوف فقط فهو خارجي. ومن عبد الله بالرجاء فقط فهو مرجيء، فلا بد من الجمع بين الخوف والرجاء والمحبة.

فالولاية كُلُّهَا لله، فلا يبقى في الآخرة إلا المحبة لله وفي الله ولذا قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] فلا يبقى إلا محبة الله يوم القيامة ومحبة ما يحبه الله تعالى.

إِذْ قَدْ تَضَمَّنَ عَزَلَ مَنْ يُدْعَى سِوَى الرَّحْمَنِ بَلْ أَحَدِيَّةَ الرَّحْمَنِ^(١)
 بَلْ كُلُّ مَدْعُوٍّ سِوَاهُ مِنْ لَدُنْ عَرْشِ الْإِلَهِ إِلَى الْحَضِيضِ الدَّانِي
 هُوَ بَاطِلٌ فِي نَفْسِهِ وَدُعَاءُ عَايِدِهِ لَهُ مِنْ أَبْطَلِ الْبُطْلَانِ^(٢)
 فَلَهُ الْوَلَايَةُ وَالْوَلَايَةُ مَا لَنَا مِنْ دُونِهِ وَالِ مِنْ الْأَكْوَانِ
 فَإِذَا تَوَلَّاهُ أَمْرُؤُا دُونَ الْوَرَى طَرًّا تَوَلَّاهُ الْعَظِيمُ الشَّانِ^(٣)
 وَإِذَا تَوَلَّى غَيْرَهُ مِنْ دُونِهِ وَلَاهُ مَا يَرْضَى بِهِ لِهَوَانِ

(١) إذا كانت الولاية لله تعالى فهذا يتضمن عزل من سواه من الأصنام والأحجار التي يعبدها المشركون، فليس لها ملك ولا ولاية، فأهل الإشراك لم يفهموا هذا، ولذا عدلوا إلى الأصنام والأحجار فعبدوها من دون الله، ويزعمون أن لها ملكاً وتدبيراً.

(٢) كل من عبّد من دون الله من أهل السماوات وأهل الأرض فعبادته باطلة لأنه لا يصلح للعبادة، فالعبادة حقّ لله جلّ وعلا لا يُشاركه فيها أحد.

(٣) إذا تولى العبد ربّه بمعنى إذا أحبّه، فإنّ الله يتولّاهُ ويحبّه من باب الجزاء، وأمّا مَنْ تولى غير الله فإنّ الله يكله إلى مَنْ تولى ﴿إِنَّمَا وَيَكْفُرُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَبَعْدَ مَمَاتِهِ
 وَكَذَلِكَ عِنْدَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ
 حَقًّا يُنَادِيهِمْ نِدَاءً سُبْحَانَهُ
 يَوْمَ المَعَادِ فَيَسْمَعُ الثَّقَلَانِ
 يَا مَنْ يَرِيدُ وَلايَةَ الرَّحْمَنِ دُونَ
 نِ وَلايَةَ الشَّيْطَانِ والأَوْثَانِ
 فَارِقِ جَمِيعَ النَّاسِ فِي إِشْرَاكِهِمْ
 حَتَّى تَنَالَ وَلايَةَ الرَّحْمَنِ (١)
 يَكْفِيكَ مَنْ وَسِعَ الخَلَائِقَ رَحْمَةً
 وَكَفَايَةَ ذُو الفَضْلِ والإِحْسَانِ
 يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَنْزَلِ الطَّافَةَ
 تَأْتِي إِلَيْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ
 يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَنْزَلِ فِي سِتْرِهِ
 وَيَرَاكَ حِينَ تَجِيءُ بِالعِصْيَانِ

(١) إذا أردت ولاية الله تعالى لك فاترك ولاية غيره من الأحجار والأشجار والقبور والأضرحة وكل المعبودات، أمّا إذا اتخذت هذه الأشياء من دون الله فَإِنَّ اللهَ يَتَخَلَّى عَنْكَ وَيَكَلِّكُ إِلَيْهَا، وفي الحديث: «من تعلق شيئاً وكل إليه» (*).

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣١/٧٧-٧٨ (١٨٧٨١)، والترمذي (٢٠٧٢) من حديث عبد الله بن عكّيم، وهو حديث حسن لغيره، انظر تمام تخريجه وتنقيده في «المسند».

يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ فِي حِفْظِهِ
وَوَقَايَةِ مِنْهُ مَدَى الْأَزْمَانِ
يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ فِي فَضْلِهِ
مُتَقَلِّباً فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ
يدعوه أهل الأرض مع أهل السما
ء فكل يوم ربنا في شان^(١)
وهو الكفيل بكل ما يدعونه
لا يعترني جدواهُ مِنْ نُقْصَانِ^(٢)
فَتَوْسُطُ الشُّفَعَاءِ وَالشُّرَكَاءِ وَالظُّ
ظَهْرَاءِ أَمْرٌ بَيْنَ الْبُطْلَانِ
ما فيه إلا محض تشبيه لهم
بالله وهو فأقبح البهتان^(٣)
مع قُصْدِهِمْ تَعْظِيمَهُ سُبْحَانَهُ
مَا عَطَّلُوا الْأَوْصَافَ لِلرَّحْمَنِ

- (١) إذا كانت الخلائق جميعها تقصد الله بحوائجها فكيف أنت تعرض عن هذا الرب وتدعو سواه وتخشى غيره!
- (٢) هو الغني الذي إذا أعطى لم ينقص ذلك ما عنده سبحانه وتعالى بخلاف المخلوق فإنه ولو كان عنده أموال كثيرة فهي على سبيل الزوال والنقص فإذا ما دفع منها شيئاً نقصت.
- (٣) من اتخذ عند الله الوسائط والشفعاء وتقرب إليهم فقد شبه الله بالملوك والرؤساء الذين لا يقضون حوائج الناس إلا بالشفعاء والوسطاء وهذا من أقبح التشبيه.

لَكِنْ أَخُو التَّعْطِيلِ لَيْسَ لَدَيْهِ إِنْ
لَا التَّقْيُ أَيْنَ التَّقْيُ مِنْ إِيْمَانٍ
وَالْقَلْبُ لَيْسَ يُقْرَأُ إِلَّا بِالتَّعَبِ
بُدِ فَهُوَ يَدْعُوهُ إِلَى الْأَكْوَانِ
فَتَرَى الْمُعْطَلَّ دَائِمًا فِي حَيْرَةٍ
مُتَنَقِّلًا فِي هَذِهِ الْأَعْيَانِ
يَدْعُو إِلَهًا تَمَّ يَدْعُو غَيْرَهُ
ذَا شَأْنُهُ أَبَدًا مَدَى الْأَزْمَانِ
وَتَرَى الْمُوَحِّدَ دَائِمًا مُتَنَقِّلًا
بِمَنَازِلِ الطَّاعَاتِ وَالْإِحْسَانِ
مَا زَالَ يَنْزِلُ فِي الْوَفَاءِ مَنَازِلًا
وَهِيَ الطَّرِيقُ لَهُ إِلَى الرَّحْمَنِ
لَكِنَّمَا مَعْبُودُهُ هُوَ وَاحِدٌ
مَا عِنْدَهُ رَبَّانٍ مُعْبُودَانِ (١)

(١) العلماء يقولون: إِنَّ الْمُعْطَلَّ يَعْبُدُ عَدَمًا، لِأَنَّهُ يَعْبُدُ رَبًّا لَيْسَ لَهُ أَسْمَاءٌ وَلَا صِفَاتٌ وَهَذَا مَعْدُومٌ، وَالْمُمَثَّلُ يَعْبُدُ صِنْمًا فَهُوَ يَعْبُدُ مَخْلُوقًا، لِأَنَّهُ شَبَّهَ اللَّهَ بِالْمَخْلُوقِ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْمَخْلُوقِ عِنْدَهُ، فَهُوَ يَعْبُدُ صِنْمًا، وَالْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ آلِهَةً مُتَعَدِّدَةً مِنَ الْأَحْجَارِ وَالْأَشْجَارِ وَالْقُبُورِ وَالْأَضْرِحَةِ فَآلِهَتُهُمْ مُتَفَرِّقَةٌ، وَالْمُوَحِّدُ يَعْبُدُ إِلَهًا وَاحِدًا فَرْدًا صِمْدًا، لِأَنَّهُ يَثْبِتُ اللَّهُ تَعَالَى الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ، فَالْمُوَحِّدُ يَشْتَغَلُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ اللَّهُ الْقَلْبِيَّةِ كَالْمَحَبَّةِ وَالْخُوفِ وَالرَّجَاءِ، وَالْعِبَادَةِ الْبَدْنِيَّةِ كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ، وَالْقَوْلِيَّةِ كَالْتَسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالِاسْتِغْفَارِ.

فصل

في مثل المشرك والمعطل^(١)

أَيْنَ الَّذِي قَدْ قَالَ فِي مَلِكٍ عَظِيمٍ
 لَسْتُ فِينَا قَطُّ ذَا سُلْطَانٍ
 مَا فِي صِفَاتِكَ مِنْ صِفَاتِ الْمُلْكِ شَيْءٌ
 كُلُّهَا مَسْئُوبَةٌ الْوَجْدَانِ
 فَهَلْ اسْتَوَيْتَ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ أَوْ
 دَبَّرْتَ أَمْرَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ
 أَوْ قُلْتَ مَرْسُومًا تُنْفِذُهُ الرَّعَا
 يَا أَوْ نَطَقْتَ بِلَفْظَةٍ بَيِّنَةٍ
 أَوْ كُنْتَ ذَا أَمْرٍ وَذَا نَهْيٍ وَتَكُ
 لِيَمٍ لِمَنْ وَافِيٍّ مِنَ الْبُلْدَانِ
 أَوْ كُنْتَ ذَا سَمْعٍ وَذَا بَصَرٍ وَذَا
 عِلْمٍ وَذَا سُخْطٍ وَذَا رِضْوَانِ

(١) أراد الشيخ أن يضرب مثلاً للمُعطل أولاً، فالمعطل يقول لله: ليس لك سمع ولا بصر ولا كلام ولا وجه ولا إرادة ولا أنت داخل العالم ولا خارج العالم، إذاً هذا الرب أصبح معدوماً، فيلزم على مذهبه العدم، بل انتهى للمستحيل، وأما المشرك فمثله كمثل الذي أقرَّ بوجود الله، وأقرَّ له بالأسماء والصفات، ولكن اتخذ مع الله شركاء يُبَلِّغونه حوائج خلقه، أي أن المشرك أقلُّ شراً من المُعطل لأنه أقرَّ بالله وبأسمائه وصفاته وعبدَ غيره معه.

أَوْ كُنْتَ قَطُّ مُكَلِّمًا مُتَكَلِّمًا
 مُتَصَرِّفًا بِالْفِعْلِ كُلِّ زَمَانٍ
 أَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ حَقِيقَةً أَلْ
 فِعْلٍ الَّذِي قَدْ قَامَ بِالْأَذْهَانِ
 أَوْ كُنْتَ حَيًّا فَاعِلًا بِمَشِيئَةٍ
 وَبِقُدْرَةِ أَفْعَالِ ذِي السُّلْطَانِ
 فِعْلٌ يَقُومُ بِغَيْرِ فَاعِلِهِ مُحَا
 لٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ لِذِي الْإِنْسَانِ
 بَلْ حَالَةُ الْفَعَالِ قَبْلُ وَمَعَ وَبَعْدُ
 سُدُّ هِيَ الَّتِي كَانَتْ بِلَا فُرْقَانٍ
 وَاللَّهِ لَسْتُ بِفَاعِلٍ شَيْئًا إِذَا
 مَا كَانَ شَأْنُكَ مِنْكَ هَذَا الشَّانِ
 لَا دَاخِلًا فِينَا وَلَسْتُ بِخَارِجٍ
 عَنَّا خِيَالًا دُرْتُ فِي الْأَذْهَانِ
 فَبِأَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ فِينَا مَالِكًا
 مُلْكًا مُطَاعًا قَاهِرَ السُّلْطَانِ
 اسْمًا وَرَسْمًا لَا حَقِيقَةً تَحْتَهُ
 شَأْنُ الْمُلُوكِ أَجَلٌ مِنْ ذَا الشَّانِ (١)

(١) هذا كله مذهب المعطل في حق الله تعالى، فهو رحمه الله قد جمع كل قول المعطلة في هذه الآيات. والمعطلة أصناف كما مر. فمنهم المعطلة المحضة الذين ينكرون وجود الرب. ومنهم معطلة الأسماء والصفات. ومنهم معطلة العبادة الذين عطلوا الله عن إفراده بالعبادة.

هَذَا وَثَانٍ قَالَ أَنْتَ مَلِكُنَا
 وَسِوَاكَ لَا نَرْضَاهُ مِنْ سُلْطَانٍ
 إِذْ حُزَّتْ أَوْصَافَ الْكَمَالِ جَمِيعَهَا
 وَلِأَجْلِ ذَا دَانَتْ لَكَ الثَّقَلَانِ
 وَقَدْ اسْتَوَيْتَ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ وَاسِ
 تَوَلَّيْتَ مَعَ هَذَا عَلَى الْبِلْدَانِ
 لَكِنَّ بَابَكَ لَيْسَ يَغْشَاهُ امْرُؤٌ
 إِنْ لَمْ يَجِءْ بِالشَّافِعِ الْمِعْوَانِ
 وَيَذِلكُ لِلبَّوَابِ وَالْحُجَّابِ وَالشُّ
 شُفَعَاءِ أَهْلِ الْقُرْبِ وَالْإِحْسَانِ
 أَفَيْسَتَوِي هَذَا وَهَذَا عِنْدَكُمْ
 وَاللَّهُ مَا اسْتَوِيَا لَدَى إِنْسَانٍ^(١)
 وَالْمُشْرِكُونَ أَخْفُ فِي كُفْرَانِهِمْ
 وَكِلَاهُمَا مِنْ شِيعَةِ الشَّيْطَانِ

(١) هذا مثلُ المُشْرِكِ الَّذِي أَقَرَّ بِتَوْحِيدِ الرَّبُوبِيَّةِ وَأَنْكَرَ تَوْحِيدَ الْأَلُوْهِيَّةِ، أَمَّا
 الْمُعْطَلُ فَإِنَّهُ جَحَدَ تَوْحِيدِ الرَّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدَ الْأَلُوْهِيَّةِ، وَالخَلَلُ عِنْدَ الْمُشْرِكِ
 أَنَّهُ يَقُولُ: مَا نَصَلَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِالْوَسْطَاءِ أَوْ الشُّفَعَاءِ فَشَبَّهَ اللَّهُ بِمَلُوكِ
 الدُّنْيَا.

إِنَّ الْمُعْطَلَّ بِالْعُدْوَةِ قَائِمٌ

فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ (١)

* * *

(١) المشركون أخف من المعطلة ضللاً وإن كان الكلُّ من شيعه الشيطان، فالمُعْطَلُّ غلا بالتنزيه حتى وصف الله بالعدم ونفى عنه الأسماء والصفات، ويزعم أن هذا تنزيه لله تعالى، وهذا زعمٌ باطلٌ؛ لأنَّ أسماء المخلوقين وصفاتهم تليق بهم، فهي مخلوقة، وأمَّا أسماء الله فهي تليق به.

فصل

فيما أعدَّ الله تعالى من الإحسان للمتمسكين
بكتابه وسنة رسوله ﷺ عند فساد الزمان^(١)

هذا وللمتَمَسِّكِينَ بِسُنَّةِ الْ
مَخْتَارِ عِنْدَ فَسَادِ ذِي الْأَزْمَانِ
أَجْرٌ عَظِيمٌ لَيْسَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ
إِلَّا الَّذِي أَعْطَاهُ لِلْإِنْسَانِ
فَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِ لَهُ
وَرَوَاهُ أَيْضاً أَحْمَدُ الشَّيْبَانِيُّ^(٢)

(١) هذا وما بعده كله كالخاتمة لهذه المنظومة، حيث ذكر قبل ذلك كل
أقوال الفرق وفصلها ثم انتهى إلى النتيجة.
(٢) مضمون الحديث أن الذي يتمسك بالسنة في آخر الزمان له أجر خمسين
من صحابة رسول الله ﷺ (*).

(*) هو حديث أبي ثعلبة الخشني وفيه: «فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل
القباض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم»
قيل: يا رسول الله، أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين رجلاً
منكم» أخرجه أبو داود (٤٣٤١) وابن ماجه (٤٠١٤) والترمذي (٣٠٥٨)، وله شاهد
يقويه وهو «العبادة في الهرج كهجرة إلي» رواه مسلم (٢٩٤٨) من حديث معقل بن
يسار.

أثراً تَضَمَّنَ أَجْرَ خَمْسِينَ امِراً
 مِنْ صَاحِبِ أَحْمَدَ خَيْرَةَ الرَّحْمَنِ
 إِسْنَادُهُ حَسَنٌ وَمِصْدَاقٌ لَهُ
 فِي مُسْلِمٍ فَافْهَمَهُ بِالْإِحْسَانِ
 إِنَّ الْعِبَادَةَ وَقْتَ هَرْجِ هِجْرَةٍ
 حَقّاً إِلَيَّ وَذَلِكَ ذُو بُرْهَانَ
 هَذَا فَكَمْ مِنْ هِجْرَةٍ لَكَ أَيُّهَا السُّنِّي
 سُنِّيُّ بِالتَّحْقِيقِ لَا بِأَمَانِ
 هَذَا وَكَمْ مِنْ هِجْرَةٍ لَهُمْ بِمَا
 قَالَ الرَّسُولُ وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ (١)
 وَلَقَدْ أَتَى مِصْدَاقُهُ فِي التَّرْمِذِيِّ
 يَ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ وَاعْيَانِ
 فِي أَجْرِ مُخَيَّبِي سُنَّةٍ مَاتَتْ فَذَا
 كَ مَعَ الرَّسُولِ رَفِيقُهُ بِجِنَانِ

(١) الهجرة على قسمين كما سبق:

القسم الأول: هجرة بالأبدان.

القسم الثاني: هجرة بالأقوال والنيات.

فتجب الهجرة بالأبدان إذا توفرت شروطها، ولا تجب على كلِّ النَّاسِ، فتجب على مَنْ لا يقدر على إظهار دينه في بلاد الشرك، لكن الهجرة بالقلوب من الأقوال الباطلة إلى الوحي من الكتاب والسنة تجب دائماً وأبداً لا يُعذر فيها أحد فهي فرض عين.

هذا ومصدق له أيضاً أتى
 في الترمذي لمن له عينان
 تشبيهه أمته بغيث أول
 منه وأخره فمشتبهان
 فلذاك لا يدري الذي هو منهما
 قد خصَّ بالفضل والرُّجحان^(١)
 ولقد أتى أثرٌ بأن الفضل في الط
 طرفين أعني أولاً والثاني^(٢)
 والوسط ذو ثبج فأعوج هكذا
 جاء الحديث وليس ذا نُكران
 ولقد أتى في الوحي مصداق له
 في الثلثين وذاك في القرآن

(١) هذه الأمة شبهها الرسول ﷺ بالغيث لا يدري الخير في أوله أو في
 آخره(*) لأن آخرها من أهل السنة والاستقامة يشبه أولها فلا يدري أيهما
 الخير، فهذه الأمة خيرٌ كلها.

(٢) الطرفان أول الأمة وآخرها ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَبَقِيَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة:

. [١٤-١٣].

(*) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير
 أم آخره». رواه الترمذي (٢٨٦٩) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه،
 وهو في «مسند أحمد» ١٩/ ٣٣٤ (١٢٣٢٧) وهو حديث قوي بطرقة وشواهد، انظر
 تمام تخريجه وتقيدته في «المسند».

أهل اليمين فثلةٌ مع مثلها
 والسابقون أقلُّ في الحُبان^(١)
 ما ذاك إلا أن تابعهم هم الـ
 غرباءُ لئسَتْ غربَةَ الأوطانِ
 لكنَّها واللهِ غُرْبَةٌ قائمٌ
 بالدينِ بينَ عساكرِ الشيطانِ^(٢)
 فلذلك شبَّههم به متَّبوعُهُم
 في الغُرْبَتَيْنِ وذاك ذو تبيانِ^(٣)

- (١) قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١١﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١٢﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١٣﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ
 الْأَوَّلِينَ ﴿١٤﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٥﴾ [الواقعة: ١٠-١٤] ثم قال: ﴿وَأَصْحَابُ اليمينِ مَا
 أَصْحَابُ اليمينِ ﴿٢٧﴾﴾ إلى قوله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١١﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٣﴾﴾
 [الواقعة: ٢٧-٤٠] وهؤلاء يكونون في أول الأمة وآخر الأمة، فأصحاب
 اليمين في أولها وفي آخرها سواء، وأما السابقون فهم في أولها أكثر من
 المتأخرين منها.
- (٢) ليس هو غريب وطن ولكن هو غريب في دينه بين الفاسدين في بلده
 فهذه الغربة غربة أديان.
- (٣) المراد بالغربتين الغربية الأولى: في وقت الرسول ﷺ في أول الدعوة
 والغربة الثانية: في آخر الزمان، وهذه أشد من الأولى، لأنه في آخر
 الزمان ليس عندهم أنصار ولا أعوان، ولهذا عظم أجرهم. وقد قال
 ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء»^(*).

(*) أخرجه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة، وسلف تخريجه ص ٨٢٢.

لَمْ يُشْبِهْهُمْ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ
 مِنْ كُلِّ وَجْهِ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ^(١)
 فَاَنْظُرْ إِلَى تَفْسِيرِهِ الْغُرَبَاءَ بِالِ
 مُخَيِّبِنَ سُنَّتَهُ بِكُلِّ زَمَانٍ^(٢)
 طُوبَى لَهُمْ وَالشَّقُوقُ يَخْذُوهُمْ إِلَى
 أَخْذِ الْحَدِيثِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ
 طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْبُؤُوا بِنِحَاتِهِ أَلْ
 أَفْكَارِ أَوْ بِزِبَالَةِ الْأَذْهَانِ

- (١) يعني في قوله: «له أجر خمسين»^(*) ليس معناه: أن المتمسك بالدين في آخر الزمان يكون أفضل من الصحابة من كل وجه، وإنما هو أفضل من الصحابة في هذه الناحية فقط، وأمّا الصحابة فهم أفضل منه في أمور كثيرة أعظمها صحبة الرسول ﷺ ويقولون: الفضيلة الخاصة لا تقضي على الفضيلة العامة، فالصحابه أفضل من حيث العموم، ولهم فضائل كثيرة. والمتأخرون إنّما عندهم فضيلة واحدة: وهي التمسك بالدين مع شدة العُربة.
- (٢) لَمَّا سُئِلَ: قِيلَ مِنَ الْغُرَبَاءِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «المتمسكون بسنتي عند فساد أمتي» وفي رواية: «الذين يصلحون إذا فسد النَّاسُ»^(**) وفي روايةٍ ثالثة: «الذين يصلحون ما أفسد النَّاسُ»^(***).

(*) سلف تخريجه ص ١١٣٩.

(**) أخرجه الطبراني في «الصغير» ١/١٨٣ (٢٩٠) و«الأوسط» ٣/٢٥٠ (٣٠٥٦) من

حديث سهل بن سعد الساعدي.

(***) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠) من حديث عمرو بن عوف المزني.

طُوبَى لَهُمْ رَكَبُوا عَلَى مَتْنِ الْعَزَا
 ئِمِ قَاصِدِينَ لِمَطْلَعِ الْإِيمَانِ
 طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْبُؤُوا شَيْئاً بِذِي الْ
 آرَاءِ إِذْ أَغْنَاهُمْ الْوَحْيَانِ
 طُوبَى لَهُمْ وَإِمَامُهُمْ دُونَ السُّورَى
 مَنْ جَاءَ بِالْإِيمَانِ وَالْفُرْقَانِ
 وَاللَّهِ مَا اتَّمَمُوا بِشَحْصِ دُونَهُ
 إِلَّا إِذَا مَا دَلَّهُمْ بَيِّنَاتٍ (١)
 فِي الْبَابِ آثَارٌ عَظِيمٌ شَأْنُهَا
 أَعْيَتْ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْأَزْمَانِ (٢)

(١) لا يأتون بشخص غير الرسول ﷺ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١] وكذلك يأتون بالعلماء المقتدين بآثار الرسول ﷺ.

(٢) النصوص التي جاءت في وصف أهل الغربة أعجزت العلماء في الجمع بينها كمثل حديث: «فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم». قيل: يا رسول الله، أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين رجلاً منكم» (*). مع أن الصحابة هم خير الأمة على الإطلاق بالإجماع.

إِذْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ صَحَابَةَ الـ
 مَخْتَارِ خَيْرُ طَوَائِفِ الْإِنْسَانِ
 ذَا بِالضَّرُورَةِ لَيْسَ فِيهِ الْخُلْفُ يَدُ
 مِنْ اثْنَيْنِ مَا حُكِّيتُ بِهِ قَوْلَانِ^(١)
 فَلِذَلِكَ ذِي الْآثَارِ أَعْضَلَ أَمْرَهَا
 وَبَغَوْا لَهَا التَّفْسِيرَ بِالْإِحْسَانِ
 فَاسْمَعْ إِذَا تَأْوِيلَهَا وَأَفْهَمُهُ لَا
 تَعْجَلْ بِرَدِّ مِنْكَ أَوْ نُكْرَانِ
 إِنَّ الْبِدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ تُحَطْ
 عِلْمًا بِهِ سَبَبٌ إِلَى الْحِرْمَانِ
 الْفَضْلُ مِنْهُ مَطْلُوقٌ وَمَقْيَدٌ
 وَهُمَا لِأَهْلِ الْفَضْلِ مَرْتَبَتَانِ
 وَالْفَضْلُ ذُو التَّقْيِيدِ لَيْسَ بِمُوجِبٍ
 فَضْلًا عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ إِنْسَانٍ
 لَا يُوجِبُ التَّقْيِيدَ أَنْ يَقْضِي لَهُ
 بِالْإِسْتِوَاءِ فَكَيْفَ بِالرُّجْحَانِ

(١) لَا شَكَّ أَنَّ الصَّحَابَةَ هُمْ أَفْضَلُ الْأُمَّةِ فَهُوَ فَضْلٌ مُسَلَّمٌ بِهِ، لَكِنْ جَاءَ أَنَّهُ فِي
 آخِرِ الزَّمَانِ يَكُونُ أَنَاسٌ لَهُمْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ فَمَا الْجَوَابُ عَنِ
 ذَلِكَ؟ يَأْتِي الْجَوَابُ فِي الْآيَاتِ الَّتِي بَعْدَهُ.

إِذْ كَانَ ذُو الْإِطْلَاقِ حَازَ مِنَ الْفَضَا

ئِئْلٍ فَوْقَ ذِي التَّقْيِيدِ بِالْإِحْسَانِ
فَإِذَا فَرَضْنَا وَاحِدًا قَدْ حَازَ نَوْ

عَا لَمْ يَحْزُهُ فَاضِلُ الْإِنْسَانِ
لَمْ يُوجِبِ التَّخْصِصُ مِنْ فَضْلِ عَلَيٍّ
— وَلَا مُسَاوَاةٍ وَلَا نُقْصَانٍ^(١)

مَا خَلَقَ آدَمَ بِالْيَدَيْنِ بِمَوْجِبِ
فَضْلًا عَلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
وَكَذَا خِصَائِصُ مَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِهِ

مِنْ كُلِّ رُسُلِ اللَّهِ بِالْبِرْهَانِ
فَمُحَمَّدٌ أَعْلَاهُمْ فَوْقًا وَمَا
حَكَمَتْ لَهُمْ بِمَزِيَّةِ الرَّجْحَانِ^(٢)

(١) فالصحابه لهم فضلٌ مُطلق لا يُجاريهم فيه أحدٌ وهذا بالإجماع، وأمّا من يأتي بعدهم فلهم فضلٌ خاصّ لسبب من الأسباب، وهذا لا يقتضي أن يكونوا أفضل من الصحابة، فالصحابه عندهم فضائلٌ كثيرة، وهذا ليس عنده إلاّ هذه الفضيلة، فلا يستوي من يأتي في آخر الزمان مع صحب الرسول ﷺ، فالفضيلة الخاصة لا تقضي على الفضيلة العامة.

(٢) هذا بيان أن الفضيلة الخاصة لا تقضي على الفضيلة العامة ومثال ذلك ليس آدم أفضل من محمد ﷺ مع أنّ آدم خلقه الله بيده فهذه فضيلة خاصة وأمّا محمد فعنده فضائل عامة أكثر من هذا، وكذلك كل رسول له فضيلة ولكن لا يكون أفضل ممّن عنده فضائل كثيرة.

فالحائزُ الخمسينَ أجراً لم يحزُ
ها في جميعِ شرائعِ الإيمانِ
هل حازها في بدرٍ أو أحدٍ أو الـ
ففتح المبينِ وبيعةِ الرضوانِ
بل حازها إذ كان قد فقد المَعِيـ
نَ وهم فقد كانوا أولي أعوانٍ^(١)
والرَّبُّ لئسَ يُضِيعُ ما يتَحَمَّلُ الـ
مُتَحَمِّلُونَ لِأَجَلِهِ مِنْ شَأْنِ
فَتَحَمَّلُ العبدِ الوحيدِ رضاهُ معُ
فِيضِ العَدُوِّ وَقِلَّةِ الأَعوانِ
مِمَّا يَدُلُّ عَلَى يَقِينِ صادِقِ
وَمَحَبَّةِ وَحَقِيقَةِ العِرفانِ^(٢)

(١) الآن وصل إلى الجواب وما مضى كان مقدمة له، فالحائز للخمسين أجراً إنما حازها بالصبر والثبات على الدين، فلم يحزها بصحبة الرسول ولا بالجهاد ولا بالهجرة، فالغريب في آخر الزمان حازها لأنه لم يجد معيناً على الدين والحق فصبر وثبت، وأما الصحابة فكان عندهم أعوان، وكان الرسول ﷺ موجوداً بينهم، فأصحاب الغربة في آخر الزمان من هذه الناحية صار عندهم فضيلة خاصة، والصحابة عندهم فضائل عامة.

(٢) تمسكهم في الدين مع كثرة المخالفين وصبرهم على ذلك دليل على صدق إيمانهم، ودليل على علمهم وفقههم في دين الله تعالى، فلذلك لا يُضِيعُ الله تعالى ذلك عليهم بل يحفظه لهم ويُجازيهم عليه أعظم الجزاء يوم القيامة.

يَكْفِيهِ ذُلًّا وَاعْتِرَابًا قَلَّةً أَلْ
أَنْصَارِ بَيْنَ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ فِرْقَةٌ تَغْزُوهُ إِنْ
تَرْجِعُ يُوَافِيهِ الْفَرِيقُ الثَّانِي
فَسَلِ الْغَرِيبَ الْمُسْتَضَامَ عَنِ الَّذِي
يَلْقَاهُ بَيْنَ عِدَا بِلَا حُسْبَانِ
هَذَا وَقَدْ بَعُدَ الْمَدَى وَتَطَاوَلَ أَلْ
عَهْدُ الَّذِي هُوَ مُوجِبُ الْإِحْسَانِ
وَلِذَلِكَ كَانَ كَقَابِضٍ جَمْرًا فَسَلْ
أَحْشَاءَهُ عَنْ حَرِّ ذِي النَّيِّرَانِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالَّذِي فِي قَلْبِهِ
يَكْفِيهِ عِلْمُ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ
فِي الْقَلْبِ أَمْرٌ لَيْسَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ
إِلَّا الَّذِي آتَاهُ لِلْإِنْسَانِ
بِرٌّ وَتَوْحِيدٌ وَصَبْرٌ مَعَ رِضَا
وَالشُّكْرِ وَالتَّحْكِيمِ لِلْقُرْآنِ
سُبْحَانَ قَاسِمِ فَضْلِهِ بَيْنَ الْعِبَا
دِ فَذَلِكَ مُوَلِي الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
فَالْفَضْلُ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ بِصُورَةٍ أَلْ
أَعْمَالِ بَلْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ

وَتَقَاضِلُ الْأَعْمَالِ يَتَّبِعُ مَا يَقُو
 مُ بِقَلْبٍ صَاحِبِهَا مِنَ الْبُرْهَانِ
 حَتَّى يَكُونَ الْعَامِلَانِ كِلَاهُمَا
 فِي رُتْبَةٍ تَبْدُو لَنَا بَعِيَانِ
 هَذَا وَبَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ فِي فَضْلِ وَفِي رُجْحَانِ^(١)
 وَيَكُونُ بَيْنَ ثَوَابٍ ذَا وَثَوَابٍ ذَا
 رُتْبٌ مُضَاعَفَةٌ بِلَا حُسْبَانِ
 هَذَا عِطَاءُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَبِذَاكَ تَعْرِفُ حِكْمَةَ الرَّحْمَنِ

* * *

(١) مثلاً يعمل عاملان عملاً واحداً وهما سواء، ولكن يتفاضلان في الأجر والثواب بسبب ما في القلب من الإيمان فبينهما من الفرق كما بين السماء والأرض، هذا أجره عظيم وهذا أقل. فالله يُعطي كلاً على حسب الإيمان الذي معه.

فصل

في ما أعدَّ الله تعالى في الجنة لأوليائه

المتمسكين بالكتاب والسنة^(١)

يا خَاطِبَ الجُورِ الحِسانِ وطالِباً

لِوِصَالِهِنَّ بِجَنَّةِ الحَيَوانِ^(٢)

لو كُنْتَ تَدْرِي مَن خَطَبْتَ وَمَن طَلَبْتَ

تَ بَدَلْتَ ما تَحْوِي مِنَ الأثْمَانِ^(٣)

أَوْ كُنْتَ تَدْرِي أَيْنَ مَسَكْنُهَا جَعَدْتَ

تَ السَّعْيَ مِنْكَ لَهَا عَلَي الأَجْفَانِ^(٤)

(١) الأبيات من هنا إلى آخر القصيدة كلها في وصف الجنة وما فيها ليرغب بالتمسك بالسنة والثبات عليها، وترك ما عليه المخالفون لها، وعدم الاغترار بالكثرة.

(٢) يعني دار الحياة الكاملة في الآخرة قال تعالى: ﴿وَإِنَّ أَدْنَىٰ آخِرَةِ لَأَسْفَىٰ﴾ [الحيوان] [العنكبوت: ٦٤].

(٣) لو كنت تدري ما هي الجنة وما فيها لبذلت ما تحوي من الأثمان لطلبها وهو قليل بالنسبة إلى الجنة.

(٤) لو كنت لا تستطيع أن تسعى على أقدامك لسعيت لها على أجفانك من الحرص.

ولقد وَصَفْتُ طَرِيقَ مَسْكِنِهَا فَإِنْ
 رَمْتُ الْوَصَالَ فَلَا تَكُنْ بِالْوَانِي
 أَسْرِعْ وَحُتَّ السَّيْرِ جَهْدَكَ إِنَّمَا
 مَسْرَاكَ هَذَا سَاعَةٌ لِرَمَانٍ
 فَاعْشَقْ وَحَدِّثْ بِالْوَصَالِ النَّفْسَ وَابْ
 ذُلْ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانٍ
 واجعلْ صِيَامَكَ قَبْلَ لُقْيَاهَا وَيَوْمَ
 مَ الْوَصَلِ يَوْمَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ^(١)
 واجعلْ نُعُوتَ جَمَالِهَا الْحَادِي وَسِرْ
 نَلِّقَ الْمَخَافِ وَهِيَ ذَاتُ أَمَانٍ
 لَا يُلْهِئَنَّكَ مَنْزِلٌ لِعَبْتٍ بِهِ
 أَيِّدِي الْبِلَا مِنْ سَالِفِ الْأَزْمَانِ
 فَلَقَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُ كُلُّ مَسْرَةٍ
 وَتَبَدَّلَتْ بِالْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ

(١) الصوم على نوعين:

الأول: الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب

الشمس.

الثاني: الصوم عن المحرمات وهذا دائم من حين أن تبلغ سنَّ

التكليف إلى الوفاة ولا تُفطر إلا عند لقاء الله.

سَجْنٌ يَضِيقُ بِصَاحِبِ الْإِيمَانِ لَـ
كِنَ جِنَّةَ الْمَأْوَى لذي الْكُفْرَانِ
سُكَّانَهَا أَهْلُ الْجَهَالَةِ وَالْبَطَا
لَةِ وَالسَّفَاهَةِ أَنْجَسُ السُّكَّانِ
وَأَلْدُهُمْ عَيْشًا فَجَاهِلُهُمْ بِحَقِّ
قِ اللَّهِ ثُمَّ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ
عَمَرَتْ بِهِمْ هَذِي الدِّيَارُ وَأَقْفَرَتْ
مِنْهُمْ رُبُوعُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
قَدْ آثَرُوا الدُّنْيَا وَلَذَّةَ عَيْشِهَا الـ
فَنَانِي عَلَى الْجَنَّاتِ وَالرِّضْوَانِ
صَحِبُوا الْأَمَانِي وَابْتَلُوا بِحُظُوظِهِمْ
وَرَضُوا بِكُلِّ مَذَلَّةٍ وَهَوَانِ
كَدْحًا وَكَدًّا لَا يُفْقَرُ عَنْهُمْ
مَا فِيهِ مِنْ غَمٍّ وَمِنْ أَحْزَانِ
وَاللَّهِ لَوْ شَاهَدْتَ هَاتِيكَ الصُّدُ
رَ رَأَيْتَهَا كَمَرَا جِلِ النَّيْرَانِ
وَوَقُودَهَا الشَّهَوَاتُ وَالْحَسْرَاتُ وَالـ
آلَامُ لَا تَخْبُؤُ مَدَى الْأَزْمَانِ
أَبْدَانُهُمْ أَجْدَاتُ هَاتِيكَ النُّفُ
وسِ الْإِلَاءِ قَدْ قَبِرَتْ مَعَ الْأَبْدَانِ

أرواحُهُمْ فِي وَخْشَةٍ وَجُسُومُهُمْ
 فِي كَدْحِهَا لَا فِي رِضَا الرَّحْمَنِ
 هَرَبُوا مِنَ الرَّقِّ الَّذِي خَلَقُوا لَهُ
 فَبَلُّوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ^(١)
 لَا تَرْضَى مَا اخْتَارُوهُ هُمْ لِنُفُوسِهِمْ
 فَقَدْ ارْتَضَوْا بِالذُّلِّ وَالْحِرْمَانِ
 لَوْ سَاوَتْ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
 لَمْ يَسْقِ مِنْهَا الرَّبُّ ذَا الْكُفْرَانِ
 لَكِنَّهَا وَاللَّهِ أَحْقَرُ عِنْدَهُ
 مِنْ ذَا الْجَنَاحِ الْقَاصِرِ الطَّيْرَانِ^(٢)

(١) هذا البيت فيه حكمة عظيمة يبين حالة الكفار حيث هربوا من الرق الذي خلقوا من أجله، وهو عبادة الله تعالى، فبلوا برق النفس والشيطان، يتبعون أوامر النفس والشيطان، ويتجنبون ما أمرهم به الله ورسوله فصاروا عبيداً للشيطان.

(٢) هذا معنى حديث الرسول ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء»^(*) فأعطاء الله الدنيا للكافر دليل على هوانها عليه.

(*) أخرجه ابن ماجه (٤١١٠)، والترمذي (٢٣٢٠) من حديث سهل بن سعد، وقال: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

وَلَقَدْ تَوَلَّتْ بَعْدُ عَنْ أَصْحَابِهَا

فَالسَّعْدُ مِنْهَا حَلٌّ بِالدَّبْرَانِ

لَا يُرْتَجَى مِنْهَا الْوَفَاءُ لِصَبِّهَا

أَيْنَ الْوَفَا مِنْ غَادِرِ خَوَّانٍ^(١)

طُبِعَتْ عَلَى كَدْرٍ فَكَيْفَ يَنَالُهَا

صَفْوٌ أَهَذَا قَطُّ فِي الْإِمْكَانِ

يَا عَاشِقَ الدُّنْيَا تَأْهَبُ لِلَّذِي

قَدْ نَالَهُ الْعِشَاقُ كُلَّ زَمَانٍ^(٢)

أَوْ مَا سَمِعْتَ بَلْ رَأَيْتَ مِصْرَعِ الْ

عُشَاقِ مِنْ شَيْبٍ وَمِنْ شُبَّانٍ^(٣)

* * *

(١) لا تركز إلى الدنيا لأنها لا تدوم وإن أُعطي منها الشخص ما أُعطي فسرعان ما تتغير وتتقلب عليه.

(٢) تأهب للعاقبة حيث إنَّ الدنيا صرعت عُشَّاقها وقتلتهم، ولهذا يُروى أنَّ عيسى عليه السلام: رأى الدُّنْيَا فِي صُورَةِ عَجُوزٍ شَمِطَاءٍ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ فَقَالَ لَهَا: كَمْ تَزُوجُتِ؟ قَالَتْ: لَا أُحْصِي عِدْدَهُمْ. قَالَ: هَلْ كُتِّمَ مَاتَ عَنْكَ؟ قَالَتْ: كُتِّمَ قَتَلْتُ فَقَالَ: بئساً لأزواجك الباقين حيث لم يعتبروا بأزواجك السابقين.

(٣) أما رأيت كيف صنعت بهم، هل دامت لهم، أو داموا لها بل إنها قتلتهم كلهم.

فصل

في صفة الجنة التي أعدّها الله ذو الفضل والمنة
لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة^(١)

فاسْمَعُ إِذَا أُوصِفَهَا وَصِفَاتِهَا
تِيكَ الْمَنَازِلِ رَبَّةِ الْإِحْسَانِ
هِيَ جَنَّةٌ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا
فَنَعِيمُهَا بَاقٍ وَلَيْسَ بِفَانٍ^(٢)
دَارُ السَّلَامِ وَجَنَّةُ الْمَأْوَى وَمَنْ
زَلَّ عَسْكَرَ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ^(٣)

(١) لَمَّا فَرَّغَ مِنْ ذِكْرِ الدُّنْيَا وَذَكَرَ صِفَاتِ أَهْلِهَا الَّذِينَ عَشَقُوهَا انْتَقَلَ إِلَى صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ مِنْ أَجْلِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَطَلْبِ الْجَنَّةِ، وَالزُّهْدِ لَيْسَ هُوَ تَرْكُ الدُّنْيَا نَهَائِيًّا، بَلْ هُوَ تَرْكُ مَا لَا حَاجَةَ لَكَ بِهِ، فَتَأْخُذُ مِنَ الدُّنْيَا قَدْرَ مَا تَحْتَاجُ، وَأَمَّا الْفُضُولُ وَمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ حَاجَةٌ فَيُنْكَرُ.

(٢) هَذَا أَوَّلُ فَرْقٍ: أَنَّ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ بِخِلَافِ الْجَنَّةِ فَنَعِيمُهَا بَاقٍ وَلَيْسَ بِفَانٍ.

(٣) هَذَا فَرْقٌ آخَرٌ: أَنَّهَا دَارُ السَّلَامِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾

[يونس: ٢٥] وَالسَّلَامُ اسْمُ اللَّهِ فِيهِ دَارُ اللَّهِ، وَقِيلَ: السَّلَامُ مَعْنَاهُ السَّلَامَةُ مِنَ الْآفَاتِ وَالْهَمُومِ وَالْأَحْزَانِ، فَالَّذِينَ يَسْكُنُونَهَا يَسْلَمُونَ مِنَ الْمَكْدَرَاتِ وَالْمُنْتَفِصَاتِ وَالْأَمْرَاضِ وَالْهَمُومِ وَالْكَبْرِ، إِنَّ سُكَّانَهَا هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَمَّا النَّارُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَهِيَ دَارُ الْأَشْقِيَاءِ وَالْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ.

فَالدَّارُ دَارُ سَلَامَةٍ وَخِطَابُهُمْ

فِيهَا سَلَامٌ وَاسْمُ ذِي الْغُفْرَانِ (١)

* * *

(١) وأيضاً من معاني دار السلام: السلامة من كل خبث وأذى، فلا نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولأنّ تحيتهم فيها سلام، يُسَلِّم بعضهم على بعض بخلاف أهل النَّار فإنَّهم يلعن بعضهم بعضاً.

فصل

في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين^(١)

درجاتها مئة وما بين اثنتي

ن فذاك في التحقيق للحُسابِ

مِثْلُ الَّذِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَ هـ

لَّذِي الْأَرْضِ قَوْلُ الصَّادِقِ الْبُرْهَانِ^(٢)

لَكِنَّ عَالِيَهَا هُوَ الْفَرْدُوسُ مَسْ

قُوفٌ بِعَرْشِ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ

وَسَطَ الْجِنَانِ وَعُلُوُّهَا فَلِذَاكَ كَا

نَتْ قُبَّةٌ مِنْ أَحْسَنِ الْبُنْيَانِ

مِنْهُ تَفَجَّرَ سَائِرُ الْأَنْهَارِ فَالْ

مَتَّبِعُوعُ مِنْهُ نَازِلٌ بِجِنَانِ^(٣)

(١) الجنّات درجات بعضها فوق بعض ، وأمّا النار - والعياذ بالله - فهي دركات

بعضها أسفل من بعض وما بين الدرجتين في الجنة كما بين السماء والأرض .

(٢) كما في الحديث : «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي

سَبِيلِهِ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(*) .

(٣) كما في الحديث : «إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدُوسَ فَإِنَّهُ وَسَطُ الْجَنَّةِ

وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(**) .

(*) قطعة من حديث أبي هريرة أخرجه أحمد في «المسند» ١٤٣/١٤ (٨٤١٩)

والبخاري (٢٧٩٠) .

(**) قطعة من حديث أبي هريرة السابق .

فصل

في أبواب الجنة

أبوابها حق ثمانية أتت

في النص وهي لصاحب الإحسان

باب الجهاد وذاك أعلاها وبا

ب الصوم يدعى الباب بالرَّيَّان^(١)

ولكل سعي صالح باب ورب

ب السعي منه داخل بأمان

(١) عدد أبواب النار سبعة كما في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤] وأما الجنة فلم يُصرَّح في القرآن بعدد أبوابها ولكن جاء ذلك إشارة في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَهِيَ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] فهو مثل قوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلِمَةٌ﴾ [الكهف: ٢٢] ويسمون هذه الواو واو الثمانية، وفي الحديث تصريح بأن أبواب الجنة ثمانية كما في حديث الوضوء «ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبداً لله ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء»^(*) وكل باب مخصص لعمل من الأعمال فالصائمون لهم باب، والمجاهدون لهم باب، وكل باب لنوع من الأعمال.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٥٤٩/٢٨ (١٧٣١٤)، ومسلم (٢٣٤) من حديث عمر بن الخطاب. وانظر تمام تخريجه في «المسند».

ولسوف يُدعى المرءُ من أبوابها
 جَمْعاً إذا وَقَّى حُلَى الإيمانِ
 منهم أبو بكرٍ هو الصَّدِيقُ ذا
 ك خليفَةُ المبعوثِ بالقرآنِ^(١)

* * *

(١) وهذا في الحديث الصحيح: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمّى الريان لا يدخله إلا الصائمون»^(*)، وفي «الصحيح» وبعد ذكر أبواب الجنة سأل أبو بكر الصديق هل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال الرسول ﷺ: «نعم، وأرجو أن تكون منهم»^(**).

(*) أخرجه البخاري (٣٢٥٧) من حديث سهل بن سعد.
 (***) أخرجه أحمد في «المسند» ٧٢/١٣ (٧٦٣٣)، والبخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧) (٨٦) من حديث أبي هريرة.

فصل

في مقدار ما بين الباب والباب منها

سبعون عاماً بين كل اثنين من

ها قُدِّرَتْ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ

هذا حديثٌ لِقَيْطِ الْمَعْرُوفِ بِالِ

خَبَرِ الطَّوِيلِ وَذَا عَظِيمِ الشَّانِ

وَعَلَيْهِ كُلُّ جَلَالَةٍ وَمَهَابَةٍ

وَلَكُمْ حِوَاهُ بَعْدُ مِنْ عِرْفَانِ^(١)

* * *

(١) يعني: بين البابين من أبواب الجنة: سبعون سنة، والباب الواحد من مصراعين، وبين كل مصراعين أربعون سنة كما في حديث لقيط بن عامر الطويل^(*).

(*) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زياداته على «المسند» ١٢١/٢٦-١٢٨ (١٦٢٠٦). انظر تمام تخريجه وتنقيده في «المسند». وقد ساقه بتمامه ابن القيم في «زاد المعاد» ٣/٥٨٨-٥٩١.

فصل

في مقدار ما بين مصراعي الباب الواحد منها

لكنَّ بينهما مَسِيرَةٌ أربَعِـ

— رَوَاهُ حَبْرُ الْأُمَّةِ الشَّيْئَانِي

فِي مَسْنَدِ بِالرَّفْعِ وَهُوَ لِمُسْلِمٍ

وَقَفَّ كَمَرْفُوعٍ بِوَجْهِ ثَانٍ

وَلَقَدْ رَوَى تَقْدِيرَهُ بِثَلَاثَةِ الْـ

أَيَّامٍ لَكِنْ عِنْدَ ذِي الْعِرْفَانِ

أَعْنَى الْبُخَارِيِّ الرُّضَا هُوَ مَنْكُرٌ

وَحَدِيثُ رَاوِيهِ فَذُو نُكْرَانٍ^(١)

(١) رواية الثلاثة أيام ليست بصحيحة وإنما الصحيح رواية أربعون سنة^(*).

(*) حديث مسيرة أربعين عاماً أخرجه أحمد في «المستد» ٢٢٨/٢٣ (٢٠٠٢٥) من

حديث معاوية بن حيدة وهو حديث إسناده حسن.

وحديث مسلم عن عتبة بن غزوان ورقمه (٢٩٦٧) (١٤) وهو حديث موقوف، وهو

مرفوع في «المستد» ١١٤/٢٩ - ١١٥ - (١٧٥٧٥).

وحديث الثلاثة أيام رواه الترمذي (٢٥٤٨) عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن النبي ﷺ

قال: «باب أمي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجود ثلاثاً، ثم إنهم

ليضطغون عليه، حتى تكاد مناكبهم تزول» وقال: هذا حديث غريب، سألت محمداً -

أي البخاري - عن هذا الحديث فلم يعرفه، وقال: لخالد بن أبي بكر - أحد رواة -

مناكير عن سالم بن عبد الله.

وأورده الذهبي في «تهذيب الكمال» ٣٤/٨ في ترجمة خالد بن أبي بكر بن عبيد الله.

فصل

في مفتاح باب الجنة

هذا وَفَتْحُ البَابِ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ
 إِلَّا بِمِفْتَاحٍ عَلَى أَسْنَانٍ
 مِفْتَاحُهُ بِشَهَادَةِ الْإِحْلَاصِ وَالتَّ
 تَوْحِيدِ تِلْكَ شَهَادَةُ الْإِيمَانِ
 أَسْنَانُهُ الْأَعْمَالُ وَهِيَ شَرَائِعُ الْ
 إِسْلَامِ وَالْمِفْتَاحُ بِالْأَسْنَانِ
 لَا تُلْغِيَنَّ هَذَا الْمِثَالَ فَكَمْ بِهِ
 مِنْ حَلِّ إِشْكَالٍ لِذِي الْعِرْفَانِ^(١)

(١) مفتاح الجنة: لا إله إلا الله ولكن ليس المقصود لفظها، وإنما المقصود لفظها ومعناها والعمل بمقتضاها، ولهذا لما سُئِلَ وهب بن مُبَيْه: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة قال: نعم ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتِحَ لك وإلا لم يُفْتَحَ لك^(*). فأسنان هذا المفتاح: هي الأعمال من الصلاة والزكاة والصيام والحج، ولا يكفي مفتاح بدون أسنان، فلا بُدَّ من الإيمان بمعناها والعمل به، فالمفتاح بالأسنان، أمّا إذا لم يكن للمفتاح أسنان فإنه كما لو لم يكن هناك مفتاح =

(*) أوردته البخاري تعليقاً في كتاب الجنائز قبل الحديث (١٢٣٧). وانظر «فتح الباري» لابن حجر ١٤٢/٣ وفيه شرح ما قال وهب بن منبه.

= ولا ينفع صاحبه، وبعض الناس يأخذ حديث: «مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله»(*) على ظاهره بأنه من قال هذه الكلمة ولم يعمل شيئاً أبداً فإنه مؤمن ويدخل الجنة، والحديث في الحقيقة مُقَيَّد وليس بمطلق فهو مُقَيَّد بأحاديث أخرى، وأحاديث رسول الله ﷺ يُفسَّر بعضها بعضاً فالرسول قيَّد «لا إله إلا الله» بقيود، بأن يقولها من قالها مُخلصاً من قلبه، من قالها وكفر بما يعبد من دون الله، أي: لا بد من هذه القيود التي هي أسنان المفتاح. وهذه المسألة عظيمة ضلَّ بسبب عدم فهمها بها من ضل يأخذون بالمتشابه ويتركون المُحكَم من كلام الله ورسوله وأهل العلم.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤١٨/٣٦ (٢٢١٠٢) من حديث معاذ بن جبل، وقد صح معناه عن معاذ، انظر ما ورد في «المسند» ٣٢٣/٣٦ (٢١٩٩٨) عن معاذ بن جبل، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، يرجع ذلك إلى قلب موقن، إلا غفر الله لها». وهو حديث صحيح.

فصل

في منشور الجنة الذي يوقع به لصاحبها^(١)

هذا وَمَنْ يَدْخُلْ فَلَيْسَ بِدَاخِلٍ
 إِلَّا بِتَوْقِيعِ مِنَ الرَّحْمَنِ
 وَكَذَاكَ يُكْتَبُ لِلْفَتَى لِدُخُولِهِ
 مِنْ قَبْلِ تَوْقِيعَانِ مَشْهُورَانِ
 إِحْدَاهُمَا بَعْدَ الْمَمَاتِ وَعَرَضِ أَرْوَاحِ
 الْعِبَادِ بِهِ عَلَى الدِّيَّانِ
 فَيَقُولُ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ
 لِلْكَاتِبِينَ وَهُمْ أَوْلُو الدِّيَّانِ
 ذَا الْأَسْمِ فِي الدِّيَّانِ يُكْتَبُ ذَاكَ دِيَّانِ
 وَأَنَّ الْجِنَانَ مُجَاوِرَ الْمَنَانِ
 دِيَّانُ عَلِيِّينَ أَصْحَابِ الْقُرْآنِ
 فِي وَسْئَةِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ^(٢)

(١) كلُّ واحد من أهل الجنة يأخذ معه صكاً من الله جلَّ وعلا بدخول الجنة .
 (٢) لأنَّه إذا مات الميت وقُبِضت روحه تصعد بها الملائكة سواءً روح الكافر أو المسلم، فإذا وصلت إلى السماء الدنيا فإن كان مؤمناً فإنه يُفتح له ويقول الله تعالى: «اكتبوا كتاب عبي في عليين وأرجعوه إلى الأرض =

فإذا انتهى للجسر يوم الحشر يُع

طى للدخول إذا كتاباً ثانٍ^(١)

عنوانه هذا الكتاب من عزيز

ز راحم لفلان بن فلان

فدعوه يدخل جنة المأوى التي ار

تفعت ولكن القطوف دوان

= فإني منها خلقته وفيها أعيدته ومنها أخرجته تارة أخرى» فترجع روحه إلى الأرض ويكون قبره روضة من رياض الجنة وأما روح الكافر فلا يفتح لها باب السماء ويقول الله: «اكتبوا كتاب عبدي في سجين فتطرح روحه طرْحاً»^(*) - والعياذ بالله - كما قال تعالى: ﴿لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] وسم الخياط هو ثقب الإبرة، أي: لا يدخلون الجنة حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة، وقريء (حتى يلبج الجمّل في سمّ الخياط) وهي قراءة شاذة، والجمّل هو حبل السفينة الغليظ فإنه لا يدخل في منفذ الإبرة، فكذلك الكافر لا يدخل الجنة وهذا من باب المستحيل.

(١) فالكتاب الأول عند الوفاة، والكتاب الثاني عند عبور الجسر المنصوب على متن جهنم وهو الصراط فالمؤمنون يُعطون كل واحد منهم كتاباً لدخول الجنة.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٠/٤٩٩-٥٠٣ (١٨٥٣٤) من حديث البراء بن عازب، وهو حديث إسناده صحيح، وهو عند أبي داود (٣٢١٢) و(٤٧٥٣) وانظر تمام تخريجه في «المسند».

هذا وقد كُتِبَ اسْمُهُ مُذْ كَانَ فِي الْ

أَرْحَامِ قَبْلَ وِلَادَةِ الْإِنْسَانِ (١)

بَلْ قَبْلَ ذَلِكَ وَهُوَ وَقْتُ الْقَبْضَتَيْنِ

مِنْ كِلَاهُمَا لِلْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

سُبْحَانَ ذِي الْجَبْرُوتِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْ

إِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَالسُّبْحَانَ

وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَالِمِ الْأَسْرَارِ وَالْ

إِعْلَانِ وَاللَّحْظَاتِ بِالْأَجْفَانِ (٢)

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ السَّمِيعِ لِسَائِرِ الْ

أَصْوَاتِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ

وَهُوَ الْمُوَحَّدُ وَالْمُسَبِّحُ وَالْمُمَجِّدُ

جَسَدٌ وَالْحَمِيدُ وَمُنَزَّلُ الْقُرْآنِ

وَالْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ لَهُ

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّلْطَانِ

* * *

(١) هذا التقدير العام الذي كتبه الله في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات

والأرض بخمسين ألف سنة، وأما الكتابان المذكوران فهما مأخوذان من

الكتاب العام الذي هو اللوح المحفوظ فلا تعارض بين الكتابات.

(٢) لا يخفى عليه شيء كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي

الصدور﴾ [غافر: ١٩].

فصل

في صفوف أهل الجنة

هذا وإنَّ صفوفَهُمْ عِشْرُونَ مَع
 مِئَةٍ وَهَذِي الْأُمَّةُ التُّلْثَانِ
 بِرُويِهِ عَنْهُ بِرِيدَةُ إِسْنَادُهُ
 شَرَطُ الصَّحِيحِ بِمُسْنَدِ الشَّيْبَانِيِّ (١)
 وَلَهُ شَوَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ
 وَابْنِ مَسْعُودٍ وَخَبْرِ زَمَانَ
 أَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ وَفِي إِسْنَادِهِ
 رَجُلٌ ضَعِيفٌ غَيْرُ ذِي إِثْقَانٍ
 وَلَقَدْ أَتَانَا فِي الصَّحِيحِ بِأَنَّهُمْ
 شَطَرٌ وَمَا اللَّفْظَانِ مُخْتَلَفَانِ
 إِذْ قَالَ أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطَرَهُمْ
 هَذَا رَجَاءٌ مِنْهُ لِلرَّحْمَنِ
 أَعْطَاهُ رَبُّ الْعَرْشِ مَا يَرْجُو وَزَا
 دَ مِنَ الْعَطَاءِ فِعَالٌ ذِي الْإِحْسَانِ (٢)

(١) صفوف أهل الجنة مائة وعشرون صفاً وهذه الأمة تعادلُ الثلثين منها؛

لأنَّ رسولنا محمداً ﷺ هو أكثر الأمم أتباعاً يوم القيامة.

(٢) وهذا رجاء من الرسول أن تكون أمته نصف أهل الجنة، وليس إخباراً عن

مقدار هذه الأمة في الجنة فأعطاه الله أكثر مما رجاه فجعلهم ثلثي أهل الجنة.

فصل

في صفة أوّل زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ

هذا وأوّل زُمْرَةٍ فُوجُوهُهُمْ
 كالبدرِ لَيْلِ السَّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ
 السَّابِقُونَ هُمْ وَقَدْ كَانُوا هُنَا
 أَيضاً أَوْلَى سَبَقِي إِلَى الْإِحْسَانِ^(١)

* * *

(١) هذا في بيان دخول هذه الأمة وغيرهم الجنة فأول من يدخلها السابقون من الأمم الذين قال الله فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ١٠-١١] فهم السابقون في الدنيا إلى اتباع الرسل وهم السابقون في الآخرة إلى دخول الجنّات، وتكون وجوههم كالقمر ليلة البدر^(*) في ليلة الرابع عشر من الشهر، ويليهم أصحاب اليمين يدخلون الجنة وجوههم كالكوكب النَّزِّي.

(*) انظر ما ورد في «جامع الأصول» لابن الأثير ١٠/٥٢٥-٥٢٦ (٨٠٧٦).

فصل

في صفة الزمرة الثانية

والزُّمْرَةُ الأُخْرَى كَأَضْوَاءِ كَوْكَبٍ
 فِي الأُفُقِ تَنْظُرُهُ بِهِ العَيْنَانِ
 أمشَاطُهُمْ ذَهَبٌ وَرَشْحُهُمْ فَمِيسٌ
 لَكَ خَالِصٌ يَا ذَلَّةَ الحِرْمَانِ^(١)

* * *

(١) أمشاط أهل الجنة من الذهب، وعرقهم المسك، وهم لا يبولون ولا يتغوطون وإنما يكون لهم رشح كرشح المسك^(*). فيا ذلة من حرمه الله من هذا الفضل العظيم.

(*) انظر ما ورد في «جامع الأصول» لابن الأثير ١٠/٥٢٥-٥٢٦ (٨٠٧٦).

فصل

في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى

وَيَرَى الَّذِينَ بِذِيئِلْهَا مَنْ فَوْقَهُمْ

مِثْلَ الْكَوَاكِبِ رُؤْيَةً بَيِّنًا

مَا ذَاكَ مُخْتَصًّا بِرُسُلِ اللَّهِ بَلْ

لَهُمْ وَلِلصَّادِقِ ذِي الْإِيمَانِ^(١)

* * *

(١) إذا دخلوا الجنة فإنهم يتفاضلون في الدرجات بحسب أعمالهم، فأذن أهل الجنة منزلة يرون أصحاب المنازل العالية كالقواكب الدرية في السماء لرفعة منزلتهم. وهذا يدل على تفاوت أهل الجنة في منازلهم، وأن أدناهم يرى عليهم كالقواكب في السماء. قيل يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «بلى» والذي نفسي بيده قوم آمنوا بالله وصدقوا بالمرسلين^(*) وأما الرسل فهم فوق هؤلاء أيضاً لأنه لا أحد يساوي الرسل.

(*) أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري.

فصل

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلةً وأدناهم

هذا وأعلاهم فناظرُ ربِّه
 في كلِّ يومٍ وَقْتُهُ الطَّرْفَانِ
 لكنَّ أدناهم وما فيهم دَنِي
 إذ ليسَ في الجناتِ مِن نُقْصَانِ
 فهو الذي تُلقَى مسافةً مُلكِه
 بسنيننا أَلْفَانِ كَامِلَتَانِ
 فَيَرَى بها أَقْصَاهُ حَقًّا مِثْلَ رُؤُ
 يَتَّهِ لَأَدْنَاهُ القَرِيبِ الدَانِي
 أو ما سَمِعْتَ بَأَنَّ آخِرَ أَهْلِهَا
 يُعْطِيهِ رَبُّ العَرْشِ ذُو الغُفْرَانِ
 أضعافَ دنيانا جَمِيعاً عَشْرَ أَمْ
 ثَالِ لها سُبْحَانَ ذِي الإِحْسَانِ^(١)

(١) أعلى أهل الجنة منزلة من يرى ربّه مرتين في الصباح والمساء وهذا أعظم نعيم يحصلون عليه في الجنة قال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] والمزيد: رؤية وجه الله تعالى، وأدناهم منزلة من ينظر في ملكه في الجنة مسيرة ألفي سنة. هذا أدنى أهل الجنة منزلة. وآخر من يدخلون الجنة قومٌ يُخرجون من النَّار بعد التعذيب فيها لتمحيصهم من ذنوبهم وسيئاتهم، ويمكنون في النار ما شاء الله فيها ثم يُخرجون من النار وقد احترقوا، فيلقون في نهرٍ يُقال له: نهر الحياة فتنبت أجسامهم ثم يدخلون الجنة، فهؤلاء يعطي الله تعالى الواحد منهم مثل الدنيا عشر مرات.

فصل

في ذكرى سنّ أهل الجنة

هذا وسنُّهم ثلاثٌ مع ثلاثٍ
 ثينَ التي هي قُوَّةُ الشُّبَّانِ
 وصغيرُهُم وكبيرُهُم في ذا على
 حدٌّ سواءٍ ما سوى الولدانِ
 ولقد روى الخُدريُّ أيضاً أنَّهم
 أبناءُ عشرٍ بعدها عَشْرانِ
 وكلاهما في الترمذيِّ وليس ذا
 يتناقضُ بلْ ها هنا أمرانِ
 حَذْفُ الثلاثِ وثَبْتُ بعدَ العقو
 دِ وذكرِ ذلكَ عندهم سِيانِ
 عندَ اتساعِ في الكلامِ فعندما
 يأتوا بتحريِّرٍ فبالميزانِ^(١)

(١) يعني سنُّهم واحد فليس فيهم كبير ولا صغير بل هم أبناء ثلاثٍ وثلاثين سنة^(*) وهي غاية القوة في العمر، وفي حديثٍ آخر أنَّ أسنانهم على ثلاثين سنة^(**) ولا تناقض بين الحديثين: لأنَّ من عادة العرب: أنَّهم يحذفون «الكسر» والنيقَ ويقتصرون على العقود فيذكرون «ثلاثين» ويحذفون «الثلاث» فهذا من عادة العرب، وبعضهم يذكر الكسر فهي لغتان عند العرب، وجاء في الحديثين هذا وهذا فلا تناقض.

(*) انظر «جامع الترمذي» (٢٥٤٥) حديث معاذ بن جبل. وانظر ص ١١٧٤.

(**) انظر «جامع الترمذي» (١/٢٥٦٢) حديث أبي سعيد الخدري.

فصل

في طول قامات أهل الجنة وعرضهم

والطوُلُ طُوْلُ أَبِيهِمْ سِتُّونَ لـ
 كِنَ عَرَضُهُمْ سَبْعٌ بِلَا نُقْصَانٍ
 الطوْلُ صَحَّ بغيرِ شكٍ في الصحيحِ
 حَيْنِ اللّٰذِيْنَ هَمَّا لَنَا شَمْسَانِ
 والعَرَضُ لَمْ نَعْرِفْهُ فِي إِحْدَاهُمَا
 لَكِنُ رَوَاهُ أَحْمَدُ الشَّيْبَانِي
 هَذَا وَلَا يَخْفَى التَّنَاسُبُ بَيْنَ هَذَا
 إِذَا العَرَضِ وَالطَّوْلِ البَدِيْعِ الشَّانِ
 كُلُّ عَلَى مَقْدَارِ صَاحِبِهِ وَذَا
 تَقْدِيرُ مُتَقِنِ صَنَعَةِ الْإِنْسَانِ^(١)

(١) الطول ثبت في الحديث: أَنَّ طَوْلَهُمْ طَوْلُ أَبِيهِمْ آدَمُ سِتُّونَ ذِرَاعاً^(*)، وَأَمَّا العَرَضُ فَلَمْ يَرِدْ فِيهِ حَدِيثٌ قَوِيٌّ^(**)، لَكِنَ مِنْ جِهَةِ التَّنَاسُبِ أَنَّ الطَّوِيلَ يَحْتَاجُ إِلَى عَرَضٍ، فَطَوْلُ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ سِتُّونَ ذِرَاعاً كَطَوْلِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَمَّا العَرَضُ فَسَبْعَةٌ أَذْرُعٌ وَهَذَا لِتَنَاسُبِ الْخَلْقَةِ، فَالطَّوْلُ صَحَّ بِهِ الْحَدِيثُ وَأَمَّا العَرَضُ فَلَمْ يَصِحَّ فِيهِ حَدِيثٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الصَّحِيحِينَ وَإِنَّمَا هُوَ فِي «مَسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» وَلَكِنِ الْمَعْنَى صَحِيحٌ لِأَنَّهُ يَنَاسِبُ الطَّوْلَ.

(*) انظر حديث أبي هريرة في «المسند» ٥٠٤/١٣ (٨١٧١)، والبخاري (٣٣٢٦) و(٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١) (٢٨).

(**) انظر حديث أبي هريرة في «المسند» ٣١٥/١٣ (٧٩٣٣) وفيه ذكر أن العرض سبع أذرع ولكن ذلك القول تفرد به علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف. انظر ص ١١٧٤.

فصل

في لحاهم وألوانهم (١)

أَلْوَانُهُمْ بِيضٌ وَلَيْسَ لَهُمْ لِحَى
جُعْدُ الشُّعُورِ مُكْحَلُوا الْأَجْفَانِ
هَذَا كَمَالُ الْحُسْنِ فِي أُنْشَارِهِمْ
وَشُعُورُهُمْ وَكَذَلِكَ الْعَيْنَانِ

* * *

(١) روى الترمذي عن معاذ بن جبل، أن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة

الجنة جُرْدًا مُرْدًا مكحلين أبناء ثلاثين، أو ثلاث وثلاثين سنة» (*).

وروى الإمام أحمد في «مسنده» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

«يدخل أهل الجنة الجنة جُرْدًا، مُرْدًا، بِيضًا، جَعَادًا، مكحلين، أبناء

ثلاث وثلاثين، على خلق آدم؛ ستون ذراعاً في عرض سبع أذرع» (**).

(*) أخرجه الترمذي (٢٥٤٥) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(**) أخرجه أحمد في «مسنده» ٣١٥/١٣ (٧٩٣٣) وهو حديث حسن بطرقه وشواهده،

دون قوله: «في سبع أذرع» فقد تفرد بها علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف.

فصل

في لسان أهل الجنة

وَلَقَدْ أَتَى أَثْرُ بَأَنَّ لِسَانَهُمْ
 بِالْمَنْطِقِ الْعَرَبِيِّ خَيْرَ لِسَانٍ
 لَكِنَّ فِي إِسْنَادِهِ نَظْرًا فَفِيهِ
 رَاوِيَانِ وَمَا هُمَا تَبْتَانِ
 أَعْنِي الْعَلَاءَ هُوَ ابْنُ عَمْرٍو ثُمَّ يَحُ
 يَى الْأَشْعَرِيَّ وَذَانِ مَعْمُوزَانِ

* * *

فصل

في ريح أهل الجنة من مسيرة كم يُوجد

والريحُ يُوجدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِي

— نَ وَإِنْ تَشَأْ مِئَةً فَمَرْوِيَّانِ

وَكَذَا رُوي سَبْعِينَ أَيْضاً صَحَّ هَذَا

— إِذَا كُتِبَ وَأَتَى بِهِ أَثَرَانِ

مَا فِي رِجَالِهِمَا لَنَا مِنْ مَطْعَنِ

وَالجَمْعُ بَيْنَ الكُلِّ ذُو إِمكانِ (١)

وَلَقَدْ أَتَى تَقْدِيرُهُ مِئَةً بِحَمْدِ

— سِ ضَرْبُهَا مِنْ غَيْرِ مَا تُقْصَانِ

إِنْ صَحَّ هَذَا فَهُوَ أَيْضاً وَالَّذِي

— مِنْ قَبْلِهِ فِي غَايَةِ الإمكانِ

(١) يعني روي في مسافة إدراك رائحة أهل الجنة أنه من أربعين سنة،

وروي: من سبعين سنة، وروي من مئة سنة، وروي من خمس مئة سنة.

روايات مختلفة ولا تناقض بينهما لأن هذا اختلاف بحسب السير، فسير

السريع غير سير البطيء فاختلفت الروايات بحسب السير، والحاصل أن

رائحة الجنة تدرك من مسافة بعيدة مما يدل على عظم هذه الجنة، وأهل

الجهاد في سبيل الله قد يشمّون رائحتها حتى وهم في الدنيا كما حصل

لأنس بن النضر في وقعة أحد رضي الله عنه.

إِمَّا بِحَسَبِ الْمُدْرِكِينَ لِرِيحِهَا
 قُرْباً وَبُعْداً مَا هُمَا سَيَّانِ
 أَوْ بِاخْتِلَافِ قَرَارِهَا وَعُلُوِّهَا
 أَيْضاً وَذَلِكَ وَاضِحُ التَّبْيَانِ
 أَوْ بِاخْتِلَافِ السَّيْرِ أَيْضاً فَهُوَ أَنْ
 سَوَاعٍ بِقَدْرِ إِطَاقَةِ الْإِنْسَانِ
 مَا بَيْنَ أَلْفَافِ الرَّسُولِ تَنَاقُضٌ
 بَلْ ذَلِكَ فِي الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ^(١)

* * *

(١) وقيل: إن اختلاف المسافة التي تدرك منها رائحة الجنة لاختلاف إدراك الناس وقيل: لاختلاف درجات الجنة. والناس ليسوا سواء فأحد يدركها من قريب وآخر يدركها من بعيد، أو هذا بحسب السير السريع والبطيء، وأيضاً يمكن أن يكون اختلاف الرائحة بحسب اختلاف الجنات، فهي درجات، فاختلاف الروايات باختلاف درجات الجنة، فتحصل ثلاثة احتمالات:

الأول: إمَّا إِنَّهُ لاختلاف مدارك النَّاسِ فأحدٌ يُدرك من مسافة قريبة وآخر يُدرك من مسافة بعيدة.

الثاني: أو الاختلاف في السير بحسب السرعة والبطء.

الثالث: أو هو الاختلاف في الجنات وذلك لأنَّ كلام الرسول حقٌّ ولا

يتناقض.

فصل

في أسبق الناس دخولاً إلى الجنة

ونظيرُ هذا سَبَقُ أَهْلِ الْفَقْرِ لِدُ
جَنَاتٍ فِي تَقْدِيرِهِ أَثَرَانِ
مِئَةٌ بِخَمْسِ ضَرْبِهَا أَوْ أَرْبَعِ
مَنْ كِلَاهُمَا فِي ذَاكَ مَحْفُوظَانِ
فَأَبُو هَرِيرَةَ قَدْ رَوَى أَوْلَاهُمَا
وَرَوَى لَنَا الثَّانِي صَحَابِيَانِ^(١)
هَذَا بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الْفُقَرَاءِ فِي اسْمِ
تَحْقَاقِ سَبْقِهِمْ إِلَى الْإِحْسَانِ
أَوْ ذَا بِحَسَبِ تَفَاوُتِ فِي الْأَغْنِيَا
ءِ كِلَاهُمَا لَا شَكَّ مَوْجُودَانِ^(٢)

(١) يعني: أنَّ النَّاسَ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ يَتَفَاوَتُونَ فَبَعْضُهُمْ أَسْبَقُ مِنْ بَعْضٍ، فَالْفُقَرَاءُ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ، لِأَنَّ الْأَغْنِيَاءَ سَيُسْأَلُونَ أَثْنَاءَ الْحِسَابِ عَنْ أَمْوَالِهِمْ، وَأَمَّا الْفُقَرَاءُ فَلَيْسَ لَهُمْ أَمْوَالٌ يَسْأَلُونَ عَنْهَا كَذَلِكَ. وَنَظِيرُ اخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ فِي رَائِحَةِ الْجَنَّةِ الْاِخْتِلَافُ فِي رَوَايَاتِ أَسْبَقِ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا. فَالْفُقَرَاءُ وَرَدَتْ أَنَّهُمْ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ: بِخَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ أَوْ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً كِلَاهُمَا مَرْوِيَانِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ.

(٢) هذا تفسير الاختلاف على قولين:

الأول: أن ذلك باختلاف تفاضل الفقراء فبعضهم أفضل من بعض =

هذا وأولهم دخولاً خيراً خُد
 قِ اللهُ مَنْ قَدْ خُصَّ بِالْقُرْآنِ (١)
 والأنبياءُ على مراتبِهِمْ من التَّ
 تَفْضِيلِ تِلْكَ مَوَاهِبِ الْمَنَانِ (٢)
 هَذَا وَأُمَّةٌ أَحْمَدُ سَبَّاقُ بَا
 قِي الْخَلْقِ عِنْدَ دُخُولِهِمْ بِجَنَانِ
 وَأَحَقُّهُمْ بِالسَّبْقِ أَسْبَقُهُمْ إِلَى الْ
 إِسْلَامِ وَالتَّصْدِيقِ بِالْقُرْآنِ
 وَكَذَا أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصَّديقُ أَس
 بَقُهُمْ دُخُولاً قَوْلَ ذِي الْبُرْهَانِ (٣)

= الثاني : أنه بحسب تفاوت الأغنياء ، فالأغنياء لا يدخلون جميعاً ،
 يتفاوتون ، فبعضهم أسبق من بعض ، فكلما كثر المال صعب الحساب ،
 وكثر الحساب ، فالأغنياء ليسوا على حدٍّ سواء ، كذلك الفقراء ليسوا على
 حدٍّ سواء في الصبر والاحتساب والإيمان فهم يتفاوتون .
 (١) يعني : أن محمداً ﷺ هو أول من يدخل الجنة من الأنبياء وكذلك أول
 من يدخلها من الأمم أمته .
 (٢) قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ
 دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] فالرسل يتفاوتون ، وأفضلهم على الإطلاق نبينا
 محمد عليه الصلاة والسلام فهو أول من يدخل الجنة . وأول الأمم تدخل
 الجنة أمته ، وأول من يدخل الجنة من أمته أبو بكر الصديق رضي الله عنه .
 (٣) أخبر الرسول ﷺ بذلك أن أبا بكر هو أول من يدخل الجنة من الأمة
 لسبقه في الإيمان ولصديقيته فهو أفضل الأمة على الإطلاق .

وروى ابن ماجة أن أولهم يُصا

فحهُ إلهُ العرشِ ذو الإحسانِ

ويكونُ أولُهُم دُخولاً جَنَّةَ الـ

فردوسِ ذلكَ قَامِعُ الكفرانِ

فاروقُ دينِ اللهِ ناصرُ قولِهِ

ورسُولِهِ وشرائعِ الإيمانِ

لكنَّهُ أترُّ ضعيفٌ فيه مجـ

روحٌ يُسمَّى خالداً ببيانِ

لو كان صحَّ عمومُهُ المخصوصُ بالصـ

صِدِّيقِ قطعاً غيرَ ذي نكرانٍ^(١)

(١) جاء أن عمر رضي الله عنه هو أول من يدخل جنة الفردوس ويصافحه ربه^(*) فأولية عمر إن صحت مقيدة بسبق الصديق، ولكن هذا الحديث فيه راو مجروح. وأمّا الأوليّة المطلقة فهي لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(*) أورد ذلك ابن ماجه في «سننه» (١٠٤) عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه، وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة» قال في الزوائد: إسناده ضعيف. فيه داود بن عطاء المدني، وقد اتفقوا على ضعفه.

قال الحافظ عماد الدين ابن كثير في «جامع المسانيد» هذا الحديث منكر جداً وما هو أبعد من أن يكون موضوعاً.

ولا يوجد في رواته من يسمى خالداً كما ذكر ابن القيم.

هذا وأولُهُم دخولاً فهو حمدٌ

مَاذُ عَلَى الْحَالَاتِ لِلرَّحْمَنِ^(١)

إِنْ كَانَ فِي السَّرَّاءِ أَصْبَحَ حَامِداً

أَوْ كَانَ فِي الضَّرِّ فَحَمِداً ثَانِ

هَذَا الَّذِي هُوَ عَارِفٌ بِاللَّهِ

وَصِفَاتِهِ وَكَمَالِهِ الرَّبَّانِي

وَكَذَا الشَّهِيدُ فَسَبْقُهُ مُتَيَقِّنٌ

وَهُوَ الْجَدِيرُ بِذَلِكَ الْإِحْسَانِ^(٢)

وَكَذَلِكَ الْمَمْلُوكُ حِينَ يَقُومُ بِالْ

حَقِّقِينَ سَبَّاقٌ بغيرِ تَوَانٍ

وَكَذَا فَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ لَيْسَ بِالْ

مِلْحَاحِ ذُو عِقَّةٍ وَصِيَانِ^(٣)

(١) أول من يدخل الجنة بعد أبي بكر وعمر من الأمة أكثرهم حمداً لله تعالى في هذه الدنيا، وذلك على حالات الشدة أو الرخاء.

(٢) كذلك من أوائل من يدخل الجنة الشهداء وهم من قُتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله عز وجل.

(٣) وكذلك من أوائل من يدخل الجنة المملوك الذي يقوم بحق ربه وحق سيده فإنه من السابقين لدخول الجنات، وكذلك الفقير الذي له عيال وتعفف عن سؤال الناس، هذا ممن يسبقون غيرهم في دخول الجنة لصبره واحتسابه وتعففه عن الناس.

فصل

في عدد الجنّات وأجناسها^(١)

والجنّة اسمُ الجنسِ وهي كثيرةٌ

جداً ولكن أصلها نوعان^(٢)

ذهبيّان بكلِّ ما حوتاهُ من

حليّ وآييةٍ ومن بُنيانٍ

(١) الجنّات درجات عند الله، يقول النبي ﷺ: «إنّ في الجنّة مئة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين كلّ درجتين كما بين السماء والأرض» (*).

(٢) أصل الجنّات أربع مذكورة في سورة «الرحمن» قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦] هاتان أعلى الجنّات، وهاتان كلّهما من ذهب آنيتهما وما فيهما من ذهب، وذكر فيهما مزايا من قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] إلى قوله: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠] وجنتان من فضة قال تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانٍ﴾ [الرحمن: ٦٢] وهما من فضة آنيتهما وما فيهما وذكر الله ما فيهما من المزايا في آخر سورة الرحمن. وأمّا أسماء الجنّات: فهي جنّة عدن والخلد هذه أسماء متعددة للجنة؛ لأنّ الشيء إذا صار عظيماً تعددت أسماؤه فهذا تعدّد الأسماء لا الجنّات.

(* سلف تخريجه ص ١١٥٧).

وكذلك أيضاً فضةً ثنتانٍ من
حَلِيٍّ وبُئِيَانٍ وكُلٌّ أَوَانٍ
لكنَّ دارَ الخُلْدِ والمأوى وَعَدُ
نِ والسلامِ إضافةً لمعانِ
أوصافها استدعت إضافةً إليه
ها مِدْحَةٌ مع غاية التَّيَانِ (١)
لكنَّما الفردوسُ أعلاها وأو
سَطُها مساكنُ صَفْوَةِ الرَّحْمَنِ (٢)
أَعْلَاهُ مَنْزِلَةٌ لِأَعْلَى الخَلْقِ مَنْ
زَلَّةٌ هُوَ المَبْعُوثُ بِالقُرْآنِ
وهي الوَسِيلَةُ وهي أعلى رُتْبَةً
خَلَصَتْ لَهُ فَضْلاً مِنَ الرَّحْمَنِ
ولقد أتى في سورةِ الرَّحْمَنِ تَقْدِ
ضِيْلُ الجَنَانِ مُفَصَّلاً بِيَانِ

(١) فدار الخلد وجنة المأوى وجنات عدن ودار السلام كلها أسماء لجنة واحدة تعددت صفاتها فتعددت أسماؤها.

(٢) قال ﷺ: «إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس الأعلى فإنه أعلى الجنة ووسط الجنة وفوقه عرش الرحمن» (*).

هي أربعُ ثنتانِ فاضلتانِ ثمَّ

مَ يَليهماِ ثنتانِ مَفضولانِ^(١)

فالأوليانِ الفضليانِ لأوجِه

عَشْرٍ وَيَعُسِّرُ نَظْمُهَا بوزانِ

وإذا تَأَمَّلْتَ السِّياقَ وجدتها

فيهِ تلوَحُ لِمَن لَهُ عِينانِ^(٢)

سَبحانَ مَن غَرَسَتْ يَداهُ جَنَّةَ الـ

فردوسِ عِندِ تَكامُلِ البُنيانِ^(٣)

ويَداهُ أَيضاً أَتَقَنَّتْ لِبَنائِها

فَتَبَارَكَ الرَّحْمَنُ أَعْظَمُ بَانِ

(١) في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦] ثم ذكر أوصافهما، ثم قال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٦٢] وذكر أوصافهما.

(٢) فضلت الأوليان لعشرة أوجه ذكرها الله في كتابه، فإذا قرأت الآيات فارصد ما فيها تجد عشر صفات للجنة الأوليين من قوله تعالى: ﴿ذَوَاتًا أَقْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] إلى قوله: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠] ثم ذكر جنتين وذكر أوصافهما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٦٢].

(٣) تمتاز جنة الفردوس عن جنة عدن بأن الله غرس أشجارها بيده سبحانه وتعالى، كما أنه خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده.

هي في الجنانِ كآدمٍ وكلاهما
تَفْضِيلُهُ مِنْ أَجْلِ هَذَا الشَّانِ (١)
لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ لَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ
ذَا الْفَضْلِ شَيْءٌ فَهُوَ ذُو نُكْرَانٍ
وَلَدٌ عَقُوقٌ عَقَّ وَالِدَهُ وَلَمْ
يُثَبِّتْ بِذَا فَضْلًا عَلَى شَيْطَانٍ (٢)
فَكِلَاهُمَا تَأْيِيرٌ قُدْرَتِهِ وَتَأْ
يِيرُ الْمَشِيئَةِ لَيْسَ ثُمَّ يَدَانِ
أَلَاهُمَا أَوْ نِعْمَتَاهُ وَخَلَقَهُ
كُلٌّ بِنِعْمَةٍ رَبُّهُ الْمَنَّانِ
لَمَّا قَضَى رَبُّ الْعِبَادِ الْعَرْشَ قَا
لَ تَكَلَّمِي فَتَكَلَّمْتُ بِيَانٍ

(١) هي في الجنان خلقها الله بيده تمتاز على غيرها من الجنان كآدم خلقه الله بيده.

(٢) الجهمي ينكر صفة اليدين لله تعالى حيث جاء الخبر بأن الله غرس جنة الفردس بيده وبنائها بيده كما خلق آدم بيده، فهذا الجهمي عقوق لأبيه آدم لم يعترف بفضله، وأنكر أن الله خلقه بيده، وجعل أباه آدم والشيطان سواء، لأنه يقول: خَلَقَهُ بِيَدِهِ، يعني بقدرته، وأيضاً: خلق الله تعالى الشيطان بقدرته، وعليه فلا فضل ولا مزية لآدم على الشيطان، كلاهما خلقه الله بقدرته عند الجهمي، فهل هناك أشد من هذا العقوق؟ - والعياذ بالله - فالجهمي ينكر اليدين لله تعالى ويُفسرها بالقُدرة، وينكر فضل آدم.

قد أفلح العبدُ الذي هو مؤمنٌ
 ماذا ادَّخَرْتُ لَهُ مِنَ الإِحْسَانِ^(١)
 ولقد روى حَقّاً أبو الدرداءِ ذاك
 كعويمرٍ أثراً عظيماً الشانِ
 يَهْتَرُّ قلبُ العبدِ عندَ سماعِهِ
 طَرَباً بِقَدْرِ حِلاوةِ الإِيمانِ
 ما مثلهُ أبداً يُقالُ برأيهِ
 أو كان يا أهلاً بذالِ العِرفانِ^(٢)

(١) هذا كما في الحديث: «أَنَّ الله لما خلق جنةً عدنٍ بيده قال لها: تكلمي، قالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]» (*).

(٢) يعني: هذا الذي قاله أبو الدرداء لا يُقال من قبيل الرأي بل هو مرفوعٌ إلى رسول الله ﷺ، وإن كان قد قاله برأيه فهذا يدلُّ على عرفانه وعلمه رضي الله عنه، وعلى كلا الأمرين فهذا يدلُّ على عظم شأنه سواءً كان مرفوعاً أو موقوفاً على أبي الدرداء فقد روى: ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل، فينظر الله تعالى في الساعة الأولى في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن، وهي مسكنه الذي يسكن فيه لا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون، وفيها ما لم يره أحد، ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول: ألا مستغفر =

(*) انظر الأحاديث والآثار التي وردت في خلق جنة عدن في «تفسير ابن كثير» ٥/ ٤٦٠ - ٤٦١ أول تفسير سورة المؤمنون.

فِيهِ التُّزُولُ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ فَاخُ
 سَدَاهُنَّ يَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ الثَّانِي
 يَمْحُو وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ بِحِكْمَةٍ
 وَبِعِزَّةٍ وَبِرَحْمَةٍ وَخَنَانٍ
 فَتَرَى الْفَتَى يُمَسِّي عَلَى حَالٍ وَيُضْ
 بَحُ فِي سِوَاهَا مَا هُمَا مِثْلَانِ
 هُوَ نَائِمٌ وَأُمُورُهُ قَدْ دُبِّرَتْ
 لَيْلًا وَلَا يَدْرِي بِذَلِكَ الشَّانِ^(١)
 وَالسَّاعَةُ الْأُخْرَى إِلَى عَدَنِ مَسَا
 كُنْ أَهْلِهِ هُمْ صَفْوَةُ الرَّحْمَنِ
 الرَّسُلُ ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ وَمَعَهُمُ الضُّ
 صِدِّيقٌ حَسْبُ فَلَا تَكُنْ بِجَبَانٍ

= يستغفرنني فأغفر له، ألا سائل يسألني فأعطيه، ألا داع يدعوني فأستجيب له، حتى يطلع الفجر»^(*).

(١) هذا من آثار أن الله تعالى ينظر شأن عباده، يقضي بتوبة العاصي واستغفار المذنب فتتحسن أحوالهم، وذلك لتقديره تعالى ذلك حين نزوله إلى السماء الدنيا في كل ليلة، ولذا يقول جلّ وعلا: ﴿يَتَلَوُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] يُعْطِي وَيَمْنَعُ وَيُخَفِّضُ وَيَرْفَعُ وَيُعِزُّ وَيَذِلُّ هَذَا فِي السَّاعَةِ الْأُولَى.

فيها الذي والله ما عينٌ رأت
 كلاً ولا سمعتُ به الأذنان^(١)
 كلاً ولا قلبٌ به خطرَ المِثا
 لُ له تعالى اللهُ ذو السُلطانِ
 والساعةُ الأخرى إلى هذي السما
 ء يقول هل من تائبٍ ندمانٍ
 أو داعٍ أو مُستَغْفِرٍ أو سائلٍ
 أُعطيهِ إني واسعُ الإحسانِ
 حتى يُصلِّيَ الفجرُ يشهدُها مع ال
 أملاكِ تلكَ شهادةُ القرآنِ^(٢)
 هذا الحديثُ بطولهِ وسياقهِ
 وتمامه في سنة الطبراني

(١) والساعة الأخرى: ينظرُ فيها إلى جنةِ عدن وما فيها ويهيئُها لعباده، ويُعدُّ فيها لعباده ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر، وهي مسكن الرسل والأنبياء والصديقين. ذكر اللهُ في القرآن بعض أوصاف الجنة، وكذلك ذكر في الأحاديث الصحيحة لأجل ترغيب المؤمنين بالعمل، وفيها أشياء لا تتحملها عقولُ النَّاسِ فلذلك أخفاها اللهُ تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ٤١٧].

(٢) يعني: ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائلٍ فأعطيهِ هل من مستغفرٍ فأغفر له هل من داعٍ فأستجيب له، حتى يطلع الفجر كما سبق ذكره في الأثر الذي رواه أبو الدرداء.

فصل

في بناء الجنة

وبناؤها اللبنة من ذهبٍ وأخ
 ررى فضةً نوعانٍ مختلفانٍ
 وقصورها من لؤلؤٍ وزبرجدٍ
 أو فضةٍ أو خالصِ العقيانِ
 وكذلك من دُرٍّ وياقوتٍ به
 نُظِمَ البناءُ بغايةِ الإتقانِ
 والطينُ مسكٌ خالصٌ أو زعفرانٌ
 نٌ جابذاً أثيرانٍ مقبولانِ
 ليسا بمختلفينِ لا تنكرهُما
 فهما المِلاطُ لذلك البُنيانِ^(١)

* * *

(١) بناء الجنة من هذه الأنواع وذلك لحسنها وبهائها وبقائها وجمالها، فكل ما هو من مقتضى الحُسن والجمال والبقاء والدوام وحُسن المنظر وطيب الرائحة كُله في الجنة، وكذلك الطينة من المسك ومن الزعفران وهما طيبا الرائحة وليس بين الأحاديث في ذلك اختلاف.

فصل

في أرضها وحبائها وتربها^(١)

والأرضُ مَرْمَرَةٌ كَخَالِصِ فِضَّةٍ
 مِثْلَ الْمِرَاتِ تَنَالُهُ الْعَيْنَانِ
 فِي مُسْلِمٍ تُشْبِهُهَا بِالذَّرْمَكِ الصُّدِّ
 صَافِيٍّ وَبِالْمِسْكِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
 هَذَا لِحُسْنِ اللَّوْنِ لَكِنْ ذَا لَطِيْفِ
 سَبِّ الرِّيحِ صَارَ هُنَاكَ تُشْبِهُانِ
 حَصْبَاؤَهَا دُرٌّ وَيَاقُوتٌ كَذَا
 كَ لِأَلْيَاءِ نُثِرَتْ كَثْرَ جَمَانِ
 وَتُرَابُهَا مِنْ زَعْفَرَانٍ أَوْ مِنْ أَلِ
 مِسْكِ الَّذِي مَا اسْتُلَّ مِنْ غُزْلَانِ^(٢)

* * *

(١) هذا في أرضية الجنة وتربها وحبائها.

(٢) أرضيتها المرمر الذي يشبه الفضة في المنظر، ويشبه المسك في الرائحة، وحبباؤها من الدر والياقوت واللؤلؤ، وتربتها المسك والزعفران.

فصل

في صفة غرفاتها

غُرْفَاتُهَا فِي الْجَوْ يُنْظَرُ بَطْنُهَا
 مِنْ ظَهْرِهَا وَالظَّهْرُ مِنْ بَطْنَانِ
 سَكَانُهَا أَهْلُ الْقِيَامِ مَعَ الصِّيَامِ
 مِ وَطِيبِ الْكَلِمَاتِ وَالْإِحْسَانِ
 ثُنَانٍ خَالِصُ حَقِّهِ سُبْحَانَهُ
 وَعَبِيدُهُ أَيْضاً لَهُمْ ثُنَانٌ^(١)

* * *

(١) يعني: أنَّ غرف الجنة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها كما جاء في الحديث^(*) وذلك من صفاء جدرانها، ومع هذا لا يرى بعضهم بعضاً، وهذه الغرف تكون لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام فهذا هو الإحسان إلى الخلق، وقيام الليل والصيام حق الله، فمن قام بهذه الصفات الأربع صار من أهل هذه الغرف، كما جاء في الحديث.

(*) انظر حديث علي بن أبي طالب في «جامع الترمذي» (١٩٨٤) ولفظه: «إن في الجنة غرفاً ترى ظهورها من بطونها، وبطنها من ظهورها» فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام» وهو حديث حسن.

فصل

في خيام أهل الجنة

للبعد فيها خيمةٌ من لؤلؤٍ
 قَدْ جُوِّفَتْ هِيَ صَنَعَةُ الرَّحْمَنِ (١)
 سِتُّونَ مِيلاً طُولُهَا فِي الْجَوْ فِي
 كُلِّ الزَّوَايَا أَجْمَلُ النَّسْوَانِ
 يَغْشَى الْجَمِيعَ فَلَا يُشَاهِدُ بَعْضُهُمْ
 بَعْضاً وَهَذَا لِاتِّسَاعِ مَكَانِ (٢)
 فِيهَا مَقَاصِيرٌ بِهَا الْأَبْوَابُ مِنْ
 ذَهَبٍ وَدُرٍّ زَيْنَ بِالْمُرْجَانِ
 وَخِيَامُهَا مَنْصُوبَةٌ بِرِيَاضِهَا
 وَشَوَاطِئُ الْأَنْهَارِ ذِي الْجَرِيَانِ (٣)

(١) خيام الجنة ليست كخيام الدنيا، فالاسم واحد والشكل مختلف، قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] دليل على أن الجنة فيها خيام، وهذا من تمام السرور والنعيم.

(٢) لاتساع الخيمة كل زاوية فيها زوجة من الحور العين يغشاها ولا يرى بعضهم بعضاً من بُعد المسافة.

(٣) هذه الخيام غير البيوت، وهي على ضفاف الأنهار وفي رياض الجنة يتوسعون ويتفسحون فيها.

ما في الخيامِ سِوَى التي لو قابَلتْ
 لِلنَّيِّرَيْنِ لَقُلْتُ مُنْكَسِفَانِ (١)
 لِلَّهِ هَاتِيكَ الْخِيَامُ فَكَمْ بِهَا
 لِلْقَلْبِ مِنْ عُلُقٍ وَمَنْ أَشْجَانِ
 فِيهِنَّ حُورٌ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ خِيَدِ
 رَاتٍ حَسَانٌ هُنَّ خَيْرٌ حِسَانِ
 خَيْرَاتُ أَخْلَاقٍ حِسَانٌ أَوْجَهًا
 فَالْحُسْنُ وَالْإِحْسَانُ مُتَّفَقَانِ (٢)

* * *

(١) يعني فيها الحور العين التي لو ظهرت لطمست نور الشمس والقمر من حُسْنِهَا.

(٢) قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] أي: خيرات الأخلاق، حسان الوجوه.

فصل

في أرائكها وسررها

فيها الأرائك وهي مِنْ سُرُرِ عليـ
 هِنَّ الحِجَالُ كَثِيرَةٌ الأَلْوَانِ
 لا تَسْتَحِقُّ اسْمَ الأَرَائِكِ دُونَها
 تَيْكَ الحِجَالِ وَذاكِ وَضَعُ لِسَانِ
 بِشْخَانَةٍ يَدْعُونَهَا بِلِسَانِ فا
 رِسَ وَهُوَ ظَهْرُ البَيْتِ ذِي الأَرْكَانِ (١)

* * *

(١) البشخانات عند الفرس، وهي الخيام والحجال عند العرب، وهي الأسرة عليها الحجال.

فصل

في أشجارها وثمارها وظلالها

أشجارها نوعانٍ منها مالَةٌ
 في هذه الدنيا مثالٌ ذانٍ
 كالسِّدْرِ أصلُ النَّبْقِ مخضودٌ مكا
 نَ الشوكِ مِنْ ثَمَرِ ذَوِي أَلْوَانِ^(١)
 هذا وَظِلُّ السِّدْرِ مِنْ خَيْرِ الظُّلَا
 لِ وَنَفْعُهُ التَّرْوِيحُ لِلأَبْدَانِ
 وَثَمَارُهُ أَيْضاً ذَوَاتُ مَنَافِعِ
 مِنْ بَعْضِهَا تَفْرِيحُ ذِي الأَحْزَانِ
 وَالطَّلْحُ وَهُوَ المَوْزُ مَنْضُودٌ كَمَا
 نُضِدَّتْ يَدٌ بِأَصَابِعِ وَبَنَانِ

(١) أشجار الجنة على نوعين:

النوع الأول: أشجار لها نظير في الدنيا كالسدر والطلح والنخل والرمان والأعناب، فهذه تشترك مع أشجار الدنيا بالاسم ولكن تختلف عنها بالحقيقة والكيفية.

النوع الثاني: ليس في الدنيا منه شيء، ولا يعلمه إلا الله تعالى.
 والسدر والنبق هما: بمعنى واحد، فسدر الدنيا له شوك وسدر الجنة ليس فيه شوك.

أَوْ أَنَّهُ شَجَرُ الْبُؤَادِي مُوقَرًا

حَمَلًا مَكَانَ الشُّوكِ فِي الْأَغْصَانِ (١)

وَكذَلِكَ الرُّمَّانُ وَالْأَعْنَابُ وَالنَّدَى

نَحْلُ الَّتِي مِنْهَا الْقَطُوفُ دَوَانٍ (٢)

هَذَا وَنَوْعٌ مَالَهُ فِي هَذِهِ النَّدَى

دُنْيَا نَظِيرٌ كَمَا يُرَى بَعِيَانٍ (٣)

يَكْفِي مِنَ التَّعْدَادِ قَوْلُ الْإِلَهِنَا

مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانٍ (٤)

وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا فِي اللَّوْنِ مُخًى

تَلَفَ الطُّعُومِ فَذَلِكَ ذُو أَلْوَانٍ (٥)

(١) قيل: شجر الطلح هو شجر الموز، وقيل: هو غير شجر الموز، بل هو شجر البوادي، لكن طلح الجنة يختلف عنه.

(٢) القطوف: يعني الثمار، والدواني: يعني القريبة، فلا يحتاجون أن يصعدوا لأخذ الثمار ويتكلفوا مثل ما في الدنيا، بل هي دوان يحصلون عليها من دون تعب كما قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣]. قريبة ممن يريدونها.

(٣) هذا النوع الثاني وهو ما ليس له نظير في الدنيا، لا يعلمه إلا الله.

(٤) يعني: شكلان.

(٥) قال تعالى: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]

فالمتشابه: قيل: متشابه في اللون مختلف في الطعوم، وقيل: متشابه في الحسن، وقيل: متشابه لما في الدنيا في الاسم ولكن يختلف عنه في المعنى والطعم، كما قال تعالى: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ فيشبه ما في الدنيا من الاسم ولكن يختلف عنه في الطعم والثمرة، ففيه ثلاثة أقوال.

أَوْ أَنَّهُ مُتَشَابِهٌ فِي الْإِسْمِ مُخًّ
 تَلَفُ الطُّعُومِ فَذَاكَ قَوْلُ ثَانٍ
 أَوْ أَنَّهُ وَسَطٌ خِيَارٌ كُلُّهُ
 فَالْفَحْلُ مِنْهُ لَيْسَ ذَا ثِنْيَانٍ
 أَوْ أَنَّهُ لِثَمَارِنَا ذِي مُشْبِهٍ
 فِي اسْمٍ وَلَوْ لَيْسَ يَخْتَلِفَانِ
 لَكِنْ لِبَهْجَتِهَا وَلَذَّةِ طَعْمِهَا
 أَمْرٌ سِوَى هَذَا الَّذِي تَجِدَانِ
 فَيَلْدُهَا فِي الْأَكْلِ عِنْدَ مَنَالِهَا
 وَتَلْدُهَا مِنْ قَبْلِهِ الْعَيْنَانِ
 قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَا بِالْجَنَّةِ أَلْ
 عُلْيَا سِوَى أَسْمَاءِ مَا تَرَيَانِ
 يَعْنِي الْحَقَائِقَ لَا تُمَائِلُ هَذِهِ
 وَكِلَاهُمَا فِي الْإِسْمِ مُتَّفِقَانِ
 يَا طَيْبَ هَاتِيكَ الثَّمَارِ وَغَرَسِهَا
 فِي الْمِسْكِ ذَاكَ الثَّرْبُ لِلْبُسْتَانِ
 وَكَذَلِكَ الْمَاءُ الَّذِي يُسْقَى بِهِ
 يَا طَيْبَ ذَاكَ الْوَرْدِ لِلظَّمْآنِ

وَإِذَا تَنَاوَلْتَ الثَّمَارَ أَتَتْ نَظِيـ

رَتُهَا فَحَلَّتْ دُونَهَا بِمَكَانٍ^(١)

لَمْ تَنْقَطِعْ أَبَدًا وَلَمْ تَرْقُبْ نُزُـ

لَ الشَّمْسِ مِنْ حَمَلٍ إِلَى مِيزَانٍ

وَكَذَلِكَ لَمْ تُمْنَعْ وَلَمْ تَخْتَجِ إِلَى

أَنْ تَرْتَقِيَ لِلْقَنُورِ فِي الْعِيدَانِ

بَلْ ذُلَّلْتَ تِلْكَ الْقُطُوفُ فَكَيْفَمَا

شِئْتَ انْتَزَعْتَ بِأَسْهَلِ الْإِمْكَانِ

وَلَقَدْ أَتَى أَثْرُ بَأَانَ السَّاقِ مِنْ

ذَهَبٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بَيَانٍ^(٢)

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَهَاتِيكَ الْجُدُو

عُ زَمُرْدٌ مِنْ أَحْسَنِ الْأَلْوَانِ

وَمُقَطَّعَاتُهُمْ مِنَ الْكَرْمِ الَّذِي

فِيهَا وَمِنْ سَعْفٍ مِنَ الْعِيقَانِ^(٣)

(١) إذا أخذ من ثمارها فإنه يحل محلها ثمرة أخرى، ليس مثل شجر الدنيا إذا

أخذ من ثمره بقي موضع هذا الثمر خالياً.

(٢) سيقان شجرها من ذهب ليس مثل شجر الدنيا الذي هو من خشب (*)

(٣) يعني: ثيابهم وحللهم من سعف النخل.

(*) روى الترمذي في «جامعه» (٢٥٢٤) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في

الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب» وهو حديث حسن.

وثمارها ما فيه من عَجَمٍ كأم

ثَالِ القِلالِ فَجَلَّ ذُو الإِحسانِ^(١)

وظلالها مُمتدَّةٌ ليست تَقِي

حَرًّا ولا شمساً وأنى ذانِ^(٢)

أو ما سَمِعْتَ بظِلِّ أَصْلٍ واحدٍ

فيه يَسِيرُ الرَّاكِبُ العَجلانِ

مِئَةَ سَنِينَ قَدَّرْتَ لا تَنقِضِي

هذا لعَظيمِ الأَصلِ والأَفتانِ^(٣)

ولقد رَوَى الحُدَريُّ أيضاً أَنَّ طُو

بى قَدَرُها مِئَةُ بلا نُقْصانِ

تَتَفَتَّحُ الأَكامُ فيها عن لبا

سِهِمُ بما شأوا مِن الأَلوانِ^(٤)

(١) العَجَمُ: النَّوَى، يعني ثمر الجنة ليس في داخله نوى مثل ثمار الدنيا، وحجم الثمرة الواحدة منها مثل قلال هجر ليست صغيرة.

(٢) ليسوا يستظلون من الشمس كما في الدنيا، فالجنة ليس فيها شمس ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣].

(٣) يعني: الشجرة الواحدة يسير الراكب في ظلها مئة سنة كما قال تعالى: ﴿وَبِظِلِّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠].

(٤) طوبى، قيل: إنَّها اسمٌ للجنة، وقيل: إنَّها اسمٌ لشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة سنة تفتتح عن لباس أهل الجنة.

فصل

في سماع أهل الجنة^(١)

قال ابن عباسٍ ويرسلُ ربُّنا
ريحاً تهزُّ ذوائبَ الأغصانِ
فتُثيرُ أصواتاً تَلدُّ لِمَسْمَعِ الْ
إِنْسَانِ كَالنَّغَمَاتِ بِالْأَوْزَانِ
يَا لَذَّةَ الْأَسْمَاعِ لَا تَتَعَوَّضِي
بِلَذَاذَةِ الْأَوْتَارِ وَالْعِيدَانِ^(٢)
أَوْ مَا سَمِعْتَ سَمَاعَهُمْ فِيهَا غِنَا
ءِ الْحُورِ بِالْأَصْوَاتِ وَالْأَلْحَانِ
وَاهَا لَذِيكَ السَّمَاعِ فَإِنَّهُ
مُلِئَتْ بِهِ الْأُذُنَانِ بِالْإِحْسَانِ
وَاهَا لَذِيكَ السَّمَاعِ وَطِيبِهِ
مِنْ مِثْلِ أَقْمَارٍ عَلَى أَغْصَانِ

(١) الذي يسمعونَه ويتلذذون به من الأصوات التي في الجنة .

(٢) سماع أهل الجنة نوعان :

الأول : سماع من الأشجار تحركها الريح ويكون لها صوتٌ لذيذ .

الثاني : سماع من غناء الحور العين يغنين لهم ، ومن كان يريد أن

يسمع سماع أهل الجنة فليعرض عن الغناء الذي في الدنيا وعن سماع

المزامير . وهذه موعظة وتذكير من الشيخ رحمه الله .

واهاً لِدَيْكَ السَّمَاعِ فَكَمْ بِهِ
 لِلْقَلْبِ مِنْ طَرَبٍ وَمَنْ أَشْجَانِ
 واهاً لِدَيْكَ السَّمَاعِ وَلَمْ أَقُلْ
 ذِيكَ تَصْغِيرًا لَهُ بِلِسَانٍ^(١)
 مَا ظَنُّ سَامِعِهِ بِصَوْتِ أَطِيبِ الْ
 أَصْوَاتِ مِنْ حُورِ الْجِنَانِ حِسَانِ
 نَحْنُ النُّوعِ وَالْخَوَالِدُ خَيْرًا
 تْ كَامَلَاتُ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
 لَسْنَا نَمُوتُ وَلَا نَخَافُ وَمَا لَنَا
 سَخَطٌ وَلَا ضِغْنٌ مِنَ الْأَضْغَانِ
 طُوبَى لِمَنْ كُنَّا لَهُ وَكَذَاكَ طُو
 بَى لِلَّذِي هُوَ حَظَّنَا لَفْظَانِ^(٢)

(١) يعني: هو لم يُصغِر «ذِيكَ» لحقارة شأنه، لأن التصغير في اللغة يأتي

على أنواع:

الأول: تصغير تحقير كما تقول: رويجل تصغير رجل.

الثاني: تصغير تعظيم مثل: دويهيّة تصغُرُ منها الأنامل: يعني الموت

فهذا تصغير تعظيم.

الثالث: تصغير تمليح وهو ما ذكره هنا.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]

مطهّرات الأخلاق ومُطهّرات من الدنس، فليس هناك حيض ولا ولادة

ولا مُخاط ولا بُصاق كما في نساء الدنيا، وإنّما رشح المسك، ولا يمتن =

فِي ذَاكَ آثَارٌ رُوِيَ وَذَكَرُهَا
 فِي التِّرْمِذِيِّ وَمُعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ
 وَرَوَاهُ يَحْيَى شَيْخُ الْأَوْزَاعِيِّ تَف
 سِيرًا لِلْفِطْرَةِ يُحْبَرُونَ أَغَانٍ^(١)
 نَزَّهُ سَمَاعَكَ إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ ذِي
 يَاكَ الْغِنَاءَ عَنْ هَذِهِ الْأَلْحَانِ
 لَا تُؤْثِرِ الْأُذُنَى عَلَى الْأَعْلَى فَتُح
 رَمَ ذَا وَذَا يَا ذَلَّةَ الْحِرْمَانِ
 إِنْ اخْتَارَكَ لِلْسَمَاعِ النَّازِلِ الْ
 أُذُنَى عَلَى الْأَعْلَى مِنَ التَّقْصَانِ^(٢)

= فهن دائمات، ولا يهرمن مثل نساء الدنيا. بل شبابهن دائم، وهذا الذي ذكره من أحوال الحور العين هو الذي ورد في الحديث^(*).

(١) يحيى بن أبي كثير هو: شيخ الإمام الأوزاعي عالم الشام روى أنهم يحبرون بسماع الأصوات الحسنة ويتلذذون بها^(**) قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] يعني: يتلذذون بسماع أصوات نسائهم في الجنة.

(٢) إن اختيار سماع اللهو والغناء المحرم في هذه الدنيا على السماع المباح في الجنة دليل على خفة العقل وسوء الاختيار، وفي هذا إشارة إلى تحريم الأغاني في هذه الدنيا.

(*) انظر ما رواه الترمذي في «جامعه» (٢٥٦٤) عن علي بن أبي طالب.

(**) انظر «تفسير الطبري» ١٠/١٧٣ (٢٧٩١٦) سورة الروم، تفسير الآية ١٥.

وَاللَّهِ إِنَّ سَمَاعَهُمْ فِي الْقَلْبِ وَالْ

إِيمَانِ مِثْلُ السَّمِّ فِي الْأَبْدَانِ^(١)

وَاللَّهِ مَا أَنْفَكَ الَّذِي هُوَ دَابُّهُ

أَبْدَأَ مِنَ الْإِشْرَاكِ بِالرَّحْمَنِ^(٢)

فَالْقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ

حُبًّا وَإِخْلَاصًا مَعَ الْإِحْسَانِ^(٣)

فَإِذَا تَعَلَّقَ بِالسَّمَاعِ أَصَارَهُ

عَبْدًا لِكُلِّ فُلَانَةٍ وَفُلَانٍ

حُبِّ الْكِتَابِ وَحُبِّ الْأَحَانِ الْغِنَا

فِي قَلْبٍ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمَعَانِ^(٤)

(١) يعني: أن سماع الأغاني مثل السم للأبدان، لكنّها لا تُسمّم الأبدان وإنّما تُسمّم القلوب.

(٢) لأنّه يتعلّق قلبه بهذه الأغاني ويترك التعلّق بالله، وهذا شرك - والعياذ بالله - فيقدّم طاعة هذه الأشياء على طاعة الله عزّ وجل وهذا هو شرك الطاعة.

(٣) فالقلب هو محل نظر الرب سبحانه وتعالى كما في الحديث: «ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّهُ وإذا فسدت فسد الجسد كلّهُ ألا وهي القلب»^(*)، وقوله: «القلب بيتُ الرَّبِّ». هذا من إضافة المخلوق إلى خالقه إضافة تشريف.

(٤) لا تجد شخصاً يُحبُّ الأغاني والمزامير ويحبُّ القرآن فهما ضدان لا يجتمعان، فهذا قرآن الشيطان وكتاب الله قرآن الرحمن.

(*) قطعة من حديث النعمان بن بشير، أخرجه البخاري (٥٢) و(٢٠٥١) ومسلم (١٥٩٩) انظر «جامع العلوم والحكم» ١/١٩٣ الحديث السادس.

ثَقُلَ الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا
تَقْيِيدَهُ بِشَرَائِعِ الْإِيمَانِ
وَاللَّهُوُ خَفَّ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا
مَا فِيهِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أَلْحَانٍ (١)
قُوْتُ النَّفْسِ وَإِنَّمَا الْقُرْآنُ قُوُّ
تُ الْقَلْبِ أُنَى يَسْتَوِي الْقُوْتَانِ
وَلذَا تَرَاهُ حَظُّ ذِي النُّقْصَانِ كَالِ
جُهَّالِ وَالصَّيَّانِ وَالنَّسْوَانِ
وَأَلْذُهُمْ فِيهِ أَقْلُهُمْ مِنْ أَلِ
عَقْلِ الصَّحِيحِ فَسَلْ أَخَا الْعِرْفَانِ (٢)
يَا لَذَّةَ الْفُسَّاقِ لَسْتَ كَلَذَّةَ أَلِ
أُبْرَارٍ فِي عَقْلِ وَلَا قُرْآنِ

* * *

(١) ثقل عليهم القرآن لما رأوا فيه أوامر ونواهي ووعداً ووعيداً، وفيه ذكر للجنة وللنار، ويخف عليهم الغناء واللهو لما فيه من الطرب والانحلال من الأوامر والنواهي.

(٢) يقصد رحمه الله: أنّ الأغاني والمزامير واللهو إنّما تتعلّق بها قلوب قليلي العقول كالنساء والأطفال، وأمّا الذين يفكرون في العواقب فإنّهم يترفعون عن هذه الأمور، فلا ترى العقلاء يتعلّقون بهذه الأمور، وكلما خف عقل الإنسان تعلّق بالغناء. وألذهم في هذا اللهو أقلهم عقولاً.

فصل

في أنهار الجنة^(١)

(١) ذكر الله أنهار الجنة في قوله: ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى . . . ﴾ [محمد: ١٥] فذكر أربعة أنواع من الأنهار يشرب منها أهل الجنة وهي تختلف عن أنهار الدنيا من جميع الوجوه:

أولاً: أنها تجري من غير أخاديد، وأنهار الدنيا لا تجري إلا في أخاديد، لو لم تكن في أخاديد لساحت، وأنهار الجنة ليس لها أخاديد ولا تسيح، وهذا من قدرة الله تعالى.

ثانياً: أن أنهار الدنيا يعثرها الضوب والجفاف إذا قلت الأمطار وقلت الثلوج فإنها تنضب، وقد تنقطع بخلاف أنهار الجنة فهي دائماً تجري ولا تنقص كما تنقص أنهار الدنيا.

ثالثاً: أن الله أجرى أنهار الجنة بأشياء لم تجر العادة بها في الدنيا، فاللبن لا يكون أنهاراً في الدنيا وإنما هو في ضروع الحيوانات وهو قليل، وأما الجنة فاللبن يجري فيها في أنهار، كذلك: العسل في الدنيا من النحل والمناحل وأما في الآخرة فهو أنهار، وكذلك الأنهار في الدنيا يتغير ماؤها، أما ماء أنهار الجنة لا يأسن بخلاف الماء في أنهار الدنيا، فإن الماء يأسن وذلك باختلاف رائحته إذا حُبس أو تأخر النزح والأخذ منه، فإنه يكون له رائحة كريهة، وكذلك الخمر، لأن خمر الدنيا قبيحة، وهي أم الخبائث، وتغتال العقل، ويصبح شاربها مخبل العقل، ويصاب من يشرب الخمر بأمراض فتاكة يعرفها الأطباء، بخلاف خمر الآخرة =

أَنهَارُهَا فِي غَيْرِ أُخْدُودٍ جَرَتْ
 سُبْحَانَ مُمْسِكِهَا عَنِ الْفَيْضَانِ
 مِنْ تَحْتِهِمْ تَجْرِي كَمَا شَاؤُوا مُفَجِّجَةً
 جَرَّةً وَمَا لِلنَّهْرِ مِنْ نُقْصَانِ
 عَسَلٌ مُصَفًّى ثُمَّ مَاءٌ ثُمَّ خَمٌّ
 سُرٌّ ثُمَّ أَنهَارٌ مِنَ الْأَبْيَانِ
 وَاللَّهِ مَا تِلْكَ الْمَوَادُّ كَهَذِهِ
 لَكِنْ هُمَا فِي اللَّفْظِ مُجْتَمِعَانِ
 هَذَا وَبَيْنَهُمَا يَسِيرٌ تَشَابُهُ
 وَهُوَ اشْتِرَاكٌ قَامَ بِالْأَذْهَانِ (١)

* * *

= فَإِنَّ اللَّهَ نَفَىٰ عَنْهَا كُلَّ الْآفَاتِ، وَلِذَا قَالَ: ﴿لَذَقُوا لَلشَّرِيبِينَ﴾ [الصافات: ٤٦]
 وَفِي الْآيَةِ الْآخَرَىٰ: ﴿لَا فِيهَا عَوَلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧]
 فَالْعَوَلُ: هُوَ السُّكْرُ، فَهِيَ لَا تَغْتَالِ الْعَقْلَ، وَلَا يَحْصُلُ مِنْ آثَارِهَا شَيْءٌ
 ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ﴾ فَلَا تَتَصَدَّعُ رُؤُوسُهُمْ بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا، فَلَا
 يُزْفُونَ: فِي عَقُولِهِمْ وَلَا أَمْوَالِهِمْ بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا، فَاللَّهُ تَعَالَىٰ نَفَىٰ عَنِ
 مَشَارِبِ الْجَنَّةِ كُلِّ الْآفَاتِ الَّتِي تَكُونُ فِي مَشَارِبِ الدُّنْيَا، لِأَنَّ الْجَنَّةَ لَيْسَ
 فِيهَا مُكَدَّرٌ.

(١) تَشْرِكُ مَعَ أَنهَارِ الدُّنْيَا فِي الْاسْمِ وَالْمَعْنَىٰ وَأَمَّا فِي الْحَقِيقَةِ فَإِنَّهَا تَخْتَلِفُ
 تَمَامًا.

فصل

في طعام أهل الجنة

وطعامُهُمْ ما تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُمْ
 ولحومُ طَيْرِ نَاعِمٍ وَسِمَانٍ
 وفواكهٌ شَتَّى بِحَسَبِ مُنَاهُمْ
 يا سَبْعَةَ كَمَلْتِ لذي الإِيمانِ
 لَحْمٌ وَخَمْرٌ وَالنَّسَاءُ وَفِواكِهُ
 والطيبُ مَعَ رَوْحٍ وَمَعَ رِيحانِ
 وصِحافُهُمْ ذَهَبٌ تَطوفُ عَلَيْهِمْ
 بِأَكْفٍ خُدَّامٍ مِنَ الوِلدانِ
 وانظُرْ إلى جَعَلِ اللذائِةَ للعيو
 نِ وشَهوَةَ للنَّفْسِ في القُرآنِ
 للعينِ مِنْها لَذَّةٌ تَدْعُو إلى
 شَهواتِها بالنَّفْسِ والأَمْرانِ
 سَبَبُ التناوُلِ وهو يُوجِبُ لَذَّةً
 أُخْرى سِوَى ما نالَتِ العَيْنانِ^(١)

(١) قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا ما تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] فجعل اللذة للأعين والشهوة للنفوس. ينظرون إليها فتلذذ بها أعينهم وتشتهيها نفوسهم. أوانيهم من الذهب الخالص ومن الفضة الخالصة. لما حرم الله عليهم أواني الذهب والفضة في الدنيا وتركوها طاعة لله أباحها لهم في الآخرة.

فصل

في شرابهم

يُسْقَوْنَ فِيهَا مِنْ رَحِيقِ خَتْمُهُ

بِالْمِسْكِ أَوَّلُهُ كَمِثْلِ الثَّانِي

مَعَ خَمْرَةٍ لَذَّتْ لِشَارِبِهَا بِلَا

عَاقِلٍ وَلَا دَاءٍ وَلَا نُقْصَانٍ^(١)

وَالخَمْرُ فِي الدُّنْيَا فَهَذَا وَصْفُهَا

تَغْتَالُ عَقْلَ الشَّارِبِ السَّكَرَانَ

وَبِهَا مِنَ الْأَدْوَاءِ مَا هِيَ أَهْلُهُ

وَيَخَافُ مَنْ عَدِمَ لَدِي الْوَجْدَانَ

فَنَفَى لَنَا الرَّحْمَنُ أَجْمَعَهَا عَنِ الـ

خَمْرِ الَّتِي فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ

وَشَرَابُهُمْ مِنْ سَلْسَبِيلٍ مَزْجُهُ الـ

كَافُورٌ ذَاكَ شَرَابُ ذِي الْإِحْسَانِ

هَذَا شَرَابُ أَوْلِي الْيَمِينِ وَلَكِنْ الـ

أَبْرَارُ شَرِبُوهُمْ شَرَابُ ثَانٍ

(١) خمر الآخرة ليس فيها سكر ولا غول ولا أمراض ولا طعم كريه، ولا يترتب على شربها مثل ما يترتب على خمر الدنيا من الأمراض الفتاكة والأفعال القبيحة، كالقتل والضرب والكلام الفاحش، فالاسم واحد ولكن الحقيقة مختلفة.

يُدْعَى بِتَسْنِيمٍ سَنَامٌ شُرْبُهُمْ
شِرْبُ الْمُقَرَّبِ خَيْرَ الرَّحْمَنِ
صَقَّى الْمُقَرَّبُ سَعْيَهُ فَصْفَالَهُ
ذَاكَ الشَّرَابُ فَتَلِكَ تَصْفِيَتَانِ
لَكِنَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ فَأَهْلُ مَزْجِ
جِ بِالْمُبَاحِ وَلَيْسَ بِالْعِصْيَانِ
مُزْجَ الشَّرَابِ لَهُمْ كَمَا مَزَّجُوا هُمُ الْـ
أَعْمَالُ ذَاكَ الْمَزْجِ بِالْمِيزَانِ
هَذَا وَذُو التَّخْلِيطِ مَزْجاً أَمْرُهُ
وَالْحُكْمُ لِرَبِّهِ الدِّيَّانِ^(١)

(١) أصحاب الجنة على ثلاثة أقسام:

المخلطون: الذين جمعوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وهم الظالمون لأنفسهم، لكن مآلهم إلى الجنة وإن عذبوا بالنار، هؤلاء سكت الله عن شرابهم فلم يُبينه وإنما بيّن شراب المقربين، وشراب الأبرار وهم أصحاب اليمين، فأصحاب اليمين وهم المقتصدون الذين فعلوا الواجبات وتركوا المحرمات، فقد يكون منهم من فعل بعض المكروهات، والمكروه من المباحات لا من المحرمات فلما صار عندهم شيء من النقص، مُزج لهم الشراب في الآخرة بالكافور ومُزج بالزنجبيل ولذا لم يحصل لهم الشراب الصافي في الآخرة، فالجزاء من جنس العمل، فالمزج إنّما هو للأبرار أصحاب اليمين. وأمّا الشراب الصافي الخالص فهو للمُقَرَّبِينَ، الذين صفوا أعمالهم في الدنيا فصفي لهم الشراب في الآخرة، لأن الجزاء من جنس العمل، وهم الذين أدوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات فيكون شرابهم من التسنيم.

فصل

في مَصْرَفِ طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ وَهَضْمِهِ

هَذَا وَتَصْرِيفِ الْمَأْكَلِ مِنْهُمْ
عَرَقٌ يَغِيضُ لَهُمْ مِنَ الْأَبْدَانِ
كِرَوَائِحِ الْمِسْكِ الَّذِي مَا فِيهِ خَلْدٌ
طُّغَيْرُهُ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ
فَتَعَوُّدُ هَاتِيكَ الْبَطُونُ ضَوَامِرًا
تَبْغِي الطَّعَامَ عَلَى مَدَى الْأَزْمَانِ
لَا غَائِطٌ فِيهَا وَلَا بَوْلٌ وَلَا
مَخْطٌ وَلَا بَصَقٌ مِنَ الْإِنْسَانِ (١)
وَلَهُمْ جُشَاءٌ رِيحُهُ مِسْكٌ يَكُونُ
نُ بَه تَمَامُ الْهَضْمِ بِالْإِحْسَانِ
هَذَا وَهَذَا صَحَّ عَنْهُ فَوَاحِدٌ
فِي مُسْلِمٍ وَلَا حَمْدَ الْأَثَرَانِ (٢)

(١) معلوم أن من يأكل ويشرب في الدنيا يحتاج إلى التبول والتغوط فهل يكون أهل الجنة كذلك. الجواب كما جاء في الحديث لما سأل اليهود رسول الله ﷺ. فبين لهم أنهم يعرقون عرقاً ريحه المسك فتضمير بطونهم.
(٢) أما الحديث الذي رواه مسلم فهو حديث جابر، وروى الإمام أحمد حديث جابر بالإضافة إلى حديث زيد بن أرقم (*).

(*) انظر «صحيح مسلم» (٢٨٣٥)، وهو في «مسند أحمد» ٢٢/٢٩٣ (١٤٤٠١)، أما حديث زيد بن أرقم فهو في «مسند أحمد» ٣٢/١٨-١٩ (١٩٢٦٩).

فصل

في لباس أهل الجنة

وَهُمْ الْمَلُوكُ عَلَى الْأَسِرَّةِ فَوْقَ هَا
 تِيكَ الرَّؤُوسِ مُرْصَعُ التِّيْجَانِ
 وَلِبَاسُهُمْ مِنْ سُنْدُسٍ خُضِرٍ وَمِنْ
 إِسْتَبْرَقٍ نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ
 مَا ذَاكَ مِنْ دُودٍ بَنَى مِنْ فَوْقِهِ
 تِلْكَ الْبُيُوتَ وَعَادَ ذَا الطَّيْرَانِ
 كَلًّا وَلَا نُسِجَتْ عَلَى الْمَنَوَالِ نَسْدُ
 جَعِ ثِيَابِنَا بِالْقَطْنِ وَالْكِتَانِ
 لَكِنَّهَا حُلٌّ تَشَقُّ ثِمَارَهَا
 عَنْهَا رَأَيْتَ شَقَائِقَ النَّعْمَانِ
 بِيضٌ وَخُضْرٌ ثُمَّ صُفْرٌ ثُمَّ حُمْرٌ
 رُّ كَالرَّبَاطِ بِأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ
 لَا تَقْرَبُ الدَّنَسَ الْمُقْرَبَ لِلْبَلَى
 مَا لِلْبَلَى فِيهِنَّ مِنْ سُلْطَانِ
 وَنَصِيفٌ إِحْدَاهُنَّ وَهُوَ خِمَارُهَا
 لَيْسَتْ لَهُ الدُّنْيَا مِنَ الْأَثْمَانِ

سَبْعُونَ مِنْ حُلِيِّهَا لَا تَعَوُّ

قُ الطَّرْفَ عَنِ مُنْخٍ وِرا السِّيْقَانِ

لَكِنْ يَرَاهُ مِنْ وِرا ذَا كُلِّهِ

مِثْلَ الشَّرَابِ لِذِي زُجَاجٍ أَوْانٍ^(١)

(١) عليهم تيجان مرصعة على رؤوسهم، وعلى أبدانهم ملابس من الحرير والديباج والإستبرق وفي أيديهم أساور الحلي: الرجال والنساء يتحلون في الجنة ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣] والإستبرق: ما غلظ من الحرير، وأمّا الديباج: فهو ما رقّ من الحرير.

والحرير الذي في الجنة يختلف عن الحرير الذي في الدنيا، فالحرير الذي في الدنيا يؤخذ من دود القز الذي يجعل له بيتاً مدوراً من الخيوط التي تخرج من بطنه يديرها لتكون بيتاً فيأخذها الناس قبل أن تتحول إلى فراشة، وأمّا حرير الجنة فليس هو من دود القز وإنما هو من صنيع الرحمن يخرج من شجر الجنة، ثمار تتشقق ويخرج منها لباسهم، وأيضاً: ملابس الدنيا تُنسج بالمناسج والمعامل بخلاف ملابس أهل الجنة فليس لها مصانع ولا مناسج، وإنما تخرج من ثمار الجنة من صنع الله تعالى، وشقائق النعمان يُراد بها: الورد الجميل البهي المنظر وهذا من باب التشبيه والتقريب، فأحسن ما ترى في الدنيا شقائق النعمان وهي أزهار وورود جميلة، وأيضاً ملابس أهل الدنيا وإن كانت جميلة فإنها تتوسخ وتتراكم عليها الأوساخ وتحتاج إلى تنظيف وغسل، ثم في النهاية تبلى من كثرة الأوساخ والاستعمال والغسيل، بخلاف ملابس أهل الجنة فلا تتسخ ولا تبلى ولا تتمزق، ثم بين رحمه الله ملابس النساء، =

.....

= والنصيف: هو ما يكون على الرأس، فلو جمعت أموال الدنيا كلها ما بلغت قيمة نصيف امرأة من نساء الجنة، لأنَّ ما في الجنة لا يدرك بالأثمان. وتلبس سبعين من الحُلل ومع ذلك يرى زوجها مخ ساقها من وراء ذلك، فزوجها ينظر وينفذ نظره ملابسها ويرى جمالها حتى المخ الذي في ساقها، وهذا من قوة الإبصار والنعيم. مثل ما تضع الشراب في زُجاجة صافية، فهل الزجاجاة تستر الشراب؟ لا تستره فيرى الشراب داخل الزجاجاة، كذلك الحوراء ترى جمالها من وراء الملابس والأستار.

فصل

في فُرُشِهِمْ وَمَا يَتَّبِعُهَا

فَالْفُرْشُ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ قَدْ بَطَّئَتْ

مَا ظَنُّكُمْ بِظَهَارَةِ لِبْطَانِ

مَرْفُوعَةٍ فَوْقَ الْأَسِرَّةِ يَتَّكِي

هُوَ وَالْحَبِيبُ بِخَلْوَةٍ وَأَمَانِ

بِتَحَدِّثَانِ عَلَى الْأَرَائِكِ مَا تَرَى

حَبِيبِينَ فِي الْخَلَوَاتِ يَنْتَجِمَانِ

هَذَا وَكَمْ زُرِّيَّةٍ وَنَمَارِقِ

وَوَسَائِدٍ صَفَّتْ بِهَا حُسْبَانِ^(١)

* * *

(١) والإستبرق هو ما رَقَّ وصفا من الحرير، يجلس هو وحبيبته على السرير في خلوة ما يخاف من أحد، فيخلو بها خلوة القرير العين على فراشه ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤] فإذا اجتمع الحبيب والحببية في الخلوة لا يخافون من مُكدر ولا رقيب فهذه من أعظم النعم.

فصل

في حُلِيِّ أَهْلِ الْجَنَّةِ

وَالْحُلِيِّ أَصْفَى لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ
 وَكَذَلِكَ أَسْوَرَةٌ مِنَ الْعَقِيَانِ^(١)
 مَا ذَاكَ يَخْتَصُّ الْإِنَاثَ وَإِنَّمَا
 هُوَ لِلْإِنَاثِ كَذَلِكَ لِلذُّكْرَانِ
 التاركين لباسه في هذه الدُّ
 دُنْيَا لِأَجْلِ لِبَاسِهِ بِجَنَانِ^(٢)
 أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ حَلِيَّتَهُمْ إِلَى
 حَيْثُ انْتِهَاءِ وُضُوئِهِمْ بِوِزَانِ
 وَكَذَا وُضُوءُ أَبِي هَرِيرَةَ كَانَ قَدْ
 فَازَتْ بِهِ الْعَضُدَانِ وَالسَّاقَانِ^(٣)

(١) العقيان: الذهب.

(٢) الحُلِيُّ في الدنيا: خاصٌّ بالنساء، وأمَّا في الآخرة فإنه يكون عامًّا للرجال وللنساء من باب الجمال واللذة والسرور، فهم - يعني الرجال - لا يلبسونه في الدنيا طاعةً لله تعالى، وأمَّا في الآخرة فيبيح الله ذلك لهم إكراماً لهم.
 (٣) «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»^(*) في الدنيا كما في الحديث وفي الحديث الآخر: «إنَّ أمتي يُدعون يوم القيامة غراً محجلين =

(*) هذا من حديث أبي هريرة أخرجه مسلم (٢٥٠).

وسواه أنكرَ ذا عليه قائلًا

ما السَّاقُ مَوْضِعُ حَلِيَّةِ الْإِنْسَانِ

ما ذاك إِلَّا مَوْضِعُ الْكَعْبَيْنِ وَالرُّ

زْنَدَيْنِ لَا السَّاقَانِ وَالْعُضْدَانِ

وكذاك أَهْلُ الْفِقْهِ مُخْتَلِفُونَ فِي

هَذَا وَفِيهِ عِنْدَهُمْ قَوْلَانِ

وَالرَّاجِحُ الْأَقْوَى انْتِهَاءُ وَضُوثُنَا

لِلْمِرْفَقَيْنِ كَذَلِكَ الْكَعْبَانِ

هَذَا الَّذِي قَدْ حَدَّهُ الرَّحْمَنُ فِي الْ

قُرْآنِ لَا تَعْدِلْ عَنِ الْقُرْآنِ

وَاحْفَظْ حُدُودَ الرَّبِّ لَا تَتَعَدَّهَا

وكذاك لَا تَجْنَحْ إِلَى التُّقْصَانِ

وَانظُرْ إِلَى فِعْلِ الرَّسُولِ تَجِدُهُ قَدْ

أَبْدَى الْمُرَادَ وَجَاءَ بِالتَّيْيَانِ^(١)

= من آثار الوضوء»^(*) فالوضوء عبادة عظيمة ويكون في الآخرة نوراً على أعضاء المسلم.

(١) أبو هريرة رضي الله عنه لما روى حديث: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»^(**) صار يُطِيلُ الغزاة والتحجيل فيغسل بعض رأسه مع =

(*) أخرجه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦) (٣٥) من حديث أبي هريرة.

(**) سلف تخريجه في الصفحة السابقة.

وَمَنْ اسْتَطَاعَ يُطِيلُ غُرَّتَهُ فَمَوْ
قُوفٌ عَلَى الرَّاويِ هُوَ الْفَوْقَانِي

فأبو هريرة قال ذا مِنْ كَيْسِهِ
فغدا يُمَيِّزُهُ أَوْلُو الْعِرْفَانِ^(١)

وَنُعَيْمُ الرَّاويِ لَهُ قَدْ شَكَّ فِي
رَفَعِ الْحَدِيثِ كَذَا رَوَى الشَّيْبَانِي

وَإِطَالَةُ الْغُرَّتِ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ
أَبْدأُ وَذَا فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ

= وجهه ويغسل عضديه مع يديه وساقيه مع رجله طمعاً ورغبةً منه في امتداد الحلية، وهذا اجتهادٌ منه رضي الله عنه، ولم يوافق عليه وليس مشروعاً، فقولُه: «فمن استطاع منكم أن يطيل غُرَّتَهُ فليفعل»^(*)، مدرج في الحديث من كلام أبي هريرة وبعض الفقهاء قلَّدَ أبا هريرة وصار يغسل الساقين مع الرجلين، والعضدين مع اليدين، ومُقَدِّمَ الرَّأْسِ مع الوجه، فقلَّدَ أبا هريرة في هذا، والصواب عدم ذلك؛ لأنَّه خلاف الدليل، وفعلُه هذا اجتهادٌ منه، فالواجب أن تلتزم الحدَّ الذي حدَّه الله تعالى فلا تزد عليه ولا تنقص عنه. فالرسول ﷺ لما توضأ وغسل يديه أدار الماء على مرفقيه ولمَّا غسل رجله أدار الماء على كعبيه فهذا تفسير من الرسول ﷺ للآية الكريمة، ولم يغسل عضديه ولا ساقيه، فالقرآن والسنة ليس فيهما غسل العضدين والساقين. (١) يعني: قال ذلك من اجتهاده، فأهل الحديث ميَّزوا كلام رسول الله ﷺ من كلام أبي هريرة رضي الله عنه.

(*) قطعة من حديث أبي هريرة، سلف تخريجه في الصفحة السابقة.

فصل

في صفة عرائس الجنة وحُسنهنَّ وجمالهنَّ
ولذَّة وصالهنَّ ومهورهن

يا مَنْ يَطُوفُ بِكَعْبَةِ الْحُسْنِ الَّتِي
حُقِّتْ بِذَلِكَ الْحِجْرِ وَالْأَرْكَانِ
ويظلُّ يسعى دائماً حول الصِّفا
وَمُحَسَّرٍ مَسْعَاهُ لَا الْعِلْمَانِ (١)

(١) بعض الناس يتعلَّق قلبه في هذه الدنيا بالجمال والعشق والغرام فيتغنَّى بالجمال ووصف الجميلات، فهذا لا يصل إلى شيء، وإنما يصل إلى التعب، وهذا تصوير من ابن القيم رحمه الله لهذا النوع من النَّاس الذي يتعلَّق قلبه بالحبِّ والغرام والجمال والعشق فهذا لا يصل إلى شيء، وأمَّا الصنف الثاني فهم الذين شمَّروا عن ساعد الجدِّ، وعملوا الأعمال الصالحة، وأدَّوا المناسك التي شرعها الله في الحجِّ والعمرة، وبدلوا حياتهم في طاعة الله، فهؤلاء هم الذين ينالون الجمال والزوجات الصالحات الجميلات. وقوله: «يا من يطوف بكعبة الحُسن»: هذا من باب التشبيه فقط، ليس المراد: كعبة الحَرَم.

وكذلك قوله: «ويظل يسعى دائماً حول الصِّفا» ليس المراد به: المشعر المعروف ولكن هذا من باب التشبيه، ومُحَسَّر مكان بين منى ومزدلفة، تطلب السرعة عند المرور به، لأنَّه موطن عذاب، وهو محل سعي أصحاب الحب والغرام في الدنيا، لا مواطن السعي المشروع وهو ما بين العلمين مما بين الصفا والمروة.

وَيَرُومُ قُرْبَانَ الْوِصَالِ عَلَى مِنَى
 وَالْخَيْفُ يُحْجِبُهُ عَنِ الْقُرْبَانِ
 فَلِذَا تَرَاهُ مُحْرِمًا أَبَدًا وَمَوْ
 ضِعُ حِلِّهِ مِنْهُ فَلَيْسَ بِدَانَ
 يَبْغِي التَّمَتُّعَ مُفْرَدًا مِنْ حُجِّهِ
 مُتَجَرِّدًا يَبْغِي شَفِيعَ قِرَانِ (١)
 فَيُظَلُّ بِالْجِمَارَاتِ يَرْمِي قَلْبَهُ
 هَذَا مَنَاسِكُهُ بِكُلِّ زَمَانِ (٢)
 وَالنَّاسُ قَدْ قَضَوْا مَنَاسِكَهُمْ وَقَدْ
 حَتُّوا رَكَائِبَهُمْ إِلَى الْأَوْطَانِ (٣)
 وَحَدَّثَ بِهِمْ هَمُّهُمْ لِهِمْ وَعِزَائِمٌ
 نَحْوَ الْمَنَازِلِ أَوَّلَ الْأَزْمَانِ
 رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أَعْلَامُ الْوَصَا
 لِ فَشَمَّرُوا يَا خَيْبَةَ الْكِسْلَانِ (٤)

(١) يعني: يريد العشيقة يتمتع بها، ليس المراد تمتع العمرة أو الحج، ويريد الاقتران وهو الاتصال بها.

(٢) الجمرات: هي الحب وليست جمارات المناسك، فيرمي قلبه على العشيقة والمحجوبة فهذه مناسكها، دائماً وراء العشق والغرام والنساء وهذا لا يصل إلى شيء ويبقى مُحْرِمًا طول حياته.

(٣) أدوا مناسك الحج والعمرة ورجعوا فهؤلاء أصحاب الأعمال الصالحة.

(٤) شَمَّرُوا إِلَى الْآخِرَةِ.

ورأوا على بُعْدِ خِيَاماً مُشْرِفاً
 تِ مُشْرِقَاتِ الثُّورِ والبُرْهَانِ
 فَتَيَمَّمُوا تِلْكَ الخِيَامَ فَأَنَسُوا
 فِيهِنَّ أَقْمَاراً بلا نُقْصَانِ
 من قاصراتِ الطَّرْفِ لا تبغي سِوَى
 مَحْبُوبِهَا مِنْ سَائِرِ الشُّبَّانِ (١)
 قَصَرَتْ عَلَيْهِ طرفَهَا مِنْ حُسْنِهِ
 والطَّرْفُ فِي ذَا الوجهِ للنِّسْوَانِ
 أو أَنهَآ قَصَرَتْ عَلَيْهِ طَرْفَهُ
 مِنْ حُسْنِهَا فَالطَّرْفُ لِلدُّكْرَانِ (٢)
 والأوَّلُ المعهودُ مِنْ وَضْعِ الخطَا
 بِ فِلا تَجِدُ عَن ظَاهِرِ القِرْآنِ

(١) يعني: ظهرت لهم الجنة وما فيها من النعيم والسرور فأوها بقلوبهم
 وبصائرهم فشمروا لطلبها في هذه الدنيا، قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي
 الخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢].

(٢) قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصِرَتْ الطَّرْفُ﴾ [الرحمن: ٥٦] فيه تفسيران:
 الأول: أَنَّ المراد به أَنَّ النساءِ قَصرنَ نظرهنَّ على أزواجهنَّ فلا
 ينظرنَ إلى غيرهم، لأنهنَّ مقتنعات بأزواجهن ولا يرين من هو أحسن من
 أزواجهن.

الثاني: أَنَّ زوجها قَصَرَ طرفَهُ عليها فلا يريد غيرها، لأنَّهُ لا يرى
 أحسن منها، بخلاف الرجال في الدنيا فتجدهم يتشوفون لفلانة وفلانة.

ولربما دَلَّتْ إِشَارَتُهُ عَلَى الثَّ

ثَانِي فَتَلِكْ إِشَارَةٌ لِمَعَانٍ^(١)

هَذَا وَلَيْسَ الْقَاصِرَاتُ كَمَنْ غَدَتْ

مَقْصُورَةٌ فَهَمَّا إِذَا صِنْفَانِ^(٢)

يَا مُطْلِقَ الطَّرْفِ الْمُعَذِّبِ فِي الْأَلَى

جُرْدُنَ عَنِ حُسْنٍ وَعَنِ إِحْسَانِ

لَا تَسْبِيكَ صُورَةً مِنْ تَحْتِهَا الذُّ

دَاءُ الدَّوِيِّ تَبْوً بِالْحُسْرَانِ

قَبَحَتْ خَلَاتُهَا وَقُبَّحَ فِعْلُهَا

شَيْطَانَةٌ فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ

تَنْقَادُ لِلْأَنْذَالِ وَالْأَرْذَالِ هُمْ

أَكْفَاؤُهَا مِنْ دُونِ ذِي الْإِحْسَانِ

مَا نَمَّ مِنْ دِينٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا

خُلُقِي وَلَا خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

(١) يُرْجَّحُ الْأَوَّلُ أَنَّهُنَّ هُنَّ قَصْرْنَ طَرْفَهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، وَإِذَا كَانَتْ قَدْ قَصْرَتْ طَرْفَهَا عَلَى زَوْجِهَا فَإِنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ زَوْجَهَا يَقْصُرُ طَرْفَهُ عَلَيْهَا لِأَنَّ الْجِزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

(٢) يَعْنِي أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الطَّرْفِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٥٦] لَيْسَ مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٧٢] فَمَقْصُورَاتٌ غَيْرُ قَاصِرَاتٍ.

وَجَمَّالَهَا زُورٌ وَمَصْنُوعٌ فَإِنْ
 تَرَكَتْهُ لَمْ تَطْمَحْ لَهَا الْعَيْنَانِ
 طُبِعَتْ عَلَى تَرْكِ الْحِفَاظِ فَمَا لَهَا
 بِوَفَاءِ حَقِّ الْبَعْلِ قَطُّ يَدَانِ
 إِنْ قَصَرَ السَّاعِي عَلَيْهَا سَاعَةٌ
 قَالَتْ وَهَلْ أَوْلَيْتَ مِنْ إِحْسَانِ
 أَوْ رَامَ تَقْوِيمًا لَهَا اسْتَعَصَتْ وَلَمْ
 تَقْبَلْ سِوَى التَّعْوِيحِ وَالتَّقْصَانِ
 أَفْكَارَهَا فِي الْمَكْرِ وَالْكَيْدِ الَّذِي
 قَدْ حَارَ فِيهِ فِكْرَةُ الْإِنْسَانِ
 فَجَمَّالَهَا قِشْرٌ رَقِيقٌ تَحْتَهُ
 مَا شِئْتَ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نُقْصَانِ
 نَقْدٌ رَدِيٌّ فَوْقَهُ مِنْ فِضَّةٍ
 شَيْءٌ يُظَنُّ بِهِ مِنَ الْأَثْمَانِ
 فَالْنَّاقِدُونَ يَرَوْنَ مَاذَا تَحْتَهُ
 وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْعُمِيَانِ
 أَمَّا جَمِيلَاتُ الْوُجُوهِ فَخَائِنَا
 تُبْعُولِهِنَّ وَهِنَّ لِلْأَخْدَانِ
 وَالْحَافِظَاتُ الْغَيْبِ مِنْهُنَّ الَّتِي
 قَدْ أَصْبَحَتْ فَرْدًا مِنَ النِّسْوَانِ

فَانظُرْ مَصَارِعَ مَنْ يَلِيكَ وَمَنْ خَلَا
مِنْ قَبْلُ مِنْ شَيْبٍ وَمِنْ شُبَّانٍ
وَارْغَبْ بِعَقْلِكَ أَنْ تَبِيعَ الْعَالِيَّ الْا
بَاقِي بِذَا الْأَذْنَى الَّذِي هُوَ فَانٍ
إِنْ كَانَ قَدْ أَعْيَاكَ خُودٌ مِثْلُ مَا
تَبْغِي وَلَمْ تَنْظُرْ إِلَىٰ ذَا الْا
فَاخْطُبْ مِنَ الرَّحْمَنِ خُودًا ثُمَّ قَدْ
دِمَّ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانٍ (١)
ذَاكَ النِّكَاحُ عَلَيْكَ أَيْسَرُ إِنْ يَكُنْ
لَكَ نِسِيَةٌ لِلْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
وَاللَّهُ لَمْ تَخْرُجْ إِلَى الدُّنْيَا لِلذُّ
ذَةِ عَيْشِهَا أَوْ لِلْحُطَامِ الْفَانِي (٢)
لَكِنْ خَرَجْتَ لِكِي تُعَدَّ الزَّادَ لِلدُّ
أُخْرَىٰ فَجِئْتَ بِأَقْبَحِ الْخُسْرَانِ

(١) بدأ يتكلّم عن الحور العين، فنساء أهل الجنة من الحور العين وليهنّ
الرحمن، يزوجهن من عباده الصالحين، وهو قريبٌ مجيب، والمهر هو
العمل الصالح.

(٢) لا بُدَّ أن تلاقي من الأتعاب ومن المشقة في هذه الدنيا، لأنك لم تُخلق
للدنيا بل للأخرة فلا تركز للدنيا.

أهملت جَمَعَ الزادِ حتى فاتَ بَلُّ
فاتَ الذي أَلْهَكَ عن ذَا الشانِ
واللهِ لَوْ أَنَّ القلوبَ سَلِيمَةً
لَتَقَطَّعَتْ أَسْفَاً مِنَ الحَرَمَانِ
لكنَّها سَكْرَى بِحُبِّ حَيَاتِهَا الدُّ
دُنْيَا وَسَوْفَ تُفِيقُ بَعْدَ زَمَانٍ^(١)

* * *

(١) وهذا الخُسران الذي لا يجبر هو خسران الآخرة، وقد فاتك أمران:

الأول: قد فاتتك الدنيا التي شغلتك.

الثاني: وفاتتك الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١]، فلو أَنَّ القلوبَ سَلِيمَةً مِنَ الغفلةِ وَمِنَ الإِعْرَاضِ والنسيانِ لَتَقَطَّعَتْ مِنَ الأَسْفِ عَلى ما حُرِّمَتْ، وَهذه حَالَةُ أَكثَرِ الخلقِ.

فصل

فاسْمَعُ صِفَاتِ عِرَائِسِ الْجَنَاتِ ثُمَّ
 مَ اخْتَرُ لِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعِرْفَانِ^(١)
 حورٌ حِسانٌ قد كَمُلْنَ خَلَائِقاً
 وَمَحاسِناً مِن أَجْمَلِ النُّسوانِ
 حتَّى يَحَارُّ الطَّرْفُ فِي الحُسْنِ الَّذِي
 قَدِ أَلْبَسَتْ فَالطَّرْفُ كَالْحَيْرَانِ
 وَيَقُولُ لَمَّا أَنْ يُشَاهِدَ حُسْنَهَا
 سُبْحَانَ مُعْطِي الحُسْنِ وَالإِحْسَانِ^(٢)
 وَالطَّرْفُ يَشْرَبُ مِن كؤُوسِ جَمالِها
 فَتِراهُ مِثْلَ الشَّارِبِ النُّسوانِ^(٣)
 كَمَلْتُ خَلَائِقُها وَأَكْمَلْتُ حُسْنُها
 كالبَدْرِ لَيْلَ السَّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ

(١) لَمَّا أَنَّهُ حَتَّى عَلِيٌّ أَنْ تَخْطُبَ مِنَ الرَّحْمَنِ مِنَ نِساءِ الْجَنَّةِ بِتَقْدِيمِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، أَرادَ أَنْ يَصِفَ لَكَ نِساءَ الْجَنَّةِ حَتَّى تَشَوِّقَ إِلَيْهِنَّ.

(٢) حَسَنَ نِساءِ الْجَنَّةِ وَالْحورِ الْعَيْنِ لَا يَدورُ فِي خِيالِ أَحَدٍ، وَلَا يُدْرِكُهُ عَقْلُ أَحَدٍ، فَهِنَّ جَمْعٌ بَيْنَ حُسْنِ الخَلْقِ وَالْجَمالِ بِكُلِّ أَنْواعِهِ وَحُسْنِ الخَلْقِ فَجَمْعٌ بَيْنَ الحُسْنِينِ.

(٣) لَا يَمَلُّ الطَّرْفُ مِنَ النِّظَرِ إِلَيْها لِأَنَّه كَلَّمَا نَظَرَ إِلَيْها أَعْجَبَتْهُ لِأَنَّه تَجَدَّدَ جَمالِها.

والشمسُ تَجْرِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا
 وَاللَّيْلُ تَحْتَ ذَوَائِبِ الْأَغْصَانِ
 فَتَرَاهُ يَعْجَبُ وَهُوَ مَوْضِعُ ذَاكَ مِنْ
 لَيْلٍ وَشَمْسٍ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ (١)
 فَيَقُولُ سُبْحَانَ الَّذِي ذَا صُنْعُهُ
 سُبْحَانَ مُتَّقِنِ صَنْعَةِ الْإِنْسَانِ
 لَا اللَّيْلُ يُدْرِكُ شَمْسَهَا فَتَغِيبَ عِنْدَ
 دَ مَجِيئِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ الثَّانِي
 وَالشَّمْسُ لَا تَأْتِي بِطَرْدِ اللَّيْلِ بَلْ
 يَتَصَاحَبَانِ كِلَاهُمَا أَخَوَانِ
 وَكِلَاهُمَا مَرَاةٌ صَاحِبِهِ إِذَا
 مَا شَاءَ يُبْصِرُ وَجْهَهُ يَرِيَانِ (٢)
 فَيَرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فِي وَجْهِهَا
 وَتَرَى مَحَاسِنَهَا بِهِ بَعِيَانِ

(١) جمعت بين ليل ونهار، ليل في شعرها ونهار في وجهها، وهذا في الحور العين في الجنة، وأمّا في الدنيا فلا يجتمع الليل والنهار لأنه ينسخ أحدهما الآخر.

(٢) كلا الزوجين مرآة للآخر ينظر صورته في جمالها، لأنه يعكس صورته، وهي كذلك تنظر جمالها في وجهه، وهذا من صفاء لون الزوجين.

حُمْرُ الخُدُودِ تُغُورُهُنَّ لِأَلْيَاءُ
 سُودُ العُيُونِ فَوَاتِرُ الأَجْفَانِ
 وَالبَرْقُ يَبْدُو حِينَ يَبْسِمُ ثَغْرَهَا
 فَيُضِيءُ سَقْفَ القَصْرِ بِالجُدْرَانِ
 وَلقد رُوينا أَن بَرْقاً ساطِعاً
 يَبْدُو فَيَسْأَلُ عَنْهُ مَنْ بِجِنَانِ
 فيُقَالُ هَذَا ضَوْءُ ثَغْرِ ضاحِكِ
 فِي الجَنَّةِ العُلْيَا كَمَا تَرَيَانِ^(١)
 لله لائِمُ ذَلِكِ الثَّغْرِ الَّذِي
 فِي لَثْمِهِ إِدْرَاكُ كُلِّ أَمَانِ
 رِيَانَةُ الأَعْطَافِ مِنْ مَاءِ الشَّبَا
 بِ فَعُضْنُهَا بِالمَاءِ ذُو جَرِيَانِ
 لَمَّا جَرَى مَاءُ النِّعِيمِ بِغُضْنِهَا
 حَمَلَ الثَّمَارَ كَثِيرَةَ الأَلْوَانِ
 فَالوَرْدُ وَالثَّقَّاحُ وَالرُّمَّانُ فِي
 غُضْنِ تَعَالَى غَارِسُ البُسْتَانِ

(١) يعني: جاء في الأثر: «أن برقاً يسطع في الجنة فيسأل أهل الجنة ما هذا البرق؟ فيقال: هذه حوراء في الدرجات العليا من الجنة ضحكت لزوجها» فما ظنكم بمن يُقبَّل هذا الثغر ويذوق اللذة بقبلته.

وَالْقَدُّ مِنْهَا كَالْقَضِيبِ اللَّذْنِ فِي
 حُسْنِ الْقَوَامِ كَأَوْسَطِ الْقَضِيَانِ
 فِي مَغْرَسٍ كَالْعَاجِ تَحَسَّبُ أَنَّهُ
 عَالِي النَّقَا أَوْ وَاحِدُ الْكُتْبَانِ
 لَا الظَّهْرُ يُلْحَقُهَا وَلَيْسَ تُدِيئُهَا
 بِلِوَاحِقِ اللَّبْطَنِ أَوْ بِدَوَانِ
 لِكِنَّهِنَّ كَوَاعِبٌ وَنَوَاهِدٌ
 فُتْدِيئُهُنَّ كَأَلْطَفِ الرُّمَّانِ
 وَالجَيْدُ ذُو طُولٍ وَحُسْنٍ فِي بِيَا
 ضِيٍّ وَاعْتِدَالٍ لَيْسَ ذَا نُكْرَانِ (١)
 يَشْكُو الْحُلِيِّ بِعَادَةِ فَلَهُ مَدْيُ الْـ
 أَيَّامٍ وَسَوَاسٍ مِنَ الْهُجْرَانِ (٢)
 وَالْمِعْصَمَانِ فَإِنْ تَشَأْ شَبَّهَهُمَا
 بِسَبَكْتَيْنِ عَلَيْهِمَا كَفَّانِ
 كَالرُّبْدِ لِينًا فِي نُعُومَةٍ مَلْمَسِ
 أَصْدَافُ دُرٍّ دُورَتْ بِسُوزَانِ (٣)

(١) الجيد: العنق، يصف بدن الحوراء ويصف قوامها ورقبتها كما وصف شعرها وذلك حسب النصوص الواردة.

(٢) الحلبي الذي في أذنيها يشكو من البعاد عن الكتفين فيكون له صوت لأنه ملتصق بالرقبة لا الكتفين.

(٣) المعصم هو طرف الذراع ممَّا يلي الزند وهو محلُّ الحلبي.

وَالصَّدْرُ مُتَّسِعٌ عَلَى بَطْنِ لَهَا
 حُقَّتْ بِهِ خَضْرَانِ ذَاتُ ثَمَانِ
 وَعَلَيْهِ أَحْسَنُ سُرَّةٍ هِيَ مَجْمَعُ الدِّ
 خَضْرَيْنِ قَدْ غَارَتْ مِنَ الْأَعْكَانِ
 حُقٌّ مِنَ الْعَاجِ اسْتَدَارَ وَحَوْلَهُ
 حَبَّاتُ مِسْكِ جَلَّ ذُو الْإِتْقَانِ
 وَإِذَا انْحَدَرَتْ رَأَيْتَ أَمْرًا هَائِلًا
 مَا لِلصِّفَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
 لَا الْحَيْضُ يَغْشَاهُ وَلَا بَوْلٌ وَلَا
 شَيْءٌ مِنَ الْآفَاتِ فِي النِّسْوَانِ^(١)
 فَخُذَانِ قَدْ حَفَّأَ بِهِ حَرَسًا لَهُ
 فَجَنَابُهُ فِي عِزَّةٍ وَصِيَانِ
 قَامَا بِخِدْمَتِهِ هُوَ السُّلْطَانُ بَيْنَ
 نَهُمَا وَحَقُّ طَاعَةِ السُّلْطَانِ
 وَهُوَ الْمَطَاعُ أَمِيرُهُ لَا يَنْشِي
 عَنْهُ وَلَا هُوَ عِنْدَهُ بِجَبَانِ

(١) هذا كناية عن فرج الحوراء الذي هو محل الاستمتاع، وهذا الفرغ لا يخرج منه البول ولا الفضلات، بل هو مُطَهَّرٌ، كما قال تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [النساء: ٥٧] فهي ليست كنساء الدنيا.

وجماعتها فهو الشفاء لصببها

فالصَّبُّ منه ليس بالضَّجْرانِ (١)

وإذا يُجامِعُها تعودُ كما أتتْ

بِكُراً بغيرِ دمٍ ولا نُقصانِ

فهو الشَّهْيُ وَعُضُوهُ لا يَنْشِي

جاءَ الحديثُ بذا بلا نُكرانِ (٢)

ولقد رَوَيْنَا أَنَّ شُغْلَهُمُ الَّذِي

قَدْ جَاءَ فِي يَسٍ دُونَ بِيانِ (٣)

شُغْلُ العَرُوسِ بَعْرُسِهِ مِنْ بَعْدِ مَا

عَبَّثَتْ بِهِ الأَشْوَاقُ طَوَلَ زَمَانِ

بِاللهِ لا تَسْأَلُهُ عَن أَشْغَالِهِ

تِلْكَ اللَّيَالِي شَأْنُهُ ذُو شَانِ

(١) الجماع في الدنيا يورث الضعف والكسل بخلاف جماع نساء الجنة فإنه يورث النشاط ولا يملُّ زوجها منه ولا يكل.

(٢) لا تنفض بكارثتها وتذهب كنساء الدنيا، فإنه كلما فضها عادت كما كانت ففرجها شهى وذكره قائم لا ينشي.

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ﴾ [يس: ٥٥]

جاء تفسير «الشغل» بأنه: افتضاض الأبقار، فهم مشغولون بلذة افتضاض الأبقار.

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا بِصَبِّ غَابٍ عَنْ
 مَحْبُوبِهِ فِي شَاسِعِ الْبُلْدَانِ^(١)
 وَالشَّوْقُ يُزْعِجُهُ إِلَيْهِ وَمَا لَهُ
 بِلِقَائِهِ سَبَبٌ مِنَ الْإِمْكَانِ
 وَافَى إِلَيْهِ بَعْدَ طُولِ مَغِيبِهِ
 عَنْهُ وَصَارَ الْوَصْلُ ذَا إِمْكَانٍ
 أَتْلُومُهُ إِنْ صَارَ ذَا شُغْلٍ بِهِ
 لَا وَالَّذِي أَعْطَى بِلَا حُسْبَانٍ
 يَا رَبُّ غَفْرًا قَدْ طَغَتْ أَقْلَامُنَا
 يَا رَبُّ مَعْذِرَةً مِنَ الطُّغْيَانِ^(٢)



(١) اضرب مثلاً لأهل الجنة مع أزواجهم حين يلتقون بالأزواج في الدنيا إذا غاب أحدهما عن الآخر مدة طويلة ثم التقى به ماذا يكون فرحاً به ولذته به، هذا شيء معروف عند أهل الدنيا، والصب: بمعنى المُحِب، من الصبابة وهي المحبة.

(٢) يعني: أنه استرسل في هذه الأوصاف التي ذكرها فهو يستغفر ربّه من هذا الاسترسال.

فصل

أَقْدَامُهَا مِنْ فِضَّةٍ قَدْ رُكِّبَتْ
 مِنْ فَوْقِهَا سَاقَانِ مُلْتَفَّانِ
 وَالسَّاقُ مِثْلُ الْعَاجِ مَلْمُومٌ يُرَى
 مُنْحَ الْعِظَامِ وَرِزَاءُهُ بَعِيَانِ
 وَالرِّيحُ مِثْلُ الْمِسْكِ وَالْجُسُومُ نَوَاعِمُ
 وَاللَّوْنُ كَالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ
 وَكَلَامُهَا يَسْبِي الْعُقُولَ بِنِعْمَةٍ
 زَادَتْ عَلَى الْأُوتَارِ وَالْعِيدَانِ
 وَهِيَ الْعَرُوبُ بِشَكْلِهَا وَبِدْرَهَا
 وَتَحْبُّبٍ لِلزَّوْجِ كُلِّ أَوَانٍ (١)
 وَهِيَ الَّتِي عِنْدَ الْجَمَاعِ تَزِيدُ فِي
 حَرَكَاتِهَا لِلْعَيْنِ وَالْأُذُنَانِ
 لُطْفًا وَحُسْنَ تَنْعُشٍ وَتَغْنُجٍ
 وَتَحْبُّبٍ تَفْسِيرَ ذِي الْعِرْفَانِ

(١) قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً ۖ فَعَلَيْنَهُنَّ أَجْرًا ۖ ﴾ ﴿ عُرْيَا تُرَابًا ﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧]

والعُرب: جمع عروب وهي: المحبوبة.

تلك الحلاوة والملاحة أوجبا
 إطلاق هذا اللفظِ وَضَعَ لِسَانِ^(١)
 فَمَلَا حَةَ التَّضْوِيرِ قَبْلَ غِنَا جِهَا
 هِيَ أَوَّلُ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي
 فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِصَبِّ وَامِقِ
 بَلَّغْتُ بِهِ اللَّذَاتُ كُلَّ مَكَانِ

* * *

(١) آخر اتصاله بها كأوله في اللذة، وقوله: «أتراباً» يعني: مساويات لأزواجهن في السن لأنَّ أهل الجنة على سنٍّ واحد سن الثلاثين.

فصل

أتراب سن واحدٍ مُثمائلٍ
 سن الشباب لأجمل الشبان
 بكر فلم يأخذ بكارتها سوى الـ
 محبوب من إنسٍ ولا من جان^(١)
 حصن عليه حارس من أعظم الـ
 حراس بأساً شأنه ذو شان
 فإذا أحس بداخل الحصن ولد
 لى هارباً فتراه ذا إمعان
 ويعودُ وهنا حين رب الحصن يخ
 رُج منه فهو كذا مدى الأزمان
 وكذا رواه أبو هريرة أنها
 تنصاعُ بكرًا للجَماعِ الثاني
 لكن دراجاً أبا السَّمحِ الذي
 فيه يُضعفه أولو الإنقان
 هذا وبعضهم يُصححُ عنه في التـ
 تفسير كالمولود من جبان

(١) كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ [الرحمن: ٥٦].

فَحَدِيثُهُ دُونَ الصَّحِيحِ وَإِنَّهُ
 فَفَوْقَ الضَّعِيفِ وَلَيْسَ ذَا إِنْتِقَانٍ
 يُعْطَى الْمُجَامِعُ قُوَّةَ الْمِئَةِ الَّتِي اجْتَمَعَتْ
 لِأَقْوَى وَاحِدِ الْإِنْسَانِ
 لَا أَنَّ قُوَّتَهُ تَضَاعَفُ هَكَذَا
 إِذْ قَدْ يَكُونُ لِأَضْعَفِ الْأَرْكَانِ
 وَيَكُونُ أَقْوَى مِنْهُ ذَا نَقْصٍ مِنَ الْإِيمَانِ
 وَالْأَعْمَالِ وَالْإِحْسَانِ^(١)
 وَلَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّهُ يُغْشَى بِوَجْهِهِ
 مِائَةُ مِائَةٍ مِنَ الشُّوَّانِ
 وَرِجَالُهُ شَرْطُ الصَّحِيحِ رَوْا لَهُمْ
 فِيهِ وَذَا فِي مُعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ
 هَذَا دَلِيلٌ أَنَّ قَدْرَ نِسَائِهِمْ
 مُتَّفَاوِتٌ بِتَفَاوُتِ الْإِيمَانِ
 وَبِهِ يَزُولُ تَوْهَمُ الْإِشْكَالِ عَنْ
 تِلْكَ التُّصَوُّصِ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ
 وَبِقُوَّةِ الْمِئَةِ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ
 أَفْضَلُ إِلَى مِئَةِ بِلَا خَوَرَانٍ

(١) يُعْطَى الرَّجُلُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةَ مِئَةِ رَجُلٍ فِي الْجَمَاعِ.

وَأَعْقُهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ الْ

أَقْوَىٰ هُنَاكَ لِزُهْدِهِ فِي الْفَانِي (١)

فَاجْمَعُ قُورَاكَ لِمَا هُنَاكَ وَغَمِّضِ الْ

عَيْنَيْنِ وَاصْبِرْ سَاعَةً لِزَمَانِ

مَا هَاهُنَا وَاللَّهِ مَا يَسْوِي قُلَا

مَةَ ظُفْرِ وَاحِدَةٍ تُرَىٰ بِجِنَانِ

مَا هَاهُنَا إِلَّا النَّقَارُ وَسَيِّءُ الْ

أَخْلَاقِ مَعَ عَيْبٍ وَمَعَ نُقْصَانِ

هَمٌّ وَغَمٌّ دَائِمٌ لَا يَنْتَهِي

حَتَّىٰ الطَّلَاقِ أَوْ الْفِرَاقِ الثَّانِي (٢)

وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ النِّسَاءَ عَوَانِيًا

شَرْعًا فَأُضْحَىٰ الْبَعْلُ وَهُوَ الْعَانِي

لَا تُؤَثِّرِ الْأَدْنَىٰ عَلَى الْأَعْلَىٰ فَإِنْ

تَفَعَّلَ رَجَعَتْ بِذَلِكَ وَهَوَانِ

* * *

(١) من حفظ فرجه عن الحرام في هذه الدنيا وحفظ بصره وسمعه عن الحرام فهو يكون أقوى أهل الجنة وألذهم في الجماع يوم القيامة.

(٢) هذه حالة غالب الأزواج في الدنيا، الرجال مع النساء في هم وغم ونزاع وشكايات وقد يُفضي ذلك إلى الطلاق والفراق بينهما بخلاف حالة الأزواج في الجنة فليس فيها شيء من ذلك.

فصل

وإذا بَدَتْ فِي حُلَّةٍ مِنْ لِبْسِهَا
 وَتَمَايَلَتْ كَتَمَايَلِ النِّشْوَانِ
 تَهْتَرُّ كَالْغَصَنِ الرُّطِيبِ وَحَمْلُهُ
 وَرَزْدٌ وَتَفَّاحٌ عَلَى رُؤْمَانِ
 وَتَبَخَّرَتْ فِي مَشِيهَا وَيَحِقُّ ذَا
 لِكْ لِمِثْلِهَا فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
 وَوَصَائِفٌ مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا
 وَعَلَى شَمَائِلِهَا وَعَنْ أَيْمَانِ^(١)
 كَالْبَدْرِ لَيْلَةٌ تَمُّهُ قَدْ حُفَّ فِي
 غَسَقِ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ الْمِيزَانِ
 فَلِسَانُهُ وَفُؤَادُهُ وَالطَّرْفُ فِي
 دَهْشٍ وَإِعْجَابٍ وَفِي سُبْحَانِ
 فَالْقَلْبُ قَبْلَ زِفَافِهَا فِي عُرْسِهِ
 وَالْعُرْسُ إِثْرَ الْعُرْسِ مُتَّصِلَانِ
 حَتَّى إِذَا مَا وَاجَهَتْهُ تَقَابَلًا
 أَرَأَيْتَ إِذْ يَتَقَابَلُ الْقَمَرَانِ

(١) الوصائف: جمع وصيفة وهي الخادم.

فَسَلِ الْمُتَيِّمَ هَلْ يَحِلُّ الصَّبْرُ عَنْ
 ضَمٍّ وَعَنْ تَقْبِيلٍ وَعَنْ فَلَاتَانِ (١)
 وَسَلِ الْمُتَيِّمَ أَيْنَ خَلْفَ صَبْرِهِ
 فِي أَيِّ وادٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانٍ
 وَسَلِ الْمُتَيِّمَ كَيْفَ حَالَتُهُ وَقَدْ
 مُلِّتَ لَهُ الْأُذُنَانِ وَالْعَيْنَانِ
 مِنْ مَنْطِقِ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَوَجَّ
 بِهِ كَمْ بِهِ لِلشَّمْسِ مِنْ جَرِيَانِ
 وَسَلِ الْمُتَيِّمَ كَيْفَ عَيْشَتُهُ إِذَا
 وَهَمَّ عَلَى فَرْشَيْهِمَا خِلْوَانِ
 يَتَسَاقَطَانِ لِأَلْيَأْ مُثْوَرَةً
 مِنْ بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنْظَمِ جُمَانِ
 وَسَلِ الْمُتَيِّمَ كَيْفَ مَجْلِسُهُ مَعَ الْ
 مَحْبُوبِ فِي رَوْحٍ وَفِي رَيْحَانِ
 وَتَدُورُ كَاسَاتُ الرَّحِيقِ عَلَيْهِمَا
 بِأَكْفٍ أَقْمَارٍ مِنَ الْوَلْدَانِ
 يَتَنَازَعَانِ الْكَأْسَ هَذَا مَرَّةً
 وَالْخُودُ أُخْرَى تُسَمَّى يَتَكَنَّانِ

(١) المتَيِّم: يعني المشتاق، فالمحبة درجات، أعلاها الخُلَّة، ومن درجاتها: درجة المتَيِّم، أي: المُحب.

فَيَضُمُّهَا وَتَضُمُّهُ أَرَأَيْتَ مَعُ
 شُوقَيْنِ بَعْدَ الْبُعْدِ يَلْتَقِيَانِ
 غَابَ الرَّقِيبُ وَغَابَ كُلُّ مُنْكَدٍ
 وَهُمَا بِشُوبِ الْوَصْلِ مُشْتَمِلَانِ
 أَرَاهُمَا ضَجْرَيْنِ مِنْ ذَا الْعَيْشِ لَا
 وَحَيَاةِ رَبِّكَ مَا هُمَا ضَجِرَانِ
 وَيَزِيدُ كُلُّ مِنْهُمَا حُبًّا لِصَا
 حِيهِ جَدِيداً سَائِرَ الْأَزْمَانِ
 وَوَصَالَهُ يَكْسُوهُ حُبًّا بَعْدَهُ
 مُتَسَلِّلاً لَا يَنْتَهِي بِزَمَانِ
 فَالْوَصْلُ مَحْقُوفٌ بِحُبِّ سَابِقِ
 وَبِالْحَقِّ وَكِلَاهُمَا صِنْوَانِ
 فَرَقٌ لَطِيفٌ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ ذَا
 يَدْرِيهِ ذُو شُغْلٍ بِهَذَا الشَّانِ
 وَمَزِيدُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَاصِلٌ
 سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ^(١)
 يَا غَافِلاً عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ أَنْتَبَهُ
 جَدَّ الرَّحِيلُ فَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ

(١) مع هذا النعيم يقول الله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] وهو النظر إلى وجه الله تعالى فينسون كل ما عندهم من النعيم.

سَارَ الرَّفَاقُ وَخَلَّفُوكَ مَعَ الْأَلَى
قَنَعُوا بِذَا الْحِظِّ الْخَسِيسِ الْفَانِي
وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفًا
فَتَبِعْتَهُمْ وَرَضِيتَ بِالْحِرْمَانِ
لَكِنْ أَتَيْتَ بِخُطَّتِي عَجِزٍ وَجَهْ
لِي بَعْدَ ذَا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَانِ
مَنْتَكَ نَفْسُكَ بِاللِّحَاقِ مَعَ الْقُعُو
دِ عَنِ الْمَسِيرِ وَرَاحَةِ الْأُبْدَانِ
وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا
مَاذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا إِمْكَانِ

* * *

فصل

في ذكر الخلاف بين النَّاس هل تحبل نساء أهل الجنة
أم لا؟

وَالنَّاسُ بَيْنَهُمْ خِلافٌ هل بها
حَبَلٌ وفي هذا لهم قولان
فنفاه طاووسٌ وإبراهيمُ ثمَّ
مجاهدٌ وهُمُ أُولُو العِرْفانِ
وروى العُقيليُّ الصدوقُ أبو رَزي
بنِ صاحبِ المبعوثِ بالقرآنِ
أنَّ لا توالدُ في الجنانِ رواهُ تعد
ليقاً مُحَمَّدُ العَظيمُ الشانِ
وحكاه عنه الترمذيُّ وقال إسـ
حاقُ بنُ إبراهيمَ ذُو الإِتيقانِ^(١)

(١) هذه مسألة حصل فيها الخلاف بين العلماء: هل نساء أهل الجنة يحملن ويلدن مثل: نساء الدنيا أو لا، على قولين:

القول الأول: لا حمل في الجنة ولا توالد، وهذا فيه حديث أبي رزين العقيلي عن رسول الله ﷺ في نفي الولادة في الجنة، وبه قال جمع من الأئمة كطاووس بن كيسان الصنعاني وإبراهيم النخعي ومجاهد بن جبر تلميذ ابن عباس، هؤلاء الأئمة قالوا بهذا القول، وهذا دليلهم وهو =

لَا يَشْتَهِي وَلَدًا بِهَا وَلَوْ اشْتَهَا
هُ لَكَانَ ذَلِكَ مُحَقَّقَ الْإِمْكَانِ

وروى هشامٌ لابنِه عن عامرٍ
عن ناجي عن سعدِ بنِ سنانٍ
أَنَّ الْمُنْعَمَ بِالْجِنَانِ إِذَا اشْتَهَى الْـ
وَلَدَ الَّذِي هُوَ نُسَخَةٌ الْإِنْسَانِ
فَالْحَمْلُ ثُمَّ الْوَضْعُ ثُمَّ السِّنُّ فِي
فَرْدٍ مِنَ السَّاعَاتِ فِي الْأَزْمَانِ (١)

= حديثٌ رواه البخاريُّ تعليقاً، حكاه عنه الترمذي في «جامعه» (*).
(١) هذا هو القول الثاني أنهم يتوالدون إذا اشتهوا ذلك ودليله ما روى سعد
ابن سنان وهو أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ «المؤمن
إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنُّه في ساعة كما
يشتهي» (**). ثم قال الترمذي: وقال محمد - يعني البخاري - : قال
إسحاق بن إبراهيم في حديث النبي السابق: ولكن لا يشتهي. قال محمد
- يعني البخاري - : وقد روي عن أبي رزين العقيلي، عن النبي ﷺ قال:
«إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد». فاختلف الحديثان: حديث أبي
سعيد وحديث أبي رزين هذا يثبت وهذا ينفي فما الجواب؟ سيذكره
الناظم رحمه الله، وإسنادُ حديث أبي سعيد الخدري عند الناظم صحيح؛
لأنَّ رواته ثقات، ولكنَّ الحديث غريب، والغريب ما تفرَّد بروايته واحد.

(*) انظر التعليق التالي.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ١١٦/١٧ (١١٠٦٣)، والترمذي (٢٥٦٣)؛ وابن ماجه

(٤٣٣٨)، وابن حبان (٧٤٠٤)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

إِسْنَادُهُ عِنْدِي صَحِيحٌ قَدْ رَوَا
هُ التِّرْمِذِيُّ وَأَحْمَدُ الشَّيْبَانِيُّ
وَرِجَالُ ذَا الْإِسْنَادِ مُحْتَجٌّ بِهِمْ
فِي مُسْلِمٍ وَهُمْ أَوْلُو إِتْقَانٍ
لَكِنْ غَرِيبٌ مَا لَهُ مِنْ شَاهِدٍ
فَرُدُّ بِذَا الْإِسْنَادِ لَيْسَ بِشَانٍ
لَوْ لَا حَدِيثُ أَبِي رَزِينٍ كَانَ ذَا
كَالنَّصْرِ يَقْرُبُ مِنْهُ فِي التَّبَيَّانِ
وَلِذَلِكَ أَوْلَاهُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بِالشُّ
شْرَطِ الَّذِي هُوَ مُتْنَفِي الْوَجْدَانِ
وَبِذَلِكَ رَامَ الْجَمْعَ بَيْنَ حَدِيثِهِ
وَأَبِي رَزِينٍ وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ^(١)

(١) كما سبق عن إسحاق بن إبراهيم: أنه يرى حصول الولادة في الجنة لكن إذا اشتهد الولد في الجنة وهو في الحقيقة لا يشتهيه فالشرط هنا غير مُحَقَّق، ولكن الناظم لم يرتض هذا التأويل من إسحاق بن إبراهيم لأنَّ «إذا» للذي يتحقق وقوعه، أمَّا لو كان كما يقول إسحاق ل جاء بـ«إن» الشرطيَّة، فإنَّ «إن» لما لا يلزم تحقق الوقوع، وأمَّا «إذا» فهي من حروف الشرط التي يتحقق وقوعها.

فـ«إذا» لما يتحقق وقوعه في المستقبل، فدلَّ الحديث على أنه يكون في الجنة ولادة، وعليه فتأويل إسحاق فيه نظر، وسيذكر الجواب فيما بعد.

هذا وفي تأويله نظر فإن
 ن إذا لتَحْقِيقِي وَذِي إِتْقَانِ
 وَلرُبَّمَا جَاءَتْ لِغَيْرِ تَحَقُّقِي
 والعكس في إن ذاك وضع لِسَانِ
 واحتج من نصر الولادة أن في الـ
 جنات سائر شهوة الإنسان^(١)
 والله قد جعل البين مع النساء
 من أعظم الشهوات في القرآن^(٢)
 فأجيب عنه بأنه لا يشتهي
 ولداً ولا حبلاً من النساء^(٣)
 واحتج من منع الولادة أنها
 ملزومة أمرين ممتنعان
 حيض وإنزال المنى وذلك الـ
 أمران في الجنات مفقودان

(١) احتج من يثبت الولادة في الجنة مع هذا الحديث بشيء آخر وهو أن أهل الجنة يُعطون ما اشتهوا وما تمنوا، ولا شك أن الولد مما يُشتهى في الجنة، فهذا يؤيد القول الثاني.

(٢) قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ [الكهف: ٤٦] ولا شك أن الدنيا شيء عند الإنسان هو النساء والأولاد.

(٣) نقول: نعم إن أهل الجنة يُعطون ما اشتهوا وما تمنوا ولكن من يثبت أنهم يشتهون الولد في الجنة ويتمنونه هذا يحتاج إلى دليل.

وروى صُدِّي عن رسولِ الله أن
 نَ مَنِيَّهُمْ إِذْ ذَاكَ ذُو فُقْدَانٍ
 بل لا مَنِيٍّ ولا مَنِيَّةَ هكذا
 يَرَوِي سُلَيْمَانُ هُوَ الطَّبْرَانِيُّ (١)
 وَأُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ نَوْعٌ سِوَى الْـ
 مَعْمُودِ فِي الدُّنْيَا مِنَ النِّسْوَانِ
 فَالِنَفْيُ لِلْمَعْمُودِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْـ
 إِيْلَادِ وَالْإِثْبَاتُ نَوْعٌ ثَانٍ
 وَاللَّهُ خَالِقُ نَوْعِنَا مِنْ أَرْبَعِ
 مُتْقَابِلَاتٍ كُلُّهَا بِوِزَانٍ
 ذَكَرَ وَأُنْثَى وَالَّذِي هُوَ ضِدُّهُ
 وَكَذَاكَ مِنْ أُنْثَى بِلَا نَكْرَانٍ

(١) احتج من نصر القول الأول بحديث أبي رزين وبأن الولادة يلزم منها
 الحيض والدم وخروج المني، وهذه فضلات وقاذورات مستكرهة،
 والجنّة ليس فيها شيءٌ مستكره، وأُجيب عن هذا: بأنّه لا يلزم أن يكون
 فيها مني ولا حيض فيحصل الولد بدون ذلك والله على كل شيء قدير،
 فالحاصل أنّ القولين متكافئان لا يظهر ترجيح أحدهما على الآخر:
 وجاء في حديث أبي أمامة صُدِّي بن عجلان الباهلي: أنّ النبي ﷺ
 قال: «ليس في الجنّة مَنِيٌّ ولا مَنِيَّةٌ» لا مني: هو الذي يخرج من الرجل،
 ولا مَنِيَّةٌ: وهي الموت، رواه الطبراني في «المعجم الكبير» ٩٦/٨
 .(٧٤٧٩)

والعكسُ أيضاً مثلُ حوًّا أمّنا

هي أربعُ معلومةُ التّبيانِ

وكذاك مولودُ الجنانِ يجوزُ أنْ

يأتي بلا حيضٍ ولا فيضانِ

والأمرُ في ذا مُمكنٌ في نفسه

والقطعُ مُمتنعٌ بلا بُرهانِ (١)

(١) أجيب عن هذا الاعتراض بأنه لا يلزم من الولادة في الجنة ما يلزم في الدنيا، فلا يلزم عند وجود الولادة في الجنة وجود الدم أو المنى من الرجل، فالجنة غير الدنيا، الولادة في الجنة نوعٌ ثانٍ ليست كولاية الدنيا، وهذا جوابٌ قوي لأن خلق الإنسان في هذه الدنيا لا يخلو عن أربعة أقسام:

الأول: مِنَ النَّاسِ مَنْ خُلِقَ مِنْ أُمَّ وَأَبٍ وَهَم سائرُ البشرِ ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات: ١٣].

الثاني: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ خُلِقَ بِلا أُمٍ وَلا أَبٍ وَهُوَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلَقَهُ اللهُ مِنْ تَرَابٍ لَيْسَ لَهُ أَبٌ وَلا أُمٌّ.

الثالث: مَنْ خُلِقَ مِنْ أَنْثَى بِلا ذَكَرٍ كَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الرابع: مَنْ خُلِقَ مِنْ ذَكَرٍ بِلا أَنْثَى كَأَمْنَا حِوَاءَ خَلَقَتْ مِنْ آدَمَ بِلا أُمَّ.

فالقادر على خلق هذه الأقسام الأربعة المتقابلة قادرٌ على أن يخلق مولوداً بلا حيضٍ ولا دم، والإمام ابن القيم رحمه الله لمّا ساق الخلاف توقّف في هذه المسألة فلم يقطع بأحد القولين، ولذا قال: فالقطع ممتنع بلا برهان.

فصل

في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجهه الكريم^(١)

(١) ممّا يكون في الجنة وهو أعظم وألذ شيء فيها رؤية وجه الله تعالى، فإنّ أهل الجنة يرون ربهم تعالى كما دلّت عليه الأحاديث والقرآن؛ لأنّهم آمنوا به في الدنيا ولم يروه، بل آمنوا به غيباً في الدنيا، فجازاهم الله بأن يتجلّى لهم يوم القيامة ويرونه عياناً، وأمّا الذين كفروا به في الدنيا فإنّهم يُحجبون عنه في الآخرة لأنّ الجزاء من جنس العمل، ولذا قال جلّ وعلا:

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]، ولقد تواترت النصوص في إثبات رؤية المؤمنين لربهم تعالى، قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] فسّر الرسول ﷺ الزيادة بأنّها رؤية المؤمنين لربهم كما في صحيح مسلم^(*).

وفي قوله تعالى: ﴿ رُجُوعُهُ يَوْمَئِذٍ تَائِبَةٌ ﴾ [٢٢] إلى ربيها ناظرة ﴿ [القيامة: ٢٢-٢٣] يعني ناظرة إلى وجه ربها تبارك وتعالى والأحاديث عن الرسول ﷺ متواترة، والتواتر يُفيد القطع واليقين، فمن أنكر الرؤية فهو كافر لأنّه مكذب لله ورسوله ولا ينكر ذلك إلا الجهمية ومن سار في ركبهم من المعتزلة^(***).

(*) انظر «صحيح مسلم» (١٨١)، وسلف ذكر الحديث ص ٣٣٧، وانظر ص ١٢٥٧.

(**) انظر أحاديث رؤية الله عز وجل في «جامع الأصول» لابن الأثير ١٠/٥٥٧.

وَيَرُونَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ

نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمْرَانِ (١)

هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ

يُنْكَرُهُ إِلَّا فِاسِدُ الْإِيمَانِ (٢)

وَأَتَى بِهِ الْقُرْآنُ تَصْرِيحاً وَتَعَهُ

رِيضاً هُمَا بِسِيَاقِهِ نَوْعَانِ (٣)

وَهِيَ الزِّيَادَةُ قَدْ أَتَتْ فِي يُؤْنَسِ

تَفْسِيرَ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

وَرَوَاهُ عَنْهُ مُسْلِمٌ بِصَحِيحِهِ

يَرَوِي صُهَيْبٌ ذَا بِلَا كِتْمَانِ

وَهُوَ الْمَزِيدُ كَذَاكَ فَسَّرَهُ أَبُو

بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ ذُو الْإِقْبَانِ

(١) ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام: ١٨] دَلَّ عَلَىٰ عُلُوِّ اللَّهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ

وَفَوْقَ جَنَاتِهِ وَفَوْقَ مَخْلُوقَاتِهِ، وَقَوْلُهُ: «نَظَرَ الْعِيَانِ»: يَعْنِي نَظْرًا حَقِيقِيًّا لَيْسَ نَظْرًا فِي الْقَلْبِ وَإِنَّمَا هُوَ نَظْرٌ فِي الْبَصْرِ وَمَعَايِنَةٌ بِالْأَبْصَارِ.

(٢) وَهِيَ الْجَهْمِيَّةُ وَمَنْ سَارَ فِي رِكَابِهِمْ مِنْ أَهْلِ التَّعْطِيلِ لِأَلْشَيْءِ إِلَّا لِشَبَهَاتٍ فِي نَفْسِهِمْ وَعَقُولِهِمْ الْكَاسِدَةَ، فَهَمُ أَعْرَضُوا عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَاعْتَمَدُوا عَلَىٰ آرَائِهِمُ الْكَاسِدَةَ.

(٣) أَتَى الْقُرْآنُ بِإِثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ تَصْرِيحاً وَتَعْرِيفاً.

وعليه أصحاب الرسول وتابَعُو
هُم بَعْدَهُمْ تَبَعِيَّةَ الْإِحْسَانِ^(١)
وَلَقَدْ أَتَى ذِكْرُ اللَّقَاءِ لِرَبِّنَا الرَّ
رَحْمَنِ فِي سُورٍ مِنَ الْفُرْقَانِ
وَلِقَاؤُهُ إِذْ ذَاكَ رَوَيْتُهُ حَكِيٌّ ال
إِجْمَاعَ فِيهِ جَمَاعَةٌ بَيَانِ
وَعَلِيهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ
لُغَةٌ وَعُرْفًا لَيْسَ يَخْتَلِفَانِ^(٢)
هَذَا وَيَكْفِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ
وَصَفَ الْوُجُوهَ بِنَظَرٍ بِيَجْنَانِ

(١) قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]: الْحُسْنَى: الجنة، وزيادة: هي النظر إلى وجه الله الكريم. وقد فسرها بذلك رسول الله ﷺ والحديث في «صحيح مسلم»(*) وإذا جاء التفسير عن رسول الله فلا كلام لأحد.

وكذلك جاء في سورة ق: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] فسر أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي هو أفضل هذه الأمة: المزيّد بأنه النظر إلى وجه الكريم، وأجمع عليه الصحابة والتابعون وتابَعُوهم إلى يوم الدين، كُلُّهم على هذا المذهب ولم يخالف فيه إلا أهل التعطيل.
(٢) لأن اللقاء يكون معه رؤية.

وأعاد أيضاً وَصَفَهَا نظراً وذا
 لا شكَّ يُفْهَمُ رُؤْيَا بَعِيَانِ
 وَأَتَتْ أَدَاةً إِلَى لِرْفَعِ الوَهْمِ مِنْ
 فَكْرٍ كَذَاكَ تَرْقُبُ الْإِنْسَانَ
 وَإِضَافَةً لِمَحَلِّ رُؤْيَتِهِمْ بِذِكْرِ
 رِ الْوَجْهِ إِذْ قَامَتْ بِهِ الْعَيْنَانِ
 تَاللهِ مَا هَذَا بِفِكْرٍ وَانْتَظَا
 رِ مُعَيَّبٍ أَوْ رُؤْيَا لِجِنَانِ
 مَا فِي الْجِنَانِ مِنْ انْتِظَارِ مُؤَلِّمٍ
 وَاللَّفْظُ يَأْبَاهُ لِذِي الْعِرْفَانِ
 لَا تُفْسِدُوا لَفْظَ الْكِتَابِ فَلَيْسَ فِيهِ
 هِ حِيلَةٌ يَا فِرْقَةَ الرُّوْعَانِ
 مَا فَوْقَ ذَا التَّصْرِيحِ شَيْءٌ مَا الَّذِي
 يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا التَّيْيَانِ^(١)

(١) قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] من النصرة، وهي الحُسن
 والبهاء. ثم قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] أي إلى وجه الله سبحانه
 وتعالى. فهذه الآية تثبت الرؤية لله تعالى من وجوه:
 الأول: نصرة الوجه وحسنه فإنهم إذا نظروا إلى وجه الله ازداد
 حُسنهم وازداد بهاؤهم زيادةً على ما يكون لهم في الجنة.
 الثاني: أنه قال: «وجوه» وأسند هذا إلى الوجوه، فالوجوه فيها
 العينان فهي محلُّ النظر.

لَوْ قَالَ أَيِّنَ مَا يُقَالُ لَقُلْتُمْ

هو مُجْمَلٌ ما فيه مِنْ تَبْيَانٍ^(١)

ولقد أتى في سُورَةِ التَّطْفِيفِ أَنْ

نَ الْقَوْمَ قَدْ حُجِبُوا عَنِ الرَّحْمَنِ

فِيذُلٌّ بِالْمَفْهُومِ أَنَّ الْمُؤْمِنِ

مَنْ يَرُونَهُ فِي جَنَّةِ الْحَيَاةِ

وَبِذَا اسْتَدَلَّ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ

وَسِوَاهُمَا مِنْ عَالِمِي الْأَزْمَانِ^(٢)

الثالث: أَنَّهُ عَدَاهُ بِ«إِلَى» وَالنَّظْرَ إِذَا عُدِّي بِ«إِلَى» فَمَعْنَاهُ: الْمَعَايِنَةُ

بِالْبَصْرِ، تَقُولُ: نَظَرْتُ إِلَى كَذَا، أَي: عَايَنْتُهُ بِبَصْرِي، وَأَمَّا إِذَا عُدِّي

بِنَفْسِهِ فَمَعْنَاهُ الْإِنْتِظَارُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْنِسَ مِنْ نُورِكُمْ﴾

[الحديد: ١٣] وَإِذَا عُدِّي بِفِي فَمَعْنَاهُ التَّفَكُّرُ وَالْإِعْتِبَارُ كَمَا فِي قَوْلِهِ:

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فَلَيْسَ هُنَاكَ

شَيْءٌ أَصْرَحَ مِنْ هَذَا فِي إِثْبَاتِ الرَّؤْيَةِ لَهُ تَعَالَى.

(١) يَعْنِي: لَوْ جَاءَ النَّصُّ الصَّرِيحُ الْوَاضِحُ فَإِنَّهُمْ يَجْعَلُونَهُ مُجْمَلًا وَمُحْتَمَلًا

لِأَرَائِهِمْ وَتَأْوِيلَاتِهِمْ، وَهَذَا فِيهِ تَغْلِيظٌ لِلرَّسُولِ ﷺ وَلِلصَّحَابَةِ وَأَهْلِ اللُّغَةِ.

(٢) هَذَا هُوَ الْمَوْضِعُ الثَّلَاثُ مِنْ إِثْبَاتِ الرَّؤْيَةِ فِي الْقُرْآنِ كَمَا فِي سُورَةِ

الْمُطَفِّفِينَ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]: فَلَمَّا حَجَبَ

الْكَفَّارَ عَنِ الرَّؤْيَةِ لِرَبِّهِمْ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ مُحْجُوبِينَ عَنْ رَبِّهِمْ.

بِهَذَا اسْتَدَلَّ الْإِمَامَانِ الْجَلِيلَانِ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ إِذَا حَجَبَ

الْكَفَّارَ عَنْ رُؤْيَتِهِ فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرُونَ رَبَّهُمْ وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ

الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَفَّارِ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى إِثْبَاتِ الرَّؤْيَةِ لَهُ تَعَالَى.

وَأَتَىٰ بِذَا الْمَفْهُومِ تَصْرِيحاً بآ

خِرْهَا فَلَا تُخَدَعُ عَنِ الْقُرْآنِ (١)

وَأَتَىٰ بِذَلِكَ مُكَذِّباً لِلْكَافِرِ

عَنِ السَّاخِرِينَ بِشِيعَةِ الرَّحْمَنِ (٢)

ضَحِكُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ كَمَا

ضَحِكُوا هُمْ مِنْهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ

وَأَنَابَهُمْ نَظَرًا إِلَيْهِ ضِدًّا مَا

قَدْ قَالَهُ فِيهِمْ أَوْلُوا الْكُفْرَانَ

فَلِذَاكَ فَسَّرَهَا الْأُئِمَّةُ أَنَّهُ

نَظَرٌ إِلَى الرَّبِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ

(١) وأتى بهذا المفهوم الذي ذكره الإمامان الشافعي والإمام أحمد في آخر

السورة، حيث قال: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٣٤]

فالكفار ضحكوا وسخروا من المؤمنين في الدنيا، والله تعالى يُجازيهم

يوم القيامة بأن يجعل المؤمنين يضحكون منهم وهم ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾

[المطففين: ٣٥] ينظرون إلى أعدائهم وهم يعذبون في النار، وينظرون إلى

الجنة وإلى وجه الله وهو أعظم شيء وألذ شيء، وأطلق النظر ليشمل كل

شيء، وأعظم النظر هو رؤية الله تعالى.

(٢) يعني الساخرين بهم في الدنيا، ففي يوم القيامة يضحك المؤمنون من

الْكُفَّارِ جِزَاءً وَعَقُوبَةً لَهُمْ.

لله ذاك الفهم يُؤْتِيهِ الَّذِي
 هُوَ أَهْلُهُ مَنْ جَادَ بِالْإِحْسَانِ (١)
 وروى ابنُ ماجَةَ مُسْنَدًا عن جابرٍ
 خَيْرًا وشَاهِدُهُ فِي الْقُرْآنِ
 بَيْنَاهُمْ فِي عَيْشِهِمْ وَسُرُورِهِمْ
 وَنَعِيمِهِمْ فِي لَذَّةٍ وَتَهَانِي
 وَإِذَا بَنُورٍ سَاطِعٍ قَدْ أَشْرَقَتْ
 مِنْهُ الْجِنَانُ قَصِيئَهَا وَالِدَانِي
 رَفَعُوا إِلَيْهِ رُؤُوسَهُمْ فَرَأَوْهُ نُورًا
 رَبِّ الرَّبِّ لَا يَخْفَى عَلَى إِنْسَانٍ
 وَإِذَا بِرَبِّهِمْ تَعَالَى فَوْقَهُمْ
 قَدْ جَاءَ لِلتَّسْلِيمِ بِالْإِحْسَانِ
 قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَيُرُونَهُ
 جَهْرًا تَعَالَى الرَّبُّ ذُو السُّلْطَانِ
 مَصْدَاقٌ ذَا يَسٍ قَدْ ضَمِنْتَهُ عِنْدَ
 سَدِّ الْقَوْلِ مِنْ رَبِّ بِهِمْ رَحْمَنٍ
 مَنْ رَدَّ ذَا فَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ رَدُّ
 دَوْسُوفٍ عِنْدَ اللَّهِ يَلْتَقِيَانِ

(١) أئمة التفسير فسروا قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥] بأنه النظر إلى وجه الله عز وجل، لأن هذا أعظم نعيم يُعطونه، والله تعالى يؤتي مثل هذا الفهم لأهله.

في ذا الحديثِ علُوُّه ومَجِيئُهُ

وكلامُهُ حتَّى يُرَى بَعِيَانِ

هذي أصولُ الدينِ في مَضمونِهِ

لا قَوْلَ جَهْمِ صَاحِبِ البُهْتَانِ (١)

وكذا حديثُ أبي هريرةَ ذلك الـ

خَبَرُ الطويلِ أتى به الشيخانِ

فيه تَجَلَّى الرَّبِّ جَلَّ جلالُهُ

ومَجِيئُهُ وكلامُهُ بَيَانِ (٢)

(١) انتقل إلى أدلة السنة على إثبات الرؤية لله تعالى، فمن ردّ أحاديث الرؤية فقد ردّ على رسول الله، وسوف يلتقي هو والرسول عند الله يوم القيامة وسيُخاصمهُ رسول الله لأنّه كذّب أحاديثه ففي حديث جابر عند ابن ماجه «فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم من فوقهم» (*) إثبات علو الله تعالى لأنّه يسطع عليهم نور من فوقهم فيرون الله تعالى، وذلك برفع رؤوسهم والرفع يكون إلى أعلى، ففي هذا الحديث إثبات ثلاثة أمور:
الأول: العلو لله عزّ وجل.

الثاني: رؤية المؤمنين لربهم وهذا هو محلّ الشاهد.

الثالث: إثبات الكلام لله عزّ وجل خلافاً للجهمية الذين ينفون كلّ

هذه الأمور.

(٢) هذا هو الدليل الثاني: حديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة لأهل الموقف (**).

(*) سلف تخريجه ص ٤٥١.

(**) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة.

وَكَذَلِكَ رُوِيَ عَنْهُ وَتَكْلِيمٌ لِمَنْ
 يَخْتَارُهُ مِنْ أُمَّةِ الْإِنْسَانِ
 فِيهِ أَصُولُ الدِّينِ أَجْمَعُهَا فَلَا
 تَخْدَعُكَ عَنْهُ شِيعَةُ الشَّيْطَانِ
 وَحَكَى رَسُولُ اللَّهِ فِيهِ تَجَدُّدَ الْ
 غَضَبِ الَّذِي لِلرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ
 إِجْمَاعَ أَهْلِ الْعِزْمِ مِنْ رَسُولِ الْإِلَهِ
 بِهِ وَذَلِكَ إِجْمَاعٌ عَلَى الْبُرْهَانِ^(١)
 لَا تُخْدَعَنَّ عَنْ الْحَدِيثِ بِهَذِهِ الْ
 آرَاءِ فَهِيَ كَثِيرَةٌ الْهَازِيانِ
 أَصْحَابُهَا أَهْلُ التَّخَرُّصِ وَالتَّنَا
 قُضِ وَالتَّهَاتُرِ قَائِلُو الْبُهْتَانِ
 يَكْفِيكَ أَنَّكَ لَوْ حَرَصْتَ فَلَنْ تَرَى
 فِتْنَتَيْنِ مِنْهُنَّ قَطُّ يَتَّفِقَانِ
 إِلَّا إِذَا مَا قَلَّدَا لِسَوَاهُمَا
 فَتَرَاهُمُ جِيلاً مِنَ الْعُمَيَّانِ

(١) في هذا الحديث: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ
 وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ»^(*) وأهل العزم هم الرسل الذين يطلب منهم
 الخلق الشفاعة يوم القيامة لفصل القضاء.

(*) قطعة من حديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة انظر الصفحة السابقة.

وَيُقُودُهُمْ أَعْمَى يُظَنُّ كَمُبْصِرٍ

يا مِخْنَةَ الْعُمَيَانَ خَلْفَ فَلَانٍ (١)

هل يستوي هذا ومُبْصِرٌ رُشِدِهِ

اللَّهُ أَكْبَرُ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ (٢)

أَوْ مَا سَمِعْتَ مَنَادِي الْإِيمَانِ يُخْرَبُ

بِرُّ عَن مَنَادِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ

يا أَهْلَهَا لَكُمْ لَدَى الرَّحْمَنِ وَعَدَدٌ

سَدٌّ وَهُوَ مُنْجِزُهُ لَكُمْ بِضَمَانِ

قَالُوا أَمَا بَيَّضْتَ أَوْجُهَنَا كَذَا

أَعْمَالِنَا أَثْقَلْتَ فِي الْمِيزَانِ

وَكَذَاكَ قَدْ أَدْخَلْتَنَا الْجَنَاتِ حَيْثُ

سَبَّحْنَا مِنْ مَدْخَلِ النَّارِ

فَيَقُولُ عِنْدِي مَوْعِدٌ قَدْ آتَى أَنْ

أُعْطِيكُمْوهُ بِرَحْمَتِي وَحَنَانِي

(١) وممَّا يدلُّكَ على بطلان المعطلة اختلافهم فيما بينهم حتى يصل الأمر إلى تكفير بعضهم بعضاً، لأنهم ليسوا على شيء، وكلُّ يدعي أنَّ الحقَّ معه. وهم عُمَيان والذي يقودُهُم أعمى وهو الجهم بن صفوان وأتباعه، فكيف يعرفون الطريق والقائد أعمى.

(٢) هل يستوي من يأخذ عقيدته من الكتاب والسنة ومن يأخذها عن الجهم ابن صفوان وواصل بن عطاء، لا يستوي هذا وهذا.

فَيَرُونَهُ مِنْ بَعْدِ كَشْفِ حِجَابِهِ

جَهْرًا رَوَى ذَا مُسْلِمٍ بَيَانٍ^(١)

وَلَقَدْ أَتَانَا فِي الصَّحِيحَيْنِ اللَّذِي

نِ هُمَا أَصْحُ الْكُتُبِ بَعْدَ قُرْآنِ

بِرَوَايَةِ الثَّقَةِ الصَّدُوقِ جَرِيرِ الرَّالِ

بِجَلِّيٍّ عَمَّنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

أَنَّ الْعِبَادَ يَرُونَهُ سَبْحَانَهُ

رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمْرَانِ^(٢)

فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ كُلَّ وَقْتٍ فَاحْفَظُوا أَلْ

بَرْدَيْنِ مَا عِشْتُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ

(١) هذا مضمون حديث ثالث رواه صهيب الرومي، عن النبي ﷺ: إذا دخل

أهل الجنة الجنة فإن الله جلَّ وعلا يُنادي أهل الجنة فيقول: يا أهل الجنة

هل تريدون شيئاً أُعطيكموه؟ فيقولون: يا ربنا أَلَمْ تُبَيِّضْ وجوهنا؟ أَلَمْ

تُعْطِنَا كَذَا وَكَذَا؟ فيقول: إِنَّ لَكُمْ مَوْعِداً أُريدُ أَنْ أُنْجِزْكُمْوه فيكشف

الحجابَ ويتجلَّى لهم، فيرونه بأبصارهم ويتنعمون برؤيته(*) .

(٢) في هذا الحديث: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون

في رؤيته» وهذا في الصحيحين(**) .

(*) سلف تخريجه ص ٣٣٧ .

(**) سلف تخريجه ص ١٣٠ .

ولقد روى بضع وعشرون امراً

من صحب أحمد خيرة الرحمن

أخبار هذا الباب عمّن قد أتى

بالوحي تفصيلاً بلا كتمان^(١)

وَأَلَدُ شَيْءٍ لِلْقُلُوبِ فَهَذِهِ أَلْ

أَخْبَارُ مَعَ أَمْثَالِهَا هِيَ بَهْجَةُ الْإِيمَانِ

وَاللَّهِ لَوْ لَا رُؤْيَا الرَّحْمَنِ فِي أَلْ

جَنَّاتِ مَا طَابَتْ لَدِي الْعِرْفَانِ

أَعْلَى النَّعِيمِ نَعِيمُ رُؤْيَا وَجْهِهِ

وَخَطَابِهِ فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ

وَأَشَدُّ شَيْءٍ فِي الْعَذَابِ حِجَابُهُ

سُبْحَانَهُ عَنِ سَاكِنِي النَّيْرَانِ

وَإِذَا رَأَاهُ الْمُؤْمِنُونَ تَسَوَّأُوا الَّذِي

هُم فِيهِ مِمَّا نَالَتِ الْعَيْنَانِ^(٢)

فَإِذَا تَوَارَى عَنْهُمْ عَادُوا إِلَى

لَذَاتِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ

(١) بضع وعشرون صحابياً رووا أحاديث الرؤية فدلّ هذا على تواترها.

(٢) ينسون نعيم الجنة عند رؤية الله سبحانه وتعالى، لأنه ليس هناك شيء

أعظم نعيماً لهم من رؤية الله تعالى!؟

فَلَهُمْ نَعِيمٌ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ سِوَى
 هَذَا النَّعِيمِ فَحَبَّذَا الْأَمْرَانِ
 أَوْ مَا سَمِعْتَ سُؤَالَ أَعْرَفٍ خَلَقِهِ
 بِجَلَالِهِ الْمَبْعُوثِ بِالْقِرَآنِ
 شَوْقًا إِلَيْهِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ الَّتِي
 بِجَلَالِ وَجْهِ الرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ^(١)
 فَالشَّوْقُ لَذَّةُ رُوحِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
 وَيَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
 تَلْتَدُّ بِالنَّظَرِ الَّذِي فَازَتْ بِهِ
 دُونَ الْجَوَارِحِ هَذِهِ الْعَيْنَانِ
 وَاللَّهُ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَلَذُّ
 ذُمِّنَ اسْتِيْقَاقِ الْعَبْدِ لِلرَّحْمَنِ
 وَكَذَلِكَ رُؤْيَا وَجْهِهِ سُبْحَانَهُ
 هِيَ أَكْمَلُ اللَّذَاتِ لِلْإِنْسَانِ

(١) هذا كما في دعاء الرسول ﷺ: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ
 وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ مِنْ غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ»^(*) فلذذة النظر
 تحصل في الجنة، والشوق إلى لقائه حاصل في الدنيا، فأعظم شيء في
 الدنيا هو الشوق إلى لقاء الله تعالى.

لكنَّما الجَهْمِيُّ يُنْكِرُ ذَا وَذَا
 وَالوَجْهَ أَيْضاً خَشِيَةَ الحِذْنَانِ
 تَبَّأَ لَهُ المَخْدُوعُ أَنْكَرَ وَجْهَهُ
 وَلِقَاءَهُ وَمَحَبَّةَ الدِّيَّانِ (١)
 وَكَلَامَهُ وَصِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ
 وَالعَرْشَ عَطَّلَهُ مِنَ الرَّحْمَنِ
 فَتَرَاهُ فِي وَادٍ وَرُسُلَ اللهِ فِي
 وَادٍ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الكُفْرَانِ (٢)

* * *

(١) الجهمي ينكر الشوق إلى لقاء الله ومحبة الله ورؤية الله في الجنة وينكر وجه الله، وهذا هو الكفر. شبهته في ذلك أن هذه حوادث والله مُنَزَّهٌ عن الحوادث وهذا كلام باطل - والعياذ بالله - .

(٢) هذا مشاققة لله ولرسوله ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

فصل

في كلام الرب جلّ جلاله مع أهل الجنة^(١)

أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ

حَقًّا يُكَلِّمُ حَزْبَهُ بِجَنَانٍ

فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ هَلْ أَنْتُمْ

رَاضُونَ قَالُوا نَحْنُ ذُو رِضْوَانٍ

(١) كلام الله سبحانه صفة من صفاته الفعلية، فهو يتكلم كما يشاء سبحانه وتعالى، ولا نتعرض لكيفيته فهذا أمر لا يعلمه إلا الله، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وأمّا الجهمية ومن سار في ركبهم من الفرق الضالة فإنهم ينفون الكلام عن الله تعالى كما ينفون سائر الصفات، ويجعلون نسبة الكلام إلى الله مجازاً، وذلك لأنّ الله خالق الكلام عندهم فيُضاف إليه إضافة مخلوق، والله سبحانه يتكلم متى شاء وكيف شاء سبحانه وتعالى؛ لأنّ كلامه من صفات أفعاله فهو يتكلم متى شاء؛ تكلم في الماضي ويتكلم في المستقبل ويوم القيامة فهو يأمر وينهى بكلام ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وكلامه سبحانه تارة يصل إلينا بواسطة القرآن فإنّه كلام الله لكننا لم نسمعه من الله وإنما وصل إلينا بواسطة جبريل إلى محمد ﷺ، ومن كلام الله ما يُسمع بلا واسطة كما سمعه موسى عليه السلام «كليم الله» وكذلك يُكلم أهل الجنة بكلام يسمعونّه بلا واسطة مباشرة وهذا الذي ذكره ابن القيم في هذا الباب.

أَمْ كَيْفَ لَا نَرْضَىٰ وَقَدْ أُعْطِينَا

مَا لَمْ يَنْلَهُ قَطُّ مِنْ إِنْسَانٍ (١)

هَلْ نَمَّ شَيْءٌ غَيْرَ ذَا فَيَكُونُ أَفْ

ضَلَّ مِنْهُ نَسَأَلُهُ مِنَ الْمَنَانِ

فَيَقُولُ أَفْضَلُ مِنْهُ رِضْوَانِي فَلَا

يَغْشَاكُمْ سُخْطٌ مِنَ الرَّحْمَنِ (٢)

وَيُذَكِّرُ الرَّحْمَنُ وَاحِدَهُمْ بِمَا

قَدْ كَانَ مِنْهُ سَالِفَ الْأَزْمَانِ (٣)

(١) يقول جلّ وعلا لهم: رضيتم فيقولون: يا ربّنا وما لنا لا نرضى وقد بيّضت وجوهنا وأدخلتنا الجنّة فيقول: عندي لكم زيادة (*).

(٢) أفضل ممّا أنتم فيه من النعيم رضواني عليكم، فيرضى عنهم رضاً لا يسخط بعده أبداً كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

(٣) ومن كلامه سبحانه لأهل الجنّة: أنّه يُحاور بعض أهل الجنّة باسمه: يا فلان أما تذكر يوم فعلت كذا وكذا في الدنيا فيذكّره ببعض غدراته وخطاياها فيقول: يا ربّ ألم تغفر لي فيقول: وبمغفرتي دخلت الجنّة. هذا وليس ذلك من باب التوبيخ وإنّما هو من باب تذكيره بنعمة الله عليه لأجل أن يشكر الله تعالى (**).

(*) انظر ما سلف ص ١٢٤٧، ١٢٤٩، تفسير الزيادة.

(**) انظر حديث ابن عمر في «صحيح البخاري» (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨). وحديث

أبي هريرة في «جامع الترمذي» (٢٥٤٩).

مِنْهُ إِلَيْهِ لَيْسَ ثُمَّ وَسَاطَةٌ
 مَا ذَاكَ تَوْبِيخاً مِنَ الرَّحْمَنِ
 لَكِنْ يُعَرِّفُهُ الَّذِي قَدْ نَالَهُ
 مِنْ فَضْلِهِ وَالْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ
 وَيُسَلِّمُ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ
 حَقّاً عَلَيْهِمْ وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ
 وَكَذَاكَ يُسْمِعُهُمْ لِذِيذِ خِطَابِهِ
 سُبْحَانَهُ بِتِلَاوَةِ الْفُرْقَانِ
 فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهُ قَبْلَ ذَا
 هَذَا رَوَاهُ الْحَافِظُ الطَّبْرَانِيُّ (١)
 هَذَا سَمَاعٌ مُطْلَقٌ وَسَمَاعُنَا أَلْ
 قُرْآنَ فِي الدُّنْيَا فَنَوْعٌ ثَانٍ
 وَاللَّهُ يُسْمِعُ قَوْلَهُ بِوَسَاطَةٍ
 وَبِدُونِهَا نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ (٢)

(١) وهذا أيضاً: من كلامه تعالى مع أهل الجنة أنه يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ «يَسَّ» ﴿سَلِّمُوا قَوْلًا مِّن رَّبِّي رَجِيمًا﴾ [يس: ٥٨] وَيَسْمَعُونَ صَوْتَ الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَلَا بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَلَا يَسْمَعُونَ صَوْتًا أَلَدَّ مِنْهُ .

(٢) يعني: يسمع كلام الله بالواسطة فلا يسمعه مباشرة كما في قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، أما سماع موسى عليه السلام فإنه لم يكن بواسطة أحد، بل هو مباشرة من الله، =

فَسَمَاعُ مُوسَى لَمْ يَكُنْ بِوَسَاطَةِ
 وَسَمَاعُنَا بِتَوَسُّطِ الْإِنْسَانِ
 مَنْ صَيَّرَ النُّوعَيْنِ نَوْعًا وَاحِدًا
 فَمَخَالَفٌ لِلْعَقْلِ وَالْقُرْآنِ (١)

* * *

= وهذا من خصائص موسى عليه السلام الذي امتاز به على سائر النبيين،
 ولذلك سُمي كلِّم الله، وأمَّا نحن فسمعنا لكلام الله فهو بواسطة نبينا
 محمد ﷺ.

(١) الجهمية قالوا: كلام الله شيء واحد وهو مخلوق خلقه الله في محمد أو
 في جبريل، وهذا باطل لأنَّ كلامه صفةٌ من صفاته كذاته سبحانه وتعالى
 غير مخلوق.

فصل

في يوم المزيد وما أعدَّ لهم فيه من الكرامة^(١)

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِشَأْنِهِمْ يَوْمَ الْمَزِيدِ
 د وَأَنَّهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ الشَّانِ
 هُوَ يَوْمٌ جُمِعَتْنا وَيَوْمٌ زِيَارَةُ الرَّ
 رَحْمَنِ وَقَتَ صَلَاتِنَا وَأَذَانِ^(٢)
 وَالسَّابِقُونَ إِلَى الصَّلَاةِ هُمُ الْأَلَى
 فَازُوا بِذَلِكَ السَّبْقِ بِالْإِحْسَانِ

(١) لأهل الجنة يوم المزيد، قال الله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] وهذا المزيد: أنهم يرون الله تعالى ويجتمعون في مكان من الجنة ويجلسون على الكراسي وكثبان المسك ثم يتجلى لهم سبحانه وتعالى ويخاطبهم ويكلمهم^(*).

(٢) يوم المزيد هو في الآخرة مثل يوم الجمعة في الدنيا وهذا يدلُّ على فضل يوم الجمعة فهو يوافق يوم المزيد حيث يزور أهل الجنة الرب سبحانه ويكلمهم جلَّ وعلا، فالذي لا يُقدَّر ولا يحترم يوم الجمعة ولا يحضر فيه فإنه يُحرم يوم المزيد - والعياذ بالله -.

(*) انظر «تفسير الطبري» ١١/٤٣٠-٤٣١ (٣١٩٣٨)، و«تفسير ابن كثير» ٧/٤٠٧ [ق: ٣٥].

[٣٥]، و«جامع الترمذي» (٢٥٤٩).

سَبَقُ بَسْبَقٍ وَالْمُؤَخَّرُ هَاهُنَا

مُتَأَخَّرٌ فِي ذَلِكَ الْمِيدَانِ

وَالْأَقْرَبُونَ إِلَى الْإِمَامِ فَهُمْ أَوْلُو الزُّ

زُلْفَى هُنَاكَ فَهَاهُنَا قُرْبَانِ

قُرْبٌ بِقُرْبٍ وَالْمُبَاعِدُ مِثْلُهُ

بُعْدٌ بِبُعْدٍ حِكْمَةُ الدِّيَانِ (١)

وَلَهُمْ مَنَابِرٌ لَوْلُوٌّ وَزَبْرَجِدٌ

وَمَنَابِرُ الْيَاقُوتِ وَالْعِقْيَانِ (٢)

هَذَا وَأَدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِي

مِنْ فَوْقِ ذَلِكَ الْمِسْكِ كَالْكُثْبَانِ (٣)

(١) السابقون إلى صلاة الجمعة هم السابقون إلى الله جلَّ وعلا في يوم المزيد، فالجزاء من جنس العمل، فيكون الذين في الصف الأول يوم الجمعة هم الذين يقربون من الربِّ تعالى في يوم المزيد فهذا فيه الحثُّ على التبكير في يوم الجمعة، والذي يتأخر في الحضور إلى صلاة الجمعة يؤخَّر في الحضور يوم المزيد في يوم القيامة، فالله تعالى لا يظلم الناس شيئاً.

(٢) توضع لهم منابر وليست مثل منابر الدنيا من خشبٍ وطين بل هي منابر من زبرجدٍ ولؤلؤٍ لم تجر بها العادة في الدنيا.

(٣) الذي لا يجلس على كرسي فإنه يجلس على مرتفعات وكثبان من المسك لا من التراب والرمل الذي في الدنيا وإنما من المسك الطيب الرائحة اللين.

ما عندهم أهل المنابر فوقهم
 مما يرون بهم من الإحسان
 فيرون ربهم تعالى جهرة
 نظر العيان كما يرى القمران
 ويحاضر الرحمن واحداهم محاً
 ضرة الحبيب يقول يا بن فلان
 هل تذكر اليوم الذي قد كنت في
 ه مبارزاً بالذنب والعصيان
 فيقول ربّ أما مننت بغفرة
 قدماً فإنك واسع الغفران
 فيجيبه الرحمن مغفرتي التي
 قد أوصلتك إلى المحلّ الداني^(١)

* * *

(١) الله يُذكره من أجل أن يشكر نعمة الله عليه وأن يعترف أنه ما وصل لهذه المنزلة إلا بمغفرة الله ورحمته عز وجل، وليس القصد هو توبيخه وإنما تذكيره بنعمة الله عليه بأن الله غفر له وأكرمه فيصيبه السرور من ذلك^(*).

فصل

في المطر الذي يُصيّبهم هناك^(١)

وَيُظِلُّهُمْ إِذْ ذَاكَ مِنْهُ سَحَابَةٌ
تَأْتِي بِمِثْلِ الْوَابِلِ الْهَتَّانِ
بَيْنَاهُمْ فِي الثُّورِ إِذْ غَشِيَتْهُمْ
سُبْحَانَ مُنْشِيهَا مِنَ الرِّضْوَانِ
فَتَظَلُّ تُمْطِرُهُمْ بِطَيْبٍ مَا رَأَوْا
شَبَهًا لَهُ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
فِيَزِيدُهُمْ هَذَا جَمَالًا فَوْقَ مَا
لَهُمْ وَتِلْكَ مَوَاهِبُ الْمَنَّانِ^(٢)

* * *

(١) وممّا يُكرّمهم الله به في يوم المزيد أنّها تنشأ سحابة وتمطرهم طيباً ما شمّوا رائحةً أحسن منه^(*).

(٢) يصيبهم من السحابة طيب ما شمّوا مثله، وتزيدهم جمالاً وبهاء إلى جمالهم وبهاتهم.

(*) انظر حديث أبي هريرة في «جامع الترمذي» (٢٥٤٩).

فصل

في سوق الجنة الذي ينصرفون إليه من ذلك المجلس^(١)

فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ قَوْمُوا إِلَيَّ
مَا قَدْ ذَخَرْتُ لَكُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ
يَأْتُونَ سُوقًا لَا يَبَاعُ وَيُشْتَرَى
فِيهِ فَخُذْ مِنْهُ بِلاَ أَثْمَانِ
قَدْ أَسْلَفَ التَّجَارُ أَثْمَانَ الْمِيَّةِ
عَ بَعْقَدِهِمْ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ^(٢)
لِلَّهِ سُوقٌ قَدْ أَقَامَتْهُ الْمَلَأُ
نَكَّةُ الْكِرَامِ بِكُلِّ مَا إِحْسَانِ^(٣)

(١) وبعد ما ينتهي مجلسهم مع الربِّ سبحانه وتعالى ينصرفون إلى سوق فيه كل ما يشتهون وما يُريدون معروضٌ لهم فيأخذون منه ما يريدون بلا ثمن لأنَّهم قدَّموا الثمن في الدنيا وهو الأعمال الصالحة^(*).

(٢) أسلفوا الثمن في الدنيا وهو الأعمال الصالحة وهذا من ثمرات أعمالهم في الدنيا، والإسلاف: هو تقديم الثمن وتأجيل المثل، هذا هو السلف والسلم عند الفقهاء، فهم قدَّموا الثمن في الدنيا، وهي الأعمال الصالحة، مثل ما يسلف التجار في السلع في الدنيا.

(٣) هذا السوق تُقيمه الملائكة لا تقيمه الناس كما تقيم الأسواق في الدنيا.

(*) انظر حديث أبي هريرة في «جامع الترمذي» (٢٥٤٩).

فِيهَا الَّذِي وَاللَّهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ
 كَلًّا وَلَا سَمِعَتْ بِهِ أُذُنَانِ
 كَلًّا وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ امْرِئٍ
 فَيَكُونَنَّ عَنْهُ مُعَبَّرًا بِلِسَانِ
 فَيَرَى امْرَأً مِنْ فَوْقِهِ فِي هَيْئَةٍ
 فَيَرُوعُهُ مَا تَنْظُرُ الْعَيْنَانِ
 فَإِذَا عَلَيْهِ مِثْلُهَا إِذْ لَيْسَ يَدُ
 حَقُّ أَهْلِهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَحْزَانِ (١)
 وَاهَا لَذَا السُّوقِ الَّذِي مَنْ حَلَّهُ
 نَالَ التَّهَانِي كُلَّهَا بِأَمَانِ
 يُدْعَى بِسُوقِ تَعَارُفٍ مَا فِيهِ مِنْ
 صَخَبٍ وَلَا غِشٍّ وَلَا أَيْمَانٍ (٢)
 وَتِجَارَةٌ مَنْ لَيْسَ تُلْهِمُهُ تِجَارَةٌ
 رَأَتْ وَلَا يَبِيعُ عَنِ الرَّحْمَنِ (٣)

(١) إِذَا رَأَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَخَاهُ فِي حُلَّةٍ تَعْجِبُهُ فِي لِحْظَةٍ يَكُونُ عَلَيْهِ مِثْلُهَا لِئَلَّا يَكُونَ فِي نَفْسِهِ حَزَنٌ.

(٢) سُوقُ الْجَنَّةِ لَيْسَ مِثْلَ أُسْوَاقِ الدُّنْيَا فِيهَا ضَجِيجٌ وَأَصْوَاتٌ وَصَخَبٌ وَأَيْمَانٌ كَاذِبَةٌ وَغِشٌّ وَخَدِيعَةٌ، لِأَنَّ أُسْوَاقَ الدُّنْيَا مَسَاكِنَ الشَّيَاطِينِ، وَأَمَّا سُوقُ الْجَنَّةِ فَهِيَ ظَاهِرٌ طَيِّبٌ لَيْسَ فِيهِ صَخَبٌ وَلَا كَذِبٌ وَلَا أَيْمَانٌ كَاذِبَةٌ كَمَا فِي أُسْوَاقِ الدُّنْيَا.

(٣) وَالتَّجَارَاتُ الَّتِي فِي أُسْوَاقِ الْجَنَّةِ لَا تُلْهِمُهُ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ بِخِلَافِ التَّجَارَاتِ =

أَهْلُ الْمُرُوءَةِ وَالْفُتُوَّةِ وَالتَّقَى
 وَالذُّكْرِ لِلرَّحْمَنِ كُلِّ أَوَانٍ
 يَا مَنْ تَعَوَّضَ عَنْهُ بِالسُّوقِ الَّذِي
 رُكِّزَتْ لَدَيْهِ رَايَةُ الشَّيْطَانِ
 لَوْ كُنْتَ تَدْرِي قَدْرَ ذَلِكَ السُّوقِ لَمْ
 تَرَكْنِ إِلَى سُوقِ الْكِسَادِ الْفَانِي^(١)

* * *

= التي في الدنيا فإنها تُلهي عن ذكر الله، ولهذا قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
 نُهُكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩] وقال سبحانه:
 ﴿رِجَالٌ لَا لَّهُمْ فِيهَا بَحْرَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: ٣٧].
 (١) هذا تذكير من الشيخ رحمه الله بمخاطر أسواق الدنيا لما ذكّر سوق
 الآخرة حذر من سوق الدنيا، والشيء بالشيء يُذكر.

فصل

في حالهم عند رجوعهم إلى أهلهم ومنازلهم^(١)

فإذا هم رجعوا إلى أهلهم

بمواهبٍ حصلت من الرحمن

قالوا لهم أهلاً ورحباً ما الذي

أعطيتُم من ذا الجمال الثاني^(٢)

والله لا زدّدتم جمالاً فوق ما

كُنتم عليه قبل هذا الآن

قالوا وأنتم والذي أنشاكم

قد زدّتم حسناً على الإنسان

لكن يحق لنا وقد كنا إذا

جلساء ربّ العرش ذي الرضوان

فهم إلى يوم المزيد أشدّ شو

قاً من محبّ للحبيب الداني

* * *

(١) يعني: إذا رجعوا من زيارة الربّ إلى منازلهم وأهلهم.

(٢) عادوا أجمل ممّا كانوا يوم يذهبون^(*).

(*) انظر حديث أبي هريرة في «جامع الترمذي» (٢٥٤٩).

فصل

في خلود أهل الجنة ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم
واستحالة النوم والموت عليهم^(١)

هَذَا وَخَاتِمَةُ النَّعِيمِ خُلُودُهُمْ
أَبْدَاءُ بَدَارِ الْخُلْدِ وَالرِّضْوَانِ
أَوْ مَا سَمِعْتَ مَنَادِي الْإِيمَانِ يَخُ
بِرُّ عَنِ مُنَادِيهِمْ بِحُسْنِ بَيَانِ
لَكُمْ حَيَاةٌ مَا بِهَا مَوْتُ وَعَا
فِيهِ بَلَا سَقَمٍ وَلَا أَحْزَانِ
وَلَكُمْ نَعِيمٌ مَا بِهِ بُؤْسٌ وَمَا
لِشَبَابِكُمْ هَرَمٌ مَدَى الْأَزْمَانِ
كَلًّا وَلَا نَوْمٌ هُنَاكَ يَكُونُ ذَا
نَوْمٌ وَمَوْتُ بَيْنَنَا أَخْوَانِ

(١) مع هذه النعم وهذه المنازل العالية يُقال لهم: يا أهل الجنة خلودٌ ولا موت ولا هم ولا حزن ولا خوف ولا أيُّ منغص في هذه الجنة، وليس فيها نوم لأنَّ النوم نوعٌ من الموت، ويُسمَّى الوفاة الصُّغرى. قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ [الأنعام: ٦٠] فالنوم موتٌ أصغر، والجنة ليس فيها موتٌ أكبر ولا أصغر.

هذا علمناه اضطراراً من كتا

بِ اللَّهِ فَافْهَمُ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ (١)

وَالْجَهَنَّمَ أَفْنَاهَا وَأَفْنَى أَهْلِهَا

تَبَّ لَذَاكَ الْجَاهِلِ الْفَتَّانِ

طَرْدًا لِنَفِي دَوَامِ فِعْلِ الرَّبِّ فِي الـ

مَاضِي وَفِي مُسْتَقْبَلِ الْأَزْمَانِ

وَأَبُو الْهُذَيْلِ يَقُولُ يَفْنَى كُلُّ مَا

فِيهَا مِنْ الْحَرَكَاتِ لِلسُّكَّانِ

(١) منادي الإيمان: هو الرسول ﷺ يخبر بأنه «إذا صار أهل الجنة إلى

الجنة وأهل النار إلى النار، يؤتى بالموت في صورة كبش أملح ثم يُذبح

وهم ينظرون ويُقال: يا أهل الجنة خلودٌ ولا موت ويا أهل النار خلودٌ

ولا موت» (**). فالذي يُذبح هو الموت، والموت وإن كان معني من

المعاني إلا أنه يوم القيامة يُصوّر ويصير جسماً بأن يُجعل في صورة

كبش، والله تعالى قادر على كل شيء، كما أن الأعمال يوم القيامة تُصوّر

وتوزن بالميزان، وكما أن القرآن يأتي صاحبه على هيئة إنسان ويقول له:

«أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت هواجرك» (***) ويشفع له عند الله

تعالى.

(*) أخرجه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠)، من حديث ابن عمر، والبخاري

(٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

(**) انظر «مسند أحمد» ٣٨/٧٦ (٢٢٩٧٦) حديث بريدة بن الحصيب.

وتصيرُ دارُ الخلدِ مَعُ سُكَّانِهَا

وثمارِها كحجارةِ البُنيانِ^(١)

قالوا ولولا ذاك لم يَثْبُتْ لنا

رَبٌّ لِأَجْلِ تَسَلُّسِ الْأَعْيَانِ

فالقومُ إمَّا جاحِدُونَ لِربِّهِمْ

أو مُنْكَرُونَ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ^(٢)

* * *

(١) الجهم بن صفوان: يرى أَنَّ النارَ تَفْنَى وَأَنَّ الْجَنَّةَ تَفْنَى ولا يَيقِنان، وذلك لئلا يُشاركَا اللهُ تعالى في البقاء، من باب التنزيه لله تعالى بزعمه، وعليه فتَفْنَى الجنة وأهلها والنارُ وأهلُها ولا يبقى إلا اللهُ تعالى، وأبو الهذيل العلاف من المعتزلة يقول: لا تَفْنَى الجنة ولا النار ولكن تَفْنَى حركات أهلها فيتجمدُون ويكونون مثل الحجارة وكلُّ هذا ضلال، وأمَّا عقيدة أهل السنة والجماعة فهي أَنَّ الْجَنَّةَ والنَّارَ دائمتان لا تَفْنيان ولا تَبِيدان أبدًا، وما قاله الجهم وأبو الهذيل كُله من تحكّم العقول الفاسدة وهو الذي أوصلهم إلى هذا الضلال.

(٢) هذه شُبُهَتهم لئلا يُشاركان اللهُ في البقاء، لأنه لا يبقى إلا اللهُ بزعمهم، ونحن نقول: الجنة والنار وأهلُهما بقاؤهم من الله، فالله تعالى هو الذي أعطاهم البقاء، فليس بقاؤهم مثل بقاء الله، فبقاؤه تعالى ذاتي وأمَّا بقاؤهم فهو مكتسب منه تعالى.

فصل

في ذبح الموت بين الجنة والنار والردّ على من قال :
 إنّ الذبح لملك الموت وأنّ ذلك مجازٌ لا حقيقة له

أو ما سمعتَ بذبحه للموتِ بيّد

نَ الْمَنْزِلَيْنِ كَذِبِ كَبِشِ الضَّانِ (١)

حاشا لذا المَلِكِ الكَرِيمِ وإنّما

هو مَوْتُنَا المَحْتُومُ لِلإنْسَانِ

واللهُ يُنْشِئُ مِنْهُ كَبِشاً أَمْلِحاً

يَوْمَ المَعَادِ يُرَى لَنَا بَعِيَانِ

ينشئ من الأعراضِ أجساماً كذا

بالعكسِ كُلُّ قَابِلُ الإِمْكَانِ (٢)

(١) الذي يُذبح هو الموت لا ملك الموت لأنّ النبي ﷺ قال : «يؤتى بالموت» (*) فقالوا: الموت معنى من المعاني كيف يُذبح؟ قلنا: الله قادر على أن يجعل الموت في جسم حيوان ويُذبح مثل ما إنّ الأعمال يوم القيامة تأتي في صورة أجسام.

(٢) ليس الذبح لملك الموت وإنما الذبح للموت، والله يُنشئ من الأعراض أجساماً، وهو قادر على كلّ شيء، فيجعل الأعراض والمعاني أجساماً، وهذا جاء في أحاديث كثيرة منها: «أنّ سورة البقرة وآل عمران تأتيان =

(*) أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

أَفَمَا تُصَدِّقُ أَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَا
 دِ تَحَطُّ يَوْمَ الْعَرْضِ فِي الْمِيزَانِ
 وَكَذَاكَ تَثْقُلُ تَارَةً وَتَخِفُّ أُخْرَى
 سَرَى ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ ذُو تَبَيَّانٍ
 وَلَهُ لِسَانٌ كَفَّتَاهُ تُقِيمُهُ
 وَالْكَفَّتَانِ إِلَيْهِ نَاطِرَتَانِ
 مَا ذَاكَ أَمْرًا مَعْنَوِيًّا بَلْ هُوَ الْ
 مَحْسُوسُ حَقًّا عِنْدَ ذِي الْإِيمَانِ^(١)
 أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ تَسْبِيحَ الْعِبَا
 دِ وَذِكْرَهُمْ وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ
 يُنْشِئُهُ رَبُّ الْعَرْشِ فِي صُورٍ يُجَا
 دِلُّ عَنْهُ يَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

= كأنهما غماتان أو غيابتان أو فزقان من طير صَوَافٍ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا^(*) فَاللَّهُ تَعَالَى يُحَوِّلُ الْأَعْرَاضَ إِلَى أَجْسَامٍ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، لَكِنْ هُوَ لَا يَنْمُو إِلَّا مَا يَعْتَمِدُونَ عَلَى عَقُولِهِمْ.

(١) الْمِيزَانُ حَقِيقِيٌّ، أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ لَهُ كَفَّتَيْنِ وَلِسَانًا وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا حَقِيقِيًّا، وَأَمَّا أَهْلُ الضَّلَالِ فَيَقُولُونَ: إِنَّهُ مَعْنَوِيٌّ، وَمَعْنَاهُ: إِقَامَةُ الْعَدْلِ وَلَيْسَ هُنَاكَ مِيزَانٌ حَقِيقِيٌّ بِنَاءٍ عَلَى مَذْهَبِهِمُ الْبَاطِلِ وَأَفْكَارِهِمُ الْكَاسِدَةِ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ هَذَا أَمْرٌ مَحْسُوسٌ وَلَيْسَ أَمْرًا مَعْنَوِيًّا^(***).

(*) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٨٠٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ.

(**) انظُرْ «تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ» ١١/١٩٤، وَ«تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ» ٥/٣٤٥-٣٤٦ [الأنبياء: ٤٧].

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ حَوْلَ عَرْسِ

شِ الرَّبِّ ذُو صَوْتٍ وَذُو دَوْرَانِ

يَشْفَعْنَ عِنْدَ الرَّبِّ جَلًّا جَلَالُهُ

وَيُذَكَّرُونَ بِصَاحِبِ الْإِحْسَانِ^(١)

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ مُؤَنَسٌ

فِي الْقَبْرِ لِلْمَلْفُوفِ فِي الْأَكْفَانِ

فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الْجَمِيلِ الْوَجْهِ فِي

سِنِّ الشَّبَابِ كَأَجْمَلِ الشُّبَّانِ^(٢)

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَا تَتْلُوهُ فِي

أَيَّامِ هَذَا الْعُمُرِ مِنْ قُرْآنِ

يَأْتِي يُجَادِلُ عَنْكَ يَوْمَ الْحَشْرِ لِلرَّ

رَحْمَنِ كَيْ يُنْجِيكَ مِنْ نِيرَانِ

(١) الأعمال تأتي حول عرش الرب تجادل عن المؤمن وتشفع له عند الله

سبحانه وتعالى فهي تدافع عن صاحبها يوم القيامة.

(٢) ثبت أن الميت إذا وُضع في قبره وهو ملفوف في كفته أن عمله يأتيه في

صورة إنسان، فإن كان صالحاً يأتيه في أحسن صورة ويقول: «من أنت

فوجهك الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيؤنسه في قبره،

وإن كان عمله سيئاً فإنه يأتيه في أقبح صورة فيقول: من أنت فوجهك

الذي يأتي بالشر فيقول: أنا عملك السيء»^(*).

(*) قطعة من حديث البراء بن عازب سلف تخريجه ص ٣٤٢.

في صُورَةِ الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ شَاحِبٌ
يا حَبَّذا ذَاكَ الشَّفِيعُ الدَّانِي^(١)
أو ما سمعتَ حديثَ صِدْقٍ قد أتى
في سُورَتَيْنِ مِنَ أَوَّلِ الْقُرْآنِ
فِرْقَانٍ مِنَ طَيْرِ صَوَافٍ بَيْنَهَا
شَرْقٌ وَمِنْهُ الضُّوْءُ ذُو تَبْيَانٍ
شَبَّهَهُمَا بِغَمَامَتَيْنِ وَإِنْ تَشَأْ
بِغَيَايَتَيْنِ هُمَا لِيَذَا مَثَلَانِ
هَذَا مِثَالُ الْأَجْرِ وَهُوَ فِعَالُنَا
كِتْلَاوَةِ الْقُرْآنِ بِالْإِحْسَانِ^(٢)

(١) «يأتي القرآن يوم القيامة في صورة الرجل الشاحب فيقول لصاحبه: أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأتُ هواجرِك»^(*)، يُجادلُ عن صاحبه ويشفع له عند الله إذا كان قد قرأه وعمل بما فيه فيشفع له عند الله، وإن قرأه ولم يعمل بما فيه فإنه يأتي من خلفه ويزجُه في النار - والعياذ بالله - ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «والقرآن حجةٌ لك أو عليك»^(**).

(٢) «سورة البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف تحاجَّان عن صاحبهما يوم القيامة»^(***)، وهذا =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٨/٤١-٤٢، ٧٦ (٢٢٩٥٠) و(٢٢٩٧٦) من حديث

بريدة بن الحصيب، وهو حديث حسن في المتابعات والشواهد.

(**) قطعة من حديث أبي مالك الأشعري أخرجه أحمد في «المسند» ٣٧/٥٣٥-٥٣٦،

٥٤٢ (٢٢٩٠٢) و(٢٢٩٠٨)، ومسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٧).

(***) سلف تخريجه ص ١٢٧٧.

فَالْمَوْتُ يُنْشِئُهُ لَنَا فِي صُورَةٍ
 خَلَقَهُ حَتَّى يُرَى بَعِيَانٍ (١)
 وَالْمَوْتُ مَخْلُوقٌ بِنَصِّ الْوَحْيِ وَالْ
 مَخْلُوقُ يَقْبَلُ سَائِرَ الْأَلْوَانِ
 فِي نَفْسِهِ وَبِنَشْأَةِ أُخْرَى بِقُدْرَةٍ
 قَالِبِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَلْوَانِ (٢)
 أَوْ مَا سَمِعْتَ بِقَلْبِهِ سُبْحَانَهُ أَلْ
 أَعْيَانَ مِنْ لَوْنٍ إِلَى أَلْوَانٍ
 وَكَذَلِكَ الْأَعْرَاضُ يَقْلِبُ رَبُّهَا
 أَعْيَانَهَا وَالْكَوْنُ ذُو إِمْكَانٍ

= كلُّه ذكره رسول الله في الأحاديث وهي ترد على من يقول: إنَّه لا يمكن ذبح الموت لأنَّ الموت عَرَضٌ مِنَ الْأَعْرَاضِ. فنقول: إنَّ الْأَعْرَاضَ تتحوَّلُ إِلَى أَجْسَامٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْهَا: الْمَوْتُ يَصِيرُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ (*).

(١) هذه هي النتيجة في الردِّ عليهم في مسألة الإتيان بالموت في صورة كبش بذكر الأمثلة.

(٢) الموت مخلوق بنصِّ القرآن كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢] فما دام أنَّه مخلوق فالله قادرٌ على أن يُحوِّله فالله تعالى لا يعجزه شيء.

لَمْ يَفْهَمِ الْجُهَّالُ هَذَا كُلَّهُ
 فَأَتَوْا بِأَوِيَلَاتِ ذِي الْبُطْلَانِ
 فَمَكَدَبٌ وَمُؤْوَلٌ وَمُحَيَّرٌ
 مَا ذَاقَ طَعْمَ حِلَاوَةِ الْإِيمَانِ^(١)
 لَمَّا فَسَا الْجُهَّالُ فِي آذَانِهِ
 أَعْمُوهُ دُونَ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ
 فَتَنَى لَنَا الْعِطْفَيْنِ مِنْهُ تَكْبُراً
 وَتَبَخُّثِراً فِي حُلَّةِ الْهَدْيَانِ
 إِنَّ قُلْتَ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ
 فَيَقُولُ جَهْلاً أَيْنَ قَوْلُ فُلَانٍ^(٢)

* * *

(١) الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم ردُّوا هذه النصوص لأنها تُخالف عقولهم وأفكارهم، وهم يُقدِّمون عقولهم ولا يثقون بنصوص الكتاب والسنة، وهم أمام هذه النصوص التي لا تُدرِّكها عقولهم على ثلاثة أقسام: منهم مَنْ يُكذِّبها ومنهم من يؤوِّلها ويُفسِّرُها بغير تفسيرها، ومنهم من يتوقف، وهذا أيضاً غير مؤمن فتوقُّفه دليلٌ على عدم إيمانه وتصديقه.

(٢) يقول أهل الضلال إذا أوردت عليهم النصوص الصحيحة: أين قول الجهم بن صفوان وأبي الهذيل العلاف وواصل بن عطاء يقابلون به النصوص، وهذا هو التعصُّب الباطل والتقليد الأعمى يجرُّ صاحبه إلى الضلال.

فصل

في أن الجنة قيعان وأن غراسها الكلام الطيب

والعمل الصالح^(١)

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّهَا الْقِيَعَانُ فَاغُرِّسْ

مِمَّا تَشَاءُ بِذَا الزَّمَانِ الْفَانِي^(٢)

وِغْرَاسُهَا التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ

وَالرَّحْمَنُ

تَبَّأً لِتَارِكِ غَرْسِهِ مَاذَا الَّذِي

قَدْ فَاتَهُ مِنْ مُدَّةِ الْإِمْكَانِ

(١) وهذا كما جاء في الأحاديث الصحيحة: أن ذكر الله تعالى يكون شجراً يُغرس في الجنة للعبد، فإذا ذكر الله تعالى تُغرس له أشجاراً في الجنة، وإذا توقف عن الذكر، توقف العُمَّال عن الغرس، فيقال لهم: فيقولون: حتى تأتي النفقة وهي التسبيح والتهليل^(*).

(٢) جاءنا رسالة من إبراهيم عليه السلام رواها نبينا محمد ﷺ قال إبراهيم عليه السلام: «أقرئ أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»^(**).

(*) انظر ما ورد في «سنن ابن ماجه» (٣٨٠٧)، و«جامع الترمذي» (٣٤٦٤).

(**) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود، وهو حديث حسن.

يَا مَنْ يَقْرُؤُ بَذَا وَلَا يَسْعَى لَهُ
 بِاللَّهِ قَلَّ لِي كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
 أَرَأَيْتَ لَوْ عَطَّلْتَ أَرْضَكَ مِنْ غَرَا
 سِ مَا الَّذِي تَجْنِي مِنَ الْبُسْتَانِ^(١)
 وَكَذَاكَ لَوْ عَطَّلْتَهَا مِنْ بَذْرِهَا
 تَرْجُو الْمُغْلَّ يَكُونُ كَالْكِيْمَانِ
 مَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ
 هَذَا فَرَا جِعُ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ^(٢)
 وَتَأْمَلِ الْبَاءَ الَّتِي قَدْ عَيَّنْتُ
 سَبَبَ الْفَلَاحِ لِحِكْمَةِ الْفَرْقَانِ
 وَأَظُنُّ بَاءَ النَّفْيِ قَدْ غَرَّتْكَ فِي
 ذَاكَ الْحَدِيثِ أَتَى بِهِ الشَّيْخَانِ
 لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّاتِ أَصْلًا كَادِحٌ
 بِالسَّعْيِ مِنْهُ وَلَوْ عَلَى الْأَجْفَانِ
 وَاللَّهُ مَا بَيْنَ النَّصُوصِ تَعَارُضٌ
 وَالْكُلُّ مَصْدَرُهَا عَنِ الرَّحْمَنِ

(١) إذا كان لك أرضٌ في الدنيا ولم تغرسها فمن أين تجني الثمر؟ فكذلك الجنة، ليس فيها شجر وثمر إلا بالعمل الصالح في الدنيا.
 (٢) ما قال الله تعالى ولا رسوله عطل أعمالك، وإن كتب الله لك الجنة فإنك ستدخلها، هذا ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله بل الكتاب والسنة مملوءان بأنه لا شيء إلا بعمل.

لكنَّ بالإثباتِ والتسبيبِ وألَّ

بَاءِ التِّي لِلنَّفْيِ بِالْأَثْمَانِ

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فَفَرْقٌ ظَاهِرٌ

يَذْرِيهِ ذُو حِظٍّ مِنَ الْعِرْفَانِ^(١)

(١) هذا جوابٌ عظيمٌ عن إشكالٍ مهمٍ: ذلك أنَّ الله تعالى قال في القرآن:

﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] فظاهر الآية أنَّ الجنةَ تُدخَلُ

بالعملِ، وأنَّ العملَ ثَمَنٌ للجنةِ، بينما في الحديثِ الصحيحِ عن الرسولِ

ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ يُدْخَلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ»، قالوا: ولا أنتَ يا

رسولَ الله، قال: «ولا أنا إلاَّ أن يتغمدني الله برحمته»^(*) فهنا عندنا

«الباء» التي في الآية في سياق الإثباتِ: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[النحل: ٣٢] ظاهرُها أنَّ الجنةَ تُدخَلُ بالعملِ، وأنَّ الجنةَ ثَمَنٌ للعملِ،

فالباءُ بَاءُ الثَمَنِ بينما الحديثُ نفى هذا فقال: «لَنْ يُدْخَلَ أَحَدَكُمْ الْجَنَّةَ

بِعَمَلِهِ» فالباءُ هنا في معرض النفي، فما هي طريقة الجمع بين الآية

والحديثِ؟ فنقول: الجمع واضح والله الحمد.

إنَّ الجنةَ ليست ثَمَنًا للعملِ، فلو أنَّ الإنسانَ عمل في الحياة كُلِّهَا ما

وازن عمله أَقَلَّ نعمةٍ من نعمِ الله عليه، ولكنَّ الجنةَ تُدخَلُ برحمةِ الله

تعالى والعملُ سببٌ وليس مُوجِبًا لدخولِ الجنةِ بل هو سببٌ، وعليه فتكون

الباءُ في الآية للسببيةِ، والمعنى ادخُلوا الجنةَ بسببِ ما كنتم تعملون،

والمنفى في الحديثِ الثمنيةِ، أي: أنَّ العملَ ليس ثَمَنًا للجنةِ، وبذلك

زال الإشكالُ والحمدُ لله لأنَّه لا تعارض بين كلامِ الله ورسوله.

(*) أخرجه أحمد في «المستد» ٤١٦/٤١ (٢٤٩٤١)، والبخاري (٦٤٦٧)، ومسلم

(٢٨١٨) من حديث عائشة.

فصل

في إقامة المآتم على المتخلفين

عن رفقة السابقين^(١)

(١) لمّا فرغ الشيخ رحمه الله من ذكر الجنّة وما فيها من أنواع النعيم والسرور والملذّات وطيب العيش والخلود الدائم ورضا الله تعالى، ناسب أن يذكر أحوال النَّاس في سيرهم إلى هذه الجنّة وطلبهم لها فصنّفهم إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: أهل الإيمان والعمل الصالح الذين شمّروا في طلب هذه الجنّة، وصبروا على المشاق والأعمال الصالحة في هذه الدنيا، وهجروا ملذّات الدنيا طمعاً فيما عند الله تعالى.

الصنف الثاني: أهل الكفر والإلحاد الذين لا يؤمنون بهذه الجنّة، ولا يؤمنون بالبعث والحساب، وإنما هم دهيون يظنّون أنّه لا عيش إلا هذه الدنيا فقط.

والصنف الثالث: الذين يؤمنون بالجنّة والبعث والنشور ولكن تغلبهم شهواتهم والكسل عن العمل الصالح، فهم يؤمنون بهذه الجنّة وما جاء فيها، ولكن لا يستعدّون لها بالأعمال الصالحة، وتغلبهم أنفسهم وشهواتهم والشياطين، ويتكاسلون عن طلب هذه الجنّة، فالإنسان ينظر نفسه مع أيّ هذه الفرق، وأمّا المآتم فمعناها: الحزن، وذلك أنّ من عادة النَّاس أنّهم إذا مات لهم ميت فإنّهم يحزنون عليه ورُبّما حصل منهم جزع وتسخط ونياحة، ويُقيمون مآتم يكون فيها على الميت، فالشيخ رحمه الله شبّه الذين فاتتهم الجنّة بالذين يموتون وتقام عليهم المآتم حزناً عليهم.

بِاللَّهِ مَا عُدْرُ امْرِئٍ هُوَ مُؤْمِنٌ
 حَقًّا بِهَذَا لَيْسَ بِالْيَقْظَانِ
 بَلْ قَلْبُهُ فِي رَقْدَةٍ فَإِذَا اسْتَفَا
 قَ فَلْبُسُهُهُ هُوَ حُلَّةُ الْكَسْلَانِ
 تَاللَّهِ لَوْ شِاقَّتْكَ جَنَاتُ النَّعِيمِ
 مِمَّ طَلَبْتَهَا بِنَفَائِسِ الْأَثْمَانِ
 وَسَعَيْتَ جَهْدَكَ فِي وَصَالِ نَوَاعِمِ
 وَكَوَاعِبِ بِيضِ الْوُجُوهِ حِسَانِ
 جَلِيَّتْ عَلَيْكَ عِرَائِسُ وَاللَّهِ لَوْ
 تُجَلِّيَ عَلَيَّ صَخْرٍ مِنَ الصَّوَّانِ (١)
 رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَعَادَ لِسَوْقَتِهِ
 يَنْهَالُ مِثْلَ نَقْيٍ مِنَ الْكُثْبَانِ
 لَكِنَّ قَلْبَكَ فِي الْقِسَاوَةِ جَازَ حَدَّ
 دَ الصَّخْرِ وَالْحَصْبَاءِ فِي أَشْجَانِ (٢)
 لَوْ هَزَّكَ الشَّوْقُ الْمُقِيمُ وَكُنْتَ ذَا
 حِسٍّ لَمَا اسْتَبَدَّلْتَ بِالْأَهْوَانِ

(١) يعني: وصفت لك عرائس الجنة في الكتاب والسنة ترغيباً لك فيها.

(٢) يعني هذه الصفات للجنة لو صادفت قلباً حياً لخشع لها ولان لها، ولكنها عرضت على قلب أقرى من الصفا كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

أَوْ صَادَفَتْ مِنْكَ الصِّفَاتُ حَيَاةَ قَدْ
 بِي كُنْتَ ذَا طَلَبٍ لِهَذَا الشَّانِ
 خُودٌ تُزَفُّ إِلَى ضَرِيرٍ مُتَعَدِّ
 يَا مَخْنَةَ الْحَسَنَاءِ بِالْعُمَيَّانِ
 شَمْسٌ لِعَيْنِي تُزَفُّ إِلَيْهِ مَا
 ذَا حِيلَةَ الْعَيْنِ فِي الْغَشْيَانِ
 يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَسْتَ رَخِيصَةً
 بَلْ أَنْتِ غَالِيَةٌ عَلَى الْكِسْلَانِ^(١)
 يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يَنَالُهَا
 فِي الْأَلْفِ إِلَّا وَاحِدٌ لَا اثْنَانِ
 يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ مَاذَا كُفُّوْهَا
 إِلَّا أَوْلُو التَّقْوَىٰ مَعَ الْإِيمَانِ
 يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ سُوقِكَ كَاسِدٌ
 بَيْنَ الْأَرَادِلِ سِفْلَةَ الْحَيَوَانِ
 يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ أَيَّنَ الْمُشْتَرِي
 فَلَقَدْ عَرِضْتَ بِأَيْسَرِ الْأَثْمَانِ^(٢)
 يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ هَلْ مِنْ خَاطِبٍ
 فَالْمَهْرُ قَبْلَ الْمَوْتِ ذُو إِمْكَانِ

(١) الكسلان لا يستطيع شراءها لأنه لا يملك شيئاً يشتري به هذه الحسناء.

(٢) وأيسر الأثمان هو العمل الصالح، وهو يسيرٌ على من يسره الله عليه.

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَصْبِرُ أَلِ
 حُطَّابٍ عَنْكَ وَهُمْ ذَوُو إِيْمَانٍ
 يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَوْلَا أَنَّهَا
 حُجِبَتْ بِكُلِّ مَكَارِهِ الْإِنْسَانِ
 مَا كَانَ عَنْهَا قَطُّ مِنْ مُتَخَلِّفٍ
 وَتَعَطَّلَتْ دَارُ الْجَزَاءِ الثَّانِي
 لَكِنهَا حُجِبَتْ بِكُلِّ كَرِيهَةٍ
 لِيُصَدَّ عَنْهَا الْمُبْطِلُ الْمَتَوَانِي
 وَتَنَالُهَا الْهَمَمُ الَّتِي تَسْمُو إِلَى
 رَبِّ الْعُلَى بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ (١)
 فَاتَعَبَ لِيَوْمِ مَعَادِكَ الْأَذْنَى تَجِدُ
 رَاحَاتِهِ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي
 وَإِذَا أَبَتْ ذَا الشَّانِ نَفْسُكَ فَاتَّهَمُ
 هَا تُمَّ رَاجِعْ مَطَّلِعَ الْإِيْمَانِ (٢)

(١) هذا هو الفرق بين الجنة والنار: أن الجنة حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فالطريق إليها شاق والنار حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وما تميل إليه النفوس، وهذا من حكمة الله تعالى من أجل ألا يُسْمَرُ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا أَهْلُ الصَّدْقِ وَالْإِيْمَانِ وَخُلَاصَةِ الْعِبَادِ، وطريق الجنة أيضاً محفوف باستهزاء الناس واستخفافهم بأهل الطاعات، فالذي ليس عنده إيمان قوي لا يصبر على سخرية النَّاسِ بِهِ.

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]. فلا تطعها.

فإذا رأيتَ اللَّيْلَ بَعْدُ وَصُبْحَهُ
 مَا انشَقَّ عَنْهُ عَمُودُهُ لِأَذَانِ
 وَالنَّاسِ قَدْ صَلَّوْا صَلَاةَ الصُّبْحِ وَأَنْ
 تَنظَرُوا طُلُوعَ الشَّمْسِ قُرْبَ زَمَانِ
 فَاعْلَمْ بِأَنَّ الْعَيْنَ قَدْ عَمِيَتْ فَنَا
 شِدْ رَبَّكَ الْمَعْرُوفَ بِالْإِحْسَانِ
 وَاسْأَلْهُ إِيمَانًا يَبْشُرُ قَلْبَكَ أَلْ
 مَحْجُوبَ عَنْهُ لِيَتَنظَرَ الْعَيْنَانِ
 وَاسْأَلْهُ نُورًا هَادِيًا يَهْدِيكَ فِي
 طُرُقِ الْمَسِيرِ إِلَيْهِ كُلِّ أَوَانٍ^(١)
 وَاللَّهُ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا
 لَعَلِي طَرِيقَ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ
 لَكِنَّمَا أَخَشَى انْسِلَاخَ الْقَلْبِ مِنْ
 تَحْكِيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ^(٢)

(١) وهو نور الإيمان والقرآن، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

(٢) الآن انتقل رحمه الله إلى عدم تحكيم الوحي عند كثير من الناس، حيث عرَّج على هؤلاء الذين لا يُحَكِّمون الوحي وإنما يُحَكِّمون عقولهم وأفكارهم، فهؤلاء هم الذين يُخَافُ عليهم من سوء العاقبة، وأمَّا أصحاب الذنوب فقد يغفر الله تعالى لهم، فهم على طريق العفو، ما داموا أنَّهم من أهل التوحيد والإيمان، ولو كانت ذنوبهم كبائر، لكن =

وَرِضاً بِآرَاءِ الرَّجَالِ وَخَرَصَهَا
 لَا كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ
 فَبِأَيِّ وَجْهِهِ أَلْتَقِيَ رَبِّي إِذَا
 أُعْرِضْتُ عَنْ ذَا الْوَحْيِ طُولَ زَمَانٍ
 وَعَزَلْتُهُ عَمَّا أُرِيدَ لِأَجْلِهِ
 عَزْلاً حَقِيقِيّاً بَلَا كِتْمَانٍ^(١)
 صَرَخْتُ أَنْ يَقِينَنَا لَا يُسْتَفَا
 دُ بِهِ وَلَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ إِتْقَانٍ
 أَوْلَيْتُهُ هَجْراً وَتَأْوِيلاً وَتَحْ
 رِيفاً وَتَقْوِيضاً بَلَا بُرْهَانٍ^(٢)

= المصيبة فيمن هجر الوحي وحكم آراء الرجال وعقولهم واعتبرها هي التي تفيد اليقين والحق والعلم وأن الوحي إنما هو شيء ظني ليس بيقين، هذا هو الذي لا حيلة فيه ولا مطمع له في النجاة، وهذا من فقه الشيخ رحمه الله أن الذنوب مهما كثرت فإنها تُغفر بما مع الشخص من الإيمان، لكن فساد العقيدة هو الذي لا يُغفر قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

(١) عزلوه عن الاستدلال وولوا آراء علمائهم، فهم يقرؤون القرآن لأجل البركة ولا يجعلونه مصدراً للهداية والاستدلال، أو يقرؤونه لتحصيل الأجرة بالتلاوة.

(٢) هذا هو موقفهم من القرآن: الهجر والتحريف والتأويل إذا خالف ما هم عليه.

وَسَعَيْتُ جَهْدِي فِي عُقُوبَةِ مُمْسِكِ
 بِعُرَاهُ لَا تَقْلِيدَ رَأْيِي فُلَانِ
 يَا مُعْرِضاً عَمَا يُرَادُ بِهِ وَقَدْ
 جَدَّ الْمَسِيرُ فَمْتَهَاةُ دَانَ^(١)
 جَذْلَانُ يَضْحَكُ آمِنًا مُتَبَخِّرًا
 فَكَأَنَّهُ قَدْ نَالَ عَقْدَ أَمَانِ
 خَلَعَ السَّرُورُ عَلَيْهِ أَوْفَى حُلَّةِ
 طَرَدَتْ جَمِيعَ الْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ^(٢)
 يَخْتَالُ فِي حُلْلِ الْمَسْرَةِ نَاسِيًا
 مَا بَعْدَهَا مِنْ حُلَّةِ الْأَكْفَانِ
 مَا سَعِيهِ إِلَّا لِطِيبِ الْعَيْشِ فِي الدُّ
 دُنْيَا وَلَوْ أَفْضَى إِلَى النَّيْرَانِ
 قَدْ بَاعَ طِيبَ الْعَيْشِ فِي دَارِ التَّعِينِ
 مِمَّ بَذَا الْحُطَامِ الْمُضْمَحَلِّ الْفَانِي

(١) انتقل رحمه الله إلى أهل الكسل والخمول والانشغال بالدنيا وملذاتها الذين لا يُشعرون للأخرة طلباً للجنة.

(٢) هذا استدراج من الله سبحانه وتعالى بأن الله يعطيهم من الدنيا من باب الاستدراج لهم لينشغلوا بها.

إِنِّي أَظُنُّكَ لَا تُصَدِّقُ كَوْنَهُ

بِالْقُرْبِ بَلْ ظَنُّ بِلَا إِيقَانٍ^(١)

بَلْ قَدْ سَمِعْتَ النَّاسَ قَالُوا جَنَّةٌ

أَيْضاً وَنَارٌ بَلْ لَهُمْ قَوْلَانِ

وَالْوَقْفُ مَذْهَبُكَ الَّذِي تَخْتَارُهُ

وَإِذَا انْتَهَى الْإِيمَانُ لِلرُّجْحَانِ

أَمْ تُؤَثِّرُ الْأَذْنَى عَلَيْهِ وَقَالَتِ الذِّ

نَفْسُ الَّتِي اسْتَعَلَّتْ عَلَى الشَّيْطَانِ

أَتَبِيعُ نَقْدًا حَاصِلًا بِنَسِيئَةٍ

بَعْدَ الْمَمَاتِ وَطَيِّ ذِي الْأَكْوَانِ

لَوْ أَنَّهُ بِنَسِيئَةِ الدُّنْيَا لَهَا

نَ الْأَمْرِ لَكِنْ فِي مَعَادِ ثَانِ

دَعُ مَا سَمِعْتَ النَّاسَ قَالُوهُ وَخُذْ

مَا قَدْ رَأَيْتَ مُشَاهِدًا بَعِيَانِ

وَاللَّهِ لَوْ جَالَسْتَ نَفْسَكَ خَالِيًا

وَبَحَثْتَهَا بِحُثًّا بِلَا رَوَّغَانِ

لَرَأَيْتَ هَذَا كَامِنًا فِيهَا وَلَوْ

أَمِنْتَ لِأَلْقَتَهُ إِلَى الْأَذَانِ

(١) إِنِّي أَظُنُّكَ لَا تُصَدِّقُ بِقُرْبِ الْمَوْتِ، لِأَنَّ فَعْلَكَ هَذَا فَعَلَ مِنْ لَا يُصَدِّقُ

بِقُرْبِ الْأَجْلِ وَالْمَنِيَّةِ، فَأَنْتَ لَسْتَ بِجَازِمٍ فِي ذَلِكَ.

هذا هُوَ السِّرُّ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ اخْرُجْتَ
 تَارَتْ عَلَيْهِ الْعَاجِلِ الْمُتَدَانِ
 نَقْدٌ قَدْ اشْتَدَّتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ
 مِنْهَا وَلَمْ يَحْضُلْ لَهَا بِهِوَانِ
 أَتْبَعُهُ بِنَسِيئَةٍ فِي غَيْرِهِ
 سِذِي الدَّارِ بَعْدَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ
 هَذَا وَإِنْ جَزَمْتَ بِهَا قَطْعاً وَلا
 كِنْ حَظَّهَا فِي حَيْزِ الإِمْكَانِ
 مَا ذَاكَ قَطْعِيّاً لَهَا وَالْحَاصِلُ أَلْ
 مَوْجُودٌ مَشْهُودٌ بِرَأْيِ عِيَانِ
 فَتَأَلَّفَتْ مِنْ بَيْنِ شَهْوَتَيْهَا وَشُبِّ
 هَتَهَا قِيَاسَاتٌ مِنَ البُّطْلَانِ
 وَاسْتَنْجَدَتْ مِنْهَا رِضاً بِالْعَاجِلِ أَلْ
 أَدْنَى عَلَى المَوْعُودِ بَعْدَ زَمَانِ
 وَأَتَى مِنَ التَّأْوِيلِ كُلِّ مُلَائِمِ
 لِمُرَادِهَا يَا رِقَّةَ الإِيمَانِ
 وَصَغَتْ إِلَى شُبُهَاتِ أَهْلِ الشُّرْكِ وَالتَّ
 تَعْطِيلِ مَعَ نَقْصِ مِنَ العِرْفَانِ
 وَاسْتَنْقَصَتْ أَهْلَ الهُدَى وَرَأَيْتُهُمْ
 فِي النَّاسِ كَالْغُرَبَاءِ فِي البُّلْدَانِ

ورأت عُقُولَ النَّاسِ دَائِرَةً عَلَى
 جَمْعِ الحُطَامِ وَخِدْمَةِ السُّلْطَانِ
 وَعَلَى المَلِيحَةِ والمَلِيحِ وَعِشْرَةِ الـ
 أَحْبَابِ والأَصْحَابِ والإِخْوَانِ
 فَاسْتَوْعَرَتْ تَرَكَ الجَمِيعِ وَلَمْ تَجِدْ
 عِوَضاً تَلَدُّ بِهِ مِنَ الإِحْسَانِ
 فَالْقَلْبُ لَيْسَ يَقْرَأُ إِلَّا فِي إِنَا
 ۚ فَهُوَ دُونَ الجِسْمِ ذُو جَوْلَانِ
 يَبْغِي لَهُ سَكْنًا يَلدُّ بِقُرْبِهِ
 فَتَرَاهُ شَبَهَ الوَالِدِ الحَيْرَانِ
 فَيُحِبُّ هَذَا ثُمَّ يَهْوَى غَيْرَهُ
 فَيَظَلُّ مَتَّقِلًا مَدَى الأَزْمَانِ
 لَوْ نَالَ كُلَّ مَلِيحَةٍ وَرِيَّاسَةٍ
 لَمْ يَطْمَئِنَّ وَكَانَ ذَا دَوْرَانِ
 بَلْ لَوْ يَنَالُ بِأَسْرِهَا الدُّنْيَا لَمَّا
 قَرَّتْ بِمَا قَدْ نَالَهُ العَيْنَانِ
 نَقَلْ فؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الهَوَى
 وَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ أَحْسَنَ الإِنْسَانِ (١)

(١) هذا مُضْمَنٌ بَيْتًا لِأَبِي تَمَامٍ: وَهُوَ:

نَقَلْ فؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الهَوَى مَا الحُبُّ إِلَّا لِلحَبِيبِ الأَوَّلِ

فالقلبُ مُضْطَرٌّ إِلَى مَحْبُوبِهِ الـ
أَعْلَى فَلَإِ يُغْنِيهِ حُبُّ ثَانٍ
وَصَلَاحُهُ وَفَلَاحُهُ وَنَعِيمُهُ
تَجْرِيدُ هَذَا الْحُبِّ لِلرَّحْمَنِ
فَإِذَا تَخَلَّى مِنْهُ أَصْبَحَ حَائِرًا
وَيَعُودُ فِي ذَا الْكَوْنِ ذَا هَيْمَانَ

* * *

= والحبیب الأول: هو ما تعلق به قلبك فإن تعلق بالدنيا رجعت إليها، وإن تعلق بالله رجعت إليه، فاترك هذه الشواغل وارجع إلى طلب الجنة وإلى مرضاة ربك الذي خلقك ورباك ودعاك إلى ما فيه صلاحك، هذا هو الحبیب الأول، وأما هذه الأحباب التي جاءت فهي زائلة وعارضة ولا تنتهي إلى نتيجة، وإنما حبُّ الله تعالى وطلب الجنة هو الذي ينتهي إلى السعادة والفلاح وكل هؤلاء المحبوبون يزولون ويفنون ولا يبقى إلا الحبیب الأول وهو الله سبحانه وتعالى، فاجعل علاقتك بالله تعالى. فالله تعالى هو المحبوب الأعلى.

فصل

في زهد أهل العلم والإيمان وإيثارهم الذهب الباقي

على الخزف الفاني^(١)

لكنَّ ذَا الْإِيمَانِ يَعْلَمُ أَنَّ هـ

ذَا كَالظَّلَالِ وَكُلُّ هَذَا فَاِنْ^(٢)

كَخَيَالِ طَيْفٍ مَا اسْتَمَّ زِيَارَةَ

إِلَّا وَصُبْحُ رَحِيلِهِ بِأَذَانِ

وَسَحَابَةٍ طَلَعَتْ يَوْمِ صَائِفِ

فَالظَّلُّ مَنسُوحٌ بِقَرَبِ زَمَانِ^(٣)

وَكَزَهْرَةِ وَافِي الرِّبْعِ بِحُسْنِهَا

أَوْ لَامِعاً فَكَلَاهُمَا أَخَوَانِ^(٤)

(١) هذا هو الصنف الثالث: وهم خلاصة العباد وخيرة العباد الذين لم يطمثوا لهذه الدنيا ولم ينشغلوا بها، وإنما انشغلوا بالآخرة، وأخذوا من الدنيا ما يُعينهم على طلب الآخرة.

(٢) يضرب رحمه الله في هذه الأبيات أمثلة للدنيا:

المثل الأول: أنها مثل الظل الذي لا يلبث أن يتقلص حتى تمحوه الشمس.

(٣) المثل الثاني: مثل الدنيا مثل سحابة ظلمت في وقت الهجير لكن لا تلبث إلا أن تنقل وتضمحل ويعود الهجير والحر.

(٤) المثل الثالث والرابع: أن الدنيا كزهرة الربيع ففيها من أحسن المناظر =

أو كالسَّرَابِ يَلُوحُ لِلظَّمَانِ فِي

وَسَطِ الْهَجِيرِ بِمَسْتَوَى الْقِيَعَانِ^(١)

أو كالأَمَانِي طَابَ مِنْهَا ذِكْرُهَا

بِالْقَوْلِ وَاسْتِحْضَارِهَا بِجَنَانِ^(٢)

وهي الغرورُ رؤوسُ أموالِ المفا

ليسِ الأَلَى اتَّجَرُوا بِلا أَمَانِ^(٣)

أو كالطعامِ يَلْدُ عِنْدَ مَسَاغِهِ

لَكِنَّ عُقْبَاهُ كَمَا تَجِدَانِ

هذا هو المثلُ الذي ضَرَبَ الرِّسُو

لُ لَهَا وَذَا فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ^(٤)

= وأطيب الروائح، لكنَّ وقتها قليلٌ ثمَّ تبيس، أو كلامع وهو البرق الذي يذهب بسرعة، فهذه أمثلة الدنيا.

(١) المثل الخامس: السراب الذي لا حقيقة له كما قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُ

الظَّمَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ [النور:

.[٣٩

(٢) المثل السادس: أو كالأمانِي التي يتمناها الإنسان ولا يُمسك منها بشيء.

(٣) المثل السابع: الأمانِي التي يتمناها الإنسان ولا يحصل على شيء منها

هذا مثل مشتهر عند الناس يقولون: الأمانِي رؤوس أموال المفايليس،

فالمفلس ليس عنده إلا التمني.

(٤) المثل الثامن: الطعام الذي تأكله وهو لذيذ ثمَّ يتحوَّل إلى ما تعلمون من

فضلات مكروهة، حتى إنَّك لتأخذ بأنفك من رائحته الكريهة.

وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى حَقِيقَتَهَا فَخُذْ
 مِنْهُ مِثَالاً وَاحِداً ذَا شَانِ
 أَدْخِلْ بِجَهْدِكَ أُصْبَعاً فِي الِيمِّ وَأَنْ
 نَظَرُ مَا تَعَلَّقَهُ إِذَا بَعِيَانِ
 هَذَا هُوَ الدُّنْيَا كَذَا قَالَ الرَّسُو
 لُ مُمَثَّلًا وَالْحَقُّ ذُو تَبْيَانِ (١)
 وَكَذَلِكَ مَثَلُهَا بَظِلِّ الدَّوْحِ فِي
 وَقْتِ الْحَرُورِ لِقَائِلِ الرُّكْبَانِ (٢)
 هَذَا وَلَوْ عَدَلْتَ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
 عِنْدَ الْإِلَهِ الْحَقِّ فِي الْمِيزَانِ
 لَمْ يَسْتَقِ مِنْهَا كَافِراً مِنْ شَرْبَةِ
 مَاءٍ وَكَانَ الْحَقُّ بِالْحَرَمَانِ
 تَاللَّهِ مَا عَقُلْتُ أَمْرِي قَدْ بَاعَ مَا
 يَبْقَى بِمَا هُوَ مُضْمَحَلٌّ فَإِنْ

(١) المثل التاسع: المثل العظيم للدنيا أنها مثل من أدخل أُصْبَعَهُ فِي الْبَحْرِ ثُمَّ رَفَعَهُ مَاذَا حَصَلَ مِنَ الْبَحْرِ؟ لَمْ يُحْصَلْ شَيْئاً. وَهَكَذَا ابْنُ آدَمَ فِي الدُّنْيَا.
 (٢) قَالَ ﷺ: «مَا مِثْلِي وَمِثْلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَمِثْلِ رَاكِبٍ قَالَ تَحْتَ ظِلِّ دَوْحَةٍ ثُمَّ ذَهَبَ وَتَرَكَهَا» (*) فَهَذَا مِثْلُ الدُّنْيَا.

(*) أَخْرَجَهُ بِنَحْوِهِ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» ٤/٤٧٣ (٢٧٤٤) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ حَدِيثٌ إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

هذا ويُفتي ثمَّ يقضي حاكماً
 بِالْحَجَرِ مِنْ سَفَهٍ لَذَا الْإِنْسَانِ
 إِذْ بَاعَ شَيْئاً قَدْرُهُ فَوْقَ الَّذِي
 يَعْتَاضُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَثْمَانِ
 فَمَنْ السَّفِيهُ حَقِيقَةً إِنْ كُنْتَ ذَا
 عَقْلٍ وَأَنَّ الْعَقْلَ لِلسُّكْرَانِ^(١)
 وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ شَهِدْنَ مِنْ
 نَا كَانَ شَأْنٌ غَيْرُ هَذَا الشَّانِ
 نَفْسٌ مِنَ الْأَنْفَاسِ هَذَا الْعَيْشُ إِنْ
 قَسَّنَاهُ بِالْعَيْشِ الطَّوِيلِ الثَّانِي
 يَا خِسَّةَ الشُّرَكَاءِ مَعَ عَدَمِ الْوَفَا
 ۚ وَطُولِ جَفَوْتِهَا مِنَ الْهَجْرَانِ
 هَلْ فِيكَ مُعْتَبَرٌ فَيَسْأَلُوا عَاشِقُ
 بِمَصَارِعِ الْعُشَّاقِ كُلِّ زَمَانِ
 لَكِنْ عَلَى تِلْكَ الْعُيُونِ غِشَاوَةٌ
 وَعَلَى الْقُلُوبِ أَكِنَّةُ النَّسِيَانِ

(١) القاضي يحكم على السفیه بالحجر وذلك بمنعه من التصرف في ماله إذا باع الغالي بثمان رخيص، والحقیقة أنَّ السفیه الذي ينبغي أن يُحجر علیه هو من باع الآخرة بالدنيا.

وَأَخُو الْبَصَائِرِ حَاضِرٌ مُتَقِظٌ

مُنْفَرِّدٌ عَنِ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ

يَسْمُو إِلَى ذَاكَ الرَّفِيقِ الْأَرْفَعِ أَلْ

أَعْلَى وَخَلَى اللَّعْبَ لِلصَّبِيَّانِ

وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ فَصِيَّانٌ وَإِنْ

بَلَّغُوا سِوَى الْأَفْرَادِ وَالْوَحْدَانِ

وَإِذَا رَأَى مَا يَشْتَهِيهِ قَالَا مَوْ

عِدُّكَ الْجِنَانُ وَجَدَّ فِي الْأَثْمَانِ

وَإِذَا أَبَتْ إِلَّا الْجِمَاحَ أَعَاضَهَا

بِالْعِلْمِ بَعْدَ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ

وَيَرَى مِنَ الْخُسْرَانِ بَيْعَ الدَّائِمِ أَلْ

بَاقِي بِهِ يَا ذِلَّةَ الْخُسْرَانِ

وَيَرَى مَصَارِعَ أَهْلِهَا مِنْ حَوْلِهِ

وَقُلُوبُهُمْ كَمَرَاجِلِ النَّيْرَانِ

حَسْرَاتُهَا هُنَّ الْوَقُودُ فَإِنْ خَبَتْ

زَادَتْ سَعِيرًا بِالْوَقُودِ الثَّانِي

جَاؤُوا فُرَادَى مِثْلَ مَا خَلَقُوا بِلَا

مَالٍ وَلَا أَهْلٍ وَلَا إِخْوَانِ

مَا مَعَهُمْ شَيْءٌ سِوَى الْأَعْمَالِ فَهَذَا

سَيِّ مَتَاجِرٌ لِلنَّارِ أَوْ لِحِنَانِ

تَسْعَى بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ سَوْقًا إِلَى الدُّ
دَارَيْنِ سَوْقِ الخَيْلِ بِالرُّكْبَانِ
صَبَرُوا قَلِيلًا فَاسْتَرَا حُوا دَائِمًا
يَا عِزَّةَ التَّوْفِيقِ لِلْإِنْسَانِ
حَمَدُوا التَّقَى عِنْدَ الْمَمَاتِ كَذَا الشَّرَى
عِنْدَ الصَّبَاحِ فَحَبَّذا الْحَمْدَانِ
وَحَدَّتْ بِهِمْ عَزَمَاتُهُمْ نَحْوَ الْعُلَا
وَسَرَوْا فَمَا نَزَلُوا إِلَى نُعْمَانَ
بَاعُوا الَّذِي يَفْنَى مِنَ الخَزْفِ الخَسِي
سِ بِدَائِمٍ مِنْ خَالِصِ الْعِيقَانِ
رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أَعْلَامُ السَّعَا
دَةِ وَالْهُدَى يَا ذِلَّةَ الْحَيْرَانِ
فَتَسَابَقَ الْأَقْوَامُ وَابْتَدَرُوا لَهَا
كَتَسَابَقِ الْفُرْسَانِ يَوْمَ رِهَانِ
وَأخُو الْهُوَيْنَى فِي الدِّيَارِ مُخَلَّفٌ
مَعَ شَكْلِهِ يَا خَيْبَةَ الْكَسْلَانِ

فصل

في رغبة قائلها إلى من يقف عليها من أهل العلم والإيمان
 أن يتجرّد لله ويحكم عليها بما يوجبُه الدليل والبرهان
 فإن رأى حقاً قبله وحمد الله عليه وإن رأى باطلاً
 عرّف به وأرشد إليه^(١)

(١) لمّا فرغ رحمه الله من هذه القصيدة المتضمنة بيان عقيدة السلف والردّ
 على المخالفين وبيان المنهج السليم، طلب ممّن يقرؤها من المنصفين
 أن يعطيها حقّها من التقويم بأن يُقوّمها على موجب الكتاب والسنة، فما
 رأى فيها من حقٍّ وكلّها حقٌّ والله الحمد، فليحمد الله عليه، لأنّ هذا من
 فضل الله سبحانه وتعالى، وإن رأى فيها قصوراً أو خطأً فهذه طبيعة
 الإنسان، وعليه أن يُرشد صاحبها لينظر في هذه الملاحظة أو الملاحظات،
 ويُعدّلها وهذا شأن أهل العلم أنّهم لا يَزْكُون أنفسهم، ولا يُعجبون
 بمؤلفاتهم وكلامهم، بل إنّهم يتهمون أنفسهم بالقصور والنقص، ويطلبون
 من إخوانهم إعانتهم، ولكن الشيخ رحمه الله يشتكي إلى الله من أصناف
 أربعة من النَّاس، وهم ليس هدفهم الوصول إلى الحق ولا ردّ الباطل،
 وهم أربعة أصناف:

الأول الجاهل المتعالم: وهو الجاهل المركّب الذي لا يدري ولا
 يدري أنّه لا يدري، فهذا آفةٌ قديمةٌ وحديثةٌ فما ابتلي الحق ولا العلماء
 إلا بمثل هذا الصنف من النَّاس فهو جاهلٌ يرى أنّه عالم.

يا أيُّها القاري لها اجلسْ مَجْلِسَ الـ
 حَكَمِ الأَمِينِ أتى لهُ الخَصْمَانِ
 واخُكْمُ هداك اللهُ حُكْمًا يشهدُ الـ
 عقلُ الصريحُ به مع القرآنِ^(١)
 واخْبِسْ لسانَكَ بُرْهَةً عن كُفْرِهِ
 حتى تُعارضَها بلا عُدوانِ^(٢)

= الثاني: حاسد يعرف الحق ولكنه يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، فيلتمس العيوب عند الناس من أجل أن يظهر نفسه ويغبط غيره، وهذا صنفٌ موجود ولا يزال.
 الثالث: مُقلِّد للجاهل والحاسد.

الرابع: من يُريد الشهرة والحظوة عند الناس، وهو دائماً يشتغل بالنميمة وأكل لحوم العلماء، فهؤلاء الأصناف الأربعة هم الذين يشكو منهم المؤلف وغيره في كل زمان ومكان.
 وهذه الأصناف لا تزال موجودةً إلى الآن والله في ذلك حكمة سبحانه وتعالى.

فالمؤمن مطلوبٌ منه أن يتجرّد من هواه للحق ويتخلّص من الهوى والحسد.

(١) احكم على هذه القصيدة بالحكم الذي يوافق العقل والنقل ولا يوافق الهوى والحسد.

(٢) لا تستعجل بالتكفير والتبديع والتفسيق مثل هؤلاء الذين جعلوا شغلهم في هذه الأمور، بل تریث واعرض ما قاله الناظم على الكتاب والسنة.

فإذا فعلت فعنده أمثالها

فنزال آخر دعوة الفرسان^(١)

فالكفر ليس سوى العناد ورد ما

جاء الرسول به لقول فلان^(٢)

فانظر لعلك هكذا دون الذي

قد قالها فتفوز بالخسران

فالحق شمسٌ والعيون نواظرٌ

لا تحتفي إلا على العميان

والقلب يعمى عن هداه مثل ما

تعمى وأعظم هذه العينان

هذا وإنني بعد ممتحن بأز

بعة وكلهم ذوو أضغان^(٣)

(١) فإذا لم تعرضها على الكتاب والسنة وأبيت إلا الهوى فإننا ندعوك إلى النزال في الميدان للمبارزة ليظهر المحق من المبطل، والمراد هنا بالنزال: المناظرة التي بها يتبين الحق من الباطل، وإذا لم ترض عن هذه القصيدة فعندي أمثالها وأمثالها مما يغيظك، فالمؤلف عنده استعداد للمناظرة.

(٢) الكفر أنواع: منه كفر العناد، ومنه كفر الجحود، وكفر التكذيب، وكفر النفاق، والعناد هو المعاندة للحق بعد معرفته.

(٣) يعني أربعة خصوم.

فَظُّ غَلِيظٌ جَاهِلٌ مُتَمَعِّلٌ
 ضَخْمُ الْعِمَامَةِ وَاسِعُ الْأُرْدَانِ^(١)
 مُتَفَيِّقٌ مُتَضَلِّعٌ بِالْجَهْلِ ذُو
 صَلَعٍ وَذُو جَلَحٍ مِنَ الْعِرْفَانِ
 مُرْجَى الْبِضَاعَةِ فِي الْعُلُومِ وَإِنَّهُ
 زَاجٌ مِنَ الْإِيهَامِ وَالْهَذْيَانِ^(٢)
 يَشْكُو إِلَى اللَّهِ الْحَقُوقَ تَظْلُمًا
 مِنْ جَهْلِهِ كَشَايَةِ الْأَبْدَانِ
 مِنْ جَاهِلٍ مُتَطَبَّبٍ يُفْتِي الْوَرَى
 وَيُحِيلُ ذَاكَ عَلَى قِضَا الرَّحْمَنِ^(٣)
 عَجَّتْ فُرُوجُ الْخَلْقِ ثُمَّ دِمَاؤُهُمْ
 وَحُقُوقُهُمْ مِنْهُ إِلَى الدِّيَانِ
 مَا عِنْدَهُ عِلْمٌ سِوَى التَّكْفِيرِ وَالتَّ
 تَبْدِيعِ وَالتَّضْلِيلِ وَالبِهْتَانِ^(٤)

-
- (١) هذا هو الصنف الأول: الجاهل المتعالم وهو الجاهل المركب الذي يظهر بزياً أهل العلم والملابس التي يلبسها العلماء وهو جاهل.
- (٢) يعني: ليس عنده من العلوم شيء فهو مفلس.
- (٣) يفتي ويقضي بين الناس ويحيل هذا إلى شرع الله ويقول: هذا هو الشرع وهذا هو القضاء الشرعي، فيكذب على الله تعالى في فتواه وفي قضائه.
- (٤) يعني: يقول بتضليل أهل العلم وتفسيقهم وتبديعهم لأنهم خالفوا رأيه وخالفوا هواه.

فَإِذَا تَيَقَّنَ أَنَّهُ الْمَغْلُوبُ عِنْدَ

سَدِّ تَقَابُلِ الْفَرَسَانِ فِي الْمِيدَانِ

قَالَ اشْكُوهُ إِلَى الْقَضَاءِ فَإِنَّهُمْ

حَكَمُوا وَإِلَّا اشْكُوهُ لِلسُّلْطَانِ

قُولُوا لَهُ هَذَا يُحِلُّ الْمَلِكَ بَل

هَذَا يُزِيلُ الْمَلِكَ مِثْلَ فُلَانٍ

فَاعْقِرْهُ مِنْ قَبْلِ اشْتِدَادِ الْأَمْرِ مِنْ

بِقُوَّةِ الْأَتْبَاعِ وَالْأَعْوَانِ (١)

وَإِذَا دَعَاكُمْ لِلرَّسُولِ وَحُكْمِهِ

فَادْعُوهُ كَلُّكُمْ لِرَأْيِ فُلَانٍ

وَإِذَا اجْتَمَعْتُمْ فِي الْمَجَالِسِ فَالْغَطُوا

وَالْغَوُوا إِذَا مَا احْتَجَّ بِالْقُرْآنِ (٢)

(١) إذا حصلت مناظرة بينه وبين أهل الحق وأفحم لجأ إلى القوة وقال:

اشكوهم إلى القضاء، فإن لم يساعدكم القضاء عليهم فاشكوهم إلى

السلطان، وقولوا: هؤلاء يُحاولون إزالة مُلكِك والتدخل في السياسة،

كما فعلوا مع شيخ الإسلام ابن تيمية، وكما فعلوا مع الناظم نفسه حيث

وشوا بهم إلى القضاء ثم إلى السلاطين.

(٢) إذا اجتمعتم في المجالس للمناظرة ارفعوا أصواتكم بالضجيج والتهويل

حتى تغلبوا كما قال من قبلهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوُوا فِيهِ لَعَلَّكُمْ

تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

وَاسْتَنْصِرُوا بِمَحَاضِرِ وَشَهَادَةِ
 قَدْ أَصْلَحَتْ بِالرَّفْقِ وَالِإِتْقَانِ
 لَا تَسْأَلُوا الشُّهَدَاءَ كَيْفَ تَحَمَّلُوا
 وَبِأَيِّ وَقْتٍ بَلَّ بِأَيِّ مَكَانٍ
 وَارْفُوا شَهَادَتَهُمْ وَمَشُّوا حَالَهَا
 بَلَّ أَصْلِحُوهَا غَايَةَ الْإِمْتِكَانِ
 وَإِذَا هُمْ شَهِدُوا فَزَكُّوهُمْ وَلَا
 تُصْنَعُوا لِقَوْلِ الْجَارِحِ الطَّعْنِ
 قُولُوا الْعَدَالَهٗ مِنْهُمْ قَطْعِيَّةٌ
 لَسْنَا نَعَارِضُهَا بِقَوْلِ فُلَانٍ
 ثَبَّتْ عَلَى الْحُكَّامِ بَلَّ حَكَمُوا بِهَا
 فَالطَّعْنُ فِيهَا لَيْسَ ذَا إِمْتِكَانِ
 مَنْ جَاءَ يَقْدَحُ فِيهِمْ فَلْيَتَّخِذْ
 ظَهْرًا كَمِثْلِ حِجَارَةِ الصَّوَّانِ
 وَإِذَا هُوَ اسْتَعْدَاهُمْ فَجَوَابُكُمْ
 أترُدُّهَا بِعَدَاوَةِ الدِّيَانِ

فصل

في حال العدو الثاني

أَوْ حَاسِدٍ قَدْ بَاتَ يَغْلِي صَدْرُهُ

بَعْدَاوَتِي كَالْمِرْجَلِ الْمَلَانِ (١)

لَوْ قُلْتُ هَذَا الْبَحْرُ قَالَ مُكَذِّبًا

هَذَا السَّرَابُ يَكُونُ بِالْقَيْعَانِ (٢)

أَوْ قُلْتُ هَذِي الشَّمْسُ قَالَ مُبَاهِتًا

الشَّمْسُ لَمْ تَطْلُعْ إِلَىٰ ذَا الْآنِ

أَوْ قُلْتُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ

غَضِبَ الْخَبِيثُ وَجَاءَ بِالْكِتْمَانِ

أَوْ حَرَّفَ الْقُرْآنَ عَنِ مَوْضُوعِهِ

تَحْرِيفَ كَذَابِ عَلَى الْقُرْآنِ

صَالَ النَّصُوصُ عَلَيْهِ فَهُوَ بِدْفِعِهَا

مُتَوَكِّلٌ بِالذَّابِ وَالذَّيْدَانِ

(١) هذا العدو يعرف الحق ويعرف أنَّ خصمه على حق، ولكن الحسد حمله على الطعن به وبأمثاله، والحسد داءٌ قاتل، فهو الذي حمل أحد ابني آدم فقتل أخاه فتحمل ظلم ووزر كل نفس تُقتل بعده عدواناً.

(٢) فلو قلت له: هذا بحر، قال: لا هذا سرابٌ فهو يجحد الحقائق من باب الحسد.

فَكَلَامُهُ فِي النَّصِّ عِنْدَ خِلَافِهِ
 مِنْ بَابِ دَفْعِ الصَّائِلِ الطَّعَّانِ
 فَالْقَصْدُ دَفْعُ النَّصِّ عَنْ مَذْلُومِهِ
 كَيْلًا يَصُورُ إِذَا التَّقَى الرَّحْفَانَ

* * *

فصل

في حال العدو الثالث^(١)

والثالثُ الأعمى المُقلِّدُ ذَنبِكَ الرَّ
 رَجُلَيْنِ قَائِدُ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ
 فَاللعنُ والتكفيرُ والتبديعُ والت
 تَضْلِيلُ والتفسيقُ بِالْعُدْوَانِ
 فَإِذَا هُمْ سَأَلُوهُ مُسْتَنْدًا لَهُ
 قَالَ اسْمِعُوا مَا قَالَهُ الرَّجُلَانِ^(٢)

* * *

(١) وهو المقلِّد للعدوين السابقين: مُقلِّد للجاهل وللحاسد.

(٢) يعني إذا طُلب منه الدليل قال: هذا قول فلان وفلان ليس عنده دليل إلا
 التقليد، وهذا من أبطل الباطل.

فصل

في حال العدو الرابع^(١)

هذا ورباعُهُمْ وليس بكَلْبِهِمْ
 حاشا الكلابَ الآكلي الأنتان^(٢)
 خنزيرُ طَبَعِ فِي خَلِيقَةِ نَاطِقِي
 مُتَسَوِّفٍ بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ
 كَالْكَلْبِ يَتَّبِعُهُمْ يُمَشِمِشُ أَعْظَمًا
 يَرْمُونَهَا وَالْقَوْمُ لِلْحَمَانِ
 يَتَفَكَّهُونَ بِهَا رَخِيصًا سِعْرُهَا
 مَيْتًا بِلا عَوْضٍ وَلَا أَمَانِ
 هُوَ فَضْلَةٌ فِي النَّاسِ لَا عِلْمٌ وَلَا
 دِينٌ وَلَا تَمْكِينُ ذِي سُلْطَانِ
 فَإِذَا رَأَى شَرًّا تَحَرَّكَ يَبْتَغِي
 ذِكْرًا كَمِثْلِ تَحَرُّكِ الثُّغْبَانِ
 لِيَزُولَ مِنْهُ أذى الكَسَادِ فَيَنْفِقُ الْ
 كَلْبُ الْعُقُورُ عَلَى ذُكُورِ الضَّانِ

(١) هذا هو العدو الرابع: هو النَّمَام.

(٢) يعني: أنه أخبث من الكلاب، لأن النميمة أخبث من اللحم التنن.

فبِقَاؤُهُ فِي النَّاسِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ

مِنْ عَسْكَرٍ يُعْزَى إِلَى غَازَانَ (١)

هذي بضاعة ضارب في الأرض يب

غبي تاجراً يبتاع بالأثمان (٢)

وَجَدَ التُّجَّارَ جَمِيعَهُمْ قَدْ سَافَرُوا

عَنْ هَذِهِ الْبُلْدَانِ وَالْأَوْطَانِ (٣)

إِلَّا الصَّعَافِقَةَ الَّذِينَ تَكَلَّفُوا

أَنْ يَتَّجَرُوا فِينَا بِبَلَا أَثْمَانِ (٤)

فَهُمُ الرُّبُونُ لَهَا فَبِاللَّهِ ارْحَمُوا

مِنْ بَيْعَةٍ مِنْ مُفْلِسٍ مِديَانِ

يَا رَبِّ فَارْزُقْهَا بِحَقِّكَ تَاجِرًا

قَدْ طَافَ بِالْأَفَاقِ وَالْبُلْدَانِ

(١) يعني: هذا هو أشدُّ على النَّاسِ من جيوش التتار الذين أفسدوا البلاد،

لأنَّ النمامين يُفسدون المجتمع.

(٢) يعرض المؤلف رحمه الله هذه القصيدة على من عنده استعداد لشرائها

وقبولها وعلى من عنده ثمن لها.

(٣) هذا كناية عن موت العلماء، فلم يبق لهذه القصيدة ربون.

(٤) يعني: لم يبق إلا المدعين للعلم.

ولكن بضاعته رحمه الله في هذه القصيدة العظيمة قد لقيت قبولاً من

بعده عند أهل السنة والجماعة فصاروا يدرسونها ويشرحونها في كل

وقت.

مَا كُلُّ مَنْقُوشٍ لَدَيْهِ أَصْفَرٍ
 ذَهَبًا يَرَاهُ خَالِصَ الْعُقَيَانِ
 وَكَذَا الرُّجَاجُ وَدُرَّةُ الْغَوَاصِ فِي
 تَمْيِيزِهِ مَا إِنَّ هُمَا مَثَلَانِ

* * *

فصل

في توجُّه أهل السنة إلى ربِّ العالمين أن ينصر دينه
وكتابه ورسوله وعبادة المؤمنين

هذا ونَصْرُ الدينِ فرضٌ لازمٌ

لا للكفاية بل على الأعيانِ

يَدٍ وإمَّا باللسانِ فإنَّ عَجَزُ

تَ فبالتَّوَجُّه والِدُّعا بِجَنانِ

ما بَعَدَ ذا واللهِ للإيمانِ حَبْدٌ

بَةً خَرْدَلٍ يا ناصرَ الإيمانِ^(١)

بِحياةٍ وَجْهَكَ خَيْرِ مَسْؤُولٍ بِهِ

وِبُنُورٍ وَجْهَكَ يا عَظِيمَ الشَّانِ

(١) هذا مضمون حديث النبي ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»^(*) وفي رواية: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»^(**).

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٢/١٨ (١١٤٦٠)، ومسلم (٤٩) (٧٨)، وأبو داود (١١٤٠)، وابن ماجه (١٢٧٥)، والترمذي (٢١٧٢) من حديث أبي سعيد الخدري.

(**) أخرجه مسلم (٥٠) (٨٠) من حديث عبد الله بن مسعود.

وَبِحَقِّ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَهَا
 مِنْ غَيْرِ مَا عَوَّضٍ وَلَا أَثْمَانِ
 وَبِحَقِّ رَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ جَمِيعَ
 عَالَمِ الْخَلْقِ مُحْسِنَهُمْ كَذَاكَ الْجَانِي
 وَبِحَقِّ أَسْمَاءِ لَكَ الْحُسْنَىٰ مَعَا
 نِيهَا نُعُوتُ الْمَدْحِ لِلرَّحْمَنِ
 وَبِحَقِّ حَمْدِكَ وَهُوَ حَمْدٌ وَاسِعٌ الْ
 أَكْوَانِ بَلْ أضعافُ ذِي الْأَكْوَانِ
 وَبِأَنَّكَ اللَّهُ الْإِلَهُ الْحَقُّ مَع
 بُودُ الْوَرَىٰ مُتَقَدِّسٌ عَنْ ثَانٍ
 بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاكَ فِبَاطِلٍ
 مِنْ دُونِ عَرْشِكَ لِلثَّرَىٰ التَّحْتَانِي
 وَبِكَ الْمَعَاذُ وَلَا مَلَاذَ سِوَاكَ أَنْ
 تَغِيَاكَ كُلُّ مُلَدِّدٍ لَهْفَانِ
 مَنْ ذَاكَ لِلْمُضْطَرِّ يَسْمَعُهُ سِوَا
 كَ يُجِيبُ دَعْوَتَهُ مَعَ الْعَصِيَانِ
 إِنَّا تَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ لِحَاجَةٍ
 تُرَضِيكَ طَالِبُهَا أَحَقُّ مُعَانِ
 فَاجْعَلْ قِضَاها بَعْضَ أَنْعَمِكَ الَّتِي
 سَبَّغَتْ عَلَيْنَا مِنْكَ كُلَّ زَمَانِ

انصُرْ كِتَابَكَ وَالرَّسُولَ وَدِينَكَ الْ

عَالِي الَّذِي أَنْزَلْتَ بِالرَّهَانِ

وَاخْتَرْتَهُ دِينًا لِنَفْسِكَ وَاصْطَفَيْتَ

مِنَ الْمُقِيمَةِ مِنْ أُمَّةِ الْإِنْسَانِ

وَرَضِيْتَهُ دِينًا لِمَنْ تَرْضَاهُ مِنْ

هَذَا الْوَرَى هُوَ قِيَمُ الْأَدْيَانِ

وَأَقْرَبَ عَيْنَ رَسُولِكَ الْمَبْعُوثِ بِالذِّ

دِينِ الْحَنِيفِ يَنْصُرُهُ الْمَتَدَانِي

وَانصُرُهُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ كَمَا مَثَلِ مَا

قَدْ كُنْتَ تَنْصُرُهُ بِكُلِّ زَمَانٍ

يَا رَبِّ وَاَنْصُرْ خَيْرَ حِزْبَيْنَا عَلَى

حِزْبِ الضَّلَالِ وَعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ

يَا رَبِّ وَاجْعَلْ شَرَّ حِزْبَيْنَا فَدَى

لِخِيَارِهِمْ وَلِعَسْكَرِ الْقُرْآنِ

يَا رَبِّ وَاجْعَلْ حِزْبَكَ الْمَنْصُورَ أَهْلَ

سَلِّ تَرَاحِمٍ وَتَوَاصُلٍ وَتَدَانٍ

يَا رَبِّ وَاحْمِهِمْ مِنَ الْبِدْعِ الَّتِي

قَدْ أُحْدِثَتْ فِي الدِّينِ كُلِّ زَمَانٍ

يَا رَبِّ جَنِّبْهُمْ طَرَائِقَهَا الَّتِي

تُنْفِضِي بِسَالِكِهَا إِلَى التَّيْرَانِ

يَا رَبِّ وَاهْدِهِمْ بِنُورِ الْوَحْيِ كَيْ
 يَصِلُوا إِلَيْكَ فَيُظْفَرُوا بِجَنَانِ
 يَا رَبِّ كُنْ لَهُمْ وَلِيًّا نَاصِرًا
 وَاحْفَظْهُمْ مِنْ فِتْنَةِ الْفِتَانِ
 وَانصُرْهُمْ يَا رَبِّ بِالْحَقِّ الَّذِي
 أَنْزَلْتَهُ يَا مُنْزِلَ الْقُرْآنِ
 يَا رَبُّ إِنَّهُمْ هُمُ الْغُرَبَاءُ قَدْ
 لَجَّوْا إِلَيْكَ وَأَنْتَ ذُو الْإِحْسَانِ
 يَا رَبُّ قَدْ عَادَوْا لِأَجْلِكَ كُلَّ هـ
 لَذَا الْخَلْقِ إِلَّا صَادِقُ الْإِيمَانِ
 قَدْ فَارَقُوهُمْ فِيكَ أَحْوَجَ مَا هُمْ
 دُنْيَا إِلَيْهِمْ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ
 وَرَضُوا وَلَا يَتَكَ التِّي مَنْ نَالَهَا
 نَالَ الْأَمَانَ وَنَالَ كُلَّ أَمَانِ
 وَرَضُوا بِوَحْيِكَ مِنْ سِوَاهُ وَمَا ارْتَضُوا
 بِسِوَاهُ مِنْ آرَاءِ ذِي الْهَدْيَانِ
 يَا رَبِّ تَبَّنُّهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَاجِ
 عَلَّهُمْ هُدَاةَ التَّائِبِ الْحَيْرَانِ
 وَانصُرْ عَلَى حِزْبِ الثَّقَاةِ عَسَاكِرَ الـ
 إِثْبَاتِ أَهْلَ الْحَقِّ وَالْعِرْفَانِ

وَأَقِمْ لِأَهْلِ السُّنَّةِ النُّبُوَّةِ الـ
 أَنْصَارَ وَأَنْصُرْهُمْ بِكُلِّ زَمَانٍ
 وَاجْعَلْهُمْ لِلْمُتَّقِينَ أُمَّةً
 وَارْزُقْهُمْ صَبْرًا مَعَ الْإِيقَانِ
 تَهْدِي بِأَمْرِكَ لَا بِمَا قَدْ أَحْدَثُوا
 وَدَعَاؤِ إِلَيْهِ النَّاسِ بِالْعُدْوَانِ
 وَأَعِزَّهُمْ بِالْحَقِّ وَأَنْصُرْهُمْ بِهِ
 نَصْرًا عَزِيزًا أَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ
 وَاعْفِرْ ذُنُوبَهُمْ وَأَصْلِحْ شَأْنَهُمْ
 فَلَأَنْتَ أَهْلُ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ
 وَلَكَ الْمَحَامِدُ كُلُّهَا حَمْدًا كَمَا
 يُرْضِيكَ لَا يَفْنَى عَلَى الْأَزْمَانِ
 مِلءَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ وَالـ
 مَوْجُودِ بَعْدُ وَمَتَهَى الْإِمْكَانِ
 مِمَّا تَشَاءُ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ
 حَمْدًا بَغِيرِ نَهَايَةٍ بِزَمَانِ
 وَعَلَى رَسُولِكَ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَالتـ
 تَسْلِيمِ مِنْكَ وَأَكْمَلُ الرِّضْوَانِ

وعلى صحابته جميعاً والأئمة

تبعوهم من بعد بالإحسان^(١)

تمت القصيدة بحمد الله تعالى

(١) رحمه الله وغفر له وتقبل هذه الدعوات المباركة، ونصر دينه، وأعلى كلمته في كل زمانٍ ومكان، لم يقصّر رحمه الله في النصيحة والبيان وردّ الباطل، حيث جمع في هذه القصيدة من العلوم ما يحتاج شرحه إلى مجلّدات.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

قسم الأسئلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سؤال: هل يدخل العمل في مسمى الإيمان؟

الجواب: العمل من حقيقة الإيمان، لا يكون الإيمان إلا بعمل، إذا زال العمل كله زال الإيمان وإذا زال بعضه فقد يزول الإيمان كترك الصلاة. وقد ينقص ولا يزول.

السائل: ما هو الإيمان أحسن الله إليك؟

الجواب: الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، لا بد أن تجمع هذه الأمور كلها ليتحقق الإيمان.

سؤال: أيهما شر قول الكرامية أو قول الأشاعرة في الإيمان؟

الجواب: كلاهما شر قول الكرامية، وقول الأشاعرة، ولكن قول الكرامية أبعده؛ لأنه يلزم عليه أن المنافقين مؤمنون، والله نفى عنهم الإيمان.

سؤال: عفا الله عنك الذي يقول: أفعال الله محدثة، هل هذا

القول صواب؟

الجواب: أفعال الله آحادها تحدث شيئاً فشيئاً، يفعل ما يشاء في خلقه، إذا شاء ولكن جنس الفعل، هذا قديم موصوف به سبحانه وتعالى أنه يفعل ما يشاء دائماً، وأبداً، لا تحديد، ولا بداية لأفعاله، كما لا نهاية لأفعاله.

سؤال: عفا الله عنك، هل كل معتزلي يُعتبر جهمياً أو العكس؟

الجواب: ليس كل معتزلي يعتبر جهمياً، الجهمية شر من المعتزلة، المعتزلة أخف من الجهمية.

سؤال: تخصيص آدم يا شيخ أنه كلم فيه تخصيص.

الجواب: كلمه ربه فقال له: ﴿يَقَادِمُ أُنْيَتُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة:

٣٣]، وقال: ﴿اللَّهُ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف: ٢٢]، الله كلمهما بدون واسطة، فهو مُكَلِّمٌ من الله عز وجل.

سؤال: قال مثله لموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام؟

الجواب: نعم، ومحمد عليه الصلاة والسلام كلمه ربه ليلة المعراج بدون واسطة، وفرض عليه الصلوات الخمس، وفي غير ذلك كان يأتيه الوحي بواسطة جبريل لكن التكليم الكامل صار لموسى عليه السلام، فهو كليم الله.

سؤال: أحسن الله إليكم هل الرؤية القلبية لا تكون إلا في المنام؟

الجواب: تكون الرؤية القلبية في اليقظة بالعلم وفي المنام.

سؤال: بارك الله فيك، في النفث في الروع هل يكون بدون

واسطة؟ في حديث النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «نفث في روعي»(*)؟

الجواب: نعم يكون النفث في الروع بدون واسطة.

(*) أخرجه الحاكم في «المستدرک» ٥/٢ (٢١٣٦) من حديث ابن مسعود.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما رأيكم فيمن يقول هناك مجاز في القرآن في غير آيات الأسماء والصفات في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ [الكهف: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

الجواب: الصحيح أنه ليس في القرآن مجاز مطلقاً وأنه حقيقة، كله وليس فيه مجاز، وقوله ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ إرادة كل شيء بحسبه، الجدار له إرادة بحسبه، والإنسان له إرادة بحسبه، والحيوان له إرادة بحسبه، فإرادة كل شيء بحسبه، وليس هذا من باب المجاز، فليست الإرادة خاصة بالإنسان فقط.

سؤال: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ﴾؟

الجواب: القرية المراد بها الناس، لأن التقري في الأصل هو الاجتماع، ولفظ القرية في الأصل يطلق على الناس المجتمعين، لا يطلق على المباني والشوارع، يطلق على الناس المجتمعين، فهو من تسمية المحل باسم الحال، فأصل اسم التقري والقرية لمجمع الناس مثل قرية النمل.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل الأشاعرة جهمية؟

الجواب: نعم هم جهمية بحسب ما يعتقدونه من مقالات الجهمية، فهم ليسوا جهمية خلص، ولكن عندهم تجهم في نفي بعض الصفات أما الأسماء فإنهم لا يتفونها.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما هو الضابط في الاسم والصفة، مثلاً: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، هل القدير اسم نستفيده من هذه الآية؟

الجواب: القدير اسم لا شك فيه، والسميع اسم، والبصير اسم، لكن يؤخذ من كل اسم صفة، القدير يؤخذ منه القدرة، السميع يؤخذ منه السمع، البصير يؤخذ منه البصر.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: المحسن هل هو من أسماء الله الثابتة؟ وما رأيكم فيمن يسمى عبد المحسن؟

الجواب: ليس هو من الأسماء الواردة، والله جل وعلا يوصف بأنه يحسن إلى عباده: ﴿وَأَحْسَنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، والله يوصف بالفعل بأنه يحسن إلى عباده، وأما إنه يؤخذ منه اسم لله المحسن هذا لم يرد فيما أعلم.

سؤال: هل هناك حرج في تسمية عبد المحسن؟

الجواب: لا يوجد حرج لكن لا يقال إن المحسن من أسماء الله.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: نرجو أن تبين لنا وسطية أهل السنة والجماعة والفرق بين الخوارج والمعتزلة لأنه حصل فرق كبير جداً في هذا المجال؟

الجواب: الخوارج يكفرون بالكبائر، من يزني أو يسرق أو يشرب الخمر هذا عندهم كافر خالد مخلد في النار، وكذلك المعتزلة يقولون يخرج من الإيمان لكنه لا يدخل في الكفر، ويكون

في المنزلة بين المنزلتين فإن مات وهو على ذلك فإنه يخلد في النار كما تقوله الخوارج.

المرجئة يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، لأن الإيمان عندهم هو ما في القلب، التصديق في القلب فقط، مهما عمل من الأعمال فهو مؤمن كامل الإيمان، والمعاصي هذه لا تضر إيمانه، لا يضره مع الإيمان الذي هو اعتقاد القلب عندهم، لا يضر معه معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فهم على طرفي نقيض مع الخوارج. أهل السنة والجماعة لا يغفلون غلو الخوارج، فيكفرون مرتكب الكبيرة، ولا يتساهلون تساهل المرجئة فيعطون العاصي كامل الإيمان، بل يقولون: إنه مؤمن ناقص الإيمان، فالمعاصي تنقص الإيمان، لكنها لا تسلبه الإيمان بالكلية بل يكون مؤمناً فاسقاً أو مؤمناً ناقص الإيمان، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، فلا يسلبونه مطلق الإيمان كما تقوله الخوارج ولا يعطونه الإيمان المطلق كما تقوله المرجئة.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: كيف يكون القول على الله بغير علم أعظم من الشرك، مع أن القائل على الله بغير علم تحت المشيئة أما المشرك فهو خارج عن الإسلام؟

الجواب: القول على الله بغير علم أعظم من الشرك لأن الشرك جزء من القول على الله بغير علم، لأن المشرك قال على الله بلا علم واتخذ له شركاء وأولياء يدعوهم من دونه، ويقول: إن الله شرع لنا هذا.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما رأيكم فيمن يثني على ابن سينا ويجعله من علماء المسلمين وجزاكم الله خيراً؟

الجواب: هذا بين أمرين، إما إنه جاهل ولا يدري عن حال ابن سينا، وهذا لا يحق له أن يتكلم، بل يجب عليه أن يسكت، وإما إنه عالم بحال ابن سينا وكفرياته فيكون مقراً له على ذلك فيكون حكمه مثل حكم ابن سينا والعياذ بالله، لأنه أقره على ذلك وزكاه فالأمر خطير جداً. لكن بعض الناس يثني على ابن سينا من ناحية أنه طبيب فقط، وهذه حرفة دنيوية، هو طيب وفي الكفار من هو أحذق منه في الطب، فلماذا يخص ابن سينا؟ يقولون: لأنه ينتسب للإسلام وهذا مفخرة للإسلام، نقول: الإسلام منه بريء والإسلام غني عنه. والحاصل أنه لا يمدح ولا يذم لأنه باطني من الباطنية، فيلسوف ملحد يقول بجواز قدم العالم.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل خلاف أهل السنة مع مرجئة الفقهاء خلاف لفظي أو حقيقي؟

الجواب: خلاف أهل السنة مع مرجئة الفقهاء حقيقي لأن أهل السنة يقولون: إن الأعمال داخلية في حقيقة الإيمان، وهي ركن من الإيمان، أما مرجئة الفقهاء فيقولون: الأعمال ليست داخلية في حقيقة الإيمان وإنما هي شرط في صحة الإيمان، وهذا خطأ واضح لأن الشرط خارج المشروط، فيتساهلون في أمور المعاصي والمخالفات ويقولون: ما دام أنه مصدق بقلبه ناطق بلسانه فهو

كامل الإيمان، ولا ينقص، والمعاصي لا تنقص الإيمان عندهم، هناك فرق بينهم واضح. وهناك خلاف حقيقي ما هو بلفظي كما يقول بعض المعلقين أو بعض الكتاب.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل يسّ وطه من أسماء النبي ﷺ أم هي حروف مقطعة في أوائل السور؟

الجواب: هي حروف مقطعة، وليست من أسماء الرسول ﷺ، الرسول ليس من أسمائه يسّ ولا طه، أسماء الرسول معروفة اقرؤوا كتاب جلاء الأفهام لابن القيم، كي تعرفوا أسماء الرسول ﷺ.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ألم يكلم الله سبحانه وتعالى نبينا ﷺ بنفسه عند فرض الصلوات الخمس عليه فكيف يكون تكليم موسى خاصاً به؟

الجواب: نعم تكليم موسى برسالته عموماً بدون واسطة، أما نبينا ﷺ فكان ينزل عليه جبريل بالوحي إلا في هذا الموقف الخاص وهو موقف المعراج وفرض الصلوات الخمس عليه، فإن الله كلمه بها، بدون واسطة، هذا حصل مرة واحدة خلاف ما حصل لموسى عليه السلام، فإنه استمر مع موسى برسالته عليه الصلاة والسلام.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل الرافضة الذين يعيشون بين أهل السنة، كفار بأعيانهم أو يعذرون بالجهل، وهل يكفر أعيانهم أم لا، أرجو التوضيح؟

الجواب: من اعتنق هذا المذهب وأصر عليه حكم عليه حكم أهله، أما من كان جاهلاً ولم يعرف حقيقة مذهبهم، فهذا يبين له الحق فإن قبل، فالحمد لله، وإن أصر حكم عليه بحكم أهل هذا المذهب.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل يجوز دعاء الله تعالى بالأخبار بأن يقول الداعي: «اللهم يا من لا تختلف عليه اللغات ولا تختلف عليه الأصوات»؟

الجواب: نعم يجوز لأن هذا من صفات الله سبحانه وتعالى أنه لا يخفى عليه شيء، ولا تختلف عليه اللغات، ولا تشبهه عليه الأصوات، بل يسمع ويرى ويعلم سبحانه وتعالى كل شيء ولا يختلط عليه هذا بهذا.

ولذلك يرزق العباد والحشرات والدواب والسباع والهوام وكل شيء يرزقه ما يحتاج إليه، فهذا دليل على أن الله جل وعلا لا يختلف عليه شيء ولا يخفى عليه شيء.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل الحنان من أسماء الله أو صفاته؟

الجواب: لم يثبت ذلك.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]، هل يصح أن يقال: إن ظلام هنا صيغة مبالغة.

الجواب: نعم، ظلام صيغة مبالغة، الله جل وعلا لا يصدر منه ظلم لأحد وإنما يجزي الناس بأعمالهم، فأهل الأعمال السيئة يجزيهم بأعمالهم فقط ولا يزيد على أعمالهم، وأما أهل الأعمال الصالحة فيجزيهم بأعمالهم ويزيد عليها من فضله ويضاعف لهم من فضله سبحانه وتعالى.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما الفرق بين صفات الجلال وصفات الجمال؟

الجواب: كلها سواء، صفات الجمال والجلال كلها صفات كمال الله سبحانه وتعالى.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: فسر اللطيف بأنه هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية فهل هذا تفسير صحيح؟

الجواب: اللطيف هو الذي يدرك الأشياء ويعلمها سبحانه والناس لا يعلمون ذلك، هذا هو اللطيف وكذلك هو الذي يلطف بعباده ويرحمهم.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ينتشر عند بعض الكتاب قولهم شاءت إرادة الله أو شاءت قدرة الله فهل هذا استعمال صحيح شرعاً؟

الجواب: المشيئة والإرادة لا تدعيان وإنما يدعى الله جل وعلا.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما الفرق بين القضاء والقدر وما الواجب في أقدار الله الرضا أم الصبر؟

الجواب: القضاء والقدر بمعنى واحد لا فرق بينهما، والرضا بقضاء الله وقدره بمعنى عدم الجزع وعدم التسخط هذا واجب، ترضى بقضاء الله وقدره ولا تتسخط ولا تجزع، وأما الرضا بمعنى أنك تلذذ بالقضاء والقدر تلذذ بالجوع وبالمرض فهذا ليس بواجب.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: في شرح الشيخ محمد هراس للنونية ذكر عن صاحب البداية أنه فسر الضمد بأنه الذي لا جوف له؟

الجواب: هذا معروف لو راجعتم تفسير هذه السورة لشيخ الإسلام ابن تيمية وجدتم هذا المعنى. الله جل وعلا ليس مثل المخلوقات: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، سبحانه وتعالى.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما الدليل على إطلاق اسم المغيث على الله عز وجل؟

الجواب: لأنه هو الذي ينزل الغيث، والمغيث بمعنى المجيب من الإغاثة وهي إنقاذ الواقع في خطر وهذا من أسماء الله سبحانه وتعالى.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما معنى اسم الله العزيز؟

الجواب: العزيز القوي الذي لا يغالب سبحانه وتعالى، والعزة هي القوة ولا أحد أقوى من الله عز وجل.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: كثر الكلام على شراح الحديث الذين أنكروا العلو والصفات بالتأويل، هل هؤلاء عرفوا الحق وعاندوه أم أنهم تهاونوا في طلب الحق أم أنهم جهال؟

الجواب: هؤلاء يؤمنون بالله ورسوله، ويؤمنون بأركان الإيمان الستة وهم أهل الحديث وأهل علم، ولا يكفرون بهذه المخالفات، التي وقعوا فيها بناء على التأويل لأن ما عندهم من الخير وما عندهم من العلم والفضل يغفر هذه الأخطاء.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: من كَفَّرَ الصحابة هل هو كافر؟

الجواب: من كَفَّرَ الصحابة عن علم، وهو يعرف أن الله جل وعلا عدلهم وزكاهم، والرسول حكم بإيمانهم، يعرف كل هذا ويكفر الصحابة فهو كافر. أما إن كان مقلداً سمع من يقول بهذا وقلده فهذا ضلال.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل هناك قاعدة في التفريق فيما بين الصفات التي هي أسماء والصفات التي ليست هي أسماء؟

الجواب: كل اسم يشتق منه صفة من صفاته سبحانه وتعالى أما العكس فلا يشتق من أفعاله أسماء.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما حكم التسمي بعبد الأول، وعبد الآخر وعبد البار؟

الجواب: الأسماء المتقابلة لا يجوز فصل بعضها عن بعض بل يقال الأول والآخر لا يجوز أخذ الأول أو أخذ الآخر فقط، ولا أخذ الظاهر أو أخذ الباطن فقط.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل الجهمية كلهم ينفون الأسماء والصفات أم غلاتهم فقط؟

الجواب: المعروف عنهم إنهم كلهم ينفون الأسماء والصفات والذي ينفي بعض الأسماء والصفات فيه تجهم حسب ما ينفي.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل يصح لنا أن نقول: إن الصحابة قد اختلفوا في بعض مسائل العقيدة؟

الجواب: ما ذكر عن الصحابة اختلاف في العقيدة أبداً، حاشا وكلا، الذي يدعي أنهم اختلفوا في شيء من العقيدة عليه إثبات ذلك.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: أهل البدع يرمون أهل السنة بأنهم حشوية، فما معناها؟

الجواب: الحشو هو الذي ليس له قيمة.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل من صفات الله الحنان، وما حكم قول: يا حنان يا منان في الدعاء؟

الجواب: الحنان لم يثبت أنه من أسماء الله، والحديث الوارد فيه ضعيف فيما يظهر لي، فلا يجوز أن يطلق على الله إلا ما صح وثبت.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما رأيكم فيمن يقول: إن النبي ﷺ معصوم فيما يبلغه عن ربه فيقيد العصمة فيما يبلغه عن ربه؟

الجواب: نعم لا شك أنه ﷺ معصوم فيما يبلغه عن ربه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤]، وكذلك هو معصوم من كبائر الذنوب. كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من كبائر الذنوب، وإنما الخلاف في الصغائر فقط، ولكن ما ذكر الله عنهم ذنباً إلا وذكر معه التوبة، فهم معصومون من الصغائر في النهاية، وأما في البداية فقد يقع منهم شيء، لكنهم معصومون من الاستمرار عليها، معصومون منها نهاية لا بداية، أما الكبائر فهم معصومون منها بداية ونهاية، كذلك ما يبلغون عن الله فهم معصومون مطلقاً.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: من وقع في الإلحاد من القسمين الأخيرين هل يبدعون بأعيانهم في هذا العصر؟

الجواب: من وقع في البدعة يبدع بعينه، من قال البدعة أو فعلها فإنه يقال: إنه مبتدع بعينه.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل الخوارج كفار استنباطاً من قوله ﷺ: «ثم لا يعودوا إليه»؟

الجواب: تكفير الخوارج فيه خلاف بين أهل السنة، والصحيح أنهم ليسوا كفاراً، ولكنهم ضالون ومخطئون ويقاثلون لبغيهم وتعديههم على المسلمين، وكف شرهم.

وأما ما جاء إنهم يمرقون من الدين، المروق يختلف، قد يكون مروق كلي وهو الكفر، وقد يكون مروق جزئي. أما الصحيح والذي عليه الجمهور أن الخوارج ليسوا كفاراً إنما هم من الفرق الضالة.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما موقف المسلم تجاه من يعتقد معتقد بعض الطوائف كالأشاعرة والصفوية ونحوهم؟ هل يهجرون بعد نصحتهم؟ وهل يسلم عليهم؟

الجواب: ينصحون ويبين لهم العقيدة الصحيحة فإن أصروا على عقيدة المخالفين وكان في هجرهم ردع لهم وداع لتوبتهم فإنهم يهجرون أما إذا كان هجرهم لا يزيدهم إلا شراً فإنهم لا يهجرون ولكن يبين خطئهم وضلالهم وينصحون ويستمر في نصحتهم لعل الله أن يهديهم.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: يقول: قرأت في كتاب تفسير سورة الإخلاص أو في كتب في تفسير سورة الإخلاص إنها أحادية الوجود فليس هناك حقيقة إلا حقيقة الله، فكل حقيقة فإنها تستمد حقيقتها من ذلك الوجود الحقيقي...؟

الجواب: هذا مذهب وحدة الوجود وقد نبه على هذا كثير من أهل العلم وأنه مذهب أهل وحدة الوجود نسأل الله العافية.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل المسلم يخرج من الملة بمجرد نفيه صفة واحدة من صفات الله أو يمكن أن يبقى على الإسلام مع سوء فهمه لهذه الصفة؟

الجواب: نفاة الصفات على قسمين: نفاة الصفات الذين علموا أدلتها، علموا وعاندوا ونفوها فهؤلاء كفار.

أما نفاة الصفات الذين هم مقلدة أو مؤولة، اعتمدوا على تأويل ظنوه صحيحاً فهؤلاء يضللون ولا يكفرون.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: يقول: قال الله تعالى في الحديث القدسي: «يا عبدي لو آتيتني بقراب الأرض خطايا لأتيتك بقرابها مغفرة» وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

الجواب: «لو آتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً» (*) حذف المقصود، فإذا لقي العبد ربه بالخطايا التي دون الشرك فهي تحت المشيئة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ هذا معنى الحديث.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما حكم من يقول إنه يأخذ بالقرآن دون السنة أو العكس أفتونا مأجورين؟

الجواب: هذا لو أخذ بالقرآن لأخذ بالسنة لأن القرآن فيه ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وفيه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وفيه ﴿وَمَنْ يُطِيعِ

(*) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) من حديث أنس بن مالك، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

اللَّهِ وَالرَّسُولَ ﴿النساء: ٦٩﴾، ما قال يطع الله فقط بل قال: يطع الله والرسول وفيه ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، فهم ما أخذوا بالقرآن إذا تركوا السنة.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: بماذا نحكم على المعتزلة والجهمية والوجودية؟ هل يحكم بكفرهم أم ماذا؟
الجواب: العلماء يقولون: من تعمد منهم الدعوة إلى هذه المذاهب وهو يعلم أنها باطلة، هذا كافر، وأما من اعتنقها متولاً يظن أنها حق أو مقلداً لمن يظن أنه على حق فهذا يعتبر ضالاً ولا يكفر، يدرأ عنه التكفير بالتأويل والتقليد الجاهل، وأغلبهم كذلك، أغلبهم مقلدة أو مأولة، أما دعواتهم وأئمتهم هؤلاء كفره لأنهم عرفوا الحق ورفضوه.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: أرجو منكم إيضاح الحق هل في الكتاب والسنة مجاز أم لا؟
الجواب: كلام الله حقيقة، فكله حقيقة وليس فيه مجاز، هذا هو الصواب، لأننا لو فتحنا هذا الباب وقلنا: القرآن فيه مجاز صار هذا مجالاً لنفاة الصفات.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: يقول: ورد في بعض كتب العقائد بأن الله يقعد على العرش. ما مدى صحة هذا الكلمة؟
الجواب: الذي جاء وثبت في القرآن استوى على العرش، فنحن ثبت استوى على العرش، فما أثبتته الله لنفسه أثبتناه وما لم يثبت فنحن لا نقول به في حق الله جل وعلا.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: إذا سُئل عن الذنب الذي لا يغفر، هل الجواب يكون الشرك على الإطلاق أو الشرك الأكبر دون الأصغر؟

الجواب: تقول الشرك كما قال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، تأتي بالآية ويكفي لا تفصل.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما صحة القول بأن الخلاف مع مرجئة الفقهاء، خلافٌ لفظي؟ وما صحة نسبة ذلك إلى شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابة الإيمان؟

الجواب: هذا كلام غير صحيح، الخلاف بين أهل السنة والمرجئة خلافٌ معنوي حقيقي، وليس هو خلافاً لفظياً إنما يقول هذا الذين يريدون التخفيف من الأمر وتهدئة الأمور، لكن الذين يريدون بيان الحق لا يقولون هذا القول وما قال هذا شيخ الإسلام ابن تيمية.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل الأشاعرة يثبتون الصفات السبع مثل ما يثبتها أهل السنة؟ أو أنها تختلف من صفة إلى أخرى؟

الجواب: لا يثبتونها مثل ما يثبتها أهل السنة، أهل السنة يثبتونها بدليل الكتاب والسنة، أما هؤلاء فيثبتونها بدليل العقل عندهم، فمصادر التلقي عندهم غير مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة، يقولون: نثبتها لأن العقل أثبتها، فمصدرهم العقل بزعمهم.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: كيف نوافق بين قوله ﷺ: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد» وبين قوله: هذا حكم الله ورسوله؟

الجواب: هذا في المشيئة، وأما الحكم فإله يحكم ورسوله يحكم، لكن الرسول لا يحكم إلا بحكم الله سبحانه وتعالى فالأصل هو حكم الله سبحانه وتعالى.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل يجوز أن أقول عن رجل من الأشاعرة إنه مبتدع أو أقول عنه إنه أشعري فقط؟

الجواب: مبتدع من حيث العقيدة، لأن البدع في العبادات، وتكون في العقائد، فالمعطلة مبتدعة في العقائد.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: العقل الصريح هل كلمة الصريح تعني الصحيح؟

الجواب: العقل الصريح يعني الصحيح السليم من النقص، والسليم من اللوث والزيغ. هذا هو العقل الصريح، وهو لا يتعارض مع ما أتى عن طريق النقل الصحيح.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل ثبت أن الله كلم نبيه محمداً ﷺ ليلة الإسراء أو في غيرها؟

الجواب: نعم كلمه وراجعه الرسول ﷺ في الصلوات الخمس، ولكن هذا كلام خاص، أما موسى عليه السلام فإن الله كلمه بصفة دائمة، ولذلك سمي كلیم الله، أما الرسول ﷺ فكان

كغيره من الرسل ينزل عليه جبريل بالوحي إلا في هذه الليلة فقد
كلم الله سبحانه وتعالى بدون واسطة وهذا لا يجعله شريكاً لموسى
في هذا اللقب العظيم كلیم الله .

سؤال : أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة : في قول عمر رضي
الله عنه للنبي ﷺ : والذي بعثك بالحق إنك لأحب إليّ من نفسي .
هل يعني ذلك أن حب عمر للنبي ﷺ زاد في تلك اللحظة أو أنه
انقاد لأمر الرسول ﷺ بأن يكون حبه له أكثر من نفسه؟

الجواب : يجمع الأمرين . انقاد لأمر الرسول ، وألقى الله في
قلبه الإيمان والمحبة وزاد إيمانه ؛ لأن المؤمن يزيد إيمانه فزاد
إيمانه ومحبته للرسول ﷺ .

سؤال : أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة : إلى كم قسم ينقسم
التأويل وجزاكم الله خيراً؟

الجواب : التأويل ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وأنه على قسمين :
تأويل بمعنى التفسير ، وهذا صحيح ، وهذا الذي مشى عليه ابن
جرير في تفسيره رحمه الله ، يقول : القول في تأويل قوله تعالى ،
يعني تفسير .

والمعنى الثاني : صرف اللفظ عن الاحتمال الراجع إلى الاحتمال
المرجوح ، وهذا عند المتأخرين ، وهذا هو التأويل المحدث ، حرفوا
فيه الأسماء والصفات عن معانيها الصحيحة إلى معانٍ غير صحيحة ،
هذا تأويل مذموم .

وهناك نوع ثالث من التأويل: وهو ما يؤول إليه الشيء في النهاية ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧]، أي: ما يقود إليه الشيء في المستقبل، ﴿ وَقَالَ يَتَابَتَ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف: ١٠٠]، هذا ما يؤول إليه الشيء في المستقبل، وهذا لا يعلمه إلا الله عز وجل لأن المستقبل وما يكون فيه لا يعلمه إلا الله عز وجل.

إذن التأويل على ثلاثة أقسام: ما يؤول إليه الشيء في المستقبل وهذا لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

والثاني: تفسير الكلام، وهذا صحيح يسمى تأويلاً.

والثالث: صرف اللفظ عن ظاهره، إلى معنى آخر، وهذا هو التأويل المذموم الذي ركبه المعتزلة والأشاعرة ومن نحا نحوهم من تأويل الصفات عن مدلولها.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: يقول: هل الرافضة كفار وهل يفرق بين علمائهم وبين عامتهم في ذلك؟

الجواب: القاعدة أن كل من دعا غير الله أو ذبح لغير الله، أو عمل أي عبادة لغير الله فإنه كافر سواء كان من الرافضة أو من غيرهم، من عبد غير الله بأي نوع من أنواع العبادة فإنه كافر وكذلك من زعم أن أحداً يجب إتباعه غير الرسول ﷺ فإنه كافر من الرافضة أو غيرهم، الرافضة يرون أن لأئمتهم منزلة أعلى من مرتبة الرسل، وأن أئمتهم لا يخطئون وأنهم معصومون، وأن لهم الحق في أن يحلوا ما أرادوا وأن يحرموا ما أرادوا، ليس هذا أعظم الكفر

والعياذ بالله، هذا عندهم في كتبهم ما هو بخفي، وعندهم أمور كثيرة غير ذلك.

سؤال: يقول: وهل يفرق بين علمائهم وعامتهم في ذلك؟

الجواب: علماءهم أشد، لأنهم يعرفون أن هذا باطل وأخذه، لا شك في كفرهم، أما عوامهم فإذا أقيمت عليهم الحجة وأصروا يكفرون، أما ما لم تقم عليهم الحجة فهؤلاء أهل ضلال ولا يكفرون.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: يقول: هل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما هم أفضل أتباع الأنبياء على الإطلاق؟

الجواب: أفضل الخلق بعد النبيين صحابة رسول الله ﷺ، لأن أفضل الرسل هو رسول الله ﷺ، وأفضل الأمم أمة محمد ﷺ، هذا لا شك فيه، وأبو بكر وعمر هما أفضل هذه الأمة، أبو بكر في الدرجة الأولى رضي الله عنه ثم بعده عمر ثم بعده عثمان ثم بعده علي، الأئمة الأربعة رضي الله عنهم ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة، ثم المهاجرون أفضل من الأنصار، ثم أصحاب بدر، وأصحاب بيعة الرضوان، الصحابة يتفاضلون رضي الله عنهم، لكن جملتهم هم الأفضل من الأمم بعد الأنبياء.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: يقول: هناك من يقول إنه قد يوجد في آخر الزمان أفراد أفضل من بعض الصحابة ولكن الصحابة في الإجمال أفضل ويمثل هذا بأعراب الصحابة وأنه قد

يوجد من العلماء العباد في آخر الزمان من هو أفضل من بعضهم .
فما رأيكم في هذا القول .

الجواب : هذا كلام باطل لا أحد أفضل من الصحابة ، الذين
رأوا الرسول ﷺ ، هذه ميزة لم يحصل عليها المتأخرون ولو كان
من العلماء ولو كان من العباد ، ما حصل على رؤية الرسول ﷺ ،
ولا صحبه ولا جاهد معه فلا أحد أفضل من الصحابة ، ولا يجوز
هذا الكلام أبداً .

سؤال : أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة : يقول : هل المحسن
من أسماء الله عز وجل ؟

الجواب : لم يثبت فيما أعلم أن المحسن من أسماء الله ، ولكنه
يخبر عنه بأنه محسن هذا من باب الإخبار لا من باب التسمية .

سؤال : أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة : يقول : ما هو الصواب
في الإجابة عن هذا السؤال : هل العمل شرط صحة في الإيمان أم
شرط كمال ؟

الجواب : أهل السنة والجماعة وأهل العلم ، ما عندهم شك
بأن العمل من الإيمان ، وداخل في الإيمان ولذلك يعرفونه بقولهم :
الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان ، وعمل بالأركان يزيد بالطاعة
وينقص بالعصيان ، وأما لو كان شرطاً صار الشرط خارج المشروط
فلا يقال : إن العمل شرط في الإيمان بل يقال : العمل يدخل في
حقيقة الإيمان وتعريفه .

الفهارس العامة

- ١ - فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ - فهرس الأحاديث والآثار .
- ٣ - فهرس الأعلام .
- ٤ - فهرس الفرق والجماعات .
- ٥ - فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	الصفحة
١ - سورة الفاتحة		
٢	الْحَمْدُ لِلَّهِ :	٧٦٩
٢ - سورة البقرة		
٢-١	الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	١٩٣، ١٩٢
٦	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	٤٢٧
٧	خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ	٤٢٧
٢٢	فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا	١٠٨٩
٢٤	أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ	٤٧
٢٥	ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	٢٠٣
٢٥	وَأَتُوا بِهَا مُتَشَابِهًا	١١٩٦
٢٥	وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ	١٢٠١، ١١٩٦
٢٦	﴿٢٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ءَأَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا	٢٨
٢٨	كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ ءَأَمُونًا فَأَخِيَكُمْ	٦٩٠
٢٩	أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ	٣٥٥
٣٣	قَالَ يَتَدَمُّ أُنْسُهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ	١٣٢٤
٥٨	وَقُولُوا حِطَّةٌ	٤٩٦
٦٢	مَنْ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ	٣٤٥

سورة البقرة

١٢٨٦	٧٤	ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ
٧٦٠	٧٤	وَمَا اللَّهُ بِمُنْفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
٢١	٧٨	وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ
٨٢٥-٨٢٤	١١٢	بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
٧٣٨	١٤٣	إِنَّ اللَّهَ بِالْكَاسِ لَرءٌ وَهُوَ رَحِيمٌ
١٤٨	١٤٨	إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
٩٨٢	١٥٢	فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ
٦٩٣	١٥٤	وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ آمَاتٌ
٨٣١	١٦٥	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا
١١٣٠	١٦٥	وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ
٤٠٣	١٧٠	وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آيَاتًا
٥٢٥، ٥٠٣	١٧١	وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَعَقُّ
١٨٩	١٧٤	وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ
٣٤٧	١٧٧	لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
٣٤٥	١٧٧	وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ
٧٨٣	١٨٦	وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ
٧٨٤	١٨٦	أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
١٠٦٦، ٨٨٩، ٤٣٤	٢١٠	هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ
٣١٠	٢٣٨	حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ
٤١٠	٢٤٥	مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

سورة البقرة

٨٠٩	وَاللَّهُ يَفْقِصُ وَيَبْصِطُ ^ط	٢٤٥
١١٧٩، ١٠٩	﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ	٢٥٣
٧٩٧، ١٥٢، ١٥١	اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ^ع	٢٥٥
٧٥٩، ٧٣٧، ٤٠٨، ١٥١	لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ^ع	٢٥٥
١١٢٩	مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ^ع	٢٥٥
٥٠٥	وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ^ط	٢٥٥
٧٦٣، ٤٣٠، ٢٩٧	وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ	٢٥٥
٧٨٣	لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ^ع	٢٨٦

٣ - سورة آل عمران

١٥٢، ١٥١	اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ^ط	٢
٧٦٧، ٧٦٤	إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ	٥
٤٢٣	هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ	٧
٥١٤	فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ	٧
١٣٤٢، ٤٥٦	وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ^ع	٧
١٠٦٣، ١٠٥٧	فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ	٢١
٧٩٨	قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ	٢٦
٨٠٩	وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ^ط	٢٦
٩٧٤، ٩٥٤، ٨٣٢	قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي	٣١
٩٧٤	قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ^ع	٣٢

سورة آل عمران

٩٨٣	إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ	٣٧
٧٦٠	وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ	٥٤
٦٦٢، ٣١٢، ١١٦	إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَىٰ	٥٥
٢٨	فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ	٦١
٩٦٢	إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ	٩٦
٩٦٣-٩٦٢	فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ	٩٧
٩٦٣	وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَكِيمٌ	٩٧
٩٠٩	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا	١٠٣
٧٩	وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا	١٠٥
١٠٨٥	يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ	١٠٦
١٠٨٥	وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ	١٠٧
٤٧	أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ	١٣٣
٤٣٩، ٣٢٠	فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ	١٣٧
٨٠	وَلِيَمِخَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا	١٤١
٨٠	أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا	١٦٥
٦٩٣، ٦٨٢	وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا	١٦٩
٧٠٥	أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ	١٦٩
٤١٠	لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ	١٨١
٤١٠	ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ	١٨٢

٤ - سورة النساء

- ٤٦٣ ١٤ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا
- ٤٣٠ ٣٤ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا
- ٩٥٦ ٣٦ ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
- ٥٣٢ ٤٦ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ
- ٩٦١، ٨٣٠، ٤٦٣ ٤٨ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ
- ١٣٣٩، ١٣٣٧، ١٢٩٠
- ٥٣ ٥٦ كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا أُخْرَى
- ١٢٢٩ ٥٧ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
- ١٠٩٥، ١٠١٦، ٣٩٠، ٩١ ٥٩ فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ
- ٨٩٧ ٦٠ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ
- ٩١١ ٦١ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ
- ٩١١ ٦٢ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ يُعَاذِمَتَ أَيْدِيهِمْ
- ٦٨٤ ٦٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ
- ٣٩١ ٦٥ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ
- ١٣٣٨-١٣٣٧ ٦٩ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ
- ١٣٣٨ ٨٠ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ
- ١٠٢٧، ٩٩٨، ٦٢٠ ٨٢ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ
- ٢٤١ ٩٦ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا
- ١٠٧٩ ٩٧ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ
- ١٠٧٩ ٩٨ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ

سورة النساء

- ١٠٤ ١٠٠٤ إن تَكُونُوا تَأْمُونُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُونَ كَمَا تَأْمُونُونَ^ط
- ١١٥ ١٢٦٠، ٣٨٠ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ
- ١٢٥ ٣٨ وَأَخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا
- ١٣٦ ٩٤٤ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
- ١٥٨ ٦٦٢، ٥٣٧، ٤٣١، ١١٦ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ
- ١٥٩ ٦٦٢، ١١٦ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ^ط
- ١٦٤ ٦٦٣، ١٨٩ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا
- ١٦٥ ٦٧٢ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ
- ١٧١ ١٦٣ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ

٥ - سورة المائدة

- ٢ ٩٨١ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ
- ٣ ٢٧٦ الْيَوْمِ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
- ١٥ ٨٠١ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ
- ٣٥ ٨٨٥ وَأَتَّبِعُوا آلِيهِ الْوَسِيلَةَ
- ٤٨ ٣٤٦ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا
- ٥٥ ١١٣١ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
- ٥٦ ٨٤٠ فَإِنْ حَرَبَ اللَّهُ هُمْ الْعَالِيُونَ
- ٦٤ ١٢٧ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ^ع
- ٦٤ ٧٤ كَلَّمَآ أَوْ قَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَآهَا اللَّهُ
- ٧٥ ٧٦١ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ

سورة المائدة

٧٦١، ٢٨٦	٧٥	كَانَا يَأْكُلَانِ اللَّعْمَامُ
١٨٨	١٠٩	﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ﴾
٦٥٨	١١٦	سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّكَ
٦٥٨	١١٧	مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ

٦ - سورة الأنعام

٧٦١، ٧٣٨، ٤٠٨، ٢٨٦	١٤	وَهُوَ يُطْعِمُهُمْ وَلَا يُغْنِيهِمْ
١٢٤٨، ٤٢٩، ٣٦١-٣٦٠، ٣٠٠	١٨	وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ
٧٦٨	٢٨	وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
١٠٤٨	٣٣	قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ
١٠١٧	٣٨	مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ
٢٧٦	٤٦	أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرْنَا الْأَيْبَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ
١٢٧٣، ٦٦٢	٦٠	وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ
٤٢٩	٦١	وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ
١٠٥٩	٧٠	الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا
٣٢٣	٩١	وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ
٧٨٢	١٠٣	وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ
٩٣٦، ٢٧٨	١١٠	وَنَقَلْنَا قُلُوبَهُمْ وَآبَصَرْتَهُمْ كَمَا لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ
٢٧٦	١١٥	وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا
١٠٨٤	١١٦	إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ

سورة الأنعام

٩٧٤	اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ	١٢٤
٦٧٦	فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ	١٢٥
٥٠٩	وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ	١٤١
٧٥٤	لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا	١٤٨
٩٥٦	قُلْ تَمَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفْرًا عَلَيْكُمْ	١٥١
٩٧٦	وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ	١٥٣
٤٣٥	هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ	١٥٨
٦١٠	إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا	١٥٩

٧ - سورة الأعراف

١٩٣	الْمَصِّ ۖ كُنْتُ أَنْزِلُ إِلَيْكَ	٢-١
٣٩٩	اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ	٣
١٨٨	فَلَنَسَعَنَّ الَّذِينَ أَزْسِلُ إِلَيْهِمْ	٦
٩٨٨، ٩١٧، ٩١٢	أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ	١٢
٩٩٠	ثُمَّ لَا يَنْبَغُهُمْ مِّن بَيْن أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ	١٧
١٣٢٤، ٧٧٠، ٥٦٩، ١٨٩	وَفَادَتْهُمَا رَبُّهُمَا أَلْوَأْتُهُمَا كَمَا عَلَّمَهُمَا الشَّجَرَةَ	٢٢
١٨٩	أَلْوَأْتُهُمَا كَمَا عَلَّمَهُمَا الشَّجَرَةَ وَأَقْبَلَتْ كَمَا	٢٢
٩٨٩، ٩٨٨	قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا	٢٣
٤٥٠	إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا	٤٠
١١٦٥، ٣١٢	لَا نُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ	٤٠
٤٧٤	هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ	٥٣

سورة الأعراف

- ٤٧٤ ٥٣ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ
- ٢٦٢، ٢٦١، ٢٠٤ ٥٤ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
- ١١١٤، ١١١٢، ١٠٤٠
- ٢٠٤ ٥٤ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
- ٥٤ ٥٤ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٦١، ٣٧٢، ٥٠٦، ٥٠٨، ٥٠٩
- ١١١٤، ٥٨٩، ٥١٣، ٥١٠
- ٢٠٤ ٥٤ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ
- ٢٠٣ ٥٤ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ
- ٤٠٥ ٥٦ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا
- ٦٦٣ ١٤٣ وَكَلَّمَ رَبُّمُ قَالَ
- ١٨٩ ١٤٤ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمَةٍ
- ١١١٠، ٨٨٦، ١٨٧، ١٦٧ ١٤٨ أَلْتَرَى إِنْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ لَا يَهْتَدِيهِمْ سَبِيلًا
- ٧٣ ١٥٠ وَالْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ
- ٧٣ ١٥١ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي
- ٧٤ ١٦٣ وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ
- ٨١٣، ٧٣٤، ١٥٧، ٢٣، ٢٠ ١٨٠ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا
- ٨١٤، ٨١٣، ٧٣٤، ٢٣ ١٨٠ وَذُرُّوا الَّذِينَ يُدْحِرُونَ فِي أَسْمَائِهِ
- ١٢٥١ ١٨٥ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
- ٢٨٨ ١٩٥ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا
- ٤٣٨، ٤٣٢، ٣٢٦، ٣٢٤ ٢٠٦ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ

٨ - سورة الأنفال

٢٢	وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا	٤٥
٧٩-٧٨	وَلَا تَنْزَعُوا فَنَفْسَلُوا	٤٦
٧٦	وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ	٤٨
٧٩٣	يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ	٦٤

٩ - سورة التوبة

١٢٦٣	وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ	٦
٢١٢	حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ	٦
٩٤٨	قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ	٢٤
١٠٢٣	أَتَّخَذُوا أَحِبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا	٣١
٣٠٦	يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى	٣٥
٣٠٦	هَذَا مَا كُنْتُمْ	٣٥
٣٨٥	إِلَّا أَنْصَرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ	٤٠
٣٨٥	إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ	٤٠
٢٦	لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَعْرَاضًا أَوْ مَدْخَلًا	٥٧
٧٦٠	نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهِمْ	٦٧
١٢٦٢	وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ	٧٢
٥٩١، ٢٣٠، ٧٧، ١٠	يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ	٧٣
٦٤٦	وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ	٧٤
٢٦	وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ	٨١

سورة التوبة

١٠٧٠	وَالسَّامِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ	١٠٠
١٦	وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ	١٠٥
٩٢١	أَفَمَنْ آتَسَرَ بِنَفْسِهِ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ	١٠٩
٩٨٥	﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ	١١١
٧٩٣	فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ	١٢٩
١١١٦، ٢٠٢	وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ	١٢٩

١٠- سورة يونس

١١٥٥	وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ	٢٥
١٢٤٩، ١٢٤٧، ٣٣٧، ٣٣٦	﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾	٢٦
٩٣٥	بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ	٣٩

١١- سورة هود

٤٨٨، ٤٧٥، ٢٧٦	الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ	١
١٠٤١، ١٠٤٠	وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ	٧
١٠٤١، ١٠٤٠، ٢٦٤	وَكَاتَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ	٧
٤٠٢	مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ	١٥
٤٠٢	أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ	١٦
٥٠٠	يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	٩٨
١٠٩٠	إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ	١٠٧

١٢- سورة يوسف

٤٥٧	٤	إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا
١٢٨٨	٥٣	إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمْتُ ^٤
١٣٢٥	٨٢	وَسَّئِلُ الْقَرْيَةِ
٨٧	٨٣	فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ^٥
٨٧	٨٦	إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرِّيَّ إِلَى اللَّهِ
٤٥٧	١٠٠	وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ^٦
١٣٤٢، ٤٧٣، ٤٥٧	١٠٠	وَقَالَ يَتَابَتَ هَذَا تَوَلَّىٰ رَبَّيَ

١٣- سورة الرعد

٤٤٠	٤	وَزَرْعٌ وَيَنْجِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرُ صِنَوَانٍ
٤٣٠	٩	الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ
٧١١	١٦	اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
٧٩١	١٦	وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ
٩٨٢	٢٨	الَّذِينَ آمَنُوا وَنَطَمَنُوا فُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ

١٤- سورة إبراهيم

١٩٢	١	الرَّكِيبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
٧٨٧	٧	وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ^١
٣٠	٢٤	ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
٣٠	٢٥	تُؤْتِي أَكْثَرَهَا كُلِّ حِينٍ يَا ذُنُوبَكُمْ
٧٨١	٤٢	وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ^٢
٥٣	٤٨	يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ^٣

١٥- سورة الحجر

٧١٧،٥٧٦،٤٩٤،٢٥٢،١٦٨	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ	٩
٩١٨،٤٣	قَالَ رَبِّ إِنِّي مَأْغُوبٌ	٣٩
١١٥٨	لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ	٤٤
٢٣	لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ	٧٢
٦١٦	الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ	٩١
٦١٦	إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ	٩٥

١٦- سورة النحل

٣١٤	يُنزِلُ الْمَلَكُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ	٢
٣٧٦	وَعَلَّمَتِ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ	١٦
٧٦٧	وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ	١٩
٢٨٧	أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ	٢١
١٢٨٤	أَدْخِلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ	٣٢
٣٤٥	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا	٣٦
١١١٣،٧٦٣،٤٢٩،٣٠٠	يُخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ	٥٠

١٧- سورة الإسراء

١١١٤،٣١١	سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا	١
٦٧٢	وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَقًّا نَبْعَثُ رَسُولًا	١٥
٩٥٦	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾	٢٣
٢٦٦	وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ	٣٦
٧٨٤	وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ	٦٧

سورة الإسراء

٤٥٣	أَقْرَبَ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ	٧٨
٣١٠	وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا	٧٨
٤٥٣، ١١٠	عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا	٧٩
٧١٥	وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ	٨١
١٠٠٩	وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ	٨٢
٤٥	لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءَ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ	١٠٢
٤٠٧	وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا	١١١
٧٥٩، ٤٠٧	وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِثْرًا مِمَّنْ الذَّلِيلِ	١١١

١٨ - سورة الكهف

١٤٦	لِنَسَبِلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا	٧
١١٥٨	سَبْعَةٌ وَثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ كَلِّمُهُمْ	٢٢
١٢٤٤	أَمْوَالٌ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا	٤٦
٢٨٦	وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا	٤٩
١٣٢٥	فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ	٧٧
٧٧٠، ١٥٦	قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي	١٠٩

١٩ - سورة مريم

١٩١، ١٨٩، ١٢٦	وَتَذَيَّبْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ	٥٢
٧٦٠	وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا	٦٤
١٠٨٩، ١٠٠٠	هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا	٦٥

٢٠- سورة طه

١٠٦١، ٨٨٠، ٥٦٤، ٥١١، ٥٠٥، ٤٩٦، ٣٥٧	٥	الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
٧٦٧، ٦٦٦، ١٤٧	٧	وَإِنْ نَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى
١٨٩، ١٧٧	١٢	إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاسْخَعْ نَعْلَيْكَ
١٨٩	١٤	فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي
٣٤٠	٤٩	فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَى
٣٤٠	٥٠	قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ
٤٣٩، ٣٢٠	٧١	وَلَا صَلَبَتْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ
١٠٠، ٧٠	٨٨	هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسَى
١١١٠، ٧٠	٨٩	أَفَلَا يَرُونَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا
٧٣	٩٤	قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي
٩٨٨	١٢١	وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى
٩٨٨	١٢٢	ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى
١٠٠٥، ٢٧١، ٨٣	١٢٣	فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى
٢٧١	١٢٤	وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا

٢١- سورة الأنبياء

١٨٠	٢	مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ
٨٨٩، ٧١٧	١٨	بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ
٤٣٢	١٩	وَمَنْ عِنْدَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
٧٣٦	٢٢	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا
٣٤٥	٢٥	وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ
١٥٧	٦٩	قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا

سورة الأنبياء

٧٣٣	أَيُّ مَسَّئِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ	٨٣
١١٠	وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا	٨٧
٧٣٣، ١١٠	فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ	٨٧
١١٣٠	إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ	٩٠
١٢٩	يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ	١٠٤

٢٢- سورة الحج

١٢٢٤	خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ	١١
٨٦٠	﴿ هَذَا نِ حَصَمَانِ أَخْصَمُوا فِي رِيهِمْ ﴾	١٩
٨٦٠	إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ	٢٣
١٢١٢	وَلِبَاسُهِمْ فِيهَا حَرِيرٌ	٢٣
٩٦٧	وَلَيَطُوفُنَّ بِأَبْوَابِ الْعَرِيقِ	٢٩
٩٢٨	وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ	٤٠
٧٧١	إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ	٤٠
١٠٠٩	فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ	٤٦
٧٩١	ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ	٦٢
٩٧٤	اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ	٧٥

٢٣- سورة المؤمنون

١١٨٦	قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ	١
٩٢٠	كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ	٥٣
٢٥٦-٢٥٥	مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ	٩١

سورة المؤمنون

٤٠٦	سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ	٩١
٢٥٦	عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ	٩٢
١٨٩، ١٨٨	أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تَكْلِمُونَ	١٠٨
٨٨٢، ٧٥٩	أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا	١١٥

٢٤- سورة النور

٨٠٠	﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٣٥
٨٠١	مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْقَا ذَرَّةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ	٣٥
٧٩٩	يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ	٣٥
١٢٧١	رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ	٣٧
١٢٩٧، ٦٧٧، ٤٨٨	كِرَامٍ بَقِيعةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً	٣٩
٨٣	إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ	٥١
٩٧١، ٩٥٥، ٩١١	فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ	٦٣

٢٥- سورة الفرقان

١١	يَنبَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا	٢٧
١١	يَنبُولَقِي لِيْتَنِي لَمْ أَخُذْ	٢٨
١١	لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ	٢٩
٩٠٢	وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ	٣٣
٨٣٩، ٢٥، ١٠	فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا	٥٢
٧٣٧، ٤٠٩، ١٥١	وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ	٥٨
٥١٠	أَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا	٥٩

٢٦- سورة الشعراء

٣٨١، ١١٩	٢٩	قَالَ لَيْنٍ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ
١١١١، ١٩٦	١٩٢	وَأَنَّهُ لَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ
١١١١، ١٩٦	١٩٣	نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ
١١١١، ١٩٦	١٩٤	عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ
٤٧٥، ١٩٦	١٩٥	بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ
٨٨١	٢٢٤	وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ

٢٧- سورة النمل

٥٠٨	٢٣	وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ
٣٣١	٦١	أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا
٧٨٤	٦٢	أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
٥٥	٨٨	وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً
٧٧٣	٨٨	صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ

٢٨- سورة القصص

٥١٢، ٥٠٧	١٤	وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ
٧٨٥	١٥	فَاسْتَغْنَىٰ الَّذِي مَنِ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مَنِ عَدُوُّهُ
٣٨٨	٣٨	يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي
٣٨٨، ١٣٨، ١٣٦، ٤٥	٣٨	مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي
٥٠٠، ٣٨٨، ٣٧٦	٤١	وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى الْتِكَارِ
٤٤٤	٥٠	فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ
٩٨٦، ١٨٨	٦٥	وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ

سورة القصص

- ٧٧ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ١٣٢٦
٧٨ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ١٣٦

٢٩- سورة العنكبوت

- ٤٣ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ٢٨، ١٦
٤٩ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ ٢١٢
٦٤ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْخَيْرَانُ ١١٥٠، ٩٧٣، ١٨٨، ١٤٩

٣٠- سورة الروم

- ١٥ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ١٢٠٢
٢٨ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ٢٩
٣٠ فِطَرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ٢٩٨
٤٧ فَأَنقَضْنَا مِنَ الَّذِينَ آجَرْتُمْ ٨٠٩
٤٧ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ٧٨٨، ٣٥٢، ٨٩
٥٥ وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُقَسِّمُ الْمُجْرِمُونَ ١٠٠٤

٣١- سورة لقمان

- ٢-١ أَلَمْ يَكُن لَّكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ١٩٣
٢٧ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ ٧٧٠
٣٤ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ١٤٨

٣٢- سورة السجدة

- ٢-١ أَلَمْ تَرَ أَنزَلْنَا الْكِتَابَ لَا رَبِّبَ فِيهِ ١٩٣
٥ يَذَّبُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ٣٠٤

سورة السجدة

١١٨٨	فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ	١٧
٨٠٩	إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقَمُونَ	٢٢
٨٥٢	وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ يَا مَعْزِلُ مَا صَبَرُوا	٢٤

٣٣- سورة الأحزاب

١٩٥	وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ	٤
٤٤٨	إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ	١٠
١١٤٤	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ	٢١
٢٢	وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ	٣٥
٩٤٦-٩٤٥	وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا	٣٦
١١٠٨، ٨٠١	يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا	٤٥
١١٠٨، ٨٠١	وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا	٤٦
٧٨١	وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا	٥٢
٦٩٩	وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا آيَاتِهِ	٥٣
	مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا	

٣٤- سورة سبأ

١٩٠	حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ	٢٣
٧٩٥	وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ	٢٦

٣٥- سورة فاطر

٧٣٢	أَفَمَن زِين لِّهِمْ سِوَىٰ عَمَلِهِمْ فَرَّاهُ حَسَنًا	٨
٧٦٣، ٥٣٧، ٤٣١، ٣٠٩	إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ	١٠

سورة فاطر

٣٨	﴿بَيَّأَهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾	١٥
٩٧٨	وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ	١٨
٩٨٠	إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ	٢٨
٧٧٩	وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا	٤٥

٣٦- سورة يس

١٩٣	يَس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ	٢-١
٣٣١	وَالشَّمْسِ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا	٣٨
١٢٣٠	إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكَهُونٍ	٥٥
١٢٦٣	سَلِّمٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ	٥٨
١٢٦١، ٧٧٠، ١٥٦	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا	٨٢

٣٧- سورة الصافات

١١	﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾	٢٢
٨١٥	أَبِنَا لِنَارِكُوا إِلَهَتَنَا	٣٦
١٢٠٦	لَذَّةٍ لِلشَّرْبِ بَيْنَ	٤٦
١٢٠٦	لَا فِيهَا عِوَالٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفِقُونَ	٤٧
٢٠٠، ١٤٩	وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ	٩٦
١١٠	فَاللَّقْمَةُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ	١٤٢
٩٩٦، ٦٧٧، ٢٣٧	وإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ	١٧٣

٣٩- سورة الزمر

٤٣٠	تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ	١
-----	---	---

سورة الزمر

٦٧٦	أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ	٢٢
٢٨	ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ	٢٩
٦٨٩	إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ	٣٠
١٢٧٣	اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا	٤٢
٨٣٥	وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ	٤٥
١٤٨	اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ	٦٢
٥٨١، ١٢٧، ٥٣	وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	٦٧
٦٩٠	وَيُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ	٦٨
٦٠	ثُمَّ يُنْفِخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ	٦٨
٨٠٠، ١٢٩	وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ سُبُورِ رَبِّهَا	٦٩
١١٥٨	حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا	٧٣

٤٠ - سورة غافر

٦٩٠	قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أُنثَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أُنثَيْنِ	١١
٤٣٠	فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ	١٢
٣١٧	رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ	١٥
٢٥٦	لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ	١٦
٧٦٠	لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ	١٧
١١٦٦، ٧٦٧	يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ	١٩
٥٠٠	ذُرِّيَّةَ أَقْتُلَ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ	٢٦
٥٠٠	إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ	٢٦

سورة غافر

٤٩٨، ٣٨٧	أَبْنِي لِي صَرَخًا لَعَلَّيْ أَتْلُغُ الْأَسْبَابَ	٣٦
٥٠١، ٤٩٨، ٣٨٧، ٤٥	أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى	٣٧
١٠٧٣	فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ	٤٤
٨٩	إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا	٥١

٤١- سورة فصلت

٥١١، ٥٠٦	ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ	١١
١٣٠٦، ١٢١	لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالغَوَا فِيهِ	٢٦
٦٠	إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُجِي الْمَوْتِ	٣٩
٨١٤، ٨١٣، ٧٨١	إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا	٤٠
٢٧٦، ٢٣٧	لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ	٤٢
٩٠	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا	٤٦
٧٦٠	وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ	٤٦

٤٢- سورة الشورى

١٩٣	٣-١ حمّ ١ عسق ١ كذلك يُوحىٰ إِلَيْكَ	
٤٣٠	وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ	٤
٤٣٣	تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ	٥
٣٩١	وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ	١٠
٢٨١	فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ	١١
٨٨٣، ٤٩٥، ٢٣١، ١٥٣، ١٢	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ	١١
١٣٣٢، ١٠٨٩، ١٠٣٧، ١٠٠٠، ٩٤٠، ٩٠٦		

سورة الشورى

٨٤٢	﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا	١٣
١٩٧، ١٩٦، ١٦٥	﴿ وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا	٥١
١٢٨٩	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا	٥٢

٤٣- سورة الزخرف

١٩٢	٢-١ حَمْ وَإِلِكْتَبِ الْمِينِ	
٥٠٦	لِنَسْتَوِرَ عَلَى ظُهُورِهِ	١٣
١١١٨، ٢٨٧	وَجَعَلُوا لَهُمْ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا	١٥
٤٠٣، ١٢١	بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ	٢٢
١١٣٠	الْأَخِلَاءِ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ	٦٧
١٢٠٧	يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ	٧١

٤٥- سورة الجاثية

٩٨٤	٢١ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ	
٩٧٥	أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ	٢٣
١١٢١	مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا	٢٤
١١٢١	وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ	٢٤

٤٦- سورة الأحقاف

٦٩٧	٥ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ	
١٠٠٤	فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ	٣٥

٤٧- سورة محمد

٩٢٨	٧	إِنْ نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ
١٢٠٥	١٥	فِيهَا أَنْهَرُ مِنْ مَاءِ غَيْرِ عَسِينٍ
١٠٠٩	٢٤	أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ
٨٩٦، ٢٧٢	٣٨	وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ

٤٨- سورة الفتح

٩٤٤	٩	لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ
٢١٢	١٥	يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ
٥٠٦	٢٩	فَأَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ

٤٩- سورة الحجرات

٩٦٦، ٦٩١	٢	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ
٨٩٢	٧	وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلَيْمِنَ
١٢٤٦	١٣	إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ

٥٠- سورة ق

٥١	٤	قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ
١٤٧	١٦	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ
١٢٦٥، ١٢٤٩، ١٢٣٩، ١١٧١	٣٥	لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ
٤٠٩	٣٨	وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ

٥١- سورة الذاريات

٩٢٩	٥٠	فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرِيمٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ
٩٢٩	٥١	وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ

٥٢- سورة الطور

٧٩٤	إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ	٢٨
١١٢١	أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ	٣٥
١١٢١	أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ	٣٦
٤٠٦	سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ	٤٣

٥٣- سورة النجم

١٣٣٧، ١٣٣٥، ١٠٣٤، ٩٤٥، ٤٠٠، ٣٢٠	وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ	٣
١٣٣٧، ١٣٣٥، ٤٠٠، ٣٢٠	إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ	٤
٣١١	عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ	٥
٣١١	ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ	٦
٣١١	وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ	٧
١١١٤، ٣١١	ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ	٨
١١١٤، ٣١١	فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ	٩

٥٤- سورة القمر

٩١٢	أَبشَرَ مَنَّا وَحَدًّا نَنْبَعُهُ	٢٤
-----	------------------------------------	----

٥٥- سورة الرحمن

٧٣٠	وَسِعَ وَجْهَ رَبِّكَ	٢٧
١١٨٧، ٧٣٧	يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ	٢٩
٥٦	فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءَ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ	٣٧
١١٨٤، ١١٨٢	وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ	٤٦

سورة الرحمن

١١٨٤، ١١٨٢	ذَوَاتَا أَفْتَانٍ	٤٨
١٢٢١، ١٢٢٠	فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْظُرْفِ	٥٦
١٢٣٤	لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِنَّسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ	٥٦
١١٨٤، ١١٨٢، ٨٣٤	هَلْ جَرَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ	٦٠
١١٨٤، ١١٨٢	وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ	٦٢
١١٩٣	فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ	٧٠
١٢٢١، ١٢٢٠، ١١٩٢	حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْبُيُوتِ	٧٢

٥٦- سورة الواقعة

٥٥	فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا	٦
١١٦٨، ١١٤٢	وَالسَّيْفُونَ السَّيْفُونَ	١٠
١١٦٨، ١١٤٢	أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ	١١
١١٤٢	فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ	١٢
١١٤٢، ١١٤١	ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى	١٣
١١٤٢، ١١٤١	وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ	١٤
١١٤٢	وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ	٢٧
١١٩٩	وَوَظِلٌّ مِمْدُونٍ	٣٠
١٢١٤	وَفَرُشٌ مَرْفُوعَةٌ	٣٤
١٢٣٢	إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً	٣٥
١٢٣٢	فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا	٣٦
١٢٣٢	عُرُوبًا أَرْبَابًا	٣٧

سورة الواقعة

١١٤٢	ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ	٣٩
١١٤٢	وَأُثْلَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ	٤٠
٦١	وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ	٦١

٥٧- سورة الحديد

٧٨٤، ٧٦٤، ٣٢٩، ١٤٦	هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ	٣
٣٥٨	وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ	٤
١٢٥١	أَنْظُرُوا نَفْسًا مِن نُّفُسِكُمْ	١٣
٦٦٧	إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ	٢٥

٥٨- سورة المجادلة

٣٥٨	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ	٧
٢٢٧	إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	٢٢

٥٩- سورة الحشر

١٣٣٧، ٩٧١	وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا	٧
٨٩	وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	٩
٧٨	تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ	١٤

٦١- سورة الصف

٤٢٧، ٢٧٨	فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ	٥
٨٩٥	يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ	٨
٥٢٢	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدْرَكُوهُ عَلَىٰ حَرْقٍ نُّجِحًا	١٠

- ٦٣- سورة المنافقون
- ٩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
- ١٢٧١
- ٦٤- سورة التغابن
- ٢ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ
- ٦٤٢
- ١٦ فَانْفِقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
- ٧٨٣
- ٦٥- سورة الطلاق
- ١٢ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ
- ٣٢٠
- ٦٦- سورة التحريم
- ١١ رَبِّ آتِنِي بِعِنْدِكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ
- ٤٣٢
- ٦٧- سورة الملك
- ١ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ
- ٤٣١
- ٢ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ
- ١٢٨٠
- ٢ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
- ١٤٦
- ١٣ وَأَيُّكُمْ أَقْوَمُ أَوْ أَجْهَرُ أَوْ يَهْدِي
- ٧٦٧
- ١٦ ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ
- ٥٨١، ٤٣٩، ٤٣١، ٤١٦، ٣١٩
- ١٧ أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا
- ٤٣١، ٣١٩
- ٢١ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْفُكُنَّ إِنِ أَمْسَكَ رِزْقَهُ
- ٧٩٦
- ٦٨- سورة القلم
- ٣٥ أَفَنَجْعَلُ السَّيِّئِينَ كَالسَّيِّئِينَ
- ٤٦٣
- ٣٦ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ
- ٤٦٣
- ٤٢ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ
- ٨٨٩، ١٢٩

٦٩- سورة الحاقة

١١٩٦	قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ	٢٣
٥٤٣، ١٥٨	إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ	٤٠
٥٤٣	وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ	٤١

٧٠- سورة المعارج

٣١٧	مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ	٣
٥٦٥، ٥٣٧، ٤٤٧، ٣٠٤، ٣٠٣	تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ	٤
١١١٢، ٧٦٣		
٣٠٦	فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ	٤

٧٢- سورة الجن

٢٨٧	مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا	٣
١٥٧	وَأَنْتَهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالِهِ مِنَ الْجِنِّ	٦
٦٩٧	فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا	١٨

٧٣- سورة المزمل

٥٥	وَكُنْتَ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلاً	١٤
٤٣٣	السَّمَاءُ مَنقُطِرٌ بِهِ	١٨
٤٣٢	وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ	٢٠

٧٤- سورة المدثر

١٠٧٨	وَالرَّجْرَ فَاهْجُرُ	٥
١١٠٩، ٦٨١، ١٦١	إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ	٢٥

٧٥- سورة القيامة

٥٦	فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ	٧
٥٦	وَحَسَفَ الْقَمَرُ	٨
٥٦	وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ	٩
١٢٥٠، ١٢٤٧، ٥٤١	وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ	٢٢
١٢٥٠، ١٢٤٧، ٥٤١	إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ	٢٣

٧٦- سورة الإنسان

٢٨١	هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ	١
١١٩٩	لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا	١٣

٧٨- سورة النبأ

٩٨٦	إِلَّا مَن أَدْنَىٰ لَهُ الرِّجْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا	٣٨
-----	---	----

٧٩- سورة النازعات

٧٤٨، ٢٠١، ١٣٦، ١٠٠	أَنَارَ رِجْمِكُمُ الْأَعْلَىٰ	٢٤
--------------------	--------------------------------	----

٨٠- سورة عبس

٢١٢	كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ	١١
٢١٢	فَمَن شَاءَ ذَكُرْهُ	١٢
٢١٢	فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ	١٣
٢١٢	تَمْرُوقَةٍ مُّطَهَّرَةٍ	١٤
٢١٢	بِأَيْدِي سَفَرَةٍ	١٥
٢١٢	كِرَامٍ بَرَرَةٍ	١٦

٨١- سورة التكوير

٥٥	وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ	٦
١١	وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ	٧
٣٢٥، ١٦٦	إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ	١٩
٣٢٥، ١٦٦	ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ	٢٠
١٦٦	مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ	٢١
١٦٦	وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ	٢٢
١٦٦	وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ	٢٣
١٦٦	وَمَا هُوَ عَلَى الْعَيْبِ بِضَهِينٍ	٢٤
١٦٦	وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ	٢٥
١٦٦	فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ	٢٦

٨٢- سورة الانفطار

٥٦	وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَهَرَتْ	٢
٥٥	وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ	٣

٨٣- سورة المطففين

٤٤٤	وَتِلْكَ لِّلْمُطَفِّفِينَ	١
٤٤٤	الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ	٢
٤٤٤	وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ	٣
١١٧	كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ	٧
١٢٥١، ١٢٤٧، ٦٢١، ٥٤١	كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ	١٥

سورة المطففين

١٢٥٢	فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ	٣٤
١٢٥٣، ١٢٥٢	عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ	٣٥

٨٥- سورة البروج

٥٨٦	وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ	٨
٧٨٦	وَهُوَ الْعَفْوَورُ الْوُدُودُ	١٤

٨٧- سورة الأعلى

٤٣٠	سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى	١
٨٦٦	يَعْلَمُ الْغُيُوبَ وَمَا يُخْفَى	٧

٨٩- سورة الفجر

١٠٦٦، ٨٨٩، ٤٣٤، ١٣٠	وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا	٢٢
---------------------	---	----

٩٨- سورة البينة

٢١٣	رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً	٢
٢١٣	فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ	٣

٩٩- سورة الزلزلة

٥٤	وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا	٢
٥٤	يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَعْيُنَهَا	٤

١٠٩- سورة الكافرون

١١٢٥	قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ	١
------	---------------------------------	---

١١٠- سورة النصر

٤٧٢

١ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ

١١٢- سورة الإخلاص

١١٢٥، ٨٧٢

١ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

١١١٩، ٤٠٨

٣ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ

١١١٩، ١٠٨٩، ٧٥٩

٤ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ

١١٤- سورة الناس

٩٣٠

٤ أَلَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ

فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
٧٨٨-٧٨٧	معاذ بن جبل	أتدري ما حق الله على العباد؟ اتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها
٣١٣	ابن عباس	وبين الله حجاب
٢٤١		أجوبة ابن عباس عن آيات أشكلت
٨٣٤، ٧٨١	عمر بن الخطاب	الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه
٧٨١	عمر بن الخطاب	أخبرني عن الإحسان
١٩٠	النواس بن سمعان	إذا تكلم الله بالوحي
٧٧٦، ٥٦١	عمرو بن العاص	إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب
١٠٢٩		
٩٦٦	أبو قتادة	إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس
١٢٤٧، ٣٣٧	صهيب الرومي	إذا دخل أهل الجنة الجنة
١٢٥٧		
١١٨٣، ١١٥٧	أبو هريرة	إذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس إذا صار أهل الجنة إلى الجنة،
١٢٧٤	ابن عمر	وأهل النار إلى النار
٦٩٨	عبد الله بن مسعود	أرواح الشهداء في جوف طير خضر
٧٣٤	عبد الله بن مسعود	أسألك بكل اسم هو لك
١٠٣٨	أبو بكره نفيح بن الحارث	الإشراك بالله، وعقوق الوالدين

- أعتقها فإنها مؤمنة
معاوية بن الحكم ٣٣٩، ٤٤١،
١٠٩١
- أعيدوه إلى الأرض
البراء بن عازب ١١٦
- أقريء أمتك السلام وأخبرهم
عبد الله بن مسعود ١٢٨٢
- اكتبوا كتاب عبدي في عليين
البراء بن عازب ١١٦٤-١١٦٥
- ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟
أبو واقد الليثي ٧٧٨
- ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء
أبو سعيد الخدري ٣١٩، ٤٥٢
- ألا فلا تتخذوا القبور مساجد
جندب بن عبد الله ٩٥٢، ٩٥٩
- ألا هل بلغت
جابر بن عبد الله ٣٢٧، ٤٣٨،
١١١٥
- ألا وإن في الجسد مضغة
النعمان بن بشير ١٢٠٣
- ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور
أبو بكرة ١٠٣٨
- الآن يا عمر
عبد الله بن هشام ٩٤٨
- الذين يصلحون إذا فسد الناس
سهل بن سعد ١١٤٣
- الذين يصلحون ما أفسد الناس
عمرو بن عوف ١١٤٣
- اللهم اشهد
جابر بن عبد الله ٣٢٧، ٤٣٨،
١١١٥، ٥٦٦
- اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء
أبو هريرة ٣٢٩
- اللهم إنك عفوّ تحبّ العفو
عائشة ٧٧٣-٧٧٤
- اللهم إنني أستخيرك بعلمك
جابر بن عبد الله ٧٧٣
- اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل
عائشة ٤٢٨

- ٤٧٣ ابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل
- ٩٥٨ أبو هريرة اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد
- ٧٦٩ عبد الله بن أبي أوفى اللهم لك الحمد ملء السماء وملء الأرض
- ١١٦٢ أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة
- ١٥٢ أسماء بنت يزيد أن اسم الله الأعظم
- ٧٦٦ عبد الله بن مسعود إن الله جميل يحب الجمال
- ٧٧٨ سلمان الفارسي إن الله حَيٌِّّ كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه
- ٧٨٣ عبد الله بن مغفل إن الله رفيق يحب الرفق
- ٦٨٢ أوس بن أبي أوس إن الله عز وجل حَرَمَ على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء
- ١٠١٥ أبو ثعلبة الخشني إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها
- ٤٣٧ ، ٣٢٤ أبو هريرة إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق
- ٧٩٩ ، ٧٣٧ أبو موسى الأشعري إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام
- ١١٨٦ إن الله لما خلق جنة عدن بيده
- ٢٧٣ أبو هريرة إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة
- ٨٨٨ ، ١٢٨ عبد الله بن مسعود إن الله يجعل السموات على إصبع
- ١٠٦٦
- ٤٥٣ ، ١٢٦ مجاهد أن الله يجلس محمداً على العرش
- ٨٨٨ ، ١٢٨ عبد الله بن مسعود إن الله يضع الأرضين على إصبع
- ١٢١٥ - ١٢١٦ أبو هريرة إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين

- ١٢٤٢ أبو ززين العقيلي إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد
- ١١٦٨ أبو هريرة إن أول زمرة يدخلون الجنة
- ٢٦٤ عبادة بن الصامت إن أول ما خلق الله القلم
- ٧٧٨ أبو واقد الليثي أن ثلاثة دخلوا المسجد
- ١٠٨٧ عبد الله بن مسعود إن الحمد لله، نستعينه ونستغفره
- ٨٠٠ ابن مسعود إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار
- ١٢٥٥ أبو هريرة إن ربي قد غضب غضباً
- ٥٠٩ أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ سأل ابن صياد «ما ترى»
- أن رسول الله ﷺ كان يوتر بـ (سبح اسم ربك الأعلى) و (قل يا أيها الكافرون) و (قل هو الله أحد)
- ١٢٢٥ أبي بن كعب أن سورة البقرة وآل عمران تأتيان كأنهما غمامتان
- أبو أمامة الباهلي ١٢٧٦-١٢٧٧،
- ١٢٧٩
- ٤٣١ أبو هريرة إن سورة من القرآن ثلاثون آية
- ٤٤٣، ١٢٧ جبير بن مطعم إن العرش ليثبط به أطيظ الرجل بالراكب
- ١١٩١ علي بن أبي طالب إن في الجنة غرفاً ترى ظهورها من بطونها
- ١١٨٢، ١١٥٧ أبو هريرة إن في الجنة مئة درجة
- ١٢٨ عبد الله بن عمرو إن قلوب العباد بين أصبعين
- ٨٨١ عبد الله بن عمر إن من البيان لسحراً
- ٧٠١ أبو هريرة أن الميت إذا وضع في قبره
- ٤٥٧ معاوية بن أبي سفيان إن هذه الأمة ستفترق

- ٩٤٤ أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما أنس بن مالك
- ١٢٧٩ ، ١٢٧٤ أنا الذي أسهرتُ ليلك بريدة بن الحصيب
- ١٠٩ أنا سيد ولد آدم ولا فخر أبو سعيد الخدري
- ٣٤٧ الأنبياء إخوة لِعَلَّات أبو هريرة
- ٧٦٤ ، ٣٢٩ ، ٢٨٠ أنت الأول فليس قبلك شيء أبو هريرة
- ٣٣٢ ، ٣٣٠ ، ٣٢٩ أنت الظاهر فليس فوقك شيء أبو هريرة
- عبد الله بن عدي إنك لأحب البلاد إليَّ
- ٩٦٤ ابن الحمراء الزهري
- ٦٢١ إنكم ترونه كذلك أبو هريرة
- ١٠٢٨ إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت قُتَيْلَة بنت صيفي
- ٣٣٦ ، ١٣٠ ، ٣٣٦ إنكم سترون ربكم جرير بن عبد الله
- ١٢٥٧ ، ٧٣٠
- ٥٦٦ إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟ جابر بن عبد الله
- ٩٤٣ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله عمر بن الخطاب
- ٤٤٣ إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه جبير بن مطعم
- ٨٩٤ إنه لحم جمل غث عائشة
- ٦٥٠ إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً العرباض بن سارية
- ٦٥٠ ، ٩١ إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا أبو هريرة
- ١١٦٧ أهل الجنة عشرون ومئة صف بريدة بن الحصيب
- ٨٣١ أوثق عُرى الإيمان الحب في الله البراء بن عازب
- ١١٨٠ أول من يصفحه الحق عمر أبي بن كعب
- ٣٣٩ ، ٣١٩ أين الله؟ معاوية بن الحكم
- ١٠٩١ ، ٥٦٦ ، ٤٤١ ، ٤٢٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٠

أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات

والأرض

أبو رزين العقيلي ٣٣٩ ، ٤٥٢ ،

١٠٩١

علي بن أبي طالب ١٠٥٠

أينما لقيتموهم فاقتلوهم

عمران بن حصين ٤٤٠-٤٤١

أيهم الذي تعدّ لحاجتك

عبد الله بن عمر ١١٦١

باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة

أبو هريرة ٨٢٢ ، ١١٤٢

بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً

أبو ثعلبة الخشني ١١٣٩ ، ١١٤٤

بل أجر خمسين رجلاً منكم

أبو سعيد الخدري ١١٧٠

بلى والذي نفسي بيده قوم آمنوا بالله

جابر بن عبد الله ٤٥١ ، ١٢٥٤

بيننا أهل الجنة في نعيمهم

أبو هريرة ١٢١٥ ، ١٢١٦

تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الضوء

أبو سعيد الخدري ٥٠٩

ترى عرش إبليس على البحر

أبو سعيد الخدري ١١٧٠

تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم

أبو هريرة ١١٦٩

ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري

حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات

أبو موسى الأشعري ٧٩٩

وجهه

علي بن أبي طالب ٤٢١ ، ٧١١

حدّثوا الناس بما يعرفون

٦٩٨ —

حديث أرواح الشهداء

٤٤٧ ، ٣١١ —

حديث الإسراء والمعراج

٤٣٩ —

حديث الأوعال

جابر بن عبد الله ١٩١

حديث التكلم - تكلم الله جل وعلا -

٣٣٤ ، ٥٤١ ، ١٢٤٧ —

حديث رؤية الله عز وجل

١٠٧٠ ، ٧٣٤	—	حديث الشفاعة
١١٧٢	—	حديث سنّ أهل الجنة
١١٧٣	—	حديث طول قامات أهل الجنة وعرضها
٦٩٦	—	حديث عرض الأعمال على الله تعالى
٧٠٦ ، ٦٩٦	—	يوم الاثنين والخميس
٣١٢	—	حديث عرض الأعمال على الرسول ﷺ
١١٦٥-١١٦٤ ، ٤٤٩ ، ٣١٢	—	حديث فرض الصلاة
١٢٢٥	—	حديث قبض الأرواح ورفعها إلى السماء
١٢٦٥ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩	—	حديث قراءة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾
١٢٧٢	—	و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾
٤٢٢	أبو هريرة	حديث يوم المزيد
٧٠٦ ، ٦٩٦	بكر بن عبد الله	حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءين
٩١٥	عبد الله بن مسعود	حياتي خير لكم
١١٧٣	أبو هريرة	خط لنا رسول الله ﷺ خطأ
٢٧٧	عبد الله بن مسعود	خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً
٣٧٧	حذيفة بن اليمان	خيركم قرني ثم الذين يلونهم
٣١٣	ابن عباس	دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم
٦٨٠	تميم الداري	قدفوه فيها
		دعوة المظلوم ، فإنها ليس بينها وبين
		الله حجاب
		الدين النصيحة

- ٦٠٣ عبد الله بن مسعود ذاك رجل بال الشيطان في أذنه
- ٨٠١ أبو ذر الغفاري رأيت نوراً
- ٤٠١ أبو هريرة رب أشعث مرفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره
- ٤٣٩ أبو الدرداء ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك
- ٨٣١ أبو هريرة رجالان تحاببا في الله
- ٦٩١ عمر بن الخطاب رفع الصوت في المسجد
- ٤٧٢ عائشة سبحانك اللهم ربنا وبحمدك
- ٨٣١ أبو هريرة سبعة يظلمهم الله في ظلّه
- ٩٢٩ أبو هريرة سبق المُفَرِّدون
- ١١٢١ جُبَيْر بن مطعم سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور
- ٣٥١ أنس بن مالك شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي
- ١١٣٩ معقل بن يسار العبادة في الهرج كهجرة إليّ
- ١٢٦٢ صهيب الرومي عندي لكم زيادة
- ١٢٥٤ ، ٤٥١ جابر بن عبد الله فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم
- ١١٤٤ ، ١١٣٩ أبو ثعلبة الخشني فإن من ورائكم أيام الصبر
- ١٢١٧ أبو هريرة فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل
- ١١٥٩ سهل بن سعد في الجنة ثمانية أبواب
- ١٢٢٥ — قراءة (قل يا أيها الكافرون)
- ١٢٧٩ أبو مالك الأشعري و(قل هو الله أحد)
- ٤٤٦ — القرآن حجة لك أو عليك
- قصة عبد الله بن رواحه مع زوجته

١٠٢٨	قتيلة بنت صيفي	قولوا: ما شاء الله، ثم شئت
٢٤٧	عمران بن حصين	كان الله قبل كل شيء
٢٨١، ٢٤٧	عمران بن حصين	كان الله ولا شيء معه
٢٤٧	عمران بن حصين	كان الله ولم يكن شيء غيره
٢٨١، ٢٤٧	عمران بن حصين	كان الله ولم يكن شيء قبله
		كان رسول الله ﷺ بعدما نزل عليه قوله
٤٧٢	عائشة	تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾
٤٥٢، ٣٣٩	أبو رزين العقلي	كان في عماء
		كان النبي ﷺ يقرأ بهما - الإخلاص
		والكافرون - في الركعتين قبل الفجر
١٢٢٥	ابن عمر	وبعد المغرب
		كان النبي ﷺ يقرأ بهما في ركعتي
١٢٢٥	جابر بن عبد الله	الطواف - سورتي الإخلاص والكافرون
٢٤١	ابن عباس	كان ولا يزال غفوراً رحيماً
٢٦٣،	عبد الله بن عمرو	كتب الله مقادير الخلائق
١٠٤١-١٠٤٠		
٥٢	أبو هريرة	كل ابن آدم يفنى إلا عَجَبُ الذنْبِ
١١٧٣	أبو هريرة	كل من يدخل الجنة على صورة آدم
		كما ترون الشمس صحواً ليس
٥٤١، ٣٣٤	أبو هريرة	دونها سحب
٩٥٧	أبو هريرة	لا تتخذوا قبوري عيداً
٩٥٩، ٩٥٢	جندب بن عبد الله	لا تتخذوا القبور مساجد

- لا تجتمع أمتي على ضلالة
 أبو بصرة الغفاري ٣٨٠ ، ٩٩٦
- لا تزال جهنم يلقى فيها
 أنس بن مالك ١٣١
- لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين
 ثوبان ٢٧٢
- لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد
 أبو هريرة ٦٨٧ ، ٩٦٢ ، ٩٦٩
- لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم
 عمر بن الخطاب ٩٤٢ ، ٩٤٩ ، ٩٥٧
- لا تفاضلوا بين الأنبياء
 أبو هريرة ١٠٩
- لا تفضلوني على يونس بن متى
 أبو هريرة ١٠٨ ، ١١٠
- لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة
 معاوية بن أبي سفيان ١٠٧٨ -
- ١٠٧٩
- لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية
 ابن عباس ١٠٧٩
- لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب
 إليك من نفسك
 عبد الله بن هشام ٩٤٨
- «لا يبغضهم إلا منافق» يعني الأنصار
 البراء بن عازب ١٠٧٠
- لا يحب الأنصار إلا مؤمن
 البراء بن عازب ١٠٧١
- لا ينبغي أن يدفن نبي إلا حيث يموت
 — ٩٦٠
- لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من
 يونس
 أبو هريرة ١٠٨
- لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من
 يونس
 أبو هريرة ١٠٨
- لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه
 من والده
 أنس بن مالك ٨٤٨

		لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا
٩٥٩	عائشة وابن عباس	قبور أنبيائهم مساجد
٤٤٨	علقمة بن وقاص الليثي	لقد حكمت فيهم بحكم الله
٧٦٩	عبد الله بن أبي أوفى	لك الحمد ملء السماء
١٢٨٤	عائشة	لن يُدخِل الجنة أحداً منكم عمَّله
١١٤٣	أبو ثعلبة الخشني	له أجر خمسين
١٣٣٧	أنس بن مالك	لو أتيتني بقراب الأرض خطايا
١١٥٣	سهل بن سعد	لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة
٣٨٤	ابن مسعود	لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً
١٢٤٥	أبو أمامة	ليس في الجنة مني ولا منية
١٠٥٠	أبو سعيد الخدري	لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد
٥٦٧	جابر بن سمرة	لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم
٥٧١	عثمان بن عفان	ما أسر رجل سريرة إلا وأبداها الله
٤٢١	عبد الله بن مسعود	ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم
١١٦١	عتبة بن غزوان	ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين عاماً
		ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة
١١٦١	معاوية بن حيدة	أربعين عاماً
٥٠٩	أبو سعيد الخدري	ما ترى؟
٨٩٤-٨٩٣	أبو أمامة الباهلي	ما ضل قوم بعد هُدًى كانوا عليه
٣٨٥	أنس بن مالك	ما ظنك باثنين الله ثالثهما
١١٩٨	أبو هريرة	ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب
		ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي
٩٦٠	أبو بكر الصديق	يحب أن يدفن فيه

٩٦٠	أبو بكر الصديق	ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض
١٠٢٤	عائشة	ما كان من شرط ليس في كتاب الله
٥٠٦	أبو ذر	ما الكرسي في العرش إلا كحلقة
١٢٩٨	ابن عباس	ما مثلي ومثل الدنيا إلا كمثل راكب
٧٠٤ ، ٦٩٥	أبو هريرة	ما من أحد يسلم عليّ
٣٠٦	أبو هريرة	ما من صاحب ذهب ولا فضة
		ما من نفس تموت وهي تشهد
١١٦٣	معاذ بن جبل	أن لا إله إلا الله
١٣١	عدي بن حاتم	ما منكم إلا سيكلمه ربه
١١٥٨	عمر بن الخطاب	ما منكم من أحد يتوضأ
١١٤٣	—	المتمسكون بسنتي عند فساد أمتي
٩٨٢	أبو موسى الأشعري	مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه
١١٤١	أنس بن مالك	مثل أمتي مثل المطر
١٠٧٥	أبو موسى الأشعري	مثل ما بعثني الله به من الهدى
٧٠٠ ، ٦٩٥	أنس بن مالك	مررت ليلة أسري بي على موسى
٧٠٢ ، ٧٠١		
١٠٢٤	عمرو بن عوف	المسلمون على شروطهم
١١٦٣	معاذ بن جبل	مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله
٨٣١	ابن عباس	من أحب في الله وأبغض في الله
٨٢٧	عائشة	من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه
٨٤٤	أبو هريرة	من أحيل على مليء فليحتل
٤٤١	معاوية بن الحكم	من أنا؟

١٢٧٨	البراء بن عازب	من أنت فوجهك الذي يجيء بالخير
٦٢٥	ابن عباس	من بدل دينه فاقتلوه
٩٦٥	سهل بن حنيف	من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء، فصلى فيه صلاة
١١٣٢	عبد الله بن عكيم	من تعلق شيئاً وكل إليه
٢٦٨-٢٦٧	أبو هريرة	من دعا إلى هدى
١٣١٤	أبو سعيد الخدري	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده
٥٦٦، ٣٤٢	البراء بن عازب	من ربك؟
٦٥١-٦٥٠	أبو الدرداء	من سلك طريقاً يلتمس
٥٧٦	عبد الله بن عمرو	من شرب منه فلا يظماً بعده أبداً
١٤٤	عائشة	من عمل عملاً ليس عليه أمرنا
١٩٢	عبد الله بن مسعود	من قرأ حرفاً من كتاب الله
١٥٧	خولة بنت حكيم	من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله
٩٦٥، ٩٦٤	عائشة	من نذر أن يطيع الله فليطعه
١٢٤٢	أبو سعيد الخدري	المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة
١١٥٩	أبو هريرة	نعم، وأرجو أن تكون منهم
١٣٢٤	ابن مسعود	نفث في روعي نهى النبي المصلي أن يرفع بصره إلى السماء
٥٦٧	جابر بن سمره	نور أتى أراه
٨٠١	أبو ذر	هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم
٨٢٥، ٧٨١	عمر بن الخطاب	هذا سبيل الله
٩١٥	عبد الله بن مسعود	هل بلغت
٤٣٨، ٣٢٧	جابر بن عبد الله	

- ٦٢١ هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب أبو هريرة
- ٦٢١ هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ أبو هريرة
- ٤٢٠ هل من داع فاستجيب له أبو هريرة
- ٦٢١ هل نرى ربنا يوم القيامة؟ أبو هريرة
- ١٢٥٩ وأسألك لذة النظر إلى وجهك زيد بن ثابت
- ٥٨٣ والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سعد بن أبي وقاص
- ٤٥٠ امرأته إلى فراشها أبو هريرة
- ٢٦٤ وكان عرشه على الماء عبد الله بن عمرو
- ٩٥٨ ولولا ذلك أبرز قبره عائشة
- ١٣١٤ وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل عبد الله بن مسعود
- ٨٩ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ابن عباس
- ٤٥١ وهو اليوم الذي استوى فيه الربُّ على العرش
- ٤٤٣ ويحك أتدري ما الله؟ أنس بن مالك
- ٥٦٣ ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل أبو سعيد الخدري
- ٧٨٩ يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا أنس بن مالك
- ١٢٧٩ يأتي القرآن يوم القيامة في صورة الرجل الشاحب
- ٤٤٠-٤٤١ يا حصين ، كم تعبد اليوم إلها؟ بريدة بن الحصيب
- ١٢٦٢ يا فلان أما تذكر يوم فعلت كذا وكذا —
- ٤٢٨ يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك أنس بن مالك
- ٣١٠ يتعاقبون فيكم ملائكة أبو هريرة

- يدخل أهل الجنة الجنة جُزْداً مُرْداً مكحليين
أبناء ثلاثين، أو ثلاث وثلاثين سنة
- ١١٧٢، ١١٧٤ معاذ بن جبل
- يدخل أهل الجنة الجنة . . . على خلق آدم،
ستون ذراعاً في عرض سبع أذرعٍ
- ١١٧٣، ١١٧٤ أبو هريرة
- يُرَدُّون أبناء ثلاثين في الجنة
- ١١٧٢ أبو سعيد الخدري
- يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار
- ٣١٠ أبو موسى الأشعري
- يسجد بين يدي ربه ويثني عليه
- ٧٣٤ أنس بن مالك
- يقبض الله الأرض، ويطوي السموات
بيمينه
- ٣٢٢ أبو هريرة
- يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل
الأوثان
- ١٠٥٠ أبو سعيد الخدري
- يكشف ربنا عن ساقه
- ٨٨٩ أبو سعيد الخدري
- يمرقون من الدين كما يمرق السهم
من الرمية
- ١٠٥١ أبو سعيد الخدري
- ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات
يبقين من الليل
- ١١٨٦-١١٨٧ أبو الدرداء
- ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة
- ٣١٤/١-٣١٥،
٤٢٠، ٤٤٥، ٤٦٦، ٥٣٧
- ١٠٦٥، ٨٨٧، ٦٥٤، ٥٦٤
- ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة
- ٧٨٤، ١٣٠ أبو هريرة
- يؤتى بالموت
- ١٢٧٦ أبو سعيد الخدري
- يئط العرش بالرحمن كما يئط الرحل
بالراكب
- ٤٤٣، ١٢٧ جبير بن مطعم

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة
الآجري، محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي، أبو بكر:	٩٩٦
آدم عليه السلام:	١٥٦، ١٨٩، ٧٤٦، ٧٧٠، ٩١٢، ٩١٧، ٩٨٧، ٩٨٩، ١١٤٦، ١١٨٤، ١١٨٥، ١٢٤٦، ١٣٠٨، ١٣٢٤.
آل سنان = سنان بن سلمان بن محمد بن راشد البصري، أبو الحسن راشد الدين:	١٣٩، ٤٢٦.
الأمدي، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، أبو الحسن، سيف الدين:	٧٢٦.
إبراهيم الخليل عليه السلام:	٣٦، ٣٨، ١٣٦، ١٥٧، ١٦٩، ٨٤٢، ٩٣١، ١٢٨١.
إبراهيم بن أدهم:	٨٤٣.
إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي:	١٢٤١.
إبليس:	٤٣، ٤٥، ٩٤، ٩٨، ١٠١، ٣٢٥، ٣٢٦، ٤٢٦، ٥٠٦، ٨٩٨، ٩١٢، ٩١٧، ٩١٩، ٩٨٨، ٩٨٩.
ابن إبراهيم = إسحاق بن إبراهيم:	١٢٤٣.
ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، أبو محمد:	٣٦٧.
ابن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث السَّجستاني، أبو بكر:	٣٦٩.
ابن أبي دُوَاد، أحمد، القاضي المعتزلي:	٣٧٠، ٣٨١، ٥٥٧.

ابن أبي زيد القيرواني المالكي، أبو محمد = عبد الله، ابن أبي زيد: ٣٦٦.
ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان، صاحب
المسند والمصنف، أبو بكر العبسي: ٣٦٨.

ابن أبي شيبة = محمد بن عثمان، أبو جعفر العبسي: ٣٦٧.
ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن النبيل أبي عاصم الضحاك بن مخلد
الشياني، أبو بكر: ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٥، ٩٩٦.

ابن أبي العز، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي: ٣٧٢.

ابن أبي قحافة = أبو بكر الصديق: ٣٨٤.

ابن أسباط، يوسف بن أسباط الشيباني: ٣٦٩.

ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار، أبو عبد الله، صاحب السيرة
النبية: ٣٠٥، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤.

ابن أصرم، خُشَيْش بن أصرم بن الأسود، أبو عاصم النسائي، مصنف كتاب
«الإستقامة»: ٣٦٨.

ابن إمامنا = عبد الله بن أحمد بن حنبل، أبو عبد الرحمن: ٤٥٣.

ابن الباقلاني = محمد بن الطيب، أبو بكر الباقلاني: ٣٧٣.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الخليم بن عبد السلام، أبو العباس، الحراني
الدمشقي، شيخ الإسلام: ١٣، ١٩، ٢٠، ٨٧، ١٦٨، ١٩٢، ٢٧٣،

٢٧٩، ٢٩٦، ٣٢١، ٣٤٤، ٣٨٠، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٨، ٤٧١، ٤٩٦، ٥٧٤،
٥٧٥، ٥٩٥، ٦٠٠، ٦٠٦، ٧٢١، ٨٥٢، ٨٦٥، ٨٦٧، ٨٦٩، ٩٢٦، ٩٤٧،

٩٩٩، ١٠٦٨، ١١٠٨، ١٣٠٦، ١٣٣٩، ١٣٤١.

ابن الجبائي، عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب، أبو هاشم البصري:

ابن جرير، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري: ٣٥٤، ٣٧٣، ٤١٥، ٤٣٣، ٤٥٦.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، أبو حاتم التميمي البُستي السُّجستاني: ٧٠٢، ٩٩٨، ١٢٣٤.

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، أبو محمد، الأندلسي: ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٤٠٣.

ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة، أبو بكر: ٣٦٢، ٣٦٣، ٩٣٩، ٩٩٨، ١٠٦١.

ابن الخطيب، محمد بن عمر بن الحسن، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي، ويقال له: ابن خطيب الري = الرازي: ٢١١، ٧٢٥، ٨٦٨، ٩٩٩.

ابن درهم = الجعد بن درهم: ١٤١.

ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن الحنبلي: ٦٥٠.

ابن رشد الثاني = أبو الوليد بن رشد.

ابن رواحة = عبد الله بن رواحة: ٤٤٥، ٧٠٨.

ابن الزاغوني، علي بن عبيد الله، أبو الحسن، الفقيه الحنبلي: ١٧٥، ١٧٦.

ابن زيد = حماد بن زيد: ٣٦٩.

ابن سبأ اليهودي: ٧٣.

ابن سبَّعين، عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر ابن سبعين الإشبيلي

المرنسي: ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٧٤٨، ٨١٦، ٨٤١.

ابن سُريج، أحمد بن عمر بن سريج، أبو العباس: ٣٧٤.

ابن سينا، الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، ويلقب بالرئيس: ٥٢،

١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠،

٢٥١ ، ٤٢٦ ، ٤٦٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٥٣٩ ، ٥٧٨ ، ٦١٤ ، ٧٤٣ ،

٧٤٤ ، ٧٤٦ ، ٨٤٠ ، ٨٤٦ ، ٨٧٠ ، ٩٤١ ، ٩٩٩ ، ١٣٢٨ .

ابن الطيب الباقلائي = محمد بن الطيب ، أبو بكر .

ابن عباس = عبد الله بن عباس .

ابن عبد البر ، يوسف بن عبد البر ، أبو عمر ، النمرى : ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٤٤٥ ،

٤٤٦ .

ابن عبد الهادي ، محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، أبو عبد الله : ٩٦٢ .

ابن عبيد ، عمرو = عمرو بن عبيد المعتزلي : ٥٨٢ .

ابن عربي ، محمد بن علي بن محمد ، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي ،

المعروف بمحيي الدين بن عربي : ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٣ ،

٢٢٤ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٧٤٨ ، ٨١٦ ، ٨٤١ .

ابن عقيل ، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل ، أبو الوفاء : ١٥٠ .

ابن العلقمي ، محمد بن أحمد (أو محمد بن محمد بن أحمد) بن علي ، أبو

طالب : ٢٥٢ ، ٤٧٠ ، ٨٤٦ ، ٨٥٧ .

ابن عمر = عبد الله بن عمر بن الخطاب .

ابن عمران = موسى بن عمران عليه السلام : ٦٦٣ .

ابن عيسى ، أحمد بن إبراهيم بن عيسى شارح نونية ابن القيم : ٢٨٩ .

ابن الفارض ، عمر بن علي بن مرشد بن علي : ٩٤ ، ٧٤٨ ، ٨١٦ .

ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٨ ،

١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٦ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٤٨ ، ٢٧٣ ، ٣٠٤ ،

٣٧٩ ، ٤٧١ ، ٤٩٦ ، ٤٩٩ ، ٥١٥ ، ٥٥٧ ، ٥٧٢ ، ٥٧٥ ، ٦٩٥ ، ٧٠٨ ،

٧٢٦ ، ٨٦٩ ، ٩٠١ ، ٨٠٣ ، ٩١٣ ، ٩٧٩ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٤٣ ،

١٠٤٤ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٧٩ ، ١١١١ ، ١٢٦١ .

ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، عماد الدين، أبو الفداء: ٢٧٣،
٣٥٤، ٤١٥.

ابن كرام، محمد: ١٨٠، ١٨٢.

ابن كلاب، عبد الله بن سعيد بن كلاب: ٣٧٣.

ابن ماجه، محمد بن يزيد، أبو عبد الله القزويني، صاحب السنن: ٤٥٢،
٩٩٨، ١١٨٠، ١٢٥٣، ١٢٥٤.

ابن المبارك، عبد الله، أبو عبد الرحمن: ٣٥٤، ٣٦٢.

ابن مريم = المسيح عيسى ابن مريم: ٥٣٧، ٩٣١، ٩٤٢، ٩٤٩، ٩٥٧.

ابن مسعود = عبد الله بن مسعود: ١٩١، ٨٠٠، ١١٦٧.

ابن المُطَهَّرِ الحَلِّي، الحسن (الحسين) بن يوسف بن علي بن المطهر
الحلي، جمال الدين: ٨٦٧.

ابن نافع، عبد الله: ٣٥٨.

ابن النبيل = ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن النبيل أبي عاصم الضحاك
ابن مخلد الشيباني، أبو بكر: ٣٦٩.

ابن نصر، أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي: ٤٦٨.

ابن هشام بن أبي عبد الله الدستواني = معاذ بن هشام.

ابن وهب، عبد الله بن وهب بن مسلم، صاحب الإمام مالك بن أنس،
القرشي المصري: ٣٦٦.

أبو أمامة صُدِّي بن عجلان: ١٢٤٥.

أبو بكر ابن أبي خيثمة، أحمد بن زهير (أبو خيثمة) بن حرب النسائي،
صاحب «التاريخ الكبير»: ٤٥٣.

أبو بكر بن الباقلاني = محمد بن الطيب: ٣٧٢.

أبو بكر بن الطيب الباقلائي = محمد بن الطيب: ٢٥٩، ٣٧٢.
 أبو بكر الصديق، عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر: ٣٣٧، ٣٥٩،
 ٣٦٠، ٣٨٤، ٣٨٥، ٤٨٥، ٥٧٧، ٦٣٢، ٦٧٤، ٦٧٥، ٨٥٣، ١١٥٩،
 ١١٧٩، ١١٨١، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٣٤٣.

أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث = ابن أبي داود: ٣٦٩.
 أبو بكر محمد بن خزيمه = ابن خزيمه، محمد بن إسحاق بن خزيمه:
 ٣٦٣.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي الشاعر: ١٢٩٤.

أبو جعفر الطبري = ابن جرير، محمد بن جرير الطبري: ٣٧٣.
 أبو جهل: ٤٣، ٤٤، ٧٥٥، ١٠٤٧.

أبو حاتم الرازي، محمد بن إدريس بن المنذر: ٣٦٧.

أبو الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل بن أبي بشر، اليماني البصري =
 الأشعري، علي بن إسماعيل: ٢٥٩، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٤، ٣٦٥، ٧٢٠،
 ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٦٣، ٩٩٩، ١٠٦٤، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨.

أبو الحسن، علي بن أبي طالب = علي بن أبي طالب: ٧٣.

أبو حنيفة، النعمان بن ثابت: ٢٣٨، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٦، ٣٧٢، ٤٨٩،
 ٦٧١، ٩٥٤، ٩٦٤.

أبو الخير، يحيى بن سالم بن أسعد بن يحيى العمراني شيخ الشافعية في
 اليمن، له كتاب «البيان» في الفقه، و«الانتصار» في الرد على القدرية:
 ٣٧٤.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: ٣٦٩، ٩٩٨، ١١٣٩.

أبو داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود: ٩٩٨.

- أبو الدرداء، عويمر بن زيد: ٦٥٠، ٧٠٧، ١١٨٦، ١١٨٨.
- أبو الربيع، سليمان بن أحمد بن علي، الخليفة المستكفي بالله، ابن الحاكم بأمر الله: ٦٠٥.
- أبو رزين العُقيلي، لقيط بن صَبْرَة: ٣٣٩، ٤٥٢، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣.
- أبو سعيد، الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي، رئيس القرامطة: ٤٢٦.
- أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك بن سنان: ٤٥٢، ١١٧٢، ١١٩٩، ١٢٤٢.
- أبو سفيان، صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي: ٢٥٤، ٤٤٧.
- أبو الشيخ بن حيان، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، أبو محمد: ٣٧٤.
- أبو الصديق الناجي بكر بن عمرو أو بكر بن قيس: ١٢٤٢.
- أبو العباس = ابن تيمية: ٣٤٤، ٣٩٤، ٨٦٧.
- أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب النسائي = النسائي: ٣٦٧.
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى التميمي البصري: ٣٥٦.
- أبو العلاء الهمداني، الحسن بن أحمد بن الحسن، الحافظ المقرئ: ٢٦٤.
- أبو علي ابن سينا = ابن سينا: ٧٤٣.
- أبو علي الجبائي، محمد بن عبد الوهاب البصري، شيخ المعتزلة: ٢٥٩، ١٠٦٤.
- أبو عوانة، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد النيسابوري الإسفراييني صاحب المسند: ٤٤٩.
- أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الطلحي الأصبهاني صاحب «الترغيب والترهيب»: ٣٧١.

أبو القاسم هبة الله بن الحسن = اللالكائي : ٣٧١ .

أبو لهب، عبد العزيز بن عبد المطلب بن هاشم : ٤٣ ، ١٠٤٧ .

أبو المعالي الجويني، عبد الملك بن أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني، إمام الحرمين : ١٠٨ ، ٥٧٢ .

أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس : ٨٤٨ .

أبو نصر = الفارابي، محمد بن محمد بن طرخان : ١٤١ ، ٥٧٨ .

أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله بن إسحاق المهراني : ٤٤٩ .

أبو هاشم الجبائي = ابن الجبائي، عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب .

أبو الهذيل العلاف = العلاف، أبو الهذيل، محمد بن الهذيل : ٤٨ ، ٢٥٨ ،

١٠٧٢ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٨١ .

أبو هريرة : ٤٢٢ ، ٤٣١ ، ١١٦٧ ، ١١٧٤ ، ١١٧٨ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ،

١٢٣٤ ، ١٢٥٤ .

أبو الوليد بن رُشد، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي،

ويلقب بابن رشد الحفيد : ٣٤٣ .

أبو الوليد، محمد بن أحمد بن رشد، الجد، جد ابن رشد الفيلسوف :

٣٤٣-٣٤٤ .

أبو اليقظان، عثمان بن عُمَيْر، وهو عثمان بن أبي حميد أيضاً البجلي :

٤٥١ .

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، صاحب الإمام أبي حنيفة : ٣٦٠ .

الأبوان، آدم وحواء : ١٨٩ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٧٧٠ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ .

الأثرم، أحمد بن محمد بن هانيء أبو بكر الأثرم، صاحب الإمام أحمد :

٣٦٨ .

أحمد بن إبراهيم بن عيسى = ابن عيسى .

أحمد بن أبي دُواد = ابن أبي دُواد، القاضي المعتزلي : ٥٥٧ .

أحمد بن حنبل الشيباني : ١١ ، ١٠٥ ، ١٥٠ ، ١٦٠ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٨٣ ،
١٨٤ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٩ ، ٢٧٩ ، ٣٥٦ ،
٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٩٢ ،
٣٩٣ ، ٤٤٩ ، ٤٦٤ ، ٤٦٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٥٢٠ ، ٥٥٧ ، ٥٨٥ ، ٥٩٨ ، ٦٧٦ ،
٧١٢ ، ٧٢٦ ، ٨٤٨ ، ٨٥٠ ، ٩٠٧ ، ٩٥٥ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٤ ،
١٠٦٧ ، ١١٠٦ ، ١١٣٩ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١٢١٠ ، ١٢٤٣ ، ١٢٥١ .

أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام = ابن تيمية : ٥٧٥ ، ٨٦٧ .

أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني = أحمد ابن حنبل .

الأخطال، غياث بن غوث بن الصلت، أبو مالك، الشاعر : ١٦٢ ، ١٦٣ ،
١١٠٤ ، ١١٠٥ .

أرسطو، المعلم الأول : ١٣٧ ، ١٤١ ، ٢١٩ ، ٥٣٩ ، ٧٤٣ ، ٨٤٠ ، ٨٤٥ ،
٩٩٩ .

إسحاق بن إبراهيم : ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ .

إسحاق بن راهوية، أبو يعقوب : ٣٦٢ ، ٥٢٠ .

إسرافيل عليه السلام : ٦٠ ، ٤٢٨ .

الأشعري، علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم، أبو الحسن :
٢٥٩ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٧٢٠ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ،
١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٨ .

الأصبهاني أبو الشيخ بن حيان = أبو الشيخ بن حيان، عبد الله بن محمد بن
جعفر بن حيان الأصبهاني : ٣٧٤ .

أفلاطون: ١٣٧، ٢١٩، ٩٤١.

أم المسيح، مريم بنت عمران: ٢٨٦، ٢٩٢، ٧٦١.

امرأة فرعون، آسية: ٤٣٢.

الأمين = جبريل عليه السلام: ٦٦٣، ١١١١، ١١١٣.

أنس بن مالك: ٧٠١.

أنس بن النضر: ١١٧٦.

الأوزاعي، عبد الرحمن بن عمرو، أبو عمرو: ٣٥٤، ٣٥٩، ١٢٠٢.

الأئمة الأربعة، أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل: ٣٥٤،

٣٩٥، ٩٩٦.

الباقلاني = محمد بن الطيب، أبو بكر: ٣٧٢.

البخاري، محمد بن إسماعيل صاحب الصحيح: ١٦٠، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٠،

١٩١، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٧، ٣٧٠، ٣٧١، ٤٥٢، ٤٩٥، ٥٢٠، ٧٠١،

٩٧٠، ٩٩٨، ١١٦١، ١٢٤١، ١٢٤٢.

البراء بن عازب: ٤٤٩.

بريدة بن الحصيب: ١١٦٧.

بشر بن غياث المَرِّيْسِي = المَرِّيْسِي، بشر بن غياث: ٥٥٧، ٨٤٧.

بشر الحافي، بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي، أبو نضر:

٨٤٣.

البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، أبو محمد، محيي السنة:

٣٠٥، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٧٤، ٤١٥.

بلقيس، ملكة سبأ: ٥٠٨.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر: ٣٥٩.

الترمذيّ، محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ، أبو عيسى صاحب الجامع: ٣٥٨،
٣٥٩، ٤٥٢، ٩٩٨، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٧٢، ١١٧٤، ١٢٠٢، ١٢٤١،
١٢٤٢، ١٢٤٣.

التَّلْمَسَانِي، العفيف التلمساني، سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي،
عفيف الدين: ٩٤، ٩٥، ٩٦.

تنكلوشا: ٨٤٥.

التمي = أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي: ٣٧١.

ثابت بن أسلم البناي، أبو محمد البصري: ٧٠٣.

الثوري، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله: ٣٥٤، ٥٢٠.

جابر بن عبد الله: ٤٥٠، ٤٥١، ١٢١٠، ١٢٥٣، ١٢٥٤.

جارية عبد الله بن رواحة: ٤٤٥، ٤٤٦.

الجبائي = أبو علي الجبائي، محمد بن عبد الوهاب.

الجبائي = ابن الجبائي، عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب، أبو هاشم.

جبريل عليه السلام: ٧٦، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٠،

١٧٢، ١٧٣، ١٧٧، ١٨٦، ١٩٠، ١٩٦، ٣٢٥، ٣٢٦، ٤٢٨، ٤٦٢،

٤٦٦، ٤٦٧، ٥٠٩، ٥٤١، ٥٤٣، ٥٦٥، ٦١٦، ٦٧٣، ٦٨١، ٧٧٠،

٨٢٥، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٧٠، ٨٨٦، ٩٢٤، ١٠٦٧، ١١٠٣، ١١٠٤،

١١٠٥، ١١١١، ١٢٦١، ١٢٦٤، ١٣٢٩، ١٣٤١.

جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل: ١١٢١.

جرير بن عبد الله البجلي: ١٢٥٧.

الجعد بن درهم: ٣٦، ٣٨، ١٤١، ٤٢٥، ٨٤٧.

جعفر بن أبي طالب: ٤٥٣، ٤٥٤.

جعفر بن حرب الهمداني : ٨٤٧ .

جعفر بن ميثر بن أحمد الثقفي : ٨٤٧ .

جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن

أبي طالب، أبو عيد الله : ٢٤١ .

الجعفران، جعفر بن حرب، وجعفر بن ميثر : ٨٤٧ .

جنكيزخان (جنكسخان) : ١١٧ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٥٢٣ ، ٦١١٣ ، ٦١١٤ ،

٦١٥ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ١٠٩٥ .

الجُنَيْد بن محمد بن الجنيد الينغداي الخزاز، أبو القاسم، الصوفي : ٨٤٣ .

جهم بن صفوان السمرقندي (الترمذي) : ٣٦ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ،

٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١٠٥ ،

١١٧ ، ١١٨ ، ١٤١ ، ١٧٩ ، ٢٢٩ ، ٢٥٨ ، ٢٧٧ ، ٣٢٢ ، ٣٥٦ ، ٣٧٦ ،

٣٨٩ ، ٣٩٥ ، ٤٢٥ ، ٤٤٢ ، ٤٦٤ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٧٨ ،

٥٩٧ ، ٦٠٧ ، ٦٤٠ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٧٢٣ ، ٧٤٢ ، ٧٥١ ، ٨٤١ ، ٨٤٧ ،

٩٢٨ ، ١٠٦٨ ، ١٠٧٢ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٦ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٨١ .

الجويني، عيد الملك بن عيد الله بن يوسف، إمام الحرمين، أبو المعالي =

أبو المعالي الجويني : ٥٧٢ ، ٥٩٥ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ .

الحاكم، محمد بن عيد الله، أبو عيد الله الحاكم التيسابوري، صاحب

«المستدرک» : ٣٦٣ ، ٤٤٩ .

الحاكم العبيدي، منصور (الحاكم بأمر الله) ابن نزار (العزير بالله) ابن معد

(المعز لدين الله) ابن إسماعيل بن محمد العبيدي القاطمي، أبو علي :

٤٢٦ .

الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد : ٤٦٠ .

- الحراني = ابن تيمية : ٣٩٣ .
- حرب بن إسماعيل الكرمانى ، أبو محمد : ٣٦٦ .
- حسان بن ثابت : ٨٩٩ .
- الحسن البصرى ، الحسن بن يسار البصرى : ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٤٦١ .
- الحسن بن علي بن أبي طالب : ٧٣ .
- الحسين بن علي بن أبي طالب : ٧٣ ، ٤٥٩ .
- الحسين بن مسعود البغوي ، محيي السنة = البغوي .
- حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي ، والد عمران بن حصين : ٤٤٠ ، ٤٤١ .
- حصين بن المنذر ، هكذا ورد في القصيدة ، وصوابه حصين بن عبيد : ٤٤٠ .
- حفص الفرد : ٨٤٧ .
- الحلاج ، الحسين بن منصور : ١٠٣ .
- حماد بن زيد بن درهم الأزدي ، أبو إسماعيل البصرى : ٣٦٩ .
- حماد بن سلمة بن دينار البصرى ، أبو سلمة : ٣٦٩ .
- حمدان قرمط : ٤٦٩ ، ٥٣٣ .
- حواء : ١٨٩ ، ٧٧٠ ، ٩٨٩ ، ١٢٤٦ .
- حيدر ، لقب علي بن أبي طالب : ٧٢ .
- خارجة بن حذافة : ٤٥٨ .
- خالد : ١١٨٠ .
- خالد بن عبد الله القسرى : ٣٦ ، ٣٨ .
- الخدرى = أبو سعيد الخدرى : ١١٧٢ ، ١١٩٩ .
- الخرقي ، عمر بن الحسين بن عبد الله ، أبو القاسم ، صاحب المختصر المشهور في مذهب الإمام أحمد : ٤٧٠ .

- الخلال، أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر الخلال: ٣٦٢، ٣٧٥.
- الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، أبو الحسن: ٤٥٤، ٧٠١.
- الدارمي، عثمان بن سعيد بن خالد، أبو سعيد صاحب المسند: ٢٤١، ٢٤٢، ٣٧٠، ٨٠٠.
- الداني، عثمان بن سعيد الداني، أبو عمرو، صاحب التيسير: ٣٧٤.
- داود عليه السلام: ١٦٩.
- داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان، الظاهري: ٢٠٩.
- درّاج بن سمعان، أبو السمح: ١٢٣٤.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين: ٢٧٣، ٤٥١.
- الذُّهلي = محمد بن يحيى الذُّهلي.
- ذو الخويصرة التميمي: ٥٦٣، ٥٦٤.
- ذو النورين = عثمان بن عفان: ٤٥٨.
- ذو النون، يونس عليه السلام: ١٠٧، ١١٠.
- الرازي، محمد بن عمر، فخر الدين، ابن الخطيب: ٢١١، ٤٩٤، ٥٣٩، ٥٧٢، ٥٩٥، ٧٢١، ٨٥٥، ٩٣٩، ٩٩٧، ٩٩٩، ١٠٦١.
- الرازيان، أبو حاتم محمد بن إدريس وابنه ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس: ٣٦٧.
- الرفاعي، أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسيني، أبو العباس: ١٠٧٢.
- رفيع بن مهران، أبو العالية الرِّياحي: ٣٥٥.
- الزراغوني، أبو الحسن عليّ بن عبيد الله بن نصر البغدادي: ١٧٥، ١٧٦.
- الزمخشري، أبو القاسم، جار الله، محمود بن عمر: ٤٩٤، ٥٧٢.
- الزهري، محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، أبو بكر: ٤٨٩.

- زهير بن أبي سُلمى: ١٤٨ .
- زهير بن حرب، أبو خيثمة النسائي: ٤٥٣ .
- زوجة عبد الله بن رواحة: ٤٤٦ .
- زيد بن أرقم: ١٢١٠ .
- السامري: ٧٠، ٧١، ١٠٠ .
- السبكي، علي بن عبد الكافي بن علي، أبو الحسن، تقي الدين: ٥٥٧، ٩٦٢ .
- سعد بن سنان، سعد بن مالك بن سنان، أبو سعيد الخدري = أبو سعيد الخدري: ١٢٤٢ .
- سعيد بن معاذ بن النعمان الأنصاري سيد الأوس: ٤٤٧، ٤٤٨ .
- سفيان: ٣٦٧ .
- سفيان بن عيينة: ٣٦٩ .
- سفيان الثوري = الثوري، سفيان بن سعيد بن مسروق: ٥٢٠ .
- سلم بن أحوز: ٣٦ .
- سلمان الفارسي، أبو عبد الله: ٤٤٨ .
- سليمان بن أحمد = الطبراني: ١٢٤٥ .
- سنان بن سلمان بن محمد بن راشد البصري، أبو الحسن، راشد الدين: ١٣٩، ٤٢٦ .
- سيويه، عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر الفارسي النحوي: ٥٠٥ .
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: ١٧٠ .
- الشافعي، محمد بن إدريس، أبو عبد الله: ١٢، ٢٧٥، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٩٧، ٤٥١، ٤٨٩، ٦٧١، ٧٢٦، ٨٥٣، ٨٧٧، ٩٥٤، ١٠١٥، ١٢٥١ .

الشحام، أبو يعقوب يوسف بن عبد الله: ٨٤٧.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشَّهْرَسْتَانِي، أبو الفتح: ٩٩٧.

الشيبياني، أبو عمرو، إسحاق بن مِرار: ٣٥٦.

الشيبياني = أحمد بن حنبل: ٢١٧، ٤٤٩، ٤٦٤، ١١٦١، ١١٦٧، ١٢١٧.

شيخ الإسلام = ابن تيمية: ٣٢١، ٥٩٥، ٦٠٠، ٦٠٦، ٧٢١، ٨٥٢،

٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٥، ٨٧٦، ٩٢٦، ٩٤٧،

٩٩٥، ٩٩٧، ٩٩٩، ١١٠٨، ١٣٠٦، ١٣٣٩، ١٣٤١.

الشيخان: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب: ٤٨٥.

الشيخان، البخاري ومسلم: ١٢٥٤، ١٢٨٣.

شيطان الطاق، محمد بن علي بن النعمان، أبو جعفر: ٨٤٧.

صاحباً أبي حنيفة: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، ومحمد بن الحسن

الشيبياني: ٣٧٢.

صدي بن عجلان، أبو أمانة الباهلي = أبو أمانة، صدي بن عجلان: ١٢٤٥.

الصَّديق = أبو بكر الصديق: ٣٨٤، ٥٧٧، ١١٧٠، ١١٨٠، ١١٨٧، ١٢٤٨.

صفوان والد الجهم: ٥٧٨.

صفي الدين ابن المطهر الحلبي الرافضي: ٨٦٧.

صلاح الدين الأيوبي، يوسف بن أيوب بن شاذي: ٧٧.

صهيب بن سنان، أبو يحيى الرومي: ١٢٤٨، ١٢٥٧.

طاووس بن كيسان: ١٢٤١.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم، الحافظ صاحب

المعاجم الثلاثة: ١٧٩، ٣٧١، ٤٥٣، ٨٠٠، ١١٨٨، ١٢٠٢، ١٢٣٥،

١٢٦٣، ١٢٤٥.

- الطبري = ابن جرير، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري: ٣٧٣.
- الطبري = اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الشافعي: ٣٧١.
- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي الحنفي: ٣٧٢.
- الظلمنكي، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله، الأندلسي الظلمنكي المالكي: ٣٧٢.
- طمطم: ٨٤٥.
- الطوسي، محمد بن محمد بن الحسن، نصير الدين الطوسي، الخوجة: ١٣٩، ١٤٠، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٤٢٦، ٤٧٠، ٨٤٦، ٨٥٧.
- عامر الأحول، عامر بن عبد الواحد الأحول البصري: ١٢٤٢.
- عائشة بنت الصديق أم المؤمنين: ٤٧٢، ٦٨٩، ٩٥٨، ٩٥٩.
- العباس بن عبد المطلب: ٤٣٩، ٦٩٢.
- عبد بن حميد: ٣٦٧.
- عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسدأبادي، أبو الحسن قاضي القضاة: ٣٤٨.
- عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله، والد شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية: ٥٧٤.
- عبد الرحمن بن القاسم: ٨٦٨، ٨٧١.
- عبد القادر الجيلاني، عبد القادر بن عبد الله، أبو محمد: ٣٤٣.
- عبد الله، ابن أبي زيد القيرواني المالكي، أبو محمد: ٣٦٦.

عبد الله بن أحمد بن حنبل: ٣٦٨، ٣٧٥.

عبد الله بن رواحة الأنصاري: ٤٤٥، ٤٤٦، ٧٠٧، ٧٠٨.

عبد الله بن الزبير بن العوام: ٤٦٠.

عبد الله بن عباس: ٢٤٠، ٢٤١، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٥٥، ٤٥٤، ٤٧٢،

٤٧٣، ٨٥٣، ١٠١٠، ١١٦٧، ١١٩٧، ١١٩٨، ١٢٠٠، ١٢٤١.

عبد الله بن عمر بن الخطاب: ٤٥٩، ٥٨٢، ٥٨٣.

عبد الله بن عمرو بن العاص: ٢٦٣، ٢٦٤.

عبد الله بن المبارك = ابن المبارك.

عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان = ابن أبي شيبة عبد الله بن

محمد.

عبد الله بن مسعود: ١٩١، ٤٢١، ٨٠٠، ٩١٥، ١١٦٧.

عبد الله بن وهب = ابن وهب: ٣٦٦.

العبيسي = محمد بن عثمان بن أبي شيبة، أبو جعفر العبيسي: ٣٦٧.

عبيد الله بن زياد: ٤٥٩.

عثمان بن سعيد الدارمي = الدارمي، عثمان بن سعيد بن خالد، أبو سعيد:

٢٤٢، ٣٧٠.

عثمان بن عفان، ذو النورين: ٧٤، ٣٨٥، ٤٥٨، ٥٧٧، ٦٣٢، ٦٧٤،

٦٧٥، ١٣٤٣.

عدنان: ٨٤٢.

عزير: ٤١٠، ٤١١.

العفيف التلمساني = التلمساني: ٩٦.

العقيلي أبو رزين = أبو رزين العقيلي، لقيط بن صبره.

عكرمة، أبو عبد الله، مولى ابن عباس: ٣٠٥.

العلاء بن عمرو: ١١٧٥.

العلاف، محمد بن الهذيل بن عبيد الله، أبو الهذيل البصري المعتزلي: ٤٨،

٢٥٨، ٨٤٧، ١٠٧٢.

عليّ الأشعري = الأشعري، علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم:

٣٦٤.

علي بن أبي طالب: ٧٤، ٤٢١، ٤٥٨، ٦٣٢، ٦٧٥، ١٠٥٠، ١٣٤٣.

عمر بن الخطاب، الفاروق: ١١، ٣٣٧، ٣٨٥، ٤٨٥، ٥٧٧، ٥٨٢،

٦٣٢، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٨٨، ٦٩١، ٨٥٣، ٩٤٨، ١١٨٠، ١١٨١، ١٣٤١،

١٣٤٣.

عمرو بن العاص: ٤٥٨.

عمرو بن عبيد المعتزلي: ٤٨، ٥٨٢، ٥٨٣.

عمرو بن عثمان بن قُتُبَر، أبو بشر الفارسي النحوي = سيبويه: ٥٠٥.

العمران: أبو بكر وعمر: ٦٧٥، ٣٣٧.

عمران، والد موسى عليه السلام: ٧٢، ٧٣، ١٦٠، ٥٠٠، ٦٦٣، ٩٣١.

عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أبو نُجيد: ٢٤٧، ٢٨١.

عيسى ابن مريم عليه السلام = المسيح: ١٦٩، ٣١٢، ٦٦٢، ٨٤٢، ٩٣١،

٩٤٢، ٩٤٣، ١١٠٥، ١١٥٤، ١٢٤٦.

غازان، أحد ملوك التتر الغزاة: ١٣١٢.

الفارابي، محمد بن محمد بن طرخان، أبو نصر، ويعرف بالمعلم الثاني:

١٤١، ٢١٩، ٢٢٣، ٥٣٩، ٥٧٨، ٨٤٠، ٨٤٥، ٩٤١، ٩٩٩.

الفاروق = عمر بن الخطاب: ٥٧٧، ٦٨٨، ١١٨٠.

فاطمة الزهراء: ٧٣.

فتى عثمان = أبو بكر الصديق، عبد الله بن عثمان بن عامر: ٣٨٤، ٣٨٥.

فخر الدين الرازي = ابن الخطيب، محمد بن عمر.

الفخر الرازي = ابن الخطيب، محمد بن عمر: ٨٦٨.

فرعون: ٤٥، ٩٨، ٩٩، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ٢٠١، ٣٨١، ٣٨٧، ٣٨٨.

٣٨٩، ٣٩٠، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٦٦٤، ٧٤٨، ٨٢١.

٩٣٣، ١٠٩٥، ١١٢١.

الفضيل بن عياض: ٨٤٣.

فنحاص اليهودي: ٤١٠.

قارون: ٤٥، ١٣٦.

القاضي الهمداني = عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسدي،

أبو الحسين: ٣٤٨.

قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب: ٣٠٥.

القحطاني، عبد الله بن محمد، أبو عبد الله، الأندلسي، صاحب النونية:

٢١٥، ١١١١.

القرمطي الجنابي = أبو سعيد، الحسن بن بهرام، كبير القرامطة.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، أبو القاسم: ٨٦٩.

قُطر بن عبد الله المعزي، سيف الدين: ٨٥٧.

الكرخي، عبيد الله بن الحسين: ٣٦٦.

الكرماني = حرب بن إسماعيل الكرماني، أبو محمد: ٣٦٦.

الكلبي، محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر الكوفي: ٣٥٥.

الكليم = موسى بن عمران: ١٨٩، ٥٦٨، ٦٦٣، ١٢٦٤، ١٣٤٠.

- الكوثري، محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري: ٥٥٧.
- اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الشافعي:
١٧٩، ٣٧١، ٩٩٦.
- لقيط بن عامر: ١١٦٠.
- لوط عليه السلام: ٤٥.
- مالك بن أنس: ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٦، ٤٨٩، ٦٧١، ٩٥٤.
- المأمون، عبد الله بن هارون الرشيد، أبو العباس، الخليفة العباسي: ١٦٨،
٢١٩، ٢٧١، ٢٧٨، ٣٨١، ٤٦٤، ٥٥٧، ٥٩٨، ٨٥٠، ٨٩٤، ١١٠٦.
- ماني بن فاتك مؤسس المانوية: ١٣٦.
- المتوكل، جعفر بن محمد بن هارون، أبو الفضل، الخليفة العباسي: ١٦٨.
- مجاهد بن جبر: ٣٠٥، ٣٥٥، ٤٥٣، ٤٥٤، ١٢٤١.
- محمد = البخاري: ١٨٣، ١٩٠، ٧٠١، ١٢٤١، ١٢٤٢.
- محمد بن إبراهيم آل الشيخ: ١٧٠.
- محمد بن إسماعيل البخاري = البخاري، محمد بن إسماعيل: ١٦٠،
١٨٣، ١٨٤، ٣٧٠.
- محمد بن جرير الطبري = ابن جرير، أبو جعفر: ٤٣٣.
- محمد بن خزيمة = ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة، أبو بكر: ١٠٦١.
- محمد بن الطيب، أبو بكر الباقلاني: ٢٥٩، ٣٧٢، ٣٧٣.
- محمد بن عبد الرحمن بن القاسم: ٨٦٨.
- محمد بن عبد الوهاب: ٢٧٣، ٥٥٧، ٩٠٢، ١١٠٨.
- محمد بن عثمان بن أبي شيبة، أبو جعفر العسبي، صاحب كتاب العرش:
٣٦٧.

- محمد بن قلاوون، السلطان: ٦٠٥.
- محمد بن كزّام = ابن كزّام، محمد.
- محمد بن يحيى الذهلي: ٢١٣.
- محمد خليل هراس، شارح النونية: ١٣٣٢.
- محمد رشاد سالم: ٨٦٧، ٨٦٩.
- المَرْوَزِيّ، إبراهيم بن أحمد، أبو إسحاق، صاحب كتاب السنة: ٣٦٨، ٣٧٥.
- المَرِيّسي، بشر بن غياث: ٢٤٢، ٣٧٠، ٥٥٧.
- المستعصم، عبد الله (المعتصم بالله) بن منصور (المستنصر) بن محمد (الظاهر) بن أحمد (الناصر) من سلالة هارون الرشيد، أبو أحمد آخر خلفاء بني العباس: ٢٥٢.
- المستكفي بالله = أبو الربيع، سليمان بن أحمد.
- مُسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين، صاحب الصحيح: ٣٢٩، ٤٥٢، ٥٢٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٩٧٠، ٩٩٨، ١١٦١، ١٢١٠، ١٢٤٣، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٧.
- مسلم بن عقبة المري: ٤٥٩.
- المسيح، عيسى ابن مريم عليه السلام: ١٣، ٤٤، ١٠٣، ١١٦، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٩، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩٢، ٣١٢، ٤١٠، ٤٣١، ٤٦٧، ٥٣٧، ٦٥٨، ٦٦٢، ٧٦١، ٧٦٢، ٨٦٨، ٩١٣، ٩٤٨، ٩٤٩.
- معاذ بن جبل: ٧٨٧، ١١٧٤.
- معاذ بن هشام الدستوائي: ١٢٤٢.
- معاوية بن أبي سفيان: ٤٥٨.

المعتصم، محمد بن هارون الرشيد، أبو إسحاق، الخليفة العباسي: ١٦٨،
٣٨١، ٤٦٤، ٥٥٧.

معلم الألحان = الفارابي: ٨٤٥.

المعلم الأول، أرسطو: ١٤١.

المعلم الثاني، أبو نصر الفارابي: ١٤١.

مقاتل بن حيان، أبو بسطام البلخي: ٣٥٥.

ملك الموت: ١٢٧٦.

موسى بن عمران عليه السلام، كلیم الله: ٣٦، ٣٨، ٤٥، ٧٠، ٧٣، ١٠٠،

١٠٩، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٦، ١٣٨، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٩، ١٧٧، ١٨٧،

١٨٩، ١٩٦، ٢٠١، ٣١٢، ٣٨١، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٤٩٨، ٤٩٩،

٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٧، ٥١٢، ٥٦٨، ٥٦٩، ٦٦٣، ٦٩٥، ٧٠١، ٧٠٢،

٧٠٣، ٧٠٤، ٧٧٠، ٨٤٢، ٩٣١، ٩٣٤، ١٠٠٦، ١٢٦١، ١٢٦٣،

١٢٦٤، ١٣٢٤، ١٣٢٩، ١٣٤٠.

ميكائيل عليه السلام: ٧٦، ٤٢٨، ٨٤١، ٨٤٢.

ناجي = أبو الصديق الناجي، بكر بن عمرو أو بكر بن قيس.

النبييل ابن النبييل = ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن النبييل أبي عاصم

الضحاك بن مخلد: ٣٦٩.

النجار، الحسين بن محمد بن عبد الله: ٨٤٧.

النجاشي، أصحمة، ملك الحبشة: ١٠٧٨.

النسائي، أحمد بن شعيب، أبو عبد الرحمن، صاحب السنن: ٣٦٧، ٩٩٨.

النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين:

نصير الدين الطوسي = الطوسي، محمد بن محمد بن الحسن : ٢١٩،
٢٢٣، ٤٢٦، ٤٧٠، ٧٤٦، ٨٤٦، ٨٥٧.

النَّظَام، إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، أبو إسحاق : ٤٢٥، ٨٤٧،
١٠٧٢.

النعمان بن ثابت = أبو حنيفة، النعمان بن ثابت : ٩٦٤.

النعماني = أبو حنيفة، النعمان بن ثابت : ٢٣٨.

نعيم بن حماد بن معاوية، أبو عبد الله الخزاعي المروزي : ٤٩٥.

نعيم بن عبد الله المدني، مولى آل عمر، يعرف بالمُجْمِر : ١٢١٧.

النقشبندي، خالد بن أحمد بن حسين، أبو البهاء، ضياء الدين : ١٠٧٢.

النمرود : ١٣٦، ٣٨٨، ١١٢١.

النواس بن سمعان : ١٩٠.

نوح عليه السلام : ٤٤، ٥١، ٢٤٩، ٨٤٢، ٩٣١.

هارون عليه السلام : ١٠٠، ١٣٨.

هامان وزير فرعون : ٤٥، ١٣٦، ١٣٧، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤٩٨، ٤٩٩، ٩٣٣.

هشام بن أبي عبد الله الدستوائي، والد معاذ بن هشام : ١٢٤٢.

الهَمْدَانِي، القاضي = عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني : ٣٤٨.

هولاكو حفيد جنكيزخان : ٢٥٢.

الواثق، هارون بن المعتصم بن هارون الرشيد، الخليفة العباسي : ١٦٨،

٣٨١، ٤٦٤، ٤٦٨.

واصل بن عطاء الغزال، رأس المعتزلة : ١٧٨، ١٧٩، ٤٦١، ٨١٧، ٨٤١،

١٢٥٦، ١٢٨١.

الوليد بن المغيرة : ١٦١، ١٦٧، ٦٨١، ١١٠٩.

وهب بن منبه : ١١٦٢ .

يحيى الأشعري : ١١٧٥ .

يحيى بن أبي كثير، شيخ الأوزاعي : ١٢٠٢ .

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : ٤٥٩ ، ٤٦٠ .

يعقوب بن إبراهيم = أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة .

يوسف عليه السلام : ٤٥٧ ، ٤٧٣ .

يوسف بن عبد البر = ابن عبد البر، أبو عمر النمري : ٣٦٤ .

يونس بن متى عليه السلام، ذو النون، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١ .

فهرس الفرق والجماعات

الصفحة

الجماعة

آل فرعون: ١٣٦، ٧٠.

الاتحادية - جماعة وحدة الوجود -: ١٠٣، ١٢٤، ٢٠١، ٢١٩، ٢٢٦،
٢٨١، ٢٨٢، ٨٤١.

إخوان الصفا: ١٤٠.

الإسماعيلية: ١٣٩، ٤٢٦، ٤٦٨، ٨٤٦.

الأشاعرة (الأشعرية): ٢٠، ٤٤، ١٠٧، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٥٦،
١٥٩، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٨٣، ١٨٥،
٢٠٩، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٨٠، ٢٩٥، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٥٦،
٣٦٤، ٣٧٢، ٤١٥، ٤٦٤، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٨٤، ٤٨٧، ٥٢٧، ٥٣٤،
٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٥، ٥٥١، ٥٥٢، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٣٢، ٦٤٨، ٧٤٧،
٧٦٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨١٧، ٨٤٩، ٨٧٠، ٨٨٢، ٨٩٨، ٩٢٥،
٩٢٦، ١٠٣٦، ١٠٥٢، ١٠٦٤، ١٠٦٨، ١٠٧٢، ١٠٨٩، ١١٠٤،
١١٠٩، ١١١١، ١١١٢، ١١٢١، ١١٢٥، ١١٢٣، ١٣٢٣، ١٣٢٥، ١٣٣٦،
١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤٢.

أصحاب الحديث: ٧٢، ٦٠١.

الاقترانية: ١٨٤، ١٨٥، ٢٣٤.

الأنصار: ١٠٧٠، ١٠٧١.

أهل الاتحاد: ٣٥٤، ٨١٥.

أهل الإثبات: ٤٩٨ ، ٦٨١ ، ٨٩٦ .

أهل الاعتزال: ١٧٨ ، ٣٣٥ ، ٣٥٦ ، ٤٦١ ، ٨٤١ ، ٨٦٨ .

أهل الإفك: ٦٨٩ .

أهل الإلحاد: ٧٤٨ ، ٧٥١ ، ٨٥٧ .

أهل التعطيل: ٦٨١ ، ٨٦٠ ، ٩٤١ ، ٩٨٠ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩٧ ، ١٢٤٩ .

أهل الجبر: ١٤٩ .

أهل الجدل: ٢٧٠ .

أهل الحديث: ٧٢ ، ١٥٥ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٣٥٣ ، ٣٦٧ .

٣٩٣ ، ٥٥٧ ، ٥٧٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٣١ ، ٦٥٠ .

٦٥٢ ، ٦٦٩ ، ٨٤٣ ، ٨٥٠ ، ٩١٦ ، ١٠٤٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٦٧ ، ١٠٧٠ .

أهل الحق: ٢٧٢ .

أهل الحلول: ٣٥٤ .

أهل الردة: ٦٨٣ ، ٣٥٩ .

أهل الرفض: ٤٨٥ .

أهل السنة والجماعة: ٣٣ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٨ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩ .

١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٠ ، ١٦٧ ، ١٦٨ .

١٧١ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ٢١٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٦٦ .

٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧٦ .

٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٣٩٣ ، ٣٩٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٢ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٨٩ .

٤٩٠ ، ٤٩٦ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠٧ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥٣٦ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ .

٥٤٤ ، ٥٥١ ، ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦٣ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ .

٥٧٠ ، ٥٧٧ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ .

٠٥٩١ ، ٠٥٩٣ ، ٠٥٩٨ ، ٠٦٠٠ ، ٠٦٠٢ ، ٠٦٠٣ ، ٠٦٠٤ ، ٠٦٢٢ ، ٠٦٢٣ ، ٠٦٣١ ،
 ٠٦٣٣ ، ٠٦٣٦ ، ٠٦٤٠ ، ٠٦٥٢ ، ٠٦٥٣ ، ٠٦٥٧ ، ٠٦٥٩ ، ٠٦٦١ ، ٠٦٦٣ ، ٠٦٦٥ ،
 ٠٦٦٩ ، ٠٦٧٠ ، ٠٦٧١ ، ٠٦٧٢ ، ٠٦٧٤ ، ٠٦٧٦ ، ٠٧١٣ ، ٠٧٦٥ ، ٠٨٠٥ ، ٠٨٢٠ ،
 ٠٨٢٢ ، ٠٨٢٣ ، ٠٨٤٣ ، ٠٨٤٤ ، ٠٨٤٨ ، ٠٨٤٩ ، ٠٨٥٣ ، ٠٨٥٧ ، ٠٨٥٨ ، ٠٨٥٩ ،
 ٠٨٦٠ ، ٠٨٦١ ، ٠٨٦٢ ، ٠٨٦٣ ، ٠٨٧٠ ، ٠٨٧٢ ، ٠٨٧٣ ، ٠٨٧٤ ، ٠٨٩٣ ، ٠٩٠٢ ،
 ٠٩٠٤ ، ٠٩٠٧ ، ٠٩٠٩ ، ٠٩١٥ ، ٠٩٢٠ ، ٠٩٢٤ ، ٠٩٢٦ ، ٠٩٣٤ ، ٠٩٣٧ ، ٠٩٤١ ،
 ٠٩٩٤ ، ٠٩٩٥ ، ٠٩٩٦ ، ٠٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٦ ، ١٠٢٨ ،
 ١٠٣٠ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٧ ،
 ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٢ ،
 ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٧ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٨ ،
 ١١١٢ ، ١١٤١ ، ١٢٦١ ، ١٢٧٥ ، ١٣١٢ ، ١٣١٤ ، ١٣١٨ ، ١٣٢٦ ،
 ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٤ .

أهل الكتاب: ٣٦٣ .

أهل الكلام: ٢٣٧ ، ٥٤٤ ، ٩١٨ ، ١٠٨٤ .

أهل المنطق: ٢٧٠ ، ٨٤٠ ، ٩٤٠ ، ١٠٩٥ .

أهل وحدة الوجود: ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٢٤ ، ٢٠١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٨١ ،
 ٢٨٢ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٧٤٣ ، ٧٤٨ ، ٧٥٠ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨٧٣ ، ١٣٣٦ .

أئمة الحديث: ٢١٥ .

الباطنية: ٥٢ ، ٢٢٤ ، ٣٧٧ ، ٤٢٦ ، ٤٦٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨٢ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ،
 ٤٨٧ ، ٥٢٧ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٤٤ ، ٨٤٦ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٢٨ .

باطنية الشيعة: ١٣٨ ، ٢٤٨ ، ٨٤٦ .

بنو إسرائيل: ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ١٠٠ ، ١٦٧ ، ٤١١ ، ٨٨٦ ، ١٠٤٨ .

الحاكمية: ٤٢٦ .

الحداثيون: ٨٢١ .

الحشوية: ١٢، ٣٧٨، ٣٩٣، ٥٧٧، ٥٨٠، ٥٨٢، ٥٨٣، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٥، ١٠٩٧، ١١٠١، ١٣٣٤ .

الحلولية: ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١١٤، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٩٠، ٢٩٢، ٧٦٤، ٩١٤، ١١١٦ .

الخوارج: ١٧٨، ١٧٩، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦٣، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٦، ٥٧٢، ٥٧٧، ٦٧٤، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٦، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٣٥، ١٣٣٦ .

الدهرية، الدهريون: ٨٢١، ١١٢١، ١٢٨٥ .

الديصانية (الديصانيون): ١٣٣، ٥٤٠ .

الرافضة، الروافض: ١٢، ٧٢، ٣٨٣، ٣٨٦، ٤٦٠، ٤٨٥، ٦٣٢، ٦٧٤، ٦٧٥، ٨٦٧، ١٠٤٣، ١٠٥٦، ١٣٢٩، ١٣٤٢ .

الروم، الرومان: ٨٤، ٢١٩، ٢٧١، ٢٧٨، ٥٣٥، ٨٩٤ .

الزيدية: ٧٣ .

الشيعة: ٧٢، ٧٣، ٧٤، ١٣٩، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٧٧، ٣٧٧، ٤٦٠، ٤٦٩، ٨٤٦، ٨٦٧ .

الشيعة الباطنية: ٢٢٠، ٢٢٣، ٤٦٩، ٧٤٤، ٩٩٩ .

الشيعة الجعفرية: ٨٦٧ .

الصابئة: ٤٢٦ .

الصحابة، أصحاب رسول الله ﷺ: ٢٥٤، ٢٧٤، ٣٥٣، ٣٨٥، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٩١، ٤٩٤، ٥١٧، ٥٣٦، ٦٣٢، ٦٧١، ٦٧٤، ٦٧٥ .

٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٩٢ ، ٧٠٧ ، ٨٢٢ ، ٨٤٠ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ،
 ٨٥٣ ، ٨٥٥ ، ٨٨٩ ، ٨٩٣ ، ٩١٨ ، ٩٥٥ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ،
 ١٠٠٨ ، ١٠٢٦ ، ١٠٥٨ ، ١٠٧٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ،
 ١١٤٦ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥١ ، ١٣١٩ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ .

الصليبيون : ٧٧ .

الصوفية : ٤٢٢٤ ، ٢٧٣ ، ٧٤٨ ، ٨٠٣ ، ٨٣٠ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٦٧ ، ٨٦٩ ،
 ١٠٤٣ ، ١٠٧٢ ، ١١٣٠ ، ١٣٣٦ .

الصوفية الاتحادية : ٢٢٤ .

الصوفية المعطلة : ٢٢٤ .

الظاهرية : ٢٠٩ ، ١٠١٤ .

عابدو الصليبيان ، النصراني : ١١٩ ، ٢٥٣ ، ٢٩١ ، ٧٥٨ ، ٩٤٨ ، ٩٥٩ .

علماء الكلام : ٢١٩ ، ٨٦٧ ، ٩١٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٥ .

علماء المنطق : ٩١٩ ، ١٠٨٤ .

العلمانيون : ٨٢١ .

الفاطميون (العبيديون) : ٤٢٦ .

الفرس : ٨٤ ، ١٣٣ ، ٥١٧ ، ١١٩٤ .

الفلاسفة : ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ،

٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٤٢٥ ، ٤٦٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٥٢٧ ، ٥٣٤ ،

٥٣٥ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ،

٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ،

١١٠٦ .

القبورية ، القبوريون : ٢٧٣ ، ٨٨٥ ، ٩٥١ ، ٩٦٠ ، ٩٦٨ ، ١٠٢٩ .

- القدرية: ٨٨، ١٤٩، ٢٧٧، ٤٦٢، ٦٣٩، ٨٦٧.
- القرامطة: ٥٢، ٢١٩، ٢٥٠، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٨٠، ٥٣٤.
- الكرامية: ٤٤، ١٧١، ١٨٠، ١٨٤، ٢٣٩، ٦٤٨، ١٣٢٣.
- الكلابية: ١٧٠، ١٧٣، ٣٦٥، ٣٧٣، ٨٤٨، ١٠٦٤، ١١٠٤.
- الماتريدية: ١٠٧، ١٦٥، ١٧٢، ٤٦٦، ٤٨٤، ٨١٧، ١١٢٥.
- المانوية: ١٣٦.
- المثبته: ١٣٢، ١٤١.
- المجسمة: ١٢، ١١٩، ١٢٢، ١٣٩، ١٥٥، ٣٣٦، ٣٦٥، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٩٣، ٤٠٣، ٤٥٤، ٤٩٠، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٤٢، ٥٤٤، ٥٤٦، ٥٨٥، ٥٨٧، ٥٩١، ٦٣٢، ٦٣٥، ٧١٢، ٩٠٤، ١٠٣٥، ١٠٩٧، ١١٠١.
- المجوس: ٩٤، ١٣٦، ٢٥٣، ٤١٩، ٤٢٦، ٤٦٢، ٥٤٠، ٦٤٦، ٧٥٦، ١٠٩٥.
- المرجئة: ٤٣، ٤٤، ٤٥، ١٧٨، ١٧٩، ٦٢٥، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٥٢، ٦٧٣، ٩٢٤، ١٣٢٧.
- مرجئة الفقهاء: ٦٤٨، ٩٢٤، ١٣٢٨، ١٣٣٩.
- المشبهة: ١٢، ١١٩، ١٣٩، ٣٩٣، ٤٠٣، ٥٣٨، ٥٨٢، ٥٨٥، ١٠٩٧، ١١٠١.
- المعتزلة: ١٢، ٢٠، ٢٤، ٣٦، ٤٨، ١٠٧، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٤٩، ١٦٥، ١٧٠، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ٢١٩، ٢٥٩، ٢٧٧، ٢٨٠، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٦، ٣٩٣، ٤١٥، ٤٢٥، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٧، ٤٩٠، ٥٢٧، ٥٣٤، ٥٤١، ٥٤٥، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٧٢، ٥٨٢، ٥٩٨.

وحدة الوجود: ٩٤، ٩٩، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٨٢، ٢٨٣، ٣٥٤،
١٣٣٦، ٨٤١.

اليهود: ٣٦، ٤٤، ٧٣، ٧٤، ١٠٩، ١١٩، ١٨٧، ٢٢٩، ٢٥٢، ٢٥٣،
٢٩٥، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٩، ٤٤٧، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٣،
٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥٠٥، ٥٣٢، ٦٤٦، ٧١٧، ٧٤٤، ٩١٣،
٩٣٣، ٩٤٣، ٩٥٩، ١٠٢٨، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٢١٠.

اليونان: ١٣٧، ١٣٩، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٧٠، ٢٧١،
٢٧٨، ٢٨٥، ٤٢٥، ٤٩٢، ٥١٧، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٧٥، ٦١٤، ٧٢٣،
٧٤٠، ٧٤٣، ٨٤٥، ٨٩٣، ٨٩٤، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٧٤، ١١٠٦.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناظم	٥
مقدمة المعلق	١٩
فصل : بدء القصيدة النونية	٣١
فصل : والعبد عندهم فليس بفاعل	٤٠
فصل : وكذلك قالوا ما له من حكمة	٤٢
فصل : وقضى بأن الله كان معطلاً	٤٦
فصل : وقضى بأن الله يجعل خلقه عدماً	٥٠
فصل : وقضى بأن الله ليس بفاعل	٦٢
فصل : في مقدمة نافعة قبل التحكيم	٧٥
فصل : وهذا أول عقد مجلس التحكيم	٩١
فصل في قدوم ركب آخر، مذهب الحلولية	١٠٣
فصل في قدوم ركب آخر، مذهب الجهمية	١٠٦
فصل في قدوم ركب آخر، ينصر أهل السنة	١١٤
فصل في قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن	١٤٣
فصل في إثبات الحياة لله عز وجل	١٥١
فصل في مجامع طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن	١٦٧
فصل في مذهب الاقترانية	١٧٥
فصل في مذهب القائلين بأنه متعلق بالمشيئة والإرادة	١٧٧

الصفحة	الموضوع
١٨٠	فصل في مذهب الكرامية
١٨٣	فصل في ذكر مذهب أهل الحديث
١٩٤	فصل في إلزامهم القول بنفي الرسالة إذا انتفت صفة الكلام
١٩٨	فصل في إلزامهم التشبيه للرب بالجماد الناقص إذا انتفت صفة الكلام
	فصل في إلزامهم بالقول بأن كلام الخلق حقه وباطله عين كلام الله
٢٠٠	سبحانه
٢٠٣	فصل في التفريق بين الخلق والأمر
٢٠٦	فصل في التفريق بين ما يضاف إلى الرب تعالى من الأوصاف والأعيان
٢٠٨	فصل في مذهب ابن حزم في القرآن
٢١٩	فصل في كلام الفلاسفة والقرامطة في كلام الرب جل جلاله
٢٢٦	فصل في مقالات طوائف الاتحادية في كلام الرب جل جلاله
	فصل في اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الرب تعالى وكلامه
٢٥٧	والانفصال عنه
٢٦٩	فصل: فاسمع إذاً وافهم فذاك معطل
	فصل في الرد على الجهمية المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش
	إلهٌ يعبد ولا فوق السموات إلهٌ يصلى له ويسجد وبيان فساد قولهم
٢٨٠	عقلاً ونقلاً ولغةً وفطرة
٢٩٠	فصل في سياق هذا الدليل على وجه آخر
	فصل في الإشارة إلى الطرق النقلية الدالة على أن الله تعالى فوق
٢٩٤	سمواته على عرشه
٢٩٧	فصل: الدليل الثاني من أدلة العلو

الصفحة	الموضوع
٣٠٠	فصل: الدليل الثالث من أدلة العلو
٣٠٣	فصل: الدليل الرابع من أدلة العلو
٣٠٩	فصل: الدليل الخامس من أدلة العلو
٣١٤	فصل: الدليل السادس والسابع من أدلة العلو
٣١٧	فصل: الدليل الثامن من أدلة العلو
٣١٩	فصل: الدليل التاسع من أدلة العلو
٣٢٤	فصل: الدليل العاشر من أدلة العلو
٣٢٧	فصل: الدليل الحادي عشر من أدلة العلو
٣٢٩	فصل: الدليل الثاني عشر من أدلة العلو
٣٣٤	فصل: الدليل الثالث عشر من أدلة العلو
٣٣٩	فصل: الدليل الرابع عشر من أدلة العلو
٣٤٣	فصل: الدليل الخامس عشر من أدلة العلو
٣٥٣	فصل: الدليل السادس عشر من أدلة العلو
٣٨٧	فصل: الدليل السابع عشر من أدلة العلو
٤٠٦	فصل: الدليل الثامن عشر من أدلة العلو
٤١٧	فصل: الدليل التاسع عشر من أدلة العلو
٤٢٩	فصل: الدليل العشرون من أدلة العلو
٤٣٤	فصل: الدليل الحادي والعشرون من أدلة العلو
٤٣٧	فصل في الإشارة إلى ذلك من السنة
	فصل في جنابة التأويل على ما جاء به الرسول والفرق بين المردود
٤٥٦	منه والمقبول

- ٤٧٧ فصل فيما يلزم مدعي التأويل لتصحيح دعواه
- ٤٨٠ فصل في طريقة ابن سينا وذويه من الملاحظة في التأويل
- فصل في شبه المحرفين للنصوص باليهود وإرثهم التحريف منهم
- ٤٩٣ وبراءة أهل الإثبات مما رموهم به من هذا الشَّبه
- فصل في بيان بُهتانهم في تشبيه أهل الإثبات بفرعون، وقولهم: إن
- ٤٩٨ مقالة العلو عنه أخذوها وأنهم أولى بفرعون وهم أشباهه
- ٥٠٥ فصل في بيان تدليسهم وتلييسهم الحق بالباطل
- فصل في بيان سبب غلطهم في الألفاظ والحكم عليها باحتمال عدة
- ٥١٤ معان حتى أسقطوا الاستدلال بها
- فصل في بيان شبه غلطهم في تجريد اللفظ بغلط الفلاسفة في
- ٥٢٧ تجريد المعاني
- فصل في بيان تناقضهم وعجزهم عن الفرق بين ما يجب تأويله وما
- ٥٣٠ لا يجب
- ٥٤٥ فصل في المطالبة بالفرق بين ما يُتأول وما لا يُتأول
- ٥٤٧ فصل في ذكر فرق لهم آخر وبيان بطلانه
- ٥٥١ فصل في بيان مخالفة طريقهم لطريق أهل الاستقامة عقلاً ونقلاً
- فصل في بيان كذبهم ورميهم أهل الحق بأنهم أشباه الخوارج وبيان
- ٥٥٩ شبههم المحقق بالخوارج
- فصل في تلقيبهم أهل السنة بالحشوية وبيان من أولى بالوصف
- المذموم من هذا اللقب من الطائفتين وذكر أول من لقب به أهل
- ٥٨٠ السنة أم أهل البدعة؟

- فصل في بيان عدوانهم في تلقيب أهل القرآن والحديث بالمجسمة
 وبيان أنَّهم أولى بكل لقبٍ خبيث ٥٨٥
- فصل في بيان مورد أهل التعطيل وأنهم تعوَّضوا بالقلوط عن السلسيل ... ٥٩٢
- فصل في بيان هدمهم لقواعد الإسلام والإيمان بعزلهم نصوص
 السنة والقرآن ٥٩٥
- فصل في بطلان قول الملحدين إن الاستدلال بكلام الله ورسوله لا
 يفيد العلم واليقين ٦١٠
- فصل في تنزيه أهل الحديث والشريعة عن الألقاب القبيحة الشنيعة ... ٦٣١
- فصل في نكتة بديعة تبين ميراث الملقَّبين والملقَّبين من المشركين
 والموحدين ٦٣٥
- فصل في بيان اقتضاء التجهم والجبر والإرجاء للخروج عن جميع
 ديانات الأنبياء ٦٣٩
- فصل في جواب الرب تبارك وتعالى يوم القيامة إذا سأل المعطل
 والمشبه عن قول كل منهما ٦٥٢
- فصل : والآخرون أتوا بما قد قاله ٦٥٧
- فصل في تحميل أهل الإثبات للمعطلين شهادة تؤدَّى عند رب العالمين .. ٦٦١
- فصل في عهود المثبتين مع رب العالمين ٦٧٦
- فصل في شهادة أهل الإثبات على أهل التعطيل أنه ليس في السماء
 إله يُعبد ولا لله بيننا كلامٌ ولا في القبر رسول الله ٦٨١
- فصل في الكلام في حياة الأنبياء في قبورهم ٦٨٤
- فصل فيما احتجوا به على حياة الرسل في القبور ٦٩٣

- ٦٩٧ فصل في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة
- فصل في كسر المنجنيق الذي نصبه أهل التعطيل على معاقل
الإيمان وحصونه جيلاً بعد جيل ٧١٥
- ٧٢٧ فصل في أحكام هذه التراكيب الستة
- فصل في أقسام التوحيد والفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد النفاة
المعطلين ٧٤٣
- ٧٤٨ فصل في النوع الثاني من أنواع التوحيد لأهل الإلحاد
- ٧٥١ فصل في النوع الثالث من التوحيد لأهل الإلحاد
- ٧٥٣ فصل في النوع الرابع من أنواعه
- فصل في بيان توحيد الأنبياء والمرسلين ومخالفته لتوحيد الملاحدة
والمعطلين ٧٥٧
- ٧٦٣ فصل في النوع الثاني من النوع الأول وهو الثبوت
- ٧٦٩ فصل: وهو الحميد فكل حمد واقع
- ٧٧٠ فصل: وهو المكلم عبده موسى
- ٧٧٧ فصل: والحكمة العليا على نوعين
- ٧٧٨ فصل: وهو الحيّ فليس يفضح عبده
- ٧٨١ فصل: وهو الرقيب على الخواطر
- ٧٨٣ فصل: وهو الرفيق يحب أهل الرفق
- ٧٨٦ فصل: وهو الودد يحبهم ويحبه
- ٧٨٩ فصل: وهو الغفور فلو أتى بقرابها
- ٧٩١ فصل: وهو الإله السيد الصمد

الموضوع	الصفحة
فصل : وهو الحسيب كفاية وحماية	٧٩٣
فصل : هذا ومن أوصافه القدوس	٧٩٤
فصل : هذا ومن أوصافه القيوم	٧٩٧
فصل : والنور من أسمائه	٧٩٩
فصل : وهو المقدم والمؤخر	٨٠٤
فصل : هذا ومن أسمائه ما ليس يفرد	٨٠٨
فصل : ودلالة الأسماء أنواع ثلاث	٨١٠
فصل في بيان حقيقة الإلحاد في أسماء رب العالمين وذكر انقسام الملحدين	٨١٣
فصل في النوع الثاني من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين المخالف لتوحيد المعطلين والمشركين	٨٢٤
فصل : والشرك فاحذره	٨٣٠
فصل في صف العسكريين وتقابل الصفيين واستدارة رحى الحرب العوان وتداول الأقران	٨٣٩
فصل : العلم قال الله قال رسوله	٨٥٣
فصل في عقد الهدنة والأمان الواقع بين المعطلة وأهل الإلحاد	٨٥٧
حزب جنكيزخان	٨٥٧
فصل في مصارع النفاة والمعتلين بأسنة أمراء الإثبات الموحدين	٨٦٥
فصل في بيان أن المصيبة التي حلت بأهل التعطيل والكفران من جهة الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان	٨٧٦
فصل في كسر الطاغوت الذي نفوا به صفات ذي الملكوت والجبروت	٨٩٧

الموضوع	الصفحة
فصل في مبدأ العداوة الواقعة بين المثبتين الموحدين وبين النفاة المعطلين	٩٠٩
فصل في بيان أن التعطيل أساس الزندقة والكفران والإثبات أساس العلم والإيمان	٩٢٢
فصل في بهت أهل الشرك والتعطيل في رميهم أهل التوحيد والإثبات بتنقيص الرسول ﷺ	٩٣٧
فصل في تعيين أن اتباع السنة والقرآن طريقة النجاة من النيران	٩٧٠
فصل في تيسير السير إلى الله على المثبتين الموحدين وامتناعه على المعطلين والمشركين	٩٧٧
فصل في ظهور الفرق بين الطائفتين وعدم التباسه إلا على من ليس بذي عينين	٩٩١
فصل في التفاوت بين حظ المثبتين والمعتلين من وحي رب العالمين	٩٩٤
فصل في بيان الاستغناء المنزّل من السماء عن تقليد الرجال والآراء	١٠٠٥
فصل في بيان شروط كفاية النصين والاستغناء بالوحيين	١٠٢١
فصل: هذا وليس الطعن بالإطلاق	١٠٢٨
فصل في لازم المذهب هل هو مذهب أم لا؟	١٠٣٢
فصل في الرد عليهم في تكفيرهم أهل العلم والإيمان وذكر انقسامهم إلى أهل الجهل والتفريط والبدع والكفران	١٠٤٣
فصل: والآخرون فأهل عجز	١٠٥٢
فصل في تلاعب المكفرين لأهل السنة والإيمان بالدين كتلاعب الصبيان	١٠٥٩

- فصل في أن أهل الحديث هم أنصار رسول الله ﷺ وخاصته ولا
 ١٠٧٠ يينقض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر
- فصل في تعيين الهجرة من الآراء والبدع إلى سنته كما كانت فرضاً
 ١٠٧٨ من الأمصار إلى يلدته عليه الصلاة والسلام
- فصل في ظهور الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين
 ١٠٨٩ فصل في شكوى أهل السنة والقرآن وأهل التعطيل والآراء
 ١٠٩٧ المخالفين للرحمن
- فصل في أذان أهل السنة الأعلام بصريحتها جهرأ على رؤوس منابر
 ١١٠٨ الإسلام
- فصل في تلازم التعطيل والشرك
 ١١٢١ فصل في بيان أن المعطل شر من المشرك
 ١١٢٦ فصل في مثل المشرك والمعطل
 ١١٣٥ فصل فيما أعد الله تعالى من الإحسان للمتمسكين بكتابه وسنة
 رسول الله ﷺ عند فساد الزمان
 ١١٣٩ فصل فيما أعد الله تعالى في الجنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة
 ١١٥٠ فصل في صفة الجنة التي أعدها الله ذو الفضل والمنة لأوليائه
 المتمسكين بالكتاب والسنة
 ١١٥٥ فصل في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين
 ١١٥٧ فصل في أبواب الجنة
 ١١٥٨ فصل في مقدار ما بين الباب والباب منها
 ١١٦٠ فصل في مقدار ما بين مصراعي الباب الواحد منها
 ١١٦١

الصفحة	الموضوع
١١٦٢	فصل في مفتاح باب الجنة
١١٦٤	فصل في منشور الجنة الذي يوقع به لصاحبها
١١٦٧	فصل في صفوف أهل الجنة
١١٦٨	فصل في أول زمرة تدخل الجنة
١١٦٩	فصل في صفة الزمرة الثانية
١١٧٠	فصل في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى
١١٧١	فصل في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم
١١٧٢	فصل في ذكر سن أهل الجنة
١١٧٣	فصل في طول قامات أهل الجنة وعرضهم
١١٧٤	فصل في لحاهم وألوانهم
١١٧٥	فصل في لسان أهل الجنة
١١٧٦	فصل في ريح أهل الجنة من مسيرة كم يوجد
١١٧٨	فصل في أسبق الناس دخولاً إلى الجنة
١١٨٢	فصل في عدد الجنات وأجناسها
١١٨٩	فصل في بناء الجنة
١١٩٠	فصل في أرضها وحصبائها وتربها
١١٩١	فصل في صفة غرفاتها
١١٩٢	فصل في خيام أهل الجنة
١١٩٤	فصل في أرائكها وسررها
١١٩٥	فصل في أشجارها وثمارها وظلالها
١٢٠٠	فصل في سماع أهل الجنة

الموضوع	الصفحة
فصل في أنهار الجنة	١٢٠٥
فصل في طعام أهل الجنة	١٢٠٧
فصل في شرابهم	١٢٠٨
فصل في مصرف طعامهم وشرابهم وهضمه	١٢١٠
فصل في لباس أهل الجنة	١٢١١
فصل في فرشهم وما يتبعها	١٢١٤
فصل في حلي أهل الجنة	١٢١٥
فصل في صفة عرائس الجنة وحسنهن وجمالهن ولذة وصالهن ومهورهن	١٢١٨
فصل : فاسمع صفات عرائس الجنات	١٢٢٥
فصل : أقدامها من فضة	١٢٣٢
فصل : أتراب سن واحد	١٢٣٤
فصل : وإذا بدت في حُلَّة من لبسها	١٢٣٧
فصل في ذكر الخلاف بين الناس : هل تحبل نساء أهل الجنة أم لا ؟	١٢٤١
فصل في رؤية أهل الجنة ربَّهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجهه الكريم	١٢٤٧
فصل في كلام الرب جل جلاله مع أهل الجنة	١٢٦١
فصل في يوم المزيد وما أعد لهم فيه من الكرامة	١٢٦٥
فصل في المطر الذي يصيبهم هناك	١٢٦٨
فصل في سوق الجنة التي ينصرفون إليها من ذلك المجلس	١٢٦٩
فصل في حالهم عند رجوعهم إلى أهليهم ومنازلهم	١٢٧٢

الصفحة	الموضوع
١٢٧٣	فصل في خلود أهل الجنة ودوام صحتهم ونعيمهم
	فصل في ذبح الموت بين الجنة والنار والرد على من قال إن الذبح
١٢٧٦	لملك الموت وأن ذلك مجاز لا حقيقة له
١٢٨٢	فصل في أن الجنة قيعان وأن غراسها الكلام الطيب والعمل الصالح
١٢٨٥	فصل في إقامة المآتم على المتخلفين عن رفقة السابقين
	فصل في زهد أهل العلم والإيمان وإيثارهم الذهب الباقي على
١٢٩٦	الخزف القاني
	فصل في رغبة قائلها إلى من يقف عليها من أهل العلم والإيمان أن
	يتجرد لله ويحكم عليها بما يوجهه الدليل والبرهان فإن رأى حقاً
١٣٠٢	قبله وحمد الله عليه وإن رأى باطلاً عرف به وأرشد إليه
١٣٠٨	فصل في حال العدو الثاني
١٣١٠	فصل في حال العدو الثالث
١٣١١	فصل في حال العدو الرابع
	فصل في توجه أهل السنة إلى رب العالمين أن ينصر دينه وكتابه
١٣١٤	ورسوله وعباده المؤمنين
١٣٢١	قسم الأسئلة
١٣٤٥	المقهارس العامة
١٣٤٧	فهرس الآيات
١٣٨١	فهرس الأحاديث والآثار
١٣٩٧	فهرس الأعلام
١٤٢٣	فهرس الفرق والجماعات
١٤٣٣	فهرس الموضوعات